الثقافة

العـــدد ٦٩٩
١٩ من مايو ١٩٥٢

مجلة أســبوعية للآداب والعلـوم والفنون
تصدرها لجنــة التأليف والترجمــة والنشر

الثمن ٣٠ مليماً

صفحة

أبحاث ومقالات :

دراسة نقدية :

نقد :

من صور الحياة :

شعر :

من وحي الربيع :

صرخة لاجئ

أخي .. هذا الربيع السمح يخطو بين وادينا
وهـــذا الطائر المقرور يشـــدو في روابينا
وهـــذا الزهر المـــكلوم صاغ اللحن يشجينا
وتلك العـــبرة الخرساء جمدت في مآقينا
فلا برد به تشـــفى ، ولا ســـيل يغشّينا
فهيـــا نخلع الأسمال .. فالأسمال تخزينا

* * *

أخي .. ولى الشـــتاء العابس الطاغي بأنوائه
أجل . ولى — وكم كنـــا نعاني هول أرزائه
يســـوق الرعدة الحمراء تعوي بين أحوائه
تدعّ الجسم للأسقام .. يصـــلي شر أدوائه
دماء تنفث الآهات فوق المهمه النـــائي
كأنا في الدجى العـــاني جراح بين ظلمائه

* * *

صريع الذل كم يلقى عذاباً من يد الدهر
تدوي منه صرخات حيارى : آه يا صدري !؟
تلوى .. والأسى يلقيه بين الوعر والصـــخر
بصحراء بها — يارب — صرعى الداء والغدر
فلا إشراق آمال .. ولا همس من الزهر
ســـوى الديجور قد ألقى رداء الحزن للفجر

محمد أحمد سالم

غريب

أنا عازف القيثار . شردني الحنين على الطريق
زادي ترانيمي وهذا الليل لي أحنى رفيق

* * *

القرية السمراء وادعة على السفح الخصيب
ودجاجها المرّاح خطار على الدرب الحبيب
وصغارها يتواثبون كما توثب عندليب
وأنا أرى فيها الملاذ . . أليس لي فيه نصيب
لكني أبداً سأقطع عمري الداوي غريب ؟

* * *

أنا عازف القيثار شردني الحنين على الطريق
زادي ترانيمي وهذا الليل لي أحنى رفيق

* * *

كم هزني السكن الدفيء على رحابك في الصباح
أسعى إلى حقلي لألقى فيه لذات الكفاح
وأعود والليل الصديق إليك . لهاف الجناح
لأنور الكوخ الصغير وأشرب الماء القراح
لكن قيدي . آه من يطلق لي يوماً سراح

* * *

أنا عازف القيثار شردني الحنين على الطريق
زادي ترانيمي وهذا الليل لي أحنى رفيق

(القاهرة) كمال نشأت

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز — الدكتور أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول — محمد عبد الواحد خلاف بك

الإدارة

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العدد ٦٩٩ — الاثنين ٢٥ من شعبان سنة ١٣٧١ — ١٩ من مايو سنة ١٩٥٢ — السنة الرابعة عشرة

الأدب السياسى

للأستاذ محمد مفيد الشوباشى

إذا كان المؤرخ المتمكن من مادته لا يغفل فى دراساته التاريخية عن تأثير الأدب فى حياة الأمم ، والرابطة بينه وبين ما يقع فيها من أحداث ، وما يقع لها من تطور ، بل إنه إذا رجع إلى الآثار الأدبية ليصل على هداها إلى معرفة وقائع التاريخ على حقيقتها ، فإننا نجد من الناحية الأخرى أن الناقد المتمكن كذلك من مادته ، يحاول أن يفهم أدب أية أمة من الأمم فى أى عصر من العصور على هدى أوضاع تلك الأمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى ذلك العصر . وإذا تبيّنا صواب كل من ذلك المؤرخ وذلك الأديب فيما ذهب إليه ، تجلت لنا تلك الحقيقة البالغة الأهمية التى تناولناها بالشرح فى مقالات سابقة ، وهى أن الأدب والسياسة يؤثر كل منهما فى الآخر ويتأثر به ، ودراسة كل منهما فى حاجة إلى دراسة ذلك التأثير وذلك التأثر معاً دون عزل أحدهما عن الآخر . ولا يغيب عن البال أن هذا التفاعل يحدث بينهما فى نطاق التفاعل العام ، ويتأثر به ويؤثر فيه بدوره . ولم يعد يخفى اليوم على أولى العلم والبصيرة أن الوصول إلى أية حقيقة لا يكون من طريق عزل الموضوع محل الدرس عن سواه ، والنظر إليه على حدة كأنه شىء قائم بذاته لا يدركه تطور أو تغير ، بل يكون من طريق التسليم بوحدة الموضوع وما حوله من ملابسات ، وتطوّر كل منهما نتيجة لتأثره بالآخر وتأثيره فيه .

ننتهى مما تقدم إلى أن الأدب على اختلاف ألوانه متصل بالسياسة صلة لا تنفصم . وقد تتجلى هذه الصلة حتى ليكاد يبدو أن الأدب والسياسة مندمج كل منهما فى الآخر تمام الاندماج ، وقد تخفى حتى ليبدو ألا صلة بينهما . ففى الحالة الأولى يتناول الأدب الموضوعات السياسية تناولاً مباشراً ، وتكون الصلة بينهما واضحة لا تحتاج إلى تعليق . وفى الحالة الثانية يساير الأدب السياسة متأثراً بها ومؤثراً فيها على الرغم من تناوله موضوعات منقطعة الصلة فى الظاهر بالشئون السياسية وبيان ذلك يحتاج إلى شرح نجمله فيما يلى :

السياسة هى ما يوضع للحكم من نظم وأوضاع وتدابير تكفل استتبابه ، وترمى إلى توفير أمن المجتمع واطراد تقدمه . وإذا نحن رجعنا إلى مختلف الحكومات فى مختلف العصور ، وجدنا بعضها يقوم على الاستبداد ، ويقف فى سبيل كل تقدم . ووجدنا بعضها الآخر على نقيض ذلك . والأدب لم ينحرف هو أيضاً فى ماضيه وحاضره عن أحد هذين الاتجاهين ، فهو إما رجعى يحول دون تقدم مجتمعه ، وإما متحرر من أوضاع ماضيه وحاضره ، عامل على دفع مجتمعه إلى الأمام . وأولهما يعين الحكومة المستبدة على مزاولة استبدادها واستعبادها بما يبثه فى العقول من المعتقدات والقيم السقيمة العتيقة ، وما يبثه فى الصدور من الأهواء الملتوية التى تميت الأنفة والشجاعة وإباء الضيم . وثانيهما

يتحدى الأوضاع البالية التي تمد في أمد الاستبداد والاستعباد ، ويحاول تقويض أركانها ، ويبصر مجتمعه بحقوقه ، ويستنفره إلى استخلاصها من مغتصبيها والذود عنها ، ويبث فيه من المعتقدات والخوالج ما يعينه على بلوغ رشده السياسي .

وإليك شعر الغزل مثلا لما نقول ، فقد تقرأ قصيدة غزلية لا ترى صلة بينها وبين السياسة ، ولكنك إذا أبعدت مرمى نظرتك تجد أن ناظمها لم يتخلص من تأثير وضع مجتمعه السياسي ، وأنه انغمس في معترك السياسة باتخاذه اتجاهها الرجعي أو التقدمي . فهو إذا تذرع في تلك القصيدة بالذلة والمسكنة لاستمالة حبيبته ، وردد الزفرات ، وسكب العبرات ، واستسلم لشجنه ولوعته ، واستراح آخر الأمر إلى اليأس من محبوبته ، كان من مناصري الاتجاه الرجعي ، لأن مثل هذا الشعر يوطد أركان الاستبداد بتسويغ الاستكانة والاستسلام ، وهو إذا عد الحب نبعاً للأمل ، وحافزاً للعمل ، ومشاركة للخوالج النبيلة ، وتعاوناً على بناء حياة سعيدة ، كان من مؤيدي الاتجاه التقدمي ، لأن مثل هذا الشعر يبني مجتمعاً سليما قوياً يتعذر على الاستبداد أن ينشب أظفاره فيه ، ونسوق مثلا آخر فنقول : إن أدب الطبيعة يكون رجعياً إذا تغنى بسحر المشاهد الطبيعية ، وأغرى الناس بالهروب من صخب الحياة إلى الخلاء ، حيث الهدوء يعيد إلى النفس هدوءها ، والخلوة تستثير الخيال المبدع . فيستعيض الإنسان عن مشقة الحياة بترويح النفس ، وخلو البال ، ويستبدل بالمتع الروحية متع المدنية الرخيصة ... أما الأدب الذي يعد الخروج إلى الطبيعة نزهة تجدد النشاط وتفتق الذهن ، وتستنهض الهمة ، وتبعث في النفس القدرة على الكفاح ، فهو أدب تقدمي كما هو ظاهر .. وليس مقصدنا ألا يخرج الأدب عن الحدود الضيقة لتلك المعاني التي أوردناها ، فقد يغرب الأدب في معانيه ، ويتوخى أبعد المرامي ، ولكن الحكم عليه لا يكون إلا بعد الرجوع إلى قصد مبدعه من ناحية ، وأثره في نفس المطلع عليه من ناحية أخرى ... وهكذا ننتهي إلى ما بدأناه من أن الأدب يتأثر بتيارات عصره الفكرية والسياسية ويؤثر فيها حتى ولو بدا أنه منقطع الصلة بها .

ومن السذاجة التسليم بصحة قول القائلين « إن الأدب أجل من أن يوزن بميزان الفائدة أو المنفعة ، لمصدره الوحي والإلهام ، وميدانه الأوهام والأحلام ، ولا يجوز سؤال الكاتب الأديب عن هدفه ، فهو يكتب الأدب للأدب مجرداً عن أية غاية . . . » إن هذا القول مرفوض بداهة ، فما لا خير فيه لا قيمة له ، والذي لا يسأل ولا يحاسب هو المعتوه لا الأديب ، والناس الذين يتقبلون هذا القول ويرددونه هم ممن يستهويهم الإغراب والإبهام ، أو ممن يرددون ما يسمعون كالببغاء .

وإذا رجعنا إلى تاريخ الأدب العربي ، وامتحناه في عصر الجاهلية ، نجد أن الشعر وهو أهم ألوانه يكاد لا يعنى إلا بالمشكلات القبلية . وقد رأى الأستاذ أحمد الشايب في كتابه « تاريخ الشعر السياسي » أن الشعر الجاهلي وثيق الصلة بالسياسة منذ وجود القبيلة ، على أساس أن القبيلة صورة مصغرة للدولة ، ومما جاء في الكتاب المذكور عن ذلك الشعر : «إنه إما فخر بها ، أي بالقبيلة ، أو هجاء لأعدائها ، ورثاء لقتلاها في الحروب ، أو هو فخر وهجاء ورثاء موجه إلى شخص ، ولكن بواعثه قبلية عامة تعود إلى العشيرة .

لذلك نجده جدالاً حول انتصار أو هزيمة ، ونجد الرثاء وعيداً وتهديداً أكثر مما هو بكاء على القتيل ، والوصف بعثاً على الانتقام ، وإثارة للحمية الجاهلية . وقد رأى الأستاذ المؤلف في ألوان الأدب الجاهلي الأخرى كالخطابة والرسائل والقصص مزيجاً من الأدب والسياسة . وإذا كان بعضها يتناول مواضيع شخصية ، فإن مراميه البعيدة تتعدى القصد الظاهر القريب إلى الأهداف السياسية البعيدة . ويتأكد هذا المعنى إذا تتبعنا الأدب العربي بعد ظهور الإسلام ، ورأينا كيف أنه دخل المعارك السياسية الحامية التي دارت حول مختلف المذاهب والمعتقدات والأغراض ، والتي تعددت وتشعبت على توالي العصور . لقد كانت قصيدة مشتملة واحدة يومئذ كفيلة بأن تشعل الحروب ، وتزعزع العروش ، وتفجر الدماء ، وكانت قصيدة رزينة أخرى كفيلة بأن تطيب النفوس ، وتقر الأعين ، وتحقن الدماء . كان هذا شأن الأدب السياسي المباشر ، أما الأدب الذي يعده الناس غير سياسي فقد كان له الأثر العميق في سياسة ذلك العصر . فقد تأثر في صدر الإسلام أبلغ التأثر بفتوح الدولة الإسلامية المتحفزة للظهور ، وتهدج لتلك الصفات السامية التي غرسها الدين الحنيف الجديد في نفوس شعوبه . فإذا مختلف ألوان الأدب من مديح وغزل وفخر ورثاء ووصف تنضح بالروح الجديد المتوثب ، وإذا بها تمد [illegible]

الروح بقوة جديدة ، وتوطد أركان الدولة الناشئة ، وتمكن الصفات السامية من نفوس شعوبها التي أفلحت في بناء أضخم دولة عرفها التاريخ في أقصر مدة من الزمان .

ولكن الأدب العربي لعب نقيض هذا الدور السياسي حين بلغ اتساع الدولة الإسلامية مداه ، وأخذ ركبها المتقدم ينكص على أعقابه . فقد تأثر ذلك الأدب بالانحلال الذي بدت بوادره في العصر العباسي المتأخر ، وظهر أثره في موضوعات ذلك العصر الأدبية ومعانيها وأساليبها. ثم لم يلبث أن ساعد على تقوية الروح الانحلالية وسرعة تفشيها بتصويره كل مظهر من مظاهر التدهور تصويراً يغري الناس بالإقبال على اللهو والهزل والفساد . وهكذا لعب الأدب دوراً سياسياً رئيسياً في بناء دولة الإسلام الكبرى ، وفي تصديع أركانها على السواء .

ونظرة أخرى إلى تاريخ الأدب الغربي تلقي ضوءاً جديداً على علاقته بالسياسة . فأقدم ما نعرفه من آيات ذلك الأدب الملحمتان المعروفتان بالإلياذة والأوديسة ، ومن المعلوم أن هاتين الملحمتين تضمنتا من الوقائع والمعتقدات والمعاني ما نشأ وتطور متأثراً بأوضاع اليونان القديمة ، وظروفها في ذلك العصر ، ويعلم حتى تلاميذ المدارس الثانوية الملتحقون بالقسم الأدبي . أن آراء أفلاطون وأرسطو السياسية ، وما قرراه من مذاهب ، كان لها الأثر الأكبر في نهضة أوربا ، مقتبس أو متأثر بالملحمتين المذكورتين ، واستتبع الركود السياسي الذي ساد البلاد الأوربية بعد ذلك ركوداً في الأدب . ثم افتتحت أوربا نهضتها في مستهل العصر الحديث بتلك الملحمة المسماة « أغنية رولان » وهي كذلك من الشعر السياسي الذي تأثر ببوادر النهضة الحديثة وأثر فيها ، وظل الأدب يساير في تلك البلاد أوضاعها السياسية ويعكسها في شعره ونثره . فينضح حيناً بالروح الإقطاعي . ثم يعبر بعد ذلك عن ميول البورجوازية التي ظهرت في أوربا بعد عهد الإقطاع ، ويعود في النهاية فيتأثر بخوالج الشعوب التي بدأت تستيقظ وتشعر بمرارة الآلام ، وحلاوة الآمال ، وكان في هذه الأحوال جميعها أقوى دعامة للنهضة الأوربية التي تأثر بها .

بعد أن تبينا أثر الآداب البليغ في قيام الحضارات وانهيارها ، ننتهي إلى أهم ناحية تعنينا من هذا المقال ، وهي الناحية الخاصة بأدبنا المصري الحديث ، ومدى نجاحه في تأدية رسالته السياسية.

نزل أدبنا الحديث ، منظومه ومنثوره ، ميدان السياسة منذ أيام البارودي ، وازداد توغلا في ذلك الميدان بعد الاحتلال البريطاني ، وأطلق الناس على ما تناول منه للموضوعات السياسية تناولا مباشراً اسم « الأدب الوطني » ولسنا ننكر أن قصائد شعرائنا المعروفين الوطنية ، ومقالات أدبائنا السياسية أيدت ثورتنا على الاستعمار بعض التأييد ، ولكنها لم تؤد رسالتها على الوجه الأكمل ، ولعل سبب ذلك يرجع إلى أنها تناولت الموضوعات السياسية تناولا عاماً ، ورددت المعاني الدارجة الدائرة على أفواه العامة في الطرقات ، بدل الكشف عن مقابح الاستعمار الخافية على أفراد الشعب وإبرازها في صورها الدميمة مفصلة حتى تزيد الشعب إدراكا لما يناله من خسف ، وما يصيبه من أذى في مصالحه وحقوقه وكرامته ؛ وأكبر الظن أن هذا الضعف الذي اعتور أدبنا السياسي يعود على الأغلب إلى ما صادف ثورتنا الوطنية من ظروف غير ملائمة أضعفت حيويتها ، وحالت إلى اليوم دون تحقيق أهدافها ، ولا يغيب عن أحد أن النشاط بدأ يدب اليوم في أوصال حركتنا الاستقلالية ، فتأججت حماسة شبابنا وشيبنا تأججاً لا عهد لنا بمثله من قبل ، وازداد وعيهم الوطني ازدياداً يبشر بنهضة أدبية حية جديرة به ، كفيلة باطراد رقيه .

وليس معنى ما تقدم أن نطمئن إلى مستقبل نهضتنا ، فنترك الأمور تجري في مجراها دون أن نسعى إلى السيطرة عليها وتوجيهها . لأن كل نهضة تسرع في خطاها أو تبطيء على قدر ما يسديه إليها المضطلعون بها من تنظيم وتوجيه وإرشاد ، ومن واجب كل بصير بأهمية نهضتنا الأدبية وصلتها الناجعة بالنهضة العامة أن يبصر غيره بذلك حتى يعم هذا الوعي والإدراك ، فيتهيأ الجو الملائم لظهور الأدب الحي المجدي .

ومن الواضح أن ما ذكرناه عن الأدب السياسي يشمل الأدب الذي لا يتناول الموضوعات السياسية . فإن هذا يحتاج كذلك إلى العناية به ، والأخذ بيده ؛ ويكفي أن نتصفح ما تخرجه مطابعنا من ألوانه لنعرف مدى ضعفه وقصوره عن تأدية الرسالة المرجوة منه . فهو على الأغلب يغري بالانحلال الخلقي ، أو يدعو إلى التخاذل واليأس ، أو يعزل قارئه عن الحياة بدل حثه على الاهتمام بها وتشجيعه على احتمال أعبائها .

وإذا قيل بعد ذلك إن الأديب حر في اختيار موضوعه وأسلوبه دون ما نظر إلى أثر أدبه في أمته وفي الإنسانية جمعاء ، فردنا على ذلك القول أننا لن نقدم على تحطيم قلم مثل هذا الأديب عنوة ، ولكننا أحرار كذلك في كشف سوءات أدبه ، والتنديد بها ، والإمعان في ازدرائها .

محمد مفيد الشوباشي

خلف الستار الحديدى

للأستاذ توفيق الشناوى

كان على أن أترك ڤينا راضياً أو كارهاً ... إلى بلد آخر يختلف اختلافاً تاماً عن ڤينا . كان على أن أترك منبع النغم والوحى ... إلى بلد آخر ليست الميونة من صفاته . كان على أن أترك ڤينا الحبيبة وأودعها بدمعة ... إلى برلين مركز حضارة النازية سابقاً ومشكلة الشرق والغرب الآن .

ولكن كيف الذهاب إلى برلين ؟ إنها يا سيدى ليست كأى بلد فى العالم يمكن الوصول إليها بمجرد ركوب القطار ، بل إنها بلد دونه صعاب وعقبات . إنها الآن مدينة دولية فيها ما يسمون أنفسهم بالحلفاء ، وفيها أيضاً الدب المخيف ... روسيا ، وبرلين تقع كلها داخل المنطقة الروسية من ألمانيا ، أى أنها فعلا خلف الستار الحديدى .

قلت لأصدقائى : وداعاً ... إنى ذاهب لبرلين ... فلمع فى عيونهم بريق الخوف ... الخوف على من الدب الأبيض ، ولمحت فيها الدعاء لى ... بالتوفيق .

وذهبت إلى مكتب الحلفاء أطلب « ڤيزا » لدخول ألمانيا فظنوا أننى أطلب الاستقلال لبلادى ، فماطلوا وسوفوا كعادتهم ... ثم بعد خمسة وثلاثين يوماً تسلمت الڤيزا ، وسافرت فوراً بالقطار اثنى عشر ساعة قطعت فيها الجزء الجنوبى من ألمانيا وهو الجزء الذى يحتله الحلفاء ، وبعد ذلك تبدأ المنطقة الروسية ، ودخول المنطقة الروسية أصعب كثيراً من دخول الجنة ، وليس أمامك إلا طريق واحد هو البعد عن رضوان والاكتفاء بالتحليق فوق جنته بالطائرة حتى تصل برلين .

كنت قد قرأت كثيراً عن مدى ما أصاب برلين من تدمير ، ولكن القراءة شىء والحقيقة شىء آخر . إن برلين تعد أكبر مدينة فى أوربا على وجه الإطلاق ، ومساحتها تعادل مساحة القاهرة خمس مرات على الأقل . أما مدى هذا التدمير فهو ما لا يمكن تصوره ، مساحات لا يحدها البصر من المبانى ، لا يوجد لها أثر على الطبيعة سوى ما خلفته من طوب وحجارة وحديد ؛ ولكى أعطيك فكرة واضحة نوعاً تصور أنك تقف عند نفق شبرا وأمكنك أن تر ميدان الإسماعيلية وأن المساحة المحصورة كلها مدمر تدميراً تاماً ، فإذا علمت أن الشوارع فى برلين يتراو عرضها بين ٦٠ متراً ، ١٥٠ فى بعض الأحيان ، وإذا علم أيضاً أن بعض الشوارع يزيد طولها عن ثمانية كيلو مترات أمكنك أن تأخذ فكرة واضحة المعالم عن برلين .

والحالة الآن تسير إلى التعمير والإصلاح بقدر الإمكا وقد أمكن الألمان عمل مشروع « السنوات الخمس للإصلاح » ، وسيبنى فى خلال هذا العام حوالى مائة أل « شقة » للسكن ، ومعظم المنازل الآن لا يوجد بها الم الساخن أو التدفئة المركزية لأن كل هذه الأشياء كانت دمرت ، وحتى سنة ١٩٤٨ كان الألمان يعيشون فى « قبو مثلجة » ، لا تدفئة ولا كهرباء ولا ماء ولا مواصلات ، على ذلك اختلال الأمن . كنت مرة فى زيارة « مهند مبانى » فوجدتها تعبث فى يدها بشىء أشبه بالترنبرك ينته بكتلة من الحديد ، فسألتها : ماهذا ؟ فقالت : آلة الموت . فقل لها : إننى أعرف أن الألمانيات قاسيات ، ولكنى لم أتصور أ أنه عند ذهابى لزيارة سيدة ألمانية أن أعتبر نفسى ذاه لزيارة عزرائيل . قالت : لا تخف إنما أردت فقط أن أطلع على حياتنا بعد الحرب .

تصور بلداً ليس به طعام ولا شراب ولا كساء ، وتصو كذلك أن هذا البلد لا يوجد به مواصلات ولا إضا ولا أى شىء من سبل المدنية ، فكان يتحتم على المرء فى ه الحالة أن يخرج فى الظلام باحثاً عن صيد ثمين ؟ وما ه الصيد إلا إنسان مثله يعتدى عليه ليأخذ منه ملابسه أو نقو أو طعامه . فكان المرء منا رجلا كان أو سيدة إذا ما اضط ظروف عمله إلى العودة إلى منزله بعد غروب الشمس نفسه مضطراً لأن يحمل فى يده ما يدافع به عن نفسه أى اعتداء ، وكنا دائماً نسير فى وسط الشارع تماماً وبخ خفيفة غير مسموعة حتى لا نعطى فرصة لمن يريد الفتك

ن يسمع خطانا ، وهكذا عاش الألمان فترة ما بعد الحرب ، هذا الشعب الذى لم يعرف الخوف إلى قلبه سبيلا أصبح يخاف لى نفسه من نفسه .

ثم تعال بنا فى جولة سريعة فى برلين . إن أهم شارع جارى فيها هو شارع Kurfürstendamm وهو أصبح عامراً بالحياة تماماً . وفى نهاية هذا الشارع تقف تحفة العمارة فى القرن التاسع عشر ، وهى كنيسة القيصر « ڤيلهلم » ، وأصبحت الآن أكثر أهمية من الناحية التاريخية عن ذى قبل بعد أن شطرتها القنابل وأصبحت بحق أثراً خالداً من آثار التاريخ « انظر الصورة » .

الجيش الألمانى فى نفس هذا الشارع . . . أبوا إلا أن يسير ذليلاً .. بدون سلاح وفى عكس الاتجاه الذى كان يسير فيه وإلى أين ؟ .. لا إلى الثكنات .. بل إلى معسكرات الأسر .

وذاق هـذا الجيش مرارة الأسر من أعداء لا تعرف العزة والكرامة إلى نفوسهم طريقاً ، وظنوا أنه من الشجاعة أن يذيقوا شعباً خسر الحرب مرارة الذل ، وفى نفس الوقت كانوا يشيدون بعظمة هذا الشعب ورقيه . ولكنها يا سيدى هى الأيام تدور فترفع أحياناً .. وتذل حيناً آخر ، وأصبحت نظرية البقاء للأصلح غير ذات موضوع . .

ويمتد هذا الشارع نحو الشرق حتى تجد على يسارك نصباً



(منظر كنيسة القيصر فيلهلم)

والشارع الذى يليه فى الأهمية هو « Heerstrasse » أى شارع الجيش ، وهو الشارع ذو الماضى المجيد الذى عاصر عهد النازى ومجد هتلر ، وكان العرض العسكرى للجيش الألمانى دائماً فى هذا الشارع ، وكان هتلر يقف على منصته فى أحد الجوانب ليحيي جيشه المظفر ، ولكن الأيام دارت فى عكس اتجاهها الأصلى ، وانكسر الجيش الألمانى العريق أمام كثرة الجيوش المعادية ، وأبى المنتصرون إلا أن يسير

تذكارياً لجندى بمعدات الحرب .. ثم يدفعك الفضول فترتقى السلالم الرخامية لتقرأ اللوحة المكتوبة ؟ فإذا بهذا النصب للجندى الروسى . . . هكذا . . وفى برلين . ثم مر علينا ونحن وقوف أمام هذا النصب رجل ألمانى ونظر إلينا وعرف أننا أجانب ، فقال لنا فى سخرية : إننا سنترك الجندى الروسى واقفاً مكانه حتى يتجمد من البرد .

ثم يمتد بك الشارع مرة أخرى إلى الشرق حتى تصل

إلى البوابة الضخمة "Bran dinburger Tor" ، وهو الحـد الفاصل بين الغرب والشرق ، أو إن شئت فقل هو الحد الفاصل بين الحرية التى تنعم بها ... وبين المجهول الذى لا أدريه .

وبعبورك هذه البوابة تدخل فى شارع "unteer den Linden" أو تحت ظلال الزيزفون ، وأول ما يقابلك على يمينك السفارة الروسية بمبناها الجميل الحديث ، وكل ما حولها خراب يلعن من كان سبباً فى تدميره . وينتهى بك هذا الشارع حيث تجد جامعة برلين العريقة تقف على يسارك ، وترفع بصرك إلى أعلى لتقرأ ما كتب عليها فتطالعك صورة ستالين بحجم كبير جداً ، وكتب تحتها : « إننا نطالب بحرية الشعب الألمانى ووحدته » وهـذه هى العبارة التى تقع عليها عيناك عندما تتلفت يميناً أو يساراً . . بل عندما تجلس على المائدة لتأكل أو تشترى علبة ثقاب . إنهم يطعمونك الحرية أينما سرت ؛ فإذا كانت أعصابك مرهفة فإنك ستصرخ حتماً وتخرج فوراً من الشرق لتتجه إلى الغرب الهادئ الجميل .

هل تعبت من التجوال ؟ أم هل تعبت أعصابك من هذا الموج المتدفق من الإعلانات والأعلام وصور ستالين ؟ إذاً فتعال بنا إلى محل نأكل فيه أو نشرب . . ولـكن ما نوع النقود التى معك ؟ إن كانت غربية فأرسلها فى خطاب إلى « مارشال » أو إيزنهاور فإنها ياسـيدى لا تعتبر عملة هنا ولا يمكن تبديلها . ولـكن لا تقلق إنى قد أبدلتها فى الغرب قبل أن أحضر إلى هنا ، فنى استطاعتك أن تستبدل المارك الغربى بأربعة ماركات شرقية ، والمارك الغربى حوالى عشرة قروش ، وعلى ذلك يكون المارك الشرقى حوالى ٥/٢ قرش . ماذا تريد أن تأكل ؟ يمكنك أن تطلب قطعة من السكستليته مثلاً وكأساً من البيرة ثم تدفع ثمناً لهذا ماركين اثنين فقط أى أربعة قروش . هذه الأكلة لو أكلتها فى الغرب لكلفتك عشرين قرشاً على الأقل . نعم إن الحياة فى الشرق رخيصة ، بل رخيصة جداً . لا . . لا تكن متفائلا إلى هـذا الحد ، فإنها رخيصة فقط علينا أهل الغرب لأنه فى استطاعتنا أن نستبدل نقودنا ، أما أهل الشرق فيعيشون كما يعيش بقية الناس فى غلاء كالجحيم .

ثم ماذا تريد بعد ذلك ؟ تريد أن تشترى شيئاً تعود به إلى الغرب ... حذار ياسيدى ، فإنك عرضة للتفتيش وأنت وحظك ؛ فربما صادروا البضاعة فقط ... وربما صادروك أنت ثم صدّروك إلى . . . سيبريا حيث تنعم بالجو البارد فى هذا الصيف القائظ .

ولـكن مع هذا يمكننا أن نرى الأشياء بأعيننا . إن الروس قد « أمموا » جميع الصناعات والمتاجر ، فتجد الأمة هى التى تملك المتجر أو المصنع ، أما أن تملك أنت شيئاً فهذا محال . إنهم تركوا بعض أصحاب المحلات الصغيرة جداً ، تركوهم يبيعون للشعب ما يريدون ، ولـكن الأسعار دائماً فى محلات الأمة منخفضة عن الأسعار فى هذه المحلات ، لذلك تجد التجارة الفردية تموت ببطء .

ثم مالك تنظر إلى الناس بشراهة وخوف ؟ إنهم يا سيدى ألمان تماماً كألمان الغرب ، يتكلمون ويضحكون ، ولـكن حذار أن تتكلم فى السياسة ، وإلا فسيحجزون لك مكاناً فى قطار سيبريا السريع . إنهم ليسوا شيوعيين ، ولـكنهم اضطروا للبقاء فى القسم الروسى حيث مبانيهم أو مصانعهم أو متاجرهم أو مزارعهم . فمن كانت له عائلة فى الغرب فإنه هاجر إلى الغرب . . ومن كان وحيداً فقد بقى مكانه ليلقى نصيبه من الحياة .

هذه يا سيدى جولة سريعة فى برلين ولمحة خاطفة عن الشعب الألمانى . إن هذا الشعب كما تعلم شعب نظامى ، لذلك تجده الآن صابراً حتى يرسل الله له قائداً ليخرجه من محنته .

إنهم ليسوا شيوعيين وكذلك ليسـوا ديموقراطيين ؛ لذلك فهم ينتظرون اليوم الذى يقذفون فيـه الروس والأمريكان والفرنسيين والإنجليز إلى الجحيم ، ويستردون حريتهم من جـديد ليسيروا بخطى ثابتة مرة أخرى إلى مكانهم العالى بعلمهم وخلقهم ، وليسبقوا جميع الشـعوب بنبوغهم وعبقريتهم .

وسنلتقى هنا مرة أخرى عند ما يحين الوقت للكتابة عن الشرق وغموضـه وعن برلين المشكلة الحائرة بين الشرق والغرب .

(برلين) توفيق الشنارى

جنـــــاح وغاندى

للأستاذ أنور الجندى

زعيمان من الشرق ، ومن الإسلام والهندوسية ، تحقق على يديهما تحرير الباكستان والهند . من ربقة الاستعمار

تتشابه نشأتهما وثقافتهما ورحلاتهما ، ثم تختلف غاياتهما وأهدافهما بعد ذلك اختلافاً بيناً .

نشأ كلاهما فى الهند ، ولد جناح فى كراجى ١٨٧٦ ، وولد غاندى فى كيثاوار سنة ١٨٦٩ ، من أسرتين عريقتين دينيتين ، وامتص كل منهما ما فى تربة بيئته وجيله ودينه ، ثم سافر كل منهما إلى لندن ، ودرس كل منهما الحقوق ، وعاد كل منهما إلى بلاده . . . يمنى نفسه بأن يكون مصدره القانون .

وبالرغم من اتفاق الثقافة الأوربية فقد ظلت عوامل الدين والبيئة الأولى قوية فى كل منهما ، بعيدة الأثر فى توجيه تفكيرها وعملهما .. من بعد .

واتصل جناح بغاندى فى إبان الحركة الوطنية ، منذ ١٩١٤ ومضيا معا فى طريق واحد ، فى سبيل تحرير الهند ، وكان محمد على جناح من أبرز العاملين فى حزب المؤتمر ، حتى استحق لقب « القائد الأعظم » .

فلما تكشفت مشاريع استقلال الهند المختلفة عن خطوطها الواضحة ، اتخذ الطريق الذى كان لابد من اختياره تحرير الهند من استعباد بريطانيا ، وتحرير المسلمين من استعباد الأغلبية الهندوسية .

وكان هذا منه غاية البراعة وبعد النظر .

ففى الوقت الذى كانت حركة التحرير تتطلب تآزر الجهود ، كان جناح يعمل إلى جانب غاندى ، وكان كلا منهما يثق بالآخر .

فلما آن أوان التفصيلات ، دعا إلى الحل الذى كان فيه القضاء على صراع الطوائف والفتنة المذهبية .

* * *

كان غاندى وجناح متفقين على شىء واحد ،هو تحرير الوطن عن غير طريق العنف ، ولكنهما كانا مختلفين بعد ذلك فى كل شىء .

كان غاندى يدعو إلى العصيان ... وكان جناح ينكر العصيان ... كوسيلة فعالة للكفاح ، ويفضل اتخاذ الطرق الدستورية القانونية .

كان غاندى يكسب مهابته بالتجرد والصوم واللباس القليل ، وكان جناح يكسبها بشخصيته المهيبة ومظهره الأنيق وصوته المؤثر .

لقد لقيا من الاضطهاد والسجن والإرهاب ، صوراً وألواناً ... ولكنهما مع ذلك كانا مثلين عاليين على الأخلاق السلبية التى يمثلها غاندى ، والأخلاق الإيجابية التى يمثلها جناح .

ويبدو أن اختلاف الأساليب والوسائل يرجع إلى اختلاف الدين والبيئة والطبيعة النفسية .

فقد كان غاندى هندوسياً ، أحب المسيح وأعجب بتولستوى ... وأخذ منهما ، وكان يرى أن التهديد بالصوم سلاح بتار فى تحقيق مطالب الهند ، وكان يحيط نفسه بتلك الصورة الشعرية الساحرة . . . التى ألهبت نفوس الجماهير ، وأمدته بالمعنى القدسى . . . حتى كانوا يعبدونه فى بعض معابد الهند .

وهو الذى استعان بالفكرة الدينية ، وأيقظ فى نفوس الهندوس روح التعصب ، وبالرغم من ثقافته الأوربية العالية وقراءاته فى الإنجيل فقد كان ضيق الأفق ، يحافظ على التقاليد الهندوسية التى لا تتفق مع العصر ... ولا تجرى مع الزمن ، حتى اتهم بأن سياسته هى التى خلقت التباعد بين الهندوس والمسلمين ، وكانت سبباً فى تفكير « جناح » فى تحرير المسلمين من ربقة الهندوس .

مزج غاندى بين الفكرة الوطنية والفكرة الهندوسية ، وحرص على أن يلبس مئزراً يغطى وسطه ، وظل باقى جسده عاريا ، وكان يجلس على الأرض ، ويحمل المغزل . ويحلب الشاة .

واتخذ من هذه الصورة ، سبيلا للفت الأنظار ، فانضوى تحت لوائه الملايين .

كان غاندى هندوكياً متعصباً ، لا يؤمن بفكرة الباكستان ويعارضها ، وكان يركب الدرجة الثالثة ، ويقضى أيامه فى أكواخ المنبوذين ، ولكن عربة الدرجة الثالثة كانت تخصص له وحده ، بعد تنظيفها ، وكان ينتقل من كوخ المنبوذين إلى المحطة أو قصر نائب الملك فى أفخم السيارات التى يضعها تحت تصرفه الكبراء .

وكان فقيراً ، ولكن كانت تهدى إليه الفواكه التى لا توجد فى بعض القصور .

وكان يعلن عداوته للآلات ولكنه يستعمل الساعة .

* * *

أما جناح فكان مسلماً ، يختلف مع غاندى كل الاختلاف فى أساليب معيشته ووسائل زعامته . . ، كأنما هو النقيض تماما . .

يسكن فى دار فخمة فى نيودلهى ، أنيق الملبس يلبس البذلة الأفرنجية البيضاء . أفاد من قضاياه ثروة ضخمة ، فقد كان يحصل على تعويض يبلغ أحيانا مليون روبية (٨ آلاف) فى القضية الواحدة .

وبينما كان غاندى يصر على أن يظل الخلاف بين طبقات الهندوس قائماً ، كان جناح يمقت الخلاف بين طوائف المسلمين ويدعو إلى الوحدة .

وكانت زعامته فى لسانه الطلق ، وبيانه الواضح . .

كان عضواً فى المجلس التشريعى الهندى ، ثم انضم إلى حزب المؤتمر الوطنى .

ثم صاح صيحته سنة ١٩٠٦ ، وارتبط المؤتمر ، بالرابطة بفضل جهوده ، وسمى يومها سفير الوحدة ، وكان لهذه الرابطة أبعد الأثر فيما تحقق للهند من آمال .

ظل كذلك يغذى الحركة وينميها ، حتى اشترك فى معركة من المعارك السياسية الدقيقة الحرجة ، فلقب بالقائد الأعظم .

ولما أعلن نهرو أنه ليس فى الهند غير طرفين : هما الحكومة البريطانية وحزب المؤتمر . . قال جناح : إن فى الهند طرفا ثالثاً هو الشعب المسلم .

* * *

كان غاندى وجناح من أقدر رجال السياسة فى الشرق . . غير أن جناحاً كان لا يستسيغ المناورات السياسية الدينية التى يلجأ إليها غاندى . .

فقد عرض مشروع باكستان ١٩٤٠ فى المناطق التى يؤلف فيها المسلمون أغلبية فى السكان دون أن يخشى خصومة غاندى أو محاربته للمشروع ، ووقف يظاهره فى قوة ، وهو مؤمن بأنه الحل الوحيد للخلاف الداخلى الذى يوشك أن ينشب بين المسلمين والهندوس . . . وقد استطاع أن ينشىء دولة دون أن يريق قطرة دم واحدة . .

* * *

كان كل منهما زعيما شعبياً ، بعيد الأثر فى بيئته ، قوى العارضة ، اكتسب كل منهما مكانته بأسلوبه الخاص .

كان غاندى زعيما من نوع جديد ، وطابع خاص ، غير مسبوق ، لفت الأنظار إليه ، وكانت طريقته فى مقاطعة البضائع الأجنبية ، والعصيان المدنى ، والصيام . . واللباس ، من أسباب بروز شخصيته فى محيطه .

أما جناح فكان يعتمد على غير الأساليب التى اصطنعها غاندى ، كان قوى العارضة بشخصيته والفكرة التى يدعو إليها ، والأمل المرسوم وراء حلم « إقبال » .

كان أمل المسلمين الذين كانوا يخشون حركة الاستقلال فى الهند ، من أن تصيرهم أقلية تعصف بهم مطامع الهندوس وأهواؤهم .

لقد جاهد كل منهما فى سبيل فكرته وبلاده ، وتحقق لكل منهما فى حياته أمله فى الحرية . . ؟

أنور الجندى

هُمَا...؟

محمد سلامه مصطفى

في جميع البقاع التي تنبض فيها لغة القرآن الكريم ، ألوف وألوف من القراء المثقفين ، والأدباء النابهين ، لكل منهم مع « الرسالة » و « الثقافة » قصة رائعة وحديث ذو شجون . ولكم طلعت علينا المجلتان بقصص القراء والأدباء معهما ؛ فإذا بنا حيال صفحات باهرة ، وتاريخ لامع ، وسطور مجد وفخار . ومنذ عهد قريب نشر صديق الكاتب الفاضل الأستاذ محمد رجب البيومي قصته مع مجلة الرسالة الغراء ، في صورة رسالة مفتوحة ، وجه الخطاب فيها إلى واحد من رفاق صباه وشبابه ، فخطر لي وقتئذ أن علي واجباً مفروضاً نحو هاتين المجلتين الراقيتين إن لم أؤده فأنا من الجاحدين ، وليس من ديدني الجحود ، والحمد لله رب العالمين .

كان عجيباً أن أطرق باب أحد أقربائي المثقفين ثقافة واسعة ، المقتنين كل قيم من الكتب شرقيها وغربيها ، وأنا غلام في أول مرحلة التعليم الثانوي ، لأسأله في سذاجة أن يعيرني المجلد الأول من مجلة الرسالة ! ولا أكتم القارئ أنني كنت وجلا ، لا أدري لماذا ! ربما كان لشعوري حينذاك أنني قطرة ماء تسعى إلى الدأماء . ولكن الرجل المثقف الذي خشيت سخريته واستخفافه رحب بي أيما ترحيب . وبعد الشاي ، اختفى لحظات ، ثم عاد وهو يحمل مجلدات من الرسالة والثقافة ، ويضعها أمامي ، ثم يحدثني حديث المربي الكريم عن الأدب والأدباء والرسالة والثقافة . فأكد لي ذلك أن أولي الفضل والحكمة يبتهجون حين يقعون على بذور صالحة ، ولا يضيقون بمن يأنسون فيهم الميل إلى العلم والمعرفة .

وحين علم والدي — رحمه الله — رغبتي في اقتناء الرسالة والثقافة أسبوعياً ، تهلل محياه ، وأشرقت نفسه ، لأن الفتيان تعودوا أن يطلبوا أدوات اللهو وغذاء البطون ، لا أن يشغفوا بمجلات الخاصة ، وميادين الفكر ، وغذاء العقول والقلوب . واستجاب أبي لندائي . وأصبح من المألوف أن يأتيني بائع الصحف في القرية بالتحفتين الخالدتين كل أسبوع . وأصبح من المألوف أيضاً أن أثور كأنني قدر تفور ، على بائع الصحف المظلوم ، إذا تأخرت المجلتان أو إحداهما لسبب من الأسباب !!

ولا أزعم أنني كنت في أول الأمر أفهم جميع ما ينشر في المجلتين ، ولكنهما كانتا من العوامل التي ارتفعت بي فوق مستوى زملائي . وكلما تقدم الزمن شعرت أنني أتقدم ، وأن سبلاً ومعالم وآفاقاً جديدة تتضح في دنياي . وكنت أرى أندادي يهيمون بالروايات التافهة ، والقصص المثيرة ، والمجلات المسمومة ، فكنت أنصح لهم بالانصراف عنها والاطلاع على الرسالة والثقافة ، ومنهم من ظل مواظباً على قراءتهما حتى الآن . ومن الطريف أن بعض التلاميذ الخبيثين كان يستغل ولعي الشديد بهما ، وتقديري العظيم للكتاب والشعراء الذين يدبجون صفحاتهما الجليلة ، فينالهم بألسنة حداد ، ويغض من شأنهم بأسلوب صبياني ، ليخرجني عن صمتي وهدوئي ، وآنذاك : اعصفي يا رياح . . وثوري يا أعصاب . . وانطلق يا قلب ذائداً عن حياض الأدباء والشعراء !! وغالباً ما كنت أخرج من المعمعة وقد رفعت علم النصر ، وظفرت آخر الأمر باقتناع المعتدين .

ولم يكن من السهل أن أقاوم شغفي بالرسالة والثقافة ، فكثيراً ما ضبطت متلبساً بقراءتهما في أثناء الدرس ، وكان التلاميذ أحياناً يسكتون فجأة كأن على رءوسهم الطير ، فيسترعي سكوتهم انتباهي ، فأرفع رأسي عن الصفحات لأرى الأعناق مشرئبة إلي ، والأنظار مصوبة نحوي والمعلم قد فغر فاه من الدهشة ، لأنني منصرف عن الدرس ، وعن الدنيا كلها ... إلى الرسالة والثقافة ! ! وأشهد أن مدرسي

اللغة العربيـة كانوا يعاملونى معاملة خاصة ، ويشملونى بعناية مشكورة ؛ لأننى كنت أقرأ نتاج النابغين وأفيد منه فائدة يظهر أثرها فى كراسات الإنشاء حيث الدرجات النهائية ، والتعليقات المشرقة ، على الدوام ؛ وأذكر أن أحد المدرسين كان يدعونى « سيبويه » فأقول له فى منطق غرير « سيبويه ؟ ومن هو سيبويه » يابك ؟ أليس عالماً نحوياً أنا أفضل منه ... أهو مثلى يقرأ ويكتب ثلاث لغات ؟ هل شهد الدبابة والطيارة والسيارة والترام والسينما والراديو ؟ هل أنفق لحظة فى دار الكتب المصرية ؟ هل هو من قراء الرسالة ، والثقافة . » فيبتسم الرجل ابتسامـة لا أدرك مغزاها ؟ .

وفى منتصف المرحلة الثانوية أصبت بالروماتزم ، وبالتهاب حاد فى العينين ، فقرر الطبيب أن أستريح فترة طويلة ، وأن أتجنب التعب والإرهاق ما استطعت إلى ذلك سبيلا . انقطعت عن المدرسة ، ولزمت الفراش ، وعشت بين الأدوية والعقاقير والزائرين شهوراً مؤلمة مملة ، وضايقنى جداً حرمانى من الرسالة والثقافة ، فكان أبى يقرؤهما على وأنا أتتبعه منتبهاً صاغياً ، والويل لمن كان متعلماً من الزائرين ، كنت أعتقله اعتقالا ، ساعات متوالية ، حتى ينتهى من قراءة الرسالة والثقافة بإتقان ... من الغلاف إلى الغلاف .

ثم تقرر أن أتم علاجى فى القاهرة ، وفيها أقمت ، وحولت أوراقى إلى المدرسة التوفيقية للالتحاق بها ، وهناك التقيت بأحد شعراء الرسالة والثقافة المعروفين ، وكان أستاذ اللغة العربية بالتوفيقية ، ولا أنكر جميله على واحتفاءه بى من ذلك العهد حتى الآن .

وفى العاصمة أشرقت حولى حياة جـديدة ، وبدأت عهداً جديداً . فإلى جانب الرسالة والثقافة وجدت روافد علمية وثقافية متباينة لها خطرها . فقد انتفعت بدار الكتب المصرية ، والمحاضرات والمناظرات التى يلقيها المشاهير فى الأندية الأدبية ، ومعارض الفنانين البارزين ، والأفلام الغربية الممتازة ، والمسرحيات والرحلات ، وما إلى ذلك مما لا يستغنى عنه مشتغل بالأدب والفن .

وتعرفت على شخصيات من الكتاب والشعراء والنقاد الممتازين ودفعنى ذلك إلى المثابرة على الاطلاع وتحسين شعرى ونثرى ، وفى كل خطوة خطوتها على مدارج الفكر والبيان ، وفى كل فوز أحرزته لم أكن أنسى فضل الرسالة والثقافة على شخصى .

وما نزلت مدينة أو قرية فى مصر إلا استفسرت عن قراء الرسالة والثقافة ، وربما سعيت إلى بعضهم خاطباً وده ناشداً صداقته ، ولى منهم أصدقاء كثيرون .

وكلما اعتكرت حياتى بخطب ، أو ساء النفس منى هم لافح لا يريم ، هربت مما ألاقى إلى شاطىء النجاة ، ومعقل الأمان والإيمان ... إلى الرسالة والثقافة ، فألقى البلسم والبرء ، وأجد الأمل والرجاء ، وما زلت أذكر وفاة أبى رحمه الله وما أعقب ذلك عندى من فراغ هائل ، وحزن قاتل ، وانطواء يضنى ويفنى ؛ وعندئذ هتف هاتف : لذ بالقرآن الكريم والأدب العالى ... فأسرعت أعيش مع المصحف والرسالة والثقافة ، وانهمل العزاء والصبر الجميل ؛ وفى أول مرحلة التعليم الجامعى أصبت بصدمة فى طموحى زلزلت وجودى وبددت جهودى . فتألمت كما يتألم المكافحون فى سبيل العلم والنور ، وتعذبت عذاباً لا يتصوره إلا من ثكل أملا كبيراً من آمال العمر ، ورغبة تنتسب إلى القمم والمعالى .. عندئذ هتف نفس الهاتف : لذ بالقرآن الكريم والأدب العالى . . فأسرعت أعيش مع المصحف والرسالة والثقافة ، وانهمل العزاء والصبر الجميل ...

والحديث عن الرسالة والثقافة يطول ويطول ، ويحلو ثم يحلو ، وجماع الأمر أنهما جامعتان تقومان بعملهما المبجل خير قيام . فلهنأ صاحباهما بما يقدمان للعروبة والإسلام من أياد بيض وخير كثير .

هما السلوى والنجوى . وهما النار ينبثق فى الظلمات ، وهما العزاء ينبجس فى الملمات ، وهما الدليل الصادق الأمين فى متاهات الوجود !!

محمد سلامة مصطفى

ثورة على الفن الهندى

للأستاذ محمد فهمى

الشرق شرق وسيظل ... والغرب غرب وسيبقى هكذا الاثنان — فى الفن على الأخص — مهما جد بينهما من تقارب ... هكذا قالت ريشة الفنان الهندى القديم ، وقالته أيضاً ريشة الفنان الهندى المعاصر . . . فى آثار كل منهما وإن كان هذا القول الأخير تخنقه أنغام من الغرب .

ماذا عند الشرق ؟

فى حديث لى مع فنان مصرى كان يعرض رسـومه فى أحد معارض القاهرة اتفقنا على رأى واحـد هو أنه ينقصنا ... شىء هام ... فى فننا الحديث . إنه مبهم لاندرى حقيقته على وجه التحديد ، ولـكنه دون شك يختلف كل الاختلاف عن روح الفن الأوربى وطرائقه فى التعبير ، تلك التى اقتبسناها وسرنا على هداها فى نهضتنا الفنية الحديثة ... وقلنا معاً . . . لماذا لا نرسل بعوثاً فنية للشرق كما نرسلها إلى ممالك أوربا ؟ لماذا لا نرسل بعوثاً إلى إيران والهند والصين واليابان ما دامت ليست لدينا الجرأة الـكافية لنؤمن بفننا المصرى الفرعونى ونتوافر على دراسته ونبعثه من جديد ؟

ولقد جاء معرض الفن الهندى بالقاهرة منذ أشهر مؤيداً لهذا الرأى ، فلقد تبينا على ضوئه ذلك الشىء الهام الذى ينقصنا . . . إنه روح الشرق ، أى الطابع الذى يعكس أو تنعكس عليه بيئة الشرق المنير على اللوحة حيث الخط هو سـبيل التعبير والانتقال من لون إلى لون ، فى حين أن الفن الأوربى يعنى غالباً بالظلال ؛ والعجيب أن الفن المصرى الفرعونى القديم . . . كان يخلو من الظلال أيضاً فى أكثر عصوره ، متفقاً فى هذا مع الفن الإيرانى والهندى والصينى القديم . . ومما لا شك فيه أن ذلك ليس لعجز عن ممارسة الظلال ، بل لأن الشرق طابعه النور الفياض دائماً والذى لا يحدده على اللوحة سوى الخط ... ومن العجيب أن أعلى مراتب الفن الأوربى فى الرسم اليوم تتركز عند (بيكاسو) فى الخط مع ملاحظة الفارق فى الحركة والاستدارة فى خطوط (بيكاسو) عنها فى الفن الشرقى القديم المتميز بهندسته الدقيقة ؛ فهل هذا التطور نحو الخط طبيعى عند بيكاسو أم أنه انجذاب منه نحو البساطة الآسرة والتركيز الشديد الماثلين فى خطوط الفن الشرقى . . . وهل كان على الفن الأوربى أن يمر بكل أطواره المتعاقبة حتى يصل أخيراً إلى الخط؟ . . .

سؤال ليس محل الإجابة عليه الآن .

ومما يدعو إلى الالتفات أن نرى فى الفن الهندى لوحات بالفريسكو وهى التى اكتشفت حديثاً بمغارات (إجانتا) والتى صور بها فنانو الهند منذ ألفين من السنين حياة بوذا العظيم ؛ ويأخذ تحديد الخط وتجسيم الشكل فى الفريسكو الهندى أهمية ملحوظة فضلا عن اختيار اللون مما يميزه عن الفريسكو الإيطالى .

إنك إذا نظرت إلى لوحة من الفن الهندى من العهد القديم (بعد غزو المغول) لا تملك نفسك إلا أن تهتف : حقاً أنه الشرق ... أنه النور ثم النور . وتتفرس فى اللوحة وأنت مستريح النفس تستمتع بمهارة الفنان وقدرته على التنسيق وسيطرته على ريشته والدقة فى اسـتخدام المساحة وجرأته الإنشائية ، إذ يقسم اللوحة إلى أقسام غالباً تبلغ الثلاثة أو أكثر تكاد تكون محددة الفواصل ، ومع هذا تتناسق وتتآلف فى مجموعها غاية التناسق . لقد اختفت فى لوحات الفن الشرقى تلك التعبيرات .. اللون الدافئ Chandé واللون البارد Froide والـ Valeur وأمثالها من اصطلاحات الفن الأوربى ، إنك هنا أمام شىء جديد ، فاللون غالباً هو الحار واللوحة مساحة يملأها الضوء مع زخرفة دقيقة تزين المنظور داخل الفراغ الذى قد يكبر حتى يكاد يسيطر على اللوحة وقد يصغر حتى لا يتجاوز ركناً فيها ، وفى كلا الحالين يعرض الفنان مقدرته على التحكم فى الخطوط الدقيقة وألوانه المتعددة فى غير تناقض بل فى انسجام عجيب ؛ ولا تبدو الطبيعة إلا فى حلة موشاة من الزخرف الدقيق والألوان الزاهية . . . إنه مهرجان النور

والألوان ، حتى القاتم منها مهمته أن يزيد بهجة المهرجان لا أن يطفئها .

كان هذا الطابع للفنان الشرقى القديم حين كان يزين بآثاره قصور الملوك والأمراء وتحفهم النادرة . وكان هؤلاء كسكل الشرقيين لا يحبون علباً إلا البهج السار . ولقد بدأ ذلك العهد فى الهند غزو المغول بقيادة الملك (بابر) وإنشاء امبراطوريتهم ، وقد جاء مع المغول أعلام الفن الإيرانى فدخلت معهم إلى الهند مدرسة الألوان الزاهية والزخرفة الهندسية فى الرسم ، تلك التى أخذت تتأقلم فى الهند شيئاً فشيئاً وبدأ الفن الهندى يستعيد وقاره .



« سوق القرية »
صورة من رسم هار كريشان لال

ولما تدهور سلطان الإمبراطور المغولى فى دلهى عاصمة الهند واستقل الأمراء فى مقاطعاتهم لجأ الفنانون إلى قصور الأمراء فى أنحاء الهند المختلفة ، فنشأت فى الفن مدارس عدة منها مدرسة Bahaoi باهاوى وراجبوت وكانجرا وبازولى والتى لا تخطىء العين الفاحصة مميزات كل منها ؛ فمثلا مدرسة باهاوى فى الشمال حيث المنطقة جبلية والأمراء يبنون قصورهم فى الجبال كثيراً ما نرى الفنان يعبر عن البيئة المحيطة به باستخدام حيز فى أعلى اللوحة يشير فيه إلى مناطق الجبال .

ولـكن جميع هذه المدارس على العموم يسرى فيها روح واحد هو روح الهند الذى يستغرقه الدين والذى دمغ الفنون بطابعه ، سواء فى الرسم أو العمارة ، فجاءت معابد الهند على قدر كبير من الضخامة تتفق واتساع رقعة الهند وبالتالى تستوعب أكبر عدد من الحجيج والمتعبدين .

ثم جاء الاحتلال البريطانى فقضى على المدارس الفنيـة القديمة وانتثر عقدها ، واستمر الحال قرناً من الزمان أو أكثر حتى جاء البعث الفنى مع توثب الهند للحرية وهبتها للتخلص من المستعمر ، وقد قاد تلك النهضة الفنية فى الهند الدكتور طاغور منذ ستين عاماً وهو من أسرة الشاعر الـكبير المسمى بهذا الاسم وانضم إلى لوائه عدد من تلاميذه المخلصين للنهضة وللفن ؛ ولـكن الهند لم تعد هند المغول ولا أمرائها ، إنها الهند الحديثة مظهراً التى صبغتها أوربا بحضارتها ، وطاغور وتلاميذه ممن أشربوا تلك الحضارة الأوربية فى بعثات أو زيارات لمعاهد الفن ومتاحفه فيها ؛ إذاً فلا بد وأن يظهر أثر الفن



« أم وطفلهـــا »
صورة من رسم ماخان دوتا جوبتا

الغربي في إنتاج هذه المدرسة ، وهذا ما حدث بالفعل وما تنطق به آثار الفن الهندي المعاصر المنشور بعض منها (شكل ١ و ٢) وهو ما يصح أن يطلق عليه ثورة على الفن الهندي .

وقد حاولت مدرسة الدكتور طاغور المزج بين الهند وأوربا ، ولكن أوربا تبدو سيدة الموقف . فكم من الزمن يا ترى سننتظر حتى يعيد فنانو الهند لروح الهند سيطرته ، كما فعل أسلافهم حين غزاهم الفن الفارسي مع المغول ؟

لقد يكون مما يزيدنا تبصرة بحركة النهضة الفنية في الهند أن نرى إنتاج فناني الباكستان أيضا ومذاهبهم في التعبير عن إحساسهم وبيئاتهم ، فإن ولايات الباكستان الشمالية كانت ذات طابع خاص منذ أقدم العصور حين كانت الهند كلها وحدة .

نعم لقد نجحت المدرسة الحديثة (مدرسة الدكتور طاغور) في بعث نهضة الفن في الهند ، ولكنها فشلت إلى الآن في إملاء شخصيتها كاملة رغم ما بدا من محاولات ناجحة في بعض الآثار لفنانيها ، أبدى فيها الفنان ابتكاراً في استعمال اللون وتحرراً من الظل والنور على الطريقة الأوربية ، وبدت بأناملهم تلك الحساسية المرهفة الموروثة عن أسلافهم .

وهنا قد يخطر لنا أن نتساءل : أليس من المحتمل أن طريقة الفنان الأوربي في التعبير هي الوسيلة اللائقة لفنان يعبر عن إحساسه بحرية ؟ . . . وهل الطريق الذي سلكه الفنان الشرقي القديم في الزخرفة الدقيقة وهندسة الخطوط كانت تقيده به رغبة الملوك والأمراء في إبداع فن تكون الزينة أهم عناصره ؟ . . . ولذا هل ودع الفن الشرقي ألوانه وخطوطه الدقيقة ونعومته وجوه الحافل بالغنى إلى الأبد ؟ . إذ كانت كلها طوراً لعصر مضى وانقضى بانقضاء دواعيه ؟ ليكن الجواب ما يكون ؛ ولكنني أحن كل الحنين لرؤية النور والإشراق والألوان المتراقصة ، تلك التي توقع أحلاما تسرى عن النفس ، وتبدو الفكرة بينها وكأنها في مهرجان أو عرس .

فمثلا حين أراد الفنان القديم رسم لوحة الشاعر ، تخيله شيخاً داخل حديقة جاثماً على ركبتيه محتضناً كتابا والكتاب هنا ينبىء أن الشخص من رجال الفكر . ولعله قد جثم على ركبتيه لتلقي الوحي أو الإحساس بخطورة ما يحمل بين يديه من رسالة ، وإن الجلال البادي في ألوان ملابسه ليدل على أن وضعه في المجتمع أشبه بعالم ، أما الحديقة الزاهية التي تتناغم فيها الزهور البهجة اللون الدقيقة الشكل فإنها بلا شك تعبر عن مواكب الأماني العذاب في مخيلة الشاعر .

وهذه اللوحة لو أراد رسمها الفنان الأوربي لجعل الملامح في وجه الشاعر تعبر عن استغراق في التفكير ونظراته ساهمة حالمة ، وأعطى اللوحة جواً من الإبهام . أما هنا فقد استعاض الفنان الشرقي عن كل هذا بالألوان والخطوط ليحدثنا بكل ما يريد دون أن يحمل الملامح ما يخرجها عن طابع البساطة أو ينحو بها إلى التكلف .

وعندما تخيل الفنان القديم مولد الإله كرشنا رسم الفنان القديم الهندي أم الطفل وقد وضعته على يديها ببساطة وأمامها وعاء تغسله فيه ولعله ماء مقدس ، بينما الأسرة تبدو في جو منزلي وقد ملأ الفنان مساحات اللوحة بعد أن قسمها لعدة مجموعات ، ورغم التقسيم استطاع الفنان أن يبرز اللوحة وحدة كاملة ولم يعمد إلى تهويل أو مبالغة في رسم ملامح الأشخاص .

وحين رسم إحدى معجزات الإله كرشنا وهو يرفع الجبل بأصبعه تراه واقفاً وقفة عادية والجبل فوق كفه وكأنه يحمل ريشة لا وزن لها . والعجيب أن الألوان قد استعملها الفنان كعامل مبسط يوحي باليسر حتى لا تحس أن الأمر طبيعي . وكأنها معجزة تافهة بالنسبة لمقدرة كرشنا العظيم الذي لم يحاول الفنان قط أن يظهر على ملامحه أي أثر من آثار المعجزة — إنها البساطة — وإني لأتنبأ للفن الهندي المعاصر بأنه سوف يسرع نحو روحه الأصيل ويتخلص من الغرب وآثار الفنانين الأوربيين ، فإن روح الهند التي طوت في أعماقها كل الفاتحين ستطوي أيضاً أثر الفن الأوربي دون جدال . هذا بينما الفن الصيني والياباني سوف يفقدان طابعهما المتميز الفريد ويسرعان بالانحراف نحو الفن الأوربي أكثر وأكثر ، نتيجة للهزات السياسية والاجتماعية التي اجتاحت في تلك البلاد بالفعل جذور ثقافتها وتقاليدها المتوارثة .

محمد فهمي

القاضى[1] الجليس

للدكتور شوقى ضيف

هو أبو المعالى عبد العزيز بن الحسين بن الحباب التميمى ، من ذرية بنى الأغلب سلاطين إفريقية . وأكبر الظن أنه ولد ونشأ فى القاهرة ، ولم يلبث أن شدا الشعر ، فالتحق بدواوين الإنشاء للفاطميين ، وسمر بينهم وبين حكام اليمن ، وأصبح رئيس دواوين الإنشاء لعهد الخليفة الفائز (٥٤٩ — ٥٥٥ هـ) ووزيره طلائع بن رزيك .

ويظهر أن المودة كانت منعقدة بينه وبين طلائع قبل أن يلى وزارته ، فاسمه يتردد مع من راسلوه وهو على إحدى ولايات الصعيد ، ليقدم إلى القاهرة ، وينكل بعباس الصنهاجى ، ويأخذ منه بثأر الظافر وأخويه يوسف وجبريل وفى ذلك يقول له من قصيدة :

دهتنىَ عن نظم القريض عوادى
وشف فؤادى شجــوه المتمادى
وأرّق عينى والعيون هواجعٌ
هموم أقضّت مضجعى ووسادى
بمصرع أبناء الوصىّ وعترة الـ
ـنبىّ وآل الذاريات وصاد
أولئك أنصار الهدى وبنو الرّدَى
وسمُّ العِدَى من حاضرين وباد
لقد هُدّ ركن الدين ليلة قتله
بخير دليــل للنجاة وهاد
تداركْ من الإيمان قبــل دثوره
حشاشـــة نفس آذنتْ بنفاد

وقد كاد أن يطفى تألق نوره
على الخلق عادٍ من بقيــة عاد
فمزّقْ جموع المارقين فإنها
بقايا زروع آذنت بحصاد

وتمضى القصيدة على هذا النمط القوى الجزل . ولبّى طلائع دعوته ، فجمع جموعه ، وقدم بهم إلى القاهرة ، فاقتحمها على الجناة ، وأذاقهم وبال أمرهم جزاء وفاقا ، وفى ذلك يقول القاضى الجليس :

ولما ترامى البربرىُّ بجهــله
إلى فتــكة ما رامها قط رائمُ
ركبتَ إليه متن عزمتك التى
بأمثالها تُلْـقَى الخطوب العظائمُ
وقدت له الجرد الخفاف كأنما
قوائمها عنــد الطراد قوادم
وتنصل منها والعجاج خضابها
هــواد لأركان البلاد هوادم
تجافت عن الماء القراح فريها
دماء العدا فهى الصوادى الصوارم
وقمت بحــق الطالبيين طالبا
وغيرك يُغضى دونه ويسالم
أعدت إليهم ملكهم بعد ماثوى
به غاصبٌ حــق الأمانة ظالمُ
فما غالبٌ إلا بنصرك غالبٌ
وما هاشمٌ إلا بسيفك هاشم
فأدرك بثأر الدين منه ولم تزل
عن الحق بالبيض الرقاق تخاصم

وواضح أن هذا الشعر من نسج متين ، فصاحبه ليسْ ممن يرسلون الكلام على عواهنه دون فحص ، بل لا يزال

(١) انظر فى ترجمة القاضى الجليس خريدة القصر وجريدة العصر طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وكتاب الروضتين ١٤١/١ وفوات الوفيات لابن شاكر ٢٧٨/١ وحسن المحاضرة ٣٢٤/١ والنجوم الزاهرة ٢٩٢/٥ وكذلك ٣٧١/٥ والمغرب (نسخة الجامعة العربية) الورقة ١٠٩ .

يختبر ويمتحن ، ولا تزال القصيدة عنده كأنها تجربة ، فهو لا يخرجها إلا بعد بحث ودرس ، وبعد صقل وتهذيب وتنقيح.

ونحن نلاحظ بجانب ذلك أنه شاعر شيعي أو ينزع منزعا شيعيًا ، فالشيعية واضحة في هذه الأبيات السابقة . ولعل هذه النزعة فيه هي التي قربته من الخلفاء الفاطميين ، فقد كان يحضر مجالسهم ، ويفسحون له فيها ، ومن ثم سمي القاضي الجليس ، ولا ريب في أنه مدحهم مدائح كثيرة ، وإن كانت كتب الأدب والتاريخ لم تحتفظ لنا بشيء واضح من هذه المدائح ، لما كان فيها من تشيع .

ويبدو أنه كان كاتباً ممتازاً كما كان شاعراً ممتازاً ، يدل على ذلك أن الفاطميين أسندوا إليه رياسة ديوان الإنشاء مع الكاتب المشهور الموفق بن الخلال . غير أن ما أثر من كتابته قليل ، وقد روى له العماد قطعة في طلائع يقول فيها :

« هو الوزير الكافي ، والوزر الكافل ، والملاك الذي تلقى بذكره الكتائب وتهزم باسمه الجحافل ، ومن جدد رسوم المملكة وقد كاد يخفيها دثورها ، وعاد به إليها ضياؤها ونورها :

وقد خفيت من قبله معجزاتها

فأظهرها حتى أقرّ كفورُها

أعدت إلى جسم الوزارة روحه

وما كان يرجى بعثها ونشورها

فقد نشرت أيامه مطوى الهمم ، وأنشرت رفات الجود والكرم ، ونفقت بدولته سوق الآداب بعد ما كسدت ، وهبت ريح الفضل بعد ما ركدت . إذا لها الملوك بالقيان والمعازف ، كان لهوه بالعلوم والمعارف ، وإن عمروا أوقاتهم بالخمر والقمر ، كانت أوقاته معمورة بالنهي والأمر » .

وهذه القطعة على قصرها ترينا شيئاً من فن القاضي الجليس في نثره ، فقد كان يعرف كيف يختار لفظه ، وكيف يحيك سجعه ، مع ميل ظاهر إلى استخدام الجناس ، وإطراف السامعين به ، وله منه بدائع كثيرة من مثل قوله :

رب بيض سَلَلْنَ باللحظ بيضاً مرهفات جفونهن جفون

وخدود للدمع فيها خدود وعيون قد فاض منها عيونُ

فهو يستخدم الجناس ، ولا نحس عنده بتعقيد ، فريشته ريشة فنان صناع ، وهي ريشة خفيفة في يده ، هي وكل ما تلونه من جناس ، وكأنه اطلع على كل سر من أسرار هذا اللون من ألوان البديع ، وهو يذيع هذه الأسرار في أبيات رشيقة ، يودع صدرها كل ما في نفسه ، كقوله :

حبّذا ميعة الشباب التي يعـذر في حبها خليع العذار

إذا بذات الخمار أمتع ليلي وبذات الخمار ألهو نهاري

والغواني لا عن وصالي غوان

والجواري إلى جواري جَوَارِي

فهو يجانس جناساً رشيقاً بين يعذر وخليع العذار ، وكذلك بين ذات الخمار أي الخمر وذات الخمار أي المرأة ، وأيضاً بين الغواني وغوان ثم بين الجواري وجواري وجَوَارِي ، وهي كلها جناسات خفيفة خفة النسيم الأرج .

ولعلنا لا نبعد إذا قلنا إن القاضي الجليس كان شاعراً ممتازاً في عصره ، وكان من حظ طلائع بن رزّيك أن استصفاه لنفسه واتخذه صوتاً لوزارته وبوقاً لحكمه ، إذ تبعه يشيد بمناقبه وينادي في الناس بمآثره وفتوحه وحروبه وانتصاراته في الداخل والخارج ، فلما ثار عليه والي الإسكندرية طرخان بن سليط وقضى عليه انطلق القاضي الجليس يقول :

سيوفك لا يُفَلُّ لها غرار فنوم المارقين بها غرارُ(1)

يجرّدها إذا أحرجت سخطٌ على قوم ويغمدها اغتفار

طريدك لا يفوتك منه ثارٌ وخصمك لا يقال له عثار

وفيما نلتــه من كل باغ لمن ناواك لو عقل اعتبار

فرْ يا صالح الأملاك فينا بما تختاره فلك الخيار

فقد شفعت إلى ما تبتغيه لك الأقدار والفلك المدار

ومنها :

عدلتَ وقد قسمت وكم ملوكٍ

أرادوا العدل في قَسْم فجاروا

ففي يد جاحد الإحسان غُلٌّ

وفي يد حامد النُّعمى سوار

لقد طمحت بطرخانٍ أمانٍ

له ولمثله فيها تَبَوارُ

وحاول خطة فيها شماسٌ

على أمثاله وبها نفار

---

(1) غرار الأولى : حد السيف ، والثانية : النوم القليل .

وكلما ألمت جيوش طلائع بالصليبيين فى الشام انطلق يشيد ببطولته وبطولة جيوشه . وعلى هذا النحو كان يرصد نفسه على مدح طلائع ووصف أعماله ومعاركه ووقائعه ، ومن ذلك قوله فى وصف إحدى هذه الوقائع :

تكاد من النقع للشار كلها
تناكر أحياناً وإن قرب النجر
عجاج يظل الملتقى منه فى دجى
وإن لمت أسيافه طلع الفجر
وخيل يلف النشر بالحرب عدوها
وقتلى يعاف الأكل من هامها النسر

وهذه كلها أشعار تدل أبلغ الدلالة على ما حظى به القاضى الجليس من شاعرية بارعة وأنه كان حريًّا بما وصل إليه من مجد فى عهد طلائع ، فهو يملك قياد الشعر ويسلس فى يده منه ما لا يسلس فى يد غيره من معاصريه . فقد كان يعرف كيف يرصف أساليبه وكيف يحليها بألوان البديع من جناس وغير جناس ، وكيف يسبغ عليها أو قل كيف يفشيها بالصور والأخيلة . وهو فى ذلك كله لا ينبو عن الأذن ، بل لا يزال يطلب الاطراد الموسيقى والائتلاف الصوتى ، واستمع إليه يقول :

ألمت بنا والليل يُزهى بلمة
دجوجية لم يكتحل بعد فوداها
فأشرق ضوء الصبح وهو جبينها
وفاحت أزاهير الرُّبى وهى رياها
إذا ما اجتنت من وجهها العين روضة
أسالت خلال الروض بالدمع أمواها
وإنى لأستسقى السحاب لربعها
وإن لم تكن إلا ضلوعى مأواها
إذا استعرت نار الأسى بين أضلعى
نضحت على حرِّ الحشا برد ذكراها
وما بى أن يصلى الفؤاد بحرِّها
ويضرم لولا أن فى القلب مأواها

ولا ريب فى أن هذه القطعة مكتظة بالصور والشعور المتدفق . ودائماً صوره وبديعه على هذا النحو ، فصناعته ليس فيها تعقيد ، وكل ما يحشده من أخيلة وغير أخيلة لا يحول بيننا وبين معانيه ، كأنه النقاب الشفاف الذى لا يستر شيئاً مما وراءه . وكان يهديه إلى ذلك حس دقيق دقة بعيدة ، وهى دقة تجلت فى كثير من جوانب شعره ، ومن طريف إبداعاته قوله فى رثاء أبيه ، وقد مات غريقاً لريح عصفت بمركبه :

وكنت أهدى مع الريح السلامَ له
ما هبت الريح فى صبح وإمساء
إحدى ثقاتى عليه كنت أحسبها
ولم أخل أنها من بعض أعدائى

وتكثر فى شعره مثل هذه اللفتات الدقيقة التى تدل على حدة ذهن وحدة شعور ، كما تكثر الأبيات الخفيفة الرشيقة من مثل ما كتب به إلى صديق له أهداه طِيباً فى ليلة من الليالى :

بعثت عشاء إلى سيدى	بما هو من خلقه مقتبس
هدية كل صحيح الإخاء	جرى منه ودك مجرى النفس
فجد بالقبول وأيقن بأن	لفرط الحياء أتت فى الغلس

وهذه رقة بالغة . والقاضى الجليس فى ذلك يمثل رقة المصريين وما اشتهروا به من دقة الذوق . ويظهر أنه كان خفيف الروح ، فصاحب مسالك الأبصار يقول فيه : « كان ممن تفرح الصدور بمجلسه ، ويخجل الشفق لنرجسه » فمجلسه كان مجلساً محبباً إلى الناس بما يملؤه به من دقائق الشعر ورقائقه ، وبما امتاز من رقة الحس والشعور ، بل بما كان يصحب ذلك كله من فكاهة حلوة ونادرة حاضرة ، وله فى ذلك طرائف كثيرة ، منها طرفة تندر فيها على طبيب وصف له وهو محموم وصفة ، فلم تنجح وصفته ، فقال يداعبه :

وأصل بَلِيَّتى من قد غزانى
من السقم الملح بعسكرين
طبيب طبُّه كغراب بَيْن
يفرق بين عافيتى وبينى
أتى الحمى وقد شاخت وباخت
فردَّ لها الشباب بنسختين
ودبرها بتدبير لطيف
حكاه عن سنان(١) أو حنين(٢)

---

(١) هو سنان بن ثابت بن قرة .
(٢) هو حنين بن إسحق .

تطور المعانى الأدبية

للأستاذ عز الدين إسماعيل

إذ قلنا المعانى الأدبية فإن هذا يقتضى بالتالى أن تكون هناك معان غير أدبية . ولكى نفصل منذ اللحظة الأولى بين المعنى الأدبى وغير الأدبى نذكر أن الأدب تفسير وجدانى للظاهرات الحيوية . وفى قولنا « وجدانى » الفيصل الأول والأخير بين الأدب وغير الأدب . والمعنى الأدبى — على هذا الأساس — هو المعنى الواجدانى الذى يفسر ظاهرة أو جزئية من جزئيات الحياة فى صورة موحية . واقرأ ما شئت من أدب فلن تراك معجباً مأخوذاً إلا بالصورة الموحية التى تبعث بظلالها وأجوائها وحركاتها وسكناتها وألوانها وأشكالها ولمساتها وهمساتها — أو قل بكل عناصر الصورة الكاملة — أقول : تبعث فى نفسك بكل هذه العناصر ذلك المعنى الوجدانى الذى انتفض فى نفس الشاعر الحساسة إزاء ظاهرة أو جزئية من جزئيات الحياة .

ولك أن تسأل : هل تعنى بالمعنى الوجدانى المعنى الذى يترجم عن العاطفة ؟ وإذا كان ذلك كذلك فماذا تقول فى شعر قالوا فيه إن العقل هو الذى ولد أكثر معانيه عند شاعر كأبى تمام مثلاً ...؟ ولن أتركك تتمادى فى السؤال إلى أبعد من هذا ، لأن هذه التفرقة القديمة بين أبى تمام والبحترى تحتاج إلى إعادة النظر ، وكذلك التفرقة الحديثة المعاصرة بين العقل والعاطفة — بخاصة فى الأعمال الإبداعية — عند بعض النقاد الذين يظنون أنهم يسدون إلى الأدب خدمة جليلة حين يقصون عنه عنصر العقل — كل ذلك لا نصيب له من الصحة ، لبديهية بسيطة هى أنك لا تستطيع أن تعطل عنصراً حياً من عناصر وجودك لحظة من اللحظات فضلاً عن تعطل عقلك أو عاطفتك ؛ فأنت تعمل بكل وجودك ، والتأثر فيك وجودك كله . إن الوردة الحمراء لكفيلة أن تهز كيانك من فرعك إلى قدمك ؛ تهز فيك جانب الفكر ، وتهز فيك جانب الشعور ، وتثير فيك رائحتها ولونها ألوان الغرائز والذكريات . . وهكذا لا تترك فيك موضعاً قابلاً للتأثر إلا حركته . وعلى ذلك فليس هناك معنى هو عقلى صرف أو عاطفى بحت ، وأحسن من هذا وذاك هو أن نقول — كما قلنا — إن هناك معنى وجدانياً بما لكلمة الوجدان من مدلول يشمل الكائن الحى كله .

والصورة الوجدانية التى يبدعها الفنان هى الصدى المترجم أو الرمز المعبر عن شعور ناضج كامل . وإذا كان

وكانت نوبة فى كل يوم فصيرها بحذق نوبتين

وأظن أن هذا الطبيب هو ابن سبراى ، وكان متقدما فى صناعته ، وكان يقوم على خدمة طلائع ، وكان فى أخلاقه بعض الشراسة والحمق . فكان يعبث فى شعره به ويداعبه ، وكذلك كانت تداعبه حاشيته . وأكبر الظن أن هذا الطبيب نفسه هو الذى قال فيه القاضى الجليس :

يا وارثا عن أبٍ وجَدٍّ فضيلة الطب والسدادِ
وكاملا رَدَّ كل نفْسٍ همت عن الجسم بالبعادِ
أقسم أن لو طببت دهراً لعاد كونا بلا فساد

ولعله أراد بهذه الأبيات أن يضع بلسما على ما أصاب ابن سبراى من فكاهته السابقة . وقد أتى بمعنى دقيق على عادته فى الإطراف بالمعانى الدقيقة ، إذ قال فيه إنه لو طبب دهراً لعاد كونا بلا فساد .

وفى كل ما قدمناه ما يدل على أن القاضى الجليس كانت تجتمع له النادرة الخفيفة والحس الرقيق والقدرة البديعة على صوغ الشعر وصناعته . والحق أنه كان خليقاً من حيث شاعريته بكل ما أصابه من مكانة وحظوة فى عصره ؟

شوقى ضيف

الأفراد فى كل زمان ومكان لا يشبه الواحد منهم الآخر شبهاً مطابقاً ، وإن كانا توأمين — كما أثبتته الدراسات الفسيولوجية والسيكلوجية الحديثة — فإن المعنى الوجدانى حرى أن يأخذ صورة عند شاعر غيرها عند شاعر آخر . قد يحدث نوع من الاتفاق أحياناً ، ولكنه — عند التدقيق — يظهر أنه اتفاق جزئى . على أن هذا الاتفاق لا يقع عادة إلا عندما تكون الظاهرة التى تعرض لها الشاعران واحدة ، كظاهرة غروب الشمس فى الأشياء المحسوسة وظاهرة الشجاعة مثلاً فى الأشياء المعنوية . فإذا تساءلنا عن علة اختلاف الصور الأدبية التى أريد بها التعبير عن ظاهرة واحدة عند شعراء مختلفين ، أمكننا أن نرد ذلك إلى أمرين : أولهما وراثى وتكوينى ، والآخر زمانى مكانى . فالوراثة والتكوين تفردان شخصاً عن آخر ؟ فيكون هناك احتمال كبير للاختلاف فى صورها الأدبية إزاء ظاهرة واحدة بمجرد الاختلاف ؛ والزمان والمكان ينتقلان بالفرد من طور إلى طور ، فيكون هناك بالتالى احتمال كبير فى تطور المعنى الأدبى تبعاً لذلك عند شاعرين : أحدهما فى زمان ومكان ، والآخر فى زمان ومكان . وإذاً فأنت واجد بين النابغة وأبى تمام اختلافاً بالضرورة ؛ فالمعنى الواحد لن يأخذ عندهما صورة واحدة ، وأكثر من ذلك فإنك تستطيع أن تمس نوعا من التطور فى الصورة التى يقدمها لك أبو تمام .

وقد تعود الآن لتسأل : هل يعنى هذا أن الصورة الأدبية التى يقدمها لى أبو تمام مثلاً متفقاً فى معناها مع النابغة تكون — نظراً لأن أبا تمام جاء بعد النابغة وصورته بالضرورة متطورة عن صورة النابغة — تكون أجمل وأحلى . . ؟ وأنا لم أتفق معك بعد على هذا الحسن وتلك الطلاوة ، أو كما قلت الجمال والحلاوة ، فقد لا يعنى ذلك شيئاً ، وقد يعنى أشياء ليست من الوضوح فى نفسى ونفسك بالقدر الكافى ، فضلاً عن أن هذه الأشياء بدورها قد تكون مثار خلاف بينى وبينك إذا اتضحت لنا . وليس عندى هنا ما أقوله إلا أن موقفى من متلقى الفن ومتذوقه هو نفس موقفى من الفنان نفسه . فكل ما قيل من اختلاف فى التكوين والوراثة وفى الزمان والمكان ، يستتبعهما اختلاف جوهرى بين الأفراد فى استعدادهم الفكرى والحسى والجسمى ، وفى تلقى الأشياء وفهم الحياة فى جميع مظاهرها بوجه عام ، كل ذلك يمكن أن يراعى عند الكلام على أسباب تفضيلك صورة على صورة ، كما روعى عند اختلاف الصورة عند الشاعر عنها عند الآخر سواء بسواء . فالصورة التى يصورها النابغة قد تعجب المتنبى حين لا تعجبه الصورة التى يصورها أبو تمام . ومعروف أن أبا تمام جاء بعد النابغة ، وأن المتنبى جاء بعد الاثنين . وقد تعجبنى الآن صورة أبى تمام وأفضلها على صورة النابغة ، فأختلف فى ذلك مع المتنبى وهذا هو الطبيعى ، لأنى غير المتنبى كلية أولاً ، ولأنى أعيش فى زمان ومكان لم يشهدهما المتنبى . فإذا كنت أنا والمتنبى نتفق فى أمر واحد وهو أننا وجدنا فى زمن لاحق لأبى تمام والنابغة ، فليس معنى هذا أننا سنتفق بالضرورة على تفضيل صورة أبى تمام والإعجاب بها على صورة النابغة ؛ فقد أعجبت بأبى تمام ، حين أعجب المتنبى بالصورة القديمة ، صورة النابغة .

ومن هذا يتضح لنا أن تطور الصور الأدبية من شاعر قديم إلى شاعر محدث لا يعنى مطلقاً أنها تتطور إلى ما هو خليق بأن يجمع حولها رأى أكبر عدد ممكن من المتذوقين بحيث يتفقون جميعاً على تفضيلها ، وإنما المقصود بالتطور فى الواقع هو دخول عناصر جديدة على الصورة القديمة . ولا شك أن هذه العناصر الجديدة ستعمل عملها ، فقد تزيد المعنى وضوحاً بتوسيع نطاقه أو بتضييقه ، وقد تزيده تعقيداً وإبهاما بخلق جو من التناقض والتنافر بين الأجزاء ، وقد تزيده فسولة بأن تخرجه من طبيعة الرمز الأدبى إلى الوضوح السافر فتفقد الصورة عنصر الإيحاء الذى هو من أهم مقومات العمل الفنى . وهكذا يظهر لنا أن هذه العناصر الجديدة التى يدخلها الشاعر الحديث على الصورة القديمة للشاعر القديم لا ترتفع بالصورة الحديثة درجة من درجات الجودة ، أو إن شئت لا تتقدم بها دائماً خطوة فى سبيل الوصول بها إلى المرحلة التى ينطبق فيها عليها التعريف الصحيح للأدب من ناحية ، أو فى سبيل الوصول بها إلى المرحلة التى يتفق فيها الجميع على الإعجاب بها وتفضيلها على سابقتها من ناحية أخرى ، وإنما هى أحياناً تصل بها إلى هذه المرحلة وأحياناً تقصر دونها إن لم تقصر دون الوقوف بالصورة القديمة فى مكانها .

ولعل هذا قد ألقى لنا ضوءاً جديداً فى سبيل تفسيرنا لعدم الاتفاق التام على تفضيل صورة أدبية على أخرى تتفق معها فى المعنى ، وعدم الاتفاق التام دائماً على تفضيل الصورة المتأخرة على الصورة المتقدمة . فكان السبب دائماً يرجع إلى الأفراد أنفسهم من ناحية ، وإلى عمل العناصر الجديدة التى دخلت على الصورة بعامل التطور من ناحية أخرى .

وفى الأدب العربى ظاهرة تزيد لنا المسألة وضوحاً هى ظاهرة المعارضة فى الشعر بخاصة . فكثير من الشعراء يغرمون لا بالمعانى المفردة لمن سبقهم من الشعراء ، بل يمتد إعجابهم إلى القصيدة الكاملة ، فينسجون على منوالها — كما يعبرون أحياناً — أو قل إنهم يشعرون إزاءها بمشاعر وتثير فى نفوسهم أشياء — لا دخل لنا بها الآن — تجعلهم يعيدون تصوير تلك المعانى التى طالعتهم فى القصيدة تصويراً جديداً أو قل تصويراً آخر . فالوقوف أمام المعانى القديمة هنا مسلم لا جدال فيه ، وكل عمل الشاعر المحدث ، أو المعارض ، هو التصوير الجديد ، ولك أن تراجع الآن بعض قصائد المعارضة ، وهى كثيرة فى الشعر العربى ، لتسأل نفسك : هل كانت صور الشاعر المتأخر دائماً أجود — بالمعنى الذى ذكرناه للجودة — من صور الشاعر المتقدم ، وعندئذ ستظهر لك الحقيقة التى أسلفنا ، وهى أنه أحياناً تتقدم الصورة المتطورة نحو الجودة وأحياناً تتأخر ، وعندما تبحث عن سبب تقدمها وتأخرها فى كل من الحالين ستجد أن ذلك راجع إليك وإلى الشاعرين من جهة ، وإلى العمل الذى أدته العناصر الجديدة التى دخلت القصيدة المتأخرة بعامل التطور من جهة أخرى .

وطبيعى أن الأفراد أنفسهم يتطورون ، وإذا بنا نجد مشكلة تطور المعانى تصبح مشكلة عند الشاعر الواحد ، فنراه يتناول المعنى الواحد فى أكثر من مناسبة ويعرضه فى أكثر من صورة ، وتجدنا حين نعرض للصورتين نفضل واحدة على الأخرى . فإذا كان الشاعر الواحد يعرض لنا أكثر من صورة للمعنى الواحد فنستجيد بعضها ونفضله على بعض ، فإن سبب التفضيل هنا يرجع إلى الأسباب السالفة بطبيعة الحال ، مع إضافة عنصر جديد هو أن الشاعر هنا يعجب بنفسه لا بغيره ، وهو بهذا يحاول أن يكرر نفسه .

وأيضاً فإنه كلما كرر نفسه كان هناك مجال كبير لاحتمال الإتيان للمعنى بصور أجود من الصورة الأولى أو أقل جودة .

ومن المعروف أن شوقى حين قال بيته :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

راح يكرر نفسه فى أكثر من مناسبة ، فكان فى كل مرة تالية أكثر منه فشلا فى المرة السابقة عليها . فالشاعر الواحد ليس من الحتم أن تتطور المعانى عنده إلى ما يقال عنه أجود ، وإن كانت على كل حال تتطور .

وإذا ذكرنا تطور المعانى وتكلمنا عن تطور الصور فلأننا لا نستطيع أيضاً فصل الصورة عن معناها ، وها هى ذى بعض النماذج من الشعر أضعها بين يدى القارىء حين آن الأوان ليشهد منها ما يجد فيه صورة لما سقناه من أفكار . قال علاثة بن عربى :

وكنتم قديماً فى الحروب وغيرها
ميامين فى الأدنى لأعدائكم نكد

فقال لبيد :

ممقر مر على أعدائه ... وعلى الأدنين حلو كالعسل

وقد تدوول هذا المعنى كثيراً فقال المسيب بن علس :

هم الربيع على من ضاف أرحلهم
وفى العدو مناكيد مشائيم

وقال كعب بن الأجذم :

بنو رافع قوم مشائيم للعدا ... ميامين للمولى والمتحرم

وقال أبو دواد :

فهم للملاينين أناة ... وعرام إذا يراد عرام

ولعلك حتى الآن لا تستطيع أن تفضل واحداً منهم نهائياً وإن كان المسيب قد وفق فى صورة الربيع التى أبرزها . أما الصورة الأخرى التى أبرزها لبيد وهى صورة العسل فلعلك لن تستسيغها . وما بقى بعد ذلك لا يكاد يحرك فيك شيئاً . حتى إذا جاء بشار فقال :

يلين حيناً وحيناً فيه شدته
كالدهر يخلط إيساراً بإعسار

وحتى يقول أبو نواس بعده :

حذر امرىء نصرت يداه على العدا
كالدهر فيه شراسة وليان

نجد الصورة قد اعتمدت على عنصر جديد هو الدهر فجاءت بإيحاء آخر غير الربيع وغير العسل ، وربما كان هذا العنصر الجديد « الدهر » قد وسع المعنى بحيث جعلك تشترك فيه ، إذ كان الدهر أكثر حيوية بالنسبة لكل حي من الغرام والعسل ، وربما كان أكثر هولا من الربيع . ثم يأتي أبو الشيص فإذا به ينقل الصورة من الدهر إلى السيف فيحددها بعد أن اتسع نطاقها فيقول :

وكالسيف إن لاينته لان متنه
وحداه إن خاشنته خشنان

فأبو الشيص يستغنى عن رمز برمز ويستبدل بالسيف الدهر ، ولكن صورته مع تحديدها لا تقل طرافة عن سابقتها . حتى إذا جاء أبو الطيب المتنبي إذا به يقول :

أنت طوراً أمر من ناقع السم   وطوراً أحلى من السلسال

فتراه قد عاد إلى صورة لبيد « المرارة والحلاوة » ، وإن كان قد استغنى عن « الأعداء والأدنين » في صورة لبيد . ولكن هذا المعنى لم يقف عند المتنبي على هذه الصورة ، بل ظهر في صورة أخرى :

متفرق الطعمين مجتمع القوى   فكأنه السراء والضراء
وكأنه ما لا تشاء عداته   متمثلا لوفوده ما شاءوا

فيكتسب المعنى هنا أو الصورة نوعا من العمومية ، لأن الحياة إما سراء وإما ضراء ، وممدوح المتنبي قد جمع بين السراء والضراء ، وكل ما يخطر ببال أعدائه فهو شيء آخر غيره ، وأيما شيء أراده الوافدون عليه وجدوه ماثلا عنده ، متمثلا فيه .

هذا المعنى الذي تدوول على مر الأيام بين الشعراء ، قد اتخذ صوراً عدة من التعبير عندهم ، أقل ما يقال فيها أنها مختلفة نوعا من الاختلاف ، وأن هذا الاختلاف كان له أثره في تحديد المعنى أو تعميمه ، وأيضاً فإن بعض هذه الصور كان أطرف من غيره .

وهذا مثال آخر لمعنى من المعاني التي تناولها الشعراء وتداولوها . قال الطرماح بن حكيم :

لقد زادني حباً لنفسي أنني
بغيض إلى كل امرىء غير طائل
وأني شقي باللئام ولن ترى
شقيا بهم إلا كريم الشمائل

ننظر فإذا بدعبل الخزاعي ينقل هذا المعنى في بيتين آخرين فيقول :

تلك المساعي إذا ما أخرت رجلا
أحب الناس عيباً كالذي عابه
كذاك ، من كان هدم المجد غايته
فإنه لبناة المجد سبابه

فنجد الطرماح قد تناول المعنى من زاويته الشخصية ؛ فإن بغض القاعدين المقصرين عن شأوه له قد زاده حبا لنفسه واعتزازا بها ، ولكنه شقي بهؤلاء اللئام ، ولا غرو ، فكل كرام الشمائل لا بد أن يشقوا بهم .

أما دعبل فيتناول المعنى من زاوية أخرى هي زاوية الأشخاص الآخرين ، فينتزع من المجتمع — أي مجتمع — صورة لهذا المعنى . فالشخص الذي يتأخر به سعيه عن أن يدرك الغاية لنقص فيه وعيب يعيبه ، فإنه يتمنى أن يصيب الناس عيب مثل عيبه يقعد بهم أيضا عن بلوغ الغاية . وأيضاً فإنه لا سبيل لمن كانت غايته هدم المجد إلا أن يتناول بناته بالسباب ليحط من أقدارهم ، ولا يظهر امتيازهم عليه ، وعلى العموم فقد انتزع دعبل لمعناه صورة من نفسية المجتمع وليست تختص بمجتمع دون آخر .

فالاختلاف الذي حدث بين الطرماح ودعبل أن الأول كان ذاتياً في إبرازه للمعنى وكان الثاني موضوعياً . وقد تبع هذا اختلاف آخر هو أن المعنى عند الطرماح كان محدوداً ، أو — بلفظ أدق — محدداً ، فيه شخصية الطرماح واللئام الذين كانوا يبغضونه ، بينما اتسع المعنى عند دعبل نوعاً من الاتساع ، لأنه امتد إلى تصوير جانب من جوانب نفسية الأشخاص في كل مجتمع .

حتى إذا جاء أبو تمام إذا به في أوجز عبارة يعطى لهذا المعنى أوسع وأعم نطاق من الدلالة حين يقول :(وذو النقص في الدنيا بذي الفضل مولع) ، وقد قال « في الدنيا » ولم يشأ أن يحدد لنا زماناً بعينه أو مكاناً بعينه ، بل أطلق القاعدة إطلاقاً فيه كثير من التعميم إن لم يكن كل التعميم . وأظن الفروق واضحة بين المعنى كما أورده أبو تمام وكما ورد عند دعبل والطرماح .

والحق أن دعبلا وأبا تمام قد استغنيا عن الجانب

النقد الأدبي

تأليف الدكتور أحمد أمين بك

٤٥٦ صفحة في جزأين — لجنة التأليف والترجمة والنشر

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

صناعة النقد الأدبي قديمة ، مادامت الأمة ذات حضارة ، وما دام الأدب وهو باب من أبواب الفنون عنوانا على حضارتها .

ونحن أمة تتكلم العربية ، وقد ورثنا حضارة العرب كما ورثنا حضارات أخرى ، إلا أن صورتها التي تكتسيها ، أو القالب الذي تقدم إلينا فيه هو اللغة العربية . ولذلك كان لابد للناقد الأدبي أن ينظر في هذا الثوب الذي نرتديه كلما شئنا أن نعبر عما يجول في أفئدتنا من خواطر .

وهناك شعوب أخرى تتكلم بغير العربية ، ولها أيضاً آداب ، وفيها أدباء يستجيبون للحياة ويشعرون بها ويعبرون عنها بلسان قومهم . وقد افتتن المحدثون بالأدب الغربي ، وقرءوا ما كتب فيه خاصاً بهذا الباب الجديد ، نعني النقد وأصوله ، وأرادوا أن يطبقوا هذه الأصول على الأدب العربي . والكتاب الذي تقدمه اليوم إلى القراء ، يحاول هذه المحاولة ، أو على الأصح يريد أن يوفق بين النقد الأدبي عند الأفرنج وبين ما ورثناه عن العرب ، ولذلك جعل الجزء الأول في أصول النقد ومبادئه ، والثاني في تاريخه عند الأفرنج والعرب .

نقول إن هـذه الموازنة بين الأدب العربي والأدب الغربي ليست جديدة . فنحن نعرف أن الحضارة الإسلامية قد اتصلت بالثقافات الأجنبية منـذ أواخر العصر الأموي

الشخصي ، وتجربتهما الخاصة ، واهتما بالمعنى كما يشاهدان أو يدركان وقوعه في الحياة بصفة عامة ، في الوقت الذي جمع الطرماح في إخراج هـذا المعنى بين تجربته الشخصية وملاحظته الخارج . وقد اتضح هذا الجمع عند مروان بن أبي حفصة ، قال :

ما ضرني حسد اللئام ولم يزل
ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

أما أبو الطيب فقد أخرج من هذا المعنى صورة جزئية من صوره العديدة ، أوردها في عبارة وجيزة حين قال : (والحر ممتحن بأولاد الزنى) . فالحر — في هذه الصورة الجزئية يمثل ذا الفضل في الصورة العامة عند أبي تمام ، وأولاد الزنى في هذه الصورة يمثلون ذوي النقص في تلك .

والحق أننا لا نستطيع أن ندعي أن الصورة العامة عند أبي تمام أفضل من الصورة الجزئية التي أوردها المتنبي ، بل ربما ذهبنا إلى العكس — بناء على نظرتنا التي أسلفنا إلى المعنى أو الصورة الأدبية بأنها كلما كانت أكثر حيوية كانت أقرب إلى نفوسنا . فالتقابل بين الفضل والنقص ، لا يتمتع بالحيوية ، ولا يثير في النفس ما يثيره التقابل بين الحر وأبناء الزنى .

وإذا نحن تتبعنا المتنبي وجدنا هذا المعنى قد تباور عنده أخيراً ، لجمع فيه عنصري الذاتية والموضوعية وإن لم يوفر له العناصر الحية الموحية في بيته الذائع :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل

وأخيراً ، فيستطيع الباحث أن يقف على كثير من المعاني الأدبية ويتتبع مراحل تطورها ، ويحدد العناصر التي أحدثت لونا من التجديد في الصور التي اتخذها المعنى عن الشعراء . وربما كان أفضل من تتبع هـذه المعاني الجزئية أن تتبع المعاني الأدبية الكبرى ، فهي بلاشك أكثر طرافة ، وميدان البحث فيها أكثر خصوبة .

عز الدين إسماعيل

وأوائل العصر العباسي ، أي في عصر الترجمة ، ولم تكن آداب تلك الشعوب مجهولة من المسلمين ، فكان من الطبيعي أن يوازن العرب ، أو المتعربون الذين يتخذون اللغة العربية أداة للتعبير ، بين الأدب نثره وشعره عند العرب وعند الأجانب .

قال الجاحظ في كتاب له مفقود وحفظ بعضه الأمير نشوان الحميري صاحب كتاب « الحور العين » : « وقد سمعت للعجم كلاماً حسناً وخطباً طوالاً يسمونها أشعاراً ؛ فأما أن يكون لهم شعر على أعاريض معلومة وأوزان معروفة إذا نقص منها حرف أو زاد حرف ، أو تحرك ساكن أو سكن متحرك ، كسره وغيره ، فليس يوجد إلا للعرب خاصة دون غيرهم ، وليس في الأرض قوم أعنى بذم جليل القبيح ودقيقه ، وبمدح دقيق الحسن وجليله من العرب . . . »(1)

ولسنا ندري أكان الجاحظ يعرف اليونانية والرومانية أم لا يعرفهما ، أو أنه سمع للعجم مترجمات منقولة إلى العربية ولم يسمع هذا الكلام في أصله الأجنبي . والذي يهمنا هنا تلك الموازنة التي يعقدها بين الشعر العربي القائم على الأعاريض والأوزان ونظم الألفاظ ، وبين الشعر الأعجمي الذي لا يخلو من الأوزان ولكنه لا يعنى هذه العناية الفائقة بالنظم المعروف .

جملة القول لكل لغة ذوقها وشخصيتها ومقوماتها مما لا يشاركها فيه لغة أخرى إلا إذا كانت قريبة الشبه بها . وقد فطن إلى ذلك الدكتور أحمد أمين فقال إن الشعر مما يصعب نقله من لغة إلى أخرى ، فإذا استطاع المترجم نقل المعاني عجز عن نقل الرونق أو الصورة الخارجية التي لا يكون الشعر شعراً إلا بها .

وينحو الأستاذ عباس محمود العقاد نحواً آخر في النقد ، ذلك أنه هاجم شوقي هجوماً عنيفاً ، وبنى نقده له على عدة أصول ، أهمها أن قيمة الشعر يجب أن تكون عالمية لا تختص بشعب دون شعب ولا بجيل دون آخر ، فإذا نقل شعر شوقي إلى اللغات الأجنبية لم تثبت له منزلة ، لأنه يقوم على جرس الألفاظ لا على عمق المعاني . ويأخذ بهذا المذهب كثيرون ممن تثقفوا ثقافة غربية وأعلوا من شأنها .

وهذا يدلك على اختلاف النقاد في التقدير ، وذهابهم مذاهب مختلفة ، وتباين الأصول التي يعولون عليها .

مهما يكن من شيء ، فنحن في حاجة إلى كثير من المؤلفات في النقد الأدبي ، لأن تعددها يدفع أصحابها إلى تناول هذا الموضوع الشائك الشائق من زوايا مختلفة ، فيكتمل لنا بعد حين نظرية أو نظريات جديدة في هذه الصناعة .

وكتاب الدكتور أحمد أمين ثمرة دراسة ، وخلاصة تجربة طويلة . فهو يقول في المقدمة إنه اشتغل بتدريس البلاغة بكلية الآداب عام ١٩٢٦ وقد حضرت هذا الدرس عليه في ذلك الحين ، فاشتاق إلى معرفة ما يذهب إليه الإفرنج في هذا الباب ، ثم اقترح فيما بعد أن يدرس علم النقد في الكلية فأصبح ذلك سنة جارية حتى الآن ، وألف فيه بعض الأساتذة مؤلفات قيمة .

ويمتاز الدكتور أحمد أمين في أدبه بعناصر ثلاثة : صدق الإحساس ، وشجاعة الرأي ، وبساطة التعبير . وأنت تعرف ولا ريب القول المعروف إن الأسلوب هو الرجل ، فلا غرابة أن يكون أسلوب صاحب الكتاب صورة من شخصيته . ونحن الذين أخذنا عليه العلم ولا نزال نتصل به نعرف فيه هذه الخصال التي تنعكس في كتاباته وتبرز في أسلوبه وهي الصدق والشجاعة والبساطة .

وعلى الرغم من الدراسات الأجنبية التي اطلع عليها المؤلف خاصة بموضوع النقد الأدبي ، أو كما فصلها في أربعة عناصر هي : العاطفة والمعنى والأسلوب والخيال ، فإنه لا يزال كلما نزل إلى ميدان الأحكام الأدبية يأخذ « بالذوق العربي » الذي ورثه عن آبائه وأجداده جيلاً بعد جيل ، والذي لا يزال محفوظاً في التراث العربي الموجود بين أيدينا .

من ذلك أنه يعارض بشدة قضية « الفن للفن » وهي

(1) الحور العين ص ٢١٧ .

قضية شائعة فى الغرب منذ القرن التاسع عشر حتى الآن ؟ ولهذا السبب يجعل المثال الأخلاقى شرطاً من شروط الأدب الجيد ، كما كان يفعل القدماء من العرب حين ينشدون مغزى أخلاقياً أو حكمة جارية . فهو يذهب مذهب أفلاطون من اجتماع الحق والخير والجمال ، وهو إذ يفعل ذلك إنما يستجيب للمبدأ الذى شرطه لكل أديب وهو الصدق ، ويعبر عن شعوره الخاص وعقيدته الشخصية .

وهو حين يوازن بين المعنى واللفظ أيهما أولى بالتقديم وأيهما أعلى منزلة فى تقدير الآثار الأدبية ، يرجح جانب المعنى على اللفظ ، أو الفكرة على الأسلوب ، وقديماً اختلف نقاد العرب فى هذا الموضوع ، ولكن أغلبهم يميلون إلى ناحية اللفظ . فإذا كان الدكتور أحمد أمين يغلب المعنى والفكرة على الألفاظ والأساليب فإنما يفعل ذلك استجابة لطبعه ، فهو إلى المعنى أميل ، وأسلوبه لا يبدو فيه الاحتفال والأناقة ، ولعله يفعل ذلك قصداً ، أو كان يفعل ذلك عن عمد ، ثم أصبح الأداء البسيط من جملة طبعه أو أسلوبه ، والأسلوب هو الرجل .

وأحسب أنك سوف تختلف مع المؤلف فى كثير من القضايا التى بسطها خلال الكتاب ، وهذا الخلاف فى مثل الموضوع الذى يتناوله وهو النقد الأدبى أمر طبيعى ، لأن الآراء لم تجتمع فيه على مذهب مقرر لا فى الشرق ولا فى الغرب ، وخير الكتب هى التى تثيرك وتدعوك إلى التفكير ، ولا بأس من المعارضة فى الرأى .

خذ مثلا هذه القضية ، وهى أن شعر الطبيعة قد يكون موضوعياً ، أو كما يقول ص ٨٦ : « وفى التناول الموضوعى يجب أن يخفى الشاعر نفسه تماماً ويدع الطبيعة تتكلم عن نفسها ، فهى تتكلم عن نفسها وتخاطب الشاعر ، ولذلك يجب أن يكون الأسلوب مزيجاً من العرض الصادق والوصف الصحيح » . وهذه قضية تحتاج إلى نظر ، لأن الطبيعة وما فيها من مشاهد لا تنطق ولا تتكلم ، ولا تصف نفسها ، إنما نحن الذين ندرك هذه المظاهر فيخيل إلينا أن الزهر يبتسم ، وأن الشجر يتمايل ويتثنى ، فكل وصاف للطبيعة إنما يصف انعكاس صورها فى نفسه ، ولذلك قال جمهرة نقاد الغربيين إن الشعر لا يمكن إلا أن يكون « ذاتياً » ، وعندنا أن كل شعر ذاتى ، ويتفاوت الشعراء فى صدق التعبير عن شعورهم ، وجودة وصفهم لما يرون ، وتنزل درجة الشاعر كلما تكلف أو اتبع التقليد وآثر محاكاة أساليب غيره من الشعراء .

وقضية أخرى هى أيضاً موضع نزاع شديد بين المفكرين والأدباء والنقاد ، تلك هى : أيخضع الأدب لغاية أخرى كالأخلاق والسياسة والدين ، أم لا يخضع لغاية أخرى ؟ وهى القضية التى تقال عن الفن عامة : أهو للفن أم للمجتمع ؟

ويرى الدكتور أحمد أمين أن « الأدب يشرح الحياة الإنسانية لا لذاتها بل لغاية ، وهذه الغاية هى ترقية المشاعر لا إضعافها ، فإذا هو حاول إفساد العواطف وإضعافها منعناه من ذلك » ص ٣٦ .

ويذهب جمهرة نقاد الغرب وأدبائهم ومفكريهم غير هذا المذهب فى الوقت الحاضر ، ذلك أن الأدب عندهم يقصد لذاته ، وهو تعبير عما يجول فى نفس صاحبه من مشاعر خيّرة كانت أم شريرة .

ولا نستطيع أن نمضى فى ذكر ما جال فى خاطرنا من معارضة بعض المذاهب والآراء التى صادفناها فى الكتاب ، ونحسب أنك حين تقرؤه ستجد فيه إلى جانب المتعة الفكرية أموراً تثير فى نفسك كثيراً من الإيحاءات .

أحمد فؤاد الأهوانى

من صور الحياة :

ثمن بخس

[لولا ذكراها الطيبة عندى ، ما كتبت هذه القصة]

للأستاذ إدوار منسى

فى اليوم الواحد والأربعين بعد وفاة زوجته ، وقف غبور افندى أمام المرآة التى كانت تجلس أمامها امرأته فى مخدعهما ، ونظر إلى بدلته السوداء الأنيقة وإلى المنديل الحريرى الذى يطل من جيب جاكتته ، وإلى شاربه المشذب القصير تحت أنفه المستقيم ، وقال لنفسه معجباً : « إنى ما زلت شاباً ! » وابتسم ، وكانت ابتسامته تتحول إلى ضحكة ، ولكنه لمح خصلة من شعره الطويل المصقول خارجة عن مكانها الذى وضعها فيه ، فاقتضب ابتسامته أو ضحكته وتناول المشط والفرشاة ليسوى ما اختل من نظام شعره ؛ حينئذ سمع والدته تقول له من خارج الغرفة :

— هل أحضرت الورقة يا غبور ؟

ولم يحول غبور وجهه الأسمر عن المرآة وظل ينظر إلى شعره بينما كان يمشط شعره ليدقق النظر أكثر على آثار الشيب التى تراكمت عليها طبقة سوداء سميكة نتيجة إدمانه التدخين .

— أى ورقة يا أمى ؟!

واعتدل بقامته وأعاد المشط والفرشاة إلى مكانيهما ونهض ليتناول طربوشه من على المشجب حوار التسريحة ...

— الورقة التى كتبت فيها أثمان الأدوية التى صرفتها على المرحومة وزيارات الدكاترة

وكان قد وضع طربوشه على رأسه ونظر إلى نفسه فى المرآة .

— ولماذا اذهب إذاً إذا لم آخذ هذه القسيمة معى ؟!

ووضع يده فى جيب جاكتته الداخلى وأخرجها بورقة مطوية ، ودخلت فى هذه اللحظة أمه : امرأة قصيرة بدينة بيضاء الشعر ، بسيطة تعابير الوجه ، ترتدى السواد . نظرت إلى ابنها بعينين غارتا فى محجريهما وقالت مبتسمة :

— كم المجموع يابنى ؟ كما حاولت تذكره أنساه .

ومط غبور افندى شفته السفلى إلى أعلى ليتحسس بها شاربه القصير معجباً وقال وهو يعيد الورقة المطوية إلى جيب جاكتته الداخلى حيث كانت :

— واحد وثمانون جنيهاً وستون قرشاً .

ونظر إلى نفسه فى المرآة المرة الأخيرة وضبط عقدة رقبته الحريرية وأمال طربوشه قليلاً على رأسه ؛ ولما اطمأن إلى وجاهته وأناقته استدار إلى أمه التى كانت تنظر إليه بدورها نظرة إعجاب ...

— أترى سترضى بى العروس الجديدة ؟

— المهم الآن هو أن تعود بالفلوس .

وقهقه غبور افندى .

— اعتبرى الفلوس فى جيبى .

وانطلق إلى حميه : أبى زوجته المتوفاة ، زوج خالته .

* * *

كان غبور افندى كاتباً صغيراً بشركة « ... » عندما طلب يد ابنة عمه من زوج خالته لأول مرة فرده رداً قاطعاً دون ذكر الأسباب ، وإن كان هو نفسه يعرف هذه الأسباب ! فلم يكن غبور آنئذ ، وكان فى السادسة والعشرين ، بالشاب المستقيم الظريف الذى يُعتمد على أخلاقه ويُركن إلى سمعته ؛ وقد كانت أخبار سهراته الحمراء وغير الحمراء حديث عائلته ومسلاة من يعرف ومن لا يعرف من الناس . ولا بد لكل شاب أن يمر بهذه الفترة التى يجمع فيها النزوات ويجرى وراء اللذات حيث يجدها ، كل هذا دون أن يذكر شيئاً عن مغامراته وصبواته . ولكن الأمر كان يختلف مع غبور كل الاختلاف ، فهو لم يكن يغازل فتاة فى الطريق حتى يعود بحديث هذا الغزل إلى أمه فتقصه عليها . ومن ثم تنقله الأم فخوراً إلى أختها ؛ ولا يمضى يوم أو يومان إلا وخبر هذا الغزل الطائر قد تسرب ليس إلا

الصغير والكبير فى عائلته وحسب ، ولكن إلى الصغير والكبير فى بيت خالته أيضاً ، وفى بيوت الجيران أحياناً ! ولا يختلف الأمر إذا سهر سهرة راقصة أو غشى حفلة يشك فى براءتها أو أنفق ليلة حمراء صارخة الاحمرار ؟ ولهذا كان غبور افندى مضغة فى الأفواه . لم يكن محبوباً من أقاربه ، ولم يكن يحبه زوج خالته على الخصوص ، أما خالته فقد كانت تعطف عليه لا لكونه شخصاً جديراً بالحب ، ولكن لكونه ابن أختها فقط !

وكانت خالته تلمح فى عينيه رغبته فى ابنتها ابتسام كلما دخل دارها ، الأمر الذى لم يكن يفعله إلا فى فترات متقطعة ، متحاشياً كثرة التقائه بزوج خالته ، وكانت تود من صميم قلبها أن تزوج ابنتها من ابن أختها ، ولكنها كانت تخاف استهتاره ، وعدم أخذه الحياة مأخذ الجد . وعندما تقدم غبور من زوجها يسأله يد ابنته أمهله حتى يفكر فى الأمر . ودارت بين خالته وزوجها مشاورات دامت أكثر من شهر انتهيا بعدها إلى ضرورة رد الفتى رداً قاطعاً لا رجوع فيه .

ومضى عام وغبور سادر فى استهتاره ومجونه ، بينما كانت رغبته فى ابتسام فى ازدياد . وتقدم مرة أخرى إلى زوج خالته يطلب يد ابنته فأمهله حتى يفكر فى الأمر . ودارت بين خالته وزوجها كما دارت منذ عام مشاورات دامت أكثر من شهر ، انتهيا بعدها كما انتهيا بها فى المرة الأولى إلى ضرورة رد الفتى رداً قاطعاً لا رجوع فيه !

هنا ابتأس الفتى واغتم وطوى رغبته فى نفسه وتمادى فى حياته المستهترة الماجنة لينسى فيها فكرة الزواج من هذه التى ردها عنه زوج خالته والتى كان يحمل لها فى قلبه كل حب واحترام .

وكانت ابتسام من هذا النوع الرقيق الحاشية ، العزيز النفس ، الذى تجرحه الكلمة وتثيره البادرة غير المقصودة ، وكانت جادة فى حياتها لا تعرف غير الصوم والصلاة والذهاب كل أحد إلى الكنيسة ، وكانت تبتهل إلى ربها أن يسوق لها فتى أحلامها ... ولم يكن فتى أحلامها الذى تتمناه أكثر من شاب متزن لا يؤذى شعورها بفعل ولا يجرح عزتها بقول . وكانت نادراً ما تضحك ، كان يكفى فى أشد المواقف وأدعاها للضحك أن تبتسم ابتسامة قصيرة فاترة تعود بعدها إلى إطباقها وجدها .

لم يكن غبور ابن خالتها إذاً موضوع تفكيرها وأمنيتها ، فقد كان مستهتراً فى أحاديثه كما كان مستهتراً فى حياته ؛ لم يكن يهتم بمن حوله من الناس نساء كانوا أو رجالا ، فيتحدث بما يليق بالحضور ، وكثيراً ما كانت تخرج ابتسام من الحجرة التى يكون فيها وهى تكاد تنفجر غضباً وحنقاً لأنه تفوه بكلمة خرجت قليلا عن حدود البراءة ، أو دخل بها قليلا المنطقة التى يتحدث فيها الرجال وقد خلا مجلسهم من النساء .

ولكن ابتسام كانت قد رأت ابن خالتها فترت زياراته أو كادت تنقطع كل الانقطاع . فسألت والدتها عن السر ذات يوم ، فأجابتها أمها : « ما رأيك فى غبور يا ابتسام » سؤال قصير انزلق من بين شفتى الأم . ولكن ابتسام كانت جامدة تعابير الوجه ، فلم يظهر عليها غضب أو فرح وقالت بهدوء : « لا يعجبنى حديثه » . ومضت أيام واجتمعت الأم والفتاة وانزلق لسان الأولى للمرة الثانية : « غبور طلب يدك يا ابتسام » . فقالت الفتاة : « متى ؟ » مرة منذ عام ورددناه . . . ثم مرة أخرى فى الشهر الماضى ورفضناه أيضاً . » قالت الفتاة فى هدوء : « أحسنتما صنعاً »

ومضى عام آخر وتقدم غبور أفندى يسأل زوج خالته يد ابنته ابتسام ، فأمهله بعض الوقت ليفكر فى الأمر ، ولم تدر المشاورات هذه المرة بين خالته وزوجها وحسب ، بل دارت بينهما وابتسام نفسها أيضاً . قال الوالد : « للمرة الثالثة يا ابتسام يطلبك ابن خالتك ؛ لقد رددناه فى المرتين الأوليين دون أن نأخذ رأيك فى الأمر . أما الآن فسنترك لك الحرية فى هذا الموضوع . أنت الآن فى السابعة والعشرين فتاة مكتملة السن ناضجة . فكرى فى الأمر وخذى من الوقت ما يحلولك ، ثم أخبرينا بما ترين . »

وهكذا تركت ابتسام وحدها تقرر مصيرها بنفسها . لقد كانت عادية فى كل شىء ، ولم يكن بياض بشرتها بكاف لاجتذاب العرسان إليها . حقاً ، لقد أتاها خطاب كثيرون ولكن ممن جاوزت سنهم الأربعين أو الخامسة والأربعين ، زملاء أبيها الباشكاتب بوزارة المواصلات ، ولكنها ككل

فتاة أخرى ، كانت تريد شاباً فى مثل سنها أو يزيد عليها قليلا ، لا رجلا فى مثل سن أبيها أو حول هـذه السن ، وجعلت المسكينة منذ يومها ذاك تفكر . إن هى ردت غبوراً فسوف يطول بها الانتظار ، وقد يفوتها قطار الزواج إلى الأبد فتبقى عانساً إلى ما شاء الله ، أو تضطر آخر الأمر إلى قبول خاطب من هؤلاء الخطاب الذين يأتون عن طريق والدها ، كبيرى السن مثله ! وإن هى لم ترد غبوراً وقبلته لها زوجاً فسوف يعيشان دائماً فى خصام وشجار : فطباعهما متنافرة ، هو مسرف مبذر وهى شحيحة أو كالشحيحة ممسكة اليد . هو مستهتر وهى جادة ، هو مندفع فى كل شىء وهى متزنة متروية . هو يحبها وهى لا تحبه ... آه ! عند هذه الـكلمة لاحظت ابتسام شيئاً غريباً . فهى قد اعتادت أن « تكره » غبوراً فيما مضى من الأيام ، ولـكنها الآن لا « تكرهه » ولـكن « لا تحبه » . وفرق فى نظرها ، بين الـكراهية وعدم الحب ؛ قد يكون عدم الحب أهون من الـكراهية ؛ أليست ابتسام كفيلة أن تجعل من زوجها رجلا كاملا ؟ ! إنه يحبها ، وهذا يكفيها . ألا يمكن أن تقوم لعوجاجه وتجعل منه شخصية محترمة بين الناس ؟ ! إنه الآن فى الثامنة والعشرين ، وهى وإن كانت تصغره بعام فشخصيتها كانت أقوى من شخصيته بكثير ، وهى بذلك تستطيع أن تطغى عليه فلا تهدمه بهذا الطغيان ، ولـكن تبنيه عن طريق انقياده لها وإرضائه أمانيها فى أن تصنع منه حلم كل امرأة فى رجلها وحلم كل رجل فى نفسه .

مضت ستة أيام فكرت فيها ابتسام طويلا ، وانتظر والدها كلتها بفارغ صبر ممزوج بشىء من الطمأنينة ، وهل يعقل أن تقبل ابتسام رجلا تكرهه ؟ ! ولـكن تأتى ابتسام ذات صباح وتبادر أباها وهو جالس إلى مائدة الإفطار قبل خروجه إلى عمله ، وقد وقفت أمها تهيىء المائدة : « لقد رضيت بابن خالق زوجاً . » عندئذ يندهش الوالد : « ولـكن » فقاطعته ابتسام : « لقد فكرت فى كل شىء ، واستعرضت كل العواقب . . . ألم تفوضا لى الأمر ! لقد قبلت غبوراً . » أما أمها فباركت هذا الزواج ، وأما أبوها فقبله على مضض .

تزوج غبور من ابتسام وحدث ما كانت تتوقعه الزوجة ذات الشخصية القوية . حدث أن اعتدلت حياة زوجها وانصلح حاله : من البيت إلى العمل ومنه إلى البيت ، وهو يحبها بل يعبدها عبادة ، وهى تحس أن كراهيتها القديمة له لم تكن مبنية على أساس . أين غبور الآن من غبور طالب يدها قبل عام أو عامين ! ولقد حدث ما لم يكن متوقعاً قط من الزوج المحب العابد ، حدث أن ابتاع لأول مرة فى حياته كتاباً ، وكان هذا الـكتاب قصة بول وفرجينى ، وجعل يطالع فيها بمحضر من زوجته كل يوم فصلا أو فصلين .

وأصبح غبور أفندى ، أخو الرذيلة فى الماضى ، الفضيلة ذاتها ! أين حياة العبث فى الماضى من حياة الاستقامة والترفع فى الحاضر ؟ أين انحطاطه قبل زواجه من سموه بعد هـذا الزواج ! لقد كان غبور يقدر زوجته الفاضلة كل التقدير ويحترمها كل الاحترام لأنه كان يشعر فى دخيلة نفسه أنها قد صنعت منه إنساناً ، وقد كان حيواناً أو كالحيوان ! كما أن ابتسام بدأت تقدر زوجها وتحترمه وتحبه لأنها كانت تشعر بأنه صار على يديها شخصاً آخر لا يمت إلى الشخص الأول بصلة .

ومضى عام ... ولم تأت ابتسام بالولد ، ومضى عام ثان ولم تأت ابتسام بالولد ، برغم ترددها على الأطباء ، ومضى عام ثالث ... ولم تأت ابتسام بالولد ، ولاح على غبور أفندى الضيق ! كم كان يحب أن يرى « أولاده » يلعبون ويمرحون فى أرجاء بيته ! كم كان يحب أن ينادى « بابا ، بابا » كما يحب سماع هذه الـكلمة كل رجل فى هذه الدنيا ! ولـكن ابتسام كانت عاقراً ، لا أمل فى أن تعطيه ولداً ولا بنتاً ، وكانت تتظاهر بعدم اهتمامها للأمر بينما هى فى غاية الحزن ، فكم كانت تريد أن تعطى زوجها ابناً وأن تكون أماً وأن تنادى هى أيضاً : ماما ، ماما ، كما تحب سماع هذه الـكلمة كل امرأة فى هذه الدنيا !

وفجأة مرضت ابتسام ولزمت الفراش ؟ ولم تشخص مرضها تماما أول الأمر ، وعولجت علاج التيفود بينما مرضها الأصلى كان يثبت جذوره فى رأسها . فقد اكتشف بعد فوات الوقت أنها كانت مريضة بالحمى المخية الشوكية .

وأصبح غبور أفندى من بعد شعورها بالتوعك

وملازمتها الفراش لا شاغل له إلا السهر على راحة زوجته المريضة : لم يبخل عليها بطبيب رغم ضآلة راتبه وقلة ما ادخره فى صندوق التوفير . وكان عندما يحار الطبيب فى تشخيص المرض وتنفد حيلته فى علاجها يأتى زوجته بطبيب آخر أكبر وأشهر حتى مضت منذ بدء العلاج الخاطىء خمسة وعشرون يوما ، فجاءها بالطبيب الذى لا يعلو عليه طبيب آخر فى القاهرة . . . عندئذ ، عندئذ فقط عرف وعرف أهل البيت أنها مصابة بمرض خطير ، الأمل فى شفائها منه يكاد يكون معدوما لسببين : أولاً أن علاجه جاء متأخراً ، وثانياً لأن علاجه غير ناجح مائة فى المائة حتى إذا عولج من بدء مهاجمته جسم الإنسان .

ويكتم غبور أفندى البكاء فى صدره أمام زوجته ، ليهون عليها الأمر ولا يفزعها ، ولكنه يبكى من قلبه أحر البكاء فى مكتبه فى الصباح وفى الترام وفى كل مكان يجد فيه نفسه وحيداً ؛ وهو يعطيها الدواء بنفسه ، وابتسام تنظر إليه صامتة مقدرة له كل ما يقوم به من أجلها . إنه لم يبخل عليها بأى شىء ؛ كان يصرف ماله على الأطباء وعلى الأدوية دون النظر إلى شىء ، كأى زوج يحب زوجته ويناضل الموت كى تعيش . . . ولكن غبور أفندى رغم حزنه وبكائه على زوجته المريضة الميئوس من شفائها كان يحتفظ فى جيبه بورقة بيضاء مقسمة إلى ثلاثة أقسام : قسم للتاريخ ، وآخر لنوع الدواء ، وثالث لثمنه ؛ وكان كلما ابتاع دواء مهما ضؤل ثمنه ، دوّن قيمته وأثبت نوعه وسجل تاريخ شرائه . أجل لا شك فى أن غبور أفندى كان يحب ابتسام حباً جماً . . . ولم تكن هذه القسيمة الغريبة التى كان يحتفظ بها فى جيبه إلا نوعا من أنواع الإحصاء الذى يغرم به بعض الناس فجأة ولا غرض منه ولا نفع فيه : إنها هواية فى ذاتها !

مضى الشهر الأول من رقاد ابتسام ؛ وأحصى غبور أفندى ما صرف طيلة هذا الشهر فوجده يربو على الثلاثين جنيها صرفت بين الأطباء والأدوية . ومضى الشهر الثانى وكانت ابتسام قد تفاقم مرضها ؛ وأحصى غبور أفندى مادون فى كشف حسابه — وما كان يريد فقط إلا الإحصاء ! — فوجد مصاريف مرض ابتسام قد تعدت الخمسة والخمسين جنيهاً . وكانت ابتسام فى اليوم الثانى والعشرين من شهر مرضها الثالث ، وكانت فى حالة خطرة جداً عند ما أحصى غبور أفندى مجموع ما أنفق حتى هذا اليوم فوجده واحداً وثمانين جنيها وستين قرشاً .

وماتت زوجته . . . وبكى على قبرها كما لم يبك زوج على قبر زوجته العزيزة من قبل قط . . . ولكنه كان يحتفظ فى جيبه فى ذات الوقت بقسيمة أثمان الأدوية وزيارات الأطباء

ولم يكن غبور أفندى ، كما قدمناه إلى القارىء ، من الرجال الذين يستطيعون العيش فرادى ، وربما كان ذلك لضيق أفقه وافتقاره إلى مقدرة الحياة والعيش فى داخل نفسه على مدخرات النفس الخاصة . لذلك لم يمض أسبوع على مواراة ابتسام التراب حتى فكر فى الزواج من جديد ؛ وبهذا أبلغ أمه ، فاستنكرت هذه كلام ابنها ، لا لأنه أظهر تلهفه إلى زوجة جديدة تحل محل المتوفاة ، ولكن لأنها كانت تخاف لوم الناس واستنكارهم ولأنها لم تكن تدرى ، إذا حدث وتزوج ابنها مرة ثانية بهذه السرعة ، كيف تقابل أختها وجهاً لوجه ! أليستا أختين ! ألم تكن الراحلة وغبور أفندى « أولاد خالات » !

استنكرت أم غبور رغبة ولدها أول الأمر ؛ وتراخى استنكارها فى الأسبوع الثانى من وفاة زوجة ابنها ؛ وأطرقت فى الأسبوع الثالث عند ما ذكرها ابنها برغبته الجدية فى الزواج ، وقالت له أمه فى الأسبوع الرابع : وماذا تملك يابنى الآن تتزوج به ؛ لقد أنفقت كل ما كان عندك على المرحومة ! عندئذ ابتسم غبور أفندى ، هاوى الإحصاءات :

— سأبيع عفشها ، وقد يساوى مائة جنيه .

— ولكنه كان عفش ابتسام ولا بد من رده إلى زوج خالتك .

— إنه رجل طيب القلب ، ولن يسأل عنه . وإذا فرض وسأل عنه واسترده ، فسوف أطالبه . . .

— بماذا ؟ !

— بواحد وثمانين جنيها وستين قرشاً .

— وما هذه ؟ !

— هذه هى مصاريف علاج المرحومة .

— مصاريف علاجها ! أجننت حتى تطالب زوج خالتك بهذا ؟

— وهل كنت ملزما بمداواتها ؟ ! . . .

ولكن أم غبور اقتنعت فى نهاية الجدال أن غبور أفندى لم يكن ملزما بعلاج زوجته . . . وأنه كان يمكن أن يكون ملزما بهذا إذا كانت ابتسام — المرحومة — قد شفيت وردت إليها الحياة ، أما وقد ماتت فبأى حق يكون ملزما بهذا العلاج ؟ ! !

مائة وثمانون جنيها وستون قرشاً : المائة الأولى منها ثمن العفش الذى قد « يصهين » عليه غبور أفندى ، أو الذى قد يتنازل عنه لغبور أفندى زوج الخالة . والثمانون جنيها والستون قرشاً ثمن علاج ابتسام . بهذا المبلغ مجتمعاً فكر غبور أفندى فى الزواج من جديد .

— ألا تعرفين فتاة مناسبة يا أماه ؟

قالها غبور أفندى وهو يحرك يديه مبتسما .

— البنات كتير يابنى . . . أنا فكرت لك فى واحدة .

— عظيم !

— أتعرف وداد بنت محسن أفندى ؟

— قطعة لا بأس بها .

قالها متهللا ، واستطرد مستدركا :

— ولكن كيف نتصل بهذه العائلة ؟ !

— خالتى أم ابراهيم جارتنا تزورهم وتزورنا . سأسألها « تجس النبض » . وسأحدثك بالخبر اليقين .

— تعالى أقبلك يا أماه . . .

— لا . انتظر حتى يتم الموضوع .

— قولى لها : « لها عندى الحلاوة »

— إطمئنى .

تم هذا الحوار فى غضون الأسبوع الخامس بعد وفاة ابتسام ؛ ومضى بعض الأسبوع السادس وغبور افندى يحاول تصور كيف سيقابل زوج خالته ويطالبه بالواحد والثمانين جنيهاً والستين قرشاً . . . لا ، هكذا تمم ، تكفى الواحد والثمانون جنيهاً . . . دعنا من الكسور ! وفى اليوم الواحد والأربعين بعد موت زوجته ، أى بعد « الأربعين » مباشرة ، وهى الفترة الرسمية للحزن التى يجوز بعدها عند بعض الناس أى شىء وأى فعل ، أعد حافظة نقوده لاستقبال المبلغ الموعود ، وانطلق ، كما بينا فى مستهل هـذا الفصل ، إلى حميه : أبى زوجته المتوفاة : زوج خالته .

* * *

وزوج خالة غبور افندى رجل صارم تقاطيع الوجه ، مضموم الشفتين دائماً فى إصرار ، مغضّن الجبهة فى جد . . وكان يقرأ جريدة المساء عندما دخل عليه غبور افندى :

— أهلاً يا بنى . « عاش من شافك » !

— والله يا زوج خالتى الشاغل من جهة ومن جهة أخرى لم تعد لى رغبة فى الخروج كثيراً هذه الأيام . لست أرى خالتى ! أين هى إذاً ؟!

— كما تعرف : ملازمة فراشها : لم يكن من السهل عليها أن تفقد ابنتها الوحيـدة ، وحيدتنا : إنها لا تكف عن البكاء ليل نهار . . .

ولم يكن من أجل هذا الحديث التافه جاء غبور افندى ، ولـكنه جاء لشىء آخر . . .

— والله يا زوج خالتى جئتك فى موضوع . . .

— خير إن شاء الله

— ولـكنى لا أعرف من أين أبدأ !

— خير الـكلام ما قل ودل .

— إنى محرج .

— إذا كنت فى حاجة ماسة إلى « سلفة » . . .

— المسـألة طلب فلوس صحيح ، ولـكنها على ألا تكون سلفة . . .

— لا أفهم ؟!

عندئذ أخرج غبور افندى قسيمته المشهورة من جيبه وقدمها بيد مترددة إلى زوج خالته الذى ازدادت تقطيبة جبهته ، وضمة شفتيه وإصرار ملامحه ، وقال غبور افندى :

— حضرتك تعرف أنى صرفت كل فلوسى ومدّخرى على ابتسام فى المدة الأخيرة . . .

وكان الرجل العجوز الجهم الوجه ينظر فى قسيمة غبور افندى ولا يفهم ماذا كانت تعنى ، وماذا كان يقصـد بها زوج ابنته الراحلة .

— ما هذا ؟!

— لقد جئت « أسترد » هذا المبلغ .

— تسترد !

— أجل . ألم تكن ابنتك ؟!

— ولكنها كانت زوجتك !

— لست ملزماً بنفقات علاجها .

— أنت تقول هذا كما قد يقوله رجل جاهل ، ليست عنده ذرة من إحساس أو شعور أو فهم .

أكرر أني لست ملزماً بمصاريف علاجها ، إني أريد الواحد والثمانين جنيهاً والستين قرشاً ... دعنا على أي حال من الستين قرشاً . . .

— أتقول هذا جاداً ؟!

— كما لم أقل شيئاً بجد في حياتي من قبل . أنت أبوها ، وأنت الذي كان يجب أن يتولى علاجها لا أنا .

— إني أعرفك . أنت حقير ودنيء . لقد تزوجت ابنتي للمتعة . لم « تشبكها » بشيء له قيمة ، وجئنا نحن « بالجهاز » ولم تتكلف أنت شيئاً ؛ وهكذا أخذت البنت على الجاهز . ثم إنك أنفقت معها أربعة أعوام كلها متعة ، متعة ، متعة .

وعندما ماتت المسكينة جئتني تطالب بمصاريف علاجها ! أنت حقير ودنيء . أنا أعرفك . لو أن فيك نقطة دم وشيئاً من الإحساس والشعور لفكرت قليلاً — ولو أن هذه الفكرة تؤلمني وتمزق نفسي تمزيقاً — أقول : لفكرت قليلاً في أن « تتنازل » عن مطالبتك بهذه الواحد والثمانين جنيهاً والستين قرشاً كثمن لهذه السنوات الأربع التي عشتها مع ابنتي تحت سقف واحد ، ثمن يدفعه أي رجل لأية امرأة في الطريق من أجل المتعة ... ويا له من ثمن بخس ، تدفعه لعذراء كابنتي . أنت تطالبني بواحد وثمانين جنيهاً وستين قرشاً وهي مصاريف علاج ابتسام ، ولكني أطالبك منذ الآن بدفع ثمن تمتعك بابنتي طيلة هذه الأعوام الأربعة الماضية ...

— تطالبني بثمن .

— أجل . إنها لم تكن في نظرك سوى « امرأة » لا « زوجة » .

— امرأة لا زوجة !

— نعم . إنك حيوان ... ومع كل فالحديث مع أمثالك لا يجدي . إنك نذل . سأعطيك ما تطلب على شرط ألا تجعلني أرى وجهك منذ اليوم .

وقذفه بقسيمة المصاريف العلاجية بغضب ، فتهاوت على الأرض .

عندئذ اختلط الأمر على الشاب ولم يدر ماذا يصنع ! لقد أحس ، ولم يدر كيف جاءه هذا الإحساس ، ولعل ضميره استيقظ عند سماعه كلمات زوج خالته ، إنه فعلا ليس إنساناً ... تذكر زوجته للتو : هذه المرأة التي رفعته وكان ساقطاً ؛ هذه المرأة التي ألح في طلبها ثلاث مرات في ثلاثة أعوام متعاقبة حتى تزوجها ؛ هذه المرأة التي أحيت فيه « الإنسان » وكان من قبل شبيهاً بالإنسان ؛ هذه المرأة التي قبلته ، ولم يكن مقبولا عند أبيها ؛ هذه المرأة التي خاطرت بزواجها منه وكانت واثقة من انصلاحه على يديها ، هذه المرأة التي أوحت إليه شخصيتها ذات يوم أن يبتاع أول كتاب في حياته : بول وفرجيني ، ويقرأه معها كلمة كلمة وصفحة صفحة . . تذكر غبور أفندي هذه المرأة ، زوجته الراحلة ، فجأة ، ووجم ، وأحس غصة في قلبه ورعشة في نفسه ، وأجهش بالبكاء .

حدث كل هذا في لحظات تسربت بعدها الدموع من عيني الشاب بغزارة ، وجعل يبكي وينشج نشيجاً كان يحاول كتمانه دون جدوى ، وسكت فجأة ومد يده إلى قسيمة الواحد والثمانين جنيهاً والستين قرشاً الملقاة على الأرض ومزقها إرباً إرباً بأصابعه المبتلة بالدموع وقال ، وهو يشرق في عبراته .

— لم أكن أستحق ابتسام ! لم أكن أستحق ابتسام ! إني شخص حقير ... دنيء .

وأجهش بالبكاء مرة أخرى وفزع من مجلسه ، وقبل أن يبرح الدار تمتم لزوج خالته الذي فوجيء بهذا التحول العجيب :

— « جهاز » ابتسام تحت أمركم يا زوج خالتي لتتصرفوا فيه كيفما يحلو لكم

وجذب منديله الحريري الذي كان يتهدل من جيب صدر جاكتته ليجفف به دموعه ، كما أزاح طربوشه إلى الخلف في إهمال .

وفي طريقه إلى داره فكر في أن يلغي فكرة الزواج للمرة الثانية ... ولو إلى حين !

إدوار مقسي

الثقافة

العـــدد ٧٠٠ ٢٦من مايو ١٩٥٢	مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر	الثمن ٣٠ مليماً

26 May. 52

صفحة

أبحاث ومقالات :

من الأدب الغربي :

دراسة نقدية :

نقد :

شعر :

تحية وادى النيل

رفض المقام على جريح إبائه
وحمى جبين عرينه بدمائه

شعب نماه إلى سماوه مجده
أبوان ما اجتمعا معاً لسوائه

الخالد (الطيبىّ) من أجداده
والفاتح (القرشى) من آبائه

والشمس أوّل ما محت فى أفقه
والنجم أول ما حبا بسمائه

وأبو الحضارة — لم تضنّ تحية —
هذا المصفقُ فى مواكب مائه

شيخ الجداول . راهبٌ مُتدثّرٌ
بالأرجوان على سطور كسائه

* * *

مرحى بنى الوادى ، وعطر تحية
ترجى إلى الشهداء حول لوائه

ما مصر والسودان إلا وحدة
نهضتْ على ألف الهجاء وبائه

جمعتكم (بنت الرمال) وضمكم
صوت المؤذن فى جلال ندائه

لا تذرفوا دمعاً على مستشهد
إن الشهيد يضج عند بكائه

ردّ الوديعة فى جهاد صارخ
ودعا السماء فأقبلت لدعائه

واستقبلته دوو جناح مشرق
أفواهها تنندى بعطر رثائه

* * *

ماذا يظن الناس فى حرية
مُخطابُها فى الدهر من بسلائه

زهراء قانية السوالف مهرُها
هذا الدم المدخور من أبنائه

أبدا تحب من الثياب « مضرجا »
فليهدها المهدى خضيب ردائه

والخاطب الدنيا معافى آمن
والخاطب العليا بقدر بلائه

* * *

إنجلترا . والعمر من بعد الضحى
أبداً يسير إلى ظلام مسائه

ما أنت « يونان » الحكيم تأدبت
أمم القرون على سنا حكمائه

ما أنت « فرعون » العتيد ، تراثه
ترك الزمان يغضّ من خيلائه

ما أنت « عدنان » القوّة ساسها
بالعدل والغفران من (سمحائه)

ما المجد فى لغة الحديد ، وسابح
غلب المحيط على منابر مائه

ما المجد إلا الحق أبلج واضحاً
تعنو الوجوه على جلال ضيائه

قهْر الشعوب على رضاك سياسة
يمضى بها المخذول فى غلوائه

خلفت فى التاريخ شر حضارة
جاءت لبساوى الشرق أولمنائه

مزقته بعد الجماعة أقطراً
وزعمت سلطاناً على أشلائه

صفراء تخطر فى مسوح كاذب
لم يبد غير نفاقه وريائه

زعمت بأن (الدب) أرهف نابه
والشرق أصبح طعمة لغذائه

ما الدب شر فى الورى من (ذئبة)
تدعو القطيع إلى مصارع شائه

خلى قضايا الشرق عنك ، وأجلى
وليجنِ الداعى بفضل جلائه

على شرف الدين

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز
الدكتور أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف بك

الإدارة
١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العدد ٧٠٠ الاثنين ٢ من رمضان سنة ١٣٧١ — ٢٦ من مايو سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة عشرة

في حياتنا الاجتماعية :

بين الأساتذة وطلابهم

للدكتور أحمد عبد السلام الكرداني بك

بهذا العنوان قرأت في عدد الاثنين ١٢ مايو سنة ١٩٥٢ من هذه المجلة مقالا ممتعاً للآنسة منيرة حلمى تناولت فيه موضوعات تمس صميم التعلم والتربية عندنا ، أهمها في نظرى اثنان : الأول مناقشتها لضرورة إلمام المدرس (سواء أ كان يعمل في المدارس الابتدائية والثانوية أو في الجامعات والمدارس العليا) بأصول التربية وعلم النفس ، والثاني مناقشتها لضرورة اتصال المدرس أو الأستاذ بتلاميذه أوطلابه اتصالا روحيا وثيقاً لا يقتصر على قاعات الدرس أوصالات المحاضرات ، وإنما يتعداها إلى خارجها ، سواء في الملاعب أو في الاجتماعات العامة أو في دراسة الشئون الاجتماعية ، وبالجملة في كل ما يتصل بالحياة العامة للطالب ، وبكافة تصرفاته وسلوكه فيها .

ومن الغريب أن هذه الموضوعات على الرغم من أهميتها وأثرها في تكوين الشباب وطابع الجيل الجديدة ، فإن الكتاب لا يطرقونها إلا في القليل النادر . لذلك حمدت للآنسة شجاعتها وحسن اختيارها ، وآثرت أن أعقب على ماقرأته لها بإضافة مايعن لى في هذا الصدد من ملاحظات :

فيما يتعلق بالموضوع الأول ، وهو ضرورة إلمام المدرس بوجه عام بأسس علم التربية وعلم النفس يدهشني أن بعض رجال الفكر وقادة الرأى لا يؤمنون بضرورة تسلح المدرس بهذين العلمين ، ويعتقدون أن موهبة القدرة على التدريس تولد مع الشخص ؛ فهو إما أن يكون صالحاً لهذه المهمة بطبيعته أو غير صالح لها ، وليس في مقدور أساتذة التربية وعلم النفس أن يخلقوا من الأخير مدرساً مهما حاولوا وبذلوا من جهد .

نعم إن بعض الناس لا يصلح للتدريس ، ومن الظلم له وللناشئين أن يحترف هذه المهنة ، ولكن معظم هؤلاء الناس يستطيع أساتذة التربية وعلم النفس أن يعرفوهم حين يتقدمون للالتحاق بمعاهد التربية أو مدارس المعلمين ويحولوا بينهم وبين الانخراط في سلك هذه الوظيفة ، ولكن الشخص العادي يستفيد فائدة كبرى من توجيهات أساتذة التربية وعلم النفس ، ومن دراسته لهاتين المادتين . بل لعلنا لا نغالى إذا قلنا إنه يستحيل على أى شخص أن يكون أستاذاً بمعنى الكلمة إن لم يدرسهما .

فأسلوب المدرس في تعليم الطالب وفي تهذيبه وتربيته يتوقف على دراسته لعقليته ، وكيف يستطيع دراسة هذه العقلية من لم يتلق شيئاً من علم النفس ومن تطبيقاته العملية الكثيرة .

ومن الغريب أن هؤلاء الذين لا يؤمنون بالتربية وعلم النفس لا يتحرجون من وضع أبنائهم وأبناء الأمة في يد من لا يعرف من هذين العلمين شيئاً ! مع أن هؤلاء بالذات حين يمرض لهم طفل أو ولد أو شاب يحرصون على أن يعرضوه على أكثر الأطباء إلماماً بعلم الطب وخبرة فيه واطلاعاً على الجديد من نتائج البحوث فيه ، وذلك ليضمنوا أحسن العلاج لمريضهم ؛ أما إذا كان هذا الطفل أو الولد أو الشاب يشكو من ضعف في المسائل العقلية أو النفسية فلا مانع عندهم من أن يعهدوا بعلاجه إلى من لا يدرى شيئاً عن القواعد التي يسير عليها العقل وعن الوسائل الصحيحة التي تعالج ضعفه وتنميه وتزيد ملكة الفهم والاستنتاج قوة عنده .

كذلك كيف يستطيع مدرس جاهل بعلم النفس أن يفيد تلميذه أو طالبه ويعاونه على حل مشاكله النفسية ، وعلى معالجة ما يكون قد تولد عنده من عقد نفسية ربما نتج عنها أسوأ الأثر في هذا الطالب ، بل لعلها تكون سبباً في انهيار عقليته وتحطيم مستقبله إذا لم تتناولها يد حكيمة لمدرس ضليع في علم النفس خبير بعلاج تلاميذه

وإني أعتقد اعتقاداً جازماً أننا إذا عنينا بتسليح للدرسين عندنا في مرحلة إعدادهم بأصول التربية وعلم النفس على أحدث صورة ، وبأسلوب عملي في دراسة تطبيقية متعمقة ، ثم وضعناهم بعد تخرجهم تحت إشراف ناظر أو مدرس أول له خبرة جيدة في هذه الناحية ومقدرة على نقلها على من يشرف عليه — أقول لو سلحناهم بهذا السلاح في معاهد إعدادهم وفي المرحلة الأولى من عملهم كمدرسين وهي مرحلة اكتساب الخبرة والمران ، لو فعلنا ذلك لوفرنا كثيراً من وقت التدريس ، ووفرنا كثيراً من وقت التحصيل والمذاكرة ، ووفرنا كثيراً من وقت التلاميذ بوجه عام ، ولضمنا لهم نشأة عقلية متزنة ومتمكنة وممتلئة اطمئناناً وثقة . هذا إلى أننا نكون قد أنقذنا من الضياع عدداً كبيراً من الطلاب يذهب في الوقت الحاضر ضحية المدرسين الذين لا يفقهون شيئاً في التربية وعلم النفس .

هذه ملاحظاتي العابرة عن الموضوع الأول

* * *

أما الثاني وهو ضرورة اتصال الأساتذة بطلابهم في غير أوقات الدروس فهو في نظرى عماد التربية إذا أريد أن يكون للمدرس أو الأستاذ أثر في تكوين شخصية تلاميذه أو طلابه ، وتربية أخلاقهم ، وتهذيب نفوسهم ، ومعاونتهم على حل مشاكلهم . وإذا لم يتوافر هذا الاتصال فالأجدر بنا أن نستغني عن المدرس ونترك الطالب ليقرأ الكتب بنفسه ويعد نفسه للامتحان ، أو نستعيض عن المدرس بأسطوانات يستمع لها الطلاب ، أو بشرائط سينمائية ناطقة تعرض عليهم . ولعل هذه الوسائل تكون أجدى في توصيل المعلومات ، لأن الأسطوانة ستكون لمدرس قدير مشهود له بالكفاية ، كما أن الشريط السينمائي سيقوم بإخراجه فطاحل الأساتذة فيأتي في الغالب مشوقاً ممتعاً .

فالأصل إذاً في الأستاذ أن يؤثر تأثيراً روحياً في تلاميذه ، ولا نزاع في أنه لو تم هذا الاتصال الشخصي بين الأستاذ وطلبته لكان شبابنا اليوم على حال غير حالهم ولامتلأت أوقات فراغهم بأحسن مما يشغلون به أنفسهم فيها في الوقت الحاضر .

والآن سأضرب هنا مثلا واحداً لبيان أثر هذا الاتصال ، وذلك فيما يتعلق بآراء الطالب الجامعي في الأمور السياسية والطريقة التي تتكون بها عقيدته السياسية التي هي حق من حقوق كل فرد من أفراد الأمة .

لو أن الأساتذة اعتادوا عقد اجتماعات تحت إشرافهم خارج أوقات الدراسة لتناقش فيها المسائل السياسية بهدوء وحرية وبمنتهى التسامح ، بحيث يعتاد الطالب أن يقدر رأى زميله ويحترمه ، ويدرك أن تبادل الرأى واختلاف الآراء أمر طبيعي لا يصح أن تنتج عنه مشادة أو أن يكون له أي أثر سيء في علاقات المودة الصافية القائمة بين الطلبة بصفتهم أفراداً في مجتمع حي ، لو أن الأساتذة عقدوا مع الطلبة حلقات للبحث تناقش فيها الأمور مناقشة عائلية هادئة منظمة ، وأوضحوا لهم من أول الأمر أن القصد منها هو تنوير آرائهم فيما يتعلق بالأمور السياسية ، ومساعدة كل منهم على فهم المسائل على حقيقتها في جو تسوده الحرية والمودة والصفاء ، وذلك تمهيداً لأن يكون كل منهم في المستقبل رأيه النهائي في الاتجاه السياسي الذي يصح أن يتجه إليه حين يخرج من الجامعة ويصير رجلا وعضواً عاملا في المجتمع ومواطناً

يدور أمام بيتنا فى هذه الأيام بائع مشمش قبيح الصوت جداً ، كلما سمعته استنكرت صوته ، ومع ذلك يمدّ صوته ويمطّطه ، مما يدل على أنه يعتقد أن صوته من أحسن الأصوات . وأين منه صوت عبده وعبد الوهاب !

قلتُ : أليس ذلك شأن أغلب الناس ، ليسوا أكفاء ويعتقدون أنهم أكفاء ، وليسوا شيئاً ويظنون أنهم كل شيء . وأعرف كثيراً من المؤلفين لا يحسنون التأليف ، ويعتقدون أنهم مجيدون ، بل يعتقدون أنهم أحسن من يؤلفون ، وشعراء لا يقيمون للبيت وزناً ولا قافية ، وأضحك عند سماع شعرهم فى استهزاء بهم فيظنون ضحكى إعجابا ، وأراهم يلاحقوننى حيث أكون ، ليشنّفوا سمعى بشعرهم البارع .

ورئيس المصلحة يرى بعض موظفيه لا يصلحون لعمل ، وهم يعتقدون فى أنفسهم أنهم يحسنون كل عمل ، ولكن سوء حظهم أن مدير المصلحة لا يثق بهم ، ثم يتهمون هذا الرئيس بأنه يُعرض عنهم لعدم جمالهم أو لصراحتهم أو لخلقهم الفاضل . فإن لم يرموا هذا الرئيس بهذه التهم ، التفتوا إلى الزمان ، يحمّلونه مسئولية انصراف الرئيس عنهم ، وعدم ترقيتهم ترقيات استثنائية .

ومسكينٌ هذا الزمان الذى يحمل أوزار كل هؤلاء . ولو تحرّيْتَ لوجدتَ أن كل ما يحمله الزمان من هذا القبيل وما يحمله سوء الحظ ، راجعٌ إلى عدم كفاية هذه المخلوقات أو كفايتهم مع سماجتهم أو غرورهم أو أى شيء آخر غير فعل الزمان .

ثم هم يُضيفون إلى بكائهم وشكواهم من الزمان ، حسد زملائهم ممن قرّبهم رؤساهم لكفاياتهم أو لحسن قيامهم بما يعهد إليهم من أعمال .

وقلّ من الناس من يقوّم نفسه تقويماً صادقاً فيعتب عليها بالكسل أو يصفها بعدم الكفاية أو بالسماجة أو بثقل الدم

وترى الرجل يحاول فتح علبة فلا تنفتح ، أو زجاجة فيصعب فتحها ، أو قراءة جملة فى كتاب فتنغلق ، أو جذب شيء فلا ينجذب ، أو كسر شيء فلا ينكسر ، أو فعل أى شيء فلا ينفعل ، فيطلب من بجوارك أن يستلم الشيء الذى عجزت عنه ليعمله هو ، كأنه يقول لك : أما وقد عجزت أنت فسأقدر أنا على ما لم تقدر عليه ، إيماناً بكمايته أكثر منك وتفوقه عليك .

ويأتى الرجل فيظن أنه إن استوزر سوّى المحايل ، وأتى بما لم يأت به الأوائل ، ثم يوزّر فلا شيء . وإذا به يدخل آملا ويخرج يائساً ، وإذا بالحوادث أكبر منه .

فلو أنصفنا لرأينا أكثر الناس بائع المشمش .

أحمد أمين

يطلب إليه مزاولة حقوقه السياسية باستنارة وفهم وعن عقيدة واقتناع .

لو حدث هذا بتلك الروح لتفادينا ما يحدث بين طلبة الجامعة من مشادات وخلافات عنيفة ، بل ومنازعات ومصادمات ، ولصار كل ما يحدث هو مناقشة وجدال قد يحتدم فى بعض الأحيان ، ولكنه لا يتعدى الكلام والتفكير ولا ينفذ إلى صميم العواطف فيعكر صفو العلاقات بين الإخوان كما يحدث الآن .

أليس هذا المثل وحده دليلا على الخير العظيم الذى تظفر به البلاد إذا أدى كل مدرس وأستاذ الضريبة الوطنية المفروضة عليه من الاتصال بتلاميذه وطلابه بقصد خلق جيل جديد على خلق قويم وشخصية قوية ورأى ناضج .

ألا إن مستقبل الوطن يتوقف إلى حد كبير على قيام الأساتذة بهذا الواجب المقدس . هداهم الله له ونفع بهم طلابهم ، حتى يفروا من الشرور الفظيعة التى يستهدفون لها فى الوقت الحاضر .

أحمد عبد السلام الكرداني

التفاعل الطبيعي

بين النهضتين الأدبيـــة والمـادية

للأستاذ محمد مفيد الشوباشي

يميز هذا العصر بيقظة الأمم المتخلفة عن ركب الحضارة بسبب وقوعها فى حبائل الاستعمار . فهـذه الأمم التى كاد كفاحها فى سبيل استرداد حريتها وسيادتها يعم مناطق النفوذ الاستعمارىّ ، تحاول النهوض واللحاق بالأمم التى سبقتها أشواطاً فى مضمار الرقىّ ، وهى تتوسّل لبلوغ هذا الأرب بمقارعة الاستعمار من ناحية ومحاولة رفع مستواها الحضارى من ناحية أخرى .

أما ثوراتها على الاستعمار فلم تعد خافية على أحد بعد أن جرت أنهر الصحف اليومية ، واهتزت موجات الأثير فى كل صقع بأنبائها . وأما الوسائل التى تتذرع بهـا للنهوض من كبوتها ، والخلاص من أسـباب تخلفها ، والتمكّن من الوصول إلى الرقىّ الحضارىّ المأمول ، فهى موضوع هذا المقال .

من الطبيعىّ أن يكون ازدهار الدول الكبرى المـادىّ أول ما يخطف أبصار الأمم المتخلّفة المفيقة من غفلتهـا ، ويستأثر باهتمامها ، ويغريها بالاقتباس منه ، والنقل عنه . ومردّ ذلك إلى ما يأتى :

التقدم المادى واضح المظهر والأثر للكافة ، فلا يحتاج إدراكه إلى بعـد نظر ، أو واسع معرفة وثقافة . ومن مظاهره التى لا تخطئها النظرة العابرة ، الغنى والقوة والسودد الغـلاب فى المحيط الدولى ، وهى المميزات الثلاث التى يعـلم المتخلفون وغير المتخلفين على السواء أنها هى التى أدّت إلى تسلط الدول المتمتعة بهـا على الأمم الضعيفة واستغلالها والاحتفاظ بسلطانها عليها . ولـكن التقـدم الأدبىّ والفنىّ على خلاف ذلك . فالناس لا يدركون كنهه ، ولا يقـدرونه قدره ، ولا يفطنون إلى أثره الفعال ، إلا من أوتى منهم الفهم الصحيح ، والإدراك العميق . ثم إن هناك فرقاً آخر جوهرياً بين التقدّمين المذكورين ، وهو أن العلوم التى تؤدى إلى الازدهار المادى ، وهى علوم الطبيعة والميكانيكا والـكهرباء والـكيمياء والمعمار والتجارة والزراعة والصحة وما شاكلها سهلة المتناول ، دانية القطوف بالقياس إلى صعوبة دراسـة الآداب والفنون ، وتعذر التمكن منها على غير ذوى المواهب ، وبطء ما تحدث من أثر فى موكب التقدم الحضارىّ .. ولعل هذا أهم ما يفسر انصراف الأمم المتطلعة إلى الرقى عن ميدان الأدب والفن ، وتهالـكها على الأخذ بأسـباب الحضارة المـادية .

وإذا كانت الدعوة إلى ضرورة اهتمام الأمم الناهضـة بالجانب الأدبى والفنى من نهضاتها دون الجانب المادى ، تبدو فى العصر الحاضر مضحكة ، فإن القول بعكس ذلك ، أى بضرورة حصر الاهتمام بماديات النهضات دون معنوياتها فيـه كذلك شطط كبير . لأن كلا من التقـدم المادى والتقدم الأدبى الفنى يفيد من الآخر ويفيده . وقد سبق أن شرحنا ذلك فى مقال آخر فقلنا إن الرقى المادى لا بد أن يسفر عن ظهور آراء ومعتقدات ومثل جديدة ، فيرتقى بذلك المستوى الفكرى والفنى ، ولا يلبث هذا الرقى أن يساعد على رفع التقدم المادى إلى مستوى أعلى . ويستمر هذا التأثير والتأثر أو هـذا الفعل ورد الفعل الدائران على شكل حلزونى ، فيكفلان بذلك دوام التقدم .

وقد يقول قائل : إن هذه النظرية ، أى نظرية الفعل ورد الفعل ، تنقض ما نؤكده من ضرورة الاهتمام بنهضتنا الأدبية الفنية . فما دام ازدهار هذه النهضة مكفولاً بالازدهار المادى ، فيكفى أن نهتم برفع مستوانا المادى ثم ندع نظرية الفعل ورد الفعل تؤدى عملها ، وتكفل وحدها رقينا الأدبى ورقينا المادى معاً !! ... ولـكن الرد على هـذه الملاحظة

واضح لمن يعمل فكره ، فإن الوصول إلى النتيجة من طريق ترك الأمور تسير على طبيعتها يستغرق زمناً قد يطول دهوراً ، ولكن التدخل المباشر أو غير المباشر يوفر الوقت والجهد فى هذا العصر الذى يلقى فيه المهمل المتراخى مصرعه فى زحمة التنافس ، فما دام النشاط الفكرى ، والرقى المادى يتعاونان على التقدم ، فإن دعم كل منهما على حدة يجعل تعاونهما أشد مفعولا وأبلغ أثراً ...

وننتقل الآن من الميدان النظرى إلى ميدان التطبيق ، فنبحث فى نهضتنا المعاصرة على ضوء ما قدمنا . فقد كثر حديثنا عن الوسائل الكفيلة بتوطيد نهضتنا ودفعها إلى الأمام ، ولكن العناية بمشكلاتنا المادية طغت على جانب نهضتنا الأدبى الفنى . ونحن إذا قلّبنا صفحات التاريخ وعدنا إلى مستهل القرن التاسع عشر نجد أن الإصلاح المادى فاز بالقسط الأوفر من عناية أولى الأمر وأولى الرأى فى مصر ، فتضافرت الجهود على تحسين حالة الزراعة التى كانت ولا تزال عماد اقتصادنا . واستغرق بناء القناطر ، وشقّ الترع والمصارف فى سبيل التوسع الزراعى وزيادة الخصب ، القدر الأكبر من مصروفات الميزانية وجهد المواطنين . ولم يحل ذلك دون تشييد المنشآت الصناعية التى استطاعت تموين الجيوش والأفراد بحاجاتها على السواء . وإذا انتقلنا من القرن الماضى إلى هذا القرن وجدنا أن النهضة التى أعقبت ثورة عام ١٩١٩ تميزت بالتقدم الصناعى الملحوظ ، وقيام المؤسسات المالية والاقتصادية الكبرى ، ونشاط التجارة ، وانتعاش العمران وتهذّب مظاهره ، والاهتمام بالبحث عن الثروات المكنوزة تحت الأرض وتحت الماء . وقد اتجهت سياسة التعليم ، منذ أيام محمد على باشا الكبير ، إلى إعداد شباب مصر المتعلم ليتولى تسيير هذه النهضة المادية . وتوالت السنون دون أن يفكر أحد فى إنشاء معهد لدراسة الآداب ، حتى اضطلع الملك فؤاد الكبير بهذا العمل الجليل ، فغرس نواة الجامعة المصرية فى مستهل هذا القرن .

ونحن لم ننكر أن الجانب الأدبىّ من نهضتنا نال منذ البداية بعض العناية ، ولكنها كانت عناية ضئيلة القدر ، ضعيفة الأثر . فلم تغفل الحكومة عن إيفاد البعوث إلى أوربا لتلقى العلم ، ولم تخل برامج مدرسة الإدارة والألسن من بعض الدراسات الأدبية . وعنيت المطبعة الأميرية منذ بدء إنشائها بطبع عدد من كتب الأدب القديمة . وشيدت دار الكتب ، ثم أخذت المدارس التجهيزية تلقن تلاميذها شيئاً من علم البيان ، وتفرض عليهم حفظ مختارات من الشعر والنثر . ولكننا لم نتطلع إلى النهضة الأدبية الفنية الأوربية ونقتبس منها إلا يوم أنشئت دار الأوبرا . ثم امتاز عهدنا الحاضر بإنشاء معاهد الفنون ، والمجمع اللغوى ، والجمعيات العلمية ، والنوادى الأدبية ، والمكتبات العامة ، وكليات الآداب فى جامعاتنا المختلفة ، والإدارة العامة للثقافة التابعة لوزارة المعارف . ولكن هذا كله لا يمكن أن يكفل ازدهار النهضة الأدبية المرجوة ، لأن هذه النهضة لا تقوم إلا على انتعاش الإنتاج الأدبى الممتاز ورواجه . ومثل هذا الإنتاج لم يتح ظهوره إلى اليوم ، لأن ظهوره يتوقف على تشجيع الأدباء وكفالة رغد العيش لهم من ناحية ، وحث الطلبة وغير الطلبة بشتى الوسائل على قراءة الذخائر الأدبية حتى يتمكن منهم حب الاطلاع من ناحية أخرى . وبيان ذلك ورد كذلك مفصّلا فى مقال سابق ...

وقبل أن نوالى البحث فيما اتخذ وما يجب اتخاذه فى سبيل تسديد خطانا إلى الغاية المرجوة من نهضتنا ، نلم إلماما بما بذله الاستعمار الغربى لتعويق تلك الخطى ، أو قطع الطريق عليها .

تمكن الاستعمار الغربى من التدخل فى شئوننا لأول مرة فى أعقاب حرب الشام الثانية حين أرسل أساطيله إلى المياه المصرية ، وأرغم محمد على باشا على قبول الشروط المجحفة لمعاهدة الإسكندرية ، تلك الشروط التى كانت أولى نتائجها الضربة المشئومة تصدع مشروعاتنا الاقتصادية ، وتوقف مصانعنا الحديثة الإنشاء عن العمل ، وما أعقب ذلك من انحطاط مستوى المعيشة ، وتضعضع الروح المعنوية ، وذبول الحركة الثقافية التى كانت تبشر بالتفتح والإبداع .

ولكن الاستعمار لم يتمكن من تسديد الضربة القاصمة إلى نهضتنا إلا بعد أن تم لبريطانيا احتلال أراضينا عسكريا .

ولسنا نحسب أن أحداً يجهل ما بذلته الدولة المحتلة من جهد لتعويق تقدمنا من ناحيتي الاقتصاد والثقافة العامة معاً . فقد كتمت الأنفاس الأخيرة لمشروعاتنا الصناعية ، وفرضت على مصر أن تظل بلداً زراعياً ، وأن يعتمد اقتصادها على غلة أراضيها دون غيرها . أما ما بذله الاستعمار في سبيل القضاء على حركتنا الأدبية فيتمثل في سياسته التعليمية التي كانت ترمي إلى خنق لغتنا القومية بالاتجاه إلى تلقين مختلف العلوم في مدارسنا باللغة الإنجليزية بدل العربية . ثم بقصر الدراسة على قشور العلوم التي لا تؤدي إلا إلى إعداد الموظفين لشغل وظائف الحكومة الثانوية المخصصة للمصريين . وإذا كان هناك من لا يزال يشك في سوء نية الاستعمار في هذا الصدد ، فيكفي أن نحيله إلى الوثائق التي تبودلت بين الحكومة الانجليزية ومعتمدها في مصر على أثر احتلالها لبلادنا ، تلك الوثائق التي كشف أمرها أخيراً بعد أن حرص الاستعمار حقبة من الزمن على إخفاء أمرها ، فقد تضمن بعض تلك الوثائق أوامر صريحة صادرة لذلك المعتمد بأن يلجأ إلى كل وسيلة لخنق النهضة الثقافية المصرية .

وما دمنا نحاول اليوم أن نتخلص من البقية الباقية من نفوذ الاستعمار ، ونشق طريقنا إلى ذروة الحضارة التي نصبو إليها ، فعلينا أن نعمد إلى العقبات التي وضعها الاستعمار في طريقنا فنقوضها بكل ما أوتينا من عزيمة وقوة . فأما تلافي ما يعتور نهضتنا المادية من نقص فهو من واجب رجالنا المختصين بهذا الشأن . وأما عقبات نهضتنا الأدبية الفنية ، فهي التي نساهم مع غيرنا من المعنيين بحركتنا الفكرية في سبيل التغلب عليها . وقد سبق لنا أن أدلينا بما عنّ لنا من آراء في هذا الصدد . وفيما يلي استطراد لما بدأناه .

إن النشاط الفكري عامل أساسي في تقدم أي مجتمع من المجتمعات ، ومجال النشاط الفكري هو المؤسسات الثقافية من جمعيات ونواد ومعارض ودور للتمثيل المسرحي وحفلات موسيقية ، فمثل هذه المنشآت تنفخ في روح الحركة الأدبية الفنية بتوجيه الأنظار إليها ، وزيادة عدد هواتها ، وتمكين الولع بها من النفوس . وبين جدران هذه المحافل تتسع آفاق التفكير ، وينضج الوعي ، ويرتقي الذوق بتبادل الآراء وتصادمها . . . وإذا كان قولي هذا مقنعاً ، فلعله يكون من واجب كل من يقتنع به وبأهميته ، أن يطالب أولي الأمر منا وأولي النفوذ بأن يعملوا على التوسع في إنشاء مثل هذه المؤسسات ، وتمكينها بالتشجيع المادي والمعنوي من أداء رسالتها التي نوهنا عنها . واليوم الذي تعم فيه هذه المؤسسات مختلف أصقاعنا ، وتطرد المقاهي وصالات اللهو الرخيص ، وتحل محلها ، نصبح أقرب إلى أهداف نهضتنا من أي وقت آخر .

وهناك مسألة تعودنا أن نهمل شأنها على خطورتها ، وهي التوسع في نقل المؤلفات الأجنبية إلى العربية . إننا لا نكاد نهتم من مختلف العلوم الأجنبية إلا بجانبها التطبيقي ؛ أما جانبها النظري ، وهو أقرب جانبيها إلى الفلسفة والأدب ، وأقواها أثراً في رفع المستوى الفكري ، فنصيبه منا الإهمال . ولعل سبب ذلك يرجع إلى تعجلنا في تحقيق رخائنا المادي ، أو سد نقصه ؛ فمعاهدنا تعنى بتخريج القضاة والمحامين دون علماء القانون ، والأطباء دون علماء الطب ، ومدرسي الأدب دون الأدباء ، وهكذا ؛ فالمهنة العملية ما زالت مأرب طلاب العلم عندنا . وفي يقيني أن من أهم وسائل رقينا أن نولي الجانب النظري من العلوم العناية الجديرة به ، فننقل موسوعاته المدونة في المجلدات العديدة الضخمة إلى العربية ، دون أن نضن بما يحتاج إليه مثل هذا العمل الضخم من جهد ومال . وإذا توفرت المؤسسات الثقافية التي تحدثنا عنها آنفاً . فإنها تستطيع بمعاونة وزارة المعارف العمومية أن تضطلع بهذه المهمة ، فيعمل كل فرع منها على نقل العلوم الداخلة في دائرة نشاطه . وإذا دعمت وزارة المعارف برامج الآداب والفنون في مدارسها الابتدائية والثانوية ، واستطاعت أن تغرس في نفوس التلاميذ ، في مختلف مراحل التعليم ، حب الاطلاع . ففي زعمنا أن هذا يكون كفيلاً بخلق الظروف الملائمة لانبثاق فجر النهضة الأدبية المرتقبة .

وإذا أعددنا المجال لظهور النهضة الأدبية على ذلك النحو ، وأعد رجال العلم المجال لتقدم نهضتنا المادية ، فإن تفاعل هاتين النهضتين القويتين ، وتعاونهما على تحقيق نهضتنا الحضارية الكبرى يكون أجدى وأبلغ أثراً .

محمد مفيد الشوباشي

مسألة التأميم والأوضاع الاقتصادية

تأميم البنك المركزى

— ٤ —

للأستاذ أحمد طه السنوسى

يهمنا هنا أن نتعرض بشيء من التفصيل للكلام عن تأميم البنك الأهلى المصرى ، أو بالأحرى تأميم البنك المركزى المصرى ... فالمفهوم أن فكرة التأميم فى المشروعات والمرافق المتباينة إن احتملت بعض الكلام والأخذ والرد ، فليس يحدث ذلك فى مجال مسألة التأميم بالنسبة للبنك الكبير فى الدولة الذى يكون حلقة الوصل وبؤرة التوجيه فى الأوضاع الاقتصادية .

ولقد أضحى البنك المركزى Central Bank فى كل بلد ذا أهمية قصوى فى النظام المصرفى السائد فيه ؛ وذلك لما يقوم به هذا البنك عادة من وظائف ، وماله من اختصاصات ، وما يخوله سلطانه من وضع الأسلحة الماضية الحادة فى يديه لينظم عن طريقها هذا النظام ، وليتحكم فى عرض النقد وطلبه ، ويكفى أن نشير إلى أن البنك المركزى فى المجتمع الذى يتعامل فى ودائع المصارف ، أى فى المجتمع الذى تمثل ودائع البنوك فيه الجانب الأكبر من عرض النقود ، يستطيع أن يفرض رقابته النافذة الفعالة بالاستعانة بما له من قدرة على زيادة أو نقص عرض النقد المتداول ، ولقد كشفت هذه الخاصية الهامة للبنك المركزى فيما يتعلق بالرقابة والضبط بعد أن نشر كتاب الأستاذ Walter Bagehot الذى أسماه فى عام ١٨٧٣ Lambard Street .

وكذلك يعرف الجميع أن البنك المركزى يقوم بعملية إصدار البنكنوت ، فضلا عن مركزه كموئل أخير تلتجىء إليه البنوك المالية الأخرى الموجودة فى المجتمع ، وهو بعد هذا له الإشراف على عمليات التخالص بين سواه من البنوك ، فضلا عن أنه الخزينة التى تحتفظ هذه البنوك فيها بما يفرضه القانون عليها من قدر من احتياطياتها .

وتبدو أهمية البنك المركزى من الناحية الحكومية من قيامه بدور المصرف الحكومى الذى تلتجىء إليه الحكومة فى أوقات الشدة وتعتمد عليه فى أى وقت من الأوقات ، ويتبين من ذلك أن البنك المركزى له الإشراف على السياسة العامة لمالية الدولة ، كما له اتخاذ شتى الإجراءات للمحافظة على سلامة العملة ، فضلا عن بسط رقابته على السوق المالى Capital Market والسوق النقدى Money Market ، والسوق الأول عبارة عن سوق التعامل فى الأموال والقروض الطويلة الأجل ، والسوق الثانى عبارة عن سوق التعامل فى الأموال والقروض القصيرة الأجل .

لذلك ليس من العجيب ألا تتوانى الحكومات عن إنشاء مثل هذه البنوك المركزية ، أو عن تحويل بنوكها التى تتميز بقيامها أو اضطلاعها ببعض هاتيك الوظائف التى تقوم بها البنوك المركزية والتى أسلفنا إجمالها ، من بنوك عادية إلى بنوك مركزية ... خاصة وأن المؤتمر الاقتصادى العالمى المنعقد فى عام ١٩٣٣ ، قد قال بضرورة قيام البنوك المركزية فى البلاد التى لا تتمتع بوجود هذه البنوك فيها .

ويقول الأستاذ Crowther : إن من حق الدولة بل من واجبها أن تشرف على الأعمال التى تقوم بها المصارف والبنوك ؛ لأن فى الإشراف على هذه الأعمال ما يتعلق بالصالح العام ، وحيث إن الحكومة هى القوامة على تحقيق هذا الصالح ، فلا أقل من أن تشرف على المصارف وأعمالها ، خاصة وأن هذا الإشراف كفيل أن يفرض وجودها وأثرها على الأوضاع النقدية والاقتصادية فى البلاد !

ويقول فيما يتعلق بملكية هذا البنك : هل الأفضل أن تكون خاصة ، أو أن تضمها الحكومة إلى حظيرتها ؟ وبعبارة أخرى : هل الأفضل أن يبقى هذا البنك فى الملكية الخاصة ، بالرغم من قيامه بهذه الأعباء والوظائف الخطيرة ، أم الأفضل أن تؤممه الحكومة فتنتقل ملكيته إليها ؟

يقول : إنه لا مانع من عدم الإبقاء على الملكية الخاصة

البنك المركزى ، أى تأميمه ، خاصة متى كان هذا التأميم تدعو إليه المصلحة العامة ، وتوجبه الضرورة الاقتصادية فى البلاد .

غير أنه بدلا من أن يدلى لنا برأى قوى فى هذا المجال ترك موضوع التأميم — على حسب تعبيره — للمبادىء السياسية ، يدلى بدلوها فيه ! إذ فى رأيه أن تأميم البنك ليس يهم الاقتصاديين فى شىء ، وإنما المهم هو قيام البنوك المركزية بتحمل الأعباء والاختصاصات التى بها تستطيع أن تهيمن على الأوضاع الاقتصادية ، وأن تنظم الأحوال النقدية والمالية فى البلاد .

ونحن من جانبنا — وإن كنا لا نغمط ما يقوم به البنك المركزى من أعباء ووظائف حقة — لا نهمل مسألة تأميمه ونقل ملكيته الخاصة إلى الملكية العامة ؛ لأن هذا إجراء جوهرى ، وليس الاقتصاديون فى حاجة إلى التدليل عليه اليوم ، بعد أن تهموا — أو على الأقل فهم غالبيتهم — ما فى هذه الوجهة من صلابة ورجاحة .

والواقع أن الاعتبارات السياسية — كما أشار إلى ذلك العلامة Crowther — لها دخل كبير فى مسألة التأميم على خلاف المركزية فى البنوك ، والواجب فحص حالة كل بلد على حده واختبار الأوضاع السياسية فيه ، ليتبين الوضع الأصلح للبنك المركزى فى الدولة .

على أنه تجب الإشارة أيضاً فى هذا الصدد إلى أن الاتجاه فى العالم اليوم ، يرمى إلى تأميم هذه البنوك ، إذ يؤخذ من الإحصائيات أن الغالبية العظمى للبنوك المركزية تمتلكها الحكومات أو تشترك فى ملكيتها ، وأن القليل الباقى فى سبيله إلى التأميم .

وتأميم البنك المركزى إجراء تقتضيه طبيعة العمل الذى يقوم به ، والأعباء التى يتحمل بها ، والأسلحة التى تضعها الدولة فى يديه ، ليطمئن بها النظام المصرفى والأوضاع النقدية ، ويكفينا الإشارة إلى أمثلة لهذه الأسلحة والوسائل التى يستطيع بها أن يقوم بدوره وأعبائه .

ففى إمكانياته ما يطلق عليه Bank Rate Policy ، وكذلك ما يطلق عليه Open Market Operations ، فضلاً عن أن له تأثيراً نسبياً من الناحية الأدبية على سواه من البنوك كنصائحه وتوجيهاته وتصريحاته التى يدلى بها بين الحين والحين ، إلى غير ذلك من الوسائل والإمكانيات .

وقد قامت فى مصر محاولات شتى لإقامة بنك مركزى ، لولا أن الظروف لم تشجع على تحقيق تلك المحاولات ، حتى صدر فى العام الماضى القانون رقم ٥٧ لسنة ١٩٥١ بتحويل البنك الأهلى المصرى إلى بنك مركزى ، وذلك وفقاً لمشروع القانون الذى تقدمت به الحكومة فى سنة ١٩٥٠ وقضى بتحويل البنك الأهلى إلى مركزى ، وتمصيره وزيادة إشراف الحكومة عليه .

والمهم فى ذلك الصدد أن هذا المشروع بقانون وقانونه الصادر فى ٢٧ مارس من العام الفائت قد استبعد فكرة التأميم ، فلم يؤمم بمقتضاه البنك الأهلى ولا سواه من البنوك .

ويمكن إجمال الحجج التى قيلت للعدول والقول بعدم تأميم البنك المركزى أو الأهلى المصرى ، فى أن تأميم البنك الأهلى فكرة ذات اتصال وثيق بمشكلة الأرصدة الإسترلينية ؛ ذلك أن انجلترا ترحب بهذا التأميم ! لأنه سينقل ملكية البنك من الملكية الخاصة إلى ملكية الحكومة المصرية ، وآنذاك ينقلب الدين المصرى على انجلترا إلى دين للحكومة المصرية على الحكومة الإنجليزية .

والديون بين الحكومات عادة تكون عرضة للتقلبات السياسية ، فيمكن الإبراء منها ، ويمكن تسويتها بطريقة تضر بالدولة الدائنة ضرراً بالغاً ... وهكذا ، وكذلك إذا ما خفضت بريطانيا قيمة الأرصدة الإسترلينية — كما فعلت — فإن الخسارة فى هذه الحالة ستقع على الأغلبية الساحقة فى مصر ، تلك الأغلبية التى تتحمل بدفع الضرائب العامة ، بعد أن كانت تقع فى حالة بقاء البنك الأهلى غير مؤمم على عاتق البنك نفسه .

وهذا الكلام صحيح ولا غبار عليه ؛ ولكن الكلام الأصح أن بريطانيا سيان عندها أن يؤمم البنك ، أى يصير دينها بين حكومتين ، أو أن يبقى البنك غير مؤمم ، فهى تستطيع أن تخفض الأرصدة إذا رأت ظروفها تستوجب ذلك ، كما تستطيع أن تقوم بأى إجراء تراه فى هذا الشأن .

كما يلاحظ أن تخفيض الأرصدة الاسترلينية الآن مثلاً ، ليس من الأمور السهلة الهينة التى تأتيها بريطانيا دون تفكر

وتدبر ؛ ذلك أن هذه متصلة اتصالاً وثيقاً بالأوضاع النقدية السائدة في بريطانيا ، فضلاً عن النظر إلى الأثر الذي يترتب على هذا التخفيض في جميع بلاد الاسترليني التي تدين لها انجلترا بالديون الاسترلينية أو تتعامل في أرصدة الاسترليني .

وطرافة الرأي الذي يقول بانتقال الدين إلى دين بين حكومات بمجرد تأميم البنك الأهلي والذي بمقتضاه عُدل عن تأميم هذا البنك ، أقول : إن طرافة هذا الرأي تبدو واضحة إذا ما وضعنا على بساط البحث الواقع والحاصل عملاً ؛ ذلك أنه بالرغم من عدم تأميم البنك ، بل بالرغم من كل شيء ، لم تحصل مصر على أرصدتها الاسترلينية بقيمتها الحقيقية ؛ إذ بفرض سير الأمور على حالها ووفقاً للاتفاقيات المعقودة بينها وبين بريطانيا حتى ينتهي حصولها عليها ، أقول : لم تحصل مصر من هذه الأرصدة على ما لا يجاوز نصف قيمتها .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، إلى اليوم لم تنته مشكلة التسديد ، وآخر اتفاقية معقودة بين البلدين في أول يوليو سنة ١٩٥١ ، تدلنا على مبلغ ما ستعانيه مصر من وقت عصيب وظروف شديدة ، تستنفد فيها ما بقي من أرصدتها . وما ينتظر أن يحصل اتفاق أو اتفاقات بشأنه منها ؛ ذلك أنه وفقاً لهذا الاتفاق الحاصل في أول يوليو من العام الفائت ، تتراوح المدة التي يفرج فيها عن أرصدة مصر المجمدة بين عشر سنوات وثلاث عشرة سنة ونصف ، ولا يتجاوز المبلغ الذي ينتظر الحصول عليه نتيجة للافراج مائة وخمسين مليوناً من الجنيهات الاسترلينية ؛ أو أقل من ذلك تبعاً لمقتضيات العملية التي تتعلق بالبند الوارد في الاتفاقية والقائل بالإفراج عن خمسة ملايين من الجنيهات إذا قل رصيد الحساب رقم (١) في أحد الأعوام عن ٤٥ مليونا من الجنيهات ، بشرط ألا تزيد قيمة المفرج عنه في هذا الصدد عن ٣٥ مليونا من الجنيهات .

ونزيد على ذلك أن من سخرية الأقدار ، أنه لم تمض شهور على توقيع هذه الاتفاقية السالفة الذكر ، حتى طالعتنا الأنباء بأن بريطانيا تفكر في تخفيض المبلغ الذي اتفق على الإفراج عنه في كل عام إلى النصف ، وبأنها تتجه إلى تحقيق مآربها السياسية بالاستعانة بتنفيذ هذا الاتفاق المذكور !

أما الحجة الأخرى التي برر بها عدم الأخذ بفكرة تأميم البنك الأهلي ، فتتلخص في الرغبة في إبعاد البنك المركزي عن المؤثرات السياسية ؛ والواقع أنه بالرغم من أن مصر بلد حديث العهد بالمسائل السياسية والاقتصادية ، وأن المؤثرات السياسية حقيقة قد تكون ذات باع في التأثير على البنك والحد من استقلاله ، إلا أن هذه مسألة إن دلت على شيء فإنما تدل على عجز مبين في إبعاد تلك المؤثرات ؛ إذ لا يعدو استقلال البنك من هذه الناحية اتخاذ بعض الاجراءات ووضع بعض الحدود الكفيلة بذلك . والبلد الذي يعجز في نظرنا عن فصل مثل هذا البنك عن مؤثرات السياسة وتحقيق استقلاله لهو بلد قاصر عن بلوغ أي مأرب من مآربه مهما كانت تفاهته .

على أن خطورة عدم الأخذ بفكرة تأميم البنك المركزي في مصر تتضح في الاعتبارات التالية :

أولاً : أن هذا يعتبر تخلفاً عما وصلت إليه غالبية البلدان في العالم من تأميم بنوكها المركزية ، إذ وصل الأمر إلى حد أن أضحى التأميم خطوة واقعية لا محيص عنها فيما يخص ملكية البنوك المركزية .

ثانياً : أن المساهمين الأجانب في مصر يمتلكون ما يساوي حوالي الثلثين من أسهم البنك الأهلي ، والثلث الآخر من أسهم البنك للمصريين ، ولا يستطاع القول بأن القانون الصادر في العام الماضي بتحويل البنك الأهلي إلى بنك مركزي قد قام على أساس الرغبة في استكمال تمصير هذا البنك .

ثالثاً : أن عدم تأميم البنك المركزي يؤدي إلى الحد من مقدرة هذا البنك على أداء وظائفه واختصاصاته كاملة ؛ إذ سيقتصر في هذه الحالة عن تنظيم الأوضاع النقدية في البلد وعن الرقابة على أوضاع النظام النقدي فيه .

هذه هي الوجهات التي يمكن عرضها في هذه اللمحة العابرة عن تأميم البنك المركزي في مصر ، وبصرف النظر عما ورد في شرحها والتعرض لها ، نحتفظ بوجهاتنا الخاصة في هذا الموضوع ، لأن مهمتنا هنا التعرض لمسألة تأميم هذا البنك على ما هي عليه ، وحسب الأوضاع الاقتصادية الراهنة . .

أحمد طه السنوسي

النَّـــور

عاداتهم وطقوسهم

للأستاذ مبارك إبراهيم

في كل بلد من بلدان أوربا طائفة من النَّوَر الذين اعتادوا حياة التحول والترحال، ونحّوا التجارة حرفة، وهم يتكلمون فيما بينهم لغتهم الخاصة، ويمارسون عاداتهم وطقوسهم

وهم في الأصل قد جاءوا من شمال غربي الهند. ولكنهم لما ظهروا أول مرة — منذ خمسة قرون — في منطقة جزر بحر إيجه قالوا إنهم جاءوا من مصر الصغرى، ولذلك سماهم اليونانيون «جبتوس» أي مصريين، وهي تسمية لا تزال لاصقة بهم حيث تطلق عليهم إلى اليوم كلمة Gypsies

وفي لسان «الروما» أو لسان النور تدل كلمة Rom على الرجل أو الزوج، وتدل كلمة Romni على المرأة أو الزوجة. وهم يطلقون على أبناء غير جنسهم كلمات منها: «بنو» أو «بسنو». وهي تقابل الدنس أو النجس. أو «جاجو» أو «جاشو» ويعنون به الرجل الكافر، أو «توروورو» ويعنون به «المسكين الذي يرثى لحاله».

وهم في مهاجرهم معرضون غالباً للاضطهاد وسطوة القوانين القاسية

وقد ظل النور إلى يومنا هذا أمة وحدهم لا يعترفون بالحدود الجغرافية، والنوريّ الصميم يمتاز عن سواه بشعره الأسود، وعينيه الدعجاوين، ووجهه الأسمر، وهم منذ القدم صناع مهرة، وقد كان لهم الفضل الأول في نماء تجارة بلدان كثيرة، وذلك قبل أن ترتقي الصناعات وقبل أن تتقدم وسائل النقل.

وقبل أن تعمر الأسواق الآنية الصينية الرخيصة وتطغى على الأواني التي كانت تصنع من التنك. كان «الغجر» جد مطلوبين كصناع لتلك الآنية، وكان منهم الحدادون المتنقلون بأكوارهم وأدواتهم، يصلحون القدور والكيزان والحلل، كما كان منهم البارعون في إصلاح المناخل والغرابيل، وكذلك كان منهم السنانون الذين يسنون السكاكين والمقصات. كما كان منهم بائعو السلال والكراسي والحصر والملاعق والمشاجب، وفضلا عن ذلك فهم منذ القدم تجار خيل ماهرون. فهم حيلة، وفيهم ذكاء.

وهم في الأسواق لم يبرعوا في التجارة فحسب. بل هم موسيقيون بارعون، وراقصون لا يشق لهم غبار، وهم ونساؤهم قد أتوا بكل عجيب في التنبؤ والعرافة والتنجيم.

وهناك حرفة واحدة لم تجتذبهم قط، وهي حرفة الزراعة، ذلك لأنهم أقوام رحل.

والنوري يرى نفسه كأنه موكل بفضاء الأرض يذرعه، فهو لا يستقر على حال من القلق. تحفزه إلى ذلك رغبة كامنة، وقد يستأنس فيسكن البيوت أحياناً، ولكنه لا يلبث أن ينقلب على عقبه، وتصيبه ردة إلى المألوف من عادات أجداده.

وقد قال القس «رودني سميث» (١٨٦٠ — ١٩٤٧) — وأصله من النور — إنه قد أقنع أخاه مرة أن يسكن كوخاً مبنياً بالطوب، ولكنه لما زاره بعد شهور ألفاه قد ترك البناء واتخذ لنفسه خيمة في الحديقة، وقد علل الأخ لأخيه القس أسباب تركه للبيت أنه وجده رطباً بارداً!.

ونوري الخيام الأصيل يفضل حياة الهواء الطلق، وهو في الشتاء يرى أنه إذا سكن عربة من العربات فكأنه سكن قصراً فيه كل وسائل الراحة والترف.

والنور الرحل لهم عاداتهم ومميزاتهم التي ترجع إلى عهود بعيدة، ومن تلك العادات ما هو متصل بمسائل الزواج. وأول مراسيم الزواج عندهم مراسم الخطبة، وهي تتم إذا حسنت فتاة نورية في عين فتى نوري. أو إذا تم اتفاق مشترك بين أهلها وأهله.

وفي انجلترا يجوز للفتاة النورية أن تبدأ التقرب إلى الفتى عامدة، وهي تعبر عن رضاها عن اختارته بأن تعطيه

بيدها خيطاً أو حبلا أحمر . أو بأن تلقى عليه من فوق سور من الأسوار كمكة فيها نقود .

وفى شرق أوربا يقال إن الفتاة لا تبدى رأياً قاطعاً إلا إذا استطلعت « طوالع » المستقبل ، وذلك بأن تذهب إلى مفترق الطرق ، وهى تدعو ربها أن ترى فى الرؤيا صورة زوجها العتيد .

وفى أثناء مراسم الخطبة تشك إصبعها الخنصر من يدها اليسرى بإبرة فيسيل الدم على الأرض . ثم تجمع بعد ذلك التراب الذى اختلط بالدم وتلقى به فى النهر ، وذلك لئلا تجيء الأرواح الشريرة فتلعق الدم فتحل عليها اللعنة .

وإذا كان الخاطب هو البادىء بالخطبة فعليه أن يشترى منديلين أحمرين ، يعلقهما فى سترته . فإذا قبلت الفتاة التى أحبها منديلا من المنديلين كان ذلك علامة الرضا وإيذاناً بالقبول .

وإذا زار فتى من الفتيان خيمة ليغازل فتاة قد سبق أن وعد بها فتى آخر ، سارعت الفتاة إلى إعلانه بحقيقة الأمر ؛ وذلك بأن تترك أهلها وتجلس بعيداً ، وتحل ضفائر شعرها وترخيها حولها ثم تغطى وجهها بيديها .

وتتم مراسم الخطبة أمام الشهود بطريقة هى آية فى البساطة ، وذلك بأن تشرب الفتاة من قدح ثم تناوله إلى حبيبها ، فإذا شرب منه عُد هذا عهداً وميثاقاً بين زوجين ، وقد يستبدل بالقدح أن يأكل كلاهما من كعكة واحدة .

وفى أسبانيا إذا بلغت الفتاة الرابعة عشرة من عمرها ، وبلغ الفتى هذه السن أو جاوزها قليلاً اتفق أهل الفتى وأهل الفتاة على خطبتهما ؛ ولكن الزواج لا يتم إلا إذا بلغ كلاهما السادسة عشرة .

وقد قال بعض النَّور الذين جاءوا إنجلترا قبيل الحرب العالمية الأولى إن من عاداتهم أن يدفع أهل الفتى لأهل الفتاة مهراً ، فيجيء والد الفتى إلى مخيم أهل الفتاة معلناً أنه فقد بقرة ، فيجيبه والد الفتاة : يمكنك أن تحصل على بقرة أخرى لقاء مال تدفعه ! فإذا اتفق الطرفان دفع المهر وحدد تاريخ الزواج .

وأن تكون الفتاة بكراً قبل الزواج مسألة يحرص عليها النَّور أشد الحرص ، وهم فيها من المتزمتين وقوم الفتاة يمانعون كل الممانعة فى أن يلتقى الخطيبان قبل الزواج ، فلا تخرج الفتاة مع فتاها ، ولا تسمح له بتقبيلها قبل الدخول بها .

ومن العادات الباقية بين النَّور فى إسكتلندة أن يضع حد الفتاة أو زعيم قومها يده فى يد الفتى ، وفى حضرة الشهود ، فوق ملقط من ملاقط النار ، ثم يتلو دعاء قصيراً معلناً أن الفتى والفتاة قد أصبحا زوجين . وفى إرلندة يمسك الفتى بيد الفتاة ثم يقفزان معاً فوق صندوق فيه أدوات تبييض النحاس . وفى إنجلترا وويلز يلزم العروسان بمكنسة أو يؤمران بالقفز فوقها واحداً تلو الآخر ، وذلك لأنهم يظنون أن قش المكنسة جالب للحظ .

وقد عرف النَّور فى الزمن الأخير نظام تعدد الزوجات ونظام زواج المتعة . وهم يحتفلون بالطلاق احتفالهم بالزواج . وفى إسكتلندة يستتبع وقوع الطلاق ذبح حصان يدور الزوجان حوله من الشمال أو فى عكس اتجاه الشمس .

ومن عاداتهم أن يحتفلوا بالمولود احتفالاً تاماً . وأول شيء يدثرون به الطفل ساعة مولده يكون فى العادة من ثياب والده . ثم يلبسونه ثوباً أعد خصيصاً له . ثم يحرقون هذا الثوب باحتفال بعد قليل — وفى العادة بعد تعميده — ثم يرفعه الوالد بين يديه ويضع حول رقبته خيطاً أحمر كتعويذة تقيه شر العين الحاسدة .

وتظل أم الوليد ثلاثين يوماً لا تعمل عملاً ولا تذوق طعاماً أكل منه الآخرون . ولا تستعمل آنيتهم . ثم تكسر الآنية التى كانت تستعملها هى أيام اعتزالها الناس .

ويحتفل النَّور بالمولود يوم يستحم لأول مرة ، ويوم يقص شعره ، وهذا الشعر يحرق اتقاء للحسد .

وإذا ولد الطفل ميتاً أو مات بعد قليل من ولادته ظل القوم تسع ليال يصبون اللبن فوق قبره .

ومن عاداتهم إذا جاء أحدهم الموت أن يشقوا شقاً فى الخيمة ليخرجوه منه ، وذلك خوفاً من أن تجيء روحه من الباب فتقض مضاجع الباقين . ثم يسارعون إلى اهق الشق اتقاء وقوع المصائب .

والنساء يغسلن الجثة بالماء والملح ، ثم يسقين هذا الماء للماشية لتزداد قوة ووزناً كما يزعمن .

والمظنون أن النور كانوا يحرقون جثث موتاهم ، ولكن هذه العادة قد بطلت منذ زمان بعيد . غير أنهم لا يزالون

يحافظون على عادة حراسة الجثة . ويتناوب الحراس الحراسة كل بضع ساعات فى الليل والنهار ، وإذا جاء الليل وضعوا مصباحاً فوق الجثة حتى الصباح . ويظل الحراس طوال الليل يتحدثون عن فضائل الميت ويعددون مناقبه .

ومن عادات بعض النوبيين أن يدفنوا موتاهم فى مكان سرى ، وأن يلبسوا الملابس الحمراء علامة الحداد ، أو أن يكتفوا بشريط أحمر يضعونه فى سترتهم . وهم يزينون نعوش الموتى بأشرطة حمراء .

ونساء النوبة فى إفريقيا يزرن قبور موتاهن مرة فى كل عام . وتتم هذه الزيارة عادة قرب حلول عيد ميلاد المسيح .

وهم يوقرون موتاهم . وإذا أقسم نوبى بواحد من أسلافه كان هذا القسم قسماً ملزماً لا يجوز الحنث فيه ، وإلا حلت به المصائب .

وهناك عادة قديمة لا تزال باقية إلى اليوم ، وهى أنهم يجمعون كل ما خلفه الميت ثم يدمرونه تدميراً بعد الدفن ، وذلك مخافة أن تعود الروح فتبحث عن تلك الأشياء ، أو رغبة فى إراحة الميت — كما يزعم بعضهم — من كل ما يربطه بهذه الدنيا . حتى إذا بلغ الدار الآخرة حمل معه كل ما يحتاج إليه هناك .

ويبدو أن حرق أشياء المتوفى هو بقية من تلك العادة التى كان عليها أسلافهم ، وهى عادة حرق الجثة .

وقد شوهدت حالات كانت الخسارة فيها عربات لا يقل ثمن الواحدة منها عن ثمانين جنيهاً ؛ فقد حرقت تلك العربات بما فيها بعد أن تهشمت الأوانى الخزفية ، وبعد أن حرقت القدور والحلل . وبعد أن جىء بسرج الحصان فقطع ومزق .

وبعض جماعات النوبيين يكتفون بحرق فراش الميت وملابسه ، ومن عاداتهم فى بلاد الشرق الأدنى أن يوقدوا النار كل سبعة أيام مرة ، وأن يظلوا عاكفين على إيقاد تلك النار عاماً كاملاً ، وهم يقولون : إن الروح يوم تبدأ رحلتها إلى أرض الموتى يتحتم عليها أن تجتاز سبعة جبال وسبع صحارى ولا بد لها أن تواجه فى طريقها رخاً صغيراً ... ، وفى هذا الطريق الذى يبعث الرعب والفزع يرابط ثعبان هائل وهذا الثعبان يجب أن يسترضى أو أن تحيد الروح عن طريقه .

وهكذا ترى النوبيين — حتى بعد موتهم — كلهم مخاطر مقدام ...

مبارك إبراهيم

الإدارة الثقافية

لجامعة الدول العربية

تدعو رجال الفكر فى العالم العربى إلى مسابقة عامة فى التأليف

تعيد الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية الإعلان عن مسابقتها الجديدة فى التأليف ، التى يستطيع أن يشترك فيها رجال الفكر والثقافة فى العالم العربى وموضوعها :

« المشاكل التى تعوق العالم العربى عن التقدم فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والأخلاق » . وذلك بالشروط الآتية :

١ — أن يقع البحث فى نحو ٣٠٠ صفحة من الحجم المتوسط وأن يكون مكتوبا باللغة العربية الفصحى .

٢ — أن يرسل البحث المقدم للمسابقة إلى الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية (١٠٢ شارع فاروق الأول بالعجوزة — الدقى) فى موعد غايته آخر أكتوبر ١٩٥٢ .

٣ — أن تكون نسخ البحث المرسلة مضروبة على الآلة الكاتبة أو مكتوبة بخط واضح .

٤ — يعطى صاحب البحث الفائز فى المسابقة مكافأة قدرها ٤٠٠ جنيه (أربعمائة جنيه مصرى) على أن تترك له الإدارة الثقافية حق طبع بحثه ، فى مقابل تعهده بتسليمها ٢٠ ٪ من نسخ كل طبعة

٥ — يجوز لصاحب البحث المقدم أن يتخذ لنفسه إمضاء مستعاراً إذا رغب فى ذلك ، على أن يبعث باسمه الحقيقى فى ظرف مغلق .

٦ — تظهر نتيجة المسابقة فى موعد لا يتجاوز آخر يناير سنة ١٩٥٣ .

أغاني الشحاذين

— ٣ —

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

.. ويغنّي المدّاحون جملة من القصص التي تتصل بالسيرة النبوية ، وتروى بعض المعجزات والخوارق التي تنسب إلى النبي وإلى أصحابه ، على أنها لا تتصل بسند صحيح عند علماء الحديث والآثار ، ورواة التاريخ والأخبار ، فعلماء الدين يردونها وينكرونها ، وينظرون إليها من هذه الناحية نظرة الاستهانة والامتهان ، وليس موقع الصدق في هذه القصص مما يعنينا هنا ، ولكنا نعرض لها من الناحية الفنية فيما تمثله من المعاني الإنسانية ، وما تصوره من الحقائق النفسية ، وما تعرضه من المظاهر والدلائل الماثلة في البيئة الإسلامية ، وهي في هذا كله جديرة بالنظر والعرض ، والدراسة والبحث ..

وأكثر هذه القصص ذيوعاً وشيوعاً قصة « الجمل والغزالة » ، وهي قصة موضوعة قطعاً ، ويبدو لي أنها وضعت في البيئة الإسلامية بعد أن وقف العرب على أحاديث الحيوان والطير في آداب الهند وقصصهم ، وتتألف هذه القصة في بنائها من منظرين متشابهين ، يمثل الدور في الأول الجمل ، وتقوم بالدور في المنظر الثاني الغزالة ، والغاية في الدورين واحدة ، يراها القارئ واضحة فيما نعرض عليه من واقع القصة .

تبدأ القصة فتذكر أن النبي كان جالساً مع الصحابة ، فمثل بين يديه جمل أسقمه المرض والهزال وأخذ يشكو إليه ، ويستجير به ، فقد كان في شبابه قوي العزم ، ينهض بحمله مهما يكن ثقيلاً ، وكان صاحبه يبالغ في إكرامه ، ويفتخر به عند قومه وأصحابه ، ثم نزل به المرض فضعف حاله ، وبدا هزاله ، وأصبح لا يصلح لعمل ، فعزم صاحبه على أن يبيعه للجزار ويخلص منه ؛ فاجتمع عليه من هذا همان : هم المرض ، وهم الخوف من الذبح ، واستبدت به حسرتان : حسرة على قوته وشبابه ، وحسرة على صاحبه وقلة وفائه ، ولو كان له قلب رحيم لأشفق عليه في مرضه ، وزاد في العناية به أضعاف ما كان يبذله له وهو قوي ؛ فطيّب النبي خاطره ، ووعده بأن يجيره من جحود صاحبه ، ويخلصه من همومه وأحزانه ، ثم نهض عليه الصلاة والسلام ونهض الصحابة معه إلى بيت اليهودي صاحب الجمل ، وطرق بلال الباب ؛ فخرجت جارية مليحة ولكنها مفقوءة العين ، فسألها النبي عن سيدها فقالت هو بالبيت ، فسألها عن السبب فيما نزل بعينها ، قالت إنه أثر لطمة عاتية من سيدها ، فمسح عليها النبي فعادت عينها كما كانت ، فانطلقت تزغرد وتخبر سيدها بما جرى ، فقال سيدها : إنه لابد أن يكون هذا ساحراً أتى إلينا ليخدعنا بسحره ، ثم يخرج ، فيحدثه النبي بقصة الجمل وشكواه ، ويطلب منه أن يجيره من شكواه ، وأن يعود إلى سابق بره به ، ولكن اليهودي يرتاب في أن الجمل ينطق ويتكلم ، ويقول إن نطق الجمل يامحمد « أنا أعتنقه وأصلي وأصوم » . ثم يتغير المنظر فجأة في القصة ، إذ ينظر النبي فيرى غزالة في شرك اليهودي تبكي وتستغيث ، ويسألها النبي عن حالها ، فتقول إن اليهودي صادها وهي تبحث عن القوت لأولادها ، وقد فارقتهم ثلاثة أيام كاملة وهم على الطوى ، وتسأله أن يضمنها عند اليهودي حتى تذهب فترضع أولادها وتعود ، وبعد حوار عنيف بين النبي واليهودي ، يقبل اليهودي أخيراً ضمان النبي للغزالة على أن تذهب لرؤية أولادها وتعود وهو موجود ، وتذهب الغزالة إلى أولاها وتحدثهم عن حالها ، وتتعجلهم في أن يرضعوا حتى تسرع بالعودة إلى اليهودي لأنها جاءت بضمان النبي . وهنا تبدو في القصة وثبة من وثبات الخيال ، إذ ما كاد أولاد الغزالة يعرفون أن أمهم جاءت إليهم بضمان النبي حتى يحرموا ليها على أنفسهم ، ويطلبوا منها أن تسرع بالعودة حتى لا يبقى النبي المصطفى مربوطاً بضمانها عند يهودي فظ غليظ القلب ، فتودعهم أمهم وداعاً أليماً يثير كوامن الشجون ، وتعود إلى حيث كانت في أسر اليهودي ، ولكن على الرغم من كل هذه الدلائل فإن اليهودي لا يرق ولا يلين ، ويصرّ على أن

يتكلم الجمل حتى ينظر فى حاله ، فما يتم كلمته حتى ينطلق الجمل بين يدى النبى فيروى قصته ويبث شكواه ، فلا يلبث أن يذعن ويشهد أن محمداً سيد المرسلين . وتنتهى القصة بأن يسلم اليهودى ويحسن إسلامه ، ثم يطلق الغزالة من إساره ، ويعتق الجمل من سوء حاله .

هذه هى قصة الجمل والغزالة ، وهى أكثر ما يغنى به المداحون ، ونكتفى بإيرادها مثلا ونمطا من ذلك القصص الكثير الذى يغنونه عن السيرة النبوية ، والإشادة بمكارم النبى صلى الله عليه وسلم ومحامده ، مثل قصة « اليتيم المظلوم » وقصة « قميص النبى » وقصة « عامر اليهودى » وقصة « انشقاق القمر » . إلى آخر ما هنالك من القصص التى يطول سردها واستقصاؤها ، على أنه متشابه فى وضعه وفى مغزاه ؛ وهنا لا بد من أن أشير إلى معنى مشترك يلاحظه الباحث فى تلك القصص ، وهو معنى له مغزاه ودلالته ، ذلك أن البطل فيها غالباً ما يكون يهودياً ، ودائماً تصف هذه القصص اليهودى بالعناد والمكابرة والخداع والمخاتلة ، والشح والتقتير ؛ وسواء أكانت هذه القصص قد وضعت فى زمن متقدم أم فى زمن متأخر فإنها بهذا تمثل حقيقة من نواحى الدور الذى اضطلع به ذلك العنصر العنيد المتشبث بتقاليده فى البيئة الإسلامية ، وإنها لحقيقة لما تزل قائمة لم تغير الأيام منها أى شىء .

وتأتى بعد هذه الطبقة من القصص التى تتصل بالسيرة النبوية ومعجزات النبى طبقة أخرى تتصل وقائعها بالصحابة والتابعين ، مثل قصة « معاذ بن جبل فى بلاد اليمن » وقصة « وفاة سيدنا عمر » وقصة « خاتم على بن أبى طالب » ، وتختص السلسلة العلوية من آل البيت بجانب كبير من هذه القصص التى تتحدث عن مناقب الحسن والحسين وزين العابدين وغيرهم ؛ ومن الواضح أن هذه القصص إنما هى أثر من آثار التشيع للعلويين ، ذلك التشيع الذى كان له أثره العميق فى كل نواحى الثقافة الإسلامية .

ثم تأتى الطبقة الأخيرة من قصص المداحين ، وهى طبقة خاصة بالأقطاب من أهل الولاية فى مصر ، وأشهر هذه القصص « قصة السيد البدوى مع فاطمة بنت برى وما جرى بينهما من غرائب الأحوال » و « قصة الأميرة خضرة الشريفة وما جرى لها فى بلاد النصارى وكرامة السيد البدوى حين أتى بها » وقد تحدثت عن هاتين القصتين فى شىء من الإفاضة والتحليل فى الكتاب الذى وضعته عن « السيد البدوى » وناقشت آراء المستشرق « جولد سهير » وغيره من المستشرقين فى قصة « بنت برى » وأثرها فى حياة السيد ، فليرجع القارىء إلى ذلك إذا شاء ؛ على أنى سأعود فيما بعد فأتحدث عن قصص « السيد البدوى » من ناحية خاصة بما يقتضيه سياق البحث واستيفاؤه .

ومن القصص التى تتصل بالأولياء وكراماتهم ، « قصة سيدى إبراهيم الدسوقى وماجرى منه من العجائب والغرائب والكرامات » وقد كتب على هذه القصة أنها من « نظم ولى الله المجذوب الشيخ طاهر بن يعقوب » وهى القصة الوحيدة التى قرنت باسم مؤلف من بين جميع هذا القصص ، ولكن يظهر أنه مؤلف منحول ، وأن هذا الاسم قد وضع على القصة للتشويق بقراءتها ، أما وقائع القصة فإغراق فى التهويل والمبالغة إلى أبعد مدى . فهى تزعم أن مغاضبة وقعت بين إبراهيم الدسوقى وأمه فى سؤالها عن حاله ، واستنكارها لسلوكه ، فما كان منه إلا أن حملها بين يديه وطار بها إلى السموات ، وهناك أخذ يطالعها بمعارض النار والجنة وما فيهما من طوائف المعذبين والمنعمين ، فتسأله عن كل نار من النيران ، ولمن أعدت من المذنبين ، فيخبرها بذلك فى حوار متسلسل طويل يستغرق جانباً كبيراً من وقائع القصة ، ويتقصى كل ما يقع بين الناس من الذنوب والشهوات ، ومن ثم جاءت هذه القصة أروع ما تكون فى وعظ العامة ، وأقرب ما تكون فى الدخول على نفوسهم بالزجر والردع عن المعاصى . وليس من شك فى أن واضع هذه القصة قد جرى فيها على نمط قصة المعراج ، وتأثر بوقائعها إلى حد كبير ، وكذلك كان لقصة المعراج أثرها وشأنها فى الأدب الشعبى للعامة كما كان لها أثرها وشأنها فى الأدب العالمى للخاصة ؛ فمن هذه القصة استمد أبو العلاء المعرى الفكرة فى قصته الخالدة « رسالة الغفران » ، كما استوحاها ابن شهيد الأندلسى فى قصته « التوابع والزوابع » وهى كذلك الفكرة التى حلق بها « دانتى » الشاعر الإيطالى فى « الكوميديا الإلهية » .

وبعد ، فأحسبنى قد استطعت أن أقدم إليك صورة عن مواكب المداحين وأغانيهم ، فإلى المقال التالى حيث نسير فى موكب طائفة أخرى من أولئك الشحاذين ، ولعلها أن تكون أطرف وألطف .

محمد فهمى عبد اللطيف

فاوست : أهو حقيقة أم خيال !

[نشرت لي « الثقافة » في عدديها ٦٥٠ ، ٦٥١ بحثاً عن فاوست بجزئيه ، لجوته . ورأيت أخيراً إكمالا للفائدة أن أضم إلى هـذا البحث بحثاً آخر في تاريخ أو تطور خرافة فاوست منـذ ظهورها حتى تناولتها يراعة الشاعر الألماني] .

— ١ —

للأستاذ إدوار منسى

لمحة عن خرافة السحر : قبـل أن نمضى فى عرض قصة فاوست الأصلية نرى أن نذكر كلمة عن خرافة السحر ؛ ولهذا سنعود إلى العصور التى زغت فيها الآداب ، وحتى هناك سنجد أن الاعتقاد فى السحر كان موجوداً متوارثاً عن عصور ماضية أخرى لم تدون أخبارها ، نشأت خلالها أولى جراثيم هذه المادة التى أخصبت ونمت فى مخيلة الساحر الذى بفضل حيل مختلفة كان فى إمكانه أن يستميل الآلهة والشياطين والقوى فوق الطبيعية إلى خدمته ، وبواسطتها كان يحول مجرى الطبيعة عن مسيرها المعتاد ؛ ونكتفى بالتصريح إلى ذيوع الاعتقاد فى السحر بين اليهود والإغريق والرومان ، وإلى ما كان موجوداً فى عصر ما قبل التاريخ .

لم يكن هـذا الاعتقاد فى الواقع سوى النتيجة الطبيعية للدين ، إن لم يكن روح الديانة البدائية نفسها ؛ فقد كان الكاهن أول ساحر . وفى البدء لم تكن ممارسة هذا السحر تحمل فى أطوائها هـذا المقت الذى لحق بها فى الأزمنة التى جاءت بعد ذلك . ثم جاء الإغريق والرومان فنظروا إلى السحر بعين الريبة والشك ، وكان هـذا لأسباب خلقية ، ككونه دافعاً للشر محرضاً عليه ، أكثر من الأسباب الدينية ككونه مناهضاً للآلهة مثلاً . أما بين اليهود وهم يدينون بديانة الإله الواحد ، فقد كان السحر يعتبر نوعاً من عبادة الأوثان ، ومن ثم نبذوه ، وغدا هـذا العداء للسحر منذ فجر المسيحية ، وسمى بـ « عبادة الشيطان » ، إذ كان المسيحيون الأولون يشبهون آلهة الأوثان بالشياطين .

وقائمة السحرة التى تتحدث عنها الخرافات فى عهد المسيحية طويلة جداً ، ولـكن ثلاثا من أساطير السحر فى أوائل هـذا العهد تستحق الذكر لتشابهها فى نقاط معينة بخرافة فاوست . أما موضوع أولاها فقد تسلسل عن : « سيمون » فى « أعمال » بالـكتاب المقدس ، الأصحاح الثامن : « وكان قبلاً فى المدينة رجل اسمه سيمون يستعمل السحر ويدهش شعب السامرة قائلاً إنه شيء عظيم » ، إذ ظهرت فيما بعد أسطورة أخرى شغلت أكثر بهـذا السيمون ، مدخلة على قصته خطوطاً وملامح جعلت الشبه بينه وبين فاوست الخرافى قريباً جداً بحيث اعتقد الـكثيرون أنه أصل فاوست الحقيقى .

أما الخرافتان الأخريان فتظهران لنا الأسطورة بما أضيف إليها من فـكرة إبرام العقد مع الشيطان ، وهما : خرافة « سيبريان » ، وخرافة « تيوفيلس » ، وترجعان إلى القرنين الرابع والسادس الميلاديين على التوالى . ولـكن واحدة من هاتين الخرافتين لم تذكر شيئاً عن طبيعة هذا العقد الشيطانى الذى تميز به فاوست العصور الوسطى . أما سيبريان الذى كان وثنياً كفاوست فى جريه وراء جمع المعارف ، فقد اكتسب قوة بإبرامه عقداً مع الشيطان ؛ ولـكنه اكتشف ضعف حليفه أمام جبروت الدين وبأسه ، وسرعان ما تحول إلى المسيحية ومات شهيداً . وكان تيوفيلس على العكس من سابقه مسيحياً . وإذ خابت مطامعه فى المسيحية انسلخ عن الإيمان بكتابة وثيقة مع الشيطان موقعة بدمه . ولـكنه ندم للحال واستغاث بالعذراء التى استردت العقد من الشيطان وأعادته إليه .

وحتى هذه الخرافات لا تؤكد أنها الأصل المباشر لخرافة فاوست . وعلى أى حال فهى ، فضلاً عن عديد غيرها تماثلها ، قد ساهمت دون شك فى بلورة فـكرة « العقد مع الشيطان » التى عاصرت مسيحية القرون الوسطى ، وبقيت

قوية الحياة فى القرن السادس عشر الميلادى بألمانيا البروتستانتية حيث ولدت فى أحضانها خرافة فاوست .

* * *

تطور خرافة فاوست : سنحاول الآن اقتفاء أثر هذه الخرافة وتفصيلها تفصيلاً أدق ، إذ قبل أن تهبها عبقرية جوته « رخصة » أبدية للحياة ، مع إعطائها معنى أعمق ، كانت قد تمتعت بالذيوع والشهرة بين الناس .

تعود خرافة فاوست إلى عام ١٦٢١ ، أى أقل من خمسين عاماً بعد نشر « كتاب فاوست » الأول ، حينما أذاع اللاهوتى شيكارد أن قصة فاوست ماهى إلا خرافة مخترعة لتخويف الناس من ممارسة السحر . وكان اللاهوتى ذرّ أول من قال عام ١٦٧٦ إن « الفنان الأسود ، فاوست » هو نفسه « جوهان فَسْت » الذى يرتبط اسمه باختراع الطباعة فى القرن الخامس عشر ، وعارض هذه الفكرة لاهوتى ثالث ، نومان ، الذى أخذ على عاتقه عام ١٦٨٣ مهمة تحقيق هذه المسألة ، وقد أثبت بالبرهان وجود فاوست تاريخى ... ولكنه انتهى بقوله إن حياة فاوست ليست خرافة كلها ، وليست تاريخاً كلها ، ولكنها بين هذا وذاك ؛ ولقد ساد هذا الاعتقاد عموماً حتى زمننا هـذا الحديث ، ولكن محاولة المطابقة بين هذا المشعوذ وجوهان فست — الاسم الذى قد يطابق فاوست الألمانى الحديث — كانت أكثر انتشاراً وقبولاً .

وقد ألمع دانييل ديفو فى « التاريخ السياسى للشيطان » عام ١٧٢٦ إلى هذا الموضوع : « كان جون فاوستس خادماً أو أجيراً أو صفافاً لأحرف الطباعة عند كوستر ... وما إن أتم طبع « المزامير » حتى هرع إلى باريس لبيعها كمخطوطات ، إذ أنها بذلك تعود على صاحبها بالربح الوفير وإذ لم يستطع المتعلمون هناك فهم سر هذا العمل العجيب انتهوا بنسبته إلى الشيطان . أما الرجـل فكان فى زعمهم « ساحراً » أو مشعوذاً أو واحداً من هؤلاء الذين يعملون بالفن الأسود ، أى بمساعدة الشيطان ؛ ومن ثم أدانوه ، وحوكم أمام محاكم الجنايات التى ما لبثت أن أثارت فى العالم حوله ضجة ، ورفعت من شهرة جون فاوستس المسكين إلى ارتفاع شاهق مخيف ، حتى اضطر فى النهاية إلى كشف القناع عن سر مخطوطاته صوناً لرقبته من المقصلة » .

هذا هو الأصل الحقيقى ، كما يقول دانييل ديفو ، للدكتور فاوستس المشهور ، فى حين لم يكن فاوست دكتوراً ، ولم يكن يعرف عن الشيطان أكثر مما يعرف عنه أى إنسان آخر .

وتبع هـذا بحث قام به كارل سيمروك ، أحد الثقات الألمان عام ١٨٧٤ ، محا به كل شك فى حقيقة وجود فاوست تاريخى وجدير بالذكر هنا أن هـذا الثقة كان ما زال متمسكا بأن خرافة فاوست تبدأ بعامل الطباعة فَسْت ، وأكد إمكان إثبات هـذه النظرية على الضوء الذى ألقته الحادثة التى رواها دانييل ديفو على هذا الموضوع .

يقول كارل سيمروك إن أقدم مرجع لفاوست التاريخى يوجد ضمن مجموعة خطابات المؤرخ ترتنهايم ، وقد نشرت عام ١٥٣٦ ، ومن بينها رسالة ترجع إلى عام ١٥٠٧ موجهة إلى صديق كان يستفسر منه — من ترتنهايم — عن شخص يدعى چورچيس سابلليكس .

ذكر ترتنهايم فى خطابه : « كان چورچيس سابلليكس يلقب نفسه (فاوستس الصغير) زعيم السحرة والعرافين ، الساحر الثانى ... » . ولم يكن هذا الدعى المتعاظم سوى واحد من طلاب العلم المتجولين (Strolling Scholars) الذين كانوا يعيشون على فطنتهم وذكائهم ، أما أنه كان يلقب نفسه « فاوستس الصغير » ويدعى أنه « الساحر الثانى » فيوحى بأن اسم فاوستس كان مشهوراً فى عالم السحر قبل أن يتخذه لنفسه اسماً . وهكذا أعاد كارل سيمروك عامل الطباعة فست أو فاوست إلى الوجود محاولاً إقحامه على خرافة فاوست ، مؤكداً أنه فاوست الأول الذى ذاع اسمه كساحر إبان محاولته بيع مخطوطات المزامير بباريس ، كما ذكر دانييل ديفو .

ويستمر كارل سيمروك فى أبحاثه فيقول . إن طالباً يدعى چوهانس فست ، أدرج فى قائمة كلية الفلسفة بجامعة هيدلبرج عام ١٥٠٥ وتخرج منها عام ١٥١٠ ؛ ولكنه لم يصل إلى دليل دامغ يثبت نسبه أو عدمه إلى فاوست الحقيقى .

ووجد فى سجل حسابات أبروشية بامبرج عام ١٥٢٠

هذه الكلمة : « لقد أعطيت ثمانية عشر جلدن(*) إلى الدكتور فاوستس ، الفيلسوف ، كهدية ... » ، ولكن هل يمكن أن ينطبق على فاوست مثل هذا التكريم والاحتفاء أينما حل ؟!

وعثر فى قلم الملفات القضائية بباڤاريا العليا على تقرير يقول إنه « فى يوم الأربعاء — بعد القديس ڤيتوس ، ١٥٢٨ — طُلب إلى أحدهم ويدعى دكتور چورج فاوستس أن يبرح المدينة (إنجولستاد) ... » .

وكتب چواكم كاميراريس رئيس جامعة توبنچن إلى صديق له عام ١٥٣٦ يقول : « لقد أنحى علىّ صديقى فاوست باللائمة لأنى أتحدث إليك عن هذه الأشياء ، ألم يكن من الأفضل أن يعلمك شيئاً من فنه .. ؟ » .

وسجل فيليب بيجاردى ، طبيب مدينة وورمز فى فهرسه الصحى عام ١٥٣٩ : « ابضع سنوات خلت كان يتنقل فى معظم أنحاء البلاد ... وذاع اسمه بين الناس ، وكان يفخر بفنه العظيم ليس فى الطب فقط ، بل فى علم الكف والفراسة والتنجيم وما إلى ذلك من الفنون ... وقد صرح هو نفسه دون إنكار أنه يدعى فاوستس . . »

وروى راعى بال ، جوهان جاست ، عام ١٥٤٨ ، الحقائق التالية : « بخصوص العراف فاوست ، إنه يأوى قرب المغرب إلى دير غنى معين . . وقدم إليه أحد الإخوة ذات مساء نبيذاً عادياً مشكوك الجوده . فسأله فاوست أن يأتيه بنبيذ أجود من برميل آخر ... فقال الأخ : لست أحتفظ بالمفاتيح ، ورئيسى نائم ، وإنها لخطيئة أن أوقظه . فأجابه فاوست : ها هى ذى المفاتيح ملقاة فى زاوية الغرفة . خذها وافتح هذا البرميل على اليسار وأتنى بشراب . ورفض الأخ بحجة أن رئيسه يمنعه من تقديم أى نبيذ آخر إلى الضيوف . وعندما سمع فاوست هذا قال بغضب : سوف ترى العجب أيها الأخ غير المضياف ! ورحل فاوست عند فلق الصبح وهو يفور غضباً دون أن يودع مضيفه ، وأرسل إلى الدير روحاً شريرة هائجة ما لبثت أن ملأته بالضجيج نهاراً وليلا ، إذ جعلت تطيح بكل شىء فى الكنيسة وغرف الرهبان بقصد إقلاقهم وإزعاجهم ... »

(*) جلدن : عملة ذهبية أو فضية كانت متداولة فى ألمانيا فى العصور الوسطى .

وذكر مانليس عام ١٥٦٢ عن ميلانشتون المصلح الكبير أنه ، أى ميلانشتون ، كان يعرف شخصاً يدعى فاوست ، من كندلنج ، تعلم فن السحر بينما كان يطلب العلم فى كراكو ، وكان يطوف بالبلاد متحدثاً عن أشياء غامضة . وحينما كان آخذاً فى عمل عرض بڤينيسيا قال إنه يمكنه التحليق فى السماء ، وتبعاً لذلك رفعه الشيطان عالياً ثم ألقى به على الأرض فاقد الحياة ، ومع ذلك فقد عادت إليه أنفاسه للتو !

وبعد أعوام قليلة من هذا الحادث كان هذا الجوهانس فاوستس جالساً بكآبة فى آخر يوم له بقرية من قرى دوشى من أعمال وتنبرج . فسأله مضيفه عن سبب حزنه ، وما عتم أن أجابه : أرجو ألا أراك مفزّعاً هذه الليلة ! وفى منتصف الليل زلزل المنزل . وعندما انتصف نهار اليوم الثانى ولم يظهر فاوست وجده المضيف بحجرته ملقى إلى جانب فراشه ووجهه ملتو إلى ظهره ... وتسلل هذا الرجل ، فاوست ، إلى مدينة وتنبرج ، بينما كان الأمير الدوق جون قد أصدر أمره بالقبض عليه . فتابع فاوست هروبه إلى نورمبرج ، وهناك عندما بدأ تناول إفطاره ، تملكته رعدة كبيرة ، فنهض للتو وأدى إلى مضيفه ثمن طعامه ، وما إن هم بمغادرة الدار حتى أطبق عليه البوليس .

وتقول القصة التالية المأخوذة عن كتاب نشر عام ١٥٦٨ وضعه دكتور چوهانس وير : إنه قد ألقى القبض على هذا المحتال ، فاوست ، فى باتنبرج . وفى غياب البارون هرمان كان يعامله قسيسه بلطف ، وقد وعده فاوست بتلقينه بعض المعارف فى مختلف الفنون . حينئذ قال القسيس عرضاً — وكان طيباً بسيط العقل — إنه يريد حلاقة لحيته . فقال فاوست : إنه يعرف طريقة يتخلص بها من لحيته دون استعمال الموسى ، وهى أن يحك ذقنه بالزرنيخ . لم يشك القسيس فى كلام فاوست . وما إن فعل كما أشار عليه الأخير حتى أحدث الزرنيخ التهاباً ليس فقط فى شعر لحيته ، بل فى جلده ولحمه أيضاً ... فاحترقا ! ووجد فاوست بعد ذلك فى قرية من قرى دوشى ميتاً بجانب فراشه وقد التوى وجهه إلى الخلف . ويقال إنه حدث فى الليلة السابقة زلزال ...

ويروى ناظر مدرسة فى جوسلار : أنه أخذ عن فاوست طريقة إدخال إبليس فى قمقم . وعندما قام بمحاولته ظهر له

شيطان قبيح المنظر بعينين يخرج منهما لهباً ، وأنف ملتو كقرن البقرة ، وبنابين طويلين كنابي الخنزير ومخلبين كمخلبي القط ... وبالجملة ذو منظر مرعب كريه يغشى على الناظر لساعات طويلة وعندما أفاق وعاد إليه بعض حواسه كان أصفر اللون مبلبل الفكر . وكان يهذر ويتمتم بأصوات مخيفة كما لو كان مختل العقل وعاد إليه نطقه في نهاية العام ، وأقسم ألا يعود إلى مثل هذا العمل مرة أخرى قط .

وفي مخطوطة ترجع إلى عام ١٥٨٠ ، كتب وحاربإس هوحال عن الفترة حوالى عام ١٥٥٠ بخصوص الساحر الشهير دكتور فاوست قائلاً : إنه بالرغم من أنه كان يقيم في وتنبرج ، فقد كان بروحه القلقة يحب الطواف والتجوال . وقد قدم فاوست نفسه ذات مرة إلى جامعة أورفورت ، وسمح له بمحاضرة الطلبة في الشاعر الإغريقي هوميروس . وهكذا أتيحت له فرصة ذكر بريام ، ملك طروادة ، وهكتور ، أعظم محاربيها ، وآجاكس وبوليسيوس وأجاممنون وآخرين . وكان يُلح عليه في استحضار أرواح هؤلاء الخالدين ليطبق وصفه لهم على الواقع . وما عتم أن استحضر الواحد في إثر الآخر لعرضه على الطلبة الذين ما لبثوا أن استغرقوا في هذا الجو الإغريقي الصرف ؛ ولم يفيقوا في النهاية إلى أنفسهم إلا بعد جهد جهيد ! ثم أتى أخيراً بالعملاق بوليفيمس الذي كانت له عين واحدة مخيفة مستقرة في منتصف جبهته ، ولحية طويلة حمراء كالنار ؛ وكان يبتلع شخصاً تتدلى أمعاؤه من فمه ! فكان منظره مخيفاً مرعباً ، بحيث قفت لمرآه شعور الطلبة والحضور ! وعندما أومأ إليه دكتور فاوست بالذهاب ، تجاهله العملاق وضرب الأرض بسيفه الحديدي الهائل ، فارتجت الكلية أي ارتجاج ... حينئذ رحل العملاق !.

ومال الحديث في مناسبة أخرى مع جماعة من اللاهوتيين والمستشارين إلى الشاعرين القديمين بلوتس(١) وتيرنس(٢) فقال أحدهم : إنه لمن المحزن حقاً أن كثيراً من أعمال هذين الساكنين قد فقد . وكان دكتور فاوست ينصت إلى أحاديثهم ، فبدأ الكلام عن كلا الشاعرين ، وتلا خطباً مختلفة أكد أنها كانت توجد ضمن كوميدياتهم الضائعة ، وعرض عليهم إعادة جميع هذه الكوميديات المفقودة إلى العالم ، ووضعها أمامهم لبعض الوقت حتى يتسنى لهم نسخها إن أرادوا بعثها حية ، ولكن شبح الشيطان كان يهدد أفكار مستمعيه فلم يعضد اقتراحه أحد .

ويحكي أحد اللاهوتيين « لير شيمر » في مؤلف له ظهر عام ١٥٨٦ : أن فاوست كان جالساً بحانة بتندجن يشرب مع جماعة من أصدقائه ، وبدرت من صبي المضيف فعلة لم ترضه فهدده بالتهامه إذا كررها ! ولكن الخادم سخر منه : أنا كافٍ ، حقاً ؟ حينئذ فتح فاوست فكيه والتهم الصبي ! عندئذ احتج المضيف قائلا إنه يريد استرجاع خادمه وإلا أراه شأنه ! فطمأنه فاوست ، ونظر خلف المدفأة ... وهناك كان يرقد الغلام !

وأخيراً ... يروي لير شيمر نهاية الساحر الكريهة : « وصل فاوست إلى قرية وتبرج ذات مساء عابساً مهموماً ، إذ أن ساعته التي حددها له الشيطان حسب عقدهم قد دنت . ووجد في الحانة جمعاً من الفلاحين يقصفون ويصخبون . فسأل صاحب النزل أن يهيئ له غرفة منفصلة .. ولكن دون جدوى ؛ فكلما ازداد مكث الفلاحين تصاعد قصفهم وصخبهم . وكلما رجاهم أن يقللوا من ضجيجهم وأن يحترموا مرضه قليلاً ، تمادوا فيما هم فيه . ومن ثم سلط عليهم فاوست فنه وسحره . ففغر أفواههم وعقد ألسنتهم وأفقدهم النطق ! وطفق الفلاحون يلمحون ويشيرون إلى حجرة فاوست أن يتوسل الضيف إليه أن يعيد إلى ألسنتهم الكلام ! وعندما أطلق فاوست ألسنة الفلاحين من عقالها ، غادروا المكان . وفي منتصف هذه الليلة سمع صاحب النزل ضوضاء وجلبة في حجرة فاوست . وفي الصباح وجد فاوست ملتوي الرقبة ، مدلى الرأس من خلفه وراءه » .

* * *

ينتهي بنا كتاب لير شيمر إلى عام ١٥٨٦ . وهناك مراجع كثيرة سبقته ، غير ما أوردنا ، ولكنها عديمة القيمة ،

---

(١) بلوتس : شاعر كوميدي لاتيني (٢٠٠ — ١٨٤ ق . م .)

(٢) تيرنس : شاعر كوميدي لاتيني (١٩٢ — ١٥٩ ق . م .)

مسائل فى الأدب

للدكتور عبد الله الطيب

ليت قواعد الإنشاء تبيح لنا أن ندلى بآرائنا مرسلة بدون مراعاة للتمهيد والتبويب ووحدة الموضوع إلى غير ذلك من القواعد التى هى أنسب فى باب العلوم الجافة منها فى الأدب .

أريد أن أسأل عدة أسئلة . وأحسب أن وضع كل مسألة منها فى مقال ذى مقدمة ووسط وذيل — كأنه حشرة — يخرجها عن السؤالية .

ما هى قيمة النقد الأدبى ؟ سؤال ساذج .

النقد مسألة ذوق شخصى ، يضاف إلى ذلك عاملا الثقافة والبيئة . معنى هذا أن الناقد المفيد المطلوب فى كل زمان هو الشخص المثقف الذكى المرهف الحسّ ذو الذوق اللطيف . ولا أحسب المقاييس المعدية التى تسطر فيها الكتب الآن تكسب الإنسان معرفة بعلم اسمه النقد ، كما يكسبك كتاب فى الكيمياء علماً بالكيمياء . أليس الناقد الأدبى إذاً طفيلياً على مائدة الأدب كما عالمه طفيلى على مائدة العلوم ؟

وإذ نحن نتحدث عن النقد الأدبى ، فما هى « التجربة الشعرية » ؟ هل هى تجربة عملية ؟ قد تكون . ولكن لا أحسب النقاد يزعمون أنها عملية دائماً ، بدليل أن شكسبير مثلا ، لم يقتل الملك دنكان الاسكتلندى وقد كتب شعراً جيداً على لسان ماكبيث القاتل . وهذا الفرزدق قد ألقى بشانه المذبوحة جميعها إلى الذئب هلعاً منه واتقاء لشره . ثم وافى أصحابه من الغد أو بعد أيام بقصيدة نونية[1] رائعة صدق فيها أنه آخى الذئب وآكله ووافقه على خلاف بينهما :

وكلُّ رفيقَىْ كلِّ رحْلٍ وإن هما
تَعاطَى القنا قوماهما أخَوان

وإذا كان مثل هذا يحصل فى الشعر ، فيجوز أن يطم

(١) مطلعها : وأطلس عسال وما كان صاحباً
دعوت بنارى موهناً فأتانى
وهى جيدة للغاية . استهلها بقصة الذئب ، ثم أخذ فى عتاب حليلته نوار ، ثم جعل يفخر ببنى تميم ، واختتم القصيدة بالحديث عن مقتل قتيبة وفتكة وكيع بن أبى سود . وقد استشهد ابن جرير الطبرى بالقسم الأخير من هذه القصيدة فى تاريخه . ومن عجب أن مؤرخى الأدب لا يختارون من هذه القصيدة إلا أبيات الذئب مع أنها كلها من غرر الشعر العربى .

إذ أنها تأخذ مما جئنا به ، وهى جميعاً توضح زايد الاهتمام بشخصية الساحر ، والحالة التى بها قبلت تدريجياً إدعاءاته للمعرفة ، واتفقت والشائعات المتداولة .

* * *

ويكاد يكون من الصعب غربلة الحقيقة من الخيال فى التقارير التى وردت عن فاوست . ومع ذلك فهذه الروايات المعاصرة أو القريبة من المعاصرة لا تترك مجالا للشك فى أن مثل هذا الرجل كان موجوداً ، وتمكننا على الأقل من تكوين بعض الفكرة عن أى نوع من الرجال كان هذا الرجل .

كان فاوست ، كما يلوح ، رجلا موهوباً ذا ثقافة عالية ؛ وقد نجح فى اجتذاب أنظار رجال العلم . ومع ذلك فالراجح أنه تعلم السحر جدياً وأصاب فيه شهرة عريضة . ويمكن القول أن نظره كان ثاقباً فيما يختص بأسرار الطبيعة غير المعروفة فى أيامه ، وأن أعماله كانت مجرد شعوذة متقنة وقد تضفى عليه قصص محاضرته عن هوميروس ووعده ببعث أعمال بلوتس وتيرنس صفة الإنسانية ، ككونه مهتماً ومعنياً بإحياء الآداب القديمة فى ألمانيا . أما استحضار أرواح أبطال هوميروس ، إن كان يقوم على أساس من الصحة ، فقد يكون قناعاً مدبراً بمهارة ، مع — أو بدون — قصد الخداع .

ومن الواضح أنه كان جوالاً كبيراً رغم أنه لم يكن يستقبل بترحاب أينما حل .

أما موته فكان عنيفاً . ويظن أنه قتل من جراء تجربة كيمائية غير ناجحة .

ادوار مقسى

شاعر قصيدة جيدة فى الغرام وهو قرحان لا عهد له بوصل ولا بين ، والنقاد يزعمون أن شعر كثير بن عبد الرحمن فى الغزل والصبابة لم يصدر عن حب صادق .

فما هى « التجربة الشعرية » إذاً إن لم تكن شيئاً عملياً ؟ أظن أن هذا الاصطلاح — وهو ناب فى لغة العرب كما هو ناب فى لغة الإنجليز — ما صاغه إلا « مركب الشعور بالنقص » تجاه العلم ، الذى قد غلب على كثير من أدباء أوربا فى القرن الماضى :

وجدوا العلوم تعتز بالاستقراء وبالتجربة والتجريب . فأرادوا أن يجعلوا للشعر والنثر تجارب وتجريباً كالعلوم ، مثلهم كمثل بعض المسلمين الذين أرادوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط ، ولكن أولئك وجدوا رادعاً ، وهؤلاء لقوا تشجيعاً وإطراء وهذا لاسبيل أبر كرمى له تطويل وإطناب فى أمر « التجربة الشعرية » تخرج منه وكأنك لم تدخل فيه .

إنى لأجد الخيال يغنى عن التجربة العملية فى الشعر إلى حد كبير . لا بل غناؤه أكبر . وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى تدليل . ثم أجد ترتيب الألفاظ فى طراز موسيقى حق بلا استعانة بالخيال والتصوير ، قد يؤثر أحياناً أيما تأثير . ولاتقل هذا انحراف فى الذوق . أليست الموسيقا نغماً وأصواتاً وهى تؤثر ؟ أتستبعد على شاعر مبدع أن يلائم بين ألفاظه وموسيقاه حتى يكون تأثيرها معاً قويا جداً ، من دون أن يستعين بالخيال والتصوير ؟ أذكر أنى قرأت لبعض الأدباء الإنجليز أنه يجد فى موسيقا الشعر من اللذة ما لايجده فى موسيقا موزار وبيتهوفن . وإنى لأجد لأبيات الخنساء :

أعينىّ جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجرىء الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما د ساد عشيرته أمردا

أثرا عميقاً فى نفسى ؛ وليست إلا ألفاظاً مرصوصة لا خيال فيها ولا تصوير ؛ كما إنى أستحلى وأستملح أبيات النواسى :

دمعة كاللؤلؤ الرط ب من الطرف الكحيل
سُفحت فى ساعة البـ ين على الخد الأسيل
إنمـا يفتضح العشـ اق فى ساعات الرحيل

وهى « كليشهات » ليس إلا .

المتكلمون عن « التجربة الشعرية » ينسون أن جميع الناس تمر بهم « تجارب شعرية » . وقل من يخلو من العواطف القوية العنيفة . ولكن الذين يستطيعون صفة هذه العواطف نادرون جداً . وهؤلاء هم الفنانون . ولأمر ما قالت الأوائل إن المعانى ملقاة على قارعة الطريق .

وهذا يدفعنى لأن أسأل : أيعدو الشعر الجيد أنه استخدامٌ للغة بحسب مقتضيات الأحوال كما يقول علماء المعانى ؟ لا يسبق إلى وهمك أيها القارئ الكريم أنى أريد إلى أن الشعر الجيد ألفاظ ليس إلا . إنما مرادى أن اللغة — على تقدير وجود الملكة الفنية — هى العامل الرئيسى .

الأسلوب الحديث الذى ينظم به إليوت الشاعر ، قائم من أساسه على أن اللغة الإنجليزية قد صوح زهرها كثرة الاستعمال ، فلاسبيل إلى إلباسها زهراً جديداً إلا بتغيير الوضع النحوى واختراع صياغة جديدة تعيد عليها ما ذهب من مائها . وإليوت قد تأثر مذهب الكاتب الإرلندى جيمس جويس ؛ وهذا الأخير قد تطرف وغالى فى مسألة الصياغة ، حتى إنه كتب كتاباً ضخماً لا يكاد يفهمه أحد — اللهم إلا من كان له مثل تبحر جويس وعلمه بلغات أوربا وآدابها ، وقريب من مقدرته على نحت الكلمات واشتقاقها ؛ والشاهد هو أن هذه المدرسة الحديثة تهتم بالصياغة والتجويد كما كان يفعل القدماء — الفرق الوحيد بينها وبين المدرسة القديمة أن تلك تقبل اللغة كما وجدتها وتطالب بالتجويد . وهذه تريغ التجويد ولكن بعد أن يُجْرَى تغيير جوهرى فى تراكيب اللغة وألفاظها ولعل حركة هذه المدرسة أن تنبه الأدباء إلى الاهتمام بتجويد الصياغة حتى يتاح للغة الإنجليزية شاعر فحل يعيد عليها نفس شكسبير ولايكلف سامعيه وقراءه عناء فى الفهم كما يكلفهم إليوت وجويس .

وهذا الكلام يفضى بنا إلى مسألة شائكة . قرأت لبعض الأدباء كلاماً ينعى فيه على الدكتور زكى مبارك رحمه الله إيثاره الجزالة فى شعره ، قائلا إن هذه الجزالة تقلل من قيمة عمله الفنية . ولو قد كان نفور هذا الأديب من جزالة زكى مبارك

كتنفور الدكتور طه حسين من بعض زخرفة الرافعي رحمه الله ، لكان له وجه ، لأنه يكون على هذا نفوراً من «مودة» قديمة في التعبير ذهب زمانها . ولكني أحسبه من قبيل نفور المتوكل من عينية البحتري « منى النفس من أسماء لو تستطيعها » . فقد زعم المتوكل أن قوافي هذه القصيدة تثير القيء . ولا ريب أنه قد كان صادقاً في التعبير عن ذوقه هو ، إلا أنه كان جائراً في الحكم على أبي عبادة ، لاسيما وهذه العينية من فرائده .

والجزالة سواء استعملها زكي مبارك أم غيره ليست « بمودة » بَلْهَ أن توصف بأنها « مودة قديمة » أو « جديدة » ، إنما هي البِنْيَة التي بُنيت عليها اللغة العربية يوم كانت هي اللغة الحية .

وقد ظلت اللغة العربية تستعمل بين المثقفين عصوراً طويلة — يكتبون بها ويتكلمون بغيرها ، شأنها في ذلك كشأن اللاتينية في أوربا إبان القرون الوسطى . وطبيعيٌّ أن المثقفين لم يكونوا يجيدون صياغة الأسلوب العربي كما كان يجيده بنو بجدته . وكثيراً ما كانت تغلب على أساليبهم « مودات » من الهجنة كلها من قبيل الاحتيال على اجتناب الصياغة الجزلة العزيزة ، واستبدالها بشيء آخر أرخص وأسهل متناولا . مثال ذلك أسلوب السجع كما عند الصاحب والقاضي الفاضل والفتح بن خاقان ، وأسلوب البديع كما عند شعراء اليتيمة وكما في بديعية ابن جابر . وكان يتاح للغة العربية من حين إلى آخر رجالٌ حراص على سلامتها ، غُيُرٌ على صياغها الصحيحة ، يتنكبون «المودات» المعاصرة ، ويكتبون بأساليب أصدق صفة لها الجزالة ، مثل المتنبي والرضي والطغرائي ، وأسامة بن منقذ ، ومحمود سامي باشا في الشعراء ، ومثل التوحيدي والإصفهاني وأبي مروان بن حيان في الكتّاب .

وأسلوبنا الذي نكتب به وننظم فيه في عصرنا الحاضر « مودة » من « المودات » المتكاملة ، ليس بجيد الصياغة لأنه ليس بجزلٍ ، وليس بأسلوبٍ طَبَعِي سهل المأخذ لأنا لا نستعمله في حياتنا اليومية ، ولا نصطنعه إلا حين نمسك بالأقلام أو نقف مواقف الخطابة الرسمية . لا تقل لي إن لغة الكتابة والخطابة أبداً تختلف عن لغة الكلام اليومي ، فلست في ذلك من الممترين . وإنما أقول إن لغَتَيْ كلامنا وكتابتنا تختلفان اختلافاً عظيما يتعذر معه أن نعتبرهما أسلوبين ووجهين من لغة واحدة ، بل يتحتم معه أن نعدّهما لِسانين متباينين أيما تباين .

ولا يمكننا بحالٍ من الأحوال أن ندافع عن الصياغة العصرية (وبخاصة في الشعر) بأنها سلسة أو معبرة أو طَبَعِية أو جدّابة . وإن دافعنا عنها بمثل ذلك فإنما يكون دفاعنا دفاعاً عن « مودة » عن « عُرْف » عن شيء شكلي ، قد تقبلناه كما تقبل من قبلنا أسلوب القاضي الفاضل وأسلوب الرسائل في عهد المماليك وأسلوب «سعادتلو أفندم» - أوائل القرن الماضي — قد تقبلناه لنحتال به على اجتناب الجزالة التي ينبغي أن تكون بها صياغة اللغة الفصحى ، ويوشك مثل هذا الدفاع أن يهلك أدبنا ويميت روح الصدق فيه . وفي شعر المهجر ومعظم الشعر المعاصر من أمثلة الركاكة في العبارة ، والهجنة في الصياغة ، والسرقة الفاضحة من شعر الإفرنج ، من غير ما تصرُّف ولا ابتكار ، شاهدٌ قوي على ما أقول . ولولا خوف الإطالة لأكثرت من الشواهد والأدلة .

الصياغة اللغوية هي جوهر الأدب ، وقد غفلنا عن جوهريتها زمنا طويلا ، وقد آن لنا أن نتنبه . ولا أرى أمامنا إلا أحد أمرين :

الأمر الأول ، أن نقول إن اللغة الفصحى هي لغة القرآن والتراث القديم ، فيجب علينا أن نمسّك بها . ثم إنها الرابطة القوية التي تجمع بين الأمم العربية ، وهذا سببٌ آخر يدعونا إلى التمسك بها ، فإن قلنا بهذا القول وجب علينا أن نتعلم اللغة الفصحى ونكتب بها كما ينبغي — كما كان يكتب بها بنو بجدتها — ونُضرِبَ عن استعمال الأساليب الهجينة التي علينا إجريّا لغتنا المعاصرة . وعلى فرض أننا جميعاً آمنا بسلامة هذا الرأي وعملنا على تحقيقه ، فهل تحقيقه ممكن ؟ لا بل هل يمكن تعميم اللغة الهجينة المضطربة الغالبة علينا الآن ، بَلْهَ الجزلة ؟ هبنا أخذنا الناس بما تأخذ به حكومة إرلندة رعاياها من تعلم اللغة الوطنية القديمة ، أترانا نبلغُ شيئاً من أرَبنا في جعل اللغة الفصحى هي لغة كل الناس ؟

وهنا لا نجد بداً من التفكير في الأمر الثاني :

وهو أن نعامل اللغة الفصحى كما يعامل الإفرنج اللغتين اللاتينية واليونانية ، وذلك أن نعدها لغة « كلاسيكية » نطلع من منافذها على القرآن والحديث والشعر الجاهلي والتراث الإسلامي ، ونستدل بها على أصول اللغة التي نستعملها ونشتق منها ما يناسب حاجتنا — ونقيم اللغة العامية مقامها في الكتابة والخطابة والشعر كما هي قائمة مقامها الآن في حياتنا اليومية .

قد يقال إن اللغات العامية تختلف باختلاف الأقطار العربية وفي استعمالها ما يعين على تفكك عرى الوحدة العربية أو يعجل بذلك . وعندي أن أصحاب هذا القول يسيئون الظن بالوحدة العربية هذا ، وما يرونه شبيه بما يراه بعض مفكري أوربا اليوم ممن يأسفون لحلول اللغات القومية محل اللغة اللاتينية . وهؤلاء يزعمون أنه لو استمر العلماء والأدباء يكتبون باللاتينية لكانت الثروة الثقافية الغربية مشتركة ، ولكان ذلك قد أغنى عن كثير من الجهد الضائع في الترجمة . ولعمري إنه لو قد استمرت اللغة اللاتينية كما في العصور الوسطى لكانت الثقافة الأوربية أفقر بكثير مما هي عليه الآن ، لأنه يتسنى من التعبير في اللسان القومي الطبعي ما لا يتسنى في اللسان المكتسب ، على أن التعبير في حد ذاته ليس بالأمر الهين ؛ وفضلا على ذلك فإن الثقافة كانت تكون محصورة على الأرستقراط دون غيرهم .

وقد يقال إن استعمال اللغات العامية يوجد مشكلة عظيمة من حيث الكتابة ، إذ نطق الكلام العامي يخالف جداً النطق الفصيح . ومثل هذا الاعتراض غير قوي ، لأن الحاجة إلى كتابة العامية ستدعو إلى اختراع حروف تناسبها أو إلى تعديل في الحروف العربية يلائم مخارج حروفها ، والحاجة أم الاختراع . على أن الحروف الهجائية بحالها الحاضرة صالحة جداً لكتابة العامية ، وهذا قول أقول به عن تجربة طويلة .

وقد يقال إن اللغات العامية منحطة رديئة عاجزة عن التعبير الجيد ، والكلام عن إحلالها محل اللغة الفصحى انحراف في التفكير ، وهذا الاعتراض قوي من حيث إنه تعصب ، ومن حيث إن كثيراً من الذين يكتبون بالفصحى يخشون على أنفسهم الضيعة والخمول وكساد السوق إن صارت وسيلة التعبير هي اللغة العامية ، وليس لهذا الاعتراض سند من المنطق ، لا ولا حجة واحدة يقبلها العقل المحايد .

ومن تأمل اللغة العامية وجدها تستعمل بين المتعلمين والمثقفين والأميين والرعاع ، ووجد المدرس في الجامعة غير مستغن عنها ، كما لا يستغني عنها السياسي في المجمع ، والقاضي في المحكمة ، وهي ككل لغة حية لها أسلوب راق تستعمله الخاصة ، وآخر غير راق تستعمله العامة ، وكلاهما مفهوم عند جميع الناس .

وأستطيع أن أقول ، واثقاً متأكداً مما أقول ، عن عاميتنا بالسودان (ولا أشك أن المصري يستطيع أن يقول ذلك عن عاميته والسوري كذلك الخ) إنها ليست حية من حيث إنها دائرة في الاستعمال فحسب ، ولكن أيضا من حيث إن لها ذخيرة لغوية واسعة يعرفها سائر الناس ، وتراثاً أدبياً ضخماً . أما من حيث الذخيرة اللغوية فكلماتها توشك أن تشمل ثلثي القاموس بما في ذلك أسماء النبات وصفة الطبيعة ، وتزيد على القاموس بما فيها من كلمات جديدة بعضها مشتق من أصول قديمة ، وبعضها مستعار ليناسب حاجات القرن العشرين . وأما من حيث التراث ففيها مجموعة ضخمة من الأمثال لا يقع كتاب الميداني في طرف منها ، بعضها مستطرف ، وبعضها من أصول عربية تليدة ، وفيها دواوين لا تحصى من الشعر ، أكثر أوزانه تدل على تطور من الشعر القديم ، وأغراضه متعددة أيما تعدد — فيها الغزل والتصوف والهجاء والمدح ، والقصص والغناء .

لا ريب أن الأخذ باللغة العامية أقرب إلى المعقول وأطوع للطبيعة من تكلف الأسلوب الجزل أو الاحتيال على احيائه « بالمودات » . فإلام نستمر نكتب وننظم بلغتنا المعاصرة التي لا هي عربية صحيحة ولا عامية صريحة ؟ أليس الله قد هيأ لنا من اللغة العامية مرعى أمماً ووسيلة بكراً لو قد ظفر بمثلها إليوت وجيمس جويس ما كانوا ليتكلفوا ما تكلفوه من البحث عن طريقة معبرة يفهمها القليل ويعيا بها الكثير .

(بخت الرضا) **عبد الله الطيب**

ديك الجن*

للأستاذ محمد رجب البيومى

من الطبيعى أن يسعى العاشق لراحة حبيبه ، فيبذل ما يستطيعه من جهد لسعادته وبهجته ، كما أن من الغريب الشاذ أن ينقلب العاشق وحشاً ضارياً يلغ فى دماء معبوده ، وينشب أظفاره القاتلة فى ضحيته الضعيفة دون رحمة وإشفاق ، وقد لا يصدّق هذا كثير من الناس ، ولكن صفحات التاريخ فى كل زمان ومكان تقدم لنا مآسى دامية ، يقف أمامها القارىء فى ذهول واندهاش ؛ وقد تعدّدت هذه المحن الأليمة حتى اضطر الباحثون أن يفردوا لها كتباً خاصة ، وأن يطلقوا على أصحابها وصفاً معيناً . وأنت حين تقرأ مؤلفاً عن الشذوذ الإنسانى تجد كاتبه يتعرض — غالباً — إلى فظائع « الصّادية » الجنسية ، نسبةً إلى المركيز دى صاد ، وهو عاشق متوحش كانت مغامراته العاطفية تفيض بالقسوة والتعذيب ، حتى جعله الباحثون علماً يجتمع حوله مَن على شاكلته من الأشرار القساة !! وفيهم من يذبح الضحية ذبحاً ، ومَن يقود صغار الفتيات إلى مكان منعزل موحش ، ثم يمثّل بهن أبشع تمثيل ، بعد أن يفرغ من شهوته دون هوادة أو اكتراث ، وكأنه يثأر لأبيه من قاتل فتاك !!

ولدينا فى الأدب العربى مأساة دامية ، أقدم صاحبها المنكود على ذبح حسنائه الجميلة ، وغلامه الأغيد ، فى ليلة مظلمة دامسة ، ثم أشعل فيهما النار !! وكان بهما صباً كأعنف ما يكون العاشق الولهان ، مولعاً أشد الولع بجمالها الأخاذ ، ذلكم هو ديك الجن الشاعر العاشق عبد السلام بن رغبان !!

نشأ الشاعر فى مطلع العصر العباسى بحمص ، نشأة مترفة ناعمة ، وتذوق الأدب ، ولقن الشعر وأولع به حتى صار أديباً مقتدراً ذا موهبة رفيعة .

وكان لا يميل إلى انتجاع الأثرياء بمدائحه رغبة فى اليسار والجاه كسائر شعراء عهده ، بل انصرف إلى رغباته ومشاعره ، وأخذ يصف الحدائق الناضرة ، وما يفوح بها من زهور وعطور ، ويستمع القيان فى المغانى العالية الأنيقة ، معجباً بفنهن الرائع ، وغنائهن الخالب الجذاب ، وشاعت له شهرة بالجودة فى النظم ، والبراعة فى الصياغة ، فأحب الناس مجلسه ، ورزق الحظوة فى حمص ودمشق وحماه !! وسارت رقائقه الفاتنة إلى بغداد ، وهى يومئذ جنة الدنيا وزينة الأيام ، فمضت بإعجاب مَنْ سمعها من الشعراء والأدباء ، دون أن يعلم ديك الجن شيئاً عن ذكره الطائر ، وصيته البعيد ، ولقد مر أبو نواس فى طريقه إلى مصر بحمص ، فحبس راحلته ، وطفق يبحث عن ديك الجن حتى اهتدى إلى بيته ، وتطارح الشاعران بدائع الغزل ورقائق الوصف ، وقال أبو نواس لصاحبه : لقد فتنت أهل العراق بقولك :

موردة من كف ظبى كأنما
تناولها من خده فأدارها
وسار تكاد الكأس تحرق كفه
من الشمس أم من وجنتيه استعارها

فارتاح ديك الجن لما سمع واحتفى بصاحبه أطيب احتفاء

ولكن الصبابة لا تدع الشاعر هانئ النفس ، عاكفاً على الحدائق والمقاصر ، كما اطردت على ذلك حياته ردحاً من الزمان ، بل تقذف به إلى لجة صاخبة موارة من الغرام العنيف ! إذ عشق جارية نصرانية حسناء تدعى (ورد) وبذل ما يستطيع من ترلف ومال حتى قبلته الجارية بعد لأى ، فتزوجت به واعتنقت الإسلام ، لترضى نوازعه ومشاربه ، ورجع الزمان بالشاعر إلى سالف صفائه ، وعاد أنسه ، فارتاد الحدائق وأنس بالقيان فى القصور ، وأسلست له شاعريته القياد ، فنظم طرائف بديعة فى (ورد) صاحبته ،

(*) الشاعر العباسى أبو محمد عبد السلام بن رغبان

وأخذت تطرب مختالة ضاحكة إذ تسمعه يقول :

لم تبل عينك أبيضاً فى أسود
جمعا الجمال ، كوجهها فى شعرهـــا

وردية الوجنـــات يختبر اسمها
من نعتها من لا يحيط بخـــبرها

فتمايلت فضحكت من أردافها
عجباً ، وإلى أن بكيت لخصرهـــا

تسـقيك كأس مدامة من كفها
وردية ، ومدامة من ثغرها

ولم تسر الأيام فى صفائها مع الشاعر إلى آخر الشوط ، فهو عجوز هرم زحف إلى العمر على ركبتيه ، وصاحبته تعيش فى مقتبل الشباب نارعة رائعة ، وكأن القدر أراد أن يصبغ المأساه المنتظره بأقسى الألوان ، وأبشع ما تصور العيون ، فأباح للشاعر أن يشترى غلاماً وسيماً فى ربيع حياته أخذ يعمل خادماً كريماً فى بيته ، حتى صار مع ورد فى مكان واحد يعيى ديك الجن ! ! وينظر الغلام فيجد فتاة رائعة الحسن تقاسمه الشباب والصبوة والجمال ، فهام بها وهامت به ، وطويا ضلوعهما الملتهبة على صبابة محرقة ، والشاعر يجمع بينهما فى خلواته وأوقات صفائه ، ويجعل الشاب الفاتن عن يمينه ، والزوجة الساحرة عن يساره ، وينظر إليهما معاً نظرات الشوق واللهفة ، وتنزع به النشوة فيميل إلى الزوجة فيلثمها وإلى الغلام فيعانقه ، وهما لا يشاركانه شيئاً مما يجد ، بل تترامق نظراتهما ترامقاً يدفع ديك الجن إلى الريبة والأوهام ، ويخلو المسكين إلى نفسه ، تتصاعد زفراته ، وتتساقط عبراته أسفاً ولوعة ، وهو لا يدرى كيف يجتذب صاحبيه ، وقد نزعت بهما عنه نضارة الصبا ، وبهجة الشباب وتيه الجمال ، ثم يفرض عليهما رقابة قاسية عنيفة ، فيتسمع الهمس من وراء ستار ، ويطرق المضاجع الراقدة فى حندس الليل ، ويقضى شهوراً يائسة ألية تتقاذفه الحيرة والارتباك ، ولا يستطيع دفعاً للغيرة الرعناء ، وقد اشتعلت فى جوانحه ، والتهبت بين حناياه ، ثم يسوقه الحظ الأشأم ذات ليلة إلى مرقد صاحبته فيجد غلامه ، يجاذبها الصبابة والحنين ، فيرجع أدراجه ، ويستل خنجره الغادر ، وينتظر قليلا حتى يسكت اللسان الناطق ، ويهجع الجفن الساهد ، ثم يهوى بخنجره فى ارتعاش إلى الصدرين الهاجعين ، فتحتبس صرختان فى فمين وتحشرج روحان فى حلقومين ، وتطيران إلى السماء دون انتظار ، كأنما كانتا على ميعاد ! ! ويأتى الشيخ الآثم بالنار فيشعلها فى الجثتين الهامدتين ، ويصنع من رمادها المتخلف قدحين للشراب ، فيثيران الشجون ، واللواعج فى قلب آثم جريح .

ولـكن ، هل هدأت نفس الشاعر بعد جريمته الشنعاء؟؟ إن الحياة تحولت فى عينيه إلى سـجن موحش رهيب ، وأخذت نوازع الندم واللهفة تعتصر قلبه اعتصارا ، فإذا امتلأ وطابه بالشجن الرهيب لجأ إلى القريض النائح ، يرثى فتاته ، ويؤبن فتاه ، وهيهات أن يجد فى قصائده برد العزاء ! !

على أن ديك الجن يعترف فى أبياته الحزينة بجريرته الحمقاء ، ويرى بعض الشفاء فى التصريح بلواعجه المحرقة المرعدة ـ فيعلن أنه قد قتل زوجته الحبيبة ، ومـدامعه تتساقط على وجناتها الوردية ، وأنه قد وسدها التراب وكان يرتاع إذ سقط على ثوبها قليل من الغبار ! ! ثم يعزو جريمته الدامية إلى ما اشتعل فى صدره من الغيرة الرعناء ، إذ أبصر غلامه الجميل يرمقها فى شوق واندفاع ، اسمعه يقول :

روّيت من دمها الثرى ولطالما ... روى الهوى شفتى من شفتيها
حكمت سيفى فى مجال خناقها ... ومدامعى تجرى على خديها
ما كان قتليها لأنى لم أكن ... أبكى إذا سقط الغبار عليها
لـكن ضننت على سواى بحبها ... وأنفت من نظر الغلام إليها

ومما زاد فى كارثة الشاعر ازدواج جريمته ، فلو بقى له أحد صاحبيه لتسلى به عن غيره ، فهو موزع الحسرة بين الراحلين العزيزين ، فإذا نظم بعض عبراته فى ورد ، هاجت نوازعه إلى الغلام ، فطفق يرثيه بأبيات موجعة أليمة . وديك الجن معذور فى التياعه ، فقد قتل ثلاث أنفس لا نفسين ، بل إنه قسا على روحه قسوة أشد وأعنف ، فقد استراح الشهيدان ، وبقيت عقارب الندم تلدغه لدغات أليمة ، وهو يعترف بذلك إذ يقول فى رثائه للغلام :

لوكان يدرى الميت ماذا بعده ... بالحى منـه بكى له فى قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه ... ويكاد يجرح قلبه من صدره
قمر أنا استخرجته من دجنة ... لبليق ، وزففته من خدره
فقتلته ، وله على كرامـــة ... والحزن ينحر مقلتى فى نحره

نقـــد

فن الأدب

تأليف الأستاذ توفيق الحكيم بك

٢٤٢ صفحة من القطع الكبير — ملتزمة الطبع والنشر مكتبة الآداب فى القاهرة ١٩٥٢

للسيدة الأديبة وداد سكاكينى

يخيل إلى من يقرأ هذا العنوان أن صاحبه الأديب الحكيم قد خالف عن سجيته ومزاجه ، فاصطنع لكتابه أداء البحث العلمى ومنهاجه المحتوم ، ووضع فيه المقاييس والمقارنات التى ينبغى للمعنيين بالأدب والنقد أن يأخذوا بها ، وللملتمسين وجوه الفن والتجديد أن يتتبعوها ويسيروا على نورها وغرارها ، والحقيقة التى تظهر للواقف على محتويات الكتاب هى أنه ليس تعبيراً فى مجرى صاحبه الذى طبع على الحرية فى الموضوع ، والانطلاق فى الفكر والخاطر ، شأن الأديب المبدع الذى لا تقيده حدود البحث ولا طريقة الدرس ، وإن تجعل العنوان تسمية مدرسية ، فبها تقرير وتحديد .

فكتاب « فن الأدب » استمرار لفن الحكيم فى خواطره ومنازعه ، وفى آرائه وأدائه ، وإن اتخذ له منافذ محكمة وأبواباً منسجمة يدخل منها القارئ إلى حجرات شتى ، وما كان أجدر الكتاب بأن يسمى « خواطر الحكيم » .

ولئن كان للقدر صلة بالأسماء فإن الحكمة من طبع توفيق الحكيم ، فهو يكتب بفكرته وينزع هواجسه النفسية من عالم آرائه وإحساسه ، ولم يكن أصلاً أديباً منسوباً إلى صناعة الكلام المزوّق ، فهو طراز مفرد فى أدبائنا المعاصرين ، ندّ على أساليب البلاغة ولم يؤخذ بسحر البيان ، وإنما فرض على أدبه الأصيل سحراً آخر هو سحر الفكر والفن ، ولعل لمكانه اليوم فى دار الكتب بين المجلدات والمخطوطات أثراً فى عنوان كتابه وتصنيفه .

وإذا أنصفنا قلنا إن كتاب « فن الأدب » حديقة غناء متناسقة الأزاهير والألوان ، وما أجملها لمن يراها فى حضن الطبيعة ، لا مجموعة طاقات مجزوزة فى أوعية منضدة مرصوصة ، وليس من الحتم فى أية حديقة حتى فى حدائق الملوك أن تخلو من الشوك والعوسج ، ومن عصافير شاردة ليست بغريدة تندس بين سوارح الطيور الشادية ، فلقد هاجم الأستاذ توفيق الحكيم الأدب العربى فى صميمه ، إذ رماه بالتقاعس عن تفهم القرآن ، واقتباس النور من فنه الأسمى ، ورأى أن هذا الأدب قد قصر همه من القرآن على اللغة فحسب ، إذ وجد فن النموذج اللغوى ولم يجد النموذج الفنى ، كما اتهم هذا الأدب بانصرافه عن الشعب ، فأين غاب عن الأديب

إن الإنسان ليؤذى صاحبه بعض الإيذاء خطأ فيظل يتألم طيلة حياته لشىء غير مقصود ، فما ظنك بمن يقتل عامداً أعز الناس عليه لغيرة طائشة عصفت برشاده بضع لحظات ، ثم أسلمته إلى الهلع المجنون ، وعجلت به إلى القبر كمدا وغما ، دون أن يخمد له أوار ، أو يهدأ لقلبه سعير !!

ذلك خطب شنيع .

- (وبعد) فهل كان ديك الجن يمت بسبب إلى الصادية المجرمة التى تحدثنا عنها فى صدر هذا المقال ؟ ! إن الفرق بعيد جدا بينه وبين هؤلاء الأوغاد ، فهم يذبحون فرائسهم غير آسفين ، دون أن يرتكب الضحايا أقل الذنوب ، بل ليستشعروا بعض ما يتوهمونه من اللذاذة والارتواء . أما ديك الجن فقد سيطرت عليه الغيرة المخبولة ، فقضت على سعادته قبل أن تقضى على ضحيته ، وأسلمته إلى النحيب والصراخ ، فما رقأت له دمعة حتى فارق الحياة ! ولعل ذراته لا تزال تنتحب فى أعماق التراب .

محمد رجب البيومى

الـكبير شعر ابن الرومى الذى قاله تصويراً لنواح من حياة الشعب ، وما صنع المعرى فى إيقاظ الجمهور ، وصرخاته المدوية فى وجوه الطغاة وإن كانت لغة الاثنين وأمثالهما رفيعة بليغة ، ولو رجع إلى تراثنا من الأدب لا سيما الأموى لتبينت له صور فنية كثيرة مستوحاة من القرآن ، وقد عجبت إذ رأيت الأديب الحكيم يتوهم فى مقاله عن « الأدب العربى وتجدده » أن الجاحظ كان بسيط الأسلوب واللغة ، وأنه أول من نزل من ادباء العرب إلى الشعب يستوحيه ويصور حياته ، والحقيقة أن الجاحظ كان بليغ الأسلوب مكين اللغة ومن أئمة البيان ولم ينزل إلى الشعب بركاكة لهجة أولين أداء . وإنما رفع الشعب إليه ليسيغ أسلوبه ويتذوق أدبه ، ويرى صوره بقلم تحامى عن الزخرف والتكلف ، ولم يجرؤ أحد من معاصري الجاحظ وحاسديه من ذوى الرأى والنقد أن ينال من أسلوبه ونعته .

ولو أن المؤلف الموهوب راعى اختلاف الأحكام والأزمان وما أتيح له هو فى استلهام فنه من القرآن بقصة « أهل الـكهف » لعذر الأوائل فى إحجامهم عن مثل صنعه ، وكان بمقدورهم ذلك لولا التزمت والتحرج .

وقد تكلم الأستاذ الحكيم على كل ما له مساس بالأدب من دين وعلم ، ومن حضارة ومعرفة ، وألم بأدب القصة والمسرح ، والصحافة والإذاعة . وعرج على أهل التصوير والغناء منذ تفتحت موهبته وبدت تباشير فنه ، فبعث صورهم من مراقدها ، وإن مما يروق ذوى الفن أن يقعوا فى كتابه هذا على مبارك لراحة نفوسهم يجدون عندها استجمامة المتعب حين يأوى إلى روضة وظل ماء ؛ كحانة « القط الأسود » التى ذكرها المؤلف فى كلامه على المنشدين تذكرنى بمقال له قديم عن حانة فى « مونمارتر » كان يألفها ، وحقاً فإن الأماكن الليلية فى أحياء الفن الباريسى حيث تنبسط الحرية ويشوق اللهو يجد الشرقى دنيا لا عهد له بمثلها ، فينطبع الموهوبون من الشرقيين بطوابع فنية تختلف آثارها فيهم . وقد أتيح للمؤلف أن يندمج فى هذه الآفاق التى أدرك عمق الفن فيها ، وقد أوتى الفن الأصيل ، فاستطاع أن يجلوه لنا فى صور أخاذة كهذه اللمحات فى إنشاد شاعر من الصعاليك سمعه الحكيم وقد كان المنشد يلقى مقطوعة من شعر حافظ الشاعر الفارسى ، ثم تعاقب بعده شعراء أنشدوا قصائد وغنوا أغنيات قديمة ، ورووا نوادر عجيبة ، كل هذا يصفه الأديب الحكيم فى سرد قصصى أوتى البراعة فى أدائه وتصويره .

وبسحره استطاع أن ينقلنا مع الـكثير من قرائه من أجوائنا الشرقية إلى مطاف الغرب وفتونه ، والعجيب أنه فى خلال ذلك كان ينزع نزعة شرقية بحتة ، على الرغم من انسيابه فى ثقافة الغرب وطرافة الحضارة ، وهذا عائد إلى طبيعته الروحية وإيمانه بالغيبيات ، فهو يقتبس من نفسه وحسه أكثر مما يستمد من علمه وعقله ، ويتجلى مذهبه الروحى هذا فى كثير من موضوعات الكتاب ، وما كانت هذه الموضوعات كلها جديدة فى فكرتها أو نادرة فى صورها وروعتها ، ولـكن بينها وفى سطورها يسرى فن الحكيم ، وفى بعض الصفحات أشياء لا يلبث مدرك القيم أن يغض الطرف عنها ليصل إلى الجمال المجاور والروائع المتعاقبة ، فعل سالك فى غابة يمر بماء آسن ، ثم يقف على ضفاف ينبوع ليرتوى .

أما رأى الأديب الحكيم فى تسخير الأدب لإيقاظ الرأى والفكر وصقل الذوق والموهبة فغاية مثلى فى إظهار مهمة الأديب ، ولم يشأ توفيق الحكيم حين تكلم على الأدب والصحافة أن يغض من الصحافة وينال من بعض أطوارها وآثارها ، فقد عاش فى حماها مدة ، ولو أنصف لنقد المساوئ والهموم التى جرتها الصحافة على أدبنا المعاصر .

ومهما يكن فبحر الحكيم فى كتابه هذا — شأنه فى غيره — ممتلىء باللآلىء .

(القاهرة) وداد سكاكينى

الزبير باشـــا

بمناسبة كتاب « الزبير باشا رجل السودان »

لمؤلفه القائمقام الأستاذ سعد الدين الزبير

للأستاذ توفيق أحمد البكرى

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة
كفانى ولم أطلب ، قليل من المال
ولكنما ، أسعى لمجـد مؤثل
وقد يدرك المجـد المؤثل ، أمثالى

هكذا كان الفريق الزبير باشا — عليه سلام الله — ما سعى سعى لداته وأترابه للمال يجمعه ويحيى به حياة الناعمين المترفين ، ولكنه سعى لمجد عريض مؤثل فأدركه ، وطار صيته فى الآفاق كل مطار ، ولولا إخلاصه ووفاؤه لمصر لأربى فى سعيه للمجد على الغاية ، ولكان لتاريخ السودان وجهة أخرى غير ما هو عليه اليوم .

ولد الزبير صنو عبقرية فريدة فى نوعها ، وتجمعت فى شخصه من أنادر الشيم خلال كن سر تلك العبقرية ، وكن يتجهن به إلى أن يسود ويحكم الرجال ويفتح الأمصار ، ويخوض المعارك ، ويعالج مشاكل الحرب والفتوحات بدهاء السياسى ولباقة الدبلوماسى وقدرة القائد ، وحصافة الإدارى السديد النظرات ، ولو كان فى أوربا — كما قيل عنه — « لكان له شأن وأى شأن ، ولترك فى تاريخها أثراً بعيداً »

انحدر الزبير من أسرة عريقة الأصل كريمة النسب لها فى الذاهبين قدم صدق ، وكانت له من موروث تلك الأرومة العربية صفات وتقاليد ساعدته على ما وصل إليه فى عصاميته إلى أسمى المراتب وأعلى المناصب ، وما اتصف به من سجايا الشجاعة النادرة والذكاء اللامع ، والخيال الذى حقق به أطيافاً فى المجد حاست بعقله المترامى الخيال ، وامتزجت بنفسه بذلك صفات الحالمين المتأملين ، والعمليين المنفذين ، والواقعيين الذين لا تقف فى سبيلهم العوائق والعقبات ، وقد [تيسر] لتلك الصفات جميعها أن يكون لها فى مقبل أيامه أعظم [النتا]ئج والآثار .

كان الزبير عميق الإيمان وثيق الاعتماد على الله ، وكان إذا ضاقت به الحوادث وأظلمت أمامه السبل اعتمد على الله ولجأ إليه ليكشف كربه وينير الطريق أمامه وينقذه من الملمات والأزمات ، وقد مرت به فى حياته فترات حرجة ، كانت أية واحدة منها كافية لأن توردە موارد الحتوف ، وأن تثنيه فى مستقبله عن ركوب الأخطار والمغامرات ، ولكن صفاته التى سردنا وإيمانه بالله الذى نوهنا عنه ، وأحلامه وطموحه جملته لا يوصد باب مخاطرة إلا فتح بعدها أبواب مخاطرات أخرى ، وكان يخرج منها جميعاً نقى الصفحات طاهر الذيل .

وما أذهب بعيداً فى سرد تاريخه العظيم ، ففى هذا الكتاب الفريد القيم ، وأسلوبه الجيل الممتع ما يجلو للقارىء الكريم بعض ما قام به الزبير باشا من جلائل الأعمال . وحسبى هنا أن أذكر فى إيجاز أن الزبير الشاب خرج من قريته « الجيلى » الواقعة شمال الخرطوم لا يحمل من متاع الدنيا غير عصا فى يد ؛ وانطلق إلى مجاهل جنوب السودان سعياً وراء المال والتجارة ، ولكنه سرعان ما انصرف إلى وجهته التى وضعتها فيه الأقدار ، لينقلب عما قليل من تاجر يشترى الريش وسن الفيل وماو. جنوب السودان من تجارة ومتاع ، إلى فاتح يجند الجيوش لحسابه ومن جيبه ! وقائد يفتح البقاع ، ومحارب يتصدى لقوم أشاوس ، الحرب طبيعتهم والطعان ديدنهم ؛ ويجوس خلال ديار بقيت طوال الدهور بعيدة من أن تطأها قدم غريب عنها .

ومن أسف أن تاريخ النخاسة فى أفريقيا كتبته أقلام أجنبية لم تتحر البحث الدقيق والحق الصراح ولم تعلم من تاريخ تلك البقاع النائية وتقاليد ملوكها شيئاً ، ولكنها أخذت بظاهر الأحوال ، ووصمت الزبير باشا ميتاً وافتراء بأنه أكبر تجار الرقيق تارة ، وبأنه ملك تجارة الرقيق تارة أخرى ؛ وفى هذه الصفحات ما يكفى لتفنيد هذه الوصمة ،

وفيها لمن يمعن النظر في نفسية الزبير وروحه وعقليته ، يقدر مواقفه النبيلة . ووفاءه لمصر ولعزيزها في ذلك الوقت ، كفاء من أدلة قاطعة على أنه كان أعظم قدراً وأعلى نفساً من أن ينغمس في تلك التجارة الآدمية البغيضة التي كانت سائدة ومتمشية مع روح العصر في ذلك الزمان . فلم يكن شراء الزبير للرقيق غاية في ذاته للكسب والثراء وللبيع والتجارة ، ولكنه اشترى رقيقاً وافتدى خارجين على القانون وضم أسرى حروبه ، ليكون منهم جيشه العرمرم الذي سار به يفتتح قرى بحر الغزال قرية قرية ، ويقهر ملوكها ملكاً ملكاً ، ثم ليضمها في النهاية إلى الأمبراطورية المصرية ويرفع في ربوعها علم مصر ، أو إن شئت فقل علم دولة وادي النيل . وكان للزبير إن أراد أن يستقل بأمرها ويحكمها لنفسه ، ولكن ولاءه لمصر وإخلاصه لها حمله يقدمها إلى الخديو إسماعيل باشا هدية برهان على الإخلاص والولاء . ولم يطلب أجر ما صنع وبذل ، تعويضاً أو مالا من مصر ، وكان حسبه أن منح رتبة « بك » تقديراً أدبياً له ، وأغلب ظني أنه كان أول سوداني حظي بتلك الرتبة في تاريخنا الحديث .

ومضى الزبير من بحر الغزال إلى دارفور فضمها هي الأخرى إلى دولة وادي النيل ، وحقق بعمله ومجهوده وحده ، ما جاء في الفرمانات الشاهانية خاصاً بلقب عزيز مصر ، بأنه « صاحب النوبة(1) والدارفور وكردفان حتى قبل أن تفتتح دارفور . ولم يطلب الزبير شيئاً لنفسه أيضاً كما كان حاله في ضم بحر الغزال إلى رقعة الأمبراطورية المصرية ، وكان حسبه أيضاً أن يكون تقدير خديو مصر له رتبة الباشوية هذه المرة وكان فتح دارفور آخر عهده بالفتوحات وتجنيد الجيوش .

كان هذا المجد الذي حصل عليه الزبير تارة بحد الحسام وتارة أخرى بالدبلوماسية والكفاءة الإدارية ، كافياً أن يثير عليه حسد من كانوا يديرون شئون السودان من حكامه الأتراك ، فنشط الدساسون يحوكون حوله الوشايات ويدخلون في روع أولي الأمر بالقاهرة ، أن الزبير إذا ترك وشأنه في السودان فقد يستقل به ويفصله عن مصر ويتوج نفسه عليه ملكاً ، وله من شهرته وبعد صيته وجنوده الأقدمين ما يستطيع به تحقيق تلك الأحلام . وقد يحسب الناس أن تلك الفرية لها نصيب من الصحة ، وإلا لما احتجز الزبير في مصر ، وقد أثبتت الأحداث أن تلك الوشاية بعيدة من الحق ، وأن الزبير حتى بعد أن بقي في القاهرة شبيها بالمعتقل فيها ، وبعد أن قتل ابنه سليمان بك الزبير ، وبعد أن صودرت أمواله ، وبعد أن نفي إلى جبل طارق ، تمسك بولائه ووفائه لمصر . فلم يغير ما بقلبه من ولاء ما لاقاه من أذى وجحود في القاهرة ، وقد عرض عليه الإنجليز في جبل طارق أن « يقبل حكم السودان مستقلا عن حكومة مصر » وكان رد الزبير كما ورد في مذكراته — « كان اقتراحا غريباً وقحاً ، لم يسعني إلا أن أرفضه ، فما كان لتاريخ أسرتنا منذ عام ١٨٢١ ، أي منذ أن بدأ اتصال ولائها بأسرة الحكم في مصر ، بأن يقبل هذه الخيانة أو عرضاً لحكم السودان عن طريق الإنجليز . كان من الواضح أنهم يريدون أن يجعلوا مني أجيراً لمصلحتهم ، فلما اشتد الجدل حول هذا الأمر ، غادرت الاجتماع غاضباً وأبيت أن أخوض في شئون بلادي مع هؤلاء الإنجليز » .

وفي هذا دليل وأي دليل على ولاء الزبير لمصر وإخلاصه لبلاده ، وأنه كان رجلا صافيا نقي الصفحات ، لم تعرف المطامع إلى قلبه سبيلا ، أو تعرف الأحقاد إلى نفسه مدخلا ، ولو كان غير وفي أو كان حقوداً أو كان صاحب مطامع كما وشوا به عند الخديو لوجد في هذا العرض وهو أسير بجبل طارق ، فرصة مواتية لشفاء نفسه مما لاقى من نكران وضاع الأموال وجحود لما قدم لبلاده من جليل الأعمال ، وكان موقفه هذا من الإنجليز شبيهاً بموقفه من الفرنسيين غداة عرضوا عليه أن يتوسط بين فرنسا وبين وليه القائد العظيم رابح الزبير ، لعقد اتفاق حتى يكف رابح عن حرب الفرنسيين في منطقة بحيرة تشاد . وإن فرنسا ستدفع له مقابل ذلك ما يشاء من مال ومطالب . كانت الشدائد والمغريات والعروض تكتنف الزبير وكانت كافية أن تغير ما بنفسه ، ولكنه ظل مخلصاً وفياً زاهداً في أعراض الحياة ، وفي هذه المواقف ما ينفي ما ألصقه به الواشون من مفتريات .

كانت للزبير صفات عظيمة نادرة ، كان رجل مال يعرف كيف يدبره ، وكان رجل قتال وغزوات يعلم كيف يسوق الجيوش ويجمع الأجناد ، وكان إدارياً يدرك كيف يسوس البلاد التي وقعت تحت قبضته ، وكان دبلوماسياً يفهم

(1) زمان ولاية محمد علي باشا على السودان أول يونيو ١٨٤١

كيف يحرر المعاهدات ويحاور الملوك والأقطاب .. جمع الأموال فبددها كرماً وجوداً ، حتى إن هباته كانت مضرب الأمثال . وصل إلى القمة حيث لم تكن كلمة إلى كلمته ، وانحدر حتى أصبح رهين إشارة الذين اعتقلوه ، وأحس مرارة فراق الوطن وفقد الأحباب ، وضياع الأموال ، ولكنه في كل هذا ، فيما مر به من نعيم وبؤس ، وبجد وأفول نجم ، كان ذلك الطود الشامخ لم تتغير نفسيته ولم يقل وفاؤه ولم تتغير سجاياه .

ترى ماذا كان يكتبه المؤرخون عنه ، لو أنه لم يكن سودانياً من أهل وادي النيل ؟ ترى ماذا كان يصفه به الفرنسيون أو البريطانيون لو أنه كان منهم ؟ ماذا كانوا يصفون به فتوحاته في مجاهل أفريقيا وأحراشها المظلمة ، وماذا كانوا يصفون به مواقفه في أصقاع البلقان ، أو كيف كانوا يصفون خلاله وما اتصف به من نادر الخلال ؟؟ إنهم كانوا ولا ريب يعظمون قدره ويخلدون ذكره ، ولعدوا غزواته وفتوحاته ضرباً من التهاويل والخرافات .

ترى أيكون نصيب الزبير من تقدير بلاده له ما حصل عليه بمجهوده هو من مكانة ورتب وأوسمة ؟ أيكون نصيبه هذه الصفحات تتلى وتقرأ سيرة من سير التاريخ ، أم إن مصر ستقدر لهذا البطل العظيم ما أدى إلى وادي النيل من خدمات فتخلد ذكراه وتنشر ما طوى من صفحات مجده .

لقد امتدت رقعة الأمبراطورية المصرية في عهد إسماعيل من البحر المتوسط شمالا إلى البحيرات الجنوبية جنوباً ، وحسب أهل السودان فخراً أن مواطنهم الزبير العظيم قد كان أحد بناة تلك الإمبراطورية ، ضم إليها بحر الغزال وضم إليها دارفور .

وإذا كنا في الآونة الراهنة ندعو إلى الجلاء والوحدة ، فلى أن أقرر هنا أن فكرة وحدة وادي النيل جاءت دائماً من السودان . نادى بها السودانيون يوم أقبلوا على محمد على باشا الكبير يطالبونه بأن يوحد مصر والسودان ، وكانت دعوتهم تلك بيعة له على الولاء والإخلاص كما بايعه المصريون على ولاية مصر . وإذا كانت تلك الوحدة قد تحققت في عهد رأس الأسرة العلوية ، فإن الزبير باشا بما ضمه إلى رقعة الأمبراطورية المصرية من مديريتي بحر الغزال ودارفور فكانتا درتين في تاج مصر ، قد حقق وحدة وادي النيل تحقيقاً عملياً . أليست الوحدة جاءت إذاً من الجنوب ؟؟ عليك سلام الله يا أبا سليمان .

توفيق أحمد البكري

الثقافة

العـــدد ٧٠١
٢ من يونيه ١٩٥٢

مجلة أســبوعية للآداب والعـــلوم والفنون
تصدرها لجنـــة التأليف والترجمـــة والنشر

الثمن ٣٠ مليماً

أبحاث ومقالات :

دراسات نقدية :

من الأدب الغربى :

نقد :

مسرح :

شعر :

المعلم الأديب

[مهداة إلى الأستاذ على الطنطاوى]

إما شكوت فلا تلمنى فى الشكاة من القــدر
فلقد سئمت من العنــاء .. من الشقاء .. من الغير
من وطأة الأيام .. من هــذا الضباب المنتشر
ممــا أعانى فى الليالى من عــذاب مستعر
ياليتنى أغفو فلا يقتات من جفنى السهر
هيهات أن أنفك عن مسك الدفاتر فى السحر
حتام أسكب ناظرىّ على الصحائف فى ضجر
وأظل أقرأ .. ثم أقرأ فى كلام لا يسر
الطفل جر « المبتدأ » — فى جرأة — نصب « الخبر »
وأراه فى « الإنشاء » يخرف .. لا يسوغ سوى الهذر
إن قلت : صف هذا الطبيب ، وفضله .. يصف الشجر
إنى ومصباحى كلانا حائر لا يستقر
حتى إذا ضوء الصباح بدا وفى الكون انتشر
وغدوت فى حجر الدراسة شارحاً بعض (السور)
ألفيت « صبيانى » وهم يتغامزون على حذر
إن دق ناقوس الخروج تصايحوا مثل النمر
هاجوا وماجوا فى الفناء .. تطايروا مثل الشرر
ويبح صوتى بين قف ، واسكت ، ومهلاً ، وانتظر
أين السميع !؟ وكلهم لاهون فى لجج السمر

* * *

إما شكوت فلا تلمنى فى الشكاة من القــدر
أنفقت عمرى فى الدروس ، وما غنمت سوى الكدر
وعصرت فكرى سائماً — أواه من عصر الفكر !!
إنى كساقية تفيض بمائها تروى الحجر
إنى كنسور حائر فوق الربى .. بين البشر
كم فكرة هبطت على ، وحسنها فاق الصور
طمس العناء جمالها فذوت كطيف مندثر
كم فى الليالى الباسمات . الحالمات مع القمر
أشتاق رمى دفاترى كيما أمتع بالنظر
لعب الجمال بخاطرى ، ورغبت فى نظم الدرر
حتى إذا انتفض الشعور ، وهام فى جو عطر
خنقت يد الإرهاق أنغامى ، وحطمت الوتر
وأظل منحنياً على كتبى بقلب منكسر
إنى هبطت من السماء إلى السفوح .. إلى الحفر
إنى أعيش « معلماً » .. أواه من حظ عثر
رباه .. حتام القيود تغلنى .. أين المفر !؟

محمد أحمد سالم

لن أذكر الماضى

كما تضيع الفكرة الشاعره   وتمّحى فى لحظة عابره
وتترك الأحزان فى إثرها   فتاكة هدامة ثائره
كذا مضى ما بيننا وانقضى   ولم تعد تربطنا آصره

* * *

كنا شقيقين ترف المنى   فى جونا فتانة آسره
نحلم أحلاماً سماوية   فيها الرؤى سابحة طائره
تحلو لك الدنيا ولكننا   نضفى عليها بهجة غامره
أبثك الوجد فتشكين لى   وجداً يبيد الصبر والصابره
فى فتنة الحب مضينا معاً   ننشر أنشودتنا الظافره
واليوم لا حب ولا فتنة   ولا رؤى فتانة ساحره

* * *

أين ابتسامات يرف الهوى   فيها وأين النظرة الآمره؟؟!!!
أين فؤاد هائم مدنف   وأين أين النشوة الطاهرة؟!!
عودى كما كنت رفيف المنى   فى جنة فينانة ناضره
يغرد الحب على دوحها   فترقص الأحلام يا شاعره
عودى ففى قلبى خضم الهوى   أمواجه صاخبة هادره
ما جف فى يوم ولكنه   يلفظ كل امرأة غادره
أو لا تعودى كل شىء مضى   كالليلة البارحة الغابره

* * *

فى الأفق يمشى موكب صامت   يلبس مثل الظلمة الساتره
يعزف لحن الموت فى دربه   أنشودة باكية خائره
جنازة الحب إلى قبره   تطوى به الدنيا إلى الآخرة

* * *

لن أذكر الماضى ولا عهدنا   فيه وما أنت له ذاكره

(دمشق)   إسماعيل عبد الكريم

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز
الدكتور أحمد أمين بك

الإدارة
١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف بك

العدد ٧٠١ الاثنين ٩ من رمضان سنة ١٣٧١ — ٢ من يونيه سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة عشرة

رؤية الهلال ومسائل فلكية أخرى

للأستاذ إبراهيم حلمي عبد الرحمن

في مثل هذا الوقت من كل عام يتطلع المسلمون إلى بدء شهر الصوم ويتوقعون رؤية الهلال . وكثيراً ما يحدث خلاف بين الشهود العدول في مختلف البلاد ، فيسبق قوم قوما في الصيام . وقد عنى العلماء بتقصي أسباب هذا الخلاف ، فاتضح أن الرؤية بالعين تتوقف بطبيعة الحال على حدة بصر الناظر ونقاء الجو من الغبار وعدم وجود سحب في السماء ، والطريقة التي يرى بها وتكييف العين للرؤية ؛ وهذه كلها عوامل قد تختلف من شخص إلى آخر ومن مكان إلى مكان ، فلا ضابط لها ولا رابط . ولكن ليس معنى ذلك أن يترك الأمر دون بحث أو تمحيص ؛ ذلك أن شدة استضاءة القمر عندما يكون هلالا دقيقا تتناسب مع عمره ، فإذا عرفت لحظة ميلاد القمر بالحساب الدقيق ، أمكن أن يحسب عمر القمر عند غروب الشمس (وتبعاً لذلك تقدر شدة استضاءته) ومن ثم يعرف بالقياس مدى احتمال نجاح الشهود في رؤيته .

والمراد بميلاد القمر هو اللحظة التي ينحرف فيها القمر عن الخط الواصل من الأرض إلى الشمس . ومن المعلوم أنه كلما زاد هذا الانحراف زادت مساحة الجزء الذي يرى من سطح القمر ، أي كبر الهلال رويداً رويداً . ويكون القمر محاقاً تام الإظلام عند ما يكون على الخط الواصل من الأرض إلى الشمس (بإهمال اختلاف الميل) . فإذا ولد القمر قبل غروب شمس التاسع والعشرين من شعبان ، وكان غروب القمر الوليد بعد غروب شمس ذلك اليوم ، وجبت الرؤية لتلمس الهلال بعد الغروب في الأفق حتى إذا استبان للعين أعلن بدء رمضان وإذا غم تكمل عدة شعبان .

وغروب الشمس يختلف من مكان إلى آخر باختلاف خطوط الطول والعرض وكذلك الحال في غروب القمر ؛ ولذلك قد يحدث أن يغرب القمر الوليد بعد الشمس في مكان وقبلها في مكان آخر . وهذا ما حدث تماماً هذا العام ، إذ من المحتمل أن يرى القمر في بلاد المغرب في مساء التاسع والعشرين من شعبان بينما يتعذر قطعاً رؤيته في مصر وما إلى شرقها من البلاد الإسلامية نظرا لاختلاف المطالع .

والرأي لعلماء الشرع في البحث عن حل مقبول ينتظم به حال الصيام في مختلف الأصقاع الإسلامية وما يتبعه من مواسم وأعياد دينية . فلهم أن يعتمدوا اعتماداً قاطعاً على الحساب إذا شاءوا ، باعتبار الثبوت بالبصيرة قاطعاً كالثبوت بالإبصار ، ولهم أن يختاروا مكاناً وسطاً وليكن مكة المكرمة

مثلاً يثبت الشهر عندها ويسرى ثبوته فى عموم المعمورة تبعاً لذلك . ومكة هى كعبة الحجيج وقبلة الصلاة ، فلا عجب أن يستمد من أفقها تحديد المواسم والأعياد .

فإذا رجعنا إلى الحساب نرى أن أول رمضان فى هذا العام كما يرى فى مكة لا لبس فيه ولا إبهام ، فعدة شعبان كاملة والهلال لايرى إلابعد غروب شمس السبت ، فلا مجال للرؤية ولا محل للشك أو الاختلاف .

فالشهر العربى لا يبدأ فى أى مكان إلا إذا غربت الشمس ، ثم تأخر القمر بعدها فى الغروب حتى يرى ثم يغرب بعدها ؛ وكثيراً ما أثيرت مسألة مواقيت الإفطار والإمساك فى الأماكن القريبة من القطبين حيث يطول النهار صيفاً حتى يستغرق معظم ساعات اليوم ، وحيث يقصر النهار شتاء حتى لا يزيد على بضع ساعات من اليوم ، بل قد يطول النهار حتى يصير اليوم كله نهاراً فلا تغرب الشمس قط أياماً متوالية ويستمر الليل متصلا بلا نهار أياماً أخرى شتاء . أما عند القطب الشمالى بالذات فالصيف ستة أشهر لا تغرب فيها الشمس أبداً والشتاء ستة أشهر لا تشرق فيها شمس ، فالشمس تشرق مرة فى العالم وتغرب مرة واحدة ، فما حكم الشرع فى هذا ؟

وكذلك يحتاج الأمر إلى حكم الشرع فى مسائل فلكية كثيرة تلزم المسلم الحريص على اتباع قواعد الدين . من ذلك تحديد وقت الفجر والعشاء بابتداء الشفق صبحاً وانتهائه مساء ، ولكن الشفق يستمر طول الليل فى أماكن كثيرة ، ففى خط عرض ٥٠ (أى فى شمال فرنسا) يتصل الشفق فى خمسة عشر يوماً من كل عام . أما فى خط عرض ٦٠ فيستمر الشفق طول الليل لمدة أربعة أشهر متوالية كل عام ، وإذا اقتربنا من القطب تزداد هذه المدة تدريجاً حتى تصل إلى القطب فلا تغرب الشمس قط طيلة ستة أشهر .

ولا يقتصر الأمر على حساب وقت العشاء والفجر ، بل إن وقت العصر هو الآخر لا يمكن تحديده فى الأماكن القريبة من القطبين فى أوقات كثيرة من السنة [illegible] فى أماكن أخرى لا يكاد يزيد الفرق بين وقت [illegible] و[illegible] العصر على بضع دقائق .

فهل قواعد الصوم والصلاة ورؤية الأهلة لا تصلح للناس كافة ، أم الأولى أن يسترشد الفقهاء بأصول الدين العامة تيسيراً منهم على الناس فى أمر دينهم دون حاجة إلى تزمت لفظى أو تشدد حرفى ، وتاريخ الإسلام حافل بالأمثلة التى توضح كيف أن العلماء الأجلاء والفقهاء الأوائل ابتغوا فى فتواهم ما فيه الصلاح واتخذوا من العقل والسنة والقياس وسائل التفسير والتشريع السمح الأغر ، وقد تطورت أحوال المدنية الحديثة وزاد العمران وأصبح الاختلاف فى الأمور التى أشرنا إليها ذا أثر واقعى فى الحياة مما يدعو إلى وضع قواعد صحيحة ثابتة تتفق وروح الدين وأصوله .

ورب قائل يقول : إن المسائل التى ذكرناها فرعية لا أهمية لها إلا فى خطوط العرض العالية القريبة من القطبين حيث لا يوجد عادة مسلمون كثيرون ، وهذا دفع غير مقبول أصلا ، لأن الإسلام للناس كافة ولأن من المسلمين اليوم من يرتحل إلى مثل تلك البلاد النائية . فقد قضيت شهر رمضان من العام الماضى فى هولندا وكان النهار تسع عشرة ساعة وأكثر قليلا ، وكنت أعلم بوجود مسلمين حريصين على أداء فريضة الصوم فى السويد والنرويج وغيرها من البلاد الشمالية ، والنهار فيها حينئذ يزيد طوله على عشرين ساعة .

وعلمت أن المسلمين فى البرازيل قد رغبوا يوماً فى إقامة مسجد أو مصلى صغير ، فسألوا عن اتجاه القبلة فعلموا أن القبلة ليس لها اتجاه معين فى المكان الذى اختاروه ، ذلك أن المكان كان فى الطرف الآخر من الخط الواصل من الكعبة الشريفة إلى مركز الكرة الأرضية ، وعندئذ يكون أى اتجاه هو اتجاه القبلة شرقاً أو غرباً أو شمالا أو جنوباً ؛ فكل اتجاه إذا سار المرء صوبه يصل إلى مكة ، والجواب على هذا السؤال غير قريب ، إذ أن الواجب اختيار القبلة *للصلاة بأن يتجه المرء صوب مكة — بأخصر طريق إليها — أما فى البرازيل فكل الطرق على نفس البعد من مكة* والقبلة غير محددة فى المكان الذى يقابل فى الموقع المكرمة بالضبط .

إبراهيم حلمى عبد الر[illegible]

كَسْبُ الوقت

من أهم أساليب السياسة الإنجليزية كسب الوقت ، والاعتماد على الزمن فى حلّ المشاكل ، فمن حين لآخر يخلقون أسباباً يطاولون بها خصومهم ؛ ففى إيران لجنة بعد لجنة بعد لجنة ، وأخيراً يقفون حيث بدءوا . وفى مصر مفاوضات ومحادثات ومباحثات بدأت منذ ثمانين سنة ، ولم تنته إلى اليوم . يعرضون العرض فيرفض ، فيؤملون الخصم أن سيعرضون عرضاً جديداً ، وإذا بالجديد كالقديم ، لا يختلف إلا فى الصياغة . كأنهم وثقوا من سخافة عقول مفاوضيهم . وكل يوم حجة جديدة ؛ فيفن مريض ، وإيدن مسافر ، والوزارة البريطانية ستستشير القواد العسكريين . وهم بجانب اعتمادهم على الزمن يؤيدون سياستهم بالدعاية أشكالاً وألواناً . فأمريكا ستدخل ، وستدخل بقوة ، ثم لا شىء .

وأخيراً نسمع أنه مع ردّ مصر برفض المقترحات يقولون إن الباب لا يزال مفتوحاً للمحادثات . وسيقوم السفير البريطانى فى مصر بإجازة تفتر فيها قطعاً المحادثات والمباحثات ، ويستغرق ذلك شهرين أو أكثر إلى أن يعود ، ثم إذا عاد لم تعدم تعِلاّت أخر لإرجاء المحادثات وتمطيطها ، ولكن على شرط أن يكون الباب مفتوحاً دائماً .

وحقيقة الأمر أن أوربا وأمريكا تتوقعان حرباً عالمية فى غضون هذه السنة أو التى بعدها ، فهما تماطلان حتى تقع الحرب ، فيكون لهما العذر فى عدم الجلاء ، أو لا تقع ، وينقشع خطر الحرب ، فلا يكون لجنودهم فى القنال أية قيمة ، وهما لا يريدان أن تقولا ذلك صراحة ، ولكن تطاولان وتطاولان وتطاولان . وقد كان الوقت مع الإنجليز فى كثير من مشاكلهم . ولو كان مكانهم أمة غير أمتهم فى الحرب الماضية ، لاستسلموا للواقع ، وسلموا أسلحتهم واعترفوا بهزيمتهم ، كما فعلت فرنسا ..

ولكنهم صبروا وصابروا حتى كانت النتيجة لهم . وكذلك شأنهم فى كثير من تاريخهم السياسى . وظنوا لنجاحهم هذا أنهم سينجحون أخيراً كما نجحوا أولاً ، وأن الزمن دائماً فى مصلحتهم . فليصابروا إيران ، فلعل عزرائيل يميت من يقف فى طريقهم ، أو يأتى الزمان بأحداث تكون فى جانبهم ، فيكسبوا ولا يخسروا . ولعل الزمان يفعل فعله فى مصر وغير مصر ، فلا يخسروا شيئاً .

ولكن هذا منطق خطأ . فقد يعقّد الزمن الشىء وكان بسيطاً .

وأعرف رجلا بدأ التسمم فى جسمه ، وأشار عليه الطبيب الجراح ببتر ساقه إلى ركبته ، ولكنه استفظع هذا الرأى ، ولم يشأ أن يعمل به ، ثم عاد بعد شهر إلى الطبيب يسلم له رجله ليقطع ساقها ، فقال الطبيب : لا . لا بد من قطعها إلى الفخذ . فاستفظع ذلك أيضاً ، وانصرف عنه ثم عاد بعد شهر ، وسلم له رجله إلى فخذه ، فقال له الطبيب : لا . انتهى الأمر ، وسيسرى التسمم إلى القلب ، فانتظر العاقبة .

إن الزمان الذى قد يُنجح فى بعض الأحيان ، قد يسبب مشاكل أضعافاً مضاعفة ، لا تحل كما كانت تحل أولا . وأرجو أن يكون مصير الإنجليز مع مصر ومع إيران ، ومصير الفرنسيين مع تونس ، مصير هذا المريض مع هذا الطبيب . فالدواء الذى ينجح مرة ، لا يمكن أن ينجح كل مرة ، بل قد ينقلب الدواء داء .

وليس العيب عيب من ماطل فنجح ، فأراد أن يماطل ثانية وثالثة ، ولكن العيب عيب من موطلوا فخدعوا ، ثم موطلوا فخدعوا ، ولا يزالون يماطلون فيخدعون .

أحمد أمين

آن ساليڤان أو صورة الرحمن

الآنسة منيرة حلمى

كان يوماً جديراً بأن تودع الشمس مساءه ما أودعت من سرها . إذ ما كاد الأفق يمس محيط قرصها حتى انبعث من جنباته فيض زاخر من الإشعاعات الأرجوانية أحال السماء إلى مستودع وهاج من نور ونار ، وكأنها قد أدركت أنها ستطوى من أيام هـذا البلد يوماً فريداً ، يوماً شهد انبثاق النور من بقايا حطام ، شهد الحطام وباعث النور فيه ، يوماً شهد « هيلين كلير » وإلى جانبها معلمتها « آن ساليڤان » . فما كان أجدره بأن تودع الشمس ختامه هـذا الرمز لسرها وسر الحياة : نار ونور . نار من شأنها أن تحيل كل شيء إلى هشيم تذروه الرياح ، وطبقات من الجو تحملها بين نسماتها اللطيفة فما تلبث أن تهديها إلى الأرض المظلمة الباردة نوراً هاديا ودفئاً مثمرا . أليس هذا هو سر الحياة كلها ؟ نفوس تشاء الأقدار أن تقذفها بما يحول بينها وبين بهجة الحياة ، فيؤجج نورتها ويكاد يقضى بحطامها ، وأخرى تشاء الأقدار أن تهبها من إرهاف الحس وسمو العاطفة ما يمكنها من استشفاف ألم شقيقتها ويدفعها إلى تلطيف جو حياتها وتحويل نار ثورتها إلى نور ساطع ، نور داخلى باهر ينكشف أمامه مالا ينكشف لنور الأبصار ويأتى بالخارق من المعجزات .

وهكذا شاء هذا المنظر الرائع أن يحيل صمت الخشوع إلى صمت التعجب والتأمل والتفسير ، وقد ولينا وجهينا شطر الأفق الأرجوانى ، وسرنا — صديقتى وأنا — فى صمت رهيب بعد ذلك المشهد الحافل الذى مثلت فيه هيلين كلير ومعلمتها دور الإنسانية الكاملة أروع تمثيل .

وشاءت صديقتى أن تستبدل بتعبير الصمت تعبير الكلام فقالت : « كان أكثر ما استهوانى هو انفعال الفرح الذى يتملكها إذا فهمت ما تنقله إليها معلمتها ، وإذا شعرت [illegible] معلمتها قد فهمت عنها وأفهمت الجمهور ، وأن [illegible] تقبل ما فهمه بالإعجاب والتصفيق . إنه يا صديقتى [illegible] فى بساطته ووسعه لم تعقد مظهره العادات [illegible] التعبير عنه التقاليد . لقد أضاف تعبيرها الصريح عن مشاعرها سمة فريدة إلى سمات شخصيتها الفذة ، هى سمة صفاء الروح وبراءتها حتى لكأنها تحمل روح طفل وعقل حكيم أريب »

وساد الصمت مرة أخرى لكنه هذه المرة كان صمتاً ظاهرياً حاولت أن أتغلب به على رأى ترددت فى الإفصاح عنه ، ومع ذلك فقد قهرنى واندفع إلى طرف لسانى لأصرح لصديقتى بقولى : « أما أنا فلم يجتذب انتباهى شيء قدر موقف معلمتها ، ولا أخفيك أننى كنت منصرفة إلى تأمل هـذه المعلمة وقد كادت يد « هيلين » أن تكم فاها وتقيد حركة رأسها ثم تتشبث بها إذا عمها الفرح وهزتها النشوة ، ونحن جلوس نكاد نختنق من حرارة الجو ، وهى تقف على رجليها هذا الموقف باسمة راضية . » وابتسمت صديقتى ساخرة وهى تقول فى تهكم : « أظنك ستقولين كعادتك كم تمنيت أن أكون مكانها ، وأن أستطيع القيام بمثل هذا العمل النبيل » وأجبتها جادة متحمسة : « هو كذلك يا صديقتى ، ولم لا ؟ وإنه لعمل يعبر عن الإنسانية بأسمى معانيها ، وإن كان قليل منا من يستطيع أن يتذوق جماله ويسعد بمشاقه ، مثل هذه السيدة » وقاطعتنى صديقتى فى دهشة : « وأى جمال فيه ؟ وأى لذة من ورائه ؟ » قلت : « أن يشعر الإنسان أنه قد ارتفع عن مستوى البشر وصار يشارك القدر من بعيد أو يقلده فى منح بعض بنى الإنسان ما فقدوه . ألا يلذ للإنسان أن يشعر أنه يخدم قوة عقلية جبارة كادت الأقدار أن تعزلها عن العالم وتفقدها كل قدرة على التعبير فتمحوها محواً ؟ أتدرين ما الإنسانية عندى ؟ إنها شعور الإنسان بأنه مطلوب ، وأن الحاجة إليه حاجة ماسة ، وأنه ضرورى لحياة الغير ولو كان هذا الغير شخصاً واحداً . فلست أقيس عمق هـذا الشعور بعدد الأشخاص قدر ما أقيسه [illegible] الحاجة التى يشعر بها الشخص الواحد نحو هذا الإ[illegible]

لقد مللت الحياة تجرى على وتيرة واحدة يتوارث الأ[illegible] نفس الاتجاهات ونفس الأعمال من جيل إلى [illegible]

إنما الإنسانية يا صديقى أن يتفرد الإنسان بعمل متميز قل أن يشاركه فى مثله إنسان آخر » .

وسادت فترة صمت طويلة حتى أخذ الملل يدب فى نفس صديقى ، فقطعته قائلة فى تململ : « لن تستطيع قوة أن تحولك عن التفكير فى هذه السيدة التى شغلت تفكيرك على هذا النحو ، وإنى موقنة أنى لو تركتك وشأنك أمام هذا المنظر الساحر ، وبرأسك هذا الموضوع الشاغل ، فسوف نقضى وقتنا كله فى صمت عميق . فلأخير أهون الأمرين وأسألك أن تعبرى عما بذهنك ، وتتخيلى أنك أنت هذه المعلمة فتحدثينى عن نفسك ، أو تصورين حالها والبواعث التى دفعتها إلى تحمل هذا العمل الشاق » .

قلت وقد تمثلت صورتها أمامى ، وحل موقفها عقدة لسانى : كأنى بهذه السيدة وقد اكتمل وعيها لينبئها أن بين جنبيها جهازاً فريداً يتلقى من المؤثرات ما لا ينبه سواه . فإذا بها تبتسم والقوم واجمون ، وتطرق والقوم يمرحون . تبتسم للحقيقة تنجلى أمام قوم ختمت على قلوبهم الأنانية فهم فى ظلماتها يعمهون . وتطرق للمرح يستبد بالقوم فلا يرون سوى ملذاتهم وإليها يهدفون . تشهد ما أقيم حفل وعمه المرح إلا اندفع ذهنها يبحث عمن أقاموا معداته ، واندفع وجدانها يشاركهم ما تكبدوا من آلام . وما بعث إلى نفسها الغبطة تقدير ذوى الشأن لها مثلما كان يبعثها تقدير الضعفاء . خلقت للغير بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، فهى لا تنفك تزيح عن نفسها سحابات الحزن حتى تصفو سماؤها ، وتطل منها طبيعتها الحانية تنشر الوفاء فى كل مكان . لكم كان يخيل إلى عارفيها أن هذه النفس كمرآة مجلوة يستهوى بريقها كل معذب النفس مسودّ الحياة . فما يكاد يعكر صفحتها بأنفاسه الحارة وأناته الباكية ، وينعكس عليها صورته الكئيبة المحزونة ، حتى تنطوى عليها صاحبتها تجلوها بلمساتها الرقيقة ومواساتها العميقة ، فإذا المرآة قد عادت أصفى مما كانت بهجة وبريقاً ، وإذا كل شاك يرى صورته الطبيعية المرحة مرة أخرى خلال هذه النفس الصافية بعد أن أودعها أواجعه وشكاته .

وأنبأها هذا الجهاز الفريد أنه لم يودع نفسها عبثاً ، ليجعل لها رسالة فريدة فى الحياة . وأعلنها قلبها الخفاق أنه يحمل بين طياته حباً عميقاً لكل شىء . حباً يشك فى أن يجد وعاء واحداً يستوعبه ويستسيغ محواه . فلتسع إلى أكبر مجموعة تتسع نفوسها لكل هذا الحب لعلها تستطيع أن تأخذ بيدها إلى جوّ الطمأنينة والاستقرار ، أما إذا أرادت له وعاء واحداً ، فليكن ذا ثقب يسمح بتسرب شىء مما ستفيضه عليه ، ولتبحث إذاً عن نفس جريحة تصب فيها من حرارة حبها ما يلئم جرحها ثم يحصنها ضد قذائف الأيام . لكن الجراح كانت تندمل ، والأوعية تضيق ، فلم تعد تتحمل هذا السيل المتدفق من الحب الشديد . وبقيت على هذا الحال تنوء بعبء قلبها حتى عرفت يوماً هذه الفتاة صاحبة الجرح الأبدى ، الجرح الذى يريد أن تتسلط عليه أشعة مستمرة من الحب ، ويحوطه جو مشبع بعبير الوفاء ، ثم ترعاه روح تشع التضحية من جنباتها إشعاعاً متصلاً ، فتصدر منها عن طبع وسجية لا عن مَنّ وتكلف .

« وهكذا عرفت آن ساليڤان هيلين كلير ، فهدأت إلى أول نفس تتسع حقاً لما بقلبها ، وأول قلب تنبت فى جنباته بذور هذا الحب فتنمو وتترعرع حتى تطاول حبها ، فإذا بالقلبين وقد تجاوبت عواطفهما ، وامتزجت مشاعرهما واتحد هدفهما فى الحياة » .

وضاقت صديقى بحديثى ، ثم ساقت سطور الصحف والمجلات عن ذكر آن ساليڤان . فرددت نفسى عن هذا الموضوع كما تعودت أن أردها كثيراً عن التفكير فى نواح قد لا تعن لغيرى . واتجهت أفكر فى هيلين وحدها ، وأقرأ عنها وحدها حتى طالعنا مقال أستاذنا الجليل الدكتور أبو العلا عفيفى بك بعنوان : « مغالبة القدر » . وأنا أعرف أن المغالبة فى هذه الحالة لا بد أن تشمل طرفين ، لأن المغالب عاجز ضعيف الحيلة . وأخذت أقرأ بلهفة حتى قاربت الثلث الأخير من المقال ، ولم أجد من يفيق إلا أسلوب أستاذنا الرصين وتحليله الدقيق . لكننى ما كدت أصل إلى اسم المعلمة حتى انتشيت فرحاً ، ورحت أكرر كل عبارة مرات ومرات ، وأنا أشعر أن وراء كل لفظ من الشحنة الوجدانية ما يكفى مقالات . وهكذا تحدث أخيراً أستاذنا الجليل عن المعلمة فأشبع نزعتى ، وأرضى اتجاه تفكيرى ثم أنقذ ثقتى بنفسى .

حقيقة — يا سيدى — لا تكون مغالبة القدر إلا إذا توفر مثل هـذا الإنسان الذى يبذل عن سعة من جهده وعواطفه وإنسانيته . ألا ترى أن هـذا هو الإنسان الذى رآه ابن عربى صورة الرحمن ؟ أقسم — يا سيدى — أنى وأنا أتأمل المعلمة وقد تشبثت بها هيلين ، كأنما تريد أن تسلبها كل قدراتها فتحيلها آلة توصيل تربط بينها وبين سامعيها ، ومع ذلك فقد وقفت راضية سعيدة ، أقسم يا سيدى أنى وأنا أتأمل هذا الوضع قد تذكرت مذهب وحدة الوجود عند ابن عربى ، وتذكرت الإنسان الكامل ظل الإله ونفس الرحمن وصورته فى الأرض وأى صورة له تكون أدق من هذه الصورة التى يفيض بها الإنسان على أخيه مما وهبه الله، يفيض دون منّ ولا شعور بالبذل والتضحية لأنه إنما يفيض من صورة الرحمن .

أليس من توفيق المصادفات أن يكون أول من يهتم بهذه المعلمة ويقدرها حق قدرها هو من علق مذهب وحدة الوجود عند ابن عربى ، علمنيه بما كتب عنه ونشر له ؟

لقد تقدم العلم ، وهيأت المخترعات الحديثة للعالم كل رغد واطمئنان . لكننا مع ذلك ما زلنا نرى العالم مضطرباً ثائراً يكاد يأكل بعضه البعض . فماذا ينقصه ؟ ألا ترى معى يا سيدى أن ما ينقصه هو أمثال هذه المعلمة ؟ ينقصه توفر من يشعر أن فى عنقه ديناً لأخيه الإنسان ، وأن شيئاً أن يعبر عن إنسانيته قدر البذل والتضحية . لكنى أخشى أن تكون حضارتنا قد أسرفت فى الآلية حتى جعلت الإنسان إحدى آلاتها الصماء . فلم نعد نرى الإنسان الذى يبنى شخصيته وزعامته على بذله للغير وفيضه على المحتاجين لعلمه وتجاربه ورعايته ، وليت الأمر اقتصر على أن تطبع هـذه الحضارة الإنسان بطابعها الآلى المجرد من المشاعر النبيلة ، وإنما أرى الإنسان قد شذ عن هذه الحضارة فى إحـدى نواحيها المرغوبة ، فإذا كانت هذه الحضارة حضارة بناء وتشييد ، وجدنا الإنسان يهدف إلى الهدم والتخريب وأى هدم ؟ إنه هدم النفوس وتحطيمها . فلا تقوم اليوم قائمة لزعيم إلا على أنقاض شخصية زعيم آخر يحطمه ويتخذ من حطامه أساساً لصرح زعامته ، ولا تقوم قائمة لدولة إلا إذا ابتلعت فى جوفها دويلات . أما ذلك الزعيم الذى تسمو إنسانيته حتى تجعل قوام زعامته التضحية وخدمة الغير ، وتبلغ ثقته بنفسه حد إعطاء خصمه مثلما يملك هو من لطرية بحيث لا يكون تفوقه عليه إلا بتميز فرديته العاملة المجاهدة ، فهذا ما زال الناس جميعاً يبحثون عنه فى وضح النهار بمصباح « ديوچنيس » . وأما الدولة التى تتيح لغيرها التقدم والرقى ، وتبذل لها المساعدات ثم لا تتفوق عليها بعد ذلك إلا بجهادها العلمى ومبادئها السامية . فهذه ما لن تجدها إلا فى رأس فيلسوف كأفلاطون .

لقد كانت تجلس إلى جانبى أثناء مشاهدة هيلين ومعلمتها تلميذة من تلميذاتى . فلما انتهت المحاضرة وجدتها مطرقة واجمة . فلما سألتها عما اعتراها أجابت : « أشعر باحتقار شديد لنفسى . أتجاهد كل هذا الجهاد مخلوقة مسلوبة القوى وتفنى حياتها أخرى فى إسعاد هذه المخلوقة ، وأنا أجلس هكذا متمتعة بكل قواى ومكتوفة اليدين ؟ » قلت « تشعرين بهذا لأنك لا تفعلين شيئاً ، فما بالك بشعور من يهدمون بضرباتهم الغاشمة ما تبنى أمثال هاتين السيدتين ؟ لكننى نسيت أن مثل هؤلاء لا يملكون حساسية ، بل لا أظن أحداً منهم يكلف نفسه مشقة السعى لمشاهدة مثل هذا المنظر المثير لأسمى المشاعر وأنبلها .

ألا حيا الله هذه المعلمة التى عرفت كيف تستغل ما وهبها الله لخير الإنسانية فعبرت بعملها النبيل عن شكرها لخالقها خير تعبير . ألا حيا الله هذه الصورة لرحمته التى وسعت كل شىء ، وهو بكل شىء عليم .

منيرة حلمى

إنشاء مركز دولى للتعليم الأساسى

فى سرس الليـــان

(عن نشرة اليونسكو)

جرت ، فى الخامس والعشرين من أبريل ١٩٥٢ ، مراسيم التوقيع على الاتفاق الخاص بالمركز الدولى للتعليم الأساسى الذى تنشئه فى مصر منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة . وقد وقع عليه عن الحكومة الملكية المصرية حضرة صاحب السعادة أحمد ثروت بك سفير مصر فى باريس ، كما وقع عليه عن المنظمة الدكتور جيم توريز بوديه مديرها العام .

ويتم إنشاء هذا المركز ، فى غضون هذا العام ، فى بلدة سرس الليان بمديرية المنوفية على بعد مائة كيلو متر شمالى القاهرة ، فيصبح حلقة ثانية من سلسلة المراكز الدولية التى تنشئها اليونسكو للنهوض بالتعليم الأساسى فى مختلف أنحاء العالم ، متخذة أسباب التعليم وسيلة لها فى مكافحة الجهل والفقر والمرض . أما المركز الأول فقد أنشىء فى المكسيك فى العام الماضى .

وتعنى اليونسكو بالتعليم الأساسى ، ذلك الحد الأدنى من التعليم العام الذى يمكن أن يساعد الأطفال والراشدين المحرومين مزايا التعليم المدرسى ، على تفهم مشاكل بيئتهم وتكوين فكرة صحيحة عن حقوقهم وواجباتهم القومية والفردية ، حتى يشاركوا مشاركة فعالة فى تقدم مجتمعهم والنهوض بمستواه الاقتصادى والاجتماعى .

ويتولى المركز الجديد إعداد المعلمين ، وتوفير المواد التى يتطلبها التعليم الأساسى وأداء البحوث الفنية الكفيلة بالنهوض بالتعليم الأساسى فى البلاد العربية السعودية ومصر والعراق والأردن ولبنان وسوريا .

وينتظر أن يحتفل بافتتاح هذا المركز فى الخريف القادم ، ... فى البدء — خمسين طالباً ، على أن يبلغ عدد ... الملتحقين عند الانتهاء من إقامة الأبنية الجديدة اللازمة .

هذا ، وسيعتمد المركز فى اختيار طلبته قوائم المرشحين التى تقدمها الحكومات المشتركة فى هذا المشروع ، على أن تتعهد هذه الحكومات بأن يقوم خريجو هذا المركز بالعمل فى ميدان التعليم الأساسى فى بلادهم .

والمتفق عليه أن تضع الحكومة المصرية تحت تصرف اليونسكو الأراضى والأبنية اللازمة للمركز ، بينما تقدم اليونسكو مساعدتها الفنية والمالية .

هذا ، وتستطيع الدول الأعضاء فى اليونسكو أن توفد إلى (سرس الليان) من تشاء من المراقبين ليقفوا على سير نشاط المركز .

وقد ألقى الدكتور جيم توريز بوديه ، على أثر توقيع الاتفاق ، كلمة عبر فيها عن شكره الخالص لما أبدته الحكومة المصرية من تعاون ودى فى تحقيق هذا المشروع ، مؤكداً أن هذا المركز لن يلبث أن يصبح من أهم عوامل النهوض بالتعليم الأساسى فى البلاد التى تشترك فى نشاطه ، ثم قال :

« إن الدول الأعضاء فى اليونسكو لتخطو دائماً فى الطليعة وقد جعلت هدفها تقويم هذه الظروف غير الإنسانية التى تفرض على نصف البشرية شر الأمية والفقر والأمراض المتوطنة . وقد تضافرت فى هذا الكفاح جهود الأمم المتحدة وهيئاتها المتخصصة ، فهذه منظمة التغذية والزراعة ، ومنظمة الصحة العالمية ، ومنظمة العمل الدولية ، تسير مع اليونسكو جنباً إلى جنب لتحقيق مشروعات التربية الأساسية .

« ولقد شهدت باتزكوارو فى المكسيك ، فى العام الماضى ، أول مركز للتعليم الأساسى افتتحته اليونسكو للنهوض ببلاد أمريكا اللاتينية ، واليوم تضع اليونسكو فى قلب الدول العربية المركز الدولى الثانى ، ليقوم أصدق دليل على إيمانها بالعلم ، وهو أبلغ ما تتسم به كل ثقافة إنسانية . وليس بعد

من العبث أن يكون العلم فى عرف الآداب العربية مصدراً لصحة الفرد والجماعة ، وحافزاً دافعاً لكل حضارة عريقة .
إن النظم التى نجهد فى نشرها ، إذ تفى بحاجات الإنسان الجوهرية تعزز بالتالى من آماله وتهيىء له ، فى المجتمع الذى يعيش فيه ، قسطاً أوفى من ثمرات التربية والثقافة ، بل بعضاً أوفر من خيرات التقدم الاقتصادى والاجتماعى » .

مركز (سرس الليان) للتعليم الأساسى

لا يستطيع القائمون اليوم بحركة التعليم الأساسى أن يذكروا المكسيك وأمريكا اللاتينية دون أن تستوقف انتباههم مركز (باتزكوارو) ، أو أن يتحدثوا عن مصر والشرق الأوسط دون أن يتركز حديثهم حول مركز (سرس الليان) الجديد .

وقد أنشأت اليونسكو مركز (باتزكوارو) منذ عام ، واحتفلت منذ أيام بتوقيع اتفاقية مركز (سرس الليان) .

ولم يكن اختيار اليونسكو هاتين المنطقتين مركزين للتعليم الأساسى مجرد صدفة أو اتفاق ، وإنما جاء ذلك على أثر اختبارات وتجارب عدة ، روعيت فيها الظروف الإقليمية والاعتبارات الاجتماعية وحاجات السكان إلى التعليم الأساسى والنمو الاقتصادى ، وموقف كل مركز بالنسبة إلى الأقاليم المجاورة له حتى يصبح لها مثالاً تقتدى به . بل ويعتبر هذان المركزان نقطتى إشعاع للعالم أجمع ، وفيه من البقاع ما فرضت عليه ظروف البيئة وأحداث التاريخ ظلمة الجهل والحرمان ، كما هى الحال فى بقاع الشرق الأقصى والبلاد الأسيوية والأفريقية ، بوجه عام .

ونقصر حديثنا على مركز (سرس الليان) فنقول : إن اليونسكو قد دعت إلى الاشتراك فى نشاطه حكومات العراق وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية على أن تشملها مزايا المركز .

ويهدف برنامج المركز إلى تحقيق أغراض أربعة كبرى : *يتناول الأول البحث والدرس ، ويتضمن الثانى إعداد المواد التربوية ، ويقوم الثالث على تهيئة الطلبة وتوجيههم ، وينطوى الرابع على تعميم مزايا التعليم الأساسى بين بلاد الشرق الأوسط جميعاً .*

أما البحث والدرس ، فيقصد به قيام المركز بجمع المعلومات اللازمة تيسيراً لمهام طلبة المركز والبعثات الموفدة إليه . وقد تبين لليونسكو ، من التجارب التى قامت بها حتى الآن ، أن العمل فى ميدان التعليم الأساسى لا يمكن أن يصيب نجاحاً ما لم يدرك القائمون به أحوال المجتمع الذى يهدفون إلى خدمته . ذلك أن التعليم لا يقتصر على تلقين مواد أو غيرها ، وإنما يرجى منه أن يساعد الأفراد على تفهم بيئتهم ، وبالتالى على النهوض بها . ومن ثم كان من الضرورى أن يعنى المسئولون بأساليب التعليم الفنية على نحو يتفق وعقليات الطلبة وأمزجتهم فى كل إقليم من الأقاليم .

وأما الغرض الثانى الذى يهدف إليه المركز فمعنى بـ إعداد المواد التربوية ؛ ذلك أن لكل منطقة حاجاتها الخاصة من كتب دراسية وغيرها من وسائل التبسيط والإيضاح كالخرائط والرسوم وأجهزة المعامل والأشرطة السينمائية والمعروف أن مركز (سرس الليان) سيعمل على إنتاج هذ المواد ، متخذا له أنموذجاً يتناسب والميزات الثقافية التى تـ بلاد الشرق الأوسط معاً ، حتى إذا رغبت هذه البلاد فى اقتـ مثل تلك المواد ، وجدت فى المركز مرجعاً لها ، يطلعها ع كيفية الإنتاج ويسديها النصح والتوجيه .

ويقوم الغرض الثالث على تلقين طلبة المركز مباد التربية السيكولوجية ، وعلى الأخص فيما يتعلق منها بتـ الراشدين . ونعنى بهذا دراسة البيئة الطبيعية والاجتما حتى يقف الطلبة على الحوافز التى يمكن أن تدفع بمجتمـ إلى التقدم ، حتى إذا ما عادوا إلى أوطانهم ، استطاعوا رسالتهم على الوجه الأكمل .

وأما الغرض الرابع والأخير ، فيقصد به مساهمة ا فى تعميم مزايا التعليم الأساسى بين بلاد الشرق الأ جميعاً ، حتى يشترك بأكمله فى تحقيق مشاريع اليو وبرامج الأمم المتحدة الخاصة بالمساعدة الفنية . ومز *هذا التعاون ، ولا ريب ، أن ينهض بمستوى الشـ وأن يخرج بها إلى النور .*

شوقى والبارودى

أثر النفى فى شعرهما

للأستاذ أنور الجندى

تجمع بينهما فى نفسى رابطة الشعر ، ورابطة النفى والاعتقال . .

فإلى أى حد أثر النفى فى شعرهما وفى نفسيتهما . . ؟

كان البارودى من رجال السيف والقلم كما يقولون ، فقد اشتغل بالسياسة وولى الوزارة واشترك فى الثورة العرابية ، وولع منذ صباه بالشعر ، وأتيح له أن يعمل فى ميدان الحرب ، فاشترك فى حروب كريد ١٨٦٧ ، ثم قبض عليه مع عرابى وزملائه ونفى إلى سيلان ١٨٨٣ حيث أمضى بها سبعة عشر عاماً ، وعاد إلى مصر عام ١٩٠٠ وظل بها إلى أن قضى فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ .

أما شوقى فقد كان شاعر الأمير ، وكان شاعر المناسبة ، فى المديح والرثاء . . وكان قد سافر إلى أوربا ، ثم عاش فى القاهرة عيشة الترف والرخاء ، حتى كانت قصيدته التى اتخذت منها السلطات المحتلة وسيلة إلى نفيه إلى الأندلس . . فأمضى به خمس سنوات ، ثم عاد بعد أن انجابت غواشى الظلمات . .

* * *

نفى البارودى على أثر الثورة العرابية ، ونفى شوقى على أثر إعلان الحرب العالمية الأولى ، وكانت السياسة سبباً فى هذا التغريب الذى طال أمده بالنسبة للبارودى ولم يطل بالنسبة لشوقى .

أما البارودى فقد أمضاها فى سيلان ، وهو أشبه بالأسير الذى وقع فى قبضة العدو ، وكانت الجزيرة تحت حكم الإنجليز .

أما شوقى فقد أمضاها فى الأندلس ، وفى ثغر برشلونة المطل على البحر الأبيض ، أشبه بالحر المغترب النازح عن وطنه منه بالمعتقل المنفى .

وفى سيلان عاش البارودى مع رجال الثورة ، حياة لم تكن طيبة تماماً ، وليست على ما كان يرجو ، وطال الوقت والزمن بالمعتقلين ، المبعدين عن أوطانهم ، الذين حيل بينهم وبين أهليهم ، . . ولم تكن أيامهم صفوا كلها ، فقد استعادوا بعد قليل ذكريات الجهاد . . . ، وكان لها أثرها فى الخلاف والمتاعب النفسية .

وظهر أثر هذا فى شعر البارودى واضحاً جلياً ، نفسية البارودى المجهدة التعبة ، وآماله المنقطعة . .

كان شعر البارودى فى هذه الفترة مظلماً ، وكان يدور حول نفسه وحدها ، وحول المعانى المغرقة فى التشاؤم والضيق . وأظهر مثل لذلك قصيدته فى رثاء زوجه وما حوته من معان غاية فى الاستيحاش والضيق ، وكأنما جاء هذا الحادث « منفذاً » لآلام مكبوتة ، أو مخرجاً لطاقة حائرة . . ضاقت بالقيود فوجدت فى هذا النفى ما يبرر ثورتها وانفجارها .

* * *

كان البارودى قبل الثورة العرابية وقبل النفى شاعراً ، تفيض نفسه بالإشراق ، ويفيض شعره بالإبداع . . ، وكانت نفسيته مزيجاً من الإعجاب بالجمال ، والانطلاق والروحية العميقة . . وكان شعره ينضح بهذه المعانى ، وكانت انتصاراته الحربية ، وتألقه فى محيط الوزارة والسياسة يضفيان على شعره تلك الروح القوية الوثابة .

ويمكن القول بصفة عامة أن المنفى كان له أثره السيء فى نفس البارودى ، ويعد شعره قبل المنفى أعظم ما خلف من ثروة أدبية ، أما شعره خلال فترة النفى وبعده فليس فى درجة قصائده الأولى .

* * *

أما شوقى فعلى العكس من ذلك تماماً .

كان شعره قبل المنفى مجموعة من قصائد المناسبات العامة ، رغم ما كان يتميز به من أصالة وجمال .

فلما نفى تحول كثيراً ، وانتقل من شاعر المناسبة إلى شاعر الوطنية والإنسانية ؛ كان منفاه أشبه بالرحلة الميسرة ، وأتاحت له إقامته فى إسبانيا فرصة العودة إلى ذخائر الأدب العربى القديم وقراءتها واستيعابها .

كان معه أولاده وأسرته ، وكان جو الأندلس العربى وما يوحى إلى النفس من مشاعر بالإضافة إلى المكتبة الضخمة وإلى يسر الوارد ، وانتفاء الضغط ، وقصر المدة ، كان كل ذلك كافياً لأن يحول شوقى ويقوى مزاجه الشعرى . . .

أضف إلى هذا ذلك المعنى النفسى الذى أفاده من النفى ، والذى كان بعيد الأثر فى تحويل اتجاهه من وضع إلى وضع ، ومن طريق إلى طريق .

وفى هذا يقول شوقى : « ثم عكفت على قراءة كتب الأدب العربى فى غير أوقات النزهة ومشاهدة السينما ، فاستوعبت منها ما لم أكن أستوعبه ، وطالعتها كلها حتى أكاد أقول أن ليس فى الأدب العربى كتاب لم أستوعبه فى خلال السنين الخمس التى مكثتها بأسبانيا . وساعدنى على ذلك الجو اللطيف الذى يشبه جو الإسكندرية ، وجمال المناظر التى تحاكى ضواحى الآستانة فى رشاقتها ونظافتها » .

***

كان النفى والاعتقال فى حياة الشاعرين محنة ، ولكنها المحنة التى حولت شاعر الأمير إلى أمير الشعراء ، ولو أن شوقى ظل بغير نفى ، لما أمكن أن يصل إلى هذا الاتجاه الجديد الذى كان من أسباب خلوده .

لقد اكتشف شوقى نفسه فى خلال منفاه ، وآمن بشاعريته ، حتى إذا عاد كان قد انتقل بها نقلة كبرى .

كانت فى نفسه « روحانية » كامنة ، سرعان ما أبرزها ارتفاع السن والعجز عن سوم سرح اللهو .

وكان قد خرج من القفص الذهبى عند ما قال قصيدته التى نفى من أجلها ولم يعد إليه مرة أخرى . . . وقطعته النثرية فى قنال السويس التى كتبها وهو خارج من مصر فى طريقه إلى منفاه ، هى أول إنذار بهذا التحول .

***

ويلتقى شوقى بعد ذلك مع البارودى ويختلف .

يلتقيان فى الناحية الروحية ؛ فقد أنشأ كلاهما بردة للمديح على نسق « بردة البوصيرى » ، وكتب كل منهما فى الحب والغزل والجمال ، غير أن شوقى يبدو فى قصائده أقوى من صاحبه ، وأكثر فهماً للمرأة وأنفذ إلى أمور العاطفة ، وإن كان على كثرة ما قال فيها ، لا يبدو فى صورة من اكتوى بلهيب الحب .

ويختلفان فى بعض الجوانب العامة ، أما شوقى فقد كان قليل الكلام ، ولم يكن من الذين يتصدرون المجالس ، كان منطوياً ، يوجز القول ويطيل الصمت .

أما البارودى فقد كان على غير ذلك من التبسط والحديث وغشيان المجالس .

***

وجملة القول أن البارودى كتب خير شعره قبل الاعتقال ، وأجاد شوقى بعد الاعتقال وأبدع ألوانه الجديدة .

أنور الجندى

الإقنـــــاع

للا نسة الزهرة

ليس للإقناع دخل ولا صلة بالعنف والجبروت ، فإذا عمدت أنت وجماعة من السفهاء الأشداء إلى قذف نافذة سيارتي بالأحجار وأمرتني بالنزول منها ؟ فإني أذعن للأمر بكرهي ، ولكن ليس في حملي على ذلك شيء من قوة الإقناع أو الاستمالة ، وإنما يعدُّ إذعاني لك مسالمة مصفدة بالعنف والإرهاب .

وليس للاقناع صلة بالعقيدة أو الاقتناع العقلي ، لأنك إذا أثبت لي أن الثلاث زوايا التي يتألف منها المثلث ، تساوي زاويتين قائمتين ، وإني أسلمُ لك بصحة ما تثبت ، ولكن ليس في تسليمي هذا أثر من التخاذل لقوة الاقناع ؟ بل إنه التسليم الصميم لمنطق العلم وصحة الحجة ؟ وغير خاف أن الاقناع يتطلب موضوعاً له حيث تستنكر الشدة ويستكره الاستبداد بالرأي والافتيات في الأمر ، وحيث يبطل عمل العقل والمشاورة . فالإقناع إذاً ضرب من استمالة العقل الباطن فيمن تبغى التأثير عليه ، فبالتلقين والنفوذ والتكرار تلقي الحليلة في روع بعلها رغبتها إليه في الإقلاع عن لبس حلة من الثياب التزم ارتداءها أعواماً طويلة ولا يزال يحبها .. وإننا لنعرف أن السيدات يلجأن إلى توخي طرق الاستمالة الخلابة ، وتوجيه الدعوة إلى أمر من الأمور وإرهاف العزم عليه في جميع مطالبهن أكثر مما يفعله الرجال ؟ وحين ينلن مبتغاهن غالباً بالإيحاء والمسالاة ، ويصبح الإقناع عادة متأصلة في نفوسهن لا تلبث تلك العادة أن تستخف الغير عن رأيه وتستفزه عن عزمه وتعدل به عن جادة الحزم وتستنزله عن محجّة إرادته إلى حيث تريد هي . ونضرب لذلك مثلاً الأسلوب النسائي السخيف — أسلوب النفاق الاجتماعي الذي يصطنعنه مع زائرة طالت زيارتها حتى أصبحت مملولة وقولهن لها : « لسه بدري ! ومستعجله ليه يا ختي » مع علمها وعلمهن جميعاً بأنهن يموهن عليها الباطل إذ يزيّن لها البقاء ويقصدن غير ما يقلن من محاولة إقناعها .. بأنها مستعجلة !!.

وتستطيع المرأة بالتوكيد المغري أن تبعث الرجل على تنفيذ ما ينافي توكيدها اللفظي وتحقيق غايتها المنطوية فيه وقد صحت في ذلك منذ بدء الخليقة ومذ قالت امرأة الكهف لرجلها : « أريك يا زوجي أن تعدني بالإقلاع عن صيد دب أحمر لي ، ولئن كنت لا أجهل أن جلده فاخر ، وأن كرائم السيدات يصنعن منه فراء جميلاً ، إلا أني أعرف أن الدب الأحمر شرس ضار ، ولا أريدك أن تتعرض لأقل مجازفة وأتفه خطر » . لما لبثت أن حصلت بتوكيدها المزخرف على جلد الدب الأحمر بعد مرور أسبوع واحد .. ولو أنها تظاهرت برغبتها في إلزامه بإحضار جلد الدب لقال لها : « حسناً ، ولكن ماذا فعل الدهر بجلد الثعلب الفضي الذي أهديته لك منذ ثلاث سنوات » ولأجابته قائلة : « لقد أتلفه العث ، وفضلاً عن ذلك فإن زيّه قد بطل ، هذا إلى كونه لن يقيني قرسة الشتاء القادم بحال من الأحوال » .

ولطال معهما الجدال واللجاج والحوار ولتبادلا عبارات السباب ، ولأخفقت في الحصول على جلد الدب . ونأخذ من هذا جميعه أنه إذا كثر تكرار الكلمات المعسولة والعبارات اللطيفة التي تدلّ بالغرور وتفيض بالإيحاء والإيثار المموّه . فإنها لا تلبث أن تنفذ إلى العقل الباطن وتغري بالفعل والتنفيذ ، وأحسن مواضع الإقناع وأوفرها أدباً ورقة هي حيث تعظم الرغبة في تلقي كلمة الاقناع ؟ مثال ذلك حين تودّ أن تقنع مخاطبك بالتغلب على بعض خوالج التردد التي يودُّ الاستظهار عليها ، أو حين يدعو فلان صديقه إلى مشاركته في تناول كأس من الخمر ، فيجيبه الصديق قائلا : « لا أظنني أقدر على تناول هذه الكأس معك الآن ، فقد تجرعت رشفة من الويسكي منذ نصف ساعة ، ولكني أشكرك على كل حال ، ولا أكتمك أني عزمت على الإقلاع عن تعاطي الخمر إطلاقاً » . وأرى أن تشخيص الاقناع في هذا المثل الأخير يعدُّ من أدقّ وأحسن ما يكون !!

وأقول للكاتب بارى باين ، الذى ترجمت عنه هـذا المقال : إنه قد ظلم السيدات ، إذ جعل سلاحهن فى الإقناع قدرتهن على نسـج الألفاظ وتوشيتها من الأضداد واعتماط المقاصد وتزيينها والحض على إنجازها . وإن ما حباهن الله به من لطافة الحسّ يواتيهن بنصيب كبير من الفطنة ورقة اللفظ وصدق المقال وجودة الرأى ورجاحة الحصاة ولباقة الجواب ونواهض النيّات :

وأسوق فى هـذا المجال عن عبد الله بن مصعب قوله : «قال عمر بن الخطاب : لا تزيدوا فى مهر النساء على أربعين أوقية ، وإن كانت بنت ذى الغصة — يعنى يزيد بن الحصين الصحابى الحارثى — فمن زاد ألقيت الزيادة فى بيت المال . فقالت امرأة من صف النساء — طويلة فى أنفها فطس : ما ذاك لك ! قال : ولم ؟ قالت : لأن الله عزّ وجل قال : وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ، أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ! قال عمر : امرأة أصابت ورجل أخطأ !!» .

ثم أذكر ما قال الأصمعى عن امرأة أتت حاتم بن عبد الله بن أبى بكرة ، فقالت : أتيتك من بلاد شاسعة ، ترفعنى رافعة ، وتخفضنى خافضة ، لملمات من الأمور ، حللن بى فبرين لحمى ، ووهن عظمى ، وتركننى والهة كالحريض ، وقد ضاق بى البلد العريض . هلك الوالد وغاب الرافد وعدم الطارف والتالد . فسألت فى أحياء العرب عن المرجو سيبه المحمود نائله الكريم شمائله فدللت عليك ، وأنا امرأة من هوازن فافعل بى إحدى ثلاث : إما أن تقيم أودى وإما أن تحسن صفدى : وإما أن تردنى إلى بلدى . فقال : أجمعهن إليك ، وحباً وكرامة » .

أولسنا نرى كيف أوزعته بالمعروف وحركته إلى المروءة وأقنعته فى بعد فى الغلو عن الثناء عليه بألفاظ لا تلبس الحق بالباطل ، بل توحى بما هو أجمل فى السمعة وأحمد فى العقبى وتطهر من التملق الذى يركب سامعه الغرور . ثم أذكر تلك السيدة التى احتجت على خصمها بحجة شهباء وصراحة لازمة ، وكانت امرأة من بنى ثعل وقف عليها المهدى يوماً … لها : ممن العجوز ؟ قالت : من طيىء . قال : ما منع … يكون فيها آخر مثل حاتم ؟ قالت : الذى منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك .. . فأعجب بقولها ومنحها الصلات الطائلة . بل أذكر فى تهيب واحترام تلك الأعرابية التى أيدت ما صدر منها ، بشواهد المعقول والمنقول وأوردت عليه النصوص الصريحة حين مات ابنها ، فما زالت تبكى عليه وتنوح حتى خدّد الدمع وجنتيها ثم استرجعت فقالت : « اللهم إنك قد علمت فرط حب الوالدين لولدهما ، فلذلك لم تأمرهما ببره . وعرفت قدر عقوق الولد لوالديه فمن أجل ذلك حضضته على طاعتهما ! اللهمّ إن ولدى كان من البر بوالديه على ما يكون الوالدان لولدهما . فاجزه منى بذلك صلاة ورحمة والهمه سروراً ونصرة . فقال لها أعرابى : نعم ما دعوت له ، لولا أنك شبته من الجزع بما لا يجدى . فقالت : إذا وقعت الضرورات لم يجر عليها حكم المكتسبات . وجزعى على ابنى غير ممكن فى الطاقة فرطه ولا فى القدرة منعه ، والله ولىّ عذرى بفضله . فقد قال عز وجل : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم » .

هـذا ولعله ليس لى متسع ولا مذهب عن إثبات مثل جميل لتلك الحسناء التى لم يخـدعها الثناء ولم يدفعها الدلال إلى الإدلال بمفاتنها والزراية على زوجها عمران بن حطان : — وكان عمران هذا قبيحاً ذميماً قصيراً دميماً . فأوى إلى بيته يوماً فلاقته زوجه وقد تزينت فلما نظر إليها — وكانت امرأة بارعة الشكل ازدادت فى عينيه جمالاً وحسناً ، فلم يتمالك أن يديم النظر إليها . فقالت : ما شأنك ! فقال : لقد أصبحت والله جميلة !! قالت : أبشر فإنى وإياك فى الجنة .. قال : ومن أين علمت ذلك ؟ قالت : لأنك أعطيت مثلى فشكرت ، وابتليت بمثلك فصبرت . والصابر والشاكر فى الجنة .

فلله درها لينة الجناح دمثة الطبع مهذبة التعبير سلسة الأخلاق ، لا يثنى أعطافها الزهو ولا تتهادى بين أذيال التيه ، بل تأخذ الأمور بالترخص والرضى وتتحلى بالفهم النير ، والقلب الواعى ، واللب الرصين ، وتتعهد الزوج بالاحترام الواجب والود الوقور والإسعاد المتبادل .

الزهرة

النقد التفسيرى للأدب

— ١ —

للأستاذ عز الدين إسماعيل

هذه محاولة من المحاولات التى تهدف إلى تناول الأدب بوجه عام ، والأدب العربى بوجه خاص ، تناولا جديداً ، وفى الأضواء التى تشعها من حولنا العناصر المختلفة للنهضة الحديثة ، وهى إلى المحاولة أقرب منها إلى البحث أو النظرية بحيث نستطيع اعتبار النتائج التى سننتهى إليها — منذ الآن — ليست من الثقة بالدرجة التى تتحول معها الأفكار والعقول — بسهولة — من سبيل إلى سبيل ، أو من مأثور إلى جديد .

١ — إذا نحن سألنا أنفسنا ما إذا كنا نملك فى ماضى العربية الفنى ما نستطيع أن نعيش عليه من نظريات أو نظرات نقدية ، لم نجد — فى واقع الأمر — سوى حفنة من اللمحات الخاطفة التى تستطيع أن تنمو فى عقولنا وتتفرع وتثبت قواعدها . على أننا إذا أردنا إلى إنمائها — فى حاجة إلى التزود من الألوان الحضارية المختلفة المعاصرة . والواقع أن هذه الحاجة لا تنقصنا وحدنا ؛ فإن النقد فى الغرب أيضاً ما يزال — نسبياً — يحتاج إلى الإفادة من الأضواء الحديثة المختلفة لفهم الأدب والعملية الأدبية ، وإن كان — فى الواقع — قد شرع يخطو فى الطريق خطوات ثابتة ، ولا يكاد يحتفظ بالقديم ويبقى عليه إلا البيئات الأكاديمية . « ولسوف يصادف فشلا غير قليل ذلك الناقد الذى يحتفظ بالإنتاج الأدبى القديم فى مذكراته المهلهلة المستمدة من أرسطو أو تين ، والتى لا تحتوى شيئاً من فرويد أو ينج ، وعبثاً يحاول الباحث فى دروس النقد الأدبى المعطاة فى معظم الكليات أن يجد ما يدل على أن فرويد أو ينج قد كتب مرة سطراً له قيمة بالنسبة لتفسير الأدب[1] » .

وإذا نحن تتبعنا النظريات النقدية فى القديم استطعنا أن نلاحظ — بسهولة — أن فكرة التقويم الجمالى والتقويم الخلقى هى التى كانت شغل الأذهان الشاغل فى كل الحالات ؛ ولو أن النقد القديم تنازل عن فكرة التقويم ولم يجعلها هدفه الأول والأخير لكان خليقاً أن يكون له شأن آخر ؛ وقد ظل الاتجاه الجمالى والاتجاه الأخلاقى فى النقد هما ميزان النقد بكفتيه . حتى إذا كنا فى القرن العشرين لم يعد الاتجاه الجمالى وحده كافياً ، أو الاتجاه الأخلاقى وحده مغنياً ، بل ربما استبعدت فكرة التقويم من الميدان لأنها لم تدل على فهم عميق ، ولكنها لم تستبعد — ولا يمكن فيما يبدو أن تستبعد — إلى النهاية ، ولا يعنى ذلك أن فكرة التقويم لم يعد ينظر إليها فى النقد الحديث بعين الاعتبار ، ولكن ربما كانت هناك نظرة أكثر شمولا ، وهى فى الوقت نفسه تجمع بين الاتجاهين اللذين لم يجتمعا من قبل (الجمالى والأخلاقى) . وذلك « إذا نحن أرجعنا كلا منهما إلى أصل عام أكثر اتساعاً هو الأصل النفسى . فبالرجوع إلى هذا الأصل لن نرد كلامنا عن الأثر الفنى إلى اعتبار جمالى أو أخلاقى ، لأننا نريد لهذا الأثر تقويماً ، وإنما سنرد الأثر إلى مصدره ، ونحاول أن نجد له تفسيراً نفسياً . فإذا وفقنا إلى هذا التفسير أخرجنا هذا من ورطة التقويم على أساس الاعتبارات الجمالية أو الأخلاقية[1] » .

فى النقد العربى القديم — كما هو الشأن فى النقد الأوربى — كانت الفكرة المسيطرة هى فكرة التقويم . أما الشرح والتفسير (وأرجو هنا ألا يلتبس الأمر فنظن النقد اللغوى هو ما نقصده بالنقد التفسيرى) ومحاولة الفهم والتفهيم فلم تظهر فى الواقع إلا متأخرة (عبد القاهر الجرجانى) وإن كانت قد ظهرت بصورة ضئيلة .

على أن اهتمامنا الآن بالتفسير سيعفينا ليس فحسب من خطأ السير فى اتجاه التقويم الجمالى أو اتجاه التقويم الأخلاقى ، ولكنه سيجنبنا خطأ أشنع من ذلك ، كثيراً ما ارتكبه

(١) Roy P. Basler ; Sex, Symbolism and Psychology in Literature, P.9 (New Branswick, 1948)

(١) المرجع السابق ص ٣ .

النقاد عند ما يستخدمون — فى عملياتهم النقدية — المعيار الجمالى فى مكان المعيار الخلقى ، أو المعيار الخلقى فى مكان المعيار الجمالى . فبتفسير الأدب ورده إلى أساسه وأصله النفسى ستتحاشى فكرة التقويم القديمة ، وما يمكن أن تجر إليه من أخطاء . وسيكون التفسير أهم عمل يقوم به الناقد الحديث .

ولعل من قرأ كتاب « الوساطة » القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى يستطيع أن يقدم لنا هنا اعتراضاً عريضاً يزعم فيه أن الرجل كان بصيراً بما ندعو إليه اليوم حين قرر أن : « الدين بمعزل عن الشعر »(1)، وذلك عند تعرضه لإباحية أبى نواس ومجونه فى شعره ، وأنه — أى الجرجانى — لم يكلف نفسه ، تبعاً لهذا ، حكماً واحداً أخلاقياً . فالفن عنده بمعزل عن الأخلاق Amaral . ونحن إذا قبلنا هذه الدعوى لا ننسى أن القاضى الجرجانى كان جمالياً فى نقده . وكتابه أيضاً شاهد بذلك . « والحق أن الابتداعيين بصفة عامة ، وكوليردج بصفة خاصة ، قد اعتبروا الشرح هو العمل الأولى للناقد . وقد كتب جونسون وأديسون المشهوران أروع ما كتبا عند ما قاما بشرح فن شاعر من الشعراء أو نوع من الأنواع الشعرية بحسب فهمهم له ، ولم يكونا فى ذلك أقل من دريدن . وأحكامهم اليوم هى فى الغالب أقل أهمية من تحليلاتهم وشروحهم ، تلك التحليلات والشروح التى عند ما لا تكون كافية ، تساعد — مع ذلك — على قراءة أحسن . وأعتقد أن كل من له صلة بكتاب جونسن (حياة الشعراء Lives of the Poets) لا بد أن يدرك هذه الحقيقة . ومن ذا الذى يعيننا بالشرح على الفهم والاستمتاع بوردزورث مثل كوليردج ؟ ! ... الخ »(2).

والتفسير ، أو الشرح والتفهيم ، يثير فى خواطرنا الآن فكرة أن الفن توصيل للتجربة الفنية إلى نفس المتذوق . فإذا لم يتوافر للعمل الفنى عنصر التوصيل هذا لم يؤد العمل الفنى بالنسبة للمتذوق أية تجربة ، ويكون الفهم تبعاً لذلك

(1) الجرجانى : الوساطة بين المتنبى وخصومه ، ص ٤١ ، طبع صبيح .

(2) Basler : ibid, P.6

أمراً شاقاً ، أو على الأقل غير متوافر بصورة كافية لإصدار حكم عادل صادق على قيمة ذلك العمل الفنى . وليست فكرة التوصيل هدف هذا البحث ، كما أن الاتجاه الاجتماعى فى تفسير الأدب لن يظفر منا بكثير انتباه ، لأننا نأخذ بأن الفنان لا ينتج لكل أفراد المجتمع على السواء ، وإنما هو يكتب لفئة معينة هى التى تستطيع أن تفهمه ، وتشرحه بالتالى وتفهمه الآخرين . وبمقدار ثقافة التذوق الفنية يكون فهمه للعمل الفنى . ولذلك يفترق التذوق لعمل فنى ما عن تذوق آخر ، فى الدرجة لا فى النوع . وقديماً قال القاضى الباقلانى عن القرآن إن : « بعض الناس أحسن إحساساً له من بعض »(1). وإزاء هذا التفاوت بين المتذوقين لم يكن بد من أن يقوم أحسنهم فهماً بالشرح وبتفهيم من هم دونهم فهماً . وعلى هذا الأساس عمل كوليردج وجونسون وأديسون ودريدن — كما سبق أن عرفنا .

وإذا كان التقويم فى القديم يقوم على أساس من فهم المتذوق ودرجة هذا الفهم ، فإننا نلاحظ هنا بسهولة أن الفهم الخاطئ سيؤدى حتما إلى حكم خاطئ ، وأن الأحكام بصفة عامة ستتفاوت فى مدى صحتها وخطئها تبعاً للتفاوت المعروض فى مدى الفهم والتذوق . ولذلك يجب على المتذوق ألا يسارع بإصدار الحكم على قيمة العمل الفنى إذا هو لم يفهمه . وأيضاً فإن عباقرة الشعراء لم يكتبوا مرة ما لا يمكن فهمه البتة ، « فمن النادر أن يكون الشاعر هو المخطئ عند ما يكون المعنى غامضاً ، والاحتمال الأقوى هو أن يكون ذلك راجعاً إلى ناقده غير الفاهم . وكل حكم على قيمة الشىء قائم على أساس فهم غير كامل هو بدوره له قيمته فقط بالنسبة إلى درجة الفهم »(2).

وأظنه من الأجدى لنا الآن أن نؤسس نهضتنا النقدية على أسس من الفهم الكامل والتذوق الصحيح والشرح والتفسير .

٢ — وتمتاز النهضة الحديثة بظاهرة التخصص . والواقع أنه رغم ما لهذا التخصص من الفوائد التى لا تتوافر مع اتساع النطاق والتى أهمها العمق والتفصيل ، فإن له أيضاً

(1) السيوطى : الإتقان ج ٢ ص ٢٠٩ ط/٣

(2) Basler, ibid, P. 8

عيباً يجب الالتفات إليه ومحاولة تلافيه ، وهو تمزيق الوحدة التى تشمل الحياة فى جميع مظاهرها أو ظواهرها .

ومن ذلك التمزيق الفصل بين العلم والأدب فصلا تاماً أو استقلال كل منهما عن الآخر . على أن الأفضل من ذلك أن يكون هناك تعاون بين العلم والأدب ، إذا كان فى العلم ما يلقى ضوءاً على مشكلات الأدب أو كان فى الأدب هداية لحل بعض المشكلات العلمية ، وهكذا .

وعلى كل حال فالتخصص الذى تمتاز به حضارة القرن العشرين فيه من الضرر ما فى عدم التخصص القديم ؛ ففى كلتا الحالتين لم نجد من يستفيد من تعدد نواحى ثقافته فى خدمة ناحية معينة — إذا لم يكن يأخذ بمبدأ التخصص — أو من يفيد من النتائج التى ينتهى إليها المتخصصون فى النواحى الخاصة بهم فى موضوع تخصصه — إذا كان يأخذ بمبدأ التخصص .

ولقد كان نتيجة لهذا أن وجدت بعض الدعاوى التى تذهب إلى أن الأدب القديم لا يجوز أن يفسر فى ضوء المعارف الحديثة ، ما دام ذلك الأدب القديم لم يشهد هذه المعارف ولم يعاصرها ، وبالتالى لم يتأثر بها . « فبما أن شيكسبير لم يعرف فرويد ، فعلى ذلك يكون الاستنتاج هو أن نظريات فرويد لا يمكن أن تطبق على مسرحيات شيكسبير »[1].

والحقيقة أن هناك تفاعلا وتجاوباً بين الشاعر والعالم النفسانى ؛ فمن المعروف أن فرويد قد أفاد كثيراً من شيكسبير فى تفسيره للأحلام ، وأيضاً فى تفسيره لشخصية هاملت . وهو التفاعل الذى لا بد منه بين تيارات الحياة المختلفة ، فينتج عنه تأثر وتأثير بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، واضحة أو خافية . وربما كانت جميع هذه التيارات تنبع من أصل واحد ، أو — على الأقل — تسير فى خطوط متوازية ومتساوية فى الوقت نفسه . والشطر الماضى من القرن العشرين شاهد واضح على ذلك ؛ (فبرجسون فى الفلسفة ، ودوركيم فى الاجتماع ، وفرويد فى علم النفس ، وبروست فى الأدب ، كل أولاء كانوا مظاهر مختلفة لظاهرة واحدة هى روح العصر)[1].

فالتفاعل بين عناصر الحياة لا شك فيه ، ومظاهر الحياة الإنسانية بصفة خاصة فى أصلها تكاد لا تختلف أو تتغير ، وإنما الذى يتغير هو الزاوية التى ينظر منها إلى هذه المظاهر الحيوية ؛ فالشاعر (شيكسبير مثلا) يتكشف له منها جانب أو جوانب ، والعالم (فرويد مثلا) يكتشف له منها جانب أو جوانب؛ وبإضافة هذه إلى تلك تبدو الصورة أكثر وضوحاً فى جوانبها المتعددة ، فليس غريباً على طبائع الأشياء أن يفيد علم النفس (ممثلا فى فرويد) من الشعر (ممثلا فى شيكسبير) إذ كان الهدف بينهما مشتركا ، وهو كشف أكبر قدر ممكن من جوانب الحياة الإنسانية .

فإذا كنا بسبيل فهم الأدب وتفسيره ، سواء فى دلالته أو فى العملية الإبداعية ذاتها ، كان فى علم النفس وسيلة أى وسيلة لفهم الأدب على أساس صحيح . ولسنا نبعد فى القول فندعى أن الأدب أو الفن يمكن تفسيره من جميع جوانبه فى ضوء علم النفس ، وإنما نستطيع بسهولة أن ندعى أن علم النفس يستطيع أن يفسر بعض الجوانب التى ظلت غامضة فى الماضى ، وأيضاً فإنه يجنبنا كثيراً من المشكلات التى تجرها فكرة التقويم القديمة .

ولا شك أن السيكولوجيا الفرويدية قد لعبت دوراً هاماً فى أنها « وحدت ما كان من الممكن — لولاها — أن يظل مفرقاً ، إلى درجة كبيرة[2] » . والمقصود بذلك هو الجمع بين اتجاه التقويم الجمالى واتجاه التقويم الخلقى . « وقد صار من الواضح — عند النقاد حتى المعاندين منهم — أن فهما أو حكما على كتابات أمثال چيمس چويس ، وفرانز كفكا ، وشيروود أيكن ، لا يقوم على أساس الفهم الحديث للناحية الجنسية والوعى الباطن والمنطق اللاواعى للخيال الحالم ، لا يمكن أن يكون نقداً صحيحاً ، ومع ذلك فقليل من النقاد هم الذين قاموا بالدراسة اللازمة لفهم روح الحياة كما صورها هؤلاء الكتاب[3] » .

(يتبع) عز الدين إسماعيل

(١) المصدر السابق ص ٩ .

(١،٢،٣) راجع فى ذلك : Laurence Bisson:A Shorb History of French Literature..., P. 140 (Pelican Books)

حديث النحل فى شعر هذيل

— ١ —

الأستاذ أحمد كمال زكى

تمهيد :

اشتيار العسل ظاهرة فذة امتاز بها ديوان هذيل ، حتى إنه ليبدو أن الهذليين انفردوا بها ولم يشاركهم فيها أحد . وما كان لنا أن ندهش أو نتساءل والبيئة الهذلية تقررها وتفرضها . وإذا أردنا أن نحدد المنطقة التى كثر فيها النحل جعلنا « الطائف » شرقا وفى الغرب « مكة » وتلك منطقة يختلط فيها الرعى بالزراعة وتكثر بها عيون الماء ، وكانت تتناثر فيها هذيل وتصعّد فى جبالها كغزوان الذى يقول الإصطخرى عنه إنه شاهق الارتفاع كثير البرودة حتى إنه ربما جمد الماء فى رأسه(١).

ولست أعرض لاشتيار العسل فى شعر الهذليين لأنه جمع بين ألوان شتى من المخاطرة والمغامرة ، وإنما أعرض له لأنهم أودعوه لمحات جمالية دقيقة ورسموا به صوراً خلدوا بها ما شاهدوه بمقدار ما فيها من فن وابتكار !

والواقع أن شعر هذيل — حتى إذا استثنينا منه ظاهرتنا — سما كثيراً عن شعر غيرها من القبائل ، ولأجل ذلك لم يضع ديوانهم كله ، ووصلنا منه جزء كبير ، فى الوقت الذى لم يشأ الزمن أن يحفظ لتميم مثلا أو أسد أو ثقيف إلا بعض قصائد ومقطعات .

والقارئ لهذا الشعر يحس بوضوح أن له اتجاهاً خاصاً وأسلوباً فريداً . ولسنا نغلو إذا قلنا إن فيه الكثير مما يمر به . أما الأبيات التى عرضت للنحل بوجه خاص فإنها تمثل لوحات حيّة أو تكوّن أشكالا « forms » متحركة ، وما أظن أنى آتى شططا حين أجعل لها ذلك وهى ليست أشياء مادية ؛ فقديماً أثار « جوته » هذه المشكلة وانتهى إلى أن القصائد الشعرية واللوحات المرسومة لا تختلف عن الأجسام المادية فى كونها ذات أشكال . وليس الفن فى واقع الأمر إلا عملية تكوين وتحوّل لأشكال الطبيعة .

وفى رسم تلك الأشكال كان شعراء هذيل يحتفلون بما فى الطبيعة من جمال ، فكانوا يصورونه ولا أقول يتحدثون عنه . . كانوا يصورونه فى ثوب جديد وعلى نسق أروع ، والمتفنن — فى الحق — لا يبتدع الجمال فى الطبيعة — لأنه موجود — وإنما يحدده من زاوية معينة .

ولقد عاش الهذليون وبينهم وبين الطبيعة ما يمكن أن نسميه تعاطفاً أو تجاوباً أو تآلفاً ؛ فكان حديثهم عنها حديث الهائم لها المتعمق أسرارها ، حتى لكأنها كشفت لهم عن آيات حسنها وأسراره ودقائقه .

وندع تلك المقدمات لنسأل هذا السؤال : هل انفراد الهذليين بحديث النحل يدل على أنهم وحدهم عرفوها ؟ لن تكون إجابتنا إلا بالنفى لأنه قد ثبت معرفة كثير من العرب بها . وآية ذلك أن كتاب الله — وهو صورة لحياة العرب — قد أشار إليها إشارات يرمى من ورائها إلى التفكّر والتدبر . أما هذيل فقد كان لها فضل الانصراف إليها شعراً .

على أن هذا لا يعنى أنها كانت عندها مادة للشعر فقط ؛ فثمة أخبار لعبت فيها دوراً كبيراً ، من ذلك ما يروى عن الصحابى عاصم بن ثابت واستشهاده مع رفقائه فى يوم الرجيع ؛ وتقول الأخبار إن هذيلا حين غدرت بأصحاب النبى يومذاك أرادت أخذ رأس عاصم ، ولكن جماعات كثيرة من النحل حوّمت فوقه تحميه(١) ، فسمى لذلك حمىّ الدّبر . ومن ذلك أيضاً أن الشاعر الصعلوك (تأبط شرا) كان كثيراً ما يغزو

(١) كتاب مسالك الممالك ١٩ .

(١) الإصابة ٤ : ٣ والسيرة ٦٣٨ .

أجبال هـذيل ليسطو على عسلها . وفى إحدى المرات كاد يوقع به لولا أنه جعل يصب العسـل من حافة الغار الذى دخله ، فلما أطرد وأبعد فوق بطن الجبل أخـذ زقا فشده على صدره وانحدر فى العسل ، فلم يزل يزلق حتى وقع بالأرض وبينه وبين أعدائه الهذليين ثلاثة أميال[1].

وأما فى الشعر فحديث النحل أقوى وأقوم ، إلا أن شاعرين من هذيل اشتهرا به بوجه خاص ، وهما ساعدة بن جؤية وراويته أبو ذؤيب ، وسنقصر كلامنا عنهما ، واضعين نصب أعيننا أن غيرهما لم ينفرد دونهما بشىء .

ويبدأ ساعدة فيقول إن النحل تقصـد دائماً تلك القمم العالية ، ولعلها كانت تبتعد عن أيدى الهذليين :

أرىُ الجوارس فى ذؤابة مشرف
فيه النسـور كما تحبّى الموكب
من كل مُعْـنِقةٍ وكل عِطافةٍ
مما يُصـدّقها ثوابٌ يزعب

والجوارس هى أوائل اليعاسيب ، والثواب هى النحل كما فى اللسان ، ويزعب : يتدافع ويصوّت . فتدل الصورة بعد ذلك على أن الجوارس لا تأرى إلا بعيداً ؛ ففى قمة الجبل وعلى منحاها تجتمع وتنزل مواكب ، حتى إذا قعدت كانت كمن جلس محتبياً . والنحل تعرف موضعها هذا ، ولذا فهى تنتابه مصوتة متدافعة فى مواعيد لاتخلفها أبداً ، وهذا معنى قوله : مما يصدقها ...

وفى أحد المواضع يحـدد الشاعر بعض مهاوى النحل فيقول :

وما ضَرَبٌ بيضاء يسقى دبوبها
دفاقٌ فعروان الكراث فضيمها

وفى ياقوت أن « دفاق » موضع قرب مكة و« عروان » جبل بالبـلد نفسه و « الضيم » واد بالسراة أو أحد بلدان هذيل . وفى اللسان « الدبوب » اسم موضع قال عنه ياقوت إنه فى جبال هذيل ، كما ورد أنه الغار القعير ، وهذا أصح عندى . ولو أضفنا إلى ذلك أيضاً ما يروى من أن الطائف كانت فى ذروة عروان ، لرأينا كيف لم نخطىء حين زعمنا أن المنطقة بين مكة والطائف كانت مقراً لنحل الهذليين .

وأما أبو ذؤيب فيعطينا الصورة أكثر وضوحا ، فهو يصرح أن وقبة النحل كانت فى قمة دون الشمس :

وكانت وقبـة فى رأس نيق
دوين الشمس ذات جنى أنيق

على أنه لا يعوزه التفصيل فيقول فى موضع آخر :

تنمّى بها اليعسوب حتى أقرها
إلى مألف رحب المباءة عاسـل
فلو كان حبلٌ من ثمانين قامـة
وسبعين باعاً نالهـا بالأنامل

أرأيت إلى هذا البعد ؟ إن اليعاسيب ترتفع إلى وقبتها جادة نشيطة ، وثَمّ مألفها الرحيب العاسل فتمكث فيه .

وفى موضع ثالث يقرر لنا بعض ما تفعله اليعاسيب فإذا ..

جوارسها تأرى الشعوف دوائبا
وتنقض ألهاباً مصيفاً شعابهـا
إذا نهضت فيه تصعّد نفرهـا
كـقتر الغـلاء مستدراً صيابها
تظل على الثمراء منهـا جوارس
مراضيع صهب الريش زغب رقابها

هـذه الجوارس تحوم فى شعوف الجبل دائبة حتى إذا أرادت التعسيل انقضت إلى الألهاب حيث البرودة . وقد نرى بعضها ينفر عنها فإذا هو شديد الحركة مفرط السرعة حتى لـكأنه قتر الغلاء[1]، هذا بينما يظل صغارها على الثمراء[2] فتكون حينذاك أشبه بصغير الطير صهب الريش .

فالنحل - كما رأينا - متجمعة دائماً ، تعمل فى كل وقت وتصعد تارة وتهبط تارة أخرى . وهى لا تتفرق ولا تتشتت حتى ولو طوردت بالدخان ، والدخان وحـده كان

---

(١) المحبر لابن حبيب ١٩٧

(١) القتر واحـده قترة (بكسر القاف) وهو نصل سهم الأهداف ، والغلاء (بكسر الغين) المغالاة فى الرمى أى رفع الرامى يده بالسهم إلى أقصى حد .

(٢) هضبة بشق الطائف وقيل شجر .

الشيء الوحيد الذي يدفعها عن خلاياها :

تدلى عليها بين سبٍّ وخيطة
بجرداء مثل الوكف يكبو غرابها
فلما اجتلاها بالإيام تحيزت
ثبات عليها ذلها واكتئابها

لقد تدلى الشائر إلى وقبة النحل ثم أعمل إيامه فتحيزت النحل وخرجت من بيوتها جماعات يبدو عليها الذل والاكتئاب .

صورة المشتار في الشعر :

وإذا قرأنا شعر الهذليين وجدناه يدل في صراحة على أنهم كانوا يأخذون أنفسهم بفنون شتى في معاشهم ، ولكنهم كانوا يختلفون عن غيرهم من قبائل العرب في شيئين : الأول أنهم لم يتخذوا الصيد متاعاً لهم أو رياضة يخرجون من أجلها بالكلاب والصقور — على عادة الأغنياء — وإنما كان لدى عشائر كثيرة منهم أساساً لاقتصادهم . والثاني أن ثمة عشائر جعلت اشتيار العسل مظهراً اقتصادياً لها ، واعتبرته نوعاً من الصيد تستعد له وتجد في سبيله عناء أي عناء .

ونستطيع أن نلمس مدى ما بين الصيد واشتيار العسل من صلة في عدم اختلاف صورة الشائر عن صورة الصائد ، بل كان هذا يترك القنص إلى الاشتيار في بعض الأحيان .

ويصف ساعدةُ هذا الرجل بأنه ذو رُجلة دقيق قصير ، يحمل سقاء وأعواداً يخرج بها العسل من وقبته :

وكأن ما جرست على أعضادها
حين استقل بها الشرائع محلب
حتى أشب لها وطال إيابها
ذو رجلة شثن البراثن جحنب
معه سقاء لا يفرط حمله
صفن وأخراص يلحن ومسأب
صب اللهيف لها السبوب بطغية
تنبي العقاب كما يلط المجنب

والأعضاد الأجنحة وقيل سوق النحل ، والمحلب الشمع نفسه ، والطغية شمراخ الجبل ، والمجنب الترس . ويبدو أن ساعدة أخطأ ، لأنا نعلم أن النحل تعسل وتصنع الشمع . والبيت الأول وكلام الشراح يفيدان أن النحل تحمل الشمع على أعضادها آتية به من مكان آخر ، وهذا غير صحيح !

وأما الشائر عند أبي ذؤيب فلا يختلف عن شائر ساعدة ، يقول :

وأشعثَ ماله فضلات ثَول — على أركان مهلكة زهوق
قليل لحمه إلا بقايا — طفاطف لحم ممحوص مشيق
تأبط خافة فيها مساب — فأضحى يقتري مسدا بشيق

فهو عسّال أشعث ضامر جريء يتأبط قربة فيها سقاء العسل ، ويروح يتتبع الحبل المربوط بأعلى الجبل .

ولا بد أن يكون المشتار ماهراً حذق عمله وألف خطورته واعتاد لسعات الدبر ، وقد يعرف الخوف ولكنه لا يهتم به ولا يأبه له :

تدلى عليها بالحبال موثقاً
شديد الوَصاة نابلٌ وابن نابل
إذا لسعته الدَّبر لم يرْج لسعها
وخالفها في بيت نُوب عواسل
فحطّ عليها والضلوع كأنها
من الخوف أمثال السهام النواصل

ولا بد أن يكون أيضاً حاد النظر خفيف الحركة ، لا يحجم عن أي شيء ، ويطرق ما لا يستطيع أحد طرقه . اقرأ لساعدة ماذا يقول :

رأى عارضاً يهوى إلى مشمخرّة
قد احجم عنها كل شيء يرومها
فما برح الأسباب حتى وضعنه
لدى الثَّول ينفي جثها ويؤومها
فلما دنا الإبراد حطّ بشوره
إلى فضلات مستحير جمومها

ويؤومها يدخن عليها ، والإبراد العشي ويكون دائماً نهاية سعي المشتار ، ذلك أنه يؤذن بمجيء الليل ، ولذا فالرجل يسرع إلى غدير ماء وينزل في شوره يخلطه بالماء أو ينقيه قبل أن يقفل راجعاً .

(البحث بقية)

أحمد كمال زكي

والتر سكوت ، وشارلز ديكنز

(١٧٧١ — ١٨٣٢) و (١٨١٢ — ١٨٧٠)

للأستاذ مبارك إبراهيم

وقف ذات يوم من عام ١٧٧٤ رجلان من رجال الجيش ، وكلاهما مديد القامة ، مهيب الطلعة ، وكلاهما تقدمت به السن . ثم حنا أحدهما على طفل أقعده المرض ، ثم ألقى بساعتــه على البساط ، وحث الطفل على أن يزحف وراءها فلم يتحرك الطفل . لأنه كان لا يستطيع حراكا . فبكى الرجل أو كاد يبكى ، وقال لصاحبه : إنى لأعيد القول إنه لم يكن بين أطفال إسكتلندا كلها من كان أصلب عوداً ، وأصح بنية من هــذا الطفل قبل أن تصيبه تلك الحمى . ففى أربعة أيام — أربعة أيام ليس غير — شلت قدمه اليمنى فهل تظن أنه سيمشى يوماً ما بتلك القدم ؟ قلها يا سيدى قولة صدق : هل قدر لحفيدى أن يعيش كسيحاً مقعداً ؟ فأقسم له صاحبه أن الطفل لا بد من برئه ، وهو يؤكد هذا القول كما يؤكد أن الطفل اسمه « والتر سكوت » .

ولقد صدق هــذا القول فلم يمر عام حتى كان الطفل يستطيع أن يمشى وهو يغمز فى مشيته، وتلك القدم — على ما بها — كان عليها أن تحمل رجلا فارعاً ، وهو يسير أميالا فوق المروج الخضر ، وكان عليها أن تضرب خاصرتى كل جموح من الخيل .

فلما برىء هذا الولد الأعرج — الذى كان قرة عين جده كان حبيباً إلى قلوب الرعاة — سافر إلى بيت أبيه الذى كان يعمل وكيلا للدعاوى فى مدينة « إدنبرة » . وهناك ... ثلة من الإخوة والأخوات لم يجدوا فى أنفسهم ميلا إلى ... ليه . كما لقى أباً متزمتاً فى الدين . قد خصص يوم الأحد ... ستغفار والعبادة .

ولــكنه إلى جانب أولئك قد لقى أماً جعلته يقرأ لها ... وت عال كثيراً من الأغانى القديمة ، وكان بعض تلك ... انى مترجماً عن « هومير » . فكان الطفل يسر السرور ... من قراءة الشعر والقصص . ولما بلغ السابعة من عمره أرسلوه إلى المدرسة . واستزادة من العلم جاءوا له بمعلم يلقنه العلوم فى البيت ، وكان هــذا المعلم يحسب قراءة الشعر والروايات جريمة وخطيئة . لذلك كان لزاماً على الصبى أن ينتظر حتى يجلس القوم إلى المائدة . ثم يمضى إلى مخدع أمه ويأتى بكتاب قد حوى بعض الروايات لشكسبير فيلتهمها التهاماً ، وهو جالس إلى جانب المدفأة ، وكان يستخفه الطرب وهو يقرأ تلك القصص الخالدة . حتى إذا سمع وقع أقدام على السلم ولى هارباً واختفى . فلما كبر الصبى امتــد أفق دراساته .

وجاء المــدينة « روبرت برنز » شاعر الوطنية فى إسكتلندا يومذاك ، وكان الناس كلهم يتحرقون شوقاً إلى لقائه ، وكان من هؤلاء المتشوقين الفتى « ولتر سكوت » وهو يومئذ فى الخامسة عشرة من عمره ، ولما التف الجمع حول « برنز » حانت من الشاعر التفاته إلى صورة جندى مات فى ساحة الوغى فسأل : من ذا الذى كتب أبياتاً تحت الصورة . فلم يستطع أحد أن يذكر اسم القائل ، وما راع « برنز » إلا أن رأى الفتى « ولتر » يذكر — فى تواضع — اسم القائل ، وهو يخاطب الشاعر فى غير تهيب ، وقد ذكر « سكوت » هذا الحادث السعيد بعد ثلاثين عاماً فقال : لا أزال أذكر نظرة الشاعر الــكبير وهو يخصنى بكلمات الشكر والثناء .

وكانت أيام شبابه مقسمة بين الدراسات القانونيــة والقراءة وركوب الخيل يجوب بها أنحاء البلاد ، وكان فى رحلاته تلك ، ومعه واحد من أصحابه ، دائم البحث والتنقيب عن كل نكتة تاريخية ، وكان يحاول دائماً أن يسمع من أفواه الناس فى كل مكان نزل به أية حكاية رويت عن صورة قديمة أو عادة غريبة بقيت على الزمن أو أسطورة تناقلها الرواة عن قصر قد عاصر الأجيال .

فلما دعى إلى صفوف المحامين كان قد أصبح عالماً بالآثار إلى حد ما ، وكانت انجلترا فى ذلك الحين مهددة بالغزو الفرنسى . فكون « سكوت » فرقة من الفرسان المتطوعين ، وكان رجال تلك الفرقة — وهو فى طليعتهم — يتمرنون على السكر والفر صبيحة كل يوم . حتى إذا أتموا تمرينهم قفل مسرعاً إلى بيته فارتدى رداء المحاماة . فإذا التمسته — وقد أزف المساء — لقيته فى بيت من بيوت إخوانه من علية القوم ، حيث كان له المقام المحمود ، وحيث كان موضع الإعجاب والترحيب لجمال صورته وكمال أدبه .

وكان نهمه فى القراءة — فى ذلك الحين — على أشده ، فكان يقرأ كل شىء . فتارة تراه يقرأ قصائد الملك الشاعر « كانيوت » . وتارة أخرى يقرأ قائمة بديون الملك « شارل الأول » وقد أحب « سكوت » الحياة حباً ملك عليه شغاف قلبه . حتى كان لا يذوق النوم إلا لماماً ، وفى عام ١٧٩٥ ترجم إلى الإنجليزية قصيدة للشاعر الألمانى « برجر » سنة (١٧٤٧ — ١٧٩٤) وذلك ليرضى إحدى صديقاته . ثم طبع تلك القصيدة مع قصائد أخرى فى كتاب ، وكان ذلك عام ١٧٩٦ .

وهو يقول فى ذلك : وسرعان ما ألفيت نفسى — وكان ذلك بوحى المصادفة — منغمساً فى الأدب ، وكانت له إلى حين وفاته وظيفة قضائية ، وكان يعنى بأن لا تفك عنه قيود تلك الوظيفة ، ولكنه فى الصباح الباكر ، وفى أيام العطلة كنت تراه شاعراً ، وقد أصغت الدنيا وأنصتت لسماع قصائده : « أنشودة آخر المنشدين » و « سيدة البحيرة » و « مارميون » .

وفى عام ١٧٩٧ تزوج الشاعر من « شارلوت شارنتير » وهى فتاة فرنسية ذكية . كانت أمها من اللاجئات الفرنسيات الهاربات من الثورة وقد رزق منها أربعة أطفال : « صوفيا » و « والتر » و « آن » و « شارلس » وكان يحب أولاده حباً جماً حتى كان لا يستطيع أن يصدهم إذا جاءوا يطلبون منه أن يقص عليهم الحكايات والقصص . وهو غارق فى بحر تفكيره . وقد علمهم ركوب الخيل وهم بعد أطفال . كما علمهم أن يضحكوا كلما ألقتهم الخيل عن ظهورها . وكان درسه الذى لا يمل تلقينهم إياه : أنه بغير الشجاعة لا يستقيم حق ، وبغير الصدق لا تستقيم فضيلة من الفضائل .

وظل أولاده زمناً طويلاً لا يعرفون شيئاً عن آثار أبيهم الأدبية ، حتى لقد تعارك « والتر الصغير » يوماً مع واحد من لداته . لأن هذا ناداه باسم « سيدة البحيرة » وهو اسم قصيدة من قصائد أبيه . وسئلت ابنته « صوفيا » يوماً : هل قرأت القصيدة التى عنوانها : « سيدة البحيرة » ؟ فقالت : كلا ! لأن والدى يرى أن ليس أضر بالأطفال من قراءة القصائد الشعرية !

وفى ذات نهار كان « سكوت » ينظف أدراج مكتبه فعثر على أوراق تضم بضعة فصول من قصة كان قد بدأها منذ سنين ثم لم يتمها وكان قد رأى يومئذ أن لا خير فى قرض الشعر و « لورد بيرون » فى الميدان . ولذلك فقد أتم فصول القصة ونشرها تحت عنوان : « ويفرلى » ولكنه لم يكتب اسم المؤلف ، فلقيت من النجاح أقصى ما يؤمل الآملون .

ولست أجانب الصدق إذا أطنبت فى وصف إعجاب الناس بقصص « والتر سكوت » التى كانت قصة « ويفرلى » أولاها . فقد كنت ترى الناس كلما ظهر جزء منها يقرؤونه فى الشوارع والطرقات . وكان الطلبة يتزاحمون ، بل قل يتعاركون ليسبق بعضهم بعضاً فى الحصول عليها من المكتبات .

وفى ساحة الحرب التى أطلق عليها اسم « حرب شبه الجزيرة » — وهى الحرب التى قادها « دوق ولنجتون » ضد فرنسا فى البرتغال وإسبانيا بين عامى ١٨٠٨،١٨١٤ — كان أحد الضباط يقرأ لجنوده روايات « سكوت » وهم منبطحون على الأرض والنار من فوقهم .

وزادت حركة السفر إلى إسكتلندا زيادة كبرى لأن قراء « سكوت » كانوا يحجون إليها جماعات ليمتعوا أنظارهم برؤية المشاهد التى جاء ذكرها فى قصصه . وطالما طاف ببيته الطائفون من كل لون وجنس . ولعبت الصداقة دوراً كبيراً فى حياة « سكوت » . وكان يكره الحياة المعقدة والمبالغة فى تنميقها . وكان جواز المرور إلى قلبه هو الذكاء والخلق مجتمعين أو مفترقين . فكان حامى حمى الطلبة الفقراء

وكان شعراء عصره كلهم خلانه وأصحابه . وناله « بيرون » مرة بالذم والسخرية . وعيّره بقوله : إن « سكوت » يكتب من أجل المال . ولكن « سكوت » كان أكبر من أن يعادي . وكان لا يغضب ولا يثور إلاّ إذا رأى رجلا يقسو على واحد من الخيل . ثم أصبح « بيرون » و « سكوت » فيما بعد صديقين .

وفى عام ١٨٢٢ زار « جورج الرابع » إسكتلندا فخرج « السير والتر سكوت » لاستقبال مليكه والترحيب به . فشرب الملك نخب الروائى الكبير . فالتمس « سكوت » من الملك أن يهبه الكأس التى شرب بها ليجعلها تذكاراً لتلك المناسبة التاريخية ، فأذن له الملك ، ووضع « سكوت » الكأس فى جيب حلّته . ثم لقى صديقاً له من الشعراء فتعانقا عناقاً قوياً . وإذا « بسكوت » يصرخ ويصيح : لقد تحطمت الكأس وتهشمت ! .

ثم طاف بالقصصى الكبير طائف من النحس يوم عرف « جيمس بلانتين » كناشر لكتبه ، إذ رأى « سكوت » — لكى يعينه — أن يكون له شريكا ثم أقرضه مالاً كثيراً وزاد على ذلك بأن أقرضه وأخاه قروضاً شخصية . وقد كانا — هو وأخوه — لسوء الحظ من أسوأ رجال الأعمال . بل كانت تنقصهما الشجاعة ليصارحا «سكوت» بأنهما كانا على وشك الإفلاس . ثم انضما إلى بيت آخر من بيوت النشر هو بيت « كونستابل » .

وفى عام ١٨٢٥ أعلنوا جميعاً إفلاسهم . وكان فى استطاعة « سكوت » أن يعلن إفلاسه معهم ، ولكن شرفه أبى عليه أن يعالج الديون التجارية بالوسائل التجارية ، فحمل عبء الدين كله ، وكان مقداره ١٣٠٫٠٠٠ جنيه وقضى بقية عمره يسدد ذلك الدين . وزاد فى مصائبه أن تلقى من الدهر ضربة جديدة هى موت زوجته . ولكنه لقى بصيصاً من العزاء فى أن خدامه القدماء أبوا أن يفارقوه . فأصبح « الساقى » خادما يعمل كل شىء . وأصبح رائض خيله مزارعا يجر الخيول إلى الحقل والمحراث .

وقال بعض الناس إن مؤلف « ويفرلى » قد حل به الخراب ، فعلى كل من نعم شهوراً بقراءة كتبه أن يهبه نصف شلن ، ولو فعل قراؤه ذلك لأصبح صاحبهم غداة غد غنياً من الأغنياء . أما الكتابة — وقد كانت له فيما مضى مصدر سرور ولذة — فقد أصبحت اليوم عنده مصدر عناء وشقوة . وأصبح ينظر إليها كما ينظر العانى الأسير إلى القيود والأصفاد . وقد أرهقته الكتابة حتى هلك ومات بالفالج .

وظن مرة أن البرء مقدور له إذا ارتحل فسافر إلى « فرانكفوت » وزار يوماً إحدى المكتبات فقدم له الكتبى — وكان لا يعرفه — كتاب « Abbotsford » أو «مخاضة الرهبان » ، وهو كتاب ألفه « سكوت » وأطلق اسمه على بيت كان له مستقراً ومقاماً وهو يقع على الشاطئ الجنوبى لنهر « التويد » . وقد تخيل « سكوت » أن رهبان دير « ملروز » كانوا يخوضون نهر « التويد » عند موقع هذا البيت فأطلق عليه هذا الاسم . ولما عرض الكتاب على « سكوت » لم يزد على أن قال : إن هذا الكتاب أعرفه من قبل يا سيدى ثم أسرع فى العودة إلى بلده ليلقى المنية .

وحدث قبل موته بقليل أن ظن أنه قد برئ من علته وأنه قادر على الكتابة فطلب أن يحمل إلى مكتبه وأن يؤتى له بقلمه فما إن أمسكه حتى سقط القلم من بين أصابعه ، فقال للواقفين حوله : أيها الإخوان لا تتركونى أفضح نفسى ، بل احملونى إلى سريرى فهو أليق مكان بى .

وعلى الرغم من غروب شمس عقله فى أيامه الأخيرة فإن الرقة والكياسة لم تفارقاه أبداً ، وقد قيل فى ذلك : إن كان « النابغة العبقرى » قد قضى فإن السيد الماجد ما زال حياً لم يمت . . .

وفى ظهيرة يوم من سبتمبر عام ١٨٣٢ قضى الكاتب العبقرى ، وأمواج نهر « التويد » تخفق فوق الحصى خفقاً واضحاً يسمع من خلال نوافذ بيته . وقد سدد لدائنيه ديونهم كاملة ، سددها كما يسدد الفارس دين الشرف بدمه ، وكانت الحياة عنده لا تساوى جناح بعوضة إذا قيست إلى الوفاء بالعهد ...

شارل ديكنز

وقد ظن الناس أول الأمر أن لن يرى الجيل الذى عاصر « سكوت » كاتباً قصاصاً قد أوتى ما أوتى «سكوت»

من عبقرية ونبوغ . ولكن كان « شارلز ديكنز » فى ذلك الحين يجوب أنحاء انجلترا فى العربات الحاشدة وهو ينسخ مذكراته التى كان يصدرها لجريدة The Morning Chronicle فى ضوء شمعة يقطر دهنها فوق أوراقه . وفى بضع سنين أصبح هذا الصحفى الناشئ يملأ الدنيا دوياً بكتابه « أوراق بكوك » .

وهذه قصة حياة هذا النابغة :

وُلد « شارلز ديكنز » عام ١٨١٢ فى مدينة « بورتسموث » . وكانت أمه بنت ضابط من ضباط البحرية . وكان أبوه « جون ديكنز » كاتباً فى خزينة البحرية . ومنه خلق « ديكنز » صورة الرجل الطيب القلب النقى السريرة . الذى لا يبالى ما يأتى به الغد . وهى صورة مستر « مكوبر » الذى كان يظن دائماً — والأمل ملء جوانحه — أن لا بد أن تجرى الأمور مجرى حسناً مهما ترعد الدنيا وتبرق .

وكان « شارلز ديكنز » أكبر إخوته الثمانية ، وكان ضعيف البنية ، رقيق البدن .

وكانت أهنأ أيام حياته تلك السنين التى قضاها بين الرابعة والتاسعة من عمره يوم كان أبوه مقيما فى مدينة « شاتام » ، إذ كان يُسر بمرأى الجنود فى بذلاتهم العسكرية . وإذ كان يسرّ بالسير بين المروج الخضر ، وبرؤية الحصن القديم ، وبلقاء « جيمس لامرت » أحد أقربائه الذى كان يصحبه إلى المسرح . كما كان يسرّ بمشاهدة بيتٍ كان يقوم فوق ربوة فى ظاهر المدينة . ذلك لأن أباه قال له ذات يوم إنه لو جدّ واجتهد فقد يكتب له أن يسكن ذلك البيت . وظلت هذه الأمنية مراد أحلامه سنين عدداً .

وألحقوه إبان إقامته فى مدينة « شاتام » بمدرسة نهارية صغيرة . ولكن أمه هى التى علمته كيف يقرأ الإنجليزية واللاتينية . ووقعت يده ذات يوم على مجموعة من الكتب فى غرفة صغيرة فى الطابق الأعلى من البيت . وكانت طبعة رخيصة من روايات أشهر المؤلفين . ومن ثمّ دخل الصبى دنيا هى أبهى وأجمل من دنياه فى مقاطعة « كنت » . فقد مشى — وهو فى دنياه تلك — فى ركاب « روبنسون كروزو » . وماشى « دون كيشوت » مماشاة اللدات وجاب أنحاء انجلترا فى القرن الثامن عشر مع « هنرى فيلدنج » وبكى مع قسيس قرية « ويكفيلد » .

وكان به ظمأ شديد إلى المعرفة ، ورغبة ملحة فى أن يصبح رجلا واسع العلم ممتاز الثقافة . ثم بدأ يكتب القصص ومن حوله المعجبون من أنداده الصغار ، وانقضت أيام السعادة يوم دعى أبوه للخدمة فى « بيت سومرست » . وقد نزلوا منزلاً ضنكاً فى أحد الأحياء الفقيرة بلندن . وكانت جارتهم غسالة . وقد بدأ الصبى يفهم أن أباه قد ركبه الدين ، وأن كل أبواب الخير قد أغلقت فى وجهه .

ثم أخرج « ديكنز » من المدرسة ، وبدأ يعمل فى تنظيف الأحذية ، ويساعد فى الخدمة المنزلية ، ويعنى بالأطفال الصغار . ثم زادت الأمور سوءاً ، وقضى القضاء بأن يؤخذ أبوه فيزج به فى السجن الذى أعد للمفلسين من المدينين . فحزن « شارلز » لهذه المصيبة أشد الحزن وأعنفه ، حتى لقد أحس أن قلبه كاد أن يتمزق .

ثم بدأت أمه ترسله إلى سوق الدلالين ليبيع كل يوم قطعة من أثاث البيت ، وكان أول شىء بيع : رواياته وكتبه التى كان يقرؤها فيطرب والتى امتدت بينها وبين نفسه وشائج الود وأواصر الصحبة ... ثم أصبحت دارهم خراباً ، واضطرت الأم أن تذهب بأولادها للعيش فى السجن مع أبيهم . وكان سجن المفلسين سجناً غريباً ، يباح للمسجون فيه أن يستقبل زائريه ، وأن يتخذ منه بيتاً يعيش فيه مع أولاده ، وقد وفرت العائلة بسبب إقامتها فى ذلك السجن كراء البيت ، ولم تخسر شيئاً سوى حرية رب العائلة .

ثم أنشأ قريب له مصنعاً للطلاء تلمع به الأحذية ، وحيل بين « ديكنز » وبين العلم ، وذهبوا به ليعمل فى ذلك المصنع ، وليضع على كل زجاجة اسمها ووصف ما فيها ، وذلك لقاء بضعة شلنات كل أسبوع ، وكان يعمل عملاً مضنياً ، ورفاقه فى العمل صبية من الأوغاد الذين لا يعرفون للعلم معنى .

ثم حيل بينه وبين حبه لأمه وأبيه ، ووكلوا إليه أمر نفسه ، فكان يغسل الآنية بعد الطعام ، وكان من خوفه الفقر والجوع يلف كل « شلن » فى ورقة ، ويكتب على كل ورقة اسم اليوم الذى يصرف فيه ذلك الشلن ، وذلك حتى لا يعود يوم على يوم ، وكان يقضى كل يوم أحد مع أمه وأبيه

في السجن . . . ثم جاءت أيام كان يفطر ويتعشى في ذلك السجن المظلم الضيق ، فكان يفرح لأنه كان يلقى هناك غذاء أحسن مما كان يلقاه خارج السجن .

وذات مساء أصر واحد من العاملين معه في المصنع أن يرى بيت « ديكنز » فحز في نفس صاحبنا أن يقول لزميله إن السجن بيته ومأواه ، وحاول أن يثنيه عن عزمه وإصراره فلم يفلح . وأخيراً وقف مع صاحبه أمام بيت من البيوت وقال له : هذا بيتي ! ثم تصافحا ، وصعد « ديكنز » السلم ، وقفز درجاته ، ودق الجرس ؛ فلما فتح الباب سأل الخادم : أيسكن هنا المستر روبرت فاجن ...؟

ولشد ما برح به الحزن ، ولشد ما تغلغل في أعماق نفسه ، حتى لقد كان — بعد أن امتد به العمر — كلما مرت به ذكريات ذلك الحزن يجري الدمع في مآقيه .

وقد رأى بعد حين — تخفيفاً لوقع آلام ذلك الحزن — أن يصوره للناس ؛ فكتب القصة التي سماها « داڤيد كوبرفيلد » ، ولو أن الناس كانوا يرون في « ديكنز » — لما كبر — أكثر الناس مرحاً ، فإن الخلصاء من إخوانه كانوا يرون فيه أحياناً صورة لرجل أضر به الحزن من أثر تلك الأيام التي كان يسميها « أيام البؤس التي لا ينسى » ، والتي صورها أبلغ تصوير في تلك القصة .

ويوم كان أبوه في غيابة السجن فقد الصبي كل أمل ، وظن أنه قد حيل بينه وبين التعلم كما قد حيل بينه وبين الحرية ، وبدا له أن ليس أمامه إلا العمل الشاق ، وإلا العزلة القاتلة والعذاب الأليم .

ثم جيء لأبيه ببعض المال فسدد الدين وظفر بحريته ، ولكن « شارلز » بقي يعمل في المصنع حتى اختلف مدير المصنع مع أبيه . فأخرج هذا فتاه في ساعة من ساعات الغضب وبعث به إلى المدرسة مرة أخرى .

ولما تقدمت به السن كان رفاقه يذكرون أيامه في المدرسة وهو في الثانية عشرة من عمره . يوم كان صبياً يحمل الصورة جعد الشعر ، ويذكرونه بما اخترع من لغة سرية ، وبما كتب من قصص ، وبما ألف من روايات وبما شارك فيه من مزاح وهزل .

ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره أصبح فألفى نفسه صبياً في مكتب لواحد من وكلاء الدعاوى ، وكان يعلم نفسه طريقة الكتابة المختزلة ، ولكنه لم يبق في تلك الوظيفة غير ثمانية عشر شهراً . ثم بدأ يعمل مختزلا لدى كثير من أصحاب الأعمال . ثم ترقى فأصبح كاتب مقالات ، ولما بلغ الرابعة والعشرين من عمره جمع بعض تلك المقالات في كتاب . ثم أتبعها بكتاب سماه صور بقلم « بظ » . ثم بأوراق بكوك التي صيرته كاتباً ذائع الصيت مشهوراً ، ولقد أطلنا الكلام عند التحدث عن أيام طفولته . ذلك لأنه هو نفسه كان يرى تلك الأيام أحق أيامه بالتدوين والتسجيل ، وكان يقول : إن ما بقي بعد ذلك لا يعدو أن يكون وصفاً لما قام به من عمل .

وكان قلمه يسح بالروايات يتلو بعضها بعضاً ، وفيها تتزاحم الأشخاص والحوادث . ثم كان صحفياً ينشىء الصحف والمجلات . ثم كان محاضراً يجيد تحبير المحاضرات .

وقد أضر به العمل المتلاحق المضني فمات موت الفجاءة عام ١٨٧٠ .

أما حياته الخاصة يوم أصبح كاتباً مشهوراً فتتلخص في أنه تزوج ، وكان أباً يفيض بالحنان قلبه . ثم قام برحلات خارج بلاده ، وكان له أصحاب كثيرون ، وكلهم من ذوي النباهة ، ويكفي أن منهم « كارليل » وأن منهم « ثاكيراي » . ولكن حياته الحقة هي تلك التي قامت بين دفتي كتبه . فقد كان ديكنز لا يحب أبداً أن يودع شخوص قصصه ، وكان يقول إن هدفه من كتابته للكتب هو أن يستعين بدخله منها على معاونة الفقراء والبر بالمعوزين .

والحق أن « ديكنز » كان أكبر كاتب ساخر ، ولكنه كان يخفي وراء تلك السخرية ذكريات أليمة خلفتها أيام طفولة بائسة ، لا تنسى مرارة بؤسها . تلك الأيام التي عاشها في الأحياء الفقيرة في لندن .

واليوم يرقد في مدفن العظماء « بوستمنستر » ذلك الصبي الذي طالما أضر به البؤس والإعدام ، ولكن النصر المؤزر الذي ناله هو أنه — وهو الفقير المعدم ، الذي طالما طاف بأحياء لندن فقيراً جائعاً عارياً — قد جعل من لندن مثابة أمن ونصفة لكل طفل فقير ولد وعاش بعده .

مبارك إبراهيم

نقد

أجمل النصوص العربية

فى نظر المستشرق الفرنسى إميل درمنجهم

للأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن

عرفنا الكاتب المستشرق الفرنسى إميل درمنجهم ، بعد كتب كتابه « حياة محمد » الذى ظهر فى طبعة « بلون » سنة ١٩٢٩ . وأعيد طبعه سنة ١٩٥٠ عند الناشر « شارلو » وعرفناه بعد ذلك فى دراسته لخمريات الشاعر الصوفى ابن الفارض التى ظهرت فى سنة ١٩٣١ . واليوم نلقاه فى هذا الكتاب أو فى هذه المجموعة من النصوص العربية المترجمة إلى الفرنسية . والتى ظهرت فى طبعة « La Colombe » الباريسية سنة ١٩٥١[1] .

وليست هذه النصوص مترجمة إلى الفرنسية بقلم « درمنجهم » نفسه ، ولكن أقلاماً كثيرة فرنسية وعربية اشتركت فى الترجمة ، ولم يكن اشتراكها عن قصد ، وإنما جمع « درمنجهم » هذه التراجم الفرنسية من مصادر مختلفة وضمها كلها فى كتاب واحد ، ورتب النصوص على عصور الأدب العربى من الجاهلية إلى عصرنا هذا ، وكتب للمجموعة مقدمة فى أكثر من ثلاث صفحات . فكان من ذلك هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم إلى قراء « الثقافة » الكرام .

ومن المترجمين غير العرب فى هذه المجموعة « باربييه دى منار » و « دوزى » و « جارسين دى تاسى » و « لون جوتييه » : و « السيدة إملى جواشون » و « بول كراوس » و « هنرى لاوست » و « لويس ماسينيون » و « هنرى بيريس » و « جان سوفاجيه » و « دى سلان » و « جورج سوردون » و « سلفستر دى ساسى » و « جاستون ڤييت » خبير الآثار العربية المعروف فى مصر و « درمنجهم » نفسه .

ومن المترجمين العرب « المرحوم مصطفى عبد الرازق باشا » و « المرحوم الدكتور زكى مبارك » و « محمد الفاسى » و « محمد الناصرى » و « الدكتور بشر فارس » و « رشيد ابن شنب » و « سعد الدين بن شنب » و « عبد الرحمن صدقى » وغيرهم .

وتدور مقدمة « درمنجهم » حول الأدب العربى وامتداده على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان ، ونفوذه إلى أربع قارات ، حتى لقد بدأت الكتابة العربية فى شبه الجزيرة نفسها ، ثم أخذت تمتد إلى الشرق الوسيط فأفريقية الشمالية فأسبانيا الإسلامية ، حتى بلغت العربية فى عصرنا هذا أمريكا الشمالية فالجنوبية ؛ وهذا الانبساط العظيم فى الزمن وفى الرقعة لم يمنع من قيام وحدة عربية مدهشة ، وهذه الوحدة الفكرية ترجع من غير شك إلى الدين وأثره فى الحضارة والثقافة ، وإلى الرجوع دائماً إلى منابع مشتركة بين الشعوب التى تتكلم العربية .

ويقسم « درمنجهم » عصور الأدب العربى تقسيما يراه من وجهة نظره أكثر ملاءمة ، وأشد وضوحاً ، وأقل تكلفا . . . فالعصر الأول يبدأ من الجاهلية ويشتمل على صدر الإسلام والعصر الأموى ، والعصر الثانى يشتمل على العصر العباسى ، والعصر الوسيط ، ويبدأ من القرن الحادى عشر إلى القرن الخامس عشر ، حيث يبدأ عصر كسوف شمس الحضارة العربية ، وهو هذا العصر الذى يسبق عصر « النهضة » فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

ويلاحظ درمنجهم — بعد فراغه من تقسيم العصور الأدبية — ذلك المكان الممتاز الذى يحتله الشعر فى الأدب العربى ، وليست هذه هى الخاصية الوحيدة ... فإن الشعر يستعمل بانتظام كتمرين روحى ، مما جعله أكثر مناسبة فى لغة المتصوفة ، ومع ما للشعر العربى من السيادة على ألوان

(١) اسم الكتاب هو : "Les plus Beaux Textes Arabes" . باريس ١٩٥١

الأدب فإنه لا يخلو من أخطار الإطناب ، والقول المكرور المعاد ، ومبالغات البيان .

ولا تزال الصلة قائمة بين الشعر والتصوف والميتافيزيقا منذ أزمان الأنبياء العبرانيين حتى « تاغور » من شعراء عصرنا الحديث . ولهذا اهتم جامع الكتاب بنصوص لمتصوفة الإسلام من أمثال رابعة العدوية ، والحلاج ، والقشيري ، والغزالي ، وابن الفارض ، وابن عربي ، والشعراني وغيرهم .

وحينما وصل درمنجهم إلى عصر النهضة في الفصل السادس من كتابه ذكر نصوصاً ومختارات من الآثار النثرية والشعرية لتسعة وعشرين شخصية ، هي شخصيات ، ناصيف اليازجي ، وبطرس البستاني ، والشيخ محمد عبده ، ومحمد تيمور ، والمنفلوطي ، وطانيوس عبده ، والمويلحي ، والسيد رشيد رضا ، وأحمد شوقي ، وخليل مطران ، وحافظ إبراهيم ، وجميل صدقي الزهاوي ، ومعروف الرصافي ، ومحمد كرد علي ، وطه حسين ، وعباس محمود العقاد ، وزكي مبارك ، وأحمد زكي أبو شادي ، وندرة حداد ، وإلياس فياض ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، وعمر أبوريشة ، وعبد الله العلايلي ، والبير أديب ، وخليل مردم بك ، وبشر فارس ، والآنسة فدوى طوقان ، ووديع ديب .

ولم يقل لنا «درمنجهم» على أية قاعدة بنى اختياره لهذه النصوص المعاصرة ، فإن مقدمته لم تشر إلى شيء من هذا . ولا أدري ما الذي أعجبه من مرثية حافظ إبراهيم لعلي باشا أبو الفتوح فاختارها نصاً يترجم إلى الفرنسية ويوضع في كتاب قصد منه أن يطلع فيه الغربيون على أجمل ما في النصوص العربية على مر العصور ؟ وأي جمال في مرثية حافظ إبراهيم لعلي أبو الفتوح وكيل المعارف حين يقول الشاعر :

جل الأسى فتجملي … وإذا أبيت فأجملي
يا مصر قد أودى فتا … ك ولا فتى إلا « علي »
قد مات نابغة القضا … ء وغاب بدر المحفل

وقد يكون في شعر « حافظ » النفسي العاطفي — وخاصة في أيام محنته — ما هو أجمل وأجدر بالترجمة إلى الفرنسية . ولعل المستشرق « درمنجهم » أراد أن يختار نموذجا من شعر الرثاء في عصر النهضة الحديث ! ولكن مرثية حافظ لعلي أبو الفتوح ليست أصدق صورة للمراثي المعاصرة ، وقد يكون في رثاء حافظ نفسه لنفسه أولمصطفى كامل ، أوللشيخ محمد عبده ، ما يفي بالغرض حين تترجم الآداب من لسان إلى لسان . . .

أما قصيدة « هرة الدكتور شميل » التي نظمها الشاعر المرحوم طانيوس عبده فهي من ترجمة المسيو « ألبير لانتين » ولعلها تصور ذلك الشعر الفكاهي الذي تسيل فيه الدعابة صافية . وقد استهلها طانيوس بقوله :

الهرة البيضاء يا سادتي
هرة مولانا الحكيم الكبير . .
بيضاء مثل القطن قد فتحت
أكمامه ، ملساء مثل الحرير
صماء إلا حين تغلي القدور
بكماء إلا حين يأتي الفطير . . .
تربض مثل الليث لكنها
في سائر الحالات ظبي غرير

والقصيدة كلها في ديوان طانيوس عبده المطبوع بدار الهلال سنة ١٩٢٥ صفحة ١١٤ . ولقد وفق « درمنجهم » في اختيار قصيدة «المطلقة» للشاعر العراقي الكبير المرحوم معروف الرصافي ؛ فهي من الشعر الاجتماعي الذي لا يخطىء المختار اختياره ليمثل هذا اللون في العصر الحديث . .وقد ترجمت إلى الفرنسية بقلم المسيو « ألبير لانتين » أيضا . وهي القصيدة التي مطلعها :

بدت كالشمس يحضنها الغروب
فتاة راع نضرتها الشحوب
منزهة عن الفحشاء خود
من الخفرات آنسة عروب
نوار تستجد بها المعالي
وتبلى دون عفتها العيوب
صفا ماء الشباب بوجنتيها
فحامت حول رونقه القلوب
ولكن الشوائب أدركته
فعاد وصفوه كدر مشوب . . .

وهي كاملة بنصها في الطبعة الأولى من ديوان الرصافي سنة ١٩٢٥ صفحة ٤٥ .

وقد اختار جامع الكتاب « العقاد » شاعراً ولم يختره كاتباً ، مع أنه وصفه بأنه ناقد وأديب من الطبقة الأولى ، وقد كان الإنصاف يقضي بأن يختار من نقده كما اختار من شعره ، حتى يكون الاختيار أدل على التوضيح والإظهار .

ولكنه على كل حال اختار مقطعتين أولاهما بعنوان « لو كنت إلها » والثانية بعنوان « الموسيقى » وهي من قصائد العقاد الخالدة الناطقة من همسات النفوس . ومطلعها :

معلمة الإنسان ما ليس يعلم   وقائلة ما لا يبوح به الفم

وقد أشار « درمنجهم » في قسم الملاحظات إلى أن ترجمتها إلى الفرنسية من عمل الأستاذ عبد الرحمن صدقي .

ويظهر أن المستشرق « درمنجهم » جامع هذه المجموعة العربية المترجمة إلى الفرنسية قد قصد من اختيار العصر الحديث أن يكون ممثلا لمذاهب مختلفة في أقطار عربية مختلفة . فالشعر الرمزي يمثله في مصر الدكتور بشر فارس ، ويمثله في لبنان الأستاذ ألبير أديب صاحب مجلة الأديب .

وكتاب « الأيام » لطه حسين يمثل أدب التراجم الذاتية التي لم تكن صريحة ولا مطروقة في الأدب العربي ، والشيخ محمد عبده يمثل حركة الإصلاح الديني في العصر الحديث ، والسيد رشيد رضا يمثل استمرار هذه الحركة على يد تلميذه الأمين . . . وشعر الشاعرة « فدوى طوقان » يمثل شعر المرأة العربية الحديثة التي حين تندب أخاها الميت فإنما هي امتداد لشعر الخنساء حين رثت أخاها . وزكي مبارك يمثل في الجمال الذي اختير له من كتابه عن النثر الفني — أسلوب الباحث المؤرخ الأدبي حين يدعم قضيته بكل دليل . وأبو شادي الشاعر في قصيدته « غابة الخريف » يمثل الشعر الحديث الذي أخذ يبشر به ويدعو له منذ أكثر من ربع قرن .

ولقد فات « درمنجهم » في مجموعته كثير من الأدباء والشعراء والمفكرين المحدثين . نعم فاته كثير حين اختار فقط لتسعة وعشرين علماً ما بين مصلح وأديب وشاعر وقصصي . وهم هؤلاء التسعة والعشرون الذين ذكرنا أسماءهم قبلا . ولكنه جهد على كل حال لا ينبغي أن يقال فيه : لو اختار لفلان ، وفلان ! فحسبه أن يكون أسهم في الاختيار بما أمكنه الاقتدار .

على أن لنا كلمة لا يمنعنا الإعجاب بجهد « درمنجهم » أن نقولها ، فإنه على الرغم من ضيق الاختيار في أدب العصر الحديث لم يشر إلى أحدث الطبعات من المصادر والمراجع ، ولكنه يشير إلى القديم ، كما فعل في ذكره لديوان « حافظ ابراهيم » فإنه في ترجمته الوجيزة جداً لحافظ أشار إلى ديوانه المطبوع في ثلاثة أجزاء سنة ١٩٢٢ ، مع أن طبعة سنة ١٩٣٧ أقرب عهداً ، وأشمل لكثير من شعره ، لأنها طبعت بعد وفاته سنة ١٩٣٢ .

وقد جره الإيجاز في الترجمة لحياة المختار لهم إلى أن يهمل تراجم بعض الأشخاص ، أو يحيل عليها في قسم الملاحظات ، كما فعل مع الدكتور طه حسين ، فإنه لم يترجم له في مستهل النص ، وفي قسم الملاحظات اكتفى بأن ذكر عنه أنه ولد سنة ١٨٨٩ . . . .

ثم هو لا يتابع كتب الذين يترجم لهم متابعة حديثة وافية شاملة ، كما فعل مع الأستاذ محمد كرد علي .

إلا أنه مشكور على كل حال حين جمع هذه الباقة من الأدب العربي ومن الفكر العربي على خلال العصور ليقدمها إلى كل من يريد أن يعرف صوراً من هذا التراث الكريم ؟

محمد عبد الغني حسن

قصة مدينتين

للأستاذ عبد الفتاح البارودي

اختتمت فرقة المسرح الحديث موسمها بدار الأوبرا الملكية برواية مقتبسة من هذه القصة التي كتبها الروائي الإنجليزي الكبير شارلز ديكنز مستمداً أحداثها من أحداث الثورة الفرنسية .

وغني عن البيان أن تلك الثورة كانت ذات أثر هائل في الحياة الأدبية حتى لتعتبر حداً فاصلا بين منهجين من أضخم مناهج التفكير والتعبير كما كانت أحداثها مادة غزيرة لمعظم أدباء القرن التاسع عشر في فرنسا يشيدون بها تارة ويرثون لها تارة أخرى . غير أن الشيء الذي يسترعي التأمل أننا قلما نجد من بينهم من استوحى هذه الأحداث بحرارة وحيوية كما استوحاها ديكنز في هذه القصة الفريدة ؟ ويظهر أن المحن والكوارث التي تخللتها والتي سببتها أيضاً والتي أسفرت عنها كذلك هي التي اجتذبت إليها ذلك الروائي الذي ألحت عليه المحن والكوارث في طفولته وانطبعت في مخيلته انطباعاً بالغ القوة بالغ العمق . فعلى الرغم من أنه ما كاد يبلغ العشرين من عمره حتى بزغ نجمه وسرعان ما تألق وبلغ ذروة المجد والنجاح وذيوع الصيت ، إلا أنه ظل مستشعراً ما عاناه في مستهل حياته وتجلى هذا الشعور في كل إنتاجه بلا استثناء ، وكان طبيعياً أن يتجلى في قصته هذه على نطاق أوسع ، وكأنما اتخذ من رحابة تفاصيلها مرعى خصيباً يتنفس فيه بطلاقة لعلها لم تتهيأ له في سائر قصصه الأخرى . فهو يصور لنا منذ بدايتها سيدين من سراة الطبقة الارستقراطية لا يكفيهما أن يعيشا راغدين في قصورها وضياعهما التي ورثاها عن آبائهما ، وإنما تبطرهما النعمة ويزدهيهما الحسب ، فيخيل إليهما أن كل ما على الأرض كلأ مباح لهما وكل من على الأرض أرقاء لم يخلقوا إلا ليكونوا طوع أيديهما . فهذا (المركيز أفريموند) يغدو ويروح في عربته المطهمة بالخيل الفتية دون أن يلقي بالا إلى من تدهمهم من عباد الله ، وحسبهم منه نفحة ذهبية فيها الغنى والعوض وإلا ففي سجن الباستيل متسع للجميع ، وهذا شقيقة (الشيفالييه) يرفل في حلله الأرجوانية ودروعه المزركشة معجباً مختالا ، وفي يمينه سيف يجهز به على العصاة المتمردين من الأوشاب وأبناء السبيل ، وهاهما يرمقان معا امرأة جميلة تدعى (كوليت) ولكنها — وياوقاحتها — ترفض الإذعان لهما فيتطاير الشرر من أعينهما ؟ وما إن يعترض طريقهما زوجها حتى يشداه إلى عربة ويضرباه بالسياط إلى أن يلقى حتفه ، وما إن يهم أخوها بالدفاع عنها حتى يثخناه بالجراح ثم يذبحاه ويقطعا أشلاءه ... ثم لا تسلم المرأة بعد ذلك من أذاهما حتى تفقد صوابها وتحمل قسراً إلى قصرهما .

كذلك جرت أحداث القصة كما كتبها ديكنز . لكننا لا نراها هكذا فوق خشبة المسرح ، فقد شاء مقتبسها أن يبدأ مسرحيته منذ هذه اللحظة — وهي بداية موفقة — فينفرج ستار المنظر الأول عن قصر المركيز وشقيقه وقد استدعيا (الدكتور ما نيت) لمعالجة المريضة لا بدافع النخوة بل طمعاً في شفائها ليقضيا منها مأربهما ، فإننا لا نلبث أن نسمعهما ينحيان عليها باللائمة ويعجبان من تهجمها عليهما ، ويستطردان إلى التنديد بما يلحظانه من تهجم الدهماء والغوغاء على الارستقراطيين ، ثم لا نلبث أن نرى الطبيب وقد أقبل معصوب العينين لكي لا يدري شيئاً عن المكان الذي

يحتويه ... غير أنه بعد ما يفحص المريضة وتبدو له خطورة حالتها ينفجر غاضباً متسائلا عن أسباب إصابتها ، لكن السيدين النبيلين لا يجيبانه إلا بالتواء ، فيفطن إلى أن فى الأمر سراً خفياً ويحتال حتى ينفرد بالمريضة المسكينة ويستدرجها فتبوح له بقصتها ثم تخمد أنفاسها إلى الأبد

لم يكن السيدان النبيلان ساذجين إلى الحد الذى تصوره الطبيب ، بل كانا يسترقان السمع من خلف ستار ، وعلما ما كان يدور بينه وبين شهيدة الظلم من حديث ، وإذاً فلا بأس من أن يحاول الركيز إغراءه بالذهب ويحاول الشيفاليه تهديده بالسيف كى يكتم جريمتهما الرهيبة ؛ لكنه يأبى فلا يجد الركيز بداً من عصب عينيه مرة ثانية وإرساله إلى سجن الباستيل .

ويسدل الستار وينفرج عن منظر لا يستغرق سوى لحظات يمر أثناءها الطبيب بين حراسه إلى معتقله صامتاً .

ثم يتبين لنا بعد ذلك أن للشيفاليه ولداً يدعى (دارنى) اعتنق مبادىء الثورة وتبرأ من أهله الطغاة وتنازل عن لقبه وسافر إلى انجلترا ليكدح مع الكادحين ، وهناك أحب فتاة جميلة تدعى (لوسى) .. ويتبين لنا أيضاً أن هذه الفتاة هى بنت الدكتور مانيت ، وكانت أمها قد صحبتها إلى انجلترا عقب اختفائه الفجائى وتواتر الشائعات بموته . . ويتبين لنا كذلك أن لهذه الفتاة عشيقاً آخر هو (المحامى كارتون) وأن هذا العشيق يهيم بها ويتفانى فى حبها بلا جدوى ، إذ أنها لا تحب سوى (دارنى) وقد تواعدا على الزواج ... يتبين لنا كل هذا حين ينفرج ستار المنظر الثالث وتتجمع هذه الشخصيات فى قصر الركيز ، وندرك من تحاورها أن الثوار قد اشتد ساعدهم ، وأن وزير الداخلية أمر بإطلاق سراح الطبيب السجين كما أمر بإبعاد الركيز عن باريس .

ويبدأ المنظر الرابع وقد استحوذ الدكتور مانيت على تفكيرنا . فالمركيز يبحث عنه لكى يساومه مرة أخرى على كتمان أمره . و (لوسى) تبحث عنه بعد ما استيقنت من وكيل أعماله (لورى) أنه لم يمت ، بل كان سجيناً وأطلق سراحه فآواه أحد أتباعه (ديفارج) فى أعلى « الحارة » التى يملكها .

أما الركيز فيشاء سوء طالعه أن تدهم عربته غلاماً ٣ بالقرب من هذه الحارة فيثير ذلك غضب الناس ، ويأبى (جاسبار) أبو الغلام أن يتقاضى عنه عوضاً ذهبياً ، وإنما يدفعه غضبه إلى الانضمام للثوار ، وتستحثه على ذلك (مدام ديفارج) التى كانت تتحين الفرصة للانتقام من الركيز منذ قتل شقيقتها (كوليت) .

وأما (لوسى) فتصحب دارنى ولورى إلى ديفارج وتلتقى بأبيها . لكننا نراه يهذى بكلمات رسبت فى ذهنه المتجمد منذ كان سجينا ، وكم كان مؤلماً أن ترتمى ابنته بين أحضانه وهو لا يعرفها ، ثم يلمس شعرها فيستعيد ذاكرته شيئاً فشيئاً ، وما تزال (لوسى) تعاونه على التذكر حتى يثوب إلى صوابه فتصحبه معها لتعود به وبخطيبها إلى انجلترا .

وتتعاقب المشاهد وتتجه الأحداث وجهة أشد عنفاً ، لا سيما حين يعود (دارنى) إلى باريس وقت تأجج الثورة استجابة لاستنجاد وكيله به ؛ فيقبض عليه ويقدم للمحاكمة الشعبية على اعتبار أنه « مهاجر » — وكانت المحاكم الشعبية وقتئذ تدين كل من يهاجر من باريس وتحكم بإعدامه — فتهرع خلفه زوجته وأبوها الدكتور مانيت ويتبعهما — كعادته — المحامى المتفانى فى حبها بلا جدوى (كارتون) .. يهرعون جميعاً إلى باريس لمحاولة إنقاذ دارنى من الإعدام .

وتجرى محاكمته فيوضح للمحكمة سبب هجرته وعودته ويكشف عن شخصيته ويستشفع بتاريخه ويستشهد بوكيله وبالدكتور مانيت بوصفه أحد نزلاء الباستيل ، فتقضى المحكمة ببراءته لولا أن تثير الشعب عليه (مدام ديفارج) باعتباره ابن الشيفاليه وسليل الطغاة الذين قتلوا شقيقتها وقتلوا ابن جاسبار وعاثوا فى الأرض فسادا ، فتعاد محاكمته ويحكم بإعدامه بعد ثلاث ساعات ، ويرتكب الثائرون بذلك إثماً ظالماً باسم العدالة والحرية والمساواة .

وينفرج الستار عن مشهد السجن وقد احتوى (دارنى) وهو يودع الحياة ويناجى زوجته ، وما هى إلا لحظات حتى

يزوره (كارتون) ويرشو الحراس وينتحل شخصيته ويهيء له سبيل النجاة ويذهب إلى المقصلة مفتدياً نفسه به ، لعل هذا يرضى (لوسى) التى تفانى فى حبها .. ولو بلا جدوى

بهذه الحرارة والحيوية كتب ديكنز هذه القصة ، وبذل مقتبسها الأستاذ إسماعيل رسلان جهداً لا ينكر فى إعدادها للمسرح ؛ غير أنى كنت أوثر أن يدخر هذا الجهد فى ترجمة قصة « مسرحية » أى قصة كتبت أصلاً للتمثيل لا للقراءة . فلقد أصبح من البديهيات أن الاقتباس فى ذاته إجراء غير ذى قيمة فنية كبيرة . ومن عجب أن يحاول الدكتور وهيب كامل تسويغ اقتباس هذه القصة — فى النشرة التى أذيعت خلال تمثيلها — بأن قصص ديكنز تفيض بالحوادث الأخاذة والشخصيات الجذابة والحوار القوى ، وبأن ديكنز نفسه أخرج قصته « آمال عظيمة » إخراجاً مسرحياً ، وبأن المسارح الأمريكية قد فطنت إلى صلاحية قصصه للمسرح ... فلا جدال فى أن الدكتور الفاضل يعلم أن لكل فن طبيعته ووظيفته ووسائله وخاماته الخاصة به دون سواه ، ويعلم أيضاً أن كتاب القرن التاسع عشر بالذات كانوا مفتقرين إلى الإحساس المسرحى الممتاز ، ومن ثم لم ينتجوا للمسرح سوى الميلودراما وما شابهها ؛ ولهذا — كما يقول نيكول — لا نجد فى هذه الحقبة مسرحية واحدة ذات جدارة ، فإن الكتاب وقتئذ قد أمعنوا فى إثارة المشاعر بما صوروه فى رواياتهم من أحداث مفزعة وصخب مزعج معتمدين كل الاعتماد على المؤثرات الرخيصة والديالوجات السوقية .

وإذاً فلست أتجنى على مقتبس هذه القصة إذا زعمت أنه قد أهدر جهده فى غير طائل ، وإن أيسر مطابقة بين صورتها الروائية وصورتها المسرحية لتؤيد ذلك أيضاً ، وبديهى أننا لا نبتغى من هذه المطابقة مؤاخذته على ما أحدث أو استحدث من تغيرات فى سرد الحوادث وتسلسلها ، فإن لهذا مقتضياته ومتطلباته ، وإنما يهمنا أن ننظر فى مدى قدرته على معالجة مضمونها الروائى معالجة مسرحية .

ولعل أول ما يبدو هنا تعدد المشاهد والمناظر بدرجة تثير الحيرة ، فمنها مالا ضرورة له كمشهد الطبيب وهو ذاهب إلى الباستيل . . . ومنها ما استطال حتى بعث الملل كالمنظر الختامى الذى ظل (كارتون) ينعى فيه خيبة حبه ولا يردد سوى هذا المعنى ؛ والغريب أن مقتبسنا ظن أنه بهذا الشذوذ الرومانسى قد ضرب أروع المثل فى التضحية والفداء . زد على ذلك قلة اصطناع الحوار الدراماتيكى الذى يبرز تصارع الآراء وقلة اصطناع الحركة المسرحية التى تتيح المجال للأفعال وردود الأفعال . فقد كان من الملحوظ جداً أن أحداث الرواية تجرى خارج خشبة المسرح ثم تروى فوقها أو تقص أو تقرأ ! ! ففى المنظر الأول مثلا تقص المريضة على الطبيب قصة موت زوجها وأخيها ، وفى المنظر الثانى يقرأ خطاب وزير الداخلية على المركيز ، وفى المنظر السادس أو السابع لا أدرى تتناقل الشخصيات أنباء مصرع الطغاة وتروى ما يرتكبه الثوار من قتل أو تدمير . زد على هذا وذاك ضعف بدايات الفصول ، ونهاياتها ، بحيث يتعذر الاهتداء إلى أسباب تحديدها بالحدود التى ابتدأت منها أو انتهت إليها .

وهكذا ننتهى من هذه النظرة اليسيرة إلى أن اقتباس هذه القصة لم يكن موفقاً بالقدر الذى يرتقب من مقتبسها فضلا عن خطورة الاقتباس ذاته .

على أنى أحب أن أشرك المخرج معه فى بعض هذه المؤاخذات . وأغلب الظن أن المشهد الثانى إنما هو من تنفيذ المخرج وحده ، ولعله — وقد آثر « الزخرفة » فى إخراجه — أراد أن يجارى روح القصة فعمد إلى استفزاز المشاعر بالإكثار من المشاهد الصارخة والمناظر المثيرة ، واستعان بالأضواء المتباينة على تأكيد هذه الإثارة ، ولكنه أمعن فى ذلك كله إمعاناً كاد يذهل المتفرجين عن تتبع حوادث القصة ذاتها .

ورغم هذا فلا شك فى أن للمقتبس والمخرج حسنات كثيرة ، ولكنها مع الأسف ليست من قبيل الحسنات التى تذهب السيئات .

عبد الفتاح البارودى

الثقافة

العـــدد ٧٠٢
٩ من يونيه ١٩٥٢

مجلة أســـبوعية للآداب والعـــلوم والفنون
تصدرها لجنـــة التأليف والترجـــة والنشر

الثمن ٣٠ مليماً

صفحة

خلف الزجاج

حتام أخفى فى حنايا النفس ذاتى !
وأظل أهرب من حياتى ..
وأعيش بين الذكريات
شبحاً يعذبه الحنين ..
ويخاف يفضحه الأنين ..
متململاً ... جهم السمات ..

* * *

حتام نحيا هكذا متباعدين ؟؟
ونظل نرقب بعضنا خلف الزجاج !!
فترى العيون ...
هامت إلى واد سحيق ..!!
وبها بريق ..!!
يحكى كلاماً لا تردده الشفاه
وترى الشفاه ..
وكأنها ترجو الحديث !!
لكنما ذاك الزجاج
يمتص دون الأذن ذياك الحديث .

* * *

ذاك الزجاج ....
من ذا أقامه !!؟؟
ومتى أقيم ..!!؟؟
لم أدر إلا وهو يحجب بيننا ..
ويقوم سداً دوننا .
ويحول دون سماعنا ما فى النفوس .
ويؤجج الوجد الحبيس
ويميت أصداء الحديث
فوق الشفاه

* * *

يا للزجاج !!
يا للزجاج ..!!

قد ضقت ذرعاً بالزجاج !!
وودت لو حطمته .
ونفذت منه إلى فؤادك
فلمست ما يطويه حسى ..
وسمعت ما يجرى بنفسى ..
مما جناه بها بعادك

* * *

لكن .. !! وكيف .. ؟؟
هل أستطيع ...
أن أحطم السد المنيع ؟؟
كلا .. فلست بمستطيع .
أقدم .. فإنك تستطيع .
يا للعذاب .. !!
لكننى أخشى الفشل .
وأخاف فقدان الأمل
فأعـــود أجثم فى التراب
يا للعذاب .. !!
هل أستطيع ؟!
أم أنها أحـــلام مشلول كسير ..
يهذى .. ويحلم بالمسير
حتى إذا ما جاءه الحق المريع
ألفيته ملقى صريع ...
يبكى على حلم جميل
قد راوده المكر الغرير
يبكى ، ولكن ... لا مجيب !!
غير الدموع
وغير آلام الحقيقـــه
ذهبت بأجمل ما يؤمل فى دقيقه
عجباً ... وما يجـــدى النحيب ؟!!

أحمد صبرى السعيد

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز | الإدارة | رئيس التحرير المسئول
الدكتور أحمد أمين بك | | محمد عبد الواحد خلاف بك

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العدد ٧٠٢ — الاثنين ١٦ من رمضان سنة ١٣٧١ — ٩ من يونيه سنة ١٩٥٢ — السنة الرابعة عشرة

النقد التفسيرى للأدب

— ٢ —

للأستاذ عز الدين إسماعيل

[نشرت الثقافة المقال الأول من هذا البحث الذى يقدمه للقراء الأستاذ عز الدين إسماعيل ، ومجمل رأيه فى ذلك المقال أن النقد الأدبى كان يتجه فى الماضى إلى تقدير العمل الفنى من ناحيته الجمالية أو من ناحيته الخلقية ، ولكن الاتجاه الجديد فى النقد يميل إلى ناحية التفسير ، إذ أصبح عمل الناقد أقرب إلى إيصال تجربة الفنان إلى نفس المتذوق . ويرى الكاتب أنه أولى بنا أن نؤسس نهضتنا النقدية على أسس من الفهم الكامل والتذوق الصحيح والشرح والتفسير ، وهو لذلك يرى أن هناك علاقة وثيقة بين علم النفس وبين النقد الأدبى]

٣ — وإذا بحثنا عن الدوافع التى تحرك الموجودات أو تحرك الناس فى شتى نواحى الحياة ، وجدنا للغرائز نصيباً وافراً . ولكن ترى هل يتحرك الإنسان فى جميع حالاته بوعى منه أو دون وعى ؟ حقاً أنه يتحرك لتلبية حاجة فيزيائية أو حاجة عقلية ، ولكن يبدو أن المحركات البشرية الأساسية شىء آخر غير ذلك ، « فقد عرف الشعراء من غير شك أن الحب والكراهية والخوف هى القوى التى حركت الرجال والنساء ، ولكن الألفاظ العديدة التى استخدمت فى أى لغة من اللغات قد مالت إلى إبهام الحقيقة القائلة بأن هناك — أساسياً — قوة واحدة بسيطة تحرك الإنسانية كلها ... وقد اختار فرويد لتسمية هذه القوة كلمة الجنس . وهى — ككل الكلمات — قد مالت إلى أن تأخذ أكثر من معنى واحد ، فتكون محمودة أو مذمومة بخاصة إذا ارتبطت بالسرور أو الألم ، أو ارتبطت بالسلامة أو الخطأ . »(١)

ولكى نستطيع الإفادة من فرويد فى تفسير الأدب فإنه يجدر بنا هنا أن نقف وقفة قصيرة عند تحليله للنفس ، فنتبين العناصر التى تتألف منها ، ونحدد ميدان عمل كل من هذه العناصر .

تتكون النفس البشرية — بحسب فرويد — من الأنا والذات العليا والهى . والأنا(٢) هو الجانب الظاهر من الشخصية ، وهو يتأثر بالعوامل اللاشعورية من ناحية ، وبعالم الواقع من ناحية أخرى . ففى عالم الواقع نجد المجتمع بتقاليده وقوانينه وعلاقاته وأفراده ، ونجد فيه كذلك الأزمنة والأمكنة والأشياء ومختلف المؤثرات التى ندركها بحواسنا ونتأثر بها تأثراً يمكننا من استعادتها ومن التأثر بها فى خبراتنا التالية . ويتقدم نمو الأنا مع تقدم نمو الشخص فى بيئته المعينة ... وكأنما تتميز الأنا عن الطاقة الحيوية الغريزية بعد اتصال هذه بالواقع . وتتصف الأنا بأنها شعورية ، ويقصد بهذا أن مكوناتها يمكن الشعور بها أو بآثارها . يضاف إلى ذلك أنها عادة منطقية معقولة ، فهى تميل إلى ترتيب النتائج

(١) Basler: Sex, Symbolism and Psychology in Literature, P.14

(٢) I (Ego)

على مقدماتها ترتيباً منطقياً ، وهى خلقية كذلك ، إذ أنها تميل عادة إلى أن تكون تصرفاتها فى حدود المبادىء الأخلاقية التى يقرها عالم الواقع(١) .

وتتصف الأنا فوق هذا بأنها حلقة الاتصال بين الطاقة الغريزية وبين العالم الخارجى ؛ فالأنا هى التى تتصل بعالم الواقع لتحقيق النزعات الغريزية بالصورة التى تراها خلقية معقولة . وفوق كل هذه الصفات فإن الأنا هى تتصل اتصالا مباشراً بعالم الواقع . ويلاحظ أن الأنا تغفل فى ساعات النوم .

والخلاصة أن الأنا شعورية ، منطقية ، خلقية ، تتصل مباشرة بعالم الواقع ، وتعمل كحلقة اتصال بين النزعات الغريزية وعالم الواقع ، ثم إنها تغفل فى ساعات النوم(٢) .

وهذه السمات الخاصة بالأنا (أو بالشعور الواعى) سيتضح لنا تماماً — عندما نتقدم فى البحث — أنها ليست هى الصفات اللازمة فى العملية الإبداعية الفنية ، وأن الأدب (أو الفن بوجه عام) يتم — عادة — فى حالات أخرى منافية. وبالجملة سنرى أن الفن ليس مصدره الأنا أو الوعى — ذلك المنطق الخلقى . . الخ — وإنما مصدره شىء آخر .

وقد قال الفيلسوف الألمانى هارتمان فى (فلسفة الشعور) :

« إن التفكير الشعورى يقتصر على النقد والإنكار والمقابلة والتصحيح والتصنيف والقياس والموازنة والربط واستنتاج العام من الخاص ، وترتيب الحالات الخاصة تبعاً للقاعدة العامة . غير أنه لا يمكن أن يبدع فى الإنتاج أو يمتن فيه ، إذ يعتمد الإنسان فى ذلك على اللاشعور كل الاعتماد(٣)

ونتقدم مع فرويد فى تحليله للنفس فنجد العنصر الثانى : الذات العليا(٤) . والذات العليا تتكون منذ الطفولة؛ فالطفل يزن الأمور والأشياء ويقدرها بحسب تقدير والده أو من يعيش معه وبتوجيه منه . وقد يكون الطفل معجباً بوالده محباً له لأنه يجمع بين مظهرى القوة والعطف ، فيتقمص الطفل شخصية والده تقمصاً يترتب عليه توجيه لسلوك نفسه وتوجيه لسلوك غيره . . . وبعبارة أدق فإن فى نفسه جانباً هو عنصر السلطة المختصة ، وهو الذى يقوم بعملية الزجر والتوبيخ . . . وهذا العنصر مركب لا شعورى(٥) ، وهو

(١) ، (٢) عبد العزيز القوصى : أسس علم النفس ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ (القاهرة ١٩٥٠)
(٣) إسحق رمزى : علم النفس الفردى (منشورات جماعة علم النفس التكاملى) ، ص ١٧
(٤) super I (Super-ego)
(٥) القوصى : أسس علم النفس ص ٢٧٥ — ٢٧٦ .

لا يفترق عن الضمير المسيحى المألوف ، أو إله سقراط المتغلغل فى كل شىء "God-within"(١) .

وتتلخص الصفات الأساسية للأنا العليا فى أنها الناقد الخلقى الأعلى الذى يشعر الأنا بالخطيئة(٢) .

ويتضح من هذا أن الأنا العليا مكلفة بالأنا ورقيبة عليها ، وهى بذلك لا دخل لها فى عملية الإبداع الفنى ، لأن الأنا — كما رأينا — ليس ميدانها العمل الفنى .

وأخيراً يأتى العنصر الثالث : الهى(٣) ؛ فبتكوين كل من الأنا والأنا العليا لا يقضى على المنابع الأساسية للدوافع الغريزية ، وإنما تظل هذه حية مندفعة للتعبير عن نفسها . ولا يمنعها من التعبير عن نفسها إلا الأنا العليا ، وإلى حد ما الأنا . ويرى فرويد أن هذا الجانب يلعب دوراً هاماً فى حياة الإنسان ويسميه الهى . ومن خصائصها أنها لاشعورية وأنها لا تتجه وفق المبادىء الخلقية ، وإنما تسير على قاعدة تحقيق اللذة والابتعاد عن الالم ، ثم إنها لا تتقيد بقيود منطقية . ومن مركباتها النزعات الفطرية الوراثية والمكبوتة، ويقال — بحسب رأى فرويد — إن أهم هذه المركبات هى النزعة الجنسية(٤) .

وهنا نستطيع أن نخلص إلى النتيجة التى نريدها . فإذا كان الفن — بحسب رأى هارتمان السابق — هو عمل اللاشعور ، وكان اللاشعور هو خاصية الهى ، وكانت الهى لا تتجه وفق المبادىء الخلقية ولا تتقيد بقيود منطقية ، وكان من مركباتها النزعات الفطرية الوراثية التى أهمها النزعة الجنسية ، فإن الفن — بالتالى — يكون ، فى أصله الأصيل ، صدى لتلك النزعة الجنسية (بمفهومها الواسع عند فرويد) وعملنا الآن أن نتبين الخطوط أو الحلقات الموصلة بين الطرفين

٤ — وقد عزز فرويد نظريته بفهمه الخاص لظاهرة الكبت . « وقد نشأ هذا الفهم من دراسته للظاهرة التى تبدو — من وجهة النظر المعقولة — لغواً ، فى مثل الرغبة اللاواعية عند الابنة فى أن تحتل مكان أمها فى حب أبيها(٥) ، أو الرغبة اللاواعية عند الابن فى أن يحب أمه ويحتل مكان أبيه فى ذلك(٦) . وقد منعت هذه الرغبات — منذ بداية

(١) Basler, ibid, p. 16
(٢) القوصى : أسس علم النفس ص ٢٧٧
(٣) Id. It.
(٤) القوصى : أسس علم النفس ص ٢٧٧ .
(٥) وتعرف فى التحليل النفسى بعقدة الكترا .
(٦) وتعرف فى التحليل النفسى بعقدة أوديب » (راجع محمد فؤاد جلال : مبادىء التحليل النفسى ط/٢ ص ١٠١) .

التاريخ المدون — بواسطة أقوى المحرمات الدينية والاجتماعية ، وكان نتيجة ذلك أنه صار ينظر إليها باعتبارها غير طبيعية . . . وقد وجد فرويد أن مثل هــذه الرغبات تتمثل بوضوح فى الأحلام ، فى الوقت الذى لم يتضح له فيه هذا من سلوك مرضاه الواعى اليقظ عند ما حلل هذا السلوك بألفاظ الـكبت . ومن هنا فهم أن الدوافع الطبيعية عند ما توصف بأنها خطأ ، فإن من الممكن أن تكبت ، ولـكنها لا تنمحى ، بل تبقى فى اللاواعى ، حتى إن لم يعــد العقل الواعى يعرفها(١) » . فوظيفة الـكبت إذاً هى منع النزعات النفسية من السير فى طريقها الطبيعى ... وهذا المنع لا يقضى على النزعات النفســية ، فهى تظل قوة متحفزة للظهور ، ولـكنها تبقى مع كل هذا مختفية فيما يسمى باللاشعور(٢) » . وهى تحاول فى كل وقت أن تطفو على السطح وأن تظهر بصورة إيجابية ، ولـكن الذات العليا (والأنا فى بعض الأحيان) مادامت منتبهة وواعيــة فإنه لا مجال لطفوها وتحققها. فهى إذاً لا تظهر فى اليقظة وإنما تلتمس الفرصة التى يغفل فيها الأنا والذات العليا وهى فترة النوم، فتتحقق بصورة ما فى الأحلام ، سواء أكانت أحلام النوم أم أحلام اليقظة . « وفى اللاوعى تتخذ ثياباً رمزية ينظر إليها العقل الواعى على أنها كلام فارغ وهو فى الحقيقة لا يعرف أهميتها(٣) » .

فالرغبات المـكبوتة إذاً تجد مجالا للظهور فى الأحلام ، وهى تظهر على شكل رموز . « وقد ألقى فحص التحليل النفسى للأحلام وأحلام اليقظة فيضاً من الضوء على عمل العقل عنــد الفنان . . . فإن العمل الإبداعى عند فنان ما — كما هو الشأن فى حلم اليقظة — هو إلى حد بعيد عملية لا واعية(٤) » . على أن القول بأن العمل الإبداعى عملية لا واعية ليس جديداً علينا الآن ، وإنما المهم هو ذلك الربط بين العمل الفنى وبين الأحلام . ونحن إذا كنا نحاول الآن أن نجد الحلقة التى تربط العمل الفنى بالنوازع الجنسية فإن الأحلام هى تلك الحلقة المنشودة . فهناك نوازع جنسية مكبوتة لسبب أو لآخر ، وهى مكبوتة فى اللاشعور ، فليست تستطيع الظهور إلا فى حالات الغفلة التى تصيب الوعى ، فتظهر عندئذ ، ويفرغ اللاشعور شحنته فى شكل رموز لا يقبلها العقل الواعى بصدر رحب ، بل ربما اعتبرها لغواً ، وليس ما يتحقق فى الأحلام — فى الواقع — شيئاً آخر يغاير فى طبيعته ما يتحقق فى العمل الفنى . ويؤكد جوته نفسه « أنه كتب أحسن قصصه فى أثناء فترة نوم حالة غريبة يقارنها هو بحالة النائم فى أثناء السير Somnambulist . وإذا نحن بحثنا عن مثل من الـكتاب الأحياء فإن بروفسور هوسمان على استعداد لأن يخبرنا عن الطريقة التى كتبت بها أشعاره الخاصة حيث يقول : إننى أعتقد أن إنتاج الشعر عملية فيها من الانتباه أقل مما فيها من الغفلة اللاإرادية(١) » .

وإذا كان الحلم — فى الأعاب الأعم — يشبه حلم اليقظة فى كونه سلسلة من أفكار وصور ليس بينها كبير علاقة(٢)... فإن العملية الإبداعية كثيراً ما تتخــذ فيها الرموز نفس الصفات . فـكما يقول وودورث : إن الحالم لا يعمل ، وإنما هو يلعب لملء الفراغ ، وصوره تأتى — على نطاق واسع — بواســطة الارتباط الحر مع وجود الرغبات الشخصية الموجهة(٣) ، فإن العمل الفنى أيضاً فيه من صفة اللعب هذه قدر كبير .

العمل الفنى تدفع إليه أسباب هى التى تدفع إلى الحلم ، ويحقق من الرغبات المـكبوتة فى اللاشعور ما يحققه الحلم ، وهو كذلك يتخذ من الرموز والصور ما ينفس عن هذه الرغبات ، ويخلق بين هــذه الرموز أو الصور علاقات بعيدة وغريبة فى الوقت نفسه — على الأقل بالنسبة للعقل الواعى . « فحيث يعبر العقل الواعى عن فكرة (ا) و (ب) باستخدام حرف العطف ، فإن اللاوعى يجعل منهما صورة واحــدة . . . وحيث يربط العقل الواعى بين شيئين ربطاً سببياً (بما أن ا مرغوب فيه فإن ب مرغوب فيه) فإن اللاوعى يضع ب مكان ا . . . وحيث يدرك العقل الواعى أن الشخص يمكن أن يحصل على ا أو ب لا كليهما ، فإن اللاوعى يجمع بينهما فى مكان واحد(٤) . » وهكذا تنقلب كل المعايير المنطقية عند العقل الواعى بحيث يظهر اللاوعى

---

(١) Basler, ibid, p. 15
(٢) القوصى : أسس علم النفس ص ٢٦٧ .
(٣) Basler, ibid, p. 15
(٤) Lyril Burt : How the Mind Warks (2nd Edition-London 1945), p. 273.

---

(١) Burt, ibid, p. 275
(٢) R .S. Woodwarth · Psychology, A Study of Mental Life (81th Edition) p. 565
(٣) Woodworth, ibid, p. 568
(٤) Basler, ibid,p.18

بائع البيض

للدكتور أحمد أمين بك

كان عاملا فى شركة للسجاير ، يتقاضى كل يوم ثلاثين قرشاً ، وكان معروفاً بين زملائه بالسماحة والجود . فكان إذا ذهب إلى بائع الـكازوزة، تبعه بعض زملائه يشربون على حسابه ، وإذا ضاقت بزميل له ضائقة اقترض منه ، فكان مضرب المثل بين إخوانه . وقد تزوج ورزق أولاداً سعد بهم وسعدوا به . ولكن الزمان الغدار لم يرحمه . فأصيبت عيناه من غبار الدخان . فذهب إلى الطبيب وعرض عليه عينيه ، فعمل له عملية أودت بهما ، وجعلته كفيفاً ، وطُرد من الشركة ، لأنها لا تأوى إلا الصحيح ، ومنحته جنيهات قليلة ضاعت فى شهر أو شهرين . فماذا يصنع ليُنفق على زوجته وأولاده . ففكر طويلا : هل يفتح دكانا ؟ وأين رأس المال ؟ هل يستجدى ؟ ذلك عار له كل العار . عار له ولزوجته ولأولاده .

ليس من شىء إلا أن يبيع بيضاً ، وينادى فى الشوارع إذا ابتعد عن حارته ، يقوده أحد أولاده وأحياناً تقوده امرأته . .

ناديناه مرة ، فوجدنا بيضه خيراً من بيض غيره ، وسألته أثناء الحديث عن تاريخه فرواه كما ذكرته ، ثم سألته عن رأس ماله ، فقال : أربعون قرشاً . وأشفقت عليه ، ومنحته خمسين لتنضم إلى رأس المال . ومنحه ابنى مرة ثلاثين . وفى كل مرة يبيعنا بيضاً نؤكله مما بقى من الطعام ، ويطلب أحياناً رغيفاً لولده ، وأحياناً قليلا من الأرز ، ثم ملعقة سمن يطبخ الأرز ، وأحياناً قميصاً أو جلباباً له أو لأحد أولاده . وعلى الجملة لا يبيع بيعة إلا ومعها مطلب . وفى كل مرة يغمرنا بالدعاء .

ومرة ذبحنا ديكا رومياً فأقسم أولادى أن لا يأكلوه ، وأن نتصدق به على بائع البيض ، وصمموا على ذلك ، وأن يكتفوا بأكلة عدس ، فوافقت وزاد فى الدعاء لنا . وعُدّ كأنه أحد أفراد عائلتنا . . .

ومرة تعب من المناداة على البيض فطلب من زوجته أن تبيع بدلا منه فأبت لأنها بنت ناس ، فتزوج عليها غيرها ، وكانت امرأة أرملة ذات أولاد . فأصبح فى رقبته زوجتان وأولاده وأولاد زوجته . وكل هؤلاء يعيشون برأس المال الذى ذكرته . ففارقت الزوجة الأولى ، ووعدته أنه إذا طلّق الثانية عادت له ، فطلقها ، فكانت تخرج مختفية ولا تنادى بأعلى صوتها ، إنما تقصد إلى البيوت التى يعرفها زوجها . وأحياناً تقوده إلى البيوت التى اعتادها ، وأكرمنا الزوجة كما أكرمنا الزوج . . .

وأخيراً جاءتنا هدية بيض ، فأسرفنا فى استخدامه ، وبقيت منها ثلاثون بيضة ، فعرضنا عليه أن يأخذها خوف فسادها ، ثم يرد إلينا مثلها مقسطة بعد أيام فقبل . وأخذها ثم اختفى اختفاء تاماً كأنه فص ملح ذاب .

وأخيراً رأيته يمشى فى شارعنا حتى إذا وصل إلى بيتنا هرول مسرعاً ولم يناد حتى لا نسمعه . . .

قال ابنى : ما رأيك فى بائع البيض هذا ؟ أليس هذا نكراناً للجميل ، وقصر نظر فى الحياة ؟ لقد خسر أكثر مما كسب . قلت : أسبغ رحمتك على الجميع ، مجرم وصالح ، مقرّ بالنعمة وجاحد لها . إن هذا الرجل معذور . فلولا فقره ما فعل فعلته ، ولو كنتُ مكانه — لا قدر الله — لسرت سيرته . وكم من الناس غيره فى غنى وثروة ، وعز وجاه ، وتصنع معهم الجميل ، فينكرونه كأنك أسأت إليهم .

وذاك أن الفحول البيض عاجزة
عن الجميل ، فكيف الخصية السود ؟

أحمد أمين

وكأن له منطقاً آخر مناكساً فى الغالب لمنطق ذلك العقل الواعى . وهذه فى الواقع هى صورة اللعب ؛ فقد لوحظ « أن النشاط فى حالة اللعب — أيضاً — نشاط حر تلقائى ، وأما فى حالة العمل الجدى فإننا نجده مقيداً توجهه النظم المفروضة من الخارج . وبذلك يكون اللعب نشاطاً تلقائياً حراً ممتعاً ، ويكون معبراً عن الحالة النفسية الداخلية تعبيراً صادقاً[1] . . . » .

(يتبع) عز الدين إسماعيل

(١) القوصى : أسس علم النفس ، ص ١٩٤ .

قصـــــة معركة

للأستاذ محمد فريد أبو حديد بك

قرأت فيما قرأت منذ حين قصة صغيرة طريفة فى موضوعها لأنها تتصل بمعركة الأدب التى تدور حامية فى هذه الأيام . فقد كانت قرية من القرى الهادئة تحب الموسيقى وتغرم بسماعها حتى بلغ من حبها لها أن جعلت أرقى وظائفها عضوية الجوقة الموسيقية العامة . وقد أدى هذا الإيثار بطبيعة الحال إلى تنافس أهل القرية على عضوية الجوقة ، لا لأنهم جميعاً يحسنون العزف أو النفخ أو الضرب ، ولـكن لأنهم يريدون أن يفوزوا بالصدارة من وراء انتسابهم إلى الجوقة. ولـكن هـذه الحال أدت بعد قليل إلى موقف عجيب ، لا مثيل له فى جوقة موسيقية أخرى . فنحن جميعاً نعرف أن فى كل فرقة موسيقية رجلاً يقف أمام زملائه يمسك فى يده عصا قصيرة يحركها يميناً وشمالا ، ثم يحركها إلى فوق وإلى تحت ، ويهز رأسه فى طرب مع حركات يده ، حتى إذا ما انتهى العزف وقف ينظر إلى الجمهور ويبتسم فى ظرف ويتلقى التحية العامة كأنها موجهة إليه . وقد كان مثل هذا الرجل يختار دائماً فى الجوقات الموسيقية المعتادة من أفضل الموسيقيين وأ علاهم كعباً فى العزف والضرب ومن أبرعهم فى تذوق الأنغام وتأليف الألحان ، ولـكن الذى حدث فى جوقة تلك القرية كان أمراً فذاً عجيباً .

تزاحم أهل القرية شيوخاً وشباناً على الدخول فى الجوقة ، ولما كان لـكل فرد من أهل القرية سند من أصحاب الحل والعقد ، فإنهم كانوا جميعاً يقبلون فى الجوقة حتى لا تثار الحزازات بين الأعيان وأصحاب الحل والعقد .

ولـكن الشىء الذى لا يمكن للبشر أن يتدخلوا فيه هو أن بعض الناس يحسنون العزف وبعضهم لا يحسنون شيئاً ، ولا يقصدون من دخول الجوقة إلا ما فيها من شرف وفائدة ، فكانت النتيجة الطبيعية أن الـكثرة الـكبرى من أعضاء الجوقة لم يرضوا بأن يكونوا من العازفين ولا النافخين ولا الضاربين ، بل كانوا يحرصون على أن يمسك كل منهم فى يده عصا قصيرة يلوح بها إلى العازفين يميناً وشمالا وإلى فوق وإلى تحت ، حتى إذا ما تمت الأغنية وقفوا ليتلقوا تحية الجمهور المتحمس .

ولما تمادى أهل القرية فى ذلك الاتجاه أصبحت جوقتهم أعجب جوقة فى العالم . كانت تحتوى على بضعة عازفين لا يزيدون على أصابع اليد ، على حين كان حملة العصى لا يكادون يحصون عدداً . كانوا يقفون صفوفاً بعضها وراء بعض يتزاحمون ويتدافعون بعضهم من شيوخ شيب وبعضهم من شبان مرد ، ولم تخل صفوفهم من النساء بين حسان وغير حسان وعجائز وعرائس .

ولـكن الطبيعة البشرية تأبى إلا أن تثور بين حين وآخر ، ولهذا قيل إن العازفين القلائل أحسوا بعد قليل أنهم قد أرهقوا من كثرة أصحاب العصى ، وغاظهم ما يرونه من تزاحمهم وتدافعهم ، ووجدوا أنهم جميعاً يدعون ما ليس لهم وأنهم لو كانوا يستطيعون العزف أو النفخ أو القرع لما رضوا أن يقفوا هكذا يسخرون من أنفسهم بالحركات التى تشبه حركات (البهلوان) . فبدأوا يملون ويغضبون . وقاموا ذات يوم إلى حملة العصى يريدون أن يأخذوا دورهم فى التلويح والتوجيه ، ولـكنهم لم يجدوا الأمر سهلا كما كانوا يحسبون . فماذا يصنع أصحاب العصى إذا هم نزلوا إلى النفخ والعزف ؟ إنهم بلا شك يفضحون أنفسهم ويجهدون أنفاسهم فى غير جدوى . فقاوموا وجالدوا حتى صار الأمر إلى معركة استخدمت فيها عصى الإشارة والتلويح فى القتال والتجريح وكان منظراً دموياً لا يتناسب مع جمال الفن ولا حلاوة الألحان .

وهذه القصة تعيد إلى ذهني معركة الأدب التي تثور في هذين اليومين على متون الصحف الكبرى والصغرى ، سواء اليومية منها والأسبوعية . فإن الأدباء المتحدين في هذه البلاد يشبهون القلة المسكينة من أعضاء هـذه الجوقة . فهم عدد ضئيل وقلوب مكدودة تعاني ما يشبه الدمغ والقرع والعزف ، حتى تخور قواها وتنقطع أنفاسها ، ولكنها تترك تحية الجمهور تنطلق إلى العاطلين الذين يتظاهرون بالتوجيه والتلويح ، ويشبهون حملة العصي في جوقة القرية ، وهم كثيرو العدد يقفون صفوفاً بعضها وراء بعض من كل سن وكل جنس وكل زي .

وقد انتهى أمر الأدباء في مصر إلى معركة تشبه المعركة التي قامت بين أعضاء الجوقة في القرية . وها هي ذي رحاها تدور حامية تستخدم فيها العصي ، وتوشك أن تسيل فيها الدماء . وإنه لما يؤسف له أن تثور بين الأدباء معركة مثل هذه ، لأنهم قوم كانوا منذ خلقهم الله لا يعرفون الدماء ولا يحبون العنف ولا القتال . حقاً كانت لهم معارك معروفة وميادين حروب مذكورة مدونة على صفحات التاريخ ، ولكنها كانت دائماً لا تزيد على كلمات وصيحات تشبه ما اعتدنا أن نراه في أحيائنا البلدية عندما يقف اثنان أحدهما تجاه الآخر ، وكل منهما يكيل الألفاظ المعيبة لصاحبه بغير أن يمد أحدهما يداً إلى خصمه . فهما يقفان هكذا ساعة طويلة مثل قطين أسودين يتصايحان في بعض ليالي الربيع . هذه هي المعارك التي عرفها الأدب قديماً وما زال يعرفها ، وما ينبغي أن تزيد معارك الأدب على هذا .

وإنه لمن نعم الله على الأدباء أن ألفاظهم التي يتشاتمون بها تبقى على الزمن ، وأن معاركهم التي يتقاتلون فيها بالألفاظ تعيش مدة طويلة بعد أن تندثر معالم ميادينها .

وصور المعارك الأدبية أبقى على الأيام من حقائق المعارك الدموية . فإن رمسيس في ودهب كل مجده ولم يبق من معاركه إلا الصور الخالدة التي نقشها شاعره بنطاؤور . وقد هلك هرم بن سنان ، وبقيت مدائح زهير ، واندثرت معالم دولة حمدان على حين بقيت قصائد المتنبي . ومن عجيب أمر الأدب والأدباء أنهم لا يعرفون الحدود ولا القيود ، ولا يخضعون لعدالة ولا لمنطق ، بل هم يزعمون أن أعذب الكلام أكذبه ، بل إنهم يحلون السحر ويتغنون بالشتائم ومساوئ الأخلاق ، من خمر ونساء وغير ذلك مما هو معروف مشهور .

وقد بدا لي أن أستفيد بالرخصة التي تباح للأدباء ، ورأيت أن أضرب في هذه المعركة الثائرة بين الأدباء مستظلاً بحماية الحرية الأدبية المطلقة ، فأقول ما أشاء كما أشاء بغير أن أتقيد بمنطق أو ألتزم حداً أو أتقيد بقيد .

فأنا أتجه إلى الأدباء المتحين القلائل في هـذه البلاد وأحرصهم على الثورة . نعم أحرضهم على الثورة الأدبية لا الدموية ، فإن الأدب لا يحب الدماء . أقول لهم إنهم مثل النافخين في هذه الجوقة الموسيقية ، وإنهم قد طالما أجهدوا أنفسهم وأضروا بصحتهم في سبيل الفن وترقيته .

وهم مع ذلك عدد قليل ضئيل لا يبلغ صوت عزفهم إلى آذان الجمهور لأن الصفوف المتراصة من حملة العصي تحول بينهم وبين آذان ذلك الجمهور . فحملة العصي يصيحون ويتدافعون ويتشاتمون ولا يسمحون للأنغام العذبة أن تصل إلى أحد ، ثم هم بعد ذلك يقفون لتلقي تحية الجمهور كأنهم هم الذين يطربونهم بالألحان . ولم يقنعوا بكل هذا فأخذوا يقولون للجمهور المسكين إن هؤلاء العازفين لا يحسنون أن يأتوا بلحن يستحق التقدير .

فلا مفر لهؤلاء الأدباء المساكين المكدودين من أن يهجموا على صفوف حملة العصي فينزعوا العصي من أيديهم ، ثم ليدفعوا بهم إلى مقاعد العزف والقرع ليأخذوا نصيبهم من الكد والأذى .

فإذا تكاثر عليهم حملة العصي وأرادوا أن يجعلوها معركة دموية فلا حاجة بالأدباء المساكين أن يخرجوا عن سنة الأدب مهما كان الدافع إليها . فإن معارك الأدب لا تزيد على كلام . وعنـد ذلك لا يكون لهم مفر من اتباع وسيلة أخرى في الدفاع عن أنفسهم ، بغير أن يهبطوا في قتالهم إلى مستوى معارك الدهماء ممن يسيلون الدماء . وهـذه الوسيلة الأخرى أهون الأشياء عليهم لا تكلفهم مشقة ولا تكبدهم خسارة .

فعلى الأدباء الذين ينفخون ويعزفون أن يعد كل منهم لنفسه عصا تشبه عصا أصحاب التلويح والتوجيه . فإذا

خفقة ...

أهواك لو كان الفؤاد خليا
لهتفت باسمك بكرة وعشيا
أهواك ملء مشاعرى .. لكننى
أدع الكلام يموت فى شفتيا
وأود لو يصفو الزمان وينجلى
لأريح فى وادى الضلوع شجيا
صحراء أسعى فى مناكبها كما
لو كان همى أن أظل شقيا
مالى والصخر الجديب .. أريده
روضاً يضوع عبيره قدسيا ؟
يا هذه الأيام حكمك جائر
ماذا عليك إذا نظرت إليا !

* * *

وأخذت أضرب فى الحياة فلم أجد
إنساً ألوذ به ولا جنيا
سأمان آخذها على علاتها
ما دام حظى لا يزال عصيا
ظمآن يقتلنى الهجير .. وأنثنى
لا أستطيع مع القطيع مضيا
قدر يحركنى .. إلى أهدافه
وأنا أطيع .. ولا جناح عليا !
ماذا يؤمل شاعر فى عالم
يدع الأريب ويرفع الأميا ؟

ولقد ألام فلا أحرك ساكناً
هل من عيوبى أن أكون حييا ؟
لما لمحتك قلت : يا أنشودتى
عاد الربيع .. فهل نطير سويا
لا ترهقينى بالشكوك .. فإننى
عاهدت نفسى أن أعيش نقيا
والطائر الفريد يحتمل الظما
ويظل للعهد القديم وفيا

* * *

وطفقت أبحث عنك حتى عقنى
جلَدى وكان — كما عهدت — قويا
أرنو إلى الماضى البعيد محاذراً
أخشى انبثاق الدمع من عينيا
صور من الحرمان ذقت طعومها
ما كان أكثر ما لقيت فتيا !
يا أيها الخفاق بين جوانحى
أولاً تحس لما تركت دويا ؟
سر كيف شئت .. فإنها أمنية
أن تستعيد شبابك المنسيا !
ولعلها — فى ذاتها — حورية
جاءت تعيد إلى الصواب غويا !

* * *

ولقد ذكرتك والظلام مخيم
فرأيت وجهاً كالصباح وضيا
ورأيت أحلامى تعود طروبة
مثل الغريب مضى .. وآب رضيا
ورأيت قلبى بعد أن طال السرى
يصغى إلى همس الربيع حفيا
ويكاد يقفز بين أضلاعى كما
قد كان يفعل حين كان صبيا

. . . .
. . . .

وا حسرتاه إذ صحوت فلم أجد
إلا حطام الكأس بين يديا !

على بيومى

ما أحسوا التعب من النفخ والقرع قاموا إلى صفوف أصحاب العصى فوق المنصة العالية وأخذوا يلوحون بعصيهم إلى اليمين وإلى الشمال وإلى تحت وإلى فوق إلى آخر ما يجب عليهم أن يصنعوه .

وبهذا تتم الملهاة سخرية وتصير الجوقة كلها من حملة العصى الذين يلوحون ويوجهون ، ولا يبقى أحد يعزف ولا يقرع ولا ينفخ فى مزمار ، ولكنها على كل حال تكون سخافة ممتعة تتحدث بها الأجيال إلى آخر العصور .

محمد فريد أبو حديد

عقيدة تناسخ الأرواح

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

لعل أفزع فاجعة صادفت الإنسان الأول فى حياته هى فاجعة الموت : فإن ما يكتنفها من أسرار وغموض أثار كوامن النفس الإنسانية ، وحفزها على البحث عن تفسيرات تخفف من هول وقع المنية على الإنسان ، وتخلصه من حيرته على مصيره المجهول . إنه يفقد من حين لآخر عزيزاً عليه يذهب حيث لايعلم بدون عودة ، ويشق عليه أن يموت ولا يدرى إلى أين يذهب ومتى يعود . ولكن لابد من حل لمشكلة الموت يسكن من روعة النفس ويحد من شدة قلقها ، ويمكن فى الوقت ذاته أن يستسيغه العقل ويرتاح إليه . فكان من أولى الحلول التى وصل إليها الإنسان فى تبرير الموت هى فكرة التناسخ التى توحى بما كان يجيش فى نفس الإنسان منذ القدم بأن الموت لايفنيه وأنه باق ويعود بعد الموت إلى حياة جديدة ، وتصور لنا كيف لجأ الإنسان إلى خياله الساذج فأوهمه بأن الروح تعود بعد الموت متقمصة فى أبدان البشر أو فى أجسام الطيور والحيوانات والحشرات والأسماك أو فى سيقان الأشجار وعيدان النباتات .

ولقد تفاوت حظ الشعوب القديمة فى تصوير التناسخ بتفاوت الحضارات والثقافات . فآمنت بعض الشعوب البدائية أن روح المتوفى تتقمص بدن فقيده عند ولادته ، بينما تتقمص أرواح النبلاء وسادة القوم أجسام حيوانات قوية مقدسة كالثعبان ، وتتقمص أرواح الطهرة الأبرار أجسام الطيور الجميلة المغردة . أما أرواح الأشرار والصعاليك فلا تتقمص إلا أجسام الحيوانات الخبيثة والحشرات الوضيعة والزواحف الحقيرة . وتبدو عقائد الشعوب البدائية فى تناسخ الأرواح ساذجة غير ناضجة ينقصها الكثير من الجمال الخلق الذى يمتاز به التناسخ الهندى ، أو التناسق الفكرى الذى يتسم به التناسخ اليونانى ، إلا أنها تعبر عن بعض المشاعر الاجتماعية الخاصة بهذه الشعوب البدائية ؛ فإن إحساس البدائى بحاجة الأسرة الماسة إلى رعاية الأب دفعه إلى الإيمان بعودة الآباء والأجداد فى أبدان الأبناء والأحفاد الذين يقدرون أن يقوموا بما كان يؤديه الآباء والأجداد ، فلايحس أفراد الأسرة بفقد العائل مما يساعد على صيانة كيانها . وإن إحساس البدائى بحاجة القبيلة إلى حماية زعيمها يدعوه إلى الاعتقاد بعودة الزعماء فى أجسام حيوانات قوية مرهوبة تقدر أن تقوم بما كان يقوم به الزعماء من حماية القبيلة والذود عنها . وبذلك تبين لنا عقيدة تناسخ الأرواح عند الشعوب البدائية كيف تخفف من مصائب الموت على الأسرة ، وكيف تشيع فى النفوس الأمن والاطمئنان ، وكيف تعمل على تماسك رابطة الأسرة ، وتحافظ على كيان المجتمع القبلى واستقراره ، فهى تقيه من أشرار الموت وتبعث فيه الثقة فى الحياة .

أما عن التناسخ الهندى فلم يقف عند سذاجة التناسخ البدائى وبساطته وإن كان يظن أنه أساسه واستمد أصوله منه ، إذ أضاف عليه مسحة خلقية جميلة فاضت بها نفوس الهندوس الروحية عندما تكاملت ثقافتهم الدينية . إن كتاب الفيدا وهو الكتاب الأول المقدس للهندوس لم يشر من بعيد أو قريب إلى التناسخ ولم يذكر عنه شيئاً على الإطلاق ، بينما كتابا اليوبانيشاد والبرهاماس وهما كتابان دينيان يفلسفان الديانة الهندوسية ، يتكلمان عن التناسخ على أنه أمر مسلم به لايحتاج إلى برهان ، وحقيقة بديهية لا داعى لمناقشتها ، مما ينم عن إيمان الهنود العميق بالتناسخ . ومما يؤيد هذا الزعم اتخاذ جانى وبوذا حقيقة التناسخ دعامة أساسية لتوطيد تعاليمهما المناهضة لشعائر الفيدية والتعاليم الهندوسية . وهكذا آمن الشعب الهندى على اختلاف طوائفه فى شتى عصوره بالتناسخ ولم يخرج عن هذا الإجماع إلا مدارس مادية لم ينتم إليها سوى أفراد قلائل ، ولم يكن لها أثر يذكر على المجتمع الهندى وأهم هذه المدارس المادية مدرسة كاراقاكا ، وهى تزعم أن الروح تفنى بالموت ولن توجد حياة أخرى ، ولذلك يجـ

أن نحصر غايتنا فى طلب اللذة الحسية والمتعة الوقتية . ولكن لم يكتب لهذه الأفكار العمر الطويل ، وسريعا ما انقرضت وامّحت من المجتمع الهندى لأنها تعارض أسس اتجاهاته الروحية .

وللهنود ثلاثة تعاليم رئيسية فى التناسخ تختلف باختلاف فهمها لحقيقة الله أوحقيقة الروح . فالهندوس الذين يؤمنون ببراهما على أنه الروح الكبرى أو الله ، ويؤمنون بالروح الفردية على أنها إحدى مظاهر الروح الكبرى فى الكون ، يرون أن روح الفرد تنتقل من جسد إلى جسد بفعل الله فى سلسلة متتالية من الولادات ، وأن ما يحدد نوع الجسد هو كارما الإنسان أى حسب سلوكه فى الحياة الأرضية السابقة ومدى معرفته بالحقيقة المطلقة . فإذا كان الفرد صالحاً تقياً يقوم بالشعائر الفيدية ، ويؤدى الطقوس الهندوسية ، ويقدم القرابين ، ويمنح رجال الدين العطايا ، ويتمسك بالفضائل من طهر وعفة وتسامح وكرم وضبط نفس وتعاون ، ويتجنب المعاصى من سرقة وقتل وإيذاء ، ثم أدرك أن هناك وجوداً شاملا يضمه براهما ويحل فيه ، وآمن بأنه ليس فى الكون شىء منفرد بذاته وأن ما يبدو فيه من تعدد ما هو إلا مظهر متعدد لشىء واحد هو براهما ، وأن الشمس والقمر والماء والأرض كلها مظاهر متنوعة لحقيقة واحدة خالدة يتجلى فيها براهما ، فإن روح هذا الإنسان تتقمص فى ولادتها المقبلة جسداً أرقى إنسانية وأسعد حالا من الجسد السابق . وإذا استمر فى حيواته المتتالية فى اتباع تعاليم الدين وفعل الخير وتجنب الشر وأدرك حقيقة اتحاد الكون ببرهما ، فإنه يعمل على التخلص من سلسلة الولادات المتعاقبة التى تفرض عليه متاعب الحياة وآلامها ، ويأخذ فى الارتقاء فى سلم الوجود حتى تفنى روحه فى براهما ويشعر بأن روحه وبراهما شىء واحد ، وأنها متغلغلة فى الوجود تتمتع بسعادة تامة وتحظى بسرور سرمدى . أما إذا اتبع الإنسان السلوك الرذيل وامتنع عن أداء العبادات الدينية وارتكب الآثام ، أو جهل حقيقة وحدة الوجود ، وميز بين الله والروح والكون ، فإن روحه تولد فى بدن أحط إنسانية من بدنه السابق تقاسى فيه ألواناً متضاربة من الآلام والأحزان ، وتداوم فى حيواته المقبلة على إهمال الدين ، وتجاهل الفضائل ، وإغفال حقيقة اتحاد الوجود ببرهما ، فقد تتقمص روحه جسم حيوان أونبات حسب عظم جرائره . أما إذا تمادى فى اقتراف الذنوب ، وتمسك بإنكار الحقيقة المطلقة ، فقد يعرض روحه للزوال والتلاشى من الوجود . فارتكاب الخطايا هو الذى يعلقنا بالأرض ، ويسبب عودة الروح إلى تلك الحياة البغيضة المليئة بالمصاعب والمتاعب ، ولا ينقذنا من قسوتها سوى ارتسام خطى الدين وفعل الخير وإدراك حقيقة اندماج الكون فى برهما ، وذلك عن طريق سيطرة النفس على الأهواء والشهوات ، وتحريرها من إغراء الرغبات وإغواء اللذات .

وآمن جانى كثيره من الهنود بالتناسخ ولم يقدم على رفضه كما رفض الشعائر الفيدية والتعاليم الهندوسية . لقد حرم تقديم القرابين وأنكر وجود برهما أوالله ، ولكنه سلم بأن هناك أرواحا فردية متعددة يندس فى ثناياها أضراب من الكارما يختلف مفعولها باختلاف سلوك الأفراد ، وهى عبارة عن قوى مادية تنجس طهارة الروح وتسبب ولادتها من جديد ، وتجلب لها الآلام ، ويبدو طغيان الكارما على الروح عند ما ينغمس الفرد فى ملاذ الحياة المادية ، ويلبى نداء الشهوة ، ويخضع لسلطان الحواس والانفعالات ، فإن سادت الكارما على الروح ضعف الأمل فى تخليصها من سجن الجسد ، بل يتأكد عودتها إليه بعد كل موت ، إذ لا سبيل لإيقاف سيل ولادات الروح المتجددة إلا بالقضاء على الكارما قضاء تاما ، أى بالقضاء على الرغبات والانفعالات والحواس ، وبالتمسك بالفضائل وفعل الخير والابتعاد عن الشر ، وبالتمثل بالزهد الصارم والمجاهدة المضنية والرياضة القاسية من أجل إهلاك الإحساس والشعور وإماتة العواطف والشهوات وبذلك تضعف قوة مفعول الكارما تدريجيا حتى تبلى وتفقد سطوتها وتتحرر الروح من قيودها المادية وتصبح نقية صافية خالية من شوائب المادة والحس . وعندئذ لا يوجد ما يدعوها لتعود إلى العالم الأرضى ، وتنجو من دائرة الولادات المتعاقبة وتصعد إلى العالم العلوى وتصل إلى مرتبة « العالم بكل شىء » الذى تتسع معرفته لكل ما يوجد فى الكون من كائنات ، ويحيط فهمه بكل ما يدور فى العصور من أحداث وظواهر وحركات ، ولا تغيب عن إدراكه صغيرة أو كبيرة وينعم بسعادة مطلقة لا أثر فيها للحزن أو الألم .

والمذهب الهندى الثالث فى التناسخ هو مذهب بوذا

الذى لم يكتف بالإيمان بعقيدة التناسخ ، وإنما اتخذ منها سنداً يوضح به تعاليمه ، إذ وجد فيها ما يغنيه عن الاعتراف بوجود الله أو تقرير حقيقة الروح . فإذا أنكر جانى وجود الله فإن بوذا لم يحاول أن يؤكد هذا الوجود أو ينفيه لأنه لا يعرف عنه شيئاً ، وبعيد عن محيط خبراته وتجاربه . وكذلك لم يحاول أن يقرر حقيقة مجردة للروح أو ينكرها ، لأنه لا يرى فى الإنسان إلا حواس وعواطف وشعوراً وأفكاراً وأمثالاً ، ولا يدرى عن كنه الروح شيئاً . ولكنه وجد فى الوقت نفسه فى عقيدة التناسخ ما يكفيه لتفسير تعاليمه الروحية دون أن يتورط فى ذكر حقائق مجردة مثل الله والروح تغيب عن إدراكه ، فرأى أن الكارما وهى مجموعة أفعال الإنسان هى التى تنتقل من جسد إلى جسد لا الروح ، وأن نوع أفعال الإنسان أى الكارما هى التى تحدد نوع حياته الجديدة تحديداً طبيعياً بدون تدخل قوى غريبة سماوية كانت أو أرضية . فإن كانت الكارما صالحة تولد مرة ثانية فى حالة أرقى مما كانت عليه قبل ذلك ، ويعيش الفرد حياة أسعد ، وتقل عدد ولاداته المستقبلة ، ويقرب من النرفانا حيث السعادة القصوى . أما إذا كانت الكارما طالحة فإنها تتقمص جسداً أحط من جسدها السابق يهدد الفرد بحياة تعيسة ويزيد عدد ولاداته المقبلة ويبعده عن النرفانا . ولا يمكن لأحد أن يصير صالحاً ويفلت من دولاب الحياة والموت الدائر ، أو يقف سيل تدفقهما المستمر ويصل إلى السعادة القصوى ، إلا إذا أدرك الحقيقة المطلقة وآمن بها إيماناً راسخاً قوياً وأخلص فى تحقيقها إخلاصاً صادقاً . وتقوم هذه الحقيقة على أن الألم أساس الحياة ، وأن العذاب يشملها من كل جانب ويغمرها الشقاء من جميع الجهات ، إذ يصاب المرء فيها بمختلف الأمراض المرهقة ، ولا يتمتع إلا بلذات وقتية لا تدوم يعقبها حسرات مريرة تشيع القلق والريبة ، ويتوعده عجز الشيخوخة الذى يقعده عن أى عمل ويحوجه للغير ويعرضه للمخاوف والأشجان ، وتهدده المنية وأهوالها فى كل خطوة فتثير فيه الفزع الدائم . وكل هذه المصائب وغيرها من متاعب الحياة تسبب للإنسان آلاماً قاسية توقعه فريسة الاضطراب والشك ، وتدب فيه الخوف وتملأه بالحزن . ومما يزيد من لهيب هذه الآلام تعلق الإنسان الشديد بالحياة ، وشغفه الزائد بلذاتها الفانية الزائلة ، وجهله المطبق بأن الألم أساس الحياة ، وغفلته عن أن الانغماس فى ملذاتها لن يجلب إلا الشقاء ، ويجدد ظهور الكارما على وجه الأرض لتعانى آلام الحياة ومنغصاتها ، وإن السبيل الوحيد للنجاة من هذه الآلام هو قطع كل رابطة تربطنا بالأرض والتحرر من أسر مغريات الحياة المشتهاة باتباع النهج القويم الذى يتطلب من الفرد أن يتمثل بالفضائل ، ويفعل ما يفيد وينفع ، ولا يؤذى أحداً لا بالقول ولا بالعمل ، حتى يصل إلى نوع من الطهارة الخلقية يهيئ الذهن لضرب من الصفاء العقلى ، لا يرد عليه خواطر خبيثة أو أفكار شريرة ، ولا تعوقه مشاعر منحطة ، ويتأمل تأملا هادئاً خالياً من الشك والريبة ولا يفسده الخوف والحزن ولا يشغله الألم ، فيدرك الحكمة الخالدة ويعرف أن الألم أساس الحياة وأن السبيل الوحيد للخلاص هو قطع كل رابطة تربط الإنسان بالأرض ، وبتحقيق الطهارة الخلقية والنقاء الفكرى تخرج أفعال الفرد من نطاق الخير والشر ومن مجال الفضائل والرذائل ، ويبتعد عن كل ما يتعلق بالأرض من قيم وحاجات ، فينعدم السبب لولادة الكارما من جديد ، وتفنى من الوجود ويقف الإنسان فى النرفانا حيث الحياة الهادئة والنعيم المقيم ، حيث لا حياة يعقبها موت ولا موت يليه حياة .

وهكذا تمتاز شتى عقائد التناسخ الهندى بطابع خلق رفيع وصبغة روحية متعالية لا نجد لها مثيلا عند الشعوب البدائية . إن الهندوسية تبشر الإنسان التقى الورع بأن يصير إلها . وتعد الجانية الإنسان المتقشف الطاهر بالصعود إلى عالم علوى يرتقى فيه إلى مرتبة الإله العالم بكل شىء . وتمنى البوذية الإنسان الفاضل الزاهد بالنرفانا حيث السعادة الحقة . وتنذر هذه العقائد الثلاث الإنسان الضال الفاسق بحيوات متتالية يبدو فيها فى صور متعددة تعوقه عن التحرر من الحياة الأرضية ، وهى غاية العقائد السالفة الذكر ؛ بينما تهدف عقائد البدائيين فى التناسخ إلى أغراض اجتماعية تقصد خدمة المجتمع وصيانة الحياة الإنسانية من القلق والاضطراب ، إلا أنها تخلو من دافع سام يطلب الكمال ، ولا يبدو فيها من السمات الخلقية إلا لون ساذج باهت لا يكاد يلحظ .

عبد العزيز محمد الزكى

من أدب جى دى موبسان :

العـــقد

الأستاذ على أدهم

جى دى موبسان هو زعيم كتاب الأقصوصة فى الأدب الفرنسى ، وأثبتهم فيها قدما ، وأبعدهم شهرة ، وأبقاهم أثراً ، وقد تخرج فى مدرسة الروائى الفنان الكبير فلوبير ، وحاكاه فى فنه الممتاز ، وتجويده المبدع ، حتى استقل بطريقته الخاصة فى كتابة القصة القصيرة ، وظفر بإعجاب أستاذه وتقدير جهابذة النقد . وموبسان يعد فى طليعة كتاب القصة القصيرة فى الأدب العالمى ، ولا يطاوله فى هذه المكانة بحق سوى الكاتب الروائى الروسى أنطون تشيكوف ؛ وهما يفوقان أضرابهما ويرجحان عليهم من ناحيتين : ناحية الإجادة الفنية ، وناحية غزارة الإنتاج ، ولكل منهما خصائصه ومميزاته . فموباسان أدق وصفاً ، وأبلغ أسلوباً ، وأقدر على تصوير الطبائع والأخلاق ، وتشيكوف أقوى فى إدراك الحالات النفسية ، والمواقف المختلفة واستحضار الجو الملائم للقصة . وقد أتقن موباسان فنه بطول المزاولة وشدة الصبر والمطاولة حتى أصبحت قصصه وأقصوصاته نماذج تحتذى فى هذا الفن المعجز ، فن كتابة القصة القصيرة . وقصة (العقد) التى أقدمها للقارىء تتجلى فيها براعة فنه ، ومزايا طريقته ، وهى تعد من أشهر القصص القصيرة فى الأدب العالمى ، وقد بدأها بوصف بطلة القصة فقال : —

« كانت من الفتيات الحسان الفاتنات اللواتى يولدن فى أسر رقيقة الحال ليس لها مكانة مرموقة ولا جاه باذخ ، ولم تكن تملك صداقا ، ولا تنتظر ثروة ترثها عن أحد ، ولذا لم يكن لها أمل فى أن تلقى رجلا ثريًّا ذا جاه يفهمها ويحبها ويتزوجها ، فلما تقدم لها كاتب صغير فى وزارة المعارف طالباً الزواج بها قبلت ووافقت .

وكانت ملابسها عادية ، إذ لم يكن فى وسعها أن تتأنق وتتجمل ، ولكنها كانت تشعر بأنها عاثرة الحظ كأنها تزوجت من دونها مكانة ، والنساء لا يعتمدن على الطبقة ولا على النشأة ، والجمال والرشاقة والفتنة تحل عندهن محل المحتد والنشأة ، والرقة الطبيعية وفرط التهذيب الغريزى والقدرة على التكيف هى الأسس التى يقوم عليها ادعاء الارستقراطية عند المرأة ، وهى التى ترفع الفتيات من الطبقات الأدنى إلى مستوى أعظم السيدات العظيمات ؛ وكان اعتقادها الراسخ بأنها خلقت لتحظى بالمتع وتعيش عيشة الترف يجعلها أبداً قلقة جامحة ؛ كان الوسط الذى تعيش فيه يضايقها ويملها ، وكانت حيطان المنزل القذرة وأثاثه البالى وأقمشته الرثة مصدر ألم دائم لها ، وكانت بعض التفصيلات التى لا تكاد تلاحظها امرأة أخرى من طبقتها تحز فى نفسها وتملؤها سخطاً وغيظاً ، فمنظر خادمتها الصغيرة كان مثار تذمر واستياء وباعث تطلعات جنونية وأوهام بعيدة ؛ وكانت تصور لنفسها الحجرات الصامتة المفروشة بالطنافس الغالية والسجاجيد الشرقية والتى تضيئها الثريات البرنزية الكبيرة وقد أثرت حرارة الموقد فى خادمين طويلى القامة قد ارتديا السراويل التى تصل إلى الركبة فغطا فى النوم وهما جالسان على مقعدين من المقاعد الضخمة ، وكانت تحلم بقاعات الرسم والتصوير الفسيحة وبها ستائر من الحرير القديم العهد ومناضد جميلة مثقلة بالتحف الغالية ، وتحلم بالمخادع الأنيقة الرشيقة التى تتضوع منها الروائح العطرة والتى تصلح لأحاديث المساء التى تدور بين الأصدقاء الأعزاء من الرجال الممتازين البارزين الذين تطمع كل امرأة فى جذب التفاتهم لها .

وكانت تجلس لتناول الغداء على المائدة المستديرة ، وقد جلس زوجها أمامها ورفع الغطاء عن سلطانية الحساء وعبر عن إعجابه بالحساء واستحسانه له ، ولكن أفكارها كانت تداعب فكرة الأطعمة الفاخرة والفضة اللامعة فى الغرف الحلاة الحيطان بالتصاوير العجيبة والطيور الغريبة الشكل فى غابات الجان ، وتحلم بالصحاف المستطابة وبالهمسات الناعمة

التي لا تحمل معنى والتي تثير ابتسامات غامضة .

ولم يكن في حوزتها ملابس جميلة ولا جواهر ولا شيء من أسباب الزينة ، وبالرغم من ذلك فإنها لم تكن تفكر في غير تلك الأشياء ، لأنها كانت تشعر بأنها ولدت لتلبس وتتجمل ، وتفتن الأنظار ، وتخلب العقول ، وتغار منها النساء ، ويخطب ودها الرجال ، وكان لها صديقة ميسورة الحال كانت زميلتها في المدرسة . وكانت تملك الكثير من الحلي والجواهر ، وقد امتنعت عن زيارة هذه الصديقة بعد حين من الزمن لأنها كانت تتألم كلما وازنت بين حالتها وحالة صديقتها ، وتعود إلى منزلها حزينة كسيرة القلب ، وتقضي أيامها كلها محزونة باكية آسفة يائسة بائسة .

وفي ذات مساء عاد زوجها فرحاً مسروراً ، وفي يده ظرف وصاح بها قائلاً لقد أحضرت لك شيئاً .

فأسرعت إلى فض الغلاف ووجدت فيه بطاقة مطبوعة قد كتب عليها « وزير المعارف ومدام جورج رامبنو يتشرفان بدعوة المسيو لوازيل وحرمه إلى حفلة خاصة في ديوان الوزارة يوم الاثنين الثامن عشر من شهر يناير » ، ولكن بدلاً من أن تسرها هذه الدعوة فإنها ألقت البطاقة بغضب على المنضدة وهي تقول : «ما انتفاعي بهذه الدعوة ؟ »

فأجابها زوجها : « لم ذلك يا عزيزتي ؟ لقد ظننت أن هذا يسرك ، فإنك لا تغادرين المنزل ، وهذه فرصة بديعة لك ، ولقد بذلت جهداً في الحصول على هذه البطاقة لأن الدعوة مقصورة على قليل من الموظفين البارزين » .

فنظرت إليه غاضبة مغيظة وقالت في حدة : «ماذا تنتظر مني أن ألبسه في مثل هذا الحفل ؟ »

ولم يكن قد فكر في هذا الموضوع ، ولكنه قال في تردد : « يبدو لي أن الثوب الذي تعودت لبسه عند ذهابك إلى المسرح مناسب ... »

وأمسك عن الكلام فقد ساءه وأزعجه أن رأى زوجته باكية مكروبة ، وكانت دمعتان كبيرتان تنحدران على وجنتيها في بطء .

وبصعوبة قال لها : « مابك ؟ ماذا أصابك ؟ »

فتمالكت جأشها بعد جهد ومسحت وجنتيها المخضبتين ، وقالت في صوت هادىء : « لا شيء . ليس عندي ثوب للسهرة ، ولذا لا أستطيع الذهاب إلى الحفل ، فأعط بطاقة الدعوة لأحد زملائك في الوزارة من الذين زوجاتهم أحسن مني ملبساً » .

فاستولى عليه الانقباض ولاعه الألم وقال « لنبحث الموضوع يامتيلدا ، كم يساوي ثوب السهرة المناسب الذي يمكن استعماله في هذه المناسبة وفي مناسبات أخرى شبيهات بها ؟ »

فأجالت الأمر في بالها دقائق ، وفكرت في مدى المبلغ الكبير الذي لا يزعزع عزيزة الاقتصاد في كاتب صغير ويحمله على الرفض ، وقالت أخيراً وهي متشككة « إني لا أكاد أعرفه على وجه الدقة ، وربما تكفي أربعمائة فرنك » .

فاصفرّ وجهه قليلا ، فقد اقتصد ما يعادل هذا المبلغ ليشتري به بندقية صيد ، ليشترك في الصيد مع بعض الأصدقاء في الصيف القادم ، ولكنه أجاب « حسن ، سأعطيك هذا المبلغ ، واجتهدي أن تستحضري ثوبا جميلا » .

واقترب اليوم المحدد للدعوة ، وبالرغم من أن الثوب كان قد تم تفصيله فإن مدام لوازيل ظلت مغمومة مهمومة ، فسألها زوجها ذات مساء « إنك لست كعادتك في الأيام الثلاثة الأخيرة » .

فأجابته « يضايقني أني ليس عندي حلي لألبسها ، حتى ولا دبوس صدر ، مما يشعرني بأني فقيرة ، إني أفضل التخلف عن الحضور » .

فأجابها زوجها « تستطيعين أن تتزيني ببعض نواضر الأزهار ، إنها الطراز الجديد في هذا العام ، ويمكنك الحصول على زهرتين أو ثلاث زهرات باهرات لقاء عشرة فرنكات » .

فلم تقتنع ، وقالت « لاشيء أكثر إذلالا للنفس من أن يظهر الإنسان بمظهر الفقر في حشد من النساء الثريات » .

فأجابها زوجها « ما أسخفك ! لم لا تطلبين من صديقتك مدام فورستييه أن تعيرك بعض حليها ، وأنت تعرفينها معرفة صحيحة ؟ » .

فانطلقت منها صيحة فرح وقالت « نعم ، إن هذا لم يخطر ببالي » .

وفي اليوم التالي زارت صديقتها ووصفت لها ورطتها وأزمتها ، فصحبتها مدام فورستييه إلى صوانها وأخرجت

منه صندوق الحلى والجواهر ، وقالت لها « خذى منه ما تشائين » .

وبعد البحث وقع اختيارها على عقد ماسى فاخر أعجبها واستطار صوابها ، وأخذ قلبها ينبض بالرغبة الجنونية ، وبيدين مرتجفتين أخذته ووضعته على ثوبها ووقفت تنظر إلى نفسها وهى فى نشوة من الطرب والارتياح ، ثم قالت لصديقتها وقد خالجها شك أليم « أتعيريننى هذا ؟ » .

فقلت لها صديقتها « نعم . بكل تأكيد »

فطوقت بذراعيها صديقتها وأوسعتها تقبيلا ، وانطلقت حاملة هذا الكنز الثمين .

وجاءت ليلة الحفل ، وانتصرت مدام لوازيل انتصاراً باهراً ، وكانت أجمل سيدة فى الحجرة ، وقد استخفها السرور ، وتوجهت إليها أنظار الرجال ، وسألوا عن اسمها والتمسوا أن يُقَدَّموا لها، وقد استرعت نظر الوزير نفسه ، واستطار لبها ذلك السرور الذى غمرها وهى مستمتعة بنجاحها مفاخرة بجمالها ، فاشتركت فى الرقص ، وكانت كأنها تسبح فى حلم جميل قد اختلط فيه ما أثارته من الإعجاب وما قدم لها من آيات الولاء وما حركته من رغبات ، وذلك الانتصار التام الحبيب إلى قلوب النساء .

ولم تستطع أن تنتزع نفسها من هذا الحفل قبل الساعة الرابعة ، وكان زوجها منذ منتصف الليل وهو يغالب النعاس فى إحدى غرف الجلوس المهجورة مع ثلاثة آخرين من الرجال كانت زوجاتهم غارقات فى الاستمتاع بالحفل .

وألقى زوجها على كتفيها ثوب الخروج العادى ، وكان من ملابسها اليومية العادية التى تبدو حقيرة إلى جانب ثوب السهرة الفاخر ، وشعرت بالتناقض ، وحرصت على الإسراع فى الخروج حتى تفلت من ملاحظة النساء الأخريات اللواتى كن يلبسن الفراء الثمين . وحاول لوازيل أن يكبحها ويهدىء من سرعتها فقال لها « انتظرى حتى أحضر لك عربة ، فإنى أخشى عليك البرد إذا خرجت إلى الطريق » ولكنها لم تصغ لكلامه وبادرت إلى النزول من سلالم الديوان ، ولم يجدا عربات ، وظلا يبحثان عبثاً ، واتجها إلى ناحية نهر السين ، وأخيراً وجدا على رصيف الشاطىء إحدى العربات القديمة التى لا تظهر فى باريس إلا بعد منتصف الليل كأنها تستحى من قذارتها وحقارتها فلا تظهر فى ضوء النهار ، وحملتهما العربة إلى باب منزلهما فى شارع الشهداء ، وصعدا سلالم المنزل الكئيبة حيث يسكنان ، وانتهى كل شىء بالقياس إليها ، أما زوجها فكان يفكر فى أن عليه فى اليوم التالى أن يكون فى عمله حوالى الساعة العاشرة .

وألقت الثوب الخارجى أمام المرآة لكى تنظر إلى نفسها وهى فى حفل زينتها نظرة أخيرة ، ولكنها أرسلت فجاءة صرخة ، فإن العقد الماسى لم يكن حول جيدها .

فقال لها زوجها ، وكان قد خلع جانباً من ملابسه :

— ماذا حدث ؟

فالتفتت إليه وهى مضطربة متفزعة وقالت وهى لا تكاد تبين : لقد فقدت عقد مدام فورستييه .

فقال زوجها : ماذا ؟ فقدت العقد ؟ هـذا غير ممكن !

وبحثا عنـه فى ثنايا الثياب وفتشا جيوبهما ولكن عبثاً ...

— أ كنت واثقـة من أنك كنت تلبسينه حينما غادرنا الرقص ؟ .

— نعم . أذكر أنى تحسسته وأنا فى ردهة الوزارة .

— ولكن لو كنت فقدته فى الشارع لكنا سمعنا صوت سقوطه ، فلا بد من أن يكون قد سقط فى العربة .

— نعم . إنى أظن ذلك ، فهل معك رقم العربة ؟

— لا .

ونظر كل منهما إلى الآخر وقد استولى عليهما الرعب ، وفى النهاية أعاد لوازيل ارتداء ملابسه .

— سأسير من الطريق الذى قطعناه معا وأحاول أن أجده .

وغادر المنزل ، أما هى فإنها لم تجد فى نفسها من القوة ما يعينها على الذهاب إلى الفراش ، ولم تكن تستطيع التفكير فارتمت على أحد المقاعد وظلت به فى ثوب السهرة .

وعاد زوجها فى الساعة السابعة صباحاً دون أن يجد العقد ، وقد أبلغ الشرطة ، وأعلن فى الجرائد عن جائزة ، واستفسر فى كل العربات . وزارا كل مكان كانا فيه ، وظلت زوجته تنتظره وهى تفكر طوال النهار فى الكارثة المنتظرة .

وعاد زوجها فى المساء وقد ذهبت جهوده أدراج الرياح وقال لها : « اكتبى إلى صديقتك وقولى لها إن مقبض العقد

قد كسر ، وإنك تصلحينه ، وهذا يعطينا وقتاً للتفكير في أشياء أخرى » .

فكتبت إليها رسالة تبلغها ذلك ...

وانقضى أسبوع ، ويئسا من وجود العقد ، وقال لوازيل الذي بدا أكبر من سنه بخمس سنوات « علينا أن نتخذ الإجراءات لاستحضار عقد بدلا منه » .

وفي اليوم التالي حمل العلبة الفارغة التي كان بها العقد وقصد أحد الجوهريين ، وكان اسمه مكتوباً فوق العلبة ، فرجع الرجل إلى دفاتره وقال « إن العقد لم يصنع عندي وإنما صنعت عندي العلبة وحدها » .

وظلا ينتقلان من جوهري إلى آخر محاولين أن يجدا عقداً مثل العقد المفقود ، وكانا كلاهما في حزن وهم .

وأخيراً وجدا في أحد الحوانيت عقداً ماسياً يماثل تماماً العقد الضائع ، وكان ثمنه أربعين ألف فرنك ، وقبل الجوهري أن يبيعه لهما بمبلغ ستة وثلاثين ألف فرنك . فطلبا إليه أن لا يتصرف بالعقد مدة ثلاثة أيام ، ووافقا على شرط أن يكون له الحق في أن يبيعه بمبلغ أربعة وثلاثين ألف فرنك إذا وجد العقد الأصلي قبل نهاية شهر فبراير .

وكان لوازيل قد ورث مبلغ ثمانية عشر ألف فرنك ، واضطر إلى أن يقترض من جهات مختلفة ما يعادل هذا المبلغ ، وقبل شروطاً شديدة وعامل المرابين وذهب ليشتري العقد ، وهو يعلم ما سيستهدف له من الحرمان والشقاء وما سيلقاه من العنت ويتجرعه من الغصص والآلام .

ولما أعادت مدام لوازيل العقد قالت لها مدام فورستييه عاتبة عليها لائمة لها « كان يجب أن ترديه أسرع من ذلك ، فربما كنت قد احتجت إليه » .

ومما فرّج كرب مدام لوازيل أن مدام فورستييه لم تفتح العلبة ، لأنها لو لاحظت التغيير ماذا كانت تظن ؟ وماذا كانت تقول ؟ ربما كانت تظنها لصة .

عرفت مدام لوازيل بعد ذلك فظاعات الفقر المدقع والحاجة الملحة ، وقد وطنت نفسها على احتمالها ، وقامت بدورها في بطولة ، فهذا الدين الضخم لابد من وفائه ، وصممت هي على هذا الوفاء ، ففصلت الخادمة ، وانتقلا من الشقة التي كانا يقيمان بها إلى غرفة على سطح أحد المنازل ، وتولت هي القيام بكل أعمال المنزل وواجبات المطبخ البغيضة ، فكانت تغسل الأواني والأطباق ، وتغسل الملابس وتنشرها ، وتكنس وتستحضر الماء ، وتلبس ملابس العاملات وتحمل سلتها إلى البدال والخضري والقصاب ، وتحاسب وتساوم وتناقش وتجادل حريصة على كل مبلغ مهما صغر ، وكان زوجها يقضي أمسياته في عمل الحسابات عند أحد أصحاب المتاجر ، وينسخ في الليل بعض الأوراق لقاء مبلغ زهيد من المال .

وقد استمرت هذه الحال عشر سنوات ، وفي آخر المدة كان الدين قد سدد ودفعت أرباحه المتجمعة .

وكانت مدام لوازيل تبدو حينذاك امرأة عجوزاً ، وأصبحت أنموذجاً لزوجة الرجل الفقير الفظة الغليظة ، وأهملت شعرها ، وتركت العناية بملابسها ، وفقد صوتها رقته ورخامته ، وفي أثناء غياب زوجها في عمله بالوزارة كانت تجلس أحياناً إلى جانب النافذة فتشرد أفكارها وتتجه إلى هذا المساء البعيد ، ذلك المساء الذي سطع فيه جمالها وكمل فيه انتصارها ، فماذا كانت تكون الخاتمة لو لم تفقد العقد ؟ من يستطيع أن يعرف ؟ ومن يستطيع أن يدري ؟ فما أغرب مصادفات الحياة وما أكثر تنوعها ، وما أتفه الأشياء التي قد تنقذ حياة الإنسان وقد تفسدها !

واتفق في أحد أيام الأحد أن خرجت في نزهة إلى الحدائق لترفه عن نفسها من عناء الأسبوع ، فأبصرت سيدة معها طفل ، وعرفت أن هذه السيدة هي مدام فورستييه ، وكانت تبدو صغيرة السن غضة الشباب ناضرة العود ، وما تزال فاتنة جذابة ، فجاشت عواطف مدام لوازيل فهل تخاطبها ؟ ولم لا ؟ لقد وفت الدين ! لماذا لا تخبرها القصة بحذافيرها ؟ وتقدمت منها وقالت لها «سعد صباحك ياچان»

فلم تعرفها صديقتها وأدهشها أن تقدم مثل هذه المرأة العادية على تحيتها !

— أخشى أني لا أعرفك ياسيدتي — ربما تكونين قد أخطأت .

— لا — أنا ماتيلدا لوازيل .

فأطلقت مدام فورستييه صيحة وقالت : آه ياماتيلد البائسة لشد ما تغيرت !

مع الفكر الأوربي المعاصر

للأستاذ مبارك إبراهيم

١ — الإسلام

معتقداته وطقوسه

كتاب من تأليف الأستاذ « تريتون »

الأستاذ السابق للغة العربية بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن .

هذا كتاب أداره مؤلفه على الموضوعات الآتية : محمد والقرآن . أركان الإسلام . الحديث والسنة . المعتقدات . الشريعة . الشيعة . التصوف . الحكومة . الحياة الاجتماعية والآراء السائدة عند جمهور المسلمين . النهضات الحديثة في الإسلام .

وهو يقول في كتابه : ويدعى محمد (ص) أكثر ما يدعى بالمصطفى . ولذلك فإن المصدق برسالته يحس أنه باتباعه سنة هذا النبي يصبح واحداً من الصفوة المختارة من الخلق . وأن أحداً من الناس لن يسمو سموه . ولن يرقى رقيه . ومن ثم ترى المؤلفات العربية قد مالت إلى جانب الخصوصية لا الشمول . ودليل ذلك ما قيل منسوباً إلى الخليفة الثاني عن الكتب التي تحتويها مكتبة الإسكندرية : « إن كان ما في تلك الكتب يتفق وما جاء به القرآن فهي إذاً كتب لا حاجة لنا بها ، وإن كان ما فيها يخالف ما جاء به القرآن فهي كتب خاطئة » . وهذا القول يمثل « القالب العقلي » عند المسلمين ! !

ومن ناحية أخرى فإنه روى أن أحد أفراد قبيلة من القبائل العربية قال — وقد نظر إلى فخامة بناء من الأبنية قد تبين فيه جمال الفن — إن تلك الفخامة ، وذلك الجمال لن يبعثا في نفسي إلا أن أنطق باللعنة أشد اللعنة ، وإلا أن أبصق ساخراً مستهزئاً ! !

ويضيف المؤلف إلى ذلك قوله : على أن مثل هذا الخلق قد زالت آثاره في بعض الأقطار الإسلامية . ولكن عند فئة قليلة من الناس . وفي هذا ما يغري بالقول أن العقم الذي أصاب الإسلام إنما هو أثر من آثار ما جبلت عليه نفوس أهله . فالإسلام وقد نأى بجانبه كبراً وتعالياً عن رؤية أي شيء خارج بيئته قد فاتته الاستفادة من الآراء الجديدة

— نعم ، لقد لقيت أياماً شديدة ، واحتملت الكثير منذ آخر مرة رأيتك فيها ، ولم يكن هناك نهاية لما أكابده من العناء ، وقد كنت أنت سبب هذا كله .

— أنا سبب هذا كله ؟ وماذا تعنين بذلك ؟

— تذكرين العقد الماسي الذي أعرتني إياه لألبسه في الحفل الذي كنت قد دعيت إليه في وزارة المعارف ؟

— نعم أذكر ذلك جيداً .

— إني فقدته .

— إنني لم أفهم ما تقولين ، لقد أعدته إلي .

— كان عقداً آخر الذي أعدته إليك يشبهه تمام الشبه ، وظللنا ندفع ثمنه طوال السنوات العشر الأخيرة ، وتعرفين أن ذلك لم يكن من السهل على قوم مثلنا لا يملكون شيئاً ، ومهما يكن من الأمر فقد انتهى كل شيء .

فوقفت مدام فورستييه جامدة بغير حراك .

— تريدين أن تقولي إنك اشتريت عقداً ماسياً بدلاً من عقدي الذي فقد !

— نعم ، وأنت لم تلحظي ذلك ! لقد كانا متشابهين الشبه كله .

وضحكت مدام لوازيل في كبرياء واقتناع !

فأمسكت مدام فورستييه بكلتا يديها وهي تعاني شدة وألما

— آه يامتلدا البائسة ! لقد كان عقدي زائفاً ! ولم يكن يساوي أكثر من خمسمائة فرنك .

علي أدهم

وغفل عن الإتيان بأي شيء جديد من عنده ! !

ومن الممكن القول أن الهدف الأول من دراسة القرآن هو استنباط قواعد السلوك من ثنايا آياته . كما أنه من الممكن القول أيضاً أنه في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ظلت رقعة الإسلام تمتد وتتسع ، وظل ضوؤه يتسع وينتشر خارج أقطاره . وذلك على أيدي المبشرين به من المبعوثين غير الرسميين .

والاعتقاد بأن الله موجود ، وأنه المسيطر على العالم يعلى من شأن الحياة ، ويبث الثقة والإيمان بها ؛ وهذا الاعتقاد هو العمود الفقرى للخلق الكريم ، ولصدق العزيمة وقوة الإرادة ، وللصبر أجمل الصبر على غدر الأيام في أقسى مرارته ، وهي الصفات التي يتحلى بها المؤمنون المصدقون أصدق الإيمان بعقيدة الإسلام ؛ فالمسلم مستيقن أن إيمانه لابد مكسبه السعادة الكبرى في الدنيا والآخرة .

وقد وصف أحد الرحالين ظهور وباء الكوليرا في حين من الأحيان قال : كان الوباء يتعقبنا خطوة بعد خطوة ، ويقتحم خيامنا خيمة بعد خيمة ، بل كان يمشي في ركابنا . وعلى الرغم من أن فرقة المكافحة قد بدأ يتملكها الفزع . وعلى الرغم من أن أفرادها كان ينظر بعضهم إلى بعض نظرة الحذر ، وهم يهيبون بأنفسهم ليكونوا على أتم الأهبة لمكافحة الوباء عند ظهور أول علاماته فقد كانوا جميعاً مستمسكين بالصبر والجلد .

والدين عند المسلمين حقيقة واقعة ، وجزء متمم لحياتهم اليومية . وهو ليس رداء يرتديه الأحبار والعلماء . ومن ثم فهو يجعل المسلمين إذا وقعت الواقعة وادلهم ليل الخطوب ثابتي الإيمان ، لا تزعزعهم العواصف والأنواء .

ولقد بدأ منذ حين نشاط الإرساليات الدينية المنظمة . ومن تلك الإرساليات جماعة أنجومان هدايات الإسلام » في مدينة « دلهي » . وقد انضمت إليها أربع وعشرون جمعية في مختلف أنحاء الهند .

وهناك فرع « لاهور » للحركة الأحمدية . وهو الذي يرسل بعوثه إلى مختلف ممالك أوربا . تبشر بالدين الإسلامي وترفع أعلامه . وأصدق دليل على أن الإسلام مازال حياً قويا هو نشاط هذه الجماعات غير الرسمية .

وأوثق عروة يستمسك بها المسلمون هي اجتماعهم من جميع أنحاء العالم ليؤدوا فريضة الحج بمكة . وليقيموا الصلاة في ذلك المكان يولون وجوههم شطره كل يوم . وفي الوقت نفسه فإن إخوانهم الذين لم يحجوا يشاركونهم أداء الفريضة — وهم في أوطانهم — وذلك بالتقرب إلى الله بذبح الأضاحى وإطعام الفقراء من لحومها .

أما الصلوات الخمس كل يوم فوسيلة فعالة لكسب واستبقاء « المسلمين » الذين اهتدوا إلى الإسلام .

ولم ينس الإسلام الإحسان إلى الفقراء . وهو الزكاة التي كان محمد (ص) يعلى من شأنها ويوصى بإيتائها . وهي عادة تتفق مع طباع القوم وأخلاقهم .

والإسلام يكبر من شأن العلم إكباراً لاشائبة فيه . والعلم عنده فريضة على كل مسلم ومسلمة .

والإسلام في مجمل أمره ينظر إلى أتباع الأديان الأخرى نظرة رفق وتسامح . ولو أن بعض الفاتحين قد جمع بين فتوحاته وبين قتل عابدي الأوثان ابتغاء وجه الله .

وفي العصور الوسطى كان اليهود سعداء بالعيش بين المسلمين أكثر مما كانوا بين المسيحيين . وقد أتى حين من الدهر كان المسيحيون يُضطهدون ويُظلمون . ولكن الذنب في هذا يرجع إلى جشع أولئك المسيحيين وطغيانهم . والدليل على حسن صنيع المسلمين أن كثيراً من فقهائهم وقفوا يدافعون عن حقوق الذميين ، ويأخذون بناصرهم .

ويبدو أن ليس هناك أي شك في أن مذابح الأرمن في تركيا قد دبرتها الحكومة . إذ المعروف أن من واجب أرباب السلطان أن يكبحوا جماح الرعاع .

وفي كثير من الأحيان يكون الدافع على الإغارة على أهل الديانات الأخرى هو كراهة الغريب لذاته لا لدينه .

وفي شمال أفريقيا يسترشد الناس عادة في المسائل الروحية

بآراء الدراويش القابعين فى تكاياهم . مفضلين إياهم على موظفى المساجد ، وحجتهم فى ذلك أن هؤلاء تدفع الحكومة لهم رواتبهم . وهم لذلك موضع شك وريبة .

وقد يكون محمد (ص) قد حرم قتل النمل والنحل . وقد يكون صحيحاً ما قيل من أن فقهاء المعتزلة يقولون بأن الحيوانات ستدخل الجنة جزاء لها على ما قاسته من آلام على الأرض . وأن العقل لا يستطيع أن يأتى بدليل على أن قتل الحيوانات لاتخاذ لحومها طعاماً للناس كان حقاً وعدلا

ومع هذا فإن الحيوانات المستأنسة تلقى عند المسلمين مصيراً سيئاً . على أن المرء لواجد ذلك الرجل من رحال البادية يلاطف حصانه ويدلله . (هذا إن لم يكن قد استبدل به اليوم سيارة من السيارات) .

والدين الإسلامى ليس هو — بالطبع — الآمر بالقسوة فى معاملة الحيوان . ولكنه كان يستطيع أن يحض على منع تلك القسوة .

وقد يستطيع المرء أن يجمع من صحف الأخبار المرجفة نتفاً تصور الآداب والعادات فى الأقطار الإسلامية فى صورة براقة أو قاتمة . ولكن ليس من العدل الاعتماد على أمثال تلك الصور . فالمسلمون مثلا يقولون إن قلة من المسلمين هم الذين يتخذون أكثر من زوجة واحدة . ورجال الإرساليات المسيحيون ينكرون عليهم هذا القول . وقد يكون النبآن قد استقيا من مصادر متنوعة ، ومن بيئات مختلفة .

والمؤلف يقول أيضاً : إن من أدب الإسلام عند الترك ذم الحسد (وإن كان من المباح الدعاء على الأغنياء الذين ينفقون أموالهم فى غير مرضاة الله بأن يمحق الله أموالهم)

كذلك من أدب الإسلام عندهم أن من واجب المسلم أن لا يخشى الفقر ، وأن لا يتملق ذوى الثراء ، وأن لا ينظر إلى الفقراء بالزراية عليهم والحط من قدرهم . وأن لا يفرق بين المسلمين بالرأى الخطير .

٢ — سيادة مدينة أو حكام مكة

كتاب من تأليف « جيرالد دى جورى »

يقول مؤلف هذا الكتاب : إن المدينتين المقدستين فى الجزيرة العربية كانتا مهد الإسلام وموطنه . كما كانتا المنبع الذى نبعت منه إمبراطوريات إسلامية عظمى قد صابرت الأيام وطاولت الأدهار . ولم تكن إحدى المدينتين المقدستين فى يوم من الأيام المركز السياسى لواحدة من تلكم الأمبراطوريات .

ويقول : لما امتدت رقعة الفتوحات الإسلامية الأولى اتخذ خلفاء الإسلام عواصم ملكهم خارج مكة والمدينة . فبدأوا بدمشق ، ثم ببغداد ، ثم بالقاهرة ، ثم بقرطبة . ثم اتخذت مدن أخرى عواصم لممالك كان حكامها وجمهرة سكانها مسلمين يتكلمون العربية .

أما الحجاز فقد أصبح بعد ظهور الإسلام أول الأراضى الإسلامية المقدسة وأعظمها شأناً ، كما أصبح موضع التوقير والعناية ، وكما أصبح مقصد الحجاج الذين يؤدون فريضة الحج ، وهى ركن من أركان الإسلام .

وما إن انقضى عهد الخلفاء الراشدين حتى أصبح الحجاز عند المسلمين حكمه حكم فلسطين عند المسيحيين . والمشابهة بينهما قوية محكمة ، بل تكاد تكون تامة ، مع فارق واحد . هو أن فلسطين قد ظلت طوال السنين الماضية التى تكاد تبلغ الألفين خارج مدار السياسة لدى الدول المسيحية . أما مكة والمدينة فقد ظلتا منذ ظهور الإسلام يحكمهما حكام مسلمون . وقد احتفظت كلتا المدينتين بهذا الطابع حتى بعد أن أصبح الحكام المسيطرون على الدول الإسلامية من أقوام غرباء عن العرب — وإن كانوا مسلمين — ونعنى بهم الترك .

واليوم لا تزال المملكة العربية يحكمها ملك مسلم . وإن كان نظام حكمه يختلف فى الطابع عن حكم حكام الحجاز الغابرين . وإن كان توليه الحكم قد غير من التسلسل فى نسب الحكام .

ويقول أحد المعلقين : ليس في مقدور المرء أن يقول إن الحجاز قد كونت فيه أمة في أي عصر من عصور تاريخه مهما اختلفت صيغ التعريف الكاملة « أمة » . كما يقول : إن المؤلف قد عنى برقعة من رقاع الأرض ليتقصى قصة « قريش » . وكيف تسلسلت أنسابها . وهي تلك القبيلة العربية التي أمدت « مكة » بحكامها الذين تولوا أمورها منذ أكثر من ألف عام . وهذا ما جعل كتابه كتاباً ناعماً تستحب قراءته . والكتاب — في كثير من نواحيه — مجموعة مدونات تاريخية تعنى — كما أسلفنا القول — بتسلسل نسب الحكام .

وقد بدأ المؤلف بأن رسم لقرائه صورة موجزة للبلاد العربية ، وتاريخاً لأرض الحجاز في العصور التي سبقت الإسلام ، كما صور « مكة » وقد صعد نجمها كمدينة مقدسة.

ثم ذكر كيف ظفرت قريش بسدانة « البيت » في القرن الخامس المسيحي ، وكيف ظل القرشيون مستمسكين بهذه السدانة حتى القرن العشرين . وكيف لا وقد كان من أبنائها محمد (ص) كما كان منها حكام الجزء الأكبر من العالم الناطق بالعربية . وهم المهتدون بهديه والسائرون على سنته .

ومؤلف الكتاب يكبر الإكبار كله من شأن النبي (ص) كعظيم من عظماء الساسة فهو يقول : إن النبي قد أضفى ظلالا من النظام لا عهد للبلاد العربية بها من قبل . وذلك بجمع قبائلها تحت لواء واحد هو لواء التوحيد . وبوعده للمستضعفين من العرب بأن يضمن لهم المساواة في الدنيا ، وحياة الخلد في الآخرة .

والمؤلف يشهد للنبي (ص) بأنه كان يعمل بدافع روحي ، وأن الذين اتبعوه كانوا يعملون تحت إمرته بدافع من الطموح الروحي .

ويقول المؤلف : قد يتولى الناس العجب إذا عرفوا أن انهيار الأمبراطوريات الإسلامية في العصور الوسطى قد اتفق زمانه مع ذلك الزمان الذي امتدت فيه رقعة البلاد التي يخرج منها حجاج بيت الله إلى « مكة » كل عام ، إذ جاء الترك العثمانيون ففتحوا الأمبراطورية البيزنطية وأضافوها إلى بلاد الإسلام .

وفي سنة ١٥١٦ ميلادية دخل أمير « مكة » يومئذ وكان « الشريف بركات » في طاعة السلطان سليم الأول . واستمتعت « مكة » بمزايا الحكم العثماني في إبان ازدهاره . كما قاسمته مصيره منذ أن بدأت الإمبراطورية العثمانية تذوب وتضمحل ابتداء من القرن السابع عشر .

ويقول المؤلف إنه حتى قبل عام ١٥١٦ كان هناك اهتمام بالغ بأمور البلاد العربية ممثلا في تقدم البرتغاليين في المحيط الهندي ، فلما أثر هذا التقدم أثره أصبحت المدينة المقدسة أقرب منالا إلى مسلمي العالم مما كانت من قبل . كما أن شق قناة السويس قد جعل مكة في قبضة « استامبول » . ولكن وسائل الغرب السياسية قد كان لها أثر أي أثر على القضية الحجازية . وبخاصة منذ الغزو المصري بقيادة «محمد علي». ثم دار الزمن دورته ، وامتزج العنصران ، عنصر تفوق الدبلوماسية الحديثة ، وعنصر فهم الغرب لمسائل القوميات .

وكان ذلك سبباً في تحطيم أركان الامبراطورية العثمانية ، مما فتح الباب ، وأدى إلى خلع حكام « مكة » القدماء ، وأحل محلهم ملكا من السلفيين الأصفياء المتزمتين ، يختلف أصله عن أصل من كانوا قبله في الحكم . . . ؟

مبارك إبراهيم

من أدب العرب :

حديث النحل فى شعر هذيل

— ٢ —

للأستاذ أحمد كمال زكى

طريقة الاشتيار :

وينبغى أن نذكر الصيد هنا مرة أخرى ؛ فثمة علاقة طبيعية تربط بينه وبين اشتيار العسل . فكل منهما قائم على القصص ، وإن كان الصيد يقوم إزاءه قصص حزين لا يسرد مشاق الصياد ولا يعرض لخاطراته ، وإنما يصور حال هذه الدنيا التى لا يبقى على حدثانها أحد . ومن هنا يختلف عن الاشتيار ، فينفرد هذا بمطابقته للواقع بعد خلقه خلقاً فنياً جديداً .

وأطرف ما يلقانا فى ذلك ما يقوله أبو ذؤيب عن رجل من بنى خالد ، وكانت لهم — على ما يبدو — شهرة باشتيار العسل :

فلما رآها الخالدى كأنها
حصى الخذف تكبو مستقلا إيابها
أجَدَّ بها أمراً وأيقن أنه
لها أو لأخرى كالطحين ترابها
فقيل : تجنبها حرامٌ ! وراقه
ذراها مبيناً عرضها وانتصابها
فأعلق أسباب المنية وارتضى
ثقوفته إن لم يخنه انقضابها
تدلى عليها بين سب وخَيْطة
بجرداء مثل الوكف يكبو غرابها

والنحل من عادتها أن تأتى الجبل فتعسل فى صخرة ملساء وسطه ، فيقدم الشائر صاعداً من وراء الجبل حتى يصير فى أعلاه فيضرب هناك وتده ، ويشدّ فيه الحبل ويدعه يهوى ، ثم يتدلى عليه حتى يصل إلى الصخرة . ويقول أبو ذؤيب إن الخالدى رآها كأنها الحصى يرى بالأصابع ، وكانت حين أوفت على مكانها تزلّ من لينه ، فأحكم أمره وعقد عزمه على أن يصل إليها أو يهوى إلى الأرض ممزقا . وقال له قائل : ياحرام دعها فالوصول إليها عسير ! ولكنه أبى وركب رأسه ؛ ذلك أن عسلها أعجبه ، وتاق هو إلى أقراصه الشهية . ومن ثم علق حباله وتدلى عليها دون أن يخشى انقطاعها به . ووصل فعلا إلى الصخرة الجرداء التى تشبه فى استوائها بساط الأديم والتى يزل عنها ظفر الغراب ولا يثبت فوقها لملاستها .

وفى وسعنا أن نلمح كيف أجاد الشاعر فى نقل « الأشكال » فى إطار بارع جميل . غير أن الإجادة هنا إجادة مصوِّر يثير الحركة فى كل مايصوره . ولا يظنن أحد أن تلك الصور التى رسمها سمت لأنها نقلت الواقع فى أمانة ، بل لأنها نقلته نقلا فنياً ، وإلا فإن يختلف عمل شاعرنا عما تعمله آلة التصوير ، ونعود بالشعر إلى حيث ظن بعض قدامى اليونان أنه نقل مباشر عن الطبيعة وتقليد لها .

ونرى الإجادة نفسها فيما يقوله ساعدة ، ولكنه يسجل فى لقطة بارعة صورة العسّال وهو يتأرجح فى الهواء ، ثم يسجل فى لقطة أخرى صورته بعد أن اشتار :

وكأنه حين استقل بريدها   من دون وقبتها لقىً يتذبذب
فقضى مشارته وحط كأنه   خلَق ولم ينشب بما يتسبسب
فأزال ناصعها بأبيض مفرط   من ماء ألهاب عليه التألب

وليس يتسنى لأحد أن يرى ذلك المنظر دون أن يؤخذ ؛ وإنه لمن الضرورى أن نقر للشاعر بمهارته ، فقد أبى أن يقف بلوحته وقفة جامدة أو باهتة ، وإنما دفعها أو دفع الحياة إليها حين جعل المشتار يتدلى على حبله فيبدو كأنه ثوب خلق — وهو دائماً فقير — ويتذبذب ويتطوح ، حتى إذا قضى مشارته هبط إلى الأرض خفيفاً نشيطاً دون أن يتلطخ بالعسل الذى يسيل . والرجل يعرف ماذا يفعل بعد ذلك ، إذ يقصد إلى مهواة فى الجبل ويمزج العسل بمائها الصافى يظلله شجر التألب .

ومن الممكن أن نقف على سر براعة الهذليين وإجادتهم إذا علمنا أنهم نفخوا روحهم في ذلك الشعر ، وما الفن إذا لم يكن كذلك ؟ يخطىء من يظن أن الخلق الفني عملية تكوين من العدم ، فما شيء يوجد من لا شيء ! وليست البراعة في بناء الهيكل وبسط الصورة كما يفعل المهندسون ، إنما هي في اختيار زاويتها المثيرة لتسكب فيها الروح وتسدل عليها الكسوة ؛ وذلكم هو الابتكار . . .

فموضوع النحل قديم ، ضرب الله لنا بها مثلا لقدرته . . فكانت زاوية غير تلك الزاوية التي التقط منها الهذليون صورهم وكونوا أشكالهم . الأولى محلها تعبير تصوري خالص ، والثانية كان قوامها الإحساس بما فيها من جمال وإثارة .

ولكن أطرف ما رأينا في تلك الزاوية التي وقف عندها الهذليون عناء الشائر وتكبده المشاق في سبيل الوصول إلى الوقبة . وهنا يحق لنا أن نسأل : لماذا كان الهذليون يقبلون على هذا النوع من الحياة وفيه من الخطورة ما فيه ؟ أما الإجابة فتتلخص في أن ذلك النوع فضلا عن أنه يلائم نفوساً طبعها الإقليم على حب المغامرة — وكذا كان الهذليون — فإنه كان يهيىء لهم رزقا مضموناً ، والهذليون كانوا في معظمهم ضيق الرزق ، ضنت عليهم طبيعة إقليمهم بالكثير الكثير .

أسلوب الإستشعار الفني :

وقبل أن نمضي فيما نريد هنا نحب أن نبين شيئين لهما من الخطورة ما لا يقدر على إنكارها أحد . أما الأول فهو مكان حديث النحل في القصيدة الهذلية ، والثاني الطابع العام لهذا الحديث ، ويمكن بعد ذلك أن نزعم أنا مهدنا السبيل لفهم الأسلوب الذي اتبعه الشاعران في حديثهما عن النحل .

أما عن مكان الحديث في القصيدة فهو يأتي في معرض الغزل ، وكثيراً ما يقترن بالخمر فتكون ثمة موازنة ؛ فثغر الحبيبة أشهى من العسل وألذ مذاقاً من الخمر ؟ أو هو أطيب من الاثنتين ممزوجتين في ساعة صفو وسلام (قد يؤنث العسل) .

وهذا ساعدة يتغزل ويقف عند ثغر صاحبته ويصفه ، وحين يتخيل حلاوة طعمه يطرحه جانباً ليتفرغ إلى أرى الجوارس ، ويستطرد إلى بعض ما بيناه أو كله حتى يمزج العسل بالخمر ليذكرنا ثانية بأن رضاب صاحبته أشهى وأطيب . يقول :

ومزاجها صهباء فتّ ختامها
قرط من الحرس القطاط مثقب
فكأن فاها حين سُقّ طعمه
والله أو أشهى إلىّ وأطيب

والقرط هو الخمار ، ويريد بالحرس القطاط العجم الجعاد ، يريد أن فاها ألذ مذاقاً من طعم الخمر ممزوجة بالعسل .

ويفعل ذلك راويته أبو ذؤيب ، فبعد حديث طويل عن الخمر وتعقب مستفيض للمواضع التي نزلها صاحبها قال :

أتوها بربح حاولته فأصبحت
تكفت قد حلت* وساغ شرابها
بأرى التي تهوى إلى كل مغرب
إذا اصفر ليط الشمس حان انقلابها

وكالعادة يدع الخمر إلى النحل ويمضي في أناة فيصفها ويقف معها عند وقبتها ، ويتتبع الشائر ويصف نشاطه في سبيل الوصول إليها ، حتى يدخن عليها ويأخذ العسل ، ثم يقول عارضاً للخمر في نفس الوقت :

فما إن هما في صحفة بارقية
جديد حديث نحتها واقتضابها
بأطيب من فيها إذا جئت طارقا
من الليل والتفت عليك ثيابها

وتلك نهاية الحديث دائماً . . . كان يأتي استطراداً ، حتى ليخيل للقارىء أنه مقحم في القصيدة إقحاماً ، ولكن عناية الهذليين به وانصرافهم له يرياننا أنه لم يكن بالأمر الذي يستغنى عنه .

ذلكم شيء ، وأما الشيء الثاني — وهو عن طابع الحديث كما بينا — فيعنينا فيه أن نقول إن النظرة الصحيحة في الفن القولي ، ولا سيما الشعر ، تقفنا على نوعين من النصوص التي نقرؤها ؛ فثمة نص لنتأثر به يجب أن نتملى الحالة النفسية التي يرمز لها ، وثمة نص آخر لنتأثر به ينبغي أن يكون

قادراً على أن يوحي لنا بما يدل عليه من أشكال «Forms» الأول أساسه نفسي ذاتي ، والثاني أساسه حسي واقعي ، أو قل مادته الطبيعة الخارجية ، وقد نرى في كل شيئاً من الآخر ، فيكون هذا أرقى ما يصل إليه المتفنن ، ولأجل ذلك سما شعر وردزورث Wordswarth في الطبيعة لأن الشاعر سكب فيه روحه وأودعه حياته .

وشعر الهذليين في النحل من النوع الثاني . . . النوع الذي يؤثر فينا ويروعنا ، لأنه يقيم أمامنا أشكالا حية . هو في الطبيعة ، إلا أن الشاعر خلقه خلقاً فنياً وعرضه عرضاً مثيراً فيه قوة وفيه جمال ، وقد يقف المتأمل فيه حائراً لا يستطيع الإحاطة بما وراءه من أخيلة وحياة ، فعليه في هذه الحالة ألا ينكر قيمته ، لأن ما وقف حائلا دونه ليس إلا اللفظ الغريب ، وشعر هذيل تميزه هذه الظاهرة لأن لغته عاشت متبدية دون أن تختلط بلغة أحد .

على أن هذه الصعوبة ليست كل شيء ، إذ أن معجمات اللغة تعيننا كثيراً على فهم مدلولات الألفاظ . إنما الصعوبة الحقة في إدراك حقيقة هذه الروح الغامرة التي تتحدى الطبيعة والتي تريد أن تقف دون الشمس والتي تتذبذب في الهواء كالثوب الخلق ؛ ولأجل ذلك ينبغي أن نقرأ هذا الشعر في جانب من تقاليدهم وعاداتهم الاجتماعية .

ومع ذلك فالغرابة والواقعية الفنية ليستا كل شيء في أسلوب الهذليين الفني . إنما هناك أيضاً النزع القصصي إذا فهمنا من القصة أنها حادثة اجتماعية تتطور شخصياتها مع تطور الحوادث ، وقد لا يروق هذا القول بعض القراء فيرى للقصة حدوداً أخرى وقواعد خاصة ؛ غير أني أكتفي بأن أقول إن الشعر الفرنسي يحفل الآن بما يسمونه شعر الـ«Ballade» وهو قصص صغيرة منظومة كانت تنشد أولاً أثناء الرقص ثم استغنى عنه وقامت هي وحدها .

وحديث النحل لا يختلف كثيراً عن « البالاد » فأنت تراه قصة لذلك الرجل الفقير الذي يخرج كل يوم حاملا وراء ظهره متاعه ، ويذهب صعداً في الجبال حتى يعثر على موضع النحل ، فيبدأ صراعه مع الطبيعة ويتعلق بالحبال ويقضي مشارته ثم يقفل راجعاً راضياً بما غنم ، ومن هنا كان ذلك الشعر من الأدب الموضوعي إلا في حالات نادرة يظهر فيها عنصر الذاتية .

والشيء الأخير الذي نلاحظه في أسلوب الهذليين الفني هو ميلهم إلى التمثيل وبراعتهم في التصوير ، حتى إنه يمكن أن نجد لهم بعض لوحات خلدها الزمن كما خلد لوحات رمبراندت Rembarndt ورفائيل Raphaél وغيرهما ، وأما عبارة الهذليين في ذلك فتدل على فهمهم للروح الداخلية للأشياء كما تدل على سعة في الخيال الحسي ، وتلك موهبة لا يمكن أن يدرك الفن إلا بها .

وأنا أعلم أن الشعر الجاهلي كله فيه ظاهرة التمثيل ، غير أن قبيلة لم تعرف به قط كما عرفت هذيل . وقد نجد في شعر امرىء القيس وزهير والنابغة وغيرهم في العصر الإسلامي كجرير وذي الرمة بالذات تصويراً قوياً ، إلا أن هؤلاء كانوا أفراداً ولم يتفرغوا له تفرغ الهذليين ، ولهذا امتاز مذهب هؤلاء بالتصوير وفيه ما فيه من الأصول التقليدية التي لم يكن لهم سبيل إلى التحول عنها .

اقرأ هذا البيت .. بل انظر إلى هذه اللوحة الحية التي عمل على إخراجها روح شاعر مصور موسيقي :

وكأنه حين استقل بريدها   من دون وقبتها لَقًى يتذبذب

إنه ذلك الرجل الذي يريد أن يصل إلى النقب فيه العسل . لقد تدلى من القمة بحبله فأخذ الهواء يدفعه هنا وهناك . . . في حركة رتيبة منتظمة ، فبدا في ذبذبته تلك ثوباً ممزقاً يتطوح في الفضاء ، ولا تنس أن الشاعر دائماً بالي الثياب !

وقد أخذنا أنفسنا بأن نحتفل بصورة « العارية » للرسام بلانشو « Blanchot » ونعجب باللوحة النادرة التي أقامت الكنيسة البابوية خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر والتي صور فيها « كرافادجيو » القديس متى والملاك .. فهل ندري لماذا ؟ ليست صراحة العارية وفتنتها ، وليس روعة القديس والملاك ما كتب الخلود لهذين الأثرين الجليلين ، إنما الذي هيأها لذلك الحياة التي شاعت في كل .

لم تكن العارية تصرخ فيها رغبة الأنثى ولكن كانت تمثل الأمومة البرة والأنوثة الطاهرة . . في صورتها حنو وعطف يظهران في وضع الطفل على كتفها ، ثم فيها أنوثة

شابة ، ولكنها حية ترتعش في هذه الروح التي أشاعها الرسام الفرنسي في كل جزء من أجزاء جسمها . وأما صورة القديس والملاك فيكفي أن صاحبها تعرض لغضب البابا لأنه أودع القديس حياة صاخبة حمقاء ؛ ففي جلسته فوضى ، وفي نظرته شراهة وشراسة ، حتى لكأنها ترمز إلى ذلك الشر الكامن في نفس كل مخلوق !

خلود العمل الفني إذاً فيما يدل عليه من حياة ترعاها قوة ويهزها جمال . فانظر إذاً إلى هذه الأشكال المتحركة النابضة بالحياة التي وقف عندها أبو ذؤيب :

وأشعث ماله فضلات ثول ... على أركان مهلكة زهوق
قليل لحمه إلا بقايا ... طفاطف لحم ممحوص مشيق
تأبط خافة فيها مساب ... وأصبح يقترى مسداً بشيق
على فتخاء يعلم حيث تنجو ... ومالي حيث تنجو من طريق

كلا . فلا يروعك اللفظ ؛ فالطفاطف ما استرخى من لحم إلى الخاصرة ، والممحوص الهزيل ، والمشيق الضامر ، والفتخاء اليد فيها فتخ أي لين . الصورة وضحت الآن .. هي عن ذلك الرجل الذي يدب على المهلكة الملساء . انظر إليه وتأمل ضموره وهزاله ، ثم امض معه وقد تأبط قربته وبدأ يهبط الحبل بيديه المرونتين الشديدتين . إنه الشاعر الذي يتحرك وليس الرجل . إنه أبو ذؤيب الدقيق الحس الواسع الخيلة الخبير بالتمثيل ، قد عرف كيف يخلد في شعره صورة المشار في صدق وصراحة وحياة .

وقف مرة ثانية أو ثالثة عند ذلك البيت التالي ، فلا شك أنك سوف تعجب ...

بأرى التي تهوى إلى كل مغرب
إذا اصفر ليط الشمس حان انقلابها

لم يزد الشاعر إلا أن أودع بيته ألفاظاً موحية ، حتى لكأنه يبدو أنه نموذج فني التقط من زاويتين بارعتين ، حرص الشاعر فيهما على التناسق وتسجيل الحركة ؛ فالنحل تهوى وتغيب عن عيني الشاعر فلا يدري أين ذهبت ، ولكنه يعلم أنها وراء تلك القمة العالية .. هناك وراء المجهول الذي لا يعرف عنه أمراً ، ولهذا قال « إلى كل مغرب » ثم ينتقل سريعاً إلى زاوية أخرى ؛ فالشمس تجنح للغروب ويبهت لونها ويشحب ، فتعلم النحل أن نهاية الكد قد أزفت ، فتنقلب راجعة إلى موضعها . أرأيت صورة النحل وهي تندفع كفتر الفلاء ؟ إنها هنا تطير والشمس لا تزال عند الأفق تضيء لها الطريق بطرف أصفر واهن كأنها تخشى عليها أن تضل الطريق .

ذلك ما كان يفعله الهذليون .. في صورهم حياة وجمال ونظام ، وهذا هو روح الفن وآية الخلود ، فإذا سكتنا هنا فليس إلا لأنا ندرك أننا فتحنا السبيل أمام القراء ليطلعوا على شعر الهذليين في النحل ، وليقرءوا أيضاً شعرهم في كل ما تحدثوا عنه . إنهم كانوا يعملون دائماً في الجو الذي يندمجون فيه بروحهم ؛ فتأثروا التأثر الفطري ، وانفعلوا الانفعال الصادق ، وعبروا التعبير الموحى ، فشقوا لأنفسهم طريق البقاء .

أحمد كمال زكي

كيف أبيح دم السهروردي الاشراقي

— ١ —

الأستاذ محمد على أبو ريان

١ — هو أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك الملقب بشهاب الدين السهروردى المقتول .

وتكاد تجمع الروايات على صحة هذه التسمية ، وقد لقب بالمقتول بسبب الحادث الذى أودى بحياته نتيجة لتألب الفقهاء عليه وحكمهم بمروقه عن الدين ؛ وقد حرص أهل السنة على إطلاق هـذه التسمية على شهاب الدين مخافة أن يعتبر الشيخ من شهداء العقيدة ، ولـكن هذا لم يمنع تلامذته الإشراقيين فيما بعد من أن يفسروا لفظ مقتول بمعنى شهيد .

ولد السهروردى بين سنة ٥٤٥ هـ ، ٥٥٠ هـ ، ويقال إن مولده كان ببلدة سهرورد من أعمال زنجان من عراق العجم وينسبه إليها القزوينى (آثار البلاد ص ٢٦٥ طبع فوستنفلد) وأيضاً راجع دائرة المعارف الإسلامية مادة Suhraward لـ M.Plessner . وتلقى العلم فى مراغة من أعمال أذربيجان ، ودرس الفقه والحـكمة على أستاذه مجد الدين الجيلى وهو أستاذ الفخر الرازى وكانت بينه وبين السهروردى مساجلات ، ثم انتقل الفيلسوف الشاب إلى أصفهان حيث قرأ بصائر ابن سهلان الساوى على الظهير الفارسى ، والبصائر تلخيص لمنطق الشفا لابن سينا ؛ وفى أصفهان اتصل بمذهب ابن سينا ودرس المشائية وترجم رسالة الطير لابن سينا إلى الفارسية .

وتشير بعض المراجع ولعلها أوثقها كالشهرزورى تلميذه إلى أن السهروردى كان يحب الإقامة بديار بكر وفى بعض الأوقات يهيم بالشام وفى بعضها يقيم بالروم (راجع الشهرزورى مخطوط السلطان أحمد خان ، صورة شمسية بجامعة فؤاد رقم ٢٤٠٣٧ ورقة ٢٣٤) وكانت له اتصالات بقره ارسلان السلجوقى أمير خربوط فأهدى إليه الألواح العمادية . ويشير ماسينيون إلى أن السهروردى قد أسس مدرسة إشراقية فى بلاط الأمير السلجوقى ، وقد تأثر بها فيما بعـد جلال الدين الرومى صاحب المثنوى .

٢ — ويؤرخ ابن أبى أصيبعة انتقال السهروردى إلى حلب حيث ينسب إليها مقامه فى آخر أيامه ويذكر أنه انتقل إليها سنة ٥٧٩ هـ (الطبقات ج ٢ ص ١٦٨) . ولا يعطينا ابن أبى أصيبعة أو غيره من مؤرخى التراجم وصفاً تفصيليا لحياة السهروردى فى حلب ، بل إن معظمها لا يكاد يذكر شيئاً عن نشـاطه العلمى فى حلب . ويكتفى بأن يورد اتهام الفقهاء له بالزندقة والإلحاد والمروق عن الدين ، ثم يسجل واقعة مقتله . وقد كان السهروردى لا يكترث لآراء الفقهاء ، وكان الفقهاء من ناحية أخرى — لا سيما فى القرنين الخامس والسادس للهجرة — يتلمسون لأصحاب النظر العقلى مظان المروق عن المذهب السنى ، فيطالبون الحـكام بإقامة الحدود عليهم بعد أن يحرروا وثائق تـكفيرهم ، ويجتمع المسلمون لشهود هذا الحادث الجلل فيجمع كتب المطعون فى عقيدته وتحرق على الملأ .

وكان الحـكام — وجلهم من أهل السنة — بعد أن دالت سلطة الفاطميين ، يتحدثون عن الحركات الباطنية ويشتطون فى محاربتها ، ولم يكن القرن السادس الهجرى الذى عاش فيه السهروردى صالحاً أصلا لنشوء مذهب فلسفى جديد ، وذلك بعد أن حوربت الفلسفة فى المشرق إثر هجوم الغزالى على الفلاسفة ، ولـكن الشيخ الإشراقى لم يكن يأبه لما يحيط به من تطورات سياسية وسط الفوضى التى نشأت عن اندحار المذهب الفاطمى وهجوم الصليبيين على الشرق ، مما أدى إلى أن يكون المذهب السنى فى مركز الصدارة فى العالم الإسلامى .

٣ — وينفرد العماد الأصبهانى المعاصر لصلاح الدين بإيراد القصـة الكاملة لمقتل السهروردى (راجع Bulletin d'etudes orientales, Tomes VII-VIII années 1937-1938

وقد نشر Claude Cahen فى هذه الضبطة نصاً من « البستان الجامع لتواريخ الزمان لعماد الدين الأصفهانى » .

فيذكر « سنة ٥٨٨ هـ وفيها قتل الفقيه شهاب الدين السهروردى وتلميذه شمس الدين بقلعة حلب ... وكان فقهاء حلب قد تعصبوا عليه ما خلا الفقيهين ابنى جهبل فإنهما قالا هذا رجل فقيه ومناظرته فى القلعة ليست (بحسن) ينزل إلى

الجامع ويجتمع الفقهاء كلهم ويعقد له مجلس . في الخلاف ما ترجع لهم عليه بحجة ... وأما على الأصول ما عرفوا أن يتكلموا معه فيه ، وقالوا له أنت قلت في تصانيفك إن الله قادر على أن يخلق نبياً وهذا مستحيل فقال لهم : ما حد لقدرته ، أليس القادر إذا أراد شيئاً لا يمتنع عليه قالوا : بلى . قال : فالله قادر على كل شيء . قالوا : إلا على خلق نبي فإنه مستحيل . قال : فهل يستحيل مطلقا أم لا ؟ قالوا : كفرت وعملوا له أسباباً ، لأنه بالجملة كان عنده نقص عقل لا علم ، ومن جملته أنه سمى نفسه المؤيد بالملكوت » .

وأهمية هذا النص ترجع إلى أن مؤلفه ، وهو عماد الدين الأصفهاني ، كان معاصراً للسهروردي ولرأيه قيمة تاريخية كبرى . وتفصيل ما حدث أن الفقهاء في حلب واجهوا السهروردي بعد أن شنع عليهم وظهر عليهم في حضرة الملك الظاهر صاحب حلب ، وأخذوا يناقشونه في الفقه وكذلك في علم الأصول فبزهم ، وكانت هذه المناقشة العلنية في مسجد حلب . ولما أسقط في أيدي الفقهاء وجهوا إليه سؤالا عن النبوة وإمكان وجود نبي بعد محمد .

وكان الفقهاء يتمسكون بالنصوص الدينية التي تقرر أن محمداً خاتم المرسلين . أما السهروردي فإنه يميز بين النقل والعقل ، بين الإمكان التاريخي والإمكان العقلي — وفي رأيه — لا توجد استحالة مطلقة تعطل القدرة الإلهية .

وكما يبدو من نصوص المناقشة وحدها نجد أن السهروردي لا يهاجم النص الديني القائل بأن محمداً خاتم المرسلين ، إلا أنه حفظاً للقدرة الإلهية من دواعي النقص إذا ما حددت هذه القدرة ، من حيث عدم إمكان الله خلق نبي جديد ، رأى الشيخ أن قدرة الله وسعت إمكان خلق نبي جديد ، وهذا الإمكان ليس من نوع الإمكان الذي يخرج من القوة إلى الفعل — حسب أرسطو — بل يعني أن هذا الإمكان قوة محضة لا تخرج أبداً إلى الفعل ؛ فمن ناحية لا يعترض السهروردي على صحة النص الديني ، ومن ناحية أخرى يتفادى تعطيل القدرة الإلهية بإيجاد تبرير عقلي للمشكلة عن طريق الإمكان المطلق .

وهذا الإيضاح لموقف السهروردي يقتضيه الرجوع إلى كتبه لتبيان حقيقة موقفه من مشكلة النبوة حيث يتضح لنا السبب الذي دعا الفقهاء إلى مناقشته في هذه المشكلة بالذات .

وقد ألقى فون كريمر وهورتن الضوء على علاقة السهروردي بالدعوة الباطنية ، فذهبا إلى أنه يعتنق مذهب الإمامة الباطنية ، وأنه يدعو إليه وأن هذا هو سبب مقتله على وجه التحديد . فقد جاء في مقدمة حكمة الإشراق ص ١٩ طبعة طهران : « العالم ما خلا قط عن الحكمة وعن شخص قائم بها عنده الحجج والبينات » .

وهذا الشخص القائم بالحكمة هو خليفة الله في أرضه ، وهذا الشخص يجب أن يكون متوغلا في التأله ، أي أن يكون مرتاضا ذا مجاهدات روحية وفتوحات ربانية ، يتلقى عن الله العلم الروحاني ، وهذه هي صفة النبي ، ويفضل السهروردي الإمام المتأله الباحث لأنه يزيد على المتأله في تعمقه البحث العقلي ، أي أنه يجمع بين العلم الروحاني والعلم العقلي الاستدلالي . ويعتنق السهروردي مذهب الإمامة العالمية الذي يدين به الصوفية والإسماعيلية ، فالعالم لا يخلو من خليفة وقد يكون ظاهراً وقد يكون مستتراً ، ويسمى القطب ، وهذا الخليفة أو الإمام قد يتساوى في مرتبة النبوة مع النبي ، وقد يعلو على هذا في المرتبة .

وإذاً فالنبوة في نظر السهروردي ممكنة دائماً ضرورية الحصول من وقت لآخر لحفظ النظام ولمصلحة النوع .

٤ — وكان الفقهاء يريدون إحراج السهروردي وحمله على إظهار مذهبه الباطني في الإمامة ، وقد حاول السهروردي أن يتحاشى الإفضاء بمذهبه الحقيقي ، واستند إلى أسلوب من الجدل الفلسفي تجاهله الفقهاء ولم يردوا عليه ، بل « عملوا محضراً بكفره وسيروه إلى صلاح الدين وذكروا له أن هذا الشاب أي السهروردي إن ترك وشأنه فسيكون سبباً في فساد عقيدة ابنه الملك الظاهر . وقيل إن صلاح الدين أمر بالقبض عليه ؛ ونذكر بعض الروايات أنه قتل بحلب وبعضها يذكر أنه قتل بمصر .

أما كيف قتل فإن ابن العماد يذكر عن ابن الأحول ج ٤ : «وقيل قتل وصلب أياماً وقيل خير أنواع القتل فاختار القتل بالجوع لاعتياده الرياضات فمنع من الطعام حتى تلف »

ويذكر ابن أبي أصيبعة أنه لما تأكد الشيخ من أنه محكوم عليه بالقتل اختار أن يترك بدون طعام إلى أن يلقى الله تعالى ، وتم له ذلك في قلعة حلب ؛ وإذا صح خبر مقتله في حلب فيكون الملك الظاهر هو الذي نفذ أمر والده فيه .

ويقال إنه ندم على فعلته وقبض على الفقهاء الذين كانوا سبباً فى محضر كفره وسجنهم وأخذ منهم أموالاً طائلة .

٥ — وللسهروردى قصيدة ينسبها إليه المؤرخون ويذهبون إلى أنه أنشدها عند موته ومطلعها :

قل لأصحاب رأونى ميتاً فبكونى إذ رأونى حزنا
أنا عصفور وهذا قفص طرت عنه فتخلى وهنا

ويقال إن السهروردى تنبأ بالمصير الذى لقيه فى قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أبدا تحن إليكم الأرواح
ووصالكم ريحانها والراح

وجاء فيها :

وارحمتا للعاشقين تكلفوا
ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم
وكذا دماء العاشقين تباح

وقد تحقق هذا ، لما إن استدرجه الفقهاء بصدد مشكلة النبوة حتى كشف فى إشارة مركزة عن موقفه الباطنى ، وهو سر لا يستطيع الإفاضة فى الكلام عنه .

وكان أن أبيح دمه كما استبيحت دماء الصوفية والفلاسفة قبله .

خاتمة :

٦ — هذه شخصية خصبة قدر لها أن تمثل الفرع الأفلاطونى فى الفلسفة الإسلامية ، فكان السهروردى وأتباعه يقولون عن أنفسهم إنهم أتباع أفلاطون صاحب الحكمة الذوقية الإشراقية ، وذلك فى مواجهة المشائين أصحاب الحكمة البحثية .

وفى ظهور هذا المذهب دحض لما ذهب إليه جمهور مؤرخى الفلسفة الإسلامية من أن الغزالى قد قضى بهجومه على الفلاسفة على الفلسفة فى المشرق .

محمد على أبو ريان

عامل عاطل

[مهداة إلى صاحب لوحة « العامل العاطل » الفنان محمود سعيد]

للأستاذ محمد فهمى

الشمس قد أنهكتها رحلة النهار فارتمت برأسها على وسادة الأفق لتستريح . . . وبعد قليل سقط رأسها عن الوسادة وهوت إلى عالم المجهول . . . أما هو فقد أنهكه السير فانحط على إفريز الشارع كما ينحط جدار متداع ... وقبع فى مكانه كالكلب الذليل ... غام عليه الحزن ، فثنى كوعه على ركبته ثم رمى بذقنه على كفه وحدّق بنظره فى لا شىء ... لم يعد يثيره منظر ثيابه الرثة ولا حذائه البالى أو نظرات الفضول المصوبة إليه ؛ إنه جائع ... جائع .. هذه هى مشكلة الساعة ، ومرق فى ذهنه خاطر ارتعش له جسده واعتراه خوف . . تُرى هل ينتهى هذا اليوم كاليومين السابقين دون طعام ؟ وها هى ذى نفسه قد عافت شرب الماء الذى كان طعامه الوحيد طول هذه المدة ، وإن الخفة ولطافة المشاعر التى أحس بها فى اليوم الأول من جوعه قد فارقته وحل مكانها آلم عات كلما أحس بأمعائه تمزقها خناجر مجهولة . . لقد خُيل إليه أنه كان يستطيع الصمود للجوع أكثر مما صمد لو لم يضطر لإجهاد نفسه فى السير بحثاً عن عمل دون جدوى . . فجأة انقطع حبل تفكيره وصار عقله فراغا وتقلصت من الألم أسارير وجهه . . لقد عادت الخناجر المجهولة تمزق أحشاءه . . . استجمع شتات عقله ولكن سرعان ما دوى فى أذنيه نفس السؤال ... ترى هل ينتهى به هذا اليوم أيضاً دون طعام ؟ ولكنه لم يظفر بجواب . ونظر حوله فرأى كلباً ينبش فى صندوق القمامة باحثاً عن الفضلات لحسده . نعم ، إنه يجد فتاتاً من طعام ، وبدون وعى منه هم بأن يقوم ليطرد الكلب بل صاح به بالفعل ، فتوقف الكلب عن النبش والتفت إليه بعينين حمراوين كأن فيهما دموعاً ، فأحس فى قرارة نفسه أن هذه النظرة المستعطفة هى صورة

لنظراته .. فخجل ... وأطرق برأسه وتنهد امتلأ عظما — جائع يعطف على جائع ..

وهنا وقع نظره على شيء تحت قدميه . إنه غطاء البالوعة ، وبسرعة التمع فى ذهنه خاطر .. لم لا ينزعه ويبيعه بقرش أو قرشين .. بأى شيء يشترى به رغيفاً ، ومنذ تلك اللحظة استيقظت كل قوى تفكيره وعاوده نشاط عجيب ، وكأنما قد بُعث من جديد وانحصر كل همه فى تنفيذ فكرته ..

وفجأة انفرط عقد أفكاره إذ أقبلت سيارة فاخرة تجرى نحوه كأنما تقصد القضاء عليه فلم يتزحزح عن مكانه ، بل أغمض عينيه منشرحا وقد تخيل نفسه منطرحا على سرير بالمستشفى يضمد الطبيب جراحه ويأتيه عشاء — أى غذاء — فى مواعيد منتظمة . فمر فكره إلى الموت فأحس براحة ، ومد يده وبسطهما على حديه وقد جلس فى خشوع الصلاة واستسلم . ولشد ما أحزنه حين فتح عينيه أن رأى السيارة قد وقفت على قيد ذراع منه ونزل منها رجل فى زيه الأنيق ودخل المنزل المجاور وحملت نسمة إلى أنفه رائحة معطرة ... وعادت الخناجر تطعن أحشاءه بقسوة ...

فأخذ ينظر من جديد إلى غطاء البالوعة ، وبعد برهة نظر حوله فلم يجد أحداً يأبه له أو يحس بوجوده فاطمأن ... عجباً هاهو الآن يحس بشيء كالشبع إنه ظل الأمل ، بل ظل الصورة التى ارتسمت فى ذهنه بكل تفاصيلها الدقيقة ...

لقد تخيل نفسه وهو يحمل غطاء البالوعة ويقدمه لبائع الخردة ، ثم وهو يمده فيه قرشاً أو قرشين ، ثم وهو يسرع إلى بائع الخبز ، ثم ها هو ينهش بأسنانه رغيفاً طريا ... وقد ظل فكره فترة غير قصيرة ولا يتحول عن هذا المشهد اللذيذ ، وابتلع لعابه الذى سال فى حلقه فرطبه بعد جفاف ..

وفى هذه اللحظة طفت على فكره صورة سريعة حولت انتباهه ، هى صورة جندى البوليس وهو يقتاده إلى القسم وقد ضبطه بالغطاء ؟ فهز كتفيه دون أن تفارقه نشوة المنظر السابق وقال لنفسه ... لكن .. إنى سأجد هناك رغيفاً .. ونظر فرأى جريدة مكورة بجوار الحائط على البعد فأسرع وعاد بها إلى مكانه ثانية ونشرها أمامه ، ثم تلفت حوله وبحركة سريعة عنيفة جذب الغطاء فانتزعه من مكانه ولفه بالجريدة وسار به يحث الخطى .

أتم مهمته بنجاح فاقتادته قدماه إلى نفس الوضع ... وحين وقع بصره على فجوة البالوعة عن بعد اضطرب وأسرع قلبه بالخفقان ، ولم يكن قد فرغ بعد من تناول الرغيف الثانى إذ آثر أن يتبلغ به لقمة لقمة كأنه شيء ثمين ، وأسرع مبتعداً عن المكان ، وفى هذه اللحظة حانت منه التفاتة لموضع البالوعة فرأى منظراً تسمر له فى مكانه .. إنه تاجر لبن على حماره سقط فجأة فى هوة البالوعة فاندلق اللبن من الوعاء الصفيح وسال على أرض الشارع وهوى الرجل إلى الأرض وقد شدخت حافة الأفريز حاجبه فسال دمه بغزارة على وجهه ، ولكنه لم يأبه بالدم النازف من جرحه أو اللبن المراق ، بل استجمع نفسه وهم متقدماً فى رفق ولهفة ليطمئن على حماره الطريح فوجد ساقه اليسرى قد كسرت نصفين ، فولول وأعول واجتمع الناس وتكاثروا والحمار المسكين كلما هم بالقيام هوى ثانية ورجله مدلاة لا يمسكها عند الركبة سوى الجلد . أما الرجل فقد غطى وجهه الدم النازف من جرحه ، وسال على ملابسه ولوث صدره كله ... وكثر الزحام وتعالت الأصوات ... الإسعاف . عربة الشفخانة ... جمعية الرفق بالحيوان .. كلمات أخذت تنطلق من هنا وهناك كالصواريخ ، واشتد الهرج ، وكان صاحبنا لا يزال واقفاً فى مكانه على البعد ، وفجأة انتابته موجة من الضحك ثم هز رأسه وسار فى طريقه ...

محمد فهمى

فنجان قهوة مع :

الأستاذ عماد

للأستاذ عبد الفتاح الديدي

« ما نحن ، ما الأيام ، ما الدنيا المريضة ، ما الأمل ؟ »
« لا شيء . . . لكن هكذا بالعيش نغرى والعمل »
« نبكي على الموتى كأنا قد خصصنا بالدوام »
عماد

الأستاذ محمود عماد شاعر نابغة عرفه الأدب العربي منذ أربعين سنة ، وما زال يزود الأدب والشعر من حين إلى حين بقصائد ودرر . وقد رأيت أن أخرجه من عزلته وأن أقطع عليه صمته بحديث عن فنون الشعر ، لعله يفيد المتطلعين إلى أدبنا المعاصر والمقبلين على صناعة الشعر . وفي عصر يوم من أيام الأسبوع الماضي توجهت إلى داره النائية وأقبلت عليه فإذا هو في جلبابه الأبيض الفضفاض — وهو الرجل النحيل — وإذا بصوته الهادئ المتقطع — وهو الرجل الصموت — يفصح ذاتاً رقيقة شفافة كلها موسيقى ونغم منسكب .

سألته : إلى أي أحد راعيت في صناعة الشعر أذواق طلابه وقرائه ؟ وهل كان للمجتمع أثر ما في أعمالك الأدبية ؟

وهنا راغت عينه البراقة في جنبات الحجرة كأنه يراها لأول مرة في بيته وبدأ كلامه فقال : إني إذا عمدت إلى نظم قصيدة لا أراعي في نظمها إلا التعبير الصادق عما يجيش بنفسي . وسواء لدي أفازت بعد ذلك برضا القراء أم لم تفز . وليس في هذا تعال على المجتمع أو استهانة بأذواق الناس ، لأن الأصل في الشعر أن يكون تنفيسا لشعور صاحبه . . فهو ملك الشاعر وليس ملكا لسواه . على أن هذا لا يمنع أن يأتي شعور الشاعر في بعض قصائده متفقاً مع شعور المجتمع فيجيء معبرة عن رأيه أيضاً ولكن بطريق غير مباشر .

فقد نظمت في أغراض قومية كثيرة كنت فيها متفقاً مع المجتمع ، بينما تجنبت النظم في أغراض قومية أخرى لم تهزني كما هزت المجتمع ، وشغلت بنظم قصيدة في وصف « ساقية جافة » مثلا أو استقبال « نجم جديد » .

قلت : هل راعيت أصولا نقدية معينة في تعبيرك الفني ؟ وهل كان لك اتجاه بالذات بين شعراء الفترة التي ظهرت فيها ؟ وما هي الصعوبات التي واجهتها ؟

قال : إني لم أتعمد أن أراعي أصولا معينة في أدبي عندما أنظم قصيدة ، لأني أردت لفني أن يكون متحرراً من كل شرط وقيد . ولكني إذا عرضته على ما قرأته من الآراء النقدية أراه متفقاً مع القائلين « بوحدة القصيدة » فالقصيدة في شعري « موضوع » له مقدمات وعلل ونتائج . وكل بيت فيها يتمم معناها ويكمل مبناها ولا تكاد تستغني عنه بحال . وأخالف بذلك رأي العرب في نظم الشعر . . فقد كانوا يرون استقلال كل بيت في القصيدة بل كل شطر من بيت فيها عن سائر أبياتها حتى لتستطيع أن تقرأها طرداً وعكساً دون أن تخطيء غرض ناظمها . وهذا يدل على أنهم كانوا يقيدون بشعرهم معاني جزئية تؤديها جمل مستقل بعضها عن بعض ، لا حالات نفسية ملتحمة لا تؤديها سوى أبيات متساندات متعاقبات . . ولذلك قل بينهم الشعراء المتعمقون وكثر السطحيون . هذا فيما يتعلق بغرض القصيدة . أما الأسلوب اللفظي فأراني آخذا برأي القائلين بالسهولة والبساطة ولكن في متانة واتساق .



محمود عماد

أما اتجاهي بالذات بين الشعراء الذين عاصروني فهو

الثقافة

العـــدد ٧٠٣
١٦ من يونيه ١٩٥٢

مجلة أســبوعية للآداب والعــلوم والفنون
تصدرها لجنـــة التأليف والترجمـــة والنشر

الثمن ٣٠ مليماً

شـــــادية

ملـكت علىّ زمام الحيـاة وقيـــدتى بالرؤى الحـائمه
وصيرتنى فى خضم الوجـود على نغمــة اللذة العارمه
تردد فى خلسات العيون وفى بسمة الأمــل الحالمه
لقـد ضعفت عندها سطوتى وكلت مقاومتى الصارمه
وحاولت أن أسـتعيد القوى بما اعتـدت من قسوة حاسمه
ولـكن . . وهيهات يقوى فؤاد له خفقة حرة دائمـه
تناديه : قم للهوى والشباب وعُد لاقتطاف المنى الناعمه
وحلق بأفنان روضِ الحيـاة طليقاً بآمالك الباسمه
وبدد بأنغامك المشتهاةِ سحائبَ آلامك القاتمـــه
وذوّب على وهجات الرجاء غلالة أشجانك القاتمـــه
وأشعل شموعك وهاجة . . وأيقظ أمانيــك النائمه
ولا تخش أشباح دنيا الظلام فما هى إلاّ صُوَر واهمه
فما أنت إلا به زهرة تساقيـــه نشوته الراهمـــة
وما أنت إلا نجىُّ الظـــلال تطوّف بالأعين الهائمه

* * *

فلبيت دعوتها واستبحت جَنَى اللذة الحلوة الهاتفه
ووقعت أنغام حب جـديد على لحن أوتارها العازفه
وقصــة هـذا الغرام الفريد روتها لياليـنا الطارفه
بجنــة أنس رعاها العفاف بأفيائه الرّحبـة الوارفه

* * *

على غـــير قصد ــ ولا أدعى ــ رمتنى بمقلتها الرانيــه
وما كان لى أن أرد السهام بغـير احتضان المنى الغاليه
فنى الحسن معنى الحيـاة الجميل وفى الحب نضرتها الزاهيه
وفى الحب سر الوجود العميق وأحلى المنى فيـــه والعافيه
فؤادى على مسرح الأمنيات يداعب بهجــة إحساسه
ويسرف فى رقصـات السرور ويعزف للفرحة الطاغيه
فقـــد عاد حبك يطغى على نوازع أوهامى العـــاتيه
ويقضى على وجمات الصدود . . . ويدفع للنور أحلاميه
أأقنــع والقلب لم تروه روافد أحلامه الســاقيه
أرى فى الطبيعة منك السنى . . . وتسعدنى فيك آماليه
كأنك لحن يغنى الوجـــود وقيثارة الأمل الحاليه
كأنك عهـد يعيد الســـلام إلى عالم بات فى الهاويه
فما أنا وحدى ذاك السعيد وفى الـكون ضجة أفراحيه
فهـــل أنت إلا عزاء المحب وبهجة آماله الذاويه
وهل أنت إلا نشيد السماء إلى الأرض أيتها الشاديه

(مكة المـكرمة) أحمد عبد الله الفاسى

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتيـــاز
الدكتور أحمد أمين بك

الإدارة

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف بك

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العـــدد ٧٠٣ الاثنين ٢٣ من رمضان سـنة ١٣٧١ — ١٦ من يونيه سـنة ١٩٥٢ السنة الرابعة عشرة

حول حياتنا الأدبية :

نهضـــــة الأدب

للأستاذ محمد فريد أبو حديد بك

ما السر فى هذه النغمة الـكئيبة التى لا يخلو منها حديث من أحاديثنا كلما اجتمع بعضنا ببعض وأفضى كل منا بما يجد فى نفسه إلى الآخرين ؟ لا نكاد نعرض فى أحاديثنا إلى معنى من المعانى أو حادث من الحوادث أو اتجاه من الاتجاهات حتى نجد أنفسنا مسوقين إلى شىء يشبه الأسى على حاضرنا والتوجس مما نحن مقبلون عليه فى مستقبل أيامنا . هـذه حالنا إذا تحدثنا فى السياسة أو فى الاجتماع أو فى موقف بلادنا بين بلاد العالم ، كما أنها حالتنا أيضاً إذا تحدثنا فى الأدب والفكر والثقافة ، ما السر فى هذا ؟

نتحدث فى السياسة الداخلية عن الحرية وعن الأخلاق وعن الشعور بالواجب وعن الحـكمة فى التصرف فنجد المجال واسعاً إذا شئنا أن نصف مانجده فى أنفسنا من العيوب ومن وجوه النقص والتقصـير ، ولـكننا نعود آخر الأمر بعـد الاضطراب فى المناقشة إلى أنفسنا ، فنرى أن الحق واضح لمن يشاء أن يراه ، فنحن أمة خرجنا من عصور طويلة كانت فيها هذه العيوب نفسها كمينة فى حياتنا متأصلة فى نظمنا وعاداتنا وتقاليدنا مع فارق واحد بين هـذا الحاضر القلق وبين الماضى المستقر ، هو أننا كنا بالأمس لا نحس بعيوبنا ثم أصبحنا اليوم نحس بها إحساساً شديداً . فلو كانت الحرية مثلا أصيلة فينا وفى نظمنا وتقاليدنا ، وعاداتنا لما افتقدناها اليوم كما نفتقدها . ولو كانت أخلاقنا العامة وشعورنا بالواجب وحكمتنا فى التصرف أصيلة فينا وفى نظمنا وتقاليدنا وعاداتنا القومية لما افتقدناها كما نفتقدها ، ولما أحسسنا هذا التوجس الذى نحسه من مستقبل حياتنا .

فنحن اليوم مثل مريض كان يعانى علة خطيرة ، ولـكنه كان لا يعرف أنه مصاب بها ، فـكان يجدها جزءاً طبيعياً من حياته لا يفطن لوجودها ويقضى أيامه لاهياً سعيداً لا يحس كآبة ولا يخشى شيئاً مما قد يطلع به الغد عليه ، ومع ذلك فهى هناك كامنة فيه تهدد حياته وتستلب نشاطه وقوته .

فإذا تنبه ذلك المريض يوما إلى علته وعرف حقيقتها وداخله من ذلك ماداخله من الـكآبة والتوجس كان أحرى به أن يبذل جهده فى التماس العلاج ، ولا يضيع وقته وجهده سدى فى البكاء والحزن ، ثم كان الأحرى به كذلك ألا العودة إلى حالته السابقة عنـد ما كان يجهل علته ذلك الجهل . فالموقف الذى نحن فيه اليوم يحتا تتبين حقيقة جوهرية لا ينبغى لها أن تغ

أن نسلك الطريق السليم القويم نحو إصلاح ما عرفناه في أنفسنا من العيوب ؛ وذلك أنه يجب علينا أن نتجه إلى الأمام لا إلى الوراء وأن نعرف أن الغاية التي نقصدها ماثلة بين أيدينا لا من خلفنا ؛ فليس الذى نشكو منه اليوم جديداً علينا ولا هو عارض طرأ على حياتنا ، بل هو أثر ذلك الماضى الذى خلفناه وراءنا وذهب إلى حيث ينبغى له أن يذهب . والأمم فى حياتها مثل مجرى متصل يسيل من الماضى السحيق ويتجه نحو المستقبل البعيد .

وقد يمر ذلك المجرى فى بعض سيره بين مروج خضراء أو بين صحارى جرداء ، وقد تعترضه الجنادل والصخور أو المناقع والسدود ، وهو يحمل فى طريقه آثاراً من هذه وتلك ويلقى بها إلينا لكى يتجه فى سبيله قدما إلى الأمام دائماً .

لن نستطيع أن نعود بذلك المجرى نحو المنبع ولو شئنا أن نعود به نحوه ؛ قد يكون ذلك المجرى قد سلك فى بعض أعاليه رياضا مزدهرة ثم ضل بعدها فى مناقع آسنة ، ولكننا نخطىء أكبر الخطأ إذا تخيلنا أننا نستطيع أن نعود به نحو تلك الرياض المزدهرة نفسها التى خلفها وراءه مهما بذلنا من الجهد ، وأقصى ما نملك الاحتيال فيه هو أن نهيء المجرى الذى أمامنا حتى يكون صالحا للانطلاق إلى رياض مزدهرة جديدة ، لا يمكن أن تكون هى الرياض التى خلفها من ورائه .

يقولون أحياناً إنه لا جديد تحت الشمس ، ولكنا لو شئنا الحقيقة الخالصة لكان الأجدر بنا أن نقول إنه لا عودة لقديم إلى الحياة كما كان من قبل .

فلندع الآن السياسة والاجتماع وموقفنا بين الدول ، ولنتحدث فى الأدب والأدباء ؛ فهذا هو ما كنا نقصد إليه من بدء القول . فنحن نسمع فى هذه الأيام أحاديث كثيرة فيها أنغام كئيبة تكاد تشبه أنغام اليأس أو التخذيل .

وأعجب ما سمعناه من ذلك قول القائلين إن الأدب يعانى فى وقتنا الحاضر أزمة خمول وركود وإسفاف ، وإن هذه الأزمة جديدة طارئة علينا لم تصبنا إلا منذ سنوات معدودة ، وهم يحاولون أن يتلمسوا العلل التى قد تجد عند الناس قبولا ، فيقولون مثلا إن الرقابة التى فرضت على الصحف فى مدة الحرب الأخيرة وبعدها من أكبر أسباب خمود الفكر والأدب والفن .

أليست هذه فكاهة جديرة بأطفال القرية ؟ ولو صح أن الرقابة قد أخمدت أفكارنا ، وأدبنا حقًّا لكانت تلك حسنة لها لا ينبغى لنا أن ننساها .

فأى أدب ذلك الذى تستطيع رقابة الصحف أن تقضى عليه وتخمد أنفاسه ؟ إنه يكون بغير شك أدباً جديراً بأن يقضى عليه وتخمد أنفاسه ، لأنه لم يستطع أن يقاوم خصما ضعيفاً مثلها . . . ؟

أهذه الرقابة الصحفية تقتل أدب أمة ؟ أى أدب ذلك وأى أمة ؟ ؟ أى أدب ذلك الذى تسد منفذه قشة ؟ ما هذا بالحد الذى يليق بالأدب والأدباء ، وما هكذا ينبغى لأحد أن يطلق الألفاظ الجوفاء ليملأ بها فراغ صحيفة .

أكرر هنا ما قاله أديب فرنسى ذات مرة أن الأدب الذى لا يقوى على النفوذ من كل سد والتحلل من كل قيد لا يستحق أبداً أن يسمى أدبا .

وأعجب من هذا القول معنى آخر ردده بعض الفضلاء عند ما جرفتهم الحماسة وطوحت بهم بعيداً عن الشاطىء ، فقالوا : رحم الله أياماً مضت فى مطالع هذا القرن عندما كان الأدب أكثر ازدهاراً وأقوى نشاطاً مما هو فى هذه الأيام ؛ فإلى من يتحدث هؤلاء وماذا يقصدون بمثل هذه الأقوال ؟ إنهم يتحدثون إلى قوم عاش الكثيرون منهم فى مطالع هذا القرن وشهدوا ما كان فيه من فقر مدقع فى الفكر وضآلة وتفاهة وسخف فى الأدب .

كان الظلام دامساً يكفى فيه عود من الثقاب لإزالة الظلمة ، وكان الميدان خاليا يكفى فيه خيال (ناطور) واحد لإزالة الوحشة ، ولسنا ننكر فضل عود الثقاب فى إزالة الظلمة ولا فضل خيال الناطور فى إزالة الوحشة ، ولكننا لا نملك إلا أن نعجب أشد العجب ممن يريدون أن يجادلوا فى الحقائق البسيطة . لقد عشنا فى مطالع هذا القرن وما زال بحمد الله أحياء نستطيع أن نشهد بما عرفنا ، ولا نقبل أن يكابر أحد فيقول إن الأدب كان عند ذلك أكثر ازدهاراً مما هو اليوم .

ولكن الأعجب من هذا كله هو ما يبدو من بعض الكتاب من ميل إلى الرجوع إلى الوراء ، وهو كما قدمنا أمر تأباه الطبيعة نفسها . ولا حاجة بنا إلى طول المجادلة فيه ، فنلدع هؤلاء وجها لوجه أمام الطبيعة الغالبة . لقد مضى الزمن الذى كان فيه الأدب لا يزيد على حديث فى مجلس أو مناظرة فى صحيفة أو نكتة فى قهوة . فهذا أدب قد يكون طريفاً ، ولكنه لا يزيد على ما نسميه (دردشة) وقد يكون سمراً أو مؤانسة ، ولكنه لا يجرؤ على أن يتسمى فكراً . لقد مضى الزمن الذى كان الأدب يسخّر فيه للأمراء والعظماء لكى يساعدهم على قتل أوقاتهم الطويلة وإدخال شىء من الحركة فى حياتهم الراكدة . لقد أحس الأدب فى عصرنا هذا بكرامته وأبى أن يستخدم لإزالة الملل عن المترفين أو قطع الوقت بين العاطلين . ولقد عرف الأديب قدره فى عصرنا هذا ، فهو يرفض أن يعامل كما تعامل الأمة الراقصة أو القينة المغنية أو المهرج الضحاك ، بل هو يرفض أن يستغل أدبه فى تحصيل المال بالتبذل ويؤثر أن يعذب ويؤذى فى ماله وفى نفسه فى سبيل أداء وظيفته . وما أحرانا أن نحس الغبطة فى هذه الأيام لأننا نرى للأديب فى الحياة وظيفة غير وظيفة السرية الحسناء . لقد جنى أدعياء الأدب على الفكر والفن أكبر جناية على الأدب لأنهم قتلوا حرية الفكر وابتذلوا سمو الفن .

أيريد هؤلاء أن يعودوا بالأدب إلى مثل هذه الأسمار الطريفة الضئيلة ؟ فليريدوا ما شاءوا ، فإن الطبيعة كفيلة بمقاومة إرادتهم . أكاد ألمح فى كل هذه الأحاديث لوناً من ألوان خداع النفس أو صنفا من أصناف التعويض الذى يصفه علماء النفس . فقد يحلو للشيوخ أن يجلسوا أحياناً على مقاعدهم الوثيرة إذا أحسوا الشيخوخة تدب فى أوصالهم وتقعد بهم عن الاضطراب فى الأرض ، وهم عند ذلك يميلون إلى أن يعوضوا أنفسهم عما فقدوا من النشاط وأن يخادعوا أنفسهم عما أصابهم من الشيخوخة ، وهم يحسبون أنهم يخدعون الناس بما يخيلونه إلى أوهامهم . فلندعهم يضربون فى الذكرى ويجعلون من الماضى الذى شهد شبابهم أسطورة ذهبية . لن يضرنا هذا التساهل إذا كان يشيع فى نفوسهم الرضى والشعور بالأمن والسعادة .

ولكن الحاضر يعرف نفسه أكثر مما يعرفه هؤلاء السادة ، والماضى لن يعود أبداً وإن تغنوا به وأرادوا أن يعيدوه إلى الحياة بأنشودة سحرية .

لن يستطيع الحاضر مثلا أن يقنع بمجالس الأدب التى كان الأدباء يجتمعون فيها على مائدة صاخبة ماجنة يتناظرون فى معنى لفظ من الألفاظ ، ولن يجد الأدباء اليوم فراغا للبحث فى أركان الدواوين لكى يعثروا على بيت غامض يتحدى به بعضهم بعضاً ، ويتفاخرون فيما بينهم على الاستكثار من أمثاله . ففى الجيل الحاضر عشرات وعشرات ممن يقاسون هموم الحياة ويحسونها إحساسا عميقاً ويترجمونها فى أساليبهم المختلفة التى أخذت تتعدد وتتنوع وتتشخص ، وهم يقابلون من ظروف الحياة ومن تجاربها ما لم يقابل هؤلاء الذين يعيشون على ذكريات مطالع القرن العشرين المترهلة .

الأدباء اليوم أكثر إدراكا لمعانى الشدة والرخاء والحياة والموت والهزيمة والنصر والقدرة والعجز ، وهم اليوم أكثر إدراكا لما فى الحياة من مضحك ومبك ومن جدير بالإجلال وجدير بالسخرية . الحياة اليوم أكثر امتلاء فى حسنها وقبحها وفى فضلها وسخفها وفى فضيلتها ورذيلتها . والأدباء اليوم أكثر إحساساً بها وأعمق سبراً لحقائقها .

لست أقول إن أدباء هذا الجيل قد نالوا من الأدب كل ما كان ينبغى لهم أن ينالوا ولا أنهم قد بلغوا فى العدد أو النوع ما كان ينتظر منهم أن يبلغوا . ولكنهم يسيرون كما تقضى سنة الطبيعة إلى الأمام دائماً يقصدون إلى غاية يرونها بين أيديهم لا من خلفهم . وسوف يكون من بعدهم خيراً منهم وأكثر إنتاجاً ، كما أنهم خير ممن سبقهم وأكثر إنتاجاً ، لأن عقارب الساعة كما يقولون لن ترجع إلى الوراء أبداً .

محمد فريد أبو حديد

بائع الدروس

للدكتور أحمد أمين بك

مادمنا دخلنا فى قافية البياعين ، وكتبنا عن بائع المشمش وبائع البيض ، فلنكتب أيضاً عن بائع الدروس ، وهو وإن اختلف عن الباعة الأقدمين ، فإنه بائع مثلهم ، يماكس كما يماكسون ويغش كما يغشون .

قد كنا فى عهدنا لا نعرف بائع الدروس الخصوصية إلا لأولاد الذوات فى المدارس الثانوية . يزيدون فى الاحتياط فيأتون لأبنائهم بمدرسين خصوصيين ، أو يأنفون أن يدسوا أبناءهم بين أبناء الشعب فى المدارس ، فيعلمونهم فى بيوتهم ، حفظاً لأخلاقهم . أما فى عصرنا هذا فاتسعت سلعة الدروس ، وارتفع سعرها ، وشملت التلاميذ فى روضة الأطفال ، وفى المدارس الابتدائية وفى الجامعات ، حتى لم يخل منها معهد صغير ولا كبير .

وقد لاحظنا من قبل الفرق بين باعة الأشياء القديمة ، وباعة الأشياء الحديثة . فباعة الأشياء القديمة يحسنون تشبيه سلعهم ؛ فالعنب بيض الحمام ، وجنبة البلح بير العسل ، والترمس لوز ، والملوخية ورق العنب ، والكمثرى ، ومل الشربات إلخ إلخ . أما السلع الحديثة فلم يحسنوا التشبيه فيها ، فلم يجدوا تشبيهاً جيداً للمانجو وللجوافة ولا للدروس .

فالمنجو هى المنجو ، فإذا زادوا شيئاً قالوا مانجو العويس ، ومانجو فيشر . ولم يزيدوا على ذلك استعارة لطيفة ، ولا تشبيها لطيفاً . وكذلك فى الدروس .

فلم يقل بائع الدرس ، إن درس الحساب كاللوز المقشور ، ولادرس الإنجليزى كغزل البنات ، ولا شىء من ذلك . إنما الدرس درس وكفى . وقد أكثروا من هذا حتى أصبحوا أكثر من باعة الليمون ، وغالوا فى الثمن حتى احتاجوا إلى تسعيرة .

وتبرمت وزارة المعارف على اختلاف وزرائها ، فأصدرت المنشور تلو المنشور بتحريم الدروس الخصوصية إلا بإذن ، فلم يفد ذلك شيئاً ، وضرب المدرسون بالمنشورات عرض الحائط ، وقالوا ما بال كل شىء يباع ولا تباع الدروس . لقد كانت السلع المختلفة سبباً لأغنياء الحرب ، فلم لا تكون الدروس أيضاً سبباً من أسباب غنى الحرب ؟ هل الدروس أقل شأناً من العنب والبطيخ والشمام ، إن الحكومة لا تعطينا ما نستحق من ترقيات وعلاوات ، وقد زادت الأسعار أكثر من ثلاثمائة فى المائة ، ولم تعطنا الحكومة ما يساوى هذه الزيادة ، أو ما يقرب منها . وكثير من الموظفين قد سرقوا أو غشوا ، وتحايلوا على كسب المال من كل طريق ، مشروع وغير مشروع ، فلم تحرّم علينا الدروس الخصوصية ؟ كان هذا هو منطقهم ، فأوغلوا فى الدروس الخصوصية حتى النهاية .

قال محدثى : كانت لى بنت فى السنة الثالثة الابتدائية ، وجاءت الوزارة فألغت الامتحانات ، وعوّلت الحكومة على امتحان الفترات بحجة أن فرنسا ألغت الامتحانات ، فلم لا نكون كفرنسا .

ونحن نتبع الأمم الراقية حذو النعل بالنعل . فلا بأس أن نقلدهم ولو كانت الطباع المصرية غير الطباع الفرنسية ، ولو كان إلغاء الامتحان يعتمد على الاستقامة ، ولا استقامة عندنا ، فلنلغ امتحاناتنا كما ألغوها ولنقلدهم فى كل مايفعلون ولو ساء الحال ، وخاب المآل . وصفق المدرسون تصفيقاً طويلا لهذه الفكرة .

وقد أذكرنى ذلك بتاجر مصرى رأيته فى لندن حين

كان يدرس حالة بعض المصانع الإنجليزية إذ تجمع الملابس الصوفية القديمة التي استغنى عنها أصحابها ، وتسلّط عليها مواد كيماوية خاصة ، تنظفها وتلينها وتذهب ألوانها ، ثم تصبغها من جديد ، وتبيعها بسعر رخيص . فقال هذا التاجر وما لي لا أفعل ذلك في مصر — ثم علمت أنه استورد من إنجلترا الأدوات وبدأ في العمل ، لجد مصر ، ولكنه فشل لأن شيئين غابا عنه : الأول — أن المصريين لا يلبسون الصوف كثيراً ، كما يلبسه الإنجليز ، والثاني — أن الإنجليز يرمون الملابس الصوفية التي بليت ، وفيها رمق من الحياة . أما المصريون فلا يرمون من الملابس إلا ما خلق وتهلهل ، ولم يعد يصلح لصبغ ثان . ومن هنا كان الفشل ، ولم تكن النتيجة المصرية كالنتيجة الإنجليزية .

واستمر محدثي يقول : أخذت بنتي في الفترة الأولى أربع درجات في الحساب ، وأخذت في الفترة الثانية ست درجات ، فذعرت واضطرب قلبي ، وعلمت أنها إن لم تأخذ عشرين درجة في الفترة الثالثة فلا أمل في النجاح .

فعزمت أن أدرس لها أو أن آتي لها بمدرس . واستشرت أحد أصدقائي في مدرس يدرس لها ، فقال لي : لا تفعل ، فمهما أتيت بمدرس وجعلتها أحسن الرياضيين والرياضيات ، لا يمكن أن تنجح ، وإنما إن أردت نجاحها ، فأت لها بمدرسها وجبح في أجرة الدرس ، فإنها تنجح بإذن الله لا محالة . . وسترى . فإن هـذا الدواء مجرب صحيح .

فسمعت قوله ، واستحضرت المدرس ، ومازلت به حتى رضي أن يأخذ خمسين قرشاً في الدرس ، كما يفعل أساتذة الجامعة . ورضيت بذلك ، وناولته خمسة جنيهات مقدماً . وامتُحنت البنت بعد ثلاثة أيام من تاريخ الاتفاق فراعني أنها أخـذت خمساً وعشرين درجـة . فالدروس الثلاثة عملت عمل السـحر ، ونقلتها من عبيطة مغفلة ، إلى عبقرية آينشتاين وجعلتها رياضية ماهرة ، تقفز من أربع درجات إلى خمس وعشرين . وبذلك أكون قد ضمنت نجاحها بعدد لا بأس به من الدروس الخصوصية ، وليكافئ الله وزارة المعارف على سهرها ويقظتها .

واستمر محـدثي يقول : ليست حالتي هذه هي الحالة الوحيدة ، بل الحالة المعتادة ، فالمدرس يصوّب نظره إلى تلاميذه ، ويتحرى أخبارهم ، ويتعرف من منهم ابن غني ومن منهم ابن فقير . فأما ابن الغني فلا بد من استغلاله واستغلال أبيه ، وإعطائه درجات قليلة ليرعب أبوه ، فيهرع إلى المدرس يدرس لابنه درساً خصوصياً ، فإذا هو ناجح .

وتستغرب بعـد ذلك ، هل بائع الدرس أقل من بائع المشمش وبائع البيض .

وتستغرب أيضاً من أن لا تدخل أجرة الدروس في تسعيرة الأسبوع .

إن هذه الدروس أصبحت مصدر استغلال كبير ، فمن المدرسين من يخرج من بيت إلى بيت ، ولا يعود إلى بيته إلا بعـد الساعة الواحدة صباحاً — كل ذلك في الدروس الخصوصية .

فلعل الله يهدي وزارة المعارف إلى الامتحانات القديمة ، وإن رميت بالجمود والرجعية . . . فرجعية مع أمانة خير من مظاهر تقدم ولا أمانة . والله بالسر عليم .

أحمد أمين

في جنـــــة عبقر

— ١ —

للأستاذ شاذل طاقة

— ١ —

أليس عجيباً أن يتحدث المرء عن الشعر في هذه الآونة من الزمان . والكون مضطرب يمج بالحروب والويلات . والناس غارقون في ماديتهم إلى الآذان سادرون في عمايتهم . لا حديث لهم إلا حديث القنبلة الذرية . ولا يحسبون حسابا إلا للحرب الكونية المقبلة ؟

أليس عجيباً أن نتحدث عن الشعراء . . . شياطين عبقر والعالم المائج هذا لا يعوزه إلا الشياطين وإلا المجانين ليكون مجتمعاً إنسانياً مثالياً ؟

هذا ما يقوله كثير من القراء . ويؤمن به كثير من الكتاب . . وقد يكون بعضهم على حق في هذا الاعتقاد . وقد يكون في ظروف الحياة المعاصرة مايدفع أولئك وهؤلاء إلى أن يعتقدوا هذا الاعتقاد . فإن اليأس والتشاؤم قد بلغا مداهما الأقصى في نفوس الناس . . ثم إن تجارب الحياة الآلية قد سدت بوفرة آلامها ومصائبها أبواب العالم الروحي ، وصهرت الناس في بوتقة من المادة حتى غدا الإنسان آلة ميكانيكية رتيبة الأعمال والحركات . وحتى شكا كثير من شعراء الإنكليز المعاصرين هذه الحياة البغيضة التي جعلت من الإنسان آلة صماء . كأن هذا العالم قد نسي أن الإنسان كتلة من أعصاب وعواطف وانفعالات وشواعر . . وكأن الحياة المعاصرة قد آمنت إيماناً كاملا بما كان يذهب إليـه (السلوكيون) من علماء النفس الروس في تفسير أعمال الإنسان ودوافعها .

ولعل من القراء من يقول : ومن هم هؤلاء الشعراء الذين نشغل وقتنا في الحديث عنهم . فنعكر ساعة صفونا وآونة راحتنا ؟ ولعل منهم من يضيف إلى ذلك قوله : لقد كان الشعراء ولا يزالون قافلة ضالة تسير في مؤخرة الركب البشري . . ألم يكن هؤلاء الشعراء منذ الأزل مغمورين مطمورين تحت ستر صفيقة من الاحتقار والازدراء ؟ وإن لأنصف أصحاب هذه المقالة فأقول إنهم على شيء من الحق ، وإذا كانوا يعدمون الدليل على ذلك فإني أقدم عنهم هـذا الدليل . . فلقد أراد أفلاطون أن يضع لابن آدم قواعد مجتمع مثالي . فوضع جمهوريته المعروفة . وقسم الناس فيها . ولم يضع للشعراء مكاناً . . وهؤلاء العرب الجاهليون كانوا يقولون إن الشعر يضع من قدر الشريف وإن النابغة كان شريفاً في قومه فوضعت منه حرفة الشعر . . أو لم يستمر هـذا الاعتقاد حتى عصر متأخر . . عصر الإمام الشافعي الذي يقول :

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

ولقد كانت فكرة الشعر متصلة عند الجاهليين بالجن والسحر . ولهذا جعلوا لكل شاعر شيطاناً . وذهب المسلمون إلى أبعد من هذا . فوضعوا شعراً على لسان إبليس وآخر على لسان آدم . فإن المسعودي يحدثنا في مروج الذهب أن الناس يعزون إلى آدم أبياتاً قالها حين حزن على ولده وأسف على فقده ومطلعها :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

وأن إبليس أجابه من حيث يسمع صوته ولا يرى شخصه بأبيات أولها :

تنح عن البـــلاد وساكنيها
فقد في الأرض ضاق بك الفسيح

ونحن لا نريد أن نسلم بأن آدم وإبليس قالا هاته الأبيات ، ولكنا نستدل منها على أن الناس كانوا يمزجون بين فكرة الشعر وفكرة الشيطان والسحر . .

ولهذا السبب كان العرب يخافون هجاء الشعراء . . لا لأنه يضع من قدرهم فحسب ، ولكن لاعتقادهم أن الهجاء يحمل لمة الشيطان ولهذا السبب أيضاً كان الشاعر الهجاء ينزع نعله اليسرى ويمشي بين الناس مرتديا عباءته مقلوبة ، حين يزمع هجاء أحد منهم . .

ثم جاء الإسلام فكان لا بد من طمر معالم الجاهليين ، وكان الشعر أبرز ماعندهم فقال الله تعالى في سورة الشعراء :

«والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» . وقال فى سورة الطور : «فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين» ويقول فى موضع آخر : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » . .

وهذا شكسبير الشاعر العظيم يحس بازدراء الناس للشعر واستخفافهم بالشعراء فيقول على لسان أحد أبطال قصصه : «خير لى أن أكون قطة تموء من أن أكون شاعراً» هذا هو رأى كثير من القراء . وقد قلت فى مطلع هذا الحديث إن لهم العذر فى هذا الرأى ، ولكن هذا لا يمنعنى من القول أن الشعراء مظلومون وأن الشعر مبخوس حقه . وهذا ما أريد أن أعرض له فى هذا الحديث . . وقد يقول بعض الناس إن الشعر لغو لا طائل تحته وضرب من الهذر لعل حديث المجانين أبلغ منه . ولا أريد أن أدفع ههنا عن الشعراء هذه التهمة الكبيرة لأنها تهمة حبيبة إلى أنفسهم أثيرة لديها . فهم يباهون بهذا الجنون ويفخرون إذا كان (نهر الجنون) لا يزال كما كان عند الأسطوريين القدماء ، وإذا كان الشعراء لا يزالون كما كانوا شياطين عبقر .. ولهذا السبب أحدثك أيها القارىء عن جنة عبقر . جنة الشياطين والمجانين . وثق أن عالمهم أفضل من عالمنا وأن حياتهم أسمى من حياتنا وأعجب . . .

أما بعد . . فإن عبقر هذه قرية كان العرب يزعمون أنها موضع يكثر فيه الجن ، ولعلهم لا يزالون يزعمون . . وجنتها عالم تتجاوب فيه الأرواح . وتعيش هائمة محومة . لا تعكر صفو حياتها الحروب . ولا تعصف بجنتها قنابلنا الذرية .

— ٢ —

قد يقول قائل : إن الشعر لا يطعم خبزاً ولا يصنع مدفعاً ، وأنا لا أجادله فى هذا ؛ لأنى أعرف أن الشعر لا يطعم خبزاً ولا يصنع مدفعاً ، ولكنى أعرف كذلك أن الإنسان فى حاجة إلى قيم روحية تبتعد به عن مادية الحياة وأحداثها اليومية التافهة ، والشاعر هو الرائد الذى يكشف للنفس الإنسانية آفاقاً روحية فسيحة تحوم فيها تلك النفس وتنسى واقعها وأشجانها ، ولعل القارىء يحسب أنى فى هذا الحديث أدعو إلى أن يكون الشعر (مورفينا) أو مخدراً يشبه ما يتعاطاه بعض (الحشاشين) فينغمرون به فى عالم من الأحلام والأوهام ، ولا أظن أنى فى حاجة إلى أن أقول إنى لا أدعو إلى شىء من ذلك ، ولكنى لا أستطيع أن أنكر أن النفس الإنسانية فى حاجة إلى غذاء روحى يرتفع بها عن مستوى الحيوان ، ولا أستطيع أن أنكر أن الفن العبقرى خير غذاء لهذه النفس الإنسانية التائهة .

لقد تعارف النقاد على أن الشعراء رواد العالم الروحى يكشفون مجاهل الطريق للنفوس المتألمة الحائرة ، وتعارف النقاد أيضاً على أن كل قصيدة رائعة إنما هى اكتشاف لأفق جديد من آفاق العالم الروحى ، ولا أكاد أجد حاجة إلى أن أقول مرة أخرى إن النفس الإنسانية محتاجة إلى غذائها الروحى احتياجها إلى غذائها المادى ، ولا فرق بين الإنسان والحيوان إذا قصر الأول حاجاته على الخبز والماء والهواء .

واتفق النقاد أيضاً على أن لكل شاعر موهوب عالماً خاصاً به ؛ فعالم المعرى غير عالم أبى نواس ، وهذان يختلفان عن عالم أبى الطيب ، وهكذا ... فعالم المعرى عالم يشيع فيك الشك والزهد والتشاؤم . بينما نجد عالم النواسى مترعاً مليئاً باللذائذ والمتع ، وهو إلى ذلك عالم لا يبخل على رواده بغذائه الروحى . . . أما عالم أبى الطيب فهو عالم تصطرع فيه القوى ويحترب فيه القوى والضعيف وتكون الغلبة والنصر للأقوى .. وإننا لنجد فى هذا العالم طموحاً متسامياً وأنفة مشمخرة ، لا ترضخ لأية قوة فى الوجود .. ولكل عالم من هذه العوالم رواد وعشاق ، فقد تميل نفسك إلى عالم أبى الطيب وقد تميل نفسى إلى عالم أبى نواس ، ونفسى ونفسك واجدتان ما تبغيان من غذائهما الروحى فى عالمهما الخاص دون شك ولا ريب .

وتعارف النقاد أيضاً على أن يشبهوا هذا العالم الروحى الفسيح بنبع كبير هو نبع الحياة ، وكلما ازداد اتصال الشاعر بهذا النبع عد شاعراً إنسانياً خالداً ؛ ولعلهم قد اتفقوا أيضاً على أن شاعراً عربياً لم يدم اتصاله بهذا النبع ، وإنما كان ذلك الاتصال منقطعاً يشبه إلى حد بعيد حال ذلك الطير الذى يسف إلى البحيرة فيحسو من مائها حسوة ويطير ثم يعود من بعد ذلك ليعيد الكرة . ولقد حظيت الإنسانية بأفذاذ من الشعراء كانوا متصلين بهذا النبع اتصالاً كبيراً بحيث لا يكاد الواحد منهم ينصرف إلى تجربته

الشعورية حتى تكون تلك التجربة قد نقلته إلى عالم روحى سام فسيح الجنبات ؛ ولعلنا نجد هذا واضحاً فى قصيدة طاغور « فى السوق » فهو يصور فيها عودة بستانى فقير من السوق فى آخر النهار ، ويسجل الشاعر خواطر هذا البستانى فى عودته ... فهو ينهى البيع والشراء فى قلق هادىء ويحين موعد عودته إلى البيت فيجد الحارس فيعطيه ضريبته ويحمد الله لأنه ما يزال يملك شيئاً ولأن حظه لم يسلبه كل شىء ، ويجد البستانى الريح الساكنة تنذر بالعاصفة ، والسماء المتجهمة تنذر بالمطر . فيهرول ليعبر النهر قبل أن يدركه الليل ، وهناك يستقبله صاحب المعبر ليطلب أجرته . فيعطيه إياها ويحمد الله لأنه ما يزال يملك شيئاً ، ولأن حظه لم يسلبه كل شىء ... ثم يمضى فيجد الشحاذ فى طريقه فيمنحه شيئاً من المال ويحمـد الله كذلك لأنه ما يزال يملك شيئاً ولأن حظه لم يسلبه كل شىء . . . ثم يشتد ظلام الليل ويقفر الطريق فيجد لصاً يريد أن يسرق منه كل أرباحه . فلا يخيب ظنه ، ويعطيه إياها ، ويحمد الله لأنه ما يزال يملك شيئاً . ولأن حظه لم يسلبه كل شىء ... ثم يصل المنزل عند منتصف الليل فيجد زوجته فى انتظاره . وإنى لأحب لقارئى أن يشاركنى متعة الصورة الشعرية الأخيرة فى هذه القصيدة فيقرأ معى قول طاغور :

وصلت المنزل عند منتصف الليل .
بيدين فارغتين .
وأنت لدى الباب تنتظرين فى يقظة وصمت .
وفى عينيك الرغبة .
وكعصفورة وجلة طرت إلى صدرى .
يدفعك حب تواق .
يا إلهى ! إن شيئاً كثيراً ما يزال باقياً معى .
لأن حظى لم يخدعنى ويسلبنى كل شىء .

وإنى لأعترف للقارىء أنى قد أسأت كل الإساءة حين لخصت له قصيدة طاغور ، ولكنى مضطر إلى ذلك ، ولا أكاد أجد عذراً إلا فى أن أرشده إلى قصيدة طاغور فى مرجعها ليقرأها ويشارك شاعرها تجربته الشعورية[1] . وأنى لواثق أنه سوف لا يجد فيها رحلة إلى السوق فحسب ، بل رحلة الحياة الكبرى . لقد صورها طاغور فى إعطائها وأخذها .

وصور لنا الرضا والاطمئنان والثروة الخالدة التى هى ثروة القلب التى تسبغ على الناس السعادة ..

ولعل القارىء يجد بعد كل هذا أن عالم طاغور عالم يشيع فيه الهدوء والرضا والتفاؤل والاطمئنان ، وأن قصيدة طاغور هذه إنما هى اكتشاف بارع لعالم روحى ممتاز واتصال مستمر بنبع الحياة الكبير . .

— ٣ —

يقولون إن الفن إنما هو تقليد للطبيعة . . وهذه نظرة مفلسفة نشرها اليونانيون وسار عليها النقد الأوربى حقبة طويلة . وعندى أنهم حين يقولون هـذا ، يحملون كلمة (التقليد) معنى ينفى معنى الابتداع أو الابتكار ويجر الفن إلى تقليد من قلد الطبيعة . .

ثم إن الطبيعة حية متطورة ومن الصعب تقليدها وإيجاد فن حى متطور إزاءها . . لأن التقليد يوحى بالفناء أكثر مما يوحى بالحياة . ولو قالوا إن الفن تصوير للطبيعة أو بالأحرى خلق للطبيعة فى نفس مبدعة شاعرة ، لكانوا قد أدركوا الحق وبلغوا الصواب . .

فالمصور لا يقلد صورة المرأة الجميلة التى هى مشهد من مشاهد الطبيعة ، ولكنه يخلقها ويبعثها من جديد على صفحة من الورق .. يخلقها من زيوت وماء وأصباغ بعد أن خلقها الله من طين وماء . .

وإذا كان الله قد نفخ فى آدم من روحه فجعله بشراً سوياً ؛ فإن الفن يجبل طينة الطبيعة فى عصارة قلبه وفيض شواعره وعواطفه ، فيكون الأثر الفنى جزءاً من ذات مبدعة ، كما كان الإنسان جزءاً من ذات الله على رأى من يعتقد بوحدة الوجود .

والطبيعة والحياة شىء واحد ، فإذا كان الفن تصويراً للطبيعة فهو تصوير للحياة بعبارة أعم . والحياة واسعة شاملة ، تضم بين حناياها كثيراً من الصور وأشتاتاً من الحيوات التى هى أجزاء من الحياة الكبرى .. والفن الخالد العبقرى هو الذى يصور الحياة الإنسانية فى جميع مراحلها وأزمنتها وأمكنتها . فشكسبير صور عواطف النفس البشرية فى (هاملت) و (عطيل) و (روميو وجولييت) وغيرها من روائعه . وهـذه العواطف والشواعر لا تزال حية كما صورها شكسبير ، وستبقى حية فى النفوس ما بقيت الحياة . ولهذا كان شكسبير خالداً ؛ فقد اتصل بنبع الحياة الكبير

(١) القصيدة منقولة إلى العربية فى كتاب النقد الأدبى لسيد قطب .

النقد التفسيرى للأدب

— ٣ —

للأستاذ عز الدين إسماعيل

٥ — ونستطيع أن نخلص بسهولة من كل ما مضى إلى أن النشاط العقلى الواعى يكاد يكون معاكسا تمام المعاكسة للنشاط العقلى اللاواعى ، وأن هـذا الأخير يختزن الكثير من الرغبات والنزعات الفطرية المكبوتة والتى أهمها النزعات الجنسية (بحسب معنى فرويد) ، وأن نشاط اللاواعى لا يبرز ولا يظهر إلا فى حالة غفلة العقل الواعى ، فتتخذ هـذه النزعات والرغبات المكبوتة رموزاً معينة تظهر فى النوم على صورة أحلام ، أو فى اليقظة أيضاً على صورة أحلام ، أو تجد لها متنفساً فى أى عمل حر تلقائى كاللعب أو الإنتاج الفنى . فالنشاط العقلى الحر التلقائى هو مظهر كل هذه الحالات . وليس تعددها دليلا على اختلافها فى النوع ، وإنما هى مظاهر مختلفة لذلك النوع من النشاط اللاواعى عند الإنسان .

ومما يؤكد لنا أن هذه الحالات كلها من نوع واحد ، أنها فى الغالب تترك فى نفس الإنسان أثراً متشابها ، فضلا عن أن هدفها — تقريباً — واحد . وكثيراً ما يكون الحلم ممتعاً لدرجة أنه لو فرض أن موقظاً أيقظ الإنسان فى أثنائه وقبل تمامه أحس الإنسان بنوع من الأسف والضجر . وكذلك الحال فى أحلام اليقظة ؛ فكثيراً ما يستنيم الإنسان لتلك الأحلام ويجد فيها متعة . والحال لا يختلف عن هذين بالنسبة للعب وللإنتاج الفنى . والذى يحدث المتعة فى كل الحالات هو التنفيس عن الرغبات المكبوتة فى اللاشعور .

وقديماً تحدث أرسطو عن فكرة التخفف (الكاثرسيز)[1] ، ومؤداها أن التمثيليات تعين المتفرجين على أن يتخففوا من مشاعرهم الزائدة التى تضغط نفوسهم ، وأن يحققوا رغباتهم المكبوتة . وهـذا التخفف وذلك التحقيق هما اللذان يحدثان فى نفس المتفرج المتعة ، ويشعرانه أن السعادة لا شىء آخر .

والذين يعانون الإنتاج الفنى يقررون بسهولة أنهم طالما أحسوا بالمتعة أو اللذة أو السعادة بعد أن أتموا إخراج العمل الذى يبدعونه ، فكأن المتعة تحدث نتيجة لعملية التخفف التى تتحقق فى النشاط اللاواعى الذى يبذله الفنان . ولو أن النشاط المبذول كان من الوعى لما حدثت اللذة ؛ لأن للوعى صفة الصرامة والجد ، وأيضاً فإنه لا يستطيع — إزاء الرقابة المبثوثة حوله — أن يكون وسيلة للتنفيس عن الرغبات المكبوتة .

ومن هنا يتبين لنا أن العمل الفنى لا يمكن أن يكون عملا إبداعياً أصيلا إذا هو تمت جميع مراحل إنتاجه فى حالة واعية عند الفنان ، وأنه يكون أكثر قربا من أعماق نفسه وطوايا صدره إذا هو تم فى حالة لاشعورية . وهو فى هذه الحالة سيؤدى غرضه بالنسبة للفنان فى أنه سيخفف عنه القدر الزائد على احتماله ، وأيضاً فإنه سينفس عن النزعات

(١) راجع فى نظرية أرسطو هذه: Bucher : Aristotle's: Theory of Peotry and Fine Art, 3rd Edition, p. 242 وأيضاً قواعد النقد الأدبى لأبركرمبى ، ترجمة محمد عوض محمد (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٤) ، ص ١٠٧ وما بعدها .

اتصالاً مستمراً على حد تعبير النقاد ، وأدرك أسرار الحياة وكنهها ، وشد جميع النفوس البشرية إلى شعره بخيوط دقيقة من ذهب . .

ونستطيع أن نقول مثل هذا عن طاغور ، فهو شاعر عالمى ، لأن العربى فى أطراف الجزيرة والأجنبى فى جنوب أمريكا يشتركان مع هذا الشاعر فى تجربة شعورية موحدة . ومن ذا ينكر أن قصيدته « فى السوق » قد شدت جميع النفوس البشرية الشاعرة بخيوط دقيقة وربطتها ربطاً لا هو بالسحيل ولا بالمبرم ؛ فإن هذه النفوس تستطيع أن تحلق فى عالم طاغور ما شاء لها التحليق ، وتستطيع أن تضع صورته الشعرية وتجاربه الشعورية فى إطارات من شواعر ذواتها وعواطفها . . وقد صدق الذى قال إن الشعر الرائع إنما هو الذى يظمىء أكثر مما يروى ، وهو الذى يدفع القارىء إلى التأمل فى تلك التجربة الشعورية وخلق إطار لها من ذاته .

(البحث بقية) شاذل طاقة

الفطرية والرغبات المكبوتة فى اللاشعور ، لا فى صورة أو صور سافرة ، وإنما فى رموز تحمل نفس الدلالة ، يؤلفها فى صورة حرة تلقائية . ومن هنا قيل إن الفن كله فى أصله ليس إلا صورة للعب . فالذى يؤلف نغما والذى ينصت إلى النغم كلاهما مهتم بلعبة من نفس النوع »(١) ، وكلاهما — أيضاً — تتحقق له لذة من نفس النوع . وبذلك نعود إلى فرويد حين جعل مبدأ تحقيق اللذة والبعد عن الألم هو خاصة الهى ، على السواء فى ذلك مع الخاصة اللاشعورية . « فمبدأ اللذة والألم وحده هو الذى ينظم العمليات العقلية اللاشعورية ، بينما تسير العمليات الشعورية تبعاً لذلك ، مع النظر — علاوة على ذلك — إلى الواقع والحقيقة الخارجية(٢) » .

وقبل أن أنتقل من هذا العنصر لا أود أن أترك سؤالا أو سؤالين يجولان بنفس القارئ ويقلقان خاطره : أولهما ينصب على ما زعمته من أن العمل الفنى لا تتم جميع مراحله فى حالة واعية ، وثانيهما ما قد يجرى على ألسنة أصحاب مذهب الصنعة فى الفن وهم غير قليل ، من ماضى عصور الفن حتى اليوم . والواقع أن السؤالين قد يسلم أحدهما إلى الآخر . والذى أود تقريره هو أن المقدمات التى سبقت هى التى أسلمتنا بالضرورة إلى تلك النتيجة . فالعمل الفنى بما هو تنفيس عن نزعات ورغبات مكبوتة فى اللاشعور ، وبما أن اللاشعور حينما يعمل بشكل ظاهر فإنه يتحتم وقوع الشعور فى شبه غيبوبة ، فإن المحتوى الشعورى ، والرموز التى تؤدى هذا المحتوى ، والصور التى تتألف من هذه الرموز ، كلها من عمل العقل الباطن . وليس للوعى فى الواقع إلا عملية واحدة فى سلسلة تلك العمليات الجزئية التى يتألف منها العمل ، كله وهذه العملية هى الإشراف على سلامة اللغة من حيث نحوها وصرفها بما لا يخرج على العرف والمألوف .

وإذا كان بعض الشعراء قد كان يعكف على قصيدته حولا — كما يحدثنا مؤرخو الأدب — يحككها ويصقلها ، أو كان منهم من يذكر لنا أنه يبيت الليلة حتى الصباح سهران على قصيدته ، فإن هذا الزمن الطويل الذى يستغرقه أصحاب الصنعة (كما يقال عنهم) لا تتم فيه جميع مراحل إنتاجهم الفنى — رغم كل هذا — فى حالة من كمال الوعى والانتباه .

Cyril Burt : How The Mind Works, d. 268 (١)

(٢) إسحق رمزى ، علم النفس الفردى ، ص ٤٣ .

وبحكم تجربتى الخاصة أستطيع أن أذكر أنه لا يطيل الزمن الذى ينتج الشاعر فيه قصيدته إلا وجود فترات واعية تتخلل حالة اللاوعى التى يستغرق فيها الفنان فى أثناء إنتاجه الفنى ، فتكون هذه الفترات بمثابة انقطاعات للعملية الداخلية قد تحدث للفنان كثيراً من الضيق والضجر ، وأيضاً فإنه يتكلف الكثير من العنت النفسى كيما يرجع إلى حالته الأولى .

فليست الصنعة الفنية إذاً تعنى مطلقاً أن العمل الفنى تتم جميع مراحله فى حالة من وعى الفنان ، وليس للوعى فى الإنتاج الفنى إلا المجال الضيق الذى ذكرته . ومع ذلك فإننا نستطيع أن نذهب إلى أبعد من هذا فى حصر للمجال الذى يعمل فيه الوعى فى حالة الإنتاج الفنى ؛ فليس هناك شاعر واحد — فيما نظن — ينتبه ، فى أثناء العملية الفنية إلى أنه رفع الفاعل حقاً ونصب المفعول ، أو أنه اشتق اسم الفاعل من الثلاثى على وزن فاعل ، أو أنه أسس قافيته على الواو ، فلا يستطيع أن يخرج منها إلا إلى الياء ولا يستطيع أن يخرج إلى الألف ، أو أن الروىّ مضموم مثلا ولا بد أن يكون كذلك فى سائر أبيات القصيدة — أقول ليس هناك شاعر يكون كل همه هو أن يتحقق من كل ما مضى وأكثر مما مضى ؛ ولكن ربما تحققت كل هذه القواعد اللغوية والموسيقية فى صورة صحيحة من تلقاء نفسها بحكم الاستعمال الذى ألفته النفس ودرجت عليه . وليس ما أذكره مجرد افتراض لأن الواقع يؤيده بأقوى ما فيه من حسية . وإذا نحن رجعنا إلى كتب النقد العربى وجدنا أغلب النقاد قد أنشأ بابا يتكلم فيه عن أغاليط الشعراء . وهم لا يحدثوننا عن أغاليط الشعراء من المحدثين الذين فسد لسانهم ، بل نجد هذه الأغاليط يقع فيها شعراء من الفحول الأوائل ، يقع فيها امرؤ القيس وطرفة ، ويقع فيها رؤبة والفرزدق وغيرهم كثير(١) . وقدامى النقاد لم يذكروا أغاليط الفحول من القدامى إلا ليعتذروا عن أخطاء المحدثين وينصفوهم ؛ والحق أنهم فى حاجة إلى أن ينصفوا أولئك الفحول قبل أن يتجردوا لإنصاف المحدثين . والذى يعنينا هنا هو أنه لماذا كان أولئك الشعراء قدامى ومحدثين ، فحولا وغير فحول ، يقعون فى تلك الأخطاء اللغوية أو الموسيقية ؟ ليست المسألة فيما

(١) القاضى الجرجانى : الوساطة ص ٣ وما بعدها — ط صبيح .

نرى ترجع إلى خولة أو غير خولة ، وإنما هى فى الواقع نتيجة حتمية لسيطرة اللاوعى على العملية الإبداعية ، وإفلات الزمام من يد العقل الواعى أحياناً حتى فى المجال الضيق الذى يعمل فيه ، فيرفع الشاعر ما يجب جزمه ، وينصب ما يجب رفعه ... وهلم . فالمسئول الأول والأخير عن هـذه الأخطاء هو اللاوعى ، لأن العقل الواعى لا يمكن أن يتركها تمر .

ونعود لنقول : إننا نسمع فى المجالات الفنية كلمة الخيال كثيراً ، ونستطيع منذ البداية أن نعده كذلك مظهراً آخر من مظاهر النشاط اللاواعى ، وأنه يؤدى الغرض الأساسى الذى يؤديه ذلك النشاط ، بمعنى أن « أنواع الرغبات جميعاً تتحقق فيه[1] » . وليس له صفات الصرامة والجدية التى للنشاط الواعى ، ولا هو يشبه — فى صورته — صورة المنطق الواعى « فبينما يتألف المنطق من ملاحظة العلاقات القائمة فى الواقع بين الحقائق ، فإن الخيال يؤلف بينها علاقات جديدة[2] » . وإذا نحن ذهبنا نلتمس صفات الخيال وجدنا أنه لا يفترق كثيراً من حيث العملية الخيالية ذاتها ، ومن حيث هدفها ونتائجها عن المظاهر المختلفة للنشاط اللاواعى

والواقع أننا حينما نتكلم عن الخيال باعتباره عنصراً هاما ولازماً فى العمل الفنى ، فإننا بذلك نعبر بطريقة مباشرة عن فكرة الأداء اللاواعى بلفظ آخر ، وعند ما يزعم بوزنكيت أن « التعبير الخيالى يخلق الشعور فى خلقه صورته[3] » فإنه يعبر بطريقة أخرى عما سبق أن عبر عنه بيرت ، من أن العمل الفنى يفتح المجال أمام متلقيه — كما كان فرصة بالنسبة لمبدعه — ليجد فيه نوعاً من التخفيف أو التنفيس عن المكبوتات ، وهو بعينه ما ذكره ودورث من أن أنواع الرغبات جميعاً تتحقق فى الخيال ، واستمتاعنا بخيال الفنان[4] — كما اعتدنا أن نقول منذ أرسطو — لا يعـدو أن يكون من نوع الاستمتاع الذى نشعر به عند ما تتم عملية الـكاثرسز .

وربما كان القول بأن الخيال عملية تأليف بين مواد ليست من نوع واحد يشبه ما قلناه من أن الرموز والصور التى تتحقق فيها النزعات والرغبات المكبوتة لا تكون متجانسة ، وأن إضافة بعضها إلى بعض يبدو على الأقل بالنسبة للعقل — غريباً ، ولـكن يبدو أن المسألة أدق من هذا ؛ فإن « التفكير فى إنسان وأيضاً فى حصان ليس تخيلا لشكل أو منظر متناسق ، بل هو قفزة طويلة من مجرد نظام المواد إلى الشكل الممتلىء بالمعنى[1] » . بمعنى أن المعنى الـكامل (وإن شئنا قلنا الرغبة الـكاملة) يكون فى هذه الحالة موجوداً قبل أن يجمع الخيال من المواد ما يملأ به الفراغ القائم .

وقد سبق أن عرفنا أن اختيار اللاشعور للرموز ليس فيه أى مراعاة منطقية ، وأن العلاقات بينها تكون دائماً علاقات جديدة لا يقرها الواقع والعقل الواعى . وهنا فى الخيال نجـد نفس المظهر ؛ فاختيار العناصر التى يراد بها تأدية المعنى ليس فيها أى مراعاة منطقية ، كما أن هناك قفزات طويلة — بالنسبة للواقع — بين كل عنصر وآخر . وعندما يعمل الفنان خياله فإنه يتصرف لا شعوريا ، فيستخدم ما يعن له من هذه العناصر أو الرموز دون أن يشعر فيها بشىء من الغرابة إزاء لامنطقيتها وإزاء لاواقعيتها . والسبب فى ذلك إحساسه الـكامل بالمعنى من حيث هو كلٌّ قبـل أن يخرج هذا المعنى فى تعبير . ولذلك ليس من الغريب أن يجد الفنان نفسه هذه الغرابة عندما يتناول عمله الفنى بوصفه متذوقاً فى فترة من فترات الشعور والوعى . « فالتفكير الفنى يحقق رغبة من الرغبات ، وهذا وحده كاف بالنسبة له . وهو لا يخضع للنقد الموجه من الأشخاص الآخرين أو من الفرد نفسه ، ولا هو يقترن بالحقيقة ، وإنما يظهر على أنه تفكير تمليه الرغبة Wishful-thinking[2] » .

(للبحث بقية)

عز الدين اسماعيل

(١) R. S. Woodworth : Psychology, A Study of Mental Life, P. 562

(٢) المصدر السابق ص ٥٥٢

(٣) Milton C. Mahm . Aesthetic Experience and Its Presuppositions, p. 336
وهو يشير إلى Bosanquet : Three Lectures on Aesthetic, p 34

(٤) Courthope : Life in Poetry : Law in Taste (London 1901), p. 39 & 178

(١) Woodworth, ibid, p. 578 .

(٢) المصدر السابق ص ٥٦٩ .

هل من جديد عن ميل ؟

للآنسة بثينة عبد الحميد محمد

بعد وفاة ميل فى سنة ١٨٧٣ ظهرت أربع تراجم لحياته قد نفدت طبعاتها ولم تعد ذات أهمية كبيرة ، لأنها عالجت تاريخ حياته فقط ولم تتناول كتاباته بالنقد الدقيق المفيد ، بل اكتفى مؤلفوها ، أصدقاء ميل ، بالإطراء العابر على ما خدمه لعصره فى ميادين السياسة والفلسفة والاقتصاد ، وقد أهملت فى هذه الكتب ناحيتان : إحداهما حياة ميل العاطفية والتى أوضحها لنا الأستاذ هايك فى كتابه عن ميل سنة ١٩٥١ ، وثانيتهما دراسة ميل كأديب ، وسنحاول إظهار أهميتها بإيجاز فى هذا المقال .

فعندما نلقى نظرة على مؤلفاته نجد الكثير منها جديراً بأن يدرس لقيمته الأدبية ، نذكر على سبيل المثال ترجمته لحياته وخطاباته ومقالاته عن الشعر وعن معاصريه وعن المسائل التى كانت تشغل الأذهان وقتئذ ، ثم كتابه عن « الحرية » . حتى فى كتابه عن الاقتصاد السياسى نجد بابا بعنوان « الحالة المستديمة » لا يقل فى خياله الرائع وأسلوبه البليغ وتعبيره عن شعور الكاتب عن أى « يوتوبيا » فى تاريخ الأدب ، ويمكن أن نضيف أيضاً خطبه البرلمانية التى شهد بالمرستون وجلادستون بأثرها البالغ فى كل من استمع إليها .

لم يكن ميل فيلسوفا فحسب ، إذ أن كتبه فى الفلسفة كانت مجرد مقدمة لأبحاثه الاجتماعية ، ثم إن آراءه التحررية لم تقتصر على الأبحاث الفلسفية فقط ، ولكن تعدتها إلى الدين والأخلاق والتقاليد والرأى العام فى شتى الأوجه ؛ لم يكن ميل مفكراً محدود الأفق كسابقيه ، ولكنه عنى بنواحى الفرد الأخرى من شعور ووجدان ؛ لم يكن نظريا فحسب ، ولكنه ربط نظرياته دائماً بإمكان تطبيقها عمليا . قد كتب فى الفلسفة ولكنه لم يبعد بها عن الحياة اليومية ، بل قربها من أذهان قرائه وجعلها فى متناول الجميع فى داخل الجامعات وخارجها ؛ وبالرغم من اهتمامه بالفلسفة نجده يعتقد بأن المنطق لا يمكن أن يتحكم فى جميع أوجه نشاط البشر . بالرغم من شهرته كفيلسوف لم يترك لنا ميل فلسفة كاملة محكمة كما فعل بنتام وجيمز ميل ، ولكنه نبه أذهان معاصريه إلى ضرورة فهم الأمور على حقيقتها وضرورة الاستعداد لتغيير المعتقدات والتقاليد كلما وجدناها جافة لم تعد تصلح للعصر الذى نعيش فيه .

كذلك لم يكن اهتمام ميل بالاقتصاد اهتماماً بالعلم ذاته ، بقدر اهتمامه بفائدته لإصلاح المجتمع . فكانت عنده رسالة يود أداءها للمجتمع ، وقد نجح فى أدائها بقلمه وبلسانه .

قرأ ميل كثيراً من المؤلفات الأدبية ، وكان يثور على أساليب والده فى تربيته التى كانت لا تعبأ بقراءة شيكسبير وسكوت إلا للفائدة التاريخية التى نجنيها من ورائها ؛ ونادى ميل بأن تكون تلك القراءة لغرض دراسة وجهة نظرها للحياة وتحليلهما للشعور والدوافع الإنسانية .

أقبل ميل على دراسة الأدب القديم والمعاصر فى اللغات اللاتينية واليونانية والفرنسية والألمانية والإنجليزية . وقد قرأ مؤلفات جولد سميث وفيلدنج وباسكال وڤلتير وكوربيه . وكان لهذا الاطلاع الواسع نتيجة محسوسة فى عمق إدراكه واتساع أفقه العالمى واستعداده للاستفادة من كل ما قرأ .

وقد استفاد من اطلاعه الأدبى من ناحية أخرى ، فقد أثرت مؤلفات مثل تاريخ حياة مارمونتل على تربيته الخلقية وعملت على تقوية إرادته ، وعزم على أن يكون لأسرته كما كان مارمونتل الصغير . ومن جهة ثالثة فإنه يخبرنا فى ترجمته لحياته كيف تحسن أسلوبه وأصبح متزناً صافياً مقنعاً للقارىء نتيجة لقراءة الأدباء الإنجليز والفرنسيين فى القرن الثامن عشر .

رابعاً فإننا نجد أن ميل عندما أصيب بصدمة عصبية فى حوالى العشرين من عمره لم يهرع إلى قراءة الفلسفة والاقتصاد والسياسة التى كان يلقنها له والده ، ولكنه وجد فى الأدب وخصوصاً فى الشعر دواء ناجعاً لحالته العصبية . فقرأ كولردج وجيته ووردزورث وكان الأخير على الأخص شافياً

لما كان يعانيه ميل من أزمة نفسية ، كما أن المحاضرات العامة والمناظرات التي اشترك فيها كونت فيه القدرة على التعبير عن آرائه بوضوح والدفاع عنها بثقة تامة تقنع من يقرأه أو يستمع إليه .

وقد ربى فيه والده أيضاً فن القراءة الصحيحة والخطابة والكتابة ، وكان يطلب منه كتابة الشعر باللغتين اللاتينية والإنجليزية ، ولكن سرعان ما أدرك ميل أن النثر أقرب إلى ميوله واستعداده الفطرى ، فهو كاتب بالفطرة اعتقد اعتقاداً راسخاً فى كل ما كتب ، وعبر عن اعتقاداته تعبيراً صادقاً :

كان العصر الفكتورى عصر ثورة وانقلابات اجتماعية ، لم يعبر عنها الشعب الإنجليزى بالسيف وإنما بالقلم فى شعر شلى ووردزورث ، وفى نثر ديكنز وآرنولد وميل . كان العصر الفكتورى عصر تردد بين القديم والحديث ، عصر انهيار المبادئ القديمة والبحث عن جديد يحل محلها ، كان منتصف العصر الفكتورى عصر تناقض ، وقد بدأ هذا التناقض على أشده فى شعر كلف ونثر ميل . بدأ العصر الفكتورى يثور على العهد الصناعى الأول الذى اعتبر الفرد مجرد آلة ، فنادى الكتاب الثائرون بضرورة تنمية الفرد تنمية فنية والعناية بجميع ملكاته . وقد نادى بذلك ميل وشارك الشاعر بليك والروائى ديكنز تلك الثورة على عصر الآلات ، كما نادى مع كيتس بضرورة التمتع بجمال الطبيعة وجمال الخلق .

كان ميل كاتباً بفطرته فقد ألف كتاباً عن تاريخ الحكم الرومانى قبل أن يكتمل السابعة من عمره . ولم تكن كتابته بالفرنسية (فى خطاباته لكونت) أقل من كتاباته بالإنجليزية روعة وبلاغة .

وقد وصل أسلوبه أعلى درجة من الكمال عند ما كان يحارب من أجل حقوق المرأة أو يمدح معبودته مسز تيلر ، أو يعبر عن حالته النفسية عندما أصابته تلك الأزمة التى أشرنا إليها ، أو يصف الطبيعة أو فن العمارة والرحلات التى قام بها فى قارة أوربا .

وقد حلل عدة شخصيات فى كتبه تحليلا يدل على عمق فى الشعور ودقة فى التعبير ، وفهم للخلق والتصرف فى الحياة ، أنظر إليه كيف صور شخصية جون سترلنج فى محاضرة له نشرها الأستاذ لاسكى مع ترجمة ميل لحياته ، وشخصية تشالز أوستن أول من عرفه ميل من زملاء فى سنه ، ثم رُوبَك الصديق الذى انضم إلى جانبه ميل ضد أبيه جيمز ميل لأول مرة فى تاريخ تربيته ، ثم كيف يصف لنا تقديره وإعجابه بمسز تيلر وفضلها على تطور أفكاره وعلى كتاباته وحياته على العموم .

كيف نقرأ له كل هـذا وننكر مكانته كأديب ؟ إنه أديب استفاد بمن جاءوا قبله ، وتأثر بمعاصريه ، وكان له أكبر الأثر على من جاءوا بعده أمثال جرين وبوزانكيه وبرادلى الفلاسفة ، ووب الاقتصادى ، وبالمرستون وجلادستون السياسيين ، والأدباء أمثال سذى وديكنز وآرنولد وكارليل . إنه أديب باحث فى كتابات السلف والمعاصرين ، أديب مؤلف فى وصفه لبيئته وأقرانه ، وأديب ناقد فيما كتبه عن الشعر وأنواعه .

وبذلك يجدر به أن يتبوأ مكاناً رفيعاً بين أدباء الإنجليز فى العصر الفكتورى ، بل بين كبار المؤلفين فى جميع العصور .

بثينة عبد الحميد محمد

الأعمال والأيام لهسيود

للأستاذ أمين سلامة

يقسم العلامة أولين هوايت منظومة « الأعمال والأيام » إلى أربعة أقسام .

(ا) قسم يخاطب فيه الشاعر أخاه « برسيس » ذلك الصعلوك الصغير يحثه على العمل وعلى أن يكون عادلا .

(ب) « الإرجا » أى « الأعمال » وتنقسم بدورها إلى وصايا فى الفلاحة ، وأخرى فى الملاحة .

(ج) مجموعة وصايا أدبية ودينية تتعلق بمواضيع مختلفة ، كالزواج ، والصداقة وواجباتها ، والاعتبارات الرسمية التى يتجنب بها غضب الآلهة ، وبعض المظاهر التى يجب اجتنابها لأنها نذير الشؤم وسوء الطالع .

(د) تقويم الأيام المحبوبة وغير المحبوبة ، ومن هنا اشتق النصف الثانى من اسم المنظومة « الأيام » .

نفهم من هذا التقسيم أن المنظومة قد استمدت اسمها من الجزأين الثانى والرابع لما لهما من أهمية عظمى .

وسنتناول الآن كلا من هذه الأجزاء الأربعة بالتحليل مراعين الإيجاز فى ذلك بقدر المستطاع .

(ا) يستهل هسيود هـذا الجزء بالصلاة والخشوع لعرائس الفن ولزوس الأكبر ، ساكن الأولمب ، ورب الأرباب ، القادر على إذلال المستخف ، ورفعة المتواضع الضعيف . ثم يختم صلاته بهذه الصيحة : « أنظر إلى واستمع لى واحكم بالعدل . أما أنا فسوف أتلو على مسامع برسيس كلمة الصدق » .

ينتقل الشاعر بعد هذه الديباجة العادية إلى الحديث عن « الكفاح » وهو من أهم مواضيع المنظومة التى تشغل الشىء الكثير من فكر هسيود ، ويفرق هسيود بين الكفاح الخير وبين كفاح آخر ، لأن الكفاح عند هسيود نوعان ، والنوع الثانى فى نظره مردول يجلب الخصام والشجار ، لا يسعى إلا وراء جمع الأموال فى جيوب الأمراء الذين لا يشبعون من الرشاوى .

ومجمل القول وقصاراه يفرق هسيود بين تنافس الناس وعدم وجود تنافس بينهم . فيعتقد بوجود كفاحين فى الحياة ، أحدهما كفاح الخير الذى يدفع الكسول إلى العمل ، فعندما يرى رجلا غنياً يحثه كفاح الخير إلى حرث أرضه وبذرها وإصلاح شئون بيته ، والثانى كفاح الشر الذى يزج بالمرء إلى الحروب والحقد والبغضاء ، وفى رأى هسيود أفضل الأعمال ما يكون لكفاح الخير ، أما المنافسة فيتوقف عليها صالح العمل فى حالة كفاح الشر .

ينتقل هسيود بعد ذلك إلى الإجابة على بعض الأسئلة بالأساطير والروايات والتاريخ ، فيقول : إن الرب زوس ، الإله الثاقب النظر ، هو الذى جعل الحياة شاقة لعداء استحكم بينه وبين بروميثيوس . كان بروميثيوس قد خدع الرب وسرق النار من السموات ، فخبأ زوس وسائل الحياة وتسبب عن ذلك شقاء الإنسان ، وصار عليه العمل لكسب قوته وسد رمقه والبحث عن رزقه وأوده فى البر والبحر بالسعى والكد .

إذاً توضح لنا قصة بروميثيوس ، كيف وُجد العمل على الأرض ، والباعث على بقائه فيها .

وليت زوس اكتفى بالعمل عقابا للبشر ، بل جعلهم عرضة للأمراض الفتاكة تدب فى أوصالهم وتنهش أجسامهم وتطاردهم أينما ذهبوا . وليته خبأ الحياة فقط ، بل خبأ النار معها أيضاً ، ولكن بروميثيوس الماكر عاد فسرقها مثيراً بذلك غضب زوس الشديد ، فأعلن أنه سيمنح البشر شيئاً مؤذيا يفرحون له ويغتبطون به ، ويرحبون به ، وهم لا يدركون أن فيه هلاكهم وبه ختام مصيرهم .

ما هذا الشىء يا ترى الذى أعطاه الرب زوس للبشر أجمعين ؟

نجيب قائلين : إنه أعطاهم جمالا عفناً مجسما فى بندورا الغراء ، ومن ثم يحاول هسيود أن يسرد لنا أسطورة بندورا والدور الذى لعبته فى تغيير مجرى حياة الإنسان . وهو بهذه الأسطورة يسعى جاهداً ليوضح السبب الذى من أجله خلقت الشرور والآلام فى هذه الدنيا وكيفية انتشارها فى سائر أنحاء المعمورة .

غضب زوس أشد الغضب من بروميثيوس اللعين ، سارق النار بقصبته الجوفاء ، وأرغى وأزبد ، وغيظ غله وضاق صدره ، فأمر هيفايستس أن يصنع عذراء بهية الطلعة جميلة الوجه ، تشبه ربات السموات فى حسنهن وشكلهن ، فلم يعص أمره ولم يخيب رجاءه ، ثم طلب من أثينا أن تعلمها الحياكة والنسيج ، وطلب من فريق آخر من الآلهة أن يقدم إليها كلٌ منهم هبة من عنده . ثم أصدر أمره إلى هرميس رسول الآلهة الذى له سرعة البرق ، أن يأخذها إلى أبيميثيوس شقيق بروميثيوس الداهية ، فتلقاها أخوه مرحبا إذ أعجبه جمالها ، مخالفا بذلك نصيحة بروميثيوس وكأنها لم تكن .

وما بال هسيود لا يكتفى بهذه الأسطورة فينتقل سريعاً إلى ذكر أسطورة أخرى هى أسطورة الخمسة العصور . ولعله قصد من إسهابه فى الحديث عنها أن يبين لنا كيف انتعش الشر فى الأرض وكيف ازدهر ، كيف نما وكيف تكاثر . ولعله أراد أن يشرح ذلك الجو القاتم المشبع بروح الخصام والعداوة التى نمت فيه هذه الشرور . توضح هذه القصة علاوة على ذلك كيف كان الظلم سر خراب البشرية ، فمن مارس العسف وأعمال العنف كان مصيره الهلاك والخراب ، أما من شجّع العدالة وقوّم الإنصاف كان له المجد والرفعة .

فكما أن أسطورة بروميثيوس تمثل فكرة « العمل » ، كذلك تمثل أسطورة الخمسة العصور فكرة « العدالة » فليس على وجه البسيطة من يستطيع الهروب من قانون العمل أو من قانون العدالة ؛ وليست أسطورة العصر خرافة ، ولكنها أمثولة غايتها أخلاقية ، كما تبين فى كثير من تفاصيلها خيال الشاعر وابتكاره المقصود .

ويعتقد هسيود أن الأجناس البشرية مرت بعصور ذهبية وفضية وبرنزية وحديدية على التوالى ، وباستحالة عودة العصر الذهبى من جديد ، إلا إذا قام المرء بأى عمل شريف ، وهو بمنظومته يريد إغراء برسيس إلى مثل هذا الضرب من التفكير .

يخاطب هسيود بعد ذلك الأمراء ويستهل حديثه قائلا : « والآن سأتلو على مسامع الأمراء قصة » ثم يحاول فى هذه القصة أن يعطيهم صورة حية لبلبل وديع يحاول التخلص من براثن صقر جشع ، ويجعل من هذه القصة رمزاً للعنف والظلم ؛ فهى خير الوسائل التى كان يستعين بها هسيود فى معالجة المشكل الذى هو بصدده ، بلهجة قوية ظاهرة المعنى واضحة المغزى « إنه مخبول معتوه من ينازل منه هو أقوى منه » ويحمل الطائر الكاسر يصيح فى فريسته المسكينة : « نعم إنه مخبول معتوه لأن الهزيمة ستنزل به فيقاسى آلامها وآلام حمرة الخجل »

وما ينتهى هسيود من سرد قصة الصقر رمز الظلم وعنوان العسف حتى يبدأ فى كتابة ما يراه ملائماً عن الظلم مقارناً بينه وبين العدل مشيراً إلى نصيب الذين يصدرون الأحكام العادلة دون أن يحيدوا عنها قيد أنملة ، من خيرات وبركات ، ونصيب الذين يستعملون العسف والظلم والجور من عقاب وجزاء .

« لن ينجح الرجل العسف بالظلم ، ولو قدّر للرجل القوى أن يهنأ بالنجاح فترة من الزمان فإن الفوز النهائى يكون للعدل ، وستزدهر أماكن العادلين ويكتب لها السلام ، وتمحى من قاموسها الحروب والمجاعات والقحط والهجرة براً وبحراً .

«ولن يُنزل زوس عقابه إلا على من انغمس فى الأفعال المشينة من آثام وأخطار ومظالم . ثم سيقضى عليهم وعلى سفنهم بطاعون فتاك أو جوع محصن بحرب ضروس أو حصار شديد وغرق اليم »

يوجه هسيود القول هنا إلى الأمراء أولاً ثم إلى برسيس ثم إلى الفلاحين عامة ، ويذكر الأمراء بأن لزوس بن كرونوس فوق الأرض زمرة من المراقبين لايمكن رؤيتهم ، يحملون أخبار الشرور والآثام إلى ديكى ابنة زوس ، التى تستوى بجوار عرشه وتخبره بدورها كل ماسمعت . وأولئك المراقبون هم بلا شك سكان العصر الذهبى الذين نقلوا إلى عالم الخلود وصاروا أرواحا تراقب أعمال البشر .

ومن ثم أفرد هسيود عدة سطور عالج فيها موضوع العدالة والظلم مستعيناً بالأمثال : « لا تزن أو تسىء معاملة

الأرامل ، أو تنهر والديك ، لأن زوس سوف ينتقم لكل هذا . من الأفضل أن تفي بقسمك وبذبائحك للآلهة كي يحابوك ويحبوك . وعليك أن تكون حسن العلاقة مع جيرانك ، ولا تدع أعداءك إلى بيتك ، ولا تؤذ أحد أصدقائك ، وكن عادلاً في معاملتك ، ولا تربح مليماً واحداً بالظلم ، أعط من يعطيك ، وأمسك يدك عمن لا يعطيك » .

ولعل هسيود كان يرمي بالحكمة الأخيرة أن يقول لبرسيس : « افعل مع الغير مثلما أنا فاعل معك الآن » . ثم يسترسل هسيود فيقول : « يا برسيس ، بالعمل الجدي يمكنك أن تدفع غائلة الجوع والفقر ، لأن الآلهة والبشر يجلون العمل ويبغضون الكسل ، فإن كنت تريد شهرة وجمع ثروة فعليك بالعمل مضاعفاً » .

بهذه المقارنة بين العدل والظلم ، وبهذه الفقرات عن الجد والنشاط ينتهي القسم الأول من المنظومة ، والغرض منه كما هو واضح ، تحسين سلوك وعادات برسيس ومنعه من السعي وراء المال عن طريق القضايا ، وحثه على أن يحيا حياة كلها عمل وجهاد ليمكنه الحصول على السعادة الأبدية .

(ب) ينتقل هسيود بعدئذ إلى الكلام عن السنة الزراعية كما يجب أن يعرفها الفلاح . وهذا الجزء من أهم وأشهر أجزاء المنظومة ، وتعاليمه أخلاقية كتعاليم الجزء الأول .

يعتقد هسيود أنه ما من وسيلة للحصول على عمل منظم إلا بإنجاز الأشياء في أوقاتها المناسبة . ولتحديد الوقت المناسب ، يرى ضرورة مراقبة الفلاح لمظاهر الطبيعة وحركات النجوم ، وخصوصاً عند بدء ظهور بعضها صباحاً قبل شروق الشمس ، واختفاء البعض الآخر في الصباح .

ويحدثنا هسيود هنا عن حياة الفلاح وعن الفلاحة نفسها والماشية وغيرها والثمار والمحاصيل . نعم كان عليه أن يكتب هذا القسم من المنظومة ليعلم الفلاحين المسرفين أمثال أخيه قوانين الزراعة والاقتصاد الصحيحة . وكل ما جاء على لسانه في وصف حياة الفلاح في بلاد اليونان يدل دلالة قاطعة على حياة اجتماعية محزنة كانت تسود بيوشيا في ذلك الوقت . ويمدنا هذا القسم ولا ريب بتعليمات موجزة عن عمل الفلاح وأوقات الزراعة ومواسمها ومواعيد الحصاد وبعض أعمال الحقل الأخرى ، ويصحب كل ذلك أقوال كلها حكم وأمثال . فهو محاولة أراد بها هسيود جمع وترتيب القوانين الخاصة بالزراعة .

ينتقل هسيود بعد ذلك إلى الحديث عن السفر في البحر محاولاً الإدلاء برأيه الشخصي فيه ، وهل هو محمود أم مذموم ، مأمون أم خطر ، فيقص علينا تجاربه في البحر ، ويخبرنا بأن معلوماته عنه مستقاة من رحلة واحدة قام بها ، ولكنه يعود فيذكرنا بما عنده من قدرة التحدث عما بفكر زوس . فعرائس الفن عندما علمنه الغناء ، علمنه أيضاً المواضيع المختلفة التي كن يشرفن عليها والتي كانت جزءاً من تمرين الشعراء .

كان البحر عند هسيود ، والسفر فيه ضرباً من الأخطار ، لا يمكن مقارنته بالزراعة ، ولهذا فالإقبال عليه لا يكون إلا في أوقات خاصة مناسبة ، ويخلق هسيود في معالجته هذا الموضوع ، من الفلاح بحاراً لعدة أسابيع ليمكنه من بيع محصولات حقله . وهو يذكر القوم هنا بضرورة المحافظة على سفنهم ومراكبهم أثناء فصل الشتاء ، ثم يلفت نظرهم إلى أنسب الأوقات للملاحة : « ليس بعاقل من يسافر بحراً في أنواء الشتاء الهوجاء ، ولكن متى بدأت أمطار الخريف تهطل ، فاسحب سفينتك فوق الشاطئ واخزنها ، مراعياً في ذلك الوسائل اللازمة ، فتخزن الحبال مثلاً في البيت حتى لا يصيبها عطب من الرطوبة ، أما الدفة فتعلق فوق الدخان . وخير الفصول في نظر هسيود للإقلاع بحراً هو في الفترة التي بعد انقضاء خمسين يوماً من انقلاب الشمس الربيعي إلى أواخر فصل الصيف .

قد يثير هذا القسم من المنظومة دهشة القارئ لافتقاره إلى التناسب ولما فيه من نقص . ففي بعض النقط نرى أن القواعد الفنية التي ننتظرها معدومة ، كما أن الوصف قد يبدو تارة مسهباً وتارة موجزاً ، فلا نجد أي ذكر مثلاً لعملية البذر نفسها أو لطبيعة الأراضي أو اختيار التقاوي ، أو أعمال الري والصرف والتجفيف ، كما لا يذكر شيئاً مطلقاً عن زراعة أشجار الفاكهة ، وإن جاء ذكر أي موضوع من هذه المواضيع فإنما في نقط لا تفي ولا تغني ، لا تروي من عطش ولا تشبع من جوع . فلم يكن لدى

هسيود أي تعليمات دقيقة ليسردها بالتفصيل للزراع ، غير صناعة أدوات الزراعة والحقل ، وآراء تتعلق ببعض أعمال الحقول ، ولكن ليس لنا أن نهضم حق جدارته الشعرية في تصويره الرائع لفصل الشتاء الذي لا يقل روعة عن أي فقرة من فقرات منظومته العربية .

(ج) يلي القسم الثاني من المنظومة عدة نصائح تحذيرية ترشد المرء إلى طرق المحافظة على العلاقات الطيبة مع الآلهة ، وإلى طرق تجنب غضبهم .

يستهل هسيود هذا الجزء فيقول : « احذر وتجنب غضب الآلهة المباركين ، لا تجعل صديقاً في مرتبة الشقيق ، اللسان الحذر أعظم كنز » . ويسترسل في ذكر نصائحه ، وهاك بعض وصاياه وسننه :

١ — « لا تصب سكيبة إلى الآلهة بأيد غير مغسولة ، وإلا فلن يسمعوا دعاءك » .

٢ — « لا تتبول وأنت منتصب القامة مواجها الشمس ، ولا وقت غروبها ، بل افعل ذلك عند شروقها . ولا تفعل هذا في الطريق أو خارجه وأنت سائر . ولا تعر نفسك فالليالي ملك المباركين » .

٣ — « لا تنجب طفلاً بعد عودتك من مأتم مشئوم ، بل عند عودتك من عند الآلهة » .

٤ — لا تعبر نهراً بدون صلاة وأنت تحدق في المياه النقية ، وبدون غسل يديك . فمن يعبر نهراً بأيد لم تغسل من الرذيلة تغضب عليه الآلهة وتجلب له الشقاء فيما بعد » .

٥ — « إياك وأن تقطع الذابل من اليانع مما له خمسة فروع بحديد مستعر في حفل مفرح من احتفالات الآلهة » .

٦ — « لا تضع المغرفة فوق الكأس في حفل تشرب فيه الخمر ، إذ يلازم الحظ السيء هذا العمل » .

٧ — لا تجلس صبياً سنه اثنا عشر يوماً فوق شيء لا يصح تحريكه ، وكذا الصبي في الشهر الثاني عشر من عمره ، لأن ذلك يجرده من رجولته » .

٨ — « لا تترك رجلاً يغتسل بماء اغتسلت به امرأة ، إذ يعقب ذلك عقاب صارم في الوقت المناسب » .

تعم هذه النصائح الأخلاقية الدينية هذا الجزء الثالث ، ويبدو أنها تفتقر كلها إلى المسببات القوية والحجج المنطقية ، كما أن وضع هذه الوصايا تحت عنوان واحد من أشق الأمور وأصعبها ، فما بها من مادة ضئيل بالقياس إلى سائر المنظومة ، ويبدو أنها كانت تدرج بالمنظومة كلما سنحت فرصة . فتارة تكون آراء عن العلاقات الاجتماعية ، وطوراً تكون وصايا دينية .

ولا يأتي ذكر برسيس هنا مطلقاً ، وليست لأية حكمة من هذه الحكم أدنى علاقة بالموضوع الأول الأساسي الذي أخلص له شاعر « الأعمال » ، وكل ما يمكننا أن نستخلصه منها هو عناية أغلبها بتحقيق الراحة في الحياة الريفية .

(د) هذا القسم قائمة تضم نصائح غالية للمزارع عن الأيام وما يتعلق بها من حظوظ . فالأيام إما سعيدة وإما مشئومة . وتارة يذكر هسيود السبب في كون اليوم سعيداً أو مشئوما وطوراً يغفله . وإذا ما ذكر السبب فإنه إما أن يكون خرافياً وإما أن يكون مستمداً من التاريخ الطبيعي .

ولا يتناول تقويم هسيود الأيام بترتيبها المعروف ، فضلا عن غموض الاسم الذي يطلقه على اليوم حتى ليبدو أن هناك شكا في اليوم المقصود بالاسم المذكور في المنظومة . وهاك التقويم الشهري بترتيب الأيام عسى أن يفيد القارئ فيعطيه فكرة سريعة عن محتويات هذا القسم بشيء من الإيضاح والترتيب : —

١ — يوم مبارك .

٤ — يوم مبارك صالح للزواج وبدء بناء السفن . لابد أن تتجنب فيه الآلام .

٥ — يوم مشئوم .

٦ — يوم شؤم لا يصلح لولادة الإناث ولكنه سعيد صالح لولادة الذكور .

٧ — يوم مبارك .

٨ — إخص الخنزير والثور .

٩ — سعيد بطوله . سيان إن أنجبت فيه أو ولدت للذكر والأنثى .

١٠ — يناسب ميلاد الذكور .

١١ — ١٢ — أحسن الأيام لأعمال البشر ، من حصاد وجز صوف الأغنام . ولكن اليوم الثاني عشر خير من الحادي عشر .

١٣ — يوم رديء لبذر التقاوى ، ولكنه حسن لغرس النباتات .

١٤ — حسن لمولد الإناث ومن أكثر الأيام بركة .

١٥ — يوم شؤم .

١٦ — يوم رديء لغرس النباتات ، حسن لمولد الذكور ، غير ملائم للإناث أن يولدن أو يتزوجن فيه .

١٧ — حسن لدرس الحبوب وقطع الأخشاب .

١٩ — أفضل بعد الظهر .

٢٠ — يلائم ظهر اليوم العشرين العظيم ميلاد رجل عاقل .

٢٤ — أحسن أوقاته الصباح ، وأتعسها بعد الظهر ، يجب تلافى الأحزان والأتراح فيه .

٢٥ — غير ملائم .

٢٧ - ٢٩ — فى أحدها انزع سدادة الجرّة وضع النير فوق أعناق الثيران والبغال والخيول ، وأنزل سفينتك إلى البحر .

٣٠ — قم بجولة تفتيشية على أعمالك ، ووزع الجراية على العمال والخدم .

يلى هذا التقويم عدة سطور أشبه بملخص إجمالى ختامى لكل ما سبق ذكره : « ياله من سعيد من يعرف كل هذه الأشياء ، ويعمل عمله من غير أن يُغضب الآلهة الخالدين ، من يلاحظ الطيرة ، ومن يتحاشى كسر القوانين .

ولو حاولنا الآن ملاحظة العلاقة بين أجزاء هذه المنظومة معتمدين على العناوين التى ذكرناها ، لوجب علينا الاعتراف فوراً بملاءمة كل جزء منها للظروف التى تخصه ، وبتحقيقها لهدف الشاعر ، إن كان هدفه تحويل فكر برسيس عن خطة الإثراء بطريق الدعاوى والمحاكم ، وحثه على أن يحيا حياة ملؤها العمل والمساواة .

ولا شك أننا سنعترف بعد هذا كله بأن هسيود كان خبيراً بشئون البيت والحقل . ولم يكن بغريب عن المحاكم والدعاوى . فهذه المنظومة تدل على أن كاتبها رجل قد اختبر الحياة وفهمها . فآراؤه عن الطبيعة البشرية وعن عصره تؤيد ذلك ، كما أنها تثبت لنا دون شك حب هسيود الشديد للنظام ، وعظيم تقديره للاقتصاديات ، فكل كلمة من كلامه للوحدة فيها ضلع كبير .

أمين سلامة

الربيع .. والشاعر !

أنا يا ربيع هنا . . . فهل تدرى إذاً منذا أكون ؟
أم قد تراك نسيتنى . . . فيما نسيت من الشئون ؟
أنا ذلك الحادى الذى ملأ الجوانب . . . بالفنون !
أنا ذلك الشادى . . مع الأطيار . . . ! ما بين الغصون
سلب الزمان سعادتى ... ومضت بأحلامى السنون !

* * *

أنا يا ربيع أتيت . . . والأوهام تملأ خاطرى . . .
أرنو إلى تلك المفاتن . . . لا تثير مشاعرى . . .
وأسير سير مشرد . . . قلق العواطف ثائر !
وا حرقتاه لما يجيش به . . . فؤاد الشــاعر !
من نار تلك الذكريات الماثلات . . . لناظرى !

* * *

أنا يا ربيع . . . طريد تلك الذكريات الماضيه !
أنا يا ربيع . . . رهين قيد الحادثات العــاتيه !
فأرى الزهور الناضرات . . . بدت لعينى ذاويه !
وأرى الرياض المزهرات . . . وقد تراءت خاويه !
حتى الطيور الشاديات . . . بدت بسمعى باكيه !

* * *

أنا يا ربيع هنا وقفت اليوم . . . أرثى وردتى .
تلك التى عصفت بها نوب القضاء . . . فجفت .
لهفى على تلك الشهيدة . . . ما أشــد تعاستى .
لهفى عليها حين مالت . . . فى ظلال الدوحة .
وثوت هناك . . . بذلك الركن الحزين ... بروضتى .

عبد المنعم عواد يوسف

نور الدين وصلاح الدين

للأستاذ أنور الجندى

بينهما تلك الرابطة القوية بين خالق النهضة وحامل لوائها . . . وبين راسم الخطة ومنفذها . . . وبين القائد الأستاذ ، والجندى التلميذ . .

كانت الغاية بينهما جمع كلمة المسلمين للوقوف فى صف قوى وجبهة عاتية لمقاومة الصليبيين ورد غائلتهم ، وإجلائهم عن المناطق التى احتلوها غدراً وبغياً فى القدس وطبرية ومشارف الشام . .

وإن كان التاريخ قد حفظ صفحة وضاءة قوية ، لصلاح الدين ، فإن التطلع الحصيف ، يستطيع أن يستشف من ورائها مكان الرجل العظيم (نور الدين) الذى عبد الطريق ، وهيأ الجو ، فلما جاء دور صلاح الدين استطاع أن يصل إلى مايريد على أوسع نطاق . .

ولولا الحلقة الضخمة من الكفاح التى بدأها نور الدين ، لكان الأمر أمام صلاح الدين جد عسير ، ولما أمكن أن يصل إلى ما وصل إليه من ظفر .

ونستطيع أن نقول فى نفس الوقت إن رسالة نور الدين وقد مات مبكراً ، كانت تنتهى إلى غير ما يريد ، لولا أن كان من ورائه صلاح الدين ، بقوته ، وحماسته ، وطموحه .

وعلى الرغم من أنهما حملا رسالة واحدة ، فقد كانا مختلفين فى الطبع والمزاج والخلق ، وأسلوب الكفاح ، اختلافا يخيل إليك من فرط اتساقه مع الزمن واختلاف الأمور ، أنه جاء مرتباً ، ولم يكن محض مصادفة ، اختلاف الشمائل والطباع بين الرجلين .

أما نور الدين فهو الرجل الشديد الإيمان ، الذى يرى سلاحه الخلق وحده ، والذى عرف بالتدين والعدل ورعاية التقاليد . .

وهو إلى ذلك لم يكن يعترف بأساليب السياسة ، بما فيها من مناورات وبراعة وحيلة ، وإنما يتخذ أسلوب « الإيمان » وحده ويجعله سلاحه ووسيلته وأسلوبه جميعاً .

وكان من فرط إيمانه ذلك ، أنه رفض أن يوسع مملكته ، وكانت فى يده القوى الحربية المهيأة ، بالإضافة إلى ضعف الإمارات المتاخمة له ، . . ولكنه صرف قوته الحربية فى مواجهة الفرنجة ، وإجلائهم ومقاومتهم ، وكسب ما وضعوا عليه أيديهم من حصون وقلاع .

وكان يطمع فيما هو أكبر من الملك ، ومن السلطان ، ومن الغايات الضيقة المحدودة التى تضطرم بها نفوس الأمراء والولاة . . ، كان يطمع فى أن يجمع كلمة المسلمين إلى وحدة خالصة ، وكان يرجو أن يحقق الدولة الإسلامية الواحدة . . وقد استطاع أن يصل إلى كثير مما أراد . .

وقد أتاح له ذلك الطبع السديد كسباً ضخما ، فسرعان ما صفت له قلوب الأمراء والحكام من حوله . . وأجمعوا على الثقة الخالصة به ، وآمنوا بأنه لا يطيب لنفسه ، وإنما لأمته ، فأحبوه ، وأسلموا أمرهم إليه ، ومضوا يسيرون خلفه ، وينتظمون فى الكتيبة التى أعدها لمجاهدة الفرنجة .

وبذلك قطع على خصومه الطريق الوحيد الذى كان سلاحهم البتار فى كل العصور والأزمنة ، سلاح التفرقة والإيقاع بين الصفوف الموحدة . .

وكان نور الدين أقرب إلى الدعاة منه إلى الساسة والأمراء ، فكان ذلك من أسباب ظفره وانتصاره . فقد كان يجمع القلوب حوله ، وينظم صفوف الجهاد ويديل من خصومه ، وهو فى نفس الوقت موضع إكبارهم واحترامهم .

وفى أيامه أقبلت الحملة الصليبية الثانية . . وكان من أثر سياسته القائمة على الخلق والإيمان وحدها . . أن فشل الفرنجة فى الاستيلاء على دمشق ، ومن ثم ارتدوا مهزومين .

وتحولت الريح الإسلامية من الدفاع إلى الهجوم . . ، فلما جاء صلاح الدين كانت الأمور قد تهيأت له ، ليدفع دفعات قوية فى وجه الصليبيين .

* * *

أما صلاح الدين فقد وطدت له الظروف والأحداث بعدة ضربات سريعة متوالية ، مركزا ضخما فى القاهرة ثم

في الشرق .. لم يكن من المتقصد أن يصل إليه .. لو أنه ظل على عمله الأول في صفوف نور الدين ..

كان « الموت » هو السلاح الذى هيأه له القدر ليحقق له الوصول إلى مركزه الخطير ..

جاء أول الأمر تابعاً لأسد الدين شيركوه ، فلما قضى أصبح الرجل الأول ، وولي الوزارة .. وبعد وقت قليل مات الخليفة الفاطمى ، وكان العقبة الثانية .. فلما بدأ يفكر بالاستقلال بمصر، لم يكن يرده غير أبيه ووجود نور الدين ، فلما ماتا .. أصبح عميد الشرق ..

وكان صلاح الدين سياسياً بارعاً قديراً على المناورات والمداورات ، وله في صراعه مع خصومه أسلوب غير أسلوب نور الدين .

وكان تطور الظروف والأحداث ، قد جعل أسلوب صلاح الدين متسقاً مناسبا ، بعد أن مرت الفترة التمهيدية ، التى هيأت لها الظروف أسلوب نور الدين .

ولا شك أن أقوى صفحة في تاريخ صلاح الدين كله ، هى معركة « حطين » التى أوقع فيها الهزيمة بالصليبيين ، وأسر جودفرى ، وارناط ، وغيرهم من ملوك الفرنجة ، أصحاب الرملة ، وحصن جبيل وطبرية ، وتمكن بذلك من استرجاع بيت المقدس ، وفتح دمشق وحلب والموصل .

وتلا هذا النصر ، معركة إعادة « السنّة » في مصر ، بعد أن استأثرت بها « الفاطمية » دهراً ، وهى معركة تطلبت الكثير من المرونة والحكمة واللباقة . التى أتيحت لصلاح الدين بمؤازرة أعوانه ، القاضى الفاضل ، وقراقوش ، وعيسى الهكارى .

* * *

كان تطور الأمور في مصر ، هو السبب المباشر للخلاف بين نور الدين وصلاح الدين ، غير أن هذا الخلاف ظل خفيا دفيناً ، متواريا ، إلى وقت غير قصير . وشاءت الأقدار عند ما كاد أن يتكشف ، أن يموت نور الدين ، فيخلص الأمر كله لصلاح الدين ، ويحقق ما يريد .

إن نفس صلاح الدين ، بعد أن تحطمت أمامه القيود ، تاقت إلى أكثر من الوزارة ، وقد عبر عن ذلك بقوله : « لما يسر الله لى الديار المصرية علمت أنه أراد فتح الساحل لأنه أوقع ذلك في نفسى » .

وقد بدأت هذه الأمور تثير شك نور الدين وتزعجه ، غير أن صلاح الدين ظل حريصاً على أن يكتم أمره ، وكان لوالده أثر في هذا الاتجاه .

وحاول صلاح الدين أن يصل إلى قلب نور الدين عند ما علم هذا الجفاء ، فأرسل إليه هدية من نفائس القصر الذى استولى عليه ، غير أن نور الدين لم يعر الهدية على جلالها اهتماماً ، وقال كلمته الخالدة التى تمثل الفارق بين فهميهما وخطتيهما ... « ما أنفقنا الذهب في مصر وبنا إلى الذهب حاجة » ..

وبقى صلاح الدين يؤمن في دخيلة نفسه أنه رجل مصر كما أن نور الدين رجل الشام .

وكان نور الدين حريصاً على أن يعاونه صلاح الدين في مهاجمة الفرنجة ، غير أن صلاح الدين كان يرى أن يبقى على قوته فلا يبددها ... مدخراً إياها للأحداث التى تنتظره في مصر ... فضلا عن أنه كان يعارض اتجاه نور الدين في مطاردة الصليبيين ، لاسيما في المنطقة بين مصر والشام وكان القاضى الفاضل يقول : إن هذه القوات بمثابة الخليج الذى يعصمهم من شر نور الدين ، ويجعلهم في مأمن منه ، حتى يثبتوا أقدامهم ، فلا يستطيع بعد إخراجهم من مصر . ومن آيات ذلك أيضاً أنهم أبقوا على « إرناط » في منطقة القدس حتى لا يخلو الطريق بينهم وبين رجل الشام .

وأحس نور الدين بالاتجاه الجديد الذى يمضى فيه صلاح الدين منذ أن قبل الوزارة وارتدى خلعتها ، قبل أن يصله الإذن منه .

وبالرغم من أن نور الدين كان يزعجه أن يستقل صلاح الدين بمصر ، فإنه كان حريصاً على ألا يقوم بعمل ضده ، وقد صرف النظر عن فكرة مهاجمته وإخراجه من مصر .

وكان صلاح الدين يخشى سيده ، ويفكر طويلا في أمره ، ولا يخطو خطوة إلا وهو يقدر فيها ما يكون من رأى نور الدين .

غير أن القدر الذى كان في صف صلاح الدين على طول الخط ، قضى في الأمر ، فمات نور الدين ، ولم يكن معلوماً ماذا كان يحدث بينهما لو ظل حياً .

ولما قضى نور الدين ، أسلمت زعامة الشرق لصلاح الدين ، فأدى واجبه على أصدق وجه ، وعقد على رأسه عصابة الحرب ، فلم يدعها حتى قضى في ميدان الوغى .

أنور الجندى

ألحان الخلود

للآنسة نعمات أحمد فؤاد

[هذه كلمة صادقة عادلة تتحدث عن الأديب زكي مبارك الذي كان حقا نسيج وحده في عالم الأدب ، ويسر الثقافة أن تقدمها إلى قرائها في هذا العدد والذي يليه]

سأتناول في هذا المقال ديوان (ألحان الخلود) للدكتور زكي مبارك ، وقد اخترته موضوعا للكتابة عنه ، وليس بخير كتبه ، ولكنه في خصائصه الفنية صورة منه في آخر حياته . والصورة الأخيرة ألصق بالذهن من الصورة الأولى ، لأنها آخر ما وقعت عليه العين ، كما أن اللحن الأخير أبقى رنيناً في الأذن لقرب عهدها بالسمع في دنياه .

ومن يقرأ ديوان (ألحان الخلود) يظفر في شعر الدكتور زكي مبارك بوحدة الموضوع التي نفتقدها في نثره . ومما ييسر المقارنة بين نثره وشعره أن ديوان « ألحان الخلود » ليس شعراً خالصاً ، بل ضم نثارات من نثره ، فقد كتب لمعظم قصائده مقدمات طويلة كما كتب للديوان مقدمة نثرية تربى على خمسين صفحة .

وشعر الدكتور زكي مبارك أجزل من نثره ، وكان يعمد فيه إلى الرصانة وهو يبث في ثناياه كثيراً من الألفاظ اللغوية ، فيستعمل لفظة (البأد)[1] بمعنى الحسد و (عند)[2] بمعنى رأى ، (والضوابئ)[3] بمعنى النيران في قصيدة (دار الوجد ودار المجد) وهي من رائع شعره وإن كانت لا تخلو من شطحاته وهو فيها نجاج صادق العاطفة ومن أبياته فيها مخاطباً أهل الغرب :

أكان العلم في عالي سناه ذريعة الاسترقاق والاستهلاب
أروني منة أسلفتموها بلا نهب يراد ولا اغتصاب
فلا كان علمكم ليوم يهون بجنبه يوم الحساب
ولم يسلك علمنا إلا نظيراً
لضوء الشمس يزهد في الثواب[4]

ومنها في مشاطرة أهل الاسكندرية :

بأهل اسكندرية بعض مابي
من الأحزان للثغر المصاب
أتلك قيامة قامت فدكت
حصون البأس من تلك الطوابي ؟
فمن كهل سديد الرأي يمسى
لوقع الهول مفقود الصواب
ومن رشأ تصيره الرزايا
وقيذ الشيب في شرخ الشباب
ومن عذراء يلفظها حماها
فتخرج للبلاء بلا نقاب[1]

وله أبيات رقيقة كمقطوعة (كيف النجاة)[2]

رباه صفت فؤادي من الأسى والحنين
ولم تنشأ لضلوعي غير الجوى والشجون
فكيف تصفو حياتي ؟ من الهوى والفتون
أم كيف ترجى نجاتي ؟ من ساجيات الجفون

ومن قصيدة (لقاء جمال الجمال) :[3]

لقد صار باب اللوق كعبة عاشق
يحج إليها ناسكا يتبتل
إذا صرخ الوابور قلت لعله
بشير بوحي من سمائك ينزل
وأنظر في كل الوجوه بلهفة
كأنك في كل الأسارير تقبل

ومن قصيدة (احتجاب البلبل)[4]

(1) في قصيدة (مصر الجديدة) ص ٦١ .
(2) ص ٦٣ من نفس القصيدة .
(3) من قصيدة (دار الوجد ودار المجد) ص ٨٦ .
(4) من قصيدة (دار الوجد ودار المجد) ص ٨٧ .

(1) من قصيدة (دار الوجد ودار المجد) ص ٨٧ .
(2) ص ٩١ .
(3) ص ١٠٣
(4) ص ١٠٧

ما الحب ؟ ما سحره ياناعماً سهرت
علیـه فی غفوات اللیل أجفـانی
يروعك الصمت من شعری فتسألنی
عن سر صمق سؤال العاطف الحانی
أجب إذا شئت عنی إنی غرد
لا یحسن الشـدو إلا فوق أفنان

وله غير هذه قصائد أخرى عامرة الأبيات مثل قصيدة (غريب فى باريس)[١] وقصيدته بعنوان (لوعة ودمعة)[١] التى ذرفها على رئيس الحزب الوطنى المغفور له محمد بك فريد[٣] ، وقصيدته (غرام سنتريس)[٤] .

ونلاحظ أن الدكتور زكى مبارك مع تكثره بالألفاظ اللغوية فى شعره لايرى غضاضة فى حشد ألفاظ عامة أيضاً فى هذا الشعر كلفظة « الوابور » فى أبياته التى استشهدت بها من قصيدة (لقاء جمال الجمال) مع جودة المعنى فى هذه الأبيات .

وله قصائد على نسق الرباعيات كقصـيدته بعنوان (١٨ يوليو)[٥].

والدكتور زكى مبارك لايلجىء الناقد إلى طول النظرة وإمعان الفكر ، لأن ظاهراته الفنية فى ديوانه (ألحان الخلود) بادية المتطلع يلمسها فى يسر . فما هذه الظاهرات ؟

أولها تنوع حرف الروى فى القصيدة الواحدة

وذلك لطول نفسه وهذا التنوع يسعفه فى النظم ويجنب شعره الملل ، وهو لا يجنح إلى هذا التنوع فى كل قصائده ، فـكثير منها يلتزم فيها البحر والقافية فى أبيـات القصيدة كلهـا .

وقد أعفى نفسه من قيود رآها العروضيون لزاما على ناظم الشعر ، فقد نصوا مثلا على أنه لا يجوز تكرير اللفظ الواحد إلا بعد سبعة أبيات ، ولـكنه ارتضى لنفسه التكرار متحللا من هذا الشرط فى قصيدة (ليلة العيد)[١] وقصيدته بعنوان « إليك »[٢] .

وقد أجاز لنفسه تكرير اللفظ الواحد حين يوجبه المعنى مستشهداً بالقرآن الـكريم فى سورتى (قل أعوذ برب الناس و (الرحمن) حيث كررت كلة الناس هناك والآية (فبأى آلاء ربكما تكذبان) هنا .

وإذا كان يجيز لنفسه التكرار فى الشعر وهو غير سائغ فيه ، فلا عجب أن رأيناه يكثر منه فى النثر ، وشاهدنا هـذه العبارة على سبيل المثال :

(إنى نادم على ما أرقت من الحبر فى الـكتابات السياسية ، فليس فى مصر سياسيون يسمعون أصـوات الرجال الصادقين .

إن الأدب هو الباقى
إن الأدب هو الباقى
إن الأدب هو الباقى)[٣]

قد يعمد الكاتب للتكرار على سبيل التوكيد أو غيره من الأعراض البلاغية ، ولـكنه هنا قلق فى الأسـلوب منعكس عن القلق النفسى عند صاحبه .

ومن خصائصه الظاهرة فى فنه ، عزوفه عن المدح شمما واستكبارا

لقد رثى الأستاذ طه الراوى وكيل وزارة المعارف العراقية . والرثاء لون من ألوان المدح ، ولـكن الشاعر رثى صديقاً من قطر آخر ولوأنه شقيق ، أما إذا صدر المدح عن غير عاطفة من المادح وعن غير جدارة من الممدوح فهو تزلف لايشرف به صاحبه .

والدكتور زكى مبارك فى مدحه على ندرته لايترخص . لقد مدح طلبة المعهد العالى لفن التمثيل ، ولـكن المدح هنا تشجيع لأبنائه كما دعاهم . وقـد مدح أساتذته بالأزهر والجامعة المصرية[٤] ، ولـكن ثناءه هنا شكر ووفاء تلميذ

---

(١) ص ٣٠٥ .
(٢) ص ٣١١ .
(٣) ص ٣١٢ .
(٤) ص ٣١٤ .
(٥) ص ١٥٨ .

(١) ص ٣٣٤ .
(٢) ص ٣٨١ .
(٣) ص ١٣ .
(٤) ص ٣٧٨ .

لأستاذ جليل . وهو لا يعتبر هذا مدحاً بالمعنى الشائع من لفظة (المدح) فقد كتب فى فاتحة الديوان يقول :

(ليس فى أشعارى مديح ، فما أعرف رجلاً أعظم منى لأنظم فيه قصائد المدح[1]) . . . وهذه العبارة تفسر فى نفس الوقت اعتزازه بكرامته . فليس أثقل على النفس من شعر المدح الرائف ، لأن تقدير الحسن واجب ، ولكن المدح والمبالغة فيه إلى حد الملق إهدار للكرامة الإنسانية .

ولكنه من مميزات الدكتور زكى مبارك الزهو

فهو معجب بنفسه وبما يصدر عنها ، يطلع على الناس بالكتاب يؤلفه ويحذرهم من نقده ، بل يقطع بهذا فيقول عن ديوانه (ألحان الخلود) : « لن يستطيع ناقد متحذلق أن يكتب حرفاً فى نقد هذا الديوان ، فما عرفت اللغة العربية فى تاريخها القديم وتاريخها الحديث قلماً أمضى من قلمى أو بياناً أبلغ من بيانى » .

وكتب فى موضع آخر يقول :

« قال الدكتور محمد صبرى إن ديباجتى الشعرية ديباجة بحترية ، وهى كلمة يريد بها الثناء ، ولكنى عند نفسى أشعر من البحترى ، وأشعر من جميع الشعراء ، لأنى ملك الشعراء[2] » .

ويتمثل هذا الزهو فى سرد مؤلفاته وإجازاته العلمية من وقت إلى آخر كما فى الصفحات ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٤ .

وقد اعترف هو بهذا الزهو اعترافاً صريحاً فى مقدمة الديوان حيث قال : « فصاحبنا — يعنى نفسه — مفتون بنفسه أشد الفتون ، وهو يرى نفسه أذكى الناس وأقوى الناس ، ولم يخطر بباله أن الله أنشأ إنساناً أصح منه عقلاً وأقوى جسماً ، ولولا نشأته على الوقار لكان من كبار المصارعين[3] » .

ومما يلاحظ أنه كان كثير التناقض ، ذلك بأنه مع كل هذا الفخر بالنفس ومع كل هذه الخيلاء يتطامن أحياناً ويخفف من غلوائه كما قال فى حديثه عن أبى تمام : « لا أنا ولا ألوف من أمثالى يصلون إلى منزلة أبى تمام الشعرية[4] »

وهذا التناقض يبدو فى مدحه للدكتور طه فى فاتحة الديوان[1] وقدحه فيه بعد صفحات معدودة[2] ، كما يبدو تناقضه فى ذكره للعشماوى باشا بالخير[3] حين دعاه إلى وزارة المعارف بعد أن أخرج منها ثم انثنى عليه بالذم لتعطيله الدراسة وفقاً لمقتضيات السياسة[4] .

وأما أسلوب الدكتور فقد كان مفككاً غير متساوق

ولعل ظاهرة التفكك هى الطابع المميز لأسلوبه الذى يحمل عنصر المفاجأة ، فهو يتكلم فى موضوع ويخرج منه إلى غيره ، وقد يعود إليه أو ينتقل إلى ثالث ، وهكذا فى غير ربط أو تناسق مما يبعث على الضحك أحياناً . فهو كالعصفور يثب من هنا إلى هناك ؛ فبينما هو بجانبك إذا به قد طار عنك وحط فوق شجرة ، ثم يهبط ليطفر فى المرج ، ثم ينشر جناحيه ليحلق فى فضاء الله الفسيح .

والدكتور زكى مبارك يذكرنا دائماً بوالت ديزنى الذى يعرض عليك الصورة فلا تستطيع أن تتكهن بما بعدها .

ومن عجب أن هذه الظاهرة تستهوى كثيراً من قرائه ، ولعلها تفسر اتساع توزيع البلاغ فى الأيام التى تنشر فيها لزكى مبارك . وهاك مثالا فى تفكك أسلوبه إذ قال :

« ابتدأ أبو تمام حياته سقاء بجامع عمرو ، وهو أول مسجد أقيم بمدينة الفسطاط ، ولهذا يصلى فيه ملوك مصر صلاة (الجمعة اليتيمة) وهى آخر جمعة من شهر رمضان .

متى يصلى ملوك مصر صلاة الجمعة فى (جامع الفتح) وهو أول مسجد أقامه المسلمون فى مدينة دمياط !

إنه مسجد مجهول ، وقد صليت فيه فوق أكداس من التراب .

لو زار الملك فاروق (جامع الفتح) لبكى عليه أحر البكاء .

إن المسجد يبكى من مرارة النسيان .

وبإشارة من جلالة الملك يمضى وزير الأوقاف لزيارة المسجد فيراه أطلالا فوق أطلال .

المسجد محاط بالمقابر من جميع الجوانب .

---

(1) ص ٦ .
(2) ص ١٨ .
(3) ص ٥٤ .
(4) ص ٢٥ .

(1) ص ٢٢ .
(2) ص ٢٩ .
(3) ص ٣٣٩ .
(4) ص ٣٤٩ .

إنها مقابر المجاهدين الذين قاتلوا الصليبيين ، وكانت دمياط ثغر مصر أيام الحروب الصليبية .

المصطافون فى (رأس البر) لم يروا تلك البقعة الحزينة ، فلهم فى رأس البر مناعم يعجز عن وصفها الخيال . مضيت أصطاف برأس البر فانزعجت ورجعت بعد أن كلت جفوني بتراب تلك الأطلال .

إنها منزلة لايعرفها المترفون من الوزراء والكبراء ، منزلة منسية لاتقام فيها لله صلاة ، ولا يسمع فيها أذان .

قرأت على إحدى المقابر : «لا إله إلا الله محمد رسول الله» .

وعلى مقبرة ثانية قرأت : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك » .

وعلى مقبرة ثالثة قرأت : « لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار » .

عنـد ذلك طار صوابى ، وتذكرت زياراتى لمقابر « بيرلاشيز » فى ضواحى باريس ، فقد وجدت مقبرة جندى مجهول جاهد فى استرداد الألزاس من الألمان ، وقد أوصى أن يكتب على مقبرته هذه العبارة المحزونة :

France ! Souviens-toi

والمعنى تذكرى يا فرنسا .

هل تذكرت فرنسا ؟ وهل تذكرت مصر ؟ لقد أبليت شبابى فى الدفاع عن وطنى فما رجعت بغير الحرمان من خيرات وطنى .

إن لى أسوة برسول الله وقـد أخرجه قومه من وطنه الغالى ... الخ[1] .

فهذه كتابة أقرب ما تكون إلى أحلام اليقظة التى يستعرض فيها الخيال والذاكرة حشداً من الصور لارباط بينها .

والدكتور زكى مبارك يحس بعدم تماسك أسلوبه ، فقد كتب فى ختام فاتحة ديوانه يقول :

(إن القارئ سيلاحظ أن هذه مقدمة مبعثرة بعثرة لطيفة ، فهى غير منسقة الأجزاء ، وأشرح السبب فأقول : إنى كتبت هـذه المقدمة فى أوقات مختلفات ، وفى أماكن مختلفات ، وكان لكل زمان ولكل مكان تعبير خاص . وفى المقدمة معان مكررة ، وقد أبقيت على التكرر من

(١) ص ٢٦ — ٢٨ .

المعانى ، لأنه يصور عواطف كان لها فى روحى مذاق ، ولكل لفظ يوحى به الشعور مذاق)[1] .

ويتصل بهـذه الظاهرة عنـده ظاهرة أخرى هى (الاستطراد) فهو فى انتقاله من موضوع إلى موضوع يحلو له أحياناً أن يمضى فى الموضوع الجديد طويلا ثم يعود إلى الموضوع الأول .

وهذه الظاهرات تخف كثيراً فى شعره ، ولهذا يبدو شعره أوفر اتزاناً من نثره الذى يعتبر بعثرة أدبية .

وقد اعترف الدكتور زكى مبارك بتمكك أسلوبه كما رأينا بعد أن وصفه بالدقة فى فاتحة الديوان وجعلها خصيصة من خصائصه . ولست ألمح هذه الدقة ، بل على العكس أرى فى أسلوبه إسرافا فى الوصف فى الرضا والغضب ، وفضفضة فى النسج لا تتسنى معها الدقة بحال ، فهو يهدر كالبحر فى ثورته ، ويقذف على الشاطئ أخلاطا منها الزبد والحصى والصدف ، ولكنه مع هذا يكمن فى أعماقه اللؤلؤ والمرجان . وقد تعثر على بعض غواليه فيما ألقى على الشاطئ من أصداف .

(للبحث بقية) نعمات أحمد فؤاد

(١) ص ٤٨ .

نقد

تاريخ الإصلاح في الأزهر

تأليف الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي

٢٨٥ صفحة من القطع الكبير — مطبعة الاعتماد بمصر

للأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن

أغرانى هذا الكتاب بقراءته لأنه يحمل فى عنوانه تاريخ إصلاح ، وترجمة حركة تجديديه ، ومتابعة تطور فى أكبر جامعة إسلامية ، بل فى أقدم جامعة عالمية تسبق جامعات أكسفورد وكامبردج ، وباريس ، وهارفارد ، وغيرها ببضع مئات من السنين .

ثم زاد الإغراء حين عرفت أنه لعالم أزهرى غير مجهول المكان ولا منكور الفضل ، فقد كنا نقرأ له من بعيد مقالات ورسائل فى صحف سيارة وفى مجلات مشهورة ، ثم قرأنا له من قريب كتباً رصينة عميقة البحث من مثل : « القضايا الكبرى فى الإسلام » و « النظم الفنى فى القرآن » و « شباب قريش فى العهد السرى للإسلام » و « الكميت ابن زيد » و « لماذا أنا مسلم » و « النحو الجديد » وغيرها من الكتب التى خاض بها المؤلف كل معترك ، ونزل كل ميدان . . . فهو فقيه ، وأديب ، ومؤرخ ، وبلاغى ، ومنطقى ، ومشتغل بتاريخ الفلسفة ، وهو فوق ذلك كله داعية من دعاة الإصلاح فى الأزهر .

وإذا كان هذا الكتاب الذى نتحدث عنه اليوم تأريخاً لحركة الإصلاح فى الأزهر على عمومها ، فإنه من ناحية أخرى يشتمل على صفحات خاصة من جهاد المؤلف وجهوده فى سبيل الإصلاح . وهى صفحات أحسن المؤلف بجعلها فى قسم ثان من الكتاب ، حتى لا يختلط الإصلاح الخاص بالإصلاح العام ، وحتى لا يبرز الحديث عن النفس فى معرض الحديث عن الغير ، فتشوه خصوصية الكلام عموميته ، وتجعل من الكتاب معرضاً لعمل خاص ، أو مباهاة بمشاركة فى إصلاح . وفى ذلك ما فيه من دواعى الزهو والاختيال ..

ولم يكن الشيخ عبد المتعال الصعيدى مزهواً ولا مختالاً حين سجل فى كتاب له عن إصلاح الأزهر آراءه وبحوثه وكلماته فى سبيل الإصلاح ، تلك الكلمات التى لم تذهب هباء ولا جفاء ، ولكنها مكثت فى الأرض لتشهد ثمرات تلك الدعوة التى كان المؤلف أحد رجالها .

ولم يكن المؤلف مزهواً ولا مختالاً حين تنبه منذ زمن غير قريب إلى خطر الطريقة الأزهرية فى التعليم فقال فيها : (وكان ابن خلدون من بقايا الفلاسفة الذين يرون أن مجال البحث الفلسفى هو كتاب الكون ، لا عبارات الكتب والمتون ، فلم يرض عن تلك الطريقة التى تجعل فى « زيد قائم » مائة وثلاثين بحثاً . . . فلا شك أن هذه البحوث فى مثل هذا لا قيمة لها ، وإنما هو إفلاس فى العلم أخذ يوجهه هذه الوجهة الخاطئة ، ليكون علمنا هزلاً لا جدا ، وطبلاً أجوف لا يحوى شيئاً . . ولكن ابن خلدون لم يجد من يسمع له فى عصره ، لنسير فى تلك الطريقة العقيمة فيما توالى من القرون بعد ذلك القرن ، وتسير أوربا فى البحث الفلسفى فى كتاب الكون . . . فنصل إلى ذلك التأخر الذى وصلنا إليه ، وتصل أوربا إلى تلك العظمة التى وصلت إليها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

ولم يكن المؤلف مزهوا ولا مختالا حين دعا مراراً إلى أن تستبدل بالكتب القديمة فى الأزهر كتب جديدة تسرى فيها روح العلم ، وإلى أن يفتح فى العلوم باب الاجتهاد الذى ظل موصداً أمام المسلمين والمفكرين ؛ حتى « علم التوحيد » الذى قد يقال إنه لا مجال فيه للاجتهاد والتجديد . . . فهو أشد علوم الأزهر حاجة إلى الإصلاح ، لتقوم دراسته الجديدة على أساس أن مسائله الخلافية بين الفرق الإسلامية مما يقبل الاجتهاد ؛ وبهذا يمكن أن يقضى علم التوحيد فى ضوء

التجديد على تلك الخلافات المتعصبة بين فرق إسلامية تتناكر وتترامى بالكفر والفسوق والخروج عن حظيرة الدين .

وإذا كان أئمة المسلمين قد أجازوا الاجتهاد بينهم حتى في العقائد ، فكيف يصح أن يجيزوه فيما بينهم ويمنعوا منه غيرهم ممن جاء بعدهم ؟ .

وهذا الكلام في الاجتهاد ووجوب فتح بابه من جديد يذكرنا بكتاب « يوم الإسلام » الذى ظهر للأستاذ أحمد بك أمين من أيام ، وعرضناه في هذا الباب من الحلقة من أمد قريب ، فإن الأستاذ أحمد أمين يدعو إلى الاجتهاد المطلق ، كالذى فعله معاذ بن جبل ، وعلى بن أبى طالب ، وعمر بن الخطاب والأئمة الأربعة ، وداود الظاهرى ، والطبرى وابن تيمية ؛ ويرى أن الاجتهاد والعودة إليه بعد إيصاد بابه هو أحد سبيلين لإصلاح حال المسلمين اليوم ، الذين اعترفوا على أنفسهم بالعجز وضعفت ثقتهم فى نفوسهم

لقد بلغت صفحات الجهاد الخاصة لمؤلف الكتاب نصف الكتاب كله ، ولكنها مع خصوصيتها لا تضجر القارىء ولا تشق عليه ولا يشتم منها رائحة افتخار أو زهو ، لأنها تسجيل موضوعى لمقالات نشرت وبحوث كتبت فى سبيل إصلاح الأزهر ، وهى مستندة إلى التواريخ التى نشرت فيها ، وإلى الصحف والمجلات التى ظهرت بها منذ أكثر من ربع قرن .. ولعل من حق الشيخ المؤلف أن ينشرها فى كتاب يتحدث عن حركات الإصلاح الأزهرى ، بل لعل من حق التاريخ أن يسجل المؤلف صفحاته وأن يجمع من منثورها على الزمن ما جعل منها صفحة بيضاء ناصعة الجبين .

أما القسم الأول — أو النصف الأول — من هذا الكتاب فهو فى التأريخ لحركات الإصلاح الأزهرى على وجه العموم . والمؤلف هنا مؤرخ أمين ؛ فهو يتابع البذور الأولى للإصلاح بعد عصر انحطاط الأزهر فى عهد الدولة العثمانية . وهو يتسمع فى يقظة المؤرخ وفطنته إلى كل حركة للإصلاح ولو كانت همساً بين الشفاه ... فهذا «أحمد باشا كور» الذى عين فى سنة ١٧٤٨ م واليا لتركيا على مصر . . . ألم يبلغ منه العجب مبلغه حين اجتمع بالمشايخ : عبدالله الشبراوى ، وسالم النفراوى ، وسليمان المنصورى ، فعلم منهم أنهم لا يعرفون مسائل العلوم الرياضية . . !

ألم ينقل لنا المؤلف — عن المؤرخ الجبرتى — ذلك الحديث الذى دار بين الوالى أحمد باشا كور وبين الشيخ الشبراوى ، ويبدؤه الباشا الوالى بقوله : المسموع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع الفضائل والعلوم ، وكنت فى غاية الشوق إلى المجىء إليها . . . فلما جئتها وجدتها كما قيل : تسمع بالمعيدى خير من أن تراه !

فيقول الشيخ الشبراوى : هى يا مولاى كما سمعتم معدن العلوم والمعارف . . !

فيقول الباشا الوالى : وأين هى ؟ — وأنتم أعظم علمائها — وقد سألتكم عن مطلوبى من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئاً ؟ وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول والوسائل — مثل النحو والصرف — ونبذتم المقاصد — مثل العلوم الرياضية ؟

ويستمر الحوار بين الباشا الوالى والشيخ الشبراوى .. ويتكشف فى النهاية عن وجود أزهرى يحسن معرفة تلك العلوم الرياضية ، هو الشيخ حسن الجبرتى ، والد الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ المشهور للحملة الفرنسية ولأيام من حكم محمد على باشا . وقد وجد الوالى فى الشيخ حسن الجبرتى ذلك الطراز من العلماء الذى يحسن علوم المقاصد كإحسانه علوم الوسائل ، فسر به ، وكان يلتقى به كثيراً ليذاكره فى مسائلها .

أليس صوت أحمد باشا كور الوالى العثمانى هو ركزا مما سرى فى القرن الثانى عشر الهجرى وقبيل ظهور محمد على باشا بحوالى نصف قرن لينبه علماء المسلمين ورجال الأزهر إلى أنهم كانوا فى غفلة ساهين ؟

ولكن هل أثرت هذه اللفتة من الوالى العثمانى إلى العلم والتعليم فى الأزهر ؟ ألم تجىء الحملة الفرنسية إلى مصر بعد هذا بنصف قرن ومعها جيش من العلماء المختصين فوق جيش المحاربين . فهل فطن الأزهر لها ، وهل تنبه إلى قيمة علوم هؤلاء القوم الطارئين الطارقين ، وإلى قيمة علومهم التى انتهت إلى جدل لفظى عقيم استحدثه علماء الأعاجم من مثل عضد الدين وتلاميذه والكافيجى الجدلى الذى افتخر بأن عنده فى إعراب جملة « زيد قائم » مائة وثلاثين بحثاً ... فيعجب الإمام السيوطى من هذا العلم الغزير . . . ! ويقول له — وكان تلميذاً له : لا أقوم من هذا المجلس حتى أستفيدها . . ! ؟

وإذا كان كثير من رجال الأزهر قد أفادوا من حركة

النهضة فى عصر محمد على باشا فالتحقوا بالبعثات الأوربية وانتقلوا من حال إلى حال ، فإن الأزهر نفسه لم يفد شيئاً ، ولم يساير تلك النهضة ، ولم يماش ركب التقدم ، حتى لاحظ إنجليزى ذلك فكتب فى تقرير له فى عصر محمد على : (إن التعليم الذى يقوم به أساتذة الشريعة فى المعاهد الدينية لتنشئة رجال الدين المسلمين قليل الجدوى . . بل إنه ليهبط فى مستواه حتى يبلغ من التفاهة حدها الأقصى . . .)

ويظل الأزهر راقداً فى غمرات نوم طويل ، ومصر تتصل بأوربا على يد محمد على ، فإذا بأزهرى فطن هو الشيخ حسن العطار يتنبه إلى سوء حالة العلم والتعليم فى الأزهر ؛ ولكنه لا يجهر بالدعوة ولا يصدع بها فى صراحة وتنظيم ، وإنما يرسل نقداته وحسراته فى خلال كتبه الدراسية ، كموازنته بين علماء أهل عصره والعلماء السابقين بقوله : (قصارى أمرنا النقل عنهم بدون أن نخترع شيئاً من عندنا . . . وقد اقتصرنا على النظر فى كتب محصورة ألفها المتأخرون المستمدون من كلامهم نكررها طول العمر ، ولا تطمح نفوسنا إلى النظر فى غيرها حتى كأن العلم فيها . .)

وهذه النظرة الببغاوية الجامدة من علماء الأزهر هى التى كانت موضع النقد عند المرحوم الشيخ حسن العطار حين قال هذا الكلام ، فسبق به عصره بأعوام وأعوام . .

ويمضى المؤلف بنا إلى آراء رفاعة الطهطاوى والأفغانى فى إصلاح الأزهر ، كما يمضى إلى الحركة المباركة التى قام بها الشيخ محمد عبده ليقنع الخديوى عباس باشا بالإصلاح . ولا يزال يمضى بين الإتهام والإنجاد فى طريق النهوض بالأزهر ، فإذا بالحركة تتعثر فى عهد الشيخ البشرى ثم تعود لتبدأ من جديد ، فإذا هى تصطرع أو تتعثر بين أنصار القديم وزعماء الجديد ، إلى أن يتاح للأزهر المرحوم الشيخ مصطفى المراغى وملء إهابه عزيمة على التجديد ، ولكن العوامل الخفية فى الأزهر نفسه تقوم لتقاوم الإصلاح ، فيذهب شيخ ويجىء شيخ ، ويرفع طلاب الإصلاح أصواتهم ، ويرد عليهم أحلاس الجمود ، حتى يستقيم للأزهر نظام سنة ١٣٥٥ — سنة ١٩٣٦ الذى ينقده المؤلف فى غير بخس لجهود المراغى المصلح الكبير .

إن هذا الكتاب لا يهم الأزهريين وحدهم ، ولكنه يهم كل مسلم ، ليعرف مدى الإصلاح وسيره الحثيث أو الوئيد فى سبيل النهوض بجامعة تحمل معها ذكريات عزيزة منذ أكثر من ألف عام . وإذا كانت الحقائق التى يذكرها المؤلف عن الأزهر وإصلاحه وتطوره مما يدعمه منهج تاريخى سليم ، فكم كنت أرجو أن توضع التواريخ الميلادية بجانب مطابقاتها من التاريخ الهجرى ، حتى لا يعنِّ القارئ أو الباحث نفسه بالرجوع دائماً إلى جداول الموافقات التاريخية ، ككتاب « التوفيقات الإلهامية » للواء محمد مختار باشا . ولا أدرى لماذا يلجأ صديقنا العالم الجليل الشيخ عبد المتعال الصعيدى إلى التاريخ الهجرى وحده فى مواطن كثيرة من الكتاب ، مع أنه يضع فى بعض المواطن التاريخ الميلادى بجوار مقابله من التاريخ الهجرى ؟

أما المادة التاريخية لهذا الكتاب الثمين فهى صحيحة ، لأن المؤلف لا يتكلم إلا والوثيقة التاريخية أو النص الرسمى أو قوانين الإصلاح الأزهرى بين يديه . ولم ألحظ خطأ فى أعلام الرجال إلا فى اسم أحمد زيور باشا ، فقد ذكره المؤلف مرتين فى صفحتى ١٠٣ ، ١١٠ باسم محمد زيور باشا . وهو خطأ أو سهو يهون بجانب الدقة والضبط والإنصاف فى هذا الكتاب المفيد .

محمد عبد الغنى حسن

أسطورة الحيوانات الثائرة

قصة مترجمة عن اللغة الإنجليزية للكاتب الإنجليزى « جورج أورويل » نقلها الأستاذ الجليل عباس بك حافظ بقلمه البارع ، ولغتها من السهل الممتنع ، وأسلوبها من المعجب الممتع . وهى مثل من أمثلة الأدب الرمزى الذى يصور معانى الحياة الإنسانية على ألسنة الحيوان فيجمع بين الفكاهة العذبة والعظة البالغة . وتدور حوادثها حول مزرعة تآمر حيواناتها على صاحبها الإنسان ، واستطاعوا أن يهزموه ويطردوه ، ويمحوا آثاره ، حتى إنهم بدلوا اسم المزرعة ذاتها فصار « مزرعة الحيوان » بعد أن كان مزرعة الذوات . ولكن بعض هذه الحيوانات لم يلبث أن مكر بالبعض الآخر ، حتى آل أمر المزرعة أخيراً إلى عودة المظالم القديمة التى كانت سبباً فى ثورة الحيوان بالإنسان ، واستبد الأقلون بالأكثرين ، وانتهى الأمر إلى طغيان جديد ، وأعيد اسم المزرعة إلى أهله فصار مرة أخرى « مزرعة الذوات » مع فارق

بريد الثقافة

تصل إلى المجلة رسائل من بعض حضرات القراء فيها تعليق عام بمدح أو بذم، وتعتذر الثقافة من أنها لا تنشرها، فهي تحرص على أن يكون كل ما ينشر فيها خالصاً للفكر غير تعرض للأشخاص، ومنبرها مباح لكل ذى رأى ما دام يتجه إلى الفكرة لا إلى أشخاص كتابها.

إلى الأستاذ الأديب ا . ع . ا بمكة المكرمة :

ترجو الثقافة أن تعينها على نشر ما تبعث به إليها من نفثات أدبك بأن تمكن محررها من قراءته.

الإنجليز ومواعيدهم فى شعر الرصافى :

لأستاذنا الكبير الدكتور أحمد أمين بك، نظرات صائبة، وتصويرات حكيمة، يرسلها « خاطرة » كشافة تجلى لنا الأمور، ولقد أعجبنى من خاطراته — وكلها معجب وعجيب —، المرقومة ٤١، وقد بين لنا فيها، حرص الإنجليز على كسب الوقت، وقد أتبعها بثانية، زادت الأمر وضوحا وبيانا، وبهذه المناسبة، أريد أن أقول: إن شاعر العراق المعروف، السيد معروف الرصافى، الذى توفى فى سنة ١٩٤٥ قد عنى بالإشارة إلى ما اتصف به الإنجليز من مكر وخديعة، وعدم وفاء بالعهد، فى كثير من أشعاره، ومن ذلك قوله :

فكم حرثوا فى أرض مستعمراتهم
مظالم سوداً كن من أفظع الحرث
وكم أيقظوا والناس فى الدور نوم
بها فتنا كالدجن يهمى على الوعث
يقولون إنا عاملون لسعدكم
ولم يعملوا غير الكوارث والكرث
فكم بعثوا فى الشرق حربا ذميمة
تمثل فى أهوالها ساعة البعث
وكم أرسلوا دساً جواسيس مكرهم
على الناس يشتدون بالنبش والنبث
وهم سلبوا أرض العراق سمينها
ولم يتركوا للقوم فيها سوى الغث
إذا ما رأيت القوم ف . ع . كرهم
رققت لهم تبكى على القوم أو ترثى
فلا ترج فى الدنيا وفاء لعهدهم
فلا بد فى الأيام للعهد من نكث

وبهذه المناسبة أقول: إن للرصافى مقطوعة صغيرة سماها « يوم العرس » افتتحها بقوله : —

زفت إليها العروس وزوجها الإنكليس

ولقد ذهب الأستاذ مصطفى السقا، شارح ديوان الرصافى فى طبعته الثالثة، إلى القول بأن: « الأنكليس والأنقليس بفتح الهمزة: سمك شبيه بالحيات ردىء الغذاء. » بيد

واحد وهو أن سادتها أصبحوا من الخنازير.

وقد أبدع الكاتب فى معالجة حوادث القصة وبيان تطورها على ألسنة الحيوان، وإن كان كل موقف فيها يشف عما تحته من المعانى الإنسانية. كما أبدع المترجم فى جعلها عربية النسج، حتى ليكاد قارئها ينسى أنها منقولة عن لغة أخرى.

وقد قامت بنشرها دار المعارف بمصر فأضافت بها محمدة إلى محامدها فى خدمة الأدب العربى.

وهى تقع فيما يزيد على مائة وتسعين صفحة فى طبع أنيق وثمنها عشرة قروش.

الشاعر يقصد الإنجليز الذين ابتلى العراق بانتدابهم ، ولقد كنى الشاعر عن انتدابهم بالعرس والعروس ، وتتمة المقطوعة توضح الأمر ، فاسمع الشاعر يقول بعد البيت : —

زفت إلينا زفافا فيه الشقا والنحوس
المهر منا دماء والعرس حرب ضروس
كم مُزقت حرمات وكم أضيعت نفوس
وكم أديرت علينا من المنايا كئوس
وكل هذا لتحظى بالبعل تلك العروس
يوم العروس لعمرى يوم كريه عبوس

وإذا عاد القارىء الكريم ، إلى إنشاد المقطوعة الأولى تبين له أن معين الشاعر واحد ، وأنه فى القطعتين ، يوضح أعمال الانتداب الإنجليزى فى بلاده (العراق) ، ومن هذا يفهم مقدار خطأ الأستاذ الشارح ، ولقد زاد فى خطئه أنه وضع هذه المقطوعة فى قسم التاريخيات ، ولم يضعها مع أضرابها وأمثالها فى قسم السياسيات .

على أننا نزيد الأمر جلاء ، بنقل أبيات من قصيدة للرصافى جعل عنوانها « غادة الانتداب » ووضعها فى باب السياسيات قال فيها : —

تحسبها حسناء فى زيها وماسوى (جنبول) تحت الثياب
ظاهرها لنا فيه رحمة والويل فى باطنها والعذاب
مصابنا أمسى فظيعاً بها يا رب ما أفظع هذا المصاب
بالله قد حق لنا أننا نحثو على الأرؤس كل التراب

ولقد فسر الشارح المحترم (جنبول) بأنه علم على جنس الإنجليز ، فهل بعد هذا كله بقى مجال للشك فى أن الرصافى قصد بقوله :

زفت إلينا العروس وزوجها الإنكليس

الإنجليز وانتدابهم للعراق ، ولا سيما إذا علمنا أن أهل العراق وسوريا ولبنان وسائر البلدان العربية ، يكتبون الإنجليز هكذا « الإنكليس » لأنهم إذا كتبوها بالجيم ، اضطروا لنطقها مفخمة ، فليس عندهم جيم مصرية مخففة

وإذاً فقد كان الخليق أن توضع القطعة فى قسم السياسيات ومن غير شرح ، لأن المقصود هم الإنجليز بكل صراحة ، فهى مشروحة وظاهرة ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

القاهرة — محيي الدين رضا

أصداء وتعليقات :

حضرة صاحب العزة رئيس تحرير مجلة الثقافة الغراء .

بعد التحية .

اطلعت على ما جاء فى افتتاحية العدد السابق بعنوان (رؤية الهلال) وقد ناشد الكاتب علماء الشريعة أن يبينوا حكم الشرع فى مواقيت الصلاة والإمساك والإفطار ثم فى رؤية الهلال والتوجه للقبلة والاحتفال بالمواسم والأعياد فى جميع البقاع الإسلامية مع اختلافها فى الأجواء والمناخ والإقليم ، ثم اطلعت على ما اقترحه الكاتب من اختيار بلد وسط كمكة ليثبت الشهر عندها ثم يسرى فى عموم المعمورة

والذى أعلمه أن الرسول أجاب على استفهام الصحابة حينما سألوه عن كيفية الصلاة فى أيام المسيح الدجال بعد أن قال إن فى أيامه يوما كسنة ويوما كشهر الخ .

أجاب الرسول عن ذلك بأن يقدروا لكل وقت من الصلاة قدره . فلماذا لا يسرى هذا فى زماننا على المسلمين فى القطبين مثلا أو فى بلاد الشمال كالسويد والنرويج .

كذلك نستطيع أن نقدر قدراً مناسباً من الزمان لسكان السويد مثلا يصومون فيه ، وليكن كالوقت فى الحجاز أو فى مصر ، ولا عبرة عندهم بغروب الشمس ولا عند غيرهم حيث يطول النهار نصف العام كما فى القطبين

ولكنى أرى أنه لا ضير من أن ... الأقطار الإسلامية فى تقدم بعضها على الأخ... رؤية الهلال والصيام بيوم . فذلك من طبيعة الا... فى الأقطار ؛ كذلك لاضير من الاختلاف فى المواسم والأعياد ، فلا أثر لذلك فى العبادة

ولصاحب العز... عظيم شكرى وامتنانى . والسلام عليكم ورحمة الله .

أمين أمين بدر

مؤلفات

أحمد أمين

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر :

١ – يوم الإسلام

يبحث فى حالة العالم الشرقى قبل الإسلام وظهور الإسلام ومبادئه وأهم أحداثه ، ومعاملة المسلمين المسيحيين أيام قوتهم ، ومعاملة المسيحيين المسلمين أيام قوتهم . وثمنه ٤٠ قرشا عدا أجرة البريد .

٢ – النقد الأدبى

كتاب فى جزأين . يبحث الجزء الأول منه فى نظريات النقد الحديثة وتطبيقها على الأدب العربى ، ويبحث الجزء الثانى منه فى تاريخ النقد الحديث [illegible] الإفرنج وتاريخ النقد قديما وحديثا عند العرب .

وثمنهما ٧٥ قرشا عدا أجرة البريد .

٣ – حى بن يقظان

عند ابن سينا وابن طفيل والسهروردى

بحث فيها ومقارنة بينها و[illegible] لرموزها [illegible] تعرض لها من مخطوطات ومطبوعات . وثمنها ٣٠ قرشا .

وتطلب من لجنة التأليف ٣٣ شارع سعد زغلول

الثقافة

العـــدد ٧٠٤
٢٣ من يونيه ١٩٥٢

مجلة أسـبوعية للآداب والعـلوم والفنون
تصدرها لجنـة التأليف والترجمـة والنشر

الثمن ٣٠ مليماً

صفحة

ظمأ

إنى على شط الحياة أسير لا أدرى القدر
وبظلمة الكون الكبير أدب فى وجل وذعر
أمشى وفى جنبى من ألمى أوار يستعر
والصخر يعترض الطريق الموحش القاسى الأمر

* * *

واليأس والأحزان والريح الغضوب ولوعتى
والصمت والحرمان والآلام تملأ جعبتى
وجراح قلبى الداميات الغائرات وشقوتى
لا نور لا أفراح لا أشواق . . . لا زهر وعطر

* * *

إنى أسير أدب مذعور الخطى بين الصخور !
من أين ؟ لا أدرى ... ولا أدرى إلى أين المصير ؟
لكن أسير ولا أعى ما بعد ذياك المسير
حيران فى ظلم العذاب أدوس أشواك القدر

* * *

ونسيت مزهرى الحبيب وروعة النغم الحبيب
ونسيت أفراح الهوى ونسيت قيثارى الطروب
وبقيت وحدى والأسى والحزن والأمل الكذوب
وعلى فمى أشلاء بسمة عهدى الخالى الأغر

* * *

وبقلبى الدامى أنين صامت الشكوى دفين
وبروحى الظامى حنين صارخ طاغ مكين
للحب للأضواء للأنسام سكرى للحون
للزهر للأمواج للشطآن فى ضوء القمر

أحمد إبراهيم جياد

تضرع

مالى وما للعمر إن طال وإن لم يطل
ما العمر ؟ مالذته ؟ إن لم تكونى أنت لى
يا بسمة الفجر إذا ما الليل عنه ينجلى
يا نفحة الخلد ويا تسبيحة المرتل
يا حلماً داعب أجفانى وأحيا أملى
يا طلعة البدر ، إذا البدر أطل من عل

* * *

مررت فالدرب اكتسى بالفل والقرنفل
وود لو يلثم أقدامك ماء الجدول
وارتدت الدنيا من الفرحة أبهى الحلل
واكتمل الحسن ، ولو لم تطلعى لم يكمل
تيهى على الدنيا ، كما شاء الصبا تدللى

* * *

إنى وما ملكته ، فداء طرف أكحل
فداء قد مائس ، فداء جيد عيطل
فداء من لو طلبت روحى — بها — لم أبخل
ومن على عهدى لها كنت ولما أزل

* * *

يا من لها يطيب فى شرع الهوى توسلى
ما ضر لو أقبلت كالأنسام فى تمهل
وجئتنى كما يجيء الطير عذب المنهل
هنيهة ، ننعم فى دنيا الهوى والغزل
يغمرنا الطهر كما يغمر قلب المرسل
ننسى بها الدنيا وما قيل وما لم يقل

البغدادية — العراق　　عبد الكريم حميد عطا.

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز: الدكتور أحمد أمين بك | الإدارة | رئيس التحرير المسئول: محمد عبد الواحد خلاف بك

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العدد ٧٠٤ | الاثنين ١ من شوال سنة ١٣٧١ — ٢٣ من يونيه سنة ١٩٥٢ | السنة الرابعة عشرة

حول حياتنا الأدبية :

بين الأمس واليوم

للأستاذ محمد فريد أبو حديد بك

الدنيا تتغير والظروف تتبدل وليس لها إلا أن تتغير وتتبدل لأن الكون لا ينبغى له أن يستقر على حال . هذه حقيقة بديهية تبدو تافهة لأن الجميع يعرفونها ويحسونها ولا حاجة بهم إلى من يذكرهم بها . ولكنها مع ذلك حقيقة خطيرة يجب علينا أن نجعلها دائما نصب أعيننا وأن نرددها لأنفسنا ويبثها بعضنا إلى بعض كلما أردنا أن نفكر فى حاضرنا وفى مستقبلنا . الدنيا تتغير حقاً سواء أردنا أو لم نرد وسواء رضينا أو سخطنا ، فإذا شئنا أن نستحق الحياة كان علينا أن نعرف حقيقة التغير الذى طرأ علينا وأن نهيء أنفسنا لتغير آخر نستقبل به الأجيال الجديدة التى لا تتوقف عن الزحف لحظة واحدة .

كانت حياتنا منذ عهد غير بعيد يغلب عليها ما يمكن أن نسميه الاستقرار إذا أردنا أن نختار له وصفاً حسناً ، كما يمكن أن نسميه الجمود والخمود إذا أردنا أن نختار له وصفاً قبيحاً . كانت تلك الحياة الماضية تعترف ببعض القيم الثابتة ولا تتسامح فى شىء يهدد بالعبث بها ، ولا ترضى عن أحد يحاول أن يناقشها أو يراجع فى أمر يتصل بها .

كان كل شىء فى مستقره وكل وضع قائماً على أساسه الراسخ ، لا يظن أحد أن فى الإمكان زحزحته عن موضعه قيد شعرة . كان للأسرة بناؤها الثابت وللمرأة حدودها الواضحة وللشرف أصوله المعروفة .

وكان لفضائل الأخلاق معناها الواضح : العفة ، الغيرة ، الكرم ، الشهامة ، الإيثار ، التواضع ، الأمانة ، الجميل ، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، التقوى ، وغير ذلك من المعانى . ولكن وا أسفاه ! كانت كل هذه القيم لا تزيد على مثل عليا نجلها ونقدسها ونخشى أن ينالها السوء علناً ، كأنها آلهة جبارة نعبدها ونرهبها ونصلى لها لأننا نخشى عقوبتها .

ثم تعاقبت عليها السنوات وتبدلت الظروف وتغيرت الدنيا ، وأخذ الناس يضيقون بالحدود والقيود ، وبدأ المتمردون من أهل الفكر يجادلون ويناقشون ، وجهر بعضهم بما فى نفسه

من الشكوك ، وحسب الناس أن هذه المجادلة قد تؤدى آخر الأمر إلى إزالة الرهبة وإحلال المحبة فى مكانها ، وظن المتفائلون أن القيم المستقرة تستعبد الضمائر ولا تسمو بها وأن مناقشتها تؤدى إلى نفض الغبار عنها وإزالة النفاق عن الضمائر ، فتصبح بعد حين أكثر إدراكا لحقائقها ، وأصدق إيمانا بها ، ولكن وا أسفاه مرة أخرى ! فما هو إلا أن تجرأ المتمردون من أهل الفكر على تلك القيم الثابتة ، وما هو إلا أن نادوا بالتحرر والانطلاق حتى تدفق الشك إلى كل ما كان الناس يؤمنون به ويخشون المجادلة فيه ، وامتلأت القلوب أن كفرت بكل القيم التى ظلت مسيطرة عليها قروناً طويلة ، وبدأت تتهمها بأنها السبب فى تأخرنا والقعود بناء عن مسايرة الأمم الأخرى . وانتهى بنا الأمر إلى أن هدمنا كل المثل التى كنا نتمسك بها كما يهدم الوثنى إلهه فى ساعة من ساعات الحنق إذا لم يجده قد استجاب لدعائه .

هدمنا ما ورثناه عن أجدادنا ولكننا لم نقم فى مكانه بناء جديداً يصلح لحياتنا الجديدة ، وأصبحنا فى العراء لا نجد ملجأ قديماً ولا حديثاً .

هذا ما آل إليه أمرنا بعد طول المجادلة والمناقشة فى مثلنا القديمة وفى تراثنا وتقاليدنا المستقرة ، وصرنا معلقين فى الفضاء لا نجد شيئاً نطمئن عليه بأقدامنا . هـذا هو مبعث القلق الذى نحسه من حولنا أنى اتجهنا . وهـذا هو سر ما نسميه اليوم انحـلالا وتقهقراً ويشيع الأسى والغم فى نفوسنا .

وهكذا نجحنا فى التحرر من القيود القديمة وانطلقنا وراء الحدود المحترمة ، ولكننا لم نجد أمامنا غاية مقصودة ولم نعرف لحياتنا معنى . فما هى الغاية التى نحيا لها ، وما هى المعانى التى لا نجد للحياة قيمة بدونها ؟ أصبحت الأنانية هى الغاية وهى المعنى : المتعة والسلطان واهتبال الفرصة وانتزاع الخيرات من بين الأيدى المتزاحمة ، والاصطدام والصراع . لا ينظر الناس إلا إلى ما تحت أقدامهم ليلتقطوا من الأرض قطعة من ذهب ، فإذا رفعوا رؤوسهم عن الأرض لم يبحثوا إلا عن وجه يجدون فيه متعة للجسد . وما كان هـذا هو الذى قصد إليه المفكرون المتمردون عند ما بدأوا يناقشون القيم القديمة ويجادلون فى الحدود المستقرة .

ولكن الدنيا تتغير والظروف تتبدل ، وليس فى هذا الكون ما ينبغى له أن يبقى ثابتاً أبداً ؛ وإذا كانت المثل القديمة الثابتة قد تزعزعت حتى انهزمت وتحطمت أو كادت ، فإن هذا الاضطراب الذى صرنا إليه لا يمكن أن يبقى . بل لقد أخـذ المفكرون المتمردون من الأدباء مرة أخرى يتناولون هذه الحالة التى صرنا إليها تناولا عنيفاً ، وبدأوا يصورون ما فيها من تفاهة ومن سخف ومن عفن وسم ، وبدأوا يكشفون الستار عما تحت المظاهر البراقة من آلام وشقاء وقبح .

فإذا كنا بالأمس قد بكينا مع الأدباء المتمردين من قسوة السيطرة ومن الخضوع الأعمى للقيود والحدود ، وإذا كنا بالأمس قد سرنا أول الشوط نبكى مع الأدباء البكائين العاطفيين من ثقل الركام القديمة ، وننشد التحرر من تحتها ، فإننا اليوم فى بدء نهضة جـديدة فى الفكر والوعى . وها هو ذا موكب الأدباء المتمردين يستأنف السير مرة أخرى فى شوط جديد .

ولكن هذا الأدب الجديد لا يبكى ولا يشكو ، بل هو صنف جديد من الأدب الحانق الساخر القاسى الذى يضرب فى عنف ولا يتردد . ها هو ذا الأدب الجديد يغوص فى الحياة المضطربة المنحلة التى صرنا إليها ويتدسس إلى أغوار ما فيها من أنانية وقذارة وبشاعة ، ويحاول أن يجادل فيها ويناقش على أسلوبه الخاص . بل إنه لا يناقش ولا يجادل ، ولكنه يمسك بتلابيب هذه الحياة الفاسدة ويهوى عليها بالسياط بعد أن يجردها من ثيابها .

ولعلنا نضرب لهذا الأدب بعض أمثلة من إنتاج النوابغ من أدبائنا الشبان لنظهر شيئاً مما نقصده بهذا الحديث العام تحية منا لهذه النهضة الرائعة فى أدبنا .

محمد فريد أبو حديد

مدرســـــة جديدة

للدكتور أحمد أمين بك

قرأت فى إحدى الصحف الإنجليزية أن أستاذاً انجليزياً اسمه مستر بلوم أنشأ مدرسة جديدة ، وجعل أساسها عدم الخوف مطلقاً ، من أى صنف كان ، لا خوف من الأساتذة ، ولا خوف من الامتحانات ، ولا خوف من العقاب يؤدب به الطلبة ، ولا غير ذلك من أنواع الخوف . وقد أرصد النتائج لذلك ، فقال إنها أنتجت نتائج باهرة ، فالطالب إنما يعتمد على ضميره . وقد خرج من المدرسة شاعراً بالحياة ، مبتهجاً بها . بل جعل مجلس شورى للطلبة ، ومن الطلبة . يضع لهم مناهجهم ، ويوجه نظرهم إلى ما يجب أن يعملوا ، وما لا يعملوا .

وقد لفت نظرى هذا ، إلى أن من فكر فكرة جديدة ، يُمكن له أن يجربها فى حرية ، فإذا نجحت عممت ، سواء فى ذلك الأفراد والحكومات . أما عندنا فلا بد أن ينصب التعليم فى قوالب معينة ، ومن نادى بفكرة جديدة أهمل ، ولم يلتفت إلى فكرته .

وقبل ذلك نادى ابن خلدون فى مقدمته بعدم التخويف وأبان أنه ضار بالمتعلمين . يقول : « إن الشدة على المتعلمين مضرة بهم ، وذلك أن إرهاق الحد بالتعليم مضر بالمتعلم ، سيما فى أصاغر الولد . ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم ، سطا به القهر ، وضيق على النفس فى انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل ، وحمله على الكذب والخبث ، وعلمه المكر والخديعة .

وصارت له هذه عادة وخلقاً ، وفسدت عليه معالم الإنسانية التى له من حيث الاجتماع والتمرن » .

ونظرة ابن خلدون وتحليله تتفق مع نظرة الأستاذ بلوم ، غير أن بيئة بلوم مكنته من نشر فكرته ، وتحقيق رغبته ، وأما بيئة ابن خلدون ، فجعلت نظرته مدفونة فى كتابه إلى يومنا هذا . وكم له من نظرات صائبة .

وإذا قرأت ذلك ذكرت ما لقيته فى حياتى من تعذيب وتخويف من مبدأ صباى . فكان أبى شديداً قاسياً ، يضرب ويشتم حق على مالا يستحق الشتم . وذهبت إلى الكتاب ، فكان فقيه الكتب قاسياً شديداً ، يضربنى حق لأنى لم أهتز وأنا أقرأ . وفى المدرسة الابتدائية كأن لنا مدرسون يضربوننا ويعاقبوننا أشد العقاب ، حق لأتفه الأسباب . ولما ذهبت إلى مدرسة القضاء خوفونا من الامتحان ، فكان من يسقط فى الامتحان ولو فى مادة واحدة ، منعت عنه المكافأة التى يأخذها كل شهر . . . كل هذا جعل الحياة قاتمة ، والنفس غير مبتهجة ، تحزن لما يحزن ، ولا تفرح لما يفرح . فإن بقيت بقية قليلة من التمتع بالحياة ، فذاك من فضل الله . وإلا فأساليب التربية كفيلة بإماتتها . وكم فى الأمة من نفوس ماتت من أساليب القسوة ، وفقدت قيمتها ، وكانت تكون متفتحة مشرقة ، مصدراً لخير كبير ، لو عوملت معاملة حسنة .

وبعد : فلو فتحت مدرسة فى مصر على هذا النمط . أتعيش وتنجح ؟ أم تموت وتفشل ؟ . إن هذا محل تفكير طويل . فمدرسة الحرية التى تؤسس على عدم التخويف يجب لتنجح أن تكون فى بيئة مشبعة بالحرية ؛ أما بلد ضيقت فيه الحرية من قرون ، وكل ما حول الناشئين ظلم وتعذيب ، وتعويد أن لا يعمل الشىء إلا خوفاً من عقوبة أو ترغيباً فى مثوبة ، فمن الصعب أن ينشأ فى وسط هذه البيئات جو مملوء بالحرية . إن أردت أن تنجح مثل هذه المدرسة ، فأصلح بيئتها ، وما حولها . أصلح البيت ، وأصلح الكتاب ، وأصلح معاملة الشرطى للباعة ، ومعاملة العمد للفلاحين ، وللمأمورين للعمد ، والمديرين للمأمورين ، لأنها كلها سلسلة مرتبط بعضها ببعض .

ومحال أن تعيش نظيفاً فى وسط قاذورات ، أو تسلك سبل الفضائل ، وحولك ما لا يحصى من الرذائل . وكانت العرب قديماً تقول :

« ما أشبه محجل الجبال بألوان صخورها » .

أحمد أمين

الدكتور أحمد زكى أبو شادى

فى ديوانه « من السماء »

للأستاذ عيسى الناعورى

[ليس فى مصر من يستطيع أن ينسى الشاعر العالم الدكتور أحمد زكى أبو شادى . فقد كان كما يعرف الجميع رائداً من رواد الأدب والفكر كما كان من رواد العلم والبحث . وكان فوق كل هذا من المخلصين الأوفياء لأسمى معانى الحرية . وها هو ذا الأستاذ عيسى الناعورى يتحفنا بهذه الكلمة التى تفيض صدقاً وعطفاً . ويسرنا أن نقدمها إلى قراء الثقافة تحية لولد مصر الكبير] .

يطيب لى أن يكون موضوع حديثى هذه المرة الصديق الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، الرجل الذى تعددت مناحى ثقافته ، فكان له مشاركة فى العلم وفى الأدب وفى الفن ، وهى مناح يندر أن تجتمع معاً لإنسان ، فهو فى العلم مختص بالأبحاث البكتريولجية ، وبتربية النحل ، وفى الفن رسام ، سيقام قريباً فى نيويورك معرض لرسومه الزيتية ، وفى الأدب شاعر صدر له حتى الآن ثلاثة عشر ديواناً ، ولا يزال لديه نحو ديوانين جديدين لم يصدرا بعد ، وناثر وباحث وناقد ، يكتب ويذيع كثيراً فى دراسة الأدباء المعاصرين . والأدب المقارن ، وله عدد من المؤلفات النثرية المطبوعة وغير المطبوعة فى الأدب وفى نواحى اختصاصه العلمى ، وفى الصحافة الأدبية والعلمية .

فإذا جمع إنتاج أبى شادى الشعرى والنثرى والفنى المطبوع والذى فى سبيل الطبع القريب كانت لدينا مجموعة كبيرة جداً تدل على نشاط غير محدود ، وعلى إخلاص للعلم وغيرة على الأدب جديرين بالتقدير وأطيب الثناء .

وعلى الرغم من هذا الإنتاج الخصب ، وهذا الإخلاص الكثير ، فالدكتور يشعر بأنه لم يجد فى حياته غير العقوق والنكران ، مما جعل حياته فى مصر صراعاً بين عالم نفسه النزاع إلى الخير وإلى الخدمة المخلصة ، والعالم الخارجى الذى يميت الحس ويقضى على الإخلاص بعقوقه الكافر . وهذا الشعور هو الذى حمل الدكتور على مغادرة مصر إلى حيث يستنشق رائحة الحرية والتقدير فى أمريكا ، وكان بوده أن يمضى إليها مع زوجته ، ولكن القدر القاسى الذى حاربه طويلا أبى إلا أن يتم حربه القاسية بسلب زوجته منه وهما على أهبة الرحيل ، وفى ذلك يقول فى قصيدته « رثاء زوجتى » وهى من أروع شعره ، وأعمقه عاطفة وأنبله معانى :

كنا نهيء للرحيل متاعنا	وننسق الآمال غير بطاء
ونهيب بالدنيا لتشهد حظنا	ونهش للأيام والأنباء
ونرد عادية الأنام تسامحاً	مستغفرين لجاحد ومرائى
متسابقين لنملأ الدنيا سنى	بالحب والإيثار والإيحاء
فإذا حبيبك للنوى ، ووداعنا	للحظ ، والباقى الكليم ذمائى
غدرت بى الدنيا كأنى لم أضع	فيها الثناء فما أفاد ثنائى
ووهبتها كرماً ، عزيز مواهبى	فجنت على شمائلى وعطائى
كم كنت أحلم بالهناءة والرضى	لك فى نهاية عمرك المتنائى
وأعد عمرك وحده عمرى وما	أرضى سواك من الحياة جزائى
فتناثر الحلم الجميل وأقفرت	دنياى من حلم ومن أضواء

ويلاحظ القارئ شكوى الشاعر من عقوق الناس وتنكرهم لمواهبه فى هذه القصيدة ، كما سيجد النغمة نفسها تتكرر فى عدد كبير من قصائده المنبثة فى صفحات ديوانه «من السماء» وديوانه الآخر غير المطبوع «الإنسان الجديد» وغالباً ما تكون هذه الشكوى مرافقة لشعره الوطنى المعبر عن حنين لطيف وإخلاص شديد لوطنه ، كقوله من قصيدة

بعث بها إلى صديقه الشاعر المهجرى نعمة الحاج :

وكن كأخيك الشقىّ الصبور   على برّه يستطيب الضرر
يجود بأنفاسه الوافيات   لأوطانه فيــلاقى الخطر
ويرجمه الطغمة الهازلون   وقد خادعوا الشعب حول المطر

أو قوله من قصيدة بعنوان « القلب الباكى » ، أرسلها فى التعبير عن حنينه إلى مصر ، فى ذكرى عيد ميلاد :

يا مصر لولاك ما فارقت فى حرق
أزكى الجنان ولا عوقت لولاك
أهواك فى غربتى أضعاف ما سمحت
به المقادر فى قربى لأهــواك

أبت علىّ كفاحى عندما أذنت   للغادرين فعاثوا فى حماياك
ما العيد عندى عيد فى مباهجه   أنا الغريب فعيدى يوم ألقاك
على سلام وفى حرية شملت   لا أن أعود لأغلال وأشراك
الثلج حولى أحنى فى تحرره   على فؤادى من ضيم بدنياك

ولعلّ من أروع الأمثلة على صدق وطنيته ولهفة حنينه القصيدة التى قالها وهو يودّع مصر إلى أمريكا ، وعنوانها : « استقبال أمريكا » ، ويعبّر فيها عن عمق شعوره بتنكر الناس له فى وطنه ، فيقول مخاطباً وطنه الأمريكى الجديد :

وأمسى مأتم لفراق أهلى   ويومى الحرّ فى نجواك عيد
ولو أنى المخلص فى بلادى   معالم حُبِّها باق أكيد
ولو أن الرجال بها استرقّوا   وفيك تحرر السود العبيد
أردنا أن نقومها فآبت   وعوقبنا ، وصال المستبد
وضحينــا لعزّتها فآدت   كرامتنا ، وبش لها الحسود
وعاث بها الدخيل فبجلته   وفدّاها ابنها وهو الطريد

وأبرز ما تبوح الشكوى فى قصيدة من ديوانه « الإنسان الجديد » بعنوان « لم ارتحلت » يقول فيها :

سألونى ، لم ارتحلت ؟ كأنى   لم أجبهم بسيرتى نصف قرن
شادياً بالطليق من شعرى الباكى
أغنى لمجـــدهم ما أغنى
وتبلغت بالعذاب وبالبؤس   مراراً ، وكل حظى التجنى
وكأنى وحدى المسىء بإحسانى   لعصرى ، أو أنه لم يسىء
ما كفاهم أنى أضحى بروحى   حينما عز من يضحى ويفنى
ما كفاهم أنى تناسيت نفسى   فوق نسيانهم حقوقى وأمنى
ما كفاهم هذا وهذا فنادوا   بعقوقى ، وما رعوا فى حقى
فترحلت حيث يحترم الأحرار   حيث الهواء طلق لذهنى

وأظل الوفى رغم اغترابى   لبــلاد ما غبت قط عنها

إن هذا الشعور الأليم الذى يعبر عنه شاعرنا الدكتور فى عدد كبير من قصائده ، لهو مدعاة إلى الخيبة واليأس ، من هذا العقوق الذى هو الميزة البارزة لشرقنا الذى لا يعرف قيمة المخلصين العاملين من أبنائه . ولكن هؤلاء الأبناء لا يزيدهم المكاره والاغتراب إلا حباً لوطنهم وإخلاصاً له . وقد عبر الدكتور أبو شادى عن هذا الحب وهذا الإخلاص فى عدد كبير من قصائده المنشورة فى ديوانه « من السماء » وفيما نظمه بعده ، كقصيدته « نداء الحرية » المنشورة فى جريدة « السائح » إبان معارك الحرية الأخيرة فى قنال مصر

بعد هذا ننظر فى شعر أبى شادى من ناحيته الفنية ، وفى آرائه الخاصة فى الشعر وطرائقه ، لأن هذه الآراء هى التى تسمح لنا بالحكم فى شعره .

(للبحث بقية)   عيسى الناعورى

جامعة فاروق الأول

كلية الآداب

جائزة المسيو ابرامينو برشيلون

تعلن كلية الآداب بجامعــة فاروق الأول عن مسابقـــة لنيل جائزة المسيو ابرامينو برشيلون الأدبية بالشروط الآتية : —

١ — موضوع المسابقة لهذا العام هو « الأدب الحديث فى السودان »

٢ — المتسابقون هم المتخرجون فى كلية الآداب بجامعة فاروق الأول أو المعيدون والمدرسون بها .

٣ — يقدم البحث من أربع صور إلى كلية الآداب بجامعــة فاروق الأول قبل آخر أكتوبر سنة ١٩٥٣ .

٤ — أفضل بحث تراه الكلية يمنح جائزة قدرها ٦٢ ج و ٣٩٠ مليم وهو مقدار ريع الجائزة المذكورة فى فترة ١٩٤٧/٤٦ و ١٩٤٨/٤٧ .

١٩١٦

هل من جديد عن ميل؟

— ٢ —

للآنسة بثينة عبد الحميد محمد

أشرنا فى المقال السابق تحت هـذا العنوان إلى ناحية أهملها نقاد الكاتب الإنجليزى الكبير . ج . س . ميل ، وهى الناحية الأدبية . ونود هنا أن نلقى ضوءا على بعض آرائه فى مسائل مختلفة اعتاد الباحثون نسبتها إلى المصلحين الذين جاءوا بعد (ميل) ، ثم نختم المقال بذكر آرائه التى يمكننا الاستفادة منها فى عصرنا هذا ، فى مصر .

أما عن النقطة الأولى فإن النقاد يجمعون على أن ميل آخر فيلسوف فى المدرسة النفعية ، ولا يفطنون إلى فضله فى أنه كان أول من عمل على القضاء على هذا المذهب . ولـكنى عثرت على إحدى المحاضرات التى ألقاها ذلك المفكر فى « جمعية الناظرات » بلندن فى سنـة ١٨٢٨ يعلن فيها انشقاقه على زعماء المذهب النفعى ؛ وقد أوضح ميل أوجه الخلاف بينه وبينهم فى كتابه عن المذهب النفعى وهناك محاضرة أخرى ألقاها فى نفس السـنة توجه نظر الحـكومة إلى وجوب العمل على إصلاح حال الشعب عقلياً وخلقياً بالرغم من أن الرأى العام كان مخالفاً كل المخالفة لفكرة تدخل الحـكومة فى تربية الشعب ، والرأى السائد بين النقاد يرمى إلى أن ت . هـ . جرين ، الذى لم تنشر مؤلفاته قبل عام ١٨٧٩ ، هو الذى حمل الحـكومة هذه المسئولية .

فالحقيقة هى أن ميل كان أول من لفت النظر إلى أن الحرية ليست مجرد التنصل من المسئولية ، وترك الفرد يتصرف كيفما يشاء . فالحرية عنده لا تتنافى مطلقا مع المحافظة على النظام والتدريب على الطاعة ، بل الحرية عنده هى أن نهيىء لـكل فرد فرصة التقدم والرقى إلى الدرجة التى تمكنه من أن يسعد نفسه ويسعد المجتمع الذى انتمى إليه ، وهو يرى هذه الرغبة فى الإسعاد إنما تكون بدافع من الفرد نفسه أو بشعوره بالمسئولية نحو غيره من الأفراد ونحو نظام الحـكم الذى يخضع له . وقد جرى الناس كما قلنا من قبل على نسبة هذا الرأى إلى جرين وبرادلى وبوزانكيه ، ولـكن هؤلاء جميعا مدينون به لميل .

وكان للعلامة ميل فضل آخر فى ميدان الاقتصاد ، فإن الفكرة الحديثة عن الدين الوطنى وأنه لا ضرر منه بوصفه ديناً على الدولة ، إنما هى من ابتكاره وابتداعه . فهو يرى أن الضرر من الدين يرجع إلى احتلال التوازن بين مقـدار الدين والدخل الوطنى .

وقد فصل هذا الرأى فى الباب الخاص بهذا الموضوع فى كتابه عن الاقتصاد السياسى . كما أنه فى سنة ١٨٤٨ لفت النظر إلى الدور الذى يلعبه الدين الوطنى فى تقليل الأثر السيىء الذى ينشأ عن الفروق المادية الـكبيرة بين طبقات الشعب ، فقد نادى بالمبدأ الذى ساد فى القرن العشرين ، وهو أن الدين طريقة ادخار للطبقات العاملة الأقل رخاء ، يجنون من ورائه نسبة معينة من الدخل .

وقد اهتم ميل اهتماما كبيراً بالطبقات العاملة وبحالة النساء والقوانين المجحفة الخاصة بهن والتقاليد التى حرمتهن من التمتع بحقوقهن الاجتماعية والسياسية ، وهذان الموضوعان من أهم ما يشغلنا نحن فى الوقت الحاضر . فأما حقوق المرأة السياسـية فأنصارها وخصومها كثيرون ، فيهم رجال وسـيدات ، وفيهم من رجال الدين والسياسة والقلم ، ولـكنها حقوق سوف تحصل عليها المرأة المصرية عاجلا أو آجلا .

وأما الطبقات العاملة فيمكن تقسيم آراء ميل فى شأنها إلى ثلاثة أقسام : ا — النساء فى المصانع . ب — العمال فى المزارع . حـ — الطبقات العاملة على العموم .

اعتقد ميل اعتقاداً راسخاً بأن المرأة لا تقل كفاية عن

الرجل فى ميدان الصناعة ، وهو يرى أن الأفضل لها العمل بنفسها وعدم الاعتماد على عائل من الجنس الآخر ، على أن يكون أجرها مساويا لأجر الرجل كلما اتفق نوع العمل الذى يؤديانه .

وقد عضد ميل فكرة توزيع قطع صغيرة من الأراضى الزراعية على عمال المزارع أو على من يتمكن منهم من إصلاحها واستغلالها ، حتى يشعر كل منهم بالطمأنينة فى عمله وفى حياته ، فيعمل على زيادة الإنتاج وجنى ثمرة عمله فى الوقت نفسه .

أما من جهة طبقة العمال على العموم فقد كان ميل يجاهد فى سبيل رفع مستواهم عقلياً وخلقياً ، وتشجيع بعضهم على الهجرة إلى أراض يمكن استثمارها ، وكان ميل أول من لفت النظر إلى النتائج السيئة الاجتماعية والصحية والعقلية الناشئة عن الحركة المستمرة على وتيرة واحدة فى المصانع ، نتيجة لتوزيع العمل وقيام كل عامل بجزء يسير من عملية الإنتاج العامة . وقد رأى أنه من الضرورى أن تتدخل الحكومة فى تنظيم ساعات العمل ، وألا تحرم العمال من وقت الفراغ الذى يمكنهم من التمتع بالراحة أو تغيير نوع العمل ، وكذلك كان من رأيه ألا يحال بينهم وبين الاجتماع أو الانضمام إلى نقابة أو اتحاد ينظر إلى شئونهم بعين الرعاية . أما من جهة الأجور فقد كان من رأى ميل أن يُعطى كل عامل جزاءه العادل من ثمرة عمله . وقدم ميل نظريته الشهيرة عن « الاعتماد الخاص بالأجور » ، وهى تتضمن أن الأجور لا يصح أن تكون ثابتة مهما كانت حالة التجارة أو مستوى الأسعار ، بل ينبغى أن تكون عرضة للتقلب باستمرار نتيجة للتغيير الذى يطرأ على عدد العمال بالنسبة إلى المبلغ المعتمد للتوزيع عليهم . ولم ير ميل سوى وسيلتين يمكن اتخاذ إحداهما لتحسين مستوى الأجور : الأولى هى زيادة « الاعتماد الخاص بالأجور » والثانية هى الإقلال من عدد من يوزع عليهم الاعتماد . فأما الوسيلة الأولى فمن رأيه أن الأجور إذا ارتفعت فسوف يؤدى ذلك حتماً إلى زيادة فى النسل ، ثم إلى زيادة عدد العمال ، فلا تلبث الأجور أن تهبط إلى ما كانت عليه . وأما الوسيلة الثانية فهى تدخل الحكومة فى تحديد عدد أفراد الطبقة التى يستمد العمال منها ، وذلك مثلا بتعيين سن متأخرة للزواج ، أو عدم السماح بتكوين أسرة إلا لمن تتوافر لهم القدرة على الإنفاق عليها . ذلك أنه إذا قل عدد أفراد الأسرة ارتفع مستواهم الاقتصادى والاجتماعى ، وتمكنوا من الاستفادة بأجورهم فى تحسين حالتهم المادية والحصول على ما هو بعيد عن متناول أيدى الأسرات الكثيرة العدد ، كما أن تحديد النسل يمكنهم من تربية أبنائهم تربية صحيحة ، فنوع الأبناء أكثر أهمية من عددهم .

ولما كان المستوى المادى والاجتماعى يتناسب تناسباً عكسيا مع عدد أفراد الأسرة ، كان أنجع علاج لرفع هذا المستوى بين الطبقات العاملة هو ألا تشجعهم القوانين على الزواج المبكر والإكثار من النسل ، ثم تربيتهم تربية تمكنهم من تفهم الغرض الذى سوف يتحقق من العمل بمثل تلك القوانين ؟

بثينة عبد الحميد محمد

فى جنـــــة عبقر

للأستاذ شادل طاقة

— ٢ —

— ٤ —

لله هؤلاء الشعراء شياطين عبقر ! إنهم يألمون مرة ثم يحيون الألم مرة أخرى فكأنهم يألمون مرتين . . . ألا إن الألم هو الينبوع الزاخر الذى يتدفق منه الشعر . ولا أشك فى أنكم متفقون معى على أن الآثار الفنية التى خلفها ألم الشعراء أروع كثيراً من غيرها . وأمامكم الرثاء وأوصاف النفس المتألمة من الحب فإنكم ستجدون فيها كنزاً من العواطف والأحاسيس والشواعر الأليمة . اقرأوا قول متمم ابن نويرة الجاهلى يرثى أخاه مالكا :

لقد لامنى عند القبور على البكا
صديق لتذراف الدموع السوافك

يقـــول أتبكى كل قبر رأيته
لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت له إن الشجى يبعث الشجى
فدعنا فهـــذا كله قبر مالك

أو اقرأوا قصيدة ابن الرومى فى رثاء ولده الأوسط :

توفى حمام المـوت أوسط صبيتى
فلله كيف اختار واسـطة العقد

على حين شمت الخير من لمحاته
وآنست من أفعاله آية الرشد

طواه الردى عنى فأضحى مزاره
بعيداً على قرب قريباً على بعد

أعينى جودا لى فقد جدت للثرى
بأنفس مما تسألان من الرفد

أو اقرأوا قول جميل بثينة فى وصف آلامه :

يقولون جاهد ياجميـل بغزوة
وأى جهـاد غيرهن أريد

لـكل حديث بينهن بشاشـة
وكل قتيـل عندهن شهيد

وأحسن أيامى وأفضـل عيشتى
إذا هيج بى يوماً وهن قعود

إذا قلت مابى يابثينـة قاتلى
من الحب قالت ثابت ويزيد

وإن قلت ردى بعض عقلى أعش به
مع الناس قالت ذاك عنك بعيد

فلا أنا مردود بما جئت طالبا
ولا حبهـا فيما يبيد يبيـد

فإنكم ستجدون الحزن هو الذى دفع الشاعر إلى اكتشاف هـذا العالم الروحى الذى غمره الألم فطهره من الأدران ، ولعلكم ستتفقون معى ومع الشاعر الانكليزى الشاب كيتس الذى قال إن الشعراء يعانون الألم مرة فيتألمون ثم يحيون الألم مرة أخرى فى تجاربهم الشعورية فيألمون مرتين ، لأن الشاعر لا يستطيع أن يعبر عن ألمه فى الوقت الذى يدهمه ذلك الألم تعبيراً مؤثراً ، بل لابد من أن يحيا الألم مرة أخرى حين يعانى تجربته الشعورية . والحق أن النفس الإنسانية بأشجانها وأن حواء بجميع أطوارها ينبوعان دافقان من ينابيع الوحى الشعرى ، وإذا كنت فى شك من أمر حواء فاقرأ قول ابن الرومى :

أعانقها والنفس بعد مشـــوقة
إليها وهل بعد العناق تدانى ؟

وألثم فاها كى تزول حرارتى
فيشـــتد ما ألقى من الهيمان

وما كان مقدار الذى بى من جوى
ليشفيه ماقد ترشف الشفتان

كأن فؤادى ليس يشفى غليله
سوى أن يرى الروحين تمتزجان

* * *

كان الشعر العربى القديم صورة لأحاسيس الشاعر

الجاهلى وشواعره وديواناً للعرب كما يقولون ، ولهذا كان لابد من أن يكون الشعر العربى القديم منسجما فى موسيقاه وأخيلته وألفاظه مع طبيعة الحياة فى ذلك العصر المتقدم . . الصحراء ملهبة الحرارة . . مضطرمة الرمال . . والأفق ممتد وراء كثبان الرمل إلى ما يشاء الله . . والسماء الصافية بنجومها البارقة وبدرها المشرق عالم غامض مبهم فيه سحر وفيه روعة يؤثران فى نفس العربى الساذجة . فيحيلان إحساس الشاعر إلى شعر متين القافية رصين الأسلوب فخم الألفاظ أو جزلها . . على الأغلب . . أعنى أن الشعر الجاهلى كان متساوقاً مع طبيعة الحياة الجاهلية ومع طبيعة البيئة العربية فى ذلك الزمن المتقدم ، وأعنى أيضاً أن « قفا نبك » كانت درة فى تاج الشعر الجاهلى لأنها كانت تعبيراً صادقاً عن أثر الحياة فى نفس الأمير الكندى المتلاف . . ولكن هذا كله لا يعنى أن الشعر العربى المعاصر يجب أن يبتلى بعهازل « قفا نبك » هذه . . وأن يسلك مسالك الشعر القديم من حيث موسيقاه وأخيلته ومعانيه . . إن الموسيقى فى أى عصر من العصور تكون متسقة مع طبيعة الحياة فى ذلك العصر . ولقد كانت موسيقى الشعر العربى مستمدة فى أصلها من إيقاع حداة الإبل فى مسالك الصحراء ، ثم إن الخليل الفراهيدى لم يفعل أكثر من أنه جمع هذه النغمات الموسيقية فى الشعر العربى وبوبها وجزأها ، ولم يبتدع من ذلك شيئاً لأن الرأى السائد فى عصره هو أن الشعر يجب أن يكون صورة مشابهة لشعر الجاهليين . ولهذا ثار النقاد فى ذلك العصر على أبى نواس لأنه هجر مسالك الشعر الجاهلى وعاب على الشاعر الحضرى أن يتغنى بالبادية وخيامها وبعرانها وهو يعيش فى بغداد . . حاضرة الخلافة المشرقة وجنة الدنيا فى ذلك الزمان . . ولعلى قد ألمعت فى كل هذا الحديث إلى ما أريد أن أقوله ، وهو أن موسيقى الشعر العربى المعاصر يجب أن تكون متسقة منسجمة مع الذوق العربى المعاصر ومنبثقة من صميم حياتنا الراهنة . . لا أدعو فى هذا الحديث إلى هدم العروض العربى القديم ، ولكنى أشير إلى إمكان الاستفادة من هذه الأعاريض القديمة وتحويرها إلى ما ينسجم مع هذه الحياة المعاصرة . . لقد كان الأندلسيون أبعد منا نظراً فى هذا الأمر فلم يقصروا شعرهم على الأعاريض العربية القديمة وأوجدوا (الوشح) وهو على الأرجح محاولة إلى الانسجام مع الحياة الأندلسية الجديدة فى ربوع أسبانيا الجميلة .

ولعلكم تتفقون معى على أن شعراء المهجر أفلحوا فى هذا المضمار حين ساروا على نهج الأندلسيين ، ولعلكم تدركون أيضاً أن نجاح المهجريين كان أكبر من نجاح الأندلسيين ، لأن تجديد الأندلسيين كان منحصراً فى قوافى الشعر على الأكثر وفى أوزانه على الأقل ، ولكنهم لم يحاولوا التجديد فى جوهر الشعر فى معانيه وأخيلته وأساليبه ، بينما فطن المهجريون إلى كل هذا ، فهجروا المسالك العروضية القديمة وحوروها وبدلوا فيها وجددوا فى أساليب الشعر وأخيلته ومعانيه ، وأوجدوا الشعر المهموس كما يسميه النقادة المصرى الدكتور محمد مندور ؛ ومن الواضح أن هذا التجديد فى الشعر المهجرى كان نتيجة لتأثر المهجريين بالآداب الغربية الجديدة وبالنزعات التجددية فى تلك الآداب .. والحق أن الأديب العربى المعاصر يجب أن يتصل بالآداب الأجنبية ، إذ مما لا شك فيه أنه لا يستطيع أن يحيا حياة أدبية مستقلة عن الحياة الأدبية فى الغرب . ثم إن لنا من تاريخ العرب الأدبى دليلا ساطعاً على أثر الثقافة الأجنبية فى الأدب العربى ؛ هذا شعر أبى العلاء والمتنبى فيه دلائل واضحة على أثر الثقافات الأدبية الأجنبية فى الأدب العربى ؛ وتستطيع أن تجد الفروق واضحة بين كل من شوقى والرصافى مثلا من حيث تأثير الثقافة الأجنبية فى كل منهما ، لأن شوقى كان مطلعا عليها اطلاعاً أوسع بكثير من اطلاع الرصافى ، ولو هيئت للرصافى تلك الثقافة الواسعة لكان شعره أرفع مما هو بكثير لموهبته الشعرية وتملكه ناصية البيان العربى .

* * *

لقد كان من نتائج تأثر شعرائنا الشباب بآثار الغربيين من جهة وآثار المهجريين من جهة ثانية أن حاولوا التجديد فى الشعر ، وأوشكت تلك المحاولات أن تصيب النجاح وعلى الرغم من أنها محاولات فى بداية الطريق فإنها تبشر دون شك بكل خير .

هذا الشعر المنطلق الذى تقرءونه فى كثير من المجلات والجرائد العربية أثر من تلك الآثار .

ولم يكن هذا الضرب من الشعر ضرباً مبتكراً

ولامبتدعاً ، ولـكنه تجديد مبنى على الأصول العربية القديمة فى العروض، فيه يتحرر الشاعر من قيود القافية الواحدة ، ولا يكتفى بذلك ، بل يتحرر من قيود الوزن بعدد التفعيلات العروضية الموجودة فى كل بيت . . إن هـذا الضرب من الشعر غريب بعيـد عن عمود الشعر الذى تغنى به نقادنا القدماء ، ولا يزال بعض الناس يتغنى به حتى هذه الساعة ، والشاعر يجرى فيه على نسق منطلق لا يتقيد بقافية واحدة ولا يلتزم عدداً معيناً من تفعيلات البحور ، فقد يكون فى البيت تفعيلة واحـدة أو تفعيلتان . وقد يكون فى البيت الآخر خمس تفعيلات ، وفى آخر أكثر أو أقل .. إن بعض الناس يخطىء حين يعد هذا النوع من الشعر شعراً مرسلا ، لأن الشعر المرسل مطلق من جميع القيود ، وهذا الضرب الجديد ليس مطلقاً من جميع القيود ، ولـكننا نلتزم فيه شيئاً وننطلق عن أشياء أخرى . ثم إننا نطلق نعت (المرسل) على النثر الذى لا يتقيد بأى قيـد من قيود الصناعة اللفظية كالسجع أو الازدواج أو ما شابه ذلك .. ولهذا يقول النقاد هذا نثر مسجوع ، وهذا نثر مزدوج ، وهذا نثر مرسل ، وهو مثل هذا الحديث الذى نبثه إذا حق لنا أن نعتبره نثراً فنياً . ولنأخذ مثالا على هـذا الشعر المطلق قصيدة للشاعر العراقى الشاب بدر شاكر السياب ، وعنوانها (فى السوق القديم) . .

هذا الشاعر شاب من شباب الجنوب ، عاش كما يعيش أكثر الشباب، عيشة الـكبت والحرمان ، فانصرف إلى أحلامه يناجيها . ولقد كانت له نفس حساسة وروح شاعرة جعلاه يهيم حباً بالسراب ويتحرق ظمأ إليـه . ثم دعت إليه الظروف فتاة تخيلها فتاة أحلامه ، ومنى نفسه منها بالحب الخالد الذى لا لقاء فيه ولا وداع .. ولـكن الظروف فرقت بينهما أيضاً فبقى غريباً وحيداً فى (الرمادى) مدرساً فى إحدى مدارسها ، بينما كانت هى فى بغـداد تعب الحياة والسعادة عباً كما يقولون . . وفى سوق الرمادى القديم هاجت ذكريات الشاعر المسلول ، فبعث هذه النفثة الحرى .

تبدأ القصيدة بهذه النغمة الهادئة المنسابة فى رفق ولين .

الليل والسوق القديم ...
خفتت به الأصوات إلا غمغمات العابرين . .
وخطى الغريب وما تبث الريح من نغم حزين . .
فى ذلك الليل البهيم . .

هذا الليل الذى هاج خواطر الشاعر بهدوئه وسكونه ، وجعل روحه تهيم فى الظـلام وتتسقط أنغامه من خطى الغريب ووسوسة الريح . . هـذا الليل ساق له الذكريات المصورة عن كثير مثله من الغرباء طافوا فى ذلك السوق الـكئيب وأدلجوا فى ليله البهيم .. وفجأة يلمح الشاعر وهو فى السوق نافذة تضاء فى إحدى الدور ، ويسمع صدى غناء بعيد يذكره بلياليه الخالية مع القمر والنخيل ، ويظل الشاعر يسمع هذا الصدى البعيد فيحلم بالرحيل ويحلم بالغرام العذب الذى كان له بين أحضان الجنوب ..

وينظر الشاعر فى وجوم وشرود إلى البضائع الموجودة فى تلك السوق . فيرى الأضواء الضئيلة قد تناثرت عليها كما يتناثر الغبار أو كأنها ظلال تتناثر على ظلال ، كما يزاحم اللحن الرتيب لحناً رتيباً غيره . . ثم يلمح بين هذه البضائع كوباً يتطلع إلى الرف ويحلم بالشراب العذب والشفاه الظامئة ، ويحلم كذلك بيد تمتد إليه وتنال منه بغيتها ، وحينئذ تسود خواطر الشاعر فيتمثل الموت أمامه ويخيل إليه أن هذه اليد التى امتدت إلى الـكوب بردت عليه (وحشرجت فيه الحياة) كما يقول ..

ثم ينصرف الشاعر مرة أخرى إلى ذكرياته القديمة ، وتتداعى المعانى فى مخيلته ويستمد من ذكرياته القديمة تصويراً لمشاهد غده فى المستقبل ، فينظر (من خلل الزمان) إلى مناديل أحبابه الحزانى وهى تومىء بالوداع وتشرب الدمع السخين . . وما تزال تلك المناديل تطفو وترسب فى بحر خيالات الشاعر حتى ينصرف خياله إلى عطر مراق عليها ، وإلى دم قد خضبها ؛ ذلك الدم وذلك العطر لهما لون الدجى وتوقد النار فى خواطر الشاعر المرهق ، ثم ينتهى خياله الحزين إلى دم يعطيه الشاعر حياة الناس فيجعله يضمخ بالموت وهو يقطر : لقد مات .. مات . .

ويترك شاعرنا الـكوب على رفه وينصرف إلى الشموع المعروضة فى تلك الحوانيت . . . هذه الشموع التى ستوقد فى مخدع مجهول فى ليل لن تعرفه . . وستلقى ضوءها على ذلك المخدع فى ارتخاء وتكاسل يذكر الشاعر بأمسيات الخريف . . ويشبه الشاعر هـذه الأشعة المرتخية المتكا

التي تبعثها الشموع بأوراق الخريف في ليلة قمراء .. وما يكاد يذكر الليلة القمراء حتى تتداعى إلى مخيلته ذكرياته البعيدة من ليالي الجنوب ، تلك الليالي القمراء التي تسكر بالأغاني وتثمل بنقر (الدرابك) .. تلك الألحان الشعبية التي ينقلها سعف النخيل الثقيل بهمس وهوادة ، ثم يعود ليصمت من جديد .. ويحلو له أن يشبه قلبه بهذه الشموع ، فلقد كان مثلها يحلم باللهيب حتى أتاح له القدر ناراً تشعله ويداً تزيد من وقدة النار في قلبه .. تلك النار هي وجه الحبيب ، وتلك اليد هي يده الغادرة . . ولقد مضى يحترق الحياة عاماً بعد عام ووجهاً بعد وجه ، مثلما يغيب الشراع بعد الشراع في النهر وهو ما يزال يحلم في سكون قاتل بالحب وباللذة ، وبالصدر والفم والعيون .. ولكنه حلم طويل قاس يولد ويموت تحت أفياء النخيل وبين التمطي والتثاؤب . . ولكن ذلك القلب ما فتئ أن خبت ناره وعشش فيه الملل واليأس ، ونسي حتى كيف يحلم بالهوى . وكانت حياته فراغاً هائلا ، فلا حنين ولا اكتئاب ولا بكاء ولا أنين . . ومضى الصيف يحتضن الشتاء والشتاء يأخذ بيد الربيع ، وهو لا يزال يعاني ذلك الفراغ ويقاسي مرارته . ويبدع الشاعر حين يخيل إليه أنه يشبه إلى حد بعيد ذلك المنزل المهجور الذي تعوي الرياح في جوانبه ، أو ذلك السلم المهدم الذي لا ترقاه قدم ولا تهبطه ، فما زال قلبه في المغيب ، وما زالت حياته في ظلام (حتى أتت هي والضياء) . . هـذه التي أتت إليه هي فتاة أحلامه التي التقى بها قبل أعوام وبدأت مأساة حبهما منذ ذلك المساء الذي جمعهما تحت أضواء الطريق .. وما أحب أن أمضي في تحليل هذه القصيدة الرائعة لأني أريد أن يشاركني القارئ في التمتع بها فيقرأ معي نهاية هذه القصيدة :

ما كان لي منها سوى أنا التقينا منذ عام
عند المساء .. وطوقتني تحت أضواء الطريق ..
ثم ارتخت عني يداها وهي تهمس والظلام ..
يحبو .. وتنطفئ المصابيح الحزانى والطريق ..
أتسير وحدك في الظلام ؟
أتسير والأشباح تعترض السبيل بلا رفيق ؟
فأجبتها والذئب يعوي من بعيد .. من بعيد ..
أنا سوف أمضي باحثاً عنها .. سألقاها هناك ..
عند السراب .. وسوف أبقى تخدعين لنا هناك ..
قالت ورجع ما تبوح به الصدى .. أنا من تريد ..

* * *

أنا من تريد .. فأين تمضي .. فيم تضرب في القفار ..
مثل الشريد ؟ أنا الحبيبة كنت منك على انتظار
أنا من تريد .. وقبلتني ثم قالت والدموع
في مقلتيها غير أنك لن ترى حلم الشباب ..
ميتاً على التل البعيد يكاد يخفيه الضباب ..
لولا الأغاني وهي تعلو نصف وسنى والشموع . .
تلقي الضياء من النوافذ في ارتخاء .. في ارتخاء ..
أنا من تريد وسوف تبقى لا ثواء ولا رحيل ..
حب إذا أعطى الكثير فسوف يبخل بالقليل ..
لا يأس فيه ولا رجاء ..

* * *

أنا أيها النائي الغريب . .
لك أنت وحدك غير أني لن أكون .
لك أنت . . أسمعها واسمعهم ورائي يلعنون .
هذا الغرام . . أكاد أسمع أيها الرجل الحبيب .
لعنات أمي وهي تبكي . أيها الرجل الغريب . .
إني لغيرك بيد أنك سوف تبقى . . لن تسير .
قدماك سمرتا فلا تتحركان . . ومقلتاك .
لا تبصران سوى طريق . . أيها العبد الأسير . .
أنا سوف أمضي فاتركيني، سوف ألقاها هناك .
عند السراب . فطوقتني وهي تهمس . . لن تسير .

* * *

أنا من تريد فأين تمضي بين أحداق الذئاب ؟
تتلمس الدرب البعيد ؟ . .
فصرخت سوف أسير ما دام الحنين إلى السراب .
في قلبي الظامي . دعيني أسلك الدرب البعيد .
حتى أراها في انتظاري . . ليس أحداق الذئاب .
أقسى علي من الشموع . .
في ليلة العرس التي تترقبين . . ولا الظلام .
والريح والأشباح أقسى منك أنت أو الأنام . .
أنا سوف أمضي . . فارتخت عني يداها والظلام . .
يطغى . . ولكني وقعت وملء عيني الدموع . .

(البحث بقية)

شاذل طاقة

ألحان الخـــلود

– ٢ –

للآنسة نعمات أحمد فؤاد

والدكتور زكي مبارك ثائر بطبيعته . ألم يقل (إن الهدوء يزعجني والجو الذي يثير الشاعرية في صدري هو الجو الحاد ، بالبرد أو بالقيظ . أما الجو المعتدل فهو موسم خمود ، ولعل هذه الطبيعة هي السبب في أن يتسم أدبي بوسم العنف والجموح)(١) .

ويوقعه هدره وثورانه الدائم في الغموض ، فكم تقع له على عبارات لا طائل وراءها كقوله « جمال الجمال » الذي رددها كثيراً حتى لا تكاد تخلو قصيدة من ديوانه من هذه العبارات وهي أكثر شيوعاً في نثره . فصديقه أحمد رشدي (أجمل من جمال الجمال)(٢) وهو يعشق في أسيوط (روحاً جميلة تعيش في شارع (جمال الجمال)(٣) ولا يزيل هذا الغموض تفسيره لهذه العبارة في فاتحة ديوانه ، فقد أهدى ديوانه إلى (جمال الجمال) أيضاً ثم راح هو نفسه يتساءل عن (جمال الجمال) وسطر الجواب على هذا النسق :

« هو شخصية خيالية أبدعتها لنفسي في ١٨ يوليه سنة ... لقد نسيت التاريخ . أظنني .. أبدعت خلقة جميلة وسميتها باسم جميل » (٤) .

وهذا الغموض والخلط في أسلوبه يعزى إلى القلق النفسي الذي يحسه من شعوره بغبن الناس له . ذلك الغبن الذي يتمثل في قوله : (فهمت كل شيء ، وعرفت كل شيء ، وبقي قلبي كالغابة المجهولة في ضمير الظلماء . . .) ثم يفصل هذا بقوله : (فأنا عند أنصار الحزب الوطني شعبي يناصر الوفديين ، وعند الوفديين خيالي يتشبب بالملحقات من زيلع إلى جغبوب ، وأنا بين المؤمنين ملحد ، وبين الملحدين مؤمن ، وأنا بر عند الفجار وفاجر عند الأبرار ، فأنا في كل بيئة أجنبي وفي كل أرض غريب .)(١) .

(١) ص ٣٩
(٢) ص ٩
(٣) ص ١٠
(٤) ص ٤٨

وقد ردد هذا في شعره كذلك كقوله في قصيدة دجلة الثانية :

شجوني وأحزاني كثار لما الذي
يطيب لهذا الدهر من ذلك الحزن
لقد أغرقت قلبي الهموم لما الذي
تروم الليالي من عذابي ومن بيني
تغربت في الدنيا فلا (مصر) دارتي
ولا أنا آو في الحياة إلى ركن
فتى عبقري الروح لا الناس أهله
وليس له عند الكريهة من خدن(٢)

وإلى هذا الشعور بالغبن تعزى ظاهرة تصيد الألقاب لنفسه كقوله :

(نظمت قصائد كثيرة في تصوير ذلك الوجد المشبوب بصورة قضت بأن تخلع على (مجلة الحوادث) لقب (ملك الشعراء) ومن قبل خلعت على (مجلة الصباح) لقب (أمير البيان)(٣) .

ويقول في موضع آخر : « وفي مجلة الرسالة تجلى قلمي إلى ألطف حدود التجلي ، تجلى شعراً ونثراً بصورة واضحة جلية . كنت أكتب في كل عدد ثلاث مقالات ، المقالة الافتتاحية، وكان الأستاذ الزيات يقول إنها (بقلم كاتب كبير) صدق ! »(٤) .

(١) ص ٥٠ مقدمة الديوان الأول
(٢) ص ١٨٥
(٣) ص ٦
(٤) ص ٣٨

لكأنى به يفرح حين يشيم من الناس إنصافاً ، فهو يسجل ثناءهم كأنما يخشى منهم تراجعاً .

وهذا الغبن الذى تثقل وطأته عليه ينفسه عن صدره بالحديث عما يعانيه وعما يتخيله وعما يفعله . وهذا الشعور بالغبن أورثه مرارة تدفعه إلى التحدى والذم لأتفه الأسباب. ومن الطريف أنه يعزو عنفه إلى مولده فى شهر أغسطس (لأنه موسم طغيان النيل ولأنه أعنف أيام القيظ ، وكذلك يسميه أهل لبنان « آب ، اللهاب »)[١] .

وهو فى ذمه مقذع وإن كان رغم هـذا المظهر الخشن طيب القلب نقى السريرة .

تصدر لبابيه[٢] :

هو يريد أن يثبت أنه محبوب وله معابط وحى هنا وهناك ، وهذا مظهر تعويض ، فهو إن خاصمه الرجال وغمطوه فحسبه الخرد الغيد .

* * *

ومن حق الدكتور زكى مبارك أن نذكر بعد هذا حسناته ، ففى ديوان (ألحان الخلود) خطرات إنسانية ترف فى حديثه عن العيد الذى غاب فيه تلميذه وصديقه أحمد رشدى : (هذا هو العيد الذى قضيته فى النواح على تلميذى وصديقى أحمد رشدى ، فقد رأيت من العقوق أن أخرج من البيت لأتنعم بملاهى القاهرة وأهله يبكون عليه)[٣]

وهو يقارن بين الولد والشعر (لى أبناء ولله الحمد ، ولكن أبنائى من روحى أعز على من أبنائى من بدنى .

إن أبنائى من روحى وهم أشعارى ومؤلفاتى لا يقولون إلا ما أريد أن أقول ، أما أبنائى من بدنى فلا يقولون دائماً بما أريد أن أقول)[٤] .

ومن وراء ديوان (ألحان الخلود) إنسان حساس . إن الدكتور زكى مبارك مع سطحه الخشن رقيق الحس ، وليس أدل على رهافة حسه من هذه القصة التى رواها :

---

(١) ص ١٥٥ — ١٥٦

(٢) ص ١٥ — ١٨

(٣) ص ١٠

(٤) ص ٢٠

(تفضل معالى (حلمى عيسى باشا) بدعوتى إلى الغداء فى داره بالزمالك لأشترك فى تحية الأستاذ إسعاف النشاشيبى ، وكان الغداء شهياً ، ولكننى لم أتناول غير لقيمات صغيرات دفعت ثمنها علما وأدبا ، وأنا بحمد الله من أكابر العلماء والأدباء وأنوف أعدائى فى الرغام .

كان على المائدة «باشا» لا أسميه ، فأنا أضن بالتشريف على بعض الخلائق !

رآنى ذلك « الباشا » أضع الخبز فى المملحة فقال : خذ الملح بالملعقة .

فقلت : لا تؤاخذنى ياباشا ، فأنا فلاح ذرعت الأرض من باريس إلى سنتريس ومن باريس إلى بغداد .

ثم قلت : هل تعرف يا باشا معنى كلمة « الزمالك » ؟

فقال : تسأل صاحب المعالى حلمى باشا .

فقلت : إنه لا يعرف !

فقال الباشا : وتعرف أنت ؟

فقلت : أعرف لأنى الدكاترة زكى مبارك ، فاسمع .

فقال الباشا : سأسمع .

فقلت : كف يديك عن الطعام لتسمع .

فقال : أسمع ، أسمع ، أسمع ! !

فقلت : الزمالك جمع زملك بضم الزاى وهى كلمة ألبانية معناها الخيمة ، وهى فى المكان الذى يقيم به نادى الضباط بالزمالك فى هذا الوقت)[١] .

* * *

لنقف طويلا عند عبارته (وكان الغداء شهيا ولكنى لم أتناول غير لقيمات صغيرات) كم هزتنى هذه العبارة . لقد جرح شعوره انتقاد الباشا الذى لم يرد أن يسميه له على المائدة ، فعزف عن الطعام (الشهى) وزهدت نفسه فيه ، ولكنه لقن ناقده درساً بليغا فى القيم الحقيقية التى يتضاءل إلى جانبها « فن الاتيكيت » .

والأمثلة على إبائه وعزة نفسه مبثوثة فى أنحاء الديوان لا يعيى المتطلع فيه نشدانها .

وأروع ما فى ديوان (ألحان الخلود) عندى تلك الصورة التى رسمها لنفسه فى معتقل الإنجليز البغاة . هنا

---

(١) ص ٢٩٥ — ٢٩٦

قلب إنسانى يخفق بالوطنية المصرية فى حرارة وصدق وإيمان عميق . هنا ومضات روح تروع وتأسر . مصرى يتجرع غصص الجوع ، ويعانى عذابات السجن ، ويلوح له بالفكاك من الأسر إذا نكص على عقبيه وتنكر لمبادىء الحرية ، فيرفض فى شمم حتى لم يبق فى السجن غيره وحتى حار معه سجانه فأطلقه لما استعصى عليه أمره . إنى هنا أنقل بعض خطوط هذه الصورة إنصافا للرجل الكريم :

(كانت السلطة العسكرية قررت لكل معتقل سبعة عشر قرشاً فى اليوم يطلب بها من المتعهد ما يشاء . فكنت أطلب طعاماً بعشرة قروش وأطلب بالباقى كتباً من مكتبة كان اسمها فى ذلك الوقت (المكتبة العباسية) وكانت النتيجة أن أجوع جوعاً لم أشهد مثله فى حياتى ، فقد كنت وحيد أبى وأمى ، وكان يهمهما التأسيس ، وهو فى لغة سنتريس أن ينشأ الطفل بأمعاء قوية تصارع تقلب الأجوار[1]) .

إنها لمحة معبرة ولكنها لا تغنى عن الصورة الرائعة التى يجب أن يقف أمامها طويلا أبناء هذا الوطن الكريم .

والدكتور زكى مبارك له طبيعة الفنان . دعته جامعة أدباء العروبة إلى إنشاد قصيدة فى مهرجان أدب البحر ، فماذا فعل ؟ لم يأخذ القلم بين يديه ليشرع فى التسجيل مستوحياً خياله ، بل نهد إلى الإسكندرية ليستمع بأذنه هدير الموج ، ويرى بعينه اصطخابه ويستلهمه القصيد ، وهذا هو الصدق فى الأدب ، وفى هذا يقول (وأنا آخذ أدبى من وحى الحياة لا من وحى الخيال ، ولهذا سافرت إلى الإسكندرية مرتين لأنظم القصيدة وأنا فى رحاب الأمواج[2]) .

وقد احتفل الدكتور زكى مبارك فى بداية حياته الشعرية بالمعارضة فعارض قصيدة شوقى التى مطلعها :

مضنى وليس به حراك   لكن يخف إذا رآك

فأحسن المعارضة ، ومن أبياته :

يا من أجلك عن وصا   لى فى دنوك أو نواك
وأراك مولاى الرحـيـ   م وإن نأى عنى جداك
تخطو وتخطر بالأصيـ   ل فلا النسيم ولا الأراك[3]

(1) ص ٢٢٨
(2) ص ٢٢٢
(3) ص ٢٢٩

ومن الطريف أن الدكتور زكى مبارك فى ديوانه (ألحان الخلود) سطر لنا قصيدة يقص علينا أنه عثر عليها فى مجموعة الأستاذ كازانوفا وهى منسوبة إلى الرسول ويدعى راويها أن النبى (ص) نظمها وهو فى طريقه من مكة إلى يثرب ، ويحدثنا الدكتور أنه بذل جهداً خطيراً فى تصحيح ذلك التحريف ، بل حاول أن ينظمها من جديد ثم أقلع إذ رأى فى هذا الصنيع جناية على التاريخ . ويخيل إلى أنه تغلبت عليه الرغبة فى نظمها من جديد ، لأن القصيدة عليها طابعه وتتمثل فيها خصائصه ولا يستطيع الناقد تمييزها عن سائر قصائد الديوان . لا بل إن الدكتور زكى مبارك نفسه قد اعترف صراحة أنه ناظم القصيدة فى ص ٢٨ .

* * *

وديوان (ألحان الخلود) بعد هذا (فى مجموعه) قاتم اللون ، فصورة صاحبه تطل عليك من بين سطوره تلوح على مخايلها أمارات الشقاء . ولعل من دواعى شقائه أنه تعذب فى مدة طفولته الحزينة ، فهو يقول (لم أعرف فى عهد الطفولة معنى جميلا ليوم العيد ، فقد كانت ليلة العيد مشئومة ، كنا نحمل الفوانيس ونمضى إلى المقابر لنسلم على الأموات . وكان صباح العيد غاية فى الشؤم ، فإن عائلتنا فى سنتريس كبيرة ، وما كان يمر عيد بدون حزن على ميت ، وبهذا كان يجب أن تكون القهوة المرة هى ما نقدمه إلى المعيدين

وكعك العيد — وهو فرحة الأطفال — ما خبزناه فى بيتنا إلا مرة أو مرتين ، فقد كان من العيب أن نخبز الكعك وفى العائلة بيت حزين .

لقد تأثرت أعصابى تأثراً شديداً بهذه المناظر التى واجهتنى بها الحياة وأنا طفل ، ومضت هذه المناظر تلاحقنى من عيد إلى عيد[1]) .

وكان من أسباب شقائه اعتقاله فى سنة ١٩١٩ .

ثم سقوطه فى الليسانس مرتين . . . وهو المعتد بذكائه ونبوغه .

ثم . . . ثم ماذا ... لنستمع إليه يروى قصته :

(1) ص ١٠

(ثم توالت متاعب عنيفة إلى أخطر حدود العنف وكان أصعب تلك المتاعب هو هجرتي إلى باريس ، فقد أقمت فيها سنين كانت من أعجف السنين .

ولم أعرف الراحة بعد الرجوع من باريس .

هل كانت أيامي وأنا رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الأمريكية أيام هدوء ؟ وهل كانت أعوامي وأنا أستاذ الأدب العربي بكلية الآداب أيام اطمئنان ؟ والسنون التي قضيتها وأنا مفتش المدارس الأجنبية بالمملكة المصرية ، هل كانت تلك السنون مما يريح .

وتلك المؤلفات الطوال ، ماذا أخذت من عافيتي وشبابي ، والقصائد والمقالات ، ماذا صنعت ؟

عند الله جزائي .

والغربة المزعجة التي قضت بأن أذرع فضاء الله من شاطئ المانش إلى شط العرب .

أنا لا أصدق أن هذا وقع لولا السطور المبثوثة في كتاب « ذكريات باريس » وكتاب « ليلى المريضة » في العراق .

وهذا الاضطهاد الذي يتدفق من جميع الجوانب مرسلا بسخاء من كبار الوزراء . . . وتلك الآثام التي تفيض بها ألسنة المغتابين .

إن بعض هذا يكفي لتخلع على أشعاري أثواب الحزن الوجيع[1]) .

وبعد فأنا هنا حين أحلل شعر الدكتور زكي مبارك في هذه العجالة لا أدعي أني أتيت بجديد ، فقد سبقني هو إلى كثير مما قلته في خاتمة ديوانه التي كتبها على طريقته في التحليق ثم الانخفاض فجأة وعلى غير انتظار . هذه الخاتمة فيها نظرات صادقة وفيها مزاعم يحلو له أن يرددها فلندعها له ولنقف عند النظرات الصادقات ، وإني لأنقلها على النسق الذي بسطها به لتقوم عذراً لي عنده في نقده بعد أن قال (لن يستطيع ناقد متحذلق أن يكتب حرفا في نقد هـذا الديوان . فما عرفت اللغة العربية في تاريخها القديم وتاريخها الحديث قلما أمضى من قلمي ، أو بياناً أبلغ من بياني[2]) .

ونقده لنفسه تلخصه في الكلمات الآتية :

١ — قد يرى القارىء بيتاً ضعيفاً في قصيدة قوية فيسأل عن السر في الإبقاء على هذا البيت الضعيف .

وجوابي أن ذلك البيت قد يكمل الصورة ، وعلى فرض أنه حشو فالحشو ينفع في إقامة أعالي المباني .

وابن الرومي الشاعر العبقري قد اعتذر عن الأبيات الضعيفة في القصائد القوية ، فقال ما معناه « إن الشجرة القوية تعتمد في حياتها على أغصان ضعيفة » وقد صدق .

وفي الديوان مقطوعات لا تحتمل النقد ، لأنها في غاية من الضعف ، ولكني أبقيت عليها لأرى فيها الخطوات الأولى من حياتي الشعرية .

٢ — في هذا الجزء هجاء لبعض الخلائق من وزراء وشعراء ، وضميري يؤنبني على ذلك الهجاء ، ولكنني أبقيت عليه ليرى فيه الجمهور صوراً من العصر الذي « نعمت » فيه بمعاصرة أولئك الوزراء والشعراء ،

٣ — هذا الديوان في جملته لن يكون أقوى من كتاب « النثر الفني » أو كتاب التصوف الإسلامي ، أو كتاب الموازنة بين الشعراء أو رسالة « اللغة والدين والتقاليد » فتلك المؤلفات وأمثالها عصارة عقلي ، أما هـذا الديوان فهو عصارة قلبي وروحي .

٤ — (إن هذه المجموعة الشعرية قطعة من حياتي الوجدانية ، فليس فيها تزييف ، وإنما هي خواطر فاض بها القلب وعبرت عنها بهذه الألحان .)[1]

* * *

ولعل ما ذكره عن نفسه مضافا إليه ما ذكرته عنه يصور لنا مجتمعاً طريقته في قرض الشعر . فهو يرسله كما يجود به خاطره بدون تكلف كالنهر لا يرسم له مجرى يسيل فيه ماءه ، ولكنه يمضي لغايته ويشق طريقه أثناء سيره ، فإذا هو مستقيم حيناً ، كثير الالتواءات أحياناً ، ولكن كثرة التعاريج في شطئانه لا تهوّن من رسالته ولا تضعف من قيمته .

نعمات أحمد فؤاد

---

(١) ص ٣٤ — ٣٥

(٢) ص ١٨

(١) خاتمة الديوان ص ٣٩٤ — ٣٩٥ .

صفحة من حياة «جونسون»

لجيمس بوزويل

للأستاذ مبارك إبراهيم

كان « جيمس بوزويل » اسكتلنديا ، من القوم الذين كان « جونسون » يجفوهم ويبغضهم (ومن آيات بغضه لهم أنه لما ألف قاموسه فسر كلمة «oats» بقوله: («الجلبّان» نوع من الحبوب يتخذ فى انجلترا علفاً للخيل . ولكنه فى اسكتلندة يتخذ طعاما للناس) .

و « بوزويل » قد قضى أطيب شطر من حياته فى صحبة « صمويل جونسون » وكان لا ينفك يدون كل ما يقوله ذلك الرجل العظيم . ويسجل كل ما يفعله . وجمع مادونه . وكتبه فى أسلوب يسيل رقة وعذوبة . ثم جعل منه كتابا هو خير مايقرأ فى اللغة الإنجليزية من كتب التراجم والسير .

و « بوزويل » على فرط إعجابه بصاحبه . لم يجعل منه إنسانا مبرأ من العيوب . ولم يخف من وجه صاحبه أى ندبة من الندوب . فجاءت الصورة أقرب ما تكون إلى الكمال الإنسانى .

وفيما يلى بعض مقتطفات من بعض فصول تلك الترجمة :

قال « بوزويل » تحت عنوان « جونسون فى المدرسة » : —

تلقى « جونسون » تعليمه أول ماتلقى على يدى السيدة « أوليفر » وهى أرملة كانت تدير مدرسة لتعليم صغار الأطفال .

وحدثنى « جونسون » فقال إنها كانت تستطيع قراءة الكتب المطبوعة بالحروف الكبيرة السوداء . وأنها طلبت إليه أن يسأل أباه أن يقرضها « التوراة » لتقرأها .

ولما آن أوان ذهابه إلى « أكسفورد » ودعته تلك السيدة أجمل وداع . وزادت بأن أهدت إليه فطيرة محشوة بالزنجبيل . وقالت عنه إنه كان أحسن تلاميذها .

ثم تتلمذ بعد مغادرته لمدرسة تلك السيدة على معلم كان يطلق عليه إسم « توم براون » . وقال فى الثناء عليه إنه كتب كتابا فى قواعد التهجى وأهداه إلى العالم أجمع . . .

ثم بدأ يتعلم اللاتينية على يد معلم اسمه « هوكنز » . ثم ترقى فتتلمذ على ناظر المدرسة . وكان اسمه « هنتر » . وكان كما يقول جونسون رجلا قاسياً ، فظا ، غليظ القلب . إذ كان من عادته أن يضربنا فى غير رحمة أو هوادة . وكان لا يميز بين الجهل وبين الإهمال . وكان يسوى فى الضرب بين تلميذ لا يعرف شيئاً من الأشياء . وبين تلميذ آخر قد أهمل فى معرفة ذلك الشىء . وقد كان يسأل تلميذاً من التلاميذ سؤالا فإذا لم يحسن الجواب عاقبه بالضرب دون أن يعرف إن كانت قد أتيحت الفرصة لذلك التلميذ أن يعرف جواب هذا السؤال أو لم تتح .

وقد سأل مرة تلميذاً عن معنى كلمة « شمعدان » باللاتينية . وهو سؤال لم يكن يتوقعه ذلك التلميذ . فأجابه بقوله : إذا استطاع كل تلميذ أن يجيب عن كل سؤال لما كانت هناك حاجة إلى معلمين يعلمون التلاميذ .

وعلى الرغم مما أسلفنا فإن « جونسون » كان يقر لأستاذه «مستر هنتر» بالفضل . وقد سأله يوما أحد أصحابه : كيف أتقن معرفة اللغة اللاتينية معرفة تفوق بها على أنداده؟ فقال : إن أستاذى قد أجاد استعمال « السوط » فى ضربى ولولا هذا لما حذقت اللاتينية .

ومضى « جونسون » يقول : وكان من عادة « مستر هنتر » أن يقول لتلاميذه وهو يضربهم . إنى أضربكم اليوم لأنقذكم من المشانق غداً .

وكان « جونسون » لا ينفك يؤكد فى كل مناسبة أنه يُقرّ طريقة الضرب بالعصا كوسيلة من الحث على الدروس والتعلم . وأنه يفضلها على طريقة القول للتلميذ : إنك إن أحسنت

الدرس والاستذكار نلت من التقدير أكثر مما ينال إخوتك أو أخواتك .

ويرى « جونسون » أن طريقة التنافس والمباراة مؤدية إلى بث روح الكراهية بين الإخوة والأخوات .

وكان المقربون إليه وذوو الحظوة عنده ينالون من بره الأدبي وسخائه المادي الشيء الكثير . وكان هؤلاء يسعون جهدهم لينالوا رضاه . حتى إن ثلاثة منهم كانوا يجيئون إلى داره في كل صباح ليحملوه إلى المدرسة . وهـذا التوقير للعلم والأدب يشرف فاعليه ، ويشرف الطبيعة الإنسانية . . .

وقال « بوزويل » تحت عنوان « جونسون وجولد سمث » : يروى أن « جونسون » قال لسيدة كانت تشكو أنه نزر الكلام إذا جلس إلى أصحابه : يا سيدتي إني أحمل معي قليلا من المال . ولكن في خزائني الكثير من ذلك المال وفوق الكثير . ولقـد استرعى انتباهي أن صديق « جولد سمث » يختزن في خزائنه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة . ولكنه ليس يقنع بذلك، فهو لايفتأ يخرج كيس نقوده . فقالت السيدة : هذا حق يا سيدي . ولكن كيس نقوده فارغ في أغلب الأحايين !

والحق أن « جولد سمث » قد كانت به دائماً رغبة ملحة في أن يكون علماً بين أصحابه . وهذا ما حدا به إلى الظهور بهذا المظهر الذي لا يليق برجل في مثل ذكائه ونبوغه ، وهو لما لمع نجمه في الأدب اشتدت به الغيرة — أكثر من ذي قبل — مما كان يلاقيه « جونسون » من عناية القوم به في كل مكان .

وكذلك مما يروى في هـذا الصدد أن « جولد سمث » قال ذات يوم أمام جمع من أصحابه . وكان « جونسون » حاضراً : لقد خطر ببالي أن أكتب قصة ، وأن أدير الحوار فيها على ألسنة الأسماك والطير . وقال : إن البساطة شرط ضروري في تأليف هذا النوع من الحكايات . وضرب المثل على ذلك بقصة الأسماك الصغيرة التي رأت الطير تحلق في الهواء فوق رؤوسها فحسدتها وتوسلن إلى الإله أن يحيلهن طيراً . ثم مضى « جولد سمث » يقول : إن البراعة هنا تقوم على إنطاق صغار السمك بالكلام .

وبينما هو مستغرق في بسط هـذا الخيال نظر فرأى « جونسون » تهتز جوانحه من فرط الضحك . فقال وهو يكاد يتميز من الغيظ : يادكتور « جونسون » ليس الأمر سهلا كما قد يبدو لك ذلك ، لأنك لو أردت أن تجعل صغار السمك تنطق لأدرت على لسانها حديثاً هو بحديث الحيتان الضخمة أشبه ! . . .

وقال « بوزويل » تحت عنوان « حديث في النادي » : —

تغديت يوماً مع « جونسون » في لندن ، وكنا في صحبة جماعة من علية القوم الذين لن أسميهم ، ولكني أرمز لهم بأحرف مختلفة من حروف التهجي : —

ف : لقد كنت الساعة أنظر إلى تلك التحفة المرمرية العجيبة الصنع ، وهي تمثال يملكه « مستر چيننجز » (وهو رجل كان يعنى بجمع الآثار القـديمة) . ويقال إن التمثال يمثل كلباً من كلاب القائد والسياسي الأثيني القـديم « السيبيادز » . وهم يقدرون ألفاً من الجنيهات ثمناً لهذا التمثال .

جونسون : لو صح هذا القول لوجب أن يقطع ذيل التمثال . ذلك لأن كلب « السيبيادز » كان أجبّ الذيل .

ا : إن ألفاً من الجنيهات ثمن باهظ ، ومن يصدق أن ثمن كلب ميت يفوق ثمن أسد من الأحياء .

جونسون : إن الجنيهات الألف ليست ثمن تمثال الكلب ، وإنما هي ثمن البراعة في صنع ذلك التمثال ، وليس بالكثير ذلك المال الذي يدفع ثمناً لتحقيق ما كان يظنه المرء مستحيلا .

وإذا نحن أجزلنا العطاء لذلك الرجل الذي يجعل واحداً من أعواد الثقاب يستقر فوق أرنبة أنفه ، أو لذلك الرجل الذي يستطيع أن يمتطي صهوات ثلاثة من الخيل في وقت معاً — أقول إننا بهذا العطاء الجزيل نعبر عن إعجابنا بالمهارة التي يبديها مثل ذينك الرجلين .

بوزويل : ولكنا بعملنا هـذا نشجع أولئك الذين يضيعون وقتهم وجهدهم فيما لا يجدي ولا يفيد .

ب : يرى بعض من رجحت عقولهم أنه لا يصح ذم الناس أو مدحهم إلا بعد التجربة . ولكن هناك حكاية تروى عن قاض من القضاة جاءوه مرة بواحد من الخدم

اتهمه سيده بأنه قد سرق منه بعض المال ، وثبت لدى القاضي من مناقشة المدعي والمدعى عليه أن ذلك السيد قد ألقى بالمال المسروق في طريق ذلك الخادم امتحاناً لأمانته ، وعلى هذا حكم القاضي بإدانة السيد وبإرساله إلى السجن . .

چونسون : إن مقاومة حوافز الغواية مرة ليست دليلا كافياً على الأمانة ، ولكي يحكم الناس على خادم من الخدم أنه أمين ، فلا بد له أن تستعصى نفسه على الغواية استعصاء لا يجعل مجالا لشك ، كأن سهو سيده فيضع مالا فوق نافذة من النوافذ دون أن يعرف مقداره أو يتذكر مكانه . نقول إذا استعصى الخادم في هذه الحالة كان ذلك دليلا لا يرد على أمانته . أما تيسير سُبل الإغراء وتمهيد طريق الغواية لجريمة ترتكب في حق من يتعرض لها . فإذا تولاه الضعف الإنساني كان من يسر له سبيل الإغراء شريكا له في الجريمة .

ونحن نختتم هذا المقال بكتاب بعث به « چونسون » إلى « لورد شستر فيلد » . وقصة ذلك الخطاب أن « چونسون » قبل البدء في تحضير مواد قاموسه طلب إلى « لورد شستر فيلد » أن يشمله برعايته ، ولكن اللورد ردّه رداً غير جميل .

وجاء اللورد بعد سبع سنين ، وكان چونسون قد قارب المجمع فأذاع في الناس أنه يسره أن يتوّج باسمه ذلك الكتاب .

وكان هذا هو الحافز لچونسون على كتابة ذلك الخطاب الذي يعدّ إعلاناً لاستقلال الأدب الإنجليزي وتحرره من نير الرعاية والحماية قال چونسون : —

سيدي اللورد :

لقد نبأني صاحب صحيفة « الدنيا » أن المقالين اللذين ظهرا في تلك الصحيفة وفيهما تقديم قاموسي إلى الجمهور قد كتبتهما أنت يا صاحب الفخامة وأن ألقى التميز من فخامتكم — وأنا الذي ما تعودت أن أتلقى عوارف العظماء — منّة لا أستطيع أن أؤدي واجب الشكر عليها .

وإني لأذكر أني زرت فخامتكم أول الأمر ، وكنت مأخوذاً بسحر ما عرفه الناس عن فخامتكم من حسن اللقاء ، ولم أتمالك نفسي من أن أتمنى أن أنال شرف الفخار بولائي لكم وانتسابي إليكم ، ولكني لم ألق منكم إلاّ النظر الشزر ، وإلاّ التسويف والمطل . وقد أبت عليّ كرامتي ، بل أبت عليّ مذلتي أن أستنيم إلى هذا الضيم .

وإني لأذكر أيضاً أني توجهت إلى فخامتكم بخطاب مفتوح لجأت فيه بآمالي إلى كل ما أعرف من أساليب الإرضاء . فلم ألق إلاّ الإهمال ، وهو ما يأباه الحر الأبيّ مهما صغرت مكانته .

ولقد مضى على سبع سنين منذ جئت إلى بيتك فلم أظفر إلاّ بالإذن لي في الدخول إلى غرف انتظار الغرباء حيناً وإلاّ بالطرد أحياناً . وكنت في ذلك الحين أعاني في إنجاز ما أخذت نفسي بإنجازه صعاباً وأهوالا « تجعل الولدان شيباً » ، وهي صعاب وأهوال لا فائدة اليوم من ترديد الشكوى من شدتها وقسوتها . فكيف تريدني فخامتكم — وقد أصبح قاموسي يؤذن بالظهور دون أن أظفر بكلمة من كلمات التشجيع أو بابتسامة من ابتسامات الرضا أو بأي نوع من أنواع المساعدة — أن أقبل ما تعرضه اليوم عليّ . وكيف أقبل أمراً لم أكن أتوقعه ؟

وإنك لتعلم يا سيدي اللورد أن الراعي الذي ورد ذكره في شعر « فرچيل » قد عرف « الحب » بعد طول الطواف ، وهو قد ألفى ذلك الحب ساكناً من سكان الصخور .

وكيف يكون راعياً للأدب يا صاحب الفخامة من ينظر إلى رجل يكافح الأمواج في سبيل الظفر بالحياة ثم لا يعينه . حتى إذا بلغ الشاطىء أغدق عليه فيضاً من ألوان المعونة .

« الرعاية التي تفضلتم فخامتكم فأردتم أن تضفوا ثوبها على ما قمت به من عمل كنت أتمنى أن أنالها مهللاً ومكبراً . ولكنها جاءت متأخرة وأصبحت لا أبالي بها . ذلك لأني لا أستطيع أن أفيد منها شيئاً . وذلك لأني أصبحت بحمد الله رجلا مشهوراً . فلا حاجة بي اليوم إلى تكأة أتوكأ عليها . ولست أرغب في أن يعرف الناس عني أني أصبحت في حمى راع من رعاة الأدب وأنا الذي أمدتني القدرة الإلهية بالعون والتيسير . .

وإني لا زلت لفخامتكم الخادم المطيع « سام چونسون » .

مبارك ابراهيم

حول معرض الخريجين ...

للأستاذ محمد فهمى

جمعتنا المصادفة بمعرض اتحاد خريجى الكلية الملكية للفنون الجميلة المقام بنقابة المحامين : سعادة يوسف بك هام والأستاذ أحمد عثمان رئيس قسم النحت بكلية الفنون الجميلة والرسام الأستاذ شعبان زكى وكاتب المقال .

وقد دار الحديث حول بعث فن مصرى ، فها هى شخصيتنا المصرية تائهة وسط هذه المعارض واللوحات الأوربية المنزع والأسلوب والطابع ، واقترحنا خطوطاً أولية للوصول إلى هذه الغاية — غاية خلق فن مصرى — فاستقر الرأى على أن يدرس طالب الفنون الفن الفرعونى كأساس ويتفهم أسراره ويحذق أساليبه وأغراضه ثم يعيش فيه بروحه وإحساسه وذهنه . وبهذا يمكننا أن نتسلم من أجدادنا العظام هذا الميراث الذى لا نظير له والذى أملته طبيعة هذا البلد وروحه وأضواؤه وألوان واديه . وقال الأستاذ أحمد عثمان من العجيب أنى وجدت مصريتى فى أوربا إذ سافرت فى بعثة الفنون الجميلة وأنا لا أومن بشئ قط اسمه الفن المصرى كما هو الشأن مع مبعوثينا إلى الروم ولكنى فوجئت هناك بما لم يخطر لى على بال بل بما أثار دهشتى ، إذ حينما دخلت على أستاذ الأكاديميا فى روما وعلم أنى مصرى هب واقفاً لى إجلالا واحتراماً وانحنى تكريماً لى أنا الطالب البسيط الذى جئت أتلقى على يديه الفن ثم التفت إلى الطلبة من مختلف بلاد العالم مشيراً إلى وهو يقول هذا مبعوث الأمة التى وهبت الإنسانية أعظم فن . وقد ظننته فى أول الأمر يسخر بى ولكن تأكد لى أن الأستاذ جاد لتكرار تحيته كلما رآنى . ثم هناك بالقسم المصرى بمتحف فلورنسا رأيت أساتذة الفنون الأوربيين يقفون خاشعين وكأنهم أطفال أمام أساتذتهم الكبار ومن ذلك الحين بدأت أومن بمصريتى .

وأكد هام بك قول الأستاذ عثمان قائلا حينما كنت مبعوثا بانجلترا كان معنا زميل مصرى أدهش الأساتذة هناك لقدرته الفائقة حتى تأثر بفنه الأساتذة الإنجليز الذين ذهب يتلقى عنهم حتى نصحونى قائلين .. حافظ على طابعك المصرى .

وإننا لكى نحقق هدفنا فى خلق فن مصرى لا محاكاة وتقليداً أعمى بل عن دراسة وفهم عميقين يجب أن نعمل أولا على تكوين الأستاذ والمدرس المؤمن بهذا الفن ؛ ويمكن أن يتأتى هذا بتنظيم دراسات فى الفن المصرى لأساتذة الفن حتى يكونوا نواة طيبة لإيقاد الشعلة فى نفوس طلبتهم ويوجهوهم الوجهة التى نريدها لأبناء مصر .

عبد السلام الشريف

هذا هو الفنان الذى لو عرضت لوحاته بين أكبر عدد من لوحات الفنانين من مختلف بلاد العالم لاستطعت دون عناء أن تشير إليها قائلا هذا الفن مصرى ولفنان مصرى . ولعبد السلام لوحتان — أهلا وسهلا وغذاء — والوضوع عنده يحقق الاتجاه الذى نريده للفن ؛ وهو يتخذ فن الفراعنة مثله الأعلى ، ولكن شخصيته واضحة كل الوضوح فلا يقلد تقليداً أعمى وشعاره (البساطة سر الجمال) وهو نفس شعار الفراعنة وأنظر قدرته فى المزج بين الزخرف والخط الفرعونى بألوانه النقية دائماً ثم أشخاصه فى سكونهم النابض بالحركة أو تحركهم الناطق بالوقار وملامحهم التى لا تخطئها أبداً إذ تشاهد فيهم أهلك وجيرانك وعشيرتك ، ثم الجمال النابع من قلب فنان تشبعت كل ذرة فيه بحب بلده ؛ كل هذا جعل من عبد السلام فى الرسم قريناً لمختار فى النحت ؛ فعلى يدى مختار رفع النحت الفرعونى رأسه فى العصر الحديث . وها هو عبد السلام يبعث الرسم الفرعونى فى عمق وإيمان مع إحساسه بشخصيته وعمق شعوره بالبيئة والمجتمع المصرى .

حسين بيكار :

يمتاز هذا الفنان بليونة خطوطه إلى درجة العذوبة وإن اتخذت تكويناً هندسياً إلا أنه متناغم ومتسق ؛ وأظهر ميزات هذا الفنان أنه استطاع أن يوائم بين الذهنية والحساسية بحيث يخدم كل منهما الآخر إلا أنه فنان تائه لم يهتد بعد إلى هدفه . وفى لوحته (العيش الشمسى) يبدو لنا أنه بدأ يجد طريقه .

حسين البنانى :

فنان يعبر عن المدارس الأوربية فى القرن التاسع عشر وأخصها مدرسة الواقعية والهواء الطلق. ولوحته (بنت المعلم) تحس فيها بالطابع المصرى أكثر من لوحته (القرية) برغم أن الموضوع فى الثانية ريفى صميم ، إلا أن لمسات الفرشة أوربية النغم ، ولو وضع اسم على النيل بدل (سوق) لكان أكثر دلالة على اللوحتين .

إبراهيم السكرى :

رسام بدأ يستيقظ فيه الميل نحو الفن الذى ننشده وفى لوحته (الأم) يعبر عن البساطة والعمق .

بين إحساس الفنان والمشاهد .

رشدى اسكندر : رسام يتفوق على نفسه ، وفى لوحتيه (بعد الغروب) و (ضريح بالكرنك) تبدو مقدرته على التحكم فى فرشاته ، ويا حبذا لو أعطى الإحساس نفس الأهمية التى يعطيها للون والموضوع ...

نصحى مجلى ، ووليم سليمان ، ووديع ميخائيل شنوده : يحاولون أن يصلوا إلى الإجادة فى التعبير ، وأن الألوان والتكوين الهندسى تنطق بالتمكن إلى حد لا بأس به .

جمال كامل : طريقته فى التوزيع الهندسى للكتل فى لمسات اللون السريعة تقارب حد الإتقان ، ونرجو له اطراد التقدم .



على النيل — للمصور حسين البنانى

سعد الجرجاوى :

أثار الانتباه بلوحته خواطر موضوعاً وأداء ولسعد رغم أسلوبه الأوربى أداء ينم عن شخصية فنان أصيل .

صلاح طاهر :

لفت النظر بلوحته (فتاة) فالموضوع وإن كان مطروقاً إلا أنه عالجه بإحساس ومهارة أما باقى لوحاته فأبرز ما فيها التكوين وبراعة الأداء (التكنيك) ولكن هذا شىء وإحداث الأثر النفسى شىء آخر. ولعل ألوانه كانت أحياناً حائلا دون الاتصال

محمد محمود الجزايرلى : فرشاته أوربية اللمسات ، وإن كان يختار موضوعاته من البيئة ، وقدرته على التعبير تجمع بين البساطة والإتقان ...

وهيب صديق :

هذا الفنان أثار الإعجاب بلوحته (عودة) ففيها من الحركة والتناغم وتوزيع الكتل والألوان والإحساس الشامل بالموضوع ما يجعلها لوحة فريدة .

في مغالاة مع عمق في الإحساس . وقطعته فنان هولندى و(سامى) تتسم بالشاعرية وحيوية الفكرة .

أما تمثال الصراع لجاويش فيعبر عن فنان انطلاق وهى قطعة فريدة وإن كان الفنان قد بلغ حد الجرأة ولكنه وفق في التعبير عن فكرة الصراع الإنسانى . ورأس عزيز فهمى من أعمال هذا الفنان اللافتة للأنظار . ورغم أنه لم ير المرحوم عزيز فهمى إلا أن إحساس الفنان استطاع أن يستشف من الصور الشيء الكثير من الملامح والشخصية .

كمال فوزى :

لم يوفق كل التوفيق في إبراز فكرة الفيلسوف بما يوحيه الموضوع من عمق ، وكان خيراً لو كان الرأس لرجل أكبر سناً . ولهذا الفنان الشاب تمثال عن الفلاح المصرى نال به الجائزة الأولى يعد برهاناً على ما ينتظره من مستقبل .

محمد فهمى



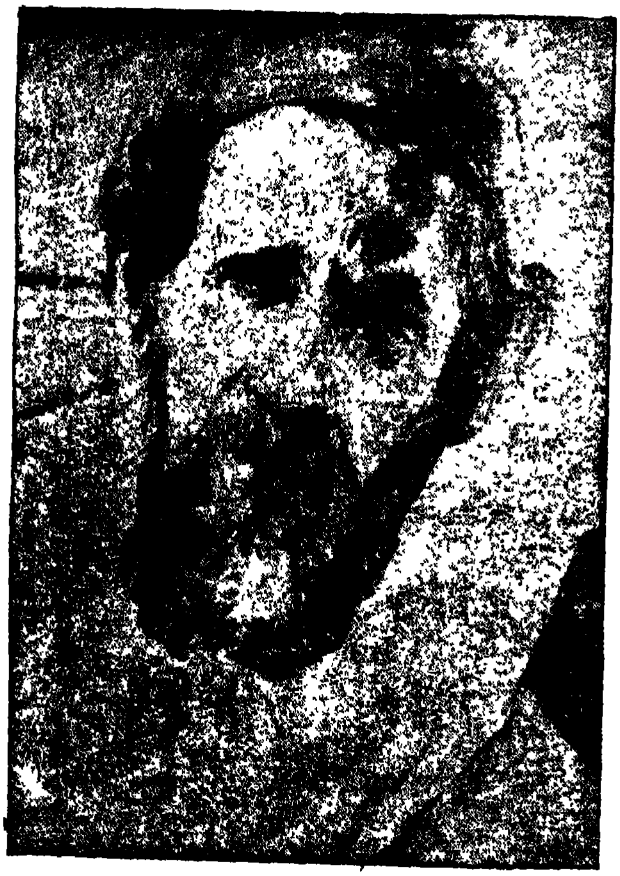
خواطر — سعد الجرجاوى

التقدميون :

على رأسهم جمال السجينى والذى يعتبر رائداً لهذا المذهب ، وفي حفره على النحاس موضوعاً وأداء بلغ غاية الإبداع . وقطعه في النحت (حمامة السلام) و (رأس) تدل على فنان عميق الإحساس بموضوعه ، وأصبحت الإجادة لديه شيئاً عادياً . أما لوحاته في الرسم فلا تؤدى إلى الغرض الذى يريده سواء في مستوى حفره على النحاس أو نحته .

سمير رافع والجزار وإبراهيم مسعوده من أعلام التقدميين وفي طريقتهم وأساليبهم سيما لوحة (رأس فتاة) لسمير تنطق ألوانها بكثير من المشاعر والأحاسيس . أما لوحة (إخوة) لمسعوده فهى موضوعاً وألواناً وتعبيراً تثير الإعجاب رغم غرابتها . أما (قارئ الفنجان) للجزار فهى خير لوحاته وتكاد تكون في تعبيرها عن الموضوع والبيئة شيئاً ممتازاً .

النحت — لويس فوزى وكامل جاويش أولهما انطوائى في قطعته (برنارد شو) ولعله يريد أن ينحو منحى السجينى ولكن



عجوز — محمد محمود الجنايني

نقـــد

في ميزان النقد :

« التطور والتجديد فى الشعر الأموى »

تاليف الدكتور شوقى ضيف

للأستاذ يوسف خليف

درج الباحثون فى الأدب العربى على أن الشعر الأموى صورة من صور الشعر الجاهلى ، وأنه ليس إلا امتداداً له ، يشبهه تمام الشبه إن لم يتحد معه فى خصائصه الفنية تمام الاتحاد ، وأن الشعر العربى لم يخضع لسنة التطور ، ولم يعرف معنى التجديد إلا بعد أن اتصل العرب بالموالى فى العصر العباسى .

هذه هى الفكرة التى وقف أمامها الدكتور شوقى ضيف ليرى مدى الصواب فيها أو مدى الخطأ ، ولينتهى إلى رأى يضع به الشعر الأموى فى موضعه الصحيح من تاريخ الشعر العربى .

ويقوم منهج الدكتور شوقى ضيف فى بحث هذه الفكرة على أساسين .

يقوم (أولا) على دراسة بيئات هذا الشعر الأموى ، وما أصابها من تغير فى جوانب الحياة المختلفة ، نتيجة لظهور الإسلام ، وتحول الحياة العربية من صورتها الجاهلية إلى صورتها الإسلامية .

ويقوم (ثانياً) على الرجوع إلى الشعر الأموى نفسه ، ودراسته دراسة عميقة سليمة المنهج ، تصل بينه وبين ذلك التغير الذى أصاب الحياة العربية فى بيئاته المختلفة ، وتخضع لقانون الفعل ورد الفعل .

وينتهى الدكتور شوقى ضيف من بحثه إلى أن هذه الفكرة التى درج عليها الباحثون فى الأدب العربى فكرة خاطئة من أساسها ، وإلى أن الأدب العربى لم يعرف فى تاريخه حكما قاتلا مثل هذا الحكم « الذى ينكر على العرب أن ينهضوا بشعرهم وفنهم فى عصر بنى أمية ، كأن العرب قوم يستعصون على التحول والتطور ، مهما تكن التغيرات والانقلابات التى تصادفهم فى حياتهم ، ومهما تكن الهزات العنيفة التى تمسهم فى عقولهم وأفئدتهم » .

فالشعر الأموى ليس صورة مشابهة للشعر الجاهلى ، وإنما هو صورة متطورة من هذا الشعر القديم فى بعض جوانبها ، وجديدة كل الجدة فى بعض جوانب أخرى ؛ فالشعر الأموى قد خضع خضوعا واضحاً لتطور الحياة من حوله : الدينية ، والعقلية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، وقد جدّت فيه معانٍ وأفكار ، واستحدثت فيه موضوعات ، وتطورت قصيدة المديح فى هذا العصر إلى التعبير عن طاقات جديدة لم يكن العصر الجاهلى يعرفها ، ودخلت فيها معان إسلامية جديدة لم يكن الشاعر الجاهلى الوثنى يفكر فيها ، وتحولت قصيدة الهجاء أيضاً إلى شىء جديد ، يختلف عن قصيدة الهجاء القديمة من حيث الغاية ومن حيث الصورة ، فقد أصبح يراد بها إلى اللهو لا إلى الجد ، وأصبح الهجاء حرفة يتفرغ لها شعراء من هذا العصر ، وخاصة فى العراق ، حتى أصبحت النقائض كأنها مناظرات أدبية ؛ وإلى جانب ذلك ظهرت ألوان جديدة فى الشعر الأموى ، فابتدع ابن أبى ربيعة فنا جديداً فى الغزل ، يخالف طبيعته المألوفة فى الشعر القديم ، إذ تحول عنده من غزلِ عاشقٍ يصف حبه لمعشوقته إلى غزل معشوقٍ يصف حب عاشقته له . وتخصص ذو الرمة بوصف الصحراء ، ومضى يرسم لها لوحات رائعة تخالف تمام المخالفة ما عرف من وصف الصحراء فى الشعر الجاهلى . ونظم الكميت

« هاشمياته » فى صورة جديدة كل الجدة ، إذ تحولت القصائد عنده إلى مايشبه مقالات المتكلمين . وابتدع الوليد ابن يزيد فن الخمرية قبل أبى نواس ومدرسته فى العصر العباسى . وتحولت الأرجوزة على يدى رؤبة بن العجاج إلى ما يشبه المتون اللغوية ، وكانت بهذا أقدم صورة من صور الشعر التعليمى فى اللغة العربية . وإلى جانب هذه الألوان الجديدة البارزة فى الشعر الأموى ، ظهرت ألوان أخرى أقل وضوحا منها ، فظهر الحنين إلى الوطن فى شعر الفتوح الإسلامية ، وهو موضوع لم يعرفه الشعر الجاهلى ، وظهر شعر السجون والقصاص والقضاء ، والشعر الذى يصور مظاهر الحضارة الجديدة كبناء القصور ، وحفر الجداول ، والاحتفال بالأعياد ، ونحو ذلك .

هذا عرض سريع لما ورد فى كتاب « التطور والتجديد فى الشعر الأموى » من آراء ، يحاول بها مؤلفه نقض تلك الفكرة القديمة التى سيطرت على أذهان الباحثين فى الأدب العربى ، والتى ترى أن الشعر الأموى امتداد للشعر الجاهلى .

ونقف بعد هذا لنتساءل : مامدى التوفيق الذى أصابه الدكتور شوقى ضيف فى كتابه هذا ؟

الأمر الذى لاشك فيه هو أن الكتاب يدل على ما بذله صاحبه فى سبيله من جهد ومشقة وصبر وأناة ، فليس درس عصر من العصور بكل ما فيه من مقدّمات متعددة ، وتيارات مختلفة ، على أساس منهجى سليم ، بالشىء الهين اليسير ، ومع أن العصر الأموى من العصور التى نالت حظاً موفوراً من عناية الباحثين فى الأدب العربى ، فإن الهدف الذى يستهدفه الدكتور شوقى ضيف من كتابه ، وهو تبين الجديد والمتجدّد فى شعر هذا العصر ، يجعل مهمته على شىء غير قليل من الصعوبة والمشقة . إذ أن الدراسة فى هذه الحالة ستكون دراسة مقارنة بين عصرين .

وقد استطاع الدكتور شوقى ضيف أن ينهض بهذه المهمة على صورة تستحق الإعجاب والتقدير .

وهو فى هذا الكتاب — كشأنه فى كتبه الأخرى — عالم وفنان معا ، يمزج بين « العلمية والفنية » ، ويستخرج من هذا المزاج ألواناً طريفة من البحث العلمى الفنى فى الأدب العربى . ولعل ذلك الفصل الذى كتبه عن « لوحات ذى الرمة » (٢٠٩ — ٢٣٢) من أروع فصول الكتاب التى تمثل هذه الظاهرة تمثيلا قوياً .

ومع ذلك فهناك بعض أشياء نأخذها على هذا الكتاب :

وأقوى ما نأخذه عليه هو أن الفرق بين التطور والتجديد ليس واضحاً تماماً فى بعض فصوله . فالفصل الثانى فيه يدرس « تطور الشعر الأموى مع الحياة » ، والفصل الثالث يدرس « التجديد فى المديح والهجاء » ، وقد وقفت طويلا أمام هذين الفصلين ، محاولا أن أتبين السر فى الفصل بينهما ، ويخيل إلىّ أنى لم أهتد إلى هذا السر ، فإن ما أصاب قصيدة المديح وقصيدة الهجاء فى العصر الأموى ليس إلا تطوراً لما كانت عليه هاتان القصيدتان من قبل ، ومن هنا كنت أتصور أن يضم هذا الفصل الثالث إلى الفصل الثانى الذى يدرس « تطور الشعر الأموى مع الحياة » على أن يدخل تطور قصيدة المديح تحت موضوع « الحياة الدينية » . ويدخل تطور قصيدة الهجاء تحت موضوع « الحياة العقلية » . وليس تصورنا هذا تعسفاً ، وإنما هو صدى لإحساس الأستاذ المؤلف بموضوعه ، إذ نراه فى مقدمته للكتاب (صفحة هـ) يرد تطور قصيدة المديح إلى تطور الحياة الدينية ، وتطور قصيدة الهجاء إلى تطور الحياة العقلية .

أما إذا كان الأستاذ المؤلف يرى أن قصيدة المديح وقصيدة الهجاء فى العصر الأموى لونان جديدان ، شأنهما فى ذلك شأن الغزل عند ابن أبى ربيعة أو وصف الطبيعة عند ذى الرمة ، فقد كنت أتصور أن يضم هذا الفصل الثالث إلى الفصل الرابع الذى يدرس الألوان الجديدة فى الشعر الأموى .

والمسألة الثانية التى نأخذها على هذا الكتاب هو هذا « التعليق والتعقيب » الذى أفرد له الأستاذ المؤلف القسم الأخير من خاتمة الكتاب (٢٩٤ — ٣٠٠) ، فهو يدرس فيه ألواناً جديدة أخرى من الشعر الأموى ، أو على حد تعبيره « خطوطاً صغيرة » كالحنين إلى الوطن ، ووصف مظاهر الحضارة ، ونحو ذلك ؟ وما دام الأستاذ المؤلف يرى أن هذه « الخطوط الصغيرة » ألوان جديدة ، فقد كنت أتصور أن تضاف إلى الفصل الرابع الذى يدرس فيه الألوان

حلم مراد

للأستاذ إدوار منسى

كان مراد يحس دائماً أنه يعيش فى عالم غامض كله أسرار . ولقد جاءه هذا الإحساس مبكراً ، منذ أصبح فلم يجد أباه كما اعتاد أن يجده كل يوم ؛ منذ قيل له : إن أباه قد « مات » . عندئذ بدأ مراد ، الصبى ، يصطدم بطبيعة الحياة على الأرض ، وعرف أنه ليس خالداً ، ولكنه ظل كهذه الظلال الشمسية تذهب بذهاب الشمس ، وتعود بعودتها . فإذا ولدت الظلال وماتت كل يوم بولادة الشمس وموتها ، فالإنسان يولد كل يوم ويموت بحلول روحه فى جسده وخروجها منه ...

ولقد توصل مراد إلى هذه الحقيقة بطريقة ما ، وهو منذ عرف هذه الحقيقة أدرك أنه يعيش فى عالم غامض كله أسرار . بدأ يحس الخوف من أن يموت ويوضع فى حفرة فى باطن الأرض ويهال عليه التراب ويترك هناك إلى الأبد بينما الحياة مازالت تدب على الأرض . ورسخ فيه هذا الإحساس بالخوف من الموت ؛ وازدادت سنه عاماً بعد عام حتى تيقن من شىء واحد هو أن النوم موت قصير والموت نوم طويل ، وأنه فى كلتا الحالتين تخرج الروح من الجسد لتحوم فى الفضاء الواسع وتعود إلى مستقرها فى حالة الموت القصير ، ولا تعود إليه أبداً فى حالة النوم الطويل .

ومنذئذ جعل مراد يتأمل هذه الفكرة وإن كان أمرها واضحاً جلياً . ذلك أن خاطراً همس به فجأة فملأ قلبه خوفاً ورعباً : « وماذا لو تركتنى الروح عند النوم فعاقها عائق عن العودة إلىّ ؟ » وعادت إليه للتو ذكرى مخلوق ، بدأ (مراد) يعتقد أن روحه ، عند ما وافته منيته ، قد عاقها عائق فلم تعد إليه إلا وهو يدلى إلى مثواه الأخير ، إذ تمايل الصندوق الذى كان يحتويه فى أيدى عمال الدافن تمايلاً غريباً لم يعهدوه فى صناديق الموتى من قبل ! فأعاد العمال الصندوق إلى الأرض ونزعوا غطاءه وحلوا أربطة « المتوفى » فإذا به حىّ يرزق . وعاش المسكين بعد ذلك ثمانية عشر عاماً متمتعاً بوافر الصحة حتى وافته منيته للمرة الثانية ، فغادر الدنيا والناس فى شك من حقيقة موته هذه المرة .

وطفق مراد يدير فى رأسه هذا السؤال : « كيف أكون من البله والغفلة بحيث أضمن عودة روحى إلى جسدى كل صباح بعد أن تفارقه كل مساء ؟ ! كيف أكون

الجديدة ، ولم يكن هناك من بأس فى أن تكون قسماً سادساً فى هذا الفصل تحت عنوان « ألوان أخرى » أو « خطوط صغيرة » .

بقيت مسألة شكلية نأخذها أيضاً على هذا الكتاب ، وهى وضع الشرح اللغوى لألفاظ بعض الأبيات فى صلب الكتاب ، كما نرى مثلاً فى الصفحات ٢١٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٩٦ . فقد كنت أفضل أن يوضع هذا الشرح اللغوى فى هوامش الكتاب ، حتى لا يحدث انقطاعاً لا مبرر له بين أفكار الموضوع الواحد .

ولكن هذا كله لا يغض من قيمة الكتاب ، ولا ينقص من أهميته ، فهو بحث من الطراز الأول ، استطاع صاحبه أن ينهض به على صورة تستحق كل تقدير وإعجاب ، وحسبه أنه وضع الشعر الأموى فى موضعه الصحيح من تاريخ الشعر العربى : تطوراً متجدداً من الشعر الجاهلى ، وتجديداً متطوراً إلى الشعر العباسى ، وأنه استطاع أن ينصف العرب من أولئك الذين جعلوهم « أحجاراً ينقلون من مكان إلى مكان ، ومن عصر إلى عصر ، ومن طور بداوة إلى طور حضارة ، دون أن يتأثروا بما يصادفهم فى كل ذلك من مؤثرات حضارية وغير حضارية » .

يوسف خليف

من البساطة والسذاجة بحيث أثق فى روحى هـذه الثقة العمياء فأترك لها جسدى تتصرف فيه كيفما يحلو لها ، فتخرج منه وتعود إليه وقتما تريد ! إن أى تأخير فى عودة الروح إلى صاحبها قد تقوده حياً إلى القبر » . ومنذ انتهى إلى هذه النتيجة لا يذكر أنه نام حقاً . فقد بدأ النوم يجفوه ، وبات يرهب الرقاد ويخافه ، وجعل همه أن يطرد من عينيه النعاس كلما هم بالإغماء ، وطفق يتابع دقات الساعة وأنصافها وأرباعها ويتسمع إلى الـ « تيك تاك » فى تتابعها الرتيب خلال الليل الصامت الطويل ، ويقوم مفزوعاً إذا ما توقفت هذه الدقات .. لأن توقفها معناه نومه .

وجعل المسكين يفكر فى كيف يحتاط لخروج روحه من جسده ؟ كيف يغلقه عليها ويضطرها إليه ويصدها عن مبارحته فى وقت النوم . وجاءته الفكرة : لم لا يضع جسده فى صندوق محكم من الخشب . لا ! فالخشب مسامى قد تهرب منه الروح . ليأخذ الحديد ، فلن تسمح مسامه الدقيقة جداً بمرور الروح . أجل ؛ ليضع جسده كلما أوى إلى فراشه فى صندوق محكم من الحديد ، وبهذا يتحتم على الروح أن تلازم الجسد ، أو على الأقل أن تكون إلى جواره دائماً لاصقة به ، فإذا كان الصباح وحل موعد نهوضه وجد روحه عند أطراف أصابعه ؛ وهو بهذا يضمن حضـور روحه دائماً : وقت طلبه « هو » ، لا حسب مزاجها « هى » .

ولـكنه كان يخشى إن أخبر أحداً بشىء مما يدور برأسه أن يعده مجنوناً مخبولا فاقداً لقواه العقلية ! وكان لهذا فى حيرة من كيفية تنفيذ فـكرته التى ما كانت لتتم بغير علم من حوله من الناس والأهل ، وكانوا قد بدأوا يرقبونه فى الأيام الأخيرة مراقبة قاسية ، إذ كانوا يلحظون ذهوله وشرود عقله شروداً تاماً وأرقه المحيّر المخيف . وكان يقول فى نفسه إذ يراهم يلحظونه : « آه لو أنهم يعلمون أن الحياة كلها ، حياتى ، تتوقف على هذه الروح . كيف أعتبر ! أعى هذا الشىء الذى إذا خرج من جسم الإنسان ولم يعد فى الوقت المناسب كان فى عداد الأموات ، ولـكن أنى لهم أن يفهموا وهم قوم لا يتأملون » .

وأنفق هذا الخائف من الموت أياماً بطولها يتـدبر مشروعه ، هذا المشروع الذى أساسه دون شك أن يجعل حياته أبدية ، حياة لا تموت . إذ ما معنى الخوف من الموت ؟ أليس معناه حب البقاء ، البقاء إلى الأبد ؟ ! والإنسان حقاً مهووس بفكرة إطالة عمره ، فـكرة خلوده . وهو فى هذا معذور ، لأنه يعرف هذه الحياة التى يلمسها فعلا ، أما الحياة الأخرى فـكيف يعرفها ويطمئن إليها وهو لم يلمسها ؟ ؟ ! المجهول يوحى بالخوف منه عن المعروف . فهل يلام هذا المذعور من الموت إذا أراد أن يحتاط لنفسه ضد خروج روحه من بدنه إلى الأبد ؟ وهل يلام إذا فـكر فى صنع قالب أو صندوق من الحديد ينام فيه ليله فيضمن بذلك نهوضه فى الصباح وبداخله روحه ، أو على الأقل قريبة منـه فى متناول يده !

وشرع مراد ذات مساء يفكر فى مشروعه تفكيراً جدياً وهو أرق فى فراشه : صندوق حجمه كذا فى كذا فى كذا ، مع تهيئة مكان فارغ كاف للهواء الذى سيستنشقه أثناء الليل بعد إحكام الصندوق وإقفاله من الداخل بالمفتاح .. إن غرفته فى ظلام دامس ولـكنه يرى بوضوح صندوقه موضوعاً فى فراشه . صمت مطبق عميق برغم صوت شهيقه وزفيره الذى يسمعه يتردد داخل جدران الصندوق ويصك سمعه وهو قابع جوار الصندوق فى خوف ورهبة ، كيف يسمع صوت شهيقه وزفيره الذى يتردد داخل الصندوق وهو قابع خارجه بينما هو قد أحكم على نفسه الغطاء من الداخل ؟! هذا الصندوق ، ما الذى يدور بداخله الآن ؟ هل نام مراد حقيقة بداخله ، وهل فارقت روحه جسده ؟ لتحاول أن تفارق الروح الجسد ، فسوف لا تجد لها منفذا إلى خارج الصندوق ! إنه ليتساءل : لماذا تبغى روحه الهروب من جسده ! إنها لتنتهز الفرصة لتهجره . ولـكن ماذا صنع لروحه ، أو ماذا صنع جسده بروحه حتى تضيق بحيزه هذا الضيق ؟ ماذا صنع لها حتى تكرهه هذه الـكراهية ! فهو لا يحرمها ملذات الحياة كل الحرمان ، بل يطلق لها العنان أحياناً فيجعلها تفكر ما وسعها التفكير وتنطلق ما شاءت الانطلاق . إن حياته ليست حياة الجسد فقط بحيث يغضب الروح ، وليست حياته حياة الروح فقط بحيث يغضب الجسد ، ولـكنه يمزج هذا بتلك ليجعل من هذا المزيج ما يسمى بالإنسان . إنه إنسان . إنه مزيج من الروح والجسد ، فهل

فى هذا ما يغضب روحه ؟ ماذا تريد أكثر من ذلك ؟ إنها لا تحب الازدواج ، ولكنها تحب الاستفراد . إنها تحب الاستفراد بكيانها . وهل للروح كيان ؟ هل يمكن رؤية الروح كشىء يمكن رؤيته ، ولمسها كشىء يمكن لمسه ؟ إن الإنسان ليموت فلا يرى منه إلا كتلة من اللحم والعظام : رمة . أين إذاً هذه الروح التى كانت تزدوج به والتى ، مع اللحم والعظام ، تكوّن الإنسان ؟ ! هناك روح ، طبعاً . ولكن لأجل أن تتمتع الروح بحياتها مستفردة يجب أن يكون لها كيان مرئى محسوس . فلولا أصابعه : من لحم وعظام ، ما لمس الأشياء ؛ ولولا أنفه : من لحم وعظام ، ما ميز بين روائح الأشياء . . . وهكذا الحال مع اللسان والعين والأذن . بموت الإنسان تموت كل هذه الكتلة من اللحم والعظام التى كانت تكوّن حواسه ، فكيف تعيش الروح إذاً بعد انفصالها من الجسد الذى كان يحتويها وقد سلبها الموت هذه الأعضاء ؟ ! ومراد يعتقد أن « حياة ما » بدون حواس حياة خاوية . أنظر إلى إنسان وله بدون حواس إطلاقاً ، ماذا تكون حياته غير كتلة من اللحم والعظام ملقاة فى مكان ما ! . . ولكن ماذا يسمع مراد وماذا يرى ؟ إنه ليدير عينيه حوله فلا يرى غير الصندوق الذى يحتويه . إنه لا يعيش إلا ليرى هذا الصندوق . كل حياته وكل اهتماماته مركزة فى هذا الصندوق . إنه لم يعد يرى فى غرفته غير هذا الصندوق : اختفى صوان الملابس واختفى مكتبه وفراشه وأرض غرفته ؛ لم يبق غير الصندوق الذى ظل معلقاً حيث تركه على فراشه . وماذا يرى أيضاً ؟ لم يعد يرى لغرفته حيطاناً ؛ لم يعد يرى للمكان حدوداً . إنما هو الفضاء الذى يبتلع كل شىء : فضاء رمادى مزرق . ليس هناك زمان وليس هناك مكان . ليس هناك غير هذا الصندوق الذى يحتويه وهو فى نفس الوقت قابع خارج الصندوق يرى تطور الأحداث حوله فى خوف . من هو وأين يكون ؟ الإنسان يتأمل مشكلة نفسه فى ذعر ورهبة . إنه يتأمل مشكلة نفسه فى الفضاء : فوقه فضاء وتحته فضاء ، ويمينه وشماله وأمامه وخلفه : كل شىء حوله فضاء .. وأمامه صندوق محكم الإقفال هو كل أمله فى الحياة . ترى ما الذى يجرى فى الداخل ؟ إنه ليتصور روحه تبحث لها عن منفذ تخرج منه إلى الفضاء . ماذا يرى ؟ ما هذه النقطة البيضاء الناصعة التى بدأت تلمع فى جانب الصندوق ؟ لقد خرجت هذه النقطة البيضاء إلى الفضاء وجعلت تنتفخ وتنتفخ ويتكون لها رأس وأطراف وجسم . ولقد أصبح هذا الشىء يشبه الإنسان . يشبهه ، ولكن الفرق بين هذا الشىء وبينه أنه كإنسان من لحم وعظام له « حجم » بينما هذا الشىء « مساحة » ، تماماً كهذا « الشخص » الذى يقصه الأطفال من الورق : رأس مستدير مركب على جسم مستطيل له ساعدان مستقيمان ممتدان أفقياً وساقان مستقيمتان ممتدتان رأسياً . انتصب هذا الشكل العجيب أمام الصندوق وأدار نحوه رأسه وأطلق ضحكة طويلة جلجل لها الفضاء وارتجفت منها أوصال مراد ، وسمعه الأخير يقول : « مسكين ! يود أن يسجننى ! ها ها ها » . ويلوح أنه لم يكن يرى مراد ، فقد أدار هذا « الشخص » العجيب رأسه لا كما يديرها الإنسان نصف دائرة من اليمين إلى الشمال أو بالعكس ، ولكن أدارها دورات كاملة مرة واثنتين وثلاث مرات ، ولما لم يسترع انتباهه شىء انطلق يجرى فى الفضاء على أطرافه فى سرعة . وبدلا من أن تصغر مساحته بنسبة ابتعاده عن مراد والصندوق كان يزداد مساحة ، حتى ملأ الفضاء ، وخف وشف وامتزج به وضاع فيه . عندئذ فزع مراد فى حيث كان يقبع وتلفت فيما حوله : إنه لا يرى غير الصندوق الذى ظن أنه يستطيع به سجن روحه . أين ذهبت روحه ؟ وهل هى حقاً على هذا الشكل العجيب المساحى ، هذا الشكل الذى يقصه الأطفال من الورق فى طريقة ساذجة بدائية ! لم يفكر مراد طويلا فى هذا الأمر ، فقد لمح روحه عائدة تلهث . وما زالت تقترب منه وتضمر مساحتها حتى إذا عادت إلى مساحتها الطبيعية ، أى إلى هذه المساحة كما لو كان الجسم يحتويها فعلا ، وكانت قد اقتربت من الصندوق ، اعتلته ، وللتو انتشر فى الفضاء صوت بيانو يلعب عازفه الكونشرتو الثانية لرخمانينوف . عندئذ هبطت روحه عن موقفها وجلست على الصندوق وتركت ساقيها تتأرجحان فى الفضاء ، بينما اعتمدت رأسها براحتى يديها . كانت سابحة فى التفكير . ترى ما الذى كانت تفكر فيه ! ولكنها هزت رأسها فجأة وصاحت ضاحكة : « ها ها ! يظن صاحبى أنه يميتنى ! إنه فى

حلم لن يفيق منه إلا بالموت » . قلب مراد ينقبض من موسيقى رخمانينوف ؛ ويصيح مراد وهو يشد شعره : هذا هو العته بعينه ! هل من المعقول أن يكون حلماً كل ما يحدث قبل الموت ، وحقيقة كل ما يحدث بعده ؟» . وسمع مراد أصواتاً خافتة تتهامس من حوله ، فتلفت يستطلع الخبر ، فإذا برهط كبير من الأشباح شبيهة بروحه تقترب من روحه التي كانت ما زالت غارقة في تفكير عميق . وسمع واحدة من هذا الرهط تتوجه إلى روحه قائلة : « هات لنا ما عندك من أخبار صاحبك هذا اليوم » . فرفعت روح مراد رأسها من راحة يدها :

— لقد زهدت في عشرته . كم أحب أن أهجره إلى الأبد ..

عندئذ انتفض مراد وصاح : إياك أن تفعليها يا مجنونة . إياك أن تفعليها .

ولكن يلوح أن صوته لم يصل إلى أسماعهن فقد كن ماضيات في النقاش :

— ما ذا ترين لو تخلينا جميعاً عن أجسادنا وعشنا هكذا أحراراً ؟

— لا أحب عندي من هذا . فكم يعذبني صاحبي العذاب كله . إنه لا ينام أكثر من أربع ساعات في اليوم ، بتوقيتهم الأرضي ، إذ لا أعرف كم يكون هذا بالنسبة إلى الأبدية التي نمرح فيها الآن ؛ إنه طالب جامعي على أبواب الامتحان .

— أما صاحبي فقد أراد أن يسجنني سجناً ليلياً فصنع صندوقاً أغلقه على نفسه ليمنعني من الخروج إلى الفضاء عند ما ينام .

— وكيف خرجت من الصندوق إذاً ؟!

— من ثقب المفتاح .

وقهقهت الأرواح ساخرة ، أما مراد فقد تذكر أنه نسي أمر هذا الثقب . . .

رخمانينوف يعزف كونشرتته الحزينة والأرواح تهزأ وتسخر من سجانيها ، وهو قابع في الفضاء يرى ويسمع ويعجب . وأحس مراد بدبيب خافت ولكنه ثقيل . شبكة هائلة سوداء تظهر في الفضاء الرمادي المزرق تشبه خيوط العنكبوت مازالت تتضح وتقترب حتى تشملهم جميعاً : مراد والأرواح جميعاً والصندوق . عندئذ تدرك الأرواح مصيرها المحتوم فتطلق صرخات مدوية في الفضاء بينما تزداد الموسيقى عنفاً وتزداد ضربات قلب مراد اضطراباً ، ويظهر فجأة عنكبوت ضخم هائل في وسط شبكته المخيفة ، وكان رأسه جمجمة إنسان . تسمر على شبكته وثبت محجريه على الأرواح المذعورة . تقدم العنكبوت خطوة ، فانكمشت الأرواح يحمي بعضها بعضاً كما انكمش مراد في نفسه . لم يعد يحس حوله بشيء إلاّ بدبيب العنكبوت الفظيع على صدره . رخمانينوف لا يهدأ . هذا العنكبوت الهائل يزحف على أنسجته متجهاً نحو روح مراد وصاحباتها من الأرواح الأخرى . إنها تقفز من مجلسها في خوف وهلع ، وتنكمش في نفسها حتى تعود كما كانت في البدء ، نقطة صغيرة بيضاء لامعة . صدره لا يتحرك ؛ إنه يريد التنفس فلا يستطيعه ؛ يريد الصياح فلا يتمكن منه . الأرواح الأخرى لا تدري ماذا تصنع ، وهي حيرى لا تدري كيف تذود عن نفسها ، وقد حوصرت هذا الحصار الضيق القاتل . دبيب العنكبوت . من لمراد بإزاحته عن صدره ! إنه يود أن يصيح ، يصيح . روحه تدخل مذعورة من ثقب مفتاح الصندوق مخلفة الأرواح الأخرى لقمة سائغة لهذا العنكبوت الجبار .

صدره . صدره . هذا العنكبوت الثقيل الجاثم عليه . أ . . أ . . أ . .

صيحة واحدة طويلة أطلقها مراد فزع على أثرها من فراشه ليعرف أن كل الذي حدث كان كابوساً .

* * *

— ما ذا هناك يا ولدي ؟ لماذا تصرخ هكذا ؟!

قالتها أمه وهي تهرع إليه من غرفتها .

— لا شيء . لا شيء .

قالها مراد وهو يغالب دمعه . وأجهش بالبكاء .

— ماذا دهاك ! ما الأمر ؟

— وما فائدة ذلك يا أمي ؟ لن تفهميني .

— إني أسمعك على أي حال .

— لقد رأيت روحي منذ لحظات ...

— رأيت ...

— أجل رأيتها . كنت أحلم . رأيتها تهرب منى ، تهرب من الصندوق ...

— أى صندوق يا ولدى ؟ ..

وشرح لها مراد هواجسه ومخاوفه ومشروع عمل الصندوق ونومه وهو يفكر فى هذا المشروع وقصة الكابوس كاملة . عندئذ حملقت فيه أمه .

— لا تنظرى إلىّ هذه النظرات . إنى سليم العقل . أؤكد لك أنى سليم العقل ، متمالك لكل قواى العقلية . كل الذى بى هو أنى أخاف الموت . إنى لا أحب أن أموت . إنى لا أرى ما يدعو إلى أن أموت .

— إنك مازلت على عتبة الشباب يا بنى ، فما الذى يدعوك إلى التفكير فى الموت منذ الآن ؟! أنا التى يجب أن تفكر فى الموت لا أنت . ومع كل فالموت هو آخر ما أفكر فيه الآن وقد أشرفت على الخمسين .

— إنى خائف ! إنى خائف . لازلت أرى العنكبوت الفظيع . إنه ينتظرنى . إنه يترقب نومى من لحظة إلى أخرى . إنى أحس أنى سأموت اليوم .

وأجهش بالبكاء للمرة الثانية . فاحتضنته أمه وجعلت تسليه عن الموت ما أمكنها ذلك ، حتى إذا كف عن البكاء وانتظمت أنفاسه وغلبه النوم دثرته وتركته بعد أن اطمأنت إلى أنه قد نام تماماً .

ولكنها ظلت أرقة تفكر فى ولدها . ومن ساعة لأخرى كانت تأتى على أطراف أصابعها حيث فراشه فتنظر إليه حتى إذا اطمأنت إلى أنه نائم عادت إلى فراشها ، عادته ثلاث مرات فى هذا الليل الطويل . وما أشرق الصباح حتى جاءت الأم على أطراف أصابعها إلى غرفة ابنها . ووقفت عند باب غرفته . كان نور الصباح يتسرب من شيش النافذة فيغمر الغرفة فى بحر رقيق من النور الباهت . كان ولدها متدثراً فى وضعه حيث تركته ليلة الأمس . اشرأبت بعنقها إليه : لم يكن يتحرك : لم يكن صدره يعلو ويهبط : لم يكن يتنفس . عندئذ ندت عن الأم شهقة هائلة وحملقت فى ابنها النائم وضربت صدرها بقبضة يدها وتسمرت قدماها وقد مرت برأسها فكرة مخيفة . لم تدر أتتقدم من ولدها ! أمد. خانتها قدماها ولم يسعفها صدرها بغير صيحات مخنوقة لم تكن تتجاوز حلقها . كل ما كانت تفعله وهى ذاهلة هو أن تحملق فى ولدها فى مرقده وأن تضرب صدرها بقبضة يدها . كانت تامة الذهول . ولكنها تمكنت أخيراً أن تنتزع قدميها بعد جهد وتتقدم من ابنها . ومدت يدها إلى دثاره ترفعه عن وجهه : كانت عيناه مفتوحتين على اتساعهما فى حملقة ورعب كما لو أن صاحبهما كان مذعوراً من شىء .

— ولدى .. ولدى .. ولدى ..

صيحات مدوية أطلقتها الأم .

كان مراد جثة هامدة ... فارقته الروح .

إدوار منسى

انسياب

عيناك ساحرتانِ شفتاك راويتان
عمرى ببابك عانِ

يا كوبة من رحيق طافت بروحى الغريق
هدية من شفيق

يا رقة فى زمانى وشّت سنا ألحانى
منضورة بالحنان

يا بسمة الأسحار فاضت على الأوكار
قبل انسكاب النضار

يا واحة المهجور يا نجمة الديجور
يا نغمة المسحور

يا صفوة الأيام يا نغمة الأحلام
يا جلوة الأوهام

يا باقة الأسرار يا قبسة الأفكار
يا فرحة الأطيار

زيدى الهوى زيدى صوغى أغاريدى
يا وحى تجديدى

قلبي بحبك ذاب فى جدول الآداب
فى منبع الأرباب

أحمد محمود

يا فــؤادي

يا فؤادي وذكره ليس ينسى　　أنت تشقى بحبه وتؤسى
ظللتك الخطوب فيه ولكن　　سنة الحب أن تصون وبقسى
أنت قيثارة تفيض حنيناً　　للجمال الحبيب معنى وحسا
خفقات لكنها داميــات　　تتلظى بها شقاء وبؤســا
عبثاً تحسب اللقاء قريباً　　فتشيع الضلوع طعناً ودعسا
راهب أنت يا حبيس فرسفاً　　في قيود قد كبلتك وحبسا
كلما لاح طيفه لاح ذكر　　يا فؤادي وخالج الفكر مسا
أنت تسعى لطيفه أزليا　　زاعماً في السراب ماء فيحسى
وهو في عرشــه العظيم عظيم
كل ما ازددت شقوة زاد قدسا
أنت مني وما أنا غير روح　　وشعور تزداد نحساً وتعسا

* * *

أصحيح ما قيــل عني وعنه
يا فؤادي إليه ما استطعت لمساً ؟؟
أنت أدرى بالحال في كل طور
أنت أدرى بما تنكبت يأساً
يوم عيد الزهور في شهر آزار
أكان الحديث جرساً وهمســاً ؟؟
موكب للنجوم فيه تجمعن　　وفيه اختلفن زيا ولبســا
شهدت مقلتاي حشداً وجمعاً　　وجمالا قد كان حلماً وهجسا

* * *

زعموا أنني نســيتك عمداً
يا حبيبي فكيف أنسى وأنسى ؟؟
أنا لولاك كنت صخراً عييا　　جامداً ما عرفت سفراً وطرسا
أنت علمتني الجمال ومعناه　　فشد الجمال سطوا وبأسا
كنت نشوان بالتواصل لما　　كنت تهدي حبابه لي كأسا
يوم كان الرحيق حقاً رحيقا　　يحتسى قبلة ويرشف لمسا
آه . . . ما أجمل الحياة ادكارا
يوم نلنا المنى بريقاً وخلســا
في سكرى نشوانة تتهادى　　حولنا خفة وشدوا وعرسا
يا طهر الهوى ويا لحيــاة　　لم يطأها العذال إفكا ورجسا
في أراك بدواً منيراً　　قمراً نيراً وكوناً وشمســا
يا عين الفياض وقف علينا　　والشعور الرقيق كم كان أنسا

ثم ماذا جرى أأســأل عنكم
كيف كان وكيف أضحى وأمسى ؟؟
إن ما خفته تحقق طراً　　وأتاني كما يعذب نفسا

* * *

كل هذا وسحره لي قوس　　سهمه نافذ رعى الله قوسا
ما تراني أمشي كئيباً وئيدا　　خائفاً ما يزال مشي رعسا
لم أقل ماتت الأماني وولت　　لم أقل في غد أصوح أمسا

(أم درمان)　　عمر السراج

صــلاة . . .

« عن شاعر الحب والجمال لامارتين »

أنت يا من بزغت من أفق الغيب .. تغنين في صحارى حياتي
تقطعين الوجود في سأم مر .. وقد كنت في ذرى النيرات
أنت يا من أضأت لي غيهب الليل .. وبددت بالهوى ظلماتي
أنت .. ! من أنت؟ماديارك؟ ما الاسم؟ أجيبي . يامطمحي وصلاتي
أترى أنت دفقة من ضياء الخلد .. أم أنت حفنة من رفات ؟

* * *

هل ستمضين في غد نحو دنيا الخلد والنور .. في المدى اللانهائي؟
نحو دنيا الأحلام في ضحوة السحر وخفق الطيوب في الأجواء؟
نحو دنيا الأنغام يطلقها الفجر حنيناً .. على الربى الخضراء ؟
أم ستبقين بعد في موطن البؤس ودنيا الحداد والبرحاء ..؟
تعبرين الدروب لهفى من البعد ... وتحيين نهبة الأرزاء ...

* * *

آه مهما تكن صفاتك إني قد وهبت الحياة ... منك إليك
آه مهما تكن ديارك إني قد رأيت السماء في عينيك
فدعيني وبيبة الخلد والمجد ... أقدم عبادتي في يديك
ودعيني أزف أنشــودة الحب سلاماً مرفرفاً حواليك
ودعيني أقبل الأرض أني خطرت نسمة على قدميك

* * *

يا ابنة النور ما أرى الأرض إلا — لسرانا — مقابر الأحلام
نحن صرعى الحياة يقذفنا الموت ... فنهوى ضحية الآثام
فإذا كنت مثلنا طعمة الموت ... فكوني تعلة لســقامي
وإذا ما حلقت عن عالم الإثم إلى عالم الهوى البســام
فاذكريني من بعد أن ضمنا الحب .. صلاة على مدى الأيام !

(الموصل — العراق)　　محمود فتحي المحروق

الثقافة

العــدد ٧٠٥
٣٠من يونيه ١٩٥٢

مجلة أسـبوعية للآداب والعـلوم والفنون
تصدرها لجنـة التأليف والترجمـة والنشر

الثمن ٣٠ مليماً

صفحة

الريف

وادٍ من الأشواق .. والأوهام
هذى الفرادس ، أم رؤى أحلامى ؟
البدر يمشى فى الخمائل عاريا ..
فتصفق الشطآن ... بالأنغام
وسنابل القمح للنور فى الربا
تهتز تحت غلائل الأنسام ..
والغاديات على الضفاف عشية
يخطرن .. كالأزهار فى الأكمام
من كل ساجية العيون إذا سرت
سجد الضياء على ذرا الآكام
ترميك من خلف النقاب بنظرة
عذراء .. فاترة .. بغير سقام
لولا مظاهر فاقة لحسبتها
ملكاً .. تبسم عنه ثغر غمام ..!

* * *

يا جنة فى مصر يجرى تحتها ..
سر الخلود .. ومنبع الإلهام
كم هز مغناك الحبيب جوانحى ..
وحنا على ضعفى .. وبلّ أوامى
راجعت فيك هوى الشباب..وعهده
وربيع أيامى .. وفجر غرامى
أيان سرت .. فسحر شطك ملهمى
ومرافقى .. فى رحلتى .. ومقامى..!
هذى الطبيعة .. لوحة علوية
سفرت .. فأبدت قدرة الرسام
النخل مرتجف الذلاذل حالم ..
كتمت ذوائبه حديث غرام
ضاقت بسجن الريف .. فى أحزانه
فسمت تناجى أعدل الحكام ..
حملت شكاية بائس .. مستبسل
يطوى أضالعه على الآلام ..!

محمد فوزى العنتيل

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتيـــاز
الدكتور أحمد أمين بك

الإدارة

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف بك

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العـــدد ٧٠٥ الاثنين ٨ من شوال سنة ١٣٧١ — ٣٠ من يونيه سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة عشرة

هـــــذا العيد

للأستاذ محمد فريد أبو حديد بك

عندما أقبل العيد هــذا العام خلوت إلى نفسي أتأمل مقدمه وقلبي يفيض بمشاعر الرحمة والمحبة ، فوددت لو أنني أملك مفاتيح السعادة والسلام فأطلقها حتى تعم الـكون كله في مشارق الأرض ومغاربها ، وتمنيت في تلك الساعة لو كنت شاعراً فأحيي هذا العيد بأنشودة أسكب فيها كل مشاعري فلا أدع منها قطرة من أمل إلا أفرغتها ثم غنيت بها كما يغني الطير في ساعة الفجر وهو يستقبل شعاع الشمس المشرقة .

إنه يوم كسائر الأيام تطلع شمسه في الصباح ثم تغرب في المساء ويمضي كما يمر غيره ويضيف إلى أعمارنا قطعة بأن ينقصها قطعة ، ولا يلبث أن يكون ذكرى تنضم إلى سائر ذكرياتنا فتؤلف في مجموعها ما نسميه حياتنا ، ولـكنه مع هذا يوم خاص له ميزة على الأيام وله طابع يجعله علماً بارزاً في دورة العام . ذلك لأننا نحن وآباءنا وأجدادنا قد خلقنا له من أنفسنا شخصية مستقلة تجعله يوماً قائماً بنفسه يثير فينا ما لا يثيره سواه ، ونترقب فيه ما لا نترقب في الأيام الأخرى .

وأخذت أتصفح السنوات الغابرة عاماً بعد آخر كما يتصفح الإنسان (ألبوم) الصور العزيزة التي تسجل اللحظات السعيدة التي مرت به ، فعدت إلى أيام الطفولة ويالها من أيام ! كانت قلوبنا تخفق فيها لمقدم هذا العيد وتتطلع إلى صباحه كما تتطلع إلى أمل باسم ، فنبيت ليلته على أحلام الغد السعيدة ، والحذاء الجديد اللامع يرقد من فوق رؤوسنا ، والبذلة الجديدة معلقة حيالنا لتقع عيننا عليها أول شيء في الصباح . كانت ضجة العيد عند ذلك تملأ حياتنا سعادة فنخرج إليها لنشارك فيها بنصيبنا ولنستمتع بها مجتمعة شاملة في كل ركن من أركان المدينة أو القرية . كان العيد ماثلا في البيت وفي السوق وفي المسجد وفي الملعب ، حتى المقابر كانت تشترك فيه بنصيبها ، كان العيد يشملنا جميعاً ويوحي إلينا جميعاً وينادينا جميعاً قائلا إني لـكم جميعاً . أ كان هو الذي ينادينا حقاً ؟ أم كنا نحن الذين ينادي بعضنا بعضاً ، وكنا نحن الذين نقول إن هذا العيد لنا . إنها الطفولة التي تأخذ بغير أن تفكر .

لقد وددت وأنا في خلوتي أتأمل مقدم هــذا العيد لو استطعت أن أترقبه بقلب خافق كما كنت أترقبه من قبل في أيام تلك الطفولة البعيدة وأن أستقبل ضجته النابضة كما كنت أستقبلها وأشارك فيها بنصيبي وأستمتع بما يقدمه الآخرون من أنصبتهم متجاوبين جميعاً في غير تكلف ولا تعمد ، ولـكن قلبي لم يستجب إلى أمنيتي بأكثر من ذلك

ألشعور الغامر المبهم من الرحمة والمحبة ، وهو شعور لا يشبه في شيء ذلك التطلع المرح المستبشر الذي كنت أحسه عندما كانت الحياة جديدة .

تمنيت لو استطعت أن أسعى في فجر ذلك العيد إلى كل من حولي من الأهل والأصدقاء والجيران في الحي ، فأوقظهم إليه حتى نخلقه جميعاً مرة أخرى ! نخلقه في أنفسنا ثم نعيش فيه ونستمتع به كما كنا نستمتع به من قبل ثم نطويه في حياتنا ليكون قطعة منها ، ونتعلل بعودته إلينا بعد لنعيشه مرة أخرى . لقد طالما أقبل ذلك العيد على آبائنا وأجدادنا وهم قوم مجتمعون يحيونه ويحيون فيه بعضهم بعضاً مستبشرين بطلعته عليهم ، آملين أن يعود إليهم مرة بعد مرة يصاحبهم في طريقهم المقدور لهم في الحياة ؛ كانوا عند ذلك يجاهدون في ميادين النشاط الإنساني ويرفعون لواء الحضارة للعالم كله ، ويضيفون إلى تراث الفكر والمثل العليا كنزاً بعد كنز . وقد عاش العالم قروناً طويلة على فضل ما خلفه هؤلاء الأجداد في العلم والفكر والخلق ، لأنهم كانوا لا يعرفون في إنسانيتهم حدوداً بين الأجناس ولا الألوان . ولكن ذلك العيد طالما أقبل علينا ونحن قوم متفرقون بعد أن حطمنا ما ورثناه من تراث الفكر والعلم والمثل العليا ، بغير أن نخلق لأنفسنا علماً جديداً أو فكراً طريفاً ومثلاً عليا جديدة نجتمع جميعاً من حولها.

فصرنا نستقبل هذا العيد لا نحس فيه بأنفسنا ولا نجد فيه من المعاني العزيزة ما يملأ قلوبنا بالأمل والبشر ، صرنا نستقبله فاترين كأنه لعبة قديمة مكرورة لا نهتز له ولا نتطلع إلى عودته ليجدنا أسعد حالا . ثم تعاقبت علينا الأحداث الأليمة التي كان من الطبيعي أن تتعاقب علينا بعد أن جردنا أنفسنا من التراث الذي كان يعصمنا ؛ فعلمتنا الشدائد ما كنا في أشد الحاجة إلى أن نتعلمه منها ، وذلك أن الأمم لا يمكن أن تحيا بغير أن يكون لحياتها مبادئ قومية يؤمن بها الناس جميعاً ويلتفون بقلوبهم حولها ، وقد علمتنا هذه الأحداث الأليمة أننا منذ حطمنا ما ورثناه من هذه المبادئ القومية التي كان الآباء يؤمنون بها ، قد وقفنا حيارى موزعين ، نقلب وجوهنا قبل المشرق والمغرب نرجو أن نعثر على قبلة نرضاها ، فنحن اليوم نستقبل العيد ونحن أكثر معرفة لما فقدناه وأكثر إدراكا لما كان يجب علينا إدراكه ، وقد أشرقت علينا بوادر فجر النهضة الجديدة التي تملؤنا قلقاً وتساؤلا وتلهفاً .

فمرحباً بهذا العيد الذي يقبل علينا بعد أن زال عنا الخمول والفتور والملل الذي يشبه خمود اليأس ، وحل محله هذا الاضطراب الثائر الذي نحسه جميعاً في أعماقنا . مرحباً بهذا العيد الذي يقبل علينا مع هذه الحركة القوية التي تهز عقولنا وعواطفنا وضمائرنا . وإلى اللقاء بعد دورة أخرى إن شاء الله من دورات هذا الفلك الدائب الذي لا يعرف السكون ، فإننا نترقبه في شوق ليعود إلينا ونحن نسعى إلى الأمام في أمل متجدد لا نسأل أنفسنا عن مقصد محدود أو هدف قريب ، بل نسعى ونسعى في أمل متصل أن نكون في غدنا خيراً مما نحن في يومنا .

محمد فريد أبو حديد

شربناها . . .

شربناها على ظمأ وجوع فحركت الكوامن في الضلوع
شربناها على عمر تقضى وقفناه على المثل الرفيع
ولم نعلم بأن الأرض تجرى فتضحك .. ثم تعبث بالجموع
ونسعى نحو غايات نراها
فتحملنا الحياة على هواها
وتعطى الكأس ملأى بالدموع فنشربها على ظمأ وجو

* * *

شربناها وقلنا : لا عدمنا كئوساً نحتسيها إن صحو
لها طعم نذوق المر فيه ولكن القادر أرغمت
ولو أنا ولدنا أو نشأنا كما وُلِدوا جميعاً ما شرب
ولكنا نغرد في الغصون
ونبكى . . . للسعيد وللحزين
عواطفنا لهم فإذا صُدِمنا شربناها فزال الهم ع

* * *

نصيبك : ما نصيبك يافؤادى لقد حرمتنى طعم الر
أعيش ولست أحيا غير أنى أحاول أن أكون مع ال
أحاملهم وأعلم أن يوماً سأذكر بين أصحاب الأ
فإن جرت الحياة إلى مداها
وغاض وفاؤها وخبا ضياها
ملأت الكأس من خمر الوداد وقلت : لعلها تروى

على

قلة المـــــروءة

للدكتور أحمد أمين بك

يمتاز عصرنا هـذا بقلة المروءة . حتى إنه لم يصل إلى الشرق القديم فى وفائه ومروءته ، ولا إلى الغرب الحديث فى ماديته مع عدله ونظامه . فقد أصبحنا ماديين فى غير عدل ولا نظام . هجرنا قديمنا ، ولم نحسن حديثنا .

كانوا يحدثوننا عن القديم بأنواع من المروءات يضحى فيها الرجل بنفسه أحياناً ، وبماله أحيانا ، حتى لتستخرج منا العجب . فيحدثوننا أن الشرطى العباسى أتى ليقبض على عبد الحميد الكاتب فوجده مختفياً عند صديقه ابن المقفع ، فقال أيكما عبد الحميد . فكل منهما قال أنا ، وكل منهما يعلم أنه إنما حضر الشرطى ليقتل عبدالحميد . ونحن اليوم لانفهم هذه القصة لأننا لا نفهم معنى المروءة .

وقد ألف لنا أبو حيان التوحيدى كتابه « الصداقة والصديق » وفيه أمثلة كثيرة مما كان يضحى به الصديق لصديقه . ثم ألف لنا ابن الداية كتاب « المكافأة » وفيه قصص كثيرة عن المصريين أيام أحمد بن طولون ، يروى فيها أحداثا كثيرة عن أفراد أحسن إليهم ، فكافأوا بالإحسان إحسانا ، بل كافأوا عن الخير بأحسن منه ؛ هذا لص يريد أن يسطو على مارّ فى الطريق ، ثم يعفو عنه لسبب من الأسباب ، فإذا المعفو عنه يقابل المروءة بمروءة أكثر منها .

وهـذا أمير يعفو عن مجرم ، ثم تتردد الحال فيصبح الأمير أسيراً ، ويأتى المجرم فيقـدم للأمير من المروءات ما يعجز عنه الوصف . وهكذا .

وهذا التنوخى يؤلف لنا كتاب « المستجاد ، من أفعال الأجواد» فيأتى بالغرائب من أعمال الجود . وفى كتب الأدب غير هذه أمثلة كثيرة من أفعال المروءة .

نعم ، إنها لم تكن كثيرة فى وسط آلاف الأعمال الأخرى ، بدليل أنهم حكوها وأعادوا بذكرها ، وأعجبوا بها إعجاب من لم يكن يتوقعها . ولكن كان بجانب أعمال المروءة الكبيرة هذه أعمال أخرى كثيرة عادية من باب المروءة . كانت تحكى فى البلاد الإسلامية إلى أن غزتنا المدنية الأوربية .

حدثنى صديق أن أدباتيا فى عهد محمد على ظل يلعب بطبلته وزر طربوشه أمام فتى فى قهوة ، وفى أثناء حركاته البهلوانية سلب منه كيس نقوده وفيه مائتا جنيه ، فلما تبين الفتى ذلك بعد أن انصرف الأدباتى غشى عليه ، وسقط على الأرض ، فسأله من بجواره : ماذا حدث ؟ فحكى له القصة ، فقال : لا تخف . إنى أعرف رئيس هؤلاء الأدباتية ، فلنذهب إليه معاً ، وذهبا إلى حى السيدة زينب . فوصلا إلى بيت فسيح له فناء واسع ، هو بيت الرئيس ، فاستقبلهما صاحب البيت استقبالا حسناً ، وكان الوقت وقت غداء فغدّاهما غداء فخما وأكرمهما غاية الإكرام ، فحكيا له القصة ، فطلب إليهما أن ينتظرا إلى ما بعد العصر ، حتى يجتمع الأدباتية ، فلما اجتمعوا خرج الرئيس إليهم وقال لهم : أيكم نشل كيس نقود هذا الفتى ؟ فقام أحدهم وأخرجه من جيبه ، فقـدمه الرئيس للفتى ، فأراد أن يخرج شيئاً يمنحه للرئيس فنظر إليه صاحبه شزراً ، لأن ذلك ضد المروءة .

وكثير من هذه الحكايات تحكى للدلالة على ماكان عند الناس من مروءة . وأدركت كثيرين فقدوا أطيانهم بسبب ضماناتهم ، أو بسبب إنقاذ رجل وقع فى مصيبة ، أو تفريج عن أسرة .

وحكى إبراهيم المازنى رحمه الله أن أباه كان أودع صديقاً له مبلغاً كبيراً من المال من غير إيصال ، ولا برهان ، ولا يعلم به أحد . فلما مات أبو المازنى ، جاء الصـديق إلى البيت يحمل المال الذى سلمه إليه والده ، وأعطاه لوالدته ، فأنفقته عليه فى تربيته .

ونلتفت اليوم ، فلا نرى أمثلة من هـذه المروءة ، ولا مراعاة جوار ، ولا إحساساً ببؤس الجار . إنما ضعف فى المروءة ، وقلة فى الوفاء . وكل يوم أرى أمثلة من هذا القبيل . فلجارنا كلب يعوى طول الليل كأنه مريض ، طلبت منه أن يريحنى من الكلب بأى شكل من الأشكال ، فأبى ولم يرع أى احترام للجوار ، وأعرف موظفاً كان يتقاضى نحو عشرين جنيهاً ، فعين فى وظيفة أخرى بتسعين ، فكانت الحد الفاصل ، لم يعرفنى ولم يسأل عنى ، مع أنه سأل عن كل الناس .

الدكتور أحمد زكى أبو شادى

فى ديوانه « من السماء »

— ٢ —

للأستاذ عيسى الناعورى

ولدينا من ذلك فصول مما كتبه الدكتور وأذاعه ، ومنها مقدمته لديوانه «من السماء» التى تدور على «التجربة الشعرية» التى يقول فيها : « والتجربة الشعرية قد تكون عظيمة كما قد تكون تافهة ، ولكن الشاعر قادر بتأثيره وتفاعله على إبداع الجليل من التافه ، لأنه يراه بمرآة نفسه الكبيرة التى كيفتها عوامل شتى ممتازة . . . وكلما كان الشاعر حساسا منفعلا جاءت تجربته الشعرية قوية وكانت مبعثاً لشعر مؤثر . . . إن التجربة الشعرية هى الدعامة الأولى للشعر .

فأبو شادى ، كما ترى ، يعتمد قبل كل شىء على مايسميه «التجربة الشعرية» أو الانفعال بما حوله من أشياء موحية ؛ واعتماده هذا هو الذى جعله بين أكثر الشعراء إنتاجا ، فكان له هذا العدد الضخم من الدواوين الشعرية التى بلغت نحو أربعة عشر ديوانا . وما بالقليل أن يكون لشاعر مثل هـذا العدد الضخم ، الذى يحتوى على ألوف من القصائد المتنوعة . ولكن هـذا الشعر الكثير جداً من إنتاج أبى شادى لم ينل حظاً كافياً من تقدير عشاق الأدب والشعر واهتمامهم ، وذلك على عكس شعر صديقه الشاعر الصغير أبو القاسم الشابى — مثلا — الذى مات وهو ابن خمسة وعشرين عاما فقط ، ولكنه ملأ دنيا الشعر بأجود الألحان ، مما جعل اسمه زغرودة مطربة فى فم الدنيا ، وشعره أغاريد على كل لسان فى دنيا العرب .

وهذا يدلنا على أن التجربة الشعرية وحدها ليست بشىء ، وإنما هناك « طريقة التناول الشعرى » أيضاً ، وحظها من القيمة فى الشعر مساو للتجربة الشعرية أو يزيد . فالشعر شىء من أهم عناصره « الألوان والصور والموسيقى » وبدونها يصبح الشعر كلاما له وزن وقافيـة ، ولكنه مع ذلك أقل جمالا من النثر ، وتصبح التجربة الشعرية تجربة نثرية ، وقد تكون مبتذلة . والألوان والصور — وهى أهم مظاهر الخيال الشعرى — والموسيقى — وهى أهم عناصر فن الصياغة الشعرية — هى التى يقل حظ شعر أبى شادى منها ، ولذلك يفقد شعره ، الكثير جـداً ، أثره فى نفوس قرائه ، فيفقد بذلك حظه من التقدير ، ويزيد فى ذلك مايشعر به القارىء من أن شعر الدكتور هو شعر « الفكر » أكثر مما هو « شعر الإحساس » . حتى فى شعر الطبيعة ، يلاحظ القارىء أن الإحساس الذى يعبر عنه الدكتور بشعره إنما هو « إحساس فكرى » ، وليس « إحساساً شعوريا عاطفيا » .

والدكتور لا يجهل قيمة الألوان والصور والموسيقى فى الشعر ، بل يشير إلى أهميتها فى أماكن متعددة من كتاباته النثرية . ومن ذلك قوله فى بحث له بعنوان « التجديد فى الشعر » : «لابد لنا عند تذوق الشعر من أن نتذوق فى آن واحـد موسيقاه وخياله ومعناه وعاطفته ، وأن نحس بالمواءمة بينها جميعا إحساسا يستثير إعجابنا » .

واليوم احتجنا لعمل الكعك السنوى إلى ماعون من جار ، فأبى علينا إعارته ، والتفت فلا أرانا كالشرق ولا كالغرب . لا أرى طباعاً كطباع الشرق ، سمحة كريمة ، ذات وفاء ومروءة ، ولا أرانا كالغرب ، مع ماديته يتبرع كثيراً للأعمال الخيرية ، وإلى جمعيات الإحسان ، ويشيد المستشفيات الفخمة ، ويتبرع للجامعات الضخمة . وأغنياؤهم يغدقون على الأعمال الخيرية كثيراً من أموالهم كما فعل روكفلر وغير روكفلر ، وأصبحنا كما قال الأول :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا
إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

أحمد أمين

ويقول في مقدمة ديوانه « من السماء » : إن التجربة الشعرية تكون قوية ، ومبعثا لشعر مؤثر إذا كان الشاعر مكتمل الأدوات البلاغية ، من سلاسة التعبير ، وقوة البيان ، وحسن الموسيقى ، والقدرة التخيلية ، والطاقة التصويرية ، والتفنن في الأداء والتناول، في ذوق يتفق والمناسبة الشعورية ، سواء في اختيار الألفاظ ، ومدلولات المعاني أو الجرس الموسيقي ، والبحر الشعري المتجانس مع العاطفة ، بعيداً عن التصنع والتعمل .

فالدكتور إذاً يدرك هذه القاعدة الأساسية الكبرى للشعر الجيد ويعلنها فيما يكتبه ، وهو يطبقها في دراساته النثرية على الشعراء الآخرين أكثر بكثير مما يطبقها في شعره نفسه ، ومن هنا كان توفيقه في نثره أكثر من توفيقه في شعره .

ومن الأمثلة على ما يجنيه « سوء التناول » على جمال « التجربة الشعرية » نأتي بقطعة صغيرة للدكتور أبي شادي من ديوانه غير المطبوع « الإنسان الجديد » عنوانها « سؤال وجواب » لا تتجاوز خمسة أبيات ، وهي :

سيعيش في هم ويشقى دائماً　　من عاش مشغولا بهم الناس
علام يانفسي افتتانك بالورى　　وهمو القساة على الأبر الآسي
المشب يلثم أرضه بوفائه　　وهمو الجناة على هوى ومواسي
فأجابت النفس التي لم ترتدع
يوما ، وإن برشد حليف الكاس
أنا بعض هذا الناس ، كيف أعافهم
وجميع إحساس لهم إحساسي ؟

فالقارىء يرى أن التجربة الشعرية أو المؤثر النفسي ، والفكرة التي قامت عليها هذه القصيدة الصغيرة شيء جميل وإنساني ، فيه نبل ، وفيه حكمة . ولكنه يلاحظ بكثير من الألم أن الأداء قد خرج بها عن أن تكون شعراً مؤثراً ، رغم الوزن والقافية . فالقافية التي اختيرت لها غير صالحة لنقل التأثير الشعوري لمعناها الجميل ، والألفاظ جاءت مقلقلة في أماكنها ، ولا سيما في أواخر الأبيات ، وعبارتا « وإن برشد حليف الكاس » و « جميع إحساس لهم » أفقدتا البيتين الأخيرين كل جمالهما ، مع أن حكمة القصيدة كلها تتركز فيهما .

ومثل هذه القصيدة كثير ، وكثرته عامل هام في صرف الأدباء عن التذوق والتقدير ، بينما نجد من جهة ثانية قصائد أخرى وفق الشاعر فيها من حيث التناول الشعري ، مع أن التجربة غير هامة ، فجاءت على جانب كبير من الجمال . خذ مثلا قصيدته « ذكرى المهرجان » من ديوان « من السماء » . وهي من شعر المناسبات الذي لم أعتد أن أنظر إليه بشيء من التقدير أو الاهتمام ، إلا أني وجدت لها جمالا شعريا لم أجده في الكثير من الشعر الذي استوحاه الشاعر من أمور أكثر أصالة في الإيحاء ، وأقرب عنصراً إلى الشاعرية . وأنا أحيل القارىء إلى هذه القصيدة في الصفحة ١٠٣ من الديوان . كما أحيله إلى قصيدة أخرى اجتمعت لها « التجربة الشعرية » والتناول الشعري في القسم الأكبر منها فجاءت من أروع ما حمله ديوان « من السماء » من قصائد . تلك هي رثاء زوجته التي أوردنا بعض أبياتها في بداية المقال ، فلولا أن طولها المفرط قد جنى على بعضها ، لقلت إنها من أروع الشعر العربي . وفي هذه القصيدة تتجلى شاعرية الدكتور على أبرعها . كما يتجلى الوفاء والحب على أصدقهما وأصفاهما .

على أن مما لا شك فيه أن الدكتور أبا شادي أديب مخلص للأدب ، يتفانى في حبه وتقديره وأنه إنسان طيب القلب جداً ، يخلص في تقدير زملائه الأدباء ، وعشاق الأدب والشعر ، وهو على تعدد مناحي نشاطه الفني والفكري يحل الشعر في المنزلة الأولى من عنايته ، ولذلك كانت جمعية (أبولو) الشعرية التي ألفها في مصر ، وكانت تضم جماعة من أشهر أدباء مصر ، فرأسها مرة أحمد شوقي ، ثم خليل مطران من بعده ، وأنشأ لها مجلة باسمها (سنتي ١٩٣٢ — ٣٣) قصر عنايتها وأبحاثها كلها على الشعر وحده ، فكانت لها قيمتها الكبيرة في هذا الباب ، واستطاعت أن تبرز مواهب عدد من الشعراء الشبان الذين نعرفهم اليوم ونتغنى بشعرهم ، ومنهم أبو القاسم الشابي ، والهمشري ، وعلي محمود طه ، والصيرفي وغيرهم ، وقبل ذلك كان قد أنشأ وهو في لندن جمعية أدبية جعل رياستها إلى المستشرق مرجليوث ، ومنذ أن هاجر إلى العالم الجديد عام ١٩٤٦ لم يتوقف عن النشاط الأدبي ، فقد أحيا جماعة (أبولو) القديمة تحت اسم جديد هو « رابطة مينرفا » التي تضم جماعة من خيرة رجال الأدب والفكر هناك ، من

مغرب ومستعربين ، ولا ينقطع عن الكتابة ونظم الشعر ؛ فأصدر ديواناً بعنوان « من السماء » وتهتم مجلة المقتطف بإصدار عدد من دراساته الأدبية فى كتاب بعنوان « من نافذة التاريخ » ، كما أن لديه أكثر من ديوان شعرى واحد بغير طبع ، ويذيع من محطة « صوت أمركا » أحاديث أسبوعية عن أدباء العرب المحدثين . كل ذلك والشيخوخة لا ترحمه ، والأمراض لا تسمح له بالراحة .

وإذا لم يكن لأبى شادى سوى هذا النشاط الخارق ، وسوى هذا الإخلاص الشديد فى خدمة الأدب والشعر ، فهو حسبه من دواعى الإنصاف والتقدير .

والذى يطالع شعر الدكتور ، يلاحظ أنه إنسان يهيم بالجمال ويقدسه ، وهو يعبده فى المرأة ، كما يعبده فى الطبيعة ؛ وهاتان من أعظم بواعث الشعر عنده . إلا أن أجود نواحى شاعريته فى رأيى — هو فى شعره التأملى وشعر الطبيعة ، وهو وإن لم يصل فيهما إلى مثل العمق والرقة والتأثير التى نلمسها فى شعر أبى ماضى أو الشابى أو القروى أو أبى ريشة أو فدوى طوقان مثلا ، لأن التناول الشعرى يطغى كثيراً على جمال التجربة والانفعال ، إلا أن هناك عدداً من القصائد كانت على حظ كبير من الجمال والتأثير .

من هذه القصائد التأملية ذات الصبغة الفلسفية ، نجد القصيدة الأولى فى ديوان « من السماء » وهى تحمل عنوان الديوان نفسه ، تبين محبة الشاعر للأرض ، أرض الأحياء التى تخاطبه بقولها :

ما جمال السماء إلاّ جمالى   أنا أودعته لديها قديماً

ثم تجذبه إليها من جديد بعد أن تراه عالق القلب بالسماء فإذا به يعود إليها « عود المسيح » .

ومن ذلك أيضاً عدد من قصائد الطبيعة ، التى يتغنى فيها بالبحر ، والشمس ، والأمواج ، والصيف ، والربيع ، وما إليها . ومنه نجواه للبحر فى قصيدة « على صخرة سيدى بشر »

أنا من علمت محبة وتفانياً   فى كل معنى من نشيدك ساحر

أصغى إليه ولا أمل كأنما   أصغى إلى لحن الخلود العامر

عرفت به الأرباب من عليائها
قبل الوجود فكان روح الشاعر

لغة الجمال طلاقة بل ثورة   والفن يعبد فى الجمال الثائر

قد جئت سبّاق الربيع وطالما
أنشقت منك هوى الربيع الناضر

وضممتنى بأشعة فرحانة   مثلى كأنك بالأشعة آسرى

حتى تناسيت الربيع وزهره
وقطفت من معناك حلو أزاهرى

ونسيت عندك للصلاة خشوعها
لما رأيتك فى ابتسامة ساخر

وهناك قصائد أخرى تحدثنا عن الشاعر نفسه ، عن صفات النبل والحلم والكرم فى نفسه ، ومنها قصيدة « فن الجحود » التى تذكرنا ببعض قصيدة (أنا) لأبى ماضى من ديوان « الجداول » ونقتطف من هذه القصيدة قوله :

تعودت عرفان الجميل ولا أرى
مبالغتى فى الحمد تصغر من دينى

كأنى استطبت الفضل للناس كلهم
على ، وإن عاشوا على الغدر والغبن

أحاول تعظيم الأيادى التى لهم
وأصغر من فضلى عليهم وأستغنى

ومما يدل على نبل شعوره ، قصيدة « والموتى المشردون » التى يخاطب فيها الملك فاروق بقوله :

مولاى حب الشعب أعظم ثروة
لك من كنوز التاج والسلطان

كن أنت رائده ، ووزع أرضه
لبنيه ، كالفاروق ، فى الإحسان

ما شأن آلاف الفدادين التى   هى كالمقابر للسواد العانى ؟

دهموا بأرجاء البلاد تشرداً   وتكفنوا بمذلة وهوان

وجميعهم موتى ، وتلك لحودهم
ملء الضياع الفخمة العمران

تركوا المقابر صاغرين فعيشهم   ومماتهم بهوانهم سيان

أنت العظيم فلا تدع إخلاصهم
لك يستباح بلا هدى وأمانى

بل لا تدعهم فى الورى أمثولة   لتدهور الإنسان بالإنسان

* * *

وبعد فإن مجال القول فى الدكتور أبى شادى وأدبه ومناحى ثقافته المتعددة لا يزال ذا سعة . ولكننا نقف هاهنا ونحن نرجو أن نكون فيما قلناه قد خدمنا الأدب والحقيقة اللذين هما رائد الدكتور ورائدنا .

عيسى الناعورى

في جنــــة عبقر

— ٣ —

للأستاذ شاذل طاقة

لا شك أن القارىء قد لاحظ أن أبيات هذه القصيدة الطويلة اختلفت قوافي وأوزانا . . فالشاعر لا يلتزم قافية معينة في جميع الأبيات ، كما أنه لا يلتزم عدم تكرار الكلمة في قافيتين أو ثلاث . . ثم إن تفعيلات الأبيات تختلف عددا في بيت عن الآخر ، فإنك تجدها في بيت تفعيلتين وفي آخر ثلاث تفعيلات وفي آخر أربعاً وفي غيره أكثر أو أقل . .

ثم إن هذه القصيدة من الشعر المنطلق تمتاز بأنها وحدة موسيقية كاملة، وليس الأمر كذلك في القصائد العربية القديمة لأن البيت الواحد يكون في العادة وحدة موسيقية كاملة مستقلة بجرسها وإيحائها الموسيقي ومتصلة اتصالا هينا بالوحدات الموسيقية للأبيات الأخرى . ولعلك تلاحظ أن الشاعر في هذا الضرب المنطلق من الشعر يستطيع أن يحلق ما يشاء له التحليق وأن يصعد بالقارىء إلى عالم روحي سام ويشركه في تجربته الشعورية الحالمة . . ثم إن في هذا الضرب من الشعر مزجا بين الوعي واللاوعي في التعبير عن التجربة الشعورية ، وإن الصور الشعرية إما أن تنبثق من نفس الشاعر أو تنجم من سمائه أو من برجه العاجي كما يحلو لبعض الناس أن يقول .. ولعل من حقي أن أقول بعد كل هذا أن لاخوف على الأسلوب العربي الأصيل من الضياع بالالتجاء إلى هذا الضرب من التعبير ؟ ولعل من حقي أيضا أن أقول إن عهد القافية الواحدة قد مضى أو إنه أوشك أن يمضي وإن هذا النسق المعبر ملائم لطبيعة الحياة المعاصرة .. فإن وحدة القافية في عهود الشعر القديمة كانت غايتها تيسير الحفظ لأن أكثر القوم كانوا أميين ، أما الآن فإن الحالة قد تبدلت وانتفى سبب الدعوة إلى توحيد القافية .

وقد يقول قائل أن الفن لا يحيا ولا يزدهر إلا بالقيود كما يقول النقاد الفرنسيون ، وإن هذا الضرب من الشعر منطلق عن كثير من القيود . وجوابي على ذلك : أننا يجب أن ننظر بعيداً وألا نكتفي بالنظر إلى الظواهر ، فليس الشعر ألفاظا منضدة فقط لنقول إن كثيراً من قيوده قد تلاشى في هذا الضرب المنطلق وإن الشعر لذلك قد فسد . ولعلي أستطيع أن أقول إن قيود الشعر من حيث إنه فن تعبيري لا تزال موجودة ، وإن هناك فرقا شاسعاً بين النثر وبين هذا الضرب من الشعر وإن الشعر هذا لا يزال رقصاً كما يقول (مالرب) النقادة الفرنسي ، وإن النثر بالنسبة إليه أشبه بالمشي . ولعمري إن هذا التشبيه لدقيق موفق في دقته وإصابته المعنى المقصود ، فإن الرجل حين يمشي ينال هدفه بأقصر طريق مستقيم ، ولكنه حين يرقص يدور هنا وهناك ثم يلتفت يميناً وشمالا ، ولا تكون له في أكثر الأحيان غاية ملموسة مباشرة كغاية المشي ، لأن الرجل يمشي ليلتقي بصديقه مثلا وليبحث معه في أمرما ، وهو حين يرقص لا يهدف إلى غاية مادية محسوسة ولكنه يرمي إلى المتعة فقط وإلى التعبير عن غايته تلك بأسلوب فني ؛ وما إخالك تشك في أن الرقص فن من الفنون الجميلة ، ولا عليك من تهريج الذين يهدفون بالرقص إلى غايات دنيئة ، فإن ذلك ليس رقصاً ولا فناً ولكنه عمل أترك لك نعته بما تشاء من النعوت .

وما دام الحديث قد وصل بنا إلى هذا الحد فلنبحث في أمر يتعلق بالشعر ولا يزال النقاد يلهجون به كثيراً ، وهو هدف الشعر الاجتماعي وهل الفن للفن أم أن الفن للمجموع .

روي عن فكتور هوجو الشاعر الفرنسي الشهير أنه قال مرة إن الفن للفن . . ويروى أنه قال هذه العبارة عرضاً ودون أن يفكر في أنها ستصبح في يوم من الأيام حديث النقاد والأدباء ومذهباً من مذاهب الأدب والفن . إلا أن ذلك حدث فعلا ، وحمي النقاش بين فئتين ترى إحداها أن الفن للفن وتعتقد الأخرى أن الفن للمجموع أو للحياة ..

ومن أشهر زعماء المذهب الأول الكاتب الإنكليزي أوسكار وايلد وكان ذلك في فرنسا وفي أوائل هذا القرن .

والحق أن الفن الرائع هو التصوير الصادق للحياة والتعبير عن آثار أحداثها ومشاهدها في النفس الإنسانية بطريقة فنية تضمن المشاركة الوجدانية بين الكاتب أو الشاعر وبين السامع أو القارىء ... وإذا كان الأمر كذلك فإن الفن الرائع هو الحياة، ولا نستطيع أن نقول حينذاك إن هذا الفن لا يثير المتعة الفنية الخالصة ولا يعمل على ترقية الذوق وتقويم الطباع المعوجة . ولا نناقض أنفسنا حين نقول : وإن الفن صاحب هذا الفن ... نبي بين قومه ، وهو لا يؤدي لهم خدمة اجتماعية محسوسة مباشرة ، ولكنه يربي أذواقهم ويثير متعتهم الفنية الخالصة ويبصرهم بالحياة ؛ ويكفي الفنان هذا لأن يكون نبياً ذا رسالة روحية بين الناس ؛ وعلى هذا نستطيع أن نقول إن الفروق ضئيلة تافهة بين قولنا إن الفن للفن وبين قولنا إن الفن للحياة ، باعتبار أن الفن لن يكون فناً عظيما خالداً إلا إذا كان صورة خالقة للحياة ، ولا شك أنه في الوقت نفسه سيثير المتعة الفنية الخالصة ويكون بذلك مصداقاً على قولنا إن الفن للفن كما أنه باعتباره صورة خالقة للحياة يكون مصداقا على قولنا إن الفن للحياة . . أما إذا أراد الناس من الأديب أن يطعمهم خبزاً وأن يسن لهم قانوناً أو يسقط لهم وزارة بصورة مباشرة ، فأعتقد أن ذلك ليس من واجب الفنان ولكنه من واجب المصلح الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي .

إن الشعر في جوهره إن هو إلا ارتفاع عن هذه الحياة المادية وسمو بالنفس الإنسانية إلى مراق عليا في العالم الروحي ، واتصال بنبع الحياة الكبير ، أو بالأحرى استكناه لمشكلة الحياة وإدراك لأسرارها الغامضة ؛ أما إذا نزل الشعر إلى مستوى الحياة المادية وطالب بالخبز وبالماء وبإسقاط الوزارات فما لا شك فيه أنه يقوم بعمل اجتماعي ممتاز قد يكون من واجب كل فرد في المجتمع ، ولكنه يخون أمانة الفن ويتنازل عن رسالته المقدسة ... إنه يكون جندياً يحارب في سبيل واقع المجتمع ، ولكنه لن يكون شاعراً يذود عن مثل الفن وعن آفاقه الروحية .

ولو قدر لأحدنا أن يعيش مائتي عام لوجد أن كثيراً من الشعر السياسي أو الاجتماعي الذي شهر في هذا العصر قد مات ، وأن أصحابه الشعراء قد طمرهم النسيان بعد أن كانوا في زمانهم عباقرة الشعر وجهابذة الفن ، وإذا أردت الإفصاح فإني أعتقد أن كثيراً من شعر الزهاوي والرصافي وشوقي وحافظ والجواهري سيدرجه التاريخ الأدبي في أطمار النسيان ، وسوف لا يعرف الناس عن هؤلاء الشعراء إلا أنهم شعراء عاديون لم يكونوا أمراء شعر ولا سلاطينه . ثم إني أدرك أنك ستعجب من هذا القول وستظن بي الظنون ، ولكن الحق أن هؤلاء الشعراء أصحاب صياغة وجرس موسيقي يذكرني شعرهم دائماً بالمثل المشهور (أسمع جعجعة ولا أرى طحناً) ، ولن يقدر لأحد منهم أن يكون شاعراً عالمياً ، شاعراً يسع قلبه الإنسانية فيشترك معه كل إنسان في تجربته الشعرية .

إن شوقي الذي يقول :

صار شوقي أباً على   في الزمان الترالي
لجناها جنـــاية   ليس فيهـــا بأول

والرصافي الذي يقول :

دخن سكارة غازي   في وقفة واجتيـــاز
وجاز نصحي بشكر   إن كنت ممن يجازي

والزهاوي الذي يتغنى ببلاده وبجمالها فلا يستطيع إلا أن يقول :

لك بالبحر اتصال   فيك يجري الرافدان

إن هؤلاء الشعراء قد أدوا خدمات ممتازة لمجتمعاتهم ولكنهم لم يؤدوا للفن إلا خديمات ضئيلة ، إن صح هذا التعبير . . أنا لا أحكم على شاعرية هؤلاء الشعراء بأن آخذ لكل شاعر بيتاً سخيفاً ، ولكني أستدل بهذه الأبيات على العقلية الفنية ومداها عند كل واحد منهم ، ثم إن الشاعر الذي يسمح لشعره أن يتدنى إلى هذه المرتبة ولو في بيت واحد لن يكون شاعراً خالداً مهما فعل .

ولكن المؤسف أن أحكامنا المرتجلة في الأدب قد أساءت إلى كثير من أدبائنا فرفعت شوقي وجعلته أمير الشعراء وهو لم يكن إلا شاعر الأمراء ، وخفضت بشارة الخوري

وإيليا أبا ماضي وعلى محمود طه وعمر أبا ريشة وإلياس أبا شبكة وكثيراً غيرهم من شعراء الشباب لأنهم مغمورون غير معروفين ، ولأن (شوقى) شاعر الخديو وشاعر مصر فيجب أن يكون أمير الشعراء ؛ أما غيره من الشعراء فإن شعرهم دعوة إلى فساد الأخلاق وإلى الإباحية . وما أدرى كيف نبيح لأنفسنا أن نقرن بين الفن وبين الأخلاق ! فما لا شك فيه أن النقاد قد تعارفوا منذ القديم على أن الفن شيء وأن الأخلاق شيء آخر ، وأن الرذيلة أو الفضيلة لا تأثير لهما على قيمة الأثر الفنى .. ولكن كثيراً من الناس حتى هذه الساعة لا يريدون أن يعترفوا بهذا ؛ وإذا ما نبغ بينهم شاعر جريء وصارحهم ببعض ما يخفونه قامت قائمتهم ورموه بالكفر والزندقة والإباحية وما إلى ذلك من الصفات ؛ ولا أريد أن أستدل على صحة هذا الرأى بشيء من براهين الغرب وأدلته على كثرتها ؛ ولكنى أنقل لك رأى قدامة بن جعفر فى كتابه نقد الشعر قال ص ١٣ : (وعلى الشاعر إذا شرع فى أى معنى كان من الرفعة والضعة والرفث والنزاهة والبذخ والقناعة والمدح وغير ذلك من المعانى الحميدة أو الذميمة أن يتوخى البلوغ من التجويد فى ذلك إلى الغاية المطلوبة) ويقول فى الصفحة الثانية (فإنى رأيت من يعيب امرأ القيس فى قوله :

ومثلك حبلى قد طرقت ومرضع
فألهيتها عن ذى تمائم محول
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له
بشق وتحتى شقها لم يحول

ويذكر أن هذا معنى فاحش ، وليس فحش المعنى فى نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه ، كما لا يعيب جودة النجارة فى الخشب مثلا رداءته فى ذاته) اﻫ .

وهذا دليل عربى قديم على أن الرذيلة والفضيلة والقبح والجمال أشياء لادخل لها فى قيمة الأثر الفنى فإن الرسام اللاهى قد يرسم القبح فيبدع فيه إبداعه فى رسم الجمال .

* * *

وقبيل الانتهاء من هذا الحديث تجدر الإشارة إلى الشعر النسوى فى العراق وإلى المدى الذى وصلت إليه المرأة فى الإبداع الفنى .

والحق أن للمرأة فى الشعر الحظ الأوفر والحق الأكبر ، فهى فى أكثر الأحيان وحى الشعراء ومادة الشعر .. وهى فى بعض الأحيان شاعرة حساسة تغمر شعرها العاطفة العميقة والإحساس المرهف . ودعنى أقتطف لك نبذة من محاضرة للشاعر الفرنسى (آبل بونار) فى الحياة والشعر . . . قال يتحدث عن الاستعداد الشعرى عند المرأة :

(أى الناس ... الرجل أم المرأة .. أقوم فطرة وأكثر استعداداً لحمل معانى الحياة الشاعرة ؟ يخيل إلى أن النساء على الجملة هن المتفننات الموهوبات فى هذه المجالى ، وذلك لأنهن قبل الرجال شواعر بالحياة العامة التى تتحيف النفس وتتصل بالحواس) .

وأنت تعلم أن الشعر قوامه العاطفة والإحساس وأن المرأة أقوى عاطفة وأرهف إحساساً ، ثم إن حياة الشاعر شذوذ قد يعتبره البعض جنوناً ، والمرأة أقرب إلى الشذوذ وإلى الجنون من الرجل . . وقصة هذا الجنون تشبه أسطورة نهر الجنون ، فلا داعى إلى غضب الجنس اللطيف .

ولقد حفل تاريخ الأدب العربى بأسماء لامعة لعدد من شهيرات الشواعر ، منهن ليلى العفيفة وخرنق أخت طرفة ابن العبد والخنساء وليلى الأخيلية وحمدونة الأندلسية وولادة بنت المستكفى وكثيرات من جوارى قصور الخلافة .

والحق أننا لا نستطيع أن ننكر أن فى العراق اليوم نهضة شعرية نسائية تبشر بكل خير . . أجل إن قسما من شواعرنا مازلن فى بداية الطريق ، ولكن منهن من قطعت شوطاً بعيداً ووصلت مدى حميداً .

ثم إننا نستطيع أن نجعل هاته الشواعر فريقين . . فريقاً يتوخى حسن الصياغة ورصف الألفاظ فقط ، وهن من لا يرجى منهن خير كثير ، وفريقاً تثقف وتوسع اطلاعه على أدب العرب وغيره من الآداب الأخرى فأنتج أدباً رقيقاً رائعاً مثل نازك الملائكة ولميعة عباس عمارة ، وكلتاهما مدرستان ، وللأولى ديوانان رقيقان هما (عاشقة الليل) و (شظايا ورماد) ومن شعر نازك قطعة من قصيدتها (ثورة على الشمس) :

أضواؤك المتراقصات جميعها ... ياشمس أضعف من لهيب تمردى
وجنون نارك لن يعزق نشمق ... ما دام قيثارى المغرد فى يدى

فإذا غمرت الأرض فلتتذكرى
أنى سأخلى من ضيائك معبدى
وسأدفن الماضى الذى جللته ليخيم الليل الجليل على غدى

ومن شعر لميعة قصيدة لامعة عنوانها (شهر زاد) :

ستبق ستبق شفاهى ظماء ويبق بعينى هذا النداء
ولن يبرح الصدر هذا الحنين
ولن يخرس اليأس كل الرجاء

* * *

سيبق لكفى هذا البرود ولن تعرف الدفء حتى تعود
عناق الأكف أثار الدماء وعلمنى كيف ينسى الوجود

* * *

ستبق دمائى لظى واحتراق وتبق ضلوعى منى واشتياق
فكل حياتى هوى يائس لقاء قصير المدى فافتراق

* * *

ستمضى فمن لى بأن أمنعك ستمضى فهل لى أن أتبعك
فشعرى وحبى وعمرى سدى إذا لم أمتع بعيشى معك

* * *

سأهواك حتى تجف الدموع بعينى وتنهار هذى الضلوع
ملأت حياتى فحيث التفت أريج بذكرك منها يضوع

* * *

وهذه (سراب) أديبة فى بداية الطريق ولكنها فنانة ماهرة صادقة التعبير ، وفى فنها كثير من الحرارة التى تبعثها العاطفة وفيض من الحياة التى يتوهج بها الإحساس ، ولها مقطوعة عنوانها (انتظار) :

لن يعذبنى الانتظار .
سأحب الحياة ولن أرهب الليل .
سأسهر أرعى الأنجم وأعيش مع الأحلام .
وأنتظرك .
وعندما تتفتح الأزهار وترسل فتنتها فى عبيرها الندى
وتستيقظ الطيور لتبحث عن أليفها .
وتعود لتبنى عشها من جديد
هنالك على الشاطىء القريب .
حيث ينساب العذب الرقيق .
سأروى لك قصة حبى وأهتف .
أنتظرك .
وفى الصيف وأمسياته .
عندما يرق النسيم ويتهادى كحسناء خجول .
وأسمع همساته وهو يداعب الغصون .
أصيخ السمع وأتلفت والهة .
لقد حسبتها خطواتك .
وعندما يثور قلبى وتتحطم كبريائى أهمس .
آه . . لقد مللت الانتظار .
ويهتف صوت من الأعماق .
أنتظرك .
وأنت أيها الشتاء المرير .
لن تثبت ثلوجك أمام وهج قلبى .
لا ولن تقوى أعاصيرك على أن تعبث بزهرتى .
وعندما يهرف الصمت الكئيب .
وتنطفىء الشموع .
سأوقد له قلبى .
لن أدع ظلامك يحجب طريقه عنى .
ستبقى عيونى يعذبها الانتظار .
ستبقى حياتى يكتنفها الظلام .
سأبقى . .
أنتظرك . . .

* * *

ولعلك قد لا حظت أن هذه القطعة من النثر المرسل ، ولكنى أميل ههنا إلى وصفها بالشعر على رأى الغربيين الذين يطلقون لفظ (القصيدة أو الشعر) على كل قطعة فنية فيها خلق للحياة وتصوير للمشاعر والأحاسيس .

أما بعد فأرانى قد أطلت عليك وأدخلت السأم والملل إلى نفسك ، ولعلك تقرأ هذا الحديث فلا ترى رأيى ولا توافقنى فيما أبديت ، ومهما يكن من أمر فهو رأى قد أبديته وعلى تبعته وحدى ، وخاطرة قد عرضتها وأنا المسئول عن أخطائها ، وما أدعى أنى معصوم من الخطأ ولا منزه عنه ، ولكنى امرؤ يخطىء ويصيب ، وهذا حسبى . .

نازل ملائكة

النقد التفسيرى للأدب

— ٤ —

للأستاذ عز الدين إسماعيل

٦ — ولعلنا الآن نستطيع أن نقول مع بيرت : « إنه لم تعد بنا حاجة إلى التردد فى قبول النتيجة الهامة التى انتهى إليها المحلل النفسى — وهى أن أحسن الشعر وأحسن القصص وأبدع الصور، كلها — إلى حد بعيد — إنتاج النشاط اللاواعى للعقل » ومن أجل ذلك كان اعتقادنا أنه من الممكن — إن لم يكن الآن من الواجب — تفسير الأدب على أساس نفسى ، وفهمه فى هذا الضوء الجديد . « ومن الطبيعى أن استخدام نظرية فرويد فى الأدب قد حوول فى الغالب بغرض تحليل المؤلف .. ومع أن التحليل النفسى قد أضاف بالتأكيد كثيراً وما زال فى إمكانه أن يضيف أكثر فى فهم أفراد الفنانين بما هم شخصيات ، فإن أعظم عمل للنظرية الفرويدية يقدم به دارسو الأدب إنتاجاً طيبا هو فى تفسير الأدب ذاته .

وواضح أن فى مذهب فرويد أثراً بالغاً من تيار الدعوة ضد جفاف المذهب العقلى الحديث ، ومن الرأى الذى يدعو للالتجاء إلى العاطفة والوجدان ، فلعل المرء يصل بهما إلى الحقيقة التى قصر المنطق والتفكير الخالص عن إدراكها ، ولعل فى الحدس والإدراك المباشر ما ينقذ العقل من قصوره وجفاف منطقه . وبذلك استطاع فرويد أن يرم صرح الحدس ، ويحيى « ميول القلب » وأن يصل بالمرء إلى مثالية فنية حية تشيع فى النفوس ميلها الأبدى لليقين .

على كل حال نستطيع الآن أن نتكلم عن الأدب باعتباره تعبيراً رمزياً عن الرغبات المكبوتة فى اللاشعور : « فمن الممكن الانتهاء إلى أن العمل الفنى إشارة أو رمز يقوم مقام شعور الفنان . وهو بهذا يمكن أن يعد إشارة رمزية بالنسبة للفنان نفسه ، الذى يصير — بعد أن يتم العمل الفنى — فرداً متذوقاً مستمتعاً أكثر منه مبدعاً . فما أن الموضوع عندما يتم ينفصل عن الفنان فإنه ليست هناك عقبة واحدة تمنع من القول بأنه إذا كان رمزاً بالنسبة للفنان ، فإنه — من باب أولى — يكون رمزاً بالنسبة لغير الفنان من المتذوقين ... والقول بأن العمل الفنى رمز لمشاعر الفنان معناه قبول الشعور بوصفه إطاراً يرجع إليه ليس فقط عند البحث عن القدرة على الإبداع الفنى ، بل أيضاً عند البحث عن التجربة الفنية سواء بسواء » .

وإذا رجعنا إلى فرويد وجدنا أن لا منطقية اللاوعى تنشىء علاقات جديدة بين الرموز . وهذه العلاقات الجديدة هى التى يجب أن يلتفت إليها عند محاولة تفسير الأدب . فالرمز فى ذاته بما هو صورة أو جزء من صورة ليس هو المعنى وإنما هو الصورة المجسمة للمعنى الكامن فى النفس ، وأيضاً فإن العلاقات الجديدة بين هذه الرموز ليست مقصودة لذاتها ، وإنما هى صورة للعب والتلوين النفسى . ومن هنا قال بازلر : إن الشعر يفيد من الرموز نفسياً أكثر من إفادته منها بوصفها رموزاً . فالشعور — فى غير حالاته الخاصة — متضمن فى الرمز الفنى ، وبه يتأكد الفنان — إلى أبعد حد ممكن من التأكد — أن التجربة الفنية عند متلقى الفن تتفق مع ما قصد هو إلى توصيله إليه . ولكن الفنان لا يرغب فقط فى أن يُفهم ؛ فهو يصطنع رموزاً ذات دلالة واسعة فى التعبير عن الشعور لكى ينقل الشعور ويطبعه فى صور محسوسة .

وقديماً قال ابن الأثير : إنك إذا مثلت الشىء بالشىء فإنما تقصد به إثبات الخيال فى النفس بصورة المشبه به (ولنقل هنا الرمز) أو بمعناه . ولعله من هنا كانت الرمزية — بحسب رأى بوزنكيت — طريقة للتفسير ، أى تفسير شعور الفنان والسبب فى أن الشعراء يلبسون تعبيراتهم الفلسفية صوراً محسوسة — كما يقول ديوت باركر Dewit Parker — ليس لأنهم يجدون ما يخجل فى المضمون (وهو هنا قد يبدو معارضاً لفكرة فرويد فى التنفيس عن النزعات الفطرية المكبوتة) ولكن فى الحقيقة من أجل نقل عاطفتهم وتوصيلها بسهولة ووضوح أكثر . وفى كتابة ديوت باركر تظهر الفكرة المأثورة عن سقراط والمعروفة عند هومبان . وتفضيلهم العام للمحسوس له نفس الدافع ؛ فإنه لا يوجد من

المجردات إلا قدر قليل فقط يستطيع أن يثير العواطف ويوصلها .

والصفات التي تلاحظ في الرموز هي الصفات التي تلاحظ في نشاط العقل الباطن « ففي العقل الباطن — كما يظهر أيضاً في الأحلام ، وكما هو الشأن في ظاهرة الجنون — يكون العكس opposite في الغالب هو الدليل إلى المعكوس posite وليست الثنائية وحدها هي التي تلاحظ في الرموز بل الاختلاط أيضاً بمعنى أن شيئين غير مرتبطين كلية يوضعان الواحد بجانب الآخر لتكوين صورة واحدة لها أهمية خاصة .

وليس لما يجرى في اللاشعور أية علاقة بفكرة الزمن ، إذ أنه لا يوجد في تلك المرتبة من مراتب العقل أي توقيت أو زمان . وهكذا يساعد انعدام الزمن في اللاشعور على التكثيف condensation الذي يمكن بواسطته أن يلمح اللاشعور الحوادث المتباعدة بعضها عن بعض في الزمن كأنها متجمعة بعضها إلى بعض ، إذا كان بينها أي نوع من الترابط أو العلاقة . وبهذا نستطيع أن نؤكد أهمية الحقيقة القائلة بأن الإنسان في تفكيره الخيالي (الفني) يحتفظ بتكثيف لتاريخ تطوره النفسي وعملية الترابط أو العلاقة تتم عادة في صورة حرة ، لأنها تتم وليس هناك هدف أو تركيز أو اختيار للألفاظ الصالحة للتعبير عن فكرة ، كما هو الشأن في الفكر الواعي . ومن هنا لا يشعر الفنان في أثناء العملية الإبداعية بالقفزات البعيدة التي يقفزها بين رمز ورمز أو بين لفظ وآخر

وأخيراً ، فإذا كان العمل الفني طريقة للتعبير ونقل التجربة اللاشعورية إلى الآخرين ، فكيف إذاً يتحقق للفنان ذلك إذا كان يستخدم رموزاً لا شعورية لها تلك الصفات السابقة للتعبير عن تجربته الخاصة ؟ « الفهم العام يدعو إلى الظن بأن اختلاف البيئة والثقافة والمزاج والتراث الفطرى قد تؤدى غالباً إلى اختلاف في المعاني التي يدلي بها الرمز الواحد عند مختلف الأشخاص » ولكن يبدو أن بعض العناصر الرمزية يخرج من نطاق المحلية ليكون له صفة العمومية والإطلاق عند أكثر من فرد ، بل أكثر من أمة ؟ وكل ذلك يترك المجال دائماً أمام الآخرين لفهم الأثر الفني وتذوقه من خلال هذه الرموز .

ونود الآن ، وقبل أن نحاول عملية تطبيقية لما سبق أن سقناه من أفكار — أن نعرض لدعوى عريضة إن دلت على شيء فإنما تدل على أن أصحابها هم أول من سيقف في وجه هذه الأفكار من حيث هي مستمدة من أفكار ونظريات غربية أولا ، وأنهم يحاولون أن يقولوا للناس إن الأدب العربي عظيم وحده ، أما الآداب الأوربية لحقيرة ، وإن الأدب العربي هو الغني وتلك الآداب فقيرة .

ومن حسن الحظ — أيها القارئ الكريم — أن مثل هذه الدعاوى مكتوب وبين أيدينا . وهأنذا أعرض عليك واحدة منها :

«ولعل بعض شبابنا الذين يهفون إلى استلهام الأدب الغربي بمحسه ورزاياه ونفاياته وسمومه ، ويعرضون عن استلهام الأدب العربي بعظمته وقوته وكبريائه ووضوحه ، يرون أنهم حادوا عن الجادة ، وأنهم ظلموا الأدب العربي لجهلهم بذخائره ونفائسه ، واغتروا بالأدب العربي وهو نتاج بيئة غير بيئتنا ومجتمع قد كثرت علله وأوصابه وتعقدت مشكلاته وأدواؤه ونخرت فيه الآفات التي تصيب الأمم المترفة المتكالبة على المادة ، أدب ولده الاضطراب النفسي والكبت والحرمان والضيق والظلمة — ظلمة الجو وظلمة الحياة — فجاء سخفا وهذياناً تمثل في تلك المدارس الأدبية الحديثة من واقعية تنحدر إلى تصوير أحط الغرائز الدنيا في الإنسان إلى رمزية مبهمة غامضة لا يعرف المرء من ورائها فكرة أو معنى ، ولا تعنى بمجتمع أو إنسان ، إلى سريالية مخرفة تهذى بخزعبلات العقل الباطن وهواجس اللاوعي ، وتحتفل بأضغاث الأحلام ، وتنكر المنطق والعقل والشعور ، وأوضاع المجتمع والدين والفضيلة . »

ولعل هذه الدعوى الصارخة أن تمثل الجانب المقابل تماماً ، لأنها تعتبر الأدب الذي ولده الاضطراب النفسي والكبت والحرمان والضيق وظلمة الحياة أدباً سخيفاً إن لم يكن هو السخف بعينه . ونحن نقررها الآن صريحة بعد أن انتهينا إليها من مقدمات موثوق بها : أن الأدب الصادق هو ما كان وليد الاضطراب النفسي والكبت والحرمان والضيق وظلمة الحياة ، ولن يحط من قدره أنه يمثل السخف عند البعض ممن يدعون معرفة الأدب العربي بذخائره ونفائسه ! ويجهلون غيرهم . إنى لا أكتم القارئ الكريم

صوت من الفردوس ...

هنالك في العالم الذاهب ... وفي وهـدة الألم الغالبِ
تحملتُ أهوالَ ظلم كبير ... تجلى على وجهي الشاحبِ

* * *

ته لفظةٌ كاندلاع اللهيبِ ... وذي فعلة كسواد الذنوبِ
وذلك شرٌّ تعاف الوحوش ... إتيانَـه ... يالها من كروب !

* * *

هنالك لا يعبدون إلهاً ... تحكّم في الكون غيرَ النُّضارِ
فهم يركعون وهم يسجدون ... وهم يزحفون عبيدَ النضار

* * *

هنالك حيث نعيق الغرابْ ... صحارى صحارى خراب خرابْ
مضى الخير حين يجوع الأسود ... ويحسو الذباب ويسمو الكلاب

* * *

نصحتُ وطال هنالك نصحي ... وتابعتُه بلسان فصيحْ
بقلبي .. بروحي .. بأنشودتي ... تسيح مع الحق أنى يسيحْ

* * *

ألا حاذروا أيها الراقصونْ ... على موقد لا تراه العيونْ
فرب بريق تميل النفوس ... إليه يحجّب نار المنونْ !

* * *

وما كنتُ فيهم نبياً ولكنْ ... دعوتُ إلى الحق شعراً يبينُ
فصدق من كان ذا مهجةٍ ... وكذب ذو حجرٍ لا يلينُ !

* * *

خلقتُ أبيًّا فكيف القيودْ ... لمن دينُه أن يبيد القيودْ ؟
وأن يرسل النور في ظلمة ... ويبعث حرية للعبيدْ !

* * *

وكان جزائي ظلماً ظلوماً ... زرعت نجوماً وأجني رجوما
فناديت يارب خذني إليك ... فقد صار عُرسُ شبابي هموما

* * *

ولما رآني ربي ... غريبًا ... بقلبي عذاب يذيب القلوبا !
تفضل في رحمـةٍ عذبةٍ ... فتوّجني بالردى مستجيبًا !

* * *

وخلف الجناز جموعٌ جموعْ ... رياء وضيعٌ .. نفاق ضليعْ
على الأوجه السود حزن تراءى ... وليس هنالك بين الضلوعْ

* * *

سوى معشر من شداة العصور ... أباة .. إباؤهمو كالضمير !
بكوني بكوني بشعر جميل ... يحلق مسترسلا كالطيور !

* * *

ومن جنة الخلد دوى ندائي ... إلى عالم حافل بالشقاء !!
جموع على الأرض مستهترين ... بدين الإله بأصفى ضياء !!

* * *

ألا حاذروا أيها الراقصون ... على موقد لا تراه العيونْ
فرب بريق تميل النفوس ... إليه يحجّب نار المنونْ

محمد سلامة مصطفى

أنني ضنيت كثيراً في أن أعثر في الأدب العربي على شاعر ! شاعر ألمس فيه أثر الاضطراب النفسي والكبت والحرمان ، شاعر يهذي بخزعبلات العقل الباطن وهواجس اللاوعي ، ويحتفل بأضغاث الأحلام وينكر المنطق والعقل والشعور . وربما كان السبب في هـذا الضنى أن الأدب العربي عظيم وقوي ومتكبر !

ليطمئن أنصار الأدب العربي فقـد قضينا شطراً من حياتنا في دراسـة ذخائره ونفائسه . وإننا لحريصون كل الحرص على أن نلتمس فيه الدليل الملموس على عظمته وقوته وكبريائه . ولعل القارىء الكريم يذكر ما قلناه في مستهل أول مقال من هـذا البحث . وكل ما يعنينا هنا هو أن نعدل من تلك الموازين النقدية التي تتخذ ذريعة لاتهام البعض بالجهل من ناحية . ولدرء الشبهات من ناحية أخرى .

العظمة والقوة والكبرياء أثواب فضفاضة جداً لا تصور شيئاً ولاتفسر شيئاً ، ولا هي الميزان الذي يوزن به الآداب . والاضطراب النفسي والكبت والحرمان والضيق وظلمة الحياة ، وهذيان العقل الباطن وهواجس اللاوعي وأضغاث الأحلام . . . إلخ هي التي تصور الكثير وتفسر الكثير ، وهي بعد ميزان الأدب الصادق . « فالناس عند ما يتركون لاوعيهم يتكلم فإنهم يخبروننا عن أهم الأشياء في حياتهم الباطنية الخاصة » وحسب الأدب — بعـد — أن يطلعنا على خفايا تلك الحياة الخصبة الفسيحة .

(التتمة في العدد القادم)

عز الدين اسماعيل

رسالة إلى كاتب ناشئ

للفيلسوف الأسبانى ميجل دون يونا مونو

للأستاذ عبد الغفار مكاوى

ميجل من أكبر المفكرين المعاصرين من الأسبان . ولد فى مدينة بلباو . وقد شغل منصب الأستاذية للغة اليونانية فى جامعة سالامانكا . وهو رجل انفعالى عاطفى يمزج قلبه بكلماته . يحترق حباً للحياة ، وإحساساً بها ، ويرى فى التجريد غطاء للأفكار الميتة . يعجب القارئ بحيويته المتيقظة التى جعلته على اتصال وثيق بالتراث العقلى فى منابعه الأصلية ، فى أوربا وأمريكا . وقد أهلته ثقافته الواسعة للكتابة فى الشعر ، والقصة ، والنقد ، والفلسفة . ولعلك إذا حللت الطابع الأسبانى — بشرط أن تدع جانباً أثر حضارة البحر المتوسط عليه — أن تتعرف فيه على أصلين رئيسيين : الباسك بخشونته ، وقوته ، وجده الصارم ، والأندلسى برقته ولطفه وسحره . ومفكرنا يمثل الجنس الشمالى ، أى الباسك ، أحسن تمثيل . فالرجل جاد دائماً ، ترى ذلك من نظرته الفكرية والروحية إلى سر المصير الإنسانى على هذه الأرض . وهو ممن يأخذون الحياة بمعناها الدرامى . والرجل مسيحى ، ونقصد المضمون الروحى لهذه الكلمة ، بل هو الوريث الحق لهؤلاء القديسين والمتصوفة من الأسبان ، وإن يكن اليأس والشك يعمرانه جميعاً . وهو فردى ، لابالمعنى الذى يريده الفوضويون ، ولا بمعنى التقابل بين الحرية والسلطة ، بل بالتقابل بين الأبدية والديمومة الزمانية . هو على أى حال فارس توّاه فى مجاهل الروح ، يبدأ مغامراته ، كما يقال ، بعد أن يكون قد أحرق سفنه ... وقد يتفوق عليه غيره فى تنوع التجربة الأدبية ، أو فى أحكام البناء الفنى ، أو فى دقة التفكير الفلسفى ، ولكنه يظل أفضل من يعبر عن الروح الأسبانية المعاصرة . إنه يمثل الصراع بين الإيمان والعقل ، بين الحياة والفكر ، بين الكنيسة والمدنية ، وهو صراع أسبانيا نفسها .

وهذا فصل نقدمه لك من كتابه الأخير « الغرائب والمفارقات » .

يا صديقى الشاب ، ليس فى مقدورنا أن يفهم أحدنا الآخر ، فأنت تتحدث بلغة غير لغتى ، وكلانا يرفض أن يترجم لصاحبه ما يقول . إن مجرد سماعى لنوع الجمل التى تستخدمها ، تلفظها شفاه آلية ، لتجعلها شيئاً مغلقاً علىّ لا سبيل إلى تعقل معناه .

من بين هذه الجمل طريقتك فى استعمال هذه الكلمة (يصل) . إن معناها يوغل فى الغموض شيئاً فشيئاً . بربك فسر لى ما يراد بقولنا : « لقد وصل هذا الشىء أو ذاك » ، أو « أن جون دُو لن يصل أبداً » ، « إن من أعسر الأمور على شاب يافع أن يصل اليوم » ، وما شابه هذه من تعبيرات . ما الذى تقصده بالوصول ؟ وإلى أين نصل ؟ إن ثمة غايةً واحدة محتومةً لا مفرّ منها ، ألا وهى الموت . وربما كان من الخير أن ننعته بالرحيل .

ولعلك تذكر من أساطير اليونان نبأ هذين العملاقين : أوتس وإفيالتس . فلقد هددّا بإعلان حرب لا هوادة فيها على الخالدين . . . وكانت وسيلتهما إلى ذلك أن يضعا جبل أوسّا فوق جبل الأوليمب ، وأن يلقيا بجبل پيليون على جبل أوسا ثم يصعدا إلى السماء . ولو أنهما كانا أكبر سناً ، كما يقول بوليسيوس ، لكتب لهما النجاح . إلا أن أبوللو قد عاجلهما من قبل أن يشرق فجر الشباب على وجهيهما النديين .

أفأنت تحاول ، يا صديقى الشاب ، أن تصل إلى السماء بأن تكوم جبلا فوق جبل ؟ هل يساورك الخوف من أن يدركك الموت ولم تبلغ أوج شبابك الروحى ؟ إذا كان هذا ما تَريد فقد فهمت ما تقصده بكلمة « يصل » ، أما إن

كنت مخطئاً فلا شك أنني قد فاتني مرادك .

يا ويلك لو جاء هذا اليوم الذي فيه « تصل » !

عندئذ سترجع إلى الوراء وستصيبك النكسة . وهذا ما يجعلني أناشدك دائماً أن تكون لك آمال لا تأسف عليها إذا ضاعت ولا تفرح بها إن أقبلت ، آمال تظل خضراء أبداً ولا يؤودها حمل الثمرة . . . هي الرجاء في الوهج الأزلي للرجاء .

إنك لاتسيغ كثيراً أن ينقدك ناقد ، أو يُردّ لك رأي. يا ليتك كنتَ على غير هذا ! .

حين تجد نفسك في يوم من الأيام وقد صرت كاتباً ناجحاً ، يفهمك الجميع ، ويحبك الجميع ، حين يجيء ذلك اليوم فتجد ناقديك أو أبناءهم ، ينحنون أمامك في إكبار وإجلال — لو قدر عليك أن ترى هذا اليوم التعس — عندئذ تكون روحك قد شاخت وهرمت . عند ما كان دانتي يكتشف مملكة الموتى وجدهم وقد أخذتهم الدهشة أن يروا له ظلا ، ومن هذا الظل عرفوا أنه حي . ولو لم يكن له ظل لكان قد عبر باب الموت ، هنالك حيث تبتلع الظلمة كل الظلال . ويوم لا تلقى أمامك ظلا تكون قد دخلت مملكة الخالدين .

أجل إني لأعلم مقدار توقك إلى دخول هذه المملكة ، مملكة الفراغ والأحلام والموت الخالد ، ولكن خبرني بربك هل تؤمن حقاً أن الفريسة تساوي عناء اصطيادها ، أو أن النصر يستحق القتال في سبيله ؟ .

حين تصيب امرأ بجرح ويصرخ ، فأنت حي ، أما إذا لم يحرك ساكناً ، فواحد منكما لا محالة الميت ، وربما كنتما معاً .

يوم يهتف الناس قائلين عنك إننا نفهم هذا الرجل ، تكون قد فقدت كل شيء ، ذلك لأنك لم تعد ملك نفسك ، بل ملكا لهم وسوف تحرص في مستقبل أيامك على أن تقول لهم ما توقعوه منك ، وما أرادوك على قوله ، لا ما أردت .

لست أفهم البتة شيئاً مما تجدّ في البحث عنه . بربك خبرني . . وقاك الله شر الظن أنك قد بلغت الكمال ، فإنك لو فعلت فلن تلبث أن تتراجع ثم تنحدر . هناك كلمة لاتينية تفيد الانتهاء والتمام هي كلمة Perfectus ، ومعناها الكمال . حذار من الكمال ! من الحق أننا أمرنا أن نكون كاملين كأبينا الذي في السماء ، غير أن الكتب المقدسة تزخر بالمفارقات ، وتلك واحدة منها . ومن الحق أيضاً أن المفارقة والاستعارة والرمز كانت من الوسائل المألوفة في تعاليم السيد المسيح . ولقد وضع لنا مثالا من الكمال لا سبيل إلى دركه أو القرب منه ، فكان القوة الوحيدة التي تحفزنا على إتمام ما نستطيع . ليس في طاقتنا أن نصل إلى الكمال الإلهي ، لذلك وضع أمامنا هذا الهدف .

ربما أنبأتني بأن الغاية من هذا الهدف هي أن يعرف الإنسان نفسه ولاشيء سواها ، وربما ذكرتني بهذه الحكمة المشهورة التي كتبت على معبد دلفي وما أكثر ما أسيء التمثل بها . والحق أني لا أدري إن كانت معرفة النفس هي بداية الحكمة أو نهايتها ، ونهاية الحكمة — ككل نهاية سواها — أمر مزعج .

وأحسب أن من الخير أن نغير الحكمة المشهورة فنقول : « أدرس نفسك » . أدرس نفسك وأمعن في دراستها ، سواء عرفتها أو لم تعرفها ، فربما كان من الخير أن تبقى على جهلك بها . وكلما أوغلت في درسك هذا ازداد تعمقك الروحي ، واتسعت آفاقك ، وشق عليك أن تعرف نفسك .

ادرس نفسك في كل حين ، عند ما تعمل ، وعند ما لا تجد شيئاً تعمله . إن أعظم ما تجنيه على نفسك من شر ، أن تعكف على ضميرك تسبر غوره ، بينما تطويك الوحدة وتغمرك الظلام . اخرج به إلى ضوء النهار ، إلى الأفق الرحيب ... أمام وجه الشمس .

كنت نبهتك من قبل إلى أمر المذكرات الذاتية ، ولكن يبدو أنك لم تفهمني جيداً . إن المذكرات الذاتية هي أعدى

أعداء الذاتية . إنها تحطمها وتحيلها إلى تراب . أعرف من الناس من كان يواظب على كتابة يومياته فكان فى أول عهده بها يكتب ما يشعر به ، ثم ينتهى به الأمر إلى البحث عن الشعور لكى يجد ثم ما يكتبه ، وقد يصحو فى الصباح وهو فى حيرة من أمره ماذا عساه يدون فى يومياته ، وكل ما قال أو فعل فعليه أن يحفظه جيداً . إن مذكرته اليومية ماثلة أمامه لا تريم ، وهكذا صار الرجل ملك يوميته ولم تعد ملكا له ، وتلك هى آفة كل مجال ضيق محدود .

حين يحاول العلماء فى التحليل الكيمائى العضوى أن يدرسوا مركباً عضوياً معقداً يجدونه وقد تحطمت وحدته بين أيديهم ولم تبق منه إلا عناصر تحصلت عن التحليل والتجزئة ؛ هذا مثال يصدق فى الحكم على التحليل النفسى للشخصيات الروائية ، وهذا ما جعل الروايات النفسية المزعومة تحشد أوصافاً لحالات شعورية ، ويندر أن تلقى فيها روحاً طبيعية كاملة التكوين ، كهذه الأرواح التى تحس حركتها وأنفاسها وراء السيكلوجية الروائية المتحاذلة . إن من الخير إن أردت أن ترى ذاتك ، أن تنظر فى مرآة بدلا من أن تدفن وجهك بين يديك ، وتغمض عينيك ، وتسرح بالنظر فى ذاتك الباطنة .

أفأنت حريص على أن تعطى اللمسة الذاتية ؟ جميل منك هذا ، ولكن أية لمسة تراها تكون لمستك ؟ أأنت على يقين من أنك قد عرفت نفسك ؟ وكيف يستطيع المتحدث أن يقدر نوع صوته ؟ إن مظهر النهر يرجع إلى مجراه وضفتيه . فلتترك نفسك تسرى فى مجراها ، وتسير بمشيئة تيارها ، تتخطى السدود ، وتعرف معنى الحرية . بهذا تنتهى الأنهار إلى البحر وتشق لنفسها المجرى .

* * *

لم يزل لدى ما أسره إليك وإن كنت لا أكره شيئاً بمقدار كرهى للنصيحة ، فما أضيع أن توجه النصيحة لامرئ أيا كان ، وللشباب خاصة . وأنا كأستاذ جامعى أحرص على هذه الحكمة القديمة التى تقول : « لقد بعت النصيحة للشباب والشيوخ ، وحين احتجتها لم أجدها عند أحد » ،

قد يجد بعض الناس فى أنفسهم حرجاً حين تسألهم النصيحة كما فعلت أنت معى فى هذه المرة ، ولكننى أعلم بينى وبين نفسى أن الشباب إذا ما طلبوا النصيحة لم يطلبوها جادين مخلصين فهم فى الواقع ينشدون شيئاً آخر وما طلبوا النصيحة إلا مظهراً فحسب ، وكثيراً ما تعرضت للهجوم والتجنى بحق وبغير حق ، ولم يكن لذلك من سبب إلا أنى لم أقل ما كان يرجى منى أن أقول .

لن تجد فى مستقبل أيامك ما يشعرك بخيبة الأمل قدر اكتشافك أن الناس ينثرون زهور إعجابهم على أعمال لك بعيدة عن نفسك غريبة عنها ، وأنهم سيهزءون بأعزها لديك وآثرها عندك؛ ولقد قال القس الكاثوليكى اليسوعى جورج تيرل : « دلنى على تجربة من تجاربنا أشد إيلاماً للنفس من أن تحب وتمتدح خصالا نعلم أننا خلو منها ، أو أننا نؤثر فقدها على ملكها ، بينما نجد أن ما نعتقد أنه خير ما فينا لا يلتفت إليه أحد ..؟

ربما لاحظت أن تيرل يقول أن نحب ونمتدح ، فأى تضاد بين هذين ؟ بين أن نحب وأن نكون موضع الإعجاب وربما كنت فى سنك هذه أعظم شغفاً بالإعجاب منك بالمحبة . بل ربما طلبت الأولى ولو كان ذلك على حساب الثانية . ولكن سوف يأتى عليك يوم ، ياصديقى الشاب ، تتعطش نفسك فيه للمحبة . حينئذ ستصرخ فى طلبها ، فإذا جاءك هذا اليوم فلتبتهل إلى الله أن يخلصك من أقسى عذابات الروح ، وهو أن تجد نفسك عاجزاً عن لقاء هذا الحب بمثله . فليس العذاب فى أن لا تجد من يحبك ، بل العذاب كل العذاب فى أن تفقد القدرة على الحب . أعرف نفوساً تتوق إلى الحب فما تستطيع ، إنها ضحايا الظمأ المحرق الممض .

* * *

هل لدى ما أقوله لك بعد ؟

لاريب أن هنالك شيئاً ما ، وإن كان لا يرد على خاطرى الآن . وهكذا أرانى قد نسيت — أو أنسيت — أهم ما أردت أن أذكره لك . إن أفضل أفكارنا هى التى تموت قبل أن نوفق إلى صياغتها وإخراجها إلى حيز الوجود . وإن أفكارى بذور تنمو فى ذاتى الباطنة ، أما ثمرتها فيجنيها غيرى .

عبد الغفار مكاوى

نظرية الإمامة بين الباطنية والسهروردى

— ٢ —

للأستاذ محمد على أبو ريان

أولا : الإمامة عند الباطنية

يفضى بنا المقال الأول من البحث إلى مناقشة موقف السهروردى الإشراقى بصدد مشكلة الإمامة على ضوء موقف الباطنية منها .

١ — الاعتراف بالإمام عند الشيعة أو الباطنية عموماً جزء جوهرى من صميم القواعد الإيمانية التى لا يصدق الإيمان بدونها .

يقول الكلينى ص ١٠٥ «عن أبى حمزة قال لى أبو جعفر إنما يعبد الله من يعرف الله ، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالا . قلت : جعلت فداك ! فما معرفة الله ؟ قال : تصديق الله عز وجل، وتصديق رسوله، وموالاة على والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم ، هكذا يعرف الله» . «وليس بمسلم حقاً من لا يعترف بالله ورسوله والأئمة جميعاً وإمام عصره ، ومن لا يفوض أمره للإمام ويبذل نفسه فى سبيله» .

واعتبار الإمامة من أصول الدين عند الشيعة لا من مسائل الفروع دفع بهم إلى شق عصا الطاعة على المجتمع الإسلامى ، فكفروا كل من لا يعتقد فى إمامة على وذريته ، لأن إيمانه بالله ورسوله دون الأئمة إيمان ناقص لا شفاعة فيه ولا غفران له ، فهى ركن من أركان الدين الأساسية التى لا يصح إسلام شخص إلا بها ، فالقاضى النعمان بن محمد يذكر «فقد روينا عن أبى جعفر محمد بن على أنه قال : بنى الإسلام على سبع دعائم (١) الولاية وهى أفضلها (٢) الطهارة (٣) الصلاة (٤) الزكاة (٥) الصوم (٦) الحج (٧) الجهاد . (دعائم الإسلام للقاضى النعمان بن محمد — تحقيق آصف بن على أصغر فيضى — دار المعارف القاهرة سنة ١٩٥١ ص ٣) .

والمقصود بالولاية الاعتقاد فى إمامة على وذريته من فاطمة . أما الجهاد فمن مراميه نشر الدعوة لآل البيت ومغالبة المغتصبين للخلافة ، ويتمثل نشاط الشيعة فى الدعوة السرية التى رتب لها الدعاة الفاطميون والقرامطة مراتب وأساليب خاصة . وأما إذا استشرى الخطب وعم الاضطهاد فهم يلجأون إلى التقية .

ويورد القاضى النعمان نصاً آخر ص ٥ عن حقيقة الإيمان عند الشيعة ، يقول : الإيمان شهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبد ورسوله ، وأن الجنة حق والنار حق ، والبعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، والتصديق بأنبياء الله ورسله والأئمة ، ومعرفة إمام الزمان والتصديق به والتسليم لأمره ، والعمل بما افترض الله تعالى على عباده العمل به والانتهاء عما نهى عنه وطاعة الإمام والقبول منه » .

وقد سمى الشيعة من يعارضون فى إمامة على وذريته — على طريقتهم — (بالنصيبية) وناصبوهم العداء وعدوا مخالطتهم تدنيساً للشيعى يجب التطهر منه ، حتى إن الكلينى يذكر ص ٥٦٨ « روى عن الإمام جعفر الصادق أنه قال : إن رضاع الولد من يهودية أو مسيحية أفضل من أن يكله أبوه إلى مرضعة من النصيبية (أعداء على) .

٢ — وقد اختلف الشيعة فى تعداد الأئمة ؛ فالاثناعشرية أو الإمامية تنتهى عند الإمام الثانى عشر وهو محمد بن القاسم المولود ببغداد سنة ٨٧٢ م وهو المهدى المنتظر المسمى عندهم بالإمام الخفى . والزيدية وهم شيعة اليمن يقفون عند الإمام الخامس زيد بن على من نسل الحسين ، وقد ثار بالكوفة سنة ١٢٢ هـ/٧٤٠ م مطالباً بالخلافة دون ابن أخيه جعفر الصادق .

أما الإسماعيلية ويسمون (بالسبعية) فإنهم يقفون عند الإمام السابع إسماعيل بن جعفر الصادق ، وينتسب إليهم

الفاطميون . أما الشيعة الغالية فإن بعضهم يؤله عليًّا ويرى أن الألوهية تجسدت في علي ، وبعضهم يراها متجسدة في ثالوث يجمع بين النبي محمد وعلي وسلمان الفارسي ، والبعض الآخر يرى أن الوحي أخطأ فنزل جبريل على محمد وكان يجب أن ينزل على عليّ .

وقد اندثرت تعاليم معظم هذه الفرق المتطرفة ، ولكنها تركت آثاراً خطيرة تمثلت في العصر الحديث في البهائية والقاديانية والنصيرية .

٣ — وأيا ما كان موقف فرق الشيعة من عدد الأئمة فإنهم يرتبون للإمامة شروطاً معينة ؛ فالإمام ورث العلم الإلهي عن النبي واطلع على « الجفر » (وهو وثيقة هامة قيل إنها صادرة عن النبي وإنها مكتوبة على رقعة من الجلد وأهم ما بها التنبؤ بحوادث المستقبل ومثلها « الجامعة ») .

وهم يرون أن النبي أوصى لعلي بالخلافة من بعده في صيغة تكليف إلهي وهـذا ما يسمى (بالوصية) .

والصفة الثانية للإمام هي أنه معصوم من الخطأ لأنه يتلقى كل ما ينطق به عن طريق يشبه الوحي أو أنه داخل في نطاق العلم الإلهي الموروث والإمام هو القائم على الشريعة والأمين على تفسيرها ورأيه قانون ملزم لأن علمه إلهي .

وهناك مبدآن آخران متصـلان بعقيدة الإمامة ، وهما القول بالغيبة والرجعة أي غيبة الإمام ورجعته ويسمى حينئذ بالمهدي .

وقد تحققت رجعـة الإمام الغائب صاحب الزمان عند الإسماعيلية بظهور عبيـد الله الفاطمي في شمال إفريقية ، ويقال إن الذي أدخل القول بالرجعة في الإسلام عبد الله ابن سبأ اليهودي .

والفرق بين الشيعة والسـنة في الاعتقاد في الإمامة أن أهل السنة يرون في الإمام رئيساً للمسلمين يدير شئونهم الدينية والدنيوية ، وهو بمعنى آخر الخليفة ، الذي يلي أمور الجماعة عن طريق الإجماع أو الانتخاب (البيعة) وأنه غير معصوم من الخطأ وأنه في مستوى البشر ولا يسـمو على الطبيعة البشرية ، فالإسلام لا يعترف باتحاد اللاهوت بالناسوت .

أما الشيعة فيقررون أن رياسة الإمام مفروضة على البشر وملزمة لهم ، لأنها تستند إلى وصية شرعية عن النبي ، ثم إن الإمام يمتاز عن البشر بما فطر عليه من طبيعة إلهية وله وحده سلطة التشريع .

أما أهل السنة فيرجعون للأصول الأربعة المعروفة .

٤ — وقد أطلق لفظ « الباطنية » على الشيعة عموماً ، وعلى الإسماعيلية على وجه الخصوص ، لأن الإسماعيلية يرون للقرآن ظاهراً وباطناً ، ويعتقدون أن نصوص القرآن الظاهرة يجب أن تؤول تأويلا مجازياً ، وأن المعنى المستور للقرآن لا يدركه إلا الأئمة المعصومون .

وتعد الحركة القرمطية وثورة الزنج الاجتماعية من أخطر الثورات الفكرية والاجتماعية وهما وليـدتا المذهب الإسماعيلي .

وقد تأثر الإسماعيلية والقرامطة بالأفلاطونية المحدثة ، وأولوا نظرية الإمامة تأويلا فلسفياً مستندين إلى فكرة العقل الكلي الأفلوطينية ، وكان للصوفية وإخوان الصفا أثر كبير في تحوير نظرية الإمامة وتوجيهها وجهة عالمية ؛ فقيل عن الإمام إنه النور المحمدي وإنه الواسطة بين الرب والخلق ، وهو الرابطة الجوهرية بين العلة والمعلول ، بل هو الباعث الأصـلي على الوجود ، بل إن الملائكة حينما سجدوا لآدم كان سجودهم للأجزاء النورانية الخاصة بالأئمة والتي اشتمل عليها آدم ، وقد أمره الله أن يرفع بصره للعرش الإلهي حيث شاهد انعكاس هذه الأنوار المقدسة عليه (أي على العرش الإلهي) .

هـذه الاتجاهات الغريبة على الفـكر الإسلامي البحت ترجع إلى نظرية الوساطة التي قال بها أفلوطين في نظرية الفيض وسبقته الغنوصية والهرميسية والصابئة إليها ؛ فالوسائط لها وظيفة صوفية ميتافيزيقية ، فهي تقرب العبـد من الرب وتصل الناسوت باللاهوت ؛ والإسلام قد فصل فصلا تاما بين الألوهيـة والبشرية ، فلا يمكن أن يرقى الإنسان إلى مرتبة الألوهية. أما المسيحية ومذاهب الصوفية الحلوليين والاتحاديين وأتباع وحدة الوجود فقد تكلموا عن إمكان الوصول وعن اتحاد الطبيعتين .

والشيعة الباطنية ساروا في نفس الطريق متأثرين

بالتيارات السابقة ، فاتخذ الأئمة لديهم مراتب الوسائط الروحية فى الأفلاطونية المحدثة . ومن ثمة كانت طبيعتهم البشرية مظهراً إنسانياً فحسب لطبيعة إلهية يُعدون بسببها عمداً ميتافيزيقية لهذا الوجود ، وهنا نجد نوعا من التشابه بين هذا الموقف ونظرية القطب الصوفية .

على أن هذه الاتجاهات الغربية كانت نتيجة حتمية لانتشار الإسلام فى مراكز هذه الثقافات ، فحمدان القرمطى — مثلا — وهو أول القائمين على الدعوة القرمطية ، نشأ فى واسط وهى من مراكز الصابئة ، وقد استعار القرامطة بالفعل كثيراً من الطقوس الدينية التى يمارسها الصابئة ، وإذا تناولنا موقف القرامطة من الإمامة نرى فيه بوضوح أثر الغنوصية ، فهم لا يعترفون بالوصية التاريخية التى تقصر الإمامة على آل البيت وحدهم دون غيرهم ، بل يقولون بالوصية الروحية ، فالإمام قد يكون من آل البيت أو من غيرهم تبعاً لميزاته الروحية والعقلية ، وهنا نجد نزعة واضحة للخروج بالنظرية من الدائرة الأسرية الضيقة التى تقوم على صلة الدم ، ونجد تطوراً خطيراً للخروج بها من الدائرة المحلية فى المجتمع الإسلامى إلى الدائرة العالمية التى تشمل سائر الأديان ، فالأئمة موجودون منذ بدء الخليقة ، وعددهم غير محدود ، وهم يظهرون فى أدوار لا متناهية وفى تنظيمات سبعية (عند الإسماعيلية). ويسلك القرامطة فى عداد الأئمة هرمس وأجاثاذيمون وأنبادقل وفيثاغورس وزرادشت وأفلاطون ؛ وواضح من هذا أن الإمامة لا تقوم على أساس التسلسل التاريخى فى النسب ، بل على أساس قدرة الإمام العقلية واستعداده الروحى لتلقى الإشراق من (النور العلوى) فيمنح التفويض من العقول العليا المشرقة ، ويُعد الأئمة السابقون عليه فى عداد هذه العقول المشرقة .

فالإمام إذاً فى أرقى درجات الواصلين الذين يتلقون الإشراقات الدائمة ويكونون هم بدورهم مصادر إشراقات وفيوضات روحية .

والعالم مجموعة من الظواهر المتعاقبة ينحسر عنها الحجاب المادى بالتدريج تبعاً لإشراق العقول عليها ، والواحد (نقطة رياضية مجردة كما قال أفلوطين) هو المصدر الأول لهذه الإشعاعات الروحية التى يسميها القرامطة بالنور الشعشعانى القاهر ، وعن الواحد يصدر العقل الكلى والنفس الكلية ، ثم تصدر العقول الأخرى بالتدريج ومنها عقول الأنبياء والأئمة والأولياء . والعقول والنفوس الجزئية الأخرى وهم زائل ويصدر النور الظلامى عن النور الشعشعانى فى نهاية المكان

وإذاً فعقول الأنبياء والأئمة قبسات نورية أصبحت شاعرة بذواتها الإلهية بعد أن منحتها العقول المشرقة الفيض النورانى ، وهذا الشعور بالذات هو الحدس أو الإدراك الذوقى الذى يخلصها من الطاقة الحسية وهم الأسماء والطبيعة والقانون والدولة والضرورة .

وإذا جاز لنا أن نتكلم عن قبل وبعد فى مذهب يسبغ الأزلية على وحداته الوجودية ، فإننا نفسر عبارتنا السابقة بقولنا إن الأنبياء والأئمة وهم قبسات نورية يكونون قبل شعورهم بذواتهم (أى قبل تلقى الوصية الروحية) متصلين بالعوائق المادية والزمنية التى تؤخر انطلاقهم الروحى ، وفى هذه الحالة المؤقتة لهم عما رسم لهم من مراتب إلهية شريفة يوسمون بطابع الفردية المميزة لأفراد البشر العاديين — وذلك بصفة مؤقتة — فيكونون منهم سلسلة يندرج تحتها (الناطق والصامت والباب) وهذه مراتب روحية لها طابع فردى محدود ، ولكن هذه الطبيعة الفردية تأخذ فى التناقص تدريجياً كنتيجة لتوالى الإشراقات النورانية عليها ، إلى أن تصبح هذه القبسات شاعرة بذواتها ، وتنتقل إلى سلسلة أخرى بها مراتب (الداعى والحجة والإمام) وتزداد السلسلة الأخيرة أعداداً بما يصل إليها من السلسلة الأولى .

وقد يقتضى أن تنتقل بعض العقول الفردية من دور إلى دور إلى ما لانهاية ، ما دامت متعلقة بطبيعتها الفردية ، إلى أن تتلاشى هذه الطبيعة ، حينئذ تندرج فى عداد الذوات النورية الإلهية الشاعرة بذواتها ، وتستمر هذه الحركات حتى يحصل ما يسمى بالديجور أو الصيجور أو البكار وعندها تقف الأدوار التى تمر بها العقول ، وهذا التوقف يختلف كثيراً عن الاتجاه الدينى التقليدى بصدد التمسك بفكرة اليوم الآخر .

محمد على أبو ريان

صيحة مخلصة فاسمعوا :

فى الامتحانات

للآنسة منيرة حلمى

[هذه كلمة صريحة يبدو صدقها من ثنايا نبراتها المخلصة . هذه إحدى زهراتنا الجامعيات تلقى الضوء على مأساة جيل كامل ، فلنقرأ ولنسأل أنفسنا ، أسئلة شتى ولنصرخ كما تصرخ هذه الزهرة الجامعية . لعل الآذان تتفتح الى الحق]

أفكر فى الامتحانات فأول ما ينبعث فى ذهنى هو هذه الصورة : مقعدى وقد غرس وسط الأعشاب فى أرض خربة اتخذتها الجامعة مكاناً لإجراء الامتحان . وراحت أطراف الأعشاب المدببة تخز قدمى وخزا أليما ، فما أزال بها أنقلها من جانب إلى آخر عسى أن أجد متسعاً لها فى منطقة جرداء ، لكن هيهات وقد ثبت المقعد فى مكان ليس من حق أن أقدمه إصبعاً واحدة أو أؤخره أخرى . ثم مجموعة كبيرة من الحشرات تزحف على من كل صوب فتصل إلى أصابعى الممسكة بالقلم قبل أن تصل إليها أفكارى ، وتحتل ورقة الإجابة قبل أن تحتلها ألفاظى ، فإذا بخطة الإجابة فى ذهنى قد استحالت إلى خطة للقضاء على هذه الحشرات . وقد يتم تنفيذ هذه الخطة سريعاً ، وقد يستغرق وقتاً طويلا ينال من صبرى ومجهودى واتجاه ذهنى نصيباً كبيراً كان من شأن الإجابة وحدها . فإذا تم لى النصر أخيراً ، وأخذ القلم يشق طريقه على الورق ، لم يلبث أن يرتجف فجأة ويتداعى بين أصابعى فى اضطراب شديد إثر دوى صوت ينهر طالباً فى أول اللجنة أو آخرها . وما إن يشتد النقاش ويستحيل إلى معركة كلامية عنيفة حتى يستولى على كل حواسى وتفكيرى ويعود الذهن صفحة بيضاء ، ويظل كذلك إلى ما بعد فض رئيس اللجنة لهذه المعركة .

وكنت ما أزال طالبة ساذجة ترضى عن كل شىء ، أو تعلله تعليلا يرضيها . فما كان هذا الوضع فى نظرها إلا اختباراً للصبر ، يعلمها كما علمها معلموها أن المجد محفوف بالشوك ، وأن لابد للشهد من إبر النحل . فكانت تلك الأعشاب وهذه الحشرات لديها بمثابة أشواك المجد وإبر النحل ، لا يعكران لها صفواً ما دامت ستنال المجد وتذوق الشهد . وكانت إذ ذاك بى نزعة روحية تدعونى إلى إهمال كل شىء مادى . فكنت أحتقر تلك الحساسية التى تجعل للآلام الجسمية موضعاً فى مجرى شعورى . وصرت أربأ بنفسى عن الإسرار لغيرى بما أقاسى ، بل كنت أمسك عن التصريح لهذه النفس فيما بينى وبينها ، بأن الآلام التى أعانيها أثناء الامتحان تستولى على بعض من انتباهى . وكل ما كنت أفعله إذا اشتد بى الألم هو أن أتذكر ذلك الصوفى الذى بترت ساقه وهو يصلى فلم يستشعر لها ألما ، ثم أنهر النفس قائلة : إنما يجب عليك أن تكونى أنت الأخرى فى سكرة علمية أثناء الامتحان ، فلا تعيرى هذه الآلام انتباها ولا تستشعرى لجسمك كياناً .

لكن العلم والتجارب أقنعانى بأن الإنسان وحدة يتأثر جانباها كل منهما بالآخر ، وأن الجسم وحالاته لابد مؤثر على العقل وتفكيره . وابتدأت هذه الصورة تنبعث فى ذهنى فتضيف حيرة إلى حيرتى ويأساً إلى يأسى كلما ألح على هذا السؤال : إلى أى حد تقيس هذه الساعات الثلاث المخصصة للامتحان فى كل علم مدى ما حصله الطالب طول عامه قياساً صحيحاً ؟ فلطالما حاولت أن أقنع نفسى بأن هذه الساعات الثلاث تستطيع أن تقيس حقاً مقدار تحصيل الطالب وتحكم على صلاحيته لاستقبال مرحلة جديدة من التعليم ، لكننى لم أفلح ، فما بالك لو أضيف إلى هذه الساعات الثلاث تلك الملابسات التى وصفتها ؟

أما أن هذه الساعات الثلاث فى حد ذاتها لا يمكن أن يعتمد عليها فى تحديد مدى تحصيل الطالب ، فهذا ما يستند إلى أسباب عدة أولها :ـــ

أن هذه المدة الوجيزة لا تقيس مدى الاطلاع الخارجى الذى يجب أن يؤديه الطالب الجامعى ، اللهم إلا إذا اقتصرنا

للاستدلال على اطلاعه بذكره لأسماء المؤلفات التي قرأها ، وكم يحفظ الطلبة من أسماء كتب لم يقرأوا منها سطراً واحداً . وإنما هي تضطر الطالب للإيجاز حتى لا يكاد يتجاوز ما سمع في المحاضرات ، كما تضطر الأستاذ للاكتفاء بهذا الموجز في ورقة الإجابة . ومن شأن هذا أن يحد من أفق الطلاب الجامعيين ويجعل تحصيل أكثرهم لا يتجاوز تحصيل تلميذ المدرسة الثانوية إن لم يقل عنه ، لأن التلميذ في المدرسة الثانوية يقرأ الكتب المقررة عليه ، بينما لا تقرأ الطالب الجامعي سوى مذكرات عن المحاضرات لا يعلم إلا الله كيف كتبها وإلى أي حد نسقها .

وعلى الرغم من ذلك ، وبينما نجد وزارة المعارف تجد في تطبيق نظم جديدة تكفل الحكم الصائب على مدى استحقاق التلميذ لاستقبال مرحلة جديدة من التعليم ، نجد الجامعة لم تفكر يوما في تغيير نظمها العتيقة ، ولا تجربة نظام المدد الدراسية (Terms) المتبع في أكثر جامعات أوربا وأمريكا ، مع مضاعفة الاهتمام بأبحاث الطلبة طول العام ، وإعطائها من حق الحكم على الطالب ما يساوي نصيب الامتحان . ثم تكليف الطلبة بالقيام ببعض الأعمال في العطلة الصيفية حتى تستوثق من مقدرتهم على تطبيق ما درسوا وتضمن اكتسابهم للخبرة العملية . لم تفكر جامعاتنا في شيء من هذا مع العلم بأن لمثل هذه النظم من النتائج ما يتعدى صواب الحكم على مدى اطلاع الطالب إلى رفع مستوى الطلبة جميعاً والتخفيف من وطأة الاعتماد على الدور الثاني . وذلك لأن الطالب سيجدّ في أعمال السنة والاطلاع الخارجي ما دامت لها نصف الحق في تقرير مصيره ؛ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لأنه سيعلم أن عليه عملا يجب أن يؤديه أثناء العطلة فلا يتعمد ترك بعض العلوم للدور الثاني حتى يتسلى بقراءتها في الصيف كما يزعم أكثرهم .

أما السبب الثاني الذي يقضي على قيمة هذه الساعات الثلاث كمقياس صحيح لمقدرة الطالب العلمية ، فهو أن أسئلة الامتحانات تصل إلى أيدي كثير من الطلبة قبل الامتحان . وعندي كثير من الأدلة على ذلك منذ كنت طالبة ساذجة لا تصدق شيئاً ينال من سرية الامتحان وهيبته حتى صرت الآن أشهد هذه الفضيحة الكبرى وتتوالى عليّ أنباؤها من كل صوب فأتحقق وكلي أسف من صدق ما كان يروى وأنا طالبة . أما كيف يتم ذلك فهذا ما زلت في حيرة من أمره ، بل وأدعو الله ألا يثبت لي يوماً صدق ما يتكهن به البعض حتى أحتفظ بالبقية الباقية من احترامي للتعليم الجامعي في مصر .

لكن لدى مجموعة كبيرة من آراء الطالبات والزميلات المتذمرات من هذه المأساة الخلقية ، أحب أن أعرض بعضها لعل أولى الأمر يتدبرونها ويسعون إلى تلمس أسبابها والقضاء عليها . أسوق هذه الآراء وأنا في حيرة أخرى : فلماذا لا يتكاتف الطلبة ويعلنون الثورة على هذا الوضع ؟ أهم جميعاً يشتركون في الجريمة ؟ أم هم أبرياء وتنقصهم الشجاعة لمصارعة أولى الأمر ؟ أم هم أبرياء وشجعان لكنهم يرون أن هذا الأمر جانب من جوانب الانحراف الخلقي العام الذي أصاب الناس جميعاً هذه الأيام ولا سبيل لتقويمه مهما بحت الأصوات :

فهذه فتاة ذكية طموح جاءتني شاحبة الوجه مضطربة الحركات ، فما كدت أفتتح الحديث معها متمنية لها التفوق في الامتحان حتى صاحت بي في يأس : « لقد ضاع التفوق من يدي » قلت : « وكيف ؟ » فأجابت ثائرة : « لقد كانت أسئلة الامتحانات مع كثير من الطلبة قبل الامتحان ، وحين فطنت الكلية إلى ذلك في الأيام الأخيرة كان كل ما واجهت به الأمر هو إبدالها بأسئلة الدور الثاني أو ارتجال أسئلة جديدة لست أدري . فإذا بالامتحان وقد تأجل ميعاد انعقاده نصف ساعة ، وإذا بالأسئلة رديئة الطبع غير محكمة التدبير ، وإذا من كانوا قد أعدوا عدتهم للأسئلة المعلومة وحدها يصرخون ويولولون ، وإذا اللجنة في هرج ومرج يحطم الأعصاب ويشل التفكير . وأي يد بعد ذلك تستطيع أن تقبض على قلم ، وأي ذهن يستطيع أن يتسلسل له تفكير؟» وغاب صوتها لحظات وإن كان حديثها الثائر لم ينقطع له تيار ، وإنما عكسته حنجرة أصابها الإعياء فارتد إلى قلبها الثائر يؤجج ضرباته حتى يهز كيانها هزاً . فلما استعادت حنجرتها شيئاً من قوتها وجدتها تصيح في حنق شديد : « كلا تصورت أن هذا المجهود المضني الذي نال من جسمي ومن ذهني ما نال لا يؤهلني لمثل ما يؤهله اطمئنان يطرق باب غيري في صورة أسئلة يعدونها ، وهم أهدأ ما يكونون بالا ،

وأكثر ما يكونون ارتياحا ، أكاد أجن من وضع كهذا يجعل ثمار الغش أحلى من ثمار الكد والكفاح . صديقى . لقد صرت أحتقر كل شىء ، حتى التفوق الذى قد يؤهلنى لأن أصل إلى مركز يجعلنى إحدى المشتركات فى هذه الجريمة الشنعاء » .

ورثيت لحال الفتاة ، ونحيت جانبا ذلك الهذيان الذى صدر منها عن حمى الغيرة على التفوق ، وأملته الرغبة فى تبرير القصور . نحيته جانبا إذ وجدته أبعد تصوير لحقيقة أعرفها جيداً عن سرية الامتحانات . لكن تصادف لفرط تعجبى أنى أردت الاتصال تلفونياً بإحدى الصديقات وتعذر علىّ هذا لمدة ساعتين لانشغال الخط انشغالا متواصلا . فلما لمتها على ذلك فيما بعد أجابت ضاحكة : « ألا تعلمين أن أخى يمتحن هذه الأيام وأن الأسئلة تتوارد عليه من كل صوب ويوزعها بدوره على من شاء كرمه أن يشملهم برعايته ؟ » وعندئذ تمثلت أمامى صورة الطالبة البائسة ، ورنت فى أذنى عباراتها الثائرة وأمضيت ليلتى أرقة أفكر وأتأمل فى كل ما رأت حتى أسفر الصبح ، ووجدتنى أمضى إلى زميلة معيدة بإحدى كليات الجامعة لأشركها معى فى التفكير . لكننى وجدتها تضحك منى ساخرة وهى تقول : « كنت أشد حيرة منك فى العام الماضى . لكن الظاهر أنى قد تأقلمت لهذه البيئة . لا تراعى يا صديقتى فسوف ترين المثل العليا تنهار أمامك الواحد بعد الآخر . فتجلدى مثلى وتأقلمى . . . » وراحت تقص على مسمع يكاد يصم ذهولا كل ما لمست من فضائح الامتحانات هذه الأيام .

لقد كان آخر ما أود أن يصيب بى وطنى هو هذا الوباء الأخلاقى الفتاك ، وكان آخر من أود أن يتفشى بينهم هو هذه الطبقة المستنيرة من الأمة . ولقد كنت أفضل أن أرى التعليم الجامعى مقصوراً على أقلية ضئيلة ، فلن يضيرنا هذا شيئاً ، إذ أنه الوضع السليم فى معظم بلدان العالم . أما أن نزج إلى الجامعة بكل من هب ودب وبكل العقليات على اختلاف مستوياتها ، ثم نتركهم يغتصبون الشهادات اغتصاباً ، ويحتالون عليها احتيالا ، فهذا هو الضر الذى يأباه كل وطنى مخلص ذو عقل سليم . فلا شك أن السبب الرئيسى لهذه الظاهرة البغيضة هو فتح أبواب الجامعات لغير أهلها . فلا هم جنوا من ذلك غير فساد الخلق وتعلم الاحتيال ، ولا جنى غيرهم سوى الانهيار الخلقى والعلمى لتفشى العدوى ، أو الانهيار النفسى والانصراف عن التطلع إلى التفوق لليأس من حكم الامتحانات .

هذه بعض مساوئ الامتحانات فى بلادنا بالإضافة إلى مساوئ الامتحانات التى نعرفها كلنا وراحت معظم دول العالم تفكر فى التخفيف من حدتها بشتى الطرق . وهذا هو ما جعلنى أشك كثيراً فى قيمة مثل هذه الامتحانات لمجرد ما ذكرت من أسباب ، فما بالك لو أضيف إلى هذه الأسباب تلك الملابسات التى وصفتها فى ابتداء الحديث ؟ فلو كنا لا نستطيع أن نعدل من هذا النظام العتيق للامتحانات ، ولا نقلل من أهمية هذه الساعات الثلاث ، فلا أقل من أن نهيئ لها المكان اللائق بحيث يخص الطالب من راحة الجسم مرة كل عام ما يخص طالب اللهو كل يوم إذا أراد أن يمضى ساعات ثلاثاً من فراغه فى إحدى دور اللهو العديدة .

منيرة حلمى

صفحة من حياة «جيمس بوزويل»

للأستاذ مبارك إبراهيم

[نشرنا فى العدد السابق مقالا لنفس الكاتب الأديب من حياة جونسون الأديب الإنجليزى الكبير . ونحن هنا نقدم لحضرته مقالا آخر عن الأديب الإنجليزى بوزويل الذى لا يكاد اسمه يفارق اسم جونسون] . (الثقافة)

لقد ذاع صيت هذا الكاتب . وكتب اسمه فى سجل الخالدين بتأليفه لكتاب « حياة جونسون » الذى نشر لأول مرة عام ١٧٩١ .

والذى ضمّنه ما كتبه « جونسون » عن رحلته إلى جزائر « هبريده » فى غربى اسكتلندة .

وكتاب « حياة جونسون » وليد المزاوجة بين أدب « بوزويل » وهو الذى خُلق قصاصاً ، وبين أدب الدكتور « جونسون » ، وهو عظيم من عظماء القرن الثامن عشر ، وحكيم من أقدر حكمائه ، وعالم من أبرع علمائه .

وهو كتاب لا يفوقه فى موضوعه كتاب آخر . وقد تناولته الأيدى بالتنقيح والمراجعة حتى أصبح تحفة من أغلى تحف الأدب .

والسر فى عظمة ذلك الكتاب أن « بوزويل » قد تقمص فيه روح « جونسون » ودخل فى إهابه ، حتى لقد يبدو الدكتور واضح الملامح فى كل جملة وردت فى هذا الكتاب الفريد ، الذى كتبه كاتبه وهو مأخوذ بسحر الإعجاب بصاحبه .

ويبدأ «بوزويل» كتابه بأول نفس تنفسه «جونسون» ثم لا يتركه يتنفس بعد ذلك إلا وهو شارح لحكمة كل نفس من تلك الأنفاس .

وهو لا يغادر صغيرة ولا كبيرة فى حياة « جونسون » إلا أحصاها . فهو يقول مثلا : « تغدّينا فى مكان كذا . وشاهدنا الأطلال الرائعة للكنيسة الكبرى . وعلى الرغم من تهطال المطر فقد عُنى الدكتور بفحص أحجار تلك الخرائب فى صبر بالغ ، وعناية قد أربت على الغاية .

ثم قام « مستر جرانت » فصلى بنا . وقال الدكتور : إن صلاته كانت صلاة حسنة جداً . وفى يوم الأحد التالى ، وهو اليوم الواحد والثلاثون من شهر يوليو قلت للدكتور : إنى حضرت اجتماعاً لقوم يسمون أنفسهم « طائفة الأصحاب » . ورأيت امرأة تصلى بهم . فقال «جونسون» : إنى أشبه المرأة التى تؤم الناس للصلاة بالكلب الذى يمشى على عقبيه ...

وهو يقص أول لقاء لهما فى بيت واحد من أصحابه . فيقول : « كان الدكتور يبغض الاسكتلنديين . فقلت لمضيفى : بربك لا تذكر له من أى البلاد جئت أنا . قال : بل إنى لقائل له إنك اسكتلندى لحماً ودماً ومولداً وموطناً .. فلم أر بداً من أن أقول للدكتور : أرى لزاماً علىّ ياسيدى أن أصارحك بأنى جئت من أسكتلندة . ولكن لا حيلة لى فيما جرت به المقادير ...

وهو يمضى فيقول : ولم أرم بهذا القول إلى الحط من شأن بلدى ، وإنما قصدت إلى الترفيه عن الدكتور وإلى ممازحته .

وكتب « بوزويل » لصديقه « تمبل » Temple يشكو من أن « جونسون » — وكان قد نشر كتاباً عن جزائر « هبريده » يأبى عليه أن ينشر كتاباً آخر فى هذا الموضوع .

ومضى « بوزويل » يقول لصاحبه : « وإنى لأسر إليك القول أن « جونسون » ليس من شيمته أن يشجع أحداً على أن يشاركه ذيوع الصيت .

ولو كان هذا القول صحيحاً لشقيت روح « جونسون » الشقاء كله لو قدر لها أن تعود إلى الأرض . ذلك لأن أحداً من الأدباء لم يظفر بمقاسمة واحد من أنداده ذيوع الشهرة وبعد الصيت مثل ماقاسم «بوزويل» صديقه «جونسون» . فكان كلاهما مكملاً للآخر . وكان إذا غاب أحدهما عن قرينه بات هذا كمن فقد نصف نفسه .

ولا نكران فى أن كليهما كان نابغة من النوابغ . وقد اعتاد الناس أن يتخيلوا أن « بوزويل » لم يكن إلا غبياً محظوظاً يدين بكل ما ناله من مجد وشهرة إلى أنه قد علق بحبال « جونسون » ومشى فى ركابه .

والحق أن « بوزويل » كان رجلا آية فى الذكاء . ولو لم يقدر له أن يكتب ذلك الكتاب القيم عن « جونسون » لكان قد كتبه عن رجل آخر . وقد يكون هذا الرجل الآخر هو « بوزويل » .

وقد يمكن أن يقال إن « بوزويل » كان كأنه شخصان ركبا فى جسد واحد . وكان أحدهما لا ينفك يحدق فى الآخر ويقوم بتسجيل أعماله وتدوين تجاربه . وآية ذلك أن « بوزويل » يوم كان فى الواحدة والعشرين من عمره صنع قصيدة ونشرها غفلا من الإمضاء ، وأهداها إلى الفتى الماجد جيمس بوزويل .

وآية ذلك أيضاً أنه فى جميع رسائله التى بعث بها إلى صديقه ورفيقه فى الجامعة « وليم تمبل » — وهى رسائل تفوق من حيث رفع الكلفة جميع الرسائل التى بعث بها إلى جونسون — تراه ينظر إلى نفسه كما ينظر أحد المتفرجين إلى ممثل على المسرح ، وكان يدعو صديقه « تمبل » أن يكون زميلا له فى التفرج .

وكان « بوزويل » إذا تحدث عن نفسه يصطنع طريقة صاحب « صندوق الدنيا » عند عرض صوره وشخوصه فيقول : « أنظر إلى « بوزويل » فهو الآن سكران . . . وأنظر إليه فهو الآن نادم . . . والآن فانظر إليه وهو المتيم الولهان . . . وها هو ذا فى موقف مريب . . . ثم انظر إليه وهو فى صحبة الصفوة المختارة من القوم . . .

وكان « بوزويل » أشبه الناس برجل تزوج بامرأتين هما : « الرذيلة » و« الفضيلة » . وهو يرى اللذة كل اللذة فى السعى بينهما بالوقيعة .

ومما يروى عنه أنه لما أشرب قلبه حب الآنسة « بلير » وأغرم بها بعث بصديقه « تمبل » سفيراً له عندها . وكتب له قائمة بالأوامر الواجبة الاتباع أثناء السفارة . وأشار على صاحبه أوسفيره بأن يذكرلها تلميحاً أحسن محامده وأسوأ مساوئه ؛ فهو يقول له : يجب عليك أن تثنى على بما تحليت به من شيم كريمة ، وصفات طيبة . وأنت لا شك تعرف تلك الصفات وهاتيك الشيم . ثم اذكر ما تعرفه من نقائصى ومعايبى . فقل لها عن شذوذى : وقل لها إنى لا أستقر على حال من القلق ، وأنى قليل المبالاة . وأنى تعودت مصاحبة النساء اللائى غرقن فى الدسائس إلى آذانهن . . .

و « بوزويل » لم يكن واحداً من عبدة الأبطال الذين يمحون ذواتهم محوا ويخرون أمام العظمة ساجدين . بل كان رجلا يتذوق النبوغ ، كما يتذوق ملاحة الوجه المليح . وهو فى حضرة نابغة من النابغين كان يجمع بين الإعجاب بذلك النابغة وبين الإعجاب بنفسه . وكان يرى أن « جيمس بوزويل » إن لم يكن المثل الأول فهو على الأقل ممثل يستحق بعض التكريم .

ومن نوادره أنه لما كان شابا فى الرابعة والعشرين من عمره كتب إلى « جان جاك روسو » كتابا يطلب إليه فيه أن يستزيره . وقال يصف نفسه : إنه رجل نسيج وحده فى الأهلية والجدارة . وهو إن كان لا يزال فتى السن فإنه قد حلب الدهر أشطره . ثم مضى يقول : « وأرجو أن تولى ذلك الغريب النازح ، الفريد فى صفاته ، ثقتك وإنك إن فعلت فلن تكون يوما نادما . . . »

وإذا أراد باحث أن يحكم على « بوزويل » مستدلا بما خطه قلمه فإنه واجد أن أمتع اللذات عند ذلك الرجل هى صحبة الأذكياء من رجال العلم والأدب . وقد كان هو يوم لقى « جونسون » أول مرة فتى فى الثانية والعشرين من عمره ، وكان « جونسون » فى الثالثة والخمسين .

وقد ظن الناس أن هذا اللقاء إنما كان لقاء بين رجلين يختلفان فى السن ويتباينان فى المزاج وفى الأصل والنشأة . ويكادان يختلفان فى كل شىء آخر .

وكان « جونسون » مولعاً أشد الولع بعقد أواصر الصحبة مع الناس . وقد أسر إلى « بوزويل » فى أول عهدهما باللقاء قوله : إنى يا بنى أحب صحبة الشباب . وذلك لأنى لا أود أن يخطر ببالى أنى أهدف إلى الشيخوخة . وذلك لأن صحبة الشباب هى أطول عهداً إن قدر لها البقاء ، وذلك أيضاً لأن قلوب الشباب أكثر امتلاء بالفضيلة من

قلوب أولئك الذين تقدمت بهم السن . فهم جدّ أسخياء فى كل ناحية من نواحى العاطفة .

ولـكن « بوزويل » لم يذكر لنا رده على هذه التحية التى تشيد بذكر فضائل الشباب . وكل ما عرف فى هذا الصدد أنه كتب لواحد من أصحابه يقول فى جذل واغتباط : « سوف تبتسم إذا فـكرت فى الصحبة التى جمعت بين نابغة عظيم القـدر ، عالى المقام ، وبين فتى يكاد يكون فى العلم والأدب قزماً من الأقزام » .

وكذلك عُرف أنه كتب بعد ذلك إلى صديقه « تمبل » ينبئه أنه تعشى وحده مع « جونسون » وأنهما بقيا يتسامران حتى جاوز الليل ثلثيه ، وأنه قد أمسك بيده فى احترام وتوقير ، وقال له : إنى أحبك الحب كله أيها العزيز « بوزويل » .

وظل الرجلان بعد ذلك متلازمين لا يكادان يفترقان إلا لحظات قصارا . وقد دامت صحبتهما أكثر من واحد وعشرين عاما .

وعلى الرغم مما اتصف به « بوزويل » من صراحة فى القول فإنه كان يبدى من ذات نفسه فى حضرة «جونسون» بمقدار ما يبدو الهلال فى أولى لياليه ، على أنه كان يبدى من ذات نفسه فى حضرة صديقه « تمبل » بمقدار ما يبدو القمر ليلة تمامه ، وهو فى ذلك لم ينس أبداً أن «جونسون» كان حكيماً من الحـكماء ، وكان رجلاً من رجال المثل الخلقية العليا . ولـكن « تمبل » كان صديق شبابه ، وهو الصديق الذى يستطيع أن يفاخر فى حضرته بما ارتكب من خطيئات ، وبما أعقب ذلك من ندم واستغفار .

و « بوزويل » يحدثنا فيقول إنه فى الأيام الأولى من أيام صحبته لجونسون كان يظل الليل قائماً يدون فى دفتر يومياته كل ما يستحق التدوين والتسجيل من أحاديث «جونسون» وحكاياته ، وهو يقول : إنى لأذكر أنى ظللت ساهراً ذات مرة أربع ليال سوياً ، أدون ما أدون ، وأنا لا أحس تعباً ولا نصباً .

وتدوين المذكرات كان عند « بوزويل » أشهى من الغذاء الدسم . وأروى من أشهى الأشربة . وقد حدث عنه واحد من أصحابه قال : رأيت « بوزويل » يضع الشوكة والسكين جانباً . ويمسك بأوراقه ليدون — وهو على المائدة — حكاية لطيفة . وحدثت إحدى صاحباته قالت : « إن من بعض حيله أن يجلس مستقراً هادئاً فى الركن البعيد من الغرفة . ويدون كل ما قاله « جونسون » ، وكل ما قيل له » .

وكثير من المحاورات التى دارت بين « بوزويل » و « جونسون » إنما كان يقصد بها فى الأغلب الأعم أن تنسق وتبوب ، بحيث تصبح صورة كاملة من الأبحاث التى يراد تركها ميراثاً للسلالات المقبلة .

وكان من عادة « بوزويل » أن يسأل أسئلة تصوره فى صـورة الجاهل وذلك لـكى يستحث « جونسون » على الإفاضة فى الحديث .

و« بوزويل » هو القائل : إنى أضع سؤالاً من الأسئلة المعقدة التى تستعصى على الجواب ، وهو يدور حول حقيقة من حقائق الحياة العادية . كأن أقول مثلاً : ما السبب فى أن الخدم من النساء — اللائى يكلفن فى العادة بأن يشترين على حسابهن الخاص — هن أقل أجوراً من الخدم الذكور . أولئك الذين يغمرون بالملابس فى كل حين ؛ وذلك على الرغم من أن الخدم من النساء هن مثقلات بأعباء الخدمة أكثر من الخدم الذكور ؟

ومثل هذا السؤال يضيق به « جونسون » ويجعله كواحد من الشهود فى ساحة القضاء قد ضيق عليه القاضى الخناق وهو يؤدى شهادته .

ولما كثرت هـذه الأسئلة على « جونسون » ضاق بها ذرعا . وقال لصاحبه فى لهجة التعنيف واللوم : ولقد عييت بأسئلتك . فأنت تسألنى لماذا طال ذيل البقرة ؟ ولماذا كان ذيل الثعلب كث الشعر ؟ وما أنا وهذه الأسئلة ؟ وما غناؤها عندى ؟ وما شأنى بها ؟ »

و« بوزويل » يوم كتب كتابه « حياة جونسون » خانته صراحته . فلم يذكر أنه كان السائل لهذه الأسـئلة المحرجة ، بل نسبها إلى فتى ماجد لا يسميه . . .

ومهما يكن من أمر فإن الباحث ليطمئن إلى أن

« جونسون » كان يلتذ بأن توجه إليه الأسئلة . كما كان « بوزويل » يلتذ بتوجيه تلك الأسئلة . ولولا « جونسون » كان برما بهذه الأسئلة لما وصف صاحبه بأنه خير رفيق فى السفر .

ولقد حقر الناس « بوزويل » بعد مماته ، ونالوه بالذم . ولكنه فى حياته كان حبيباً إلى كل قلب . إذا استثنينا قلب « جولد سمث » وقلب بعض الناس . وقدم كتب إليه « جونسون » مرة يقول : لقد سمعت بأذنى أنك رجل يحبك الناس كلهم . وهذا الحب هو خير زاد المرء فى هذه الدنيا .

ولم يكن حب « جونسون » لبوزويل حب رفيق مؤنس فحسب . بل كان حبه له أعمق من هذا وأشد تأصلا . وقد قال له مرة : إنى أحبك كرجل رضى الأخلاق ، رقيق الحاشية ، نبيل الفطرة . وإنى لأرجو وآمل أن يجىء يوم أحبك فيه كرجل تضرب الأمثال بصلاحه وتقواه .

ولقد حقق « بوزويل » رجاء « جونسون » فأصبح من غلاة الصالحين حتى لقد جاء صاحبه يوما يقول : إنى لألوم الناس وأشتد فى لومهم على أنهم لايذرون البيع فى يوم « جمعة الآلام » . وكان يرى أن لا بد للناس من أن يجعلوا يوم الأحد يوما خالصاً للعبادة . وهو يقول فى ذلك : يجب أن ينفرد يوم الأحد عن سائر الأيام بالتوقير والإكبار . فللناس أن يسيروا فى الطرقات فى ذلك اليوم . ولكن ليس لهم أن يرموا العصافير بالحصى . وللناس أن يتخففوا من القيود ولكن ليس لهم أن ينحدروا إلى درك التخنث والاسترخاء . . .

و« بوزويل » قد حير عقول الباحثين عن الحافز الذى حفزه إلى تأليف ذلك الكتاب الضخم الذى ضمنه سيرة صاحبه . وكاد الناس يجمعون على أن « بوزويل » كان كسقراط يعمل بوحى شيطان من الشياطين ، وأن حماقاته وجهالاته إنما كانت مما وسوس به شيطانه .

ولكن شيطانه لم يكن يلهمه أن يكتب عن « جونسون » فحسب ، بل كان يلهمه أن يجعل « جونسون » يسير بين الناس ، وأن يتحدث إليهم حديثاً يهىء لبوزويل مادة صالحة للكتابة . فهو لم يكن راوية أحاديثه وحسب . بل كان المبدع لتلك الأحاديث . وكان مثله فى ذلك مثل المشرف على حلبة مصارعة الثيران ، كل همه ووكده أن يحمس الثور للعراك . ولو كان ذلك على حساب المخاطرة بحياته وسلامته .

ولقد لامته مرة إحدى الكاتبات وتقدمت إليه بالرجاء أن لا يبالغ فى وصف غلظة جونسون وفظاظته فى بعض حالاته . فكان جوابه : لن أقلم مخالب صاحبى . ولن أجعل من النمر قطا . وذلك ابتغاء مرضاة الناس . . .

ولقد عقد « بوزويل » العزم على أن يكون صريح القول صراحة لا حد لها إذا تحدث عن « جونسون » أو عن نفسه . وكان يقول : من الناس من يرى إخفاء خطيئات رجل عظيم كان ذلك العظيم يرى سترها وإخفاءها .

ولكن خطيئات « جونسون » كانت تستعصى على الإخفاء ؛ ذلك لأنها كانت تسير بين الناس فى طبل وبوق .

مبارك إبراهيم

نقد

تقييد العلم

ألفه الخطيب البغدادى

حققه الدكتور يوسف العش

للسيدة الأديبة وداد سكاكينى

للمعهد الفرنسى بدمشق عناية ملحوظة ودأب متواصل فى تعهد الدراسات العربية ونشر المخطوطات التى حققها أصدقاؤه من المدرسين والباحثين ، وقد ظهرت هذه المخطوطات بورق فاخر وعرض جميل على الرغم من غلاء التكاليف ، أما موضوعاتها فمتعددة مختلفة ، ولقد تفاوتت قيمة التحقيق فيما نشر منها بتفاوت المتمرسين بهذا العبء الجسيم الذى لا ينهض به ولا يوفى عليه إلا من أوتى المعرفة الراسخة والجلادة على الضبط والربط والوعى فى التتبع والمقارنة ، وتفهم المعانى والألفاظ تفهماً حاذقاً دقيقاً .

وكان كتاب « تقييد العلم » للخطيب البغدادى من أحسن الكتب التى أتحف بها المعهد الفرنسى المكتبة العربية ، أستغفر الله — هذه بضاعتنا ردت إلينا مشكوراً ناقلها مقدوراً فضله حق قدره ؛ فالمعهد الفرنسى على عنايته الكريمة ودأبه المرموق يشحذ فينا الهمة التى قعدت عن مثل صنعه .

أما محقق الكتاب الدكتور يوسف العش فباحث أديب ، عاش مدة بين المخطوطات والكتب دارساً محصاً ، بعد أن اختص من الغرب بتنظيم المكتبات وأصول التحقيق ، كما كان حيناً من الزمن القريب ناهضاً ومسترشداً بتوجيه الدكتور أحمد أمين بك ، رئيس اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، فى بعث التراث العربى القديم ، وتصوير ذخائره من المخطوطات النفيسة ، وإعدادها للنشر العلمى القويم ، وهو إلى هذا كله ليس غريباً عن مصنف « تقييد العلم » فهو من عارفيه ومقدريه ، أولع بدراسته والكشف عن آثاره وعصره ، فألف فيه كتاباً قيماً سماه « مؤرخ بغداد ومحدثها » وله مؤلف آخر فى الخطيب البغدادى لا يزال مخطوطا ، فلا عجب إذا رأيناه متتبعاً لتصانيف هذا العالم الفذ الذى قال عنه ابن عساكر مؤرخ دمشق « إنه أحد الأئمة المشهورين والمصنفين المكثرين » . على أن الذى رجح قيمة هذا الكتاب لدى المحقق الفاضل هو أنه مقصور على موضوع واحد محدد ، وقد آن للمحققين فى الكتب العامة أن يهتدوا إلى نشر المخطوطات التى تشتمل على موضوعات واحدة تنتظمها طريقة علمية فى البحث والتأليف .

نشأ مؤلف « تقييد العلم » فى القرن الخامس للهجرة والحادى عشر للميلاد ، وهو عصر تناهت إليه المواريث العلمية العربية والاقتباسات الفارسية والرومية ، ومن أهم هذه المواريث العلوم الإسلامية ، فتفقه الخطيب البغدادى فى الدين ووعى أخبار الأولين ، وطوف فى البلاد للأخذ عن علماء الحديث ، وقد لقى من جراء حرية الرأى والتثبت والبعد عن تقليد الناقلين صنوف العنت والاضطهاد ، حتى عد بعد حين حجة فى هذا العلم الذى كان على مصطلح أهله وحافظيه هو مفهوم كلمة « الحديث » .

وقد استطاع المؤلف أن يضم فى سفره أثراً يعد من الآثار الأولى فى تنسيق كتابة الحديث والسير فيه على خطة علمية منظمة ، بحيث تجعله مصنفاً ومؤلفاً على أحكم أداء وأقوم سبيل .

ومن رجاحة الفكر العربى أن يجىء هذا الكتاب قاصداً إلى الانسجام والتكامل بعد سابقة فى التدرج والتماسك بموضوعه ، إذ كان رواة الحديث حين ذاع الحديث

فى الآفاق يحفظون الكثير منه ويتداخل بعض فى بعض ويتكاثر حتى يشق تنسيقه والإلمام به إلماماً صحيحاً ، وقد نشبت فيه أيدى التزيد حتى صار من العسير رده إلى أصله ، وإن وجود أثر كهذا الكتاب فى عصر الخطيب البغدادى ومن تصنيفه لما يسّر مهمة العلماء والحافظين للحديث .

لقد أدخل مؤلف « تقييد العلم » التجديد على التأليف فى أصول كتابة الحديث وتدوينه ، بل رسم خطة المؤلفين آخذاً بعضها بأطراف بعض ، فإن هذا الحديث حين نشأ وتلقاه الصحابة بالسماع والرواية دخل عليه بعض التزيد أو آل أمره إلى التضييع لاختلال الحفظ واحتمال التصحيف ؛ فتقييده إذاً بنص من النصوص أمر ملزم وتحمله تبعة فى النقل والأداء ، فهل كان الحديث الذى وصل إلينا كله بلفظ الرسول عليه السلام أم هو برواية الصحابة والتابعين منقولاً ببعض ألفاظهم وتعبيرهم ؟

هذه هى المشكلة الكبرى التى قامت عند وجوب التدوين ، وأرى أنها هى التى جعلت بعض المتشددين فى اللغة يقصرون الشواهد على القرآن والشعر العربى القديم دون الحديث ، وقد قطع المؤلف برأى سديد هو أن الرسول عليه السلام نهى عن كتابة غير القرآن والإسلام فى عهده الأول ، لكى لا يضاهى بالقرآن سواه ولا يشغل الناس عنه بغيره(١)، فلما أمن المؤمنون ذلك ودعت الحاجة والضرورة إلى تقييد العلم لم يكره هذا الأمر ، فشاع التدوين للحديث بعد مرحلة حفظه وفقدان بعض الحافظين الثقات .

أما تحقيق الكتاب فقد تجلى بهذه الدقة وهذا التثبت اللذين عرف بهما الدكتور يوسف العش ، فلا تسرع ولا التباس ، ولا تبجح أو انحراف ، فالكلمة فى مظانها والأداء على منظم ، والهامش دليل على معرفة المحقق وثقته بالنصوص التى بحث عنها فى مظان شتى حتى اعتمد على نسخة أصيلة وجدها فى دار الكتب الظاهرية ، وصح عنده بعد إمعان الفكر والنظر أن المؤلف قرأها ووقعها بخطه ، وقد عارضها المحقق بنسخة ثانية من دار كتب الدولة ببرلين وضمت له ما غاب من معالم النسخة الأولى .

ومن قبل مهد لهذه النسخة بعض المستشرقين الذين وقفوا عليها ، أمثال بروكلن وأهلواردت ، وقد أجاد المحقق الجامعى وفاقاً لفن نشر المخطوطات فى وصف النسخة المعتمدة ، فوضع بين يدى القارئ نماذج منها مع وصف مفصل لسطورها وحجوم صفحاتها وطريقة كتابتها متأكداً ممن كتبها وعارضها وتاريخ ذلك كله ، وقد كتب هذه النسخة أحد تلاميذ المؤلف سنة ٤٦١ هـ وقرأها عليه وأخذ مهر خطه عليها . ثم جعل المحقق الثبت بسلسل النسخة فى ملكيتها عند من أحرزوها حتى صارت إلى خزانة المكتبة الظاهرية ، فأعطانا بعمله مثلاً على طبع العالم وتواضعه وإخلاصه فى البحث والمراس . وقد صدر الكتاب ببيان وضح فيه مرماه وفصل موضوعه والنتائج التى أفضى إليها ورأى المستشرقين فيه ، كما شرح طريقة المؤلف ونهج دراسته وبحثه لا سيما إيراد فن السماع ودرجات السماع . ولقد أثبت المحقق فى بيانه هذا صورة الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب الظاهرية ثم صورة لعنوان الجزء الثالث من هذه النسخة وفيها خط المؤلف بالسماع عليه .

ولا يستطيع المتتبع مهما تقصى هذا التحقيق أن يجد فيه مأخذاً كبيراً ، والهنات لا يخلو منها كتاب ولا يفلت منها عالم ، وكل ما آخذ به المحقق — إن صح أن يعد هذا مؤاخذة — هو غلوه فى شكر من ساعده على إخراج الكتاب وخاصة إشارته إلى من شاركه بملحوظات فى الشعر الوارد بالكتاب . ولكم من ناشر لديوان شعر لا يتقن الأوزان ولا يعلم العروض . ولم يسلم تدقيق المحقق على إتقانه وإحسانه من فلتات صغار فى ضبط بعض الأبيات ص ١٣٣ ، وما كان أغناه عن ذكر البحور فى كل بيت أو مقطوعة إلا إذا كان المخطوط الأصلى قد نص على ذلك ؛ وهنا لا بد لى من القول بأن النشر العلمى للمخطوطات غدا مشكلة من مشكلات التحقيق ، فقد هان خطره على بعض الطامعين بالشهرة القريبة أو القاعدين عن التأليف الذى يظهر شخصية المؤلف وإبداعه ، حاسبين أن التحقيق من الأمور الهينة وأن المراد منه إخراج نسخة ثانية عن النسخة الأصلية ، فالتبعات فى هذا الصدد تلقى على دور العلم والمؤسسات الثقافية التى تتعهد نشر المخطوطات ، فإذا تشددت فى هذا الشأن سلم عملها من الخطل وكان لنشر المخطوطات فائدتها المتوخاة فى بعث الذخائر وإحياء الدفائن .

وداد سكاكينى

---

(١) ص ٩٣ تقييد العلم .

الإنسان بين المادية والإسلام

تأليف الأستاذ محمد قطب

صفحاته ٢٨٨ ، الناشر : دار إحياء الكتب العربية

للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

آل قطب فى صفحة الإسلام الجديدة سطر مشرق يتلألأ ، لأنهم قوم جمع الله لهم من الفضائل والمكرمات والخلائق الإنسانية الفاضلة والمزايا العربية الكريمة والأخلاق الإسلامية العظيمة ما لم يؤته إلا لقليل من « الأسر » فى العالم الإسلامى ، فجماع الحياء الذى لا تجده إلا فى بطون الكتب ، والحياء جماع الأخلاق الكريمة كلها ، وما صدر أحد منه إلا وانتهى إليه وهو نظيف فى نفسه وخلقه ورجولته ، وجماع الشعور الإنسانى الرفيع المتدفق الذى لن تجده إلا عند آحاد من الناس فى هذا المضطرب المائج ، ليقيموا الدليل على أن الإنسانية بخير ما دام فى الأرض من يشعر شعور « الإنسان » . وجماع إلى جانب هذا الثراء الخلقى الضخم ، ثراء فى العلم والهدى والبيان .

وعميد هذه الأسرة الحالى « سيد قطب » الذى يعد عند كثير من أقطاب المسلمين وقادة الفكر والزعماء منهم ، زعيما فى الأدب وزعيما فى الدين ، ومفخرة من مفاخر العرب والمسلمين . وسيد قطب غنى عن التعريف ، فقد لمع اسمه فى كل بلد عربى وسطع سطوعا شديداً ، وما زال هذا السطوع قوياً وهاجاً متجدداً .

وله إخوة كرام مثله فى الفضل والخلق والحجى ، حتى النساء من هذه الأسرة الكريمة معروفات بالتدين والإيمان والبيان ، وإن كن لم يأخذن حقهن من الشهرة لأنهن عزوفات عنها ، ويعملن فى صمت وهدوء ، ثم صددن عن النشر إلا فى فترات متقطعة .

وآل قطب أبرار صالحون ، وأعوان لله مخلصون ، وغُيُر على الدين متحمسون ، يعملون فيرون الضخم العظيم الذى يقومون به نزراً صغيراً ، وهذا يبعدهم عن الغرور والكبرياء ، ويحميهم عن التنفج والادعاء ، وتلك آية الذين يعملون لله ولرسوله وللمؤمنين .

وخدم سيد قطب الإسلام والعروبة أجل خدمة ، وقدم لها عند شباب العرب والمسلمين صورتيهما الصحيحتين فإذا هما أجمل ما يرى ، وخير ما يعتقد ، وأفضل ما يذاد عنه ويحمى . وسمعت من كثير من شباب العرب والمسلمين من جميع الأقطار الإسلامية أن الله هداهم بسيد وكتبه ، وذكر لى أعلام هؤلاء الشباب من المثقفين الأعلياء أنهم يتأسون بسيد ، ويعملون بدعوته ، ويدارسون كتبه ، ويعتدونه زعيما لمدرسة فى الأدب والنقد والدعوة إلى الدين والأخلاق

هذا الرجل الكبير العظيم هو الذى يقوم بتوجيه أسرته وتربيتها ، وينشأ تحت كنف هذا السيد الصالح المصلح أخ ينال من الثقافة العربية والإسلامية والإفرنجية قسطاً جد كبير ، ويزين ثقافته الواسعة خلق كريم : وصلاح ودين وتقوى وورع ، وتثمر تربية سيد أخاه أطيب الثمر فنجنى منه أطيب الجنى .

هذا الأخ محمد قطب .

إن هذا الشاب فى الثلاثين من عمره أو أنقص من ذلك قليلا ، مكتمل النضج والنمو والصحة والشباب ؛ ومع هذا يحفظ نفسه فلا تميل إلى المحرمات ، ولا تختلف خطاه إلى الموبقات ، ولا تدور بخلده رغبة فى اللذات التى يفنى من أجلها شباب العصر ويغلون فى طلابها .

إن هذا الشاب من الشباب المسلم الصحيح الذى يعد على الأصابع ، ممن يذكروننى كلما ذكرتهم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « يعجب ربك من الشاب الذى ليست له صبوة » .

أذكر هذا موطئاً الأكناف لكلمة أريد أن أقولها عن كتاب محمد قطب شقيق سيد قطب ، وأنا أدين الله بكل حرف فيها .

ألف محمد قطب كتاباً اسمه « الإنسان بين المادية والإسلام » وصدر منذ أسابيع ، وهو يضم من الصفحات ما يقرب من الثلاثمائة من القطع الكبير ، وقفه على دراسة الإنسان بين المادية والإسلام .

والعنوان وحده كاف لأن يعطى القارىء حقيقة هذا الكتاب وصورته وسبيله ، فهو يبحث فيه « الإنسان » ، والإنسان غير هذا البحر الزاخر من البشر ، لأن الإنسان «الخلاصة» النظيفة الخيرة المثمرة من السلالة البشرية كلها ؛ ولهذا تجد عدد الناس فى قطر واحد يبلغ الملايين ، والدنيا بها مئات الأقطار ، ولا نجد فى الدنيا على اتساعها وازدحامها بالسكان إلا عدداً جد ضئيل ، قد يكون بنسبة واحد إلى مائة ألف أو أكثر من مجموع سكان هذا الكوكب .

فالمؤلف يبحث وجود هذه الخلاصة النظيفة الخيرة المثمرة لدى الإسلام ولدى المادية التى انشقت فكانت بضعة معسكرات وبضعة مذاهب ، كل منها يلعن الآخر ويترصده بالشر ويعد له السكين ليوقع به .

والمؤلف عندما يبحث وجود الإنسان فى الإسلام والمادية لا يندفع اندفاع المتعصب ، ولا يتناول موضوعه تناولا سطحياً ، ولا يقول كلاماً إنشائياً أو يلقى خطباً ومواعظ منبرية ، ولكنه يبحث بحثاً علمياً دقيقاً ، ويقدم خير ما فى الأديان والمذاهب ثم يعارضها بالإسلام ، ويترك القارىء الحكم ، وهو سيحكم للإسلام بحق ، ويهتف : ما أعظم الإسلام !!

إن المؤلف يترجم للإسلام ، ويقدم صورته كما هى من غير «رتوش» ويترجم للأديان المنسوخة والمذاهب كما تصورها أحلام أصحابها ، ثم يعارضها جميعاً بالإسلام ، لا ليقول هو وحده : إن الإسلام خير منها على الإطلاق ، بل يترك القارىء حكماً ، وأى قارىء حر نزيه منصف لا يملك إلا أن يقول : الإسلام دين الحق ، دين الأخلاق ، دين الفضيلة ، دين السلام ، دين الجمال ، دين العمل والحرية والأمن والطمأنينة ، دين الطبيعة القويمة والفطرة السليمة .

ويتناول المؤلف فى كتابه مسائل الجنس فى نظر الأديان وعلم النفس ، ويعرض بأمانة وإخلاص كل ما يتعلق بهما ، لينتهى بالمنطق والدليل إلى أن الإسلام يأتى دائماً بالحل الوسط الذى لا حل بعده خير منه ، وينتهى إلى حيث يأمن الإنسان فيه إلى كل شىء عنده أو فى نفسه أو ما يحيط به .

وعلى سبيل المثال ننقل بعض فقرات دون أن نختار وننتقى ، لأن الكتاب كله نمط واحد ، ومعدن واحد ، وكل فقرة فى الكتاب مثل غيرها ، أداء وقوة وجمالا وبلاغة .

قال المؤلف الفاضل :

« أهم ما يمتاز به الإسلام أنه يأخذ الكائن البشرى على ما هو عليه ، لا يحاول أن يقسره على ما ليس من طبيعته كما تصنع المسيحية ؛ وإن كان فى الوقت ذاته يعمد إلى تهذيب هذه الطبيعة إلى آخر مدى مستطاع دون أن يكبت شيئاً من النوازع الفطرية ، أو يمزق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع ، وبين المثل العليا التى يرسمها له »

وهذه الجملة على إيجازها الدقيق تقيم لنا الدليل على أن المؤلف متمكن من بحثه ، فاهم حقيقة الإسلام ، فهو يعرف عن علم وفهم ودراسة أن الإسلام لم يجىء لتعذيب نوازع الإنسان أو خنقها ، بل جاء لتهذيبها وإطلاقها من عقال الرذيلة والشر لتسمو بصاحبها ، على ألا يقطع صلته بالأرض ، بل يعيش على الأرض بأخلاق ملاك ، أو يعرج إلى السماء على أن يحافظ على إنسانيته .

إن رسالة الإسلام أن يتناول هذا الكائن البشرى ويوجه قواه وغرائزه ونوازعه إلى ما فيه الخير ، ولم يكلفه فوق طاقته ولم يطلب إليه أن يتجرد من نفسه أو ينزع عنها ثوبها

الحقيق ، بل كما ذكر المؤلف أنه يأخذ الكائن البشرى ويعمد إلى تهذيب طبيعته إلى أبعد مدى مستطاع . ويرى المؤلف أن لتهذيب طبيعة هذا الكائن طريقين : أحدهما ، كبت نوازعه ، وهو صنيع المسيحية ، وثانيهما ، إعطاء هذه النوازع فرصة الحياة والكسب مع تمكينها من الفضيلة وإشرابها إياها حتى تحيا حرة تتجه إلى الخير وتتخلص من ربقة الحيوانية ، وهذا صنيع الإسلام .

والمؤلف عند ما لخص رسالة المسيحية والإسلام فى هذا السبيل فى هـذه الجملة القصيرة كان فاهما حقيقة الإسلام والمسيحية فهماً دقيقاً ، وهـذا ما طوع له إيجازها فى سطور قليلة .

وأقام المؤلف البراهين الدامغة على أن الإسلام فهم حقيقة الكائن البشرى ولم يطلب منه ما كان فوق مستطاع طبيعته وتكوينه الخاق ، أو يطلب منه أن يكون غير نفسه المزودة بشتى القوى والغرائز والنوازع ، ولم يدفعه فى طريق طويل يضنيه طوله ، ويدمى قدميه شوكه ووعره ؛ بل طلب إليه أن يستعين بما يهذبه ويروض « الوحش » الكامن فيه ، ويفتح عينيه على الجمال فى كل صوره ، ويسكب فى قلبه النور ، وطلب إليه أن يكون مع طبيعته فى وفاق ، طبيعة الإنسان لا الوحش ، ودفعه برفق وهوادة فى طريق نظيف مستقيم ممهود لا يجهد فيه ولا يعيا .

ويقول المؤلف فى بلاغة خالبة وإيجاز رائع : إن « الإنسان فى نظر الإسلام كائن لا هو بالملاك ولا بالشيطان ، وإن كان قادراً فى بعض حالات الهبوط أن يصل إلى درجة الشيطان من الشر ، وفي بعض حالات الارتفاع أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر ، ولكنه فى حالته الطبيعية شيء بين هذا وذاك مشتمل على الخير كما هو مشتمل على الشر ، وليس أى العنصرين غريبا عن طبيعته ، ولا مفروضاً عليه من خارج نفسه » .

ويقول : « والغاية العليا للإسلام ، هى إيجاد التوازن فى نفس الفرد ، فيؤدى ذلك إلى إيجاد التوازن فى المجتمع ، وفى الإنسانية كلها بعد ذلك ، إذا كان هـذا فى حدود الإمكان » .

هذه بعض كلمات مما فى كتاب الأستاذ محمد قطب ، وكل ما فى الكتاب مثل هذه سموا وجمالا وقوة وصفاء وصدقا وحرارة ، قدمتها نموذجاً لا يغنى بعضه عن كله ، لأن هذا الكتاب ليس مما يقرأ فصلا فيكفى ، ولا صفحة فتغنى ، بل لا بد أن يقرأ كله ليعرف القارىء حقيقة الإسلام وحقيقة الإنسانية وحقيقة المادية ، ثم يعرف حقيقة الإنسان بين المادية والإسلام .

وفصول الكتاب عشرة بالمقدمة ، وتسعة من غيرها ، وأنا أعد المقدمة فصلا حياً قائماً بنفسه فى الكتاب ، لأنه تناول فكرة الكتاب الفنية والعلمية وأوجزها بحيث أقام فيها الصوى الهادية إلى فكرة الكتاب من جميع نواحيه .

والفصول التسعة : (١) نظرة المسيحية (٢) فرويد (٣) التجريبيون (٤) الشيوعيون (٥) نظرة الإسلام (٦) الفرد والمجتمع (٧) الجريمة والعقاب (٨) المشكلة الجنسية (٩) القيم العليا .

ومن الصعب إيجاز كل فصل ، أو الإشارة إليه فى مقال كتب للتعريف بالكتاب جملة ، ومن الصعب تفصيل فصل فصل ، فكل سطر فى الكتاب نتيجة دراسة عميقة لنظريات علم النفس فى مدارسه المختلفة ، ودراسة عميقة للمذاهب السياسية والنظم الموضوعة وللإسلام والأديان ، وفهم دقيق لها ، ونقد عادل متزن ، حتى إن الميزان الذى يزن به دقيق لا يخسر ولا يطفف ، ومن المدهش أن الميزان لم يضطرب فى يديه .

وحكى لى المؤلف أو له أنه أديب عالم قدير مع صغر سنه ، وهذا ما يجعلنى عظيم الإكبار له ، شديد الإعجاب بفنه وأدبه وعلمه وبحثه ، وأنا بعد دهش من هـذا العلم الواسع والثقافة الصحيحة والتجارب الكثيرة التى لا تتاح لمن كان فى مثل سنه ، بل لا تتاح إلا للراسخين من الكبار ، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

أحمد عبد الغفور عطار

حول كتاب « محمد » لتوفيق الحكيم

للأستاذ فاروق خورشيد

ظهرت الطبعة الأولى من هـذا الكتاب عام ١٩٣٦ وقد أخرج توفيق الحكيم قبله عدة كتب ولا زال ينتج لنا بين عام وعام كتباً ما بين مسرحيات وأقاصيص تحتل المركز الأول فى عالم الأدب ... ولا زال يعيد طبع ما نفدت نسخه من كتبه مرة أخرى ، ولا زالت هذه الطبعات تلقى من الرواج مثل ما لقيت أول أمرها بالظهور ... ولا عجب فى هذا ، فتوفيق الحكيم كاتب متميز له شخصيته الواضحة فى كل ما يكتب ، وقد أحب جمهور قارئى الأدب طابعه وتذوقوه فى سهولة ويسر ، فمضوا يستزيدون منه فى إقبال وشغف . وإعادة طبع (محمد) هذا الشهر تؤيد هذا الكلام وتقوم دليلا على صدقه ، كما أنها تقوم دليلا على شىء آخر يفوق هذا فى الخطورة والأهمية ، فإعادة طبع الكتب القديمة دليل على إفلاس الطليعة من الأدباء فى الإنتاج ؛ وما تلقاه هذه الكتب من رواج وتحدثه من ضجة يشير بوضوح إلى أصالة هذا الإنتاج وخلوده ، فإذا ما قرنا هذا بما يملأ السوق الأدبية من إنتاج جديد يموت أثر طبعه مباشرة ، وحظه من الرواج يساوى حظه من الخلود ؛ وسرعان ما يظهر أديب جديد ، وما يكاد يظهر حتى نشيعه إلى قبره ونضم رفاته إلى رفات غيره ممن سبقوه ، عرفنا علة هـذه الظاهرة التى تبدو واضحة فى كتاب توفيق الجديد الذى أعيد طبعه (محمد) . فأنت إذ تقرأ الكتاب تحس بما بذل توفيق من جهد وما عانى من مشقة .

سيرة الرسول سيرة محفوظة معروفة يعرفها الصغير قبل الكبير ، وما كانت تحتاج من المؤلف أكثر من إجراء القلم على الورق وخصوصاً وهو لا يؤرخ وهو يكتب فى السيرة الشريفة محققاً ناقداً ، وإنما هو ينتج عملا فنياً معتمداً على السيرة ، ولكنك تلمح فى (محمد) كتب السيرة وكتب التاريخ وكتب الحديث تبدو واضحة فى كل سطر من سطورها ، دليلا على اطلاع المؤلف الواسع فى كل ما يختص بموضوعه ؛ من هنا جاء خلود هذا الكتاب وما يماثله من كتب ، ومن هنا أيضاً يتضح سر انهيار الأعمال الجـديدة وفشلها ؛ فأدباؤنا الجـدد لا يكلفون أنفسهم عناء البحث والتنقيب ولا مشقة الدرس والتحليل ، وإنما يجدون فى أنفسهم الجرأة الكافية التى تسول لهم أن يتخذوا من أى موضوع مادة لهم سواء عرفوا عنه شيئاً أو جهلوا ما يتعلق به كل الجهل

وأنت إذ تقرأ (محمـد) تلمح توفيقا أمامك يزيل لك العوائق ويعبد لك الطريق فتسير أنت فى قراءتك مندفعاً فى سهولة ويسر ، وقد حملت السيرة العطرة نفسك معها حتى النهاية دون أن تلقى عناء أو تجد مشقة ؛ فالحكيم يتميز بذوق مرهف ينتقى لك زوايا يلتقط منها صوره التى يعرضها عليك فتبدو هذه الصـور أليفة عندك حبيبة إليك ... وقد رتب توفيق عمله ترتيباً تاريخياً لا تقديم فيه ولا تأخير ، وانتقى من كتب السيرة والحديث ما يوائم ذوقه من روايات اعتمد عليها اعتماداً كلياً فى بناء كتابه ، بالرغم مما فى هذا من خطورة تاريخية ، إذ قبل أشياء كثيرة فى صحتها شك كبير كأحاديثه عن معجزات الرسول وبركته كقصة شاة أم معبد[1] وحديث عمير[2] ، وهذه المعجزات لا تزيد قدر الرسول فى شىء ، فليست رسالة محمـد رسالة معجزات ، وإنما هى رسالة منطق وإقناع ، وينهض عذر واحد لتوفيق الحكيم فى هذه المسألة وهو أن الكتاب لم يقصد به التاريخ ، ولـكن الذى نفهمه أن يكون الكتاب — ما دام عملا أدبياً — يعبر عن شىء معين يريده الكاتب ، ولـكن الكتاب لا يعبر

(١) ص ٨٠ (ط كتاب اليوم) .

(٢) ص ١٢٢ (ط كتاب اليوم) .

عن رأى خاص لتوفيق الحكيم فى محمد ؛ فأنت ترى فيه متناقضات جمعها توفيق ببساطة ؛ فالرسول تارة رجل لا يؤمن إلا بمنطق الأشياء ، ويحكم العقل ويطلب من الناس تحكيم العقل ، وهو تارة أخرى رجل معجز ؛ يصوره توفيق الحكيم مرة فى ثوب الرجل العادى يستشير الناس فى أمره ، ويألم لهزيمة ويفرح لنصر ويبكى لفقد ولده ، ويصوره تارة أخرى رجلا لا كالبشر يعرف الغيب ويرى ما لا يراه الناس ، ويحلب شاة لا تدر ، ويحول تمرات قليلات إلى غذاء يكفى جيشه بأجمعه .

الكتاب فيه مجهود ضخم لاشك بذل فى التنقية والاختيار والترتيب الهندسى ، ولكنك تسأل نفسك إذ تنتهى منه : ماذا يريد المؤلف أن يقول ؟

هل يريد سرد الوقائع وحسب ! إن هذا ليس عمل الأديب ، بل هو إلى عمل المؤرخ أقرب ، وتوفيق ليست فيه دقة المؤرخ ولا تحقيقه . .

هل يكفى للأديب أن يختار الزوايا التى يلتقط منها صوره فيحسن الاختيار ، ويحول الروايات التاريخية المعقدة الأسلوب بما فيها من أسانيد و (عنعنات) إلى حديث سهل عذب ؟ وهل يكفى للعمل الأدبى الناجح أن نلمح فيه ما بذل الأديب من مجهود ضخم وما تحمل من عناء دون أن نرى فى خلاله الأديب نفسه ؟ أنت تحس حين تقرأ أن إحساس الكاتب بما يكتب قد انزوى فى طوايا المجهود والترتيب ، وأنت تستطيع أن ترى فى الكتاب رسماً لعمارة ضخمة ، جميلة حقاً ، فيها ذوق هندسى مرهف ، ولكنها بالرغم من جمالها وروعتها لا تعبر عن شىء مما يحسه المهندس ولا تحكى شيئاً مما ينفعل به . . .

ولم يبرز توفيق شيئاً إبرازه حب (محمد) للنساء[1] وغيرة عائشة من باقى نساء النبى ، وقد يمكن أن نقول هذا رأى الحكيم لولا أنه لم يعتن بإبرازه إلا فى فصل أو منظر من فصل ، مما يجعلنا نضيفه إلى ذوق الحكيم فى اختيار الروايات لا إلى رأى يريد إبرازه ، إذ لو كان هذا جعله هدفا يتضح وغرضاً يقصد إلى إبرازه لا مجرد منظر يأتى عرضاً وسط كثير من الأشياء لا أثر له فى تصرفات شخصيته التى رسمها .

ولعل هذه سمة تبدو فى أعمال توفيق الحكيم المسرحية ، سمة المهندس الذى يرسم ويصمم ، سمة الرجل الذى يدرس ثم يكتب نتيجة ما درس مطبقا ذلك على ما تعلم من قواعد فى فن المسرحية .

لقد قرأ كثيراً وسمع كثيراً وشاهد كثيراً من الآثار الفنية ، ولكنه حين أنتج نسى أن الداخلين فى محراب الفن لا يفتحون عيونهم ويوقظون أذهانهم فحسب ، بل ينبغى أن يفتحوا قبل كل شىء قلوبهم ، ولعله نسى هذا لأنه وضع فى رأسه أن الفن هو العمل الخالد الذى شهد منه نماذج فى كل ركن من أركان باريس — صاحبة الدور الأول فى حياته الفنية — فغدا مهندسا يقيس ويحدد ثم يرسم بالمسطرة والبرجل ، وبين المسطرة والبرجل انزوى الحكيم نبحث عنه فلا نجده .

وبعد فهذا حديث أردت أن أسوقه بمناسبة ظهور الطبعة الجديدة من كتاب (محمد) هذا الشهر ، وكم نود لو عادت كل هذه التحف القديمة لكتابنا الكبار مرة أخرى تعمر السوق الأدبية وترسم لأدباء الشباب طريق العمل وتريهم نماذج حية من حق الأدب على الأدباء . .

فاروق خورشيد

فى نبى الإسلام

تبارك الله ما أبلغ حكمه وأجل شأنه ! شاء لنوره وبرهانه أن يشرقا فى هذا المنزل المتواضع ، ولمجده وسلطانه أن يظهرا فى هذا اليتيم الوادع ، ولعلمه وقرآنه أن ينزلا على هذا الأمى الحيي ، لتكون آيته أبهر للعيون ، ودعوته أبرع فى العقول ، وكلمته أنوط بالأفئدة . . . ولو اتخذ رسله من الملوك العواهل لاتهمت المعجزة ، والتبس على الناس فعل القدرة .

كان محمد بن عبد الله مثل الله الأعلى للإنسان الكامل ، صوره خلقاً سويا ليرسم الأخلاق بالمثل ، ويعلم الدين بالعمل ، وينظم الحياة بالقدوة . . . وإلا فكيف اجتمع فيه ما تفرق فى جميع الناس : من خصال الرجولة ، وخلال البطولة ، وخلائق النبل . . ؟

أحمد حسن الزيات

(١) الفصل الثانى المنظر السادس . والفصل الثالث المنظر الأول .

... الآداب والـ ... [illegible]
... التأليف والترجمة ... [illegible]

أيهـــا القمر ..!

هـل فى سمائك الحزين الصافى
يا بدر ترياق من الأشـــجان
الـكون حولك ساكن متخشـــع
والأرض تحتك لجـــة البركان
تلهو — وتسبح فى مياهك ضاحكا
فتصفق الأمواج الشـــطآن
ونجومك الزهراء غضت طرفها
خجـــلا لمطلع وجهك الفتان
باح الغرام بسرها ... فتحجبت
والحسن لا يخفى على الفنّـــان

* * *

يا بدر أنت حقيقة طافت بها الـ
أوهام ترقص فى الدجى الوسنان
نبع من الأنوار فجّره الهـــوى
أضحت به الأشجار فى فيضـــان
عطر الأزاهر فى الرياض سكبته
فانساب بين جـــداول ، ومغانى
وخطرت فى ظلل الغمام على الربا
متلفـــعاً بقـــلائد المرجان
متوشحاً بالســـحب تشرق باسما
بين الخمائل كالربيع الحـــانى
والعاشـــقون لنور وجهك خشعا
يتقـــدمون إليك بالقـــربان
ناجى الأحبة بدرهم ... فتمثلوا
فيك الحبيب .. وملهم التبيان .. !

* * *

أمؤذن يا بدر تهتف فى السما
باسم العـــلى الواحـــد الديان ؟
أم شاعر سكب النسيم بخفـــة
فى روحه قبساً من التحنان :
فشدا .. وموســـيقاه تنفث لحنه
عطراً تضـــوع فى النسيم الوانى
أم عاشق .. مس الغرام جفونه
فطوى جوانحه — على الأحزان..؟
نشوان ضاق الـكون عن أحلامه
فسما بها عن عالم الإنســـان ..

* * *

عبرت ضفـــافك لوعتى فتقاسمت
أمواج ضوئك حيرتى .. وحنانى
أنا شاعر عصـــفت به ريح النوى
فرمته خلف حواجز النسيان .. !

محمد فوزى العنتيل

ويطلب من لجنة الت

الثقافة
AL-THAQAFA
صاحب الامتياز
الدكتور أحمد أمين بك
رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف بك
الإدارة
١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩
العدد ٧٠٦ الاثنين ١٥ من شوال سنة ١٣٧١ — ٧ من يوليه سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة عشرة

المرأة والحقوق الدستورية

لا محل للاحتكام بشأنها إلى الدين

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كان اتجاه النية إلى البحث فى تعديل قانون الانتخاب حافزاً لبعض الهيئات النسائية على مضاعفة السعى فى سبيل نيل المرأة حقوقها الدستورية أسوة بالرجل ؛ وكانت مطالب الهيئات النسائية ومساعيها من جهة أخرى مثار اعتراضات شديدة من جانب الهيئات الدينية ، وتمسكها بأن الشريعة الغراء لا تسمح للمرأة بأن تشغل مناصب الولاية والقضاء ، ومن باب أولى لا يسوغ لها أن تمارس مهام التشريع ، وعلى ذلك فلا يصح أن تمنح حقوق الانتخاب والنيابة . وكانت آخر البيانات الشبيهة بالرسمية فى هذا الموضوع تقرير لجنة الإفتاء بالأزهر ، وهو تقرير لم يقتصر أثره على توكيد تحريم الحقوق السياسية على المرأة ، بل انتهزت بعض الهيئات الدينية الأخرى الفرصة للحملة على مطالب المرأة وأمانيها بوجه عام ، والمطالبة بتضييق نطاق التعليم الجامعى بالنسبة للفتاة ، وقصره على تعلم الطب والمهن التعليمية ، والتفريق بين الفتى والفتاة فى الدرجات الجامعية ، وغير ذلك من المطالب التى ترجع بنا قروناً إلى الوراء .

وقد حاول البعض — رجالا ونساء — أن يردوا على فتوى لجنة الأزهر بمثل منطقها ، وأن يدللوا على أن الدين الإسلامى لا يحول دون حصول المرأة على مطالبها السياسية ، ولا دون نزولها إلى سائر ميادين الحياة العامة . وقد امتازت الأشهر الثلاثة أو الأربعة الأخيرة بتكرار هذا النوع من الجدل سواء من الفريق المنكر أو الفريق المؤيد ، وكان الدين هو أساس المحاجة فى معظم الأحيان .

والحقيقة أن هذا الاتجاه خاطىء من أساسه ، ولا محل على الإطلاق أن يتخذ الدين أساساً لمثل هذا الموضوع ، سواء لتوكيد التحريم أو الإباحة . وإذا كانت مصر دولة إسلامية فليس معنى هذا أنها دولة دينية ، أو بعبارة أخرى أنها دولة تطبق أحكام الدين فى سائر نواحى حياتها العامة . فالنظم الأساسية والقوانين المدنية والجنائية المصرية كلها نظم وقوانين تطبعها الصفة اللادينية . ولا يطبق فى مصر شىء من أحكام الشريعة الإسلامية فى العبادات أو المعاملات أو الحدود بصورة جبرية ، فلا تقطع يد السارق ، ولا يرجم الزانى ، ولا يعاقب شارب الخمر أو تارك الصلاة أو مفطر رمضان ، وغير ذلك ؛ ولا يطبق منها إلا ما أمكن تطبيقه فى شئون الزواج والأسرة والميراث والوقف (القضاء الشرعى) وحتى هذا يعتبر قضاء استثنائياً بالنسبة للقضاء الوطنى العام .

فإذا ما تقرر ذلك ، وهو أن النظم والقوانين المصرية هي نظم مدنية لا دينية ، لأنها هي النظم والقوانين التي توافق روح العصر ، ومقتضيات الحياة الاجتماعية الحديثة ، فلا محل إذاً لأن نجعل الدين حكماً في مسائل لا علاقة لها بالدين ولا تمس العقيدة الدينية ذاتها ، ولا محل إذاً لنرجع بمطالب المرأة السياسية والاجتماعية إلى أحكام الدين ما دامت هذه المطالب لا شأن لها بالعقيدة الدينية . ولو جاز الاحتكام إلى الدين في كل شيء لكان من الممكن أن نعرض بذلك سائر نظمنا الدينية والاجتماعية والاقتصادية القائمة إلى التحريم والبطلان .

إن مطالب المرأة السياسية والاجتماعية تتعلق قبل كل شيء بصميم نظامنا الدستوري والاجتماعي . ويجب ألا ينظر إليها إلا من هذه الناحية فقط . هل من المصلحة القومية أن تمنح المرأة المصرية المعلمة الحقوق الدستورية أسوة بالرجل ؟ وهل من المصلحة أن تفتح أبواب المهن والوظائف أمام المرأة على مصاريعها ؟ هذا هو لب الموضوع . أما أنه يجب أن تفتح أمام المرأة سائر الفرص التي يمكن أن تخوض غمارها وتضطلع بأعبائها ، فهذا أمر مسلم به من كل ذهن حر يقدر ما الجهود المرأة المثقفة من أثر بارز في نهضة الأمم ؛ ومن حق المرأة بلا ريب أن تتمتع بسائر ضروب التعليم الفني والمهني . ومن حقها أن تغزو سائر الوظائف والأعمال التي لا تتنافى مع طبيعتها الجسمية والعقلية . وقد قطعت الفتاة المصرية في ميادين التعليم والمهن أشواطاً بعيدة نعتز بها ونطلب لها المزيد منها ، فمحاولة النيل من هذه النهضة المباركة والرجوع بها إلى الوراء باسم الدين أمر لا يقبله عقل مستنير أو منطق سليم .

وأما مطالبة المرأة بحقوقها الدستورية ، فهي مسألة من الطبيعي أن يختلف النظر إليها حتى من جانب أنصار المرأة أنفسهم . والموضوع يتعلق بمسألة الإصلاح الدستوري الذي ما زلنا بعيدين عن تحقيقه . وقد أثبتت التجربة الدستورية مدى خمسة وعشرين عاماً أن الانتخابات المصرية ما زالت أبعد من أن تهضمها جمهرة الناخبين ، وأبعد من أن تكون نتائجها مرآة صادقة لرأي الأمة . وقد أثبتت الانتخابات المتوالية أن جمهرة المتعلمين لا تتحمس لها ولا تشترك فيها ، وأن الأغلبية الساحقة من الناخبين وهم طبقات الأميين تشترك في الانتخابات بطريقة آلية مسيرة لا تحدوها فكرة أو مبدأ أو غاية . فدخول المرأة في حل الانتخابات في مثل هذا المعترك المضطرب العقيم أمر يز الموقف تعقيداً واضطراباً حتى ولو اقتصر حق الانتخاب على المرأة المتعلمة .

ومن جهة أخرى فإنه لا محل لأن تتعجل المرأة تحق أهدافها بمثل هذا العنف والإلحاف اللذين تبديهما بعـ الهيئات النسوية التي لم تستطيع ضبط أعصابها ؛ ولا لإيراد الأمثلة والنظائر في بعض الدول الأخرى التي نالت الم فيها حقوقها الدستورية بسرعة ، أو بعبارة أخرى لا تبررها الظروف . ويحسن في هذا المقام أن نرجع الدول الدستورية العريقة لنرى كيف نالت المرأة فيها حقو الدستورية بعد كفاح طويل ، وفي بطء ملحوظ ، و أن نذكر هنا مثل الديمقراطيتين القديمتين انجلترا وأمر ففي انجلترا لم تنل المرأة حقوقها الانتخابية لأول مرة إ سنة ١٩١٨ ونالتها عندئذ جزئية ، محدودة ، ولم تنلها إلا في سنة ١٩٢٨ . وفي أمريكا لم تمنح هذه الحقوق ا إلا في سنة ١٩٢٠ ، وبعد محاولات عديدة متوالية كل ولاية بمفردها . ويجب أن نعلم فضلا عن ذلك أن لم تحصل على حقوقها الدستورية في بعض الدول الأ العريقة مثل فرنسا وإيطاليا والنمسا إلا بعد الحرب الثانية . ولم تحصل عليها في بلجيكا إلا في سنة ١٩٤٨ ألمانيا الغربية في سنة ١٩٤٩ . أما كون المرأة قد هذه الحقوق في بعض الدول الشرقية ، فهذا أمر ا عليه لأن نيلها لهذه الحقوق في هذه البلاد لم يكن تطور دستوري رصين . وإنما كان على الأغلب ضـ ضروب المحاكاة والتقليد .

يبدو مما تقدم إذاً أنه لا معدى للمرأة المصرية تتريث بعض الوقت لكي تنال حقوقها الدستورية طبيعية تتفق مع تطور الظروف ، كما أنه من الم يكون حصولها على هذه الحقوق على مرحلتين أو أ حدث في انجلترا ذاتها . ولن يضير المرأة أن تنتظ أعوام أخرى حتى تنضج دعوتها ، وتغزو سائر المفكرة ، وحتى يكون الإصلاح الدستوري المنشود على أسس مستنيرة تتفق مع ظروف البلاد وأحوال ا وأمام المرأة خلال ذلك فرص شاسعة للعمل المجدي العلمية والمهنية والإصلاح الاجتماعي .

محمد عبد

التربية القوميـــة
والنشاط المدرسى

للأستاذ يعقوب فام

تحرص وزارة المعارف على أن تضع خطـة ومنهجا لتدريس المواد المنوعة ، فهنالك منهج للتاريخ وآخر للجغرافيا وغيره للرياضة واللغات والمعلومات العامة ، وســواء أكانت الخطة صحيحة والمنهج معقولا أم لم تكن كذلك ، وســواء أكان هنالك من يعترض على مثل هــذه المناهج أم ليس هنالك من يعترض عليها ، فالوزارة ماضية فى وضع هــذه الخطط والمناهج ، وماضية أيضاً فى تعــديلها وإصلاحها وتغييرها لترتفع بتدريس هذه المواد إلى المستوى الذى يليق بأمة متحضرة ، وسواء أنجحت الوزارة فى هذا أم لم تنجح ، لا تضيرها المحاولات ، لأن من مستلزمات الـكمال الخبرة والتجريب ، ونحن لا نـكره من الوزارة هــذا التعديل والتبديل فى مناهجها ، لأن من شأنهما كسب الخبرة لمصر ومن شأنهما أن يدلا على الطريق إلى ما ينفع الناس نفعاً مستديماً .

وإنما الذى نعجب له أن وزارة المعارف لا تصرف جهداً يذكر فى منهج أو خطة لبث الروح القومية فى الشباب ، لسنا نحس لها عملا مقصوداً أو جهداً ملحوظا فيما هو أعود على الأمة من مواد الدراسة ! فليس يضيرنا بحال أن يكون مستوى شبابنا فى الجغرافيا أو الحساب أقل بكثير أو بقليل من مستوى غيرهم ؛ ذلك لأننا نعلم علم اليقين أن مستوى الشباب عندنا فى بعض المعلومات والمعارف المدرسية أقل من مستوى غيرهم فى بعض البلاد الأجنبية ، ومن جهة أخرى نعلم أن مستواهم فى بعضها الآخر أعلى من مستوى غيرهم فى تلك البلدان ؛ فكما أن الحالة الأولى لا تضيرنا فى قليل أو كثير ، كذلك الحالة الثانية لا تنفعنا فى قليل أو كثير . والواقع أن هذه المستويات تختلف فى الأمة الواحدة ، بل تختلف فى الأفراد الذين تخرجوا من نظام واحد متشابه ، فلا يمكن لعاقل أن يعتقد أن معلومات الطلبة الذين تخرجوا من مدرسة التوفيقية مثلا فى أى علم بذاته متساوية عنــد الجميع .

أما التربية القومية ، تلك التى تعــد الطالب أن يكون مواطناً نافعاً بغض النظر عن مستواه العلمى ، هذه التربية لانجد لها منهجاً أو خطة موضوعة ، ولانجد لها لجانا تدرس وتبحث أوتقرر وترشد ، ولانجد لها سياسة مرسومة تجرب وتغير وتبدل حسب الظروف بحيث يحذف منها مايتبين عدم ملاءمته لحالة الطلبة وحالة البلاد .

للعلوم الرياضية منهج موضوع وخطــة مرسومة ، أما الأخلاق والشخصية ، أما الأخــذ بيد الصبى وقيادته إلى مسالك الشهامة وعزة النفس والرجولة الحقة ، أما تعليمه أن له رأيه الخاص وأن من حقه أن يعبر عنه دون حرج ودون مساس بالشخصيات ، وتعويده على أن للآخرين رأيهم الذى يجب أن يعبروا عنــه دون حرج أو خوف ، أما تعويد الشاب على الشعور بأنه كما يجوز الخطأ على رأى المخالفين له فى الرأى يجوز كذلك الخطأ على رأيه هو ، وأنه يجب أن لا يكون متعصباً تعصباً أعمى لرأيه ، وأنه ليس له إلا أن يبديه وليس له أن يرغم الناس عليه ، وأما مرانه على أن الديموقراطية ليست معناها حكم الحق والصواب ، وإنما معناها فقط حكم الأغلبية ، وأن الحق والصواب ليس ملـكا لفرد بذاته أو جماعة بذاتها ، وأن الفرد أو الجماعة لا تملك الحق وإنما تملك رأيها فقط ، كل هذه قضايا بعيدة عن دراسة وزارة المعارف أو أداة التعليم فى مصر أيا كانت وأيا كان الحزب الذى يشرف عليها ، وليس فى وزارة المعارف إذاً أداة لتربية الطلاب ، وإنما هنالك أداة لتعليمهم القراءة والـكتابة .

لقد ابتدعت الوزارة أداة للنشاط المدرسي ، وأعدت له العدة وأوجدت له الموظفين ، وابتاعت له أدوات الألعاب ظنا منها أن هذا النشاط في ذاته كاف لتنشئة الشباب تنشئة قومية صحيحة ، كأن النشاط في ذاته هو الأساس الذي يبنى الحياة القومية دون حساب لأي عمل آخر .

فإذا كان الأمر كذلك ، أو كان هذا الغرض صحيحاً لكانت البلاد في غير حاجة إلى وزارة المعارف على الإطلاق ؛ ذلك لأن النشاط كان موجوداً من فجر التاريخ في مصر وقبل أن يعقل الناس شيئاً اسمه وزارة أو إدارة حكومية ، ثم هو لايزال موجوداً في الريف والحضر وفي كل صقع يوجد فيه صبيان ، وفي كل شارع وحارة في البلاد ، دون حاجة إلى إدارة أو وزارة ، ومع كل هذا النشاط الذي تزخر به البلاد من أدناها إلى أقصاها بريفها وحواريها ، مع كل هذا نشكو من انعدام التربية القومية الصحيحة .

الواقع أن النشاط في ذاته لا يجدي نفعاً فيما نحن فيه ؛ ذلك لانعدام الإشراف عليه وتوجيهه الوجهة التي تنفع وتؤدي إلى الأغراض القومية المطلوبة ؛ ولا نقصد بالتوجيه والإشراف أن يكون مقصوداً به الإدارة العامة ، لا ينفعنا في شيء أن توجه الإدارة العامة ، أو يوجه الديوان أو المكاتب أو الرؤساء ، لا ينفعنا في شيء أن تكون توجيهات الوزير أو وكيل الوزارة صحيحة معقولة ؛ وإنما الذي ينفع في هذا — والشيء الذي لا ينفع شيء سواه — إنما هو توجيه الطلبة أثناء نشاطهم ، أو هو العلاقة والروح التي تسود بين الصغير والكبير أثناء تأدية النشاط ، إنما هو الأخذ والعطاء بين الولد الفرد وبين المربي الفرد — ذلك لأن الحياة القومية ، والأخلاق إنما هي مجموعة علاقات بين الأفراد ، وعلاقات الطفل بالطفل يجب أن توجه من شخص آخر هو المربي ، والروح الاجتماعية تبث من المربي في الطفل ، والحدود في الحقوق والواجبات يجب أن توضع وترسم بالتعاون بين الصبي والمربي .

ليست المسألة إذاً مسألة نشاط — وإن كنا نؤمن بضرورة النشاط كل الإيمان — وإنما هي مسألة جو للنشاط ومسألة تحديد العلاقات وتوجيه الميول ، وبث النوازع والدوافع الاجتماعية عن طريق النشاط وفي الجو الروحي الملائم ؛ لهذا نرى أنه كما توجد معاهد لإعداد المدرسين يجب أن تكون هنالك معاهد لإعداد المربين ، في هذه المعاهد نضرب صفحاً عن كل المواد المدرسية من تاريخ إلى جغرافيا إلى رياضيات ، بل تكون مناهجها مقصورة على التعمق في دراسة أصول التربية وعلم النفس أولا ، وتكون ثانياً مشحونة بالمران العملي على سياسة الطلبة الصغار والسير بهم في وسط المشاكل التي تحيط بهم سيراً سلمياً نافعاً يؤدي إلى تفتح شخصياتهم وتمكينهم من اجتياز مراحل النمو الشخصي بسلام وأمان وطمأنينة . وبعبارة أخرى : نريد مربين يشرفون على سلامة أبنائنا ، وصحتهم الأخلاقية والاجتماعية والقومية .

يعقوب فام

عصر الشـــــواهين (١)

للأستاذ حسن جلال بك

الفرق بين الدودة التى تعيش وبطنها لاصق بالتراب ، وبين البازى الذى يحلق بجناحيه فى الأجواء العالية ، كالفرق بين الإنسان العادى الذى يعيش ببطنه لصالح نفسه ، وذلك الإنسان الآخر الراقى الذى يعيش بعقله لصالح الإنسانية كلها ؛ فإن الدودة لا تكاد ترى إلا ما تحت أنفها . أما عين البازى فإن الآفاق من تحتها واسعة مديدة .

والإنسان العادى الذى ينحصر كل نشاطه فى مزاولة عمله اليومى المعتاد ليحصل عن طريقه على رغيف الخبز الذى يملأ به آخر النهار بطنه ، ليس إلا دودة بشرية تتقلص بجذعها فوق التراب مرة أو مرتين حتى تصيب ما تأكله ثم تعود فتدفن نفسها فى الطين .

أما الإنسان الفاضل ... الإنسان الحقيق الذى أراد له الله أن يحلمه على الأرض ، فهو الذى يحلق بعقله فى سموات الفكر ، فيرى ما تقصر الأعين العادية عن رؤيته ، ويبصر الأشياء فى أوضاعها الحقيقية ، ولذلك فإن من حق مثل هذا الإنسان علينا أن نتدبر كلامه إذا قال ونتفهم معانيه إذا كتب ونسترشد بآرائه إذا نصح .

و « الرجل الفاضل » هو من يعرّفه برناردشو بأنه ذلك الذى يعطى مجتمعه الذى يعيش فيه ، أكثر مما يأخذ منه .

ومن علامات الفضل والنضج فى الإنسان أن يرتفع تفكيره من الاهتمام بشئونه الشخصية إلى الاهتمامات العالمية . فهو الغربى الذى ينظر للشرقى على أنه أخوه . . . وهو المسلم الذى ينظر للبوذى على أنه زميله . والمصرى ذو الشخصية الناضجة من يهتم لفيضان الأنهار فى بعض قرى الصين مثل اهتمامه بالسيول التى تجرف فى طريقها بعض القرى المجاورة للمعصرة أو الحوامدية .

ولقد كانت أقوى نبرة فى كل ما كان يهتف به هـ . ج ولز — أحد كبار فلاسفة هذا القرن — قوله :

« هذا العالم هو عالمنا ... هو قريتنا ... هو حديقتنا وعلينا أن نصلحه وأن ننظمه » .

ولقد كنا قبل أربعين أو خمسين سنة إذا شبت حرب بين دولتين أو ثلاث ، نقول إننا لا شأن لنا بهذا ! ولكن هذا القول لم يعد يصدق فى أيامنا الحالية . فإن حربا تقع بين روسيا وأمريكا هى حرب أهلية بين أهل قرية واحدة هى قريتنا هذه التى نعيش فوقها — الكرة الأرضية — ولهذا فإن مثل هذه الحرب لو وقعت سوف تهز أنحاء القرية كلها فى تشنجات دموية تزلزلها وتحطم أركانها .

و « غاندى » لم تكن وطنيته وطنية قومية هندية تحدها حدود بلاده ولكنها كانت دعوة إلى إخاء بشرى شامل لسكان هذا الكوكب أجمعين .

* * *

ومن أجل ذلك يجب على كل إنسان أن يستفيد برأى هؤلاء المفكرين العالميين الأفذاذ فى كل ما يشغل الفكر البشرى من مشكلات . . . وإذا كان بعضنا قد قدر عليه أن يعيش وبطنه لاصق بالتراب ، وأن لا يرى إلى أبعد من أرنبة أنفه ، فلا أقل من أن ينتفع بتجارب هؤلاء المحلقين فوقه — هؤلاء البزاة البشريين الذين يعيشون بعقولهم فى طبقات الجو العليا ، حتى يستطيع أن يرى بأعينهم ما لم يكن ليراه وحده ، وليهتدى بحسن توجيههم إلى ما لم يكن ليهتدى إليه بحواسه العادية وطاقاته المحدودة .

انظر إلى الدين مثلا .

(١) من وحى كتاب تحت الطبع للأستاذ سلامه موسى بعنوان « هؤلاء علمونى » .

ماذا يفهم منه الرجل العادى ؟ هل تراه « الدودة البشرية » إلا مجموعة من الأوامر والنواهى الصارمة ، وإلا طائفة من النظم الجامدة ؟ وهل استجابت تلك الديدان لدعوة الدين إلا بالتعصب للفكرة ، والعمل على الفتك بكل من لا يعتنقها . ؟ ذلك فى حين أن حقيقة الدين ليست إلا النظر إلى الحياة من موقف الموت ، وهو موقف جدير بأن يغير نظرة الإنسان إلى هذه الدنيا ، وهو غافل عن هذا المصير المحتوم . فإن الموت أكبر حقيقة بشرية ، ونحن عند ما نتأمله نجد أنه يغير القيم والأوزان ، وينقلها من التقدير الفردى إلى التقدير البشرى ، فترانا فى هرولة الحياة الاجتماعية نتعب ونلهث لأجل الثراء والوجاهة ، أو ننساق فى أنانية بشعة لا نبالى مصالح الغير ولا نرحم من نطأه تحت أقدامنا فى سبيل الغلبة وإشباع شهوة الاقتناء .

ونحن جميعاً على هذه الحال ، وإن تفاوتت درجاتنا شيئاً ما فى هذا السعار والتكالب ، ولكن فكرة الموت تقدح خأة فى أذهاننا وتبدو لنا تفاهة غاياتنا وعبث وسائلنا ، ونقف فى طريق الحياة لنتساءل عن نهايته ؟ وهذا وجدان أكبر الوجدان بالحياة التى تتخلص عندئذ من ملابساتها الاجتماعية . وهناك نحس أننا نحن بنى البشر حى واحد قد تعددت أجزاؤه وانفصلت ، ولكن انفصالها ما كان ينبغى له أن يمنع بينها التراحم والحب والحنان ، ويرى كل واحد منا فى نفسه — بعد تأمل الموت — أنه ليس إلا أبا أو أماً أو أخاً لأبناء البشر جميعاً ... وهذا هو لباب كل دين .

فالدين المحبة !

ولا يتم إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه !

ثم يأتى بعد ذلك دور رجل مثل ولز فى تفسير الدين حسبما يراه هو من عليائه التى يحلق فيها . . . ومهما تكن عقيدة ولز ومهما تكن نظرته إلى الديانات القائمة فإن من حق مثله علينا أن نستمع لما يقول وأن نتدبره ونتفهمه ونفيد منه ونستهدى بهداه — وولز كما ذكرنا ينظر إلى هذا العالم على أنه قريتنا التى نعيش فيها ، ولذلك كان الدين عنده هو تهذيب العلاقات التى تربط أبناء هذه القرية بعضهم ببعض .

وهو يعرّف الدين بأنه تشوف الإنسان إلى ما هو أعلى ، وسعيه لمصلحة عالمية تعلو على مصلحته الشخصية . ويقول إنه ليست هناك هناءة ولا سعادة إلا حين نلغى ذواتنا ومصالحنا ونفنيها فى سبيل ذات ومصلحة تعلوان علينا ، وهذه الذات هى البشرية جميعها وهذه المصلحة هى العالم كله .

وأهداف هذا الدين البشرى الذى يراه ولز هى « الانتصار التدرج على الجوع والعطش والمناخ والمادة والقوّة الآلية والألم الجسمانى أو العقلى . . . . . والفضاء . . والمسافة . . . والوقت » .

وهذا الدين الذى ينادى به ولز ليس إسلاما خالصاً ولا مسيحية خالصة ، ولكنه شىء لا يمكن أن ينكره الإسلام أو المسيحية ، بل إنى أراه تعبيراً جديداً عن معنى قديم قال فيه صاحبه : إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً — والعبرة فى ديانة ولز أن الدعوة إلى التوحيد فيها تنصبّ أكثر ما تنصب على «العباد» . فهو يدعو إلى « وحدانية البشر » وإلى اعتبار البشرية كلا واحداً غير قابل للتجزئة ، يتنافس أفراده فى العمل على صالح المجموع .

* * *

ثم انظر أيضاً إلى « الوطنية » .

لقد ظل العالم يفهم « الوطنية » فهما خاطئاً كان سبب الكوارث التى حاقت بمختلف الأوطان على مرّ الأزمان .

لقد عاش الفرنسيون مثلا يفهمون الوطنية على أنها كراهة الألمان وخشية بأسهم .

وعاش الروس يفهمون الوطنية على أنها كراهة الأتراك والطمع فى بلادهم .

وجعل « الوطنيون » ينشئون الأجيال الجديدة فى أوطانهم على خرافات ضارة هدامة ، مؤداها تارة أنهم شعب الله المختار ، وتارة أخرى أنهم أعرق أنسابا وأطهر أصلابا من سواهم — وكانت النتيجة هذه الفرقة التى قسمت البشرية شيعاً وأحزاباً ، وهذا التطاحن الذى تأكل ناره الغالب والمغلوب على السواء . . .

فماذا قال فى الوطنية أمثال ولز — وغاندى — وشو ؟

لقد عرفنا طرفا من آراء هؤلاء فى الدين . . ورأينا كيف أنهم يفهمونه على أنه صلة بشرية سامية تفنى فيها مصالح الفرد لتتوثق وتتحقق مصالح المجموع . وهـذا كان شأنهم أيضاً عندما تصدوا لتعريف الوطنية — فهى عندهم إخاء شامل بين جميع الأجناس وجميع الشعوب . أما الأثرة وهى شر ما ابتليت به الجماعات من جراء اعتناق المعانى السقيمة البالية التى كانوا يفسرون بها الوطنية — فهى عاطفة خسيسة ودعوة مرذولة جرت على العالم الوبال ؛ ولو أن « الوطنيين » فى كل وطن بذلوا فى سبيل البشرية وخيرها مابذلوه فى سبيل تحقيق أهدافهم الأنانية الجاهلة لما شمل العالم كل هذا الخراب ، ولما قاسى أهله كل هذا الحرمان !

خذ مثلا رجلين فى فلاة بينهما رغيف وهما بدلا من أن يقتسما هـذا الخبز بينهما ويعيشا قرير ين دس كلاهما السم فيه وحرم نفسه من قوته لينظر كيف يموت أخوه !

● فهل يصنع « الوطنيون » اليوم فى العالم غير ما صنع هذان الأحمقان برغيفهما ؟ أليست كل دولة تقتطع من ثمن غذائها لتصنع المدافع والدبابات لجاراتها حتى تستأثر من بعدها بما فى العالم من خيرات ؟! وماذا كانت النتيجة بعد التورط فى هذا الفهم الشائه لحقيقة الوطنية ؟ هل جنى « الوطنيون » إلا حياة الرعب والفزع التى يحيونها اليوم والتى حملوا بقية بلاد العالم على أن يحيوها معهم ظلماً وعدواناً ؟! .

* * *

ونحن إذا استطردنا من معنى « الوطنية » القومية إلى معنى « الكرامة » الفردية « والسعادة » الشخصية وجدنا فى حياة « غاندى » أفصح بيان لهذه المعانى الكريمة . وما أحرانا جميعاً أن نتدبر الدرس الذى يلقيه علينا غاندى فى مثل هذا المقام ....

لقد مات هذا الهندى النحيل فى سنة ١٩٤٧ وهو أعظم رجل فى العالم ، ومع ذلك فقد كان كل ما يملكه عنزة تدر له اللبن وشملة تستر وسطه ولا يزيد ثمنها عن بضعة قروش .

وكان يغزل بيده ويكتب فى الصحف ليحصل على ما يكفيه لشراء بعض الفاكهة أو الجبن استكمالا للغذاء اللازم لجسمه . وكان هذا الأسلوب الذى اختاره غاندى لحياته احتجاجاً صارخاً على أساليب المعيشة الاقتنائية التى كان يعيشها العالم من حوله ، وكأنما كان يريد أن يصيح فى الناس : أيها الغافلون ! إن السعادة والشرف والجاه أيسر من أن نتكلف فى سبيله هذا الجهد . وإن المال أهون من أن نلقى فى سبيله كل هذا العذاب ، وأتفه من أن نقضى حياتنا فى هذه الهرولة البشعة لنتنافس فى جمعه ونفاخر غيرنا بوفرة ما جمعنا وكدسنا من كنوزه .

* * *

وانظر معى آخر الأمر إلى الأدب ! وتأمل ما قاله فيه هؤلاء الجبابرة ! لقد عشنا نعتبر الأدب ملهاة ، وننظر إلى الأديب على أنه رجل أنيس يحسن القول المزخرف ويتدفق بالكلام الأجوف ، وكنا نحفظ المقامات التى تقرأ من آخرها لأولها كما تقرأ من أولها لآخرها ، على أنها نموذج للأدب الرفيع المعجز ! ولكنا عشنا حتى سمعنا أخيراً برنارد شو وهو يدعو إلى إنشاء « وزارة للتطور » يكون اختصاصها أن تعمل على ترقية السلالة البشرية والوصول بالإنسان إلى مرتبة « السوبرمان » الذى يراد له أن يبلغ وزن مخه كيلوجرامين وأن يعيش فى حصانة من الأمراض ، وأن يمتد عمره إلى ألف سنة ... وهذا تفكير يعلو علواً كبيراً على تلك الصغائر التى كان يشتغل بها عادة صغار الأدباء ... !

* * *

لقد كثر ما فكرنا فى وسائل الارتفاع بمستوى الثقافة فى بلادنا — ورفع هذا المستوى يحتاج إلى مسايرة كبار المفكرين فى العالم والانضمام إلى موكبهم والأخذ عنهم والتخلق بأخلاقهم ؛ أما التقوقع بداخل التراث المحلى مهما كانت قيمته فى العصور الغابرة فهو من باب الالتصاق بالتراب وهو من شيمة الدود الذى لم يعد يستطيع العيش فى عصر الشواهين !

محسن مهلهل

زواج الحـــــرب

للأستاذ محمد فريد أبو حديد بك

سمه ما شئت من الأسماء ! فلك أن تقول إنه زواج متعة أو زواج مقت ، أو أن تقول إنه زواج زائف ؛ ولكني أسميه « زواج حرب » لأنه بدعة جديدة لم تنتشر إلا في أعقاب هذه الحرب الأخيرة . لقد كثرت الأموال في أيدي طائفة من الناس ، كما قلت في أيدي طوائف أخرى ، لأنها انتقلت من المساكين الذين يكدون إلى المترفين الذين يتنعمون . فأصحاب الأطيان — سامحهم الله — زادوا أسعار إيجار الفدادين حتى صارت خمسين جنيهاً أو أكثر من خمسين للفدان الواحد ، وزاد أصحاب العمائر أسعار إيجار الشقق فصارت الغرفة الواحدة بما يتراوح بين الجنيهات الخمسة والعشرة ، وزاد التجار أثمان ما عندهم من السلع من أغذية وملابس وآنية وغير ذلك مما لا يحصى ؛ ورتع متعهدو التوريد للجيوش الأجنبية في مدى فسيح لا يبالون شيئاً ما داموا يوردون لتلك الجيوش ما تطلبه من صنوف الضروريات والكماليات والمتع المباحة وغير المباحة .

وكانت نتيجة هذا كله أن بقي الملايين من الناس بجيوب فارغة وبطون خالية وأجساد عارية — وذهبت الأموال كلها إلى أيدي جماعة من محدثي النعمة لا يدرون فيم يصرفونها

سامح الله الجميع أو لا سامحهم على كل هذا . ولكن البدعة التي نريد أن نتحدث عنها هي التي أدخلها علينا وأشاعها فينا هؤلاء المترفون المحدثون الذين جمعوا القناطير المقنطرة من الذهب والفضة في أيام الحرب الوبيلة ، وأرادوا أن يستمتعوا بها بعد أن امتلأت بها خزائنهم . ولكنهم مع ذلك لم يبتكروا هذه البدعة فليس لهم فضل الذكاء في الابتكار ، لأنهم لم يزيدوا على أن يقلدوا المترفين في العصور الغابرة عندما تدفقت الأموال على محدثي النعمة القدماء ، فلم يجدوا ما يصرفون فيه تلك الأموال إلا أن يشتروا الجواري الحسان من أسواق الرقيق ليتمتعوا بأجسادهن ولا يبالون أن يحطموا بذلك نفوسهن البشرية . كان هؤلاء المترفون يذهبون إلى وكالات الرقيق ليستعرضوا الفتيات اللائي أوقعهن البؤس أو نكد الحظ في أسر الجلابين غلاظ القلوب ، فيقلبون أبصارهم في محاسنهن ويجسون متاعهن بالأكف النهمة ، ثم يدفعون لتاجر الرقيق ما يطلب من الذهب في ثمن تلك الأجساد البديعة ، كأنما هي سلعة من صنع الإنسان لا بشر له حقه في الحياة .

وهكذا يفعل المترفون المحدثون في هذه الأيام وإن كان لكل عصر لونه ولكل وقت طريقته . فالغني المحدث في أيامنا هذه لا يذهب إلى سوق الرقيق لأنه يجد أن الأجساد معروضة في كل مكان ، في قوارع الطرق ، وفي المطاعم ، وفي الفنادق الكبرى ، وفي حفلات الأسمار ومجامع الإيناس ، وعلى شواطئ البحار ، وعلى ظهور البواخر الأنيقة ، وفي ساحات السباق المتبرجة . فهو في غير حاجة إلى أن يذهب إلى وكالة مظلمة في غور من أغوار الأحياء البعيدة . فإذا ما راقته حسناء ممن وقع بصره عليهن ذهب يسعى إلى أبيها أو أمها أو تقدم إليها بغير وساطة وعرض ما في جيبه من الذهب . عند ذلك يسهل كل وعر ، ويهون كل عزيز ، وتعقد الصفقة الرابحة الخاسرة على طريقة طريفة مبتكرة ، فالمظاهر لا بد أن ترضى حتى لا تقوم شبهة في الخنا وحتى تزول العوائق الدينية من الطريق ، وحتى لا تضطرب الضمائر في أعماق النفوس وتسبب لها الشقاء ؛ فلا بد لتلك الصفقة من عقد فيه إيجاب وقبول ، وفيه مهر مقدم ومهر مؤخر ، وفيه ذكر لاسم الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله الكريم .

ولكنه في حقيقة الأمر لا يزيد على عقد شراء جارية من سوق الرقيق ، لأنه لا يسجل كما ينبغي لعقود الزواج أن تسجل ، ولا يعلن كما ينبغي لكل عقد شريف أن يعلن ؛ بل يبقى في طي الخفاء لا يزيد على صك مالي أو عقد صفقة تجارية . إنه هو العقد الذي كان يكتبه بائع الجارية الحسناء في سوق الرقيق لصاحب الألوف المؤلفة من الذهب إذا شاء

أن يتنعم بجسد امرأة مملوكة . وماذا عليه إذا هو قضى وطره من هذه الزوجة المزيفة وملها وأراد أن يستبدل بها سواها ؟

ليس عليه إلا أن يدفع ما بقى من ثمنها ألوفاً أو مئات من الذهب ثم يذهب فى الأرض يطلب غيرها ، وتذهب هى فى الأرض امرأة فى جيبها ذهب كثير وإنسانية قليلة .

هذه هى البدعة الجديدة التى أخذت تنتشر فى هذه الأيام ، ويسمونها «الزواج العرفى» وأسميها زواج الحرب . ولك ياسيدى العزيز أن تسميها بما تشاء من الأسماء .

وإنه لما يسترعى النظر أن هؤلاء المترفين المحدثين يحرصون فى زواجهم هذا على الخفاء ، فلا يعلنون زواجهم ولا يعترفون بأبنائهم ، بل إنهم يحرصون على ألا يعقبوا من ذلك الزواج ذرية ، لأنهم لا يطلبون من ورائه ذرية . إنما هى متعة الترف يطلبونها من الأجساد الجميلة الشابة .

أليس هذا دليلا جديدا على أننا قد حطمنا بأيدينا الحواجز التى كانت تعصمنا من الطوفان وتركنا أنفسنا فى العراء لانجد شيئاً يعصمنا ؟ لقد كان نظام الأسرة عندنا هو أساس مجتمعنا ، وكنا نلوذ به ونلتمس فيه السلام والسعادة فى حياتنا ، ونحتفظ فيه بكل مانعتز به من العواطف السامية التى بغيرها لا تكون الحياة جديرة بأن نحياها . تحملنا فى حياتنا العامة كل ما أصابنا من هزيمة وخسارة فى الأموال وتقييد للحرية ، ولكنا لم نيأس من معاودة الكرة بعد الخذلان ، ولم نيأس من استرجاع ما ضاع منا من العز والثروة والحرية ، لأننا كنا نحتفظ بالنواة الجوهرية من الحيوية وهى التى كانت ماثلة فى كرامة الأسرة . كنا نرى الأسرة الشرقية هى سياج ثقافتنا ومثلنا العليا ، وكان أملنا باقياً لا يتزعزع ما دامت تلك المثل باقية علينا .

كانت الأسرة تحتفظ لنا بالولاء والوفاء والإيثار والتضحية والمحبة والمودة والأمانة والعفة وضبط النفس والمروءة وماإلى ذلك من الخصال التى كنا نؤمن بها فى حياتنا الخاصة ، ونشعر بها على حياتنا العامة . كنا نرى هذه الخصال هى المعروف الذى نتآمر به ، ونعد ما يخالفها من المنكر الذى نتناهى عنه . فماذا جد علينا ؟ رأينا هذه الأسرة وماتنطوى عليه من مثل تتصدع تحت أبصارنا ، وتتزايل كما تتزايل صورة الشمع إذا لفحتها ألسنة اللهيب .

كنا نرى للزواج حرمة لها فى نفوسنا من القداسة ما لايعدله شىء فى الحياة حتى الحياة نفسها . كنا نسخو بالحياة فى سبيل الدفاع عن سلامة هذه الحرمة التى لا ينبغى لها أن تنتهك بحال من الأحوال . وكان للأسرة حقوقها وواجباتها من بدء الأب والأم والأبناء إلى بنى العمومة والخؤولة ، بل إلى الجيران الذين كان الجوار يخلع عليهم حرمة الأسرة .

فماذا دهى حياتنا حتى أهينت هذه العلاقة المقدسة ، وصار أمرها إلى مثل هذا الذى لا يقل فى خبثه عن التسرى بالإماء . لقد كانت الامة تشترى ولكنها كانت تلد وتصبح أما وتعود إليها كرامتها . ولكن هذا الزواج الجديد المتستر تحت الظلام لا يطلب ذرية ولا يعد المرأة بعودة كرامتها .

إنه الذهب الذى يدفع أولا ثم يدفع آخراً بعد أن يدب الملال إلى نفس المترف الحديث النعمة . وأما المرأة فإنها تخرج من كل حياتها بصفقة من الذهب ، ثم تنطلق إلى الحياة مجردة من إنسانيتها قانعة بما عندها من الذهب .

ألمثل هذا قصدنا عند ما بدأنا نبحث عن عيوب الأسرة ونحلل ونناقش ونجادل فى علاقة الرجل والمرأة ؟ ألمثل هذا تحدثنا فى السفور والحجاب وفى تعدد الزواج والطلاق وفى سطوة الرجل وكرامة المرأة ؟ لقد بعد بنا المدى عن غايتنا ، وهدمنا الحدود التى كنا نلوذ بها بغير أن نقيم حدوداً أخرى تعصمنا من الفوضى .

وقد آن لنا أن نراجع أنفسنا وأن نعيد إلى نظام الأسرة ما فقدناه من التقديس بإدخال الشكوك وتحطيم القيم المقررة . لقد آن للرأى العام المصرى خاصة والإسلامى عامة أن يعود إلى سياجه فيصلح منه ويقويه ، ويخلصه من الشوائب ، ويلوذ به مرة أخرى مؤمنا بأنه هو الحصن الذى يعصمه من الهلاك — وذلك هو الأسرة الصالحة حيث نجد السلام والسعادة وحيث نحتفظ بالأمل .

محمد فريد أبو حديد

مصطفى كامل ومصطفى كمال

للأستاذ أنور الجندى

زعيمان من الشرق ، تركا بعد الأثر فى نهضة مصر وتركيا ، كان كل منهما جديد الطابع فى وطنه ، شغل الأذهان وأثار النفوس وابتدع فناً من القول أو العمل ، واستحدث سبيلا جديداً للأمة ما تزال حتى الآن تهتدى به .

أما مصطفى كامل فقد ظهر فى مصر على أثر الاحتلال البريطانى فكانت صيحته مدوّية بعيدة الأثر فى المحيط المصرى ، ودعا إلى الجلاء بغير قيد ولا تحفظ وسكب فى قلوب المصريين وآذانهم صورة الوطنية مطعمة بالعاطفة والإيمان فاستجاب له الناس وآمنوا به وساروا فى ركابه ، ثم جدت بعد ذلك صروف ، ونشأت أحزاب تدعو إلى الاعتدال وتتهم مصطفى بالتطرف .. وتخفف من حدة الحماسة النقية التى ألقاها فى ضمير الأمة .

ولم يلبث مصطفى أن قضى والوطن ما يزال فى حاجة إلى قلبه المشبوب ولسانه الطليق وقلمه البليغ .

وتطورت أمور السياسة فى مصر من حال إلى حال .. ولكنها لم تنس مصطفى على أنه الرائد الأول الذى رسم الطريق ، ورفع العلم وأعد الخطة .

وبعد أربعين عاماً من وفاته عادت مصر إلى دعوته وطالبت بالجلاء بغير قيد ولا تحفظ بعد أن تنكبت طريقه فترة طويلة .

وما زال مصطفى كامل فى تاريخ مصر ، وفى تاريخ الوطنية ، وفى تاريخ السياسة ، علماً مفرداً ، على أنه الرجل الذى لا يقبل التجزئة فى الحقوق ، ولا يحب المساومة فى المطالب ، وعلى أنه الرجل الذى لم يطمع فى الوزارة ، وأغضى عن كل إغراء ، وأنفق صحته وجهده داعياً لمصر فى مصر وفى أوربا ، متنقلا فى كل مكان ، يعقد المؤتمرات وينشر المقالات ويخطب فى الجماهير معلناً حق مصر فى الحرية والاستقلال ؛

وكان مصطفى بذلك أول مصرى وقف فى وجه الإنجليز بعد عرابى ، وأول شرقى دافع عن قضية بلاده فى المجال الدولى ، وأول من أنشأ جرائده الأولية الثلاثة بالعربية والإنجليزية والفرنسية وضحى للدعوة الوطنية الخالصة .

ومن آيات فوزه وانتصاره موقفه من كرومر بعد حادث دنشواى ، والفصول الضافية التى فضح بها بريطانيا فى صحف العالم ، مما اضطرها إلى سحب معتمدها فى مصر .

وهو صاحب الخطاب التاريخى إلى غلادستون زعيم الأحرار فى انجلترا سنة ١٨٩٦ يذكره فيه بآرائه فى الجلاء ؛ وقد أجابه الزعيم البريطانى بقوله : « أقر بأن زمن الجلاء عن مصر قد وافى منذ سنين » .

* * *

أما مصطفى كمال فقد حول تركيا من وضع إلى وضع ، نقلها من الإمبراطورية التركية ودولة الخلافة إلى تركيا الدولة العلمانية القائمة على حدودها وكفاياتها فحسب . لقد نقلها من الشرق إلى الغرب وحررها من الاحتلال ومن معاهدة سيفر ومن جنود اليونان .

ودفعها دفعة قوية إلى الإمام ، فتحولت من أقصى اليمين أى أقصى اليسار ، وألقى بها فى أحضان الغرب جملة ، وألغى الخلافة وأعلن الجمهورية وألغى التعليم الدينى والطقوس الدينية ، وكتب من الشمال إلى اليمين ، ونقل العاصمة من استانبول إلى أنقره .

وعلق للعارضين على حبال المشانق ، ودعم الجيش ، ووحد الزى وألغى الطربوش ، وقصر العمامة على رجال الدين ، وفرض القبعة .

ونظر إلى الأمور من وجهة النظر التركية المحضة ، ومزق حجاب المرأة وألغى الحريم ، ودفع بها إلى المدرسة والمجتمع

وألغى الألقاب . . وصبغ كل شيء بالصيغة التركية .

ووقف أمام سبورة سوداء ومعه طباشير يعلم الناس اللغة التركية في المساجد والمقاهي ودور اللهو ، فإذا برقم المتعلمين يقفز إلى ٩٠ ٪ وألغى التكايا والأوقاف .

ونقل تركيا من الرجل المريض إلى الرجل الحي .

* * *

وبين مصطفى كمال ومصطفى كامل روابط متعددة ، فكلاهما حارب الاستعمار وأعلن خصومته للإنجليز .

وكلاهما رسم البرنامج الصالح لتحرير وطنه ، رسمه مصطفى كامل بالخطب والمقالات ، ورسمه مصطفى كمال بالعمل والتغيير الفعلي .

كان كل منهما يؤمن بوطنه وحقه في الوجود ، وكانت نفسه تفيض غيرة وشوقاً لأن يرى اليوم الذي تتحقق فيه آمال بلاده . ، أما أتاتورك فقد طال به العمر ، وتيسرت له أسباب العمل فانتقلت تركيا على يديه من حال إلى حال .

. . أما مصطفى كامل فقد قصر به العمر عن إدراك الغاية فمات في ساحة الوغى واخترمه المرض الخبيث ، وهو يعمل دون ملل أو كلل . .

ومازال مصطفى كامل ، ومصطفى كمال ، علمين في أمتيهما على البعث والإنشاء والتوجيه ، وآثارهما وخططهما ما زالت قائمة حية .

فمصر ما تزال تردد صيحة مصطفى كامل في الجلاء بغير قيد ولا تحفظ ، وتتجه وجهته في الوطنية الخالصة المبرأة من الحزبية السياسية . .

وتركيا ما تزال تعيش في النطاق الذي رسمه لها مصطفى كمال . .

ويلتقي الرجلان في النقاء ؛ فكلاهما أدى رسالة بلاده في قوة وعزيمة ومضاء ولم يقبل فيها تهاوناً أو تراجعاً ، ولم يتنزل عن حق من حقوقها ، وعاش لها واقفاً حياته ، واهباً نفسه ، متجرداً ، لأنها هي كل شيء عنده وأعز شيء .

وكان لكل منهما « ملهمته » ، كانت ملهمة أتاتورك « خالدة أديب » وكان لها في خطواته النافذة أثر بعيد المدى ، وكان يستبصر بها في ساحات الحرب ، وفي ساعات الحرج .

وكان مصطفى كامل يستلهم أمه الروحية « جوليت آدم » وكان يشكو إليها ما يلاقي من آلام ومتاعب .

كتب إليها في ٣٠ سبتمبر ١٩٠٤ على أثر توقيع الاتفاق الودي بين بريطانيا وفرنسا وبعد أن انهارت آماله في معاونة فرنسا يقول : « إنه لمن أشق الأعمال أن يجاهد المرء ضد الزمن والحوادث والناس ، وليس هناك ما يؤلمني أكثر من الانحطاط الأدبي الذي استولى على أولئك الذين كان يجب أن يكونوا أكثر الناس شهامة وشمماً ، لا تتخذي من هذا دليلاً على الفتور ، ولكنها زفرة متألم ، فإني مازلت — ولن أزال — أبذر البذر الصالح وأمثل الأمل الحي ، بالرغم من كل شيء ، حتى لا تنسى مصر في أمسها ولا في غدها » .

* * *

وليس مايمنع بعد هذا الالتقاء بين الزعيمين الكبيرين أن تكون بينهما وجوه خلاف واختلاف .

فقد كان مصطفى كامل سياسياً وكاتباً وخطيباً ، أما أتاتورك فقد كان محاربا عسكريا قبل كل شيء . .

وكان مصطفى يؤمن بالخلافة الإسلامية ويؤيدها ويدعو لها ، ويراها عونا على إجلاء المستعمر ، ويدعم رابطة الإسلام ، ووحدة الشعوب في الشرق ، ولكن أتاتورك كان يكفر بهذه الخلافة ويراها السبب الرئيسي للاستعمار ولتسلط الإنجليز وغير الإنجليز ، وما إن واتته الظروف حتى اجتثها من أصولها . .

وكان مصطفى كامل يحب الشرق ويؤمن بروح الإسلام ويجري على تقاليده ، ويعتز باللغة العربية . أما أتاتورك فقد كان على عكس ذلك تماما .

أنور الجندي

نظرية الإمامة بين الباطنية والسهروردى

للأستاذ محمد على أبو ريان

— ٣ —

ثانيا : الإمامة عند السهروردى

١ — ألمنا فى المقال السابق إلى التخطيط العام لمذهب القرامطة الفلسفى الذى يمثل موقف الباطنية المتأثر بالفلسفة ، وقد يكون هناك وجوه للشبه بين هـذا الموقف وموقف السهروردى الفلسفى والصوفى من حيث اعتماد كل من الموقفين على فكرة النور والإشراق النورانى ، على أنه ربما كان اتجاه الآراء فى طريق التوازى لا التأثير ، وحينذاك يتحد المصدر ، فيكون السهروردى والباطنية آخذين من مصدر واحد وهو الأفلاطونية المحدثة المتأثرة بالتراث الشرقى ؛ ومهما يكن من شىء فقد كان مـذهب الباطنية الفلسفى من الحقائق الثقافية البارزة فى الجو الفكرى للعالم الإسلامى خصوصاً فى الفترة التى عاش فيها السهروردى .

٢ — على أن تطابق الموقفين الباطنى والإشراقى بصدد الإمامة لما يستوقف النظر ، وقد أشرنا إلى أن الباطنية لا يحملون بالتسلسل التاريخى — الذى يستند إلى الدم — فى تقرير صحة الإمامة ، أى أنهم لا يقولون بالوصية التاريخية ، ويتخذون من فكرة الإمام المستودع أو القدّاح مخرجاً من نطاق الانتساب الجامد للذرية على من فاطمة ؛ فالإمام هو أرقى الواصلين فى عصره ، وهو أكثرهم استعداداً لتلقى الأنوار من العقول المشرقة . وهو مكاشف من هذه العقول بتولى الإمامة .

وتصبح الإمامة على هذا الوضع مرتبة عقلية سامية تقوم على التسلسل الروحى والاستعداد العقلى .

٣ — ويعرض السهروردى موقفه بصـدد الإمامة فى مقدمة حكمة الإشراق فيقول ص ١٩ ، ٢٠ : « ولا تظن أن الحـكمة فى هذه المدة القريبة كانت لاغية ، بل العالم ما خلا قط عن الحـكمة وعن شخص قائم بها عنده الحجج والبينات وهو خليفة الله فى أرضه ، وهكذا يكون ما دامت السموات والأرض . » والاختلاف بين متقدمى الحـكماء ومتأخريهم إنما هو فى الألفاظ واختلاف عاداتهم فى التصريح والتعريض

ويستطرد (ص ٢٣ ، ٢٤) فيقول : « فإن اتفق فى الوقت متوغل فى التأله والبحث فله الرياسة ، وإن لم يتفق فالمتوغل فى التأله المتوسط فى البحث ، وإن لم يتفق فالحـكيم المتوغل فى التأله عديم البحث وهو خليفة الله ، ولا تخلو الأرض عن متوغل فى التأله أبداً ، ولا رياسة فى أرض الله للباحث المتوغل فى البحث الذى لم يتوغل فى التأله ، فإن المتوغل فى التأله لا يخلو العالم عنه وهو أحق من الباحث فحسب ، إذ لا بد للخلافة من التلقى لأن خليفة الله ووزيره لا بد له من أن يتلقى منه ما هو بصدده ، ولست أعنى بهذه الرياسة التغلب ، بل قد يكون الإمام المتأله مستولياً ظاهراً وقد يكون خفياً وهو الذى سماه الـكافة القطب ، فله الرياسة وإن كان فى غاية الخمول ، وإذا كانت السياسة بيده كان الزمان نورياً ، وإذا خلا الزمان عن تدبير إلهى كانت الظلمات غالبة . » ويستطرد فيقول ص ٢٥ : « وأجود الطلبة طالب التأله والبحث » ويقول أيضاً : « هناك متوغل فى التأله عديم البحث » ويضيف إليه الشارح « كأكثر الأنبياء والأولياء من مشايخ التصوف » .

٤ — هذه النصوص تشير إلى ما يلى :

أولا : الإمامة أزلية أبدية . إذ أن العالم لم يخل عن شخص قائم بالحـكمة وهو الخليفة ، والنتيجة الحتمية لهـذه القاعدة هى اعتبار طالبى التأله من الحـكماء الأقدمين على أنهم أئمة ، كحكماء الفرس واليونان وبابل والهند ومصر القديمة الذين يذكرهم فى حكمة الإشراق يعدون أئمة عالميين ما داموا يستهدفون الحـكمة الذوقية الإشراقية وهى مقصـد طالب التأله ، ويصل طالب التأله إلى مرتبة الإدراك المباشر النورانى بعد تخطيه مراتب السلوك الصوفى .

ومعنى هذا أن الإمامة لم تصبح إسلامية ، بل قد تضمنت سائر الأديان سماوية أو غير سماوية ، ومع اختلاف الأئمة فى اللغة والعادات والبيئات التى يظهرون فيها إلا أنهم يتفقون فى الغاية التى يتجهون إليها وفى الطريق الذى يسلـكونه .

ثانياً : الصفة الرئيسية للإمامة التوغل فى التأله ، ولـكن

التوغل فى التأله مع التوغل فى البحث أفضل من التوغل فى البحث وحده ، أى أن الفلاسفة المتصوفين الذين يتوغلون فى التأله والبحث أفضل من النبى أو الولى المتوغل فى التأله عديم البحث أو متوسطه ؛ وعلى هذا فابن تيمية قد أصاب كبد الحقيقة حينما قال عن السهروردى إنه من الذين يفضلون الفيلسوف على النبى كابن عربى ، وإنه ادعى النبوة كما قال غيره من مؤرخى سيرته ، ذلك لأن السهروردى وابن عربى وابن سبعين من طالبى التأله والبحث ، فهم أفضل أولى الإمامة من طلاب التأله وحده كالأنبياء والأولياء (راجع مجموعة الفتاوى لابن تيمية ج ٥ ص ٩٣ طبع القاهرة سنة ١٩١١ م) .

ثالثاً : والصفة الثالثة للإمامة وهى أمر التكليف من الله للإمام متعلقة بالصفة السابقة ؛ فالإمام يتلقى الأمر الإلهى على صورة إشراق نورانى فيصوغ التشريعات ويتجه إلى إصلاح النوع ، ويقترب العلم الإلهى الوارد عليه من الوحى الإلهى ، إلا أنه يكون عن طريق الإشراق والفيض النورانى .

رابعاً : أن الأرض لا تخلو من الإمامة ، وإذا ذهبنا مع هذه القضية إلى مداها المنطقى والمذهبى واجهتنا نظرية الإنسان الكامل ووحدة الوجود ، فالإمام هو الإنسان الكامل وهو علة وجودية يستند إليها الكون ؛ فالأئمة هم الأوتاد والدعائم التى يقوم عليها صرح الوجود ، فلا يمكن أن تخلو الأرض من إمام أو خليفة ، فهو علة وجودية وهو سر التكوين وهو الواسطة بين عالم الأمر وعالم الخلق وهو العالم الأصغر Microscosm فى مقابل العالم الأكبر (Microscosm)

يقول ابن عربى :

سر الوجود الكبير هذا الوجود الصغير

وعلى الرغم من أن السهروردى لم يفته إلى موقف مماثل لموقف الجيلى وابن عربى إلا أن هناك علاقة وثيقة بين الموقفين ، فقد أطلق لفظ (أسفهبذ) على الإمام وهو يطلقه فى مواضع أخرى من حكمة الإشراق على النفس الناطقة ، ويقول إن لها الخلافتين الكبرى والصغرى ، فالكبرى بمعنى توليها الإمامة ، والصغرى بمعنى سيطرتها على الجسد . ولفظ أسفهبذ هذا لفظ فارسى معناه الدهقان أو السيد المطاع ، وكان يطلق على الأمراء المسيطرين على المقاطعات ، فالنفس إذا ما ترقت وتألهت صارت لها الرياسة الروحية أى كاملا ، أو بمعنى آخر صارت لها الإمامة .

خامساً : التفرقة بين الإمام الظاهر المستور المستور موجودة كما هى عند الباطنية . ويتميز عصر الإمام المستولى بالنورانية وانتفاء المظالم . أما عصر الإمام المستور فهو عصر الظلمات والتأخر ، عصر يخلو من التدبير الإلهى . ولم يبين لنا السهروردى كما فعل الباطنية السر فى اختفاء الأئمة وظهورهم .

٥ — هذه هى نظرية السهروردى فى الإمامة تقترب كثيراً من موقف الباطنية منها ، ولا تقف بالنبوة (على أنها مظهر من مظاهر الإمامة التى تتميز بطابع التأله) عند محمد النبى ، وإذاً فلا ينتهى المرسلون ببعثته ، بل تظل السلسلة النبوية متصلة الحلقات مؤيدة بالإشراق إلى ما لا نهاية .

ولا شك أن موقفاً كهذا فيه خروج على العقيدة وتعطيل لركن هام من أركانها ، وهو انتهاء الأنبياء والمرسلين عند النبى محمد (ص) ؛ هذا إلى اعتراف بالأديان غير السماوية ومحاولة لإدماجها فى حظيرة الأديان العالمية واعتبار الأديان وحدة لا تنفصم .

محمد على أبو ريانه

- خوف الصحافة : لا أخاف من جهنم إذا فتحت أمامى . لكنى أرتعش من صرير قلم صحفى . (كاسترو) رئيس جمهورية فنزويلا
- خير ميراث : كل ما نملك من الحرية اشتراه لنا آباؤنا من قبل بالدم والعرق . (كيبلنج)
- حياة .. وحياة : إن حياة قصيرة حافلة بجلائل الأعمال خير من حياة طويلة خالية من كل عمل . (سبنسر)
- نعيم الخيال : يجب على الفرار من عالم الواقع الملىء بالأخطار ، لكى أحيا فى عالم خيالى مثالى أنعم فيه بما شئت من الملاذ والأحلام بالقدر الذى تحتمله قواى . (جيته)
- الفرصة : الفرصة دائماً عمياء ، وهى المؤلف الوحيد للخليقة ! . . .

النقد التفسيرى للأدب

– ٥ –

للأستاذ عز الدين إسماعيل

٧ – والآن ، بعد أن عرفنا – بصورة سريعة – طبيعة العمل الفنى ، وأن الجانب الرمزى دائماً هو الذى يقدم إلينا فناً له صلة بأعمق قرارات النفس البشرية ، وما عرفناه من طبيعة هـذا الرمز الذى يظهر فيه أحياناً لامنطقية اللاشعور وأيضاً لا أخلاقيته ، فأظنه لم يعد من الصعب علينا أن نقول ما قلناه فى أول هذا البحث ، من أن الاتجاه الجديد الذى يجب أن نتجهه فى فهم العمل الأدبى هو الاتجاه التفسيرى القائم على الأساس النفسى ، وأن نتخلى عن الاتجاهين القديمين فى النقد ، وهما : اتجاه التقويم الجمالى ، واتجاه التقويم الخلقى . ففهمنا لطبيعة اللاشعور ونشاط اللاشعور يجعلنا نقبـل بسهولة عملا فنياً من الطراز الأول لا تبـدو فيه المقاييس الجمالية متوافرة ، أو يبدو لا أخلاقياً .

ذلك أن عمل الفنان الأصيل هو أن ينقل إلينا – بحسب رأى بيرت – تجربته الشعورية ، والتجربة لا تكون فى كل الأحيان جميلة أو خلقية ، فليس هـذا إلا جانباً واحداً من جوانب الحياة ، هو الجانب الذى يبدو إيجابياً . بيد أن الجانب الآخر – السلبى – لا يقل أهمية عنه ، والتجربة الفشلية لا تقل خصباً وامتلاء بالحياة عن تجربة نجاحية إن لم تفقها . فكل ما يهمنا إذاً من الفنان أن يقدم إلينا تجربة حية خصبة ، أو لنقل معاناة صادقة للحياة فى أى جوانبها . وعند ما يقوم الفنان بعمل فنى فإنه يقوم به لأنه لم يعد يحتمل ذلك الشعور الفائض – إذا أمكن التعبير . وهو بعمله يتخفف منه . ولكن العمل دائماً فى حاجة إلى صورة أو صور بارزة محسوسة كيما يستطيع الظهور بشكل مؤثر . والرموز هى هذه الصور التى يؤلف الفنان منها صورة كاملة لمشاعره المكبوتة . ومتذوق عمله عليه فهم هـذه الرموز وتفسيرها بعيداً عن أى فكرة تقويمية .

ونحن نعرف أن النقاد القدامى عابوا على ذى الرمة مطلع قصيدته :

ما بال عينك منها المـاء ينسكب
كأنه من كلى مفرية سرب(١)

عابوا عليه هذه الصورة القبيحة أولاً ، وعابوا عليه أن يواجه الخليفة بها ثانياً . وهم فى ذلك يعطوننا خير مثال لفكرة التقويم الجمالى والخلقى . وحق أن الكلى المفرية منظر غير جميل ، لا تهفو النفوس أو تتهافت لرؤيته ، وحق أن الخلق يأبى على شاعر أن يواجه خليفة المسلمين بهـذه الصورة التى تنال من نفسه ، ولكن الحكم على فن ذى الرمة من هذين الوجهين ، والانتهاء إلى ما قيل من فساد ذوقه وقبح صوره ، ظلم كبير للشاعر . وأحسن من هذا أن ننسى أن هناك خليفة يمدح ، وألا ننفر لأول وهلة من صورة الكلى المفرية ، ولنبحث فى ذلك القرار البعيد من نفسية ذى الرمة عن دلالة ذلك الرمز ، أعنى الكلى المفرية التى ينسكب منها الماء .

ذو الرمة هو الشاعر الذى عاش فى الصحراء وعاش للصحراء ، وقد جاب فلواتها ليلا ونهاراً بمفرده ، وسمع فيها عزيف الجن ، وعانى فيها ما يعانيه الوحيد فى جوف الصحراء . ولعله قد حدث له ذات مرة أن كان فى جوف الصحراء وقد اشتد به العطش ، وعند ما هرع إلى قرابه يستسقيه وجد أن خوارزه قد فسدت وأن الماء قد تسرب منها فلم يبق له ما يسد به رمقه . ولم يشأ ذو الرمة – فيما نرى – أن يشبه تسكاب الدمع من عين الخليفة بمزادة الماء المفرية ،

(١) ديوان ذى الرمة ص ١ .

وإلا لسكت على البيت الأول حيث تمت فيه أركان التشبيه الثلاثة . ولكننا نجده يترك التشبيه ليحدثنا — منساقاً مع شعوره الباطن — عن قصة هذه الكلى المفرية فيقول فى البيت التالى :

وفراء غرفيــــة أثأى خوارزها
مشلشل ضيعتــــه بينها الكتب

فقصة الكلى المفرية فى تاريخ ذى الرمة النفسى شيء عفور وليس مجرد صورة عقلية يرسمها الشاعر لعين الخليفة ، بل لعل ذا الرمة لم يأت الخليفة وفى نيته أن يمدحه بأن يشبه له عينه مطلقاً . ولم ينتبه لما انتبه إليــه النقاد من فساد الصورة جمالياً وأخلاقياً إلا لأنه لم ينتج فى حالة من كمال الوعى كالتى ينقدونه فيها .

ولنترك هــذا ونمض . ففى تلك الحال من العطش ، واللهفة إلى من يروى ظمأه يخيل إليــه أنه قد وصل إلى النبع ، أو قل يخيل إليه أن ركباً قافلا فى الصحراء قد أتاه بخبر من عند الحبيب يروى ظمأه ويشفى غليله ، وكان ذلك — فيما يبدو للشاعر — وهماً :

أستحدث الركب عن أشياعهم خبراً
أم راجع القلب من أطرابه طرب ؟

وإذاً فقــديماً أحس الشاعر وعانى الظمأ فى جوف الصحراء حين تسرب الماء من قرابه ، وقديماً أحس الشاعر وعانى الظمأ فى صحراء الحب حين تسرب أمله فى أن تأتيه أخبار الحبيب ، وبهــذا نفهم الرابط بين صورة القراب التالف فى البيت الأول والكلام عن الركب فى البيت الذى يليه . هناك قفزة ولا شك ، ولكن تفسيرها نفسياً — كما بينا — غير عسير .

فإذا جاء ذو الرمة الخليفة واستفتحه بهذه الأبيات وتلك الصور ، فليس لأنه جاء يتهكم وإنما نظن أنه قد جاءه وفى نفسه أنه سيقضى له حاجته وسيغدق عليه من عطاياه ، لقد نفد ماء حياته فى جوف الصحراء ، وجف ماء قلبه فى صحراء الحب ، وليس إلا أن ينقذه الخليفة وقد جاء شاكياً ضياع زاده فى صحراء تلك الحياة وهو فى وحدته لا يكاد يتماسك أو يجد سنداً له أو معيناً . وإذاً فهى شكوى مرة تلك التى أراد إليها الشاعر ، وليست — كما زعم — تهجماً على الخليفة أو فساد ذوق .

هذا مثل أسوقه تطبيقاً لما سبق من أفكار . ولعله قد اتضح منه مدى التغيير الذى سينال أحكامنا النقــدية القديمة إذا نحن سرنا على الأساس التفسيرى الجديد . والحق أن ذا الرمة مجال خصب لمثل تلك التطبيقات ؛ فقد اعتمد كثيراً على الرمز ، ويمكن تفسير شعره على هــذا الأساس . وكل صوره عن الصحراء هى من ذلك النوع الرمزى . ولا غرو « فقد كان الشعراء من قبله يصفونها من الخارج — إن صح هــذا التعبير — أما ذو الرمة فيصفها من الداخل ، داخل نفسه وروحه[1] » وقد امتاز بصفة الربط بين الصور المتباعدة ، وهى الصفة التى تدل دلالة واضحة على أن شعره يتم فى حالة لاشعورية حالمة ، وهو ما عرفناه فى طبيعة العمل الفنى الأصيل .

ولعل مثلا واحداً من هذا الشاعر لا يكفى ، فأحيل القارىء على ديوانه لقراءة القصيدة الأولى منه بتمامها ، وفيها يصور ذو الرمة مشاهد الصحراء الجامدة الهامدة حيــة نابضة . وأوضح ظاهرة فى هذه القصيدة هى ظاهرة الصورة المكتظة ، وهى نتيجة لصفة من صفات اللاشعور التى عرفناها وهى صفة التكثيف . ونعنى بالصورة المكتظة أن الشاعر يكون فى أثناء إحدى الصور ، فإذا به يلتفت فجأة فيقف ليصور جزئية من جزئياتها بصورة أخرى قد تستغرق منه أكثر مما تستحقه الصورة الأولى كلها فضلا عن جزئية من جزئياتها . فالصورة عنــده مركبة ومتداخلة . والشبه كبير بينه فى هذه الحالة وبين الشعراء السورياليين ، فهناك صورة أولية من داخلها صورة من داخلها صورة وهكذا إلى غير ما غاية . وحالة الاستغراق اللاشعورى هى التى تسلم إلى مثل هذه الصور . ولذلك يجب ألا نفهم التشبيهات عند ذى الرمة على أنها صور توضح صوراً . فليست التشبيهات عنــده مقصودة لذاتها ، وإنما هى رموز أو حالات نفسية تتوارد على اللاشعور فيبرزها دون أن يهدف منها إلى غاية .

يذكر لنا الشاعر فى قصيدته مثلا زيارة خيال محبوبته

---

(١) شوقى ضيف : التطور والتجــديد فى الشعر الأموى ص ٢١٦ (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٢) .

مىّ له وهو هاجع بجانب ناقته بعد ما ناله ونالها من فرط الإعياء والنصب من التجوال فى القفار ، ثم إذا به ينسى هذا الخيال الذى زاره ، وينسى نفسه إلا أن يكون :

أخا تنائف أغفى عنـــد ساهمة
بأخلق الدف من تصديرها جُلَب

وعندئذ تستوقفه هذه الناقة الساهمة التى أغفى عندها ، وتستوقفه طويلا فيأخذ فى تصويرها ويستنفد فى ذلك سبعة أبيات إلى أن يقول :

تصغى إذا شدها بالكور جانحة
حتى إذا ما استوى فى غرزها تثب

عندئذ يترك ناقته بدورها ولا يستوقفه منها إلا هـذا الوثوب الذى تثبـه ، وهو ليس إلا جزئية من جزئيات صورتها الكاملة ، فيأخذ فى تصويره فيقول وكأنه يشبه هذا الوثوب وما هو فى الحقيقة بتشبيه :

وثب المسحج من عانات معقلة
كأنه مستبان الشك أو جنب

ويستغرق قرابة ستة وعشرين بيتاً فى تصوير فيلم لهذا الحمار المسحج ، بمفرده ، ومع حلائله من الأتن ، وطيلة النهار ، وعند الغروب وقد أحست بالعطش فراح يحدوها لتروى ظمأها من ماء عين أثال ، ثم يصور عين أثال وقد وقف الكل عندها يمنعهم الخوف والذعر من نبأة آنسوها أن يردوا ، ويستبيهم خرير الماء فيردون . وإذا بالصائد المتربص يرمى ، فيخطىء ، فيفرون مسرعين يكاد الحصى يلتهب من سرعة عدوهم . وهنا ينتهى هذا الشريط الذى لم يدفع إلى تصويره إلا وثوب ناقته عند ما يستوى فوقها .

صور متداخلة يسلم بعضها إلى بعض كما تسلم أجزاء الحلم بعضها إلى بعض ، ولا ضابط لها من نظام أو ترتيب . يبدأ بصورة خيال محبوبته فإذا به ينتهى عنـد عين أثال يصور منظر الصائد وحمر الوحش . فـكل صورة تسلم إلى صورة إلى أن تلمس القفزة البعيدة فى الزمان والمكان بين الصورة الأساسية والصورة الفرعيـة . وهى قفزة بالنسبة للمنطق والعقل الواعى ، ولـكن الباحث لن يعدم الرابط النفسى بين تلك الأجزاء أو الصور المتباعدة بما يوفر للقصيدة وحدتها النفسية . ويخيل لى أن قراءة هـذه القصيدة من أولها إلى آخرها عدة مرات ينقصه قراءتها أيضاً ولو مرة واحدة من آخرها إلى أولها ، لأنها فى الأصل شعور واحد امتد امتدادات متداخلة ، أو بتعبير أوضح وأصح يتفرع بعضها عن بعض ، فـكان أولها مؤدياً إلى آخرها ، كما أن آخرها راجع حتما إلى أولها .

وقراءة شعر ذى الرمة تعطينا المثال تلو المثال لفكرة التكثيف اللاشعورى والارتباط الحر بين الصور والرموز التى تتألف منها هذه الصور . يحدثنا عن الليل وهو يتحدث عن النهار ، ويحدثنا عن النهار وهو يتحدث عن الليل ، ويرفع الأرض مكان السماء أو يضع السما مكان الأرض ، ويمزج لنا فى الصورة بين مياه الأنهار ورمال الصحراء . وهذا النوع من التأليف لا [illegible] فيه البتة منطقية . وإنما هو مثل الصور المنبعثة من اللاشعور عند ما تطفو على السطح فى حالة إغفاء لا [illegible] كما قيل — من الشاعر ، فتظهر فى نظام كأنه لا نظام .

عز الدين إسماعيل

إبراهيم عبد القادر المازنى

للأستاذ فتحى عبد العال بدر

[كان المازنى رحمه الله من أول رواد الفكر والأدب فى مصر ولكنه مات فكأن مصر لم تفقد علماً فذاً من أعلام نهضتها ، وهذه تحية كريمة لذكرى ذلك الأديب الكريم كما يذرف العابر دمعة عند قبر فى فلاة . رحم الله المازنى !]

مقدمة :

لكل وطن من أوطان العروبة لهجة خاصة به ، بل لهجات متعددة متباينة ؛ ولغة الكتابة فى هذه الأوطان غير لغة الحديث ... هذه حقيقة واضحة مسلم بها ، لا نستطيع إغفال ذكرها إذا أردنا أن نوفى هذا البحث حقه من الدقة والتحقيق . فإذا كنا نريد أن نكتب لأنفسنا وللخاصة ، أو خاصة الخاصة — وهم الأقلية — فنحن ، والحق يقال ، عاجزون عن بلوغ الهدف الحقيقى ، عن حمل رسالة الأدب .

فالأجدر بنا أن نخضع نتاجنا الأدبى لسنة التطور ، فنقربه إلى القراء جميعاً — على اختلاف نزعاتهم وثقافاتهم — فى ثوب جديد ملائم .. حتى يعم النفع به .

وفى سبيل تحقيق هذا ، علينا أن نعترف بالأدب الذى تفهمه الأمة جيداً ، ثم نوفيه حقه من الدراسة والتدبر ، لنعمل بعد ذلك على تنميته وإخراجه للأمة فى أصدق وأوضح صورة ... وإن يتم لنا هذا .. إلا إذا « طعمنا » الفصحى بأساليب وعبارات جديدة مشتقة من لغة العصر السائدة . أما إذا أصررنا على الكتابة بالفصحى القحة ، وحملناها ما لا تطيق ، وما لا يطيق أهل العصر ، فى سبيل الاحتفاظ بها كما هى — كما سلمها لنا أسلافنا — فستتباعد الشقة بين الأدب والأمة ... ولا معنى لهذا ولا فائدة فيما نعتقد ، وفيما يعتقد أديبنا المازنى ، الذى دلل عملياً على صدق هذه الدعوى بما أخرج للناس ...

إن اللغة لا يمكن أن تقف أو تتحجر عند شكل معين ؛ فلغة الجاهليين مثلا ، كانت وعرة غريبة حوشية ، بالنسبة للقرآن الكريم ، الذى نزل بلغة صافية ، فصيحة ، سلسة ، معجزة ، سجد لها العرب . ونستخلص من ذلك أن التمسك باللغة الفصحى الجامدة ، إخلاص أعمى .. ووفاء كوفاء الدبة فى حكايتها المشهورة !

ولنلق نظرة سريعة على بعض أدبائنا المعاصرين :

نرى (توفيق الحكيم) ، مثلا ، قد أراد أن يبعث الروح المصرى ، والقومية المصرية فى كتابه « عودة الروح » ، وقد وفق فى عرض فكرته ؛ ولكنه لم يمض قدما كما كان ينتظر منه ، بل وقف عند هذا الكتاب ، ولم يأخذ نفسه بالدأب على هذه الفكرة ، حتى يكون لها أنصار ومشايعون ... وكان توفيق الحكيم جريئاً متحرراً ، حطم العقيدة فى الأسلوب القديم ، وأتى بأسلوب جديد على قريب من مستوى عموم القراء ... ونرى أن هذا الأسلوب جدير بأن يحتذى .

أما (طه حسين) فقد حمل لواء التجديد منذ بعيد « فى الأدب الجاهلى » ، وانتهى إلى كتاب رائع قربه من الشعب ، هو « المعذبون فى الأرض » ...

هذا الكتاب يعد نموذجا يجدر بالأديب المصرى أن يسير عليه ، حين يحس بالحيرة متسائلا : فى أى موضوع يكتب ..؟

لقد أثبت طه حسين فى هذا الكتاب أن هناك كنوزاً مدفونة لم يقربها الأدباء المصريون بعد ؛ وعليهم — وقد فتح لهم عميدهم الطريق — أن يطرقوه ويركضوا فيه ...

أما المازنى ، رحمه الله ، فهو أديب متحرر الأسلوب ، وصاحب مذهب ، جديد مستقل فى الفن . فقد استطاع أن يخلق من (ألف باء) اللغة العربية فنا متميزا ، بمعنى أنه فيه أثبت فساد الاعتقاد القديم فى البلاغة والفصاحة .

خصائص أسلوب المازنى :

وفق المازنى إلى ابتداع أسلوب فريد يحمل فى طياته الفن الأصيل ، ويحمل أيضاً شخصية الكاتب الذى تحس به وهو يحدثك ، كأنه أمامك يحاورك ويتقرب إليك ، أو كأنه يجالسك ويؤانسك .. أسلوب يتميز عن غيره من الأساليب بالفكاهة الأصيلة فى شخصية المازنى نفسه .. فالمازنى الكاتب هو المازنى الذى نعرفه فى حياته الخاصة ، يكتب كما يعيش ، ويتكلم ، ويتنقل . فكاهته غير مفتعلة ولا مصطنعة ، ولا معتمدة على النكتة ، ولكنها تعتمد على الوصف البسيط الحقيقى .. الوصف الدقيق لكل صغيرة ودقيقة من مشاهداته . لهذا نعتبر أسلوبه تفصيليا ، لايعتمد على الكلمات الضخمة ، التى تحمل معانى كلية عامة .

وهذا الأسلوب التفصيلى جعله يطيل أحياناً ، فلا يأبه ولا يمل من وصف شخصية من شخصياته ، أو مشهد من مشاهده ، فى صفحات طوال ، غير عابىء بأثر ذلك فى مزاج القارىء .. فهدفه الرئيسى هو أن يصف بدقة ، وأن يحلل كل الدقائق التى رآها وأحسها ، وكأنه يخشى أن ينسى شيئاً ، أو أن يوصف بأنه غير أمين فى الكتابة .

وقد اعتقد البعض أن المازنى (سطحى) فى أسلوبه ؛ وهذه العبارة ، فضلا عن أنها ليس لها مضمون ، فهى حكم خاطىء .. لأن المازنى يحلل بعمق ودقة .. ويشهد على ذلك آراؤه فى الحياة ، وتحليله للشخصيات ووصفه لها .

وربما كان الدافع على هذا الاعتقاد هو ميزة أسلوبه السهل السلس ، الذى يتكون من كلمات عادية — غير مبتذلة — من مفردات اللغة ، وفى ذات الوقت ليست بكلمات حوشية غريبة ، تنفر ذوق القارىء .

ويمتاز أسلوب المازنى أيضاً بالاستطراد ، والانتقال من موضوع إلى موضوع آخر بغير تمهيد .. ونعلل هذا بأن المازنى لا يأخذ نفسه بقواعد أدبية فى العمل الأدبى الذى هو بسبيل إخراجه .. وقد يكون هذا الاستطراد نتيجة لأنه ذاتى فى كتاباته ، يريد أن يعبر ويصور ويفرغ كل ما عنده ، لينقل للقارىء أدق وأشمل ما شهده وما تراءى له .. بصرف النظر عن الملل الذى قد يصيب به القارىء ، وعن الشرود الذى يبدو فى كتاباته . وهذا يدل على أن المازنى يؤثر أن يكون فناناً خالصاً ، لايخضع لقاعدة معينة ، تقيد من شطحاته ؛ فهو يأبى أن يخضع أو يصغى لصوت النقد فى استطراده .. والخلاصة أن المازنى لا يرى أن هناك قواعد فى النقد الأدبى تمنعه من الاستطراد ، بل إن الأديب أو الفنان فوق هذه القواعد ، وإنه بإنتاجه وبأدبه يخلق هذه القواعد .

والمازنى أديب موهوب ، مرهف الحس ؛ تحفر الذكريات فى ذهنه فلا ينساها ، بل تنساب فى نفسه وتموج وتكبر وتتسع ؛ حتى ينشىء منها فلسفة يخرجها للناس ..

وهو عاشق للجمال ، متعبد للحسن ، مثالى .. يتأمل فى الطبيعة بعمق ، ويصدر الأحكام كفيلسوف . يقتحم الحياة ويبنى فلسفته على أساس من تجاربه ، ومن مشاهداته وخيالاته . رأى المازنى فى صغره — كأغلب الأطفال — « صندوق الدنيا » ، فكان يتفرج ويسعد بهذا الصندوق وهو صغير ، وكان يرى الدنيا كما يقدمها له هذا الصندوق : جميلة ، ساذجة صغيرة .. لا يحفل بها ككل الأطفال .

ولكنه حين كبر ونضج ، رأى أن عليه أن يحمل هو (الصندوق) ، ويصور فيه الدنيا كما يراها ... إن المازنى قد حمل الصندوق ، ليقدم من خلاله الدنيا ، وليقدم تجاربه وحياته كأديب . يقول المازنى* : « .. كنت أجلس إلى الصندوق ، وأنظر إلى ما فيه ، فصرت أحمله على ظهرى وأجوب به الدنيا ، أجمع مناظرها وصور العيش فيها ، عسى أن يستوقفنى نفر من أطفال الحياة الكبار ، فأحط الدكة ، وأضع الصندوق على قوائمه ، وأدعوهم أن ينظروا ويعجبوا ويتسلوا ساعة بملاليم قليلة ، يجودون بها على هذا الأشعث الأغبر ، الذى يشبر فيافى الزمان ، وماله منقلب سوى آماله وهى لوافح ، أو نجم سوى ذكرى نورها خافت ... »

وهو فى فلسفته عن الحياة متألم عميق الألم ، يقول* : « ... ولكن الناس خلقاء أن يذكروا أن الحياة ثقيلة على الكاتب . وأنه لعل فى نفسه جرحا ، وفى صدره قيحاً .. وأنه عسى أن يكون ممن يودون لو يضحكون ويضحكون غيرهم .. ولكن هموما تجثم على الصدر ، وتقلص الوجه

(*) مقدمة كتابه « صندوق الدنيا » .

رياح وشموع

للشاعر كمال نشأت

للأستاذ محمود فتحى المحروق

بهذا الاسم أصدر الشاعر المصرى الأستاذ كمال نشأت مجموعة شعرية رقيقة تضم سبعاً وعشرين قصيدة من الشعر الوجدانى الفواح ، وقد قدّم لها بإلمامة يسيرة استعرض فيها التطور الذى لحق الشعر العربى منذ أحس نفر من الشعراء بوطأة القيود التى ظل يرزح تحتها الشعر قروناً طويلة ... فكان أن حطموا القيود ونثروا الأشلاء بدداً فى الفضاء يوم ذاقوا أول رشفة من خمرة الآداب الأجنبية .

إذاً فالشاعر من دعاة التجديد ، وإذا ما قلنا التجديد فنعنى التجديد فى المشاعر لا فى الظواهر ، فى الأصول لا فى الأصباغ ! فهو من (الذاتيين) الغنائيين فى مشاعرهم وعواطفهم وأفكارهم ، وحين تقرأ هذا الشعر لا تجد فيه غير الغناء ... الغناء الشجى الساحر الذى يلونه الشعور بظلال الفكر المتوهج الألاف ! ...

إستمع إليه فى قصيدته (ربيعى) :

سألتْ وما تدرى خفى مشاعرى
ماذا تحسُّ من الربيع الباكر ؟
فأجبت : فى قلبى ربيع خالدٌ
لا بضع أعشاب وبضع أزاهر
هو فى دمى حسٌّ تعانق والمنى
فرأى خفايا للجمال الآسر
وتجمعتْ فيه مفاتن عالم
ما شامهُ إلا فؤاد الشاعر

وتطفىء لمعة العين ، وتحبس البشر الذى يريد أن ينطلق »

ونراه فى هذه الأقوال وغيرها يتحسر على نفسه ، ويحس بمرارة عميقة ؛ ولكن هذه الحسرة لم تحطمه ، بل فعلت به النقيض ، فانطلق يحدثنا عن الحياة بأسلوب ضاحك ساخر ، ولكنه لا يخلو من الحسرة التى رسخت فى نفسه .

وفى (إبراهيم الكاتب) يخلو المازنى إلى نفسه ، ويناجى الطبيعة والسماء ، ويتكلم عن الحياة بعبارات تقطر حسرة ومرارة ، وتكشف عن نفسه اليائسة .. ولكنه سرعان ما يلتفت إلى الحياة ويضرب فى خضمها غير آبه ، ويقبل على الدنيا فى بشاشة وائتناس ، ينهل منها ويفلسفها . بل يضطرب فيها فيأخذ ملذاتها وآلامها كجميع الناس ، ثم يخرج منها بفلسفة عدم الاكتراث ، وبذلك يغطى تشاؤمه بغلاف من السخرية ومن اللامبالاة .

ولقد كانت الجرأة كافية عند المازنى لأن يصرح بعيوبه الجسمانية والخلقية ، ليتحرر منها ، ولا يجعل لها سلطاناً على سلوكه وشخصيته . . وتعتبر هذه الجرأة قوة فى شخصية المازنى . والذى نراه أنه ربما أراد بذلك أيضاً أن يقضى على العقد النفسية التى تتكون عند بعض الناس بسبب ما يصيب ، أو ما قد أصاب ، تكوينهم الجسمانى من عاهة أو تشويه ونحو ذلك .

يرحمه الله ! لقد مات وترك مكانه شاغراً ، لم يملأه أديب بعده . . .

مات . . وقد كانت مصر تنتظر منه أن يكون أديبها الذى (يبنى لها القصور) ، بعد أن أضناه قطع الصخور ، وتفتيت الوعور . . .

مات هذا الأديب ... الذى كان يحس أعمق الإحساس بآلام البشرية .

مات . . . وقد كان يطوى بين جنبيه آلاما ممضة ، ويضحك الناس ويسرى عنهم على الرغم من ذلك .

كان قلبه مليئاً بالألم ، عامراً بالأسى . . ولكنه احتفظ لنفسه بالألم والأسى . . وأعطى للناس الفرح والغبطة . . يرحمه الله !

(السويس) فتحى عبد العال بدر

إنها تسأله عن أثر الربيع فى نفسه وقلبه ، وليتها درت أن هذا الربيع الذى يمثله الروض فى عشبه وزهره ونضرته وزخرفه لا يعنيه أبداً ، بل لا يحس له أثراً فى نفسه ومشاعره ، لأنه لا يلبث أن يسحب عليه الذبول ستار الفناء ! ... أما ربيعه هو ... ربيع الشاعر ، فكائن بين جوانحه ... فى قلبه الذى يخفق بالحب ؛ فربيعه خالد لا يفنى لأن الحب خالد !... فهذه العاطفة الإنسانية الخالدة هى التى تجدد له الحياة وتجعل كل شىء فى نظره جميلا مستوياً لا نفور فيه .. وحتى فى الخريف فربيعه أقوى وأسمى من أن تؤثر عليه العناصر :

أنا فى الخريف أرى الربيع معطراً
غرداً فيلهم بالحنان مزاهرى

وما دام قلبه يتدفق بالحب فهو يجد الربيع فى كل شىء :

فى البحر .. فى القفر الجديب.. وفى لظى
بين الجوانح ... فى ظلام مغاور
أنا فى ربيع خالدٍ لا ينتهى
إلا إذا خمدت حرار مشاعرى

واستمع إليه فى قصيدته الرائعة (بحيرة البجع) يقول منها :

آه لو كنت فى رحابك عطراً
فى زهور على غصون وريقه
آه لو كنت ريشة فى جناح
لطيور منعمات رشيقه
آه لو كنت فى مياهك ظلا
غائصاً يرتجى الزهور الغريقه
كم تمنيت أن أكون ... وما كنت
سوى مهجةٍ بأسر الحقيقه

إن قلبى ليرتعش رهبة أمام هذه الصوفية العميقة ... أمام هذا الفناء الذاتى فى الطبيعة الحالمة ... أمام هذا الحب الكلىّ الطاغى العنيف !

إنها ساعة تهز فؤادى
بخيال يضلّ دوماً طريقه
وعجيب شقاء مَنْ ورث الأر
ض وذاق الحياة كأساً عتيقه
إنه معجز المآثر لكن
هو مازال فى القيود الوثيقة !

يا للشاعر ... ! إن خياله الجامح الطليق كثيراً ما يجسم له عبودية الحياة فيرتفع به عن الأرض ، ويسمو على نفسه ، وينكر وجوده على هذا الشكل ! القيد المزرى ، ... فيتمرد ويثور ... ويتمنى بكل جوارحه أن يكون أى شىء آخر... عطراً ... ريشة ... ظلا ... صباحاً ... سكوناً... ظلاماً ... ، أى شىء يشعره بنعيم الحرية والانطلاق ... ، وإذ هو فى غمرة أحزانه الروحية يحس فجأة بثقل القيود فتجره روابط التراب ... ويهوى إلى الأرض ململماً نثار أحلامه البيضاء ! ... فهذا الإنسان ... هذا العالم الأصغر الذى يدل بمعجزاته ومآثره وآياته ... هل يستطيع أن يحطم أغلال نفسه وينتصر على عبوديته ؟

ولنأت الآن إلى قصيدته المحلقة ... نبع وقطرات ... فاستمع إلى قوله :

كنت فى عمرى الغرير نهيراً
يرهب البحر ذا العباب العتىّ
ويخاف الأعماق فيه ويخشى
من فناء فى لجه الأزلى
فإذا بى الفناء والخلد والليل
وإشراقة الصباح الوضى

والذى يلمس الإله بجنبيه ... يشيم الإله فى كل شى ! فى ارتعاش الغصون . فى بسمة الطفل .. وفى آهة بقلب بغىّ فى صلاة النساك .. فى حانة اللهو .. وفى دمعة البئيس الرضىّ والسعيد السعيد من وجد الكون على قلبه الكبير النقى والسعيد السعيد من عانق الصمت على قمة الخلود الفتى

حيث يلتقي الحياة تعتنق الموت فلا فرق بين ميتٍ وحي !

إنه الحب ولا شيء سواه ، الحب الكليّ . . . الحب الذي يستوي في ميزانه كل شيء . . . الحب الذي هو الشعور بوحدة الوجود ! فعلى هـذا المذهب الإنساني بنى الشاعر أغلب قصائد الديوان ، ومنها هذه القصيدة المضمخة بأريج الإنسانيـة الخالدة الزاهرة ! فهو يدعوك أن تحب كل شيء . . . لأنك تمثل كل شيء . . . ولأن كل شيء في ذاته يرجع إلى جوهر واحد أصيل مهما اختلفت الظواهر وتباينت الجوانب ! . . .

والذي يلمس الإله بجنبيه يشيم الإله في كل شيّ !

إنها لفتةٌ ذهنية بارعة أودعها الشاعر في هـذا البيت الرائع الذي يمثل (وحدة الوجود) أصدق تمثيل !

واستمع إلى غنائه العذب المتدفق في قصيدته (ذكرى) :

سأذكرها وأذكر مقلتيها فـكم من قبلة سجدتْ عليها
وكم شربتْ ظلالا من حنيني يجسّدها العناقُ بوجنتيها
وكم أفقٍ طويت وكم زمانٍ إذا نامتْ يدي في راحتيها

* * *

وبعد ، ففي الديوان قصائد أخرى رقيقة تمتاز بطابع القوة في حسن الأداء ورقة الألفاظ واتساق الأنغام وتلوين الأجواء ونضج التجربة والفكرة ، كقصيدة « إلى البحر » و « حديث فراشة » و « يقظة الرماد » و « رياح وشموع » و « أوهام الخال » وغيرها . . . ، ولستُ أعني أنّ كل قصائد الديوان تخلو من الهفوات والمآخذ ، فهناك كثير من الهنات والتعابير النافرة سنذكر بعضها ونترك البقية ليصححها الشاعر بنفسه . . .

فلقد أورد الشاعر بعض التعابير الغريبة التي لا تترك في الذهن إلا صوراً مشوشة مضطربة ، كقوله : (عطر الشعاع) و (زَمَر الملل) و (الشمم المجنح) . . . الخ ، ثم هناك بعض الهفوات اللغوية منها قوله في قصـيدة (بحيرة البجع) :

والجناح (النصوع) في لونه الأبيض
فلك يسـير في اسـتبطاءِ

والصواب : نصيع وناصع ، أما نصوع بضم النون ، فهو مصدر .

ثم قوله في قصيدة (نسمة الفجر) :

يازفرة الفجر الوليد و (غنوة) الروض النضير

والغنوة بمعنى الغنى واليسار والاكتفاء ، يقال : (له عنه غُنوةٌ) أي غنى ، ولا يصح أن تستعمل بمعنى الأغنية .

وقوله في قصيدة (رحلة في الظلام) :

و (دَوَى) الرعدُ فانتبهتُ وشيكاً
وإذا بي كالبلبـــل المسجونِ

وقد أورد الشاعر لفظـة (دوى) بتخفيف الواو وصوابها بالتشديد .

ثم قوله في قصيدة (مارسيان) :

في المساء الرهيفْ أفتــح النافذهْ
حيث دفء الخريفْ والرؤى (الحافزهْ)

ففي البيت الثاني عيب من عيوب القافية يسمى (الإجازة) ، إذ أن رويّ القافية هو الدال لا الهاء .

وبالرغم من هـذه المآخذ اليسيرة التي لا غنى لنا عن ذكرها نجد قيمة الديوان باقية ، وما فيه من الشعر الحيّ الصادق يدفع بدرسه وتحليله .

وختاماً أشكر الشاعر هـديته ، وله مني الإعجاب والتقدير .

الموصل — السراجخانة محمود فتحي المحروق

صوت الهند

أهدت إلينا مجلة (صوت الهند) عددها رقم ٦٩ بمناسـبة دخولها في عامها الرابع ، وهي بهذا تبدأ عهداً جديداً من التقـدم والارتقاء سواء في مادتها وموضوعاتها . فنتمنى لها التوفيق في خـدمة العالم العربي الذي تعمــل جاهدة على أن تنقل إلى أبنائه كل ما يجيش في قلوبهم من خلجات ومشاعر حيال يقظتهم الإصلاحية والاجتماعية .

اعترافات «چان چاك روسو»

فى نظر سانت بيف

للأستاذ مبارك إبراهيم

ولد « شارل أوغسطس سانت بيف » الكاتب والناقد الفرنسى المعروف عام ١٨٠٤ ومات عام ١٨٦٩ .

ويؤثر عن الأديب الانكليزى « لورد مورلى » (چون مورلى ١٨٣٨ — ١٩٢٣) وهو الذى ألف كتاباً ضمنه سيرة روسو أنه قال : إن تعلم اللغة الفرنسية يسهل فى سبيله كل صعب إن لم يكن لشئ فلقراءة كتب القادة «سانت بيف»

والقارئ لكتاب « سانت بيف » الذى سماه « أحاديث يوم الاثنين » يجد فيه أبرع ما كتبه الكاتب من مقالات . ومن مقالاته تلك : هذه المقالة التى نوجزها فيما يلى . والتى كتبها عن اعترافات روسو . وضمنها فقرات مختارة من تلك الاعترافات .

والقارئ لهذه المقالة يصيب غرضين هما : التعريف بأسلوب الكاتبين ، وبمناحيهما فى القول والكتابة .

وقد ولد چان چاك روسو عام ١٧١٢ ومات عام ١٧٧٨ وهو الكاتب الذى عُد كتابه : « العقد الاجتماعى »إنجيل الثورة الفرنسية . وقد تميز روسو بأنه قد أوتى عبقرية جعلته نسيج وحده فى التخاصم مع أخدانه وإخوانه . كما تميز بأنه كتب اعترافاته فى صراحة لم يبلغ مداها من قبل أحد . فقد كشف فيها عن ذات نفسه كشفاً كاملا .

وروسو هو القائل : لقد ظننت دائماً ومازلت أظن أنى فوق الناس كلهم . وقائل هذا القول هو الذى يكشف عن مساوى نفسه فى ابتهاج المبتهجين واغتباط المغتبطين . وهو الذى يرى أن ليس فى هذه الدنيا إنسان لا يخفى فى أطواء نفسه رذيلة من أشنع الرذائل .

وقد وصفه الناقد الانجليزى سانتسبرى بقوله : إنه الوصاف لأهواء القلب الإنسانى ، ولكل ما احتوته الطبيعة من ألوان الجمال . وهو الملهم إلهاماً مباشراً لأولئك الرجال الذين أضرموا نار الثورة الفرنسية . فقد لقيت كلماته التى تفيض حماسة عن المساواة والإخاء أرضاً خصبة فآتت أكلها ضعفين

والقائل فيما يلى هو « سانت بيف » .

إنه وإن تكن الاعترافات لم تنشر على الناس إلا بعد موت روسو وإلاّ بعد أن أصبح اسمه ملء سمع الدنيا . فهى اليوم الوثيقة الوحيدة التى نستطيع أن ندرس فيها روسو بمحاسنه ومساوئه . وسنحاول هذه الدراسة ملتزمين — ما وسعنا الجهد — ما التزمه الكاتب من صراحة فى القول ، غير منكرين على أنفسنا حقها فى إبداء بعض الملاحظات على آراء الكاتب وعلى مميزات سلوكه .

وروسو هو القائل :

ليس أحد بقادر على أن يكتب حياة المرء مثل نفسه . ذلك لأن المرء هو وحده الذى يعرف خفايا نفسه . ولكنه حين يريد أن يدون ما تنطوى عليه نفسه يغشى تلك الخفايا بغشاء من الكتمان . وهو باسم الترجمة لحياته يكتب اعتذاره عن مساوئ تلك الحياة . وهو يصور نفسه كما يريد أن تكون ، وليس كما هى كائنة فعلا .

وأصدق المترجمين لحياة أنفسهم هم صادقون حقاً فى أكثر ما يقولون . ولكنهم يكذبون بكتمانهم لبعض الحقائق ، وهم بقولهم الحق منقوصاً كأنهم لم يقولوا شيئاً . وإنى لأضع « مونتانى » على رأس قائمة أولئك المنافقين ، المخلصين فى نفاقهم . والذين يحاولون خدع الناس بقولهم الحق منقوصاً . وقد كان «مونتانى » يكشف عن مساوئه . ولكنها المساوئ التى تبعث على الابتهاج . وهل فى الناس من برئت نفسه من بعض المساوئ الشنيعة ؟ .

« مونتانى » يرسم صورة بينها وبين نفسه شبه قريب ولكنه شبه من ناحية واحدة . ومن يدرى ؟ فلعل فى الناحية الأخرى التى يخفيها ندوباً على الخد ، وعيناً قد عميت وكف بصرها . ولو صور هذه العيوب لتغيرت ملامحه التغير كله ..

و « روسو » بقوله هذا يزعم أنه قد فعل ما لم يجرؤ على فعله من قبل أحد . أما أسلوب الكتاب فهو يزعم أن من واجبه أن يصطنع أسلوباً جديداً جدة تلك الاعترافات . أسلوباً يلائم ما فى اعترافاته من تغاير وتنافر .

وهو القائل :—

« إذا أنا حاولت أن أخرج للناس كتاباً فيه من العناية والتدقيق ما فى كتب الآخرين فإنى لن أصور نفسى ولكنى سوف أخفيها . وأنا أريد أن أرسم صورة ولست أريد أن أكتب كتاباً . وأنا أريد أن أرسم تلك الصورة فى داخل الغرفة المظلمة من « مرسم التصوير » . ولن تحتاج تلك الصورة إلى شىء من الفن أكثر من تتبع الخطوط التى أراها بادية للعين . أما الأسلوب فلن أبذل شيئاً من الجهد لتنسيقه وتنميقه . وسأترك نفسى تجرى على سجيتها فى الكتابة ، وسأغير من أسلوبى كلما دعا داعى الفكاهة .

وسأدون كل خاطرة من خواطرى كما أحس بها وكما أراها . دون أن أجرى وراءها ودون أن أتقيد بأى قيد . ودون أن أحاول تزويقها .

وعند تدوين كل خاطرة سأتبعها بوصف حالتى النفسية فى اللحظة التى خطرت فيها تلك الخاطرة ، وفى اللحظة التى أدونها فيها . وسيكون أسلوبى طبيعياً ، يسرع الخطى تارة ، ويمشى وئيداً تارة أخرى . وهو تارة فيه رصانة ورزانة . وهو تارة فيه إسراف وهوج . ومهما تكن الحلة التى سوف يبدو فيها كتاب اعترافاتى فإنه سوف يكون كتاباً نافعاً للفلسفة والفلاسفة .

وإنى لأعيد القول أن كتاب اعترافاتى هو وثيقة تصلح أساساً لدراسة القلب الإنسانى . وهو الكتاب الوحيد من نوعه فى الوجود » .

وليس يلام « روسو » على أن يظن بنفسه أنه قد أتى بما لم تستطعه الأوائل يوم رفع الصوت مدوياً يعالن الناس بما اقترفه من ذنوب وما اجترحه من خطيئات . وأن عمله هـذا كان له الأثر أكبر الأثر فى دراسة القلب الإنسانى . ولكنه يلام كل اللوم على أن يظن بنفسه أنه قد أتى أمراً نافعاً مستحباً .

وكان مثله فى ذلك مثلَ الطبيب الذى يشمر عن ساعد الجد فيكتب — فى خط غير مقروء — وصفة قد ألبسها ثوباً مبرقشاً من أثواب الخيال ليتداوى بها سكان الدنيا جميعاً من وباء قد توطن ، أو من مرض عقلى قد استعصى على العلاج

مثل هذا الطبيب يصبح مسئولاً عن كل نكاس يصاب به أولئك المرضى . كما يصبح مذنباً فى حق كل معتوه ومجنون قد تأثر بقراءته لتلك الوصفة أو سمع بها من أحد المجانين من أنداده .

والصحائف الأولى من الاعترافات قد بولغ فى العناية بها . وبذل فى سبيل كتابتها الجهد أكبر الجهد . وإن كان فى بعض تلك الصحائف نقص أو فراغ فإن وجوده يرجع إلى ضعف فى الذاكرة (والمعروف أن روسو قد كتب اعترافاته فى ست سنوات من عام ١٧٦٥ إلى عام ١٧٧٠ . وكان يوم بدأ تدوينها فى الثالثة والخمسين من عمره . وهو فى ذلك الحين كان يشكو ضعفاً فى جسمه وعقله . ومن ثم برزت تلك الخصائص التى تميزت بها اعترافاته كصراحته التى ما كانت تدعو إليها الضرورة فى بسط قصص حبه . وفى ذكر أسماء حبيباته . وإذا عرف الناس أن تلك القصص إنما كانت من وحى الخيال فإن روسو يكون قد أتى جريمة نكراء) .

وقد ولد روسو وفى طبيعته القلق . وفى جبلته الضيق بكل شىء .

وقد زادت الأيام — كما يقول — هـذا القلق تأصلا . وهذا الضيق رسوخاً وتمكيناً . ولكنه قد أوتى إلى ذلك بساطة تخلب اللب .

وروسو هو القائل :

لقد بدأت أحس قبل أن أبدأ التفكير ؛ وهذا هو النصيب المقسوم لكل بنى الناس . ولكن نصيبى كان أكبر من نصيب أى فرد من أفراد بنى آدم ؛ ولست أعرف ماذا فعلت قبل أن أبلغ الخامسة أو السادسة من عمرى . ولست أعرف كيف تعلمت القراءة . وكل ما أذكره هو قراءاتى الأولى وما كان لها من أثر فى نفسى ؛ وكانت أمى قد خلفت لى بعض القصص . وقد بدأنا — والدى وأنا — نقرأها بعد العشاء . وكان الهدف من القراءة هو تمرينى على القراءة بواسطة كتب مسلية .

ولكن سرعان ما أصبحت القراءة ضرورة لا بد لنا

منها . حتى لقد كنا نتبادل القراءة فى غير انقطاع . وكثيراً ما كنا نقضى الليل كله فى القراءة . ولم نكن نكف عن القراءة حتى نفرغ من الكتاب بأكمله . وكان والدى أحياناً يستغرق فى القراءة حتى يسمع زقزقة العصافير وقد دلت على الصبح . فيقول لى وقد بلغ الخجل منه مبلغه : اذهب إلى فراشك يا بنى . وإنى لأقرر أنى أكثر منك إلماماً بأخلاق الطفولة ...

وليذكر القارئ جيداً كلمة «عصفور» فإننا سنرى أن « روسو » هو أول من بعثها من مرقدها ، وأول من بثها فى ثنايا اللغة ، وهو أول من بعث فى أدب القرن الثامن عشر الإحساس بالطبيعة ، وبالحياة المنزلية لدى الفقراء والأوساط ، الذين تنطوى حياتهم على ذخائر وكنوز من الفضائل الحلوة العذبة .

وإذا كنا نلاحظ فى شىء من الأسى والأسف أن « روسو » قد نبش حقول اللغة ، وشق أرضها ، وجعل عاليها سافلها ، فإننا يجب أن نضيف إلى ذلك أنه ألقى فيها البذر وأمدها بالمخصبات .

هذا وإننا لنجد رجلا من صميم القوم الارستقراطيين قد تتلمذ على « روسو » ومشى بنوره . ذلكم هو « شاتوبريان » الذى اقتفى آثار « روسو » وكتب اعترافات له فيها سحر وفيها ألوان من الغرابة .

ولكن على قارىء الكتابين : اعترافات « روسو » واعترافات « شاتوبريان » أن يلاحظ الفروق . فروسو لم يرزق عراقة الأصل ، ولم يؤت عزة المكانة ، وهو لم يكن أحد أولئك الذين ولدوا فى مهد أولى النعمة ، وهو قد كان به ميل إلى الرذائل الدنيئة ، وهو قد كان له نزوات حب يخفيها ويستحى من إعلانها ، وهى كلها مثالب يأباها وينكرها الرجل النبيل .

وهو قد كان فريسة لخلة الجبن والتهيب ، وهى تلك الخلة التى استحالت عنده على حين غفلة إلى سلاطة ووقاحة ، وصيرته رجلا من الأراذل حيناً وإلى رجل لا يصلح لشىء أحياناً .

وهو فى الجملة لم يكن له من نفسه واق من الشرف ، ولا كذلك « شاتوبريان » الذى كان له من طيب منبته ، وشريف أرومته حارس يسهر عليه منذ طفولته ويوقيه شر الخطيئات .

ولكن « روسو » على الرغم من كل هذه المثالب والنقائص التى لا نتورع عن ذكرها بأسمائها التى سماها بها هو ، أسمى من شاتوبريان من الناحية الإنسانية .

وهو أكثر رقة ودماثة . فأنت تراه إذا جاء ذكر ألوان الأذى التى ألحقها به والده الذى يقول عنه إنه كان رجلا شريفاً على الرغم من أنه كان قد أسلم للذات قياده ، وأنه كان رجلا لا يفكر فى الغد ، وأنه تزوج مرة أخرى ، وأنه هجر ولده وتركه لتصاريف القدر . أقول إذا جاء ذكر ألوان الأذى التى ألحقها به والده مسها مساً رفيقاً على الرغم من شدة وقع ذلك الأذى !

ولم تكن رقة قلب « روسو » بتلك الرقة التى اشتهر بها الفرسان . بل إنها رقة مبعثها القلب . وهى الرقة التى تجمع بين صفتين : خلقية وإنسانية .

وقد كانت كلمات « روسو » يبدو عليها دائماً أثر ما خلفته السنون من أصداء النغم الآثم ، وإنى لأعرف فى لغة « روسو » ضربين من الفساد : الأول هو لهجته الإقليمية ، وتكلمه بلغة رجل فرنسى قد ولد خارج الديار الفرنسية ، فتراه لا يعبأ بقوانين اللغة التى يسهر القوم جراها ويختصمون .

والضرب الثانى تعرفه إذا سمعته يتكلم الفرنسية وهو يطيل تشديد الحروف ، وهو يلفظها فى صوت غليظ أجش وكأنه الرعد فى دويه .

ويبدو أن « روسو » ما كان يتوهم أن هناك تعبيرات لا ينبغى أن ينطقها اللسان أو يجرى بها القلم ، وذلك لما تنطوى عليه من سخر وسخف وبذاء .

و « روسو » لم يكن مفتناً فى اللغة فحسب . بل كان أستاذاً فى صنع الكلمات .

وإن القارئ ليلمس أثر الالتحام فى بعض المواضع من كلماته .

أما فى المسائل الخلقية فقد مر فى أيام شبابه بمختلف تطورات الحياة ، وقد كان يستطيع أن ينطق بأفحش القول دون أن تنثنى نفسه ... ولست بقائل شيئاً أكثر من هذا

عن هذه الرذيلة المتأصلة ، وعن هذه الوصمة التى تشمئز منها النفوس ، والموصوم بها كاتب من كبار الكتاب ، ووصاف من كبار الوصافين .

ومن أوصاف « روسو » أنه كان بطيئاً فى تفكيره . سريعاً فى إحساسه ، وقد ظل يعانى كل يوم آلاماً وقيوداً حتى بلغ السادسة عشرة من عمره وهو يصف نفسه فيقول :

« وهكذا بلغت السادسة عشرة من عمرى وأنا قلق مضطرب ، وأنا غير راض عن نفسى ، وعن كل شىء ، وأنا لا أعرف مسرات الحياة التى يعرفها لداتى وأندادى ، وأنا أبكى لغير سبب ، وأنا كثير التنهدات دون باعث أو موجب .

وكان أندادى يدعوننى كل يوم أحد بعد الصلاة لأشاركهم اللعب ، وكنت أسر السرور كله لو استطعت أن لا أجيب الطلب ، ولكننى كنت إذا بدأت اللعب معهم أصبحت أكثرهم غلواً فى اللعب وإصراراً ، ومشيت فى الشوط إلى أبعد مما يريدون ، وكنت فى ذلك صعب المراس فى البداية ، صعب التوقف فى النهاية » .

و « روسو » يريد أن يقول إنه كان لا يعرف غير طرفى كل الأمور ، وهو القائل : —

« كان فى طبعى اندفاع ونقص فى الاتزان . فكنت يوماً صخاباً مرحاً ، وكنت يوماً صموتاً مكتئباً ، وكنت أجمع حولى أندادى الصغار ثم لا ألبث أن أهجرهم على حين غفلة ، وكنت أحياناً أجلس فوق السطوح أفكر فى السحاب العابر . أو أنصت إلى صوت المطر وهو يهطل فوق أوراق الشجر » .

وروسو هو القائل أيضاً :

« إن فجر العمر كفجر النهار ملىء بالنقاء وبالتناسق »

والجزء الأول من كتاب « روسو » ليس بأكثر أجزاء الكتاب حظاً من الإبداع ، ولكنه يرينا صورة كاملة من « روسو » بغروره وخطيئاته وهى فى براعمها ، وفكاهاته فى غرابتها وخشونتها ، وأعماله الدنيئة القذرة فى تعدد صنوفها واختلاف ألوانها . كما يرينا أيضاً كبرياءه واستقلال نفسه وعظمتها التى ارتفعت به من حضيض خطيئاته ، كما يرينا غاراته على المجتمع ، وألوان انتقامه وثاراته

أما الجزء الثانى من كتابه فإنا نراه مليئاً بالجدة والنضارة ، وفيه نرى « مدام فارنس » لأول مرة . و « روسو » فى وصفه لتلك المرأة يبدو أسلوبه مصطبغاً بصبغة الرقة والظرف ، وفى هذا الجزء نكشف عن لمحة من ملامحه التى تمثل إحدى خصائصه ، وأعنى بها حب الشهوات ، وقد وصفه أحد النقاد فقال : —

لقد كان لروسو عقل شهوانى ، وقد لعبت النساء دوراً هاماً فى حياته ، وسواء فى الغيبة أو فى الحضور فقد كان لفاتنهن الأثر أكبر الأثر فى الإيحاء إليه ، وفى ترقيق الخشن من طباعه ، وفى امتلاك لبه ، وإنك لترى أشياء منهن تختلط بكل ما يكتبه .

و « روسو » هو القائل يوم التقى « بمدام فارنس » لأول مرة : إنها امرأة لطيفة مصقولة الحواشى . يبهر العين رواؤها ! وهى سيدة مقامها أرفع من مقامى ، وهى حسناء لم أر مثيلا لها من قبل أبداً ... وإنى لأسائل نفسى : كيف أصبحت طليقاً من كل قيد ، وكأننى كنت على ثقة تامة من أنى وقعت من نفسها موقع الرضا والسرور .

وهذه السهولة وهذه الطلاقة التى تبدو عليه وهو فى حضرة النساء تنعكس على أسلوبه إذا كتب فى وصف النساء .

وإنك لتجد أبدع الصفحات فى كتاب « الاعترافات » هى تلك الصفحات التى يقص فيها نبأ لقائه الأول « لمدام فارنس » وتلك التى يصف فيها كيف استقبلته « مدام بازيل » زوجة التاجر المقيم فى مدينة « تورينو » . وهى التى يقول عنها : إنها كانت امرأة ذات حسن ورواء ، وكانت أنيقة غاية الإناقة وهى فوق ما اتصفت به من ظرف . قد كان لها ذلك الإجلال الذى كنت أهابه . ولكن دلالها وحسن لقائها ، وظرف شمائلها قد أضفت على ثوبا من الطمأنينة . وإنى لقائل فى وصف جمالها إن الناظر إليها يرى فى وجهها شعاعا من أشعة شمس إيطاليا .

وهو فى ناحية أخرى من كتابه يصف أبدع وصف نزهة له فى ضواحى أننسى مع الأوانس « جالى Galley » « وجرافنريد Graffenried » .

وهذه الصفحات قد كانت فتحاً جديداً فى الأدب الفرنسى . بل كانت عالما جديداً فى ذلك الأدب . عالما تضيئه أشعة الشمس

المشرقة ، وتفيض جوانبه بالجدة والنضارة .

ومن صور « روسو » الرائعة وصفه لنزهة له فى ضواحى مدينة بوسى وقد كان وحيداً . وكان الناس ساعتئذ يؤدون صلاة المساء : —

« إن رنين الأجراس الذى يشجينى دائماً . وإن غناء الطير فوق الأفنان ، وإن جمال النهار وحسن مرائى الطبيعة ، وتلك البيوت الريفية التى كنت أحلم دائماً بسكناها ، كل أولئك قد رقق من عاطفتى . وكان له الأثر أبلغ الأثر فى نفسى . حتى لقد خيل إلى أنى قد انتقلت — وفرط السرور يحيط بأقطار نفسى جميعاً — إلى تلك الأيام السعيدة . وإلى ذلك البيت الذى كانت تملأ أرجاءه الهناءة . والذى كنت أقيم فيه وقلبى تملأه سعادة لا حد لها . والذى كنت أتذوق فيه تلك السعادة ، وقد استخفنى الطرب دون أن أفكر أو أن ألقى بالا إلى متعة السرور الحسى .

ولقد كان السير على الأقدام وما يحدثه من آثار فى النفس من ابتداعات « روسو » التى استوردها وأدخلها على اللغة . وهى الابتداعات التى أسىء استعمالها من بعده . وهو القائل : —

« يوم كنت أسير على قدمىّ ، والجو صحو ، والريف يزدهى بالجمال ، دون أن يعجبنى أمر من الأمور . وهدفى الذى أهدف إليه شىء محبب إلى النفس . عندئذ كنت أحس بانبعاث الأفكار التى كانت قد أصابها البلى والدثور .

ثم يستطرد « روسو » فيقول :

« إن فى المشى سراً يحرك كامن أفكارى ويستحث خطاها . وإنه لعسير على أن أفكر إذا بقيت جالساً فى مكان واحد . وكأنه لابد لجسمى من الحركة حتى يستيقظ عقلى . وإن منظر الريف وتتابع المناظر الجميلة والهواء الطلق يشحذ عندى شهوة الطعام ويكسبنى البرء والعافية .

« وكأن حرية الانطلاق فى أرجاء الفندق وأبهائه ، والابتعاد عن كل شىء يذكرنى بالخنوع ، يرفع عن كاهلى القيود ، ويهبنى الجراءة فى التفكير دون خوف ، ودون التقيد بأى قيد ، ويجعلنى أستمتع بكل شىء فى الطبيعة كما يستمتع السيد ذو السلطان .

ويختتم « سانت بيف » الفصل بقوله : —

ولقد استطعت فى هذا المقال أن أشير إشارات عابرة إلى المميزات التى اختص بها كاتب « الاعترافات » والتى جعلته إلى اليوم كاتباً ذا سيادة .

كما استطعت أن أحييه بوصفه مبدع فن الكتابة التى ينمقها الخيال .

ولامراء فى أن كاتب « الاعترافات » هو الرجل الذى أمدنا بفيض من حقائق الأشياء . وقرب إلينا الإحساس بالطبيعة ؛ ولا ريب أنه هو المبدع للكتابة التى تدور موضوعاتها حول نجوى القلوب ، وهو الوصاف البارع لطوايا النفوس ، وخفايا الصدور .

وكم يأسف المرء ويأسى لاختلاط تلك الأوصاف والصور بشوائب من الكبرياء ، وحماقات من الكره والازدراء . ولكن تلك الشوائب والحماقات لا تستطيع أن تمحو أثر المميزات الأصيلة التى تميز بها ذلك الرجل كما أنها لا تستطيع أن تحجب عنا مزاياه الكبرى التى تجعله إلى يومنا هذا سيداً لخلفائه وسلالاته من الكتاب .

مبارك إبراهيم

- حرباء : المرأة كالحرباء ، فهى مجموعة من الألوان ، والعواطف ، والمشارب ! (شوبنهور)
- تهمة فى محلها : أنتم سبب سقوطى !
  (مانويل)
  (ملك البرتغال المخلوع للصحفيين) .
- فاشل حتما : إنه يكتب على الماء ويزرع فى الرمال وينصب شباكا للريح ، هذا الذى يضع أمله فى قلب امرأة . (سانازارو)
- فى مهب الرجال : المرأة ليست إلا ريشة فى مهب الرجال ! (جورج بق)
- حرية وحرية وحرية : لا توجد حرية سياسية وشخصية حيث لا توجد حرية الصحافة. (سابيس)
- أحط الفضائل : مع أن الحرأة تدل على أن تفكير صاحبها محدود ، لأنه إذا تشعب منه الفكر تردى فى شعابه ، وألهاه عن الجرأة وشغله عنها ، فالجرأة أحط من غيرها من الصفات الفاضلة ، ومع ذلك فهى من صفات النجاح : أولها ، وثانيها ، وثالثها ! (لورد بيكون)

من وحي العيد :

مواقع خطى الزمان

الأستاذ إبراهيم حلمي عبد الرحمن

ليس لنا أن نشعر بالزمن إلا بانقضائه، كما أننا لا نعرف الفضاء إلا بامتلائه؛ فالزمان عندنا حاضر يسبقه ماض ويعقبه مستقبل، فهو سيال دائم الجريان لا ندرى كنهه فى ذاته، ولكننا نرضى كل الرضى بالنظر إلى صورة سريانه تعكسها إلينا الأحداث المتكررة والظواهر الرتيبة المتتابعة، وقد عكس الإنسان أول ما ابتغى قياساً للزمن صورة توالى الثقلين فى ذهنه فإذا بها صورة واضحة كل الوضوح ذات شقين أحدهما نهار وضاء والآخر ليل مظلم بهيم؛ ثم التمس فى وجه القمر مرآة للزمن استخلص منها الشهور، والتمس فى ارتفاع الشمس وانخفاضها قياساً آخر هو العام؛ فأرخ زمانه بالأيام والليالى إذا قصرت مواعيده، وبالشهور والأعوام إذا طالت به الآماد. وهو فيما بين القصر والطول يتتبع سريان الزمان أمامه أو سيره به دون أن يجهد نفسه فى التفكير فى الزمن الأول الذى ليس قبله ماض أو الزمن الأخير الذى ليس بعده مستقبل. فالتفكير فى الزمن تفكيراً (مطلقاً) ينقل الإنسان من واقع الحياة المباشرة إلى مجاهل الفكر وبيداء الفلسفة ومعنى المطلق والنسبى والاستدلال بالحس والاعتبار العقلى وما إلى ذلك من المسائل.

ثم إن الإنسان، بما جبل عليه من غرور لم يرضه الاقتصار على ظواهر الطبيعة فى تاريخ الزمان، فهى منتظمة حقاً غاية الانتظام وواضحة كل الوضوح وصالحة للغرض الذى ابتغاه منها كل الصلاحية، ولكن ينقصها شيء واحد هو أن ليس للإنسان يد فيها ولا علاقة بها ولا ارتباط، فالإنسان لا يقدم الليل ولا يؤخر النهار ولا ينقص من القمر ولا يزيد، ولا يخفض الشمس ولا يرفعها فى السماء إذا شاء، وفى عجزه عن فعل هذا كله حد من غروره وانتقاص من شخصيته

ولذلك بحث الناس عن ظواهر لهم بها ارتباط واتصال ليجعلوا منها معالم لسير الزمان ومواقف للعبرة والاعتبار، بالإضافة إلى الوحدات الفلكية الأساسية، فاتخذوا مواسم للزرع والحصاد حينما عرفوا الزراعة وحرث الأرض، واتخذوا مواسم للزهر وسقوط الغيث ولتوالد الإبل والرعى ولفيضان الأنهار ونقصانها وهبوب الرياح وسكونها وما إلى ذلك مما يتصل بحياة الإنسان اليومية ومعيشته التى كانت قد ارتفعت درجة عن حياة البهم والعجماوات.

فالمواسم والأعياد هذه أقرب صلة بالإنسان من الظواهر الفلكية العادية حقاً ولكنها تعتمد هى الأخرى على الطبيعة؛ فالزراعة ترتبط بالدفء والبرودة ونزول المطر أو انقطاعه، وكذلك الحال فى الرعى وفى انسياب الأنهار أو ذوبان الثلوج أو هبوب الرياح. وقد علم الإنسان مدى الارتباط الوثيق بين هذه المناشط وبين ظواهر الطبيعة، ولكنه — إرضاء لغروره مرة أخرى — عكس الصلة بينها فجعل للبذر إلهاً وللإخصاب إلهاً وللرياح إلهاً وكذلك للمطر والعواصف، ثم ربط بينه وبين تلك الآلهة بروابط وثيقة العرى من النظم الفلسفية وأشكال الديانات البدائية، فجعل تلك الآلهة ترضى بالعبادة والقربان وتغضب بالتمرد والعصيان، وجعل لها سدنة كهانا يسهرون على رضاها ويتقون نقمتها وغضبها ويترجمون للعامة رغباتها ونزواتها.

ولكن الفكر الذى كان قد رفع الإنسان من قبل من رتبة البهيمية إلى أولى مدارج الحضارة كان دائم العمل على زيادة حصيلة الإنسان من الخبرة بالحياة والكشف عن أسرارها وإخضاع قوى الطبيعة ومواردها لسيطرته؛ فقد بدأ أولاً كما علمنا بالسيطرة على النار واستئناس الحيوانات وفلاحة الأرض وامتطاء متن الماء، ثم ثنى بعد ذلك باستخلاص المعادن ومعالجة الأمراض وإقامة الصناعات اليدوية القديمة، وتدرجت الحضارة البشرية فغيرت من أوضاع المعتقدات البشرية وأطلقت النفوس الإنسانية من ربقة الآلهة الكثيرة، واهتدى الإنسان بالوحى والفكر إلى حقيقة الواحد القهار الذى له الأسماء الحسنى جميعا.

إن الله هو (الأول) الذى لا يسبقه شىء وهو (الآخر) الذى ليس بعده شىء — هو العالم بالزمان من أوله وآخره ، أما البشر فلهم العلم بالزمان من أوسطه ، ولزم أن يكون لديانات التوحيد أعيادها ومعالم الزمان الملائمة لها ، فكانت أعياداً لا ترتبط بالظواهر الفلكية فى ذاتها ولا بأمور الزراعة — والصيد والقنص والرعى والملاحة وما إليها ، ولكنها تتصل بطقوس الدين ذاته ؛ فعيد الحج وعيد الفطر وعيد الاسراء وعيد المعراج ، وهكذا .

فعيد الفطر الذى نحتفل به الآن هو فى حقيقته مظهر من مظاهر ارتقاء الفكر الإنسانى ونضجه إلى الدرجة التى جعلته يؤرخ الزمان تأريخاً مستمداً من جوهر معتقداته ، وليس بالانعكاس لماديات حياته . وهذا العيد يرتبط بالصوم وبالزكاة ورياضة النفس والتآلف بين الغنى والفقير والمحبة بين القوى والضعيف والسيطرة على الشهوة والحد من الرغبة ، هذا هو العيد فى جوهره .

أما العيد فى مظهره فبهجة وانشراح وتزاور وتهانىء وبشر وإيناس والطيب من المشرب والمأكل والإسراف فى التزين وحسن الهندام والانصراف عن العمل والانقطاع إلى اللهو والأخذ بأسباب الفرح والحبور . ولكن أنجد اليوم فى أعيادنا هذه المظاهر ؟ أغلب الظن أننا نذكر مع الأسف أن الأيام تسلب الأعياد بهجتها كلها أو بعضها ، فيكاد يمر العيد ونحن لا نحس به فى قرارة نفوسنا ، ولا نجد له أثراً فى حياتنا فيما خلا بعض الرسميات التى تفرض علينا فرضا وبعض العادات التى لا نملك التحرر منها ، كزيارة القبور وعمل الكعك والفطائر . ولكن كيف فقد العيد بهجته ؟ وهل ثمة علاقة بين هذا المظهر الضائع وبين الجوهر .

إننا لا نعيش فى جو الدين ولا يدخل فى حياتنا متغلغلا حتى شغاف القلب كما كان الأمر من قبل فى عصور مضت أو كما هو الحال فى أماكن أخرى ؛ والعيد موسم دينى أصلا فضعف مظاهره يدل حتما على وهن فى العقيدة . وقد يكون الجوهر سليما مع ضعف المظهر ، ولكن ليس هذا حالنا ؛ ودليلى على ذلك ما نراه من الجهر بالإفطار بغير عذر والانصراف عن قواعد الدين المثلى فى العبادات وفى المعاملات .

وإذا تركنا الأعياد الدينية جانباً نرى أن الدول الحديثة تعمد كثيراً إلى استحداث أعياد قومية أو وطنية لتمجيد الصراع فى سبيل الحرية والسعى نحو المجد ، وقد تكون هذه الأعياد سنوية تتجدد كل عام وتدور مع الأيام ، وقد تكون احتفالا بمرور بضعة أعوام على ميلاد عظيم أو حادث خطير أو أمر ذى شأن . وأيًّا ما كانت فكرة العيد والغرض منه فإننا نجد دائما عناصر تكوينه وهو التعبير عن اعتقاد عام بصفة دورية تعبيراً يجدد الفكرة على مر الأيام ويبقيها فى الأذهان ويستعيد ذكراها الأولى ، ويستنفر النفوس للأخذ بها ويستثير الهمم للحض عليها والدعوة إليها . فالأعياد مواقع خطى الزمان فى موكبه الأزلى ، ونحن نرقب تلك الخطى كما يحلو لنا أن نرقبها ، فنقسم الزمان فى سيره فترات ، ونحتفل بانقضاء فترة وابتداء أخرى ، إذ لا قبل لنا بشىء مع الزمان سوى مراقبة مروره حتى نفنى نحن ، وقد يعز علينا أن نفنى دون أثر باق من فكر أو رأى أو عقيدة ، وقد يصعب علينا أن نقرب إلى أذهان من بعدنا خلاصة تلك الفكرة أو الرأى أو العقيدة ، فنلجأ إلى الزمان نثبت فى سجله موسماً نخلقه خلقاً أو عيداً نبتدعه ابتداعا فيأخذ به الخلف عن السلف — وتتصل الأفكار وتنتقل من جيل إلى جيل .

إن العامة من الناس الذين لم يصل إليهم زخرف الحضارة الغربية المنقول يؤرخون أحداثهم بالعيدين ويوقتون مواعيدهم بأشهر الصوم وأشهر الحج ؛ ذلك لأن الدين عنصر هام فى حياتهم وجزء أساسى فى ثقافتهم . أما نحن الذين عشنا فى المدن وانفصلنا عن الثقافة القديمة الراسخة فنتطلع إلى أعياد أخرى أو نكفر بها جميعاً فيمر بنا الزمن متثاقلا ، صورته لا تجديد فيها ولا تجاوب لنفوسنا مع خطاه ، فنحن لا نفعل شيئاً ذا خطر فى زماننا ولا نرتبط بالأعياد بما فعله من كانوا ذوى همة ممن قبلنا ، فنحن ندفع فى موكب الزمان دفعاً كأننا ننزلق فى مجراه انزلاقا نتخبط ذات اليمين وذات الشمال إلى غير غاية نبتغى أو أمل نرجى .

وهذه ظاهرة لها نظائرها فى الدول الأخرى ، فالحضارة البشرية تجتاز الآن مرحلة حرجة فى تطورها قد تسنح الفرصة لعرض رأى فيها فى حديث آخر ؛ ولكنها مرحلة تتسم بحيرة وارتباك ، فالنفوس تذكر الماضى بغير فخر أو اعتزاز وتخشى رؤية الحاضر بما فيه من خوف وقلق ولا تتطلع إلى المستقبل بثقة أو اطمئنان . فكيف لنا بأعياد حقيقية ؟ وإذا فقدنا الأعياد فقدنا الزمان — فالأعياد كما ذكرنا مواقع الخطى فى موكب سير الزمان فإذا افتقدناها اختلطت علينا السبل وتفرقت بنا الأسباب .

إبراهيم حلمى عبد الرحمن

مسرح

ذكرى نجيب الريحانى

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

فى الشهر الماضى احتفل عشاق فن نجيب الريحانى بإحياء ذكراه . فرأينا نخبة من عارفى فضله يحتشدون فى مسرحه ويشتركون مع أبطال فرقته فى تحية عميدهم ... وسمعنا من (الإذاعة) بعض أقطاب الفن يشيدون بآثاره ويعددون مناقبه . . . وطالعنا فى مختلف المجلات والصحف أوضاعاً مختلفة لصورته المعبرة وقد أحاطت بها أنهار تفيض بسجاياه ونوادره ومآسيه . . . وبالجملة بدا كأننا نحس بالأثر الذى استحدثه والفراغ الذى خلفه فى المسرح المصرى .

غير أننا إذا تعمقنا النظر قليلا تبين لنا أننا بهذا كله لم نكد نتجاوز الشكل والمظهر ، ويظهر أننا وقد ابتلينا بإهمال الفنانين وتجاهل أقدارهم وهم أحياء ابتلينا أيضاً بالتغاضى — ولا أقول التعامى — عما ينطوى عليه همودهم تحت الثرى من عبرة ومغزى . فما إن نجتمع لتأبين أحدهم حتى تنطلق من أفواهنا عبارات أشبه ماتكون بالكليشيهات المصطنعة ، هذا إذا قدر له أن يجد من يذكره بعد موته . وما أظن أن أحداً يقوى على الزعم بأن هنالك فارقاً جوهرياً بين مجمل ما قيل عن نجيب الريحانى ومجمل ما قيل عن سائر الفنانين الراحلين من ألفاظ ذات معان أوشكت أن تفقد مدلولها ومفهومها فى أذهاننا لكثرة تكرارها بحق وبغير حق فى شتى المناسبات (مثل العبقرية والشموخ والندرة والخلود وهلم جراً) ! !

حقاً أن بعض ما قيل عنه يمس الجانب الأصيل فيه مساً خفيفاً ، ولكن كان من الملحوظ حتى فى هذا أننا نطلق الأحكام والآراء بلا تحديد أو تفصيل أو تعليل ، وربما كان ذلك من أبرز عيوبنا . فنحن قوم مولعون بالتعميم والإجمال حتى ليتعذر علينا أن نفطن إلى مقومات «الفردية» فى عظمائنا ، فى حين أنهم لم يصيروا عظماء إلا لتميزهم عن غيرهم بمميزات مقصورة عليهم .

ولقد كان نجيب الريحانى فناناً ذا طراز خاص وسمات معينة ، فلو أننا قصرنا اهتمامنا على التنويه بخصائصه لفتحنا له الباب الذى ينبغى أن يفتح له فى عالم التاريخ . لكننا آثرنا — فيما يبدو — أن نفتح له « أى باب » فأوصدنا دونه كل الأبواب ! ! قلنا إنه فيلسوف ، وكأنما قصدنا من وراء هذا أن نبرهن على قلة اكتراثنا بماهية الفلسفة وحدودها ومواضعاتها بالمعنى العلمى الدقيق ، وقلنا إنه ساخر ، وكان يحسن بنا أن نعلم أن السخرية عنصر أساسى من عناصر الفن الكوميدى الذى مارسه ، فلولم يكن ساخراً لخرج من نطاق ذلك الفن إطلاقاً . وعزونا امتيازه إلى شغفه بمعالجة العيوب الاجتماعية ، ونسينا أن معالجة هذه العيوب هى مناط الكوميديا بصفة إجمالية ؛ فما من مخرج أو مؤلف أو ممثل كوميدى إلا وهو مضطر إلى التزام هذه الناحية بحكم طبيعة عمله ووظيفته . وقد كان خليقاً بنا أن نحدد فلسفته وسخريته واتجاهه الاجتماعى تحديداً فنياً . ولست أدرى ماذا كان يضيرنا أو يضيره لو أننا قلنا إنه « ممثل » كوميدى وحاولنا إبراز جهوده الحقيقية التى ارتفعت به إلى الأوج فى هذا المضمار . أم ترانا لا نزال نحسب أن الفنان التمثيلى لا يكون «خالداً» إلا إذا كان مؤلفاً ومخرجاً وممثلا وناقداً وكان فى نفس الوقت فيلسوفا وعالماً وصوفياً وسيكولوجياً ومصلحاً اجتماعياً .

الواقع أن للمسرح ألواناً مختلفة ولكل منها كذلك عناصر مختلفة لا يغنى أحدها عن الآخر ، وكما يقول Whitfield : لا تفاضل بين قيم هذه العناصر ، إذ أن المسرحية لاتكتسب صفتها الفنية إلا بتجمع هذه القيم وتكاملها وتصاهرها معاً . ولا مراء فى أن نجيب الريحانى حاول جاهداً أن يحقق عنصر الممثل فى الكوميديا المحلية فأفلح فى ذلك فلاحاً منقطع النظير . بدأ يمثل فكاهيات وفودفيلات واستعراضات، وهذه كلها ليست ذات قيمة فنية رفيعة، ولكنه كان يتقمص أدواره فيها بروح الموهوب الشاعر بما يؤديه

فنجح . وكان طبيعياً ومنطقياً أن يزداد نجاحاً عند ما أخذ بعد ذلك يمثل أدواره فى أرقى ما وصلت إليه الكوميديا المحلية ، أى عند ما وضعت مواهبه فى خير مجالاتها نسبياً . فإذا صح أنه ألف أو اشترك فى تأليف هذه الكوميديات فإنما يعتبر هذا نجاحاً آخر يتحتم علينا أن نحتسبه له على حدة . واعتقادى فى هذه الحالة أن قيمته كمؤلف قد تربو على قيمته كممثل ، لا من حيث إن أثر التأليف أبقى على الزمن من أثر التمثيل فحسب ، بل كذلك لأن استقراء رواياته يفصح عن مدى إدراكه لوظيفة الكوميديا وصلتها بالمجتمع ، كما يفصح عن مدى قدرته على استثمار السخرية — وهى أداتها — كوسيلة من وسائل قصاص المجتمع ممن يشذ عليه أو ينحرف عن مقتضيات البداهة . فقد أخرج مثلا رواية (سلاح اليوم) للسخرية ممن يستغلون مناصبهم من أعضاء الشركات ، ورواية (إلا خمسة) للسخرية من الطامعين فى أموال الغير ، ورواية (الدنيا ماشية كده) للسخرية من الأوضاع الأخلاقية المضطربة ... ويطول بنا الحديث لو أردنا تقصى ما ألفه أو مثله من هذا القبيل ، ويكفينا منه أنه ابتدع شخصية « كشكش بك » للسخرية من سذاجة بعض القرويين الذين أثروا بسبب ارتفاع أسعار المحصولات الزراعية عقب الحرب الكوكبية الأولى ، فما كان منهم إلا أن هجروا الريف وهو مصدر ثرائهم وتدفقوا إلى العاصمة ابتغاء إشباع شهواتهم فأضاعوا ما جمعوا وعادوا مفلسين . يكفينا منه ذلك لأن هذه الشخصية تحاكى بعض شخصيات كبار مؤلفى هذا اللون من الكوميديا المعروفة باسم Comedy of Characters . وإن فى اهتمام الريحانى بتصويرها وتوفيقه فى التعبير عنها وتحديد معالمها حتى أمست رمزاً قوى الارتباط بالمرموز إليهم ، لدليلا ناهضاً على نبوغه الفنى واقتداره على تسجيل هذا النبوغ تسجيلا عملياً ، برغم ما يحيق بالتأليف المسرحى فى مصر من معوقات .

هكذا يمكن أن نفهم الفنان فهما يضعه فى مكانته الصحيحة من جهة ، ويفيدنا الفائدة المرجوة فيه من جهة أخرى ؟ وبغير ذلك نظلمه ونظلم أنفسنا من حيث لا نحتسب . وكذلك فعلنا فى ذكراه مع الأسف ؟ فقصارى ما أجمع عليه المحتفلون بها هو التأمين على قول أحد أقطابهم بالحرف الواحد : « إن الريحانى شىء ضخم تحار فيه الأذهان . . ولو صور فن التمثيل بشراً لرجحت أن يجىء على شكل الريحانى . . لقد شاهدت عشرات من أفذاذ الممثلين فى الشرق والغرب (كذا) على خشبة المسرح وفوق الشاشة البيضاء ، وإنى لأعتقد مخلصاً أن أحداً منهم لا يبلغ ما بلغه الفقيد من مكانة . . . » ! !

فما معنى هذه المبالغات وما جداوها ؟ ! معناها كما أفهمه أن الريحانى أسطورة مقدسة عصية على الشرح والتفسير . وجدواها — كما يخيل لى — إشاعة اليأس وسد السبل أمام كل مجتهد وكل متطلع إلى القمة ، فهيهات أن يبلغ أحد من عباد الله مكانة ذلك الذى « تحار فيه الأذهان » . والحق أن الأمر ليس كذلك . فما كان الفقيد إلا بشراً يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، وإنما بلغ ما بلغه من مكانة لأنه استنفد أقصى ما استطاع استنفاده من طاقته البشرية ، وعرف كيف يستفيد من ظروفه استفادة مجدية . وما كان هو فى ذلك بدعا بين نوابغ الممثلين أو المؤلفين . فإن شيكسبير — وهو شيكسبير — لم يكن ليبلغ بالفن التمثيلى ذروة شاهقة لولم تسبقه تجارب غيره ، ولولم تقدر له الحياة فى العصر الذى وجد فيه بالذات ، ولولم يستفد من ذلك جميعاً . وكم يبدو عجيباً أن نلمح فى إنتاجه أثر استفادته حتى ممن كان إنتاجهم مخالفاً لإنتاجه فى شكله ومشاربه وأهدافه ، وأعنى بهؤلاء جماعة الأكاديميين المعروفين باسم University Wits ، فقد كانوا — على العكس منه — مولعين باحتذاء القوالب التقليدية والتزام الأوضاع المدرسية ، ورغم ذلك تأثر بهم تأثراً مباشراً ، فعرف من (بيل) كيف يمزج الخيال بالواقع ، وعرف من (مارلو) كيف ينمى القيم الفردية فى أبطاله حتى تكون مصدر بطولتهم وكيف يحتفل بالحياة المألوفة حتى تصبح مسرحا للبطولة ، وعرف من (كيد) كيف يدير الصراع الذهنى والنفسى بعد ما كان الصراع مقصوراً على ما يحتدم بين الفرد وبين القوى الخارجة عنه ، وعرف من (جرين) كيف يرتفع بالكوميديا الرومانتيكية من مجرد فواصل تثير الضحك إلى فن له مكانته ، وعرف من (ليلى) كيف يمزج العالم المثالى بالعالم الواقعى وكيف يستخدم الغناء فى الرمز والحركة . . وهكذا . وبالطبع ليس معنى ذلك أن شيكسبير كان مقلداً لغيره أو مستعبداً لعصره بالمعنى الضيق المتزمت ، وإنما المهم هو أن نهتدى إلى أن العبقرية ليس

معناها الشذوذ أو استحداث المعجزات التي لا تفسير لها ، وأن نهتدي كذلك إلى أن العبقري متصل بجيله ملتصق ببيئته مرتبط بظروفه . لكنما يمتاز على غيره بقدر ما يحسن استخدام الخامات التي بين يديه واستغلالها . وما ينطبق على شيكسبير ينطبق على موليير وكذلك على غيرهما من قادة الفن .

هذه هي حقائق أجمع عليها النقاد حتى صارت في عرفهم بديهيات ، وألمعنا إليها بإلحاح أكثر من مرة حتى سئمنا ترديدها ؛ وإذاً فليس من الشطط أن نطالب بتصحيح النظرة إلى الريحاني على هدى ما تقضي به تلك الحقائق والبديهيات . فلا جدال في أنه احتذى كبار الممثلين واقتبس من كبار المؤلفين ، ولا جدال في أنه تذوق الحلو والمر وواجه العسير واليسير ، وعرف العوز والخذلان ، واستهدف الخير والشر ، وابتغى المن حينا والمنفعة حينا . وبالجملة «عاش» في معترك الحياة واتخذ من تجاربه الشخصية كما اتخذ من تجارب غيره غذاء كان له أثره في تكوين نفسه وتكييف مواهبه . وما قدر له أن يمتاز بيننا إلا لأنه ضرب لنا مثلا حيا تجلت فيه إمكانيات الإنسان الطموح وثمرة العمل الدائب . هذا على التحقيق يعلي مكانته أضعاف ما يعليها إلصاق الصفات المبهمة به ، وهذا على التحقيق يفيدنا أضعاف ما يفيدنا تقديسه والارتفاع به من الواقع ومن الأرض إلى الفضاء وإلى مافوق حدود التصور .

ونحن الشرقيين الذين انحدرنا — أحيانا ! ! — بسبب تقديس الشخصيات تقديساً غير بصير أقمن بنا في نهضتنا الراهنة أن نزري بالعاطفة وأن نحتكم إلى العقل والمنطق والتعليل ، أو بعبارة أخرى إلى إدراك الواقع ومعطياته ومتطلباته . بمثل ذلك نهض الإغريق ونهضت أوربا ، وبغير ذلك لا تنهض الأمم . لقد كان للإغريق وهم أكثر منا شغفا بالأساطير أسطورة ملخصها أن العملاق (هرقل) صارع (أنتايوس Antaeus) ولم يستطع أن يصرعه لأنه كان مثبتاً قدميه على الأرض وكلما انطرح فوقها نهض واقفاً أشد مما كان قوة ومراسا . وأخيراً فطن العملاق إلى سر صمود خصمه فرفعه في الهواء وسرعان ما دفع به إلى الموت . ومؤدى هذه الأسطورة التي تدل على توازن تفكيرهم أن هذا التوازن يرجع إلى تشبثهم بالأرض ونفورهم من الأوهام والتخيلات التي لا سند لها من الواقع .

كيفما كان الأمر فإننا لن نقدر الريحاني حق قدره إلا إذا قومناه تقويماً واقعياً ونظرنا إليه كبشر لا كأسطورة . . . إذ ذاك نستطيع أولاً أن نتخذ من ذكراه ذريعة قوية لتمجيده تمجيداً هو أهل له ، ونستطيع ثانياً أن نتلمس في نبوغه قوة تحتذى أو ينبغي أن تحتذى ؛ فلعلنا بهذا نظفر بمن يسد فراغه أو بمن يكون خيراً منه . ونستطيع ثالثاً أن نجد في الحديث عنه فرصة للتعمق في فهم الفن الذي مارسه واحترق في سبيله .

عبد الفتاح البارودي

القيود

[مهداة إلى أختنا الآنسة ع . غ الطالبة بكلية الآداب بعد مناقشة عن الكتابة والحرية الفكرية ولماذا لا أكتب الآن]

نوراً ... فأنت النور يا ألله في شتى المواطن
نوراً ... يضيء لنا فإن الصبح مثل الليل داكن
فرضوا القيود على النفوس فنهرها كالبئر آسن
أسر النفوس أمر من أسر الحبائس والرهائن
في ربقتين : الظلم والإظلام في كل الأماكن
بين الخزائن والسدود ، وليس للطير الخزائن
أرواحنا طير ولكن لم تكن أبداً (دواجن)
يهتاجنا سرب اليمام ، وغزلة البيد الشوادن
والطير مطلقة الجناح وهائمات لا سواكن
مسترسلات في الضياء وما لها أبدا مساكن
الرحب مسكنها ، ومرتعها الفضاءات الفواتن
ومحلقات في الهواء ، فلا تسف ولا تطامن
هذي هي الدنيا الجميلة لا القصور ولا المدائن
إن المدائن حيث يغمرها الظلام هي المدافن
والبيد والأحراش — نيرة — مساوئها محاسن

* * *

يا واضعي حول الرقاب قيودكم والحقد كامن
فكوا الإسار عن الطيور فهل تخيفكم البرائن
ما الطائر الغريد إن ألقى أغانيه بماجن
ما الشاعر الفتان إن غنى ملاحمه بخائن
فكوا القيود فكل قيد في ركاب الظلم واهن
وإذا أبيتم فاضربوا الأحرار والإظلام رائن
سوموا النفوس الخسف والتنكيل إن شئتم . ولكن
تأبى النفوس كريمة أن تستكين وأن تداهن

حسين الغنام

قصص

فاتنة السراديب ...

للأستاذ محمد فهمى

تخرج حديثاً فى كلية البوليس يتقد حماسة ويفيض أملا ... يؤدى واجبه فى مركزه الجديد بنزاهة .. وبهمة لفتت إليه أنظار رؤسائه . بسمت له المقادير فسبق أقرانه فى الترقية وتوقع له الجميع مستقبلا فذاً ... نقل إلى بوليس الآداب بالعاصمة وبنفس الهمة واصل حملاته على بيوت الدعارة ، وفى كل غارة يخرج بأسلاب من الآدميين هم أكفان أعراض زاهقة ... طائفة من خنافس المجتمع لا تدب إلا فى الظلام لأنها لا تقوى على مواجهة النور ... ترجتها نزوات منحرفة فخجلت من العيون واتقتها بالستار الأسود (الظلام) ... قد جذبتها مخالب النزوات من السطح أو دفعتها أذرع الحرمان بعنف لتنساب فى ظلام الأقبية والسراديب . . . حشرات تدب تحت أقدام المجتمع ...

كانت (ألفت) واحدة من ربيبات المجد الأثيل . نشأت كأمثالها من فتيات الثراء ... حياة ناعمة فى نعومة الحرير الذى ينزلق على أبدانهن البلورية ... لا شئ فى الهواء يصدم هذه النعومة المفرطة ... لا شئ ولو حصاة صغيرة حتى الدمى للعب كانت لينة أيضاً ...

ودارت الأفلاك — من شمس وقمر — ثم دارت الأفلاك وأسرعت ... ها هى العروق والشرايين فى الجسوم الناعمة تغلى وتندلع منها ألسنة حمراء — قدر تكتوى بنار المراهقة — نار غذيت بوقود من قراءات خطرة سطورها سياط تلهب ضاوع الغرائز أو فتائل محشوة بالديناميت ... مسكينة تلك الأجسام البلورية ذات البشرة الملساء كالحرير ... ها هى الآن تنتفض بالثورة . تريد أن تنفجر لتستشعر لذة الاحتراق طعمة لتلك النار . وإنها أحياناً تريد أن تنطح وأن تحطم أى شئ حتى ولو علبة صغيرة لتحقق نشوة الانتصار وتأكيد الذات ولكن هيهات ... إن « بابا » و «ماما» قد سخرا حياتهما وركزا ثراءهما لإجابة جميع المطالب ، بل ولم يتوانيا عن مدافعة أى شىء صغير يلفح تلك البشرة الناعمة حتى النسيم لم يترك ليلمسها إلا هادئاً حنوناً ... لكى لا يجرح . لكم تشتهى تلك الأجسام الناعمة أن تجرح بقسوة ، بل إنها لتفضل أحياناً أن تذبح وتؤكل على أن تدلل بسماجة ...

وفعلا هذا ما حدث . فقد فرت ألفت من القفص الذهبى إلى حيث تذبح وتؤكل فى تلك السراديب بأيدى الشياطين . فرت ثائرة على حنان الملائكة ... إبليس آخر يثور على الفراديس ... لقد زوجت من زوج نشأ مثلها بين الحرير الناعم والحنان السمج ... كان يلمسها باحتراس كشىء ثمين يخشى عليه أن يتهشم بينما هى تضغط أنيابها من الغيظ . إنها تشتاق أن تتهشم ولو مرة ويا حبذا لو تؤكل ! ولكن وا أسفاه إنها تعلم أن زوجها ناعم كالحرير . . . وهناك فى السراديب وجدت ما تريد ، وجدت أنياباً قاسية وحشية تنهش اللحم الناعم الأملس . . . هناك حيث لقيها محسن فى إحدى حملاته على بيوت الفسق ، حيث الخنافس التى تدب تحت أقدام المجتمع ... فصعق ... خنفساء صاخبة الأنوثة ؟ ! نعم . يا لك من خنفساء فاتنة ! ولم يخرج محسن هذه المرة كسابق عادته بأسلاب من الآدميين الذين هم أكفان أعراض زاهقة ، بل انكسر عود شبابه الأخضر اليانع لتعبث فيه الخنفساء بفمها الصغير وأسنانها اللؤلؤية ، وأصبح عدو السراديب من عشاق السراديب وعلى الأخص ذلك السرداب حيث توجد ألفت .

وضجت المدينة بفضائح السرداب المظلم كأنه أسطورة . فكم حطم وكم مزق ... إن صرعاه لا يحصون . فإبليس كامن فى أعماقه مسربل بأجمل آيات الفتنة . . . جسد ألفت البلورى الذى ينزلق عنه الحرير انزلاقاً وكأنه بدر يطوح

ـه

الذى يبـ ... ر ن الدين الذى غدت من أبرع كهانه ... دين عبادة الجسد .. لقد صارلها على مسرحه كل ليلة رواية جديدة . ومحسن صار هو الآخر علماً على السرداب . إنه حارسه يقضى الليل بل والنهار كالكلب الأمين لا يفارق بابه .

واحترم الزملاء ماضى زميلهم القديم فتركوا له سردابه بلا إزعاج كعزاء له عن مستقبله الذى ضاع وحظه الذى انبتر ؛ أما هو فكان عزاؤه ما تقدمه له آخر الليل من قربان الجسد .

ومرت الأيام متشابهات إلا من ازدياد تبلد محسن وتمادى ألفت فى سحق كرامته . . . لقد قتلت فيه كل إحساس بالكبرياء ، فصار حطام رجل لا يحس بوجوده إلا فى تلك الساعة التى تحتويهما معاً حيث يعكف على قربانه الشهى ... وحتى تلك اللذة قد أخذ طعمها يتغير فى حلقه ، فها هو يحس فيها طعم الإحسان .

وحدث فجأة أن رأى أمامه حمدى زميل الدراسة . إن النجوم تملأ كتفيه ، فاعترت محسناً الدهشة وثبتت عيناه على النجوم ، بينما صحت ذاكرته واستعادت عهداً قد غبر ... يالله ! أهذا حمدى أغبى طلبة الفرقة تنوء كتفاه بالنجوم ؟ وثبتت عيناه على النجوم تتحديان البريق إلى أن تعبتا ، فهمس أين أنت منه يا محسن يا أول فرقتك ؟ ! وغادر حمدى زميله القديم وفى نفسه من الأسى أشياء ، ومن الغبطة الخفية أيضاً .. لقد تألم لرفيقه المرموق فى تلك الأيام أيام الدراسة ، واغتبط أو على الأصح لم يستطع أن يقاوم شعور الغبطة ، حين رأى نفسه خيراً من أول فرقته الذى طالما نظر إليه بإعجاب وحسد .. ولكنه ما كاد يخطو بضع خطوات حتى هزه شعور الخوف من المستقبل ، فهمس فى نفسه قائلا: أيها القدر ماذا تخبىء لى .. أما محسن فقد غرق فى سيل من الذكريات ... لقد سيطر عليه ذهول طويل يلتمع فى جوانبه بريق خاطف . إنه بريق النجوم على كتفى حمدى . وكم من مرة نظر إلى كتفيه فانفجر ضاحكا ثم اختنقت الضحكة فجأة وغص بها حلقه .

ومرت الأيام بلا جديد ، وشبح حمدى يتلاشى رويداً رويداً ... وبريق نجومه قد خبا أو كاد إلا لحظات خاطفات ... يستشعر محسن طعم المرارة التى أخذت تصاحب لذة قربانه ... مرارة الإحسان ... إنه لا يدرى أية يد تدفع نجوم حمدى بأضوائها تتراقص أمام عينيه كلما أحس بتلك المرارة ..

وذات مرة بينما هو ينفض رأسه من غبار الذكريات ويمسح عينيه بكفيه يخلصهما من آثار البريق ، فى هذه اللحظة اصطدم بجسد من رواد السرداب فانفجر مزمجراً باللعنة ... ودهش الرجل . إنه يعرف محسناً جيداً ، الكلب الأمين حارس السرداب . فكيف يتنمر ويجرؤ على أن يسبه ؟ وصاح يرد اللعنة باحتقار : أتهيننى يامن يعيش على كد امرأة ؟ واتخذ سبيله إلى حيث يريد محتقراً حتى تلقى الجواب . . .

ولم ينطق محسن ... ولأول مرة منذ أن عرفها ثارت نفسه وانتفض جسده . وفجأة قفزت نجوم حمدى تتراقص بأضوائها أمام عينيه . وفى نفس الوقت أحس بتلك المرارة تكاد تشدخ حلقه ... ها هو قد استيقظ ، كأنما من كابوس ثقيل أو كأنه مومياء تدب فيها الحياة بعد آلاف السنين . وفى لحظة استعرض فى ذهنه شريط حياته منذ أن عرفها ، فدهش كيف وقع كل هذا ... وكأنه كان فى حلم . . . وفجأة دوت فى أذنيه تلك العبارة : « يامن يعيش على كد امرأة » . فأحس بدوار يعصف برأسه ولما أفاق كان قد صمم .

انفتح الباب فجأة وبقوة ، فنظرت ألفت إلى المقتحم بهلع وهو يتقدم بخطوات ثابتة ثقيلة والمسدس فى يده ونظراته تقدح ناراً . يالله ! أهذا هو؟... لا ... إنه وحش ... وندت منها صرخة شلها الرعب فتدحرجت الصرخة فى حلقها ، واستسلمت كالذبيحة . لقد انسحق روحها أمام الهول المتفجر من عينيه ....

وحينما كان القبر فاغراً فاه ليبتلع جسد ألفت البلورى ويقيم للدود مرقصاً فى ساحه ، كان محسن يضع أمام المحقق المسدس الذى ارتكب به الجريمة وهو يتنفس بعمق وهدوء عجيبين ، ويحرك عينيه بعنف ، كأنما يريد أن يستوثق من أنه قد صحا .

محمد فهمى

الثقافة

العـدد ٧٠٧
١٤ من يوليه ١٩٥٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر

الثمن ٣٠ مليماً

14 July. 52

مناقضة حفنى ناصف

قالوا شخصتَ إلى قنـا

« يكاد أدب النقائض يلفظ أنفاسه فى الشعر المعاصر ، وهذه محاولة تذكر به الشعراء ، وقد رأيت أن أناقض قصيدة حفنى ناصف :

رقّيتنى حسـا ومعنى   فلصنعك الشكر المثنى

لظروف مشابهة للمناسبة التى نظم فيها حفنى قصيدته ، وإن اختلف المنحى ، وبعد الاتجاه »

آذيتنى حســا ومعنى   وغبنتَنى فى الناس غبنا
وشفيت مهجة حاسـد   باتت تمور علىّ ضغنـا
قد كنتُ أعلى منه مر   تبة فصرتُ أقل شأنا
أغشى الصعيد مروّعاً   فأجوب بعد السهل حزْنا
بلدٌ إذا حلّت به   قدماك قلتَ حللتُ سجنا
إن رمتُ وصل أحبّتى   شاهدتُ دون الوصل بوْنا
جهـدٌ جهيدٌ للقطـار   يعيـده سأمانَ مضنَى
أرنو لطلابى فأبصر   هم جفاة الذوق خشنـا
خبت العقول كأنهـا   شمس كساها الأفق دجنا
لا مثـــل إخوان لهم   (بالرمل) يتقدون ذهنا
ترف الحيـــاة أمدهم   بالذوق فاتخـــذوه فنّـا
قالوا شـــخصت إلى قنا   لا مرحباً بقنا وإسنا
يكسو الهجير بها الوجو   ه دجى يحيل الحر قنا
يكفيك أن الإنس صا   روا من سواد اللون جنا
أنا لا أريد معيشـــة   قد بُدلت طعما ولونا
قالوا نزلت السفح قلت   ومن يطيق السفح سكنى
أنا لست ذا غنم لـكى   أرعى به معزاً وضأنا
قد قلت النفقات لـكن   قل جسمى الهش وزنا
ما حيلتى إن لم أجـد   شيئاً يباع بهـــا ويقنى
قالوا : اكتنزت المال إذ   لا تشترى صوفاً وقطنـا
أيظل جسمىَ عارياً   بين الورى ظهراً وبطنا
هـــذا تخرّص واهم   بات الدليل لديه ظنـــا
قالوا الحرارة فى الشـــتا   ء تنيل جسمك ما تمنى
تأوى السرير بلا غطاء   إن رأيت الليل جنـا
وتبيت ليلك آمنـــاً   شر البرودة مطمئنـــا

قلت : الشتاء يقيم شهـ   راً بين أظهرنا ويفنى
ويطول قيظ الصيف حـ   تى يزهق الأرواح منّـا
يوحى الخمول فكل جوّا   ب تراه قـــد استكنّا
تخـــذ الهجير أسنة   تهوى فلا تجد المجنّـا
نار إذا اتقدت مشـا   علها تحيل الصخر عهنا
جبـــل المقطم صارخ   يشكو اللظى ويئن أنّـا
ويح الحلوق الظامئات   بأى كارثة ستمنى
ترد الـكؤوس لترتوى   برحيقها ، فتضنّ ضنا
وتطير صوب الماء وهو   مثلج فتراه سخنـــا
القيظ ألهبـــه فلم   تبصر به للرىّ معنى
جلب اليباب على الصـ   عيد وذاد عنه الخير غبنا
فانظر تر الصحراء قد   حفت به يسرى ويمنى
ســـفح مديد غير أنك   م لا ترى بالسفح حسنا
تأتى الحقول الشاسعات   فلا ترى طـــيراً تغنّى
كلا ولا زهراً يبستم لا   ولا غصـــنا تثنى
إن طال ليلى لم أجد   ملهى يتيح الأنس وهنا
أى النوادى فيه أقضى   الوقت مبتهجاً وأنى ؟
فأبيت لا الأحشاء ها   دئة ولا الأجفان وسنى
متململاً فوق الفراش وخا   فق كلف معـــنّى
أتذكر الإسكندرية والد   مـــوع تفيض حزنا
وأصيح مشتاقاً كطير   هاجـــه شجن فحنّا
حفنى ، قلبتَ الحق مجتر   ثاً فدعنا منك دعنـــا
قد ناح قلبك مُعـــولا   لـكن شعرك قد تجنى
أما أنا فصـــدقت فيما   قلت إحساساً ومبنى

محمد رجب البيومى

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز
الدكتور أحمد أمين بك

الإدارة
١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف بك

العدد ٧٠٧ الاثنين ٢٢ من شوال سنة ١٣٧١ — ١٤ من يوليه سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة عشرة

إلى وزير المعارف ومن يلزم من أولى الأمر فى البلاد :

هل نمهد للعبودية ؟

للأستاذ محمد فريد أبو حديد بك

أتعجبون أيها السادة من أن يمهد قوم لعبودية أنفسهم مع أن الله قد خلقهم أحراراً ، ومع أن الناس يحرصون على الحرية ويجاهدون فى سبيلها ويرونها أثمن ما فى حياتهم ؟ ولكن هذا ما أظنه أو ما أخشاه أننا نمهد بأيدينا السبيل التى تؤدى حتما إلى عبوديتنا ، وإن كان ذلك على غير قصد منا . لست أقول إننا نحب أن نكون عبيداً أو نقصد إلى أن نكون عبيداً ، فإن هذه مرتبة لا يصح أن يهبط إليها الحيوان الأعجم نفسه . ولكننا مع هذا نعمل ما يؤدى بنا إلى تلك الغاية وإن كنا لا نقصدها ولا نرضاها لأنفسنا . وقديماً قال القائل : إن الجنة محفوفة بالنوايا الحسنة ، وإن الإنسان قد يضر نفسه من حيث يريد أن ينفعها .

كل أمة تريد أن تبلغ مرتبة الحرية الصحيحة عليها أن تحرص على أن يكون شعبها متعلماً . هذه حقيقة أصبحت اليوم بديهية لأن الجهل فى ذاته عبودية ، ولا تستطيع أمة جاهلة أن تكون حرة . الأمة الجاهلة أسيرة تحيط بها القيود الثقيلة من كل جانب ، فهى أسيرة نفسها التى تستولى عليها العقائد الفاسدة ، وتستبد بها التقاليد الجامدة ، وتفقد الشعور بالكرامة ، وتقنع بأوهام الغرور فلا تحس فى ذلها وهوانها بأنها ذليلة أو مهانة . وهى أسيرة غيرها لأن الجهل يجعلها عاجزة عن الاعتماد على نفسها ، فلا تجد غ [redacted] زمامها فى يده ليقودها ، ولو أحست يوماً أن ذلك الزمام قد تفلت من اليد التى تقودها لامتلأ قلبها بأساً وعجزاً ، لأنها لا تقدر على أن تستقل بالسير وحدها بغير أن يمسك أحد بزمامها .

لهذه الأسباب ولكثير غيرها تحرص الأمم الراقية على أن تشيع العلم فى جماهير شعوبها حتى تكون جديرة بالحرية الضرورية لحياتها . ونحن فى مصر نستفيد بالأمثلة التى تضربها تلك الأمم الراقية ونعمل على أن نشيع العلم فى جمهور الشعب المصرى حتى يكون جديراً بحريته التى ينشدها ويضحى بكل شىء فى سبيلها . هذا جميل جداً .

ولكن العلم والتعليم والنور والعرفان ، وكل هذه الأشياء لا تزيد على أسماء ، والعبرة بما ينطوى وراءها من الحقائق . وقد جرى الإنسان منذ القدم على أن يستغل الأسماء استغلالا سيئاً كلما أراد أن يخدع غيره ، وذلك بأن يسمى الأشياء الكريهة بأسماء جميلة ، أو بأن يطلق الأسماء القبيحة على الأشياء الثمينة ، يبتغى من وراء ذلك غاية يريد الوصول

إليها؛ ولكن هذا المكر الذي يستغل به الإنسان الأسماء لخداع غيره لا يبلغ في خطورته صنفاً آخر من إساءة استعمال الأسماء. نعني بذلك إطلاق الأسماء على غير ما تنطبق عليه لا لقصد خداع الغير، ولكن طاعة لرغبة الإنسان نفسه، في خداع نفسه.

نعم فالإنسان كثيراً ما تحمله نفسه على أن يخدعها لكي تتنعم بلذة خيالية تعوض عليها ما يفوتها من الحقائق. قد يحب الإنسان أن يخدع نفسه عن عجزه فيقعد عن السعي في الحياة، ويسمى ذلك القعود زهداً، لأنه لا يحب أن يتصف بالاسم الحقيقي الذي يصح أن يطلق عليه وهو العجز. وقد ضحكنا كثيراً عند ما كنا نسمع قصة العطار الأحمق الذي أراد أن يخدع النمل عن علبة السكر، فكتب عليها اسم الفلفل زعماً منه أنه يستطيع بهذا أن يخدع النمل عن العلبة ويحفظ سكرها سليما. فذلك الرجل لا يزيد في حقيقة الأمر على أنه يريد أن يخدع نفسه عن تقصيره في التماس الوسيلة التي يمنع بها النمل عن الوصول إلى علبة السكر. فمن هذا يمكن أن ندرك في سهولة أن الناس كثيراً ما يعملون على إخفاء الحقائق عن أنفسهم بمثل وسيلة العطار الذي يكتب اسم الفلفل على علبة السكر. وقد يكون هؤلاء الذين يسيئون استعمال الأسماء من أظرف الناس ومن أحسنهم قصداً، ولكنهم مع ذلك لا يخرجون عن دائرة الإساءة. هم لا يقصدون الإساءة ولكنهم يسيئون. ليسوا شياطين ولكنهم حمقى.

فلنعد إذن إلى حديثنا عن العلم والنور والعرفان. فان هذه الأسماء لا تجدي نفعاً إذا لم تكن في حقيقتها علماً ونوراً وعرفاناً. فاذا شئنا مثلا أن ننشر العلم بأن نرفع المدرسة الأولية إلى مستوى المدارس الابتدائية، وإذا سلمنا بأن هذا هو نشر العلم والنور والعرفان حقاً، كان الواجب علينا أن نرفع المدرسة الأولية إلى مدرسة ابتدائية حقاً لا أن نقنع بأن تكتب عليها نحاسة تدل على أنها قد أصبحت مدرسة ابتدائية، ثم نقنع أنفسنا بأننا قد فعلنا ما قصدناه. وإذا أردنا أن ننشر العلم بأن نتوسع في التعليم الثانوي مثلا كان علينا أن نتحقق من أننا نوسع شيئاً اسمه التعليم الثانوي وحقيقته أنه تعليم ثانوي. فإذا قنعنا بأن نوسع المدارس

وتزيد من عدد تلاميذها ثم لا نأتي لها بمن يجب أن نأتي بهم من المدرسين الكفاة، ثم لا ندبر لها ما يجب أن ندبره من وسائل التعليم، ونجعل ذلك التعليم حقيقياً، كان ذلك بمثابة الخفض لا الرفع، والإضاعة لا التوسع. قد تستطيع يا سيدي أن تدعو إلى بيتك أربعة أو خمسة من الأصدقاء لتناول الغذاء على سفرتك التي لا تتسع لأكثر من هذا العدد، فاذا أنت دعوت عشرين أو ثلاثين في غرفتك التي تتسع للخمسة كنت جديراً بأن تبيت ليلتك مسهداً آسفاً على ما أصابك من الورطة التي وقعت فيها. ولا مؤاخذة في هذا التشبيه، ونحن نتحدث عن العلم والنور والعرفان؛ فإن الطعام ليس أقل جدوى ولا خطورة في الحياة من التعليم. ومع ذلك فإننا لا نمنعك من أن تدعو من تشاء إلى الغذاء في بيتك ولو بلغ كرمك أن تدعو مائة أو مائتين لزاد بذلك فضلك وعم خيرك. ولكن الشرط الذي لابد منه هو أن تعد بيتك لكي يستقبل ضيوفك الأعزاء، حتى إذا أتوا إلى البيت استطاعوا أن يجلسوا وأن ينالوا حظاً من الطعام. ولست أنكر أنك لو دعوت مائة أو مائتين وقدمت لهم ما فيه الكفاية من الطعام بغير إسراف ولا تظاهر بالفخفخة لكنت أقرب إلى المروءة والفضل مما لو دعوت خمسة وقدمت لهم صنوف الطرف مسرفاً متظاهراً بالغنى والسعة. هذا أمر لاشك فيه. ولكنك لو دعوتهم مائة أو مائتين ثم لم تقدم لهم سوى قطع صغيرة من القديد لاتسمن ولا تغني من جوع، لكانوا جديرين بأن يعدوا دعوتك إهانة لهم.

فلنترك التشبيه ولنتحدث في الحقائق التي قصدنا أن نتحدث عنها. فالذين يدخلون إلى المدارس التي كتبت عليها لافتة تدل على أنها ابتدائية، وهي في حقيقتها مدرسة خيالية صورية، لا يخرجون منها بنور ولا علم ولا عرفان. والذين يدخلون إلى المدارس التي نسميها ثانوية وليس فيها المعلمون الكفاة ولا وسائل الدرس ولا جو التعليم الصحيح، لا يخرجون منها بشيء من العلم ولا النور ولا العرفان.

وقد ينال بعضهم حظاً من التعلم ويمرون في الامتحان مر الكرام، ولكن هؤلاء لا يكونون قد نالوا ما قصدته الأمة ولا ما قصدوه هم وأهلهم من التعليم، لأنهم لم يبلغوا مرتبة الإتقان في عملهم. وهؤلاء الذين يسلقون في المدارس

الثانوية ينتهى بهم الأمر إلى الجامعات فيمرون بها مر الكرام أيضاً حتى يحصلوا بعد لأى على شهادة من شهادات الجامعات ، ولكنهم لا يكونون قد نالوا ما قصدته الأمة ولا ما قصدوه هم وأهلهم من التعليم .

إن الأمة إنما تقصد التعليم الذى يهب لشعبها المقدرة على القيام بأعباء الحياة قياماً صحيحاً قوياً يسوغ إنفاق الملايين من الجنيهات التى نبذلها فى سبيل التعليم . فالتعليم لا يقل عن مشروع إنتاجى تقدم عليه الأمة لأنها تبتغى من ورائه ثمرة تعادل ما بذلت فيه من أموال وجهود . فهل نرضى الآن عن صرف ملايين من الجنيهات فى إنشاء خزان ثم نجده آخر الأمر لا يقوى على حجز الماء ؟ وهل نرضى عن صرف الملايين من الجنيهات فى شراء البواخر ثم نجدها تعجز عن خوض البحار ؟ فهى إذا صرفت كل عام ثلاثين مليونا من الجنيهات فى سبيل التعليم ثم لم تحصل على المتعلمين الكفاة الذين يستطيعون أن يقوموا فى الحياة بواجباتهم قوية سليمة صالحة ، كانوا مثل الخزان الذى لا يحجز الماء ، والباخرة التى تعجز عن جوب البحار . بل إن نكبة الأمة فى المتعلمين أشد من نكبتها فى خسارة خزان أو باخرة ، لا فى ضخامة مقدار الأموال التى تنفق على التعليم فحسب ، بل لأن فساد التعليم يؤدى إلى نتيجة أخطر من كل خطر ، وأسوأ من كل سوء . ذلك بأن فساد التعليم يمهد للعبودية . ذلك لأن الشعب الذى يريد أن يكون حراً بمعنى الكلمة ، يجب أن يكون أفراده أحراراً بمعنى الكلمة . والتعليم الفاسد يعارض الحرية من ناحيتين : الأولى هى أنه لا يحقق التربية الصحيحة التى تعد المواطن الحر فى دائرة الحياة الأولى التى تتكون فيها النفوس وتتجه فيها الضمائر ، ولكن هذه الناحية ليست هى النكبة الكبرى . فالنكبة الكبرى هى أن يخرج من معاهد التعليم أنصاف متعلمين أو أرباع متعلمين يعجزون فى كفايتهم عن القيام بمناشط الحياة . فهؤلاء لا يرضون أن يقوموا بالمهن الوضيعة التى لا تحتاج إلى مهارة ولا إلى تفنن ولا إلى كفاية خاصة ، لأنهم يرون أنهم قضوا من حياتهم سنين طويلة فى سبيل الاستعداد للأعمال التى تحتاج إلى المهارة والتفنن والكفاية الخاصة . فهم يطالبون بالوظائف ، ويصرخون بأعلى أصواتهم يطلبون أن تسند إليهم الأعمال . فإذا أسندت إليهم الأعمال فسدت المصالح العامة . وإذا لم تسند إليهم الأعمال كانت الطامة الكبرى . ذهب كل منهم إلى من ينصره عند وزير أو عند عظيم ، وتنافسوا بينهم على التقرب إلى الوزراء أو العظماء وكانت تلك وسيلتهم إلى الحياة . فإذا فازوا بما أرادوا لم ينتجوا خيراً ، ولكنهم يكونون قد عرفوا طريق الحياة التى تضمن لهم العيش والرفاهية ، أو إذا شئت فقل البلهنية . هذه هى الطامة الكبرى . إنهم يبيعون أنفسهم ليحصلوا على نعم الحياة . هم لا يقدمون خيراً ويجنون ثماره ، وهم لا ينتجون ثروة ويأخذون أجر إنتاجهم كراماً أحراراً ، معتزين بعرق جبينهم ، ورافعين رؤوسهم لشعورهم بأنهم يملكون أنفسهم ويقدرون على التصرف فى مصائرهم ، ويأخذون ماهو حق لهم . إنهم لا يبالون شيئاً من ذلك بل يتنافسون على الأخذ بغير عطاء ، وعلى الأجر بغير عمل . وعند هذا يعم الشعور بالظلم ، وينقلب التنافس إلى تطاحن وتتقد الأحقاد ، وتكون بعد ذلك النتيجة المحتومة . جانب من المتنافسين يخيب ويحقد ، وجانب يفوز ويبيع حريته . تكون عند ذلك الثورة إلى جانب ، والعبودية فى جانب آخر ، فما بالك بأمة يتوزع شبابها بين الثورة والعبودية ؟ هذا ما نخشاه وهذا ما نصرخ به من الآن .

إن الذين يحبون الحرية ويريدون الكرامة للشعب عليهم أن يعملوا على أن تكون الأجيال المتعاقبة قادرة صالحة متقنة كافية لما يسند إليها من الأعمال المختلفة . وعليهم أن يطمئنوا إلى أن الأموال التى تصرف على التعليم تنتج للأمة أجيالا من القادرين الصالحين الكفاة الذين يأخذون بعض ثمار إنتاجهم لا أثمان عبوديتهم .

هذه صرخة نوجهها إلى من يلزم من أولى الأمر فى البلاد لكى يعلموا أن التعليم خطورة كبرى على مستقبل البلاد ، ولكى ينتبهوا إلى هذه الخطورة من ناحية أننا أمة نريد حياة كريمة مستقلة ترف عليها الحرية والكرامة ، وتمتاز بالمقدرة والكفاية والإتقان . وتقدر على أن تقف جنباً إلى جنب أو وجهاً إلى وجه مع الأمم الأخرى .

محمد فريد أبو حديد

خـــواطر

للدكتور أحمد أمين بك

— ٤١ —

إذا بطل العجب انتهت الحياة

كل ما يمكنك أن تدركه من فرق بين الذكى الألمعى والغبى ، هو كثرة العجب عند الأول وقلته عند الثانى .

إن الأول يرى فى كل شىء ولو صغيراً مدعاة للعجب ؛ يعجب من السيارة مثلا ، ولكن يرى أنه أعجب منها حركة الرجل فى السير ؛ ويعجب من الراديو ، ولكن يرى أنه أعجب منه حاسة الشم — إنه يرى الكون كله مملوءاً بالعجائب حتى الذرة فى تكوينها ، والنملة فى معيشتها ، ولذلك بنت الأديان كلها الدعوة إلى الإيمان على ما فى الكون من عجائب ؛ ريح تهب وسحاب يجرى ومطر ينهمر . ولو دققنا النظر لرأينا أكثر الكلمات تحمل عجائب لا تنتهى .

انظر مثلا إلى كلمة « نما الزرع » كيف تحولت الحبة إلى النبات ، وكيف تحولت البذرة إلى شجرة ، وكيف اختلفت الأشجار وكلها تسقى بماء واحد . كل هذا يستخرج العجب من البصير ، فإذا انتهى العجب دل ذلك على أن الإنسان فقد حياته . ألا ترى الطفل يبدأ بالأسئلة الكثيرة نتيجة للعجب الكثير ، فإذا أدركه الهرم زال عجبه فزالت حياته .

أكتب هذا وأنا أرى البحر وتموجاته ، والرياح ولعبها بالأمواج، والسحابة تسوقها الريح حيث تشاء .

اللهم زدنى عجباً أزدد حياة .

— ٤٢ —

الإنسان حيوان محارب

عالج بعض الفلاسفة الحرب ودعوا إلى السلم ، وجاءت الأديان من نصرانية وإسلام تحبذ السلم ، ودعا إلى ذلك بعض فلاسفة اليونان وبعض قياصرة الرومان ؛ ولكن العقبة الوحيدة كانت غريزة الإنسان التى تحب الحرب وتكره السلم . ويظهر أنها وراثة من وراثات الحيوانات المتوحشة التى كانت هى أصل الإنسان ، حتى أصبحت الأديان التى تدعو إلى السلام كذلك مظهر حرب . ولم يكتف الإنسان بالحرب فى ميادين القتال ، بل قاتل فى التجارة والصناعة . ولم يكتفوا فى لعب الأولاد بلعب السلام ، بل أتوهم بلعب الحرب أيضاً . وليس الجدال فى المجالس إلا نوعاً من أنواع الحرب . وكذلك المناظرات والتسابق على الأولية فى المدارس والجامعات . وكما نرى آثار الحرب ظاهرة بين الإنسان والإنسان ، فهى كذلك ظاهرة بين الحيوانات ، فالدنيا كلها حرب حتى ظواهرها الطبيعية ؛ فلو قلنا إن الإنسان محارب بطبعه لم نبعد . ولسنا نصل إلى السلم فيما يظهر إلا بعد أجيال طويلة ، نعدل فيها برامج التربية ، ونقلم فيها أظفار الغرائز الحربية .

أحمد أمين

طموح

عزم الشبابِ هو القضاء ، ومبتغاه هو القدر
فارفع جبينك فى الحياة ، ولا تذلّ لمقتدر
الكون ملكك ، والحياة بحزم أمرك تأتمر
والنور يسطع فى الطريق لمن يجدّ وينتصر
والزهر يعقد فوق مفرقه أكاليل الظفر

***

ما شئت من حقٍّ فلا تَنَهَّدْ إليه على حذر
فالذئب يطلب رزقه وسط الظلام المنتشر
أما الهزبر فلا يخاف الموت أو يخشى الخطر

***

كن كالنسور على الذرى تصغى لوشوشة القمر
لا كالغراب يطارد الجيف الحقيرة فى الحُفر
من هان تسحقه السنابك فى متاهات العمر
وتَلِين غطرسة الزمانِ إلى الأبىّ من البشر

عيسى الناعورى

المدرسة التعسة

للدكتور أحمد عبد السلام الكردانى بك

عهدت صديق الأستاذ فريد بك أبو حديد متفائلا دائما، فإذا غلب على الحاضرين فى مجلس من المجالس شىء من اليأس أو القنوط أو التشاؤم كان هو من أول المسارعين إلى إيقاد شعلة الأمل وتغليب روح التفاؤل. على أنى وجدته فى مقالاته الأخيرة وقد غلبت عليه مسحة من الأسى لما أصاب المجتمع المصرى من انحلال فى الخلق على أثر هدم المثل العليا التى كان يتمسك بها فيما مضى أجدادنا، وتحطيم ما ورثناه عنهم من تراث الفكر والعلم والخلق بغير أن نقيم لها بديلا من رأى صائب جديد، أو علم مبتكر حديث، أو مثل أخلاقية عليا تحل محل المثل التى ثرنا عليها وحطمناها.

كذلك ألمح فيما ينشره الأستاذ أحمد بك أمين من « خواطر » شيئاً من الأسف على ما أصابنا فى هذا السبيل، فهو يشكو مثلا فى أحد الأعداد الأخيرة من « الثقافة » من طغيان ظاهرة «قلة المروءة» على عصرنا، وضرب لذلك أمثلة موضحة كثيرة كعادته فى مقالاته، إلى آخر ما ينبعث فى خلال « خواطره » السابقة من شكوى وتنبيه إلى علل اجتماعية وأخلاقية مؤسفة قد انتابت مجتمعنا فى الوقت الحاضر.

وهذه حال يجب أن يسعى القادة والمصلحون جهدهم إلى معالجتها. والرأى عندى أن على المفكرين من أبناء هذه الأمة أن يستقصوا أسباب هذه الظاهرة، ظاهرة الانحلال الخلقى الذى لا يعبأ بمثل عليا، والذى يصر على التحرر من كل القيود التى تقف فى وجه شهواته ونزواته وملاذه الخاصة؛ فإذا ما عرفوا الأسباب أمكنهم الاهتداء إلى وسائل العلاج، وإلى إنقاذ هذا الجيل من الهوة السحيقة التى يوشك أن يتردى فيها بسبب هذا التحلل أو الانحلال.

ولكى نقف على هذه الأسباب يجدر بنا أن نحلل المصادر التى يستقى منها المواطن مبادئه الإنسانية ومعاييره الخلقية، ومثله العليا فى الحياة. وهذه المصادر تنحصر فى البيت، والمدرسة فى المرحلة الأولى من مراحل الإنسان وهو صغير، وفى البيت المجتمع عندما يصير رجلا يحمل المسئوليات وتلقى عليه التبعات، وتطلب منه التضحيات فى سبيل أسرته ووطنه والمجتمع الذى يعيش فيه.

ولنفحص الآن المصدر الأول لتلقين الإنسان المبادئ الخلقية وهو صغير ألا وهو المدرسة، أما البيت فإن الكلام فيه يجرنا إلى فحص سلوك رب البيت وشريكته فى الحياة، وسلوكهما متوقف على تربيتهما الأولى فى المدرسة وعلى أثر المجتمع الصغير (وهو البيت الذى نشأ فيه كل منهما) والمجتمع الكبير الذى يمثل البيئة أو الوسط القوى الذى عاشا فيه بعد أن شبا عن الطوق وغامرا فى الحياة واندفعا فيها تتجاذبهما تياراتها المختلفة. وسنعود إلى الكلام عن هذين المجتمعين بعد الكلام عن المدرسة.

إن الظروف التى تحيط بنا فى مصر تجعلنا نلقى العبء الأكبر من التربية على المدرسة، وذلك لأن معظم أرباب الأسر لا يقومون بأى قسط فى هذا السبيل، لأسباب سنشرحها فيما بعد، اللهم إلا إذا لعبوا دوراً سلبياً يكون له أسوأ الأثر، وهذا ما يجب أن نحتاط له ونحول دون حدوثه. فلنفحص حالة المدرسة المصرية لنعرف مدى استعدادها للقيام بهذا الدور الخطير الذى كنا نؤمل أن تلعبه فى تربية النشء وتهذيبه وخلق الجيل الجديد على الصورة التى يرجوها له قادة الإصلاح.

المدرسة المصرية الآن فى حالة يرثى لها، فقد جدت عليها ظروف من شأنها أن تحول بينها وبين قيامها بالمهمة التى نحن بصددها، فهى أولا تحوى عدداً من التلاميذ فوق طاقتها، فالمدرسة التى أعدت لاستقبال مائتين وخمسين أو ثلاثمائة

يحشر فيها الآن ألف من التلاميذ ، وذلك بمضاعفة العدد الذى كان مقدراً أن يحتويه الفصل الواحد ، ثم بزيادة عدد الفصول عن طريق تحويل غرف كانت فى الأصل معدة لنوع من أنواع الدراسة العملية أو التطبيقية إلى فصول دراسية مزدحمة كغيرها ، وأخيراً باقتطاع أجزاء كبيرة ومساحات واسعة من الأفنية التى كانت مهيأة لجرى الأولاد ولعبهم وإقامة أكشاك عليها تستعمل كذلك فصولا يحشر فيها التلاميذ حشراً .

وتلك حال تجعل عملية التربية والتهذيب مستحيلة ، وذلك لأن هذه العملية تتطلب دراسة المعلم لتلاميذه دراسة شخصية دقيقة ، تكون وليدة ملاحظتهم بدقة أثناء الدروس ومراقبتهم بانتباه فى خلال اللعب ، وفى المجتمعات العامة التى تعقد خارج الدراسة العادية للمناقشات وللمباحثات وللاضطلاع بأعمال من نوع الخدمة الإنسانية أو الاجتماعية ، ولكن المدرس لا يستطيع أن يقوم بهذه المهمة الشاقة إلا إذا عهد إليه بملاحظة عدد معقول من التلاميذ ، فإذا تضاعف هذا العدد أضعافاً كثيرة كما هو الحال عندنا الآن ، استحالت عليه دراسة تلاميذه على الوجه المطلوب لتأديبهم وتهذيبهم .

هذا إلى أن مضاعفة هذه الأعداد وما يتبعها من تضييق فى مرافق المدرسة وأفنيتها يؤدى بطبيعة الحال إلى الحد من النشاط الرياضى ، والنشاط الاجتماعى خارج أوقات الدراسة . ذلك النشاط الذى كان مجال الدراسة الصحيحة لنزعات التلميذ واتجاهاته وتبيّن دوافع سلوكه ، وبالجملة الكشف عن نفسه على حقيقتها . وكانت فيه الفرصة مهيأة للمدرسة لتوجيه التلاميذ توجيهاً عملياً ورياضياً واجتماعياً يتمكن المدرسون فى خلاله من بث الروح ومن التوجيه إلى ما يؤدى إلى رفع مستوى تفكير التلاميذ وتبصيرهم بالمثل العليا الجديرة بأن تملك عليهم مشاعرهم وتحفزهم إلى السلوك الذى يسمو بهم إلى مرتبة عالية من الأخلاق الفاضلة ، وتخلق منهم رجالا بالمعنى الصحيح ، ومواطنين يشرّفون وطنهم .

فازدحام المدرسة الحالية إذن هو فى نفسه عامل قوى فى عرقلة عملية التربية والتهذيب ، بل فى محو أثرها من المدرسة . فما بالك إذا تجمعت للمدرسة عوامل أخرى أشد فتكاً بهذه العملية ؟ ومن أسوأ هذه العوامل قلة خبرة المدرسين بل والنظار أيضاً . فالتوسع فى فتح المدارس وفتح الفصول الجديدة قد أدى إلى تعيين عدد كبير جداً من المدرسين الناشئين الجدد الذين لم يسبق لهم إعداد معقول لمهمتهم ، ولم يكتسبوا خبرة فى عملية التربية والتهذيب المطلوبة ، تلك الخبرة التى كان الواحد منهم يكتسبها لو أنه عيّن فى مدرسة مستقرة غنية بالمدرسين القدامى المجربين ينقل عنهم ويتعلم منهم ويتدرب على يديهم . أما الآن فإن الأغلبية الساحقة من المدرسين هى من هذا النوع الجديد الذى لم يكتسب خبرة ؛ وأما القلة النادرة التى لها هذه الخبرة ولها باع قوى فى عملية التربية ، فإنها تجد نفسها عاجزة عن القيام بها بسبب ازدحامها بالعمل وكثرة عدد التلاميذ كما قدمنا ، ومن باب أولى عاجزة على تدريب غيرها .

وناظر المدرسة نفسه يقف مكتوف اليدين أمام هذه الأعداد الضخمة من التلاميذ ، وهذه الكثرة الغالبة من المدرسين الناشئين عديمى الخبرة ، وهذا السيل الجارف من الانحلال الخلقى ، فكل ما يستطيع أن يأمله فى مدرسته هو أن تسير عملية إلقاء الدروس العادية وتصحيح الكراسات الكثيرة على صورة أقرب ما تكون إلى ما رسمته له الوزارة . أما عملية التربية والتهذيب فلا حيلة له فيها ولا يملك الوسيلة التى تمكنه من القيام بها .

وهكذا أصبحت المدرسة ورشة ميكانيكية آلية لمجرد التلقين بدلا من أن تكون مصدراً لإلهام نفسى ، وإيحاء روحى وصقل خلقى ، وإعداد النشء إلى حياة نظيفة هادئة سامية تهدف إلى تحقيق المثل العليا ، وإلى إبراز الناحية الإنسانية من المواطن إلى جانب مهمته المادية فى الحياة الاجتماعية .

هذا عن المدرسة ونصيبها فى عملية التربية والتهذيب والعوامل التى حالت دون قيامها بواجبها من هذه الناحية . وأما الجامعات فحظ الطالب فيها من هذه الناحية أيضاً ليس أحسن من حظه فى المدرسة وذلك لنفس السبب (أى الازدحام) من جهة ، ولأسباب أخرى سبق لنا أن فصلناها فى مقالات نشرت فى هذه المجلة كان آخرها فى العدد ٧٠٠ .

وأما عن المجتمع ونصيبه مما نحن بصدده والعوامل التى تسيطر عليه ، فوعدنا بالكلام فيه العدد القادم إن شاء الله .

أحمد عبد السلام الكردانى

مكافحة الجريمـــة

للأستاذ أحمد طه السنوسى

— ١ —

مسألة الجريمة ومكافحتها من المسائل ذات التاريخ الطويل والسجلات الحافلة والتطور الملحوظ ، وقد كانت وما زالت موضع اهتمام كبير من الدول ومن العلماء ، حتى أنه قامت بشأنها علوم خاصة ، تبحث فى أسباب الإجرام وفى وسائل مكافحته والعقاب عليه ؛ من هذه العلوم الطريفة ما يختص بدراسة نفسية المجرم وما يعتورها من انفعالات ومشاعر ، ويطلقون عليه La Psychologoie Criminelle ، ومنها ما يهتم ببحث البيئة وظروفها كسبب يدفع المجرم إلى الإجرام ويطلقون عليـه La Sociologie Criminelle ، ومنها ما يهمـه أن يفحص تكوين الأشخاص من حيث الخلق والجسم ليصل إلى منابع الإجرام فى بؤرة الإنسان ، أو ليستشف العمل الإجرامى من التكوين الجسمانى ، ويطلقون عليه L'Anthropologie Criminelle — هذه العلوم التى تبحث منابع الجريمة من وجهاتها المختلفة هى التى تعرف بعلوم الإجرام ، وهى تتطور وتتقدم يوماً بعد يوم مع العلوم الأخرى التى تهتم بالجريمـة ومكافحتها كعلم العقاب Scienc Pénitentiare .

والمسألة تبدو بوضوح لو أمعنا النظر فيها من زاويتين : أولاها زاوية الإنسان نفسه ، والثانية زاوية المجتمع بما ينبسط عليه من بيئة ، وما يحيط به من ظروف ، وما يكتنفه من أوضاع .

أما زاوية الإنسان نفسه ، فليس بسر أن الشر كامن فى النفس البشرية كمون المرض فى جرثومتـه ، فالشر يحرك الإنسان كما يحركه الخير ، والخـير والشر إن هما إلا كفتا ميزان ذى ركابين ، هذا الميزان هو الإنسان نفسه ، فكفة فيها الخير وكفة فيها الشر ، وقد تعلو كفة الخير كفة الشر ، وقد تعلو كفة الشر كفة الخـير ؛ معيار ذلك معيار دقيق ذو شعبتين : شعبة العقل إذا فكر ودبر ، وشعبة القلب إذا شعر وتأثر !

أما زاوية المجتمع والبيئة ، فبهذا الإنسان الذى يدور حوله بحثنا إذا أجرم ، هذا الإنسان ليس يعيش بمفرده فى منقطع ناء عن العمران خال من السكان ، إنما هو يعيش وسط مجتمع يموج فيه سواه من خلق الله ، وهم يشتركون معه فى أن كلاً منهم ميزان نفسه ، وفى أن لكل منهم هذا المعيار الدقيق ذا الشعبتين النسبيتين . والوسط الاجتماعى الذى يعيش فيـه الإنسان ليس يعنى حياته مع أناس آخرين سواه فحسب ، بل يعنى كذلك ظروفاً أخرى دقيقة ، منها نفس البيئة التى يحيا فيها : أرضها وسماؤها وجوها وهواؤها ، عمرانها وخرابها وما إلى ذلك من مقتضيات البيئة الطبيعية والصناعية ، فهو يتأثر بكل هذا وذاك ، ويختلف وضعه فى بيئة عنه فى أخرى ؛ بل إن الإنسان نفسه الذى يعيش فى منقطع ناء عن العمران يقاس بمعيار البيئة التى يدب فيها لا بمقياس غيرها من البيئات ؛ إذ أنه إذا مال نحو اليمين أو مال نحو اليسار ، فلا يعد ميله هنا أو هناك ولا يعد عمله الذى يأتيه جريمـة من الجرائم أو خرقا لأصول المجتمع ، وذلك لسببين رئيسيين :

أولهما أن معيار الجرم فى الفعل الذى يأتيه الإنسان يقاس بالنسبة لسواه من البشر الذين يحيون فى وسطه ، فمعيار الجرم إذن أن فعل زيد قد أضر بعمرو أو أضر بالمجموع الذى يعيش فيه هذا الزيد ، فالزيد إذا كان وحيداً فى منقطع ناء من العمران والناس أن يأكل ما يلقاه ، فلا نقول إنه سارق ، وأن يخطف ما يلاقيه فلا نقول إنه خاطف ، وأن يحرق ما يراه فلا نقول إنه حارق ، وأن يؤذى الحيوان إن وجده فلا نقول إنه مسىء أو ضارب ، وأن يسب كل من يشاء وما يشاء فلا نقول إنه قاذف ، بل له أن يفعل

ما يشاء حتى القتل ، وحينئذ لا يجد سوى نفسه ، فله أن يقتلها إذا أراد .

وثانيهما أن ليس ثمة سلطة تفرض عليه جزاء أو توقع عليه عقاباً ، فالسلطة فى وسطه هى سلطته يسلطها على نفسه وعلى ما يلقاه فى هذا الوسط من أشياء وكائنات ، على أن قيام مثل هذه السلطة منوط بوجود عدد معقول من البشر ، فليس يتصور أن تقوم هذه السلطة فى بيئة هذا الشخص الفريد إلا أن تكون متمثلة فى عقله وذهنه الذين ينسب إليهما — والحالة هذه — معيار الخطأ والصواب والتأثيم والبراءة بشكل تحكمى .

فيستحيل إذن عملاً فى مجتمع يضم أناساً كثيرين وتتمثل فيه مصالح متعددة ، وتسيره أوضاع خاصة ، يستحيل على مثل هذا المجتمع أن يدع لكل فرد حريته التامة فى أن يتحكم فى معيار الخطأ والصواب والبراءة والتأثيم ؛ لذلك يرى الباحث فى تطور الجريمة فى مختلف المجتمعات أن وضعها بالنسبة لمجتمع يختلف عنه فى مجتمع آخر ، وبالنسبة لشخص يختلف بالقياس إلى شخص آخر ، وبالنسبة لزمن يختلف بالمقارنة بزمن آخر .

فمن حيث الزمن تطور معنى الجريمة وتطور كذلك بالتالى معنى العقاب عليها ، ففى زمن كانت الجريمة انتقاماً فردياً ، وفى زمن كانت اعتداء على حق شخص معين هو الذى وقع عليه جرم المجرم ، وفى زمن كانت اعتداء على حق شخص المجنى عليه وحق الجماعة معاً ، وفى زمن صارت اعتداء على الجماعة ممثلة فى المجتمع قبل أى اعتبار آخر ، وفى زمن كان العقاب على العمل الإجرامى يعنى الانتقام ، وفى آخر كان يعنى التكفير ، وفى ثالث كان يعنى الروع والزجر ، وفى الزمن المتقدم نرى هذا العقاب معناه الإصلاح والتهذيب .

ومن حيث المجتمع نرى الجرائم فى هذا المجتمع غيرها فى مجتمع آخر ؛ فقد يعاقب مجتمع ما على فعل يرى أن ظروفه تساعد على إتيانه ، وفى إتيانه خطراً عليه ، وقد لا تكون هذه الظروف متوافرة فى مجتمع آخر ، فلا يرى داعياً لاعتبار هذا الفعل لو وقع فيها جريمة يعاقب عليها ، وقد تتشابه الجرائم فى أكثر من مجتمع ، كما قد يعتبر فعل ما مباحاً فى كثير من المجتمعات ، وكذلك إذا عدّ الفعل جريمة فى مجتمعين ، فإنا نجد العقاب على هذا الفعل فى هذا المجتمع يختلف عنه فى المجتمع الآخر ؛ وذلك لأن المجتمع الأول قد يرى الفعل مخلاً به مما يستدعى العقاب عليه ، ولكنه ليس من الفظاعة والعنف بحيث يكون العقاب عليه شديداً ، وقد يرى المجتمع الآخر أن هذا الفعل ذاته إن ارتكب فى نطاقه يستوجب أشد العقاب ؛ لأنه فى نظره من الجسامة بمكان .

ومن المجتمعات ما تكون الصفة الغالبة عليه هى المسغبة والفقر وانخفاض مستوى المعيشة ، فتكثر فيه السرقة ، ويستتبع انخفاض مستوى المعيشة بالتالى انخفاض المستوى الثقافى والأدبى ، فيكثر السب والقذف وتشتد حركة الأفعال الفاضحة كهتك الأعراض وما إلى ذلك . ومن المجتمعات ما تكون حالة الأخلاق فيها متدهورة متضعضعة ، فتقوم فيها موجة من جرائم الأخلاق والفسق . وقد لا يعترف الأفراد فى مجتمع ما بدين أو قد لا يتمسكون بعقيدة ترشدهم وتمسك بزمامهم ، فتكثر فى هذا المجتمع الأعمال التى تعدها المجتمعات الأخرى أعمالاً تستوجب العقاب والتعذير ، فقد يحرم مجتمع البغاء ، وهو مباح فى مجتمع آخر لافارق بين إباحته وإباحة الصلاة وإباحة شرب الماء وتناول الأغذية والمطعومات فيه ، وقد تحدث تحية فى صقيع معين ، تعدّ فى صقيع آخر فعل ضرب أو جريمة سب أو قذف أو عملا فاضحاً مخلا بالحياء .

وأما من حيث الأشخاص ، فلا شك أن الأشخاص ليسوا متماثلين فى كل شىء ، فى ثقافتهم وعلمهم ، وفى خلقهم ، وتربيتهم ، وفى ذكورتهم وأنوثتهم ، وفى أسنانهم وأعمارهم ، وفى مراتبهم ومقاماتهم ، وفى قوتهم وضعفهم ، وفى كل شىء يمكن أن يكون محل اعتبار لمساءلة الأشخاص عن ارتكاب فعل حرمه المجتمع ، أو فى توقيع العقاب على ارتكاب مثل هذا الفعل ؛ فثمة إناث وذكور ، وثمة عقلاء ومجانين ، وثمة شيوخ وكهول وشباب ، وثمة أطفال وأحداث ، وثمة مترفون ومحرومون ، وثمة أقوياء وضعفاء وما إلى ذلك من أنواع وأصناف ونماذج وضروب ، فليس من العدالة أن نعامل الأنثى معاملة الذكر ، أو أن نعاقب الرجل بعقاب الحدث ، والقوى بعقاب الضعيف ، والمجنون بعقاب العاقل ، على أن معيار العدالة يختلف كذلك حسب الأزمان ، بالرغم من أن مبدأ

العدالة معروف مقرر منذ القدم ، ولكنه مقرر حسب الأوضاع والظروف السائدة فى الأزمان المتباينة على تعاقبها .

ولما تطور المجتمع وخطا إلى الأمام خطوات ، كان تنظيمه خطوة لامحيص عنها تستوجبها طبيعة الأشياء ومنطق التطور دون حاجة إلى تفكير عميق أو جهد شديد ، وتنظيم المجتمع يقتضى المحافظة على أرواح أبنائه وأعراضهم وشرفهم وأموالهم ، والجريمة اعتداء ذو صور ، فهو قد يقع على النفس تارة ، وعلى العرض طوراً ، وعلى الشرف آنا ، وعلى المال فى حين ؛ لذلك كانت الجريمة اعتداء على المجتمع فى هذه الصور ، وكان لزاماً على المجتمع أن يعدّ لها وسائل مكافحة وإبادة يحاول بها القضاء عليها ؛ ذلك أن المجتمع مجموعة من البشر ، لكل منهم نفس وعرض وشرف ومال ، وكل منهم لايستسيغ الاعتداء على أيٍّ منها ، فتضافرت الجهود من بعد للقضاء على هذه الاعتداءات الملفوظة التى تتجمع كلها فى بؤرة تعبير يشملها ويجمع أشتاتها ، وكانت الجريمة بؤرة هذا التعبير .

وليس من شك فى أن الرغبة فى القضاء على الجريمة فى مجتمع ما ، لاتقتضى بالضرورة إباحة اقتضاء الإنسان حقه ودفع الاعتداء عنه بنفسه ؛ لأن فى ذلك فوضى جسيمة ومعانى هزيلة ، فيها الانتقام والثأر ، وفيها الظلم والتعجيز ؛ فليس كل فرد بمستطيع الدفاع عن نفسه واقتضاء حقه بنفسه ، فمن الناس الضعفاء ، ومنهم الأقوياء ، ومنهم العاجزون ومنهم القادرون ، ثم إنهم ليسوا نياماً دون عمل غير دفع الاعتداء عنهم ، وأعمالهم تقتضى منهم الاستقرار والأمان والطمأنينة على أنفسهم إذا راحوا أو غدوا ، وعلى أموالهم إذا تركوها ، وأعراضهم إذا انفردوا بها ، وشرفهم الذى تحوطه اعتبارات الاجتماع واعتبارات الشخصية واعتبارات الأصول فى المجتمع ! .

فمكافحة الجريمة إذن فى يد السلطة القوامة على المجتمع ، هى التى تفكر فيها ، وتخلق أساليبها ، وتعمل على تحقيقها ، وتجند جنودها للوصول إليها ، وليس يعنى هذا القول أن السلطة العامة هى الطرف الوحيد فى مسألة المكافحة هذه ، وليس الأفراد أنفسهم طرفاً فيها ، بل الواقع أن هؤلاء الأخيرين — من ناحية المكافحة — عنصر هام ، يسعى هو الآخر ، لمكافحة الجرائم والقضاء عليها ؛ إذ نتيجة ذلك فى صالحه ، وما قيام السلطة العامة بذلك إلا بتفويضه ولأجل الوصول لتحقيق هدفه فى الراحة والسعادة والطمأنينة والسلام . . إنما كما أسلفت لايقوم الأفراد بأنفسهم بهذه المكافحة ؛ لأن فى هذا — فضلاً عما قدمت من تصوره — مشاركة للسلطة العامة فى وظيفتها ، والمشاركة فى السلطة توقع الخلاف والاختلاف ، وأثر الخلاف والاختلاف خطير جدّ الخطر ، إذا تعلق بمكافحة الجريمة ، أى بمكافحة الاعتداء على النفس والعرض والشرف والمال !

فواجب الأفراد إذن فى مكافحة الجريمة ليس يعدو الثقة فى السلطة العامة والامتثال لأمرها فيما توجيه من أوامر ونواه بشأن الوصول إلى هدف المكافحة ، حتى ولو أساءت هذه الأوامر إلى الأفراد العاديين إساءة طفيفة ، لأن ذلك لمصلحة الفرد ولمصلحة المجموع ، وليس يعدو كذلك معاونة هذه السلطة على أداء الواجب الذى نيطت به فى هذا الصدد ، بتقديم المساعدة إليها وتسهيل مهمتها للوصول إلى معرفة الجناة وتوقيع العقاب عليهم .

(له بقية) أحمد طه السنوسى

« الابتســـامة »

للآنسة الزهرة

هي طفلة في تمام السادسة من عمرها وقد قدمها أبواها الفخوران إلى صحب قدامى شطت بهم الديار منذ بضع سنوات ، ولم يتنبه إليها أحد منهم أو يولها التفاتاً خاصاً إلا بعد أن دعاهم إلى ذلك الوالد المحب والوالدة المزهوة حين هتفا في وقت واحد قائلين : « هــذه هي زهرتنا النضة — ليلى » فمدت الصغيرة يدها البضة وقالت : « تشرفنا يا أفندم » إلا أنها قضت غالبية الوقت بمنأى عن الجماعة وكانت تنقد كل فرد من أفرادها بنظرات ثاقبة فاحصة ، ثم تقدم أستاذ مهيب ذائع الصيت ليحيي طلبته السابقين في الجامعة ، وانعطف بعدئذ إلى « ليلى » فشدت الصبية على يده في تظرف وبراعة وأثبتت بصرها في وجهه الوقور وبدل أن تردد على سمعه عبارتها التقليدية ! « تشرفنا يا أفندم » قالت : « هيا وابتسم جيداً الآن » فتربد وجهه وقطب ما بين عينيه وأجال طرفه في حيرة ، ثم قال : « ماذا ! فأكدت كلامها في صوت مجلجل متحذلق إذ أجابت . « قلت لك : هيا وابتسم جيــداً ! » . . وأشرقت أسرتها وصوبت إليه ابتسامة متألقة عبقة وضحك الجميع . وقال أبواها : « إنها في التصرف الذي صدر منها الآن قد أساءت استعمال التحضيض المتوالي الذي اعتدنا أن نوجهه إليها وقد درجت على ألا تلقى الغرباء والضيوف بمحيا منبسط لفرط انطوائها على ذاتها » .

وكررا اعتذارهما لأستاذها حين هم بالانصراف وصافحهما ، ثم نظر إلى « ليلى » وابتسم في عذوبة وطلاقة . وأكبر اعتقادي أن غير واحــد من الموجودين الذين سمعوا كلمة الصغيرة قد رجّع صداها في حنايا نفسه مراراً . وأنا شخصياً أعترف بأن الــكآبة قد استغرقتني مرة وغادرتني عابسة مكفهرة فدخلت عليّ حينذاك صــديقة حميمة وهمست في أذني قائلة : « ماذا بك ، إقبلي عليّ ببشاشتك وابتسمي جيداً » ! وكثيراً ما ترددت هذه الهمسة العذبة في سمعي كلما انطوى بساط أنسي وغاب بشري ، فــكيف حال ابتسامتك يا أختي ويا أخي ! ! أهي منتظمة في سيرها دؤوب ، أم هي متعطلة متبطلة ؟ أم هي كريشة في مهب رياح الأحــداث والأيام ! ؟ إني لأرجو أن نضبطها اليوم وننظم سيرها لأن الابتسامة قيمة نفيسة . وقد نستطيع أن نشتري عشرات المئات من اللوازم والتحف ، ولــكن جميع كنوز الأرض لا يمكن أن تبتاع ابتسامة واحدة ؛ ومع أنها لا تتقاضى منا ثمناً إلا أنها تغني أصحابها كما تغني الذين يتقبلونهـا وتجملهم من طلاقتها وإشراقها في روضة وغدير ، وجنة وحرير . وإنها لــتــسطــع في أسرع من رد الطرف إلا أن ذكراها تتوالى وتبقى إلى نهاية العمر ، وهي تصل إلى أفراد الأسرة ببشرها قبل أن يصل عائلها إليهم ببره ، وليس من ينكر أن مواجهتها لخطير المشروعات وجليل الأعمال ، أمان من الدهر وضمان للتوفيق . أوَ ليست هي التي تسطر بينانها عنوان الصداقة والإخلاص على وجوه الأهل والخلان ، وتدعو إلى الطمأنينة والهناء الأباعد والغرباء ؟ أليست هي التي يجــد فيها الــكليل راحة ويلحظ القانط الــكئيب منها بوارق الرجاء وأنوار العزاء ، وتطالع الحزين الحالس في الظــلام بإشراق النصر وبشائر الهناء ؟ حقاً إنهـا الترياق المحيي الذي تعدّه الطبيعة للحائر المتخبط في محيطات الشدة وبحار البأساء ! إنها الشيء الذي لا يدرّ لإنسان منفعة ، إلا إذا قدمها للغير ، وأنت إن صادفت في زحمة يومك واصطخابه إنساناً بائساً نال منه الإعياء حتى أعجزه عن ملاقاتك بتلك الابتسامة الوضيئة ، فعليك أن تضع بين يديه إحدى ابتساماتك الصادقات الرافعات ، إذ ليس في الوجود مَنْ هو أحوج إلى الابتسامة من ذلك الشخص الذي أخذت التكاليف بتلابيبه فقلصت بشرته ، وأوهنت قوته عن إبدائه ضاحكاً . ولقد قيل : « إن الابتسامة هي العلمَ المرفوع الذي يرفرف من حصن القلب حين يتشرف لحلول الملك المعظم في رحابه . . » ! !

ولا بدع فإن الابتسامة هي السيال النقي الذي يتدفق من قرارة القلب فيضوع منه معنى سحري عجيب توشك أن تتجسم فيه نفس صاحبه حتى لــكأنها بحيرة صافية هادئة

ساكنة لا تستطيع العين أن تسبر غورها وإن استطاعت البصيرة أن تكتنه نورها، وترتوى من صفوها. وليس فينا مَنْ يجهل تلك الابتسامة الخالدة التى عالج ليونا ردو دى فينشى » رسمها مدة أربع سنوات ، وأعنى بها ابتسامة « مونا ليزا جيوكوندا » التى تهفو على الفم وتشعشع من العينين ، وتترقرق فى الوجه وترتسم على الجبين ، وفيها تلك العذوبة التى كانت تعيد الراحة إلى نفس الفنّ المستفرد كلما جثم اليأس والانقباض على صدره ، حين غزا الملك « فرنسيس الأول » بلاد توسكانا وأخذه معه إلى فرنسا ، فأبى ليونارد إلا أن يصحب من صوره وأعماله الفنية غير لوحة الجيوكوندا وقد اصطنع منها لذاته قوة حيّة ، إذ كان بازائها كمرآتين مجلوتين تنعكس من كل منهما على الثانية صورة واحدة لمعنى واحد رائع لا نهاية له فى البسالة وشرف الطبع وعلو الهمة ووقار النفس واتزان العقل ولطف الملكة وشهامة الفؤاد . ومنذ بضع شهور حشد رئيس اتحاد النقابات الفنية التجارية الكبرى فى أميركا « ممثلى هيئات ذلك الاتحاد لاستقبال الرجل الموهوب » جاى ب إيدَنْ مدير مسرح « نيويورك » الكبير وطلب إليه أن يعلمهم كيف يبتسمون ، فعمد إلى أولئك البائعين من الرجال والسيدات ومرّنهم واحداً واحداً على أن يصرفوا فى ابتسامتهم عنايتهم كلها ليؤدوها على أحسن وجه ، وجادل كثيرين ممن حسبوا أنهم يجيدون الابتسامة وأقنعهم بأنها لم تكن إلا تكلفاً وتزويراً، وقال: إن الفرق الفاصل بين الابتسامة الصحيحة وبين ظاهر ابتسامتهم الزائفة — الفرق الماثل فى أعينهم وفى بعض التعبيرات المبهمة المرتسمة على ملامح وجوههم قد كان دقيقاً جداً بحيث لا يحسب حسابه أو يعتد به . . وصارحهم بأن الابتسامة الصحيحة الصادقة هى التى تبتسم فيها العينان كما تنفرج عنها الشفتان ، فيسيل الحنو من أعطافها ، ويتضح الود من أديمها ، حتى توشك أن تمازج الأرواح لرقتها ، وتشربها النفوس لعذوبة مذاقها ، وتخرّج أولئك القوم فى ذلك المستوصف الغريب الخاص بمعالجة الابتسامة بعد أن انتجعوه مدة أسبوعين كاملين ، ولم تمض ثلاثة شهور حتى راجت مجهوداتهم التجارية رواجاً كبيراً بلغت زيادته خمسة عشر فى المائة .

هذا ؛ ولا يجب أن تقتصر إجادة الابتسام على القائمين والقائمات بالأعمال التجارية ، بل يجب أن تكون العتاد الذى يتسلح به المفلحون العاملون لكل ضرب من ضروب السعى والنشاط ، وعليهم أن يروضوا ذواتهم على تلك الابتسامة العجيبة السحرية أمام المرآة ، وليعلموا أن ما تحويه من معانى الصدق والحرارة والمودة والانعطاف الشخصى من شأنه أن يجذب إليهم القلوب ، ويبسط على أصحابها جناح الرحمة ، ويشعرهم بأن لهم عند مانحيها مكاناً أثيراً وعهداً لا يُختر .. ولأضرب مثلا : تلك الفتاة « نادية » التى كانت تشتغل فى مخبز صغير ، وكانت إلى ماتقوم به من المعاونة فى تحضير العجائن الشهية تُعنى بتلبية طلبات المحصنات من ربّات بيوت الطبقة الراقية ، وقد أحَسَّت جهداً وانقباضاً ذات يوم لأن الأمور جرت فيه على غير ماتريد ، وانهارت طلاقتها بعد إذ أخرجت من الفرن كميــة من الأقراص والفطائر المحترقة . وأصاب إصبعها جرح بليغ إذ كانت تقطع الخبز لتقدده ، وكانت تصارع زكاماً مزعجاً ضاقت له أنفاسها فهجست فى نفسها وهى تمسح دمعة حرونا وقالت لِمَ لا أصادف اليوم شيئاً وفق مرامى ؟ شــدّ ما أتمنى أن أعود إلى البيت حالا وآوى إلى فراشى وأستكنّ . ولـكن لا مفرّ لى من البقاء هنا للقيام بخدمــة العميلات الـكريمات ، وحاولت أن ترد غرام رئاتها لنفسها ، وتستأنف مألوفها من الإقبال على أعمالها بالأنس والارتياح . ثم انفتح باب المخبز فجأة وأقبلت سيدة نحيلة عندها رقة ولباقة وابتسامة « عذبة » ، ومدّت يدها بلفافة صغيرة أنيقة وقالت لنادية : « جئتك بهدية صغيرة فإن صديقة قد أتحفتنى بمجموعة من مناديل اليد فاخترتُ لك منها أجملها وأبرعها وشياً ! » وللحال نسيت الفتاة رأسها المصدوع وإصبعها الجريح وهتفت قائلة : « لى أنا ياسيدتى ؟ » فأنعضت السيدة رأسها وقالت : « نعم لك يا عزيزتى فأنت دائبــة دائمــاً على منح خدمتك الابتسامة التى تجعلنى أطير شوقاً إلى هذا المخبز الوادع لأغتبط بشراء حاجتى منه ، وكم من مرة انصرفت عنه رافهة راضية وقد راجعنى نشاطى بعد إعياء ، وثابت إلىّ قوتى بعد جهد . ولا عجب فطالما استنشيت نسيم الروح والراحة من ابتسامتك الصافية المطمئنة . إن الهــدية التى أحضرتها إليك لا تذكر بجانب العطايا والهبات التى سوّغتها لى على الولاء ، ولـكنها

محمد سلامة مصطفى

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

لمجلة الثقافة الغراء كثير من الشعراء النابهين والمغمورين . يطيب لى أن أختار بعضهم للدرس والتحليل ، لإتمام سلسلة « شعراء الشباب » التى بدأتها فى مجلة الرسالة الغراء ، منذ أسابيع . وأحب شعراء الثقافة إلى قلبى ، وأجدرهم بالبحث والدرس : الشاعر النابه محمد سلامة مصطفى.

منذ حوالى عشرة أعوام ، زارنى بكوم النور غلام صغير السن ، ناحل العود ، فى نحو الثانية عشرة من العمر ، ما يزال فى بدء دراسته الثانوية ، يلبس منظاراً حالك اللون يكاد يستر وجهه الصغير ، وهو يغربل فى مشيته كما كان يفعل ابن الرومى . وأخذ هذا الغلام يحدثنى عن أساتذته بالمدرسة ، ويخص مدرس اللغة العربية باهتمام كبير ، وينشدنى بعض « قطع المحفوظات » المختارة ، والنصوص المقررة ، ويلقيها إلقاء جميلا يلفت النظر ويجذب السمع ويثير الإعجاب .

وبعد ما فرغ من إنشاد قصيدة للمتنبى وأرجوزة للعجاج ومقطوعة لشوقى — فاجأنى بقوله : وهذه قصيدة نظمتها أمس لأعرضها عليك اليوم ! فكتمت ضحكة مجلجلة فى صدرى ، تسرب منها إلى فمى ابتسامة عريضة ، فيها الدهشة والتشجيع والإعجاب بهذا الغلام الصغير !

لم أكن أعلم يومئذ أننى أشهد ميلاد الشاعر الشاب النابه محمد سلامة مصطفى . .

صحبت هذا الشاعر من فجر حياته الشعرية ، وشهدته وهو يحبو فى نظم القصيدة بيتاً بيتاً كما يحبو الطفل الصغير خطوة خطوة : يكبو مرة وينهض مرات ، ويتعثر حيناً ثم

رمز صغير لاعتزازى بما أسديت إلىّ من عون وإلهام » .

فقالت نادية : « شكراً لك ياسيدتى العزيزة وسأدخر هديتك على الأيام ، وحين يأخذنى الكلال وترتبك منى الأعمال وأعجز عن الابتسام سأرنو إليها وأذكر قولك الكريم لى » .

ومما لاريب فيه أن مثل هذا العون الذى تمنحه الابتسامة هو الدَّين المستحق على كل منا لرفاقنا أثناء رحلتهم معنا فى مطاف هذه الدنيا العتيقة الجائشة بالمتاعب الوبيلة والبلايا المزعجة . هذا ولا يكفى أن نظن الخير بالآخرين فقط ؛ بل يجب أن نحيطهم بخبره ، ونطلعهم على سره بابتسامة وضّاحة معبرة ، إذ كثيراً ما تكون الابتسامة وكلمة التقدير الرقيقة من ألزم ما يفتقر إليه صديق خائر وأخ حائر . وأذكر أنى رأيت مرة فى دهليز مستشفى صغير لافتة كتبت عليها النصيحة الآتية :

« المرجو عدم التفوه بكلمة مثبطة ما دمت فى هذا المستشفى ، احتفظ بتنهداتك وادّخر ملامحك الحزينة لغيره من الأماكن ، وإن عجزت عن الابتسام والتطلق فالدخول إلى هنا ممنوع » .

أوليست هذه النصيحة مما ينبغى أن يوجه إلى جميعنا ؟ ! إننا إذا لم نستطع أن نبتسم ونذيع الفرح والسرور ، فإنه يلزمنا على الأقل أن نلوذ بعقر دارنا حيث لا يمكن أن نؤذى أحداً ، وليس فى الكون بأسره رسالة أجل ولا أكرم من تحية مفرحة وكلمة صداقة حية ، وابتسامة حانية عطوف . ولنعلم أن المرء لا يمكن أن يخذل ما استطاع أن يبتسم ، وأن السيدة لن تعجز عن استعادة شجاعتها واستئناف كفاحها ما استطاعت الابتسام . وفى البيت وفى مكتب العمل وعلى فراش السقم وفى الأحياء والأزقة وفى ميادين الجهاد المقدس بل فى كل مكان وزمان تشتد الحاجة إلى الابتسامة المشرقة المتقدة التى تخفف أفدح أعباء الحياة وتبدد أوعر المرتقبات .

الزهرة

يغذ السير أحياناً إلى الأمام ، لم تفتني قصيدة مما نظم ، ولم يفته بيت مما نظمت ، طوال هذه السنوات العشر ، حتى قرأت له في الثقافة منذ أسابيع ، قصيدته القيمة : « ثم عاد الربيع » وهي مهداة إلى عبد المنصف محمود باشا من شاعر عاش على شواطىء بحيرة المنزلة ، إلى شاعر عاش على شواطىء بحيرة المنزلة :

وطموح وأدته الريح في بحر الفناء
يتنزى بين أنياب الردى حتى النداء
عاثت الآلام فيه بالمآسي والشقاء
واكفهرت حوله دنيا الأسى والبرحاء
يا طموحي يا سليل النجم يا ابن الكبرياء
أنا لا أملك غير الأدمع
وينابيع بيان مبدع
وإباء النبل من عهد ورع
ووفاء لم يكن بالمدعي
إن يبالوني بشر فهم محض هباء
وأنا ابن الخلد والخلد جزاء الشعراء

فسررت جداً وتذكرت قول أبي تمام :

إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيصير بدراً كاملا

وليست هذه القصيدة هي أفضل ما نظم محمد سلامة ، فله روائع تسلكه في عداد المجيدين من شعراء الشباب . قال من قصيدة « ليل غضوب » :

وانطلقنا مع الأصيل سكارى بجمال يحكي ابتسام العذارى
في رشيق من الزوارق فوق الماء كالطير في السماوات طارا
نتساقى الحديث حلواً شهياً ونغني فنسكر الأوتارا
فتية ودعوا الشجون وداروا يقتفون النعيم كأساً مدارا
البشاشات في الأسارير أسرا ر تجلت ، ما أعذب الأسرارا

* * *

أسرعوا يا رفاق للشاطىء الآ من ننجو من ذلك الجبار
غضب الليل غضبة الأسد الضا رى هلموا فالموت دون الضوارى

عجباً للحياة بينا نرى السفر دوس نوراً إذا بنا في نار !
كيف أمسى الشيء الجميل قبيحاً واستحال الصفاء للأكدار
ياضياعي ما لاح نجمي إلا أطفأته عواصف الأقدار

وقال من قصيدته الرشيقة الضافية : « صلوات على الضفاف » :

أكتبتني حيران في كل المواطن يا قدر ؟
في كل ربع دمعة بدمي تسيل وتنحدر
وبكل أرض وقفة منها التوجع والفكر
أمشي بأحزان الغريب مشرداً جم العذاب
هل من مجير والشباب
أيامه أكواب صاب ؟

* * *

سهران أضرب في الظلام بلا صديق أو رفيق
الظلم فوق كواهلي جبل وفي نفسي حريق
يا رمية الرامي كفي قتلا فإني لا أطيق
أمسيت بين جوانحي لجج الكآبة والدماء
ففررت مذهول الدعاء
نحو البحيرة والسماء !

* * *

والليل في كنف البحيرة من أعاجيب الفنون
فيه الوداعة والشراسة والتعقل والجنون
هو فيلسوف بالغ ماليس تبلغه الظنون
وهو الجهول بقصة الصياد في بحر الحياة
بين العواصف والمياه
واحسرتا ضاعت مناه

* * *

هذا الخلود فأين محبوبي يشاطرني الخلود ؟
يضفي على الأنغام أنغاماً من الأمل الجديد
ويعطر الآفاق والأنسام بالحب السعيد
ويزيل بالسحر المنعم غربة الروح الغريب
لاشيء في الدنيا يطيب
حتى الخلود بلا حبيب !

وعلى هذا النمط الجميل من الشعر الحافل بالصور والألوان ، يقول الشاعر :

يا طريق الطموحْ يا سبيلَ الذُّرَى
أرهقتنى الجروحْ واستبدّ الورَى

***

هل يطول المسيرْ فى صحارى الوجودْ ؟ !
بعد جهدٍ كبيرْ واحةٌ للشّريدْ

***

رغم هذى القيودْ رغم تلك المحنْ
إننى للخلود دائبٌ لم أهنْ
أعولى يا رياحْ صوّحى يا غصون
لن أملّ الكفاح أو أذوق المنون !

والشاعر الموهوب محمد سلامة مصطفى رقائق لطيفة فى شعر الحب والغزل ، نظمها على نهج جديد ، وبروح جديد ، كقوله فى قصيدة « غرام جديد » :

أفى كلّ يومٍ غرامٌ جديد
ويهتف قلبى : ألاَ من مزيد ؟
قبستُ من الحسنِ أنوارَه
وقد عطّر القلب وردُ الخدود

وقال :

أتوق السموم من شفتيكِ وأخاف السهام من عينيكَ
أنتِ عذبتنى وشردْتِ أحلا مى وضاع الزمان بين يديكَ
لستُ أهواكِ مثلما كنتُ أهـ واكِ وكان الغرام وقفاً عليكِ
وسأقسو عليك قسوة جبّا رٍ كأنى لم أرتشف شفتيكِ !

وإذا أبحنا للشاعر أن يقسو على محبوبته قسوة جبار فلا نبيح له أن يتوق السموم من شفتيها . ففى كلمة « السموم » وحدها فى مطلع قصيدة غزل ، سموم لا تطاق . ويقول فى راهبة هليو بوليس :

قد مر عام يا هُدى كالدهرِ خابى الأنجمِ
الصمت فيه صراخ مط عونٍ ونوحُ محطّمِ
والشدوُ لوعةُ شاعرٍ من قلبه المتألمِ
كم آهةٍ نظرت لها الـ أيامُ فاغرةَ الفمِ !
فرت من الصدر المعذّ ب بعد طولِ تكتم

فيها أزاهيرُ الشبا بِ مخضباتٌ بالدم
وبها بشائرُ حالمٍ محزونة فى مأتمِ !
أضواءُ فجرٍ مشرقٍ فى كهف ليلٍ مظلم
وجمالُ معنًى واضح فى قبحِ لفظٍ مبهمِ !
أغرقتُ بعدكِ فى الشقا ءِ بشاشتى وترنمى

والشاعر مساجلات مع بعض شعراء الشباب لا تخلو من طرافة ؛ كتب مرة إلى صديقنا الأستاذ العوضى الوكيل، يستفسر عن صمته الطويل :

أرى الصمتَ فى بعض الأمورِ محبباً
ولكن هذا الصمت غير حبيب
فأين أغانيك الرقاق تهزنا
وتمتعنا فى فرحةٍ ووجيبِ
أيدعو الربيع الطلق مادح حسنه
ويمسى الوكيل الفذُّ غير مجيب ؟

فأجاب « الوكيل الفذّ » :

ترى الصمتَ فى بعض الأمورِ محبباً
وصمتى عن الألحان غير حبيب !
صدقت ولكن قد نظمنا ملاحناً
كآذارَ فى حسنٍ يروق وطيبِ
شدوتُ على روحى لنفسى أغانياً
ذواتِ خمارٍ فى القلوبِ غريبِ
وما زرتَنا حتى نذيقك بعضها
وتأخذ من إمتاعها بنصيبِ
فإن زرتنى أرشفك كأساً رويةً
بها أثرٌ من جرولٍ وحبيبِ

وجرول وحبيب مقصوران هنا للوزن والقافية فقط . ولو أراد العوضى الصدق والدقة لقال : بها أثر من ابن الرومى والعقاد ! !

وما كاد الأستاذ سلامة يطلع على أبياتى إليه فى مقالى : « قرية الأدباء » بمجلة الرسالة :

ورائة الفنّ الرفيع الباهرِ
معجزةٌ تحققت للناظرِ
على يدىْ « سلامة » المغامرِ
الشاعر ابن الشاعر ابن الشاعرِ

حتى كتب إلىّ أرجوزة طويلةً بارعة ، سجلتها له فى ديوانى « بينى وبين الشعراء » ، ومنها :

الشاعر ابن الشاعر ابن الشاعرِ
يهدى تحياتِ فؤادٍ زاخرِ
إليك يا ربّ القصيد الباهرِ

* * *

وراثة الفنونِ والخواطرِ
أغلى من الأموالِ والجواهرِ
والتاج والسلطانِ للقياصرِ
الفنُّ سرّ الله فى الضمائرْ
وهو ائتلاق الخلد فى البصائرْ
وهو نبواتٌ بقلب الشاعرِ

وللشاعر قدرة بارعة على التركيز ودقة الملاحظة ، يصوغها أحياناً فى قوة الحكم والأمثال الشائعة ، كقوله :

خبرت ضروب الناس طرًّا فلم أجد
أشدّ عقوقاً من دم الودّ والقربى !
هم أوسعونى غلظةً وشماتة
وقد كنت قبل اليوم أوسعهم حباً !
وكنت سلاماً غامراً فى ربوعهم
فيا عجباً أمسوا — على محنق — حربا !
إذا خذل الناس الوفاء وأوغلوا
فحسب الوفىّ الحرّ أنّ له ربا !

نعم يا صديقى العزيز ، لقد أسمعت . . . !

ويعزى صديقاً له فى وفاة والدته فيقول :

أأقول مثل القائلين : تجلد ؟
كلا وحق الشعر لا تتجلد !
إن التى ولدتك قمة عالَمٍ
لجديرةٌ أبداً بحزنٍ سرمدى

وبمعنى أردّد بيتى المروزى الضرير :

تنافى العقل والمال فما بينهما شكل
فعقلٌ حيث لا مالٌ ومالٌ حيث لا عقل !

فقال :

حار عقلى والله فى هذه الدنـ ـيا وشأن الحياة جدُّ عجيبِ
فقلوبٌ تحيا بغير جيوبٍ وجيوبٌ تحيا بغير قلوب !!

ومن شعره الجزل الرصين قصيدة طويلة أهداها إلى الأستاذ الفاضل الحاج محمد عمر سلامة زعيم كوم النور وقائد نهضتها المباركة فى ميدان الإصلاح الاجتماعى يقول فى مطلعها :

رأيت سحابات الأسى تتقشع
وأبصرت شمس البشر تصفو وتسطع
وتلك رياضى بعد ما جفّ نبعها
تجلت بألوان الشذى تتضوع
أحسُّ كأن الأمنيات تهزنى
وكم هزّنى من قبل يأسٌ مروّع
وأبسم والدنيا حوالىّ بسمة
وكم ظفرت بالدمع إذ كنت أدمع
أقول فيصغى الكون إصغاء ناسك
يساوره صوتٌ السماء فيخشع

هذه كلها نماذج مختلفة تبدو فيها شاعرية فياضة بالرقة والسلاسة ، جياشة بالصدق والعمق ، معبرة عن الألم والعذاب أجمل تعبير . وهنا أيضاً العيب الذى أحب أن يبرأ منه الشاعر فى ريعان عبقريته المتدفقة ، وهو نفس العيب الذى يصبغ أدبنا بمسحة قاتمة وظلال حالكة السواد ... لست أدرى : ما سر هذا التشاؤم المر الذى يولع به الشاعر ، ويكلف به أكثر شعراء الشباب ؟ قد يكون السبب هذه الأبعاد الشاسعة بين سماء الخيال والأحلام ، وأرض الحقيقة المرة والواقع المشهود ؟ ولكن يكفى جدًّا أن ينفرد شاعر كعبد الحميد الديب بشعر العذاب والحرمان ، ليتسابق غيره من الشعراء إلى نواح أخرى وآفاق جديدة تنقلنا إلى عوالم رفيعة للبهجة والتفاؤل ، والمرح والغناء !

وعيب آخر أحب أن يبرأ منه الشاعر محمد سلامة مصطفى ، فإن إعجابه بشاعر معروف يغريه بمحاكاته والنسج على منواله ، بقصد وبغير قصد . فلينطلق على سجيته كالطائر الصداح فى الفضاء الواسع ، يملأ الأسماع فى كل البقاع ، بالغناء العذب والشدو الجميل .

أحمد أحمد العجمى

ابن تيمية والغزالى

— ٩ —

للأستاذ أنور الجندى

يفرق بينهما قرنان كاملان من الزمان ومع ذلك فقد التقيا ، وكانت آراء الغزالى من بين القضايا التى بحثها ابن تيمية . . ووقف منها موقفه العنيد . .

ظهر كل منهما فى الوقت الذى كانت المملكة الإسلامية فى حاجة إلى مثله ، وترك كل منهما فى الفكر الإسلامى أثراً بعيداً ما زال قائماً وقوياً حتى الآن .

ظهر الغزالى فى الوقت الذى استفحل الخلاف فيه بين الفقهاء والصوفية ، وبلغ كل مبلغه من العناد والتشبث ، واتهم كل منهما الآخر بالنقص والقصور .. وكانت الصوفية قد وصلت إلى درجة من سوء الفهم والتطبيق أبعدتها كثيراً عن حقيقة الإسلام وقواعده . .

فكان الغزالى أقدر من استطاع أن يمزج الفقه بالتصوف ويجعلهما شقّى نواة واحدة .

أما ابن تيمية فقد ظهر فى إبان المحنة الكبرى أو على وجه التحقيق ، ظهر بعد سقوط بغداد فى أيدى التتار ، بعد أن أطفئت منائر الخلافة ، وكاد أن يفلت الزمام من أيدى المسلمين ، عندما طغى السيل على الشام ، ووقعت ثغورها فى أيديهم ، واضطر الجيش المصرى إلى الارتداد أمام هجوم التتار ليتحصن بحدود مصر فكان — لظهوره فى هذا الجو العنيف — أبعد الأثر إذ كان أشبه بالإعصار القوى لا يقف فى وجهه شىء . هاجم المعتزلة والصوفية والفقهاء والباطنية . . والنصيرية والروافض ، وسجن من أجل ذلك وعذب ، وانتقل بين دمشق والقاهرة والإسكندرية ، وكان فى كل أهدافه يرمى إلى تنقية العقيدة والعودة بالإسلام إلى منابعه الأولى .

* * *

ظهر كلا الرجلين فى الوقت الذى وصلت فيه الأمور إلى أبعد حدود الاضطراب ، وكادت الفكرة الإسلامية أن تتوارى تحت مطارق خصومها ، فكان كل منهما مبعوثاً جاء فى إبانه ليتقذ الفكرة ويجدد الرسالة .

عاش ابن تيمية فى الشام وعاش الغزالى فى بغداد .

ورحل ابن تيمية إلى مصر ورحل الغزالى إلى دمشق وبيت المقدس .

وحارب ابن تيمية التتار بسيفه ، وحارب الغزالى الباطنية بقلمه .

وصارع ابن تيمية قومه فلم يترك طائفة من الطوائف دون أن ينتقدها أو يصاولها ، وصارع الغزالى نفسه فلم يترك مذهباً من مذاهب العلم والفلسفة والكلام إلا أخذ منه بقدر ثم عارض هذه المذاهب جميعاً .

ولقى ابن تيمية الخصومة فى حياته فسجن وعذب وحوكم مرات متعددة فى مصر والشام .

ولقى الغزالى الخصومة بعد مماته ، فكتبت فى الرد عليه الفصول والأسفار ، وحرقت كتبه ، وحكم عليه بالزندقة .

ولكن كلا الرجلين أصبح خالداً فى تاريخ الفكر الإسلامى ، وغدا دعامة من دعائمه الكبرى ، وكلا الرجلين خلق جيلا ، وأنشأ مدرسة امتدت خلال القرون والأجيال ، وكان لها أبعد الأثر فى العصر الحديث .

أما الغزالى فلا يزال أهل السنة ، والصوفية ، ودعاة الفكرة الإسلامية يضعونه على رأس قائمة الأئمة المجددين المصلحين ، وقد كان بعيد الأثر فى نفوس اهل المغرب ، إذ كان ابن تومرت وغيره من زعماء الحركات الإصلاحية من تلاميذه وأتباعه . وفى مصر كان الإخوان المسلمون وإمامهم حسن البنا يرون الغزالى فى مقدمة من يؤخذ عنهم الإسلام . . وكانت أحاديث الثلاثاء تقوم فى أول الأمر على قراءات عن كتابه الإحياء . .

أما ابن تيمية فهو إمام الوهابية الأول . . وقد تحققت

أفكاره فى صورة عملية ، منذ قرن ونصف قرن من الزمان حين دعا إليها محمد بن عبد الوهاب ، واستطاع أن يقنع بها حاكم نجد ، فاجتمع عليها أمراء آل سعود . وقامت باسمها الدولة السعودية التى ما تزال تحكم فى شبه جزيرة العرب حتى الآن .

كان كلا الرجلين آية من آيات الله فى العلم والفهم والذوق والذكاء ، نابغة قديراً بارع القلم ، حسن الأداء ، عميق الغور ينقد ويفحص ويحلل ما بين يديه من القضايا فى دقة ولباقة . وقد ترك كل منهما آثاراً كثيرة متعددة مستفيضة ، تلقفها التلاميذ والأتباع بالدرس والبحث والتحليل والشرح .

وكتب الغزالى أعظم كتبه (إحياء علوم الدين) وهو سجين باختياره فى منارة جامع دمشق . وكتب ابن تيمية أعظم بحوثه (تفسير القرآن) وهو سجين على الرغم منه فى جب من سجن دمشق .

فى عصر الغزالى بدأ الزحف التترى على المملكة الإسلامية ، وفى عهد ابن تيمية وصل أقصى قوته ومدى غايته .

عاصر الغزالى الخلاف بين الفقهاء والصوفية فقضى عليه بإدماج الفقه والتصوف ، وعاصر ابن تيمية الخلاف بين الصوفية والفلاسفة فقضى عليه بالعودة إلى المعين الأول .

كان الغزالى يرمى إلى توحيد الفكرة الإسلامية فى نسق واحد ، وكان ابن تيمية يرمى إلى نبذ كل المذاهب المبتدعة من كلام وتصوف وفلسفة ، والعودة إلى بساط الإسلام فى معينه الأول .

وكان الغزالى رقيق الحاشية ، هادئ النفس ، يعمل فى ميدان الإصلاح متعاوناً مع أهل الحل والعقد فى سبيل مقاومة العدو الخارجى .

أما ابن تيمية فكان قاسياً عنيفاً ، جريئاً ، لايبالى أن يقف أمام الجماعات والأحزاب ويصارعها فى قوة ، ولا يبالى خصومته مع الأمراء والرؤساء .

ولكنه كان منصفاً عادلاً ، فحين أقبلت جحافل الصليبيين قاد المعركة وركب فرسه ، ونادى فى الناس بالجهاد ، ودفع الجموع إلى الاستشهاد فى سبيل الله . .

كان كل منهما نموذجا عالياً فى الخلق بين طوائف العلماء فى عصريهما . كان كل منها أكبر من أن يشترى ضميره بالمال ، أو يتراجع أمام عقيدته ورأيه وهدفه .

كان الغزالى شعبياً ، يكون الجماهير ، ويكسب ثقتها ويحرص على أن يحولها عن أخطائها بأساليب غاية فى الرقة واللين ، وبذلك استطاع أن يصل إلى مركز قريب من التقديس فى نظر العامة .

أما ابن تيمية فكان يؤمن بالحق يذيعه فى صراحة ، لايبالى غضب الجماهير ، فى سبيل إعلان رأيه وما يعتقد أنه الخير .

وكان يؤمن أنه لا فائدة من مماثلة الجماهير ، وإنما يرى الإصلاح بالهدم والبناء ، والإعلان فى طرحه عن الأخطاء ، وكان إلى ذلك متشدداً قاسياً عنيفاً ، مما سبب له الكثير من المتاعب ، وألب عليه العلماء وتجار الدين ، الذين كرهوا موقفه ، وحقدوا عليه ، ودسوا له عند الأمراء والملوك ، فحوكم وشرد وسجن . . ولكنه ظل قوياً راسخاً كالطود لايتزلزل ولا يتحول عن رأيه . .

عاش الغزالى فى عهد السلاجقة الذين أعادوا للإسلام مجده وقوته .

وعاش ابن تيمية فى ظل دولة المماليك الذين قاوموا التتار والصليبيين وسحقوها .

كان كل منهما إماماً مجتهداً بلغ درجة الإمامة ، وتحققت له شروط المجتهدين .

جمع الغزالى بين القرآن والحديث والحكمة فى كتبه ، ووقف ابن تيمية نفسه على تفسير القرآن ووضع فيه نحواً من ثلاثين مجلداً ، هذا باستثناء رسائله المتعددة .

الغزالى شافعى المذهب وابن تيمية حنبلى المذهب ، وفى خلق الغزالى ما يشبه خلق الشافعى من لين وسماحة ، وفى خلق ابن تيمية ما يشبه خلق ابن حنبل الذى احتمل محنة خلق القرآن بضع سنوات دون أن يتزلزل عن رأيه .

ويكاد يكون الغزالى فى أيامه الأخيرة رجل قلب وعاطفة وذوق وإحساس ، بينما يبدو ابن تيمية رجل عقل ومنطق وفكر .

وكان اتجاه كل منهما فى وقته وإبانه أصدق الاتجاهات فى التجديد والإصلاح .

قصد الغزالى إلى إيقاظ روح الإيمان فى الجماهير ، فنزع رجال المذاهب الصوفية وبقى ما فى أيديهم من الخطأ والاضطراب وقدمه على طريقة جديدة غاية فى الروعة ، فأصبح بحق المعلم الأول حين يتحدث المؤرخون عن أعلام الصوفية .

وفضل الغزالى العابد العامل بعلمه على العالم البارع فى المجادلات والتخريجات .

وكان أشد خصومه عليه : ابن رشد وابن تيمية ، وكان ابن رشد ينصر الفلسفة التى حاربها الغزالى حربا عوانا ، وكان قد هاجم الفلاسفة بكتابه « مقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة » ، وكان ابن تيمية وتلميذه ابن القيم يريان الغزالى مسرفا فى التصوف .

واتفق العلماء على أن الغزالى هو مجدد القرن الخامس ، فقد جدد للناس إيمان القلوب ، وصفى الفكرة الإسلامية مما اتصل بها ، وما أضيف إليها . . ومزج العقائد بالعبادات والتشريع بالتصوف .

بدأ الغزالى حياته عالماً يتولى التدريس فى المدرسة النظامية ببغداد ، وهى أكبر جامعة إسلامية إذ ذاك — بعد الأزهر . . واتسعت حلقات دروسه واشتهر بفتاواه البارعة . .

فلما تحولت أفكاره وحال جولته الطويلة وعاد إلى طوس ، أنشأ مدرسة للفقهاء ، وأخرى للصوفية ، ومن هذا نتبين مدى التحول الذى طرأ على أفكاره . .

وقد رحل فى سبيل الراحة النفسية ، فانتقل من طوس إلى نيسابور إلى بغداد إلى الحجاز إلى دمشق ، إلى بيت المقدس إلى مصر ثم عاد إلى خراسان .

وقد ولد الغزالى سنة ٤٥٠ هـ ببلدة طوس من أعمال خراسان وتوفى سنة ٥٠٥ هـ .

* * *

أما ابن تيمية فقد أمضى فترة كبرى من حياته سجينا ، كان ما يلبث أن يخرج من سجنه حتى يعود إليه ، وفى الإسكندرية أمضى سجيناً سبع سنوات متوالية من ٧٠٥ إلى ٧١٢ هـ وسجن فى قلعة الجبل وفى القاهرة ، وتوفى مسجونا فى قلعة دمشق ٧١٢ هـ .

وكان غاية جهاده أن يناهض البدعة فى العقائد والأحكام والعبادات ، وأن يكافح مبادىء الحلولية فى الصوفية وأن يستنكر تقديس الأولياء .

وقد أنكر التقليد وفتح باب الاجتهاد واسعاً .

وظل ابن تيمية يكتب ويناقش ويحاول . . حتى إذا جاءت السكوارث وضع قلمه ، وجرد سيفه وركب فرسه وصال فى ميدان القتال يحرض المسلمين ببيانه الرائع وأسلوبه الفياض وإيمانه الدافق . ومن أشد ما قاساه ، ما حكم عليه أن يقضى شهر رمضان فى برج ، فلما جاءت ليلة العيد أنزل إلى الجب فأمضى فيه يوماً وليلة . .

وجملة القول أن ابن تيمية والغزالى ، على اختلاف ما بينهما من أوجه الرأى ، والزمن ، كانا إمامين من أجل أئمة الإسلام قدراً وأبعدها أثراً فى تاريخه وحياته وتراثه .

أنور الجندى

مع الفكر الأوربي المعاصر

للأستاذ مبارك ابراهيم

١ — « ويلدينفي »

الكاتب والشاعر النرويجي

للكاتب المعاصر « ك . ڤان هوك »

"Wildenvey" of Norway
By K Van Hoek.

قال الكاتب :

لما قام من مكانه بعد أن فرغ من طعامه ، في مطعم من مطاعم إحدى ناطحات السحاب المطلة على مدينة « أوسلو » حيث ضرب لي موعداً للقاء ، حسبت نفسي أني قد لقيت الشاعر الإرلندي « وليم بتلر ييتس » وقد بعث إلى الحياة . وزال عنه القبر والكفن .

ولما أنبأته بما دار في خاطري ضحك وقال : يوم كنت في ريعان شبابي كان الناس كلهم يقولون إني أشبه الناس « بأوسكار وايلد » . ثم استطرد يقول : وإني لأحسب من نعم الشيخوخة علي أن قد زال الشبه بيني وبين الروائي الذكي على ما به من سطحية وقلة عمق . وأني قد أصبحت اليوم أقرب الناس شبهاً إلى ذلك الشاعر البعيد الغور !

وصاحبنا « ويلدينفي » قد أوتي خلقاً رضياً يليق بأمير من أمراء الشعر . وإذا أردت وصفه قلت إن له خصلا من الشعر الأبيض قد انساقت إلى وراء في غير ترتيب أو عناية . وقد انزاحت تلك الخصل عن جبهة عريضة ، تعلو حواجب كثة ، وعينين زرقاوين ، يتوسطهما أنف دقيق ، وإذا نظرت إلى يديه اللطيفتين أنكرت وجودهما في ذلك الجسم الذي بناه الله بناء قوياً .

وكذلك أنت إذا نظرت إلى وجهه الذي لفحته الشمس حسبته فرداً من أفراد العامة في إنجلترا وليس شاعراً من الشعراء . ولكنك إذا سمعته يتلو عليك بصوته الندي أبياتاً من شعره بدا لك رجل الفن واضحاً جلياً .

وقد قضى المترجم له سني تكوينه في البقاع الخلوية . وفي عام ١٩٠٤ — وكان في الثامنة عشرة من عمره — قام برحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليزور أقرباءه هناك . وكانت رحلته على ظهر الباخرة « نورج » التي غرقت بالقرب من ساحل مدينة « روكول » الواقعة في شمال اسكتلندة . وابتلع اليم ثمانمائة من ركابها .

ولما قرأ صاحب الترجمة اسمه القديم (هرمان بورتاس) في قائمة الغرقى حمد الله وأثنى عليه . وحسبها فرصة مواتية للإلقاء بذلك الاسم في اليم . واتخذ لنفسه اسم أجداده الماضين وهو « ويلدينفي » ومعناه « الأمواج المتلاطمة » .

وفي أمريكا قضى ثلاث سنين جمع فيها بين درس اللاهوت في إحدى كليات اللاهوت ، وبين احتراف الفلاحة . ثم عاد إلى بلاده .

وكان لظهور أول ديوان شعر له رجة في الأوساط الأدبية ، حتى لقد أشادت بذكره دائرة المعارف «البريطانية» — وهو لما يبلغ الواحدة والعشرين من عمره — في مقالها عن الأدب النرويجي . وقد جعله هذا الديوان معشوق الجماهير . وحامل لواء التجديد في الأدب النرويجي .

وهو يقلل من شأن هذا النجاح المنقطع النظير . ويعلله بأنه إلى حين ظهور ذلك الديوان كان الشعراء النرويجيون المعاصرون وكذلك من سبقوهم منذ تسعين عاماً (وهي المدة الواقعة بين تحرر النرويج من تبعيتها للدنمارك في عام ١٨١٤ وبين نهاية عهد الاتحاد مع السويد في عام ١٩٠٥) قد وقفوا قول الشعر على خدمة الكفاح في سبيل الاستقلال .

أما هو فقد استقام له قول الشعر يوم تم الاستقلال لبلاده ، فألفى الجو صفواً ، والريح رخاء . وألفى في نفسه القدرة على قول الشعر من أجل الشعر ذاته . وأضاف إلى ذلك قوله : إن النرويج تستطيع اليوم أن تقدم للعالم شعراء قد تغنوا بالشباب والجمال ومباهج الحياة .

وعاد المترجم له إلى البحر مرة أخرى وانضم إلى البحرية الأمريكية . ولـكن قرحة فى المعدة قد أصابته فاضطر إلى اعتزال الخدمة مأجوراً مشكوراً .

وغادر ميناء « سان فرنسسكو » على ظهر باخرة ألمانية من بواخر التجارة ووجهته أوروبا . وكان ذلك فى عام ١٩٠٦ ، وقبل الليلة التى شب فيها الحريق الذى لم يبق ولم يذر . ولم يدر ساعة أن غادر البيت الذى كان يقيم به أن بعد بضع ساعات سوف تزلزل الأرض زلزالها وتخرج أثقالها ، فتهشم المدينة تهشيما .

وتبع ذلك السفر سياحة طويلة فى البلاد الأوروبية . وتلا ذلك ظهور دواوين من شعره كتب لها الفوز المبين . ومن تلك الدواوين : ديوان « معانقات » . وديوان « أغنية الخريف » .

وقد كان لبراعته فى فن الشعر الفضل فى إضفاء ثوب من الرشاقة على الشعر النرويجى .

وقد تزوج « ويلدينفى » فى عام ١٩١٢ من فتاة اسمها « جسكروا كرامر » كانت يومذاك طالبة ناشئة . وقد جاءت من شمال النرويج . وقد أصبحت هى أيضاً كاتبة فيما بعد . وكانت دائماً الرفيق الملهم لزوجها . ولما نشبت الحرب العالمية الأولى كانا فى طريقهما إلى باريس ، فاضطر إلى اختصار الرحلة والبقاء فى « كوبنهاجن » حيث طاب لهما المقام بضع « سنين إلى أن عادا إلى النرويج . » وحطا رحالهما فى المدينة الريفية مدينة « ستافرن » .

وقد اختصت « السيدة ويلدينفى » بالـكتابة عن شباب أهل الشمال . فـكتبت عن قضايا حبهم ، وعن مشكلات حياتهم ، وعن وسائل كفاحهم فى سبيل التربية والتعليم .

وكتابها الأخير الذى سمته « الأمهات قد بكين » يدور على وصف الحياة فى النرويج أيام الحرب العالمية ، وعن الأمهات اللائى خدم أبناؤهن مع الحلفاء . وهو كتاب يعالج مشكلات غير عادية قد زاد فى تعقيدها احتلال العدو .

وجاء أتباع « كويسلنج » أيام الاحتلال الألمانى للنرويج فرموا بكتب « ويلدينفى » من فوق الرفوف . واضطر هو إلى النزول إلى الأرض بالمعنى الأوفى لتلك الـكلمة فعمل فلاحاً فى مزرعة أخيـه . ولـكنه ظل يجمع بين حرث الأرض ، وبين قرض الشعر .

وللمترجم له حتى يومنا هذا من دواوين الشعر أربعة عشر وله كذلك أربع قصص . وقد ترجم إلى اللغة النرويجية روايتين من روايات « شكسبير » هما : « كما تريدها » . و « الليلة والثانية عشرة » .

ويؤثر عنه أنه قال : « إنى أكتب كما أحس . فإذا لقيت شيئاً يبعث على الضحك فإنى لا أستطيع مقاومة بواعث الضحك » .

والشيء الذى يبعث على الدهشة فى هذا الشاعر أنه لا يأبى أن يقول شـعراً يفيض بآثار الذكاء ليتلى على قوم تفيض عقولهم بآثار الغباء . فى الليلة التى لقيته فيها كان يعد العدة ليسافر إلى شمال « النرويج » وقد أعد قراءات شعرية من قصائده ليتـلوها على قوم هم فى الأعم الأغلب من صيادى السمك ومن المعدنين .

وفى شتاء العام الماضى قام بإذاعات دامت ستة وعشرين أسبوعا شرح فيها لمستمعيه ما مر به من تجارب سواء فى أرض الوطن أو فى خارجها . وقـد تبـل تلك الإذاعات بأحاديث عن ذكرياته عن رجال مشهورين توثـقت بينه وبينهم أواصر الصحبة كالشاعر والروائى الإرلندى « ييتس » (المتوفى عام ١٩٣٩) وكالـكاتب الأمريكى « همنجواى » (المولود عام ١٨٩٨) وغيرهما . . .

٢ ــ جراح من جراحى القرن السادس عشر

أو « رسالة أمبرواز باريه »

كتاب من تأليف « جيفرى كينز »

"Sixteenth Century Surgeon" or "Treatise of" Ambroise Paré Edited by Geoffrey Keynes.

أمبرواز باريه المولود عام ١٥١٠ والمتوفى عام ١٥٩٠ جراح فرنسى يرى الـكثيرون أنه منشئ علم الجراحة الحديثة . وهو صاحب تآليف عدة فى التشريح والجراحة وفى علاج الجروح . وفى الطاعون وفى فن القبالة وفى المواليد الغريبي الخلقة (المسوخ) .

كان « أمبرواز باريه » من أوائل الجراحين الذين

حاولوا تخليص الجراحة من تقاليد الماضي التي أكل الدهر عليها وشرب . فكانوا في محاولاتهم من المفلحين .

ونجاح صاحبنا في هذه المهمة الصعبة يرجع إلى أنه كان مرهف الحس دقيق الملاحظة . وليس ذلك فحسب ، بل إنه كان ذا عقل قوي يستطيع به أن ينكر على أهل الصناعة قولهم حين يراهم يؤمنون بالتقاليد التي وضحت أخطاؤها .

وقد اقتبس مؤلف هذا الكتاب منتخبات من أقوال (باريه) تصور بعض محاولاته التي اختص بها وحده في معالجة مسائل الجراحة .

وما أوتي (باريه) من العلم إلا قليلا . فلم يكن يعرف اللغتين اللاتينية واليونانية . ولذلك فقد كان من حسن طالعه أن اتصل في عام ١٥٣٦ بشخص « المرشال مونتيچان » قائد فرق المشاة في الجيش الفرنسي . وفي ذلك الحين كان (باريه) قد أتم لتوه مرانته كحلاق صحي . وعلى هذا القدر الضئيل من العلم الطبي ألفى نفسه وجها لوجه أمام مشكلات علاج الجروح التي تسببها الحرب بدلا من أن يلاقي تلك الحالات العادية التي تحدث في غير أيام الحروب . ذلك لأن كثيراً من أوقات الحلاقين الصحيين كانت تقضى في إجراء جراحات الفصد والحجامة ، وإن كان منهم من كان يعمل كبرى العمليات الجراحية .

وقد قضى (باريه) أكثر عمره يعمل مع الجيش الفرنسي أثناء الحروب الخارجية ، وكذلك أثناء الحروب الأهلية التي وقعت في القرن السادس عشر . وفي تلك الحروب بنوعيها كسب الخبرة التي أوحت إليه بكتابة كتبه التي يقتبس منها مؤلف هذا الكتاب .

وقد وجد صاحبنا أن الطريقة المعترف بها في علاج الجروح . وهي طريقة صب الزيت المغلي وطريقة الكي لم تكونا بالطريقتين المأمونتي العاقبة . أما هو فقد استعان بطريقة ربط الأوعية الدموية في حالات البتر . وهو نوع من العلاج لم يدع هو أنه أبو عذره . وصاحب افتراعه . وهو في كتابه الذي « سماه » رحلات إلى بلاد مختلفة يضرب للناس الأمثال على نجاحه باستعماله لهذه الطريقة المستحدثة .

أما وصفه لمرضاه فقد أطال فيه وفصل ، وأضفى عليه ثوباً من الجدة والحياة . وهو يذكر لنا في بيان لا لبس فيه ولا غموض . وفي كلمات تثير كامن الأسى : كيف كان يبلغ الألم الممض من نفوس أولئك المرضى الذين كانت تنتهي آلامهم — في الأعم الأغلب — بالموت ، بعد احتضارات تشيب لهول عذابها الولدان .

ويبدو أن بعض طرق علاجه قد كانت تؤدي بمهارة تستأهل الحمد وتستوجب الثناء . كما يبدو من أوصافه التي أطال فيها وأسهب أنه كان قريبا — في كثير من الحالات — من طرق العلاج الجراحي الحديث .

وقد لجأ (باريه) إلى الإسهاب والشرح في وصف طرائق علاجه ليدفع عن نفسه ، ويصد هجمات طبيب من ذوي المؤهلات هو (إيتين جوميلين) الذي كان يحاول أن يثبت أن لجوء (باريه) إلى طريقة الأربطة في حالات البتر وهي الطريقة المراد بها وقف النزف إنما كانت طريقة غير صالحة .

وهو يصف في كتابه وصفاً روائياً حصار الملك شارل الخامس لمدينة (متز) في عام ١٥٥٢ فيبين كيف كان الفرنسيون المؤتمرون بأمره « إنسانيين » في معاملتهم لعشرات المئات من الجرحى الأسبانيين الذين أقعدتهم جروحهم عن مواصلة القتال وعن اللحاق بجيوشهم عند ما رفع الحصار . فقد جاء الفرنسيون بأولئك الأسرى إلى المدينة وبدلا من أن يقتلوهم تولوا علاج جراحاتهم .

ويمكن أن يُعَدّ عمل (باريه) هذا النواة الأولى لما عمله « دونان » فيما بعد . « ودونان » هذا هو « چان هنري دونان » (١٨٢٨ — ١٩١٠) وهو رجل سويسري اشتهر بحب الخير للناس كافة . وهو مؤسس جمعية الصليب الأحمر السويسرية التي كانت النواة الأولى لجمعية الصليب الأحمر الدولية . وقد منح « دونان » في عام ١٩٠١ نصف جائزة « نوبل » للسلام فتصدق بنصيبه كله على أعمال البر .

مبارك إبراهيم

چان پول سارتر

للأستاذ عبد الفتاح الديدى

[الفيلسوف هو رجـل يجرب دائما ويرى ويسمع ويشك ويأمل ويحلم بأشياء غريبة . . إنه الـكائن الذى يهرب غالبا من نفسه ، ويخاف غالبا من نفسه ، ولـكن فضوله يرتد به دائما إلى نفسه مرة أخرى .] نيتشة .

أهم شيء يستوجب النظر فى حياة الأديب وعمله وأسلوب تفكيره هو تلك اللفتة الأصيلة التى ينبنى عليها اتجاهه الشخصى فى فهم الحقائق وفى تبين الأمور . فليس من المجدى أن يظل الإنسان متابعا لقراءاته عن أديب بالذات دون أن يظفر بلمحة أساسية تكشف عن العمود الفقرى الذى يدور حوله إنتاج هـذا الأديب . ومن الصعب ولا شك ونحن بصدد فيلسوف اليوم — چان پول سارتر — أن نجد هذه اللمحة القائمة فى محور أعماله خاصة ، وأنه لم يكتفِ بعدعن التأليف ولم يكتف بعدد محـدود من المؤلفات ، ولم يكن واضحا تمام الوضوح بالنسبة إلى بنى وطنه من النقاد فضلا عن أبناء البلاد الأخرى .

ولـكن شيئاً بسيطاً أذكره عن سارتر يكفى لأن يجعلك تعرف تماما قصارى ما يرمى إليه الرجـل ومدى ما سوف يحصل عليه من نجاح . شيء واحد بسيط نذكره عن سارتر فيكون فيه الـكفاية لرفع هذا الغموض الأسطورى الذى يحيط بالرجل . فالرجل فرنسى . . وكلمة فرنسى تشير إلى طبيعة خاصة فى ذلك الشعب ، وهى أنه يميل إلى التفكير . . فالشعب الفرنسى واللغة الفرنسية والأدب الفرنسى شيء من نتاج العقل . . فأميل الشعوب إلى صبغة التفكير هم سكان فرنسا ، وأقرب اللغات إلى حديث العقل هى لغة الفرنسيين ، وأكثر الآداب جنوحا إلى الذهنية هى آداب الشعب الفرنسى . أستغفر الله ! فإن كلمة فرنسا كادت تشير فى قاموس اللغة والآداب إلى كلمة تفكير ، ولعلها صارت رمزاً فى العالم كله للون من ألوان الثقافة لا مثيل له فى بقية البلاد ولا يسبقه فى هذا المضمار سابق . ومن هـذا كله تتأدى إلى أن فرنسا أمة مفكرة بآدابها ولغتها وإنتاج أبنائها . . انظر إلى ديكارت وإلى أوجست كونت وإلى پول ڤاليرى وإلى أندريه چيد . . ڤولتير . . مونتسكيو . . پول كلوديل . . كل أولئك إنما يثبتون هذا الاتجاه الغالب على العقلية الفرنسية ويؤكدون أن أنماط الأدب فى العصور القديمة والحديثة إنما كان اتجاهها إلى التعبير المشرب بالصبغة الفكرية ، وكان هدفها البدء من نقطة أساسية فى تشريع العقول .

وجاء سارتر وأراد أن يخرج على ما هو مألوف لدى الفرنسيين وشاء أن يقلب اتجاه التفكير وأسـلوب الإنتاج بأكمله ، وأن يضع علامة المنحنى الأدبى الشامل بطريقته فى الـكتابة والتأمل . أراد أن يقف على رجليه أمام هذا التيار العنيف من تراث لغة بأكملها ، واحتاج إلى قوة الأبالسة من أجل صراع الأمواج . وصاح صيحته فأطاحت بأسلوب التفكير القديم ووضعت أساساً جديداً للنظر العقلى . ذلك أن الأقدمين قد اتخذوا من العقـل نبراسا لأعمالهم وأساساً لفنهم . . أما هو . . أما سارتر . . فقد جعل من الشعور الباطنى نقطة البدء الأولى لـكل فن ولـكل أدب ولـكل فلسفة . . حتى الفلسفة صارت تنبع عنده من داخل الشعور ومن صميم الوجدان . ومن هنا تأتى خطورة الرجل . . ومن هنا نلمح أساس تفكيره فى كل ما أنتج ، ومنهج أدائه فى كل ما أخرج . كان الفرنسيون يعبدون العقل ويتخذونه طابعاً خاصاً لأعمالهم . . فخاد هو بالتيار وانحرف باتجاهات الفن والأدب إلى متاهات الباطن الشعورى يستقى منها المعايير والقيم النقدية . وهـذه هى اللفتة الأصيلة واللمحة الأساسية التى تستطيع أن تبدأ من عنـدها فى فهم الرجل وتقديره على السواء .

فى فهمه . . لأن كل مؤلف عليه اسمه لا يخرج عن أن يكون رمية فى الاتجاه نفسه . وفى تقديره ، لأن كل ما ينسب إلى سارتر بعد هـذا المجهود العنيف الجبار لا يؤدى إلى إعطائه قيمته الحقيقية ووزنه الصحيح . أو بمعنى أصح أريد أن تفهم من هذا كله أن اسم سارتر يشير إلى انقلاب تام

فى أسلوب التفكير وفى منهج النظر العقلى والأدبى وفى التقويم النقدى للمظاهر الفنية .

ولا ينبغى أن يغيب عن أنظارنا ، ونحن فى هذا المقام ، أن سارتر أو غيره من الفرنسيين الأصلاء لم يكن من الممكن بالنسبة إليهم أن يلتفتوا هذه اللفتة إلى طبيعة التفكير نفسها ما داموا هم أنفسهم مشبعين بها ، لا يتصورون غيرها ولا يستسيغون سواها . ولكن أمكن هذا بالنسبة إلى سارتر عند ما جاءه الوحى من خارج فرنسا على يدى كيركجورد فى مناقشاته لهيجل وعلى يدى هيدجر فى كتابه عن الوجود والزمان وعن ماهية الميتافيزيقا . وكذلك استطاع أن يتخذ نقطة بدئه من هنالك بعد استلهام كتابات برجسون عن الوجدان أو ما يسمونه فى علم النفس بالحدس . فقد كانت هذه البحوث التى دبجها يراع برجسون من أكبر المشجعات له على المضى قدما فى هذا الفتح الجديد .

وحينما نقول عن سارتر : إنه قد اتخذ أسلوبا فى التفكير ومنهجا فى الإعداد الفنى مغايرا تمام المغايرة ، إن لم يكن معارضاً تمام المعارضة ، لأسلوب السابقين عليه فى الاشتغال بالأدب فى فرنسا . فلا يعنى هذا مجرد تغيير شكلى فى طريقة أدائه ، وإنما يعنى انقلابا كاملا فى كل ما تمتد إليه يداه بالتحرير أو التحليل أو التفسير . أو بعبارة دقيقة موجزة إن سارتر قد أعطى ظهره للتراث الفرنسى (أو الإنسانى إلى حد ما) وبدأ خط السير فى الاتجاه المقابل ، وكان لذلك كله بارز الأصالة واضح الذاتية بادى التجديد .

أقول هذا وأنا أعلم أننا جميعا نجد صعوبة فى النظر إلى سارتر بعيوننا الشرقية . . هذه العيون الناعسة الضيقة . . ولهذا كثيراً ما تفسد بين أيدينا كل أقواله ، وتختلط علينا سطور كلماته ، وتضيع علينا كل فرصة من أجل تفهمه والإقبال عليه . إن سارتر يعبر بالحضارة الغربية جسراً ثالثاً أو رابعاً بينما لا زلنا نحن فى مناقشة جواز المرور فوق عتبة الجسر الأول ! ولا أدرى بماذا أصف الفارق الذى يفصل بين حياتنا وحياة ذلك الرجل ، ولكننى أستطيع القول بأننا ما زلنا فى حاجة إلى إعداد وتحضير جديد من أجل مواجهة ذلك المفكر الذى ينتمى إلى حضارات لا نزال نحن أبعد ما نكون عنها ، ولا تزال أذواقنا غريبة عليها ، ولا تزال أفكارنا بدائية بالنسبة إليها . ولذلك نحتاج إلى شعور خاص نخلقه بأيدينا فى نفوسنا عند ما نحاول قراءة سارتر أو القراءة عنه . . نحتاج إلى شعور يقهر عدم الألفة فى صدورنا ، ويمحو طبيعة السخرية من كل جديد ، ويجعلنا أكثر مطاوعة إلى آخر الشوط .

أنظر مثلا وأنا أشرح لك فكرة سارتر عن طبيعة المعرفة ؛ لن تملك نفسك من الاندهاش من محدودية هذا الرجل ومن ربطه كل نوع من أنواع المعرفة بما هو قائم ماثل . . ليس سارتر من أولئك الذين يتنكرون للميتافيزيقا وليس هو من الماديين المتمسكين بأهداب الواقع ، ولا هو بالمفكر الذى يعلق قيمة كل شىء موجود على أساس حسى . . ولكنه يفوق جميع هؤلاء خطورة عند ما يقرر على لسان روكنتان بطل قصته عن « القرف » « الآن عرفت ؛ إن الأشياء بكاملها هى ما تبدو عليه . أما وراءها فليس ثمت شىء » (القرف la nausée — بقلم سارتر ص ١٢٤ س ٣٤) وهذا التعبير الذى يخيل للقارىء أنه جاء عرضاً فى غضون إحدى قصصه لا يمكن ألا يكون من ورائه هو نفسه شىء آخر أو أشياء . . ولو حاسبنا سارتر هنا برأيه لمررنا عابرين ، ولكننا سنخالفه وسنخرج على مشيئته ، وسنقول إن ثمة أشياء خلف هذه العبارة البسيطة . . يوجد خلف هذه العبارة .. مذهب فكرى متكامل فى نظرية المعرفة ينبنى عليه إيماننا الشخصى بالوجود ويقوم على أساسه رأينا فى الحياة . يستحيل أن يتقدم الإنسان خطوة فى إيمانه واعتقاده الخاص بالوجود ما لم يتقدم خطوة خطوة فى مضمار المعرفة . وعلى أساس اعتقادك فى طريقة المعرفة يتحدد اعتقادك فى طبيعة الوجود .

مثال ذلك أننى لو آمنت بأن معرفتى للكون وللأشياء القائمة فى نطاق الكون محدودة بمقدار ما تؤديه إلىّ الحواس وما ينقله إلىّ النظر والسمع واللمس لكانت فكرتى عن الحياة مخالفة تمام المخالفة لشخص آخر اعتقد فى أن سبيل معرفته للعالم هو الحواس العادية بالإضافة إلى الحدس أو الذوق أو الوجدان ، أو بالإضافة إلى حاسة سادسة أو سابعة مجهولة . فصورة الكون وطبيعة الحياة كما أتخيلها تنبنى على اعترافى بأن طريقة المعرفة هذه أو تلك صحيحة ، وتتوقف على إيمانى

وتسليمي بوسيلة الإحاطة والإلمام بالمظاهر الكونية . فالرجل الذي يدين بمذهب الحس في المعرفة ، لا يتصور غير ما يراه هنا وهناك . والرجل الذي يعتقد في الوجود الروحي يتخيل الوجود على صورة أكبر من صورة الرجل الحسي عنه . والرجل الذي يرى وسائل أخرى للمعرفة سوى هذه الوسائل المعهودة لدينا يبدو الوجود في عقله أكثر اتساعاً ويحتوى الكون في خياله على تفاصيل وجزئيات أكثر . وهكذا الأمر . . نوع الوجود الذي يؤمن به المرء متوقف دائماً على طريقة المعرفة التي يختارها ويفضلها على سواها ويؤمن بها دون غيرها .

وكذلك سارتر . . إنه رجل آمن بأنه لا وجود في الوجود لغير ما هو قائم ماثل أمامك . . هو يؤمن بالموقف ، بالظاهرة . ولا يتعدى في إيمانه بالموقف أو المناسبة أو الظاهرة إلى أكثر مما يبدو فيها . فالظاهرة تكون أساساً للمعرفة على نحو ما تبدو عليه ، ولا يمكنك أن تزيد حرفاً أو تضيف خطاً إلى ما يقدمه إليك المحيط الخارجي . لقد كان عند كَنْت Kant وجودان : الوجود الظاهري والوجود الباطني . أما عند سارتر فلا وجود لغير الظاهر الذي يقدمه إليك الموقف أو المناسبة . وبذلك أحلت نظرية سارتر في المعرفة موضوعية الظاهرة محل حقيقة الشيء . (الوجود والعدم ص ١٣ س ١٥) فليس للشيء حقيقة ، وإنما ظاهر عام يقدمه للذات العارفة وللإنسان الذي يستشعر ما حوله . وبذلك يصير علم الوجود عنده وصفاً لظاهر الوجود مثلما يَتَبدّى عليه ويتشكل فيه . بل يمكن القول بأن هذا الظاهر بحسب رأي سارتر في المعرفة هو نفسه الوجود . وينتهي الأمر إلى أن يكون الوجود هو جملة النظرات التي يجمّعها المرء في وعيه عن الظواهر العامة المتجلية في طائفة من المواقف والمناسبات . ويقول سارتر بوضوح تام : «ما دمنا قد حددنا الحقيقة بالظاهرة فيمكننا القول عن الظاهرة أنها « تكون » على نحو ما « تبدو » » ويضيف قبل هذا عن علم الوجود : إنه لا يعدو أن يكون وصفاً لظاهرة « الكينونة » كما تتمثل وعلى نحو ما تظهر . فإذا ربطنا الوجود بالظاهرة واعتقدنا في الظاهرة أنها الحقيقة الأولى والأخيرة وأنه لاشيء سواها ، كان الوجود جملة من الظواهر وتحددت الحياة بما يقع لنا من مشاهد ونماذج .

تصوّر معي حدود هذه النظرية وتأمل ذاتك وتخيل موقفك من رجل يدعوك مثل هذه الدعوة ويعرض عليك مثل هذا الرأي . . أنت الشرقيّ المثقل بأنظار الروح وأجواء الفضاء الواسع العريض المملوء بشتى الأنفس والجان . . وقدّر في نفسك ما يتطلبه مثل هذا الموقف من مقدرة وطاقة على تفهم الرأي في حد ذاته ، فضلا عن تقبله والتحمس له ، وستجدني على صواب تام حينما أخبرتك أننا محتاجون على الأقل إلى عقلية مطاوعة لمماشاة هذه الآراء ودراستها وامتحانها .

وليس هذا هو قصارى نظرية سارتر ولكنه المنفذ الذي تدخل منه إلى بقية تفكيره . ولقد شئت أن آتي لك أولا بالصورة الأدبية التي ضمنها إحدى قصصه ثم أوردت لك النصوص الفلسفية المؤيدة لأريك مدى التلاحم الحاصل بين أجزاء تفكيره وبين قصاصات فنه . بل يمكن أن يتخذ الإنسان من هذه النظرة ذاتها مصباحاً يستنير به وهو يستعرض جملة أفكار سارتر . . فالإنسان مثلا عند سارتر ليس هو بالكائن الضاحك أو المفكر أو القائم من لحم ودم . . إنه الإنسان الذي يفعل ويتمثل فيما يعمل . فالأفعال هي الظاهر الخارجي الذي يكوّن حقيقة الإنسان الباطنة . وبذلك يفرغ الإنسان — في نظر سارتر — ذاته وكيانه بأكملهما في العمل بحيث يصدق المثل القائل بأن المؤلّف يدل على أنف الكاتب . دعني أقرأ ما تكتب وسأخبرك من تكون ؟ ! دعني أتأمل ما تفعل وسأدلك على حقيقة شخصك ؟ ! فأفعالك هي التي تنبيء عن شيء وهي التي تحدد المصير وعندها تنتهي كل حقيقة تتعلق بالفرد . ومن هنا ارتبط الوجود الإنساني بالأعمال والأفعال وصار نسيجاً تغزله الأصابع .

والحرية تفهم عنده لأول مرة بصورة واقعية ... إنه يتصورها كنوع من الاصطدام بين الرغبة الشخصية والموقف الخارجي . ليست الحرية عند سارتر شيئاً خيالياً يمكن تصوره فحسب أو يمكن تحويله إلى صورة ذهنية ... إنه شيء واقعي ملموس يمكن الإحساس به عند ارتطام الفكرة الخاصة بالمدى البعيد الذي يفصلها عن دائرة التحقيق . فالحرية نفسها تمتزج في الخارج بظروف الموقف من أجل

أن تبرز عقباتها . إن فقد شيء من الأشياء لا يعني فقداً إلا إذا كان إحساساً بفقد ، والحاجة لا تشير إلى مدلول ما لم تكن هناك شخصية تحس بالحاجة . وكذلك الحرية لا تتوفر إلا بعامل الشعور وهو يتطاحن مع إمكانيات الموقف المعين . وهذا هو ما لم يفهمه أصحابنا الأدعياء ممن تهكموا في كتاباتهم عن الوجودية وعن الشبان المتهوسين من أمثالنا ، لأننا استطعنا أن نبلغ في فهمنا أكثر مما فهموا ، ولأننا أدركنا المسائل في شيء من الأناة والتعقل . أما هم فقد أخذوا يلوحون في الجو الأدبي بالغباء الذي يتسم به سارتر ، لأنه زعم أن الشعب الفرنسي لم يعرف الحرية قط قبل احتلال الألمان ! فالرجل لم يكن غبياً إلى هذا الحد الذي تصوروه ، وكل ما هنالك أنه قد شاء أن يضع الأمور وضعاً يتناسب مع إرادته الأولى في تنصيب الظاهر مقياساً للتقدير وأصلا في المعرفة . . مقياساً لتقدير وأصلا في معرفة أي باب من أبواب الحياة والفكر . . والحرية حسب هذه النظرة لن تعدو أن تكون هذا الارتطام الذي يحدث نتيجة لتقابل الإرادة بالقيود وتصادم الرغبة بصعوبة التحقيق . هذه هي الحرية بالمعنى الوجودي عند سارتر . فإذا كان الرجل قد صرح بأنه ورفقاءه من من أبناء الشعب الفرنسي لم يعرفوا الحرية ولم يكونوا قط أحرارا إلا تحت احتلال الألمان وتحت تأثير هذه المعاملة التي عاملوهم بها ، وهذه المواجهة القبيحة التي قابلوهم بها في كل مكان . . فليس ذلك إلا طرفا من أطراف قضية محبوكة متشابكة الأطراف في الوجودية الظاهرية عند سارتر . أو بعبارة أخرى إن الحرية أخذت عند سارتر مظهرا ظاهريا وأراد أن يجعلها صورة خارجية تنبعث مع هذا الدخان المتصاعد عند التحام الفكرة الشخصية والأماني الفردية بما يعرقلها من السدود والقيود والعقبات . إذ أنه في أثناء الاحتلال الألماني للبلاد الفرنسية وضعت مسألة الحرية ؛ فالكلمة الواحدة الصغيرة كانت تؤدي إلى إثارة عشرة أو مائة من الاعتقالات . . ألا يكون من حق سارتر بعد هذا أن يتساءل عما إذا كانت تلك المسئولية الشاملة في حالة الانعزال سببا من أسباب كشف الحجاب ورفع القناع عن معنى الحرية ؟ !

وإذا كان تأثر سارتر بكيركجورد واضحا في مسألة النزوع إلى القياس الوجداني والتقدير الشعوري لحقائق الحياة والفكر ، فهو هاهنا بادي التأثر تماما بهوسيرل من جهة وبهيدجر — مرة أخرى — من جهة ثانية ، هنا نلمح بذور المذهب الظاهري وقد استحالت في ذهن سارتر إلى أشجار باسقة . . وهنا يحس الإنسان بأن سارتر لا يفعل شيئاً أكثر من أن يتنفس بعبارات من كتابات هوسيرل ؛ ولهذا يذهب البعض من كبار العارضين للفكر الأوربي المعاصر إلى أن كتاب الوجود والعدم الذي ألفه سارتر لا يزيد على كونه عرضا فرنسياً للمذهب الظاهري (الفينومينالي) الألماني . (كتاب علم الوجود عند سارتر بقلم جلبير ڤاري — المقدمة)

ويصعب ، في هذا المقام الضيق ، أن يتعرض الكاتب لأكثر من لمحات خاطفة عن سارتر . . فلا يتأتى المرء أن يتناول في تفصيل جملة أنظاره أو موجز أفكاره لسببين : الأول لأن إنتاج سارتر يغطي آلاف الصفحات ويصعب الانتقاء من بينها ، والثاني أن أفكاره محتاجة إلى شرح وتفسير طويل أكثر مما هي محتاجة إلى الاختصار والإشارة ؛ فليغفر لنا القارئ هذا التقصير فيما قدمناه إليه ، وليعلم أننا سننتهز الفرص المناسبة لإبانة أكثر وتوضيح أطول في أقرب وقت ممكن .

عبد الفتاح الديدي

بين المجلة وقرائها

دوديه — كوپرين

أرسل الأديب محمد حسين جبر إلى « الثقافة » يسأل عن الكاتبين « ألفونس دوديه » « وإسكندر كوپرين » الذين اطلع لهما على بعض القصص الرائعة . وها نحن نكتب له تعريفاً موجزاً عن هذين الكاتبين الكبيرين ، محرراً بقلم الدكتور محمد مندور .

دوديه Daudet (ألفونس)

روائي فرنسي ولد في مدينة نيم بجنوب فرنسا سنة ١٨٤٠ ومات في باريس سنة ١٨٩٧ . عاش أول شبابه غير مستقر ثم اضطر لكي يعيش إلى أن يعمل معلماً بإحدى المدارس الأولية . ثم سافر إلى باريس مستنداً إلى مكانة أخيه إرنست دوديه الثقافية والاجتماعية ، وذلك لكي يلتمس بالعاصمة المجد الأدبي الذي ابتدأه بنشر مجموعة من الشعر بعنوان « المحبات » . ولكن مجده الحقيقي لم يبدأ إلا بعد أن نشر « خطابات طاحونتي » التي أتبعها بعدة روايات نذكر منها : « ترتاران التراسكوني » — « وترتاران في جبال الألپ » ، و « ميناء تراسكون » ، و « الإبراشية الصغيرة » ، و « الشيء الصغير » ، و « سافون » ، ومسرحية فتاة آرل » التي وضع لها بيزيه موسيقى رائعة .

ودوديه روائي واقعي دون أن يندرج تحت اسم مدرسة أدبية بعينها . فهو يعتمد على الملاحظة الدقيقة ويدون ملاحظاته التي تكاد تعتبر وثائق . ومعظم رواياته يتخذ لها نواة حادثة أو فضيحة معاصرة ، حتى إنه ليخبرنا أن قصته المسماة « چاك » تتناول حياة شاب حاول هو نفسه أن ينقذه . ولقد كانت دقته الواقعية مصدراً لقوة قصصه . وإن لم يبلغ في تلك الدقة مبلغ الكاتبين الشهيرين « فلوبير » و « إميل زولا » .

والواقع أن أصالة دوديه ليست في ذمة الواقعية ، وذلك لأنه كان يؤمن بأن الواقعية ليست هي الصدق . وهو لا يسعى إلى رصد الحياة كما هي ، والناس والأشياء لا تعنيه في ذاتها وإنما يتخير منها النواحي التي تحرك إحساسه وتلك الحساسية هي طابعه المميز فهو يعشق الجمال ويحزن للقبح ، وهو مفرط في إحساسه وإن أسبغ هذا الإحساس على قصصه الروعة والرشاقة . وهو يجمع السخرية إلى الإحساس ولكنها سخرية لطيفة لا مرارة فيها ، كما أن إحساسه خالٍ من التشاؤم ، وذلك لأنه في الواقع من الكتاب الذين يحبون الحياة ومباهجها :

كوپرين Kouprine (الكسندر إيڤانوڤيتش)

قصصي وروائي روسي ، ولد سنة ١٨٧٠ . وعمل ضابطاً بالجيش سنة ١٨٩٠ . واستقال بعد أربع سنوات ، ثم تفرغ للأدب نهائيا على أثر نجاح روايته الأولى « المبارزة » نجاحاً عظيما في سنة ١٩٠٥ . ولما لم يكن من أنصار الثورة البلشفية فقد هاجر إلى فرنسا بعد هزيمة الجيش الأبيض حيث أقام إلى أن توفي سنة ١٩٣٨ . وهو كاتب واقعي في غير إسراف ، دقيق الملاحظة ، لا يخلو من روح الدعابة ، ومن رواياته الشهيرة : « شاشا » ، و « مولوخ » ، و « نهر الحياة » ، و « السفينة البيضاء » ، و « روح صقلية » ، و « حفرة البنات » ؛ وعدد من الأقاصيص التي كتبها لليافعين . وترجم منها عدد كبير إلى الإنجليزية والفرنسية .

ورواياته تختلف عن الروسية بكثرة الحركة والوقائع وإن كان أسلوبه ينم عن نقص في الثقافة الأدبية .

إلى رئيس تحرير مجلة الثقافة

حضرة صاحب العزة رئيس تحرير مجلة الثقافة الغراء

بعد التحية .

اقترح علينا أستاذ الإنشاء مرة أن نكتب في موضوع ما فكان أن كتبت في ثنايا الموضوع كلمة « البؤساء » ، وكم كانت دهشتي حينما اعتبرها المدرس خطأ . فلما سألته عن السر

قال : إننا لم نسمع العرب يجمعون بائس على بؤساء ؛ قلت : فما قولك فى « البؤساء » لفيكتور هيجو الذى ترجمها شاعر النيل المرحوم حافظ بك ابراهيم واختار لها هذا العنوان أيضاً . أكان الشاعر مخطئاً فى هذه التسمية ؟

فما راعنى إلا أن قال نعم ! لقد أخطأ الشاعر وهو ما هو فى اختيار هذه الكلمة .

قلت معذرة يا سيدى ، وما رأيك فى شاعر — وعاقل ألم تجمعهم العرب على شعراء وعقلاء . قال الله تعالى « والشعراء يتبعهم الغاوون » ، ثم ما الفرق بين شاعر وبائس وكلاهما وصف لمذكر عاقل على وزن فاعل ، فكان القياس أن يجوز جمع بائس على بؤساء كما جمعنا شاعراً على شعراء .

أهناك مانع من هذا القياس ؟ قال نعم ! المانع هو السماع ، لأننا سمعنا العرب تقول شعراء ولم نسمعها تقول بؤساء ، قلت له : إننا لم نعد فى حاجة إلى السماع فما دام اللفظ يصلح للاستعمال — وقد استعمل قرينه — ولا ضير من القياس ، فلماذا لا يستعمل .

وعبثاً حاولت أن أقنعه بصلاحية هذا اللفظ للاستعمال ، ولكنه أصر على أن السماع مسوّغ وأى مسوّغ لصلاحية اللفظ للاستعمال وعدم صلاحيته .

فهل أنا مخطىء يا سيدى ؟

ولعزتكم عظيم شكرى وامتنانى والسلام عليكم ورحمة الله .

أمين أمين بدر
طالب بمعهد القاهرة الدينى

الثقافة : للأستاذ وجهة نظره وهى أن جموع التكسير سماعية ولك وجهة نظرك وهى أن القياس مباح فى اللغة ما دام له وجه ظاهر . واسمح لى يا سيدى أنى أرى ما ترى وأنى لا أجمع هذا اللفظ إلا كما جمعته بجمعه عندى « بؤساء » كما تقول . وقد أثبت بما فيه الكفاية من الحجج التى تسوغ وجهة نظرك فلا حاجة إلى الزيادة عليها .

المحرر ف . ا

ندم . . . ! !

أنا لا تسلنى ما الطريق .. وما البداية . والنهايه ؟
أنا لست أدرى غير أنى آبق ضلت خطايه
أنا لست أدرى فى ظلامى كيف صرت مع الغوايه
وعببت من دن الذنوب فلم أدع حتى النفايه
ويضمنى سمر رخيص فيـه للغاوين آيه
وركضت فى لجج الخطيئة هائماً من غير غايه
كالحاطب الجشع المهين يلفه ليـل العمايه

* * *

ويحى من الليل البهيم يضج بالإثم المريب
وتسعرت أنفاسنا فكأنهـا قطع اللهيب
وسرت بجسمى هزة كالمس من جن غضوب
وتراءت الآثام تدعونى إلى نهـم رهيب
واحتدت النزوات كالبركان . . كالدهر العصيب
ويحى — فأين طهارتى نبراس ماضىّ القريب
يا رب ! طالت شقوتى .. وتراكمت فوق الذنوب !!

* * *

أين السنون الماضيات ، وطاعتى — هلا تعود ؟ !
قد كنت فيها كالندى .. كالزهر .. كالصبح الجديد
سام على هذا الورى . . كالنور فى عين الوجود
ما دنس الشيطان محرابى ، ولا خطر الجحود
صافى السريرة . . أجتلى فى الحسن آيات الخلود
وأراه معنى قدرة عظمت ، وجلّت عن حدود
فيسيل إيمانى دموعا . . ثم أغرق فى السجود

* * *

إنى سئمت غوايتى . . كالبدر قد ملّ الضباب
ورجعت من درب الخطيئة . . نادما . . أبغى المتاب
ورميت أيام الهوى خلفى ، وأحرقت الشباب
ودفنت طيشى فى التراب . لعل يبليه التراب !
وغسلت قلبى بالهدى . . بالطهر . . بالنور المذاب
وبرئت من سود الذنوب ، وفى يدى قبس الكتاب
رباه .. ماذا — يا ترى — ألقاه فى يوم الحساب ؟!

(القاهرة) محمد أحمد سالم

أبو سريع ...(1)

للأستاذ محمد فهمى

حرارة الصيف فى أواسط يوليو تكاد تصهر الأجسام .. فالعرق يتصبب من الوجوه والأيدى ، وهاهى الجسوم من تحت الملابس ، كأنها القلل القناوى تنضح جوانبها بالماء وتنسكب منها قطراته ...

الهواء ثقيل راكد تختنق به الأنفاس فى الصدور .. والجدران وأرض الشارع وقطع الأثاث وكل مايلمس كأنما هى أفواه تزفر بالسعير ... وأبو سريع وسط الشارع تحت قرص الشمس المتفجر باللهب يدفع بكلتا يديه وبكل قوته عربته (الكارو) المحملة وهو يمسك بعنان حصانها بين أصابع يده القذرة يسب الحصان مرة ويضربه بالسوط أخرى ، وإنه ليجاهد جهاد الجبابرة ليجتاز بالعربة الحفرة التى سقطت فيها العجلة الخلفية .. وكان منظر المعركة قاسيا ... فالحصان تحت قسوة الضرب يستجمع كل قوته ثم يدفع بصدره إلى الأمام وذراعاه الممدودتان إلى أعلا تصارعان الهواء .. والعربة تهتز وتفقع أضلاعها تحت حملها الثقيل وكأنما تصرخ مستنجدة ... وأبو سريع وسط المعركة قد انتفخت أوداجه ، وبرزت عروق وعضلات جسده النحاسى المفتول من خلال جلبابه الممزق ... وأخذ صدره المنتفخ يعلو ويهبط وكأنه كير حدّاد ... تكسوه طبقة سوداء كثيفة من شعر أسود محدد الأطراف كالشوك ينضح بقطرات من العرق القذر تزيد المنظر بشاعة .

هيلا هوب ... شى .. شى يا ابن الكلب ...

هيلا هوب ... شى .. شى يا ابن ...

هكذا أخذ أبو سريع يصرخ فى حصانه مرة بعد أخرى وكأنه قائد فى الميدان يصرخ فى جنده لا قتحام مواقع العدو ... وأخيراً ... على أثر ضربة سوط مدوّية قفز الحصان قفزة عنيفة جذب بها العربة جذبة أنقذت الموقف .. فسارت فى طريقها وهى تهتز .. ولم يسكت أبو سريع عن صب شتائمه القذرة على الحصان المنكود وهو يجرف براحة كفه سيل العرق المتصبب على جبينه وشاربه ... هكذا ينتزع أبو سريع ما يقتات به هو وحصانه وأسرته ...

كان ذات يوم ينقل من المحطة أثاث موظف منقول إلى المدينة حديثاً وقد اتفق معه على قيمة الأجر ... واستغرق نقل الأثاث حمولة العربة ثلاث مرات مابين المحطة والمنزل .. فقد كان أثاثا كثيراً سيما لموظف متوسط الحال مثله . ولفت نظر أبو سريع المرايا البلورية اللامعة ، والحشايا (المراتب) اللينة الطرية .. لقد أحس وهو يمسك بواحدة منها — بعروق الحصير الخشن الذى ينام عليه هو وزوجته تكاد تلذع ضلوعه ... بل غمرته النشوة وأخذ يتخيل نفسه مضطجعاً على إحدى هذه الحشايا اللينة الطرية وراح يحلم .. ولكن سرعان ما أيقظه لذع الحصير ..

كان قد وصل بحمولته الأخيرة إلى المنزل وأحس ظمأ شديداً ، والتفت فرأى بالباب أمامه فتاة ناضرة صغيرة فى العاشرة من عمرها هى ابنة الموظف فطلب منها أن تسقيه . وسرعان ما قفزت الفتاة إلى الداخل فى خفّة الفراشة وأحضرت له كوباً من البلور المزخرف يغازل الضوء الماء خلاله فيرقص كلاهما الآخر رقصاً يثير الدهشة — دهشة أبو سريع — على الأقل . وتناوله وشرب .. عجباً إنه لم يشرب فى حياته ألذ من هذا الماء .. وتجشأ بصوت عال ومسح شاربه بكفه وناول الفتاة الكوب فأخذته وقفزت به إلى الداخل فى خفة

(1) من مجموعة قصص تصدر قريبا للاستاذ محمد فهمى

الفراشة . . . . وعاوده الإحساس اللذيذ بطعم الماء . . . فهمس فى حسرة ؟ حتى الماء عندهم له طعم لذيذ ؟ — وفجأة عاد يحس بوخز الحصير فى ضلوعه وتخيل ابنته الحافية القذرة بجانب ابنة الموظف النضرة . . فقامت عليه سحابة من الحزن .. لقد رسخ فى ذهنه أنه مضطهد . وملأ هذا الشعور نفسه غيظا . . وأخيراً عند ما أنهى مهمته ومدّ إليه الموظف يده بقيمة الأجر المتفق عليه إذا بأبو سريع يرفض تناوله قائلا بحدّة — لا . . . هذا نصف الأجر ! ! — فدهش الموظف وتملكته حيرة شديدة . إنه متأكد تماماً أنه اتفق معه على هذا المبلغ وأن أبو سريع قد قبل الاتفاق راضيا فلماذا يقف منه الآن هذا الموقف ؟ واستكثر الموظف الفرق المطلوب — خمسة وسبعون قرشاً — إنه رغم فخامة أثاثه فهو موظف متوسط الحال ولو دفع له مايريد لحرم أسرته من الطعام غداً — وهو اليوم الباقى على أول الشهر واستلام الرتب . . ولماذا يدفع ؟ . . كلا . . هذا هو المبلغ المتفق عليه . . خذ يا عربجى — قالها بحدة . . فانفجر أبو سريع صارخاً بحالة عصبية : هات عرق كله . . بلاش ظلم . . واشتد الجدل بينهما وأخيراً رأى الموظف وقد أطل الجيران من النوافذ والشرفات أن يحسم الأمر بالحسنى . . إنه لايريد أن يفتتح مقامه فى سكنه الجديد بحفلة غير مرغوبة . . . فزاده عشرة قروش رفضها أبو سريع بعنف ، فعاد وزاده خمسة أخرى رفضها بعد تردد . وأخيراً قبل أبوسريع وأخذ المبلغ وانصرف وهو يبرطم . . إنه يحتج . . فلقد ملأه الشعور بأنه مضطهد . . وفيما هو عائد بعربته إذا بجندى يستوقفه ويسأله إبراز رخصته فأبرزها له . . ولكن رغم ذلك فقد استاقه الجندى أمامه إلى مركز الشرطة بحجة أنه كان يسير على الشمال . حجة كاذبة بلا شك . . إن أبوسريع يعلم أن العسكرى فى مثل هذه الحالات لا يقصد من هذا إلا أخذ بضعة قروش — خمسة تكفى — وكم من مرة فى مثل هذا الموقف دفع الخمسة قروش فنجا . . . ولكنه فى هذا اليوم كان ممتلىء الإحساس والشعور بأنه مضطهد . .

فأبى أن يدفع شيئاً للعسكرى . . ثم أبى أن يكون هو نفسه عوناً لغيره على اضطهاده . .

وبات ليلة فى الحجز — قاسى فيها من العذاب ألواناً ، فكم ضُرب وكم ركل بالأيدى والأرجل من الحراس وهو يسب ويصرخ بصوته المزعج ويضرب الباب بحركة عصبية — باب الحجز — حتى كاد يخلعه ، وظل هائجاً ثائراً طول الليل .. لقد بات مثل هذه الليلة أكثر من مرة لأسباب لا تخرج كثيراً عن نفس السبب ، ولكنه لم يكن قط ثائراً ثورته هذه الليلة . . .

وخرج فى الصباح وصدره يغلى بالحقد على رجال (الشرطة) رؤسائهم ومرؤوسيهم ، فالأولون لم ينصفوه بل تركوه طول الليل وكأنه قطعة حجر ألقيت فى هاوية ، أما الجنود فقد أوسعوه ضرباً .

وغادر الحجز فى الصباح بعد إتمام الإجراءات ، واستاق عربته فى الشارع والحقد يتفجر من قلبه ، وبعد قليل لمح فى الطريق أحد رجال الشرطة سائراً فإذا به فجأة ينهال ضرباً بالسوط على الحصان وفمه يهدر بألفاظ السباب القذرة تخرج متتابعة كالقذائف منصبة جميعها على الحصان ، ولكن واحدة أفلتت من لسانه دون وعى منه وكانت سباباً مباشراً للشرطى ... الذى سرعان ما استاقه أمامه إلى . . . الحجز ثانية . . وتكرر هناك ما لاقاه بالأمس فازداد به الحقد حتى أصبح منظر رجل الشرطة كافياً لإخراجه عن صوابه . وكاد هذا الشعور يصبح حائلا بينه وبين الارتزاق ... فضاقت به الحال إذ صار عدد الليالى التى يقضيها بالحجز أكثر من تلك التى يقضيها بمنزله . . الأمر الذى أثر على مورد رزقه حتى صار ما يكسبه لا يكفى لإطعام حصانه وعياله الخمسة ، فضلا عن زوجه . وازداد الحال سوءا حتى هزل الحصان وتسلل المرض إلى أطفاله ، فمات أصغرهم وأصيب التالى بمرض عضال نتيجة سوء التغذية . وأخيراً رأى الحصان الخلاص من شقائه فى أن يلقى بنفسه جثة هامدة هناك ، وسط الحقول بين أنياب الكلاب الضالة . .

محمد فهمى

الثقافة

العدد ٧٠٨
٢١ من يوليه ١٩٥٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر

الثمن ٣٠ مليماً

ظمأ

هذه الآهة من أيقظها لا تعلمين
هذه الوحدة من أوجدها طي السكون
هذه اللوعة من أججها ما تستكين
هذه الحرقة من زاد لظاها والأنين
آه يا فاتنتي لو تعلمين

آه لو تدرين ما يفرضه الشوق عليا
آه لو تصغين للقلب يناجيك مليا
آه لو تدنين صباً بات بالهجر قصيا
آه لو ترعين قلباً قد وعى الحب وفيا
آه يا فاتنتي لو تنصفين

وحدتي طالت وقد زادت بما ألقى شكاتي
ولهيب الشوق قد ضرم بالنار حياتي
ظمأ أحرق قلبي واكتوت منه لهاتي
واحتملت البعد — حتى — فيه خانتني أناتي
آه يا فاتنتي لو ترحمين

هكذا الحب التواء وخداع وعذاب
ومنى الظامئ أغراه على البعد السراب
وأعاصير صدود عاصفات بالرغاب
وأفانين احتيال صاغها طيش الشباب
آه ما أفاد من داء دفين

آه والآهة في نفسي حيرى تضطرب
إنها روحي قد أقلقها الشوق فراحت تنتحب
وهي قلبي ثائر من بين جنبي يثب
وهي أنفاسي قد جنت وأصلاها اللهب
وهي جسمي ذاب من فرط الحنين

كل من في الكون قد اسعدوا هذا الصباح
والدنا فيه جمال «ورواء» ومراح
غير طير آده القيد وقد قص الجناح
ساكن في ظل غصن شاقه فيه النواح
من تراه ذلك الطير الحزين..؟

هائم أودى به في هوة الهم هواه
ورماه قلبه في مسرب ضل صواه
كل من لاقاه لا يعرف ماذا منتهاه
وهو المسكين لا يعلم ماذا قد جناه
حائر في كنه سر لا يبين..؟

هو رهن القيد قد أسلمه للمخدع
ظامئ يلهث والماء قريب المنبع
لا يدانيه ولا يرتاده من موضع
منع الماء — ومنه الماء — قيد الإصبع
ظامئ والماء فياض المعين

لمَ يا قلب..! وقد مثلت حب الأبرياء
لمْ تكن فيه كما يبغي الهوى جم الرجاء
أو تكن فيه صريعاً — في عداد الشهداء
إنها تعلم ما يلقاه منها الأوفياء
شأنها في ذاك شأن الغادرين

لم تعد ترعاك حتى تشتكي أو ترتجيها
فهي قد عافتك والأجدر ألا تصطفيها
سوف تلقى ما جنته من يد لا ترتضيها
آثم يلهو بها أو ما جنى ينضي سنيها
فتلاقي منه أنواع المآسي والشجون
ويريها كيف يشقى في الحياة العاشقون
وستحيا في ادكار لوفاء المخلصين
وستبكيك بدمع من مآقيها شجين

(مكة) أحمد عبد الله الفاسي

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتيـاز
الدكتور أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف بك

الإدارة
١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العـدد ٧٠٨ الاثنين ٢٩ من شوال سنة ١٣٧١ — ٢١ من يوليه سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة عشرة

بين الأمس واليوم والغد :

المجتمع العاثر

للدكتور أحمد عبد السلام الكردانى بك

نتحدث اليوم عن أثر المجتمع فى التكوين الخلقى للشاب :

عند ما يتم الشاب دراسته ، فإما أن يدخل السوق ويمارس التجارة أو الصناعة أو الزراعة ، وإما أن يلتحق بوظيفة حكومية . فماذا يصادفه فى هذه المجالات من عوامل ومُثل تؤثر فيه ؟

كان الشاب إذا دخل فى السوق منذ سنوات وجد حرصاً على الأمانة ، واحتراماً للكلمة ، وإخلاصاً فى العمل ، ومراعاة لحقوق الغير ، وإيتاء لحق الله فى الأرباح والمحاصيل ، وعطفاً من الكبير على الصغير ، ومن الغنى على الفقير ، ومن القوى على الضعيف ، وإخلاصاً فى الصداقة ، ومراعاة لحق الجار ، وبراً بالسائل والمحروم ؛ وبالجملة خوفاً من الله وحرصاً على أداء الفرائض وإطاعة أوامر الدين . وكان الناس فى نهاية اليوم يقصدون للمساجد يصلون ويستمعون إلى قرآن يتلى ويفسر ، وأحاديث نبوية تروى ، ودروس أو مواعظ تلقى ، فيعيشون فى يومهم بعض الوقت فى جو رفيع يسمو بالنفس وينقلها من عالم الماديات إلى عالم الروحانيات .

أما الآن فالشاب إذا انصرف نحو التجارة فقل أن يجد احتراماً لكلمة ، أو صدقاً فى معاملة ، بل يحاول من يتصل به لأن يغشه أو يخدعه أو يسلبه ماله عن طريق السرقة ، أو أكل الحقوق (عدم دفع الدين) . وقلما يطمئن لتاجر كبير يستورد منه ، أو لتاجر صغير يشترى منه ، أو لعميل يطلب تأجيل جزء من ثمن ما يشتريه ، أو لموظف صغير يعاونه ويضطر لائتمانه على متجره وما فيه أحياناً .

وفى الصناعة يلقى ما يشبه ذلك ، من تاجر كبير لا يصدقه الحق بشأن ما يبيعه له من خامات أو آلات ، ومن عامل لا يرعى ذمة ولا يستوحى ضميراً ، ولا يتوخى دقة فيما يعهد إليه به من عمل ، ومن وكيل يكذبه ويسرقه ، ومن عميل يسىء به الظن ، ويضن عليه بما يستحقه من أجر على عمل عهد به إليه فوفاه حقه من الدقة والعناية ، وأخلص فى تقدير قيمة خاماته ، ومقدار تكاليفه ، وما يستحقه عليه من أتعاب .

وفى الزراعة يعامل قوماً كسالى أغلبهم لا يقوم بالعمل إلا ما دام عليه قائماً رقيباً ، فإذا غفل عنهم فرطوا ، لأنهم لا يستجيبون لضمير يحاسبهم ، أو لوازع دينى يفرض عليهم الإخلاص وتأدية الواجب على الوجه الأكمل . وإذا ائتمنهم

على شيء سرقوه أو أتلفوه ، وإذا صدقهم كذبوه ، وإذا أحسن إليهم قابلوا الإحسان بالإساءة . وإذا اتكل عليهم خانوا به وأخلفوا الوعد .

وفي ذلك كله — في التجارة والصناعة والزراعة — لا يحس بين العاملين في الميدان الواحد تكاتفاً ولا تعاطفاً ولا تعاوناً ، فكل منهم يجري وراء مصلحته الذاتية وحدها ، ولا يأبه لمصالح الغير ؛ ولا يرعى لجاره حرمة ، ولا لصديقه ذمة ، ولا يواسي صغيراً أو ضعيفاً أو مريضاً ، ولا يحسن لفقير ، أو يرأف بحيوان . وإذا ما انتهى من عمله اليومي فلا يأوي إلى منزله ، أو إلى مسجد يعبد الله فيه ويستمع إلى شيء من كتاب الله وسنة رسوله ، وإنما يذهب إلى دار من دور اللهو يستسلم فيه لمتعة الجسد دون الروح .

والنتيجة الحتمية لذلك أن يجد صاحبنا نفسه مضطراً بعد قليل إلى مسايرة الوسط الذي يعيش فيه ، فيطرح عن نفسه ما كان يثقل ضميره من حرص على الأمانة ، وإخلاص في المعاملة ، وسرعان ما يجد نفسه منساقاً مع التيار في سبيل الغش والكذب والخداع .

كذلك الحال بالنسبة لمن يتنكب السوق ، ويعرض عن التجارة والصناعة والزراعة ، ويلتحق بوظيفة حكومية ؛ فإنه يجد نفسه بعد قليل في جو خانق فإذا حاول أن يؤدي عمله بجد وإخلاص وتوخ لقواعد الحق والعدل والأمانة ، سمع من زملائه تهكماً وازدراء ، ولقي منهم حقداً وائتماراً ، ورأى من رؤسائه إعراضاً واضطهاداً ، وتحمل من صنوف التنكيل والتعذيب أشكالا وألواناً .

وهو بعد قل أن يظفر بصديق وفي يستعين به على صروف الدهر ، فتسود الدنيا في وجهه ، ثم لا يلبث أن يفقد إحساسه شيئاً فشيئاً ، وينخرط في سلك المنافقين ، ثم يصير بعد قليل من المرتشين الراشين ، وقد يؤهله ذلك في القريب إلى أن يصعد السلم ويصبح في عداد كبار الموظفين .

أما المجتمع الصغير (وهو البيت) فإنه بطبيعة الحال صورة من المجتمع الكبير ، إذ تنتقل العدوى إليه وتنعكس فيه كل الظواهر التي أشرنا إليها ، فبيت العامل البسيط في اضطراب وصخب بسبب الفقر ، والصغار فيه منغمسون في القذارة ولا ينالهم من الكبار إلا السب والضرب . وبيوت متوسطي الحال (ولا سيما من الموظفين) في اضطراب وخراب بسبب غياب الوالد باستمرار في القهاوي والملاهي والسهرات التي يستعين بها على تدبير المقالب واصطياد الدرجات . والأم مشغولة بالزيارات وارتياد الحفلات البريئة وغير البريئة . وهذه البيوت نصيب الصغار فيها العبث والفساد من طول احتكاكهم بالخدم والخادمات ، وندرة رؤيتهم للآباء والأمهات . وأما بيوت الطبقة الراقية فأمر الصغار فيها متروك للمربيات الأجنبيات ، وهن إذا استطعن أن يعلمن الصغار قواعد الأكل والملبس وآداب الحديث والسلام ، والمجاملة وغير ذلك من قواعد الإتيكيت ، فإنهن لا يستطعن أن ينفذن إلى قلوبهم ، ويكون أخلاقهم ويسمون بأرواحهم .

هذه صورة لما يجري في المدرسة وفي البيت وفي المجتمع ، وهي المصادر الثلاثة للتربية والتهذيب ، فماذا نأمل من ورائها ، وكيف السبيل إلى تحسين الحالة في كل منها ، حتى نستطيع أن نعتمد عليه في تأدية رسالته الأخلاقية ؟

لكي نستطيع تلمس هذا السبيل يجب أن نحاول تعرف الأسباب والعوامل التي أدت إلى هذا الانهيار ، والتي أطاحت بالتقاليد وبالمثل التي كانت تسند الحياة في المدرسة وفي البيت وفي المجتمع وتحميها ، وتحفظ لها قوتها ، وبالتالي تضمن أثرها الحميد في تكوين الخلق ، وتهذيب النشء .

لقد أشار الأستاذ فريد بك أبو حديد في بعض مقالاته إلى بعض هذه الأسباب ، فهو يعزوها إلى أن الناس (في العصر الحديث) « أخذوا يضيقون بالحدود والقيود (القديمة) ، وبدأ المتمردون من أهل الفكر يجادلون ويناقشون ، وينادون بالتحرر والانطلاق ، وأعقب ذلك تدفق الشك إلى كل ما كان الناس يؤمنون به ويخشون المجادلة فيه ، ولم تلبث القلوب أن كفرت بكل القيم التي ظلت مسيطرة عليها قروناً طويلة ، وبدأت تتهمها بأنها السبب في تأخرنا . . . وانتهى بنا الأمر إلى أن هدمنا كل المثل التي كنا نتمسك بها ، هدمناها ولم نقم في مكانها جديداً .

ثم أخذ الأستاذ فريد بك يعقد آمالا على ما يشير إليه من نهضة جديدة في الفكر والوعي ، ومن أن « موكب الأدباء المتمردين يستأنف السير مرة أخرى في شوط جديد ، لا يناقش ولا يجادل ، ولكنه يمسك بتلابيب الحياة الفاسدة ويهوى عليها بالسياط بعد أن يجردها من ثيابها » .

الحاج سيـــــد

للأستاذ حسن جلال بك

كنت منذ سنوات قد شاهدت (فيلماً) موضوعه « البحث عن الذهب » ، وهو يروى قصة رجلين من خيار الناس كانت تربطهما صلات متينة من الود والمحبة ، رغبا فى تجربة حظهما بارتياد جبال أمريكا الغربية بحثاً عن التبر بين ترابها ، أسوة بما فعله المهاجرون من قبلهم — الذين جاؤوا من أطراف الأرض يلتمسون الثراء فى حصباء تلك المناطق البكر ، عندما ذاعت فى العالم أنباء كشف مناجمها الواسعة الغنية التى تزخر بحبيبات الذهب الأبريز . ولما كانت أمثال هذه المغامرات تتطلب دليلا يعرف مسالك تلك الجبال ، ويكون على علم بمواطن كنوزها الدفينة ، فإنهما قصدا إلى بلدة فى سفح تلك الجبال ، وطفقا يغشيان مجالسها ومقاهيها ، يلتمسان ذلك الدليل الذى يعاونهما على بلوغ مأربهما ، حتى وفقا أخيراً إلى شيخ من أهل تلك الناحية له خبرة سابقة بمعالم الطريق المؤدى إلى تلك المناجم ، وعرضا عليه مشروعهما ، وجعلا له ثلث ما تصل إليه أيديهما من الذهب لقاء ما يقدم لهما من معونة وإرشاد .

وكان هذا الشيخ رجلا مرحاً لا زوجة له ولا ولد ، يأخذ الدنيا كما هى ، ويعيش ليومه ، ويشتغل به عن أمسه وعن غده . فلما أفضى إليه صاحبانا بمشروعهما وسألاه المعونة فى الوصول إلى بغيتهما ، رحب بهما وقال لهما إنه الذهب كثير ميسور ، وإنه فى متناول يد كل من تصح عزيمته على ارتياد مواطن عروقه فى تلك الجبال . ولكن تجاربه الماضية علمته أن المتاعب إنما تبدأ بعد العثور عليه ، وأن متاعب البحث عنه لا يمكن أن تقاس فى شىء إلى متاعب اقتنائه والاحتفاظ به . فلم يفهما ما يشير إليه واستفصحاه فقال : إنه كثيراً ما خرج مع أمثالهما لنفس الغاية ، فكان أول ما يسترعى انتباهه روح التفاهم والتفاؤل الذى يسود البعثة فى مراحلها الأولى ، وروح التعاون والتساند الذى تتسم به كل أعمالها ، وأن أمرها يظل على هذه الحال حتى يظهر الذهب . وهنالك تمس الجميع عصاه السحرية فتنقلب أمورهم رأساً على عقب ، وتتبدل الحال غير الحال ، ويحل التوجس بين الجماعة محل الثقة ، وينقلب أمنهم خوفاً ،

ولكنا نتساءل عما إذا كان موكب الأدباء المتمردين يكفى لرد هذا التيار الجارف . الحق أن الأمر فى نظرنا يحتاج إلى حملة قوية شديدة ببرامج مرسومة وخطط موضوعة ، تهدف إلى إقامة مثل عليا بدلا من التى تحطمت ، وإعادة الثقة إلى نفوس الناس فى معاملة بعضهم البعض ، وخلق روح التعاون والتعاطف بينهم ، وبالجملة تقوية عنصر السمو الروحى فى النفوس ، ليكون قادراً على هزم آثار المادة الطاغية على المجتمع .

وإذا كان موكب الأدباء المتمردين لا يكفى وحده لتحقيق هذه الغاية ، فمن الذى يصح أن يضطلع بهذه المهمة ويقوم بهذه الحملة المرتقبة ؟ أظن أن الأمر يحتاج إلى جماعة متشبعة بالفكرة ، متحمسة للهدف ، واثقة من مقدرتها ومصممة على خوض المعركة بقوة وإيمان ثابت ، ومستعدة للتضحية فى سبيلها بكل شىء . لكنى أشترط شرطاً واحداً أساسياً أرى وجوب توافره فى كل فرد من أفراد هذه الجماعة :

هذا الشرط الذى أشترط توافره هو البعد عن الحزبية السياسية ، ذلك لأنى مؤمن بأن هذه الحزبية السياسية هى أساس البلاء وموطن الداء . وقد يستغرب البعض هذه الفكرة بل يهزأ منها البعض الآخر ، ولكنى أقررهنا اعتقادى الجازم بأن السياسة وشرورها ، والحزبية العمياء وتصرفاتها هى المسئولة عما نحن بصدده من انحلال خلقى هو موضع الشكوى من كل الناس ؛ ومن ثم كان لابد فى رأيى من استبعادها استبعاداً كلياً فى كل حركة تهدف إلى الإصلاح الذى نبتغيه . ولعل هذا الرأى يحتاج إلى تفصيل أوفى يحسن أن نرجئه إلى المقال التالى .

أحمد عبد السلام الكرداني

وينظر الصديق إلى صديقه كأنه عدوه المبين !

ولم يعجب هذا القول صاحبيه ، فاعترضا عليه ، وسخرا منه ، وقالا له : إن الناس معادن ، ومن صفا معدنه فإنه لا يتأثر بشيء في فقره أو غناه ، ويظل ثابتا على خلقه في حاليه : بؤسه ، ونعماه — فيبقى باراً بأصفيائه ، وفياً لخلصائه . وربما زادته النعمة حفاظاً بهم ووفاء لهم . فضحك الرجل من قولهما ضحك المجرب البصير بعواقب الأمور ، وقال لهما : إذن هيا بنا ، وسنعرف عند عودتنا من منا كان أصوب رأياً وأحسن تأويلا . .

واجتمعت للقافلة بغالها وحميرها ، وتهيأ لها زادها وعتادها . وانطلق الرجال الثلاثة يصعدون في الجبل ، ويلقون من مشقات التصعيد ومتاعب الرحلة ما يزيدهم شعوراً بأهمية الهدف الذي يسعون للوصول إليه — وطال بهم السير ، وأشرفت ذخائرهم على النفاد ، وأحاطت بهم المخاوف ، وبدأت تتسرب إلى نفوسهم معاني الفشل والهزيمة ، وكادت تهن عزائمهم تحت ضغط التعب ، وتتراجع هممهم إزاء أشباح الخيبة . ولكن الحظ واتاهم في الوقت المناسب ، فأبرقت في قاع غرابيلهم حبيبات الذهب الوهاج . وعند ذلك مسح النجاح بيده الساحرة على جباههم المقطبة ، فبسط أساريرها ، وملأ الأمل نفوسهم المنقبضة ، فاستخفها الطرب والاستبشار ، ونسوا ما هم فيه من جوع وحرمان . وتجدد نشاطهم ، واستأنفوا جهادهم ، وقد انقشعت وساوسهم ، وارتفعت معنوياتهم ... وإن هي إلا أيام حتى تجمع لهم قدر وفير من تراب الذهب ، جلسوا في خيامهم ليتقاسموه . وفجأة انقدحت بينهم شرارة الصراع الأولى ، إذ تفتحت في نفوسهم شهوة الاقتناء ، وطفت في قلب كل واحد منهم رغبة الأثرة على نزعات الإيثار الساذجة . وقضوا الساعات الطوال في ضبط الموازين ، وأخذت تشرئب الأعناق ، وتتسع الأحداق كلما رجحت كفة على كفة ، أو زاد نصيب على نصيب ... وأخيراً استقل كل واحد بكيسه الذي يحتفظ فيه بنصيبه . وتفنن كل واحد في إيجاد المخبأ الأمين الذي يخبيء فيه كنزه ، ولجأ أحد الصاحبين في هدأة الليل إلى صخرة كبيرة تجاور خيمته ، فأخفى تحتها حقيبته . ثم شاء الحظ العاثر أن يأوى صاحبه في اليوم التالي إلى تلك الصخرة فأسند إليهـا رأسه لينعم بإغفاءة قصيرة في القيلولة ، ولكنه ما كاد يستسلم للنعاس حتى أحس بدويبة تخرج إليـه من تحت تلك الصخرة فقام إليها ليقتلها ، فإذا بها تفلت منه وتعود من حيث أتت ، وعند ذلك أخذ في قلقلة الصخرة من مكانها ليصل إليها .

وتسوق المصادفات صاحبه إلى مكانه ، وهو على تلك الحال ، فلا يقع في نفسه إلا أن صاحبه يحاول أن يغتصب نصيبه من الذهب ، ولا يجد علاجاً لمثل هذا الغدر خيراً من غدر مثله ، فيتسلل إلى خيمته ويأخذ منها قضيباً من الحديد ، ويفجأ به صاحبه فيضربه من فوق رأسه ضربة قوية تشجه وتتركه بين الحياة والموت . . . ويجتمع الرجلان الباقيان عنده وهو يحتضر ، فيفسر لهما المسكين سر حركته ، فيذهبان إلى الصخرة ويزحزحانها عن مكانها ، فيجدان الحشرة كامنة هناك فيقتلانها ، ولكنهما يعودان إلى صاحبهما ، فيجدان أنه قد فارق الحياة . . وهكذا تقع الضحية الأولى في سبيل الحصول على ذلك الذهب المنشود !

ويتقاسم الباقيان — الدليل والصاحب القاتل — نصيب القتيل ، ويتجدد بينهما الشقاق واللجاج في ذلك ، حتى يتحدد لكل واحد نصيبه فيعود به إلى خيمته ليضمه إلى حصيلته — ولكن الوحش يملأ صدر الصاحب القاتل ، ويحس أنه أصبح بعد قتل صاحبه تحت رحمة هذا الدليل الذي يستطيع إن شاء أن يضله طريقه ، ويستطيع إن شاء أن يسلبه ذهبه . فظل يعاشره على حذر ، وينام معه بإحدى مقلتيه ، يحاسنه على دخل ، ويصانعه خيفة منه وارتيابا في حسن نواياه ، حتى لاحت له آخر الأمر معالم الطريق واضحة إلى الجبل ، وأيقن أنه يستطيع أن يقطع بقية الطريق وحده دون معاونة ذلك الدليل . وعند ذلك رأى أن يقوم بتنفيذ هذه الخطة التي ظل يتكتمها منذ حين . ففاجأ دليله من الخلف بنفس القضيب الذي قتل به صاحبه فقضى عليه . وتوهم بذلك أنه استطاع أن يخلص بحصة صاحبه من التبر ، وأنه خرج من تلك المرحلة بنصيب الأسد . . . ولكنه لم يذهب غير بعيد حتى تلقفه قاطعو الطريق الذين اعتادوا أن يكمنوا لأمثاله من المحظوظين الذين يوفقون في ارتياد تلك الجبال ، فسلبوه ما جمع بالحق وبالباطل ، وتركوه شريداً مجرداً لا خيل عنده ولا مال . . . وهكذا أسدل الستار على تلك المغامرة التي

تحققت فيها نبوآت ذلك الدليل المجرب حين لفت نظر صاحبيه في بدء رحلتهما إلى أن الذهب ميسور، ولكن المتاعب تبدأ بعد الوصول إليه. وأن الإخاء والوفاء وبقية تلك الشيم الخلابة تتصدع كلها إذا ما سطع عليها بريق الذهب . . .

* * *

كانت تلك القصة كفيلة بأن يعتبر بها كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ولكن ما أكثر ما ينسى الناس العبر، وما أكثر ما يسهون عن العظات!.. وإنما أذكرني هذه القصة ما وقع لي منذ أيام . . .

فقد كنت أذهب إلى الريف لأقضي فيه بعض وقتي كل عام في مثل هذه الأيام من الصيف. وكنت آنس هناك إلى رجل ساذج كان اسمه «سيد أحمد» ولكن الناس اعتادوا أن ينادوه بقولهم «ازدحمد» — وكان سر اهتمامي بهذا الرجل أنه كان يتعلق بي، ويسعى لخدمتي ويعمل على راحتي لا يبتغي في ذلك جزاءً مني ولا شكورا — ولكني لم أقصر مع ذلك في توفيته حقه من الأجر والشكر . . . كنت أراه دائماً في أسمال بالية، حافي القدمين، وعلى رأسه لبدة قذرة يلطخ جسمه الوحل والوضر، وتفوح من فمه دائماً رائحة البصل النيء لتنم عن لون الطعام التقليدي الذي يعيش عليه ويأتدم به — وكنت أشفق عليه وأتطلع دائماً إلى اليوم الذي أستطيع فيه أن أعينه على حاله أو أرفه عنه. ووفقت أخيراً إلى أن أؤجره قطعة من أرضي ليفلحها ويصلح بعض شأنه باستغلالها، وساعدته في شراء الماشية اللازمة لإدارة عمله الجديد. وقد تلقى المسكين هذا الصنيع بالعرفان العميق الذي جعلني أحمد الله على حسن توفيقي فيه.

وبارك الله له فأفلحت زراعته، ونما غرسه، وجاء محصوله، وسرني أن أراه يضع على رأسه (طاقية) بيضاء، ويستر جسمه بجلباب نظيف، وينتعل حذاء يضفي عليه لوناً من ألوان النعمة الموفورة — فإن النعل لا يزال بحمد الله في ريفنا رمز اليسار، وصلاح الحال — وسرني أني كنت صاحب الفضل في هذه الطفرة التي لحقت عبداً من عباد الله التعساء، وأني نجحت في انتشال رجل أهوى به الفقر إلى مراتب الدواب، فرفعته من جديد إلى مصاف الآدميين.

وأيقنت في نفسي بأن الله سيجزيني بحسنة عشر أمثالها حين يحل موسم سداد الإيجار . . . .

وانتظرت أن يأتيني رجلي، فيوفيني حقي من أجرة أرضي. ولكني استقبلت غيره من المستأجرين، وطالت غيبته هو. واستحييت أن أسأل زملاءه عنه حتى لا أفضحه بسؤالي، فلعله لا يريد أن يطلع أحدٌ على ما بينه وبيني. ولم يخامرني الشك في أمره، وكنت أعتقد دائماً أنه لم يقعد به عني إلا العذر القاهر — والغائب حجته معه كما يقولون — ولكن طال صبري وانتظاري، وذهبت بنفسي إلى بلدتي، ولقيت هناك كل من اعتدت أن ألقاهم إلا أجيري الجديد، فإني لم أهتد إلى ظله. فاضطررت إلى أن أستفسر عنه. وهناك سمعت الجواب الذي كنت في حاجة إلى معرفته، وإلى سماعه لأكتسب الخبرة التي لا يجوز لي من بعدها أن أخطئ، ولأتلقى الدرس الذي لا ينبغي لي من بعده أن أنساه . . .

لقد قيل لي إن الرجل جمع ثمن محصوله كله، وباع مواشيه كلها — ذلك المحصول الذي أنبتته أرضي وتلك المواشي التي اشتريتها له بمالي — ثم سافر إلى الأقطار الحجازية ليؤدي فريضة الحج، لأنه سئم أن يظل الناس ينادونه بقولهم (ازدحمد) وطمع في أن يكون لقبه بعد تلك النعمة التي أصبح يتقلب فيها — «الحاج سيد»!

* * *

يروى عن جحا أنه كان يعيش في عصره صديقان متلازمان كانت تضرب بصداقتهما الأمثال. فقصد يوماً إلى أحدهما وسأله بأسلوبه الساخر:

— هل تعرف فلاناً؟ (يقصد صديقه الآخر)

قال — أجل! أعرفه تمام المعرفة!

قال — هل صاهرته؟ قال. كلا!

قال — هل عاملته؟ قال: كلا!

فتولى عنه جحا ضاحكا وهو يقول: إذن فأنت لا تعرفه! ألا ما أصدق هذا الكلام!

حسين مهمول

خـــواطر

للدكتور أحمد أمين بك

— ٤٣ —

... ومات

١ — كان غنياً له ثراء واسع وجاه عريض ، والمزارع التي لا حد لها والعمارات التي تناطح السحاب ، وعاش مستقيماً يرعى الله في ماله ، ويحسن إلى الفقراء ، ويعين على نوائب الزمان. وكان ذا همة موفورة ، فلما تقدمت به السن توالت عليه الأمراض فلازم فراشه زمناً طويلا . . . ومات

٢ — كان بائساً فقيراً ولم يوفق في زواجه ، وتزوج وطلق ، وتزوج وطلق ، وكد في كسب العيش فلم ينل من الرزق إلا ما يسد رمقه . وأكلت الماكينة ذراعه فأجريت له عملية قاسية . . . فمات

٣ — كان شاباً وسيم الطلعة من أولاد الذوات . وكان وحيد أبويه . مات أبواه له عن ثروة طائلة . احتاط به أصحاب الكيف من أهل الحشيش والخمر والنساء ، ثم النصابون ، وأخيراً أفلس ؛ فشاهدته مرة وهو حمّار في المنشية حيث كانت سراى أبويه ، فألحت عليه الظروف فسكن في مدفن أبويه في الإمام إذ لم يجد مسكناً . وأخيراً جاءه الشتاء بما لا يحتمله جسمه الضعيف . . . فمات

٤ — كان شاباً نشأ في طاعة الله ، يقضي ليله في الذكر والتهجد . ونهاره في عمله ، وبارك الله له في رزقه وزوجته وأولاده ، وعاش عيشة متواضعة هنيئة يعمل ما استطاع من الخير ، ويقدم ما استطاع من المعونة . وفي يوم كان سائراً في الشارع فصدمته سيارة . . . فمات

٥ — كانت شابة جميلة تزوجت زواجاً سعيداً ، فخدم وحشم ، وقصور ومزارع ؛ وماشئت من ترف ونعيم ، ثم حملت وأطباء يعاونونها يأخذون العدة كلها لولادتها ، ويعقمون كل شيء في حجرة ولادتها ، فلما ولدت أدركتها حمى النفاس فماتت .

وهكذا الموت هو القافية لكل نوع من أنواع الحياة .

— ٤٤ —

نظرت يوماً إلى مائدة من زاوية فرأيتها على وضع خاص ، ونظرها غيري من زاوية أخرى فرأى لها وضعاً غير وضعي ، ثم تجادلنا في وضعها فتمسك كل برأيه ، وهو محق فيما يرى وأنا محق فيما أرى . ولو نظرها غيرنا من زوايا أخرى لكان له حكم غير أحكامنا .

قلت هكذا الشأن في الدنيا والشأن في الحكم على الأشياء . وقد كان الناس في القرون القديمة والوسطى ضيق الأفق محدودي النظر ، يرون الأشياء من ناحية واحدة ويعتقدون أنها كل الحق ، مع أنها ليست إلا جانباً واحداً من الحق . وهذا هو ما سبّب التعصب الديني الفظيع والتعصب السياسي الفظيع . وقد امتاز أهل العصر الحديث بسعة الأفق وتجويزهم أن الحق يرى من جوانب متعددة ، ومع ذلك لا يزال المدى واسعاً أمام الناس ، فالنزاع بين أهل الأديان المختلفة ، والنزاع بين المستعمرين والمستعمَرين ، والنزاع بين المعسكر الشيوعي والمعسكر الديمقراطي ، أهم أسبابه ضيق الأفق . فلو عقل الناس ما كان هذا الاختلاف . وأعجبتني حكاية قرأتها ، وهي أن جماعة من العُميان وضع كلٌّ يده على جانب من جوانب الفيل ، فهذا على أذنه ، وهذا على نابه ، وهذا على رجله ، ثم أخذ كل يصف الفيل كما أحس ، ثم يخطئ الآخرين في وصفه ، وكلهم كان على حق ، لكن من جانب واحد . ولو فتحوا عيونهم لرأوا أنهم كلهم مصيبون . وإن شئت فقل مخطئون . والخلاصة أن الناس كلهم يرون الحق ، ولكن ليس أحدٌ وحده يرى الحق .

أحمد أمين

مكافحة الجريمة

— ٢ —

للأستاذ أحمد طه السنوسى

ليست الدولة التى تهتم بمكافحة الجريمة قائمة وحدها فى محيط العالم ، بل تحفها وتتصل بها دول مختلفة كثيرة العدد ، ومن مقتضى هذا أن نطاق الجريمة لن يظل محصوراً فى الاعتداء على الفرد فى داخل الدولة ، بل إن نطاق الجريمة يتوسع خارج هذا الحيز ليبسط سلطانه على نطاق الدول وما بين الدول . وليس غريباً قيام الجريمة فى مثل هذا النطاق ، لأنها تنشأ فى كل نطاق فيه احتمال الإضرار بطرف ، والغنم لطرف آخر ، سواء أكان كلا الطرفين أفراداً أو دولاً ومجتمعات ! .

بل إنه ليس من المستغرب أبداً نشوء نوع من الجرائم جد خطير ، يتميز بالطابع الدولى فى مثل هذا العالم بما وصل إليه من تطور ورقى ، فليس رقى المواصلات اليوم بين الدول مسهلاً لحركة الاتصال العادية بينها فحسب ، بل هو كذلك مسهل لحركة الإجرام ، والكلام نفسه يقال فيما يخص رقى العلوم وتقدم الكشوف والمبتكرات . فنحن نجد اليوم الإجرام ذا الطابع الدولى متمثلا فى ضروب من الجرائم الخطيرة ، كالاتجار بالمخدرات والرقيق ، وتسخير النساء فى الدعارة ، والمطبوعات الفاضحة ، وكجرائم تزوير الأوراق النقدية والمالية ، وتزييف النقود والمسكوكات . .

من هذا نرى أن الدولة فى مكافحتها للجريمة ، لا تقتصر على المكافحة فى الإطار الداخلى ، بل تتعداه إلى النطاق الخارجى ، وهذا الأخير يتطلب منها التعاون مع سواها من الدول لمكافحة الجرائم ذات الطابع الدولى الخطير ذى المساس بكيانها ، سواء تمثل هذا الأخير فى نفس الدولة أو شرفها أو فى أموالها .

لذلك كان الكلام فى مكافحة الجرائم ذا شقين ، شقه الأول مكافحة الجرائم ذات الطابع الدولى ، أى الجرائم بين الدول فى نطاق العالم الواسع ، وشقه الثانى مكافحة الجرائم ذات الطابع الداخلى ، أى الجرائم التى تقع فى نطاق الدولة المحدودة من الأفراد على الأفراد ، أو منهم عليها !

أما عن الجرائم ذات الطابع الدولى ، فيلاحظ فيها طابعها الخطير العام ، ووجه الخطر فيه ذو شعب ثلاثة :

الشعبة الأولى : خاصة بالجناة فيها ، وهى شعبة ذات وجهين ، وجهها الأول أن المجرم الذى يرتكب أمثال هذه الجرائم ليس كذلك الذى يرتكب الجرائم العادية فى النطاق الداخلى لكل دولة ، لأن إقدام شخص ما على ارتكاب هذه الجرائم الدولية ، يعنى أنه قد بلغ مرحلة جد خطيرة من الإجرام ، فلابد أنه يتمتع بنفسية شريرة ، وعريكة إجرامية فذة ، وعقلية لها حسبان كبير ، كما أنه يعنى كذلك أنه يستند إلى قوة اقتصادية لاشك فى عظمها ، إذ الجرائم ذات الطابع الدولى ، تحتاج إلى ثروة مالية تعتمد عليها !

والوجه الثانى أن هذه الجرائم تحتاج إلى تعدد الجناة وتعاونهم ، وحيث إن لكل منهم قوة من الناحية الجسمية والذهنية والاقتصادية ، فإن ذلك يعنى أن تعددهم وتعاونهم فى نوع من هذه الجرائم يجعل متابعتهم عسيرة ، كما يضاعف من عظم النتائج الخطرة التى تترتب على جرائمهم من تهديد سلامة الدول وأمنها وسمعتها بالخطر الداهم الشديد .

والشعبة الثانية : أن هذه الجرائم لاتقع كالجرائم الداخلية العادية فى نطاق محصور ، يمكن معه تتبع الجريمة وجناتها ، والتوصل فى سرعة إلى استئصال ضررهم وخطرهم ؛ ذلك لأن تقدم وسائل المواصلات بين الدول سهل إلى حد كبير الاتصال بين مختلف البلاد ، الأمر الذى أدى إلى تسهيل مهمة هذا الصنف من الجناة فى ذلك الضرب من ضروب الجرائم ؛ فقد ترى الواحد منهم يرتكب جريمته فى هذا البلد اليوم ، وفى صبيحة الغد لا تجد له أثراً ، حيث تسمع عن جريمة أخرى مماثلة أو غير مماثلة حدثت فى بلد آخر له حدوده ونظمه ، وله قوانينه وتشريعاته ، يكون هو المدبر لها أو المرتكب إياها ، وقد يقبع أحدهم فى دولة من الدول ، ويرسل زملاءه إلى مختلف الأمكنة ، فتقع جرائمهم بتدبير عجيب ، أتى نتيجة لدراستهم أحوال الدول التى يرمون فيها شباكهم ، ونتيجة تعاونهم فى إحداث ما تمهم ، أو نتيجة

تسييرهم وفقاً لخطة حكيمة تضعها وتوجهها إلى نهايتها قيادة رشيدة ، تمكث فى دولة معينة أو تتردد بين مجموعة من الدول دون أن تحوم حولها الشبهات لإتقان قادتها فن الإجرام ، وهو فن له لديهم أسس ودعائم خاصة ودراسات ووجهات معينة ، يجهدون أنفسهم فى تحصيلها ، ويعملون المستحيل لتطبيقها وإجادتها ، معتمدين على فطنتهم وقدرتهم التى يوجهونها تجاه هذا النوع من الجرائم ، فى هذا النطاق الأوسع حدوداً ، الأكثر حدة وخطراً من نطاق كل بلد على حدة .

والشعبة الثالثة : هى الخاصة بمبدأ معروف يطلق عليه Territorialité de la loi pénale ، ومن مقتضى هذا المبدأ أن لكل دولة سلطاناً وسيادة على إقليمها ، لسلطتها العامة بسط نفوذها على هذا الإقليم ، دون أن يكون للدول الأخرى أن تتدخل فى هذه السيادة ، أو تعتدى على هذا السلطان ، أو تشترك فى بسط النفوذ . وبما أن تتبع الجرائم وتوقيع العقاب على الجناة من خصائص السلطة العامة فى كل دولة بالنسبة لسكانها الداخلين فى حدودها ، فإن من مقتضى هاتين الوجهتين : سيادة الإقليم ، وحق توقيع العقاب ، ألا يتعدى أثر سلطان الدولة إلى خارج حدودها ، لتوقع العقاب على مجرم ليس فى نطاقها أو على جريمة لم تقع فيها ، كما أنه ليس لأى سلطان لدولة أجنبية أو قانون لها أن يدخل فى نطاقها ، إذ أن قانون الدولة وحدها هو النافذ على أبنائها ، وسلطان الدولة هو المبسوط على أرضها ، لا سلطان لدولة أجنبية عليها ، ولا تشريعاً خارجياً يسرى عليها !

وليس من شك فى أن هذا المبدأ كان يوافق ظروف القرون الغابرة ، حيث سيادة الدولة تتمتع بقدسية مطلقة لا تمس ولا ترد عليها استثناءات ، ولا تبررها مقتضيات خروج ، وحيث عزلة كل دولة عن سواها من الدول ، وجمود العلاقات بينها ، وانعدام المخترعات ، وقصور التطور عن تكوين مجتمع عالمى ، يضم الدول كما تضم الدولة الواحدة أفرادها وفئاتها .

أما اليوم حيث صارت السيادة مسألة نسبية يقتضيها التعاون الدولى ، وحيث تحررت العلاقات من الجمود ، وحيث أدى التطور إلى خلق مجتمع عالمى يضم الدول كما تضم الدولة الواحدة فئاتها وأفرادها ، فإن هذا المبدأ الخاص بإقليمية القانون الذى يطبق على المجرمين والجناة ، صار لا محيص عن الخروج عنه وتحريره بما يناسب الظروف الحاضرة ، وبما يوافق التطور الذى وصلت إليه الحياة العمومية والحركة العامة . . !

ووجه العموم يتمثل فى أن خطر الجرائم ذات الطابع الدولى يشمل الدولة التى وقع عليها الاعتداء الإجرامى ، فعلى حين تقع الجريمة فى الداخل اعتداء على شخص فرد أو عرضه أو شرفه أو ماله ، نجد أن هذا الصنف من الجرائم يقع على شخص الدولة أو أمنها أو سمعتها أو ماليتها أو فى الثقة بأوراقها النقدية ؛ وهنا يعم خطرها الدولة كلها بحكومتها وأرضها ، وبالتالى بكل فرد من أبنائها .

فالاتجار بالمخدرات من شأنه — فضلا عن خرق قوانين الدولة التى تحرمه — ذو وجهين لعمومية الخطر :

الوجه الأول : أن جزءاً لا يستهان به من عرض النقود فى الدولة سيخرج منها فى نظير شراء الجواهر المخدرة ، مما يترتب على ذلك من عجز الدولة عن الاستفادة بهذا الجزء الخارج فى الاستيراد لتطعيم جهازها الإنتاجى ، والتكثير من الأموال الإنتاجية ، وتكميل الحاجات السلعية الداخلية للأسواق والأفراد ، وبالتالى يؤدى ذلك من الناحية النسبية إلى انخفاض مستوى المعيشة وتبديد الإنتاج القومى .

والوجه الثانى : أن جزءاً هاماً من الصحة العمومية لأفراد المجتمع ، أى صحة أبدانهم وأذهانهم سيتبدد نتيجة للإدمان على هذه الجواهر المخدرة ، فضلا عن أن هذا الأخير يؤدى إلى خلخلة الاقتصاد الفردى والعائلى فى داخل المجتمع ؛ إذ يتطلب الإدمان على جوهر معين صرف دخل رب أسرة معينة ، أو جزء كبير منه على شرائه بدل توزيعه على السلع الاستهلاكية الأخرى التى تكون لها الأهمية على الجواهر المخدرة ، مما يؤدى إلى عجز فى القدرة المعيشية الاقتصادية ، خاصة فى مجتمع فقير منخفض مستوى المعيشة فيه .

وكذلك الشأن فى الاتجار بالرقيق ، فمن شأنه — فضلا عن منافاته لما وصلت إليه الحرية الشخصية ، ومجافاته لقوانين الدول التى تحرمه والعرف الدولى السائد الآن — أن يزيد من عرض العمل فى بلد ، وإنقاص الطاقة الإنتاجية فى بلد آخر بسلب طاقة العمل فيها ؛ إذ الرقيق عادة من العمال الكادحين — وهم طبقة تساهم بمجهود كبير فى تقديم عنصر

العمل المتطلب للإنتاج القومى ، فنقلهم من مكان لمكان يعنى الطاقة الإنتاجية من بلد لآخر ، فضلا عن ان الاتجار بهذا الصنف من السلع الإنسانية يدر ربحاً وفيراً على فئة التجار المتجرين ، يبين عن عظم هذا الربح وبهظه — بفضلا عن عـدم مشروعيته — أنه من الناحية الاقتصادية يأتى نتيجة لفرق كبير بين تكاليف الإنتاج وسعر البيع ؛ إذ أن الاتجار بالرقيق ، نفقات الإنتاج الأصلية فيـه قليلة نظراً لوفرة الرقيق فى بعض البلاد المتأخرة ، والحصول على هؤلاء من السهل تحققه دون تكاليف كثيرة . وإنما التكاليف فى النقل ، وغالباً ما يكون سعر المبيع باهظاً مما يحقق درجـة الربح التى ألمعنا إليها ، لطبقة المتجرين بالرقيق ، هذا الصنف من المجرمين ذوى الطابع الدولى .

وتسخير النساء فى الدعارة ، من مقتضاه أن تقوم فئة من المجرمين بجمع مجموعات من النسوة العاهرات ونقلهن من بلد لآخر بقصـد الكسب عن طريق تسخيرهن فى الدعارة ، وهذا النوع ضرره ذو شـقين : الأول ضرر الدولة التى تنتمى هؤلاء النسوة إليها ، وهذا الضرر أدبى من الناحية المعنوية ؛ إذ يدل على انحطاط مستوى مثل هذا البلد ، غير أن كل ذلك نسبى ، لأنه ليس ثمة دولة بلغت فيها الأخلاق درجـة يعتد بها ؛ إنما من الناحية الاقتصادية ، يلاحظ أن عمـل هؤلاء النسوة فى بلدهم الأصلى لا يعدو الدعارة فى شىء ، ولكن من أجـل ذلك يدررن طاقة عملية فى الإنتاج الداخلى ، تتمثل هذه الطاقة فى تقديم الخدمة الفاسقة ، أو إرضاء الشهوات البهيمية فى صورتها الفاحشة . فالدولة التى يخرج منها هؤلاء تخسر إذن من الناحية الاقتصادية والأدبية على حـد سواء . وكذلك البلد الذى يتلقى هؤلاء النسوة ، فعرض عمل الفسق فيه يزداد ، وإذا ازداد عرض هـذا الصنف من العمل ، فليس يعنى قلة الطلب عليه ، بل يعنى العكس ؛ نظراً لفتح أسواق الدعارة وانخفاض المستوى الخلقى والتأثير عليه ، ويترتب على ذلك خسارة هذا البلد من ناحيـة الإنتاج لضعف طاقة العمل نتيجة لما تؤدى إليه الدعارة من إنهاك الطاقة الحيوية لدى الأفراد العاملين ، فضـلا عن نشر الأمراض المنهكة للقوى العامة لهم . وكل ما ذكرنا مخاطر من الناحية النسبية ، تزيد وتنقص حسب الأحوال ، وحسب قدرة المجرمين فى هـذا الصنف أو ذاك . وحسب عجز الدولة أو قدرتها عن منع مثل هذه التجارة ، أو تقوية نفوذ هؤلاء المجرمين !

وكذلك الشأن فى المطبوعات الفاحشة ، إذ تؤدى إلى نشر الفساد فى الدولة التى تنتشر فيها — وذلك بخلق ضروب الشذوذ الجنسى . وتحطيم الطاقة الجسمية والخلقية لدى الشبان والمراهقين ، بما يترتب على ذلك من إضعاف طاقة العمل لدى أفراد هذه الدولة . هـذا فضلا عن أن المطبوعات الفاحشة لها تأثيرها فى وقت الحرب بالنسـبة إلى الجنود والمحاربين ؛ إذ عن طريقها يغمر هؤلاء فى ملـكوتها ، ويهتمون بأمرها اهتماماً يطغى على اهتمامهم بشئون القتال — وهم فى حلبات — فيؤدى هذا الانهيار والاهتمام ، فضلا عن اضمحلال الاعتبار الخلقى لديهم ، إلى إيقاع الهزيمة بهم أكثر مما لو لم تستعمل وسيلة هذه المطبوعات . والقائمون بنشر هذه الوسـيلة مجرمون خطرون ، تحالفهم الدول التى من مصلحتها نشر الرذيلة ، وتحطيم الطاقة العملية والخلقية لدى الدولة المعادية ، بما تقدم لهم من مساعدات وتسهيلات ، وبما يحصلون عليه من جراء ذلك من أموال .

ويلاحظ فى شأن المطبوعات الفاحشة أن الفرق بين نفقات إنتاجها وسـعر بيعها كبير ، مما يحقق كسباً وفيراً للقائمين عليها . يضاف إلى هذا الكسب ما يحصلون عليـه من إعانات ، وقلة تكاليف الإنتاج ترجع إلى اعتبارات رخص الأفلام وتقدم التحميض والطباعة ، مما يجعـل هذه التكاليف بعـد حد معين تراعى فيه تغطية نفقة الإنتاج الأولى ، تقتصر على ثمن الأوراق والتحبير ، ونفقة الإنتاج الأولى يقصد بها هنا أجور النسوة والرجال الذين تؤخذ لهم الصور الفاحشة ، مضافاً إليها أثمان الأفلام وأجور المصورين .

كما يلاحظ أن نشر هـذه الوسيلة قد لا يقتصر على الصور الفاحشة لاستثارة الغرائز الجنسية ، بل يتعداها إلى نشر الرذيلة واستثارة هـذه الغرائز عن طريق الكتابة أيضا . وقد تنطوى استثارة الغرائز الجنسـية على الوضع الأصلى . وقد تتعداه إلى خلق الشذوذ والاستهانة والاستهتار الجنسى ، بما يؤدى إليه كل هذا من تحطيم العصب الحيوى ، وتحطيم العصب الخلقى على حد سواء !

وجرائم تزوير الأوراق المالية والنقدية وتزييف النقود من شأنها الاعتـداء على الثقة بنقد الدولة ، ومن شأنها أن

التعليم بالراديو

الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

أصبح الراديو فى الزمن الذى نعيش فيه ضرورة من ضرورات الحياة ، وهو ولا ريب سمة من سمات العصر .

وأثره فى حياة الأمة بليغ فعّال ، ولذلك قبضت الدول الراقية على ناصيته ، وضبطت توجيهه ، لما تعلمه من الأثر السيء أو الحسن الذى يحدثه الراديو فى النفوس والعقول .

وقد كتب كثير من المفكرين فى مصر عن الراديو المصرى ، وأبدوا استياءهم من البرامج التى تذاع ، وترددت شكوى الجمهور ، وتعالت صيحات الكتاب ، ولا يزال الراديو على ما هو عليه ، لم يغير من حاله ، أو يعدل من خطته . وكيف يغير أو يبدل ، وليس الهدف واضحاً فى ذهن المسئولين ، أو فى ذهن النقاد .

وأول ما ينبغى أن نبدأ به هو تحديد الأهداف التى تريد أن يحققها الراديو . وهى تنحصر فيما يلى :

١ — الترفيه .

٢ — التثقيف

٣ — الدعاية .

وهناك وسائل مختلفة لتحقيق هذه الأغراض . فالموسيقى والتمثيليات ، والأغانى ، وإذاعة حفلات سينمائية أو روائية ، كل ذلك من وسائل الترفيه .

والمحاضرات ، والأسئلة والأجوبة ، وبعض التمثيليات التعليمية . تحقق الغرض من التثقيف .

وعرض الأحوال السياسية ، والتعليق على الأنباء ، وإذاعة الأخبار بشكل خاص ، تهدف إلى الدعاية السياسية .

وليس غرضنا الآن أن نتناول بالحديث جانب الترفيه وجانب الدعاية ، وسوف نقصر الكلام على ناحية التثقيف .

والتثقيف بالراديو مشكلة دقيقة ترجع إلى أن المحاضر

تزيد عن عرض النقود فيها ، دون أن تقابل هذه الزيادة سلع وخدمات تزيد الانتعاش القومى ، وتوافق مقتضيات عرض النقود ، بما يترتب على كل ذلك من حصول فئات من الناس على السلع والخدمات القومية نظير لا شىء ؛ وبذلك يكثر حجم الطلب بالنسبة لحجم عرض السلع والخدمات الوطنية ، بما فى ذلك من استنزاف لدماء الشعب العامل ، وإضعاف لمستوى المعيشة ، نظراً لرفع مستوى الأسعار المترتب على قلة العرض فى مواجهة الطلب ؛ مما يؤدى إلى اختلال المركز الاقتصادى لفئات الشعب العامل ، خاصة الفقيرة منها .

ويدخل فى التزوير جرائم التقليد واستعمال المقلد وإدخاله فى البلاد ، ولا يقتصر التزوير على أوراق البنوك المالية التى أذن بإصدارها قانوناً أو عملات الذهب والفضة وأوراق مرتبات أو بونات أو سراكى أو السندات الأخرى الصادرة من خزينة الحكومة أو فروعها ، بل إنه ليتعدى إلى القوانين والمراسيم والقرارات الحكومية والأحكام وأختام الدولة وإمضاءات رؤسائها وأختامهم وغير ذلك من أشياء .

وليس يخفى ما يترتب على ذلك من آثار وخيمة من حيث أمن الدولة والثقة فى أوراقها ، فضلا عن زعزعة الأوضاع السياسية والاقتصادية .

وجرائم تزييف المسكوكات يدخل فيها تزييف المسكوكات التى تتداول قانوناً فى بلد ما ؛ وذلك إما عن طريق تقليدها أو طلائها بطلاء يجعلها شبيهة بمسكوكات أخرى أعلى من قيمتها أو بإنقاص قيمتها ، وذلك بأخذ جزء من معدنها ، وإما بترويجها أو إدخالها فى البلاد ، أو الاشتغال بالتعامل فيها ، ويظهر من ذلك الاعتداء الواضح على الحكومة والمؤسسات المصرفية ووظيفتها فى السك ؛ إذ يحصل المزيفون على الفرق بين قيمة المسكوك الحقيقى وقيمة المسكوك المزيف ، فضلا عن فقد ثقة المتعاملين بهذه المسكوكات بالنقد الحكومى ، وانهيار مستواه وزيادة عرض المسكوكات المتداولة ، وما يترتب على ذلك من نتائج نسبية أسلفناها !

أحمد طه السنوسى

مثلا يخاطب الملايين على أمواج الأثير ، وهؤلاء يختلفون اختلافات كثيرة ، منهم الرجال والنساء ، ومنهم الشاب والشيوخ ، ومنهم الأطفال والكبار ، ومنهم المتعلمون والأميون ، والمتعلمون على درجات ، فبعضهم يكاد يعرف القراءة والكتابة مع قليل من الثقافة العامة ، وبعضهم ينطبق عليهم اصطلاح أوساط المتعلمين ، وبعضهم تلقى ثقافة ممتازة عالية ، واختلاف هذه الأصناف من طبقات الأمة يجعل المحاضر الثقافي في مركز يحار فيه : أي طبقة من الطبقات يخاطب . فإذا وجه الخطاب إلى الممتازين من المثقفين استغلق الأمر على الطبقات الأخرى ، وإذا نزل بأسلوبه وفكره إلى الطبقات الدنيا لم يحصل المثقفون على فائدة . ولذلك يغلق بعض الناس الراديو عند الوقت الذي لاتعجبهم فيه الإذاعة ، وهي لا تعجبهم لأنها لا تلقى صدى في أنفسهم ، ولا تستجيب لها عقولهم . ومرجع ذلك إلى التفاوت الطبيعي الذي ذكرناه في ثقافات الأفراد ، وفي طباعهم .

وقد جرت عادة الراديو المصري أن يخصص أوقاتاً معينة للإذاعات الثقافية الخاصة ، يسميها الأركان ، مثل ركن المرأة ، وركن الأطفال ، وركن العمال ، وركن الريف . وهكذا حقاً رأيت الأطفال ينتظرون وقت الإذاعة بهم ، ويعرفون اليوم المحدد لها والساعة التي تلقى فيها ، ويجلسون حول الراديو لاستماعها ، ولكن كثيراً من الأسر تضيق بهذه الإذاعات التي لا تليق إلا بالصبية ، وتأنف من سماعها ، ولذلك يأمر الأب ، أو تصيح الأم طالبة إسكات صوت الراديو ، لأنه يزعج مزاجها ، أو يقلق راحة الأب ، أو يصرف الشبان في الأسرة عن استذكار دروسهم . وقد يكون أحدهم في حاجة إلى استماع شيء من الموسيقى يرفه به عن نفسه ، أو محاضرة علمية يغذي بها عقله .

وقد حلت الدول الأجنبية هذه المشكلة ، بأن جعلت لكل طبقة « موجة » خاصة ، بحيث لايتوقف الراديو أبداً عن الإذاعة ، فيمكنك أن تسمع الموسيقى إن شئت ، أو المحاضرات إذا أردت ، وللعمال إذاعاتهم الخاصة الملائمة لهم ولأوقاتهم ، وللفلاحين إذاعات خاصة كذلك ، تلقى على موجات خاصة .

ونحن نرى أن تفعل مصر مثل ذلك ، فلا تكون الإذاعة واحدة لجميع طبقات الشعب ، بل تتعدد بتعدد طبقاتها الهامة .

ونبدأ بالحديث عن أهم طبقة في مصر ، وهي طبقة الفلاحين .

إنهم عصب الأمة ونسيجها ، وأكثر سكانها عدداً ، وأوسعهم انتشاراً في الأرض ، وعليهم المعول في إنتاج المحاصيل الرئيسية التي يقتات منها الشعب ، وهم مصدر الثروة الحقيقية للبلاد . ويكفي أن تنظر في الثروة المصرية منذ أيام محمد علي باشا ومنذ عهد إسماعيل ، لتعلم أن « القطن » هو الذهب الأبيض الذي يعد مصدر الرخاء في البلاد .

القطن ، والأرز ، والسكر ، هي عمد الخزينة ومصدر الثروة ، فإذا شاءت مصر أن يشتد ساعدها ، فعليها أن تهيء الجو الصالح لنمو الزراعات المختلفة في أرضها . والفلاح هو المحرك الفعال في الزراعة ، إن كان واعياً مثقفاً صحيح الجسم مستريح البال ، استطاع أن يباشر عمله بأفضل ما يكون ، وأثمرت الأرض أطيب الثمر .

ولكن الفلاح المصري — مع الأسف الشديد — جاهل ، سقيم ، متأخر ، لا يزال يعمل في القرن العشرين بعقلية قدماء المصريين . على الرغم من التقدم السريع العظيم الذي نتج عن تقدم العلم ، وتصنيع الزراعة ، والكشف عن الآفات والعلل ، وطرق مكافحتها ، واستعمال الآلات الميكانيكية في الزراعة .

فإذا كانت الدول الراقية التي يشيع فيها العلم ، ويكون الفلاحون فيها قد تلقوا ثقافة أولية راقية إلى حد كبير ، لا تكتفي بذلك ، بل تخصص للمزارعين إذاعة خاصة ترشدهم إلى أمثل الطرق الحديثة للزراعة ومكافحة الآفات ، وما إلى ذلك ، مما يتصل بالزراعة ، فإن مصر أولى أن تفعل ذلك ، لأن الفلاح لا يزال أمياً يجهل حتى القراءة والكتابة .

وقد سمعت أن سوريا ، الدولة الشقيقة ، قد أخذت بهذا النظام ، ووزعت خمسمائة جهاز راديو في القرى المختلفة ، وجعلت إذاعة معينة للفلاحين خلاف الإذاعة العامة الخاصة بسائر أفراد الشعب .

على أن مثل هذه الإذاعة الخاصة ، إذا لم تكن قائمة على أسس علمية ، لم يستفد الفلاح منها أي فائدة ، وقد ينصرف عنها فلا يسمعها .

ونحب أن نضع أمام المسئولين هذه الأسس العلمية ، أو

بعضها ، حتى تتم بذلك الفائدة إذا رأت محطة الإذاعة المصرية أن تأخذ بهذا النظام .

الإذاعة فن يقوم على السمع ، لا على البصر ، وذلك حتى الآن ، إلا إذا عم استعمال التليفزيون . والاستفادة من السمع عن طريق الأذن تقوم على عدة مبادىء ، أولها الصوت ونوعه ، وثانيها الإلقاء ، وثالثها الموضوع . والغرض الذي يهدف إليه المذيع هو اجتذاب الانتباه .

والانتباه إما أن يكون تلقائياً ، وإما أن يكون قسرياً ، وإما أن يكون ذاتياً ، وإما أن يكون خارجياً . كما هو معروف في علم النفس . ولما كانت الإذاعة الزراعية أشبه شيء بدرس يلقيه المعلم على التلاميذ ، فينبغي أن يكون صاحب الحديث ملماً بالمبادىء النفسانية التي يقوم عليها اجتذاب الانتباه ، من خفض الصوت ورفعه حتى لا يكون رتيباً مملاً ، ومن لطف المدخل وحسن الختام ، ودرج المعلومات في ثوب قصصي شائق جذاب ، مع ربط المعلومات الجديدة بالمعلومات السابقة التي يعرفها السامع . ولكننا نلاحظ أن معظم المحاضرين ، في شتى الموضوعات ، يهجمون على بحثهم دون تقديم ، ودون تشويق ، ودون مراعاة الصلة بين ما يعرفه السامع وما يلقاه من علم جديد . هذا إلى فساد الصوت ونشوزه مما يجعل الأذن تنبو عن سماعه .

وفن الإلقاء في الإذاعة يختلف عن فن الإلقاء في المحاضرات العامة التي يكون المستمعون مشاهدين للمحاضر ، لأن المحاضر بشخصه يستعين بالحركات والإشارات على اجتذاب الأسماع ، ويرى وجوه المستمعين ويتبين مدى استجابتهم له ، فإذا بدا له مللهم ، أسرع بتغيير طريقته عند الإحساس بالموقف الجديد . وليس الأمر كذلك في المحاضر على أمواج الأثير ، لأنه لا يرى المستمعين . ولا يراه المستمعون كذلك . وقد أجرت بعض المعاهد أبحاثاً خاصة بالإذاعة وطريقة الإلقاء ، خرجت منها بهذه الأصول ، وأولها الابتعاد عن الخطابة حتى يكون الحديث حديثاً يعنى بالكلمة ، لا كلمة فيه . ويراعى كذلك أن يقرأ المحاضر حديثه على مهل ، ويقطع جمله الطويلة ، ويستريح عند كل مقطع ، حتى يتابعه السامع .

ثم لا ينبغي أن ينسى المحاضر نفسه فيطالع الحديث في قراءة عجلة تسبب ملل السامعين .

يضاف إلى ذلك أن لغة الحديث يجب أن تكون ملائمة تمام الملاءمة لعقول السامعين ، وهذا هو طبيعة الحديث . فلو أن وزيراً من الوزراء كان صاحب أرض زراعية ، وذهب إلى أملاكه وتحدث إلى فلاحيه ، فإنه لن يخاطبهم باللغة العربية الفصحى ، بل أكبر الظن أنه سيجرى على لسانه اللهجة الخاصة بتلك الناحية .

لذلك يجب أن تكون الإذاعة الريفية باللغة العامية الدارجة على ألسنة الفلاحين ، وإلا خرجت عن الغرض المقصود منها .

أما الموضوعات التي تتداولها هذه الإذاعة الريفية ، فإنها كثيرة لا حصر لها . ففي كل موسم زراعة خاصة ، ولكل زراعة أوان للبذر والحصد والري . ولكل نبات آفة ، ولكل آفة علاج ، ولكل ثمرة طريقة للجني والحفظ ، وغير ذلك مما يحتاج كما قلنا في أول هذا الكلام إلى تخصيص إذاعة على موجة معينة لتثقيف هذه الطبقة التي تعد بالملايين ؟

أحمد فؤاد الأهواني

هاملت بين الحقيقة والخيال

للأستاذ عبد الفتاح الديدى

[ليست قصة هاملت مجرد أشعار ، وإنما هى شىء أخطر من ذلك ، شىء يشبه كتاب المصير وقد عصفت بأوراقه الرياح] . جوته

هذه الحروف التى يتكون منها اسم هاملت ليست إشارة إلى شىء بالذات ، وإنما هى تعبير عن معنى . ليست اسماً لفرد من الأفراد ، ولكنها إيذان بفكرة ، وعنوان لصورة . لقد استحال اسم هاملت — بتوالى الزمن — إلى فكرة من الأفكار ، وصار يرمز لأشياء لها خطرها فى أبواب الأدب والفلسفة وعلوم النفس جميعاً . فى كل علم وفى كل فن وفى كل لون من ألوان الثقافة تقع على اسمه ، وتعرض لهذه الصورة الجياشة التى رسمها الناس فى خيالاتهم لشخص مصنوع بيد إنسان !

ولا ندرى إلى أى حد يمكن إرجاع فضل خلق هذه الشخصية إلى شكسبير . . فلا تزال الأظانين قوية ، ولم تمتأ الأقاويل كثيرة فيما يتعلق بصاحب هذه العبقرية التى أخرجت إلى عالم الفن قصة أوتلو والملك هنرى السادس ، وملهاة الخطايا وروميو وجولييت ، ويوليوس قيصر ، وماكبث والملك لير . لم يزل موضوع جدل عنيف بين النقاد ذلك الفيض النادر من التآليف ، وتلك المقدرة الفائقة على حبك المسرحيات . فمن الشكوك فيه عند الكثيرين أن يكون شكسبير هو ذلك النابغة الذى أتحف العالم بذلك التراث الخالد من التمثيليات الأدبية . فتجد مثلا من يزعم أن بيكون — العالم الإنجليزى المعروف بموهبته الأدبية — هو كاتب هذه المسرحيات ، وخشى الظهور لأسباب بعضها خاص وبعضها عام ، فنسبها إلى شكسبير . وقصة هاملت هذه بالذات كانت موضع شك عنيف من الأستاذ أبل ليفران ، وعزاها فى النهاية إلى سيد كبير فى بلاط إليزابث اسمه وليم ستانلى . وقال إنه من الضرورى أن نتبين خير الوسائل وأفضل المناهج عند دراسة تاريخ الأدب ، حسب النتائج التى يقدمها لنا العلم الحديث . ثم أشار إلى ما يمكن أن تؤدى إليه طريقته فى تناول الكتب المشهورة من أمثال هاملت وفى الكشف عن أكاذيب عريبة شائعة فى دولة الفن . وقال إن تطبيق مذهبه فى النقد سيفضح خدعاً كثيرة سارية فى الأوساط الأدبية ، وسيلقى ضوءاً كثيراً على جملة من المشاكل .

قصة هاملت هى قصة الجريمة والثأر كما حكاها ساكسو النحوى فى مستهل القرن الثالث عشر ضمن مجموعة من الأساطير الإسكندناوية . ولا شك فى أن مؤلف مسرحية هاملت لم يقرأ الأسطورة فى هذا الديوان ، وإنما قرأها — كما قرأها معاصروه جميعاً — فى ترجمة فرنسية ذاعت بين الناس فى سنة ١٥٧٠ بقلم فرنسوا دى بلفورست واحتوت على العناصر الأساسية التى بنى عليها شكسبير (المزعوم) بعض مسرحياته الأخرى كروميو وجولييت وضوضاء كثيرة بغير داع . ويقول إنه قرأها فى الطبعة الفرنسية لأن الطبعة الإنجليزية لم تظهر إلا عقب إخراج مسرحية هاملت بخمس سنوات ومعروف أن الطبعة الأولى من قصة هاملت قد ظهرت عام ١٦٠٣ .

وقد ألف ساكسو الكتاب تحت رغبة الأب أبسالون الذى كان وزيراً ، والذى كان ساكسو سكرتيراً له ، وطلب إليه أن يأتى الكتاب فى لاتينية جميلة حاوياً لتواريخ الملوك وأبطال بلاده . فجاء قلمه بهذه الأسطورة وقال عن آملت (هاملت) : إنه الملك الرابع والعشرون فى سلسلة الملوك الليذريين المنتمين إلى إسكيولد بن أودين ، والبطل الذى يوضع إلى جانب النماذج الأسطورية فى تاريخ إسكندناوة . وتبدأ القصة بأن تحكى خبر الأخوين هورفندل وفنجون اللذان كانا يحكمان مقاطعة جوتلاند إبان حكم الملك روريك . وقد استطاع هورفندل فى نزال فردى أن يتغلب على ملك اسمه كولير عقب نقاش أخلاقى استغل ساكسو فيه براعته اللفظية . فإذا أضفنا إلى هذا الانتصار شهرة هورفندل فى الإبحار والقرصنة ، كان ذلك تزكية كافية لدى الملك روريك

كما زوجه من ابنته جيروث . وقد أعجب هورفندل منها ابنه أمليتوس (هاملت) مما أثار عليه حقد أخيه فنجون . فقد بغضت هذه السلسلة من الانتصارات المتتالية هورفندل إلى أخيه ، وقرر فنجون الانتقام والثأر ، وقد اقترن شعوره بالمحبة نحو جيروث بالكراهية لمكانة أخيه ، فضاعف ذلك من عزمه وقوى من شأن القرار الذي اتخذه فيما بينه وبين نفسه . وقد اعتذر فنجون عن جريمته بأنه إنما أراد أن يخلص جيروث من معاملة هورفندل القاسية ، وأن يجنبها آثار نزواته . وقد خلا لفنجون الجو فاعتلى العرش وأخذ محله وكان ذلك كله على مرأى ومسمع من أمليتوس الذي خشى أن يبدو خطيرا في نظر عمه إذا تصرف في أعماله عن وعى وعقل ، فآثر الظهور أمامه في صورة أبله غافل لا يعرف للأمور وزناً ، ولا يدرك للأحوال معنى . وعلى ذلك النحو استطاع أمليتوس لا أن يخفى عن الجميع مواهبه الطبيعية وامتيازه الشخصي ، ولكن أمكنه أن ينجو بنفسه أيضاً .

وقد كان أمليتوس قذراً مجنوناً يتدحرج على الأرض ويتلوى في الوسخ ، ويسهد وضاعته . ثم إنه كان يخلط في كلامه الصدق بالكذب ، متحدثاً في غير توقف عن الثأر لموت أبيه ، مخفياً عن الجميع نياته الباطنة . ولكن الكثيرين من عقلاء البلاط استطاعوا أن يستشفوا من وراء هذا المظهر الخادع روحاً ذكية ، وتنبأوا بقواه وملكاته ، ودبروا لاكتشاف سره موقفاً يخلو فيه مع امرأة بمكان منعزل حيث تثور في بطنه الشهوة ، وتهيج بين ضلوعه الرغبة ، فينسى تلك الأوضاع الشاذة التي أخذ نفسه بها ، وتظهر حقيقة شخصيته ، ولكنه استطاع أن يجعل من هذا الموقف فرصة أخرى لإبداء سذاجته وجنونه ، وصار يحكي للفتاة كيف نام مرة من المرات على عرف ديك . ونجد ضريب هذا الموقف تماماً لدى شكسبير .

كذلك حاولوا أن يتأكدوا من جنون الفتى أمليتوس مرة أخرى ، فأخفوا بحجرة أمه من يستطيع نقل الحديث الذي يجرى بينه وبينها على انفراد . وقد أحس أمليتوس بالتدبير في موقفه مع أمه بحجرتها الخاصة ، فأخذ يقلد صوت الديك ويرفرف بيديه كما لو كانت أجنحة ، ثم قفز على السرير الذي كان يختفي تحته الجاسوس ، وأنفذ في المرتبة رمحاً أجهز عليه . وقد قال الفتى لأمه بعد ذلك : إنه يتحرق شوقاً إلى الثأر . وإن فكرة الانتقام لأبيه كامنة على الدوام بقلبه ، وإنه ينتظر الظرف المناسب ، ويحاول التصرف بدقة طالما كان خصمه على هذا النحو من الصرامة والقسوة ، ولم يستطع فنجون أن يقتل أمليتوس ، ولعله لم يجرؤ على ذلك ، فتحايل على إبعاده بإرساله مع بعثة إلى ملك إنجلترا ، مصحوباً باثنين من حاشيته اللذين يحملان خطاباً خاصاً يرجو فيه فنجون من ملك إنجلترا إبادة أمليتوس . وقد اكتشف أمليتوس الخطاب ووضع اسم رفيقيه بدلا من اسمه في الخطاب . وعندما وصلوا إلى بريطانيا أعدم مبعوثا الملك فنجون ؛ أما هو فقد طلب يد بنت الملك الإنجليزي ومقداراً من الذهب تمكنه من الصرف على رحلته البحرية . ولم ينس ساكسو أن يطرى جملة من الألاعيب التي أبداها أمليتوس أمام ملك الإنجليز .

ثم عاد أمليتوس إلى الدنمارك ، فوجد البلاط هنالك بصدد ترتيبات خاصة بجنازته . . إذ اعتقدوا أنه قضى في رحلته . . واستطاع أن يقتل فنجون بعد أن تبادل معه رمحاً كان فنجون قد ألهبه في النار . هكذا كان — كما يقول ساكسو — ذلك الرجل الشجاع الجدير بالمدائح الخالدة . . ذلك الرجل الذي استطاع أن يخفي ذكاءه الخارق وراء بلاهة مزعومة ، فأنقذ نفسه من خطر محقق ، وانتقم لدمه وجعلنا في حيرة من أمره : هل نعجب باستبساله أم بحكمته ؟

ولم تنته قصة أمليتوس عند ساكسو ها هنا ، ولكنها امتدت حتى جعلت أمليتوس يدافع عن قتلة فنجون ، ويتولى الحكم بعده . وعندما توطد حكمه سافر إلى إنجلترا مرة أخرى حيث طلب إليه الملك أن يذهب ليخطب ملكة بالذات من ملكات إسكتلندة كانت قد اعتادت أن ترفض من يتقدم إليها . وقد فتنت الملكة بأمليتوس ، وأحبته حباً شديداً منذ وقعت عيناها عليه . فطلبت إليه في التو أن يتزوج منها على الرغم من خطبته السابقة لإحدى بنات ملك بريطانيا . فشبت معارك دامية لهذا السبب استعمل فيها أمليتوس عقله ، واستغل ذكاءه ، فكان يسند الأموات من جنوده وراء الصخور حتى أوقع الرعب في قلوب مهاجميه ، وحتى ظنوا أنه يملك جيشاً ضخماً مكوناً من فرق كثيرة وأنفار أشداء . وعندما رجع

أمليتوس إلى مقاطعة جوتلاند مُهزِم وقتل بواسطة الملك الذى خلف روريك على حكم البلاد .

هذه هى قصة هاملت كاملة كما رواها ساكسو النحوى ، وهذا هو النبع الأصيل الذى استقت منه أسطورة هاملت رواءها وبهاءها . وقد استطاع شكسبير أن يخرجها هذا الإخراج البديع . . وإنى لأتساءل فيما بينى وبين نفسى عن السبب الذى دفع الشعراء والأدباء إلى عدم الإدلاء بدلوهم فى هذا المضمار . . لماذا لم يحاول الفنانون إخراج مسرحية هاملت أو قصته بطريقة أدبية تتفق مع مزاج كل منهم ، وعلى الطريقة التى يمكنه بها أن يبرز معالم صنعته الخاصة ؟ لم نقرأ سوى هاملت واحدة هى هاملت شكسبير ، مع أننا نقرأ عدداً كبيراً من أوديب ، وأنتيجونا ، وإلكترا ؟ فلماذا كان هذا الاتفاق بين الأدباء على الانصراف عن هذه الأسطورة بالذات ؟ لا أدرى ، ولا يدرى أحد على التحقيق سر هذا الإغضاء من جانب الفنانين جميعاً عن هذا العمل . وأغلب ظنى أنهم يخشون مضاهاة شكسبير ، ولعلهم يخافون أن يوزنوا إليه وأن يقرنوا به ، فتسوءهم النتيجة ويظهروا بمظهر ضئيل بالنسبة إليه ، ويبدوا أقزاماً بجواره . وإلا فكيف تظهر هاملت واحدة فى تاريخ الآداب جميعها مع أن قصتها رائعة ومجال الخلق فيها كثير ، وفرصة التحوير والتلاعب بادية ؟ ! والآن ، وقد خضعت شخصية هاملت لدراسات وبحوث طويلة ، بعضها نفسىّ وبعضها فكرىّ ، أفلا يصح أن يأخذ أديبٌ ما شخصية هاملت ويلقى عليها أضواء جديدة من وجهات النظر الحديثة ؟ علاقة هاملت بأمه ، وعلاقة هاملت بعمه ، وجنونه المتناقض ، وروحه الشابة . . كل هذا ألا يستحق إعداداً جديداً ، وهل تحسبه لا يليق بأن يظهر على المسرح مرة أخرى فى أسلوب أكثر مماشاة للمعرفة المعاصرة والزمن الحاضر ؟ !

وشكسبير نفسه ، أو كاتب قصة هاملت أيا يكون ، هل تراه قد اختار هذه الأسطورة لمجرد إظهار براعته الفنية وإبراز قواه العقلية فى صناعة الأدب ؟ ألم يكن هناك دافع لأن يتقدم مؤلف هاملت الإنجليزى باختيار هذه الأسطورة وإبرازها ذلك الإبراز الأدبى الجميل ، وإذاعتها بصورتها الفنية وفى ثوبها الشعرى الخلاب ؟ أتراه قد انتقاها لسبب فنى محض ، وبرغبة شخصية خالصة ، أم إنه اندفع تحت تأثير ظرف من الظروف لاختيارها بالذات وإخراجها كأثر فنى ؟ هنا تثور شكوك الأستاذ ليفران بحيث يعفينى من الأسف الذى أبديه بالنسبة إلى الأدباء الآخرين ، ويبين لى كيف أن الدافع لوضع مسرحية هاملت لم يكن الأدب فى ذاته ، بل شيئاً آخر يرويه لنا التاريخ . فليست مسرحية هاملت كما يظن المرء لأول وهلة عملا يراد به الفن الخالص ، وإنما هى صورة لحادث وقع فى إنجلترا آنئذ ، وقصد منها أن تكون رمزاً خفياً لذلك الحادث . وقد عيّن بلفورست السبب الذى جعله يختار هذه الأسطورة فى كتابه ، فأشار إلى « شر مستطير فى زمانه » ، وقال إنه إنما شاء أن يثير ذكرى بعض المآسى التى جرت فى اسكتلندة وإنجلترا . فإذا لم تتوفر لدى المرء تلك الروايات ، وإذا لم تكن الذاكرة من اليقظة بحيث تبقى عليها ، وإذا لم يكن ملك قد مات فى غير أوانه لألقى بياناً كاملا شاملا ، وفاض فى وصف الأشياء وسرد الحكايات . . ولكن الأمور تجرى فى وضوح يغنيه عن الكلام .

هذا الملك الذى يلفت بلفورست نظر الناس فى سنة ١٥٧٠ إليه هو هنرى استيوارت ، زوج مارى استيوارت ، الذى قتل فى ظروف غامضة سنة ١٥٦٧ على وجه التحديد . وقد وجد هنرى ميتاً بحديقة قصره بعد حياة زوجية قصيرة لم يكن فيها سعيداً ، ولم يحظ فيها بأى توفيق . فإذا كان بلفورست قد أشار هذه الإشارة إلى تلك الحادثة المعاصرة ، فماذا تراه يفعل مؤلف مسرحية هاملت ؟ لا شىء ، اللهم إلا تحديدها والاستفادة منها . . وقد أظهر الأستاذ ليفران ، وأيدته فى ذلك ليليان ونستانلى فى كتاب لها عن هاملت ، أن ثمة توافقاً عجيباً ، وتشابهاً قوياً بين المسرحية وبين حادثة استيوارت . فالصفات المنسوبة إلى شبح والد هاملت فى المسرحية هىَ هىَ صفات هنرى استيوارت المعروف بها والشائعة عنه . وكذلك الموقف الذى قتل فيه ، لم يوجد فى قصة ساكسو اللاتينية أو فى قصة بلفورست الفرنسية ، وإنما اصطنعها الشاعر اصطناعاً وجعلها وفقاً لهوى شخصى خالص يبرز معالم حقيقة واقعة .

وأيد الأستاذ ليفران نسبة مسرحية هاملت إلى ولم استانلى بحقيقة هامة ، وهى أن ولم استانلى هذا كان من نسل

(البقية على الصفحة التالية)

صحائف من أدب الغرب ...

للأستاذ مبارك إبراهيم

١ – أحاديث بين الكاتبين الفرنسيين « بول ليوتو » و « روبير ماليه »

Entretiens Entre "Paul Leautaud"
Et "Robert Mallet".

احتفل الكاتب الفرنسى « بول ليوتو » منذ أيام بعيد ميلاده الثمانين . وهو يعيش اليوم فى عزلة هادئة ، هى خير مكافأة استحقها عن جدارة ، بعد حياة طويلة قضاها فى خدمة الأدب .

وكان هذا الكاتب فى أيام شبابه يبسط آراءه على صفحات المجلات ، أو بين دفتى كتب قليلة الصفحات . ولم يكن له غير كتاب واحد يستحق هذا الاسم . وقد سماه « الصاحب الصغير » . وهو كتاب قد نفدت طبعته منذ زمان بعيد . وعلى الرغم من أن النسخة الواحدة من تلك الطبعة قد تجد اليوم من يدفع سبعين جنيهاً ثمناً لها ، فإن هذا الكاتب قد أصبح ينكر أبوته لذلك الكتاب .

وقد كانت مذكراته التى كان ينشرها تحت اسم « الصحيفة الأدبية » لا تلقى من هش وبش لصدورها ، ويقدرها حق قدرها غير قلة من الأدباء المتأنقين .

أما أحاديثه فى أيام شبابه ، فكانت كلها أحاديث لاذعة . ذلك لأنه كان كاتباً حديد الظفر والناب . وكانت له وخزات كوخزات السيوف وطعنات الحراب . وكأنه كان يومذاك يستوحى بيت عنترة القائل :

وسيفى كان فى الهيجا طبيباً
يداوى رأس من يشكو الصداعا

وقد ظل ثلاثة وثلاثين عاماً محرراً فى مجلة « مركير دى فرانس » ، وكان يعرف كل ما يمكن التحدث به عن كتاب فرنسا فى ذلك الحين ، وكان موضع مفاخرته أنه لم يكن يعوزه الرأى الصحيح فى يوم من الأيام . وأنه لم يلجأ إلى الخديعة أبداً . وأنه – وهذا أغرب الأشياء فى فرنسا – لم يتقدم يوماً من الأيام فى مباراة ليكسب جائزة من الجوائز .

ولكن ما إن جاء شهر نوفمبر من عام ١٩٥٠ حتى تبدلت الحال غير الحال . وحتى أصبح ذلك الناسك المعتزل ، وقعيد داره فى (فونتناى – أو – روز) بين عشية وضحاها أكثر رجال فرنسا اتصالاً بالناس ، وذلك عن طريق المذياع .

وبعد إذاعة حديث واحد من أحاديثه عرفت فرنسا كلها ما لم يكن يعرفه إلا القليلون عن مميزات هذا الكاتب ، وعن أصالته العريقة فى فنه وأسلوبه .

أسرة فيودور التى كانت تطالب دائماً بحقها فى عرش بريطانيا . وقد خرجت مسرحية هاملت فى وقت ثارت فيه الأعاصير حول من يخلف إليزابث على العرش ولم يكن من الممكن بالنسبة إليه أن يثير الزوابع حوله للمطالبة الصريحة بالعرش ؛ فاكتفى بأن يكون له دور من وراء الستار فى سياسة البلاد عن طريق المسرح ، وجاءت بذلك مسرحية هاملت محاطة بهالة من الأسرار ، محفوفة بجملة من الظلال ، متمتعة بقسط وافر من الغموض !

وهكذا عاش هاملت فى خيال يشبه الحقيقة ، وفى حقيقة تشبه الخيال . . ويحار الإنسان بعد هذا : أهو حقاً بإزاء مخلوق لا ينتمى إلى الواقع بسبب ، أم إنه مخلوق مجزوء من عالم الواقع ؟ فإنك إذا حملت فى عقلك ألف حجة مقابلة لاعتباره كائناً غريباً على هذا العالم ، فستجد أيضاً ألف حجة مقابلة لإقناعك بأنه من صميم هذا العالم . ولعله اكتفى بأن يثير الشك حول نفسه . . إذاً لهان الأمر . ولكنه فاض بأريحيته ، وغمر بطيبه تلك الأنامل الصغيرة التى سطرت حروف حياته ، واستقصى ظروف وجوده ، ورسمت آفاق أحواله ، فجر بذلك خيوط الشك إلى الاسم الذى نسبه الناس إليه : وليم شكسبير .

عبد الفتاح الديدى

وفى الثمانية الأشهر التالية أصبحت أحاديثه الأسبوعية التى كانت تدور بينه وبين « روبير ماليه » أشهى الأحاديث وأعذبها لدى جمهرة المستمعين . وكان يتحلق حول المذياع فى كل بيت ، وفى كل نادٍ الفلاحون وقد تركوا مدافئهم ، والأساتذة والمعلمون وقد تركوا كراسيهم ، والنساء الجميلات وقد تركن أماكن لهوهن . وباتت المسارح خاوية على عروشها . وباتت دور السينما قليلة الرواد . وذلك فى الليالى التى يتحدث فيها هذا الكاتب إلى فرنسا كلها . وهو تارة يرمى فى أحاديثه بشرر كالقصر . وهو حيناً يسرى عن الناس بمُلَحه وفكاهاته .

وقد جُمعت هذه الأحاديث فى كتاب بلغت صفحاته أربعمائة صفحة كبيرة . وهذا الكاتب الكبير لم يبطره النجاح ، بل كان يقول : إن كل هذا لا يعدو — فى صميمه — أن يكون لوناً من التمثيل غير المتقن .

ويعزى النجاح الذى بلغته هذه الأحاديث إلى أنها أشبه بترجمة ذاتية لحياة المتحدث أكثر منها أحاديث فى نقد الأدب والأدباء ، أو هى أشبه بأقاصيص القصاص وهو يقول : ومهما يكن من أمر ، فإن الحكايات هى ذلك اللون من ألوان الأدب الذى يصور الناس أحسن تصوير . والذى يكشف عن ضروب السلوك وتطورات الأهواء فى سطرين اثنين .

والأحاديث التى أذاعها هذا الكاتب مليئة بالصور . فهو يذكر مثلا أن الكاتب « بول ڤاليرى » قد أتحفه مرة بحكاية كاملة لا تتجاوز كلماتها تسع كلمات وهى : « يحكى أن كاتباً من الكتاب كتب قصة من القصص » .

وتلك الأحاديث الإذاعية قد أتاحت لمستمعيها لوناً من المتعة النادرة التى لا يقدرون على الظفر بها فى الأحاديث الخاصة . بل لا يقدرون على أن يستمتعوا بها فى الكتب المقروءة .

وتلك الأحاديث تجمع بين مختلف الألوان ، فمن حديث عنه يوم ولدته أمه ، ومن حديث عما خالج نفسه من شعور وهو جالس إلى فراش الكاتب « أندريه جيد » وهو فى ساعة الاحتضار .

وهو إذا تحدث عن أمه كان حديثه مثيراً لأصدق العواطف وأفعمها بالحزن والأسى . ولا غرابة فى هذا لدى رجل تركته أمه وعمره لم يجاوز ثلاثة أيام . وتربى وشبّ بين المثلين والممثلات ، والمتسكعين فى الطرقات والمتسكعات .

وهو الذى لما بلغ مبلغ الرجال قضى ثمانى سنوات وطعامه الخبز الجاف والجبن والماء ، وهو الذى كان يأوى فى بيته لا أقل من ثلاثين قطة واثنى عشر كلباً .

وهو إذا تحدث عن أسلوب الكاتب فى الكتابة قال : إن الأسلوب الذى أعجب به الإعجاب كله هو الأسلوب الذى يشبه الحديث ، وهو الأسلوب الذى تستطيع به أن تكتب صحيفة كاملة وكأنك تكتب خطاباً خاصاً يجرى فيه قلمك دون أن يلقى بنظرة إلى وراء . وهو الأسلوب الذى يشبه حديثاً يدور بين قوم وقوم حول موضوع جدى .

وإليك نبذة مختارة من أحاديثه المذاعة أدار موضوعها حول الموت فقال : « إن الموت خسارة وأية خسارة . سواء نظرنا إليه بوصفه صورة كاملة للفناء ، أو بوصفه ظاهرة جسمانية تتقزز منها النفس » ! .

« والميت - وقد أطبقت عليه جوانب النفس وضمته أركان القبر — قد أنس إلى حالة من الهدوء والاسترخاء . وقد فارق الدنيا بحاجاتها وهمومها ورغباتها ، وأسلم نفسه إلى رؤية من رؤى المنام لا حد لها ولا نهاية » . . .

٢ — « چورچ مور »
لكاتب من الكتّاب

"George Moore" By A Writer

ولد « چورچ مور » عام ١٨٥٢ وتوفى عام ١٩٣٣ ، أى أنه قد مضى على مولده مائة عام كاملة . وقد بدأ هذا الكاتب منذ الثامنة عشرة من عمره دراسة الرسم والتصوير فى باريس ، ثم هجر الرسم والتصوير ومشى فى ركاب الشعراء الفرنسيين « جوتييه » و « بودلير » و « مالارميه » و « ڤرلين » .

وفى عام ١٨٨٢ بدأ يعمل عملا متواصلا فى صحافة لندن « مستبدلا » مصطلحات اللغة الإنجليزية بمصطلحات اللغة الفرنسية .

أما روايتاه اللتان سماها « المحب العصرى » و « زوجة المهرج » فقد بدا فيهما متأثراً بالكاتبين الفرنسيين « فلوبير » و « زولا » . وكان « مور » فى رواياته كلها يرى

إلى تخليص الأدب الروائي الإنجليزي من الأغلال التي قيده بها كتّاب العصر الفكتوري .

وقد ظل هذا الكاتب أربعين سنة وهو حلقة الاتصال بين الأدبين الإنجليزي والفرنسي .

وهو فوق براعته في الفن الروائي قد كان من الكتّاب البارعين في فن التراجم والسير .

أما أبوه « چورج هنري مور » فكان واحداً من ملاك الأرض في إحدى مقاطعات إرلندة . وقد اشتهر يوم كان طالباً بتفوقه في الدرس ، حتى لقد نال كل الجوائز التي خصصتها مدرسته للمتفوقين من طلابها

ولما بلغ مبلغ الرجال اشتهر بتربيته للخيل الجياد ، وبترويضها على السباق ، ثم خاض بعد ذلك غمار المعارك الانتخابية وفاز بالنيابة ، واستتبع ذلك أن انتقلت الأسرة إلى لندن . وساد الفتى الناشئ « مور » في صحبة ابن خال له كان لايمل الحديث عن النساء الجميلات . وكان يصورهن أحياناً صوراً مكبرة . ويقول « مور » في اعترافاته عن تلك الفترة من الزمن : إنه أصبح يميل إلى ما يريد في علمه كرجل يعش في دنيا الناس أكثر منه كرجل من رجال العلم والثقافة .

ولما بلغ « مور » مبلغ الرجال مات أبوه موت الفجاءة . وورث الفتى أرضاً تغلّ عليه أكثر من خمسمائة وثلاثة آلاف جنيه في العام . وأصبحت الحياة عنده تجمعها كلمتان : « باريس ، والفن » .

ولما فرغ من تدبير شئونه شدّ الرحال إلى فرنسا ، وفي صحبته وصيف إنجليزي . وقيد اسمه طالباً في مرسم الرسام الشهير « چوليان » . وسرعان ما عرف أنه لن يكون أبداً رساماً من ذوي المكانة والقدر ، فطلق الرسم والتصوير طلاقاً بائناً . وسار يخوض لجة الأدب فنشر رواية سماها « في لندن » ، تدور حوادثها حول الزعيم الديني « لوثر » .

وصنع قصائد بالإنجليزية والفرنسية ودرس « بلزاك » كما درس الرواية الفرنسية المعاصرة . وأكثر من ارتياد القهوات التي يجتمع فيها الكتّاب ويلتقي فيها رجال الفنون .

ولما أحسن « ملارميه » لقاءه في بيته ، ولما تحدث إليه المصور « إدوار مانيه » ظن أنه قد خاض غمار الحياة الأدبية والفنية في باريس . وكتب يومذاك لأمه يقول : إني أقوم بتحضير رواية سميتها « أرستقراطية الرذيلة » . وكان هو واقعاً تحت تأثير مذهب الطبيعيين . ولكنه في الوقت ذاته كان يبدو كواحد من غلاة المتحذلقين . ووصفه أحد الواصفين فقال : « إنه المختال ذو الشعر الذهبي الذي يلقى الترحيب أينما ذهب » .

وكان سلوكه يبعث على الابتسام وكانت لغته الفرنسية تبعث على الضحك . وكان دائماً يحاول أن يثير في عقول الناس الحيرة والذهول . ولكنه كان دائماً « السيد الماجد » . وكان دائماً يأبى أن يمشي في صحبته من كان يظنهم أقل منه مكانةً بوصفه إرلندياً من مُلاك الأرض .

وقد انقضت هذه الفترة من حياته بخطاب جاءه من القائم على شئون أرضه ، أنبأه فيه أن دخل أرضه قد نقص إلى حد كبير ، وذلك بحكم قانون الأراضي الجديد . فكانت كارثة تلقاها المختال ذو الشعر الذهبي بشجاعة بالغة . ثم رهن الأرض ليسدد ديونه ، وباع أخشاباً كانت فوق تلك الأرض ليستطيع أن يعيش ، إلى أن أصبح دا عمل يدر عليه مالا . ولا مراء في أنه لم يكن معرّضاً يومذاك لخطر الجوع إذ كان في قدرته أن يذهب إلى ضيعته . وأن يتلهّى بالأدب تلهيةً وأن يوفر ماله بقيامه على شئون أرضه ولكنه لم يعمل مكتفيا ببيعه ما كان يقتنيه في باريس . ثم استقر في لندن كصحافي محترف ولم يلاق تشجيعاً هناك غير وعد من ناشر مغمور بأن يطبع له روايته التي كان يكتبها ، وهي « الحب العصري » على شرط أن يعوضه المؤلف من كل خسارة قد تلحق به .

وجاء عام ١٨٨١ فألفى صاحبنا يسكن حجرات قد أثثت تأثيثاً حقيراً . وألفاه يرتدي ثياباً تشاكل حقارة ذلك الأثاث . وقد أخضع نفسه لنظام فيه من القهر ما لايستطيع احتماله من رجال الأدب إلاّ القليلون .

وفي ذلك الحين بدت الأشياء كلها وكأنها تعمل على الكيد له ، ومن تلك الأشياء ما ركّب في طبيعته من غفلة . ومن ميل إلى الكسل ثم ما كان عليه من جهل

بقواعد النحو وأصول الهجاء في اللغة الإنجليزية . وكذلك جهله بالحياة الإنجليزية . وعلى الرغم من هذا الجهل فقد كان يرى أنه في رواياته الأولى — وهي التي لا يبرئها من العيوب — قد كان المحرر للأدب الإنجليزي من أغلال حذلقة الكتاب الفكتوريين ، ومن استمسا كهم بعرى العرف والتقاليد وقد كان يفاخر بالعصر الذي أوتيه بعد كفاح قاس مرير . وآية ذلك العصر أن قد بيعت أربعة وعشرون ألف نسخة من إحدى رواياته . وقد لقيت كذلك حسن القبول من لدى « مستر غلادستون » .

كذلك لقي كتابه « التصوير الحديث » نجاحاً لدى جمهور يختلف عن جمهور روايته السالفة الذكر . وقد أثبت هذا الكتاب أنّ « مور » لم يكن يضيع وقته سدًى في مرسم « جوليان » فقد عرف المصور معرفة صناعته ولذلك فإنّ نقده للصور كان نقد العارف الخبير .

وعلى الرغم من أن « مور » قد كان يتخذ المصور « مانيه » معبوده في الفن ، فقد بات يرى أنّ باريس والفن لم يصبحا مسميين لشيء واحد .

وكان إذا تحدّث عن اضمحلال الفن في فرنسا وجاء ذكر الفن في إنجلترا ، قال : إنّ الفن الإنجليزي إنما هو أشبه بحشّة حملتها الريح من حديقة فرنسية ، وألقت بها في أرض إنجليزية ، فأنبتت أزهاراً فيها من الإنجليزية اللون والرائحة .

ولنعد إلى حديث الأدب فنقول : إنّ « مور » ظلّ إلى آخر حياته وهو يعاني الأمرين في الكتابة . ولم يكن ذلك راجعاً إلى نقص في تعليمه ذلك لأنّ كثيرين ممن أوتوا نصيباً من العلم أقلّ من نصيبه قد كانت أقلامهم تدوّن خواطرهم في سهولة ويسر بالغين . ولكنّ « مور » — تعويضاً من ذلك النقص — قد أوتيَ عيناً فاحصة . وقد أجاد هو الاستفادة من تلك العين في كتبه الثلاثة التي كتبها في « دبلن » . وهذه الكتب هي « البحيرة » و « مذكرات حياتي المنقضية » و « تحية ووداع » .

وقد كانت فرنسا مسرحاً لحوادث كتابه « مذكرات حياتي المنقضية » .

أما كتابه « تحية ووداع » فقد أودعه قصة حياته .

و « مور » يوم أتمّ آخر قصة له ، وهي التي سمّاها « أفروديت » كان يهدف إلى الموت بخطىً سريعة . وقد كان وهو على تلك الحال مشغولاً بمراجعاته ومشروعات جديدة . وظلّ كذلك حتى أدركته رحمة الموت . وقد كان يعاني قبل موته آلاماً في المعدة لا يطاق احتمالها ، ظلّ يتحمّلها في شجاعة الشجعان .

والغريب من أمر « مور » أنه لم يظفر بأي لقب من ألقاب التكريم والتشريف . وهي تلك الألقاب التي منحت لكثيرين ممن هم أقل مكانة ، وأحقر قدراً . . . ؟

مبارك ابراهيم

مبادئ الذرة*

للدكتور أحمد بدران

إذا أخذتُ قطعة من الملح ، فجعلتها أجزاء دقيقة وذقت أحد هـذه الأجزاء أدركت أنه ملح ، وإذا وضعت قطعة دقيقة منه تحت المجهر وفتتها إلى بلورات متناهية فى الصغر فإن كل بلورة من هذه هى الملح ولا شىء سواه .

وإذا مضيت فى هذا التفتيت وصلت إلى وحدة لا أستطيع من بعد تجزيئها إذا أردت أن تظل ملحاً ، هناك إذاً وحدة صغرى الملح وهناك وحدة صغرى للسكر لا يصبح من بعدها سكراً . وقياساً على ذلك يجب أن تكون هناك وحدات لكل من مادة الحديد والكلوروفيل والرصاص .

تلك هى صورة المادة كما ورثناها عن الإغريق . إن المادة تتكون من دقائق ، كل منها لا تقبل التقسيم وكلها متماثلة ، وكل منها خاصة بهذه المادة وحدها ، وسمى اليونان هذه الدقائق بالذرات .

ومن هنا وبهذه المعلومات البسيطة يجب أن نبدأ قبل أن نمضى إلى النظريات الحديثة عن الذرة ، وإياك أن تظن أن الذرة مشكلة عويصة ! إنها ليست كذلك ، إن الذرة وحدة بناء الكون . وهى لبنات قليلة غاية فى البساطة . غاية فى النظام .

ما هى الذرة إذن ؟

اقتصر تفكير الإغريق على تجزيء قطعة الملح بالطرق الطبيعية ، ولكننا عرفنا فى المائة وخمسين عاما الأخيرة أنها يمكن تقسيمها كيميائياً فتتحول إلى مادتين أوليتين هما الصوديوم والكلور ، ولذلك فنحن نفرق الآن بين المواد المركبة التى يمكن تقسيمها كيميائيا والمواد الأولية التى لا يمكن فيها ذلك ، ونحتفظ الآن بكلمة الذرة لأصغر وحدة من هذه المواد الأولية ، أما أصغر وحدة من المواد المركبة فنسميها الجزىء ، والجزىء بدوره يتكون من ذرات فى اتصال كيميائى .

كل مادة إذن تتكون من ذرات ، إما ذرات من نوع واحد ، أو من ذرات مختلفة ، وفى المادة الصلبة تكون الذرات مرتبة بإحكام ، فإذا صهرت واستحالت إلى سائل تباعدت الذرات عن موضعها ولكنها لا تنفصل . وعندما يتبخر السائل ويستحيل غازا فإن الذرات تتباعد وتحتل مكانا أوسع وأوسع ، ولكنها ما تزال هناك . هى فى المادة الصلبة والسائلة والغازية .

هل تختلف الذرات ؟

نعم ، بلاريب . فإن ذرات مادة أولية تختلف عن ذرات الأخرى ، فهناك إذن من الذرات المختلفة بقدر ما هناك من المواد الأولية ، أى ما يقرب من المائة .

ولكن كيف تختلف الذرات فيما بينها ؟ منذ ستين عاما لم تكن لدينا فكرة ما . كان كل ما نعرفه أن كل نوع من الذرات ثابت ، لا يقبل التجزئة ويختلف عن غيره من الذرات ، ولكننا اكتشفنا منذ ذلك الحين فى بطء خطوة خطوة ونحن مدهوشين أن هذا الاختلاف يخفى تحته تماثل عميق ، فقد بنت الطبيعة كل ثروتها : الصخور والبروتينات والأشجار والسكر وعظام الأحياء . . . من مائة ذرة فحسب ! بل إن الطبيعة كانت أكثر اقتصاداً فإن الذرات جميعاً مبنية من أنواع ثلاثة من الجسيمات الكهربائية الأساسية وهى البروتون أو الجسيم الموجب والنيوترون متعادل الشحنة والالكترون أو الكهرب السالب .

والبروتون والنيوترون هى جسيمات ثقيلة ، فإن وزن كل

(*) ملخصة عن مقال للدكتور بروفوسكى فى مجلة نيويورك تايمس .

منها يعادل وزن الالكترون ألفين من المرات . إن الالكترون من الخفة بحيث يبدو حقاً أنه ليس إلا شحنة ضئيلة من الكهربية السالبة .

أما اختلاف الذرات فني عدد الجسيمات الأساسية التي تتكون منها .

ما هو تركيب الذرة ؟

لكل أنواع الذرات نفس التركيب الأساسي . ففي الوسط نواة ثقيلة تتركز فيها كل الجسيمات الثقيلة في الذرة ، وفي أطراف الذرة توجد الالكترونات . والالكترونات في حركة دائمة فهي تدور حول النواة كما تدور الكواكب حول الشمس ، ولكن مداراتها أقل دقة . وفي الحقيقة أن الالكترونات تصيح ثم تعود ، فهي تتجول في تيار كهربائي ، ولكن الذرة تظل مع ذلك كما هي ، فإن مادتها الصلبة وعمادها هي نواتها الثقيلة التي تتكون من البروتونات والنيوترونات في اتصال محكم ، وعددها ثابت لكل نوع من الذرات ، فلكل مادة أولية عدد خاص من البروتونات في ذرتها . ففي نواة ذرة الإيدروجين بروتون واحد وفي الهليوم اثنان ، وهكذا نرتقي في سلم الطبيعة إلى أن نصل إلى اليورانيوم الذي لنواته ٩٢ بروتونا ، وبعد ذلك توجد العناصر الجديدة التي خلقها الإنسان في التجارب الذرية النبتونيوم بنواه تحوى ٩٣ بروتونا والبلوتونيوم بأربعة وتسعين . . . إلخ . فذرة الإيدروجين العادية في نواتها بروتون واحد فقط ، ولكي تتعادل شحنتها الكهربائية يدور حولها الكترون واحد ، وفي نواة ذرة الهليوم اثنان من البروتونات واثنان من النيوترونات متصلة ببعضها ويجعل شحنتها الكهربائية متعادلة اثنان من الالكترونات يدوران حول النواة عن بعد ، وأما ذرة اليورانيوم فتتكون نواتها من ٩٢ بروتونا و ١٤٣ نيوترونا ، وهناك ٩٢ الكترونا تدور في مجال هذه الذرة .

ما هي الطاقة الذرية ؟

إن بناء الذرة يقوم على قوة غير منظورة . فهناك مثلا تجاذب كهربائي بين النواة الموجبة والالكترونات السالبة ، ولكن هذه قوة متواضعة بالقياس إلى الطاقة الكامنة كأنها زنبرك ملفوف في النواة نفسها ، فإن النواة مملوءة بالبروتونات الموجبة الكهربية ، فكان يجب إذاً أن تتنافر بقوة هائلة ، ولكن هناك طاقة جامعة مجهولة لا تدرك كنهها تجعل من البروتونات والنيوترونات نواة واحدة ثابتة .

والطاقة الذرية هي طاقة النواة ، هي الطاقة التي تضم أجزاء النواة إلى بعضها .

كيف يطلق سراح الطاقة الذرية ؟

تطلق بعض الذرات الثقيلة من وقت إلى آخر جزءاً من نواتها من تلقاء نفسها ، وهذه هي الذرات ذات الإشعاع الطبيعي مثل الراديوم واليورانيوم ، وفيها تحاول النواة أن تبسط من تركيبها بنفسها .

ونستطيع نحن أن نجعل النواة تتفتت بأن نصوب إليها بروتون أو نيوترون زائدا ، وقد وجد أن البروتون يجب أن يطلق بطاقة كبيرة لأن النواة الموجبة تقاوم اقترابه ، والمعول المثالي لتقسيم الذرة هو النيوترون إذ أنه ليس له شحنة كهربائية يصعب التغلب عليها في طريقه إلى النواة ، وعندما يصدم النيوترون نواة ثقيلة فقد يخترقها ويجعلها غير ثابتة فتضطر إلى أن تعيد ترتيبها لتكون أكثر ثباتاً مطلقة بعض طاقتها الضامة ، ويقل وزن النواة عن ذي قبل وتعادل الكتلة الناقصة تماماً الطاقة التي أطلق سراحها ، وهذا مصداق ما تنبأ به إينشتين منذ خمسين عاماً .

ما هو الانقسام ؟

هذا التحطم في الذرات يسمى الانقسام ، ولكننا إذا أطلقنا النيوترونات واحدة بواحدة لم نحصل على الطاقة إلا بكميات ضئيلة ، فنحن بحاجة إلى تفاعل يطلق النيوترونات طوال الوقت ، وقد وصلنا إلى تحقيق هذا الأمل عام ١٩٣٠ فقد وجد أن نواة اليورانيوم حين يطلق عليها نيوترون فإنها تتحطم وتطلق — إلى جانب انقسامها إلى نصفين تقريباً ، الكثير من نيوتروناتها ، وكل نيوترون من هذه ينطلق خلال قطعة اليورانيوم فيصيب نواة أخرى يحطمها وتنطلق طاقة أخرى ، ونيوترونات جديدة وهكذا دواليك . وتمضى العملية في حلقات متصلة .

مسامرات علمية

للأستاذ جمال الدين محمد موسى

عصر عجيب :

ما أروع العصر الذى نعيش فيه ، وما أعجبه وما أكثر الخطوات التى خطاها العلم . . إننا نعيش اليوم فى عصر الكيمياء والالكترونات ، وقد طغى هذا العصر على عصر الآلة ، وأنتج تطوراً لا شك فيه فى حياة المجتمع البشرى فى فن الإنتاج وفن التوزيع وقيم الأشياء .

ومن السهل أن نفهم أن ذلك الحلم القديم أو ذلك الأمل البعيد المهد فى أن تكون لدينا وفرة غير محدودة ، عامة أوتوماتيكية ، أو قل سحرية من المواد والوقت الفراغ ، قد بدأ يتحقق فى عهدنا الجديد وتبدو صوره واضحة على مجال الافق . . . !

إن العالم اليوم معمل كيميائى أو إلكترونى ، تتراقص فيه الذرات والجزئيات .. لقد حققنا حلم العلماء فى العصور الوسطى ، حلم تحويل العناصر . . أو قل نحن قد وجدنا حجر الفلاسفة . . وقد عشنا فى هذا المعمل الكيميائى والإلكترونى ، وحيينا به مدى قرن من الزمان تقريباً . . فكونا الدائن واستخدمناها فى حياتنا اليومية . . وكونا المطاط الصناعى والأنواع المتباينة من النسيج ، واستخلصنا عديداً من الفيتامينات والهرمونات ، وكونا بعضها فى أنابيب الاختبار . . كما أوجدنا مواد عضوية جديدة لم تسمع عنها الطبيعة ولم ترها من قبل . . وكان آخر المطاف بعمل المعمل هو إطلاق الطاقة وفلق الذرات .

وإن ذلك الحدث الأخير ، وتلك التجربة التى تمت فى معملنا — تجربة فلق ذرات اليورانيوم — لا تعنى فقط أن العالم قد وجد منبعاً جديداً للقوة ليحرك آلاته ، فنحن لسنا فى حاجة إلى ذلك ، لأن مواردنا الحاضرة من الوقود والزيت والماء متوافرة لاحد لها ، وهى رخيصة يضيع جزء كبير منها هباء دون الاستفادة منه ، كما أنه ليس لنا أن نتأكد بعد أن المنابع الجديدة للطاقة الذرية عديدة ومنتشرة واقتصادية ، أولا يحمل استعمالها لأجل طويل خطراً وضرراً ؟ إن ما يجب أن نفهمه أن عصر الكيمياء الذى نعيش فيه يعنى أساسياً أنه بات اليوم فى حيز الإمكان صنع أى شىء من مواد وآلات وطاقة فى أى بقعة من العالم ، وفى أى كمية ،

واليورانيوم هذا هو الذى استعمل فى قنبلة هيروشيما ومثله تماماً البلوتونيوم ، وهو الذى صنعت منه قنبلة ناجاساكى .

هل يمكن أن نسخر الطاقة الذرية لخدمة الإنسان ؟

نعم دون ريب ! وهذا ما يجرى اليوم وفى كل يوم ، ولكن القليل من الناس من يدرك ذلك .

إن النيوترونات حين تطلق على اليورانيوم العادى تحوله إلى البلوتونيوم المتفجر ، وفى هذه العملية تنتج حرارة وهذه الحرارة تستعمل الآن فى مختلف الأغراض السلمية وسوف تستعمل قريباً كمصدر للقوة ، لتدفع آلة أو تولد الكهرباء .

والنيوترونات هى أيضاً مصدر للإشعاع وهى تستخدم لصنع الكوبلت المشع واليود المشع وهى مواد تستخدم اليوم فى علاج السرطان وما يزال هناك الكثير من الميادين ينتظر أن ينتفع فيها الإنسان بالطاقة الذرية .

مستقبل الذرة :

فى أى الأغراض نستخدم الطاقة الذرية ؟ علينا نحن أن نختار ، ليس هذا أمراً يخص العلماء ولكنه يخص كل فرد . إن اكتشاف الطاقة الذرية ككل كشف آخر فيه من عوامل السعادة مثل ما فيه من الشقاء . إنه منحة العلم وكل عالم يدعو آناء الليل وأطراف النهار أن تكون المنحة مباركة ، وهذا الدعاء فى قلوبنا جميعاً ، وتحقيقه فى أيدينا .

أحمد بدران

وغالباً بغير ثمن كبير من وجهة نظر الوقت والجهد المبذول . فما أروعه من عصر ، وما أعجبه من عهد . . !

٢٠٠٠ عود ثقاب :

إن الجسم الإنسانى يحتوى على كمية من الفسفور تكفى لعمل ألفين من عيدان الثقاب . !!

تهليل النظارة :

رغم أن الطاقة الموجودة فى موجة من أمواج الصوت العادية جد بسيطة ؛ إلا أن طاقة الموجة الصوتيه التى تسببها تهليلة من تهاليل النظارة فى ملعب كبير لكرة القدم ، ترفع حرارة نصف لتر من الماء إلى درجة الغليان فى ساعتين .

أنواع من الأشعة :

الإشعاعات الذرية على أنواع . . فبعضها لا يقوى على أن يشق طريقه خلال الورق فى حين أن البعض الآخر يفوق القذائف الفائقة السرعة فى قوة احتراقها . فأشعة بيتا يمكن أن توقفها طبقة من السلوفان ؛ فى حين أن أشعة جاما تحتاج إلى طبقة من الرصاص سمكها عدة بوصات .

آلة تسجيل الصوت :

كان لدى النازيين فى الحرب العالمية الثانية آلة غير عادية لتسجيل الصوت يطلقون عليها اسم « الماجنيتوفون » يستعملونها لتسجيل علامات الشفرة السرية والرسائل الصوتية التى تتضمن أوامر القيادة وأخبار الجواسيس وغير ذلك .

أهى حية أم ميتة ؟ ؟

هل تعلم أن الانفلونزا ، ذلك المرض الذى ينتشر بيننا انتشاراً عظيما والذى لا يكاد العلم يفهمه أو يعالجه العلاج الشافى مرض من أمراض الفيروسات ؟ ؟

وهل تعلم أن هناك من أمراض الفيروسات هذه ، ما يبلغ حوالى الثلاثين ؟ ؟

وهل تدرى بعد ، طبيعة الفيروسات وماهيتها ؟ ؟

إن الفيروسات عبارة عن كائنات دقيقة جداً لا يمكن رؤيتها حتى بواسطة الميكروسكوبات التى لها أعظم قوة تكبير . وهى تسبب أمراضاً عديدة وتنفذ خلال أدق المرشحات . ويسميها البعض الميكروبات الممرضة أو السموم النوعية .

وقد علم العلماء بوجودها بسبب أنه يمكن قتلها بالحرارة وأنها تسبب المرض فى النبات والحيوان ، وقد حصل عليها بالتجربة بمساعدة آلات المخض فائقة القوة ، تدور آلاف الدورات فى الدقيقة ، ومصنوعة صنعاً خاصاً .

وطبيعة الفيروسات لا تزال مجهولة . ولا يزال الجدال قائماً بين العلماء حولها أهى حية أم ميتة ، ويعتقد البعض أنها مواد كيميائية معقدة تكون الخط الفاصل بين المادة الحية والعالم غير العضوى . وقد أمكن بلورتها . ولكن يجب أن تلمس بلوراتها الحياة ؛ لتدب فيها نفسها الحياة . فنحن إذا وضعنا بلورة من فيروس التبغ فوق ورقة من التبغ فلا يلبث الحقل بأجمعه أن يستجيب للمرض كأنه يستسلم لنار زاحفة .

ولو أمكن للعلماء تفهم الفيروسات تفهماً تاماً دقيقاً وتأليفها فى المعمل ، لكانت خطوة هائلة سيكون لها أثر وأى أثر فى خير البشرية وفى شفاء عديد من أمراضها . فقد يتاح للكيميائيين حينئذ ، عمل فيروس مماثل لذلك الذى يسبب مرض الشلل الطفلى مثلا ، ولكنه يختلف عنه اختلافاً كافياً ليجعله يسبب حالة خفيفة من المرض . . هذا الفيروس الضعيف المؤلف يمكن أن يفيد كلقاح يحقن به الإنسان فيعطيه مناعة ضد مرض الشلل الطفلى .

النازيون فى الحرب :

من الآلات التى اخترعها علماء الألمان واستخدمت فى الحرب العالمية الثانية : آلات للتصوير تستخدم الأشعة تحت الحمراء الطويلة المدى .

وبمساعدة هذه الآلات أمكن للنازيين أن يصوروا مراكز الدفاع والحماية على شاطىء بريطانيا خلال بحر المانش ، وبمقارنة هذه الصور التى حصلوا عليها فى الليل باستخدام الأشعة تحت الحمراء ، بالخرائط التى لديهم أمكنهم أن يصيبوا أهدافهم على بعد ستة وخمسين ميلا . .

ومما صنعه الألمان أيضاً خلال الحرب — لمراقبة حركات الأعداء من الغواصات — طيارة خاصة تزن مائة وثمانين رطلا لا غير ، يمكنها أن ترفع الإنسان رأسياً فوق الغواصة ليقوم بمهمة الاستطلاع . . .

جمال الدين محمد موسى

نقد

السقامات!

أظننا لم ننس جميعاً هذه العبارة التي كنا نقولها ونسمعها بين حين وآخر عندما كنا أطفالا. كما إذا وقع بصرنا على ببغاء صحنا بها « أبوك السقامات » وإذا كانت من الببغاوات الناطقة أجابت بما تحفظه من العبارات المختارة التي تعلمتها من الذين يوجهون إليها ألوان السباب، فننشط لذلك ونطرب ونعاود الكرة بعد الكرة. هذه هي الصورة التي تثور في أذهاننا عندما نقرأ هذا العنوان الذي اختاره الأستاذ يوسف السباعي لإحدى قصصه الأخيرة.

فأول نظرة للعنوان تنتزع منا بسمة غير متكلفة تنبعث من أعماق ذكرياتنا البعيدة، وتمد ذهننا لقراءة القصة نلتمس فيها ما يعزز الابتسامة ويزيدها اتساعاً. فالمؤلف عندما اختار هذا العنوان قد حمل نفسه عبئاً ثقيلا، لأنه يثير في وجداننا شغفاً غامضاً إلى الاستمتاع بالفكاهة الحلوة، والاسترواح من عناء الحياة بطرفة أدبية رائعة. ولا يخفى أن الكاتب عندما يثير مثل هذا التلهف يكون في خطر شديد إذا لم يحقق للقارئ ما ينتظره من الطرب والمتعة. وهكذا يدلنا العنوان نفسه على أن مؤلف هذه القصة رجل جريء يعرف كيف يتحدى، ويثق في مقدرته على حمل تبعات ذلك التحدي.

وشيء آخر يسترعي النظر في كاتب هذه القصة، وهو أنه مع جرأته الشديدة التي تظهر في العنوان الذي اختاره للقصة مؤلف غزير الإنتاج إلى حد يثير الدهشة. فأول صفحة من القصة تطالع القارئ ببيان حاشد حافل بالكتب التي ألفها. وحسبنا دليلا على غزارة إنتاجه أنه قد نشر أول مؤلف له في عام ١٩٤٧ أي منذ خمس سنوات، ثم بلغ عدد كتبه في عام ١٩٥٢ واحداً وعشرين كتاباً غير ما ينتظر الظهور بعد قليل. فهو يخرج في العام الواحد خمسة كتب أكثرها من القصص، وهو مجهود ضخم لا ينبغي لنا أن نغفل عن دلالته الكبرى.

وإذا عرفنا فوق هذا أن الأستاذ يوسف السباعي رجل مثقل بالواجبات — إذ هو ضابط كبير في الجيش ويقوم بقسط وافر في إدارة المدرسة الثانوية العسكرية — إذا عرفنا ذلك سألنا أنفسنا أية طاقة تلك التي يدخرها هذا المؤلف في قلبه؟ وسألنا الله له مزيداً من القوة والنشاط.

فلنتحدث بعد هذا عن القصة وإن كنا نود لو اتسع لنا المقام لنتحدث حديثاً أوسع عن شخص مؤلفها، ولكن إلى اللقاء مرة أخرى. فأغلب الظن أنه سوف يتيح لنا في وقت قريب فرصة العودة إلى التحدث عنه عندما يخرج لنا مؤلفاً جديداً.

بدأت قراءة القصة بهذا الشعور المتلهف إلى الفكاهة كما أسلفنا القول، وكأني أنتظر منه أن يضحكني في كل صفحة بما يحمل إليَّ ما حمله العنوان من ارتياح. ولكني ما كدت أقلب أول صفحة حتى طالعني المؤلف بمقدمة لا تقل في تحديها عن العنوان الطريف. فيوسف السباعي كاتب له فكرة خاصة في لغة القصة، وهو لا يداري ولا يرائي، بل يبديها في صراحة وقوة واعتداد بالنفس، وكأني به يقف متحفزاً مستبسلا في الدفاع عن تحديه. ومجمل هذه الفكرة أنه يرى إباحة استعمال اللغة العامية في حوار القصة، وهو يقول في ذلك « إنه من المستثقل الممجوج أن نحاول إنطاق الأشخاص اللغة العربية في القصة. وهم لا يمكنهم في حياتهم الطبيعية أن ينطقوا بها ».

وقد بلغت هذه الفكرة من القوة عنده أنه يكررها في غير موضع من كتبه. فقد أبداها كذلك في مقدمة مجموعة قصصه « الشيخ زعرب وآخرون ».

وقد كانت فكرة استعمال اللغة العامية في حوار القصة موضع جدال طويل بين الكتاب والنقاد منذ حين، ولعلها تبقى كذلك إلى مدة طويلة، فلا حاجة بنا إلى أن ندخل في مناقشتها هنا بإسهاب، لأن الأدب أو الفن لا يعبأ كثيراً

بمجادلة المتجادلين بل يمضي قدماً في سبيله حتى يظهر للناس بعد حين ، أي أساليب التعبير أصلح للبقاء وأجدر بالحياة .

وإذا كان لنا أن نقول هنا كلمة فإننا نرى أن استعمال اللغة العامية الخاصة بقطر من الأقطار العربية قد تحجب كثيراً من المعنى عن أهل الأقطار الأخرى الذين لا يدركون ما وراء الألفاظ والعبارات العامية من ظلال .

ولكني لا أملك إلا أن أشير إلى مقال قرأته في مجلة الرسالة الغراء للكاتب الأديب الأستاذ (كارنيك جورج ميناسيان) ، فإنه لم يكن منصفاً عندما تحدث عن الأستاذ مؤلف السقامات بقوله : « وهذا ما يؤكد أن الكاتب عاجز عن التعبير الكامل بالفصحى » . فإن الكاتب قد يكون قادراً كل القدرة على التعبير بالعربية الفصحى ، ولكنه في الوقت نفسه قد يرى أن التعبير باللغة العامية أوفى بغرضه في موقف من المواقف . والفرق واسع بين العجز عن الكتابة بالعربية الفصحى ، وبين تفضيل التعبير بالعامية على الفصحى . ولعل هذه العبارة هي الوحيدة التي لحقت فيها شيئاً من الحيف في نقد الأستاذ الجليل . وأما الحقيقة التي لا يملك الإنسان إلا أن يراها واضحة عند النظر في القصة ، فهي أن يوسف السباعي جدير بأبيه محمد السباعي الذي كان من رواد النهضة الأدبية الحديثة في مصر .

ولا شك أنه من الحيف أن يوصف مؤلف السقامات بالعجز في اللغة العربية الفصحى . فلنفتح أية صفحة من الصفحات ، ولنقرأ غير الحوار لكي نستوثق أنه يستطيع أن يكتب الفصحى في أسلس عبارة وأسماها وأبلغها .

ولست أنكر أنه قد يخطىء أحياناً في لفظة فيؤنثها إذا كانت مذكرة ، أو يذكرها وهي مؤنثة ، وقد يخرج على قواعد اللغة في هفوات صغيرة نعرف حق المعرفة أنها سوف تتضاءل على مر الزمن مع العناية بالتجديد . ولكن هذه المآخذ لا تتصل بما نحن فيه من نقد لفن المؤلف وأسلوبه من حيث هو كاتب قصة . ومن قال إن القصة ينبغي أن تكون أولا وبالذات كما يقولون بالعربية الفصحى السليمة من الأخطاء اللغوية ؟ فلندع إذن هذه المسألة للزمان وحده وللفن ، فهما كفيلان بحلها على خير وجوهها ، ولا ينبغي لنا أن نخلط في نقد الآثار الفنية بين تقدير الأسلوب والبراعة في الفن وبين الحديث عن العامية والفصحى . ولو رجعنا قليلا إلى الوراء لرأينا كيف يتحول الأديب من تلقاء نفسه من فكرة إلى فكرة ، لأننا نعرف أن الأستاذ محمود تيمور كان منذ حين من دعاة التعبير باللغة العامية أحياناً ، مع أنه اليوم من أشد المستمسكين بفصاحة اللغة ومتانة التركيب ، حتى لقد يبدو منه شيء من المبالغة في هذا الاتجاه الجديد . فلندع إذن للأستاذ السباعي حريته في أن ينطق أشخاصه كما يبدو له لأن هذا من حقه وحده ، كما أن من حق قرائه أن يقولوا ما يقع في نفوسهم عند قراءة حواره ، فإذا وجدوه بليغاً يصف لهم أحاسيسه ويكشف لهم عن الحقائق التي يريد أن يعبر عنها ، ويشف لهم عما ينطوي عليه من خلجات النفس ، لم يكن عليه بأس في أن يمضي في استعمال أسلوبه غير مراع في ذلك شيئاً آخر غير فنه وأدبه . وأما إذا وجد القراء أن ذلك الحوار العامي يهبط بفنه ، وينقص من براعة وصفه ، أو يشوه روعة الأسلوب بوجه من الوجوه ، كان عليه أن يتحمل تبعة جرأته وتحديه ، وله أن يمضي على طريقته أو يعود عنها كما فعل سواه من قبله .

ولنمض إلى الحديث عن القصة ذاتها ، ولكن هل أستطيع أن أتحدث عن هذه القصة كأني أتحدث عن واحدة من نوع ظهر من قبل كثير أمثالها ، فلا تكون ثمة حاجة إلى شيء غير أن نتكلم عن موضوعها وعن أشخاصها وعن أسلوبها ؟ لا ليست هذه القصة واحدة من نوع قديم ظهرت منه نماذج مماثلة من قبل . بل هي نوع جديد قائم بذاته ، ولا بد لنا قبل أن نتحدث عنها أن نعرج بالحديث على نوعها .

فإذا كان لنا أن نجمل الأدوار التي مرت بها القصة العربية منذ أول هذا القرن ، جاز لنا أن نقول : إن أول طلائع النهضة تمثلت في كتاب عيسى بن هشام للمويلحي ، وفي القصص التاريخية لجورجي زيدان . وتزايدت حركة الترجمة والتأليف شيئاً بعد شيء بمحاولات المنفلوطي وهيكل فالمازني والعقاد . وكانت القصة في كل هذه المدة في المحل الثاني من عناية الأدباء لم يكد أحد منهم يتخصص فيها وإن كان لبعضهم روائع بديعة مثل قصص المازني . وجاء بعد ذلك دور جديد اشتدت فيه حركة التأليف في القصة بين حوارية ورواية ، وصار منها القصير والمتوسط والطويل مع اختلاف المنازع والأساليب ، حتى أصبحت في مصر قصة أصيلة ، وأخذت

تتشعب مع احتفاظها باتجاهها العام . وكان هذا الاتجاه العام فيما يبدو لنا عاطفياً كما هو طبيعى لكل أدب فى أول عهد النهضة .

كانت القصة فى ذلك العهد كله تتجه إلى تصوير ما فى النفوس من تطلع وحركة وجهاد مع القيود والتقاليد ، وكانت فى الأغلب الأعم تميل إلى الكآبة والحزن كما هو طبيعى لذلك المنحى من التفكير .

وكان لهذا النوع من القصة أثره فى إبراز الصراع بين القديم والجديد ، ولا سيما فى المثل والمبادئ ونظم الحياة ، كما كان له أثره فى الدعاية للانفكاك من القيود والجمود .

ولكن الحياة كانت تتطور فى مصر وفى الشرق كله بأسرع مما كان يحلم أجرأ المفكرين فى أوائل هذا القرن ، ولم يكن ذلك التطور وليد الحركة الفكرية وحدها ، بل كان أكثره راجعاً إلى الحوادث الكبرى التى هزت هذا الركن من العالم هزاً عنيفاً ساعد على تحطيم كثير مما كان قائماً من قبل ، فذهبت فيه الحدود والقيود كما ذهبت المثل والمبادئ ، حتى لقد زعزعت العقائد الجوهرية التى كنا نحسبها قائمة على صخرة متينة .

فلم يكن من العجيب مع هذا كله أن أخذ الأدباء يتجهون فى فنهم نحو ما يحسونه من الظروف الجديدة التى طرأت على الحياة . أخذوا يحسون أنهم يعيشون فى عصر مضطرب غير جامد ولا ثابت ولا مستقر على شىء . وأخذوا يلمسون بوجدانهم المرهف ما ينطوى عليه هذا المجتمع فى أعماقه من آثار الانفكاك والتحطيم معاً . فاتجه بعض الأدباء بفنهم نحو النفس البشرية ليصوروا حركتها مع الحياة العنيفة المضطربة ، على حين اتجه البعض الآخر نحو المجتمع نفسه ليصوروا ما فيه من آثار العواصف والزلازل التى اشتركت فى إثارتها الحركة الفكرية السابقة والحوادث العنيفة التى هزت ذلك المجتمع .

فالقصة فى دورها الجديد إما قصة تحليلية نفسية ، وإما تحليلية اجتماعية ، والأولى تتجه إلى الدوافع والأعمال والمثل ، والثانية تتجه إلى الآثار الواقعية .

وهذا الصنف الأخير هو الذى يجول فيه اليوم أكثر أدباء القصة من الشباب الذين لا نستطيع أن نحيط بهم حصراً ، ونقتنع بأن نضرب اليوم لهم المثل بالأستاذ يوسف السباعى .

فهؤلاء الأدباء الشبان يجاهدون اليوم فى خلق فن جديد ، ويضيفون إلى ثروة العربية ذخراً عظيما بما ينتجون كل يوم من القصص القصيرة فى عشرات الصحف ، وبما ينتجون بين حين وآخر من القصص الطويلة مثل هذه القصة التى نتحدث عنها ، وهى «السقامات» ، فإذا نحن نظرنا إلى هذه القصة من هذه الزاوية أمكننا أن نتساهل كثيراً فى مناقشة لغتها ، وضربنا صفحاً عما إذا كان فيها عبارات عامية أو كلمات دخيلة مما يستعمله الناس كل يوم ، ولا يمكن أن يؤدى حقيقة معناه إلا فى تلك الكلمات الدخيلة . وإذا نحن نظرنا إلى هذه القصة من هذه الزاوية كان علينا أن ندع جانباً كل الأوصاف الغامضة التى تعودنا أن نسمعها بين حين وآخر عن الخلود والبقاء .

فليس لنا نحن أن نتحدث عن الخلود والبقاء . إنما الخلود والبقاء ألفاظ تدل على وهم من أوهام البشر ، تخلقه الأجيال اللاحقة إذا أرادت أن تقول إن كتاباً معيناً ما زال يحدث فى نفوسها صدى . ليس لنا نحن إلا أن ننظر فيما يقدم إلينا الأدباء ونحكم على ما بين أيدينا حكماً نزيهاً بعد أن ننظر إلى أثره فى نفوسنا .

وعلى ضوء هذا المبدأ يمكننا أن ننظر إلى قصة « السقامات » ، فهى قصة واقعية تصف ناحية من المجتمع ، أو طبقة من طبقاته فتصور لنا أشخاصها ، وتفضى إلينا بما يجول فى نفوسهم ، وتبين لنا أغاط حياتهم ، وتشعرنا بإحساس الجار نحو جاره عندما يطلع على جانب من حياته وإن كانت غريبة عنه .

ولست أشك فى أن الأستاذ يوسف السباعى يملك زمام فن أصيل خاص به ، إن كان يشبه فى بعض ألوانه فن أديب آخر أو أدباء آخرين ، فإنه مع ذلك قائم بنفسه تستطيع أن تميزه عند النظرة الأولى . فقد يشبه فن نجيب محفوظ ، وقد يشبه فن مارك توين الأمريكى ، وقد يشبه فن المازنى أحياناً ، ولكنه ليس هو فن أحد من هؤلاء جميعاً . فالسباعى عند ما يصور أشخاصه يخلع عليهم أسلوبه الخاص فإذا حركتهم وملامحهم وخلجات نفوسهم متميزة عن كل الأشخاص التى نعرفها فى سواهم ، فهناك مثلا المعلم شوشة — السقا ، الهادئ الكريم النفس ، الذى يملك أعصابه ، ثم ينفجر وهو هادئ ، الذى ينكر فى نفسه كل تبذل فى السلوك ، ولكنه مع ذلك لا يأنف أن يجالس المتبذل ويسايره

ويسكنه فى بيته . ولكن المعلم شوشة فى كل حركة وكل كلمة من كلماته ملون بأسلوب يوسف ، حتى لقد تقول إنه يوسف نفسه لو كانت الأقدار قد جعلته فى موضعه .

وهناك شحاته أفندى الرجل المسكين الجرىء والجبان فى آن واحد ، الفيلسوف المفكر والسخيف معاً ، المندفع مع الشهوة والمنطوى على نفس رجل مهذب ، الداعر الماجن مع المرأة الفاجرة عزيزة نوفل والأمين العف مع أهل بيت صديقه وجاراته ، وهو مع كل هذا التناقض رجل طبيعى أكاد أقول إنى رأيته فى أحد طرق القاهرة . على أن صورة شحاته أفندى هى الأخرى ملونة بأسلوب يوسف السباعى ، حتى ليمكن القول إنه يوسف نفسه لو كانت الأقدار قد قست عليه ، معاذ الله وجعلته فى موضعه . وهناك سيد بن المعلم شوشة وأصحابه الصبية واحداً بعد واحد وكل من فى القصة من الأشخاص ، نساء ورجالا ، يتحركون جميعاً ويتحدثون ويحسون ، ونحن نراهم ونستمع إلى نجواهم ونحس إحساسهم ، ونعطف عليهم أحياناً أو نسخط أحياناً ، ولكنهم جميعاً يحملون على صدرهم لون أسلوب يوسف السباعى .

ماذا أقول ؟ أأقول إنه أسلوب سريع النبرات ، عالى النغمة ، يتدفق على سجيته فى شىء من العنف ؟ لو قلت هذا لم يكن قولى سوى وصف غامض لشىء أحسه ولا أقدر أن أعبر عنه ، وأصدق ما يمكن أن يعبر عن قصدى هو أنه أسلوب يوسف السباعى

لا أظن أنى استطعت فى كل هذه الكلمة أن أصور شيئاً مما يدور فى نفسى من أصداء قصة « السقا مات » ، فكل ما ملكته هو أن أعبر عن أحاسيس غامضة بأقوال غامضة . ولكن الشىء الواضح الذى أستطيع أن أقوله ، هو أنى بعد أن قرأت قصة السقا مات ، وجدت أن يوسف السباعى كان على حق فى ثقته بنفسه عند ما تحدى قراءه بعنوان قصته الذى يثير فيهم التطلع إلى المتعة والاسترواح ، بل إنه زاد على ذلك شيئاً آخر وهو الإعجاب والتقدير .

ولست أجد مع هذا ضرورة لمراجعة الأستاذ كارنيك جورج فى مآخذه التى ذكرها فى مقاله فى الرسالة الغراء ، عند ما تعرض لتصوير الأشخاص وانسجام الحوادث ، فقد أقره على بعضها ، وقد أخالفه فى بعضها الآخر . ولكنى لا أجد بدأ من التعرض لنقطة واحدة ، وهى قوله أن عقدة القصة قد ماتت بموت شحاته أفندى . أية عقدة يا سيدى الأستاذ : لقد مات شحاته أفندى عند ما كان لا بد له أن يموت ، وذلك لأننا لم نكن فى حاجة إليه . أما القصة نفسها فلندعها ولا ينبغى لنا أن نتحدث عما ينبغى أن يكون فيها من عقد ، وقانا الله شر العقد بكل أنواعها .

ومالنا وشحاته أفندى إذا كان لم يتعرض لابنة المعلم على الحشت جار المعلم شوشة ؟ أما نرضى إلا بأن نجعل شحاته أفندى مجرداً من كل مروءة ، فنرغمه على مغازلة ابنة جيران صاحبه وصاحب الفضل عليه المعلم شوشة ؟ لا لا يا سيدى ، لندع شحاته أفندى فى مقره الهادىء ، فقد عاش كما أراد له قضاؤه ، وهو إنسان من البشر له الحق فى أن يسلك كما يملى عليه ضميره ؛ أما أنا فلو كنت فى موضعه لما فعلت غير ما فعل ؛ غفر الله لى وله وللناس جميعاً .

(ف)

كتب جديدة

بين شاعرين مجددين

إيليا أبو ماضى وعلى محمود طه

هو كتاب من تأليف الأستاذ عبد المجيد عابدين أستاذ الأدب العربى بجامعة الخرطوم ، عقد فيه موازنة بين الشاعرين إيليا وعلى محمود ، وكلاهما شاعر مجدد . وإن كان كل منهما يختلف عن صاحبه فى شخصيته وروحه ، ومنحى تفكيره ، وظروف حياته . وقد بين المؤلف الجليل ما بين الشاعرين من اختلاف فى الكيان وفى التعبير ، فسار معهما معاً حيث يلتقيان فى الطريق ليظهر كيف كان كل منهما يرى ، وكيف كان كل منهما يعبر عما يرى . كما أنه تغلغل فى أعماق الشاعرين فى الفصلين الأخيرين من الكتاب ، لكى يصور جوهر مذهبيهما فى الشعر .

(البقية على الصفحة التالية)

لعنة ..!

في ضباب الهموم .. في عاصف الفكـ
ر .. وفي حيرة الفؤاد الكسير
في انقباض الشعور .. في ثورة العقـ
ل على عالم طغى بالشرور
في احتراق الأعصاب .. في طافح اليأ
س من الإثم .. من ليالي الفجور
رحت أمشي مع التأمل حينا ..
حيث ألقى العظات بين القبور
حيث يبدو التراب مأوى السلاطين ،
ومثوى مدلل ، وأجير
حيث ألقى الغراب ينبش في الأر
ض ليقتات من أقاح الثغور
حيث يطوي للغيب صفحة ما ضينا ..
ولم ندر ما وراء السطور
هـذه قصة الحياة على الأرض
— فياويح سادر في الغرور !!

ها أنا .. والقباب أحرسها الصمت
وأغفت على رحاب الزمان
أطلق الروح تستشف من الموت
جلال الخلود عذب المعا
مستكين الخطى .. أخاف هواها ..
فهوان التراب فيه هوا
هو مني .. ومن سواي .. فقل لي —
كيف أستطيع أن أدوس كياني ؟
وتدبرت في الوجود فرنت
نغمات التوحيد في آذا
سبحت نفسي الحزينة في النور
وعبت من خمرة البرها
وانتشى الحس .. فاحتقرت شكوكي
وكؤوسي ، وخمرتي ، ودنا
إن ربي الديان فوق البرايا ..
هو باق ، وكل شيء فا

وتلفت في المسارب ، أجتاح بعيني
ظلال القبور فوق الر
والأصيل المياس يخطر في الأفق
ويمضي على أكف الزو

ولا شك في أن هذا الكتاب قد أضاف إلى الأدب العربي ذخيرة جديدة جديرة بالإعجاب ، فيها من البصر بالنقد الأدبي والنفوذ إلى لباب الفن ما يدعو إلى الإعجاب ، ولكنا مع هذا نكاد نرى في آراء المؤلف الفاضل ما يشبه أن يكون تشدداً في مناقشة الأديب علي محمود طه . ونضرب لذلك مثلا تعرضه لقصيدة (في القرية) إذ يأبى على الشاعر أن يصف الشتاء في مصر بغير الهدوء والدعة ، ويأخذ عليه أن يقول عن الريف :

والطير هدار فأفق أكدر   يرمى الغمام به وأفق ي
لهفان يرتاد الجداول باكياً   من كل طيف للربيع لعل

ومهما يكن من الأمر ، فالموازنة بين الشاعرين الكبير تفتح للقارئ مجالات كثيرة للنظر والمناقشة . والكتاب في ١٧٥ صفحة من القطع المتوسط ، وهو مطبوع بمط الشبكشي بالأزهر بمصر . (ف)

جذبتني — في رجفة — صرخات
من ورائي تهز قلب الجبـال
أفزعتني .. فرحت أسرع خطوى
شـارد اللب .. مستطير الخيال
في خبـال ، وسورة ، وانطلاق
كانطـلاق الظليم في الأدغال
باحثاً في القفار .. أرهف سمعى
عن يميني ، وتارة عن شمالي
ثم ماذا ؟؟ صعقت حين تبدت
حمأة الرجس خلف تلك التلال
إنه البـاز فاتكا بقطاة ..
ينهش العرض .. ثائراً .. لا يبالي !

زمجري يا سماء — هـذا بغيّ
تخـذ القبر مسرح الأرجاس
وابطشي ياغيوم — كوني عذابا
للغـوى المشـاء بالأدناس
إن هذى الربى يدنسها الإثم ،
ويسطو بهـا ذئاب الناس
أهنا في اللحود .. في موطن الطهر .
يريك الخنـا ، وشر المآسي ؟؟
أهنـا يذبح العفاف ، ويرمى
كرماد اللهيب في الأغلاس ؟؟
أهنـا حانة تضج خطايا ..
أهنـا مذبح العق القاسي ؟؟
أهنـا العار قد تربص للزهر
فأودى بغصنـه اليـاس ؟؟
لحجـات تذيب نفسى هما ..
وتصب الأحزان في إحساسي

آه .. يا ابن الفناء — تلك خطايا
ك تلوت حمراء فـوق التراب
إن هذى الدماء في القفر ظلت
كالأفاعي في جوفها السم خابي
أحنت الأرض رأسها من مخازيك
وأغضت إغضـاءة المرتاب
وجثا اللحد يرقب الزلة الكبرى
خجولا .. مستنكراً .. في اكتئاب
أنت أنت التراب .. لكن بلا روح
بـلا حس .. أنت شر الذئاب
أنت في الكون لعنـة أطلقتها
يد إبليس بين تلك الرحاب
لا تعش في الحـياة إنسا مع النا
س — فهيا إلى سـفوح الغاب
سـوف تلقى الجزاء رجزاً من الله
إذا ما قضى بيوم الحسـاب

محمد أحمد سالم

الثقافة

العـــدد ٧٠٩

٢٨ من يوليه ١٩٥٢

مجلة أســبوعية للآداب والعــلوم والفنون

تصدرها لجنـــة التأليف والترجمــة والنشر

الثمن ٣٠ مليماً

صفحة

« دعـــوة »

يا حالم العينين .. هل تجهـــل ؟
ما زال قلبي ظامئـــاً يسأل

الحب يا ملـــهم أغرودتي
أن أطلب الوعـــد ولا تبخل

هـــل زورة تمسح من مهجتي
هواجس الليـــل الذي يقبل

بالأمس .. كم حلم غرقنا به
كم قبلة وردية تبـــذل

كم عالم ينهـــلّ في غفـــوة
عطشى .. وفيها صفق الجدول

ما زلت أبقى من حنـــين الدجى
تمثاله .. حتى شكا المعـــول

فهوّمت قصـــة أشواقنـــا
ليحتويها جفنـــك المســـبل

لترتمى في مهجتي يقظـــة
كشمعة يزهو بها الهيكل

ما زال من أمسك في مـــنزلي
بقيـــة .. يحيـــا بها المنزل

آثارك الحسناء في بهـــوه
في المرقد الظمـــآن لا تأفل

كرسيك المعهـــود في شرفتي
والثـــوب في مشجبه يأمـــل

والزهر قد نسقتـــه غادة
بسامة .. في صمتها تغزل

وعطرك العالق في صـــدرتي
أنفاسه محمومـــة تقتل

وقطى الذاكر .. كم نظـــرة
تبين عنـــه كل ما يحمل

كفاك قد مرت عليـــه فما
يطيق لي كفا .. وما يحفل

عـــودي له يا جنـــة ظللت
قلبي فغنى في دمى المـــأمل

هل عاش بعد الزهر أعطاره
وهل سها عن وكره البلبل ؟

(رمل الإسكندرية)

كمال نشأت

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتيـــاز
الدكتور أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف بك

الإدارة
١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العـــدد ٧٠٩ الاثنين ٦ من ذى القعدة سنة ١٣٧١ — ٢٨ من يوليه سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة عشرة

ماذا ننتظر ؟

قطعت البلاد عشرات السنين وهى تنتظر إصلاح أحوالها واستقرار أمورها على الطريق الذى يمضى إلى الحياة السليمة . وهذه البلاد تعتز بماضيها القديم لأنها أقدم الأقطار مدنية ، ولأنها هى التى وهبت للعالم فى عصور شتى أغلى ما عندها من أسس الفكر والفن والعلم . ولكنها اليوم تعتز بمستقبلها أكثر من اعتزازها بذلك الماضى المجيد لأنها تؤمن بأن الحياة سلسلة متصلة لا يغنى فيها الماضى شيئا عن الحاضر أو المستقبل . ولقد بقينا فى هذه العشرات من السنين نتوقع كلما تغيرت وزارة أن يطلع علينا اليوم المرتقب ، ونرجو كلما تبدل نظام أن يكون ذلك هو النظام المصلح الذى يعالج الأدواء التى تهدم كياننا وتسل قوانا . ومع هذا فنحن ما نزال نأمل أن يكون هذا العهد الجديد هو الذى يصلح ما فسد من شئوننا ويقيم ما تهدم من كياننا ... فماذا ننتظر ؟

إن ضمائرنا نفسها فى أشد الحاجة إلى العلاج الحاسم الشافى لأن الداء كامن فى هذه الضمائر الحائرة الجائرة التى تضل بنا . إنها الأنانية والكفر بالمثل العليا هى التى تقعد بنا عن الإصلاح الحقيقى الذى يعيد إلينا اتزاننا .

لقد أصبح الذهب هو المعبود الأول ، وأصبح السلطان هو المعبود الثانى ، وأما العدالة والإنصاف والمروءة والنجدة وكل ما يمكن أن نسميه الصلاحية للحياة فقد توارى كأنه يستحيى من نفسه أن يظهر فى وسط الجحود الشامل .

فأى عهد يقنع بالأدهان ويرضى بالترقيع ولا يقوم على إقامة البناء من الأساس لا يكون هو العهد الذى كنا ننتظره وما نزال ننتظره .

الفلاح الكادح يئن من ثقل إيجار الأرض ومن قلة أجره فى العمل ، وهو يشكو من مهزلة الإصلاح التى لا تحقق شيئاً سوى المظاهر الخلابة الكاذبة .

والوظائف العامة تشكو من أن القاعدة العامة فى أعمال الدولة هى اقتناص المنافع والتستر بالروتين لإماتة كل مشروع نافع والاكتفاء بالسلطان والمنفعة الشخصية . والاقتصاد يشكو من التخبط فى السياسة الاقتصادية إما نتيجة للجهل وإما نتيجة لدفع المصالح الخاصة .

والسياسة تشكو من المظاهرات الجوفاء وعدم الاعتداد بالحقائق الجوهرية التى تحيط بنا فى داخل مصر وخارجها . ونحن اليوم فى بدء عهد جديد ننتظر منه كما انتظرنا من سواه أن يكون عهد إصلاح جدى يتناول حياتنا من أسسها ولا تزدهيه المظاهر الخلابة الكاذبة والدعاية الجوفاء . وأملنا فى الله عظيم أن يكون فى هذا العهد الجديد تحقيق ما انتظرناه مراراً وخابت فيه آمالنا وأن تكون مصر قد صحت حقيقة من رقدتها وأن تكون حقاً قد عزمت على أن تأخذ أمورها بالجد والإخلاص والعزيمة الصادقة . والله ولى التوفيق .

محمد فريد أبو حديد

بين الأمس واليوم والغد :

السياسة الغاشمة والحزبية المدمرة

للدكتور أحمد عبد السلام الكردانى بك

قررنا فى مقالنا الأخير أن السياسة أو بالأحرى الحزبية هى المسئولة عن الانهيار الخلقى الذى نعانيه ، ووعدنا أن نزيد الأمر تفصيلا فى مقال خاص ، وهذا هو :

قلنا إن مصادر التربية والتهذيب هى المدرسة والمجتمع (باعتبار أن البيت مجتمع صغير) ، وأوضحنا فى مقالنا الأول كيف أن المدرسة أصبحت عاجزة عن القيام بمهمتها التربوية أو التهذيبية بسبب ازدحامها الشديد بالتلاميذ وبسبب قلة خبرة المدرسين والنظار . والآن فلننظر فى الأسباب التى أدت إلى ذلك :

كانت الحياة المدرسية تسير سيراً هادئاً طبيعياً ، وكانت المدارس الجديدة تنشأ بالتدريج حسب الحاجة وبقدر مايعتمد من المال فى كل سنة لهذا الغرض ، وكان تخريج المعلمين اللازمين متمشياً مع هذه الحاجة ومع هذا النمو المقدر ، ثم طالبت البلاد بضرورة استحثاث وزارة المعارف على زيادة عدد المدارس وعدد التلاميذ الذين يقبلون فى كل عام ، فأخذت الوزارة فى رسم خطة لهذه الزيادة ، وأرصدت مبالغ أكثر من العادة فى ميزانيتها لزيادة عدد الفصول بقدر ما تسمح به الأماكن ، وبزيادة عدد المدرسين ، وطالبت وزارة الأشغال بأن ترصد فى ميزانيتها مبالغ أكثر من العادة لبناء مدارس جديدة فى الأماكن المحتاجة لها ، وشرعت فى بحث وسائل تدبير العدد اللازم من المدرسين من قبول عدد أكبر فى معاهد التربية وفى الجامعات لحساب هذه المعاهد ، ومن إنشاء مدارس للمعلمين على أنواع مختلفة حسب الحاجة إليهم ونوعها فى مختلف المدارس المنتظر افتتاحها ، إلى آخر ما يتطلبه الموقف من استعداد ومن رسم خطط لمواجهته .

لكن الأمور لم تسر السير الطبيعى الذى يقتضيه الموقف . فقد دخل فى الميدان عنصر الشر وهو السياسة ، أو المزايدة الحزبية ، فصار كل حزب يمنى المنتمين إليه أنه سيتوسع فى التعليم أكثر من غيره ، وصرح الوزراء بأنهم سيتوسعون فى المجانية أكثر ممن سبقوهم ، وسيقبلون بالمدارس أعداداً تفوق المقبولين فى العهود السابقة .

عندئذ بدأت أعراض الخلل تظهر للمطلعين على حقائق الأمور ، وأخذوا يشفقون على التعليم من آثار هذا التيار الجارف من المزايدة الحزبية فى أموره ، إذ أن هذه تقتضى استعداداً وإعداداً لا يتحققان فى يوم وليلة ، ولكنهما يتطلبان سنوات ليست بالطويلة ولكنها ضرورية . وكان هؤلاء المطلعون يدركون ويقررون أن على الدولة أن توفر لكل طالب نابه يؤهله استعداده لاجتياز المراحل العليا من التعليم بنجاح ، عليها أن توفر له المكان وتعفيه من النفقات إن لم يكن قادراً عليها . وكان فى وسع وزارة المعارف أن تنفذ ذلك بكل دقة فى حدود سياستها فى التوسع التدريجى الذى يضمن الاستعداد الصحيح ، وإعداد المعلمين اللازمين على صورة يرتاح إليها الفنيون ، وإنشاء المدارس اللازمة فى حدود طاقة الدولة مع مراعاة البساطة ، أى بحذف كل ماهو كمالى أو فيه ترف والاكتفاء بالضرورى فقط ، حتى يتضاعف عن هذا الطريق العدد المنشأ من المدارس . وشرعت فعلا فى تنفيذ ذلك كله .

لكن السياسة الممقوتة والمزايدة الحزبية فى هذا الشأن الحيوى لم تقف عند حد ولم تلق بالاً لأى اعتبار فنى ، واستعذبت العبارة المأثورة عن وزير التوسع بغير حد ، وبغير استعداد ، وبغض النظر عن النتائج وسوئها ، وهى أن التعليم يجب أن يكون كالماء والهواء متوافراً فى الحال لكل فرد فى سن التعليم وفى أية مرحلة من مراحله حتى

الجامعية ، بغض النظر عن استعداد هذا الطالب ، وبغض النظر عن صلاحية الفصل الذى سيوضع فيه ، والمدرس الذى سيعهد إليه بتعليمه ، والأدوات اللازمة لذلك وعدم توافرها إلخ . . كل هذا لا يهم . فالشىء الوحيد الذى يهم هو أن يقال إن فلانا الوزير قد فتح الباب على مصراعيه ، وأتاح الفرصة لكل من هب ودب للدخول إلى المدارس الثانوية فالجامعة ، وليذهب الشيطان بكل شىء اسمه نظام ، وبكل شىء اسمه إجادة ، وبكل شىء اسمه علم نفس ، وبكل شىء اسمه تربية . هذه أسماء لاوجود لها فى نظره ولا اعتبار لها عنده .

وكانت النتيجة كما نعلم طامة كبرى . كان هذا الازدحام الذى شرحناه ، والذى لم يطوّح بغرضى التربية والتهذيب وحدهما كما قدمنا ، ولكنه طوّح أيضاً بكل فرصة لتلقين معقول مفهوم ، ولتدريس هادئ ينفذ إلى العقل ويهضمه التلاميذ ، إذ أنه كما حشر هؤلاء التلاميذ بغير حساب وبغير نظر إلى استعداداتهم ، فقد حشر أيضاً المدرسين بغير حساب وبغير نظر إلى كفاياتهم واستعدادهم ، وبغير إعداد مهنى ، وحمّل كلا منهم فوق طاقته من جميع النواحى . فالمدارس التى كانت سائرة سيراً طبيعياً بعدد معقول من المدرسين الأكفاء يرقى منهم فى كل عام نسبة معقولة ليحل محلها عنصر جديد يتعلم بالتدريج إلى أن يكتسب الخبرة ويندمج فى الهيئة اندماج الواثق العارف ، اضطرت الوزارة بسبب فتح الفصول العديدة والمدارس الكثيرة إلى أن ترقى من مدرسى كل مدرسة منها أضعاف النسبة السابقة مما أدى إلى إضعاف المجموعة الموجودة فيها ، وحال إثقال القدامى والجدد بالعمل دون إعطاء الفرصة للقدامى ليؤثروا فى الجدد وللجدد ليكتسبوا الخبرة على مهل ، وليتعلموا بالتدريج من القدامى . وكذلك رقى كثير من المدرسين إلى النظارة قبل الأوان وعهد إلى بعضهم بمدارس كبيرة لا قبل لهم بإدارتها كما ينبغى .

وقد تطلب هذا التوسع أيضاً تعيين عدد كبير من المدرسين فى كل مادة يزيد أضعافاً مضاعفة على الذين تخرجهم معاهد إعداد المدرسين ومدارس المعلمين التى تخرج صنفهم ، فأخذت الوزارة تعين فى الأمكنة الخالية من يحمل أى مؤهل يمت إلى نوع المادة المطلوبة فى المدارس بصلة قريبة أو بعيدة ، ومن ثم صار معظم المنتخبين للتدريس فى كثير من المواد لا يفهمونها وبالتالى لا يحسنون تدريسها ، فانحط المستوى وأصبح وضع التلاميذ فى هذه الفصول الجديدة (وكثير منها غير صالح) وتحت إشراف هذا الصنف العاجز من المدرسين فى ذاته جريمة ، فهو قد وضع التلميذ فى ميدان لا يؤهله استعداده له ، وبدلا من أن يمده بمدرس قدير يحاول تعويض هذا النقص أمدّه بمدرس عاجز ، هو فى ذاته محتاج للتعلم حتى يفهم مادته ، فهو إذن بطبيعة الحال غير قادر على تعليمها بوجه عام ولهؤلاء التلاميذ الضعاف بوجه خاص .

هذا إلى ما سببته السياسة من اضطراب وفوضى فى المدارس ، فقد أخذ رجال الأحزاب يغرون الشباب بالمال وغيره ليحدثوا الشغب ويعبثوا بالنظام ويقوموا بالإضراب وبالمظاهرات بل وبالتخريب أيضاً ، وعاونهم على ذلك اضطراب سير الدراسة كما قدمنا ، وعجز مجموعة المدرسين الجدد عن أن تؤثر فيهم وتردهم إلى صوابهم ، وأفلت الزمام من يد النظار ومدرسيهم ، وسادت الفوضى وأصبح تلقين الدروس نفسه عسيراً ، فما بالك بعملية التربية والتهذيب التى تحتاج إلى هدوء واستقرار ودراسة عميقة فى جو من الاستقرار لا تتيسر فى مثل هذه الظروف حتى للأكفاء من المدرسين الذين احتموا من الميدان .

وحتى دور العلم العالية والجامعات تدخلت فيها السياسة فأفسدتها أولا بالتوسع الذى لم تستعد لمواجهته ، وثانياً بإغراء بعض الأساتذة ليحاز إلى بعض الأحزاب فيقوم بالدعاية لها بالحق أو بالباطل ، ثم أخذت فى نظير ذلك تغدق عليهم وتكافئهم على حساب غيرهم من الأساتذة الأفاضل الذين وقفوا أنفسهم على العلم وحده ونأوا عن السياسة وابتعدوا عن الحزبية . كما أنها أفسدت أخلاق الطلبة بالرشاوى وغيرها من وسائل الإغراء ، فسادت الفوضى وعم الفساد الخلقى فى أكبر معاهد العلم التى كان يجب أن تكون موئلا للعلم الصحيح وحصناً للأخلاق الفاضلة .

بهذا القدر نكتفى لبيان إصبع السياسة فى إفساد دور العلم وفى القضاء عليها كعنصر أساسى من عناصر التربية وكوسيلة فعّالة لتهذيب النشء وتقويم خلقه ، وتنشئته على

مبادىء سامية ومثل عليا تجعل للتعلم قيمة ، وللحياة رسالة سامية وللنفوس أهدافا روحانية تسمو بالمجتمع إلى آفاق عالية ، وتشع فيه روحاً من المحبة والعطف والتعاون فتسود فيه الأخلاق الفاضلة .

أما المجتمع فأثر السياسة الممقوتة والحزبية العمياء فيه لا يقل سوءاً عن أثرها فى المدرسة ، فأول بدعة ابتدعتها هى سياسة مكافأة الأنصار ولو كانوا أشرارا غير أمناء ولا أكفاء ، على حساب القادرين المخلصين الفضلاء حتى ولو كانوا بمنأى عن السياسة والأحزاب . فالموظف الحزبى يرقى درجات تلو درجات على غير استحقاق ، ويتحكم فيمن هم أقدر منه وأكفأ ، فتفتر عزيمتهم وتخبو حماستهم ، ويهملون عملهم فتسود الفوضى لأن رؤساءهم وزملاءهم المحاسيب المحظوظين لا يستطيعون القيام بما كان يقوم به هؤلاء بجدارة وكفاية .

والتاجر أو المقاول الحزبى يغدق عليه بغير حساب حتى ولو كان مدلساً غير شريف ، بينما يحرم غيره حتى ولو كان غير حزبى فتكسد تجارة الأخير ويقف دولاب عمله ويضطرب ، بينما يزدهى الأول ولا يجد حافزاً لإتقان العمل فهو واثق من التعضيد ومن الحظوة حتى ولو غش فى تجارته وتعمد عدم تنفيذ بنود مقاولته ، فله من حزبيته سند يعصمه من المؤاخذة .

والزارع الحزبى يعطى الماء بغير حساب إذا كان حزبه فى الحكم ويحرم منه إذا كان حزبه خارج الحكم ويعطى السلفية التى يطلبها أو يحرم منها لا بحسب ظروفه وحاجته الحقيقية للمال وإنما بحسب ميوله الحزبية .

والحكام أنفسهم ، بل وعمد البلاد فى الريف ، أصبحت الحزبية مسيطرة على تصرفاتهم وعلى معاملاتهم للناس .

وهكذا انفتح الباب على مصراعيه للوشاية والوقيعة الكاذبة ، كما أخذ أكثر الناس من موظفين وغيرهم يتلونون حسب الظروف ، فاذا ولى الوفد الحكم كانوا من كبار أنصاره طمعاً فى الغنم ، وإذا أقصى عن الحكم نفروا عنه وتبرؤوا منه وادعوا أنهم اكتووا بشره ، وعلم الله أنهم كاذبون فى الأولى والآخرة .

واستغل بعض الموظفين ذلك فأخذوا هم أيضاً يتاجرون بالحقوق فلا ينجزون عملا إلا بالرشوة ، ولا يعطون لصاحب الحق حقه إلا إذا نالوا مقابل ذلك جزاء أو منفعة شخصية بل أخذ الكبار من الحزبيين وغيرهم يمعنون فى الاستغلال حتى شاعت الفضائح ولم يسلم منها شخص مهما قدره ، وذاعت أخبارها بين الناس وعلى صفحات الجرائد

عندئذ أخذ رجل الشارع يدرك أن القيم الحقيقية للأشياء وللأخلاق قد تغيرت ، وأن الهوى الحزبى قد أ[...] الحياة فى جميع فروعها ومرافقها . وبدأ كل فرد يـ[...] فى نفسه : إلى متى أعسك بالفضيلة والرزيلة شائعة ، وأ[...] أظل متعلقاً بها وأولادى جياع ؟ فهل أنا خير من [...] الوزير أو علان الخطير ؟ وسرعان ما جرفهم الـ[...] جميعاً معه .

أرأيت يا سيدى القارىء كيف أن السياسة بوجه [...] والحزبية بوجه خاص قد أفسدت الحياة الاجتماعية والـ[...] المدرسية وهما المصدران الرئيسيان للتربية والتهذيب و[...] المثل العليا فى نفوس الشباب . فهلا تعذرنى بعد ذلك [...] اشترطت استبعاد الحزبيين من الجماعات التى تبغى الإصلاح

أحمد عبد السلام الكردا[...]

خواطر

للدكتور أحمد أمين بك

— ٤٥ —

الحياة يا نصيب

هل تعلم ما سيؤول إليه أمر طفلك ؟ أيكون سعيداً شقياً ، وغنياً أم فقيراً ، وصحيحاً أم مريضاً ؟

لا يمكنك ولا يمكن أى مخلوق أن يجيب عن هذا ؤال . وتحدث حادثة ليست فى الحسبان تقلب الأوضاع تسبب السعادة أو الشقاء .

ويغيظ الإنسان أن يحدث أمر يظنه سعيداً فإذا هو ب كل البلاء والعكس ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم .

كذلك الشأن فى ورقة اليانصيب ؛ ورقة أو اثنتان مائة ألف فأكثر تكسب مكسباً كبيراً ، ومئات من راق تكسب مكسباً صغيراً ، وعشرات الآلاف لا تكسب اً . وكذلك الناس قليلون يكسبون كثيراً ، وكثيرون كسبون إلا مابه يقتاتون ، وتأخذ فى بيان أسباب السعادة شقاء ، والغنى أو الفقر ، فيعجزك التعليل . هذا أبلغ ول وهذا أرسطو ليس بالكسول .

وتعجبنى قصة قرأتها وهى أن رجلا قروياً ضاع حصانه ب الملاحون يعزونه ، فقال لاتعزونى لأنى لا أعرف أين ؛ ثم وجد الحصان فذهبوا ليهنئوه ، فقال لا تهنئونى لأنى رف أين الخير ؟ ثم ركب ابنه الحصان فوقع من فوقه رت رجله ، فذهبوا ليعزوه ، فقال لهم لا تعزونى لأنى ف أين الخير . ودخلت أمته الحرب مع أمة أخرى لك بجمع الصالحين للجندية وترك ابن صاحب الحصان لكسر رجله ، فذهبوا ليهنئوه فقال لهم : قلت لكم لا تعزونى ولا تهنئونى لأنى لا أعرف أين الخير .

ثم إن هناك وجه شبه آخر بين الحياة واليانصيب ، وهو غموض الحوادث ، وغموض الربح والخسارة ، ولعب القدر فى كل ذلك لعباً غريباً لا يعلمه إلا الله .

— ٤٦ —

البت والتردد

لو سئلت أن أضع قائمة للفضائل بحسب ترتيبها لعددت البت فى أولها ، وأكره ما أكره التردد . يقدم الرجل رجلا ويؤخر أخرى ، ويُقدِم ثم يحجم ، ويحجم ثم يُقدِم ، وتموت بذلك الفرص وتتعقد الأمور ، وكثير من الناجحين فى الحياة إنما نجحوا لبتّهم لا لترددهم ، وقد اشتهر العنصر الأنجلو سكسونى بسرعة البت فى الأمور ، ولذلك نجح وفتح واستعمر . وكان العرب يمدحون الفتى بسرعة البت وقوة الحزم ، ويقول قائلهم :

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه
ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ويحمل على التردد الهرب من المسئولية ، فإن العمل تصحبه المسئولية دائماً ، فهو يفضل ألا يعمل حتى لا يسأل ، وهذا عين ما تقع فيه حكومات الشرق — تتردد حتى لا تسأل ، وتسير على الطريقة المتبعة حتى لا تسأل ، وتسأل دائماً عن السوابق حتى تأمن الخطأ ، ولذلك قل عندها التجديد . وعندى أن البت مع الخطأ خير من التردد مع الصواب !

أحمد أمين

يوم ...

للدكتور حسين مؤنس

يوم من هذه الأيام المتراخية التي تعبر بنا هادئة متئدة تتلكأ في سيرها فتزيد صدورنا حرجاً ... كان ينبغي أن ينتهي كما بدأ ، شأنه شأن أمسه وأول أمسه ، وما تقدمه من أيام طوال تمال مثله . طلعت شمسه على الدولة وأهلها فحيتهم بما ينبغي لهم من رفق ورقة ، ثم أذنت للنسيم العليل أن يطوف بهم ليخفف عنهم ما عسى أن يلم بهم من ملل ، ثم انثنت بعد ذلك إلى ما تعودت أن تنفق فيه أيامها من إصلاء الرعية ناراً وسعيراً ، يمتدان حتى يأذن الله لها في أن تستريح.

ويبدو أن الزمان أدركه الملل من هذا الانسياب الرتيب الذي درج عليه منذ شهور ، فأحب أن يهدي الوادي وأهله شيئاً من المتاع يُذهب عنهم بعض السأم ، فما أن متع الضحى حتى أشار إلى النسيم فاحتبس ، وأحس أهل الدولة ضيقاً لم يعرفوه منذ كانوا أصحاب دولة ، وضجرت المعالي في مقاعدها وشكت ضيقاً لم تعرفه منذ كانت في مواضع العز والجاه والسلطان ... ثم امتلأت النفوس ضيقاً وحرجاً ، وأقبلت من شمال ومن جنوب رياح حامية عاتية ، وما زالت تشتد وتعصف حتى زعزعتها في مواضعها ..

وما أن اهتزت مقاعد المعالي حتى اضطرب كل شيء .. وانطلقت الإشاعات جماعات جماعات ، تتفرق في الطرقات وتتجمع الآذان والقلوب ، ومضت تقتحم على الناس أمنهم وتطل عليهم بوجهها ، فتفتنهم عما كانوا فيه من أمن ودعة . فترك الناس ما هم فيه ، ومضوا يطردونها طرداً حثيثاً ، وتشبث بعضهم بأذيالها ، فجرتهم معها جراً وسحبتهم على وجوههم سحباً ... وكلما طال الطرد تسارع إلى ميدانه نفر يعدون بأسرع ما تحملهم الأرجل ، واختلط الأمر في الميدان ، فلم يعد النظارة ليتبينوا شيئاً على وجهه : إنما هو ناس تجري هنا وهناك ، وإشاعات تتراءى كأنها خلب البرق ثم تختفي ..

وانقلب السكون ضجيجاً والفتور حماساً : باشوات تجري ، وبكوات تلهث ، وأفندية تخطف على العجل أو من دون عجل ... وانتقلت الحمى إلى التليفون ، فإذا الأسلاك تضطرب فيما بين الإسكندرية والقاهرة ، وإذا التيار يسري في هذه الأخيرة فيوقظها من نعاسها ، ويهب من أهلها نفر يعدون دون أن يدروا لماذا يعدون ؟ ! . ويتلاحقون دون أن يدروا ماذا يلاحقون ! . واندفع نفر منهم يقطعون الطريق من القاهرة إلى الإسكندرية على جناح النعام ، حتى إذا أدركوها ، مضوا يلهثون من مكان إلى مكان ، ومن تليفون إلى تليفون .. يتلاقون دون أن يعرفوا فيم اللقاء ؟ ويتفرقون على غير موعد ، حتى إذا هبت نسائم الأصيل ، خيل إليهم أنهم أدركوا سر ما هم فيه من جري وجهد !

فإذا مالت الشمس إلى الغروب كان الجهد قد أدرك الإشاعات فمالت بجنوبها إلى الراحة ، وغلقت من دونها الأبواب ... ونام الناس بعد ذلك نوماً مضطرباً تتخلله الأحلام والمفازع ، واستبد الأرق ببعضهم فمضوا يحسبون ويزنون ، وتعلقت آمال كل منهم بهذا أو ذاك ممن طافت بأبوابهم الهمسات طوال النهار : جعلوا يحسبون حسناتهم وسيئاتهم عند هذا أو ذاك ، فتبتسم لهم الآمال حيناً وتعبس حيناً آخر ، وأسرعوا إلى التليفون يقطعون على أسلاكه حبال الليل الطويل ..

***

وطلعت الشمس مرة أخرى .. بعد أن ملأت جفن من النعاس .. وانطلقت أشعتها تطرق أبواب النوام فهب يجرون من جديد ... ثم تجمعوا شيئاً فشيئاً حتى صار فرقاً جلس كل منها في ركن من الملعب الكبير ينتظرون الإشارة لينزلوا الميدان ... وطال بهم القعود على هـ القاعد ينتظرون الإشارة السحرية ، وتوسدوا أكف

وأدركتهم الملالة وهم فى هذا الانتظار الطويل . . . وأدرك اليأس بقيــة اللاهثين ، فانصرفوا . . . وأراحوا أنفسهم ، وأخذوا أمكنتهم بين النظارة ، وهم أشد ما يكونون تأهباً للجرى من جديد ! .

ولزم بعضهم داره طول اليـوم — أيضاً إلى جوار التليفون ! . ما إن يتردد رنينه حتى يهب إليه مسرعاً ، فربما صادفه البدال يستفسر عما يحضر وما لا يحضر ، فيعود إلى مكانه غضبان أسفاً . . . وربما كان المتحدث واحداً من أصحابه يسأل عن الأخبار ؟. فيطول الأخذ والرد ، ويستطرد الحديث من أوهام لأوهام ، يروى كل منهما لصاحبـه ما اتصل به من خبر وما ترامى إليه من وهم ، ويظل الحديث متصلا وقتاً يطول أو يقصر ، ولـكنه ينتهى إلى لا شىء !. ثم يضع السماعة ويخلو إلى نفسه ، ويمضى يحسب ويرسم ويدبر ويستنتج ، ويضع معادلات جبرية يحلها كما يشتهى .

إذا كان فلان قد قضى عند فلان ربع ساعة ، ثم ذهب بعدها إلى علان وقضى معه خمس دقائق ، فماذا يكون معنى هذا ؟ ! أتراه عرض عليه الداخلية أم المالية ؟ . وإذا لم تتجاوز المقابلة أربع دقائق ، فلا بد أن يكون الأمر متعلقاً بالشؤون الاجتماعية أو البلدية ! . فإذا كان قد اتصـل به بالتليفون ، فلا يمكن أن يعدو الأمر الأوقاف ! . . وهكـذا . . حساب دقيق لا يفهمه إلا الراسخون فى العلم وشئون السياسة وتدبير الدول . . . ثم يوقد المصباح ويتناول الصحف ، ويمضى يقرأ ما بين السطور ، لأنه فرغ من السطور نفسها فى النهار ثم يدق جرس التليفون . . . فيلقى بما فى يده إلى الأرض ويختطف السماعة فى لهفة ليتلقى خبراً خطيراً يقيمه ويقعده .

فى الساعة الحادية عشرة إلا ثلاث دقائق فتحت النافذة القصوى فى الدور الثانى من دار فلان باشا . . . ثم أطفىء الضوء فى الساعة الواحدة واثنتى عشرة دقيقة . . يا للهول . هذه الحجرة تضم مكتباً إضافياً فى بيت هذا الباشا ، وهو لا يلجأ إليها إلا إذا أراد أن يكتب أمراً هاماً . وما عساه يكتب من أمر هام فى هذا الوقت من الليل وهذا الظرف بالذات ، إلا أن يكون شيئاً متصلاً بالوزارة ؟ . لا بد أنهم اختاروه . . ولا بد أنهم كلفوه بالفعل بأمر من أمور الدولة . . هذه حقيقة لا شك فيها !. إذن ما عسى أن تكون هذه المذكرة التى كتبها ؟ . آه . . لا بد أنها متعلقة بمسألة القطن ، فهو مُعنى بها منذ حين ! . حسناً . . ولماذا يكتب مذكرة فى هذا الموضوع بالذات ؟. لا بد أنهم اختاروه للمالية ما فى ذلك شك ! . ثم يسرع إلى التليفون ، ويبلغ أحـد أصحابه أنه بلغه من « مصـدر موثوق به » أن فلاناً اختير للمـالية ! . وفى أقل من ساعة يكون الخبر قد طاف القطر كله سبع مرات . . ويدق جرس التليفون ، وإذا المتحدث صديق آخر يبلغه نفس النبأ ، ويقسم أنه سمعه من مصـدر موثوق فيه لا تأذن الظروف فى الإفصاح عنه ! . . ويفرك صاحبنا يديه . . . ولا يطيق الانتظار إلى الصباح . . . فإذا أوشك أن يرفع السماعة ليتصل به ويهنئه ويذكره بما بينهما من مودة وعهود . . إذا بالتليفون يطلبه ، فيسرع ويضع روحه كلها فى أذنه ، وإذا بالمتحدث صاحبنا الذى اتهم بوزارة المالية ! . إنه يتحدث من عزبته ويسأل : « أحقيقة استقالت الوزارة ؟ . » .

* * *

وفى وسط هذا الاضطراب ، تجد الصحفيين يعدون هنا وهناك . . دون أن يفهموا فيم هذا العدو كله ؟ وكلما رأوا عادياً يجرى عدوا وراءه ! . والعدسة فى يد والقلم فى الأخرى . . لقد انقطعت أنفاسهم من الجرى وراء هذا الجيش اللاهث الذى يجرى كل فريق منه فى ناحية . . رأى واحد منهم رجلا طويلا عريضاً حسن الهيئة ينصرف متسللا من دار أحد رؤساء الفرق . . وتلفت الصحفى يمنة ويسرة فلم يجد أحداً يراه إلا هو . . فاستطاره الفرح وصاح فى نفسه : هذا والله نجم جديد ما سمع به أحد . . لا بد أنه أحد من اختاروهم للفريق الجديد . . فترقبه فى حذر ، فوجد البواب ينهض لتحيته ، ثم رآه يستقل سيارة صغيرة ويمضى ، فاندفع نحو سيارة أجرة وأمر سائقها بملاحقة الفريسة ،

وما زال ينحرف وراءه من شارع لشارع حتى انتهى إلى بيت وسط بين البيوت ، لا هو بالشامخ ولا البالغ التواضع ، ثم دخل فى أعقابه وقرأ اسمه على الباب : « فلان الفلانى ، أستاذ تربية ورياضة بدنية من جامعات بلجيكا » ، فقال فى نفسه : « لم يكذب ظنى والله ! هذا لا يمكن أن يكون إلا أحد المرشحين ، هذا وزير مقبل ، إما للمعارف أو للحربية . . فشهادته تؤهله لكلا الوزارتين ! » . ثم اقتحم عليه الباب ، فدهش الرجل ، ورد تحيته وانتظر أن يقول حاجته ، فقال الصحفى الذكى :

— مبروك . . لقد بلغنا الخبر . .

— أى خبر ؟ . .

— ما فائدة الإنكار ؟ . . الناس كلها تعرف . . لقد اختارك الباشا عن ثقة . .

فابتسم الرجل تواضعاً وقال :

— هذه مسألة قديمة . . إن الباشا لا يثق فى غيرى من عشر سنوات . .

— هذا أمر معروف . نحن نعرف أنك موضع ثقته دائماً . . لم أكد أراك داخلا حتى عرفت أنه اختارك . .

— قلت لك إن الاختيار قديم . .

— حسناً . . وهل خلا بك اليوم ؟ . .

— طبعاً .

— قدر ساعة ؟ . .

— لا . . ربع ساعة . . المسألة لا تحتاج إلى ساعة . .

— إذن ، قضيت معه ربع ساعة . . ولا ثالث لكما . .

— طبعاً . .

— وهل كان حديثه إليك حديث الواثق المتمكن ؟ . .

— ما فى ذلك شك . .

— وهل اتفقتما على البرنامج ؟ . .

— إنى أنا الذى أضع له البرنامج . .

— يا لله . . وهل أستطيع أن أعرف التفاصيل ؟

— أظن أن هذه مسألة خاصة . .

— طبعاً ، طبعاً . . لم يحن الوقت بعد للإدلاء بالتفاصيل . . إنما أنا أسأل سؤالا عاماً . . هل هو برنامج محدد ؟ . .

— محدد جداً . . وواضح . .

— إذن هل أستطيع أن أسأل — إذا أذنت لى — أهى المعارف أم الحربية ؟

— معارف وحربية ؟ . . عمّ تتكلم يا سيدى ؟

— إن المسألة أوضح من الشمس يا معالى الوزير . .

— معالى الوزير ؟ . . إنى لا أفهم . .

— معذرة . . ولكنك قلت إنه اختارك بالفعل . .

— طبعاً . . ولكن . . ما دخل المعارف أو الحربية هنا ؟ . .

— إذن . . هل اختارك لوزارة أخرى ؟ . .

— وزارة أخرى ؟

— إذن . . لماذا اختارك ؟

— لتدليكه . . إنى مدلكه المختار من عشر سنوات !

محمود مؤنس

مسكينتان !

للأستاذ محمد فريد أبو حديد بك

سأقص على قراء الثقافة قصتين لفتاتين من عصرنا هذا الذى نضطرب فيه ، وهما فتاتان عرفتهما وعرفت أهلهما وشيئاً كثيراً عن حياتهما ، وكنت لا أحسبهما من أعجب من عرفت من بنات هــذا العصر . وقد انتهت قصتاهما فى فاجعتين شديدتين فى يومين متعاقبين ، فما كدت أفيق من تأمل الـكارثة الأولى حتى دهمنى تأمل الـكارثة الأخرى .

هما حادثتان اثنتان وقعتا فى دائرة محدودة بين هذه الملايين الصاخبة المتدافعة التى تعيش فى وادينا الضيق ، وقد وقعتا فى يومين اثنين من أيام الدهر الطويلة . فما بالنا بما يقع فى البلاد كلها ، وفى أيام العام كله ؟ كم يبلغ إذن عــدد ضحايا الحياة الجديدة ؟ وأية مأساة تنكشف لنا لو استطعنا أن نحيط علماً بكل ما يقع من الحوادث وتأملنا ما تنطوى عليه من الدلالة الفاجعة ؟ وها هى ذى الصحف اليومية تطالعنا يوماً بعد يوم بأحاديث الـكوارث التى تقع بيننا ، ولا سيما فى صفوف الشباب ؛ ومنها يمكن أن نعرف ضخامة عــدد الضحايا وعظم المصيبة التى ألمت بنا ، مع أن ما تكتبه هــذه الصحف ليس إلا قليلا من كثير ، وما خفى كان أعظم كما يقولون ، فإلى القارئ الـكريم مجمل الحادثة الأولى :

فتاة حسناء خفيفة الروح أنيقة ، لا تحل فى محفل إلا كانت مركز المرح فيه . وهى من الجيل الحديث الذى أخــذ من المدنية الغربية رغوة الزبد من مناقع الحياة فى هوليوود . نظلم أبيقور إذا قلنا إنها من أتباع فلسفته ، وهى من أسرة اعتاد الناس أن يسموها راقية ، فإذا أردنا الإيضاح قلنا إنها من أسرة ممسوخة لا هى بالشرقية ولا بالغربية . أبوها من كبار الأعيان ولـكنه لا يعيش معها ، فقد تركها منذ الطفولة مع أمها . وقد دخلت المدارس حقاً وكانت مدرستها من أحدث طراز ، فالمدارس عند مثل هذه الأسرة لا تزيد على أزياء للمعاطف والأحــذية والقبعات . تَرْطن بالفرنسية ولـكنها لا تقرأ فيها كتاباً ، وتعيش كل أيامها أو كل لياليها بقول أدق فى حلقات من الأصحاب والصواحب ، ولـكن هذه الحلقات لا تعرف معنى الصداقة .

وقد اعتادت المسكينة منــذ كانت طفلة أن تطلب وأن تأخذ وأن تتمتع ولـكنها لم تفكر يوماً فى شىء ، ولم تعرف معنى العطاء ، ولا معنى الحرمان . الحياة عندها لعبة متصلة . هى وأهلها جميعاً يأخذون ولا يعطون شيئاً لا من أموالهم ولا من أنفسهم . تزدرى كل ما يكلف الجهد والعناء ، وتخاف أو تكره من كل ما يشعر بالجد . وأما الأم السمينة فهى امرأة طيبة ضحوك متساهلة مالم يكلفها التساهل جهداً أو يحملها على شىء من الجد . هى الأخرى تعرف كيف تأخذ ، ولا يخطر ببالها أن تعطى . متسولة ذات كبرياء . تمد يدها دائما ولـكنها تحسب أنها تأخذ حقها ، وتتكبر أن تأخذ القليل لأنه دون قدرها . والحياة عندها هى الأخرى لعبة متصلة ، وإن كانت لعبتها الأحاديث والسخرية والضحك حتى يهتز جسمها المترهل . وأنيسها فى البيت قطة بيضاء سمينة تدللها وتعنى بأن تأمر الخدم أن يقدموا لها وجباتها فى أوقاتها . فكلا الأم والابنة من السادة ، والسادة هنا معناها من لا يساوون وزن آذانهم نخالة .

ومن السهل علىَّ أن أمضى فى وصف الفتاة وأمها وأبيها حتى أملأ كل صفحات هذه المجلة العزيزة ، ولـكنى أضن بهذه الصفحات على صورة ضئيلة . ما علينا !

وكانت الفتاة تقضى لياليها وأيامها على برنامج صاخب تطلب منه السعادة ، ولـكنه كان برنامجاً صاخباً زائطاً دائم الحركة ، عنيفاً فى كل شىء ، حتى فى أسماره وضحكه ورقصه ونزهاته . الغداء فى مكان ، والشاى فى آخر ، والعشاء فى فندق كبير ، والسهرة فى ملهى أنيق . وبلغت المسكينة فوق الثلاثين من العمر وما زالت فتاة أو آ نسة أو كما شئت أن تصفها ، ولـكنها لم تجد فى كل من عرفتهم من الشبان من يكون زوجاً . كان من يرضاها لا يقع عندها موقع القبول ، ومن ترضاه لا يرضى بها ، فـكأن الأعشى يصف مثلها عندما قال :

علقتهـا عرضاً وعلقت رجـلا
غيرى وعلّق أخرى غيرها الرجل

وعزمت ليلة على الخروج مع حلقتها من الصواحب والصاحبات ، ولكنها لم تجد فى كيسها ما يكفى من النقود ، فسألت أمها أن تعطيها ما يكفيها ، ولكن الأم لم تعطها شيئاً ، وكانت بينهما خناقة لرب السماء ، ولم تكن الأم فيها أقل براعة فى اختيار ألفاظ السباب التى يعرفها كل من ضلت به قدماه يوماً إلى (حارة بُردق) .

وكان أقسى ما سمعته الفتاة من أمها تعييرها إياها بأنها لم تستطع أن تجد زوجاً وقد بلغت من السن ما بلغت . فدخلت المسكينة إلى الحمام وأغلقته عليها ثم صبت بعض البنزين على جسمها وأشعلت فيه النار . المسكينة ! والله لو اطلع القارئ الكريم على قلبى لوجده يذوب حسرة عليها ورحمة لها ، وإن كان وصفى لها ولأهلها وحياتها أشبه بالقسوة والشماتة . المسكينة !

وأما الحادثة الأخرى فإنها لا تختلف فى ظروفها إلا فى أمر واحد : وهو أن الفتاة الأخرى استطاعت فعلا أن تجد زوجاً ، ولكن أى زوج ! كان يحسب أنه سيجد كنزاً فلم يجد سوى بئر . وكان له أهل يعيشون وحدهم ويمد إليهم يده ببعض النفقة ، فلما عجز عن أن يجد ما يكفى أهله وزوجه فى بيتين منفصلين أشارت عليه الزوجة أن يجتمعوا كلهم فى بيت واحد طلباً للاقتصاد . وهناك قامت القيامة ، ولم تستطع الزوجة أن تتحمل الحياة مع ذلك الزوج الفقير . ولكن أم الفتاة أظهرت لها أنها غير مستعدة لعودتها إليها ، فإنها ما كادت تصدق أنها وجدت زوجاً يحملها عن أكتافها . فلم تجد المسكينة من وسيلة للخلاص إلا أن دخلت هى الأخرى الحمام وأوصدته من خلفها . . . . مسكينة هى الأخرى !

هاتان حادثتان تنطويان على مأساتين سوداوين ، ولكنهما ليستا من نوع نادر الوقوع . وهناك عشرات الأنواع من المآسى السوداء المختلفة بعضها يقع للنساء وبعضها يقع للرجال ، وهى تختلف فى الظروف والتفاصيل ، ولكنها جميعاً تشترك فى وصف عام يجعلها ظاهرة اجتماعية واحدة . فقد كنا من قبل قوماً نعيش فى قمقمنا المحكم ، أو فى جحورنا الضيقة ، وكنا نرضى بذلك الضيق لأنه كان يوفر لنا الهدوء والسلامة من الزحمة ، ولكنا ضقنا بحياتنا المحدودة والتمسنا السعة ، وما زلنا نجاهد حتى خرجنا إلى العراء وإلى الزحمة . والعراء أرحب بغير شك ، والزحمة أكثر صلة بالحياة بغير شك ، على شرط أن نعرف كيف نشق طريقنا فى البراح ، وكيف نجاهد ونحفظ اتزاننا فى الزحام . وهناك شرط آخر وهو أن البراح والزحام لم يخلقهما الله لكى يتمتع الناس أو يأتنسوا بهما فحسب ، بل خلقهما الله لكى يسعى الناس فيهما ويجاهدوا فى الحياة ويطلبوا السعادة فى هذا السعى وفى الجهاد والجد . فهاتان الفتاتان المسكينتان وأمثالهما الكثيرون من النساء والرجال قد خرجوا إلى العراء والزحمة يلتمسون فيهما اللهو وحده ، فوجدوا أنفسهم آخر الأمر عاجزين عن مقاومة ضغط الحرية وتحمل أعبائها . فهم يعرفون بعد الاضطراب الطويل أنهم لا يستطيعون أن يعثروا على السعادة التى ظنوا أنهم يلتمسونها ، ولم يجدوا وسيلة للخلاص من بأسهم إلا بالهروب من العراء والزحام . ولكن إلى أين ؟ لا إلى القماقم والجحور التى لا يطيقونها ، بل إلى الفراغ المجهول والنسيان التام والظلام الدامس .

أسأل الله أن يغفر للمسكينتين ، ولكنى أسأل الله أيضاً أن يفتح أبصارنا وبصائرنا .

محمد فريد أبو حديد

نتائج الامتحانات ودلالتها

للأستاذ محمد بدران

لقد وجه النقد الكثير للامتحانات العامة ومساوئها ، وكان كثير من الناقدين رجالا لهم مكانة عليا في عالم التربية ، نذكر منهم على سبيل المثال العالم الكبير سير رتشرد لفنجستون وكيل جامعة أكسفورد ، فهو يطالب بإلغاء امتحان شهادتى الدراسة الثانوية ، ويقول إن هذا الامتحان يفسد التعليم وأنه مخدر وسم في آن واحد — مخدر لأنه يخدر أعصابنا حتى نرى حسناً ما ينطوى على الكثير من الشر والفساد ، وهو سم لأنه يفسد نظام التربية ويوجهه وجهة غير صحيحة ، وأن ضرره لا يقتصر على التلميذ وحده ، بل يتعداه إلى المعلم الذى يجد جهده وانتباهه يتحولان من ميدان التعلم إلى ضرورات الامتحان . وقد عقد في كتابه « التربية لعالم حائر Educatiou for a World Adrift » فصلا كاملا عن مساوئ الامتحان يجدر برجال التعليم عندنا أن يطلعوا عليه .

غير أن الامتحانات — مهما وجه إليها من نقد ومهما كان فيها عيوب — لا تزال هى المقياس الهام ، إن لم تكن المقياس الوحيد الذى يقاس به تحصيل التلاميذ . وما دام نظام التعليم عندنا يهدف إلى التحصيل قبل كل شىء فلا محيص عن الامتحان لقياس درجته . أما إذا تغير الغرض من التربية فلم يعد تحصيل المعارف هدفها الأكبر أو هدفها الأوحد فحينئذ تنعدم أهمية الامتحان أو تقل .

إذن فالامتحانات شر لا بد منه في نظام تعليمنا الحالى ، وهى وسيلة لقياس ما حصله التلميذ من العلم في مرحلة من مراحل التعليم ومعرفة درجة استعداده لمرحلة أخرى من التحصيل أرقى من المرحلة التى اختتمت بامتحان ما . ولست أقول إنها مقياس دقيق كل الدقة أو صحيح مائة في المائة لهذا التحصيل وذاك الاستعداد .

وإذن فلا تثريب علينا إذا درسنا نتائج الامتحان واستخلصنا منها بعض النتائج مع علمنا بعيوبه وإقرارنا بما فيه من نقص .

وسنخص بالذكر في هذا المقال نتيجة القسم الخاص من امتحان شهادة الدراسة الثانوية . وكنا نحب ألا يغفل المسئولون عن إصدار هذه النتيجة تقليداً طيباً جرى به العرف في السنين السابقة ، وهو تقدير النتيجة برسم بيانى يظهر تقلبها في الخمس السنين الأخيرة ، وبذلك يعرف القارئ ما طرأ عليها من تغيير في مدى هذه الخمس السنين . ولعلهم يتلافون هذا النقص في السنين المقبلة ، وفي جميع أنواع النتائج .

وننتقل بعد هذا إلى أولى ملاحظاتنا عن هذه النتيجة فنقول : إن أهم ما يلاحظ فيها هو الفارق الكبير بين نتائج البنين ونتائج البنات في شعبتى الآداب والعلوم وفي جميع أقسام الطلبة والطالبات : المدارس الأميرية وغير الأميرية والمنازل . وليس هذا الفارق عارضاً أو من فعل المصادفات لأنه عام كما قلنا ولأنه يتكرر في كل عام ، فالنسبة المئوية للناجحين في شعبة الآداب في المدارس الأميرية ٤٦ر١ للبنين و ٦٧ر٥ للبنات ، وفي شعبة العلوم ٥٠ر٤ للبنين و ٦٩ر٦ للبنات ، وفي المدارس غير الأميرية ٤٠ر١ مقابل ٤٤ر٧ لشعبة الآداب ، و ٤٨ر١ مقابل ٥٧ر٥ لشعبة العلوم ، ولعل قلة الفرق بين نتيجتى البنين والبنات في شعبة الآداب في المدارس غير الأميرية راجع إلى قلة عدد المتقدمات للامتحان ، لأن رسوب بنت واحدة يخفض نسبة النجاح تخفيضاً كبيراً كما أن نجاح طالبة واحدة يرفع النتيجة كثيراً . وبهذا يكون أثر المصادفة قوياً في هذه الحال . ومثل هذا أيضاً يقال عن قلة الفرق بين نتيجة البنين والبنات لطلبة المنازل وطالباتها ، بل إنها قد انعكست في شعبة الآداب إذ بلغت ٢٩ر٣ للبنين و ٢٦ر٧ للبنات ، ولكن البنات قد عوضن هذا في شعبة العلوم إذ كانت نتيجتهن فيها ٤٧ر٧ مقابل ٣٨ر٩ للبنين وعوضنه كذلك في النتيجة العامة إذ بلغت ٦٦ر٢ للبنات مقابل ٤٧ر١ للبنين . ولعل أجدر

من هذا بالتنويه عدد المتفوقات فى شعبة العلوم إذ بلغ عددهن أربعاً من تسعة ، أى ما يقرب من النصف فى حين أن عدد الناجحات لا تزيد على السبع .

وليس تعليل هـذا الفارق بالأمر العسير ، فالبنات بوجه عام أكثر جداً من البنين ، وأكثر منهم صبراً ومثابرة ، وأقل ميلا للهو وضياع الوقت خارج البيوت ، ورقابة الآباء عليهن أشد . ولو أن الآباء كانوا أكثر حزماً فى رقابة أبنائهم ، ولو أن الأبناء أنفسهم قللوا من الوقت الذى يقضونه خارج بيوتهم ، وكانوا أكثر انتظاماً فى مدارسهم ، وقللوا من الإضراب وترك المدارس لأضعف الأسباب أو لغير سبب على الإطلاق ، لقربت نتيجتهم من نتيجة البنات .

ومما يلفت النظر فى هـذه الموازنة بين البنين والبنات خلو شعبة الرياضة من البنات عدا طالبتين من منزليهما نجحت منهما واحدة . أما المدارس أميرية كانت أو غير أميرية فهى كما يستدل من النتيجة خالية من شعبة الرياضة . ولسنا نعرف هل سبب هـذا أن كليات الهندسة وما عاثلها من المعاهد الهندسية العليا لا تسمح للبنات بالالتحاق بها أو أن البنات لا يملن إلى الأعمال الهندسية أو يجدن فيها مشقة لا يطقنها .

والملاحظة الثانية التى نستخلصها من هذه النتيجة هى قلة الفارق بين نتائج المدارس الأميرية والمدارس غير الأميرية للبنين وكبر هذا الفرق فى مدارس البنات . ولقد كانت نتيجة المدارس غير الأميرية فى الأعوام الماضية منخفضة كثيراً عن نتيجة المدارس الأميرية ثم ارتفعت كثيراً فى السنين الأخيرة ، بل إنها فى العام الماضى قد ساوت نتيجة المدارس الأميرية أو زادت عليها فى بعض الشعب . ولعل السبب فى هذا هو ما طرأ من التغيير على أحوال مدرسى هذه المدارس واعتبارهم جميعاً موظفين فى وزارة المعارف ، ووجود عدد كبير مطرد الزيادة من خيرة المدرسين فيها ، ثم انتظام أحوال هذه المدارس بوجه عام . ولعل استمرار وجود الفرق الكبير بين نتيجة مدارس البنات الأميرية والحرة يحفز ولاة الأمور فى وزارة المعارف إلى دراسة أحوال هذه المدارس الأخيرة وتقصى أسباب ضعف نتائجها .

والملاحظة الثالثة هى وجود فارق كبير بين نتائج طلبة المنازل وطالباتها من جهة ، ونتائج المدارس من جهة أخرى . ولعل المنطق كان يتطلب العكس لأن المتقدمين إلى الامتحان من منازلهم يكونون فى العادة كباراً فى السن وأقل من طلبة المدارس ميلا إلى اللهو والعبث ، وأكثر منهم إقبالا على الدرس بمحض اختيارهم ، وأكثر رغبـة فى التحصيل . وأكبر الظن أن هذا الضعف يرجع إلى عدم الدراسة المنظمة على أيدى مدرسين صالحين . ولو توفر هذان الشرطان لكانا مع كبر سن طلبة المنازل ورغبتهم فى التحصيل عاملا قوياً فى رفع نسبة النجاح بينهم .

ونلاحظ بعد ذلك ضعف النتيجة بوجه عام ، فمتوسطها العام يقل عن خمسين فى المائة ، أى أن أكثر من نصف الطلبة البالغ عـددهم أكثر من ثمانية عشر ألف طالب يبقون للإعادة إذا استثنينا من سينجحون منهم فى امتحان الدور الثانى ويخرجون فى الغالب ضعافاً يسببون سوء نتائج كليات الجامعات والمعاهد العليا ويشغل الراسبون فى الدور الثانى أماكن كان يجب أن يشغل معظمها طلبة جدد منقولون من الفرقة الرابعة . وليس هذا الضعف مقصوراً على نتائج المدارس الغير الأميرية بل يشملها ويشمل المدارس الأميرية نفسها ولم تـكن الحال كذلك فى السنين البعيدة الماضية حين كانت نتائج المدارس الأميرية تقرب من مائة فى المائة . وفى اعتقادنا أن أهم أسباب هذا الضعف ازدحام حجرات الدرس بالتلاميذ ونظام الملاحق وكثرة الإضراب وعدم إقبال التلاميذ على الدرس . ولعل من أسبابه أيضاً بعض التهاون من المدارس نفسها وعدم اهتمام المشرفين على التعليم ببحث أسباب هذا الضعف وعلاجه . ولهذا كنا نحب أن يضاف إلى البيانات الملحقة بالنتيجة بيان بأسماء المدارس المتفوقة فى نتائجها وبمقـدار هذه النتيجة ، فإن فى هذا تشجيعاً لها هى خليقة به وحافزاً قوياً لغيرها من المدارس .

وهذا ما يتسع له المقام من الملاحظات على نتيجة القسم الخاص ، نرجو أن يكون موضع العناية والدرس من المسئولين فى الوزارة ومن رجال التعليم بوجه عام .

محمد بدران

أرنست رينان

١٨٢٣ — ١٨٩٢

للأستاذ متى إسحق المحامى

عرف القرن التاسع عشر فى أوربا الفيلسوف أرنست رينان ، وهو واحد من نخبة طيبة من الفلاسفة والعلماء والأدباء والمؤرخين والمتمدنين وأحرار المفكرين ، ولجوا كل باب وسلكوا كل سبيل ، غرضهم السمو بالعقل البشرى إلى أسمى مراتب الكمال ، وتحريره من القيود التى صفدته بها الكنيسة حيث كان المرء لا يستطيع التفكير إلا بعقل رجال الدين ، ولا يكتب إلا بما يوحونه إليه ويعتقدون به ، وإلا بدا لهم شاذاً خارجاً عن الدين يستحق التوبيخ والحرمان ، بل عقاب الموت .

على أن البحث العلمى والفلسفى يجب أن يساير التعاليم الإلهية ويوائمها لعدم اختلاف العلم عن الدين فى النتائج ، خاصة التوصل إلى وجود الخالق والعلة الغائية للكون ؛ أما العقائد الأخرى الخاصة بالألوهية فمنبعها الإيمان المحض ومردها إليه نهائياً ، فلا شأن لنا بمن يعتقد بها أو ينكرها ، لأنى لا أزال معتقداً أن أقلام الملحدين مهما قست فى دك صروح هذه العقائد ستعود ملومة حسيرة . وكذلك كان الحال بالنسبة إلى ما كتبه رينان عن شخص المسيح ، فهو رأى شخصى بحت ، وإن كان الرجل ارتكب فى إيراده متن الشطط وأوغل فى الغواية . والحق الذى لا مراء فيه أن رينان موسوعة كبيرة من التاريخ والأدب والفلسفة والعلم والبيان ، فقد توفر لديه من المعارف والعلوم ما لم يتوفر لغيره ، فهو كاتب مطبوع حسن السبك ، قوى الخيال عميق التصور ، إلا أنه شديد التناقض ، كثير المغالطات ، يرسل القول فى بعض الأحايين على عواهنه من غير أن يقيم الدليل على صحته . ومهما يكن من أمر ، فإن ما سطرته براعته من تاريخ وأدب سيبقى جيلا — يقرؤه الناس ويعجبون بحلاوة أسلوبه ومتانة نسجه ولكنهم — لا يجدون بأساً فى نقده وتجريحه من ناحية موضوعه . وقد عملت جهدى فى تبيان هذا الفيلسوف على حقيقته بما اعتمدته من مصادر ، وأرجو أن أكون وفقت إلى ما هدفت إليه فى السطور التالية :

نشأ رينان كغيره من الشكاك فى محيط دينى ، وربى تربية دينية محضة ، لكنه ما أن بلغ الثانية والعشرين من عمره حتى هجر المدرسة التى احتضنته وخرج إلى الدنيا لا يملك من حطامها غير نزر يسير أعدته له أخته (هنرييت) من نفقاتها الخاصة .

ولد رينان فى السابع والعشرين من شباط عام ١٨٢٣ فى مدينة تريغوار على شاطىء بريتانى ، وهى مدينة يشتغل معظم أهلها فى صيد السمك ، ثم تيتم ولم يبلغ الخامسة بعد أن غرق أبوه الذى كان صياداً ، فكفله أمه وأخته هنرييت وهى تكبره باثنى عشر عاماً وكان لكلتيهما تأثير كبير على حياته الخلقية ، حتى أن هنرييت كانت بمثابة أم ثانية له ، وأصبحت عندما شب عن الطوق مشيره الصادق وصديقه الوفى الأمين . وقد ظلت أم رينان على العقيدة الكاثوليكية حتى نهاية عمرها بينما فقدت أخته هنرييت كل ثقة بما وراء الطبيعة بزمن طويل قبل أن تتسرب أهواء الشك إلى نفس أخيها عن عقيدته الموروثة ، ومع هذا لم تقم الحواجز فى طريقه ، ولم تثنه عن طموحه إلى ارتقاء درجة الكهنوت(١) .

بدأ رينان حياته الدراسية طالباً فى مدرسة تريغوار الدينية حيث أظهر ذكاء وبراعة فائقين فى اكتساب المعارف والعلوم وبز أقرانه فى الفلسفة وتعلم اللغة العبرانية حتى صح العزم على إرساله إلى كلية أعلى فى باريس بفضل جهود (دوبانلوب) أسقف أورليانز بعدئذ . وأدخل هناك مدرسة ايسى Essy اللاهوتية ثم مدرسة القديس « سلبس » وأخيراً كلية القديس ستافستاس العلمانية حيث توفر على تجديد ملكة الخطابة ، وفى هذه الحقبة الأخيرة استبد به

(١) مقدمة كتاب حياة يسوع . الترجمة الانكليزية ل أ . د هاول سمث .

الشك وعصف به التردد ، لما لمسه من تناقض جوهرى بين ما درسه فى الفلسفة وبين الإيمان الذى يملأ قلبه ؛ ولكن البحث عن الحقائق العلمية زاد ريبته فكتب إلى أخته هنرييت يقول « إن الفلسفة تثير المرء حقاً لكنها لا تشبع نصف رغبته إلى الحق . إنى مشتاق إلى معرفة الرياضيات » .

وأخيراً خلص إلى عزمه بأنه لا يستطيع الانشاح بالكهنوت أبداً ، وكان السبب الجوهرى فى هذا العزم هو دراسته النقدية للكتاب المقدس فى جو ملؤه الحرية الفكرية . وأول من جذبه من الفلاسفة ريد ومالبرانش ، لكنه عزف عنهما وعكف على دراسة هيكل وكانت وهردر[1] .

كان رينان حلما نزيهاً شديد الخلوص لأساتذته ؛ وقد أحبهم محبة فائقة ، وكم حاولوا ثنيه عن عزمه عندما أعلنه وهو فى الثانية والعشرين من عمره معتقدين أن جذوة إيمانه ستتقد فيه إذا ما بدأ حياته الكهنوتية ، وتفرغ إلى واجباته الروحية . وقد أعانه « دوبانلوب » على سلوك سبل الحياة العلمانية ومنحه شيئاً من المال . وشجعته أخته هنرييت على اجتياز الخطوة الأخيرة ، فأرسلت له خمسمائة فرنك يستعين بها ريثما يجد له عملا ، فوصله المبلغ قبل أن يعمل حاجباً فى مدرسة كروزيه Crouzet للبنين مدة طويلة ، وهناك توطدت عرى الصداقة بينه وبين « برتلو Berthelote » الكيماوى الشهير ، وكان هذا فى الثامنة عشرة من عمره آنذاك . . . . كان رينان لا يشتغل إلا فى المساء فوجد متسعاً كبيراً من الوقت أثناء النهار للانكباب على المطالعة والدرس بفهم شديد . وفى عام ١٨٤٩ أوفدته الحكومة الفرنسية إلى إيطاليا بمهمة علمية ، وفى أوبته نال وظيفة فى « البيبليوتيك ناسيونال » فاستطاع بما كان يحصله منها مضافاً إلى ما اقتصدته هنرييت أن يدفع غائلة الجوع عنهما وحفظ حياتهما . وفى عام ١٨٥٢ نشر مؤلفه القيم عن ابن رشد فيلسوف الإسلام فى العصور الوسطى ، جمع مواده من إيطاليا فنال لأجله شهادة الدكتوراه وأضفى ذلك عليه شهرة عريضة وأظهره للناس مفكراً ألمعيا بعيد الغور وتزوج بعد ذلك بسنتين . وفى عام ١٨٥٩ نشر تراجم جديدة لسفرى أيوب ونشيد الإنشاد مع التوراة مع تعليقات وشروح كثيرة .

وفى هذه الآونة خلا كرسى اللغة العبرانية والكلدانية فى الكوليج دى فرانس ، فرشح رنان نفسه له ، وكان طبيعياً أن يناهضه الكاثوليك مناهضة عنيفة يشد أزرهم الامبراطور نابليون الثالث وزوجه أوجينى ، وهما على عرش فرنسا يومئذ ، وكان الإمبراطور مضطراً إلى ممالأة الكاثوليك ، وهم الغالبية القوية من رعاياه ، ولكنه كان مع ذلك لا يخفى إعجابه برنان ولم يتقاعس عن مساعدته فأنفذه فى بعثة أثرية تنقيبية إلى سوريا .

أبحر رنان إلى الشرق تصاحبه هنرييت التى كرست نفسها لخدمته ، فألقى مراسيه أولا فى بيروت ثم لحقت به زوجه بعد بضعة أشهر ، إلا أن واجباتها العائلية ألزمتها بالرجوع إلى فرنسا فى الصيف التالى ، ومكثت هنرييت إلى جانبه تشاطره أبحاثه وتنقيبه عن آثار الفينيقيين . وفى شهر تموز من عام ١٨٦١ أنهى رنان عمله فزار مع أخته لبنان الأعلى وبدأه بوضع مسودة كتابه « حياة يسوع » ، وكانت أخته تسطره بيدها صفحة صفحة . ورجع الأخوان إلى بيروت ليتهيآ لرحلة أخرى إلى قبرص حيث تنتهى البعثة ، ولكن الوقت كان ملائماً للتنقيب فى خرائب (جبيل) بيبلوس القديمة عاصمة الفينيقيين فى أرض أدونيس موئل الخرافة . وفى بيبلوس وقع الأخوان أسيرى حمى عنيفة قضت على أثرها هنرييت ودفنت هناك ، وقفل رنان إلى فرنسا مكلوم الفؤاد ونشر تقريراً ضافياً عن البعثة عام ١٨٦٤ بعد أن فجر قنبلته المدوية فى العام الذى سبقه بنشر كتاب (حياة يسوع) . وقبل أن يقوم رنان بنشر معظم تآليفه كان قد حاز كرسى الأستاذية فى اللغات السامية وأخصها العبرانية فى جامعة باريس ، وقد خلا بموت المسيو « كواترمير » الذى تتلمذ له رنان . واشتعل الكاثوليك غضباً وحام الشك حول الأستاذ الجديد حتى من الأحرار أنفسهم ، لأنهم أنسوا فيه ميلا إلى الحكم الإمبراطورى ، وتمت مراسيم دخوله الجامعة وصبر القوم على مضض ، حتى انطلقت القذيفة الكبرى بصدور كتابه حياة يسوع وإشارته إلى المسيح بأنه لا يزيد على أن يكون إنساناً عظيما . فتعالت ضجة الكاثوليك لما تنقصه رنان من منزلة المسيح ، ولم يكفوا حتى أقيل من منصب الأستاذية بعد أربعة أيام وكان راتبه قد صرف له ومكث عامين يعلم العبرانية فى بيته للراغبين من التلاميذ . وبصدور هذا الكتاب امتنع الأمل عن رنان فى رجوعه إلى منصبه ، غير أن الوزارة

---

(١) الموسوعة البريطانية مجلد ٢٣ ص ٩٣

الفرنسية عرضت عليه منصبا فى البيليوتيك أمبريال ، فرفضه بإباء وشمم . وظهرت بعد حياة يسوع كتبه عن الرسل وعن الأناجيل الأربعة والجيل المسيحى الثانى والقديس بولس والكنيسة المسيحية ، وأخيراً عن مرقص إريليوس ولعل أوفر الكتب السالفة مادة وأحسنها كتابة « مرقس أوريليوس » الذى انحدر رنان بقصته حتى الربع الأخير من القرن الثانى ، لأنه قل من كتب بهذه الحذاقة الفائقة والتحليل الرصين عن حياة المسيحيين والوثنيين العقلية والاجتماعية فى أيام آخر امبراطور رواقى كما كتب رنان .

ويدل مصنف رنان « دراسات جديدة فى التاريخ الدينى » المجموع عام ١٨٨٤ على دقة بحوثه ، فقد تضمن الكتاب السر فى استشهاد الحسين (ع) ونشوء الخرافة عن بوذا وترجمة حياة القديس فرنسيس الأسيسى . ويدل كتابه عن تاريخ بنى إسرائيل الذى نشر ما بين ١٨٨٧ — ١٨٩١ على طول باع رنان فى معالجة مواضيع العهد القديم بنفس المهارة والحذق الذين عالج بهما العهد الجديد .

ومن كتبه الأثيرة لدى النفوس « أيام صباى » ، وقد صادف هوى لدى القراء لما لمسوه فيه من صراحة وصدق ، ولما أكبروه فيه من صراع نفس معذبة تاعسة تشق طريقها فى زحمة التقاليد والجمود ، لتصل إلى المنبع وتغترف منه ما يبل أوامها من الحق الصريح وإن قامت الدنيا بوجهها .

ظهر كتاب « حياة يسوع » فى بلد يقيم للعقيدة المسيحية الجوهرية وزناً ، ويعرف عن المسيح غير ما يعرفه الغرباء ، ويرى فيه نبياً صادقاً ، بل معلماً رفيعاً ، بل إلهاً ، فلا عجب أن يثور الكاثوليك المتحمسون على رنان وأمثاله من الذين يرون فى المسيح إنساناً فذا يفوق غيره بما يتمتع به من شخصية عبقرية قوية . وهبت العاصفة وعنفت سورتها ، لكن رنان لم يكترث للنقد المرير الموجه إليه ، بل ظل كعادته هادئاً وادعا حتى عبرت العاصفة بسلام . والمطلع على ما كتبه رنان فى مقدمته لهذا الكتاب ، لا يعجب إذا كان كتابه قليل الحقائق التاريخيـة والتدقيقات الانتقادية ، ومشحوناً بالصور الخيالية والآراء الوهمية[1] بل المتناقضات المفظعة ، فانظره يقول : « رسمت هذه بما يمكن من السرعة فى بيت

(١) أعلام المقتطف عدد سبتمبر وأكتوبر لسنة ١٩٢٥ ص ١٤٠ .

من بيوت الموازنة وحولى خمسة أو ستة كتب . . . . فإن المشابهة الشديدة بين الأماكن التى حولى وما جاء من الوصف فى الإنجيل والاتفاق الغريب فى صورة الإنجيل الجبالية والمناظر التى كانت بمثابة الهيكل لهذه الصورة ، كل ذلك كان كوحى هبط علىّ ، أو كان إنجيلا خامساً انفتح أمام عينى ، وهو مقطع وممزق ، ولكنه لم يزل مقروءاً ، ومن ثم رأيت صورة إنسان حقيقى بالغ حد الجمال ، ومملوء من الحياة والحركة ، وذلك بإرشاد بشارة متى ومرقس بدلا من أن أرى الشخص المجرد الذى قلما يرى الإنسان مندوحة عن الشك فى وجوده ، فرسمت تلك الصورة التى رأتها بصيرتى ، فكان منها هذه القصة » . . . فهو بهذه العجالة التى تلمحها فى المقدمة يرى أن حياة المسيح كما هى مذكورة فى الأناجيل الأربعة حقيقة تاريخية ، لكنه لم يرفها شيئاً فوق الطبيعة ، وأقر بأنها كتبت فى القرن الأول المسيحى ، ولكن كان يصفها بأنها كثيرة اللغو والخطأ ، ولا ندرى كيف توصل رنان إلى معرفة اللغو والخطأ فيها وما هى هذه الأخطاء . فهو إلى هذا الحد ضعيف الحجة واهن الرأى ، همه الوحيد أن يكتب القصة ليشبع رغبته إلى الكتابة غير معنى بمناقشة موضوعها . والحقيقة أن ما ارتكبه رنان من التناقض والشطط فى كتابه الآنف الذكر يجعل كلمة الأستاذ « كرستلب » فيه آية ذهبية إذ يقول عنه : « إنه خليط من الإبداع والتخريف والاستحسان والاستهجان »[1] .

توجه النقد إلى رنان من فريقين أولهما : أحرار الكفر من اللاهوتيين البروتستنت ، إذ عابوا عليه النقص فى دقة تطبيق مبادئه النقدية ، ومع هؤلاء يجد رنان نفسه فى صعيد واحد فهم يبدؤن مثلما بدأ ، ولكنهم يختلفون عنه فى تطبيق هذه المبادىء ، وثانيهما رجال الدين والمتحمسون من الكاثوليك الذين اتخذوا الكتاب المقدس قاعدة لهجومهم ، واعتمدوا على الوحى الذى ينكره رنان .

إن قصة رنان عن المسيح لا تعوزها المتانة والحبك ، ولكنه أخفق فى أن يقدم لنا شخصية تستحق أى احترام عظيم ، فقد أحس حقيقة بأن المسيح لم يكن محبوباً فقط ، بل كان يستحق العبادة والتقديس ، فما الدافع لهذا الشعور يا ترى . . إنها تربيته الكاثوليكية التى أملت عليه هذه

(١) دنيا وأديان للدكتور نقولا فياض ص ٦٨ .

الصورة العقلية ، وليس بحثه العميق الهادىء عن الحقائق التى حسبها دراسة نقدية لجوهر العهد الجديد .

ولم يكتف رنان بإنكار الوحى ، بل أنكر المعجزة أيضاً ؛ ففى نظره أن المعجزة لا يمكن أن تحدث ، لأنها خارجة عن نطاق العلم ولذلك فإن أعاجيب المسيح لا أساس لها . فرنان إذن على كثرة تناقضه ووفرة ريبه من أشياع العلم الوضعى ، فهو شديد اليقين به ؛ ومن هنا جاءت فكرته فى مناهضة كل ما ينافى العلم . ففى كتابه « مستقبل العلم » بنى كل آماله على العلم فى تحديد التربية والأدب والسياسة والاجتماع ، وإقامة بنيان وطيد للعدالة بين الناس باتحاد العلم والديموقراطية[1] . غير أن الكتاب بقى مطوياً ، ولما أراد طبعه بعد أربعين سنة برزت أخطاؤه ظاهرة أمامه ، ولكنه لم يظهرها للناس بل اكتفى بالابتسام ، وقال بأنه تردد كثيراً فى نشره لئلا يصطدم بأرباب الذوق .

كان رنان يفتش عن الحقيقة ومهمة العلم هى معرفتها ، لا تحقيق « المثل الأعلى » لأن الحقيقة واحدة ، أما المثل الأعلى فيختلف باختلاف كل فرد ، ولكن خاب فأله لأن نتيجة بحثه كانت « أن العلم لم يحقق آمال البشر وأنه قاصر بعد عن استكناه الغوامض والإجابة على الأسئلة المضطربة فى عقل كل مفكر . هل للحياة غاية ؟ وهل فى الوجود فكرة أدب ؟ وهل يتمشى الإنسان إلى غاية أسمى . . ولم الحياة . . ولم العذاب . ولم الموت . . إلى هنا ينفض رنان يده من العلم ويتهرب من الحقيقة ويقلع عن مهمته فى إصلاح الناس ، فقد كان الرجل يبحث عن مفتاح السر الأعظم ، وهو يعلم أنه لن يجده إلى الأبد ، لكنه كان حلما تاما وهو هنا يختلف عن تولستوى الذى وجد ضالته ، بل حل مشكلاته فى الإيمان الذى توحى به النفس ، بل يهبط عليها من مكان أسمى .

ومن جملة مناقضاته أنه يرى فى التاريخ مجموع افتراضات ، والافتراضات كما هو معلوم تتجدد دائماً ، إذن فكتابه حياة يسوع يشيخ من يوم إلى يوم ، لأن ما سرده فيه مجرد افتراضات وهذه قابلة للتجديد ، ولكن مع هذا فلا نستطيع إنكار سحر أسلوبه وحسن إنشائه وقوة بيانه ، فهو يستحق القراءة كسفر بليغ وليس كسفر تاريخى .

(1) أناتول فرانس فى مبادلة ترجمة الأمير شكيب ارسلان ص ٦٩ — ٧٠ .

ومما يؤخذ على رنان شدة يقينه بالعلم مع اعتقاده بإفلاسه . وفى هذا يقول أناتول فرانس عنه « لقد كان أكبر ممثل للقصص العلمى[1] الذى تعلقت به آمال الكثيرين من بنى عصره وهى فتنة كريمة فى نفسها لكنها لا تخرج عن تبدل الخيال بالخيال ، فإن العلم ليس إلا صورة من صور جهالاتنا وهى أحسن الصور التى نعلم بها أننا لا نعلم ، فالعلم لسوء الطالع لا يقدر أن ينشر شعاعه إلا على العالم الذى نحمله فى أنفسنا ، وهو العالم الوحيد الذى يقع تحت حواسنا ، أما العوالم التى نجهلها والتى تحيط بنا ، فستبقى أسرارها غامضة علينا إلى الأبد ، فالعلم لا يزيد على أن يكون جانباً من أوهامنا والسلام » .

ويؤخذ على رنان أيضاً أنه أراد دحض المعجزة من جهة التجربة والعلم ، وليس هنا بيت القصيد وهنا يعاق فرانس على آرائه قائلا : إن المعجزة ليست معجزة إلا بكونها تخرق عن قانون العلم ولا يمكن تعليلها ، وليس من العدل إنكار وجود الظل لأنه يغيب بمجرد انتشار النور . وبعد فقد يكون إنكار العلم للمعجزة بسبب كون العلم ناقصاً ، ورب وجد فى الماضى علم يعين على بعض الحيل التى ترى الشىء بغير صورته ثم اندثر هذا العلم ، فلسنا نعرف اليوم عنه شيئاً وضرب لذلك مثلا تحول الحشرات الذى قد ينشأ من جهل ناموسه عدة من المعجزات . فالدودة التى تصير فراشة يوقع شأنها الناظر فى الحيرة ، حتى يتفهم الناموس الطبيعى فى هذا التحول . ولنفرض أنه بعد ألف سنة انقرضت مدنيتنا الحاضرة وليس ذلك بعجيب نظراً لتزيد الغباوة يوماً فيوماً ، و[illegible] أحفادنا بأنه فى الماضى (أى اليوم) كان آباؤهم يتكالمون من باريس إلى نيويورك بسلك من معدن ، فلا شك أنهم يحسبون الخبر خرافة فيكون أحفادنا على هذا التقدير مخطئين ، مع أن هذه الأعجوبة الكهربائية صارت اليوم غير عجيبة »[2] .

ومن العجيب أن يهاجم فيلسوف ناضج كرنان أعاجيب السيد المسيح من غير أن يورد تبريراً لهجومه ، فهو يدعى مثلا أن السيد المسيح أقام لعازر من القبر بحيلة رسم خطتها بمعونة مريم ومرتا أختى لعازر ويقف عند هذا الحد

(1) أناتول فرانس فى مبادلة ترجمة الأمير شكيب ارسلان ص ٦٩ و ٧٠ .

(2) نفس المرجع السابق .

مع الفكر الأوربي المعاصر

للأستاذ مبارك إبراهيم

ولى عهد . وملك . ودوق

أو قصة ملك

كتاب من تأليف دوق وندسور

"A King's Story" by
"H.R.H. The Duke of Windsor"

قيل فى التعليق على هـذا الكتاب إنه كتاب يجب أن يقرأه كل من شهد الزمن الذى أعقب الحربين العالميتين . فأولئك الذين عاشوا بعـد الحرب العالمية الأولى سوف يذكرون ذلك الزمن الذى كان فيه وليّ العهد مطمح أنظار الإمبراطورية كلها . وسوف يذكرون ذلك العهد الذى كانت فيه بريطانيا تتزعم العالم . ويوم كان ملك إنجلترا هو أيضاً إمبراطور الهند . وسوف يذكرون تلك الرحلات الشاقة الطويلة التى كان يقوم بها الأمير سفيراً لدولته وأبيه لدى الممتلـكات المستقلة والمستعمرات . ولدى دول الأمريكتين . وهى رحلات سجلت للأمير ولى العهـد نشاطاً لا يهدأ .

وسوف تجد الأجيال الناشئة التى لا تعرف « الدوق » إلا رجلاً جوّاب آفاق . لا يعرف له بيتاً إلا الفندق ، وإلا بيت الـكراء . ولا يعرف إلا التنقّل من « باريس » و « بيارتز » إلى « نيويورك » أو « بام بيتش » (فى فلوريدا) سوف تجرى تلك الأجيال أحاديث من التاريخ فيها العبرة ، وفيها الفائدة . والـكتاب بطبيعته يقص قصتين : قصة « ولى العهد » وقصة « الملك » . و عنـد ما يفرغ القراء من قراءة القصتين سوف يحمدون للملك إدوارد الثامن عقده العزم — فى واقعة لا تحيد و لا تميد — على التخلص عن العرش فى ساعة قد كان يمكن أن تجعل « الملـكية » مسألة من المسائل التى تدور عليها الانتخابات البرلمانية .

الاتهام ، فلايعرفنا كيف كانت الحيلة وكيف حصلت ، وكيف رسمت خطتها ، وكيف غفل عنها مئات من الحاضرين الذين عرفوا لعازر وهم دفنوه بأيديهم قبل أربعة أيام . كل ذلك يقوم دليلا على تفاهة حجة رنان وضعف تهمته .

وبعد صراع مرير مع أهوال الحياة من جوع وحرمان وأعداء غلاة فظاظ ، قاربت حياة الفيلسوف نهايتها ، وقبل موته (بأربع ساعات) فتح عينيه وخاطب زوجه قائلا : لماذا أراك حزينة فقالت . لأنى أراك متألما فقال . . اصبرى وسلمى فإنه لا بد لنا من الخضوع لنواميس الطبيعة التى نحن من مظاهرها ، فإننا نهلك ولـكن السماء والأرض تبقيان ، وتكر الأيام والسنون إلى أبد الدهور (١) . قال ذلك ولم يعد يبدى شيئاً إلى أن فاضت روحه ، ولم يعقب غير ابن مصور تمذهب بالمذهب البروتستنتى وابنة تزوجت برجل يونانى .

وكثرت الأقوال بعد موته بين مدح وقدح ، فمنهم من اعتبر موته مصيبة وطنية بل مصيبة للبشرية جمعاء ، وامتدح أساليبه فى الـكتابة وعده من فطاحل التاريخ والأدب ، ومنهم من قال بأنه كان عدو الله والناس ، وأن كتاباته مجموعة من المبالغات المحـكمة ، والمناقضات المضحكة ، والتشبيهات البعيدة ، والتبذل والسفاهة . ومنهم من أوغل فى عذله والتشهير به ، فقال إن فى فرنسا عدداً من المفسدين الرخص لهم بالإفساد وكان رنان بالأمس أشهرهم وأشدهم ضرراً .

وأرانى بعد أن انهيت من هذه الـكلمات اليسيرة عن هذا الفيلسوف قائلا : إن ما يكتبه المرء من نتاج القريحة وفيض العلم والأدب والتاريخ هو ملك الأجيال ، وهو بعد حرى بالنقد النزيه الخالى من الغرض ، فما أراه قبيحاً غثاً فى أفـكار رنان وكتاباته قد يراه غيرى جميلا دسماً ، ولـكن الحق على كل من بحث رنان أن ينحى لحبته للعلم ، ويكبر فيه روح البحث ، ويترك آراءه فى الدين واللاهوت للقوى العلوية وللأجيال المتعاقبة لتنطق فيها بحكمها .

متى اسعد المحامى

(١) أعلام المقتطف سنة ١٩٢٥ عدد سبتمبر وأكتوبر .

والكتاب قد نشر فى أمريكا قبل أن ينشر فى إنجلترا ، ولكن الطبعة التى نشرت فى بريطانيا قد حذف منها بعض ما تقضى الحكمة بحذفه .

والدوق فى مقدمة كتابه ينبىء قراءه أنه مدين فى تأليف كتابه لأناس كثيرين . ذلك لأنه لم يكن فى يوم من أيامه كاتباً محترفاً .

وهذا القول من « الدوق » يؤيده ذلك الأسلوب السهل الذى جرى عليه فى رسائله ويومياته . وهى رسائل ويوميات تذكرنا غالباً بالرسائل واليوميات التى يكتبها تلاميذ المدارس ، كما يؤيده الإكثار من علامات التعجب التى يرمى بها إلى تأييد آرائه .

والكتاب على الرغم من هذا هو من صنع يد « الدوق » ، وإنك لترى آثار عنايته فى كل صحيفة من صحائفه . وحتى إذا أراد الاستعانة بآخرين على تقييد آرائه ، فإن آثار شخصيته ، بل آثار حبه وكرهه ، بل آثار فكاهته ومرحه تبدأ واضحة تنبض بالحياة .

والفصول الأولى من الكتاب تحدثنا حديثاً فاتناً خلاباً عن تعليم أمير ولد فى السنين الأخيرة من حكم « الملكة فكتوريا » ، وقد نثر فيه ذكريات كثيرة عن العصر الأدواردى الذى عُرف بالبذخ والترف .

وهو يذكر أن أمه الملكة كانت تعنى أشدّ العناية بتربيته وأنها كانت تقضى مع أولادها كلّ وقت يفيض عما تقضيه فى أداء واجباتها الرسمية . وهو يذكر أنّ أباه الملك « جورج » لم يكن فى معاملته الصارمة لأولاده أشد صرامةً من آباء آخرين كانوا — فى الأعم الأغلب — عنواناً على الطرازين « الفكتورى » و « الإدواردى » .

والملك جورج الخامس يبدو فى نظر ولده رجلاً تربى فى الأسطول تربية عسكرية . فهو متزمت فى حياته الخاصة وفى عاداته . ديدنه الاستقامة ؛ والإحساس بالمسئولية الأدبية وطابعه العناية أشد العناية بشئون بيته .

والملك جورج الخامس كان يخشى والده . كما كان الملك إدوارد السابع يخشى أمه . وكان الملك « جورج » يظن أنّ أولاده سوف يخشونه .

وهو فى حديثه إلى ولى عهده كان يحاول دائماً أن لا تنمّ كلماته على الحب العميق الذى كانت تفيض به سطور رسائله .

وكان حرص الملك على أداء واجباته فى أوقاتها ، ودقته البالغة فى مختلف مراحل حياته ، وإخلاصه للواجب ، ورغبته فى مقاومة اتجاهات الجيل الجديد بقدر المستطاع . كل أولئك كان يجعل صدر ولى العهد ضيقاً حرجاً فى كثير من الحالات .

وكان الملك يلعب لعبة الكريكيت مع أولاده . وكان معنياً العناية كلها بأن يتعلموا الفروسية والرماية .

وكانت له آراؤه الخاصة فى الطُّرُز والأزياء . وكان يكره التجديد ، حتى إنه كان يبغض أرجل السراويل المقلوبة . وحتى كان ولى العهد يحتفظ دائماً — وهو صغير — بزوجين من السراويل غير المقلوبة الأرجل ليرتديهما كلما دعى للقاء الملك .

وكان رأى الملك فى السلوك العام للجيل الذى ينشأ فيه ولىُّ عهده رأياً يفيض بالذم . وطالما أدى إبداء هذا الرأى إلى إثارة ضروب من الجدل .

وكثرت شكوى الملك من ولى عهده بشأن ما يحفّ بحياته المنزلية من صعاب . كما كثرت الشكوى من أنّ الملك فلا يستطيع التفاهم مع ولى عهده .

واليوم يقرر الدوق أنه قد بدأ الآن يفهم آراء أبيه أحسن من ذى قبل . وأنه يرى نفسه — وملء برديه العجب — تقف من النشىء الحديث موقف والده منه فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

وفى ثنايا قصة ولى العهد يشهد المرء طابعاً مميزاً من السعادة لأسرة تقوم على إسعادها ملكة رؤوم ذكية ، لا تنى أبداً عن أن تمد يداً لتخفيف المتاعب والهموم .

والشخصان البارزان فى مستهل حياة ولى العهد هما رائده « مستر هانسل » وخادمه « فنش » . وكلاهما لم يكن سعيداً فى خدمة الأمير . ذلك لأن سموّه كان كما يقول الخادم : شخصية صعبة القياد .

وكان مستر هانسل مسئولاً عن متابعة الأمير دروسه فى جامعة أكسفورد . ولكن فاته أن يقنع الملك أن يرسل

ولى عهده إلى مدرسة إعدادية أولاً . ولذلك فقد كان الأمير يبدو أصغر سناً من لداته فى أكسفورد .

ومن الحكايات المثيرة التى تروى عن رائد ولى العهد أنه كان يصعد كل صباح إلى قمة جبل بالقرب من سندرنهام ويبقى وحده فوق الجبل مطلاً على الأرض الفضاء عدة دقائق . فلما سئل فى هذا قال : إنّ ما أفعله هو الحرية عندى ! .

ومن المحتمل أن هذا الجواب لم يكن مفهوماً لدى ولى العهد يومذاك . ولكن من الجائز أن يكون قد فهم ما كان يعنيه رائده بعد أن تصرمت السنون . وقد تخلى عن ملكه وطفق ينظر من مقره بقصر « فورت بلفيدير » إلى بلاد القارة الأوروبية .

وكان مستر هانسل أيام كان قائماً على خدمة الأمير قد صحبه إلى فرنسا حيث أمضى الأمير أربعة أشهر قبل ذهابه إلى أكسفورد ولو أن معرفته بالفرنسية لم تكن يوماً ما أحسن من معرفته بالألمانية أو الأسبانية .

وقد صور المصورون الهزليون الأمير ورائده راكبين عربتهما وسائرين فى تماشى حدائق الشانزليزية . وكان الرائد مديد القامة ، وكان رجلا بليداً . وكان الأمير لا يزال فتى صغير السن والجسم . وكتبوا تحت الصورة نكتة جادت بها قريحة « سير فرنسيس برتى » سفير إنجلترا فى باريس وهى « كثير من هانسل . وقليل من جريتل » . .

وكان الأمير يرتاد البلاد الفرنسية متخذاً لنفسه اسم « إرل أف شستر » . وفى عام ١٩١٩ صحب والده وأخاه (الملك چورج السادس) إلى باريس . وكانت هذه أول زيارة لتلك المدينة من ملك حليف منذ عقدت الهدنة فأحسنت العاصمة الفرنسية لقاءهم . وكان لظرف الأمير ومرحه الفطرى أثر باق لدى الساسة ، ولدى رجال الحرب الفرنسيين . وقد أحبه الجمهور الفرنسى حباً بالغاً .

وفى ساعة من ساعات الشباب كتب الدوق يقول : « وددت لو لم أكن أميراً » ، وقد ظل هذا شعاره طوال أيام حياته . فقد كان يميل دائماً إلى أن يعامل معاملة شخص عادى . كما كان يبدى امتعاضه من نقص الحرية الشخصية فى حياة الأشخاص الرسميين .

وهو يكشف فى كتابه هذا الذى جعل فيه حياته كلها بادية للعيان عن ألوان من الخصائص والسجايا . فبينما هو يرغب فى الاحتفاظ بمزايا الحياة الخاصة إذا به يطرب بحب الجماهير له وبهتافها باسمه هتافاً حماسياً .

وهو يعلق على هذا بقوله : « إنه كان يحب عيش الانطلاق والاندماج مع أصحابه بشرط الاحتفاظ بوقاره ، وسمو مكانته ، وبشرط التقليل من قيود الرسميات .

وكثيراً ما كان يتهكم على أنه مجبر على الوقوف بعيداً عن السياسة الحزبية ، وقد مرت به لحظات — يوم كان ولياً للعهد — كان فيها لا يتوانى عن انتقاد وزراء صاحب الجلالة فى عبارات لا لبس فيها ولا غموض ، ناسياً أنهم على مدى السمع منه . ولقد نصح له والده أكثر من مرة بأن لا يتحدث أبداً إلى الجماهير فى مسائل يدور حولها الجدل دون أن يستشير حكومة صاحب الجلالة .

وقد كان الأمير دائماً دقيق الإحساس ، يألم لآلام الآخرين . وكان يكره أن يرى نفسه غير قادر على إسداء المعونة الفعلية وأنه مجبر على أن لا يفعل شيئاً غير إبداء المقترحات .

وقد بدت نفسه على سجيتها يوم زار — أيام الحرب العالمية الأولى — جناحاً من أجنحة مستشفى عسكرى كان كل من فيه جنوداً أصابهم العمى . وقد ألقى نفسه مغلوباً على أمره بعدم استطاعته التحدث إلى أولئك الرجال .

كما بدت نفسه على سجيتها يوم تقدمت به السن وزار فى إحدى الليالى نادياً للصبية فى الحى الشرقى من لندن ورأى ما أثار اهتمامه . ثم بدل ملابسه . وذهب إلى مرقص أقيم فى بيت من بيوت العظماء فى لندن . ولقى صديقاً من أصدقائه لدى الباب . وما أن ألقى نظرة على مشاهد الجمال حتى قال لصديقه : « ألك فى جولة معى فى أنحاء المدينة ؟ » إننى بعد الذى شاهدته وسمعته الليلة لأعرف أن هناك تبايناً كبيراً . وهو ما لا أستطيع أن أواجهه . وسأكتب غداً خطاباً إلى مضيفتنا . وكثيراً ما يشير الأمير إلى كراهته للرسميات . وكان دائماً يقول إنه لم يكن أبداً سعيداً بالإقامة فى قصر « بكنجهام » .

ولما ألحق بفرقة الحرس الرماة قال معلقاً : لقد نجوت

من أسر ذلك القصر المخيف الذى قضيت فيه أسوأ أيام حياتى !

ولقد هاج هائج الأمير وثار ثائره يوم أبدى لورد كتشنر الرغبة فى منعه من الذهاب إلى ميدان القتال خوفاً عليه من أن يؤخذ أسيراً .

ولما كان فى فرنسا حاول أن يخالف عن أمر أبيه برفضه لبس شارة نيشان « اللجيون دونير » وشارة نيشان آخر كان قد أنعم عليه به قيصر روسيا .

وكان الملك جورج يقول دائماً لولده إنه لابد لمن كان ولياً للعهد أن يصطنع له أصحاباً تبقى صداقتهم على الزمن . ذلك أنه عندما يصبح ملكا فلن يكون فى استطاعته أن يصطنع أصحاباً جديدين .

وكان ولى العهد يكره دائماً أن تمس بالنقد حياته الخاصة . وحدث مرة أن طرد واحداً من رجال الحاشية لأنه تطفل فقدم للأمير نصيحة لم يطلبها منه أحد .

وقد قيل إنه لما أبدى « سير فريدريك بونسونبى » أحد رجال حاشية الملك جورج رأياً مؤداه أن النظام الملكى يجب أن يقوم على منصة مرفوعة الأركان . وأن ولى العهد يجب أن لا يجعل من نفسه شخصاً يسهل الاتصال به ، جاءه الرد من الأمير يقول : لست أقر هذا الرأى . .

وفى أثناء رحلاته حول الامبراطورية كان الأمير يبدو على سجيته وكان يحيط به رجال هم ممن أوحى هو باختيارهم .

والنجاح الكبير الذى لاقته تلك الرحلات يرجع الفضل أكبر الفضل فيه إلى شخصية الأمير وإلى تحمسه الذى أصابت عدواه رجال حاشيته .

وقد كان يبدو عليه دائماً أنه سعيد بتلك الرحلات . وأنه يهتم الاهتمام كله بما تتطلبه الرحلات من جهود على الرغم من تبرمه بالمضايقات التى تسببها له الاستقبالات الرسمية . وحفلات الحدائق ، وفرط تأنق الجماعات الإنجليزية الهندية .

ولما عاد إلى بلاده بات عسيراً عليه أن يوفق بين نفسه وبين حياة البلاط . بل بين نفسه وبين الحياة العادية فى إنجلترا .

وفى السنين الأخيرة من حياة الملك « جورج » كتب « الدوق » يقول إن صراعاً كان يقوم فيما بينه وبين نفسه ، وإنه لن يهدأ باله حتى تبطل أسباب ذلك العراك . فقد نظر فرأى إخوته مستقرين سعداء فى حياتهم الزوجية ، بينما حياته هو الخاصة تمضى وهى مليئة بالإحساس بالنقص وبعدم الرضى .

وكان الأمير قد عقد العزم على أن لا يتعجل فى أمر الزواج لأن مجال اختياره كانت تقيده القيود . وذلك لأن الاميرات اللائى على المذهب البروتستانتى كن قليلات بعد الحرب العالمية الأولى ، وحتى اللائقات منهن كن لا يرقن فى عينيه .

وفى الأعوام التى انقضت بين الحربين العالميتين كان يبدو عليه أنه فى أوج السعادة وهو فى صحبته نساء متزوجات وفى وسط جماعة صغيرة من العالم اللندنى المرح الأنيق . وقد ظلت هذه البطانة فى صحبته يوم أصبح ملكاً .

ولم يلق ملك من الملوك ما لقيه الملك « إدوارد الثامن » يوم أوتى الملك من ترحيب بالغ . تستوى فى ذلك الإمبراطورية كلها . والصحافة . والبرلمان . وقد اعتلى العرش تحف به قلوب تفيض بالحب ، هى قلوب رعاياه كلهم ، إذا استثنينا بضعة أفراد كانوا يعرفون أنه قد وقف حياته على أمل من الآمال التى يحوطها الكتمان .

وسرعان ما بدأت الصحف الأمريكية والأجنبية شروحها وتعليقاتها . بل سرعان ما بدأت غمزها ولمزها . وبات الجمهور قلقاً . وقال المرجفون والمصدقون بالخرافات : إن الصليب كان قد سقط عن تاج الملك « جورج » أثناء الجنازة .

وسرعان ما ألفى الملك « إدوارد الثامن » نفسه وقد بعدت الشقة . وانفرجت مسافة الخلف بينه وبين رئيس أساقفة كنتربرى . فقد أبدى الملك استياءه مثلا يوم علم أن أباه كان قد بحث مسائل حياته الخاصة ومسائل سلوكه الشخصى مع رئيس الأساقفة . ثم حاول أن يقطع ما أمرت التقاليد به أن يوصل . فساءت العلاقات بين الملك وبين محافظ لندن . وبينه وبين رجال لهم مكانتهم . حتى لقد قالوا عن رفض الملك مقابلة هؤلاء الناس منفردين بأنه « قرار غير موفق » .

وفى حفلة افتتاح البرلمان حاول الملك أن يحذف التصريح الذى يؤكد دفاع التاج عن المذهب البروتستانتى .

وقد اتضح من مذكرات الملك أنه كان يريد أن يكون ملكاً دستورياً ولكن طبقاً لدستوره الذى يرضاه . وأن يبقى مدافعاً عن العقيدة ولكن عن عقيدته هو الخاصة .

والملك الجديد يقرر أنه لم يكن من أنصار عصبة الأمم . وأنه كان يناوىء كل سياسة قد تؤدى إلى الإلقاء بموسولينى فى أحضان هتلر .

« وقصة ملك » الحقيقية تبدأ فعلا بعد وفاة الملك « چورچ » وستضاف إلى تلك القصة — فى الوقت المناسب — زيادات كثيرة . « والدوق » نفسه يقول إن كثيراً مما وقع لا يزال يحيط به الغموض . ولكن الأهمية التاريخية ذات المقام الأول فى حكم الملك إدوارد الثامن القصير المدى تتركز فى مسألة تخليه عن العرش .

وقد كان فى « نية الأمير » أن يبحث مع والده مسألة إمكان تزوجه من « مسز سمسون » . ولم تكن هذه المشكلة بالمشكلة السهلة التى يمكن أن يفاتح بها أىُّ ابن أباه الشيخ . ذلك لأن « مسز سمسون » لم تكن فى ذلك الحين قد طُلّقت من زوجها الثانى . كذلك ما كان الأمير ليستطيع أن يسقط من حسابه إمكان انسحابه من سجل الوارثين للعرش . وهو فى الوقت نفسه مستيقن أن أخاه وزوجته قد يكونان أصلح من يليق لاستمرار النظام الملكى الدستورى بالكيفية التى ترومها البلاد .

وفضلا عن ذلك ، فقد كان الملك يعانى انحطاطاً فى صحته ولذلك فإن تلك المسألة الحيوية لم تذكر أمامه أبداً .

وقد عين الملك « ماچور الكسندر هاردنچ » فى المنصب الهام . منصب السكرتير الخاص لجلالته . وذلك بناء على نصيحة « سير جود فرى توماس » الذى كان يشغل — فى براعة ولباقة لا حدّ لهما — منصب السكرتير الخاص عدة سنين ، أيام كان الملك ولياً للعهد . ولكن « ماچور هاردنچ » أبى — متبعاً وحى الحكمة — أن يتحمل أعباء مشكلات العهد الجديد التى كانت طلائعها قد بدت فى الأفق .

وكان « ماچور هاردنچ » مساعداً للسكرتير الخاص للملك « چورچ » منذ عام ١٩٢٠ . وكان مخلصاً فى ولائه ووفائه للملكية . وكان أبوه نائباً للملك فى الهند ، وسفيراً لبريطانيا فى روسيا وفرنسا . ولما كان السكرتير الخاص هو همزة الوصل بين الملك ووزرائه . فإن واجبه كان يقضى عليه أن يُطلِع الملك على تطورات الحوادث فى هويت هول وفى المسائل السياسية التى قد لا تثيرها الصحف أو تخوض فيها البرقيات والرسائل . وهو مطالب أيضاً بأن يطلع على كل الوثائق السرية التى تبعث بها الوزارة .

ولا شك فى أن « ماچور هاردنچ » قد مرت به أوقات عصيبة . وأنه طالما أسدى النصح فى مسائل الملك الخاصة . وقد يكون ذلك بطلب من الوزراء .

ويبدو مؤكداً أن العلاقة بين ملك من الملوك وبين سكرتيره الخاص ، قد تظل سيئة جداً طوال مدة الحكم إذ كان الملك يكره أن تبدى له النصائح . وكان السكرتير الخاص لا يتردد أبداً فى الجهر برأيه ، وفى أن يمضى قدُماً فى سبيل ما يراه واجباً من واجباته .

وفى ١٣ من نوفمبر عام ١٩٣٦ بدأت أزمة التخلى عن العرش بداءة جدية . فقد وجد الملك لدى وصوله إلى « قصر بلفيدير » خطابا رفعه إلى جلالته السكرتير الخاص . وقد واجه الملك عند قراءته لهذا الخطاب أعنف أزمة مرّت به فى حياته . فقد أنبأه كاتم أسراره أن تصادما يوشك أن يقع بين الملك وحكومته . كما أنبأه أن سكوت الصحف البريطانية لن يدوم طويلا . وأنه قد كانت هناك فرصة لاستقالة الحكومة . ولكن « ماچور هاردنچ » عنده من الأسباب ما يوحى إليه أن جلالة الملك سوف يستحيل عليه تأليف وزارة جديدة .

واختتم السكرتير خطابه بقوله : إن مما لا ريب فيه أن هذا الموقف البالغ الخطورة يمكن اجتنابه بسفر « مسز سمسون » إلى خارج البلاد . ثم توجه بالرجاء إلى الملك أن ينظر جلالته إلى هذا الاقتراح بعين الاعتبار .

ويقرر « الدوق » أن هذا الخطاب قد صدمه صدمة قوية ، وأنه أثار غضبه . فقد صدمته اللطمة المفاجئة ، وغضب للطريقة التى اتبعت فى توجيه اللطمة . ولقد سبقت هذا الخطاب أحاديث بين الملك ووزيره الأول . ولقد ساء الوزارة وأقلق بالها النقد الذى كانت توجهه صحافة أمريكا وكندا . ولقد جرت مشاورات بين الملك وبين « لورد بيفربروك »

بشأن الكيفية التى نفذت بها وثيقة الطلاق من النشر .
وكانت الصحافة البريطانية إلى تلك الساعة قد لزمت الصمت فيما يتعلق بمسألة زواج الملك .

ونظراً لسبق توتر العلاقات بين الملك وسكرتيره الخاص فقد كان من العسير بل كان من المستحيل على السكرتير أن يبقى أداة اتصال . وكان الخطاب الذى أرسله نهاية الصلة بين الملك وبينه . ثم طلب إلى مستر « والترمونكتون » أن يحمل العبء الثقيل عبء الوساطة بين الوزارة وبين المستشار القضائى للملك . وهو واجب عسير قام بأعبائه « مستر والتر » بمنتهى الكياسة والصبر .

والصحائف الأخيرة من الكتاب تحدث القارىء أحاديث الأسابيع الأخيرة التى تمت فيها فصول المأساة . وقد كتبت تلك الصحائف كما تكتب قصة تفيض بالعواطف الإنسانية . وهى تتحدث عن حب قد بلغ الأوج . وعن العوامل المتضاربة التى أحاطت بالحبيبين واقتفت آثارها .

ولما كان الملك ولياً للعهد كانت هناك آصرة متينة ، ووشيجة قوية من الصداقة والإعجاب تجمع بينه وبين سياسيين بارعين يمثلان الحركة الدائبة وهما «لويد جورج» و « ونستون تشرشل » . وكان تشرشل مستشاره وصديقه الحميم .

وكان « بولدوين » صادق الرغبة فى أن يتمكن من إقناع الملك بالبقاء . وكثيراً ما تقدم إليه بالرجاء بأن يبدل رأيه . وقد حاول أن يحمى الملك من أن يكون أعدى أعداء نفسه . ولكن الملك كان عنه فى شغل .

ويبدو أن الملك قد تولاه إحساس بأن أحداً من الناس لا يريد له أن يسعد . والعكس هو الصحيح فإن الناس كلهم وفى طليعتهم « مستر بولدوين » قد تمنوا له السعادة بعد أن اختار التنازل عن عرشه .

ويظن بعض الناس أن خطبة « بولدوين » التى أعلن فيها تنازل الملك عن العرش إنما كانت خطبة قد أعدت من قبل . ولكن الواقع أن مستر « بولدوين » بعد زيارة له للملكة « مارى » فى صباح اليوم العاشر من ديسمبر كتب خطبته بمفرده . ولم تكن هناك مذكرات مطبوعة غير تلك البيانات التى قرأها على البرلمان ، وقد دوّن « بولدوين » آراءه بالقلم الرصاص على قصاصة من ورق .

ولقد حزّ تنازل الملك فى نفس « بولدوين » الذى كان يؤمن بأنه حائز على ثقة الملك . والذى كان يتمنى دائماً أن يقوم للملك مقام أبيه فيتولى هدايته وإرشاده . ولكن الملك كان دائماً يخالف رأى وزيره .

ورغب الملك فى أن تتضمن خطبة الوزير الأول الإشارة إلى أمرين : الأول أن الملك كان دائماً على أتم وفاق مع إخوته ، وأنه يثق كل الثقة بدوق « يورك » .

والأمر الثانى أن مسز سمسون حاولت فى إصرار ودأب أن تثنيه عن عزمه وأن تصده عن التنازل عن العرش . فتضمنت الخطبة الشق الأول . ولم تتضمن الشق الثانى . ذلك لإن مستر «بولدوين» كان يخشى أن العراك إنما يقوم بينه وبين مسز « سمسون» وليس بينه وبين شخص الملك .

وقد ضمن الملك كتابه فى أسلوب ناصع وعبارة سهلة وصف آخر لقاء له مع أسرته كما ضمّن وصف عشائه مع مستر « تشرشل » كما ضمّن خطبة الوداع التى أذاعها .

وإلى هنا نترك الملك وقد أصبح الدوق وندسور . وهو يصف أحاسيسه ساعة مغادرته لبلاده ، يملؤه اعتقاد قوى أنه سوف ينعم بالسعادة .

مبارك إبرهيم

مجلة القلم الجديد

عزم الأستاذ الأديب السيد عيسى الناعورى على إصدار مجلة أدبية فى عمان عاصمة الأردن الشقيق ، واختار لها هذا الاسم الذى ينم عن منحاه فى التجديد والتقدم . والأستاذ عيسى الناعورى من صفوة أدباء العروبة ، وهو من أقدم أصدقاء الثقافة ، وله جولاته الموفقة الرائعة فى الشعر والنثر . ويسرنا أن يكون هو الرائد الأول للصحافة الأدبية فى ذلك *القطر الشقيق الذى كان مسرحاً خصيباً للأدب من أقدم* العصور ، كما يسرنا أن تقوى على يديه الحركة الأدبية والفكرية المشتركة بين الأقطار العربية التى تتطلع اليوم إلى الآفاق العليا فى الأدب والفكر .

نقد

مذكرات الرافعي بك

« إذا ما تحدث المرء عن نفسه كانت الصراحة خير مصادر الوحي له »
الفرد دوفيي

للأستاذ عبده حسن الزيات

هذا كتاب آخر من كتب التراجم الذاتية وهي حتى الآن قليلة في الأدب العربي ولكنه يحوي مع ذلك من حديث السياسة مثل ما يحوي من حديث الذات ، فهو ترجمة ذاتية ، وهو في الوقت عينه تاريخ جزئي لحقبة من تاريخ هذا الوطن ، ولمصر من زعمائه وساسته ولكثير من مشروعاته وحركاته . وليس غريباً أن نخلص من هذا الكتاب بهذا المزاج ، فإن « الإنسان » في الرافعي قد اختلط بالسياسي وبالمؤرخ وبالبرلماني وبالمصلح الاجتماعي وبالمكافح الناجح حيناً وغير الناجح في بعض الأحايين .

بل إن هذا الاختلاط وقع مبكراً جداً منذ أن كان يوم وهو في الخامسة عشرة قهوة الحاج أحمد بشارع رأس التين بالإسكندرية فيقدم له صاحبها شراب الليمون وصحيفة اللواء ، ومنذ أن كان يستمع — وهو طالب بمدرسة رأس التين الثانوية — إلى أحاديث أستاذ الرياضة المرحوم عثمان بك لبيب « وكان وطنياً صميماً لا يمتأ يطعن في سياسة الإنجليز ويذكر لنا كيف احتلوا مصر غدراً وحيلة وكيف يعملون على إرساء أقدامهم في البلاد ويحاربون الروح الوطنية . وكان يقول لنا خلال أحاديثه (افهموا يا أولاد كويس) ، فكنت أستشعر معاني هذه الأحاديث وآنس لها وأعجب بها وأحببت من أجلها هذا الأستاذ . وكنت ألاحظ أنه حين يبدأ بالحديث في السياسة يقفل بنفسه باب الفصل لكي لا يسمع حديثه ناظر المدرسة عند مروره بين الفصول ، فكان إقفال الباب إشارة إلى بدء دروسه الوطنية وقد أفدت منها كثيراً » ص٨ .

وينتقل الشاب من مدرسة رأس التين إلى مدرسة الحقوق ومن الإسكندرية إلى القاهرة ومن قهوة الحاج أحمد إلى قهوة أندريا بحي عابدين . وتقع حادثة دنشواي في ١٣ يونية سنة ١٩٠٦ وهو طالب بالسنة الثانية بمدرسة الحقوق « فيدهش لمخالفة منهج التحقيق والمحاكمة فيها لما كانوا يتلقونه من أصول المحاكمات الجنائية التي تقضي بها القوانين . ويتساءل ما فائدة ما نتلقاه من الدروس والقواعد القانونية إذا كانت لا تطبق على الناس كافة . ولما تلا وصف تنفيذ الحكم في اللواء بقلم الأستاذ (أحمد حلمي) أحد محرريه — اقشعر بدنه من هول ما قرأ وأدرك مبلغ هوان المصري في نظر الاحتلال وتحقق أن لا كرامة لأمة ولا لأي فرد من أبنائها بغير الاستقلال ، وحمزته هذه الحادثة إلى أن يخصص حياته للجهاد في سبيل الاستقلال » ص١٢ .

أرأيت ؟ وهل تعجب بعد ذلك حين أقول إن مذكرات الرافعي ترجمة ذاتية ، ولكنها في الوقت ذاته صفحات مصرية سياسية اجتماعية اقتصادية ؟ .

إن المؤلف يسرد أعماله وضروب نشاطه في الخدمة العامة منذ فوزه بإجازة الحقوق في سنة مباركة أهدت إلى مصر معه أحمد ماهر ونجيب الغرابلي وعبد الحميد بدوي .

وطبيعي أني في هذه الكلمة لن أقفو آثار يده في المذكرات صفحة صفحة أو حادثاً حادثاً أو رأياً رأيا ، ولكني أقنع بمختارات ونماذج حياتنا الاقتصادية وما يتهددها من خطر ، ومساهمته في التدريس بمدارس الشعب الليلية التي «ألهمته الفكرة الأولى لتأليف كتابه عن حقوق الشعب وكانت دروسه في مدرسة الشعب بالخليفة نموذجاً مصغراً للأسلوب الذي انتهجه في هذا الكتاب » ومساهمته في ثورة ١٩١٩ وفي تأسيس جمعية لتعميم النقابات بالدقهلية وجمعيات التموين الخيرية ولجنة توزيع أسهم بنك مصر بالدقهلية ثم فوزه بعضوية مجلس النواب الأول سنة ١٩٢٤ إثر انتخابات يصفها المؤلف بأنها كانت « نموذجاً للانتخابات الحرة » ثم نهوضه بالمعارضة في المجلس المذكور . وهنا يطيب لي أن أسجل اعتراف المؤلف

بأنه « أتى من المجلس إصغاء تاماً وحسن استقبال ورأى مثل ذلك فى كل مرة طلب فيها الكلام « وأن رئيس المجلس أحمد مظلوم باشا » كان يقدره تقديراً خاصاً وينظر إليه بود واحترام ويعطيه الحق فى الكلام بارتياح وسهولة مما كان ييسر له مهمة الكلام فى المجلس » .

ومن أعمال المؤلف التى عنى بتدوينها تأريخه للحركة الوطنية فى سلسلة قيمة من الكتب . وقد كان نبيلا متحلياً بالشجاعة الأدبية وهو يعترف بكسادها أول الأمر ثم رواجها بعد ذلك .

ومن هذه الأعمال أيضاً تقدمه إلى مجلس النواب سنة ١٩٢٤ بمشروع للجمعيات التعاونية ، ثم تقدمه سنة ١٩٤٩ بمشروع قانون بمنع الأجانب من تملك الأراضى . وإنه ليطيب لى أيضاً أن أسجل قوله (ص ١٣٠) فى هذا الصدد ما يأتى . —

« وحضر جلسات اللجنة مصطفى مرعى بك وزير الدولة فى عهد وزارة ابراهيم عبد الهادى باشا وأعلن باسم الحكومة موافقته على المشروع ودافع عنه دفاعاً حاراً شكرته عليه ، وقال إن مجلس الوزراء بحث المشروع وانتهى إلى قبوله والموافقة عليه » .

وفى الكتاب تأملات إنسانية مؤثرة وتوجيهات وطنية سديدة .

فمن الأولى قوله تحت عنوان (مشاهداتى فى الوزارة — ص ١٣٤) :

« لاحظت بعد دخولى الوزارة أن احترام الناس حق أقاربى قد زاد على ما كان عليه أضعافاً مضاعفة ولم ترضنى هذه الظاهرة ، فإنها دلتنى على قلة تقدير الناس للجهاد البعيد عن مظاهر الحكم بالنسبة إلى تقديرهم للجاه والمناصب وقلة التقدير للخدمات التى تؤدى للبلاد ما لم يكن صاحبها ذا مركز حكومى كبير ، ومعنى هذه الظاهرة أيضاً أنى لم أكن محترماً الاحترام الكافى قبل دخولى الوزارة ، وهذا ما لم أرضه لنفسى ولا للناس . ويدخل فى هذا السياق أنى لم أهنأ فى حياتى على عمل بقدر ما هنئت على دخولى الوزارة مع أن دخولى الوزارة فى ذاته ليس عملا بل هو ابتداء لعمل » .

وكذلك قوله (ص ٢٠ و ٢١) :

« حقاً إن طريق الحياة المثالية ليس بعيداً ولا مفروشاً بالأزهار والرياحين — بل هو طريق قد يكون شائكا كثير المتاعب والعقبات — وربما جرّ على صاحبه بعض العنت والخذلان وجعله عرضة لكثير من صنوف العداوة وضروب التجهم والتنكر ، ولكن على الإنسان أن يكون له هدف فى هذه الحياة ، فإذا كان هذا الهدف شريفاً فليتذرع بالشجاعة والإيمان والقناعة والإقدام ، فإنه بالغ بفضل الله غايته أو نصفها أو ربعها أو القليل منها ، ولكنه سائر على أى حال فى الطريق القويم . والأمم لا تنهض إلا بهذا النوع من الحياة ... كان لى صديق يقول لى : إنك تعيش فى جو من الأوهام وستصدمك الحقائق العملية فى الحياة وسترى أن المجتمع لا يقدر المثاليين بل يقدر المميعين والوصوليين بأكثر مما تتوهم أنه يقدر المثاليين وينصر أولئك بمقدار ما يخذل هؤلاء . . . ولست أدرى على وجه التحقيق من كان منا على حق ومن كان منا مخطئا — على الأقل فى حق نفسه — ولكن كل هذا لم يصرفنى عن التمسك برأيى وقد يكون تمسكى بهذا الرأى أمراً غير إرادىّ » .

أما التوجيهات الطيبة فمن أمثلتها إشادته بالاستقلال الاقتصادى وإشارته إلى اهتمام محمد فريد به ، وكذلك نصحه الطلبة ألا يساهموا فى السياسة مساهمة إيجابية خلال أعوام التلمذة وإيصاؤه للشباب أن « يكونوا رسل تطوّر وألا يتخذوا العنف وسيلة لهم فى الكفاح » (ص ١٥٤) . ومناداته بأن « نتذرع بالاستقامة فى حياتنا السياسية وأن نقيم بناءها على هذا الأساس . . . . إن الاستقامة والنزاهة هما المذهب السياسى الأول لمن يريدون أن يخدموا البلاد عن طريق الاشتغال بالسياسة ، وهما السبيل إلى إصلاح ما فسد من شؤون الحكم وإلى جعل الأداة الحكومية أداة إنتاج وتقدم ومناعة وذود عن حقوق البلاد وكيانها . الاستقامة هى أساس كل صلاح وفلاح . وقد جمع فيها رسول الله أطراف الإسلام كافة إذ سأله سفيان بن عبد الله الثقفى أن يقول له فى الإسلام قولا لا يسأل عنه أحداً غيره ، فأجابه رسول الله صلوات الله عليه بهذا الجواب الجامع المانع الحكيم : « قل آمن بالله ثم استقم » .

آمنت بالله . . .

عبده حسن الزيات

التوجيه المهنى لفن التعليم

بحث للدكتورة رمزية الغريب

للآنسة منيرة حلمى

[قد علت صيحة عجيبة منذ قليل بأن التعلم مهنة مباحة لا حدود لها وأن كل من يستطيع أن يلقى درساً يحق له أن يكون معلماً . وهذه صيحة المعلمة التى تنادى بما ينبغى أن نقول وهو أن التعليم مهنة] .

الدكتورة رمزية الغريب ، كما يعرفها جميع المشتغلين بالتعليم فى مصر ، نموذج كامل للشباب الناهض الطموح الذى لا يقف طموحه عند حد أعلى الإجازات الدراسية، وإنما لا يزال يواصل الدرس والبحث ، وكأنما قد صار هذا البحث عادة متأصلة فى نفسه . ثم هى فوق ذلك رمز للنهضة النسائية فى مصر ، ودليل صادق على مدى ما تستطيع المرأة المصرية أن تبلغه من مراتب العلم .

هذا شيء نعرفه جميعاً ، وهذه هى الصورة التى انبعثت لها فى ذهنى إذ جاءت تهدينى هذا البحث فى بساطة وتواضع كما لو كانت تسلمنى رسالة خاصة . أما الذى أضفته إلى هذه الصورة لها حالما لمحت عنوان البحث . فهو أنها فى ميدان العمل ليست أقل إخلاصاً ولا تفانياً منها فى ميدان العلم .

وأن مصر قد ظفرت بشخصية من الشخصيات البارزة التى تهدف لمصلحة العمل الذى تؤديه ، وتبذل التفكير إلى جانب الجهد فى سبيل إعلائه والبلوغ به إلى مرتبة الكمال .

فليست تنحصر قيمة هذا البحث فى أنه بحث علمى دقيق ، ولا فى أنه موجه إلى المشرفين على التعليم فحسب ، وإنما يضاعف من قدره أنه يعرض لمشكلة الساعة فيفحصها ويحللها تحليلا دقيقاً ، ثم يرسم خطة حلها على أساس علمى سليم . وإن المطلع على هذا البحث ليجد الفصل الأول منه يعبر تعبيراً صادقاً عن اتجاه تفكيره فى هذه الفترة من تاريخ التعليم فى مصر ، ويعرض عرضاً واضحاً لمشكلة طالما شغلته ، تسوقها الدكتورة رمزية هكذا : « . . . هنا نتساءل هل يصلح كل معلم لأن يكون رسولا مؤمناً بنبل رسالته وعظمتها فيعمل مجداً مخلصاً ، أحق يكلل مسعاه بالنجاح فى خلق مواطن العالم الجديد ؟ وهل يستطيع كل من يسعى فى طلب تلك المهنة لأى سبب من الأسباب أن يدخل كليات إعداد المعلمين ويكون معلماً بدون قيد ولا شرط » ؟ فإذا كانت مثلى ، ولم أمض فى التعليم سوى عامين فقط ، تجيب كلا وألف كلا ، فما بالك بمن مارسوا هذه المهنة سنوات طوالا ، وعرضت لهم كثير من الحالات التى تشهد فى وضوح على عدم أهلية الكثير من المعلمين لأداء رسالتهم الخطيرة والإيمان بنبل هذه الرسالة لست أبالغ إذاً حين أقول إن هذه المشكلة هى مشكلة الساعة ، وإن هذا البحث جاء حلا موفقاً أعظم التوفيق للتغلب عليها والقضاء على حيرتنا فى أمرها .

ولقد وضعت الدكتورة رمزية إصبعها على لب المشكلة منذ البداية فحددتها هكذا : « ما هى العوامل والقدرات الواجب توفرها فى طالب الانضمام إلى مهنة التعليم ؟ وهل هى عوامل خاصة بالتحصيل الدراسى فى الجامعة والمدارس الثانوية أم هى عوامل خاصة بصفات فى المزاج والشخصية ؟ وما هو الدور الذى يلعبه عامل الذكاء للمعلم ؟ » وقبل أن تبدأ فى الإجابة على هذه الأسئلة وحل المشكلة ، نجدها تمهد لذلك فى الفصل الثانى بعرض سريع لما تقدم من بحوث فى هذا المضمار ، مثل : (١) قياس كفاءة المعلم بالأثر الذى يحدثه فى التكوين النفسى لتلاميذه . (٢) تقدير الخبراء لكفاءة المعلم . (٣) استخدام مقاييس التقدير Rating Scales .

(٤) تقـــدير التــلاميذ لمدرسيهم . (٥) الدوافع إلى اختيار مهنة التعليم . وبعــد عرض أوجه النقد التى قوبلت بها كل من هذه الطرق لقياس قدرة المعلم ، حاولت الدكتورة رمزية فى الفصل الثالث أن تضع أسس مقياس شامل يتفادى معظم نواحى النقص فى المقاييس السابقة . وكانت أول خطوة فى سبيل وضع مثل هذا المقياس هى اختيار الطالبات والاختبارات للقيام بالتجارب اللازمة لذلك . وقد اختارت ١٤٥ طالبة من طالبات معهد التربية للمعلمات منهن ١٣٠ طالبة من طالبات قسم مدرسة المعلمات والباقى من طالبات الجامعة اللاتى يدرسن للحصول على دبلوم معهد التربية ومدته سنة واحــدة . أما الاختبارات ، فلأجل أن تكون شاملة لمعظم العوامل التى ظُن أنها ضرورية لنجاح المعلم فى عمله فقد تضمنت ما يأتى :—

(١) اختبارات للذكاء : لفظية وغير لفظية لضمان قياس القدرة العقلية العامة مجردة عن عامل اللغة .

(٢) مقاييس للشخصية : سواء المظهر الجسمانى منها أو المظهر المزاجى النفسى .

(٣) نتائج الامتحان النهائى لثلاثة مواد من مواد التخصص للوقوف على مقدار سيطرة الطالبة على مادتها .

(٤) نتائج امتحان التربية وعلم النفس . ثم درجة التربية العلمية وهى الدرجة التى وضعها أساتذة كل قسم بعد المناقشة مضافا إليها الدرجة التى قدرها الممتحن الخارجى .

أما الفصل الرابع فى هذا البحث فتشرح الدكتورة رمزية فى بابه الأول بعض الطرق الإحصائية وفوائدها تمهيداً لاستخدامها فى نتائج الاختبارات . فتفسر معامل الارتباط ومدلوله ، والتحليل العاملى ومدلوله . ثم تفرد الباب الثانى منه لتبيان الخطوات الإحصائية التى قامت بها . وكان أولها حساب معامل الارتباط بين كل اختبار وجميع الاختبارات الأخرى . أما الخطوة الثانية فكانت تطبيق طريقة التحليل العاملى بغية الوصول إلى معرفة أقل عدد ممكن من العوامل المسئولة عن الارتباط الموجود بين هذه الاختبارات . وبعد إجراء هذه العملية ، اتضح للدكتورة رمزية أن العوامل المسئولة عن الارتباط بين الاختبارات ثلاثة هى ، كما عرضتها فى الفصل الخامس ، كما يلى :

أولا : عامل الذكاء العام أو القدرة العقلية العامة ، ويوجد فى اختبارات الذكاء ، وعلم النفس والتربية ، ومادة التخصص الأولى . وأهم ما لاحظته الدكتورة رمزية هنا أن علم النفس أتى فى مقدمة مختلف المواد من حيث درجة التشبع بعامل الذكاء العام ، وأن التربية كانت أقل منه تشبعاً بهذا العامل . وهنا تساءلت : « هل معنى ذلك أن متابعة دراسة علم النفس بنجاح تحتاج إلى قدرة من الذكاء العام فوق ما تحتاجه التربية منه ؟ » ، لكنها ما لبثت أن تبينت فى الأمر عوامل أخرى أثرت فى إجابات الطالبات ، مثل اللغة . فإن أصول التربية وفلسفتها تحتاج إلى قدر أكبر مما يحتاجه علم النفس من سهولة التعبير عن الأفكار وسلاسة الأسلوب . ولما كان حوالى ثلث عدد الحالات من طالبات قسم العلوم ، ومنهن من يعانى بعض الصعوبة فى التعبير بطلاقة لغوية ، فقد تأثرت درجاتهن فى أصــول التربية وفلسفتها بهذا العيب . هذا وإن كنت لا أوافق الدكتورة رمزية على أن علم النفس والتربية متساويان فيما يحتاجه كل منهما من الذكاء العــام . وإنما أرى أن هذا الاختبار كان معبراً تعبيراً صادقاً عن الواقع حين أظهر أن علم النفس أكثر العلوم تشبعاً بهذا العامل . وذلك لأن علم النفس قد صار من العلوم الاستدلالية التجريبية التى تعتمد على التعليل المستمر لكل ظاهرة ، وضرورة إسناد النتائج إلى مقدمات علمية دقيقة . ومن شأن هذا أن يتطلب قدراً من الذكاء يفوق ما تتطلبه أصول التربية وفلسفتها .

ثانياً : والعامل الثانى يجمع بين صفات المزاج والشخصية والمظهر الجسمانى والتربية العملية . ومن طريف ما اكتشفته الدكتورة رمزية فى دراستها لهذا العامل ، أن درجة التربية العملية تتأثر لدرجة كبيرة ليس بصفات المزاج والشخصية فقط ، بل أيضاً بالمظهر الجسمانى والشكل العام من حيث الجمال والانسجام والقبح . وهذه حقيقة لم يعترف بها أساتذة التربية العملية فى بادىء الأمر ، مما اضطر الدكتورة رمزية إلى عمل استفتاء قامت بإعــداد أسئلته بنفسها ونشرته فى آخر هذا

البحث . وقد أثبتت نتيجة هذا الاستفتاء صحة هذه الحقيقة وأصبح لا مفر لأساتذة التربية العملية من الاعتراف بذلك .

كذلك لاحظت الباحثة القديرة أن تشبع درجة التربية بهذا العامل تشبعاً كبيراً ، وعدم تشبعها بعامل الذكاء العام يدل على أن لصفات المزاج والشخصية أثراً في نجاح المعلم يفوق أثر الذكاء .

ثالثاً : أما العامل الثالث فهو عامل التحصيل الدراسي . وقد وجد في علم النفس ، وأصول التربية ، ومواد التخصص الثلاث ، كما وجد في التربية العملية والمزاج والشخصية .

هذه العوامل هي الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يتقدم لمهنة التعليم . وبذلك يكون هذا البحث قد أتاح الفرصة لاستخلاص هذه الشروط وفي الوقت نفسه أثبتها تجريبياً وعلمياً . وصار حتما منذ اليوم أن يشمل اختبار المتقدمين إلى معاهد التعليم قياس هذه النواحي : —

(١) القدرة العقلية العامة أو الذكاء . (٢) الشخصية وصفات المزاج والخلق . (٣) الطلاقة اللغوية وسهولة التعبير عن الأفكار . (٤) المقدرة على التحصيل الدراسي . (٥) الحافز أو الدافع الذي حدا بالطالب أو الطالبة إلى اختيار مهنة التعليم . ولعمري إن هذا لأهم العوامل جميعاً ، إذ أن نصف النجاح في العمل موقوف بحب العمل . ولكنه للأسف الشديد هو العامل الذي يندر توفره فيمن يتقدمون إلى هذه المهنة ، كما لاحظنا جميعاً أثناء عملنا ، وكما أثبتت الدكتورة رمزية في هذا البحث .

وتشرح الباحثة المدققة في هذا الفصل أيضاً طرق إجراء هذه الاختبارات مبينةً كيفية الاستدلال على توفر العوامل المطلوبة ، وعارضةً لوسائل التغلب على الصعوبات .

أما في الفصل السادس فتناقش درجة التربية ومدى الاعتماد عليها في الحكم على كفاءة المعلم والتنبؤ بمستقبله في مهنة التعليم . ولما كان هذا البحث لم يتسع لقياس نجاح الطالبات في حياتهن العملية بعد التخرج ، وإن كانت الدكتورة رمزية تنوى تتبع هذا النجاح في المستقبل ، فقد لجأت إلى اختبار صدق هذه الدرجة في تقدير مختلف نواحي شخصية الطالبات بطرق غير مباشرة . وذلك بمقارنتها ببقية الدرجات التي حصلن عليها في مختلف المواد والخبرات التي تدرسنها ، ثم حساب معامل الارتباط بينها . وقد انتهت من هذه العمليات الإحصائية إلى أن درجة التربية العملية تعتمد على عوامل مركبة ؛ منها مواد التخصص ، والذكاء ، وصفات في المزاج والشخصية ، والمواد التربوية ، كما ترتكن علاوة على ذلك على عوامل أخرى لا يمكن قياسها وعزلها بالاختبارات والطرق الاحصائية ، لأنها عوامل تتعلق بموقف المعلم العملي في الفصل بين تلاميذه . ومن كل ذلك يتضح أن تقدير المشرفين على التربية العملية لطلابهم تقدير جامع ، وأن هذا التقدير من أهم التقديرات التي يحصل عليها الطالب في كلية إعداد المعلمين .

وقد ألحقت الدكتورة رمزية بآخر الكتاب نموذجا كاملا لمقاييس صفات المزاج والشخصية في جميع النواحي . كما ألحقت به المصفوفات الإحصائية التي اعتمدت عليها في الوصول إلى هذه النتائج العظيمة .

وبعد ، فهذا ملخص لبحث الدكتورة رمزية . وقد انبعث في ميدان خلا من أمثاله ، فكان صداه قوياً مجلجلا . وانساب إلى أذهان طالما تعطشت لمثل توجيهه فأطربها صداه وبهرتها اكتشافاته .

فإذا كان أعظم ما ينقص المهن على اختلاف أنواعها في بلدنا هو التوجيه السديد وحسن اختيار المتقدمين إليها ، وإذا كانت حركة التوجيه المهني تجرى على أشدها في جميع أنحاء العالم ، فلا شك أن التوجيه المهني لمهن التعليم أحقها جميعاً بهذه العناية ، ولا بد لنا أن نجعل له الصدارة فنبتدئ به هذا الاتجاه الجديد ، لأن مهنة التعليم هي مهنة المهن ولا سبيل إلى تقويم سواها إن لم تكن قد قوّمت على أسس متينة وبتوجيه سديد .

جزى الله باحثتنا العظيمة الدكتورة رمزية الغريب على هذا « التوجيه » خير الجزاء ، وحفظها لنا رمزاً للنبوغ في العلم والإخلاص في العمل .

منيرة حلمي

يغالط الموت[1]

إستقبل التسعين من أعوامه شيخ ، تخطته المنون ، مُترِبُ
أعصابه قد حُطِّمت ، ورأسه فيه من الشعر القليل الأشيبُ
عاد من الحقل يئن ، مثقلاً بحِمْلِ أُرزٍ ظهره المحدودب
من بعد ما أمضى بياض يومه يجمع أرزَ غيره ، وينصب
رحماك ربى إما لهذا الشيخ مَن يعوله ويُطعم ويُشرب

***

أجهده الحمل ، فألقاه على الـ أرض . وراح يلهث ويَنْحَب
يقول : تبًا للحياة ! ليس فى أيامها يوم مريح طيِّبُ
ما قيمة العيش إذا ما عشته منغصاً ، آلامه لا تنضب
من ذا الذى آوى له فى شِدّتى ؟ مالى أخ يحنو علىّ أو أب
الموت يُؤوينى ويقضى حاجتى فالموت أكرم من سواه وأقرب
« ياموت أقبل ، إن بى لك حاجة ، يا موت أنقذنى ، فأنت المأرب »

***

واستقبل الموت السميع نداءه ، واسل يعدو نحوه يرحب
لبيك يا شيخ ، فإنى مقبل مادا جرى ؟ ماذا عرا ؟ ما تطلب ؟
قال له الشيخ بصوتٍ مُرْعَبٍ : « ارفع معى حملى ، فإنى متعب ! »

(مانشستر) عبد العزيز عبد المجيد

---

(١) الشاعر الألمانى يوهان جلايم Johann W. Gleim المتوفى سنة ١٨٠٣ .

نبع الدموع

سأظل أبحث عنك فى الوادى البعيد وفى الحقولِ
فى ظلمة الكوخ الكئيب وتحت مصباحِ الهزيلِ
يلقِى على الجنبات أخيلة من النور الضئيلِ
سأظل أبحث عنك فى صحى وفى ليلى الطويلِ
فى عالم الصمت الرهيب وتحت أفياء النخيلِ
بين القبور العابسات وبين آثار الطلولِ
متسمعاً شدو البلابل حائراتٍ فِى الأصيلِ
فلعلها — يا قلب — تهدينى فأمشى فى سبيلى
فأظل أبحث عنك فِى الوادى البعيد و فى الحقولِ
حتى إذا غرب الضياء ومال نجمِى للأفولِ
ودعت أحلامى مهدمةً وشوقِى للوصولِ
وهتفت فى يأسٍ لقد غيضت يا نبع الجميلِ

(بغداد)

زهير أحمد

١ - حـــواء جـــديدة (١)

ملحمة شـــعرية

للأستاذ محمد فهمى

استلهم الشاعر الآية الكريمة من محكم التنزيل إذ قال تعالى « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ..» والشاعر هنا يحتفل بحواء ملهمة الفنون ...

« يُسمع وقت السَّحَر عند انبثاق الفجر صوت يردّد : »

أنا أهواكِ أنتِ روحٌ على الكون
تراءت من صافياتِ عيونكْ
أنا أهواك أنتِ طيفٌ من الخلد
تجلّى يحدو المنى فى جفونكْ
أنا أهواكِ أنت كوكبُ نور
قدسِيٌّ يلوح فوق جبينك
أنا أهواكِ همسَةً وخيالاً وسناءً
ورقّـةً فى لحـــونك
أنا أهواكِ حالماً ما أرى أصحو
على غـير آسرٍ من فتونك ! !
أنا أهواكِ ... أىُّ سحرٍ دهانى
سلَبَ الوعْى من نُهَى مجنونك ... ؟!

***

كان حُلماً رأيته فى زمانى
قبل بعثِى فى هـــذه الأكوانِ
لست أنسى ما قد جرى فى الجِنان
ذاك حَىٌّ فى مهجتى وجَنـــانى

***

« طلوع الفجر »

طلع الفجــــر يغمر الفردوسا
ويُريق الضياء كأساً فكأسا
فرأى الخـــلد يستزيد جلاهُ
من سناء يفوق قُدْسَ سناهُ
وفتونٍ لم يكن يلقاهُ
وكأن الجِنان تَنْظِم عُرسا ؟ ؟

***

أرجُ البِشْر فى الفــــرادس جالا
وكوجٍ فى أفقها قد سالا ....
وطيورٌ فى نشوةٍ تـــترنمْ
بنشيدٍ . فيالسحـــرِ تنغَّمْ
وطيوفٌ تموج بين الخمائلْ
راقصاتٍ مجنّحاتِ الغـــلائلْ
وجموعُ الخـــلود فى استشرافِ
يتملّون آيةَ ســـتوافى
كل ركنٍ من الفرادسِ أضحَى
من حُبورٍ يكاد يصدح صدحا
وكأن الجِنان .. تَنهَدُ فرحى ؟! ..

***

وقف الفجْـــر لا يريم مكانا
وتناجى فى نفســـه حيرانا

---

(١) من ديوان أعاريد للأستاذ محمد فهمى .

أيُّ سرٍّ على الملائك أملَى ؟
أى عيدٍ على الفرادسِ حلاَّ ؟
أتُرى الله عرشُـه يتجلى .. ؟

***

وتراءت مع الشروق ذُكاء
وعليها من السـناء رُواء ...
وتهادتْ تُميسُها الخُيَـلاء
فهنـا الموكبُ العظيم أطـلاَّ
يهبط الخـلد فى الجلالةِ مهلا
فيضـجُّ الخـلود أيكًا وسهلا
بهتافٍ يُرنِّحُ الآفاقا .....
وسرورٍ سرى بها إشراقاً .....

***

وسار الركبُ فى موج التحايا
وموجٍ من جموع الخالدينا
هتافٌ قد تردد فى الأعالى
وترنيمُ المـلائكِ أجمعينا
وحـور الخلد لُحْن مُجلِّياتٍ
وهُن الحور... كيف إذا جُلينا ؟
يَمِسْن بكل وشْيٍ سنـدسيٍ
زهـا بقدودهن فينثنينا ...
فسِربُ الشرق يسرى فى ابتهاجٍ
ويوقـظ خافياتِ النفس فينا
وسربُ الغرب يبدو فى جَـلالٍ
من الشفق المضرَّم قـد كُسينا
وسربٌ فى ابتسام الكون فجراً
كأطيافِ المنى سِحْـراً مبينا
مواكب ساريات دافقاتٍ
كما رقرقتَ سلسالاً مَعينا
مواكب ... لم تُتَحْ للخلد قبلاً
ولا خطرتْ ببالِ الخالدينا ...

***

ومضى الركب للرباة الكبرى
ربوة الخـلد حيث ثَم استقرا
فى جموعٍ من المـلائك تترى
هازجاتٍ فى ساحها ... بل سكرَى ..

***

ربوةٌ تلك من نُضارٍ وعسجدْ !!
ذاتُ حَلْيٍ من فضـةٍ وزبرجـدْ
وحصـاها من جوهرٍ يتنضَّدْ
أو كاسٍ يشعُّ إشعاع فرقدْ ..

***

وتبـدَّت مواكب الآفاقِ
وتجـلَّت بدائع الخـلَّاقِ
فإذا أنتِ كوكبٌ وضياء
وإذا أنتِ مُنيـةٌ ورجاء
وإذا أنتِ .. آيةٌ غراء ؟؟

***

وتربَّعْتِ فوق عرشِ النورِ ...
وتلألأتِ بين جَمْع الحـورِ
وأحاطتْ من حولك الأربابُ
قد سباها جمالك الخلابُ ..

(لما بقية)

محمد فهمى

بين المجلة وقرائها

إلى حضرة صاحب العزة مدير تحرير الثقافة

حضرة صاحب العزة الأستاذ الكبير مدير تحرير الثقافة

بعد التحية — فقد طالعت يوم الخميس الموافق ٥٢/٧/٣ بجريدة البلاغ مقالاً للأستاذ جمال سليم يحمل فيه على مجلتنا الثقافة الغراء حملة عنيفة ويحمل عزتكم مسئولية أدبية فى نشر الدراسة النقدية التى نشرتموها فى العددين الصادرين بتاريخ ١٦ و ٥٢/٦/٢٣ عن الدكتور زكى مبارك ، وانتظرت من عزتكم رداً على هذه الافتراءات فى عدد الثقافة الصادر اليوم ٥٢/٧/٢٧ ، ولكن لم أجد شيئاً فهل إذا كتبت رداً أحظى بنشره فى مجلتكم الغراء ؟ .

وتفضلوا بقبول عظيم الاحترام ؟

فؤاد عبد الفتاح
مدرس أول — مصر الجديدة

وجوابنا على هذا أننا ننشر البحوث الأدبية ما دامت مخلصة فى قصدها ، منصفة فى حكمها ، لا تقصد إلى شىء غير إبداء الرأى النزيه البرىء من التحيز أو الحيف .

ولكننا لا نرى ضرورة لمجادلة حضرات الأدباء الذين يرون فيما ننشر رأياً مخالفاً ، فلحضراتهم أن يكتبوا مايشاءون ماداموا مخلصين فى رأيهم ، ولهم إذا شاءوا أن يبعثوا بآرائهم إلى هذه المجلة فتجد فيها من العناية ما تجد البحوث الأدبية الخالصة النزيهة دائماً .

وإنه ليؤسفنا أن يذهب بعض حضرات الأدباء مع الظنون إلى حيث لم نقصد ، فليس لنا من غاية سوى خدمة الأدب والأدباء وتقوية حركة الفكر والفن فى العالم العربى .

على أننا نرى أن ما نشره حضرة الأديب الذى تشير إليه فى « البلاغ » لا ينبغى له أن يبعث فينا غير الرضى ، لأننا نعرف منه أن مقال الثقافة عن الأديب الكبير زكى مبارك قد أحدث فى نفوس القراء أثراً ، وبعث فيها حركة .

إلى الطالب الأديب عماد الدين سعيد

إلى الطالب الأديب عماد الدين سعيد — بدهوك موصل . العراق .

لقد أعجبنا منك هذا الطموح الذى يبدو من خا كتابك إلى مجلة الثقافة كما أعجبنا إخلاصك للأدب ورغب فى التماس السبيل إلى السداد .

ونصيحتنا إليك أن تمضى فى درسك وقراءتك فالأ بإذن الله تعالى أمامك فسيحة ، ولاتعجل إلى قطف الثمارة أوانها ، فإنها إذا نضجت وأينعت كان جناها طيباً مباركا

بيان

جاءنا من الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية البيان الت

وافقت حكومة المملكة الأردنية الهاشمية على أن تع اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية دورتها السابعة فى مد عمان . « وقد تقرر أن تبدأ هذه الدورة فى ١٦ أغسطس ١٩٥٢ ، وأن يكون مشروع جدول أعمال اللجنة فى الدو المذكورة كما يأتى :

١ — عرض النشاط الثقافى بين دورتى اللجن السادسة والسابعة .

٢ — عرض تقرير من رئيس كل وفد عما يتم ، المشروعات والأعمال التعليمية والثقافية فى دولته .

٣ — تبادل الأساتذة والمدرسين بين البلاد العربية

٤ — اقتراح بعقد مؤتمر علمى عربى .

٥ — النظر فى موضوع المؤتمر الثقافى العربى الثالث

٦ — شؤون الطلبة العرب .

٧ — عرض تقرير عن مكافحة الأمية والتعليم الأساس

٨ — عرض تقرير لجنة كتب التاريخ المدرسية المق فى مرحلتى التعليم الابتدائى والثانوى فى البلاد العربية

٩ — عرض تقرير عن اجتماع لجنة خبراء التربية .

١٠ — تعليم العميان .

١١ — مشروعات الإدارة الثقافية وميزانيتها لعام ١٩٥٣

١٢ — مايستجد من الأعمال .

إعــــلان

جوائز فؤاد الأول لسنة ١٩٥٣

تعلن وزارة المعـارف أن الموضوعات التي سيمنح المصريون عن الإنتاج فيها جـوائز فؤاد الأول للأدب والقـانون والعلوم عن سنة ١٩٥٣ هي :

أولا — الآداب البحتة — مثل الأدب القصصي ، والأدب التصويري ، والأدب الاجتماعي ، والشعر ، والبحوث الأدبيـة (النقــد ، البحوث اللغوية ، الدراسات الإسلامية والأدبية) .

ثانياً — (ا) القانون الخاص — ويشمل الفقه الإسلامي ، والقانون المدني ، والقانون التجاري ، وأوضاع التقاضي ، وغيرها من فروع القانون الخاص .

(ب) العلوم الجنائية — وتشمل القانون الجنائي ، الإجراءات الجنائية ، وعلم الاجتماع الجنائي ، وعلم النفس الجنائي ، وعلم العقوبة وغيرها من فروع العلوم الجنائية .

(ج) القانون العام — ويشمل القانون الدستوري ، والقانون الإداري ، والقانون الدولي (العام والخاص) وغـيرها من فروع القانون العام .

(د) — العلوم الاقتصادية والمالية .

ثالثاً — العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية — على الوجــه الشامل ، النظري منها والتجريبي ، والبحث والتطبيق ، ويندرج في ذلك علوم الإحصاء ، وديناميكا المـوائع والميكانيكا التطبيقية ، والهندسة الكهربية ، وعلم طبيعة الأجرام السماوية (الاستروفيزيقا) .

ويشترط في الإنتاج الذي يقدم لنيل الجوائز الثلاث :

١ — أن يكون ذا قيمة علميــة أو فنية ممتازة تظهر فيــه دقة البحث والابتكار ويهــدف خاصة إلى ما يفيد مصر والإنتاج القومي وتقدم العلوم .

٢ — أن يكون قد سبق نشره ولم يمض على نشره لأول مرة أكثر من خمس سنوات من تاريخ الإعلان .

٣ — أن يكون باللغة العربية الفصحى

ويرسل الإنتاج من أربع نسخ إلى الإدارة العامــة للثقافة بوزارة المعارف في موعد غايته ١٩٥٢/١٢/٣١ ولا تسترد النسخ المرسلة في أية حالة .

وقيمة كل جائزة من هــذه الجوائز ١٠٠٠ جنيه (ألف جنيــه) وسيكون موعد منح هــذه الجوائز يوم ٢٨ أبريل سنة ١٩٥٣ تخليداً لذكرى المغفور له الملك فؤاد الاول .

الثقافة

العـــدد ٧١٠
٤ من أغسطس ١٩٥٢

مجلة أســبوعية للآداب والعــلوم والفنون
تصدرها لجنــة التأليف والترجمــة والنشر

الثمن ٣٠ مليماً

صفحة

مجلة

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتيـــاز | الإدارة | رئيس التحرير المسئول
الدكتور أحمد أمين | | محمد عبد الواحد خلاف

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العـــدد ٧١٠ الاثنين ١٣ من ذى القعدة سنة ١٣٧١ — ٤ من أغسطس سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة عشرة

هذه الثـــــورة !

حدثت المعجزة آخر الأمر ، وقام جيش مصر الباســل بتحرير وطنه من الذل ، وانتشل الشعب المصرى من الأوحال العفنة التى كانت تدنسه وتعوق حركته نحو التقدم . وإذا كانت الأجيال لا تجود بالأبطال إلا فى فترات متباعدة ، فقد جاد الزمان على مصر بعد قرون كثيرة ببطل نبيل استطاع أن يجمع كلمة البلاد كلها ، ويرفع علم الحياة الجديدة فى صدر الموكب الوطنى المعظم ، وهو محمد نجيب .

وإن مجال القول لفسيح إذا شئنا أن نتحدث عن ذلك البطل المصرى الخالص ، وأن يكون حديثنا عنه صادقاً نزيهاً ، ولـكننا نعرف ما يتصف به محمد نجيب من الرجولة والمروءة والتعالى عن شهوة المديح . فحسبه وحسبنا أن نحس فى قرارة قلوبنا ، وأن يحس هو فى قرارة ضميره أنه يؤدى واجبه لوطنه خالصاً لوجه الله والواجب ، وهذه مرتبة فوق كل إطراء وكل مديح . ولهذا نقنع من الحديث عنه بأن نعبر له عن خالص شكرنا كما عبرت له كل الأمة عن خالص شكرها ، لأنه تحرك بعواطفها وأحس بمشاعرها وجهر برأيها وبسط يده القوية لينفذ مشيئتها . نقنع بهذا الشكر فى الحديث عنه ، وننصرف بعد ذلك إلى الحديث عن أنفسنا وعن آمالنا وعما يجب علينا نحن إزاء هــذه الوثبة المجيدة التى لا نشك فى أنها فاتحــة عصر جديد فى تاريخ بلادنا . إنها وثبة لم يسبق لهـا مثيل فى تاريخنا منذ ألوف السنين ، وعلينا أن نعرف حقها علينا ، وأن ندرك مدى أثرها فى حاضرنا ومستقبلنا . فهذه الأيام التى نعيش فيها هى التى تقرر مستقبل حياة مصر لأجيال عدة ، وكل يوم يطلع منها علينا وكل خطوة نخطوها لهـا أثر كبير فى ذلك المستقبل الذى نرجو أن يكون مستقبلا مجيداً جديراً بمصر وحركتها المباركة . علينا أن نعرف ماهى المعانى التى تنطوى عليها هــذه الوثبة المجيدة ، ونبينها واضحة لأنفسنا ولإخواننا ولأبنائنا حتى نكون جميعاً على بينة جلية من أمرها . إنها ثورة على كل الأوزار التى كنا نئن تحتها ، وكل المفاسد التى كنا نخزى منها ، وكل النظم البالية التى كنا نشقى بها ونكاد نستسلم لليأس من جمودها . إنها ثورة على القيم السافلة والأنانية والطغيان والجشع والبطر والتعسف . إنها ثورة على رخاوة المترفين وبلادة المستضعفين . إنها ثورة على امتصاص دماء الـكادحين فى سبيل تسمين الحشرات الطفيلية ، وعلى اتخاذ الشعب مطيــة مسخرة للعاطلين الذين لا يبالون إلا بمآربهم الدنيئة . إنها ثورة على اتخاذ السياسة تجارة للتغرير بالناس والتسلق من وراء ظهورهم لاقتناص المغانم . إنها ثورة شاملة ولابد لنا أن نعرف أنها ثورة شاملة ، وأن علينا جميعاً تجاهها واجبات لابد لنا من تأديتها . علينا أن نجاهد معها بكل ما استطعنا حتى تحقق كل غاياتها ، وأن نقف جميعاً إلى جانبها ومن خلفها لنحمى ظهرها من العوامل الرجعية ، حتى نبدأ عهداً جديداً فى حياتنا نستطيع أن نورثه للأجيال التى تأتى من بعدنا .

ف . ا

التربيـــــة

للآنسة الزهرة

سألت طالباً من حملة التوجيهية : « ما هي التربية ؟ » . فقال : « إيه — التربية ؟ هي — هي التربية » . ووجهت هذا السؤال بعينه إلى رجل مثقف فكان جوابه لا يختلف في كثير عن جواب ذلك الطالب ، فقد قال : تسألونني ما التربية ؟ إنها عملية قوامها الإصلاح والتسوية والتقويم . وكل إنسان يعرف بالاختصار أن التربية هي التربية » . وقد قرأتُ في هذا المعنى أن إحدى المجلات قالت : « نحن نتحدث عن التربية كما نتحدث عن الأجرام السماوية ، والظاهر أن معرفتنا بالواحدة منهما لا تزيد على معرفتنا بالأخرى . ولكن لنعلم أن التربية — كالسعادة — يجب أن تكون جزءاً من حياتنا — هنا على الأرض وفي هذه الساعة وفي كل يوم وفي كل لحظة ولا يجب أن تكون بحال من الأحوال غرضاً يسعى الناس لإدراكه . . . . . ويقول كاتب موهوب : « نسمع الخلق يكثرون من ترديد كلمة التربية في هذه الأيام كما نرى اشتغال المختصين بالبحث في أنواعها المختلفة ومناقشتها على صفحات المجلات والكتب . وقد انقسموا إلى مدارس كثيرة متباينة من حيث الطريقة التي يتناولون بها مواضيعها المختلفة ومن حيث موضوعها في نفسه ، بيد أننا نجدهم يستعملون هذه الكلمة على وجه حازم يدل على أن كثيرين يظنون أن نوع التربية المشار إليها لا يتعدى المبادىء الأولية للتثقيف أو التقويم المدرسي العام ، والتدريب التهذيبي والاعتناء بصحة الأجسام والأخلاق ، إلى حد ما . وأن قصارى ما تستطيع أن تبذله المدارس في هذه السبل ليس إلا بداية محضة لرحلة الحياة ، لأن تلك المدارس لا تستطيع إلا أن تفتح أذهان التلاميذ على الآفاق الرحيبة للمعرفة والمدارك التي يسعها العالم لهم ، أو أنها تعينهم على مشاهدة لمحة من الإمكانيات التي يحتضنها النشاط الاجتماعي . وما المدارس إلا الإسفين الذي يزج في دنيا الدرس والتحصيل ليهيء ممراً إلى الإلمام بالعلوم والمعارف لاجتياز الامتحانات ونيل الدرجات والفوز بالشهادات للمراحل الموضوعة في نظام التعليم ، على أن يحاديها في الوقت نفسه الكثير من الجدّ والاجتهاد والتفكير والدراية والخبرة من سنة إلى سنة لكي تصل التربية إلى مراتب من التمام الذي يمكن أن يبلغه كل فرد حسب استعداده وقوة ملاحظته وانتباهه . ولعل أكبر ركن في التربية هو التجربة الشخصية واستثمارها والاستعانة بها في مختلف أطوار الحياة . ولا شك في أن التمرس بالمعلومات والاختبارات التي يحصلها الفرد عن طريق التربية هو المسبار الوحيد الذي يقاس به غور ما تركته في نفسه وعقله وذوقه من آثار . ويروى أن أستاذاً في جامعة شيكاغو أوضح ذلك في توكيد قوي حين قال لتلاميذه : « إنه لا يعدهم متربين حقا إلا إذا استطاعوا أن يردوا بالإيجاب على كل ثلاثة عشر سؤالا يوجهه إليهم . وكان أول هذه الأسئلة وثانيها وثالثها كالآتي :

١ — هل تجتذبك التربية إلى كل قضية صالحة وغاية فاضلة وتجعل قلبك يهفو في إثرها وتهزك إلى مناصرتها وتأييدها ؟ .

٢ — هل جعلتك التربية قوي الإحساس بالشعور العام ؟ .

٣ — هل جعلتك التربية أخاً للضعيف ؟ .

وكثيراً ما نزعم أننا نسمع صيحات تحتج قائلة : « إن الإحساس بالشعور العام والعطف والإخاء الحاني وما إليه تبعد غاية البعد عن دنيا العلم والمعرفة ، بل إنها تمت إلى العالم الروحاني لا إلى العالم الذهني ، ولكن التعليم يجب أن يعنى بصحة الأخلاق عنايته بسلامة العقول ، ومع ذلك فإن قلة من الكتب توجه السؤال الرابع العبق .

٤ — هل تعلمت كيف تصطنع لك أصدقاء وكيف تحافظ عليهم ؟ وهل تعرف أنت كيف تكون صديقاً ؟ .

وكذلك لا نلقى صفحة فى كتاب الشواهد لتلقننا المعرفة التى تهيئ الرد الإيجابى على الأسئلة الثلاثة التالية :

٥ — هل تستطيع أن تواجه رجلا مستقيما وسيدة فاضلة برأس مرفوع ونظرة ثابتة ؟ .

٦ — هل ترى فى طفل صغير شيئاً يأخذ بمجامع قلبك ويستحوذ على عنايتك ؟ .

٧ — هل يتبعك كلب شديد تصادفه فى الطريق ؟ .

يا للاختبار الدقيق لقياس مدى التربية ! ولكن أستاذ شيكاغو الجامعى ينشد المطالب التى تترامى وراء حدود العقل الكبير والقلب العطوف والخلق الرضى والفكر النقى والمروءة الغراء والأفضال السخية فيسترسل فى أسئلته ويقول :

٨ — هل تستطيع أن تتسامى بفكرك وإدراكك على مستوى الصغار الذين فى الحياة وما يفعمها من المشاق والاسترقاق ؟ . وهل تستطيع مع ذلك أن تنهض بها فى همة نافذة ونفس وادعة وثغر باسم وقلب متهلل ؟ .

٩ — هل تستطيع أن تعتقد بأن غسل الصحاف وعزق الأرض وحصد الزرع تتآلف جميعها مع التفكير العالى والفنون الرفيعة كالعزف على البيانو أو التلهى بلعبة الصولجان (القلف) ؟ .

١٠ — هل لك خير فى نفسك وهل تخلص لها فى صدق وصراحة ؟ وهل تستطيع أن تكون سعيداً فى خلوة معها ؟ .

١١ — هل تستطيع أن تطل على العالم وترى فيه شيئاً آخر غير الدولارات ؟ .

١٢ — هل تستطيع أن تنفذ ببصرك إلى بركة موحلة على قارعة الطريق فتجتلى مع ذلك الأديم الصافى فى الأفق ؟ وهل تستطيع أن تبصر شيئاً آخر فى البركة غير الوحل والطين ؟ .

١٣ — هل تستطيع أن تنظر فى السماء فى الليل تستشف ما وراء الكواكب والنجوم ؟ . وهل تستطيع أن تعتز بحق تلك الصلة الوثيقة التى تربط روحك بالخالق عزّ وجل ؟ حقاً إنه إذا لزم أن تكون ذوى رصانة وركانة وتودد واعتراف واغتباط بالحياة ، فإنه يلزمنا كذلك أن نعيش لتحقيق اللزوميات الأخرى . ويلزمنا أن نرى الله فى كل شيء . ولكن ما علاقة هذا كله بالقراءة والكتابة والحساب والجغرافيا والتاريخ والرسم والأشغال اليدوية واللغات القديمة والحديثة والعلوم والآداب والصناعات الآلية وغيرها والطب والقانون ؟ .

أقول إنها بمفرداتها ومجموعها نواة التربية الصحيحة الكاملة التى يجب أن تتناول الرأس والقلب واليد جميعاً لأنها من وجهة النظر الدنيوية الاجتماعية تندمج فى العناصر الجوهرية التى تتركب منها القاعدة الذهبية القائلة : « عامل الناس بما تحب أن تلقاه منهم » . والسؤال النهائى الذى ينبغى أن يوجه إليك لاختبار تربيتك ومعرفة مبلغها منك لا يجب أن يكون « ماذا تعرف من اللغات والآداب والعلوم والصناعات ؟ . بل كيف حال نفسك أو هل تستطيع بها أن تكون مخلوقاً نافعاً قوى الشخصية ؟ » .

الزهرة

لكل منا ثمنه

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

هكذا قال كبير من الأدباء الإنجليز ، وهو يسخر من الطبيعة البشرية سخرية هادئة . ولعل الذى دعاه إلى هذه السخرية أنه كان أديباً ممن أفسدتهم السياسة ، أو لعله كان أديباً كشفت له السياسة أسرارها ، وأطلعته على حقائق لم يكن ليعرفها لو لم يشتغل بها ويتدسس وراء أستارها . وهو يتم سخريته قائلا : إن الفرق بين شخص وآخر لا يزيد على أن يكون فى السعر الذى يبيع الشخص به نفسه . فقد يرضى البعض أن يبيعوا أنفسهم بالأثمان البخسة على حين يغالى البعض فى أثمان أنفسهم . وقد يكون الثمن ذهباً كما قد يكون معنى من المعانى ، أو شهوة من الشهوات ، أو أى شىء آخر يرضى به البائع . ولا حاجة بنا إلى كثرة الشرح فى هذا المعنى لأنه فيما نظن واضح كل الوضوح ، والأمثلة عليه كثيرة لمن شاء أن يبصرها .

فلنتصور رجلاً تافهاً منحرف الطبع يطمع فى أن ينال بعض المال ، ولا يستطيع أن يجد سبيلا إليه لأنه عاجز عن أن يكسبه من طريق العمل . ثم جاء إليه رجل يعرض عليه أن يسرق له أو يخون واجبه من أجله ، أو أن يتسخر له فى دعاية كاذبة ، أو أن يقتل له منافساً بريئاً ؛ ثم عرض عليه مقداراً من المال ليؤدى له هذا العمل . فهذه صفقة تجارية فى أبسط صورها لا تزيد على بائع ومشتر وثمن وسلعة . فالبائع هو الرجل المسخر ، والمشترى هو الذى يطلب أداء الخدمة ، والسلعة هى نفس الشخص التافه الذى يتسخر للعمل ، والثمن هو المقدار من المال . وليس فى هذا المثال شىء من الغموض أو الإبهام لأنه من أبسط صور بيع النفوس ، ولذلك كان كثير الوقوع فى كل الطبقات وكل الأوساط . ولا أظن أن أحداً من القراء الأعزاء يجد صعوبة فى تذكر واحد أو أكثر من الناس الذين باعوا أنفسهم على هذه الصورة . والفرق بين فرد وآخر من هؤلاء الذين يبيعون أنفسهم فى مثل هذا النوع من الصفقات أن أحدهم يقنع بالثمن اليسير ، والآخر لا يرضى إلا بالثمن الباهظ . فالموظف الصغير فى شركة من الشركات أو مصلحة من مصالح الحكومة ، عندما يخون واجبه بأن يميز شخصاً على آخر بأن يسهل له قضاء مصلحته على حساب الآخرين ، أو يؤخر قضاء المصالح حتى يأخذ رشوة ضئيلة من صاحب الحاجة ما هو إلا رجل تافه باع نفسه بأن خان واجبه بالقليل من المال . وكذلك الحال فى الموظف الكبير أو صاحب النفوذ العظيم الذى يختان ضميره فيسهل عملا من الأعمال ، أو يميز شخصاً من الأشخاص على حساب المصلحة العامة ، أو على حساب الآخرين ، فما هو إلا رجل تافه باع نفسه بمقدار كبير من المال . وجريمة هذا التافه العظيم نحو نفسه أكبر من جريمة زميله التافه الصغير ، لأنه ارتكب خيانة كبرى في سبيل رشوة كبرى . وإذا كان لابد من المفاضلة بين الجرائم والأثمان ، فإن أخف الجرائم ما كان صغيراً ، وما كان ثمنه قليلا . وقد نستطيع أن نخفف الحكم على التافه الصغير بأنه قد يكون محتاجاً ، وقد يكون عبء الحياة عليه أثقل من عبء الجريمة ، ولكننا لا نستطيع أن نجد كلمة واحدة نقولها فى التافه الكبير الذى لا يمكن أن نعتذر عنه بالجوع أو العرى ، أو ثقل عبء الحياة .

وهناك أنواع متعددة ، وأجناس مختلفة من السلع الإنسانية وأثمانها . فقد تكون السلعة فى صورة رجل ، وقد تكون فى صورة امرأة ، وقد تكون فى صورة موظف ، قد تكون فى صورة عضو برلمان ، أو مدير شركة ، أو صاحب صالون حلاقة ، وغير ذلك . وأما الثمن فقد يكون ذهباً كما ذكرنا ، وقد يكون تقرباً إلى رئيس ، أو جلسة فى حا

أو ليلة حمراء . وقد يكون هوى غانية ، أو تعصباً حزبياً أو خدمة متبادلة .

وقد يخيل إلى القراء الأعزاء أنى أقصد بهذا الحديث لوناً من ألوان الوعظ الأخلاق ، وهذا مالم يخطر لى على بال فلست بالواعظ الأخلاقى ، كما أنى لا أؤمن بفائدة الوعظ الأخلاقى . لا شيء أضيع من عظة لا تأتى من الداخل . ومن جهة أخرى أرى أنه لا فائدة فى أن نلوم أنفسنا على أمر تقضى به الطبائع نفسها . ولا شك فى أن الأديب الإنجليزى الذى « قال إن لكل إنسان ثمنه » قد أصاب كبد الحقيقة . وليست العبرة بصفقة البيع ، ولكن العبرة بثمنها . وغاية ما نقصد أن نبينه فى هذا الحديث هو أن صفقة البيع نفسها لا عيب فيها ، والعيب كله فى الثمن الذى نرضاه لأنفسنا . كل منا يبيع نفسه حقاً فى سبيل الثمن الذى يرضاه لها ، ولكن ما هو ذلك الثمن ؟ هذا هو السؤال الخطير . وهو سؤال خطير لأنه يعرض لنا جميعاً فى كل خطوة من خطى حياتنا بغير أن نفطن إليه ، أو نقف عنده لنفكر ونتعمق ونتفلسف . فالمرأة مثلا عند ما تهب نفسها لمن تختاره زوجاً تعقد صفقة فيها سلعة وفيها ثمن وفيها بيع وفيها شراء . والسؤال الخطير عندها هو أى ثمن ترضى . وكذلك يفعل الرجل عندما يعرض نفسه على المرأة التى يريدها زوجة . فالسؤال الخطير عنده هو أى ثمن يطلب : أهو مالها ، أم جاه أبيها وما ينتظر من نعمه ، أم هو محاسن جسمها ورونق مظهرها فى الحفلات ، أم هو حسن معاشرتها ورجاحة عقلها وخفة روحها ، أم هو شرف أسرتها وطيب عرقها ؟ هذه كلها أثمان ، وهى تختلف فى نوعها وجوهرها . ويدل الاختيار بينها على الشيء الكثير من شخصية صاحب السلعة وطالبها .

ولكن أثمان السلع الإنسانية لا تدل على طبيعة الشخص الذى يملك السلعة وطبيعة الذى يطلبها فحسب ، بل تدل كذلك على طبيعة المجتمع إجمالا وتدل على روح العصر العامة . وعند ذلك ينتقل موضوعها من الأفراد إلى الجماعات ، ومن حيز الأحكام الفرعية إلى حيز القيم المعنوية . فالعصر الذى يكون فيه المال هو الثمن المفضل لكل السلع . تتحول فيه كل الهمم إلى جمع المال . فماذا يطلب العالم من علمه ؟ المال . وماذا يطلب الطبيب من طبه ؟ المال . وماذا يطلب الحاكم من حكمه ؟ المال . وهكذا .

وفى مثل ذلك العصر يعتبر الشخص أحمق ، وموضعاً للسخرية إذا طلب شيئاً غير المال ثمناً لسلعته . فإذا طلبت المرأة فى زواجها الحب الخالص ، أو الكرامة الزوجية أو السعادة الصافية ، أو شيئاً آخر من أمثال هذه المعنويات ؟ كانت حرية بأن يسخر منها صويحباتها وينعتنها بالسخف . وإذا طلب العالم خدمة علمه ، والطبيب خدمة فنه وتخفيف ويلات الإنسانية وما يشبه ذلك ، أو إذا طلب الحاكم أن يكون عادلا مصلحاً ورضى بأن يقر عيناً بنتائج عدله وإخلاصه ، كان جزاؤه مثل جزاء من يؤذن فى مالطة .

فما هو السر العظيم الذى يجعل عصراً من العصور يتجه إلى المال ويجعله الثمن المفضل ، ويجعل ما سوى المال من الأثمان الأخرى موضع السخرية والزراية ؟ . ثم ما هو السر فى أن بعض العصور الأخرى كانت لا تتجه إلى المال ولا تجعله الثمن المفضل ، بل كانت تفضل عليه أنواعاً أخرى من الأثمان يرضاها أهل تلك العصور ، ويسترخصون المال نفسه فى سبيلها ؟ لسنا نزعم هنا أن بعض العصور يعيش فيها ناس من بنى آدم أو من الشياطين ، وأن بعض العصور الأخرى يعيش فيها ملائكة أو قديسون . ليس فى تاريخ هذه الأرض سوى عصور يعيش فيها بشر كلهم من طينة واحدة وطبيعة تكاد تكون واحدة . وكل البشر تجار إذا أردنا أن نوسع معنى هذا اللفظ ونطلقه على كل من يبذل شيئاً فى نظير شيء آخر هو ثمنه .

والاختلاف الوحيد بين أهل عصر من العصور وعصر آخر هو أن لكل عصر تسعيرته المادية والمعنوية . والتسعيرة المعنوية هى التى نعنيها فى هذا الحديث كله ، فلنقصر كلامنا عليها وحدها . فكل فرد يطلب ثمن نفسه بحسب التسعيرة المعنوية التى يرضاها . والأثمان التى يطلبها الناس لأنفسهم فى كل عصر هى التى يجعلها العصر (عملة) مقبولة

(البقية على الصفحة التالية)

مكافحة الجريمة

— ٣ —

للأستاذ أحمد طه السنوسي

مما سبق يتضح أن الدول لم تجد محيصاً عن أن تتعاون فيما بينها لمكافحة هذا النوع من الجرائم، الذي خلقته الظروف الخاصة في تطور المجتمع الدولي، وكان الحائل الأول دون توكيد هذا التعاون وتسهيله مبدأ إقليمية حق توقيع العقاب، ذلك المبدأ الذي أسلفنا الإشارة إليه.

وقد عقدت الدول في هذا الشأن بعض المؤتمرات والاتفاقات الدولية، نذكر من هذه: الاتفاقين الدوليين المتعلقين بمكافحة الرقيق الأبيض الموقع عليهما بباريس في ١٨ مايو سنة ١٩٠٤ و ٤ مايو سنة ١٩١٠، والمعاهدة الدولية الخاصة بإلغاء الاتجار بالنساء والأطفال المعقودة بجنيف في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢١، وكذلك الاتفاقية الخاصة بمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات المضاة بجنيف في ٢٦ يونيو سنة ١٩٣٦.

ويمكن تلخيص أهم صور التعاون الدولي في مكافحة الجرائم ذات الطابع الدولي العام في النقاط التالية:

أولا: التعاون الدائم بين سلطات البوليس في مختلف الدول؛ إذ يسهل هذا التعاون مهمة الوصول إلى منع اقتراف الجريمة والقبض على الجناة.

ثانياً: تسهيل تنفيذ الإنابات القضائية.

ثالثاً: الاعتراف ببعض آثار الأحكام الجنائية الصادرة من المحاكم الأجنبية، وعدم تفرقة كل دولة بين محاكمة المتهم أمام محاكمها أو أمام محاكم دولة أخرى. فقد رأينا فيما سبق خطورة الأخذ بمبدأ إقليمية الجريمة والعقاب على علاته دون التحرر من جموده، وليس من التعدي على السيادة أن يساير مبدأ الإقليمية التطور المطلوب، ما دام الهدف مكافحة الجريمة، وما دامت هذه المكافحة تستوجب التعاون بين الدول.

ويلاحظ أن الاعتراف بالأحكام الجنائية الصادرة من المحاكم الأجنبية إنما ينصب على الآثار التي تتصل بهذه المكافحة إذ من شأن الاعتراف الكلي لهذه الأحكام بكل الآثار في

في معاملاته. فبعض العصور يعد الذهب عملة مقبولة، ويعد الشرف عملة (برانية) وبعض العصور يعد المروءة عملة مقبولة ويعد الذهب عملة (برانية) هذا هو كل الاختلاف.

ومعنى العملة المقبولة أنها تخدم الإنسان في تحقيق كل غاياته وتنيله كل مآربه، أو بقول آخر: هي التي تكفل له السلامة والاطمئنان والشرف في المجتمع الذي يعيش فيه.

إذن فالعصر الذي لا يطلب فيه إلا المال ثمناً لكل السلع يعترف بأن المال هو الذي يكفل السلامة والاطمئنان والشرف في المجتمع. والعصر الذي تطلب فيه القيم المعنوية الأخرى كالخير والجمال والفضائل يعترف بأن هذه المعنويات هي التي تكفل السلامة والاطمئنان والشرف في المجتمع.

هذا هو الفرق بين عصر وآخر. البيع واحد والقصد من البيع واحد ولا خلاف إلا في نوع الثمن. فرق بسيط بغير شك. ولكن ذلك الفرق البسيط هو لب الحياة الإنسانية وهو الفصل بين حياة الأمم وفنائها وبين عظمة العصور وضآلتها. السؤال الخطير الذي يقوله الفرد دائماً هو «بم أبيع نفسي بهذا أو بذاك؟ أهو الذهب الذي أعده عملة مقبولة أم هو الخير والجمال والفضل؟».

ما الذي يجعلني سيداً بين الناس: أهو الذهب أم هو المروءة والفتوة؟ الثمن الذي أرضاه هو الذي يجعلني سيداً. فإذا طلب فرد من الأفراد ثمناً آخر كان عليه أن يضعه في جيبه ولا يطلب به شيئاً.

وهنا نصل إلى ختام الحديث فنقول: إن الأمة التي تريد أن تقرر مصير الحياة فما عليها أن تنظر في تسعيرة القيم المعنوية التي عندها. فإذا وجدت أن المال وحده هو أساس تسعيرتها فعليها أن تبادر إلى تدارك الخطب قبل أن يستفحل ويقضي على حياتها حتى لا يحق عليها القول فتدمر تدميراً.

محمد فريد أبو حديد

النطاق الداخلى أن تنتقص السيادة ما فى ذلك شك ، والآثار التى تتصل بمكافحة الجريمة فى هذا الصدد هى الخاصة بالتدابير الوقائية Mesures de sûreté ، ونعنى بذلك أن تتخذ الأحكام الأجنبية أساساً لهذه التدابير ، والتدابير الوقائية هى الإجراءات التى تفرض بقصد المحافظة على الأمن وحماية المجتمع ممن يخشى ارتكابهم للجرائم ، ومن تلك الآثار التى تتصل بالمكافحة أيضاً وضع الأحكام الأجنبية على الاعتبار فيما يتعلق بعودة المجرم إلى اقتراف جرائمه .

رابعاً : تعقب الدولة لمرتكبى الجرائم التى تمس كيانها ومصالحها ، إذا ارتكبوا هذه الجرائم وهم فى الخارج أو قاموا بأفعالها فيه ؛ إذ من الجرائم ما يقع فى الخارج ، ولكن خطره يحيق بالدولة ويهدد كيانها ، فخطر هذه الجرائم يخصها ويعنيها ، وقد لا يهم سواها فى شىء ؛ لذا كان من شأن اهتمامها وحدها بمكافحة هذه الجرائم أن ينبسط سلطانها عليها ، مهما كان مكان وقوعها ، ومن مقتضى ذلك أيضاً أن تيسر سبل تسليم المجرمين .

خامساً : تيسير وسائل تسليم المجرمين L'Extradition وتسليم المجرمين سبيل هام من سبل مكافحة الجرائم ، ولن يعدو فى الواقع أن يكون صورة من صور التعاون بين الدول لمكافحة الإجرام ، ذلك أن المجرم قد يرتكب الجريمة فى بلد ما ، ثم يهرب إلى بلد آخر ؛ فإن لم تيسر وسيلة تسليمه ، كان من مقتضى ذلك نجاته من العقاب والحصن على ارتكاب الجرائم فى بلد ، ثم الهرب فالنجاة من العقاب .

ويرجع فى تسليم المجرمين إلى مصدرين : أولهما العرف الدولى ، وثانيهما : المعاهدات الخاصة التى تعقدها الدول فيما بينها ، وهذه المعاهدات ضربان :

الضرب الأول تقليدى تنطوى المعاهدة فيه على وجوب التسليم فى جرائم معينة بالذات ، والضرب الثانى حديث تلتزم فيه الدولتان المتعاقدتان بتسليم الأشخاص الذين ينسب إليهم أفعال معتبرة جرائم معاقباً عليها فى قانون الدولتين : الدولة الطالبة للتسليم Pays requérant والدولة المطلوب منها التسليم Pays requis .

ولقد كان الغرض المقصود من معاهدات تسليم المجرمين فى أول الأمر هو تسليم المجرمين السياسيين باعتبار هذا التسليم مما توجبه المجاملة بين الدول ؛ ذلك أن جرائم هؤلاء المجرمين كانت تعد عدواناً على ذات ولى الأمر Lèse-majesté هذه الذات التى كانت تندمج فيها ذات الدولة التى يقوم عليها هذا الولى . . . ولما كانت الملكيات فى أوربا يجمع نطاقها هذا الضابط : ضابط اندماج ذاتية الدولة فى ذات ولى الأمر فقد اقتضى ذلك التعاون بين الدول لمكافحة إجرام المجرمين السياسيين ؛ لأن هذه المكافحة تهدف إلى تحقيق مصلحة مشتركة يسعى إليها وتهتم بها دول الملكيات فى أوربا . .

بيد أن التطورات التى حدثت فى القرن التاسع عشر فصلت ذاتية الدولة عن ذات ولى الأمر ، الأمر الذى تغيرت معه وجهة النظر الخاصة بالإجرام السياسى ، وتمثل هذا التغير فى صورتين : أولاهما اتجاه التشريع الداخلى للدول إلى الليونة مع المجرم السياسى ، وثانيتهما ما استقرت عليه الدول فى عرفها ومعاهداتها من تحريم تسليم المجرمين السياسيين .

وليست الجريمة السياسية وحدها هى التى تخرج اليوم عن نطاق تسليم المجرمين ، بل الواقع أن ثمة أنواعاً من الجرائم جرى عرف الدول على عدم جواز التسليم فيها ؛ من ذلك ما قرره « مجمع القانون الدولى » فى اجتماعه عام ١٨٨٠ بأكسفورد من عدم جواز التسليم فى الجرائم العسكرية البحت purement militaire ، ومن ذلك أيضاً جرائم الأديان .

وليس كل فرد فى الدولة قابلا للتسليم إذا ارتكب جرماً ، بل ثمة فئات من الأفراد لا يجوز تسليمهم ، كفئة المتمتعين بالإعفاء القضائى ذوى الحصانات الدبلوماسية Immunités diplomatiques ، ومنهم رؤساء الدول Chefs d'Etat والسفراء Ambassadeurs والوزراء المفوضون Ministres plénipotentiares والقائمون بالأعمال Chargés d'affaires .

وكذلك لا يجوز تسليم الأرقاء الهاربين Esclaves fugitifs إذا كان هروبهم لاسترداد حريتهم أو للتخلص من العقاب على ما اقترفوه بوصفهم أرقاء ، كما يجرى عرف دول

القارة الأوربية على عدم جواز التسليم بالنسبة لرعايا الدولة المطلوب منها هذا التسليم Ressortissants .

ويشترط فى الجريمة التى يجوز فيها التسليم أن تكون معاقباً عليها فى قوانين البلدين اللذين أثيرت مسألة التسليم بالنسبة إليهما ، كما يشترط أن تكون على درجة من الجسامة تبرر الإجراءات التى تتخذ والنفقات التى تنفق من أجل التسليم فيها ، وتستدعى تعاون الدول بينها لتعقب الجناة ومكافحة الإجرام !

على أنه إذا ما وجدت معاهدة بين دولتين لتسليم المجرمين ، فإن أحكام هذه المعاهدة هى التى يرجع إليها فيما يخص مسألة التسليم ، وتشترط بعض الدول أن يوجد قانون داخلى يسمح للحكومة بإجابة التسليم ، كما تعمل الدول على تحقيق قدر من التوافق بين تشريعاتها الداخلية وبين معاهدات تسليم المجرمين التى تعقدها مع سواها من الدول . وقد حدث أن قدم ممثل إحدى الدول إلى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة اقتراحاً جاء فى ثناياه أن دولته لا توقع أية معاهدة لتسليم المجرمين مع أية دولة يمكن أن توقع على المجرم المطلوب تسليمه L'extradé عقوبة الإعدام La peine capitale ؛ لأن دستور دولته ألغى هذه العقوبة من نصوصه !

سادساً : تقرير عالمية حق العقاب L'Universalité du droit de punir ، ومن شأن ذلك ضبط الجانى وتوقيع العقاب عليه بغض النظر عن جنسيته بل وعن جنسية المجنى عليه ، وبغض النظر عن مكان وقوع الجريمة . وقد طبقت إيطاليا هذا النظر فى عام ١٩٣٠ ، كما فعلت هذا بولونيا بعد ذلك بعامين ، إذ أطلق اختصاص المحاكم الجنائية بالنسبة لما يقع فى الخارج من الجرائم دون نظر إلى جنسية أى من الجانى والمجنى عليه .

ويمكن أن تكون الخطوة الأولى فى تقرير عالمية حق العقاب مقصورة على تقرير العالمية بالنسبة لبعض الجرائم الخطيرة التى لا يهتم فيها بجنسية الجانى والمجنى عليه كليهما ، ولا يكون محل وقوع الجريمة موضع اعتبار بالنسبة إلى الإجرام فيها .

هذا وثمة جرائم خطيرة تهدد أمن العالم وسلامه ، تحدو بالدول جميعها إلى الاهتمام بها والعمل على مكافحتها ، بيد أن مكافحة هذا الضرب من ضروب الجرائم اقتصر على توقيع العقاب على مرتكبي هذه الجرائم ؛ مثال ذلك ما حدث فى لندن فى أغسطس سنة ١٩٤٥ ؛ إذ وقعت الدول معاهدة لمحاكمة كبار مجرمى الحرب ، وعددت المادة السادسة من اللائحة المرفقة بالمعاهدة المذكورة أنواع الجرائم التى سيقع مرتكبوها تحت طائلة العقاب من المحكمة العسكرية الدولية المشكلة طبقاً لنصوص هذه المعاهدة ، فذكرت هذه المادة ثلاثة أنواع هى : الجرائم التى ترتكب ضد السلام والتى ترتكب ضد الحرب ؛ وأخيراً تلك التى ترتكب ضد الإنسانية .

من هذا نرى أن الحرب وظروفها تخلق جرائم دولية ، ترى الدول اختصاصها جميعاً بمكافحتها وتوقيع العقاب على مرتكبيها ، لما لها من صفة الخطورة والعموم ، ومثال ذلك الجريمة التى أطلق عليها جريمة « إبادة الجنس Genocide » والتى حمل اتفاقها تاريخ ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ، ويمكن الرجوع إلى فصل لنا عنها ، نشرناه سالفاً على هذه الصفحات تحت عنوان « إبادة الجنس وهيئة الأمم المتحدة » .

أحمد طه السنوسى

شوقي وجيته

— ١٠ —

للأستاذ أنور الجندى

لم يكتمل مظهر العبقرية فى الشباب على سوره من النضوج إلا لقليل من رجال الفكر والأدب ، فقد جرت سنن الكون على أن لا يتألق البطل أو النابغة أو العبقرى منهم إلا بعد أن يصل إلى طور الشيخوخة . . . ويكون قد استوفى عوامل التقدير التى لا تتحقق إلا بعد أن يتصل الشاعر بالناس فترة طويلة من العمر ، يظل خلالها يقرع الأسماع ببيانه ، ويداعب العواطف والقلوب ، بالقصيدة بعد الأخرى والملحة وراء البادرة ، حتى يستوى فى تقديرهم كائناً قوياً يصح له أن يحرز صفة العبقرية أو النبوغ .

أما شوقى وجيته ، فقد خالفا هذه السنن ، أو خالفتهم ، إذ اكتملت شخصية كل منهم الذاتية على الصورة القوية منذ الجولة الأولى ، وخلال الشباب الباكر ، ولم تزد الأيام المتوالية والخطوات المتتالية ، فى الرجولة والشيخوخة شيئاً عما منحه الشباب إياه .

لقد تألقا كوهوبين ، وبرزا كعبقريين فى إبان الشباب ، ووصلا إلى القمة ولما يتخطيا هذه المرحلة النضرة . . وصل شوقى بقصيدته « همت الفلك » ووصل جيته بكتاب « آلام فرتر » . وقد كتب كلاهما أثره هذا فى سن السابعة والعشرين وأحدث كل منهما بقصيدته ، أو قصته ، ضجة كبرى ، بحيث لو لحق الموت بأحدهما أو كليهما بعد ذلك لظل التاريخ يحفظ لهما من نباهة الصيت ، وامتداد الذكر ما لا يقل كثيراً عما يحفظ لهما الآن . .

وصل كل منهما إلى القمة ، بهذا العمل الأدبى الأول . ثم تسلسل بعد ذلك إنتاجهما فكانت كل حلقة من حلقاته دليلاً جديداً على عبقرية الشباب ، ونبوغ الفتوة الباكرة .

أما قصيدة شوقى « همت الفلك » فقد جاءت فى ثلاثمائة بيت ، وانتظمت كعقد من اللؤلؤ ، تاريخ مصر منذ الفراعنة إلى الأسرة العلوية ، وهزت رجال المؤتمر الدولى الذى ألقيت فيه ، ثم هزت العالم العربى أيضاً ، وأعجب بها الناس أيما إعجاب ، وتألق بها اسم شوقى الشاعر الشرقى المصرى الشاب فى أكثر من مكان ، حيث برز فى أول عمل من أعماله الأدبية ، غاية فى القوة والحيوية .

أما قصة جيته « آلام فرتر » فقد أحدثت هزة كبرى فى المحيط الذى ظهرت فيه من أوربا وتركت فى نفوس الشباب أبعد الأثر ، حتى قيل إنها من فرط تأثيرها حملت الشباب على أن يفعلوا ما فعل بطلها .

ويلتقى شوقى وجيته — بعد تبرزهما الباكر فى سن الشباب — فى كثير من الشمائل والخصال ، على الرغم من اختلاف العصر ، واختلاف الوطن .

يلتقيان فى وفرة عوامل الأصالة فى التعبير والبيان ، وفى براعة الإنشاء والعرض ، وجزالة العبارة وصفاء الأسلوب .

فكلاهما شاعر ، قد درس الحقوق ، أما شوقى فقد قرأ التوراة والإنجيل ، وأحب الأدب الغربى ، وطالما نوه فى قصائده بالسيد المسيح فى إجلال وتكريم .

أما جيته فقد قرأ القرآن والسنّة والسيرة النبوية ، وأحب الآداب الشرقية ، واصطبغت كتاباته بصبغتها ، ومن أبين آثاره فى هذا الصدد «الديوان الشرقى للمؤلف الغربى»

ولم يرد هذا فى حياة الشاعرين متأخراً حتى يمكن أن يقال إنه جاء مع ارتفاع السن أو تحول الطبع ، وإنما جاء مبكراً فى سن الشباب الذى لا يحفل كثيراً بالروحية أو الدين ، فقد قرأ جيته السيرة النبوية فى سن السادسة والعشرين .

وظل يضمن شعره من روح الشرق وأدبه الكثير ، حتى انتهى إلى إنشاء الديوان الشرقى بعد سن الأربعين . . وكذلك كان شوقى ، وفى قصيدته همت الفلك بالذات . . وقصائده التى أنشئت فى الشباب ، آثار تدل على أنه أحب التوراة والإنجيل وأحب الغرب .. وأدبه ، ومضى شوقى فلم

يغيره ارتفاع السن ، ولا تحول الميول ، عن هذا الإعجاب والتقــدير .

وحظى كلاهما —شوقى وجيته— برعاية الأمراء الذين يحبون الفنون والآداب ويقدرون أقطابها . . فشوقى كما يقول عن نفســه ولد بباب إسماعيل ، وكان شاهد الأمير وله قصص تروى حين نثر عاهل قصر الذهب أمامه على البساط .

وكذلك جيته ، عاش فى كنف أمير فيمار ، وأتاحت له رعايته المبسوطة أن ينتج وينشىء ويبدع فنوناً من الأدب والشعر والقصة .

وكلاهما ولد هزيلا ، ضعيف الصحة ، ميئوساً منه ، ثم عاش من بعد ذلك وطال به العمر ، وكلاهما كان شديد الإحساس ، سريع التأثر ، لا يتصل بالناس إلا قليلا . يحب الوحدة ، ويهوى الحياة الرخية المونقة ، ويعلى آثاره على تابع له .

وكلاهما أثرت الرحلة فى حياته أبعد الأثر ، فأوحت إليه وأمدته ، وضاعفت من إنتاجه ، وقد تشابهت الرحلتان فى مظهرهما وأثرها . كان جيته يحب قدماء اليونان ، وكان شوقى يحب قدماء العرب ، وكان جيته يكبر حضارة الرومان واليونان وفنهما القديم ، ويراها مصــدراً وأثراً للثقافة الجديدة .

وقد أتيح له أن يسافر إلى إيطاليا ، وأن يعيش زمناً بين هذه الآثار ، وقد قيل إن رحلته هذه غيرت من نظراته إلى الأدب فى بعض قضاياه ، وكذلك كان شوقى يذكر حضارة الأندلس وآثار قرطبــة وغرناطة وقصر الحمراء والزهراء . ويراها من أبدع آثار الحضارة العربية ، وقد أتيح له أن يرحل إلى الأندلس فيقيم بها خمسة أعوام . وقد أثرت رحلته هذه فى نظرته إلى الأدب ، فحولت اتجاهه فى الشعر .

وكما أحب جيته الروح الإغريقى القديم وجعــله مصدر وحيه طوال حياته ، استمد شوقى إلهامه من الروح الإسلامى وأعجب به .

وأنشأ جيته الروايات التمثيلية والأغانى كما فعل شوقى .

وأحب شوقى الأساطير ورواها فى سفره كما فعل جيته .

وكما ترك جيته قصائد فى الحب غاية فى الروعة ، ترك شوقى فى هذا الفن آثاراً خالدة .

أما جيته فقد نشأ فى محيط الشاعرية والجمال والفن وفتح عينه وذهنه على الحياة فى صورة الأشجار والغابات والأزهار والجبال العالية ، وأمضى فترة شبابه الأولى متنقلا بين الأحراش ، وقد ملأت نفسه الطبيعة الأسرة بالجمال .

واندفع جيته يأخذ بأســباب الهوايات من رياضة وموسيقى وتصوير ، فكان فارساً يحلو له أن يقضى سحابة يومه فوق جواده ، يتنقل من غابة إلى أخرى ، ومن جبل إلى جبل ، وقد حمل معه قيثارته ، فإذا ما أجهده الركوب نزل إلى شاطىء البحر فتخير صخرة عالية ، فجلس إليها يتطلع فى الأفق البعيد ، ويتلقى وحى الجمال . . وما يلبث أن يدق بأصابعه فيحيل الوجود الصامت نغماً شجياً .

وأحياناً يلقى بأداة الموسيقى بعيداً لأن قصيدة شعرية قد أخذت تتجمع أطرافها فى مميزه ، وقد أثار البحر بموجه المصطخب كوامن النفس الشاعرة .

وفى فيمار وجــد الشاب جوته ، مجالاً للأدب والشعر ، فقد كانت القرية ساحرة ، حافلة بالزهور والشجر ، وقد تجلت الطبيعة فيها وأبدعت ، وكان له بيت خلوي أنيق بين حدائق القرية ، تهب عليه نسائم الربيــع ، وروائح الزهر ، والبنفسج ، وتلفه هالة من السحر والجمال .

* * *

أما شوقى فقد ولد على ضفاف النيل حيث الطبيعة المصرية تهب الحياة والضياء .

وقد أمضى شبابه كصاحبه جيته بين الزهر والشجر والبحر ، يستوحى من جمال الطبيعة أبياته وقصائده ، فقد كان مغرماً بالنيل يقضى أغلب أوقاته جالساً على شاطئه ، أو راكباً إحدى الزوارق التى تعبره .

وكان لرحلاته إلى فرنسا وإلى الجزائر وإلى الأندلس أثرها فى شــعره . وجملة القول أن شوقى وجيته تشابها ، فى كثير من مظاهر النبوغ والعبقرية ، وكان أبعــدها أثراً أنهما برزا فى سن الشباب وكتبا اسمهما فى صفحة الخلود مبكرين ولم يزدهما ارتفاع السن إلا تقديرا فوق تقدير .

أنور الجندى

فرز الكتاكيت

الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى

أساس النجاح فى أى عمل هو التفكير المستمر فى إتقانه وتحسينه ، فلا يصح أن يظل الإنسان متمسكا بالطرق العتيقة التى ورثها عن آبائه وأجداده كما هو الشأن فى معظم الحالات عندنا ؛ إذ يندر أن نجد عندنا من يمارس صناعة وينحرف بها عن الأسلوب الذى درج عليه من سلفوه ، مع أن سنة التطور والترقى تحتم على كل فرد أن يجهد فكره ويبذل جهده فى التقدم بصناعته خطوة إلى الأمام تتبعها غيرها ، وذلك بإدخال التعديلات والتحسينات المستمرة التى تجعله يتفوق على من سبقوه ، سواء من حيث زيادة الإنتاج أو تحسين نوعه أو تقليل متاعب العمل فيه . وذلك بالاستعانة بأساليب أو آلات جديدة أو التعديل والتحسين فى الموجود منها على ضوء التجارب الخ .

وها كم مثلا طريفاً من أمريكا لمثل هذه المحاولات :

لاحظ المشتغلون بتربية الدواجن للاتجار ببيضها أو الكتاكيت التى تنتج عن التفريخ ، لاحظوا أن الكتاكيت التى يربونها لهذا الغرض يكون نصفها تقريباً من الفراخ والنصف الآخر من الديوك . ولما كانت الأخيرة لا تنفعهم لأنها لا تبيض فإن تربيتهم لها لا تفيد بل بالعكس تضر ، وذلك لأنها تزاحم الفراخ من جهة وتشغل من أماكن التربية فراغاً كان يصح أن يملأ بالفراخ التى تنتج البيض ، هذا إلى أن المبالغ التى تصرف على تربية الديوك يضيع معظمها هباء لأن ثمن الديك الكبير لا يتناسب مع ما يصرف فى سبيل تربيته لأنه لا ينتج البيض باستمرار كالفرخة .

شغلت هذه المسألة أفكار المشتغلين بتربية الدواجن وأقضت مضاجعهم ، وحاولوا عبثاً تلمس الوسائل لمعرفة الديك من الفرخة فى الكتاكيت الصغيرة فلم يجدوا وسيلة لمعرفتها قبل أن تكبر إلى أن جاءهم نبأ من اليابان بأن فيها إخصائيين يستطيعون هذا التمييز ، أى فرز الديك من الفرخة فى اليوم الثانى من خروجه من البيضة أى وعمر الكتكوت يوم واحد .

عندئذ اجتمع كبار المشتغلين بهذه الصناعة ، وأعدوا العدة واتخذوا الإجراءات الواجبة ، وصرفوا الأموال اللازمة لاستقدام عدد من الإخصائيين اليابانيين للقيام بعرض تظهر فيه مقدرتهم الفنية على القيام بهذا الفرز المطلوب . وقد نجح العرض نجاحاً باهراً أقنع الأمريكيين بأن مشكلتهم قد تهيأت السبل لحلها . ومما بهرهم أن أحد هؤلاء الإخصائيين استطاع أن يفرز نحو ١٤٠٠ كتكوت فى الساعة بنجاح يبلغ ٩٨ ٪ ، أى أنه لم يخطىء إلا فى ٢ ٪ فقط من الحالات المفروزة . وبعد انتهاء الموسم عاد اليابانيون إلى بلادهم مخلفين للأمريكيين دهشة لما كان وفرحة لحل المشكلة .

بعد ذلك أخذ رجال الأعمال الأمريكيون يستعدون للموسم التالى فاستقدموا إخصائيين يابانيين وأعدوا العدة لفتح مدارس لهذا الغرض ، كما أنهم اختاروا من الأمريكيين المنحدرين من أصل يابانى والذين يعرفون اللغة اليابانية عدداً من الشبان أوفدوهم إلى اليابان ليتعلموا هذه المهنة ويكتسبوا المهارة فيها من الوسط الذى نشأت فيه وترعرعت وازدهرت .

ولم يمض زمن طويل حتى برع الإخصائيون الأمريكيون فى هذه المهنة ، وكثر الطلب عليهم من جميع المناطق المشتغلة بتربية الدواجن للاتجار فى البيض وفى التفريخ . نعم إن

مهارتهم أول الأمر لم تصل من الدقة إلا إلى نحو ٩٠ ٪ ولم تصل سرعة الواحد منهم فى الفحص والفرز إلا إلى نحو ٨٠٠ أو ٩٠٠ كتكوت فقط فى الساعة ، ولكن المسألة كانت مسألة وقت واكتساب الخبرة بالتمرين لا أكثر ولا أقل ؛ فكان همهم فى مبدأ الأمر إتقان الطريقة ، فاذا تم لهم ذلك أخذوا يعنون بالسرعة .

وقد تبين أن الدراسة فى المدارس التى فتحت لهـذا الغرض كانت تستغرق نحو ستة أسابيع يتبعها تمرين عملى لمدة ستة شهور تصرف بعدها الشهادة لمن وصل إلى درجة معقولة من الإتقان (لا يقل عن ٨٥ ٪) ، وإلى درجة معقولة من السرعة لا تقل عن المقدرة على فحص وفرز ٨٠٠ كتكوت فى الساعة .

وتنحصر العملية فى أمرين : الأول طريقة مسك الكتكوت باليد ، ولكل واحد من الإخصائيين طريقته الخاصة به ، وقد تفنن المتعلمون من الأمريكان فى ابتكار الطريقة التى تلائم كلا منهم وتريحه فى العملية . ولا تحسبن أن هذه المسكة من السهولة بمكان ، بل هى صعبة كما أنها تستلزم استخدام شيء من الضغط على بطن الكتكوت وأمعائه عند الألية (بصفة خاصة) وهذه تحتاج لمهارة ، وكم أودى المتعلمون بأرواح كثيرة من الكتاكيت ، أو على الأقل سببوا لها أضراراً أثناء فترة تعلمهم ، وهذا هو السر فى ترك كل متعلم يختار الوضع الذى يناسبه ولا يضر الكتكوت ، ما دام يحقق الغرض المقصود ، وهو إبراز الجزء الداخلى من مجزه (Cloacca) — وهى الفجوة التى تنتهى عندها الأمعاء والمجارى البولية عند الكتكوت — حتى يسهل فحصه .

وفحص هذا الجزء ليس بالسهل فى كل الحالات ، فإنه وإن كان الفرق بين الذكر (الديك) والأنثى (الفرخة) بيّناً فى بعضها ، فإن التشابه فى البعض الآخر كبير إلى درجة تبعث الحيرة ، وتحتاج إلى عين دقيقة فاحصة مجرّبة لتستطيع التمييز بينها والحكم بأن الكتكوت المفحوص ديك أو فرخة . *والتعرف على ذلك متوقف على شكل البروز*



كما يرى فى الصورة المرافقة لهذا التى يظهر فيها إلى اليسار مختلف أشكال هذا البروز فى الديك ، وإلى يمين مختلف أشكاله فى الفرخة . ونظرة دقيقة إلى الشكل تبين أن الشكلين الأولين (العلويين) عند الديك ، وكذلك الشكل الأول العلوى عند الفرخة من السهل التميز بينها ، وهى تمثل الشكل الغالب ، ولكننا كلما نزلنا إلى تحت فى الصورة بدأت الأمور تختلط وتتعقد ، وبدأت تتبين أهمية براعة الفرّاز وخبرته إذ يصبح التمييز صعباً إلا للماهر فيه .

أحمد عبد السلام الكردانى

مع الفكر الأوربى المعاصر

للأستاذ مبارك إبراهيم

١ — روما فى الشرق

أو الحكم الرومانى فى آسيا الصغرى

حتى نهاية القرن الثالث بعد الميلاد

كتاب من تأليف العالم الأمريكى

« الدكتور داڤيد ماجى »

"Rome in the East" or
"Roman Rule in Asia Minor to the End of the Third Century after Christ"
By "Dr. David Magie"

قيل إنّ الإمبراطورية الرومانية قد كُتب عليها أن تشق شقين . فتكون منها امبرطوريتان : شرقية وغربية . كما كتب عليها أن يكون الفرق بين الشقين فرقا جد عظيم . فبينا نرى الحضارة فى الإمبراطورية الغربية قد لقيت أرضاً بكراً إلى حد ما ، نرى الحضارة فى الإمبراطورية الشرقية قد جاءت قشرة من طلاء جديد ، ألصق عنوة وقسراً فوق ألوان من الثقافات القديمة .

وقصة الحكم الرومانى فى آسيا الصغرى قد شغلت — إلى حد كبير — خواطر المؤرخين وعلماء الآثار . فألف فيها المؤلفون وأكثروا التأليف .

وهذا المؤلف الذى نتحدث عنه اليوم هو من أبعد المؤلفات أثراً ، وأكثرها قيمة . ويقول لنا المؤلف إن كتابه خلاصة دراسة عمر مديد . وهو موسوعة احتواها مجلدان بلغت صفحاتهما ستمائة وألف صحيفة . وتفرد المجلد الأول بذكر الحوادث فى صيغة استطرادية منسقة واختص الثانى بذكر الأسانيد والبحوث .

وإن قارىء الكتاب ليلمس فيه علم العالم ودقته ، ولباقة الأديب ورقته .

وقد عنى مؤلفه بمسائل الجغرافيا وشئون الاقتصاد . وقد عمل على أن يقدم لقراء كتابه فى تنسيق بديع كل ما عرف إلى اليوم عن تقدم وارتقاء الحكم الرومانى فى الشرق الأدنى فيما بين عامى ١٣٣ ق . م . و ٢٨٥ بعد الميلاد . وهو بعمله هذا قد ضمن لنفسه دينا فى ذمة كل دارس للتاريخ الرومانى .

وهو يتتبع فى دقة العلماء وحذقهم الدور الذى لعبته حكومات السواحل الإغريقية ، والجاليات الخاضعة لحكم تلك الحكومات فى داخلية البلاد . وهو يدرس دراسة وافية المسائل الاقتصادية لثروة تلك البلاد التى كان الحكام الرومانيون ورجال التجارة ينقضون عليها انقضاض الطيور الكواسر . وذلك فى القرن الأخير من العصر الجمهورى .

وكذلك هو يذكر فى إسهاب وصبر عجيب حوادث سوء الإدارة والاعتداءات . ثم المحالفات . والمحالفات المضادّة . كما يسهب فى ذكر الحروب ووصف المستعمرات والملحقات .

وهو يعرض على قارىء كتابه تاريخ « سُلاّ » و « ليوكيولوس » و « پومپى » و « قيصر » و « أوكتاڤيان » .

وهو يحدث قراءه حديثاً مفصلاً عن مدينتى « غلاطيا » و « ليسيا » اللتين ألحقتا بالنظام الإمبراطورى فى عصر متأخر نسبياً .

وهو يخص بالثناء الوفير الإمبراطور « هادريانوس » (٧٦ — ١٣٨) إذ هو ينسب إلى سعيه المتواصل ومجهوده الذى لا يكل ما بلغته البلاد من وحدة حقيقية . وهى الوحدة التى تمثلها العملة الموحدة التى ضربت فى عهده .

وهو يقول : إنه قد كان لآسيا الصغرى نصيبها من المتاعب والآلام التى عانتها الإمبراطورية فى القرن الثالث الميلادى .

وهو يقول أيضاً إنه لما جاء القرن الرابع ، وأصبحت الطرق تؤدى شمالا إلى القسطنطينية بدلا من أن تؤدى غرباً إلى البحر الأيجى وإلى روما ، لم تبق آسيا الصغرى مستودعاً للتجارة بين الشرق والغرب . . .

٢ ـ التعليم والقراءة فى فرنسا

أو كتاب « نحن وأولادنا »

للدكتور « إتيين دى جريف »

وكتب أخرى

"Nos Enfants et Nous"
par "Dr. Etienne de Greef".

أصبح التعليم فى فرنسا فى الزمن الأخير إحدى مشكلاتها الاجتماعية التى تعنى بها الأمة العناية كلها . فالشباب الفرنسى يجتاز اليوم أزمة حادة من أزمات عدم الاستقرار . وهى أزمة لم يكن منشؤها المشكلات المادية التى تتراكم كل يوم . فتجعل حياة الجيل الناشىء تزداد تعقيداً . بل لم يكن منشؤها حاجة الشباب إلى الانطلاق من أسر الرقابة الأبوية بعد تلك السنين التى مرت بهم . وهم مقودون بالأوامر والنواهى . بل لم يكن منشؤها الرغبة فى الهرب من رعاية الأبوين وحمايتهم . ومن أولئك الآباء من ينقصهم الفهم الصحيح . ومنهم من يمضون فى اتخاذ وسائل الكبح والقمع .

لم يكن منشؤها وحده كل أولئك الأسباب التى هى الخصائص المميزة لكل جيل ناشىء . ولكن منشأها أن الحدود الفاصلة بين الشباب والشيوخ لم تكن من قبل أكثر جلاء ووضوحاً مما هى عليه اليوم .

وعلاج هذه الحالة يجب أن يقوم به الآباء لا الأبناء . وليس أنفع لهؤلاء الآباء فى الكبح من جموح الجامحين ، ولا أجدى عليهم فى قمع استهتار المستهترين من هذا الكتاب الذى جعلناه عنواناً لهذا المقال وهو « نحن وأولادنا » .

ومؤلف هذا الكتاب كاتب تعرفه فرنسا . ولا تنكره « بلجيكا » البلد الذى أنجبه . وميزة هذا المؤلف أنه رب عائلة ، ووالد أولاد . فوق أنه طبيب وفيلسوف . وهو فى كتابه هذا يبين للناس جدوى دراسة العقل اللاواعى لدى الأطفال ، وأثر البيئة والأسرة فيما يتأثر به هـذا العقل اللاواعى .

وهو فى كل أبحاثه لايهبط إلى درك التفاهة ، ولا يلجأ إلى التعميم الذى يحوطه الغموض . بل هو يكتب كتابة رجل فطن خبير . وهو لايفتأ يجرب ويستقرىء فتجىء أحكامه وطابعها الرصانة والنضج .

وهو يمسك بالطفل فى كل مرحلة من مراحل التحول . فيدرس الطفل ويسميه الرجل فى الخامسة من عمره . ثم يدرس الطفل وهو فيما بين السادسة والثانية عشرة . ثم يدرسه وهو فى مرحلة القلق .

وهو فى كل مرحلة يبين للقارىء ضرورة وجود « قيود الأسرة » بطابعها الذى لا ينمحى أثره .

وكتاب « الدكتورجريف » يعين كل أسرة على معرفة كيف تحرص على تلك القيود ، وكيف تمسك بزمامها ، وكيف تحسن استعمال تلك القيود . . .

(وبعـد) فأية أم لا تظن — فيما بينها وبين نفسها — أنها الأم — ولا أمّ غيرها — التى تعرف كيف تقص القصص على أطفالها .

فإذا كان بين الأمهات أمّ فى شك من براعتها وتفوقها فى هذا الشأن . فإنها لا بد واجدة بغيتها فى الكتاب الذى كتبته مدام Jeanne "Coppe" وسمته تجارب فى فن قص القصـص "Experiences Dans L'art de Raconter des Histories" . ومن مميزات هذا الكتاب أن صاحبته سيدة تعرف كيف تسيطر على عقـول الأطفال وكيف تثير وكيف تحفز خيالهم . وتعرف كذلك كيف تختار قصصها .

والمعروف أن مادة قصص الأطفال هى واحـدة فى كل أمة من الأمم مع فارق واحد هو كيفية معالجة تلك القصص وكيفية عرضها وتقديمها .

ومن الكتب النافعة للأطفال القاموس ذوالألف صورة "Le dictionnaire aux Mille Images" لمؤلفتـه مدام أميلى دو بوكيه "Mme. Amelie Du Bouquet" وهو يحتـوى ألف كلمة من الكلمات الدائرة على ألسنة المتحدثين كل يوم . وهوكتاب استرشدت فيه صاحبته بطريقة «مونتيسورى» (هى ماريا مونتيسورى المولودة عام ١٧٨٠ وهى طبيبة إيطالية عنيت بشئون التعليم . وهى صاحبة طريقة «مونتيسورى» فى تعليم الأطفال . وقد أنشأت عام ١٩٠٧ أول مدرسة للأطفال فى حى من أحياء الفقراء فى روما . ولها عدة مؤلفات تدور كلها حول مسائل تعليم الأطفال وتهذيبهم).

وكتاب مدام « أميلي دو بوكيه » أو قاموسها تحتوى كل صحيفة من صحائفه على خمس صور . وتحت كل صورة من تلك الصور الكلمة أو الكلمات التي تدل عليها الصورة .

ويقول « الدكتور جريف » إن هذه الألف كلمة تمثل مجموعة المفردات اللازمة لكل طفل فيما بين الثالثة والخامسة من عمره . وإن كان من الأطفال من يلزمهم — بحكم براعتهم الفطرية — أربعمائة وألف كلمة .

ومن الكتب النافعة فى تعليم الأطفال كتاب « الحياة فى صور » "La vie en Images" والصور التي جاءت فى هذا الكتاب يستطيع أن يتدارسها الأطفال فى بيوتهم على أيدى آبائهم ، كما تعينهم على تعلم اللغات الأجنبية .

وهناك كتب أخرى يتعلم منها أطفال « مدارس الحضانة » ومدارس « رياض الأطفال » كيف يلهون وكيف يلعبون فى بيوتهم ككتاب « ألعاب الثنى والطى » Jeux de Pliage وكتاب الحيوانات المنزلية ذات المفاصل المتحركة "Les Animaux Domestiques Articulee" .

ومن الكتب النافعة للأطفال الذين بين السادسة والتاسعة من عمرهم كتاب « الألعاب والحرف الحديثة » لمؤلفه « ج . هوبير » "Nouveaux Jeux et Occupations" وقد جاء فيه مؤلفه بوصف كل شىء يستطيع أولئك الأطفال أن يصنعوه بأيديهم دون حاجة إلى أدوات ترهق جيوبهم .

ومن الكتب التعليمية التي صدرت فى هذه الأيام ليدرسها فى بيوتهم أولئك الصبية الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة والسادسة عشرة تلك الكتب التي تعنى بالتاريخ الطبيعى ، وبالعلوم المبسطة . وهى كتب تقرب من مستوى الكتب التي يدرسونها فى مدارستهم .

والكثير الغالب من هذه الكتب نافع مفيد . ولكن من أحق تلك الكتب بالإشادة مجلة تصدر فى سويسرا اسمها « العلم والشباب » "Science et Jeunesse" وهى مجلة تجمع بين التسلية والفائدة . وهى تحتوى على منتخبات أجيد اختيارها من الموضوعات التي تدور حول مختلف العلوم والفنون كالتاريخ وكالمكتشفات العلمية الحديثة وكأنباء السياحة .

ويجىء من سويسرا كتاب اسمه الأطالس الصغيرة للجيب "Petits Atlas de Poche" وهو مجموعة كتيبات صغيرة اختص كتيب منها بالحديث عن الحقائق الثابتة لفرع من فروع العلوم الطبيعية أو الفنون . وكلها محلاة بالصور.

وهناك كتاب كتب فى أسلوب يرضى عنه من بلغوا مبلغ الشباب هو كتاب « قاع البحر » "Le Fond de la mer" من تأليف "L. Joubin et G. Prevost" وهو كتاب يكشف مؤلفه فيه عن عجائب الأحياء التي تعيش تحت الماء ، وعن هجرة تلك الأحياء وما يجرى بينها من صراع عنيف . كما يكشف فيه عن خصائص كل جنس من أجناس تلك الخلائق . وكل ذلك مصور بالفوتوغرافيا وبالرسوم ذات الفائدة .

أما الطبعة الأخيرة من « حكايات لافونتين » فهى جزء لا يتجزأ فى كل برنامج مدرسى . وهى بمقدمتها الوافية ، وشروحها الموضحة ، ورسومها المتقنة تحبب كل طالب فى « لافونتين » ، وفنه وحسن تأليفه . وتجعل الطلاب يستمتعون بتلك الثروة اللغوية التي تتضمنها حكاياته .

٣ — « رجل من رجال العلم »

أو ترجمة حياة

« روبرت . ا . مليكان » بقلمه :

"Man of Science" or "The Autobio Graphy of Robert A. Millikan"

هو من علماء « الفيزيقا » الأمريكيين ، ولد عام ١٨٦٨ بمدينة « موريسون » من أعمال « إلينوا » وتولى التدريس فى جامعة شيكاجو خمسة وعشرين عاماً . ومنح جائزة « نوبل » لعلوم الفيزيقا عام ١٩٢٣ .

يذكر اليوم هذا الرجل العالم وقد بلغ الثالثة والثمانين من عمره أنه رأى الدنيا وهى تتبدل وتتحول من حال إلى حال . وكان هو واحداً من الذين قاموا بدور ليس بالدور الصغير فى هذا التبدل والتحول .

وهو يقول : إن كل أجيال الناس التي سبقت الجيلين الأخيرين قد فارقوا الدنيا وهى على الحال التي كانت عليها يوم جاؤوها . ولكن الأمر مختلف جداً عند الذين ولدوا مثله فى عام ١٨٦٨ وفى الأعوام التالية .

وهو من ألفه إلى يائه رجل من رجال العلم الذين

(البقية على الصفحة التالية)

أهل كهف آخر..!

للأستاذ عبد الفتاح الديدى

وفى ضوء القمر السارح استطاعت ميليتا ، أن تتبين معالم بيت قائم . . . لم تكن تعرف تدرك من فيه ، ولكنها كانت تدرك ما هى فيه . إنها عطشى تريد الرى ، إنها مخطئة تريد الغفران ، إنها مذنبة تسعى للتكفير . ونظرت إلى السماء كأنما ترجوها شيئاً ، وتذكرت قول بروست : إن إله أتباع المسيح لا يريد أن يحبه المؤمنون به ، وإنما يريد أن يحبوه وحده . يريد الحب له بمفرده . . لقد أشركت هى فى الحب ولم تهط الحب لله وحده ، بل جعلت من ألفريد شريكا له فى ذلك الحب .. لقد قاسم الله عاطفتها ، ولذلك انتهت حياتها إلى الشقاء وتلوّنت أيامها بألوان المأساة ولم تملك فى النهاية إلا أن تقع فى خطايا الجسد . ولو أنها أوقفت حبها لله وحده لما نابها من ذلك كله شىء ، ولاستطاعت أن تضرب فى الأرض مع الضاربين دون أن تزل على هذا النحو الشنيع .

كان كل ما يحيط بها يدفعها إلى الإقدام ويلح عليها فى أن تسرع كى تخلص من دائها ، وترفع حجاب الخطيئة عن عينيها وترى الوجود بعين مغسولة . . بريئة . . مثلما كانت من قبل . كانت تريد أن تطأ أقدامها الأرض فى خفة تشعرها بأنها إنسان واحد ، وكانت تود من صميم قلبها أن تجد لدى الرهبان من يعينها على فهم الحياة . . . ذلك السر المغلق . . لتعرف مدى ما يمكنها أن تعمل الآن بعد الهفوة الأولى . وأرهفت سمعها فلم يبلغها سوى عزف النسيم على أوراق الشجر فاطمأنت إلى المكان وشعرت أن الهدوء فى ذلك المكان وحده قادر على أن يعيد إليها القدرة على مواجهة الله والارتماء بين يديه فى صلوات خاشعة والهمس فى أذنيه بعطلها الرفيق . وتقدمت إلى باب البيت تريد أن تطرقه ، ولكن وقع خطواتها كان قد سبقها فى إعلان مقدمها ، فانفتح الباب وبرزت منه رأس شاب وسيم لم تفقده الرهبنة روحه وحيويته ، ولم تذبل حياة الكهوف طراوة وجهه .

لا يصرفهم عن متابعة علمهم شىء من متاع هذه الدنيا . وقد قضى عمره وهو فى صحبة رجال العلم . وكان نصيبه أن يعيش منذ صباه فى صحبة أعلم علماء زمانه .

وقد شهد بعينى رأسه المكتشفات العلمية التى كان لها أثر العلم البالغ كاكتشاف « رونتجن » للأشعة السينية . وكاكتشاف « إينشتين » لنظرية تقسيم الذرة . والنظرية النسبية . ولا يزال العلماء يعملون إلى اليوم فى شرح وتفسير النتائج التى أدت إليها تلك المكتشفات العلمية .

وقصة حياة هذا الرجل العالم التى كتبها بقلمه هى قصة جمعت بين الإحاطة والبساطة . وهو يكتفى بتسجيل الحوادث التى كان له دور فيها .

وهو يذكر أن أحسن سنى حياته هى تلك السنون التى قضاها فى معهد الفنون والصناعات فى ولاية « كاليفورنيا » وهو يقول لأولئك الذين يصنعون تلك الولاية بأنها البلاد التى تفيض أنهارها بالعسل المصفى واللبن الخالص . إن عليهم أن يذكروا أن الفضل فى ذلك للعلم . فهو وحده الذى أحال تلك البلاد القاحلة الجدبة التى تقع فيما وراء الأقاليم الساحلية إلى جنات وعيون . وزروع ومقام كريم .

وهو يتحدث عن نفسه فيقول إن مذهبه السياسى هو المذهب الجمهورى . وأنه رجل يدين بالوطن العالمى . وأنه يدعو دائماً إلى تكوين عصبة تفرض السلام على الدول فرضاً ، وهو ينكر على الدول قولها « إن الحرب أنفى للحرب » .

وهو يوصى الشبان بأن يلتحقوا بالجندية عاماً واحداً بعد تخرجهم من جامعاتهم . وذلك لا ليحاربوا . بل ليزدادوا علماً وتجربة .

وهو يقول إن القنبلة الذرية قد حفزت الناس إلى العمل على ضمان السلم . وهو فى حياته الخاصة رجل متدين . وكذلك هو رجل يدين بالغيرية لا بالأنانية :

فلا نزلت علىّ ولا بأرضى   سحائب ليس تنتظم البلادا

مبارك إبراهيم

قالت : أريد أن أقابل الرئيس .

قال : وفيم اللقاء ؟ .

قالت : إنني قد عزمت على أن أكون واحدة منكم .

قال وقد بدى على وجهه الاستغراب : ما أيسر المطلب تقدمى . . فالرئيس موجود بالحجرة اليمنى .

وأخذها من ذراعها ومشى بها إلى باب الحجرة وطرق عنها الباب فدعاهم صوت أجش من الداخل . وفتحت الباب فإذا بها أمام مكتب فاخر لا يوحى بالزهد الذى اعتاد الرهبان أن يأخذوا أنفسهم به . وكانت الحجرة مملوءة بالكتب . ولمحت الرئيس وهو يحملق فيها من فوق نظارته دون أن يقفل صفحات الكتاب بين يديه . وهزت رأسها تريد أن تحييه فانطلق فى كلمات تدل على الشعور بالراحة لمرآها ، وتدل على أنه سعيد إذ يستقبلها وأنه سيكون فى خدمتها إذا هى كانت تريد أمراً بالذات . وتحرك بعد أن وضع الكتاب على حافة المكتب وتقدم إلى كرسيه وأخذ مجلس الرئيس ثم دعاها إلى الجلوس . والحق أنها فقدت الشجاعة التى أقبلت بها على المكان وصارت خطواتها بطيئة وجفت على شفتيها ابتسامتها الأولى . وجلست قبالته وجعلت تتأمل فيه . إنه لا يمكن أن يكون راهباً بمعنى الكلمة . . فهذا الوجه المتورد وهذا الشباب المؤنق وهذه الروح الخفيفة التى تدل على نضارة وتعبر عن حيوية وتفيض بالجمال والبهجة وحب الحياة . . . هذا كله ليس من الرهبة فى شىء . ثم هذا السيجار الضخم الذى يبرز من فمه ، وتلك الكؤوس الخفيفة المترعة على المضد ، وهذا الملبس المتمدن الصارخ لم يتح لها قط أن تشعر بما كانت تظن أنها سوف تشعر به عند ما خطت عتبة الباب ، أو لعلها لم تجد فيما أحاطها من مظاهر الحياة ما يشجعها على أن تشعر بما أرادت هى أن تشعر به . . فالخطيئة لا تمحى إلا بالكآبة المتصلة والوجوم الدائم ، ولا تحس النفس بالبراءة والطهور إلا من كثرة الانقباض والتكتم والانقطاع عن مشاركة الخارج بمظاهره وشياته ولو بقدر ضئيل . . جمال الغفران إنما يكون بغذاء النفس وهى تقتات من داخلية الشعور وحسرة الوجدان . . ولكنها لم تكد تجلس على الكرسى الوثير الذى اقترب بها من الأرض حتى أحست بغير هذا كله . أحست بأنها تريد الكلام والحركة . . . تريد الانطلاق والخروج عن عالمها الداخلى . . تريد أن تعبث بأطرافها وأن تحرك قدميها وأن تدب بأصابعها على مسند الكرسى الذى هبطت فيه . وخشيت أن تكون قد أخطأت الطريق .

فسألت أأنتم رهبان ؟

قال : نعم . . . رهبان ! ! إننا نقيم هنا منذ نيف وعشرين سنة وأعتقد أن قوماً كثيرين يعرفون عنا . .

قالت : لقد أحببت منظر الدير فتقدمت إليكم . . إنى لا أعرفكم ولا أعرف إلى أى طائفة تنتمون . . إننى أخشى أن أكون قد أسأت بقدومى إلى هنا . . ولو لا ما شاهدته على الباب لما تشجعت على التقدم . .

قال : وماذا رأيت خارج الدير ؟ !

قالت : أحسست بروح ثلاثية تشيع فى أرجاء المكان . لقد تجسمت هذه الروح فى عدد الأغصان والأحواض المزروعة الثلاثة الجوانب . . . ثم هذه العبارة المكتوبة على باب الدير « هذا هو الكهف الثالث » . . لقد جعلنى ذلك كله أشعر باطمئنان غريب من قرارة نفسى إلى ذلك المظهر الروحى الذى يغلب على حياتكم . إنكم أخضعتم الطبيعة لعقيدة الثالوث وأقمتم حرس الدعاء على أعمدة ثلاثة .

وهنا تقدم إليها الرئيس واسمه « مِنجو » بعلبة السجائر وبالزجاجة ووضعهما أمامها على نضد صغير وقال : لك أن تدخنى أولاً وأن تشربى كما تشائين . . . إنما رهبان نميل إلى شىء من الحرية . . . إن كلامك يدعونى إلى التفكير الطويل . . . ويدعونى إلى التريث أيضاً ، فأخشى ما أخشاه أن أكون شيئاً بخلاف ما ذكرت . .

قالت : بخلاف ما ذكرت ؟!

قال : اطمئنى . . أعنى أنه من الجائز ألا نكون من هذه الطائفة التى تنشدين الوصول إليها . وكل ما أبغيه الآن هو أن أجد وسيلة للتعبير . . وسيلة حية لأداء ما أريد قوله فى هدوء حتى أنتهى بك إلى حقيقة . هؤلاء الناس الذين أقدمت عليهم ولم تكونى تعلمين عنهم شيئاً . . إننا حقاً

رهبان ولكننا رهبان من طراز آخر سوى ذلك الطراز الذي عهدتموه . يالله . . كيف أبدأ الحديث . . تصوري أني أريد الآن لغة أنقلك بها من رأى إلى نقيضه . . أريد أن أنتقل بتفكيرك من ناحية معينة إلى ناحيــة مقابلة لها . لشد ما أنا حائر . . . ويحسن أن نضع الأمر للظروف وأن نجعل من هذا اللقاء مجرد زيارة عابرة نفترق بعدها دون أن يسيء أحدنا إلى صديقه .

قالت : أو تريد أن تجعل مني صديقة وأنا لا أعلم من تكون ؟ .

قال : إذن فقولي أنت ماذا تعنين بقدومك ؟ .

قالت : جئت الدير أطلب الغفران . . وإن في الثالوث الذي دبرتموه على باب الدير لدليل على أنكم تقيمون ها هنا للعبادة الخالصة .. لا للتدخين والشرب والابتسام .. أو لقراءة الأقاصيص وتعليق الرسومات . لكأني في معرض يدين أصحابه بالنزعات التقدمية . . لكأني في متحف أقامه أنصار الفن الحديث . وهذه الموسيقى المنبعثة من الحجرة المواجهة . . أليست موسيقى الجاز . . وهذه الأقاصيص الموزعة على رفوف الجدار . . أليست من الكتابات المحرمة في الكنيسة . . يا إلهي . . لكأنكم رهبان لهو وكأنما أنتم طلاب متعة وحياة . .

. . ولك أن تتصور الموقف الآن بينها وبين الرئيس . . إنه يقلب ورقات بين يديه في هدوء وتبدو على شفتيه ابتسامة خجلى وتعبث أصابعه بأقلام الحبرة . أما هي فكأنما لاحظت خطأها بهذا التهجم الذي لا حق لها فيه فعادت تخفت صوتها وتقول :

— إغفرلي يا سيدي فما أريد أن أكون دخيلة على حياتكم . . أنتم أصحابها ولكم أن تديروها كما يحلو لكم . إني جئت أكفر عن خطيئتي فإذا بي أعود إلى الخطيئة فيما رميتكم به . أنتم أحرار يا سيدي حقاً ولكنني ما أردت أن ألقى الأحرار . . لقد كفاني ما نلته من الحرية وعليّ أن أستعذب منذ اليوم حياة العبيد .

ودمعت عيناها وهي تقول هذه الكلمات ورفع هو وجهه ونظر إليها بابتسامة عذبة زادها جمالا ما اتسم به مُنْجِو نفسه من حيوية وخفة روح وحلاوة صوت وفورة شباب . وبدأت الكلمات بطيئة في فمه وهو يقول : لك الحق يا . . . تصوري أني لم أعرف اسمك إلى الآن . . ما اسمك ؟ .

قالت : اسمي ميليتا . .

قال : تصوري يا ميليتا أنك محقة فيما قلت . . وأنت لم تغالي حين وصفتنا بما وصفت . . إننا في الحقيقة قوم آخرون . . لا نشعر شعورك ولا نحس إحساسك . وأريد أن أفسر لك ما استغلق عليك حتى الآن من أجل أن نكون على بينة . . إن هذه الثلاثية التي تزعمينها عند مدخل البيت لا وجود لها بالمعنى الذي خطر ببالك . . إننا لا نعرف الثالوث ولا نشير بما رأيت إلى الله والابن والروح القدس كما تخيلت . . إننا على العكس من هذا تماماً نشير إلى أنفسنا . . إليّ وإلى صاحبيّ في هذا الدير . . (ودق على جرس انفتح على أثره الباب وظهر في الحجرة صاحباه) هذا ميتشو . . وهذا موكري . . تقدما واجلسا وشاركانا الحديث . إني في حاجة إليكم بعد أن تطور الكلام فيما بيني وبين جدتكم ميليتا . .

قالت : جدتهم . . أتحسبون أنفسكم صغاراً إلى هذا الحد ! ؟

قال : هذه مسألة أخرى سترين الآن حقيقتها . . ولا يتوقف القياس فيها على تاريخ الميلاد وإنما يتوقف على طبيعة الاعتقاد وطريقة التفكير ونوع الإيمان .

قالت : تقول إن العمر يتوقف على الاعتقاد والتفكير والإيمان ..

قال : نعم ... مثلا سأسألك جملة من الأسئلة وتجيبين عليها وفي نهايتها يثبت لك أنك جدة لنا . . هل تعتقدين في الله ؟

قالت : ويحك .. أتسألني في الدير هل أعتقد في الله !! ولم جئت وعلام كلفت نفسي مشقة الطريق وفيمَ كل ما بذلت من روحي ونفسي إن لم أكن أعتقد في الله . أهذا سؤال يا سيدي ؟

قال : نعم . . إنه سؤال . . فأنت تعتقدين فى الله . . وسؤال آخر .. هل تظنين أنك حرة في أعمالك ؟

قالت : لا . . إن القدر يوقع المرء فيما رسمه الغيب المسطور . . إننا أدوات فى يد الله العظيم . . ولنا أن نقنع وأن نحاول التفكير مع ذلك عما نرتكبه من الآثام .

قال : فأنتِ لا ترين أنك حرة .. وسؤال ثالث : هل ترين الحياة جديرة بأن نحياها أم غير جديرة ؟

قالت : أما هذه فأعتقد .. أعتقد أنها جديرة بأن نحياها كما يريدها الله . وأغلب ظنى أنى لم أحضر إليكم من أجل هذا يا سيدى . . إنما جئت أبغى السلامة والهدوء والراحة .. جئت وغرضى أن أنعم بالاطمئنان ، أما هذا التفكير الذى تدفعنى إليه ، أما هذا الشك الذى تريد أن تكتشفه فى قلبى ، أما هذه الستائر التى أسدلتها من زمن بعيد على خيالى فأغلب ظنى أنى أكون سعيدة لو مزقتها ، أكون سعيدة بغير التفكير .. لا بالتفكير . وأجد راحتى فى التسليم والإذعان . . لا بالثورة والعصيان . أطوىء يا سيدى هذه الروح القلقة بين جنبىّ ، أبعد يا سيدى الوسواس عن خاطرى . نحّنى من مطالب الحياة واسقنى من عصارات القلوب . فإنك بذلك تعيد الحياة والفكر إلى روح ولهى ويمكنك أن تدير الدير فى فخر وانتصار . انتصر على الفكر والهم والقلق . . أبعد عن النفوس حيرتها وتأملاتها . . أوقف جهدك على غسل النفوس وتطهير الأرواح . . فالعالم بحاجة إلى راحة ، وحسبه ما فيه من دواعى الظن وأسباب الشك ومبررات الحيرة .

ولك أن تتخيل الموقف الآن بعد أن وصل سوء التفاهم إلى هذا الحد . . فهى منفعلة ولكن برفق الفتاة المتعطشة إلى قرار ، وهو مبتسم ينفث دخان سيجاره الضخم عن يمين وعن شمال وزميلاه ينظران وكأن المشهد لا يدعو إلى لمحة استغراب وكأنما هم فى شأن عادىّ جداً . وخطر لميتشو أن يحدد الموقف بين الرئيس وبينها فقال : أى ميليتا . . إننا فى الحقيقة من معدن آخر غير معدنك . . إن الكلمة المكتوبة على باب الدير تشير إلى ذلك .. فهذا هو الكهف الثالث فى تاريخ الكهوف .. هناك كهف أفلاطون الذى ينكفئ الناس على وجوههم فيه وتزوغ الحقائق فى عيونهم وتغمض أبصارهم عن تفاسير الوجود . وهناك كهف أولئك الذين ظهروا بعد زمانهم بثلاثة قرون فكانوا نموذجاً للطابع القديم وكانوا مثالا لقوم بادت دولتهم واختلفت عاداتهم . واليوم فى هذا الكهف الثالث . . أنت بإزاء قوم خلقوا قبل زمانهم .. أنا وموكرى وأستاذنا الرئيس من زمن غير هذا الزمان . . من زمن متقدم على هذا الزمان . . وجدنا أنفسنا خطأ قبل تاريخ وجودنا بقرنين أو ثلاثة . . وأهم مايثبت ذلك ليس فى سجلات الميلاد ولا فى تاريخ التقييد . . بل فى هذه العقيدة التى تنطوى عليها نفوسنا . . فى هذه الآراء التى اعتنقناها .. فأنت مثلا قد آمنت بالله ، أما نحن فنؤمن بالإنسان . وجعلنا الثالوث رمزاً لنا — نحن الثلاثة — ولو جئت لتكونى واحدة منها لصار الرمز رباعيا . ولو جاءنا آخرون يقبلون آراءنا ويعيشون حياتنا ويستمسكون بتقاليدنا فى الفكر والرأى لأضفنا إلى الرموز من العدد بقدر مايشير إلى حقيقتنا نحن .. نحن البشر .. فكلنا يؤمن بالإنسان كما ترين .. وأنت تؤمنين بالجبر وتستسلمين للحياة وأوضاعها ، بل وتستعذبين هذا الاستسلام وتسعين إليه ، بينما نكفر نحن بطبائع الأشياء وننكر صيرورة الوجود ونعتقد بأننا أحرار . . أنت تريدين الألم والعبودية ، ونحن نرفض الألم ونؤمن بالحرية . ثم تعتقدين بأن الحياة جديرة بأن نحياها .. فلماذا نحياها إذن ما دامت لسوانا وما دام صاحب الأمر والنهى فيها غيرنا . . إنما نحن أصحابها وجدير بنا أن نحياها لأنها ملكنا ولأننا أحرار فيها . وأكثر من هذا أنك جئت تسعين إلى الراحة والهدوء . . تريدين أن تسلمى أمرك إلى إنسان سواك .. تريدين أن تجعلى زمامك فى أيدى غيرك لترفعى عن كاهلك إحساسكِ بالخطيئة ؛ بينما نمضى نحن بخطايانا ونسعى بأسانا ونحمل همومنا بين أيدينا ، دليلَ عزة وبرهانَ قوة ، ونشعر بأننا أصحابها إلى الأبد . لسنا بالأبالسة أو بالشياطين .. إنما نحن قوم نخالف ما اتفقتم عليه أنتم البشر فى هذا العصر من معايير ، فاتخذنا لأنفسنا هذا المحراب نقوم فيه بكل ماتظنين أنه يجهد النفس ويفزع

القلب ، إننا نفكر ولا نطيق ألا نفكر .. إننا نسعى إلى دواعي القلق ونوجد دوافع الحيرة ونمتص رحيق الألم والمعاناة . هذه الألوان والأصباغ المتناثرة على الحائط هي صورة لما يعتمل في قلوبنا وباطن أنفسنا من ثورة واضطراب في حدود العالم هم وقلق وثورة .. في حدود العالم فكر وخيال وحرية .. من ذا تراه يحقق كل هذه المعاني إذا تهرب منها الإنسان ؟ إننا يا ميليتا نحقق مضمون فكرة الإنسان وحسبنا أن نجعل من أنفسنا بشراً حقاً .. لا صورة للبشر أو معنى فحسب .

وأنا لا أدعوك إلى مثل دعوتنا وحاشانا أن نفعل مادمنا نؤمن بالحرية لك ولنا .. كل ما في الأمر أننا في مفترق الطريق وأنك جديرة بأن تختاري لنفسك الحياة التي تلائم ذوقك وحسك وروحك .

هنا قالت ميليتا : يا إلهي .. أأنتم جيل عام ٢٢٥٠ أو ما بعد هذا .. أأكون الآن في حضرة المستقبل وأبناء المستقبل .. أأنتم تحملون رسالة غير رسالة الهناء والصفاء والسلام . تريدون أن يعيش الناس في قلق . تريدون أن يعمل الناس عقولهم وأذهانهم . تريدون أن يحمل الإنسان خطاياه ، هو بنفسه ، مستقلا فخوراً . تريدون أن يكون الناس أحراراً .. ولكن ماذا فعلتم لأنفسكم ؟ ماذا دبرتم من أمركم ؟

قال موكري : إننا أحرار وحسبنا ذلك .

قالت : في هذا الدير .. بين هذه الجدران تزعمون أنكم أحرار ؟

قال موكري : نعم .. وفي حجرة واحدة نكون أحراراً ما دمنا قد رفعنا عن نفوسنا أثقال الزمن وميراث إنسانية كسيرة . قالت : ولكنكم ستخضعون للأهواء وستكونون عبيداً لنوع جديد من الفكر . وكل حريتكم إنما تتركز في تغيير الأسياد .. في استبدال آلهة بآلهة .

فقال منجو : فإذا كان الإله الجديد هو نفسه الإنسان . هو أنا وأنت وهذا وذاك .. فكيف تنكرين علينا أننا سنكون أحراراً حقاً .

قالت ميليتا : نعم .. كيف أنكر .. كيف أنكر إلهاً يعفيني من الإثم وكيف أرفض حرية تعفيني من الشعور بالخطيئة ، وكيف أعارض في حياة أنسجها بيدي وأكون صاحبتها وحدي .. كيف أفعل هذا ؟ لشد ما أنا مشوقة إلى اعتناق ما تقولون غير أني جدتكم كما زعمتم .. لا طاقة لي على احتمال ما تنادون به ولا أملك أن أكون بنت زمن آخر . فجسمي المنهوك يريد الراحة ، ونفسي الملتاعة تبغي الهدوء ، وضميري المعذب ينشد العفو والغفران .. لا .. لا طاقة لي على حياتكم وضميري عاجز عن الوقوف بمفرده وسط غياهب هذا الوجود وبين رزائل هذه الحياة وبين آثام أبناء هذه الأرض ..

وقامت إلى الباب تفتحه وتقول : حرية .. ثورة .. جزع .. إنسان .. فكر .. يا لله كأنني في خيال . وما حاجتي إلى هذا كله .. إنني أنشد التفكير .. التفكير والنجاة .. حسبي أن أعيش .. ما حاجتي إلى العقل في وقت لا يغني فيه إلا شعور هادئ بالراحة واطمئنان إلى عدالة المصير .

عبد الفتاح الديدي

قالوا . . .

- لماذا : إننا لا نحب المرأة لما تقوله ، ولكنا نحب ما تقول لأننا نحبها ! (أندريه موروا)
- احتفاظ وفقدان : إن المرأة تحتفظ بشرفها حتى الساعة التي تضيعه فيه ، وهي عندما تفقد شرفها تضاعف ما تعطيه أو ما تأخذه من ملذات . (ميشيل بروفان) في قصة « حمامة السلام » .
- حكمة : إن ضربك عدوك على خدك الأيمن فليكن تصرفك حياله تبعاً لحجم جسمه .
- الجزاء : إن أسوأ ما في معاملة الخونة أنهم يتوقعون الخيانة من كل إنسان . (روفائيل سابتيني)
- بعقلك .. ثم .. بإرادتك : فكر أولاً بعقلك ، ثم بإرادتك ، ولا تظن أن قلبك يستطيع أن يحقق صروح آمالك . إن القلب لا يضع دائماً الأساس الصالح للبناء ! ...

عشرون يوما فى هولنده

للأستاذ على رفاعة الأنصارى

أخذت الطائرة تهبط بنا شيئاً فشيئاً وهى سادرة فى دورانها حول عطار شيبول غرب استردام إلى أن مست عجلتاها الأرض ، فالتفت كل منا يهنىء صاحبه بسلامة الوصول وبفك الأحزمة التى كنا مشدودين إليها . وسرعان ما فتح الباب وأطلت منه آنسة رشيقة وقالت فى صوت رخيم : أهلا بكم فى هولنده . وكنت على صلة وثيقة بجارى فى الطائرة وكان قد أفهمنى أنه قد جاء هولنده من باريس لأنه أرهق نفسه كثيراً فى العمل فى أثناء الشهرين السابقين ، وأنه يبغى راحة واستجماما ، فهو يريد أن يستلقى إلى شاطىء بحر بضعة أيام حيث يجرد نفسه من الملابس والأفكار ويترك جسمه للطبيعة الحنون ، ونفسه وأفكاره إلى صديقة رؤوم — فإذا ما أخذ قسطه من حنان هذه وود تلك — كان حرياً به أن يعود إلى عمله فى باريس وقد بعث بعثاً جديداً .

لقد أدهشتنى تلك الفكرة وأعطت لى إحساساً من النشوة جميلاً وأملاً فى أن أقضى بتلك البلاد زمناً شهياً — وتركت نفسى لعناية هذا الصديق وصديقته — فإذا هما مذللان مصاعب اللغة فى التفاهم مع رجال الجرك والبوليس والسياحة — وها هما يشاركاننى حمل أمتعتى ثم ينصرفان إلى نفسيهما فى تبادل التحية والاشتياق — وأفهم منهما أن هدفهما قرية صغيرة على شاطىء بحر الشمال قرب مدينة ليون التى أستهدفها أنا أيضاً . وها أنا آخذ مقعدى فى السيارة ثم فى القطار وأنا ذاهل أو مذهول — حدائق عن يمين ويسار ، زهور ذات ألوان فيغطى كل لون منها مربعاً من الأرض كبيراً أو صغيراً ، لتشق الأرض قنوات ثم قنوات — وتقف من ورائها طواحين الهواء فى زهو وخيلاء — لم أرد أن أنقض على صاحبى صفوهما ومناجاتهما — فاسألهما عن أشياء وأشياء . ووصلت فى النهاية إلى مبنى جامعة ليون وودعتهما وشكرتهما لاهتمامهما بى وتمنيت لهما السعادة والهناء .

غير أن هولنده كانت بالنسبة إلى كالحسناء الأصيلة المتدللة التى لا تكشف عن مفاتنها فى سهولة ويسر . بل تحتاج إلى مجهود لاجتلاء محاسنها فهى بلاد منبسطة أقرب الشبه بدلتا النيل فى مصر ، سهول مترامية إلى الأفق لا يغير من تخطيها شىء ، وإذا ما اقتربت من شاطىء البحر راعك كثرة البحيرات والمستنقعات وقنوات الرين وأفرعه ، وترى سلاسل من الكثبان الرملية تقف حائلا بين البحر والأرض المسكونة . ثم عرفت أن أكثر من نصف مساحة هولنده يقع تحت مستوى البحر وأن ما تراه من أرض زاخرة بمدنها وعمراتها وزراعاتها وصناعها مهدد بالغرق لو أن الهولنديين غفلوا يوماً عن العناية بسدودهم ، أو لو أن نظام صرف مياههم أصابه شىء من العطل — ولهذا كانت الحياة فى هولندة متوقفة على تخليص البلاد من الماء الذى يقذفه إلى أراضيها نهر الرين بفروعه المختلفة بعكس الحال فى مصر ، فإننا نسعى إلى توفير الماء اللازم للزراعة ثم توصيله بكافة وسائل الرى ومشروعاته إلى الأراضى الزراعية — غير أن القوم فى هولندة دأبوا منذ القرن العاشر الميلادى وهم يقيمون الطواحين الهوائية التى تعمل ليلا ونهاراً لرفع الماء من القنوات الواطئة إلى أخرى أعلى منها حتى تصب هذه ماءها فى بحر الشمال — وما حل القرن التاسع عشر حتى ساهمت القوى البخارية ثم الكهربائية فى صرف المياه وتجفيف المستنقعات — ثم أخذت الأرض تضيق بسكانها ففكروا فى أن يستردوا من البحر تلك الأجزاء التى أغار عليها واغتصبها منهم فى الأزمنة الغابرة .

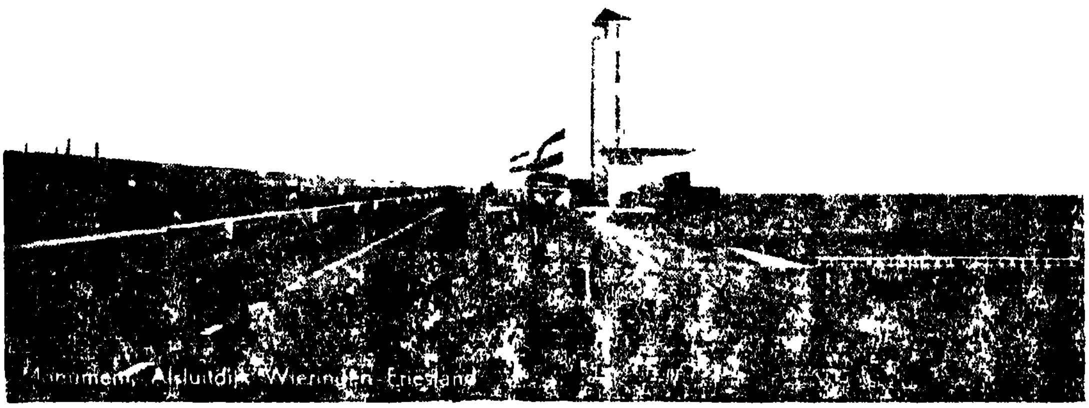
ومن ثم وضع مشروع تجفيف خليج الزويدرزى وبدىء فعلا فى تنفيذه فى مطلع هذا القرن ، فبنى السد الأعظم الذى يبلغ طوله عشرين ميلا ، والذى يفصل الخليج عن بحر الشمال ، فحول تدريجيا من خليج ماؤه ملح أجاج إلى بحيرة ماؤها عذب فرات ، ثم صرفت عنها مياهها فظهرت من تحتها أراض خصبة ناعمة التربة أنبتت بعد عام أو عامين نباتاً حسناً ، وتقدر المساحة التى تستردها هولندة من البحر بنحو نصف مليون فدان — وسرعان ما جفت الطرق

المصدة والقنوات وبنيت حولها السدود ، وقامت بها قرى وما استلزمها من مدارس ومستشفيات وأسواق ومرافق وكنائس ، وهكذا تغيرت حرفة السكان من صيد الأسماك إلى فلاحة تلك الأراضى التى يفخرون باقتطاعها من البحر بفضل ثابر فكرهم وصادق جهدهم — ومما يذكره الهولنديون بحرارة أنها كانت هينة رخيصة على الألمان إبان احتلالهم للبلاد فما شعروا بوطأة هجوم الحلفاء عليهم فى عام ١٩٤٤ حتى نسفوا السدود فطغى البحر عليها مرة أخرى مما كلفهم جهداً ومالا وزمناً فى استرجاعها إلى سابق ازدهائها ، ولا تزال تعانى من تلك الكارثة الشىء الكثير .

وقد رأيت كل شىء فى هولندة يبنى على العلم — فالزراعة عندهم هى عملية علمية خالصة تستند إلى جامعة زراعية

نصف الفدان وهو قدر لا يقيم أوده فى المستوى الاجتماعى الذى اعتادوا عليه . ولهذا عملوا على أن الاستفادة منها تكون باستخدام الوسائل العلمية الخالصة للحصول على أكبر قدر من الإنتاج — وقد رأيت بعينى زراعة الزهور وتربية النبات والحيوان تصبح علما وفنا وصناعة يتناولونها بالتحسين آناً ، وبالتكثير آناً ، وبالتصنيع تارة أخرى ، حتى فاضت الخيرات عن حاجات السكان واتخذت طريقها فى التصدير إلى البلاد الجائعة ، من أمثال إنجلترا وفرنسا وألمانيا ، وحتى أصبحت هولندة بحق هى بقالة أوربا .

وكم كنا فى مصر نلقن أن البلاد التى تخلو من الفحم والحديد لا تصلح ، لأن تنمو بها الصناعة الكبيرة ، وأنها لابد وأن تقنع بمصيرها المقدور فلا تأمل فى قيام صناعة بها



السد الأعظم — الزويدرزى عن يمين وبحر الشمال عن يسار

كبرى فى واختنجن تضم نحوا من سبعة وعشرين كلية ومعهدا يعيش فيها كهنة العلوم الزراعية وأربابها يعكفون على كل ما يتصل بالزراعة من أبحاث ، سواء ما كان منها متعلقا بالتربة أو بالنبات وأمراضه واستهجانه واستنباط فصائل جديدة منه ، أو ما اتصل بالحيوان وتربيته وتوليده وصحته ومرضه ، أو ما اتصل منها بالناحية الاقتصادية وتصريف المنتجات ، أو ما كان منها ذات شأن فى النواحى الاجتماعية للسكان — وهى تضم نحوا من مائتى وخمسين أستاذا متفرغا يتخصصون فى البحوث الزراعية وتطبيقها تطبيقاً عملياً — لأن الهولنديين يدركون تمام الإدراك أن رقعة الأرض الزراعية تضيق بسكانها ، وأن نصيب الفرد منهم لا يعدو

بل وعليها أن تقنع بحرمانها من منابع القوة والثروة — وقد أخذنا نؤمن تدريجياً بفساد هذا الرأى حينما أخذنا نحبو شيئاً فشيئاً إلى ذلك الميدان ، ورأينا ظروف الحروب تحتم علينا إنشاء الصناعات القليلة أولا ، ثم إلى تدعيم ما قام منها بتوفير وسائل الحماية والتوزيع — غير أنى رأيت فى هولندة خير مثال لتصنيع الدول الزراعية فهى تستورد معظم المواد الأولية اللازمة للصناعة ، وبها قامت المحطات الكهربائية تمد المصانع بالقوى اللازمة لها ، كما رأيت من صنوف الصناعات الشىء الكثير من بناء السفن والقاطرات والطائرات ، إلى الآلات الكبيرة والدقيقة ، إلى تكرير البترول إلى الأجهزة الكهربائية والأدوية وأدوات الزينة ، إلى

المنسوجات بأنواعها من قطنية إلى صوفية إلى حريرية ، وكلها قامت على أساس من البحث العلمى والتفكير الاقتصادى فأصابت نجاحاً كبيراً فاستوعبت نحو ٤٠٪ من اليد العاملة .

أما عن التجارة فرأيت ازدهاراً ، فقد استغل الهولنديون موقع بلادهم من الدول الصناعية الكبرى فهى المنفذ إلى غرب ألمانيا وسويسره ووسط أوربا ، وعن طريقها لا بد وأن تتخذ البضائع المستوردة سبيلها على ظهور السفن فى نهر الرين — كما استغلوا مستعمراتهم ومستعمرات غيرهم فنقلوا منها البترول والشاى والبن والمطاط والمعادن وباعوها إلى الدول المستوردة — وقامت للتاجر الهولندى ثقة دولية — ومن ثم أسسوا كليات التجارة والاقتصاد ، وأقاموا صرح تجارتهم على أساس متين من العلم .

ورأيت كل هـذا منعكساً على حياة القوم فى نضرة وجوههم ووفرة الغذاء وجمال المسكن ونظافة الملبس ، فى المبانى الجميلة وفى الرقى الاجتماعى وفى قدرة الناس على الاستمتاع بحيـاة عريضة غزيرة — وقد تساءلت أليس بهولندة فقراء يشكون الفاقة فقيل لى بل يوجدون ولـكن تعنى بهم البلديات فتدرس أسباب فقرهم فإن كانت ترجع إلى بطالة حاولت إيجاد عمل لهم ، وإن كانت إلى عجز طارىء عملت على إزالة أسبابه ، وإن كانت إلى شيخوخة أو عجز دائم تولتهم البلديات فآوتهم فى ملاجئها وأكرمت مثواهم بفضل النظرة الاجتماعية الحديثة ، ومع ذلك فقد رأيت من الصفوة المثقفة تبرماً ويأساً من مستقبلهم الاقتصادى — وعند ما ناقشتهم وجدت لهذا أسباباً ، فقد عاش الهولنديون قبل الحرب فى مستوى من الرقى بديع وهم يذكرون تلك الأيام بحسرة بالغة . وجميع الإحصائيات فى مختلف النواحى تدل على أن هولندة لم تسترد بعد مكانتها التى كانت لها قبل الحرب وهم يعزون هذا إلى سببين : الأول تلك الخسارة الفادحة التى



سوق الزهور فى الزمير

أصابت الاقتصاد الوطنى إذ خرجت البلاد من الحرب محطمة فى صناعاتها وأسطولها وتجارتها وزراعاتها — وثانيها وهو مازاد الطين بلة فقدانها مستعمراتها فى الهند الشرقية . فقد كانوا سادة لإقليم عظيم يحتكرون فيه النفوذ والثروة والتجارة ثم رأوا أيديهم صفراً من كل هذا — ولذلك فهم يتجهون اليوم إلى اعتناق نظرة دولية عالمية يبنون صداقاتهم مع الجميع ويمدون تجارتهم إلى الجميع — ولا شك أنهم واصلون — لأن شعارهم « الأمم الحية تبنى لمستقبلها » .

على رفاعة الأنصارى

مسرح

رواية «بنت الجيران»

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

اعتادت الفرق التمثيلية فى مختلف أنحاء العالم أن تقدم فى مواسمها الصيفية روايات لا تتطلب إجهاداً فكرياً أو شعورياً، بل تبعث البهجة وتشيع المرح والتسلية وتزيح سأم الحر عن أمثالنا من عباد الله الذين قدر عليهم أن يحرموا من نعمة ارتياد الشواطىء.

وقد شاءت فرقة المسرح المصرى الحديث أن تجرى على مألوف هذه العادة فاستهلت موسمها الحالى برواية خفيفة لطيفة ما تكاد تشهدها حتى تنساها لفرط خفتها ولطافتها. ولست أدرى إن كان هذا مدحاً لها أم قدحاً، وكل ما أدريه أنها تدور حول حكاية مطروقة بين عامة الناس مصوغة فى أسلوب دارج وعبارات لا تبطن غير ما تظهر، وكل ذلك من شأنه ألا يرهق الأعصاب أو يكد الذهن أو يثير المشاعر. ولئن كانت هذه هى غاية مؤلفها الفاضل فقد بلغ منها ما يريد. وحسبنا ما حملته إلينا برقيات هذا الأسبوع من أن إحدى دور العرض فى مدينة كراتشى قدمت لجمهورها رواية مفزعة فأصيب أربعة عشر متفرجاً بالإغماء لعدم احتمالهم رؤية بعض مناظرها. وإذن فخليق بنا أن نحمد لمؤلفنا إيثاره التخفيف عن جمهورنا فلم يصب أحد منهم بسوء. وكم كنت أرجو أن أقابل هذا الجميل بمثله فلا أثقل عليه بالنقد «الأكاديمى» لولا أننى أزعم أن للفن المسرحى حدوداً يضيره تجاوزها وأزعم أيضاً أن هذه الرواية قد تجاوزت تلك الحدود تجاوزاً بعيد الشأو سواء فى فكرتها أو موضوعها أو إطارها المسرحى. فنحن نعلم أن ما يناط بالكاتب المسرحى فى اختيار حوادث موضوعة — واقعية كانت أم متخيلة — أن يستخلصها من الشوائب ويصفيها ويستنقذها من التكرار والتشابه المألوف فى الحياة العادية لكى تصبح رمزاً فريد الدلالة. وما أظن أن شيئاً من ذلك قد تحقق فى هذه الرواية بالدرجة التى كنا نرجوها، بل يخيل إلىّ أنها ليست إلا سرداً غير متماسك لأحداث عادية من جهة ومفتقرة إلى الارتباط الفنى من جهة أخرى. وما من شك فى أن أحداث الحياة كلها قد تصلح للتعبير التمثيلى، ولكن بشرط أن نوفر لها قوة التعبير وقوة الإيحاء، ولا يكون هذا إلا بالإخلاص إلى الأداء الفنى. والراجح عندى أن هذه الرواية لا تعتبر ممتازة من هذه الناحية. ويتجلى ذلك بوضوح من مجرد النظر إلى تفاصيلها كما بدت فوق خشبة المسرح: (سعاد) سيدة حميدة الصفات ترعى شئون بيتها وتحفظ عهد زوجها (يسرى) وهى إلى جانب ذلك رائعة الحسن فاتنة الجمال. لكن زوجها — على العكس منها — شاب عربيد يتعقب كل امرأة وكل فتاة، حتى خادمته لم تسلم من مغازلته، وكثيراً ما كان يترك زوجته وحيدة فريدة الهموم والوساوس ويغادر البيت متظاهراً بأن أعماله تستدعى عودته إلى الديوان بعد الظهر وخلال الليل أحياناً. وكم كانت (سعاد) تكظم غيظها لعله يثوب إلى صوابه غير أنه ظل يتمادى فى مغامراته الأثيمة فلم تجد بداً من أن تبث شكواها إلى صديقاتها. وذات يوم استقبلت إحداهن (زينات) وأخذت تحادثها عن (يسرى) وتندب سوء حظها معه حتى رق لها قلب صديقتها فتعهدت بإصلاح أمره ووضع حد لسلوكه وتصرفاته الشاذة ثم همت بالانصراف. وبينما كانتا تتعانقان كمألوف عادة سيداتنا أقبل الزوج العربيد فوجد فى تعانقهما فرصة للمزاح، وما لبث أن استبق الضيفة ثم ما لبث أن انتهز فرصة اختلائه بها ليحادثها عن الصداقة ومراتبها حديثاً ساذجاً. فهو يقول لها إن الصداقة العادية تشتد بالقبل والعناق فتصبح صداقة عنيفة، ثم تشتد أكثر من ذلك فتصير صداقة ملتهبة.. وكذلك يحادثها عن الضمير وفلسفة

الحياة حديثاً أمعن فى السذاجة . . ولا يتسع المقام للإفاضة فيما تطرق إليه والمهم أنه اقترب منها فى نهاية حديثه وبدأ يعانقها ثم يقبلها ، وحينئذ فاجأتهما زوجته المسكينة ولكنها آثرت أن تخفى نفسها أول الأمر ثم عادت فبرزت لهما . وانتهى هذا المشهد بخروج (يسرى) وفى إثره الزائرة وبقيت الزوجة وحدها غارقة فى دموعها مستغرقة فى همومها .

وما هى إلا لحظات حتى يقبل عليها زائر آخر وهو (عزمى) صديق زوجها وزميله ، وهنا تحدث مفاجأة ثانية إذ أنه يؤكد لها أن زوجها يغرر بها ويخونها فى نفس الوقت ، فهو يدعى كذباً أنه يعود إلى عمله بعد الظهر ، والواقع أنه ينتحل هذا الادعاء ليتفرغ إلى مغامراته . وأوهى من ذلك أنه تقدم إلى إحدى فتيات الأسر الريفية وطلب الزواج منها . . . وهكذا ظل (عزمى) يكشف للزوجة عن مساوىء زوجها مدعياً — بدوره — الإخلاص لها ، ثم تطرق إلى مكاشفتها بحبه ورغبته فى الزواج منها ، لكنها — وهى أم وزوجة شريفة — ترفض الاستجابة له فيخرج مشيعاً باللعنات وتبقى هى وحدها مرة ثانية وتنخرط فى بكاء مرير يقطعه صوت خادمتها وهى تسأل عن سبب بكائها فى يوم عيد ميلادها . . عندئذ نرى أباها مقبلا ومحملا بالهدايا . وسرعان ما يسألها عمن كان فى زيارتها ويلومها على استقبال رجل فى غيبة زوجها حسبما تقضى التقاليد ، فتضطر إلى مصارحته بحقيقة الأمر وتروى له ما أنبأها به صديق زوجها فيجيبها بالآية الكريمة « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » . . . فى هذه اللحظة يعود (يسرى) فيعتب عليه نسيبه أو حموه بسبب قلة اكتراثه بالاحتفال بعيد ميلاد زوجته ، إذ ذاك يعمد الزوج الخبيث إلى مصالحتها ويسدل الستار على (يسرى) وهو يعانق (سعاد) ويقبلها ، بينما يشير من طرف خفى إلى الخادمة مرسلا إليها قبلة من بعيد ! ! .

وينفرج الستار عن فصل آخر هو أكثر فصول الرواية طولا وأحفلها حركة ولكنه رغم هذا أضعفها تجانساً وارتباطاً بما قبله وما بعده . فنحن نرى (يسرى) وقد تسلل فى المساء إلى حجرة عشيقته الصغيرة (ليلى) وهى بنت الجيران التى سميت الرواية باسمها ، ويمضى العاشقان فى قراءة مقطوعات من قصة « مجنون ليلى » يتخللها الغناء حيناً والمغازلة والمداعبة حيناً آخر . وأخيراً يتبين لهما أن الليل قد أدبر وأن الصبح قد تنفس فى غفلة منهما . وتحار « ليلى » وهى تتلمس لعاشقها مهرباً دون أن تقع عليه الأنظار وتزداد حيرتها حينما تطرق أمها الباب لتوقظها كما تذهب إلى مدرستها ، عندئذ يلجأ (يسرى) إلى الاختباء تحت السرير . وتظل أنظارنا مشدودة إلى هذا العاشق المختبىء ، فقد عمد المؤلف إلى خلق مواقف محرجة تتجمع بإلحاح حول مكان اختبائه ، فتارة تدخل أم الفتاة لتطلب إليها الإسراع بمغادرة الحجرة ، وتارة تدخل الخادمة لتنظيفها ، وتارة ثالثة يدخل أبوها أو أخوها « الشيطان » — ولا أعلم سر تصويرها على هذا النحو — وهكذا . . . وفى كل مرة يتجه الداخلون إلى السرير وتضطر الفتاة إلى اصطناع المرض حتى لا يفتضح أمرها . ونحسب أننا بدأنا نستريح من هذا العناء حينما يأمرها الطبيب بالراحة التامة ، لكننا نعود إلى العناء كرة أخرى عندما يأتى لزيارة المريضة — وهى فوق ذلك السرير — ابن عمها ثم جارتها (سعاد) ثم أمها وأبوها وأخواها . والحق أننا نحس خلال ذلك إحساساً كبيراً بأن المؤلف لا يجد مخرجاً للعاشق ، بل يدور كما ندور حول السرير أيضاً . وأخيراً يهديه الله إلى حيلة غريبة فيلبس الخادمة عفريتاً يجعلها تصيح وتقفز ، ويلبس (يسرى) غطاء أحمر ويسدل الستار وهو يقفز كذلك بهذا الغطاء إلى خارج المسرح ! !

وينفرج الستار مرة ثالثة عن نفس المنظر الأول فى منزل (يسرى) فنرى أحد رؤسائه وقد جاء ليتساءل عن سبب انقطاعه عن عمله . ونرى أم الفتاة وقد جاءت تشكو من مماكسته ابنتها ونرى والد خطيبته وقد جاء يهدده بالقتل إن لم يتم زواجه بها ، وتتكاثر عليه الهموم وتتعقد المشكلات فيثوب إلى رشده ويتوب عن آثامه ويعود إلى زوجته . . ويسدل الستار الأخير ! ! .

بالله ما ذا فى هذه القصة الطويلة من مغزى ؟ ! إن كانت واقعية أى تصف الواقع وصفاً مجرداً محايداً فأين وحدتها ! وإن كانت عاطفية فما هى الخواطر التى جاشت بصدر المؤلف؟ وإن كانت غائية فما هدفها ؟ لعلها صراع بين مثالية الزوجة وعربدة الزوج ، فأى صراع هذا الذى يدور بين الخير والشر وينتهى بانتصار الخير انتهاء يذكرنا بروايات المدارس

(البقية على الصفحة التالية)

نقــد

زينب فى برلين

للأستاذ توفيق الشناوى

هــذه كلمة تفيض إخلاصاً من أحد شبابنا الذين يحبون أن تظهر مصر أمام الأمم بما يليق بنهضتها الحديثة . ونحن ننشرها هنا لعلها تفيد من يتصدون لخدمة الفن السينمائى بغير أن يعدوا له عدته .

سيدى الفاضل .

كلما نحاول أن نعطى فكرة حسنة عن بلادنا إلى الشعب الألمانى إذا بنا نصدم دائماً بما يرسل إلينا من مصر فيسىء إلينا وإلى بلادنا . أقول هذا يا سيدى بعد أن حضرنا بالأمس عرض فيلم زينب فى برلين فى المهرجان الدولى للسينما .

عرض فى برلين خلال هذا الشهر ما يقرب من أربعين فيلماً من جميع بلاد العالم ، وبعض البلاد عرضت أكثر من فيلم ، وتقدمت مصر فى هذا المهرجان بفيلم زينب لتعرضه على الجمهور فى أوربا .

كان المفروض حسب البرنامج الموضوع أن يعرض الفيلم يوم الإثنين ، ولـكن مصر دائما تريد أن تثبت للعالم أنها لا تحترم المواعيد ، وأننا شعب لا ندرس أى شىء ، بل الارتجال هو وسيلتنا الوحيدة فى هذه الحياة . ذهبنا يوم الجمعة لحجز التذاكر مقدماً فقيل لنا إننا لا ندرى من أمر هــذا الفيلم شيئاً فإنه لم يصل إلى برلين ، وذهبنا يوم السبت فقيل لنا تأجل الفيلم إلى أجل غير مسمى . ثم ذهبنا يوم الأحد فقيل وصل الفيلم وسيعرض يوم الثلاثاء بدل الإثنين . فقلنا الحمد لله الذى وصل . كانت النتيجة طبعاً أن التذاكر لم تبع جميعها ، لأنه ليس لـكل إنسان هذا الصبر الذى فاق صبر أيوب

الثانوية ! ! إنى لأعجب لمؤلفها كيف استباح أن يجعل لها مشاهد وفصولا وأن يسخر لها هذا الحشد من الشخصيات تماماً كما لو كانت مسرحية تدور حول فكرة دقيقة أو تستهدف مغزى عميقاً . ومع هذا فلو أنه أحكم إطارها المسرحى لاعتبرت هذا منه إعجازاً . فقد استقرت آراء النقاد بعد خلاف طويل الأمد حول علاقة المضمون بالصورة على أن كلا منهما يحدد الآخر ويكفيه . فإذا صح ذلك — ويبدو أنه صحيح — كان من الصعب أن تتكون صورة لرواية غير ذات مضمون . من هنا نستطيع أن نعلل تفكك إطارها . وقد تجلى هذا على وجه الخصوص فى نهايات فصولها فلم تكن — كما كان ينبغى — معبرة عن وصول الفكرة المسرحية خلال « تطورها » إلى طريق مسدود ، بل كانت مجرد افتعال لإيجاد هذا الطريق أو لإيقاف سريان الفكرة بلا مسوغ ، وبالجملة كانت تحايلا لإسدال الستار على نحو مّا .

واعتقادى أن هذا قد ألقى على المخرج والممثلين عبئاً جسيماً . ولولا بعض أخطاء فى ضبط الحركة المسرحية لما وجدت على المخرج « الأستاذ الزرقانى » مؤاخذات بارزة على الرغم من أنه التزم الهدوء إلى حد الرتابة أحياناً . فقد رأينا فى بداية الفصل الأول (سعاد) و (زينات) تتعانقان مدة أطول من اللازم ربما يدخل (يسرى) ليراهما متعانقين . ويكرر ذلك فى مشهد التعانق بين (يسرى وزينات) . كذلك لولا بعض التصنع فى الأداء التمثيلى لسلمت بأن الممثلين كانوا فى خير حالاتهم . . .

الحق أنى لا أجد فى هذه الرواية مزايا كثيرة تؤهلها للترويح عن الناس فى صيفهم الخانق . فليس من المنطق أن يكون الترويح باعثاً على قلة الاهتمام بالحدود الفنية . ويظهر أن فرقة المسرح الحديث لم تقصد بتمثيلها سوى أن تتيح للمؤلفين المحليين فرصة العمل والإنتاج وهــذا جزء من من برنامجها الحافل . وحسبنا بعد ذلك أنها قدمت لنا مخرجاً ثالثاً جديداً جديراً بالتنويه .

عبد الفتاح البارودى

رغم أن جميع الأفلام كانت تنفد تذاكرها قبل عرضها بثلاثة أيام .

ذهبنا فى المساء لرؤية الفيلم ، وقد فوجئنا بحركة لطيفة من المشرفين على عرضه ، فإذا بميكروفون يوضع على خشبة المسرح وصعد أحد المشرفين الألمان ، وقدم للحاضرين أحد المصريين قائلا إنه سيقدم للجمهور الفيلم بكلمة قصيرة ، ثم صعد شاب مصرى مهذب إلى المسرح وسلطت عليه الأضواء وتكلم بلهجة ألمانية « نظيفة » ، تكلم قائلا إن الفيلم قصة من صميم الريف المصرى ، وقد نالت كلمته إعجاب جميع الحاضرين ، وصفق له طويلا ، وكانت هذه لفتة بارعة منه ، فلم يحدث أن قدم فيلماً أجنبياً بكلمة قبله . ثم عرض علينا « كنوز توت عنخ آمون » ، وكان هذا الفيلم باللغة الفرنسية ولست أدرى لماذا لم يترجم إلى الألمانية كما حدث فى جميع الأفلام التى قدمت .

ثم ابتدأ عرض « زينب » ووضعت يدى على قلبى إذ كنت دعوت بعض زملائى وزميلاتى من الألمان وخشيت أن يظهرنا الفيلم فى مظهر غير مشرف . . وقد حدث فعلا ما توقعت .

إن أول مأخذ على هذا الفيلم هو القصة . إنها تافهة لا تصلح للسينما ، بل يبدو أن المؤلف ما زال متأثراً بالجو المدرسى ، ويعتقد أن الشعب تلاميذ فى مدرسة ابتدائية ، فقدم لهم « قطعة مطالعة » جائز أن تكون من الناحية الأدبية جميلة نوعا ، أما أن تكون قصة سينمائية فهذا محال . ولا يدل هذا إلا على افتقارنا الشديد إلى كتّاب لهذا الفن بالذات ، فليست كل قصة من النثر الجميل أو السجع الممل تصلح لأن تكون موضوعاً سينمائياً .

وعرض فى الفيلم « رقصة بلدى » وكان الألمان ينتظرون شيئاً نظيفاً لكنهم شاؤوا أن يعرضوا رقصاً رخيصاً من راقصة كان يجب أن تدارى قبح وجهها وتختفى من هذا العالم . إنهم هنا سمعوا عن الرقص المصرى فى مهرجان كان فى العام الماضى وكانوا ينتظرون قطعة أو تحفة من الفن خصوصاً بعد أن شاهدوا الرقص الأسبانى وأعجبوا به ، وأسبانيا معتبرة من البلاد الشرقية ، فكان يجب ألا نقل عنها فى هذا المضمار .

وكانت الموسيقى التصويرية جميلة ولكنها متقطعة غير متصلة .

ثم الأهم أنهم قالوا إن هذا الفيلم « Langweilig » أى ممل خال من الحركة ، كله حب وهيام ، وشعب كسلان لا عمل له . صحيح أن حياة الريف هكذا ، ولكن كان يجب ألا يعرض هذا فى أوربا . إنهم يريدون شيئاً عن مصر الحديثة حتى يمكننا أن نغير الفكرة الراسبة هنا ، وهو أننا « عرب » نعيش فى خيام ونركب الجمال .

ثم الترجمة يا سيدى بالألمانية لم تكن كاملة ، بل إن مواضع كثيرة من الفيلم لم تعمل لها ترجمة على الإطلاق . . صحيح أنها مهمة شاقة ، ولكن الألمان إذا عملوا شيئاً تحروا أن يكون كاملا غير منقوص ، وإلا فلا داعى لعمله . وقد أظهرنا هذا الفيلم شعباً لا نتقن ، بل نميل إلى « الكروتة » فى كل شىء .

هذه يا سيدى هى الفكرة السيئة التى أساءت إلينا فى الخارج ، ولكن مما خفف الصدمة علينا أنه بعد انتهاء عرض الفيلم تقدمت السيدة « راقية إبراهيم » فى ثوب أسود إلى خشبة المسرح ، ووضع أمامها الميكروفون ، وقدمت لها باقة من الورد . ثم تكلمت بلهجة إنجليزية سليمة شاكرة للجمهور حضوره عرض فيلمها ، وقالت إنها تتمنى أن تحضر فى العام القادم إلى برلين ، وتتمنى أيضاً فى ذلك الوقت أن تتمكن من شكر الجمهور باللغة الألمانية بدل الإنجليزية ، وكانت لفتة بارعة منها . ثم سارت فى طريقها إلى الخارج وتقدمت لمصافحتها ، ولاحظت أن كثيراً من السيدات تقدمن إليها مصافحات باللغة الإنجليزية أيضاً . ثم حاصرها كما هى العادة الصحفيون الفضوليون .

وإنى يا سيدى أقولها حقاً : إن الجمهور أعجب أولا بالشاب المصرى الذى قدم الفيلم . ثم أعجب براقية إبراهيم لأنها تجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، وأسفوا لأن فن هذه السيدة لم يستغل بالدرجة الكافية .

هذا يا سيدى ما حدث يوم عيد الفطر المبارك وكنا ننتظر من مصر هدية للعالم فى هذا العيد ، ولكن من يسمع ومن يجيب .

برلين — توفيق الشنارى

رد على نقد :

حول ديوان « رياح وشموع »

(رأى الأستاذ الشاعر كمال نشأت أن يرد على الكلمة الطيبة التي كتبها الأستاذ محمود فتحي المحروق في نقد مجموعته الشعرية ، وإنا وإن كنا ننشر هذا الرد مضيا في المساجلة الأدبية نرجو أن يتسع صدر الأدباء لآراء الناقدين وأن يحلوا هذه الآراء محلها من عنايتهم وإن كانوا يرون في أنفسهم ما يخالفها) .

نشرت الثقافة الزاهرة في العدد الماضي (٧٠٦) نقداً لمجموعتي الشعرية الموسومة بهذا الاسم للأستاذ الناقد العراقي محمود فتحي المحروق . وقد تكلم عن هذه المجموعة بروح الإنصاف العادل والتذوق الحساس المتزن . ولم تفته بعض الهنات — في رأيه — فأشار إليها . وها أنا أدفع برأيي على ما سجله عليّ في مقاله النقدي . وكم كنت أحب أن يذكر الأستاذ المحروق هذه الهنات التي لم يشر إليها والتي تركها « ليصححها الشاعر بنفسه » . وقد مر النقد الأدبي الحديث بمرحلة كان الناقد يرسل فيها قولته في كتاب من الكتب فنزلها — هو بنفسه — منزلة الحكم المقرر المعترف به سواء أكانت مدحاً أم ذماً بغير شواهد أو أدلة يستند إليها .

ولذلك سأترك هذه الهنات التي لم يشر إليها الأستاذ المحروق وسأرد على ما ذكره منها في مقاله . يقول « فقد أورد الشاعر بعض التعابير الغريبة التي لا تترك في الذهن إلا صوراً مشوشة مضطربة كقوله «عطر الشعاع» و « زمن الليل » و « الشمم المجنح » لست أزيد الأستاذ الناقد علماً إذا قلت إن بتر التعبير من البيت الذي ذكر فيه يضيع معناه ، فما بالك بالسياق الأدائي والموضوعي والنفسي الذي يدخل فيه هذا التعبير كجزء من أجزاء الهيكل العام للقصيدة !

إن الشاعر يعبر عما يحس بأسلوبه هو ، وتعابيره الخاصة التي تصور إحساسه الشخصي في القالب الذي يرضاه ، وعلى الناقد أن يعيش في تجربة الشاعر ويدرك مراميه ومعانيه كما يقول « كروتشه » ناقد الجيل .

وأنا كشاعر كبير لا أعيش على فتات الماضي ، ولا أرضى مطلقاً أن أتابع المدرسة التعبيرية القديمة . فأستعمل هذه « الأكليشيهات » المحنطة . . وهذه التعابير التي أنكرها *الناقد الفاضل* تأخذ أمكنتها المناسبة في القصيدة ، وهي تعابير فيها من الرمز والقوة الإيحائية الشيء الكثير .. وإذا كان الأستاذ المحروق لا يرضى عن هذه التعابير الرمزية البسيطة فما رأيه في الشعر الرمزي الذي كتبه فرلين ومالارمه وبودلير وأضرابهم من أئمة الرمزيين في الأدب العالمي ... ؟

أما قوله عن هذا البيت :

يازغْرَدَةَ الفجرِ الوليـــدِ   وغنوة الرّوض النضـــير

أن الغنوه بمعنى الغنى واليسار والاكتفاء ولا يصح أن تستعمل بمعنى الأغنية فقول صحيح ، ولكن أليس الأستاذ معي في أن اللغة كائن حيّ يتطوّر وينمو ويتجدد ، ولفظه (غنوه) بمعنى أغنية لفظة شائعة على أقلام الشعراء والكتاب وإن لم تذكرها القواميس بهذا المعنى ، وما دامت اللفظة قد استقرت على الألسنة بهذا المعنى الشائع فلا اعتراض عليها .

هل لفظة « الفنان » التي تقابل Artist توافق معناها القاموس ؟ إن القاموس العربي يتفق بأن الفنان نوع من الحمير ، ولكن اللفظة أخذت هذا المعنى الذي يقابل الكلمة الأفرنجية وجرت على ألسنة الكتاب والشعراء . . وما زلنا نقول ويقول الشرق العربي كله (فنان) ولا نقول (مفن)!!

هذه إشارة إلى نقد الأستاذ اللغوي ، ولن أتكلم عن (دَوَى) و (دوّى) بالتشديد وغيرها لأن هذا النقد الذي يمس إباحة لغوية أو عروضية لا يحرص عليه إلا في مجال النقد المدرسي . وقد كنت أعلم أن القافية في البيتين :

في المساء الرهيف   أفتح النـــافذة
حيث دفء الخريف   والرؤى (الحافزة)

هي الدال لا الهاء .. وكان في استطاعتي أن أتجنب هذا العيب من عيوب القافية فأقول (الرؤى الآخذة) فتستقر القافية كما يريدها الأستاذ وكما يريدها العروض ، ولكن المعنى الذي أحسسته لا تؤديه إلا لفظة (الحافزة) . ولما كان التقارب الموسيقي بين الزين والذال كبيرا لم يهمني هذا الخروج على القواعد . فلا الخليل صاحب العروض ولا غيره بمانعي من أداء المعنى الذي أريده في دقة وضبط ! وأخيراً أشكر الأستاذ على عنايته بنقد هذه المجموعة وأسجل له إعجابي بفهمه وروحه الطيبة .

كمال نشأت

بين المجلة وقرائها

« شكوى . . »

منذ أسبوعين كتبت خطاباً لحضرة الأستاذ الدكتور « أحمد أمين » أستشيره في أمر يخصني ، ويخص بقية القراء ، لأنه قد نشر في كتابه الفريد « النقد الأدبي » ج ١ رأياً حول شخصية الأديب قال فيه بوجوب دراسته لمعرفة جوانب حياته واجتلاء دقائق فنه على وجهها الصحيح . .

وقد اقتنعت به لولا أن كاتباً آخر هو الأستاذ « توفيق الحكيم » نشر في كتابه « فن الأدب » ما يقف وهذا الرأي على طرف نقيض . أرسلت إلى الأستاذ أستشيره في أي الرأيين أتبع ، وبأيهما أقتنع . . فقد كلفت نفسي عناء طويلا ، وكلفتها ثقيلا من الأعباء من أجل القراءة ، وكنت أقتطع من قوتي للكتب ، فاشتريت الكتابين في وقت واحد ، كما سبق أن اشتريت كتباً كثيرة لهذين المؤلفين ولغيرهما ، منها ما احتملته راضياً ، ومنها ما احتملته في مشقة وجهد شديدين ، ولكني احتملته على كل حال . عكفت على قراءتهما ، والنظر فيما احتوياه ، فقد كنت ولا أزال مؤمناً بما يقول الرجلان . وعرض لي هذا الخلاف المشار إليه في الرأي السالف الذكر ، فقلت أكتب لأحدهما أو كليهما ، ثم فكرت طويلا وحزمت رأيي وأجمعت أمري على الكتابة للأستاذ « أحمد أمين » وشرعت القلم ، ثم جعلت أكتب وأقرأ ، ثم أعيد القراءة وأشطب بعض ما كتبت لتحويره وتعديله ، فإذا فرغت من ورقة جذبت أخرى وهكذا كتبت الخطاب في أسبوع ، وانتهيت منه إلى صيغة هي التي أرسلتها للأستاذ أحمد أمين مكتوبة بخط جيد لا تؤذي قراءته . وذهبت إلى صندوق البريد ثم وقفت أمامه وقلبي يخفق ، وكأني مقبل على شيء خطير وأمر كبير أخطر وأكبر جداً من إرسال خطاب عادي . واستبعدت من فكري جداً مسألة إهمال الخطاب ، فلم تكن أعصابي تطيق مثل هذا الخاطر ، فلقد يعز علي أن يذهب تعبي هباء ، وأصطدم أخيراً بصخرة قاسية لا ترحم ، فتنبعث في أعصابي وخواطري شرارة من اليأس ، بعد الذي صنعت من حياة الحرمان من أجل الكتب والمؤلفين . فقد والله لبست الحذاء مرتوقا ، ولبست القميص ممزقاً ، وعشت بثوب واحد وحلة واحدة في مناسبات كثيرة قيظاً وشتاء ، معرضاً نفسي لسخرية الحياة المرة ونقد إخواني وأقراني .

ولكن هذا ما حدث ، وبه أرفع هذه الشكوى إلى قاضي الأحوال النفسية بمجلة « الثقافة » الغراء ولعله الأستاذ أحمد أمين . إن تشجيع القراء والعناية بهم في مقدمة العوامل التي تخلق جيلا منهم يعتد به ، جيلا يعتد بنفسه ، ويؤمن بنظريته في الحياة الثقافية وقيمتها في هذا العصر الذي طغت فيه المادية كما طغت فيه « الأنانية » ، وسيطرت عليه فأضاعت منه الرشاد .

وأنا بعد هذا أرفع تحياتي وإجلالي للدكتور « أحمد أمين » سامحه الله .

محمد علي هديه
مدرس

حضرة الأستاذ محمد علي هديه .

أؤكد للأستاذ أن خطابه لم يصلني ، ولعله أرسل بعنوان آخر غير عنواني في الصيف بالإسكندرية ، والأستاذ يحار بيني وبين الدكتور توفيق الحكيم لأني رأيت وجوب دراسة بيئة الأديب والأستاذ الحكيم يرى عدم ذلك . وفي الحقيقة أن علماء النقد مختلفون أيضاً . ولكل وجهة ولكل حجج . فأما حجج الذين قالوا بوجوب دراسة البيئة فهي أن البيئة هي التي تنتج الأديب ، فإذا أريد فهم الأديب على حقيقته وجب أن تفهم بيئته . وعلى هذا ألف الأستاذ الفرنسي تين كتابه الذي يقصد به بيان أثر البيئة في الأديب ولم ينكر أحد ذلك ؛ وكل الذي نقدوه على تين أنهم مع اعترافهم بتأثير البيئة رأوه أهمل شخصية الأديب بدليل اختلاف أديب عن أديب في بيئة واحدة . وحجة

الآخرين أن الأدب قطعة فنية لايهم الناقد صانعها كما يهمه صنعتها ، فإذا أريد تقدير بناء هندسي لم يهمنا إن كان واضع تصميمها فلان أو فلان . وأرى أن حجج الفريقين صحيحة وأننا إذا أردنا تقويم الأديب فلابد أن ننظر إلى بيئته . وإذا أردنا تقدير القطعة الفنية نفسها لم يهمنا قائلها ولا كيف عملت فيه البيئة ، فكلا الرأيين صحيح من وجه . فدارس الأديب يجب ليفهم القطعة أن يفهمها على ضوء بيئته ، ودارس القطعة الفنية يمكنه تقديرها من غير أن يتأثر بالأديب إن كان مسلماً أو نصرانياً . شيعياً أو سنياً إلى آخره .

فالذين قالوا بوجوب دراسة البيئة نظروا إلى فهم الأديب فهماً عميقاً ، والذين قالوا بتقدير القطعة الفنية لذاتها نظروا إلى الخوف من تأثير العوامل الخارجية في تقدير الفن . ولعل هذا هو نقطة الخلاف فيما كتبته وكتبه الأستاذ الحكيم . وللأستاذ المنتقد أن يأخذ بأي الرأيين أو بهما معاً في الموضوعين الذين أشرت إليهما والسلام .

أحمد أمين

مناقضة المناقضة

كتب الأستاذ الشاعر الأديب محمد رجب البيومي في مجلة الثقافة بالعدد ٧٠٧ قصيدة يناقض بها قصيدة المغفور له حفني بك ناصف .

رقيبي حساً ومعنى فلصنعك الشكر المثنى

وقد بعث حضرة الأستاذ الشاعر الأديب محمود محمد بكر هلال قصيدة أخرى يناقض بها قصيدة الأستاذ البيومي . ونحن ننشرها هنا مضياً في هذه المساجلة الأدبية الطريفة ونستميح حضرة الأستاذ هلال عذراً إذ رأينا أن نقتطف منها أو نقتطف عنها بعض زوائد رأينا الباقة تضيق بها وإن كانت رائعة ناضرة . قال الأستاذ هلال :

قالوا شخصتَ إلى قنا

قرأ الصعيد قصيــــدة بَلْــقاء من رجل تجنّى
فاهتاجه السكران ثمّ انساب يُزْجي الردَّ وَزْنا
« يا منكراً فضلى عليـ ـك ومشبعى ذماً وطعنا
ما أنت أول ناكر متقوّل قَلَبَ المِجَنّا
ما كان ضرّك لو حفظـ ـت العهد والإحسان عنا ؟
قد جاء قبلك « ناصف » ذكر الحقيقة مطمئنا
وغمطتني حسّاً ومعنى وغبنتني في الناس غبنا
أ نكرت إحساني إليـ ـك وقد همى براً وحُسْنى
ما كنت أعلى من حسو دك رتبة وأجل شأنا
بل جئتني فعلوت قد راً والمقام بك اطمأنا
أو ما كفى ذَمّي وأني صرت للغرباء سجنا ؟
حتى تذم الساكنـ ـين وتملأ الآفاق هُجنا ؟!
هل قصّر الطلاب حتى لم تذق عسلا وجبنا ؟
ليسوا وربك مثلما ترمى جفاة الذوق خشنا
لكنهم نسل الأبا ةِ فلا ترى خوراً ووهنا
لم يُعدِهم ترفُ الحيا ة تخنثاً تدعوه فنّا
شمس الصعيد تصوغهم فتظلهم في الرَّوْع جِنّا
وعقولهم أصفى وأر قى ما يكون المرء ذهنا
السفح خير من رى « الـ كفر الجديد » وما أجنّا
قد قلت حقاً بعد ما سطرت في السكران مَتْنا
« أنا لست ذا غنم لكي أرعى به معزاً وضأنا
قد قلت النفقات لكـ ـن قل جسمي المشْ وزْنا »
أنّى عرفت الصرف حتى قلّت النفقات أنّى ؟
أما التشكي من حرا رات تحيل الجو سُخنا
فانظر « ميامى أو فرنـ ـسا » والدُّنا ركناً فركنا
تجد الحرارة أسقطت أثمار غصن قد تحنّى
والناس قد خرجوا عُر اةً كلهم ظهراً وبطنا !!
في لندن مهد البرو دة أنّت الأنفاس أنّا
والحر قد كظم النفو س فلم تجد برداً ومُزنا
واللون ليس بسُبّة تزرى بنا في الناس شأنا
فهي الشهادة أننا من نسل وادٍ ما تدنّى
لم تختلط بدمائنا ألوان غازٍ قد تجنّى !!
أحمدْ شوّهت وجـ ـه الحق بل وكسوت دجنا
« تأتى الحقول الشاسعا ت فلا ترى طيراً تغنى
كلا ولا زهراً تبسّـ ـم لا ولا غصناً تثنى »
هذي أباطيلٌ يرا ها الحق عند الوزن عِهْنا
من قال : إن الطير ما وجدت هنا حُسْناً وفنا ؟
فتعطلت لهواتها وتقطّعت ألما وحُزنا !!

أنشودة الغريب

[هز الحنين قلب الأستاذ عبد الرحيم صارو الى ربوع وطنه البعيد ، وها هى ذى أنشودته تتغنى بذكرى الشاطىء البسام ونسمة الغاب .]

يا فرحة الأحلام   لو عادت الأيام
يا فرحة المهجور   لو هلل المقدور
ورف لحن النور   معطر الأنغام

يا فرحة القيثار   يا نشوة الأوتار
لو طوف التيار   بالشاطىء البسام

يا قلب طال أساك   يا دهر ما أقساك !
يا ناثر الأشواك   عبر الطريق حرام !

يا موقد النيران   يصلى بها قلبان
فى غربة الأوطان   ضاقت بى الأعوام

يا جنة السمار   يا ليت حين مزار
فالبين والأسمار   هجر بغير خصام

ما كان أهنانا   فى عش نجوانا
والحب يرعانا   والزهر والأنسام

أيامنا الأنداء   فى رقة وصفاء
ليلاتنا الصهباء   صهباؤنا الأحلام

يا نسمة بالغاب   هفهافة الجلباب
ما الدار ما الأحباب   ما موطن الإلهام ؟

يا طيف من أهوى   يا باعث السلوى
بلل صدى النجوى   بالوصل والإلمام .

سائل بى الوادى   سل صبحه العادى
سل ليله الهادى   فالصمت فيه كلام .

سل نجمه اللماح   والكوكب الوضاح
عن أعين الملتاح   هل زارهن منام ؟

إنى هنا وحدى   فى زورق السهد
أضىء من وجدى   مشاعل الأوهام

أحنو على ذكراه   أهفو إلى دنياه
حين يحين لقاه   فتزدهى الأحلام

عبد الرحيم عثمان صارو

النيل سوى بيننا   وسرى يفيض سنى وحسنا
ويخط آيات الجما   ل وسحره يسرى ويجنى
فهنا طيور صادحا   ت تبعث اللحن المرنا
وهنا الأزاهر باسما   ت تنتشى عطراً ولونا
ماذا ؟ أليس هناك ما   يدنى لقلبك ما تمنى ؟
« إن طال ليلك لم تجد   ملهى يتيح الأنس وهنا
أى النوادى فيه تقـ   ضى الوقت مبتهجاً وأنى » ؟
بل أنت مالك والندى   إذا تعذر أو تسنى ؟
« تتذكر الاسكندرية   والدموع تفيض مزنا » !
لم لا تحن إلى مصا   طب كمركم لتطيب سكنى ؟
ذكرتنى مثلا وخـ   ير القول ما يبقى ويغنى
« لما خلت من شعرها   وتشوهت شكلا وسنا
صارت بشعر قريبة   تختال كالصب المعنى
وتبيت تمتدح الرءو   س وقلبها بالشعر غنى » !!
حفنى شدا بالحق معـ   ترفاً فدعنا منك دعنا !
قد هش لما عينو   ه قاضياً بقنا وإسنا
« أبتيج » فيما ارتأى   لا تستحق أذى وغبنا
فلم التقول والتطا   ول ثم كنتم ثم كنا ؟
أنسيت أنا إخوة   لولا التمرق ما وهنا
النيل يجمع بيننا   ويوحد الأرواح منا
فمتى نصد الطامعـ   ين وندفع الدخلاء عنا ؟
هذى الحقائق ، ما عدا   ها فى الورى يبلى ويفنى
لو صانها الكتاب والـ   شعراء فى الوادى استرحنا

محمود محمد بكر هلول
المدرس بسوهاج الثانوية

٢ - حـــــواء جـــــديدة (١)

ملحمة شــعرية

للأستاذ محمد فهمي

صوت يردد كالحالم :

كان حلماً رأيتـــه في زماني
قيـل بعثي في هذه الأكوان
لستُ أنسى ما قد جرى في الجِنان
ذاك حيٌّ في مهجتي وجنـاني

ربة الطُّهر عَمَّدتْكِ بمـــاء
من رحيق الخلود عين معينكْ
وأدارتْ على جبينـكِ تاجاً
أبيضَ اللمح في صفاء عيونكْ
وتهادتْ إلى سمـائك فينوس
وحيَّتْ بقبلةٍ في جبينك
ثم ناجتكِ .. أنتِ ظلّي على الكَوْ
نِ وسرُّ الجمال نفح يمينكْ
وأبوللو انتضى اليراعةَ يُحصِي
صور الحُسْن من عديد فتونك
فإذا الوحْي قد دهاه ذهولا ..
أغرق الروح في ســناء فنونكْ
فرَمَى بالـــيراع .. ثم جُثُوًّا
عند عرش الجمال تحتَ غصونكْ
وتراءى المخـــلَّد الخيَّامُ
هو شيخٌ سبتْ نُهاهُ المُدام
يتنشَّى أريجهـا الفوَّاحا
ويُغنِّي مستغرقاً صدَّاحا

(نشيد الخيام)

عَلِّـــــني من رحيقها يا ساقي
بكبيرٍ من الدِّنان العِتاقِ
لا تليق الكؤوس بالمشتاقِ . . .
تلك حالٌ في طيهـــا إحراقي
آهِ لو في ذا الكوثر الدفّاقِ
تطّرحـــني لعـــل موتاً ألاقي
ما شفا لي الخلودُ يوماً نواحا ! !

(يقترب من الربوة حيث الحفل فيشاهد أنواراً تشع فيترنم وهو متجه نحوها) :

أي سرٍّ محيِّرٍ أفكاري . . .
يتراءى مســتوقفاً أنظاري
أبحُلْمٍ من نشوةٍ وعُقار ؟ ؟
أم بصحوٍ تكشّفتْ أسراري ؟ !
ذاك نورٌ من الحقيقة لاحا . . .

* * *

أكذا أنتِ فتنةً وجمالا
أكذا أنتِ روعةً ومِثالا
ما أضعتُ الحياةَ فيك ضلالا . . .

* * *

لِمَ حُجِّبْتِ طول هذى الدهور ! !
ألِكيما تُشتكملي في النور ... ؟
حينما كنتِ همسةً في الأثيرِ

---

(١) من ديوان أغاريد للأستاذ محمد فهمي .

وخيالاً يطوف فى تفكيرى
أرِدُ الخمـر كى يخفَّ ثبيرى
ومشوقاً فأستقلّ الجناحا

* * *

كم نبذتُ الوقار فيكِ ابتهالا
ورَهقتُ الوجود عنكِ سؤالا ...
ورُمينا فما عَبأنا مقالا ...
وأرانى وقد بلغتُ النوالا ...
ربّ إنى شُفيتُ عقلاً وراحا .. !!

* * *

يا سناً فى عوالم الفردوسِ ...
يا حُميًا ترقرقتْ فى الـكأسِ
يا لحوناً ترنّمتْ فى نفسى
أنتِ روحٌ تقدّستْ إصباحا ...

* * *

(وهنا يشق الجمع مجنون ليلى مندفعا نحوها وقد ظنها ليلاه) :

فديتُكِ ياليلى بخـلدىَ زاهيا
ونفسى وكم عذّبتِ نفسى فياليا
بربِّكِ لا تنـأىْ فإنِّىَ هالكٌ
وإن كنتُ فى خُلْدِى المنضّر باقيا
أرابَكِ أن الحور تَعبر ساحتى
وتسمعُ أشعارى فتغدو شواديا ؟!
فوالله ... (وهنا يتبين أنها غير ليلاه)
ويحى ! ! أنتِ أفتنـكُ نظرةً
وأفعلُ سحراً فى جراحى الدواميا

أحس دبيب البُرء يسرى مرنّحا
على كبدى . ماذا أحِسُّ ومابيا ؟
قضيتُ نزيل الخلد ليس بمسعدى
من الحور أبكارٌ يمسّنَ حياليا
كأن لهيبَ الجُرح أشهى لمُهجتى
ورجع شكاتى سلوتى وعزائيا
إلى أن تراءت لى بوجهك آيةٌ
أسوتَ بها جُرحى فديتك آسيا
رعاك إلٰهى .. ذاك فعلك فى الملا
فكيف يكون الفعل فى الـكون عاتيا
لأنتَ رسول البرءِ والطُّهرِ والسنا
إلى ملأٍ فى الـكون يرجو المؤاسيا

* * *

(هنا يتقدم بنتاؤور . شاعر مصر فى لباس فرعونى وعليه وقار ، وان كان غض الشباب ، موجها إليها الخطاب) :

إيزيس لاحتْ يا فرادِسُ هلِّلى
هيَّا إلى النور المقـدّس فانهلى
هـذا هو النور الذى لمعَاتُه
سطعتْ على وادى الـكنانةِ من علِ
هـذا هو النور الذى لجلالِهِ
خشعتْ ملوك الأرض رهن توسُّل
كم كان سحرك فى المحيا كل آسِرِى
قد حيَّر الأزمانَ سحرُ الهيكل
ولـكم شُدِهتُ أمام رسمكِ صامتاً
والآن تفعـل مقلتاكِ بعقلى

(لها بقية) محمد المهدى

الثقافة

العدد ٧١٢
١٨ من أغسطس ١٩٥٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر

الثمن ٣٠ مليماً



الفهرس

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتيـاز | الإدارة | رئيس التحرير المسئول

دكتور أحمد أمين | | محمد عبد الواحد خلاف

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٢٥٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العـــدد ٧١٢ الاثنين ٢٧ من ذى القعدة سنة ١٣٧١ — ١٨ من أغسطس سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة عشرة

بل وجدت وطنى

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

كنت منـذ شهر أو حوالى الشهر كتبت للثقافة مقالا ...ا عنوانه « أبحث عن وطنى » لأنى حقاً كنت أبحث ... عن وطن فلا أجده . كنت لا أجده فى مصر ، وإن ...ن من أبنائها الخلص ، وإن كنت من أشد أبنائها تعلقاً ... تفانياً فى محبتها . كنت لا أجد ذلك الوطن فيها لأنى ...ت أحس أنى أعيش فى بلادى غريباً لأنى كنت أفتقد ...م الذين أقدر أن أعيش بين ظهرانيهم . كانت الحياة أمامى ... تكون صحراء مقفرة لا أجد فيها الإطار العام الذى ...ه موقفى منه . ولقد استعرضت البلاد الأخرى جميعها ... غربية وشرقية ، فكلما استعرضت منها بلدا لم أجده لى ... . فكيف أستطيع أن أحيا فى بلد من بلاد الغرب ... ربطنى به لغة ولا عقيدة ولا ثقافة ، ولا تصلنى بأهله صلة ... مودة قديمة أو قربى عاطفة ؟ وأما بلاد الشرق فأى بلد ...يع أن أعيش فيه ؟ إنها كلها بلاد تدعو إلى ضيق ... مما كنت أحس به هنا فى بلادى . الظلم هو الظلم ...انية هى الأنانية ، والسخف هو السخف . منها بلاد تخرج ...ت من باطن أرضها ولـكن أهلها يعجزون عن إخراجها ، ويعيشون عالة ، على جهد الأجنبى الذكى . ويهب ذلك الأجنبى جانباً من تلك الخيرات لأهل البـلاد العجزة فلا يكاد يصيبهم شىء من تلك الخيرات بل يستولى عليها الطفيليون الجشعون الذين لا هم لهم فى الحياة إلا متعة الحيوان . ومنها بلاد تعيش فى عصور الهمجية الأولى ولا أقول القرون الوسطى . ومنها بلاد تعيش تحت نير العبودية وتستعذب حمل نيرها . كلا كلا فإن تلك الأقطار الشرقية جميعاً أحرى بأن تكون أبعد منى خلافا وأشد إنـكاراً . وسألت نفسى عنـد ذلك أأطمئن إلى اليأس وأقضى سائر الحياة شريداً فى وطنى ، غريباً فى بلادى ؟ .

هكذا سألت نفسى وأنا أضيق بالحياة وأمقت البقاء فيها . ولـكنى أبيت أن أيأس ، وتعللت بأن هناك فى بلادى طائفة من المساكين الذين يعيشون فيها أغراباً مثلى ، وجعلت أعزى نفسى بأن أتخذ من هؤلاء الأغراب المساكين قوماً أستند إليهم وأأتنس بهم ، وهم هؤلاء الفلاحون من أهل الريف فى صعيد مصر وأسفلها ، وهؤلاء الضـعفاء من أهل المدن الذين يعيشون فى أحيائهم الوطنية يجاهدون من أجل القوت

ويجهلون الوسائل إلى التطفل وامتصاص الدماء . وهكذا انتهى بى الفكر إلى أنى قد أجد بين هؤلاء من أستطيع أن أعيش بينهم وأعيش معهم بعيدين عن الصناديق المغلقة المنطوية على أشتات الحطام والرمم العفنة . ولـكن الله أبى إلا أن يعيد إلىّ الأمل بعد يوم أو أيام قليلة . فقد سمعت يوماً لأحد الجيش المصرى يتحدث فى الراديو معلناً ثورته الرائعة ! . لقد أحسست عند ذلك أنى كنت غريقاً على وشك أن ألفظ آخر أنفاسى ثم طفوت على سطح الماء فجأة . ثم تكشفت الأمور شيئاً بعد شىء ، فإذا الطغيان ينهار كما تنهار أعجاز النخل الخاوية . وإذا عبدة الطاغوت أنفسهم يحاولون التسلل إلى الجحور البعيدة ليأمنوا على أنفسهم الذليلة . فاستعدت ذلك المقال الحزين الذى كنت أعددته للثقافة ومزقته قائلا فى نفسى « لقد وجدت وطنى ! » . نعم وجدت وطنى كما يجد الغريب أهله بعد طول فراق ، وكما يجد الأب ابنه أو الابن أباه بعد أن كادا يظنان كل الظن ألا تلاقياً . ولـكن كيف وجد الحميم حميمه بعد طول الفراق ؟ لقد كان كل منهما يعانى مشقة التشريد والحرمان والضنى . وهاهوذا وطننا الحبيب نراه نهباً لـكل الأرزاء والأوصاب والأوجاع .

لقد قام جيش مصر الباسـل النبيل بحركته المباركة ، وليس فيه إلا فتى من أبناء مصر وليس على رأسه إلا رجال من أعز أبناء مصر وأكرمهم عليها . وقد قامـوا بهذه الحركة لا يطلبون سيادة ولا سلطانا ، ولا تدفعهم إلى حركتهم الـكبرياء ولا الأنانية . بل قاموا يهتفون بلسان مصر ويتحركون بإرادة مصر ويسيرون إلى تحقيق غايات وطنهم مصر . إنها معجزة من معجزات التاريخ أراد بها الله تعالى أن يحرر كنانته بغير أن يعرضها لفتنة الثورات الشعبية ، وما يكون فيها من فوضى وكوارث وعقابيل سيئة .

لقـد أحدث الجيش ثورة مصر التى كانت تنتظرها وتتمناها فى خيالها وفى قرارة ضميرها بغـير أن تراق قطرة من دم وبغير أن يتزعزع عرق من نظام . ولـكنها هى ثورة مصر وثورة شعب مصر على كل عناصر الرجعية والطغيان والأنانية . وواجب كل مصرى أن يقف إلى جانب هـذه الحركة الجديدة ومن ورائها يحميها بنفسه غـير منتظر من أحـد توجيهاً ولا تنبيها . إن حركة الجيش هى حركة كل طلاب الحرية وكل طلاب العدالة الاجتماعية ، وهى حركة الشعب المطحون وحركة الضمير الإنسانى المعذب فى مصر . وعلى كل أبناء هذا الشعب المطحون وكل من له ضمير إنسانى أن يعد نفسه ديدباناً حارساً متيقظاً لـكل عوامـل الفساد التى تسللت إلى جحورها فى الظـلام ، تتربص فى حقدها الدفين لعلها تجد فرصة لنفث سمومها تحت جنح الظلام . هناك من كانوا يتوسلون بالحـكم لـكى يبسطوا طغيانهم على الأمة المسكينة ويخدعونها بالألفاظ الجوفاء قائلين إنهم أصدقاؤها الذين يحاربون لها أعداءها . وهناك من كانوا يضاربون فى أقواتها ويخدمون أعداءها ويسرقون حقوقها لـكى يجمعوا لأنفسهم القناطير المقنطرة من الذهب والفضة . وهناك من حطموا مثلها العليا وسخروا من تراثها الخلقى ودنسوا كل مقدس عندها طاعة لشهواتهم الحمقاء الهوجاء . وهناك العجزة السخفاء الذين تسللوا فى ظل العبودية إلى مقاعد السيادة وتركوا أمور الدولة فوضى ينعكس عليها عجزهم وسخفهم . وهناك العبيد الذين ولدوا عبيـداً لا يستسيغون الحرية ولا يقدرون عليها ولا يستطيعون الاستقلال فوق أقدامهم ولا الاتجاه على هدى أبصارهم ، فالعبودية أهون عليهم وأحب إلى نفوسهم من أعباء الحرية . هناك هؤلاء وغير هؤلاء ممن لا يستطيعون أن يتساموا إلى وثبة الجيش الباسلة ولا يسـتطيعون أن ينسوا أنفسهم القـديمة أبداً . ومن هؤلاء نريد أن نحمى وطننا ونحمى ثورتنا . وعلى كل منا أن يكون للوطن ديدباناً فى موقفه ، فلا يقنع بأن يقف فى موضعه ، بل أن ينظر فيما حوله مستشرفا متيقظاً مستعداً لأن يجاهـد عوامل الرجعية والفساد والأنانية فى كل لحظة .

محمد فريد أبو حديد

لفتـــــة وتحذير

للدكتور أحمد عبد السلام الكردانى

أتاح الله سبحانه وتعالى للملك السابق فرصة ذهبية حين تبوأ عرشه والقلوب ملتفة حوله ، والنفوس متلهفة إلى بدء عصر جديد سعيد على يديه ، إذ قد بدا فى ذلك الحين شابا صالحا متحمساً ، وكان الرجاء معقوداً عليه لتدبير الأمر بحكمة ، ولإشاعة العدل بين الناس ولتشجيع الفضيلة ومحاربة الرذيلة . ولكنه خيب الظنون فيه ، فانعكست الآية وشاعت الرذائل وحوربت الفضائل فى عهده . ثم أخذت هذه الحال المحزنة تتفاقم حتى كاد اليأس يستولى على النفوس .

لكن الله جلت قدرته قيض لمصر رجالا شجعانا أوفياء ومواطنين متحمسين أشداء ، وهم رجال الجيش المخلصين الأنقياء الذين ضربوا ضربتهم ، وقضوا على رأس البلاء ، فى خطوات حكيمة حازمة ، وتدبير هادىء موفق ، وأعلنوا للملأ أنهم إنما يريدون وجه الله ومصلحة الوطن ، وأنهم مصممون على تطهير البلاد من الرجس والفساد ، والقضاء على الخيانة والرشوة والاستغلال ، وأنهم لن يضعوا سلاحهم ويعودوا إلى قواعدهم مطمئنين إلا بعد أن يتم للبلاد ما نصبوا أنفسهم لتحقيقه ، وما قاموا بحركتهم لتنفيذه ، وهو التطهير التام الشامل لجميع مرافق الدولة .

فهذه إذن فرصة جديدة أتاحها الله لمصر لتحكم نفسها حكما صالحاً خالصاً لوجه الله ولمصلحة الوطن ، ولإسعاد المواطنين جميعاً ، صغارهم وكبارهم ، فقرائهم وأغنيائهم ، جهلائهم وعلمائهم . فهل ستسلك مصر السبيل الذى يحقق هذه الغاية ؟ وهل ستحسن اختيار الرجال لهذا الغرض من بين الذين لم تفسدهم مساوىء العصر الماضى ، ومن النزهاء الأقوياء الذين يخشون ربهم بالغيب ، والذين يستوحون ضمائر حية طاهرة تحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة ، وتعصمهم من الزلل ؟ هل ستحسن مصر اختيار رجال من هذا الطراز توليهم ثقتها وتسلمهم قيادها وتقلدهم أمورها ، ثم تراقبهم بعين يقظة لا تغفل عن خطأ ولا تتغاضى عن سيئة ؟

هذه مسألة فى غاية الاهمية وعليها يتوقف إلى أكبر حد نجاح الحركة وإيتاؤها ثمارها المرجوة . فالعدو بالمرصاد . ولا أقصد بالعدو الملك السابق وأشياعه وأتباعه الفجرة والجواسيس وحدهم ، وإنما أقصد أيضاً وقبل كل شىء العدو الأصيل ، أى بريطانيا الدولة البغيضة المحتلة ، التى ستبذل قصارى جهدها فى مقاومة حركة التطهير وفى العمل على فشل البلاد فى الانتفاع منها على الوجه الأكمل .

ولا يغيبن عن البال أن أذناب إنجلترا أكثر عدداً وأشد خطراً من أذناب الملك السابق ، فهم متغلغلون فى البلاد وفى جميع مصالحها وفى كل نواحى مرافقها ، وهم مستترون ومتحفظون ومسلحون بأسلحة قوية يهيئها لهم دهاة السياسة وعباقرة الاستعمار ، ويمدونهم كذلك بكل وسائل النجاح من مال ودعاية وسند قوى بطرق بارعة غير مباشرة . فلا يصح إذن إهمال هذا الخطر الداهم من ناحية الدولة المحتلة فى غمرة من الاهتمام والخطر الذين مصدرهما الملك السابق وأعوانه الفاسقون ، فالأول أحق بالحذر والاحتراس منه وبالاحتياط والتسلح ضده .

والآن فلنعد إلى ما كنا نتساءل عنه ، وهو هل ستحسن مصر اختيار الرجال الذين ستعتمد عليهم فى بعث الحياة النظيفة الطاهرة فى البلاد ، وفى خلق روح جديدة قائمة على الإخلاص والتضحية وإنكار الذات والتفانى فى خدمة الوطن وأبنائه ؟ ليست هذه المهمة بالهينة ولا بالسهلة ، فأذناب الاحتلال متغلغلون كما قدمنا ، وهم لسوء الحظ متمتعون بنفوذ قوى ومحاطون بهالة من الإكبار . وطالما أحسن رجال الحكم السابقون الشهادة لهم لأنهم كانوا يعرفون حظوتهم

عند الإنجليز . فأشد ما نخشاه أن يغفل أولو الأمر عن هذه الحقيقة ، ويظنوا خيراً بهؤلاء الأذناب ، ويدعوهم ينفثون سمومهم ويمكنوهم من اضطهاد الرجال الأكفاء والتجسس عليهم ، ومن تقريب الأذناب السفلة والإغداق عليهم ، وبذلك يخدمون الاحتلال ويعملون على إحباط حركة التطهير .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هناك كثرة كبيرة من أذناب الأحزاب النافقين الذين بينا فى مقالنا المنشور فى عدد ٢٨ يوليه الماضى من هذه المجلة كيف تلوثت نفوسهم فاعتادت الأساليب الملتوية ودرجت على التضليل والكذب والنفاق ، وسلب ذوى الحقوق حقوقهم وإعطائها لغيرهم ممن تربطهم بهم رابطة حزبية أو عائلية أو نفعية .

وشر الطبقات فى مصر طبقة المستوزرين الذين نشأوا على أن الوزارة وقف على رضى الإنجليز ورضى السراى . وكلنا نعلم ماذا يطلبه الإنجليز فى هؤلاء من خيانة لبلدهم وخدمة للمستعمر ، وما كانت تتطلبه السراى فيهم من خنوع وصدع بالأمر وإغماض للعين عن المساوئ والسرقات والفضائح ، كما درج هؤلاء المستوزرون على أن منصب الوزير محاط من الناحية الأخرى بهالة من التقديس تجعل الوزير فى صف الآلهة تطأطئ له الرءوس وتهتز له المجالس ، ولا يسمع فى حضرته إلا مدحه والإشادة به والتزلف له ، ولا يصل إلى البرج العالى الذى يلوذ به إلا المحظوظ الذى يدفع الثمن ويفرى الحاشية ، وينزل عن الكرامة والشرف ويبيع الضمير .

هذه هى الطبقات الثلاث التى نخشاها ونشفق منها على البلاد : أذناب الإنجليز ، وأذناب الأحزاب ، والمستوزرون علاوة على الفجرة الفسقة من أتباع الملك السابق . أما الرجال النزهاء الأكفاء الصالحون المرجوون ، والذين نتطلع إليهم ، فهم مع الأسف قليلون من جهة ، ومن جهة أخرى منعزلون منزوون .

أما قلتهم فراجعة للأسباب التى بيناها فى مقالاتنا السابقة (والتى أشرنا إلى آخرها فى هذا المقال) ، وأهمها طغيان موجة الفساد على البلاد واكتساحها للأغلبية من ذوى الحاجة أو من ضعاف العزيمة ، بحيث لم يقو على مقاومة تيارها إلا نفر قليل من الأقوياء فى شخصيتهم وفى إيمانهم .

وأما انزواؤهم وعزلتهم فترجع أولا إلى عزوفهم عن هذا المجتمع الفاسد ، وانطوائهم على أنفسهم فى أسف وحسرة ، وثانياً لطبيعة أنفسهم العالية وحيائهم وتواضعهم الذين أبيا عليهم تقدم الصفوف فى صفاقة ، وتزكية النفس والإعلان عنها .

وينتج عن هذا الانزواء وتلك القلة أن اكتشاف هؤلاء الرجال الصالحين من الصعوبة بمكان ، فلابد من بحث دقيق وتنقيب شامل للعثور عليهم والحرص على وضعهم فى الأماكن الدقيقة الخطيرة .

وأشد ما يخشاه دعاة الإصلاح أن يغتر القائمون بحركة التطهير بما يقوم به فى الوقت الحاضر نهازو الفرص وتجار المناصب ، والبارعون فى تصيد المنافع من دعايات كاذبة لأنفسهم بشتى الوسائل . فنظرة واحدة إلى الصحف فى هذه الأيام تبين مدى ما وصلت إليه وسائل الدعاية والإعلان عن النفس تارة بالتبرؤ من الملك السابق ، وتارة بإيراد القصص التى تشير إلى اضطهاده لهم أو تربصه بهم ، وتارة بسرد وقائع تافهة وحكايات من نسج الخيال للإشادة بعزة أنفسهم وبمحاربتهم للسلطان والظلم . والله يعلم والمطلعون أن الذين يعلنون ذلك عن أنفسهم (أو يعلنه عنهم سماسرتهم) كانوا أمثلة دنيئة للتزلف وإذلال النفس ، وأنهم كانوا أداة الظلم والتنكيل فى أيدى الطغاة الذين يتبرؤون منهم اليوم .

لذلك نرجو مخلصين ألا يغتر زعماء حركة التطهير بهذه الدعايات ، وأن يشيحوا بوجوههم وقلوبهم عن أذناب الإنجليز وأذناب الأحزاب وعن المستوزرين والفسقة من أتباع الملك السابق أو مقلديه فى فجوره ، وأن ينقبوا عن الكفايات من ذوى الأخلاق الفاضلة والنفوس الطاهرة ، كما نرجو أن يعاونهم فى هذا البحث والتنقيب كل مخلص لوطنه ، حتى يتمكنوا من العثور عليهم وإخراجهم من عزلتهم والأخذ بيدهم إلى حيث يخدمون قضية التطهير ومحاربة الفساد ، ويسمون بسمعة البلاد ويحققون آمال المواطنين . والله الموفق الهادى .

أحمد عبد السميع السكرانى

قصة عمر ... « بك »

للأستاذ حسن جلال

صاحبي عمر « بك » رجل ظريف ، خفيف الروح ، عريض الثراء ، واسع الجاه ، ولكنه لم يكن يعتز بشيء في كل ما يملك قدر اعتزازه بلقب « البكوية » الذي ناله في العام الماضي . وكان يتسامح في كل أمر إلا أن يدعوه الناس بغير لقبه هذا الذي يعتز به : عمر ... « بك » .

هو جاري ، وكان من عادته أن يمر بي في الصباح ليشرب معي قهوة الصباح في حديقة داري قبل أن ينصرف كل منا إلى عمله ...

ومنذ نحو أسبوعين دخل عليّ كعادته ، فرآني كعادتي في (كشك) حديقتي أقرأ صحف الصباح ...

وجلسنا نشرب قهوتنا ، ورأيته يمد يده إلى الصحف يريد أن يقلبها ، فعرفت أنه لم يطلع عليها . وبدا لي أن أعابثه قليلا قبل أن يطلع على ما كانت تحويه من أنباء أعرف أنها سوف تهزه هزاً . فسألته في براءة مصطنعة :

— كيف أنك يا صديقي لم تحدثني حتى اليوم عن سرّ اهتمامك برتبتك ، وإصرارك الملح حتى على أقرب المقربين إليك أن يدعوك دائماً ... « عمر بك » ؟

قال : هذا حديث قد يطول . وما دمت تسألني عنه فإني لا أرى بأساً في أن أقصه عليك !

قلت : ألست ترى أننا اليوم أكثر تبكيراً من كل يوم ؟

قال : ومن أجل هذا سأقطع معك الوقت في الإدلاء بهذا الاعتراف ...

فإني عندما ولدت سماني أبي « عمر » — ونشأت يناديني الناس بقولهم : « يا عمر » — ولست أظن أن لي اعتراضاً على هذا الاسم في ذاته ، فإنه وإن كان على وزن « زحل » إلا أنه أرق منه معنى ، إذ هو كما تعلمناه في دروس اللغة العربية معدول عن عامر بمعنى أنهم كانوا يسمون الرجل « عامراً » ثم تأتي أمه فتريد تدليله فتقول له ... « يا عمر » ... كتدليلك المرأة الكيسة بقولك لها ... « يا لكع » !

وأول لقب شاءت المقادير أن تلحقه باسمي هذا هو لقب « يا ولد » . فقد كان أبي رحمه الله إذا هم بالخروج من المنزل صاح بي قائلا : « يا ولد يا عمر ! » فألبي نداءه من فوري فيقول مثلا : « ناولني حذائي ! » — فأقوم متلكئاً وآتيه به بعد أن يكون قد نفد صبره من طول الانتظار . ولو قد ناداني بقوله لي : « يا عمر » لكنت آتيه به قبل أن يرتد إليه طرفه . فإن أحداً ولا شك لا يحب أن يقال له « يا ولد » حتى ولو كان صغيراً في سن ... الأولاد !

ومرت السنون ، وكبر بمرورها سني ، فأصبحت شاباً يافعاً . وأصبح خدم منزلي وصغار أهلي وأصحابي ينادونني بقولهم ... « يا سي عمر » . وشعرت لأول مرة بحلاوة اللقب الجديد ، وأحسست أنه يضفي على صاحبه رونقاً ليس فيه . وآمنت منذ ذلك الحين بأن المرء بمظهريه : لقبه ولباسه ! فإن كان حسن الهندام ، وله من ألقاب السيادة ما يناديه به من يعرفونه ، فقد أصبح السيد الوجيه حتى عند من لا يعرفونه — والدنيا — ولا شك تسير دائماً في ركاب أبنائها الناجحين . وأول مقومات النجاح فيها هو الظهور بمظهر السادة والقادة ، والترفع عن مظاهر العامة والأتباع !

ولكني فوجئت يوماً بما نغص عليّ فرحتي ، وحرمني متعة ذلك اللقب الذي كنت بدأت أتذوق في ظلاله طعوم الحياة الشهية . فقد رأيت امرأتين في حينا تقتتلان ، وتدخل بينهما الناس ففرقوهما ، ولكنهما لم تنصرفا وبقيت كل واحدة منهما تجاه الأخرى تبادلها السباب والشتائم ، والناس يحولون دون اشتباكهما من جديد . ولست أدري لم وقفت في ذلك اليوم أشهد تشاحنهما ، ولكني لن أنسى ما حييت أن هذه اللحظة العابرة التي وقفت فيها أتفرج بمنظرهما تركت في نفسي أثراً باقياً على الدهر ، فقد سمعت إحداهما تنادي الأخرى في مقام السخرية منها والاستهزاء بها بقولها ... « نعم يا سي عمر ! » فرأيت صاحبتها تثور بها ، وتتنمر لها ، وتهيج عليها ، كأنما سبتها في عرضها . ولم أفهم كيف يمكن أن تكون « سي عمر » من ألفاظ

السباب بين الناس . ولكنى أدركت بالتجربة الملموسة المحسوسة أن اسمى ولقبى اللذين كنت أشمخ بهما وأستوحيهما معانى السيادة والكرامة هما فى الواقع شىء بذىء مقذع لا تقبله حتى أسافل النساء فى حينا العتيد ...

وعدت إلى منزلى مكتئباً حزيناً ، فإنى أحسست أن مصيبتى فى اسمى لم تكن مصيبة ساعة ولا بلية يوم ، ولكنها مصيبة عمر كامل ستلازمنى بليتها حتى آخر الدهر .

وجعلت منذ ذلك اليوم كلما نادانى إنسان بقوله . . . ياسى عمر ! أدركتنى حالة نفسية انعكاسية جفلت لها وتوثبت كمن يريد أن يدفع عن نفسه اعتداء صارخاً . ولكنى كنت لا ألبث إلا أن أثوب إلى نفسى حين أرى من ينادينى ، وقد وقف مبهوتا أمامى ، وهو لا يدرى ما الذى أثارنى من سماع اسمى مقترنا بهذا اللقب الذى طالما كنت أتهلل فى أول أمرى لسماعه . ولم أكن بطبيعة الحال أصارح أحداً بسر تحولى هذا ، فإنى فضلت أن أحتفظ بسرى فى بطنى حتى لا أكون قد عملت بنفسى على زيادة الأمور تعقيداً وحرجا !

* * *

وكبرت أيضاً . . . وتدرجت إلى مرحلة أخرى من مراحل حياتى ودخلت الجامعة طالباً فى كلية الهندسة . وسرنى أن أرى الاحترام المتبادل يسود ذلك الوسط حيث كان الفراشون والسعاة ينادون الطلبة بقولهم « يا فلان أفندى » — وفرحت بأنى تخلصت من لقبى القديم الذى أفنيت فى تحمل إساءاته نحو أربعة أعوام من زهرة شبابى . وتخلصت نهائياً من « سى عمر » وأصبحت بفضل الله وحسن توفيقه ... « عمر أفندى » !

ولكنى ما لبثت أن تبينت أن اسمى هذا له خاصة عجيبة تجعله يتنافر مع كل لقب يضاف إليه . فإنى ما كدت أفرغ من لقبى السابق وأنعم بلقبى الجديد ، وأمنى النفس بمستقبل زاهر فى ظل هذا اللقب القيم ، حتى فوجئت بزميل ثقيل من زملائى يقبل علىّ ذات يوم وأنا وسط إخوانى ويمازحنى بقوله « مرحباً يا أورزدى باك » ! فضحك الحاضرون جميعاً ، وساءنى فى ذلك اليوم أنى لم تكن لى جريرة يصح أن أؤخذ بها ، ولم يصدر عنى عمل إيجابى يجوز أن أشق بتحمل تبعاته السيئة . وامتلأت نفسى مرارة نحو هذا المجتمع الذى بدأت أشعر بثقل وطأته علىّ وبظلم تصرفاته مع بعض أفراده ! ... إذ ما ذنب شاب مهذب يريد أن يعيش محترماً ، ولكنه يلقى كل هذه المتاعب لا لشىء إلا لأن والده أراد — لأمر ما أن يسميه « عمر » ؟

واضطررت إلى مقاطعة زميلى الذى سمانى « أورزدى باك » واعتقدت أننى سألقى عليه بمقاطعتى إياه درساً قاسياً لن ينساه . ولكنى لم أكن أعلم أن فى فطرة هؤلاء الشباب خاصة غريبة تجعلهم يتشبثون بكل ما من شأنه أن يضايق غيرهم . فقد رأيتهم جميعاً يتناسون اسمى الذى خلقه الله لى ولا ينادوننى إلا بذلك الاسم الجديد الذى كرهته وكرهت من ابتدعه . ولاحظت أنهم لم يبالوا غضبى ، بل لقد لاحظت أن غضبى هذا هو الذى كان يسرهم أكثر من أى شىء آخر . فبدأت آسف على تسرعى معهم . وخرجت من محنتى هذه بتجربة جديدة كانت تنقصنى ، وهى أن الرجل العاقل فى هذه الدنيا هو من يصطنع الروح الرياضى فى بعض شئونه فيتجاوز طائعاً عن بعض ما يسوؤه ، حتى لا يضطره تزمته وعناده آخر الأمر إلى مواجهة متاعب لاقبل له بها ولاقدرة له عليها . .

* * *

وظل اسمى « أورزدى باك » طوال إقامتى فى الجامعة وكان من الممكن أن أتفادى هذا البلاء لولا غضبتى الأولى المتسرعة فى ذلك اليوم المشئوم .

ومرت سنو الجامعة الأربعة بعجرها وبجرها ، وأنا أحمل هذا الاسم فوق ظهرى كما يحمل الأحدب سنامه الذى لا حيلة له فيه . وتخرجت مهندساً فتنفست الصعداء وقلت : صفحة جديدة سأفتحها فى حياتى بإذن الله محصناً بكل تجاربى السابقة ، ولن أسمح بعد اليوم بأن أتورط فى خطأ جديد .!

وعينت فى وزارة الأشغال . وطابت لى الحياة فيها ورضيت بمرتبى الذى يعطى للمهندسين أمثالى فى دواوين الحكومة . وظننت أننى بلغت من السعادة مداها . فقد كانت آمالى فى ذلك العهد محدودة ولم أكن أطمح إلى أكثر من أن أكون موظفاً أميرياً محترماً ينتمى إلى طائفة محترمة من الموظفين . وقد يسر الله لى بلوغ هذين الهدفين فعشت راضياً عن عملى قانعاً بمرتبى إلى أن لقيت زميلى القديم ذات يوم — ذلك المشاكس النكد الذى سمانى « أورزدى باك » — وكان قد التحق معى بخدمة الحكومة بعد تخرجه ، ولكنه

لم يلبث أن استقال واشتغل بالمقاولات الحرة — وخيل إليّ أن الفرصة قد سنحت لي لأنتقم لنفسي منه ولأتعالى عليه، إذ صور لي وهمي أن مكتب الحكومة أعلى من المكتب الحر. ولكني ما كدت أتحدث إليه قليلا حتى تبينت يسار حاله، وخطف بصري خاتمه الماسي الكبير الذي كان يضعه في خنصره. وأخجلت ساعتي الأثرية (ماركة الترامواي) تلك الساعة الذهبية المتلألئة التي كان يحلي بسوارها معصمه.

وسألني عن عملي بالوزارة فزعمت له أني أوشكت أن أرقى إلى الدرجة الخامسة. وأنا أعلم أن هذا أمل قد لا يتحقق قبل بضع سنوات، ولكني أردت أن أفخر وأبتر عوامل الغيرة في نفسه. فرأيته لا يبالي بهذا النبأ العظيم ولا يحفل به، وراعني أنه راح يبدي أسفه عليّ وإشفاقه لحالي وكيف أني لا أزال أعيش في عالم من الخيال الأجوف لأفني زهرة عمري في انتظار درجة تحمل لي معها بضع جنيهات كل شهر. فاضطررت أن أسأله عن أمره وعن كسبه، فأخبرني أنه أثناء عمله في الوزارة راعه ما يكسبه المقاولون الذين يباشرون أعمالها، فعول على أن يكون « مقاولاً » لأعمالها لا موظفاً بها. وحدثني حديثاً طويلا عن أساليبه التي يدخل بها في عمليات الوزارة وأساليبه التي يخرج بها منها — وبدأت أتفتح عينيّ على حقائق لم تكن تخطر ببالي إذ عرفت كيف كان يستغل معرفته السابقة ببعض الموظفين فيحصل عن طريقهم على أهم « المقاولات » كما كان يستغل بعض تلك الأموال الطائلة التي كان يربحها من عملياته في تسليم تلك العمليات على الوجه الذي يريده هو، لا على الوجه الذي قدرته مواصفات الوزارة وعقودها وأوراقها — وأنه أصبح في مدى العامين الأخيرين اللذين ابتعد فيهما عن مقعده الحكومي يملك عشرات الألوف من الجنيهات..

وتركني صاحبي في تلك الليلة التي قابلته فيها، قلقاً مسهداً لم أذق للنوم طعما وأنا أفكر وأقلب في رأسي كل ما سمعته منه عن فرص العمل الحر، وكيف أنها هي الباب الوحيد الذي ينبغي أن يلجه كل طامح. ولم أطق البقاء في فراشي حتى يصبح الصباح، فقمت أرتدي ثيابي والظلام لا يزال مخيما حولي، وأعددت استقالتي ورتبت أموري على أن أسلك طريق زميلي، فقد انقدحت في نفسي فجأة شرارة الطموح وأيقنت أنني سأعيش طول عمري « أوردزدي باك » في نظر زملائي ما لم أساير ركب الناجحين منهم أو أتفوق عليهم!.

وخرجت في الصباح الباكر إلى مكتبي في الوزارة فجمعت أوراقي الخاصة. ولبثت أنتظر حتى جاء رئيسي فقدمت له استقالتي، ولم أصارحه بدخيلة نفسي مستعيناً بالكتمان على بلوغ مآربي وتحقيق آمالي.

وهيأت نفسي بعد ذلك للعمل الحر. ولقيت في أول أمري عنتاً أي عنت. ولكني صابرت وثابرت حتى استقامت أموري. ثم أقبلت عليّ الدنيا بعد أن تعلمت كيف أستقبلها وعا مالي، واتسعت أعمالي، ولم يبق لي مطمع إلا أن أحصل على لقب من ألقاب الشرف التي لا يشرف الناس إلا بها في نظر العامة من أهل هذا البلد..

وتحسست طريقي إلى مورد هذه الألقاب. وعرفت مآتيها. فبذلت المال في مصارفها تلك عن سخاء. ولكني صددت حيناً وموطلت أحياناً. وكنت عرفت من تجاربي الماضية أثر المطاولة وإدمان القرع في بلوغ أمثال هذه الغايات. فأدمنته... وولجت....

وقطعت بذلك ما بيني وبين ماضيّ السحيق من أول « سي عمر » لغاية « أوردزدي باك » وأصبحت بحمد الله: عمر... « بك »!

ووقفت برهة ألهث لأستريح بعد أن قضيت كل تلك الأعوام الطوال في جمع المال والحصول على الرتبة...

وما كان أشد استيائي حين جاءني منذ شهرين كتاب من مصلحة التلفونات يطالبني بأجور تلفوناتي إذ قرأت في رأسه « حضرة عمر أفندي ... »

ورأيت أني خليق بأن أسمع الناس يخاطبونني بقولهم « يا عمر بك » بعد أن أفنيت عمري ومالي في بلوغ هذه المكانة.

فجلست محنقاً وكتبت خطاباً شديداً ألمت فيه نظر المختصين إلى الكيفية التي يجب عليهم أن يخاطبوا بها أمثالي، وطلبت إليهم أن يثبتوني في سجلاتهم « عمر بك » وأن لا يعودوا إلى نسيان ذلك أبداً إذا بدا لهم أن يخاطبوني، وأرسلت خطابي بالبريد المسجل حتى لا يبقى هناك محل لأي خلاف على هذا الشأن في المستقبل....

* * *

وهكذا انتهى صديقي من قصته، وكنت في ذلك الصباح قد قرأت في الصحف التي حرصت على أن أخفيها عنه موقتاً أن مجلس الوزراء قد قرر إلغاء الرتب المدنية كلها، ورأيت

الثورة الرابعـــــة

هذه الثورة المباركة حلقة مجيدة من سلسلة الثورات القومية التى شهدها هذا القرن .

كانت أول ثورة ضد سلطان تركيا وممثله ، عند ما أراد الشعب المصرى أن يختار لنفسه الحاكم الذى يرضاه ، وكان ممثل السلطان أحمد خورشيد ، وزعيم الشعب السيد عمر مكرم . وقد حاصر الشعب القلعة بقيادة السيد عمر حتى نزل الباشا على حكمه .

وكانت الثورة الثانية هى ثورة أحمد عرابى المعروفة .

وأما الثورة الثالثة فكانت ثورة سنة ١٩١٩ ، التى حطمت الحماية البريطانية الباطلة ، وكان زعيمها سعد زغلول .

وأما هذه الثورة الجديدة المباركة ، فهى التى تحطم الطغيان ، وتطهر الحياة ، وزعيمها اللواء محمد نجيب .

أن فرصتى قد تهيأت للهجوم . فقلت وأنا أصطنع السذاجة :

— أغلب ظنى يا صديقى أنه سيطول انتظارك قبل أن تتلقى الرد على خطابك الأخير !

فاعتدل فى جلسته وقال جاداً :

— ماذا تعنى ؟ .

فناولته الصحيفة فى هدوء وأنا أشير بإصبعى إلى الخبر المقصود .

...اه لما وأكب يقرأها فى اهتمام ظاهر ثم صاح هائجا :

تحيل ! .

لكنه أصبح أمراً واقعاً كما ترى !

قال ساخطاً : إنك تبتسم فى برود لأنك لم تتعب فى الحصول على رتبتك . . لأنك « بك » بدون مقابل !

قلت : وهل تحسب أن أموالك التى جمعتها بالطريقة التى وصفتها تصلح إلا الضياع فى مثل هذه الصفقة الخاسرة التى عقدتها . . . . ياسى عمر ! ؟ فقام من مقعده محتداً وهو يقول :

— كلا ! لا يمكن أن أستسلم لمثل هذا المصير . وما داموا قد سمحوا لبعض الناس بلقب « الرئيس السابق » مثلا ، فلا أقل من أن يسمحوا لى بأن أبقى ولو باسم « عمر بك . . . سابقاً ! » .

حسين مهول

حاجتنا إلى قادة

الآنسة الزهرة

إن صفات القيادة من أعزّ ما ينشده عصرنا الحاضر ، وقد لمسنا ذلك بوضوح حين اشتجرت الأسنة فجأة ، فتطلع المسؤولون إلى الشباب الذين يستطيعون قيادة القوات المسلحة التي تدفع عن الأرواح ، ويلات التقاتل والصدام . وأذكر أني قرأت في بداية الحرب العالمية الثانية ، أنباء الاجتماعات التي عقدت في جميع أنحاء الولايات الأمريكية المتحدة ، لاستفتاء الشباب على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية والعلمية ورتبهم العسكرية . ولأول مرة في تاريخ تلك الولايات ، استحدثت المدارس التي تخرج الضباط ، وتهيء لجندي بسيط — من كل مائة نفر فرصة التقدم والارتقاء في رتب الجيش — وكان يشترط للالتحاق بهذه المدرسة ألا يقلّ سن الطالب عن ثمان وعشرين سنة ، وأن يكون قد حصل على تقرير سار عن خدمته مدة ستة شهور . وكان عليه كذلك أن يمثل أمام مجلس إداريّ للضباط ، ليعاينوا مظهره الجسماني ومخبره المزاجي النفساني ، وليمتحنوه في بعض المسائل . وكان هذا التقرير الذي يستعرض لهم ماضيه يترافع عنه أمامهم ، ويذكيه لديهم بما لا تستطيعه فصاحة عبارته . وكفى به أنه قد كان الشاهد الوحيد على نفاده لما ينتدب له من الأعباء والمسؤليات . وكان ذلك الامتحان يتألف من تسعة وثلاثين مقياساً للمؤهلات البارزة للضابط . وضعت في لوحة استدلالية تجريبية ، ووضعت أمام الضابط الرئيس الذي يتولى تمحيص الطالب ، وكان كل مقياس منها يردف بكلمة (نعم) ، أو (لا) أو بعلامة استفهام . وكان الضابط الممتحن ، يحيط واحدة من هذه الثلاث بدائرة ، وكانت نتائج هذا الاختبار تقدم صورة كلامية للشاب الطامح وتمنحه مقاييس التقدير التي تدل على مدى استحقاقاته . ولم تكن المهام التي يزمع أن يقوم بها هي التي تؤلف مجموعة الدرجات في نتائج ذلك الاختبار ، بل كانت المهام التي أنجزها في الماضي . وقد نُصّت تلك المقاييس على الوجه التالي : —

١ — أنه حائز على طاقة مشهورة من الشهامة والتجرد وعزة النفس والنخوة .

٢ — أنه يتقبل الآراء والاقتراحات الحسنة من الآخرين في هشاشة وتدبر .

٣ — أن طاقته البدنية عظيمة وجلده على المتاعب والمكاره ممتاز .

٤ — أنه ذو قدرة فائقة على ضبط نفسه ، وحكمها في هوج الزعازع .

٥ — أنه يستشير ذوي الرأي عند اقتضاء الحال ويلتمس منهم النصيحة الصادقة وينتفع بها .

٦ — أنه يقرن كلامه وعمله بالجد والكمال فلا يتكلم أو يعمل إلا بعد تحقيق وتثبيت لأنه يعلم أن ما بني من الأمور على غير أركان وثيقة ، ولا عماد محكم ، لا بد أن يتداعى ويتصدع في غالب الأحيان .

٧ — أنه ينشط لتحمّل تبعات أعماله وتصرفاته .

٨ — أنه يستطيع أن يرسم الخطط العظيمة وينفذها بنفسه وتحت مسؤوليته الشخصية .

٩ — أنه يكيّف نفسه في سرعة وسهولة لجميع التغيرات والطوارئ التي تهاجم خطة سيره .

١٠ — أنه يتوخى الركانة والرفق والتؤدة والأناة في القيام بواجباته ولا يرسل لسانه على غير روية ولا تصرفاته على غير تقدير .

١١ — أنه يملك ثقة رفاقه ويستحوذ على احترامهم فيكونون له إخواناً وأعواناً ، وبطانة وثقات .

١٢ — أنه طيب النفس ، يأخذ الأمور بالمياسرة والسلاسة والترخص مع الاحتفاظ بوقاره وسمو مكانته .

١٣ — يقدم تعليمات صريحة ، وبيانات دقيقة مركزة مشافهة ، ولا يفتل منها في الذروة والغارب .

١٤ — أن محضره يحدث انطباعات رائعة ملحوظة لأنه يذكر دائماً أن كرامته لا تطيق العامة ولا الإسفاف .

ولذا فهو يحرص دائماً على أن يتسور بهمتها شرفات العز ويمدّ لها فى وجوه المجد غرراً .

١٥ — أنه يحتفظ فى جوهره بتلك العناصر الفريدة التى تغذى الأبطال وتستثير حمية الجبابرة وتلهب فى الجماهير شبابها وقوتها ورغبتها فى استرداد حريتها الشرّدة المسلوبة ، وشرفها المطارد المصدوع .

١٦ — أنه يبدى ولاء وثيقاً ووفاء راسخاً لرؤسائه ، وإخاء وديعاً لمرؤوسيه ، ويجعل لحسن الظن بهم من نفسه نصيباً كبيراً ، يغذى به قلبه ويصدر من مطالعة أعماله وخوالجه .

١٧ — أنه يتحرى القبول والإذعان حيث ينبغى القبول والإذعان .

١٨ — أنه يدرك فى الحال خواص كل موقف ورقبه بعين لا تخطئ ويتفقد مداخله ومخارجه .

١٩ — أن آراءه منطقية معقولة تعتمد على التحليل المستمر والتعليل المتوالى لكل ظاهرة ولكل ضرورة ، ويسند النتائج إلى مقدمات عملية دقيقة .

٢٠ — أنه يبدى اهتماماً شخصياً لمقتضيات عمله ويتفانى فيه ويصرف عنايته وجهده فى إتقانه .

٢١ — أنه شخص يمكن الاعتماد عليه دائماً فى منح معونته الكاملة وغوثه الخالص ويكون فى نجدته ليث حرب وغيث جدب بغضّ النظر عن وجهة نظره الشخصية .

٢٢ — أنه الشخص الذى يظل رابط الجأش ، صلب المعجم لا تنال من صبره النوائب ، فلا يلين جنبه لحادث ولا يتضعضع لتوعد أو وعيد مهما يعظم .

٢٣ — أنه يتوخى الاستيفاء فى الإحاطة بأحوال الموقف وحقائقه الواقعة ، ويجعل لسانه صورة لقلبه ، فيقول الحق ولو على نفسه . وهل يكذب الرائد أهله ؟ .

٢٤ — أنه يستطيع أن يصدر قراراً قيا حاسماً ناجزاً سريعاً عند الضرورة .

٢٥ — أنه يتوقع المشاكل وينتظر المعضلات والمقاومات فلا يوجس منها خيفة ولا يستشعر خشية ، بل يجعل معالجتها من أقدس تبعاته ويرتاد لها نواحى الظفر فيركب فيها كل صعب وذلول ، ويرافعها ويخافضها ويتطاوع لتذليلها وحلها .

٢٦ — أنه يبسط أفكاره فى نضوج واستجماع و وحصافة .

٢٧ — أنه يتقبل رفض مطالبه ومناقشتها فى ولا يغضب لأن القدرة من وراء حاجته .

٢٨ — أنه يعرف حدود سلطته واختصاصاتها يطغى ولا يشتط .

٢٩ — أنه يبعث الآخرين على الثقة بصدق أ ويريض القلوب على الركون إلى صحة آرائه .

٣٠ — أنه يدرس كل حالة دراسة وافية وينظر من جميع زواياها قبل أن يتصرف فيها .

٣١ — أنه يصدعَ بالأوامر الرشيدة فى غاية مما أو مراوغة .

٣٢ — أن له القدم الثابتة والقدح المعلّى فى الدأب الكدح والعمل فلا يستوطئ راحة أو يضيع فرصة .

٣٣ — أنه يحرص على إنجاز العمل الذى يبدؤه فيه على أكمل وجه ممكن .

٣٤ — أن همته فى تطبيق القول على العمل أمضى م القضاء المبرم وأنفذ من القدر المتاح وألمع من البرق فى الغمام

٣٥ — أنه يطوى فؤاده على عزيمة ماضية فيما يفوم إليه رغم الأحوال والتقلبات التى تسطو على تر... وتصميمه .

٣٦ — أن له مقدرة نادرة على توجيه الآخر والطموح بنفوسهم إلى خطيرات المساعى وحفزهم إلى ... المدارك .

٣٧ — أنه يلتزم النظام التام والامتثال النبيل للصا للواجب وسط الرجال الذين يتزعمهم .

٣٨ — أنه يدفع الآخرين إلى التعاون معه فى العمل جاهدين مخلصين راضين ، ويحبب إلى كل منهم التضافر والتكافل مع غيره من الزملاء .

٣٩ — أنه يتكارم فى عاداته السلوكية عن كل شائبة ويحيا حياة بسيطة ، نقية الصحيفة طاهرة من الأوز والمآثم ، علنيّة عن الفضائح والجرائم .

هذا ويلوح لى أنه ينبغى أن يضاف مقياس واحد إلى هذه المجموعة حتى تستتم به الأربعين عداً فأقول :

إن هذا القائد المرتقب يخاف الله ويطيع وصاياه .

وأنتم أيها الشباب ترون ماذا يكون ترتيبكم لمصرنا العزيزة فى هذا الامتحان الذى يحتوى على مقاييس صفات المزاج والشخصية فى جميع النواحى المعنوية والمادية التى يتعزز بها القائد الفذ ، وأنتم وإن كنتم تنتوون الالتحاق بمدرسة الضباط إلا أنكم مع ذلك تجدون فى تلك المقاييس قوام النجاح والفلاح فى أى مسالك من مسالك الحياة ، فاقرأوها وتدبروها واستخدموا لذواتكم مقاييس التقدير لأجوبتكم عليها وامضوا نواياكم على تقوية مواطن الضعف والنقص التى تتبينونها فى قرارة نفوسكم . ولئن كان الجيش فى حاجة إلى القادة فإن العالم المهنى فى جميع نواحى نشاطه ، أحوج ما يكون إلى الذين يتسمون بطابع قوى من سجايا القيادة وملكاتها وخصائصها .

القيادة !! ما أعظمها صفقة ! إن حرفاً واحداً من حروفها يساوى جميع ذهب الدنيا وفضتها .. إن العالم طافح بالأتباع ، ولذا فهو يجد فى البحث عن القادة . إنه يجد فى البحث عن الرجال الذين يستطيعون أن يصمدوا لعين كل رقيب أو لمراجعة كل حسيب من رؤسائهم ورفاقهم ، ولا يخشون التعرض للام أو تثريب لأنهم لايتسترون على منقصة أو اختلاس أو خيانة — رجال لا يضوعون بالقوة البدنية واستحكام الخلقة . بل يتمثل النبل فى منطقهم وأفعالهم ، ويفوح من خلائقهم عرف الأمانة والتعفف والشجاعة وحرية الرأى والقناعة والزهد فى المظاهر البراقة ، ويجتمع منهم من خلال القدرة المعنوية ما يجعلهم ذوى صدق فى اللقاء واستبسال فى خوض الغمرات وحكمة فى معالجة المعضلات وانتصار لما يعتقدون أنه الحق والإنصاف ، ولو لاقوا فى سبيله أشد الحتوف . رجال لا ينكلون عن السلوك فى مناهج الرشد والصلاح ، ولا يضيعون التحرر فى الجهاد والثبت والرصانة والهدوء حينما يقولون وحينما يفعلون ، إذ ليس لقول مثلهم أو لفعلهم دافع ، بل ليس على أمثالهم مستحث . . إن العالم يجد فى البحث عن رجال ذوى رأى محصّن يصيبون بسهامه أكباد الأمور — رجال قابلين للاندماج والتوافق والممالأة على الخير — رجال يتوقدون ذكاء وحماسة ويسيل الظرف من أعطافهم حتى ليوشكوا أن يمازجوا الأرواح لرقتهم ، ولكنهم مع ذلك لايفرطون فى الهشاشة والبشاشة ، لإن إحداها من الكبر والأخرى من السخف . رجال يتعمقون فى نفوسهم ويخلصون لها وللآخرين ولخالقهم ذى القدرة والجلال . رجال لايترددون عن التحزم والتشمر لكل مسعى شريف . رجال يصونون تصرفاتهم ولا يتكالبون على المكاسب الدنيئة بأى سبيل ، ويجمحون فى فنون الانتهازية إلى أبعد حدود التفلت من السنن الإلهية والقوانين المدنية ، ويشرهون إلى الربح الوفير الذى تستدره لهم المطالب الخسيسة بالدعايات لأنواع المكيفات والمخدرات وتشجيع المحظورات واستباحة المحرمات التى تفتك بثروة الأجسام والعقول . رجال لا يقنعون بالإمعان فى التنقيب عن الحقائق وتطلب دخلتها فقط ، بل يعرفون كيف يستجلونها ويعظمونها عملياً . رجال يروضون ذواتهم على النظام ويدربونها على الطاعة والامتثال فى صرامة وحزم يفوقان ما يتوخونه منهم مع الآخرين . رجال يحملون من حياتهم الشخصية كتاباً مفتوحاً تفيض سطوره بالصراحة الصادقة والود المحصن والتفكير السليم . فلامداجاة ولا رياء ولا خداع ولا محاباة ولا مراوغة ولا نفاق . القيادة سيكون صيدها لك لو رميته بسهمك ، فهو على طرف ذراعك . فهيا ارسم خريطة حياتك فى استيفاء وأبرز خطوطها وأهدافها فى بعد نظر وسكون وتحفز ، ولا تنتظر إلى الغد لأنك إن فعلت استولت عليك شنشنة التخاذل القديمة ، وتحكمت فى همتك تحكم الأخطبوط ، وخنقت مطامحك النبيلة ومطالبك الشريفة . واعلم أن السعى المستمر أهم ما يتحتم عليك فى إنجاز عملك الآن . احبب عملك واغتبط به واعلم أن الكاره له عامل فى سخرة ، ومن فرط فى سخره أو أفرط جعل للهلاك على نفسه سبيلاً . . ولن يتعاظمك أمر ، ولن تقف دون غاية ، ولن تتراجع عن خطة أو تثبطك عقلة مادمت تسير على الجادة وتؤمن بأنك على صواب من أمرك . ولا تنس أن قيادة الحزم ، هى القيادة التى تصرف الزمان أمراً وتدبر الشعوب تنفيذاً ورأياً . وقد لا تسلم من الطعن والسخط ، فلا تألم لذلك . وهيهات أن يهضم الجانب طعن الذليل مع حزم القوى الرفيع . فسر على الصراط المستقيم ، والتمس من أصداء ذلك الطعن ، نغمات النشيد

من مواعظ التاريخ

حركة « تطهير » من المغرب

فى أواخر القرن السادس الهجرى

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

تقوم فى مصر اليوم حركة مباركة ، ستؤتى أكلها بإذن ربها ، وهى تدعو فى حزم وصرامة وإمعان إلى التطهير . . . التطهير الكامل الشامل الذى لايتناول جيش مصر وحده ، ولكنه سيتناول كل مرفق من مرافق الحياة فيها .

وليست كلمة « التطهير » فى الأداة الحكومية وفى مرافق الأمة بنت اليوم أو من مستحدثات زماننا هذا . . . فمنذ أكثر من سبعمائة عام عم الفساد مصر بحالة تشبه كثيراً ما كنا نحن فيه قبل قيام حركة الجيش المباركة بقيادة محمد نجيب ورجاله المطهرين ، وتغلغل الفساد والدنس فى مصر الأيوبية إلى حد لم يزعج الشعب المصرى وحده ولم يثر ضميره فحسب . . . ولكنه أزعج ملوك المسلمين المجاورين لمصر من ناحية المغرب وأقض مضاجعهم ، فوطدوا العزم على تخليص مصر مما تعانيه من فساد أمورها وانتشار الرجس فيها .

فهذا الملك يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ملك الموحدين بالمغرب فى أخريات القرن السادس الهجرى ، بلغه عن مصر فى عهد الملك العزيز عثمان الأيوبى من شيوع الفساد واستفحال المنكر وانتشار الفاحشة ما جعله يعقد العزم على « تطهير » مصر مما اجتاحها من البلاء . وليست كلمة « التطهير » هذه مما صغناه نحن فى هذه المناسبة لتوائم حركة التطهير القائمة بمصر الآن . . . ولكن ملك المغرب المصلح المجاهد الغيور على سمعة الإسلام ممثلة فى مصر الأيوبية

العسكرى الذى يبصرك بمواقع قدميك ويسير بك إلى النصر المؤزر .

والآن خبرنى بحقك : هل تريد أن تكون قائداً ؟ هل عندك قوة الإرادة التى توزعك بأن تكون قائداً رشيداً ؟ هل تود أن تغنى غناء القائد المنشود وتعلو برسالته ؟ هل لديك من مخافة الله ونقاء السريرة ورصانة الوطأة ورجاحة التؤدة والحلم ، مايؤهلك لأن تكون قائداً لايزدهفه عن صبره رائع ولا يصرفه عن غايته هجوم ولا يطير صوابه نصر أو يشمله بفوزه الغرور ؟ ألك بصر القائد وصدق رؤيته ؟ ألك سعة أفقه التى تجمع بين الصلابة فى الحق ومرونة الحكم المؤمن النظيف الباسل ؟ أتريد حقاً أن تكون قائداً يعرف أخدانك أبوابك التى لاينال ما عندك من الخير والصلاح إلا بها كما يعرف اللأمن أخلاقك أنك إذا رضيت لم تقل غير الصدق ، وإذا سخطت لم تجاوز جانب الحق ، ولذا فأنت لاتعاجل بالثواب أو العقاب ؟ هل تستطيع أن تخطو الخطوة التى تجد فيها الهمم توسيداً طيباً يهيىء القوى كلها لمواصلة الجهاد فى الحلكات والدياجير .

وفتيان سروا والليل داج   وضوء الصبح منهم فى الطلوع
كأن بنواتهم أمراء جيش   على أكتافهم صدأ الدروع

يا شباب مصر . . . حمداً لله الذى أكرمنا فى أيام هذه اليقظة المجيدة ، بل الوثبة الرشيدة بذلك القائد المثالى النجيد الفاضل اللواء محمد نجيب . وليعلم كل منا أنه يستطيع أن يجرى على أسلوبه ويقتفى مناقبه ويضارع كفاحه ويتمثل به فى سبيل الله وفى سبيل التسلح الأخلاقى المنيع من أجل مصر وطننا المفدى الذى ثبت الله قدمه فى المحل المنيف ومكنه من جمع التشريف ، وأنبت فى أرضه الطيبة منذ فجر الحضارة دوحة الحرية والفتوة وحرس لديه مزايا الشرف والمروءة ، وأبى اليوم إلا أن يجرى الحياة فى عوده بعد ذبول ، ويرقيه إلى ذروة المجد التى لا تزول بمنه وكرمه .

الزهرة

استعمل « التطهير » فيما عقد العزم عليه من إصلاح ما فسد من أمور مصر على عهد العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي .

فقد روى المؤرخ الأديب الفطن عبدالواحد المراكشي ، وهو يؤرخ للملك يعقوب بن يوسف ملك الموحدين بالمغرب ، قوله : (فبلغني[1] عن غير واحد أنه صرح للموحدين بالرحلة إلى الشرق ، وجعل يذكر البلاد المصرية وما فيها من المناكر والبدع . ويقول : نحن — إن شاء الله — مطهروها . ولم يزل هـذا عزمه إلى أن مات — رحمه الله — في صدر سنة ٥٩٥ هـ) .

ملك مغربي يعتزم « تطهير » مصر مما فشا فيها من المناكر والبدع ، ولم يزل ذلك العزم يعاوده ويراوده إلى أن مات ولم تحقق الأيام ما اعتزمه ! فماذا كانت حالة مصر في ذلك الزمن ، وما هي المناكر والبدع التي أثارت ملكا مسلماً مستقيماً له في الأندلس مواقف مشهورة فوق مواقفه الغر الميمونة في بلاد المغرب نفسها ؟ .

نرجع إلى مصر المعاصرة للملك يعقوب المنصور لنستطلع أحوالها ، ونستخبر أمورها ، ونرى أي ملك كان يجلس على عرشها ، وأي رجال كانوا يتحكمون فيها ويتولون أمرها ، فنرى أن الملك العزيز عثمان ثاني ملوك الأيوبيين وابن البطل المسلم الكبير « صلاح الدين » هو الذي كان على عرش مصر في ذلك الحين .

وعلى الرغم مما ذكره ابن خلكان ، وأبوالمظفر سبط ابن الجوزي ، وجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي[2] من أن الملك العزيز عثمان كان مباركا كثير الخير واسع الكرم ، فإن بداية عهده والطريقة التي تولى بها عرش مصر لم تكن مما تؤذن بخير البلاد وصلاح العباد . فقد بدأ الحكم بمنافسة أخيه الملك الأفضل والغيرة منه والكيد له والعمل على إخراجه من مصر حتى يقوم له فيها وحده الأمر . وما ظنك بملك يبدأ عهده بقول المقريزي صاحب « السلوك » (ودخلت سنة ٩٠ — أي ٥٩٠ — وقد تنافرت القلوب وقويت الوحشة بين الأخوين ، واجتمعت الأمراء الصلاحية على أن يكون الأمر كله للعزيز ، فاضطربت أحوال الأفضل)[1] .

ويلوح لنا أن انشغال الملك العزيز عثمان بمحاربة أخيه الملك الأفضل وبحماية ملكه من الطامعين فيه الأيوبيين قد صرفه عن الالتفات إلى أحوال الشعب والعمل على صالحه وإقامة حكم الله فيه . فقد أخذت البدع بعد صرامة عصر « صلاح الدين الأيوبي » وجدته تجد طريقاً ميسوراً إلى أهل مصر ، وأخذت الأخلاق تنحل أواصرها وتفقد قيمها ، وأخذت الرذائل يباهى بها ويغالى بارتكابها . . . حتى أنه في شهر رمضان بالذات — وهو شهر تختفي فيه شياطين الإثم وعفاريت الفساد — في هذا الشهر من سنة ٥٩٠ هـ احتفل بفتح قناة « أبي المنجا » وهي قناة تخرج من النيل قرب بلدة شبرا . وكانت العادة قد جرت بإقامة مهرجانات شعبية لفتح القناة كل عام . ولكن مهرجان هذا العام بالذات كان معرضاً للفسق والفجور بما لم يسمع بمثله قبل اليوم منذ أن حفرت القناة في سنة ٥٠٦ هـ . فالمقريزي المؤرخ يقول في هذا الحادث : (وفي شهر رمضان كسر بحر أبي المنجا بعد عيد الصليب بسبعة أيام ، وتجاهر الناس فيه بالمنكرات من غير نكر عليهم)[2] . ويقول في كتابه الآخر المسمى بالمواعظ والاعتبار : (غلبت المجاهرة بالمنكرات والإعلان بالفواحش ، ولم ينسلخ شهر رمضان إلا وقد شهد مالم يشهده رمضان قبله في الإسلام) .

وفي عهد العزيز عثمان ظهرت « السوق السوداء » بأبشع صورها . فحملت الغلة من إقليم البحيرة إلى بلاد

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب — للمراكشي . مطبعة الاستقامة ص ٢٨٤ .

(٢) النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ١٢٦ وما بعدها .

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك — للمقريزي جـ ١ ص ١١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٩ .

سرب سبع هناك باعلى الاعان ونتج عن ذلك ارتفاع الأسعار فى مصر حتى بلغ القمح كل أردب بدينار . .

وكان أمراء الأيوبيين فى شغل شاغل بجمع المال والثراء والاحتفاظ بثرواتهم وتنميتها فقصروا فى عمارة البلاد .

وعلى الرغم من الغلاء السائد فقد طغت موجة من التحلل والتفسخ الخلقى بالبلاد . حتى كانت معاصر الخمر لا تهدأ ليلا ولا نهاراً من مواصلة عصر العنب حتى يجد شراب الراح حاجتهم دائماً من الشراب . فأدى ذلك إلى غلاء سعر العنب لأنه كان يقدم للعصر قبل الأكل . . وبلغ تحلل الناس من كل قيد دينى أن القبائح كانت ترتكب جهاراً ، فلا تجد من ينهى عنها ، أو يحذر منها إلا قلة ممن يقاومون المناكر بأضعف الإيمان . . ويقول المقريزى فى ذلك : (وتجاهر الكافة بكل قبيح ، فترقب أهل المعرفة حلول البلاء) .

وكان الملك العزيز غافلا أو متغافلا عما يجرى بمصر من الفساد . . فكان يركب للصيد بالجيزة . . . كما كان يركب الملك السابق للصيد ، وتطالعنا الصحف بأنباء صيده السمين .

وكثيراً ما سمعنا عن « إرادة ملكية » بأن تزال الحزائر الأرضية من شارع الملكة ، فنفذت الإرادة ما بين عشية وضحاها ، ولم يراع فى ذلك مصلحة العابرين ولا المجتازين ، لأن الإرادة الغاشمة فوق كل اعتبار . وما أشبه هذا العمل الهدام بما فعله « العزيز عثمان » فى العصر الأيوبى . فقد مر يوماً بباب زويلة فاعترضت مصاطب الحوانيت موكبه العامر ! فأنكر بروزها ورسم بهدمها . . فهدمت بمباشرة محتسب القاهرة . .

ولم تشفع حسنات الملك العزيز عثمان له ، فقال التاريخ فيه ما له وما عليه . ولم ينفعه أن يكون ابن البطل صلاح الدين لأنه كان « ضعيف الرأى ، سهل الانقياد ، قليل التروى . . وكان له عشراء من ذوى الخفة »(1) .

وما الظن بملك تسول له بطانة السوء أن ينقض أهرام الجيزة . . . فقيل له : إن المؤونة تعظم فى هدمها ، والفائدة

(1) تاريخ مصر الحديث لجورجى زيدان ج ١ ص ٣٠٨ .

تقل من حجرها . . فانتقل رأيه من الهرمين إلى الهرم الصغير ، فشرع فى هدمه(1) .

وما الظن بملك كثرت حوادث القتل والاغتيال فى عهده ، (فلا تخلو ليلة من قتيل أو قتيلين ، ولم يؤخذ لأحد بثأر ، ولا وقع كشف عن مقتول منهم ، ولا تمكن والى القاهرة من منعهم)(2) .

وبلغ الفساد فى مصر فى عهد الملك العزيز عثمان الأيوبى حداً يئس معه المصلحون من الإصلاح ، وضاق الرجال الشرفاء الطيبون بإقامة الأوضاع ، فكفوا أيديهم عن مباشرة الأعمال الحكومية المعهودة إليهم ضناً بأنفسهم عن المشاركة فى أداة فاسدة ، وهؤلاء هم قلة من الرجال الأطهار من أمثال « القاضى الفاضل » الذى : (تنزه عن ملابسة الدولة ومخالطة أهلها ، واعتزل لما رأى من اختلال الأحوال)(3) .

وزاد الطين بلة أن الأرزاق قلت والأقوات شحت فى مصر فى عهد العزيز عثمان ، حتى نفد ما بقصره وما يرد عليه من الخبز واللحم . فجعل الملك نفسه — كما يروى بعض المؤرخين — (يغتصب الأرزاق ويضمها إلى اقتيات عائلته)(4) . ولكنه — على كل حال — خير — لو كان فى الشر خيار — ممن يغتصب الأرزاق والأوقاف الخيرية والأرض الطيبة ليضمها إلى ملكه الذى أدركه الزوال . .

* * *

لهذا لم يكن غريباً أن تثور حمية ملك الموحدين يعقوب المنصور فيعتزم « تطهير » مصر فى عهد العزيز عثمان ، لولا أن المنية حالت بينه وبين الأمنية .

فالحمد لله الذى جعل نية « التطهير » لمصر الحاضرة تأتى من داخل مصر نفسها ، وعلى يد جيشها الذى تعلق عليه آمالا كبارا .

محمد عبد الغنى حسن

(1) السلوك للمقريزى ج ١ ص ١٣٨ .
(2) المصدر السابق ج ١ ص ١٣٨ .
(3) المصدر السابق ص ١٢٧ .
(4) تاريخ مصر الحديث ص ٣٠٩ .

محمد الصادق سعود

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

أحق براعم شعراء الشباب بالتعريف ، وأولاها بالنظر والدراسة ، وأجدرها بالإعجاب والإكبار — هـذا النبع المتـدفق المترقرق الصافى ، الذى يفيض بالشاعرية الخصبة ، ويتغنى بالألحان العـذبة ، ويملأ الفضاء والسماء بالشدو والغناء — الأستاذ الشاعر محمد الصادق سعود .

فى بعض الشعراء المغمورين فى زوايا الريف عبقريات وقرائح وقادة يعز علينا أن تطويها يد النسيان ، والشاعر الصادق ألمع هذه العبقريات وأبدع هذه القرائح ؛ لأنه موضوع كامل للبحث والدرس ، ونموذج شامل لـكل ما نحبه ونرضاه من شعراء الشباب .

أول ما يلفت النظر فى شعر الصادق مقدرته البارعة على الوصف ، والوصف باب من أبواب الشعر القديم والحديث ، الإجادة فيه قليلة والقـدرة عليه نادرة . دع عنك أكثر ما قيل فى وصف الناقة والجمل والجواد والصحراء والسيف فى العصر الجاهلى ، وما قيل فى وصف الرياض والبساتين والقصور والـكئوس والنقوش والحلىّ فى العصر العباسى ، وما قيل فى وصف القمر والنجوم والأزهار والأطيار وسائر المخترعات الحـديثة كالقطار والسيارة والطيارة والغواصة والمذياع فى العصر الحديث . . . فذلك كله شىء يوشك أن يكون على هامش الأدب ، حسبه تخليـداً أن يكون « قطع محفوظات » لتلاميذ المدارس .

أروع ما يكون الوصف إذا تناول مظاهر الطبيعة وخوالج النفس الإنسانية . وربط بينهما بالإحساس المرهف والشعور المشترك ، فامتزجا معاً كأنهما شىء واحد يسر العين ويبهج الفؤاد . ولعلك تلمس هذا بوضوح فى شعر الأستاذ محمد الصادق سعود فى الربيع :

ساحرٌ قام على هام الرّوابى ... يذرع الأفق غدواً لإيابِ
بعصاه ارتدّ مربدُّ اليباب ... جنة تشرق بالحسن العُجابِ
بين لحن وضياء وعبيرِ

الثرى الهامـد قد عادتْ حياتُهْ
ومحبوسُ الجـوّ رفت بسماتُهْ
وحبيس اللحن فاضتْ صدحاتُهْ
والهـوى الغافى أفاقتْ خطراتُهْ
وأطلّ الصفو من كهف الدُّهورِ

ماست الأرض ورفّت فى سناها
وجلت فى عيدها أبهى حـلاها
وسمت فى حسنها فوق مـداها
أينما تمضى لحسن قد كساها
فى ثرى الوديان أو فوق الصخورِ

صورٌ تحيـا وتغـدو وتروح
وجهها طلـق وشاديها فصيح
والرُّبى والدوح شـوق وطموح
والنسيم الصب بالشكوى يبـوح
هامساً بالحـب للزهر النضيرِ

وكما يشرق فى الوديان زهر
ويغنى فى ذرا الأغصـان طـير
فكذا ينبت فى الأنفس بِشْرُ
ظِله سمـح على الأوجـه برُّ
والمنى تصـدح فى أيك الشعورِ

بين موجـين : نسيم راح يسرى
ولجـين ذائب بالفلك يجرى
وعلى مهد من الشطآن نضر
فوق عشب تحت ظلّ بين زهر
قصص للحسن والحب الطهورِ

وقد اعلنت محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية منذ سنوات عن مسابقة موضوعها « ملهمتى » فأسهم كل شاعر بأحسن شعره فى الحب والغزل فى ملهمته الحسناء ، وانفرد الصادق سعود ، بجمل ملهمته :

هى الطبيعة فى شتى مجالبها بديعة يأسر الألباب حالبها
عبدتها قربة لله خالقها وصغت حى شعراً فى معانيها
الفجر حلم كأن النفس هائمة فى سحره وكأن لم يصح غافيها
والشمس يقظة هذا الحلم رائعة
تولى الحياة فريداً من أياديها
كأنها بوق إسرافيل إن صدحت
أضواؤه صحت الدنيا وما فيها
جديدة أبلت الأيام جدتها وخلتهن صرعى فى بواديها
إذا نظرت إلى الصحراء خلت بها
ركام دهر طوته فى محانيها
والنهر كنز من النعمى قد احتشدت
حباته ألفات فى مجاريها
والزرع فى السهل والأرواح حارسة
تحمى ذخائره من كف عاديها
فى رأسها الطير أفكار مغردة
بيض تسابيحها حمد لباريها !
والليل يلقى على الدنيا معانيه غوامضاً فتجلتها دراريها !
كم للطبيعة آيات أهيم بها روائع كلما أمضى ألاقيها
إنى لآنس إذ أخلو بمعبدها من زحمة الناس فى شتى مراميها
هناك تعطفها نحوى وتعطفنى صداقة بيننا قامت أواخيها !!

وكان من الطبيعى أن تفوز قصيدته بجائزة قيمة . وإذا أكثر الشعراء من وصف الورود والأزهار والحدائق — ترى الصادق سعوداً ينفرد مرة أخرى بوصف حقل البرسيم فيقول :

ربيع بلا زهر يضىء ولا شذى يضوع ولا تلقى على غصنه طيراً
ولكن فيه من سناه ألاقة ومن بشره بشراً تهلل وافترا !
ومن زهره معنى من النفح طاهراً
يرف على قلبى بأطيابه عطراً !
صحائف من سفر الطبيعة حقل
ترى البهم فيها رتعاً عكفاً تقرا !
إذا ما وعت سطراً رعته وأقبلت
تضم إليه بين أحشائها سـ...
فيكسبها رياً وحسناً ونضرة
ويلبسها ثوب الصبا قشيباً ...

وينطلق الشاعر الوصافة على عادته يسجل صو... بعد صورة :

فى عالم الشعر الرحيب المدى سرحت عينى لا أمل الر...
ذخائر للحسن مكنونة كأنها الواحات بين البو...
يبهجنى سبق إلى كشفها وأنها للناس رى وز...

ويسره منظر الجندى فى الميدان ، فيقول :

خاض الغمار فما يهاب حماما ورمى عداه بنفسه صمصا...
متصدياً للموت مرتقباً له ما إن يخاف قذائفاً وضرا...
فيداهم الآساد فى آجامها ويذيقها كأس المنون عقا...
والمرء فى الدنيا حليف عقائد فى حبها يلقى الأذى بسـ...
من عاش فى الدنيا بغير عقيدة ساوى بها الأحجار والأنعا...

ولا شىء يعدل الوصف فى شعر الأستاذ الصادق إلا شعر... فى الأخلاق ، فهو بين شعراء الشباب جميعاً بلا استثناء أحد منهم — شاعر الأخلاق . وإذا اتصف بهذا اللقب من قبل أحد كبار الشعراء الناهين ؛ لكثرة ما حث على الأخلاق ... وأغرى الناس بالأخلاق — فالأستاذ محمد الصادق سعود أجدر الشعراء جميعاً بلقب « شاعر الأخلاق » . وإن كان لا يقف من الناس موقف الواعظ أو المرشد أو الداعية يحض الناس على الأخلاق ويتشدق بهذه الكلمة فى شعره . ولكنه يغرى الناس بالخلق الكريم بطريقة عملية : فيتسم بأنبل السجايا وأكرم الخصال ويشير فى شعره من بعيد ... وبغير قصد ، إلى النبل والسمو والكمال .

لقد كنت أحسب أهل الفنون ملائكة فى ثياب البشر
كأنهم مثل سائرات تصور كل جميل أغر
تحلق أرواحهم فى السماء تسامر فيها النجوم الزهر
وتسمو بهم عن رغام الحياة وما قد حوت من صغار وشر
فما لجمال النفوس حدود يحد بها كجمال الصور !

ويقول فى قصيدة أخرى :

إذا لم أنزه فى الحياة عن الخنا
مقالى وسعى فلتغلنى غوائلى

أقمتُ على نطق جَنانى حارساً
مخافةَ زلاّتٍ وكبوة هازلٍ !

وغلّقت سمعى دون كل نقيصة
وعن كلّ ما يزرى بقدس الفضائلِ

ومَنْ ينهج النهج السوىّ هدايةً
فما ضرّه فى الحقّ عذلٌ لعاذلِ !

ومن شعره القيّم فى هذا الباب :

قد استقامَ النّهج فانْـ ـض يا شباب راشـدًا
وسرْ على اسم الله لاَ تخْشَ العدُوّ الراصدَا
بالعزمِ والرأى السّديـ ـدِ نقـهر الشّدائدَا
فقدُ الحياةِ أن تعيـ ـش للإباءِ فاقدًا !
عشرون مليوناً غَدوْا فى الرأى فرداً واحِدًا
كلّ فتىً فى قلبـه يحمل نيـلاً خالدًا !

وقوله :

ولولا المنـايا نازع الله طامـعٌ
نعمْ فالمنـايا للأنام زِمامُ

ولولا سـلاحُ الموت فوق رؤوسنا
لأصبح صرح الدين وهو حُطامُ

وجاهر كلٌّ بالمـآثم ربّـهُ
وضاع حـلالٌ بيننا وحرامُ

فلا تقل القانون نظم أمرنا
فليس سـوى الموت الذريع نظامُ !

وينتبه صديقنا الأستاذ أحمد مخيمر إلى ميزة الأستاذ الشاعر محمد الصادق سعود ، فيصوره فى شعره بصورة صحيحة تنطبق عليه :

الشاعر الصادق فى شعره   وجامع الأخلاق فى بُرْدته
عاش ونور الحب حصن له   ورغبة الحكمة منْ عدته

ويشتد إعجابى بالأستاذ الصادق ، ويروقنى تفرده بالخلق النبيل ، فأهديه منذ سنوات هذه الأبيات :

يا صادق الحبّ فى فنّـ ـكَ التليـد طرافَةٌ
وفى سـجاياكَ نبعٌ وفى القصيـد سلافَةٌ
وفيك من كلّ خَيْر سحـائب وكثافَةٌ
لو كنتَ وحدكَ قلباً لكنت وحدى شغافَهُ !
أو كنتَ بحراً عميقاً كانت ضلوعى ضفافَهُ !
فى شعرك العذب أسمى رسـالةٍ وثقـافَةٌ
شعرٌ جعلت السّموا تِ والعلى أهدافَهُ
يدقّ عن كلّ وصف لمن يرى أوصافَهُ
وربّ فـلكٍ تراه ولا ترى مجدافَهُ !
لو أنّ للشعر فينا إمـارةً وخلافَهْ
لكنتَ أنتَ أميراً هيهات نرضى خلافَهْ !
ألستَ من معشرهمْ أهل النّهى والحصافَهْ
وفى ذراكم أقامتْ دار الندى والضيافَهْ
إذا سما خلقٌ عنْ أوج الجلال وعافَهْ
ملكتُم خاءَه ثمّ لامه ثم قافَهْ !!

ومن النواحى البارزة فى شعر الصادق أنه يصل إلى الهدف بأقل جهد وأيسر عناء ، كقوله فى أرجوزة قيمة وليس فى الشعر العربى كله أبيات تفوق هذه الأبيات فى موضوعها :

إلى أمير الحج قد حجت بنا   رغائبٌ تلتمس القضاءَ
مقضية قد صادفت نجاحها   إذ علّقت بفضله الرجاءَ
وللأمور من لدى ابتدائها   بشائرٌ تشرح الانتهاءَ !!

وللصادق سعود ابتداءات ومطالع قصائد كأنها مطالع أقمار وطوالع سعود ، تذكرنا بالمتنبى والبحترى وأبى تمام ، كقوله :

تفتح كمّ الليل عن زهرةِ الصبحِ
فعمّ سناه الكون بالبشرِ والفرحِ

ومدّت يد الله القـدير أناملاً
أزاحت ستور الليل عن وجهه السّمحِ

وكقوله فى فجر العروبة :

فجر بمصر تنفّست أضـواؤه
وزها على الوادى السعيد رواؤه

وأطلّ يبسم للحيـاة والمنى
ويزفّ أفراح الوجـود صفاؤه

ويبلغ غاية اللطف والظرف فى وصف دمل أصابه :

ورد تفتّح عطره الألم   عنْ برجه ولظاه يبتسم
الورد يندى فى الصباح وذا   طول المدى باللفح يضطرم !

والشاعر فلسفة خفيفة لطيفة سهلة الهضم ، من حسن حظه أنها لم تنضج وتتعقد بعد ، لأن أبغض شىء الخلط بين

إبراهيم عبد القادر المازنى

للآنسة نعمات أحمد فؤاد

طالعت فى مجلة الثقافة الغراء بالعدد ٧٠٦ الصادر فى ٧ يوليه سنة ١٩٥٢ مقالا عن أديبنا المازنى للأستاذ فتحى عبدالعال بدر ، قدمه بهذه العبارة (كان المازنى رحمه الله من أول رواد الفكر والأدب فى مصر ولكنه مات فكأن مصر لم تفقد علماً فذا من أعلام نهضتها . وهذه تحية كريمة لذكرى ذلك الأديب الكريم كما يذرف العابر دمعة عند قبر فى فلاة . رحم الله المازنى !) .

وقد استوقفتنى هذه المقدمة لمقال الأستاذ الفاضل . لقد أراد الكاتب أن يصف مصر بجحود قادة الفكر ، وضرب لهذا مثلا «المازنى» الذى مرت بموته كأنها (لم تفقد علما فذا من أعلام نهضتها) واعتبر الأديب مقاله (دمعة عند قبر فى فلاة) .

أقول استوقفتنى هذه العبارة لأن المازنى لم يمض على رحيله بضعة شهور حتى جمعت آثاره كلها المطبوع منها والمخطوط ، وعكفت على دراستها عامين متصلين دراسة مستشفة لأستعين بها مع ما استقيته من معلومات عن الرجل — أمدنى بها معاصروه وملازموه فى حياته وخاصة الأستاذ العقاد صنوه وصديقه — على كتابة تاريخه وتعيين مكانه بين الرواد الأوائل فى نهضة أدبنا المصرى الحديث .

وقد جعلت من دراسة المازنى وأدبه موضوعاً لرسالة الماجستير التى تقدمت بها إلى جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١ . وليس يعنينى فى هذا المقام أن أتحدث عن الرسالة لأن الحديث عن النفس ثقيل ، ولكنى سألمها بالقدر الذى يطمئن به الأديب إلى وفائنا لذكرى إبراهيم الكاتب .

لقد استهل الأستاذ فتحى عبد العال مقاله بالحديث عما تجب أن تكون عليه لغة الكتابة من مسايرة روح العصر ونوه بمطابقة أسلوب المازنى ومنهجه لهذه الروح . . وهو بهذا يتفق مع ما جاء فى مقدمة رسالتى ، ومنها (وقد اخترت المازنى لأن أدبه أقرب الآداب الفصيحة إلى الشعب ، فهو منه دانى القطاف إذ لا تقعر فى التعبير يطمس الفكرة ولا تفاصح بالألفاظ يفوت المعنى على منشده . بل أدب سهل جميل قوى تتجاوب خفاياه النفسية مع حقائق الوسط الذى

الشعر والفلسفة لسبب بسيط جداً ، هو أن الشعر ليس فلسفة والفلسفة ليست شعراً بحال من الأحوال . وأروع ما تبدو فلسفته بوضوح فى النظر الصائب والفكر الثاقب والتعليل الجميل كقوله :

زمانٌ صار بالأحداث كالمرجل يهتز
يذل الحقّ بين النّاس والباطل يعتزّ
قد استوفى فيه البكر واستتيست العنز !

ويقول الصادق فى ساعة الحظ :

قل لمن يهوى الحقيقه ساعة الحظّ دقيقه !
إن تشر نحوك السّعد بأيديها الدقيقه
فهو فيض من نداها بعد حين لن تريقه
تنثر الحظّ بكفّ هى فى البذل طليقه

ولا بد من الإشارة إلى العيوب التى « يتحلى » بها الشاعر ، فذلك شىء وعدنا به القراء وأوعدنا به الشعراء فى كلمة سابقة . يخيل لى أحياناً أن الأستاذ يتهيب النظم ، ويكاد يمسك القلم وهو يرتجف فى يده ، ويخطو أحياناً إلى الأمام ثم يعود إلى نفس موضعه الأول ، يقف فيه أو يمشى فيه بحركة آلية « محلك سر ! ! » وتقل فى شعره الوثبات العالية ، ويندر الغزل ندرة عجيبة ، فإذا أباح الشاعر لنفسه أن ينظم قصيدة فى الحب والغزل طواها عن الناس كأنما هى غلطة وقع فيها ، أو إثم كبير انحدر إليه ، أو نشرها فى الثقافة بتوقيع « م . ص . س » . وتعليل ذلك كله سهل يسير جد يسير ، لدى شاعر الأخلاق : محمد الصادق سعود .

أحمد أحمد العجمى

نعيش فيه ، وكأنه مرآة صافية نرى وجوه أعمالنا وآلامنا وآمالنا فيها . وهو أمس بنفسي وأعز عندي من أدب البحتري وابن الرومي وأضرابهما الذي إن أحببناه فحبنا تقليدي لقاه قبل أن نحسه . وإن الفنية قوة في الشعور لا تقليد فيه وارتزاق به ، وإلا نزلت إلى عاملية العامل حين نريد لها أن ترقى إلى سماوية الفنان) .

(. . . والمازني بعد هذا هو عندي خير من يمثل الروح المصرية الساحرة المتفكهة وهي تتألم ، وتغالب الألم فتتكلم متندرة عليه ، ساخرة منه كالبدر لا يغضب ولكن يبتسم حتى من وراء الغمام . .) .

* * *

ولعله يسر الأستاذ الذي عرض في مقاله لخصائص أسلوب المازني وطبيعة الفنان فيه ونظرته إلى الحياة وفلسفته فيها عرضاً سريعاً كما تقتضي طبيعة المقال ، لعله يسره أن رسالتي عن المازني تتناول بالدراسة الناقدة في قسمها الثاني فنون نثر المازني جميعاً ، فقد أفردت فصلا لكل من المقالة ، القصة ، النقد الأدبي ، الترجمة ، أسلوبه وبين يدي هذا كله فصل عن (المازني الشاعر) لأني اعتبرت دراسة شعره تكملة للدراسة المسبقة له . إذ شعره صفحة من نفسه ، ولا يمكننا دراسة تلك النفس من نثرها إلا إذا ضممنا أجزاءها بعضها إلى بعض ليتهيأ لنا بتكاملها فهمها فهماً مستشفاً نافذاً .

وفي قسم الرسالة الثالث تناولت جوانب المازني الأخرى في ثلاثة فصول : المازني الساخر ، والمازني والمرأة ، وفنية المازني ، على الترتيب .

وهذان القسمان من الرسالة يسبقهما بطبيعة الحال دراسة للبيئة المصرية العامة مادية ومعنوية ، وبيئة المازني الخاصة ووراثاته وثقافته وتأثره بهذا كله وأثره فيه .

ولم تقف رسالتي عند هذا الحد ، بل أضفت إليها بعد أن أجيزت الكثير مما يبلغ به البحث تمامه ، ويستوفي معه غايته .

غير أن رسالتي ينقصها أن تنتمي إلى أحد أصحاب الحول لتحظى بعناية الناشرين ، بل لتنعم بتلهفهم عليها ، وتسابقهم إلى طبعها . .

إن الكاتب في بلدنا مقدر عليه أن يدفن بيده في مطاوي الانتظار والإهمال عصارة فكره وذوب قلبه لا سيما إذا كان من الناشئين الذين يدبون على الطريق الوعر بخطوات رفيقة لينة . . . لا تزكيهم شهرة بعد ، ولا يفرض إنتاجهم نفوذ من مركز ، أو بريق من جاه يدخره الناشرون لوقت حاجة ، ويخرجون من أجله كل ما تسطره الأقلام المرجوة النفع حتى ولو كان يسيراً هيناً . .

* * *

وبعد : فلعل الأستاذ قد اطمأن الآن إلى أن المازني ليس بقبر في فلاة ، ولكنه ثاو من قلوبنا في مكان عزيز ، وسيظل فيها ما امتدت بنا على الأرض الحياة . . ؟

نعمات أحمد فؤاد
ماجستير في الآداب

الثقافة : نرى الآنسة الأديبة تضم صوتها كما يقولون إلى صوت الأديب فتحي عبد العال بدر ، فهي تشكو من أن الأديب الناشئ يدب على طريق وعر . ونحن نقول لها والأديب الشيخ أيضاً !

علي ومعاوية

— ١١ —

للأستاذ أنور الجندى

شخصيتان مختلفتان كل الاختلاف ، بالرغم من أنهما عاشا فى عصر واحد ، كان أحدهما فى الطرف الأيمن والآخر فى الطرف الأيسر . كان علىّ رمزاً على أخلاق النبوة ، بينما كان معاوية صورة للطبيعة البشرية .

اختلفا على الخلافة ، فكان على ينهزم فى أنصاره قبل خصومه ، لأنه لا يطمع فى الملك ، ولا يرغب إلى الدس ، ولا يصيد فى الماء العكر ، ولا يلجأ إلى الحيلة ، وإنما يحب الاستقامة والصراحة والوضوح والنقاء .

وكان معاوية يصطنع كل وسيلة توصل إلى الغاية ، ويرى أن كل أسلوب يحقق الغرض لا بأس من اتخاذه .

وقد ظل الصراع قوياً بين الحق والقوة ، وبين المثالية والانتهازية ، حتى انتهى الأمر بانتصار معاوية .

* * *

قام ملك معاويه على الدهاء والحلم ، فهزم علياً والحسين وتغلب على كل من وقف فى وجهه فى مكة أو المدينة أو الأمصار .

وكان « عمر » وهو الشديد العنيف ، يقف منه موقفاً وسطاً فيقول له : لا آمرك ولا أنهاك .

* * *

واستطاع أن يستغل مقتل « عثمان » هذا الاستغلال العجيب فقوض به سلطان على ، وطلب إلى أنصاره رفع المصاحف على السيوف عند ما تبين هزيمته فى صفين ، فتوقف أنصار على عن القتال وهم فى ذروة النصر ، ووقع الخلاف من هؤلاء الأنصار ، واضطره فريق من أصحابه إلى أن يقبل التحكيم وهو الخليفة الفعلى المبايع . وكان نتيجته أن عزله صاحبه ، وثبّت معاوية صاحبه .

واستطاع معاوية أن يرضى أهل المدينة ، فيصرفهم من الجد إلى اللهو ويغدق عليهم المال ، فيدفعهم عن التفكير فى شئون السياسة أو أمور الخلافة ، وقد بلغ فى ذلك أن أعطى أهل « على » الذين حرمهم على . وصدق فيه قول القائل : « القلوب مع على والسيوف مع معاوية » .

وأوتى معاوية القدرة على تأليف القلوب وكسب عطف الناس ، والاستماع منهم إلى أقسى ما يقال ، دون أن يضيق به أو يغضب .

ولقد وفد عليه أشراف قريش عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وأبان بن عثمان ، فأكرم مثواهم ، وقضى حوائجهم ، وسمع منهم قوارع الكلم ، وكان يداعبهم تارة ويتغافل عنهم تارة أخرى .

وكان دستوره « لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى ، ولو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت أبداً ، إذا مدوها خليتها ، وإذا أرخوها شددتها » .

وهو يصرف الأمور على حد تعبيره : « إنى لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا » .

واستطاع أن يصل إلى قلوب الناس ، ويدفع خطر العلويين بنشر حلق الوعاظ فى المساجد ، على طول الدولة وعرضها ، وتكشف أخطاء عثمان فلم يقع فيها ، وبالرغم من أنه أفاض على أهله النعمة ، فقد حرص على أن لا يولى أحد قرابته مصراً ، أو يضعه موضعاً تعدم من حوله الفتنة .

واستطاع بذلك الخلق اللين اليقظ أن يقضى على المعارضات ويؤلف القلوب ويقضى على ما فى النفوس من ثارات وأحقاد .

وإذا لامه أحد على بذله المال للعلويين والهاشميين قال : إن الحرب لو وقعت لاستلزمت من النفقات أكثر من هذا العطاء .

وقد برع معاوية فى إيقاع أعوانه فى مشكلات لا تقوم بعدها لهم قائمة ، كما عرف بالقدرة على إثارة النفرة فى قلوب من يخشى اتفاقهم عليه .

* * *

أما على فكان يخاصم وفيه ورع ، ويحارب وفيه امتناع عن البغى . وكان ذا خلق رياضى يجعله ذا مروءة مع خصمه بعد المعركة ، لم يبدأ أحداً بقتال ولم يجبه أحداً بخصومة .

محارب شجاع ، ولكنه يمزجها بالمروءة والوفاء ، وهو حاكم عادل ، ولكنه لا يؤمن بالمجاملة ولا التملق ولا شراء الذمم والضمائر ، وهو فى كل أحواله يزن الأمور بميزان الإسلام .

فى معركة الجمل ، بعد أن انتصر على السيدة عائشة ، حملها معززة مكرمة ، وكانت من قبل تكرهه وتؤلب عليه .

ولى الخلافة وقد تعقدت الأمور ، وداخلت النفوس الأهواء ، فحاول أن يسير على نهج الرسول وطريقة عمر . ولكن الناس كانوا قد خرجوا من نطاق المثالية فى عهد عثمان ففشل .

* * *

كان الصراع بينه وبين معاوية حول راهة الحكم .

وبين أسلوبين من أساليب كسب الناس ، شراء الذمم بالمال ، أو كسب النفوس بالحق .

يؤمن معاوية بالسياسة ، وما فيها من كياسة ودهاء ومكر ، ومداورة ، ويتحرج « على » من أهوائها ومسالكها .

وقد عبر « على » عن هذا المعنى بقوله : « والله ما معاوية بأدهى منى ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس » .

وكأنما كان بعض الناس خصوماً لعلى من غير خصومة ، لأنه بطبيعته العادلة المتحرجة إنما يضيق بما أتيح لهم من ثروات كسبوها من غير حق ، وكانوا يرون أنه محاسبهم عليها .

أما معاوية فكان حريصاً على أن يكسب أكبر قدر من الأنصار بالمال ، وقد أتيح له ذلك على خير وجه . أما على فكان أنصاره هم القراء والفقهاء وأصحاب الشريعة .

* * *

مزاجان مختلفان كل الاختلاف فى فهم الحياة وتصريف الأمور ، يراها « على » لله خالصة ، مجردة من الأهواء والغايات ، لا مطمع فيها لطامع . .

بهذا يؤمن ، وعلى هذا يعامل الناس ، والناس بعد ، إما متزمتون قد وقذهم الورع فهم لا يتصرفون إلا وهم مقيدون بالنصوص والسنن ، فلا يسايرون الحياة ، وإما أصحاب دنيا ومصالح . أما الفريق الأول فإنه أتعب علياً وسبب له من الأزمات والخلافات ما انتهى بالأمر معه إلى نهايته المعروفة ، أما الفريق الثانى فقد لحق بمعاوية وعادى علياً ، وهو عارف أنه يرغب إلى الدنيا ومطامعها التى يجدها عند معاوية على الوجه الذى يرضاه .

ولذلك فلم يكن من اليسير أن يلتقى على ومعاوية ، والزمن الذى يتحول فى سرعة بنقل الناس من وضع إلى وضع ، فإذا أراد « على » أن يرد الناس مرة أخرى بعد عهد عثمان إلى عهد عمر أعجزه ذلك ، فإذا مضى معاوية بالناس على نفس الطريق وزادهم فيه لقى رضاء الناس وإجماعهم عليه .

كان « على » يمثل خلق النبوة بعد أن بعد عهد الناس بها ، وبعد أن فتحت الأمصار واستقرت الدولة ، وتوقف الوحى ، وبدأ المكافحون المحاربون يجنون ثمار الظفر ، فكان اختلافه معهم اختلاف القائد الذى يريد أن يطبق أحكام عهد على عهد آخر .

ولكن علىّ بعد هذا كله مثل من أعظم أمثلة الرجولة ، ورمز من أجل رموز البطولة . عاش حياته كلها المثالية الخالصة ، لا يرتد عنها ولا ينحرف ولا يرى غيرها غاية من غاياته .

أنور الجندى

مع الفكر الأوربى المعاصر

للأستاذ مبارك إبراهيم

تموين العالم بالطعام

The World's Food Supply

هذه كتب ثلاثة تبحث فى هذا الموضوع وهى :

(ا) كتاب « التربية والحضارة »

لمؤلفه إدوارد هيامس

Soil and Civilization by Edward Hyams

(ب) كتاب « جغرافية الجوع »

لمؤلفه جوسيه دى كاسترو

"Geography of Hunger"
By "Josue' de Castro"

(حـ) كتاب « أربعة آلاف مليون فم »

لمؤلفه ف . لى . جرو كلارك ، ن . و . پيرى

"Four Thousand Million Mouths"
by "F. Le Gros Clark and N.W. Pirie"

منذ الزمن الذى سبق الحرب العالمية الثانية أصبح الناس يوقنون أن مقادير الطعام فى العالم قد تصبح — على مر الزمن — غير كافية لماشاة ازدياد عدد السكان . وإن كان من الناس من ينظرون إلى هذا القول كأنه من وحى الخيال ، إذ هم يظنون أن مقادير الطعام تزيد عن حاجة الناس . وأن كثيراً من الفلاحين يشكون كساد غلات أرضهم فى السوق .

ومن قبل كانت السياسة الرسمية فى البلاد التى تكثر محصولات أرضها تقوم على الحد من مساحات الأراضى التى تزرع . وذلك لتنأى بالزراع عن مهاوى الإفلاس .

واليوم يختلف الموقف الاختلاف كله ، فقد أصبحت تلك البلاد تبذل أعنف الجهود لتزيد من مساحة الأراضى القابلة للزراعة . وقام الكتّاب ينذرون أقوامهم ويحذرونهم شر مجاعة جائحة محتملة الوقوع . بل يحذرونهم ما هو أشد من المجاعة إن لم يعملوا على زيادة مساحات الأرض التى تزرع وعلى زيادة غلاتها .

وقد تبدو مشكلة زيادة الطعام هينة لدى قصار النظر . وعلى هؤلاء أن يعرفوا أن عشرة فى المائة من مساحة سطح الأرض أو أكثر من ذلك قليلا هى التى تستغل فى زراعة الحبوب والحشائش . وهذا ما يمثل ثلث مساحة الأرض التى يساعد جوها على نمو الزروع . ومن ثم يتبين أن هناك مساحات كبيرة من الأرض لم تمسسها يد الزراع بعد . وفى الوقت ذاته نرى سكان العالم يتزايد عددهم بنسبة واحد فى المائة فى كل عام . فإذا استطاع الناس أن يزيدوا من مساحة الأرض القابلة للزراعة . وذلك بأن تمتد أيديهم إلى فلاحة بعض تلك الأراضى البكر ، وبالعمل على زيادة غلات الأرض التى تزرع من قبل ، إذا استطاع الناس ذلك أمكن اختفاء شبح المجاعة التى تهدد العالم . وأمكن أن يحل محله أمل عريض فى رفع مستوى معيشة كثير من الناس . وهم أولئك الذين انخفض مستوى معيشتهم إلى حد كبير . وهذه المهمة قد تبدو فى نظر الكثيرين مهمة سهلة إلى حد ما ، بل إن بعض الكتّاب ليعجبون كيف لم يعمل الناس على حلها من قبل . وبعض الجواب على هذا يتمثل فى أن الأغلبية العظمى من منتجى الغلات هم من الفلاحين الذين تختلف ثقافاتهم ونظراتهم إلى الحياة اختلافاً كلياً عن ثقافات أبناء المدن ونظراتهم إلى الحياة . فالفلاح وأسرته يعيشون على ما تنتجه أرضهم من طعام . وهم لا يبيعون إلا ما يفيض عن حاجتهم مما تنبت الأرض . ورائدهم فى المقدار الذى يبيعونه هو حاجتهم إلى المال . فإذا ارتفعت الأسعار قنعوا ببيع القليل من محصول أرضهم ، وإذا انخفضت الأسعار زاد مقدار ما يبيعون .

وفى بقاع كثيرة من القارة الإفريقية يشاهد أن الناس يكفون عن العمل إذا ما توافر لدى الفرد منهم ما يحتاجه من مال قليل . وفى بقاع أخرى يحتفظ الزراع بالقدر

الأكبر من محصولهم وذلك بقصد تحسين حالتهم الغذائية .

ومن ثم فإن ارتفاع الأسعار ليس هو بالدافع فى كل حين إلى زيادة الإنتاج لدى الزراع ، وليس الحال كذلك فى المؤسسات الصناعية .

وفوق ذلك ، فإن الفلاح دائم التعلق والارتباط بأرضه ، تعلقاً وارتباطاً لا يكاد يفهمهما ساكن المدن . وقد تكون الأرض التى يملكها الفلاح موزعة على اثنى عشر جزءاً . وهو لا يصغى إلى نصيحة القائلين له باستبدال تلك الأجزاء المتفرقة قطعة واحدة توفيراً لعنائه وشقائه . وحجته فى ذلك الإباء أن أرض أسلافه وأجداده هى فى نظره أثمن من المال وأعلى . وهى أرض ليس بالكثير عليه أن يلقى فى سبيلها ما يلقى من عناء وشقاء .

وهذه العلاقة المتأصلة الجذور يقرها فى صراحة من القول « مستر هيامس » فى كتابه «التربة والحضارة» إذ يقول : منذ أن انقضى عصر الصيد ، وجمع الطعام والتقاطه ، ومنذ أن استقر الناس واتخذوا فلاحة الأرض حرفة بدأوا وما زالوا إلى اليوم يرون فى الأرض التى تزرع أكثر من مجرد آلة تنتج الطعام . وما دام التوافق قائماً بين الزراع الذين يزرعون الأرض ، وبين الأرض التى تنتج الزرع . وبين الماء الذى يعم الخصب ، وبين الحيوانات التى تكمل بها دائرة التعاون ، فإن الأمور تسير سيراً حسناً وهذه البيئة الطبيعية لها أساطيرها ، ولها تقاليدها التى كونها الناس منذ أن تعرفوا إلى الأشجار والحيوانات والأعشاب .

وقد جمع المؤلف كثيراً من هذه الأساطير منقولة عن كتب مختلفة ألفها مؤلفوها عن ممالك حوض البحر الأبيض المتوسط ، وعن الصين والهند وبيرو :

وقد بدأت متاعب الناس تبدو آثارها واضحة منذ أن بدأ عدد الناس يتزايد . ومنذ أن أصبح الناس عالة على الأرض بدلا من أن يكونوا جزءاً من أجزاء الدائرة التعاونية التى أسلفنا ذكرها . فبدأ الناس بتقطيع الأشجار فى غير هوادة ، وبدأت التربة تتحات وتتفتت . وبدأت الرمال تغطى وجه التربة . وكان فى هذا القضاء على الحضارات الأولى فى العراق وفى حوض نهر السند .

ويخشى مؤلف الكتاب أن يكون هذا مصير إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية فإن الناس فى تلك البقاع يتزايد عددهم بسرعة هائلة .

وقد عالج هذا الموضوع بصراحة أوفى الكاتب البرازيلى « الدكتور دى كاسترو » فى كتابه « جغرافية الجوع » وهو بوصفه رئيس اللجنة التنفيذية لمؤسسة الطعام والزراعة الملحقة بهيئة الأمم المتحدة قد استطاع أن يحصل على معلومات وافية جداً عن إنتاج المواد الغذائية واستهلاكها فى بلاد تزيد مساحتها عن مساحة نصف بلاد العالم .

وقد أجاد المؤلف الإجادة كلها فى الفصل الذى عقده على سوء التغذية وأثره على الصحة العامة ، وعلى القوة العاملة . ويطلق المؤلف كلمة « جوع » بالمعنى الواسع الذى يشمل نقص أى عنصر من الأربعين عنصراً التى يحتاج إليها فى ضمان سلامة البنية . وهو يقرر أن ٨٥ فى المائة من سكان هذا العالم يتغذون غذاء ناقصاً . ويرجع بعض الناس السبب فى هذا النقص إلى الجهل بأنواع الطعام الصالح . ولكن السبب الرئيسى هو عدم كفاية المواد الغذائية . ولا خلاف فى أن الناس يقرون المؤلف على مايراه من ضرورة تكاتف الجهود فى العالم كله على زيادة غلات الأرض .

والمؤلف بدوره يقر رأى القائلين بأن ثلثمائة وألف مليون فدان يمكن أن تضاف إلى مساحة الأرض المزروعة اليوم . ومن هذا القدر مائة مليون فى القارة الاسترالية وحدها . ولكنه لا يقول كيف يتم ذلك . وكأنه قد فاته أن نقص الماء هو عامل من أهم العوامل المانعة لزرع تلك المساحات الباقية بغير زرع .

ثم يجىء دور الكلام عن الكتاب الثالث وهو كتاب « أربعة آلاف مليون فم » والذى تعاون على كتابة أبحاثه طائفة من العلماء وناقشوا فى تلك الأبحاث الطرق التى تساعد على زيادة موارد الطعام . والكتاب على الرغم من شاعرية عنوانه كتاب تفيض صفحاته بالقول الرزين والرأى الرصين .

وفى هذا الكتاب يقص صاحبه تاريخ كل المراحل التى مر بها هذا الموضوع مبتدئاً بفروض « مالتوس » ومنتهياً بأحدث الأبحاث . وهو يذكر أنه فى القرن التاسع عشر لما زادت حركة التوسع الاستعمارى وجلا الناس عن ديارهم وراحوا يجوبون الأقطار البعيدة ، ثبت لديهم وهم يستنبتون

الأرض أن طرائقهم التى كانوا يتبعونها فى بلادهم لا تصلح للأرض الجديدة ، حتى إن التربة قد بدأت — على أيديهم — تتحات وتتفتت . فعدلوا عن طريقتهم وبدأوا يعملون على صيانة التربة ووقايتها وذلك فى مساحات ممتدة الرقعة .

وفى أحد فصول الكتاب يجىء « الدكتور ريتس » بصور تبين للناس ما تستطيع المخصبات أن تتيحه من زيادة فى المحاصيل حتى فى أخصب بقاع الأرض . فقد ثبت أن النباتات ذات الجذور قد زادت نسبة غلاتها عشرة فى المائة . وأن محاصيل الحبوب قد زادت عشرين فى المائة . وأن محاصيل الحشائش قد زادت ثلاثين فى المائة . وقد يمكن أن تزاد هذه النسب فى الأرض الأقل خصباً .

وفى فصل آخر يقرر الدكتور « برنز » أن غلات الأرض فى الهند قد يمكن أن تزاد بمقدار يتراوح بين ثلاثين فى المائة ومائة فى المائة .

وفى فصل ثالث يعنى مستر « بودن » بكيفية التغلب على أمراض النبات . وهى الأمراض التى تسبب خسارة كبيرة فى مقادير الطعام كل عام ، وهى خسارة قد تزداد على مر الأيام إن لم تتخذ الوسائل الفعالة لوقفها والحد منها .

وفى فصل رابع يبين « البروفسور هارلند » للقارىء ماذا فعل مستنبتو النبات من قبل لتحسين المحاصيل وهو يقول : إن من أعجب العجب أن يعلم الناس أن الرجل البدائى ، أو — على الأرجح — المرأة البدائية قد استطاعت أن تؤلف بين مائة ألف نوع من أنواع النبات لتخرج للناس نباتات يغتذون بها . وهى النباتات التى لم يستطع العلم الحديث أن يزيد عليها إلا صنفاً أو صنفين .

ويرى « البروفسور هارلند » أنه لا يزال هناك مجال لتوسيع مدى استعمال بعض الأصناف . فنبات « الترمس » مثلاً وهو يستعمل الآن للتسميد كما يستعمل طعاماً للماشية يمكن أن يناله التعديل فيصبح صالحاً كطعام للناس . وكذلك النباتات التى يغتذى بها الآن يمكن أن تجرى عليها عمليات الانتخاب والتربية ليكثر ما فيها من أحماض دهنية ومن فيتامينات .

وفى فصل خامس يلقى الأستاذ « كاى » والدكتور « جون هاموند » ضوءاً جديداً على المشكلتين القديمتين : مشكلة اللبن ، ومشكلة تربية الخنازير . وهما يقولان إنه يمكن الانتفاع بهذين المحصولين على مدى أوسع وأكبر .

وفى فصل سادس يدرس « مستر لوكاس » موضوع الأسماك فيبين أن أدوات صيد السمك يُزاد فى وسائل تحسينها بأكثر مما يزاد فى وسائل تنمية الأسماك والإكثار منها . والوسيلة الوحيدة المستعملة اليوم ، والتى لا وسيلة غيرها للإكثار من السمك فى البحار هى الامتناع عن الصيد ، على أن هناك وسائل عديدة للإكثار من السمك فى البحيرات .

وهو يقرر أن ما يصطاد من الأسماك فى العالم لا يزيد عن عشرين مليوناً من الأطنان فى كل عام . وهذا المقدار يمكن أن يزاد بمقدار خمسة أو عشرة ملايين طن فى العام إذا استعملت الوسائل الحديثة بطريقة منظمة . على أنه يجدر بنا أن نذكر أن الأسماك التى تصاد اليوم لا يصلح للأكل منها غير ربع مقدارها أو أكثر قليلا .

ثم يختتم الأساتذة آراءهم بقولهم . إنه مع التسليم بأن من المستطاع زيادة مقادير الطعام ، غير أنه — مع ذلك — لابد من العمل على الإقلال من تكاثر السكان والحد من كثافتهم .

والمشكلة الكبرى التى تواجه دارس هذا الكتاب هى كيف توضع الوسائل التى اقترحها كاتبوه موضع التنفيذ ، فإن معظم طعام العالم ينتجه فلاحون لا يستطيعون بوسائلهم التى شبوا عليها وشابوا أن يزيدوا فى تحسينها إلا قليلا . هذا إلى أن الإفراط فى زرع الأرض مؤد فى أغلب الحالات إلى إصابة الأرض بالتفتت . فلا سبيل إذاً إلى زيادة غلة الأرض زيادة منتجة إلا باستعمال الوسائل الحديثة فى الزراعة . وكما أن الصناعات البدائية التى كان ينتجها سكان الأكواخ قد خلت مكانها للصناعات التى تنتجها المصانع الحديثة . فكذلك الوسائل الزراعية البدائية يجب أن تخلى مكانها للوسائل العلمية الحديثة ، والانتقال من طور إلى طور ليس بالأمر اليسير . ذلك لأنه يستتبع تغيراً فى البنية الاجتماعية فى بيئة الريف ، وهو كذلك يتطلب أموالا ضخمة ، ولكنه إلى أن يتم ذلك فلن يكون مستطاعاً حل مشكلة الجوع فى العالم بأية حال . . .

المواطنون العواجز

كتاب من تأليف الكاتبة

«جوان سميون كلارك»

وكتب مقدمته «لورد بيفردج»

Disabled Citizens
by "Joan Simeon Clarke"
Forword by "Lord Beveridge"

مؤلفة هذا الكتاب تعتبر رائدة من الرواد فى بحث هذا الموضوع . وقد جمعت فى كتابها هذا طائفة من المعلومات كانت من قبل متفرقة مبعثرة . وجاءت فيه بصورة جامعة شاملة لما يسميه «لورد بيفردج» حاجة من الحاجات التى لم تقض بعد فى ميدان الخدمة الاجتماعية .

وقد بذل الجهد فى هذا الكتاب لتبيين قسوة الأثر الذى تحدثه العوائق الجسمانية سواء أكانت موروثة أو طارئة . وهى التى تعجز المصابين وتعوقهم عن المشاركة فى ميدان الحياة الاجتماعية . وعن إعالة أنفسهم بثمره مجهوداتهم الخاصة ، وكذلك لتبيين كيفية التغلب على تلك العوائق . وما المدى الذى يبلغه هذا التغلب لو حسنت النيات وتضافرت الجهود .

وفى الكتاب فصول عن الشلل الجزئى وعن الصرع وعن مرض السل وعن الصمم ، وكذلك فى الكتاب فصول عن المتبطلين وعن العاجزين من الفتيان الذين بلغوا مبلغ الرجال .

ويلاحظ أن الكتاب قد خلا من أية إشارة إلى العميان ، ذلك لأن العمى مصيبته تبعث على الإشفاق وتجعل الناس كلهم يسعون جاهدين إلى التخفيف من وقعها ، وفوق ذلك فإن العميان دائماً ذوو ذكاء شديد وإحساس قوى كأنهما من وحى الغريزة .

وقد خصصت المؤلفة لحقاً من ألحاق كتابها لخصت فيه ما أعد لتدريب العميان تدريباً مهنياً وللأعمال التى يعملونها فى إنجلترا وويلز . وقد بلغ عددهم هناك ستة وسبعين ألفاً .

أما الصمم فمسألة تختلف عن العمى الاختلاف كله . وتقول الكاتبة : إنه من العسير على الناس الذين أوتوا نعمة السمع أن يفكروا أو أن يكتبوا بوحى من إحساسهم عن أولئك الذين أصابتهم مصيبة الصمم . ذلك لأن تلك المصيبة بفراغها الهائل الذى يسوده الصمت الذى لا تجاب فلواته ، والذى هو أشبه بصمت سكان القبور ، هى مما يستحيل على العقل تصوره ، ولكن الناس لم يقدروها حق قدرها كعائق من أشد العوائق عتواً .

وكذلك فإن الصم ليس لهم من الوسائل الطبيعية ما يعينهم على أن يجدوا لغة الكلام بديلا . وقد خصصت الكاتبة عشرين صحيفة من صحائف كتابها بينت فيها حاجاتهم ، وفى تلك الصحائف ما يبعث البكاء ويثير الحزن والأسى .

وهناك مشكلة من مشاكل الصم قد اشتجرت فيها الآراء ، وتلك المشكلة هى المدى الذى يمكن أن يبلغه الباحثون حول التدريب المهنى للصم أثناء سنى الدراسة ، وقد قيل إن الأمريكيين قد كانوا سباقين فى مضمار تعويض الصم عن مصيبتهم ، وهم كذلك سباقون فى دراسة مشكلات الشذوذ الخلق (بكسر الخاء) التى تدور حول الشلل الجزئى ، ويشاركهم فى ذلك الاستراليون .

أما الدانمركيون فقد أصبحوا مثلا يحتذى فى العناية بحالات الصرع . وأما أهل السويد فقد تميزوا بعلاج الأطفال المصابين بالكساح كما تميزوا بتدريبهم وترويضهم .

والمؤلفة تهيب ببنى قومها أن يعقدوا الخناصر على العناية بأمور العواجز من كل صنف ، وأن يحذوا حذو سويسرا بإنشاء منظمات للعجزة .

وهى تهيب كذلك بأهل الدراية والفهم أن لا يملّوا الدرس والتقصى فالبحث فى مشكلات العاجزين منجم للبحث والدرس لا يسبر غوره ولا تفنى مادته . وهى مشكلات ينبغى المبادرة إلى علاجها والتخفيف من ويلاتها .

والصورة التى صورتها المؤلفة فى كتابها لأولئك البائسين استحقت أن يصفها — بحق — «لورد بيفردج» بقوله : « إنها صورة تستحق أن ينظر إليها بعين العناية كل من وهبه الله ضميراً اجتماعياً فيه يقظة وفيه حياة . . . »

مبارك إبراهيم

النظارة السوداء

للأستاذ إحسان عبد القدوس

لست أشك فى أن الناس يعرفون الأستاذ إحسان عبد القدوس من كتابته فى مجلة روز اليوسف الغراء، ويعرفونه من القضايا الكثيرة التى أثارها ومن القضايا الكثيرة التى أثيرت عليه بوصفه كاتباً سياسياً . ولست أشك كذلك فى أن الناس يعرفون أسلوبه فى مقالاته السياسية وهو يمتاز بالسهولة والقوة والوضوح والحدة وبما يسرى فيه من روح العطف الحاد على كل ما يمس المعانى الجوهرية فى الحياة . ولكنى أشك كثيراً فى أن الناس يعرفونه على حقيقته بوصفه كاتباً قصصيا.

وقد ظهرت له فى يونيه الماضى مجموعة تحتوى على ثلاث قصص متوسطة الطول تبلغ فى مجموعها حجم قصة طويلة كاملة افتتح بها نادى القصة سلسلته الشهرية الجديدة « الكتاب الذهبى » . ولقد تمنيت عندما قرأت هذه القصص الثلاث المتوسطة لو استطاع الأستاذ إحسان أن يدع السياسة وميدانها وقضاياها الشائكة ومتاعبها وأن يتفرغ لفن القصة وحده حيث لا يزعج أحداً بقضاياه ولا يزعجه أحد بما يثير عليه من القضايا ، ويتجه إلى عالم الصور الذى يرحب بالصراحة ، ويحب الصدق ويقدر الإخلاص فى العاطفة . فكم تمنيت لو استطاع الأستاذ إحسان أن ينزع نفسه من ميدانه السياسى الصاخب إلى ميدان الفن الصافى حيث يستطيع أن يكون علماً من أعلام النهضة الجديدة فى الأدب العربى .

وقد كان الأستاذ إحسان واحداً من طائفة من شبابنا الأدباء الذين كانت صورهم تلوح فى ذهنى عندما تحدثت عن النهضة الأدبية الجديدة فى مصر وهم ما يزالون يتلمسون طريقهم الفنى فيما يشبه أن يكون عاصفة هوجاء تجتاح حياتنا فى هذا العصر المضطرب .

وليس على هؤلاء الشبان من بأس أن يتلمسوا طريقهم وسط هذه العاصفة ، بل إن هذا هو الأمر الطبيعى الذى لابد من وقوعه فى مثل عصرنا هذا . ولكن الشىء الذى يدعو إلى العجب هو ان بعض شيوخ الأدب يدفعهم جمود الشيخوخة إلى أن يتحدثوا عن هؤلاء كأنهم هم الآلهة الخالدون عندما يطلون على البشر الضعاف من فوق قمة مثواهم فى جبل الأولمب . بل إنه لما يدعو إلى السخط أو السخرية أن البعض من الشيوخ يبلغ بهم الغرور إلى إنكار ما يبذل هؤلاء الشبان من جهد وما يقدمونه من إنتاج ، فإذا تحدثوا عن الأدب الحديث سمعتهم يتعالون ويصدرون الأحكام ويشيرون بأصابعهم فى كبرياء كأنهم قد اطمأنوا إلى حقهم فى عرش الأدب وتصريف شئون مملكة الأدباء كما يشاءون ، أوكأنهم قد آمنوا فى أنفسهم بأنهم سدنة الفن يقبضون بأيديهم على مفاتيحه فيدخلون إليه من يشاءون ويحجبون من يشاءون بغير معقب لأحكامهم . ولكن مالنا وهؤلاء الذين يريدون اغتصاب عرش الأدب أو اختطاف مفاتيح الفن ، فإن الحياة تسير فى طريقها والفن ينطلق معها نحو غايته المتجددة دائماً والأدب يتمرد على كل من يحاول السيطرة فيه . فليذهبوا إلى حيث يستطيعون أن يغتصبوا السيادة أو يختطفوا المفاتيح فى غير دولة الفن والأدب ، فإنها دولة لا تعترف بسيطرة ولا تخضع لسلطان ، بل هى دولة لا وجود لها إلا مع الحرية المطلقة والإنسانية المجردة من كل الأباطيل والزخارف .

ولنعد إلى إحسان ومجموعة قصصه الثلاث التى اختار لها عنوان القصة الأولى «ذات المنظار الأسود» أو كما سماها « النظارة السوداء » وأما القصتان الأخريان فهما « راقصة فى إجازة » و « سيدة صالون » .

وسأكتفى فى هذه الكلمة بالحديث عن منحى الأستاذ فى قصصه بوجه عام ، وعن أسلوبه الفنى لأن هذه القصص تظهر منحاه واضحاً وتظهر أسلوبه صافياً . أما موضوع القصص أو موضوعاتها فنؤجل الحديث عنها حتى يعود الأستاذ مرة أخرى فيهدى إلينا قصة جديدة ذات موضوع واحد يشغل به كل نفسنا ويملأ به كل عقلنا . فمن الأدباء من نقنع منه بالقصة القصيرة لأنه يبلغ ذروته فى اللوحات المفردة التى تتسع لها القصة القصيرة أو القصة المتوسطة ، ولكنا نحس إحساساً عميقاً بأن الأستاذ إحسان عندما يكتب القصة القصيرة يكون مثل الجواد السباق إذا جال فى ميدان محدود . وإنا لنرجو له أن يجد فراغاً من مشاغله فى السياسة ليتحفنا بهذه الهدية التى ننتظرها . وما أحراه أن يفعل ذلك قريباً فهو فى عنفوان الشباب بحمد الله ، وفيه من نشاط الحياة وتدفق الوجدان ما يكفل تحقيق هذا الأمل قريباً إن شاء الله .

وأول ما يسترعى النظر فى القصص الثلاث أن نماذج المرأة فيها غير مصرية . ففى القصة الأولى نموذج لفتاة من سلالة أسرة أجنبية من أهل الإسكندرية نشأت بينها وبين شاب مصرى علاقة شديدة عجيبة ، وفى القصة الثانية نموذج لراقصة أجنبية حلت بمصر وجمعها المصادفة بشاب مصرى فى القاهرة ، ثم جمعتهما فى رحلة صيفية فى بعض مصايف إيطاليا ، ونشأت بينهما علاقة خاطفة شديدة . وفى القصة الثالثة نموذج لسيدة أجنبية كذلك حلت فى مصر مع زوجها وجمعتها المصادفة بشاب صحفى مصرى فكانت بينهما أيضاً علاقة شديدة عجيبة .

فما يسترعى الأنظار أن الأستاذ إحسان لم يقع اختياره فى واحدة من هذه القصص على فتاة مصرية ولا امرأة مصرية . وذلك التكرار ينم عن اتجاه خاص اختاره المؤلف قصداً لتحقيق غاية فى نفسه ، فهل يتحرج الأستاذ من التحدث عن المرأة المصرية ؟ هل يشفق أن يصطدم أو أن يصدم إذا هو تحدث عن المرأة المصرية ؟ أم هو يقصد بالبحث عن المرأة الإنسانة مجردة ويريد أن يكشف لنا بعض جوانب طبيعتها ، فأشفق أن يلبس نماذجه أشخاص فتيات أو نساء من أهل مصر ؟ هذه أسئلة تتوارد على الخاطر فى أثناء قراءة القصص الثلاث . ونكاد أحياناً نلمح الجواب عليها ثم لا نلبث أن ننشغل عنها بما فى القصص من فن قوى ودفعات شديدة . أما ذلك الجواب الذى نكاد نلمحه فى ثنايا القراءة فهو أن المؤلف يطل على الحياة من نافذة خاصة لا يكاد يعبأ فيها بأزياء من يراهم ولا بلغاتهم ولا بجنسياتهم ، بل يراهم جميعاً مجردين من كل الظواهر ، ويتغلغل إلى ما فى أعماق قلوبهم من الدوافع البشرية . أقول إن هذا جواب نكاد نلمحه لأننا لا نلبث أن نجده فى القصة الثالثة « سيدة صالون » يتحدث عن مصر وعن اضطراب القيم المعنوية فيها وعن التيارات الخفية التى تؤثر فى حياتها . على أننا مع هذا نحس أيضاً بأن المؤلف لا يكاد يمضى فى حديثه عن مصر وعما أصاب القيم المعنوية فيها من اضطراب حتى يعود إلى أشخاصه فيجردهم مرة أخرى من مظاهرهم وأزيائهم وجنسياتهم ولغاتهم ويتغلغل إلى أعماقهم فلا يبقى منهم إلا العنصر البشرى الكامن تحت السطح .

ولهذا نستطيع أن نقول : إن لإحسان منحى غالباً يميز فنه وأسلوبه وهو المنحى الإنسانى التحليلى . فهو فى القصة الأولى يكشف لنا عن طبيعة فتاة نشأت شاذة منحرفة ، وبلغت شبابها ثم كمال أنوثتها وهى شاذة منحرفة ، ولكن صديقها الشاب استطاع أن يعالج شذوذها وانحرافها ، حتى يعود بها إلى إنسانة تكاد تبلغ مرتبة السمو ، على حين ينحدر هو إلى هاوية سحيقة بعد أن كان يحلق فى الذرى الشاهقة . والمؤلف فى كل هذه الزوبعة الإنسانية يتعمق الطبائع ويسبر أغوارها فلا يكاد القارئ يرى فى كل ما يمر به شيئاً خارقاً للطبيعة ولا متكلفاً .

وأما فى القصة الثانية فالمؤلف يصور لنا لوحة أخرى . فتاة أجنبية عبثت بها المقادير عبثاً شديداً فكانت أسرتها مزيجاً من أجناس شتى ، وعبثت بها الحياة فكانت مثل ريشة فى مهب عاصفة ، وعبثت بها الطبيعة فكانت خليطاً من حواء وشيطانة . ولكنها مع كل هذا كانت تستدر العطف أو الإعجاب .

وأما فى القصة الثالثة ، فهناك امرأة خلابة لعوب صلبة كالفولاذ تحتطب من الحياة أو تطلب منها الذهب مع زوجها الأفاق . غير أن المقادير تعثر بها عند شاب صحفى عجيب جرىء

بين المجلة وقرائها

ترد إلينا رسائل كثيرة بين شعرية ومرسلة تدور كلها حول الوثبة الجليلة التى حطم بها جيش مصر الباسل أغلظ الأغلال التى كانت تثقل أعناقنا .

وإذا كنا لا نستطيع أن ننشرها جميعاً فذلك أن لهذه المجلة غاية معروفة ووظيفة مقدورة ، على أننا مع هذا ننشر هذا الخطاب الذى بعث به إلينا حضرة الأديب أمين أمين بدر الطالب بمعهد القاهرة لأنه مثل من الأمثلة التى تدل على ما تمتلىء به صدور الشباب المصرى من الحماسة الطاهرة ، غير أن أمور الإصلاح فى الميدان الاقتصادى لايكفى فيها النظر إلى ظواهر الأمور ، ولابد أن يتوفر على دراستها أصحاب الاختصاص من الفنيين قبل أن تقوم الحكومة على تناول شىء منها . وقد كتبنا فى العدد السابق كلة فى هذا المعنى ، ولسنا نشك فى أن المصريين جميعاً يحسون أعمق الإحساس بأن الدولة مطالبة بعمل شىء فى سبيل إصلاح النظام الحالى فى الملكية الزراعية وغيرها ، ومع هذا فإننا واثقون بأن المسئولين القائمين على شؤون الحكم فى هذه الأيام يتجاوبون مع الشعب المصرى فى مشاعره وفى غاياته وآماله وآلامه ؛ ولذلك نرى من حقهم علينا أن نشعرهم بما نحسه ، ثم ندع لهم فرصة الدرس والبحث حتى تتكشف لهم الحقائق من كل نواحيها ، فاذا ما تكشفت لهم لم ينكصوا ولم يترددوا فى الإقدام على كل ما يحقق العدالة الاجتماعية والمصلحة القومية . (المحرر)

إلى حضرة رئيس تحرير مجلة الثقافة الغراء . . . تحية واحتراما . وبعد :

لاشك أن كل مصرى كريم يغبط نفسه على ما أصاب بلاده من خير عميم ونهضة مباركة . ولاشك أن كل مصرى كريم يفكر دائما فى كل أمر يهم مصر العزيزة فى هذا الوقت الذى نعيش فيه .

ومما لايختلف فيه اثنان أن من أولى الأمور بالبحث السريع والتنفيذ الحاسم هذا الذى يتردد على الألسنة ويتناوله كل ذى رأى صائب وغرض نبيل وهو تحديد الملكية الزراعية .

وكل من ينظر بصدق وإخلاص إلى حالة الفلاح المصرى وما يعتوره من بؤس وشقاء ليرى فى إلحاحى على المسئولين أن يجعلوا فى مقدمة ما يتناولون بالبحث والتنفيذ مشروع الملكية الزراعية التى طالما نادى به الكثيرون فى العهد الأخير ، واتهموا فى وقتها بالطفرة تارة والشيوعية أخرى ،

من عادته أن يمسك فى يده كأس الخمر طول مدة السهرة ولا يذوق منها حسوة . شاب متهور صريع إلى حد الوقاحة متحلل من كل قيد وكل حد إلى حد السمو عن كل قيد وحد . وأغرمت المرأة بالشاب غراماً شديداً ، وأغرم بها الشاب كذلك ، فذابت المرأة الخلابة العوب الصلبة التى تشبه الفولاذ ، ولكن الشاب المتحلل من القيود كلها خرج من التجربة وهو مثل حد السيف الذى يقطع فى غير مبالاة .

فالقصص الثلاث تعرض فى كل مرة نموذجاً أو نماذج بشرية خالصة بعيدة عن البيئات والجنسيات واللغات تظهر كيف تتحرك النفوس الإنسانية وكيف تتأثر بميراثها الطبيعى ونشأتها وظروف الحياة المحيطة بها . فالأستاذ إحسان يعرض علينا جانباً من هذه الحياة المضطربة التى نعيش فيها ، ولكن على طريقته الخاصة التى لا تكاد تشبه طريقة أخرى ، طريقة التحليل والكشف والتشريح والرؤية من عدسة المجهر .

وهو فى ذلك يختلف اختلافاً عظيما فى منحاه عن زميله وصديقه يوسف السباعى الذى يظهر لنا الناس كما يضطربون فى الحياة بعضهم إلى جانب بعض ، وكما يصطدمون فى الحياة بعضهم مع بعض . فأشخاص قصص إحسان يعرضون علينا تفاصيل طبائع أنفسهم من أعماقها ، وأشخاص يوسف السباعى يعرضون علينا عواطفهم ، ودوافعهم ، وحركات أيديهم ، وملامح وجوههم ، ويسمعوننا أخفى خلجات ضمائرهم . إحسان محلل نفسانى ، ويوسف شاعر شعبى ، وكلاهما فنان مبدع فى منحاه .

وأما أسلوب إحسان فأكاد أقطع منذ الآن بأنه أسلوب «ستويفسكى» ، وأنه لا ينتظر لتمام وضوحه إلا أن يخرج القصة الطويلة التى ننتظرها .

ف

ليرى أن هذا الإلحاح لا يعتوره غرض إلا مصلحة الفلاح المغبون . إنى أكاد أذوب أسى ولوعة حينما أرى الفلاح المسكين يعيش فى جوع وتشريد وجهل مطبق وأمراض لا ترحم وإجهاد عنيف فى سبيل لقيمات يمن عليه بها أسياده الذين يرفلون فى حلل من الديباج ، ويمرحون ويرقصون طول العام فى باريس ودوفيل ومغانى أوربا وملاهيها .

لماذا لا يرعوى هؤلاء ؟ لماذا لا يعتبرون بالأحداث ؟

إنى لا أعلم أن هناك أناساً خلقهم الله من غير الطين والتراب ، ولكننى أتناسى هذه الحقيقة حينما أرى هؤلاء وهؤلاء . بؤس وشقاء ، وجهل ومرض هنا ، ولذة ونعيم وثراء فاحش هناك . ربّاه ! أيمكن أن يخلق هؤلاء وهؤلاء من طينة واحدة ؟

إن الذين يقترحون علاجاً للفلاح تخفيض الإيجارات والضريبة التصاعدية لقوم بين أمرين : إما أنهم غير جادين فى البحث عن العلاج الحاسم النافع ، وإما أنهم لم يعرفوا الفلاح المصرى بعد . لم يلمسوا حالته عن كثب ، ولم يشاهدوا شقاءه وبؤسه ، أو يخالطوا فقره وجهله .

إننا فى عهد لا يمكن أن ننسى فيه الفلاح ، وإلا باءت كل نهضة بالفشل الذريع ، ورجع كل إصلاح بالخيبة والندم .

إننا نريد أن ينعم الفلاح بحق الملكية الباحة ليعرف أنه يشقى طول النهار لنفسه وأولاده ، ويكدح طول النهار لمنفعته ورفاهيته . هذه صيحة لوجه الحق أعتقد أنها جديرة بعناية المسئولين وهم والحمد لله أمناء على الوطن ، ذوو دراية وعلم بشأن البلد والفلاح المسكين . وفقهم الله لخير مصر وأهلها وسدد خطاهم وألهمهم الخير والرشاد .

أمين أمين بدر
طالب بمعهد القاهرة الدينى

كتاب إلى الزعيم .. من مواطن

فى عدد الأهرام الصادر فى ٣ أغسطس سنة ١٩٥٢ م . أن جريدة « فيير كوريير » لسان الأمريكيين فى النمسا . كتبت مقالاً عن الأحداث التى وقعت فى مصر منذ يوم الأربعاء الماضى عرضت فيه الكلام عن الحركة الوطنية ممتدحة جهود اللواء « محمد نجيب » والخطوات التى تمت على يديه حتى الآن ، ثم قالت « ويجب عليه — تقصد اللواء محمد نجيب — أن يكون محاذراً من الساسة المسئولين على الفساد وهم يحاولون استرداد مراكز السلطان ، واستمالة اللواء إلى جانبهم » « فإذا قبل اللواء محالفتهم ، فإن ما قيل عن دعائم الحكومة القوية على أساس شبه ديموقراطى ، سينهار من البداية ، لأن الناس لا يطيقون مزيداً من فساد الباشوات الناهضين للإصلاح ... اهـ » وقفت أتأمل هذا الكلام الذى ذكره الراسل على لسان « فيير كوريير » وبدا كأن المستقبل الذى لاح لى منذ يوم الأربعاء الماضى — كالقمر الباسم فى علاه ، يتناءى عنى ويتباعد ، وترتفع بينى وبينه حجب الظلام . . . ثم غامت عيناى بالدموع ، وذهبت فى مجاهل التفكير . .

هؤلاء « الباشوات » لم يكونوا من أهل الكهف يوم كان الملك « المخلوع » وناصحوه ، يعبثون بالدستور ، ويستهترون بالنظام ، ويمتهنون إرادة الشعب ، بتلك الصورة التى توالى الصحف عرضها يوماً عن يوم . كانوا يملأون المقاعد فى الصفوف الأولى ليتهافتوا أمامه ، ويحنوا جباههم قدامه ، موارين الحقيقة عن الأعين خلف ستائر الصمت والكتمان البليغين . . . بينما الوحوش الضارية تنهش جسم الأمة الجائعة الفقيرة ، والداء الوبيل عائث فى كيانها فساداً . هذه الأمة التى أنبتتهم أرضها ورفعتهم إلى مصاف زعامتها ، وحملتهم أمانة الدفاع عن حقوقها ومصالحها ، لم يقولوا باسمها أو من أجلها كلمة واحدة فى وجه الطغيان والفساد ، وهم النواب عنها ، وممثلو الهيئات والجماعات فيها . وبعد : فهاهم أولاء اليوم يذهبون لعناق الزعيم فى مقر القيادة العامة ، مؤيدين ومناصرين للعهد الجديد . فقد بقى أن نعرف ولابد لنا — أن نعرف — لمصلحة من هذا العناق ؟ .

أهو لمصلحة مصر ، ومن أجل رخائها واستتباب النظام والسلام فى ربوعها ، أو لمحاولة استرداد مراكز السلطان واستمالة اللواء إلى جانبهم كما جاء فى « فيير كوريير » .

إن الجواب على ذلك يتركز فى شخص معنوى واحد هو اليوم محط رحال آمال المصريين جميعاً ، وهو اللواء « محمد نجيب » ومن معه من أبناء مصر البررة رجال الجيش البواسل .

٥ أغسطس سنة ١٩٥٢ م

محمد على هدية
مدرس

٤ – حـــواء جـــديدة (١)

ملحمة شـــعرية

للأستاذ محمد فهمى

وسرَتْ صرخةٌ يرنُّ صداها
فزِّعَ الخلد فاغتـــدى يتزلزلْ
سكنَتْ طيره الشـوادى وراحتْ
غارقاتٍ فى صمتها تسترســـلْ
الأغاريدُ كُبِّلت فى لَهاها
ترقُب الذُّعر فى ارتياع التأمل
أىُّ خطبٍ دها الخلودَ ؟ أحقّت
غضْبةُ الله .. ؟ لا .. وكيف تحوّلْ ؟
إنَّ هذى جِنانُه الفِينُ تَنْدَى
بشــذى القُدْس فى الرياحين مُنْزل
ودعاه من الملائك يهمى
سُدَّةُ العـــرش كم له تتهلل
فلحونٌ بها التضرُّع عَرفٌ
ولحونٌ رنينهنّ التوسُّــــل
وحفيفُ الغصـون همسةُ سرٍّ
باحها النَّسْم للجـواء ورتّل
كيف عادى الرَّدى يكاد يُغشّى
جنـــةَ الله فالمناء مكبّل ؟ !

* * *

وإذا الجوُّ قد تغشّى وأظلمْ
بدخان على الفرادس حوّمْ
وسحابٍ به الرعود تُدمدِمْ
ولهيبٍ من السماء تضرّمْ

ربّاه .. ! تلك عصابة الشيطانِ
إبليسُ بين صِحابهِ النُّكرِ
ما بين جِنِّىٍّ يشبه ذَبانِ
أو بين حامل راية الشرِّ !

إبليس يتقدم مخاطبا الملائكة :

أأنتمو قد فرغـتمْ ؟ !

(ثم هاتفاً بأصحابه)

هيّا إذن لِنتمْ ...

أحد الملائكة — إياك أن تتقدم !

إبليس مندهشاً :

إنّى الذى يُولى الفتونَ وأستكنُ بمقلتَينْ
وأسعِّر الإغراء مشبوبَ الاوارِ بناهدَينْ
وأفجِّر السحر الشهىّ جدا ولاً فى خافقينْ
وأُبارِكُ الوجد العتىّ لروضتين وزهرتين
فأشيد للّهب المقدس ... معبدين وعاشقين !

أحد الملائكة لإبليس :

كيف التدنُّس تدّعيهِ عبادةً يا سوء حالكْ ؟
فالشهوة الحمراء شيطانٌ وظلٌّ من ظلالكْ
نَزلت على روض الغرام فعاد مشبوبَ المسالكْ

إبليس :

بل أخصبَتْ أرجاؤهُ وأتتْ ثماراً طيّبهْ
من كل حىٍّ يشتهى أو كل أنثى راغبهْ ..!

أحد الملائكة :

لهفى على الصدر اكتوى بالحقد يا كل ربَّهْ
أشعلتَ فيه أيا خبيثُ لظًى يُزلزل جَنْبه

---

(١) من ديوان أغاريد للأستاذ محمد فهمى

ودفعتَ للإجرام قلباً لم يُقارفْ ذنبهُ
كم ذابحٍ نفساً ومنكَ الحقد حجّر قلبَهُ
أو ظالمٍ ركِبَ الشرور وأنت تُزجِى ركبَهُ

إبليس ضارباً كفا بكف :

حسبتم ماهم صفواً ... وربّي إن ذا عجبُ
لئن كنا زرعنا الشر ... تُربتهم ثرّى خصِبُ

أحد الملائكة محتداً :

يا بئس ما تجْنِى وصحْبك فى الدُّنا
حالَ الوجودُ مباءةً للشرّ
هذا الملاك يسير من آفاقنا
ليكون فيه مبشراً بالخيرِ
أضْفَى الإله عليه من أنوارنا
وجلا إليه خافيات السرّ

إبليس محتجاً :

لظلمٌ أن يسير إلى ذئاب
بغير مخالبٍ أو غير نابِ
وكيف يعيش لا الأطماع تنْزو
وتدفع فُلْكه وسْط العُباب ؟
وكيف إذا أُصيبَ بظلم باغٍ
أليس يثور ؟ أو لوماً يُحابى ؟
وكيف إذا أَحَبَّ هناك يوماً
أليس يحس من تلك الرّغاب
[مشيراً إلى شياطين الشهوة]
وكيف يجيد دفع الضرّ عنه
وما يدرى بأسرار الضِّرابِ
لأنتمْ تبتغون له هلاكا
[ثم مشيراً لأتباعه]
فهيّا نفتديه يا صحابى . .

ويقفز إبليس فيصير بجانب حواء وتسرع الشياطين فتحوطهما فى شبه حلقة بينما الملائكة فى ذهول ودهشة .

إبليس يبارك حواء ، والشياطين تقفز وتدور وهى تردد مقاطع نشيده .

نشيد إبليس

بوركتِ يا حوّائى ... يا كوكب الإغراء
كالشُّعلةِ الرَّعناء ... كالحيّة الرّقطاء
بوركتِ يا حوّائى
أنتِ المُنَى للشهوهْ ... أنتِ الهوى والصّبوهْ
يا صرخةً للنّزوهْ ... يا مسرحاً للنشوهْ
بوركتِ يا حوائى
إسرِى بفَوْر النفسِ ... خَفْقاً سَرِيَّ الهمسِ
أو ثورةً فى الحسّ ... تجتاح طُهر الغَرْسِ
ثم ارقصى للرِّجسِ
إسقِى أسيرَ رِغابكْ ... فالرِّيُّ شُهد رضابكْ
والخلد نهرُ شرابك ... والغىُّ قَيْدُ صوابكْ
إغوى بسحر القُبلهْ ... كالوردة المبتلّه
بالقامة المستلّهْ ... أو ضجعةٍ فى ليلهْ
إغوِى ... أيا حوائى
باللحظ والإيماء ... باللمسة السجواء
فى الليلة القمراء ... فى النور والظلماء
إغوِى ... أيا حوائى
السحر فيكِ سكينتُهْ ... نهر الجوى رقرقتُهْ
وقْد اللّظى أجّجتُه ... بالسر قد حضنتُه
بالشهوة الحمراء
بوركتِ يا حوائى ... يا كوكب الإغراء
كالشعلة الرعناء ... كالحيّة الرّقطاء
بوركتِ يا حوائى

وهنا يشرق نور إلهى يغرق الجميع فى سناه فإذا بالملائكة ترتل هاتفة .. قدوس ... قدوس ... قدوس ... وتختفى الشياطين وتصحو حواء كأنها من غيبوبة ... فتشارك الملائكة فى التهليل للنور الإلهى

(لها بقية) ... محمد فهمى

ديوان عزيز

[أهدت إلينا دار المعارف مجموعة شعر « ديوان عزيز » للشاعر النابه وفقيد الحرية الكريم عزيز فهمى . ولسنا نجد تحية لهذا الديوان خيراً من أن نقتطف منه زهرة نهديها إليه ، وهى « يا قارئ الكف » .

وسيرى القارئ كيف كان الشاعر يحس بقلبه المرهف وحى القدر المخبوء له فى ضمير الغيب .

يا قارئ الكف

يا قارئ الكف ماذا أضمر القدر ؟
ولا عليك إذا لم يصدق الخبر
وما اهتمامك باسمى ؟ هبه عنترة
وهبه زيداً . . وجدى عمرو أو عمر
عليك بالكف فاقرأ بين أسطرها
ماذا يدل عليه الخط والأثر
أطالع اليمن أن الخط متصل
وآية النحس أن الحد منبتر
وما الشيات(١) على جنبى ثمانية
تبدو كوشم وتخفى حولها غرر ؟
خبّر عن الفأل لا تحفل فسانحة
عندى كبارحة والشر ينتظر
هل أنسأ الله فى عمرى إلى أجل
يلح فيه على الهم والكبر ؟
وهل أبلغ آمالى ؟ وأبعدها
عندى كأقربها ناء ومحتضر
هبنى ظفرت بآمالى على ظمأ
إذا ارتويت فماذا يعقب الظفر ؟
وهل أوسد حزناً(٢) حرّة(٣) وحصى
فى جوف هاوية أغوارها حجر
أم هوجلا(١) قذفاً(٢) تنبو براكبها
لا البيد عبدها يوماً ولا الحضر
قفراء جرداء لم تكلأ حشائشها
إلا السوافى ولم يعلق بها مطر
أم تقدح النار من حولى فتطعمنى
حياً وأشوى بها أيان تستعر
أم أنى فى مسبح الحيتان منقلبى
يوم الرحيل إذا نادانى السفر
قل ما بدا لك واهرف غير مبتدع
فالرجم بالغيب ـ لو تدرى ـ هو الهذر
اللحد كالمحد والأكفان واحدة
ولا خيار لميت حين يدّثر
والمال كالعدم لولا أنه أمل
إن الغنى إلى الأموال مفتقر
والسعد حال على الإنسان طارئة
(وعند صفو الليالى يحدث الكدر)
لولا التشابه فى الأقدار ما صدقت
عرّافة الحى من توفى لها النذر

---

(١) جمع شية ، علامة .
(٢) الحزن ما غلظ من الأرض كالحزنة .
(٣) الأرض ذات الحجارة .

(١) الهجل المطمئن من الأرض ، والهوجل : المفازة البعيدة لا علم بها .
(٢) فلاة قذف محركة بالفتح وبضمتين كصبور : بعيدة .

بيـــان

عن الدعوة الإسلامية الروحية ووسائلها

جاءتنا رسالة من الرابطة الإسلامية الروحية تتحدث عن الإسلام ودعوته العامة الشاملة للإنسانية جميعها ، وهى دعوة يحتاج العالم كله إليها فى هذا الوقت الذى تظهر فيه الحوادث الخطيرة مقدار حاجة العالم إلى سند روحى يعيد إليه الطمأنينة والحياة الفاضلة ، بعد أن ظهر فساد الدعوة المادية وما ينشأ عنها من تطاحن يكاد يهدم المدنية من قواعدها . فهى هذه الدعوة الجديدة تساعد على نهضة العالم الإسلامى وسبقه إلى تحقيق الطمأنينة العالمية .

وزارة المعارف العمومية

إعــلان

تعلن الوزارة عن حاجتها لمدرسين بالمدارس الثانوية الصناعية والمدارس الابتدائية للصناعات حسب البيان الآتى :

أولا — المدرسون — من الحاصلين على دبلوم الهندسة التطبيقية (عادية أو عليا) أو الفنون والصناعات أو الفنون التطبيقية (عادية أو عليا) .

وذلك فى الاختصاصات الآتية :

ميكانيكا — سيارات — عمارة وأعمال صحية — نجارة أثاث — حفر خشب — نسيج وسجاد .

ثانياً — المدرسون العمليون — من الحاصلين على دبلوم المدارس الصناعية نظام الخمس سنوات حديث أو شهادة المدارس الصناعية (الأقسام الثانوية) أو شهادة إتمام الدراسة بالمدارس الصناعية نظام المحول ترجمة ر. قديم أو ثانوى قديم أو ما يعادلها (متلوف) و (...) فى الاختصاصات الآتية :

خراطه . كهرباء — ميكرة — سيارات — سجاد — نجارة أثاث — خرط خشب — نقش (عادى ، عمارات) — نحت — حفر خشب — جلود .

ويشترط فى المتقدمين للوظائف الموضحة فى أولا أن يكونوا قد قضوا سنتين على الأقل فى التمرين فى اختصاصاتهم عقب حصولهم على الدبلوم وأن تكون نسبة نجاحهم فى الدبلوم ٦٠ ٪ على الأقل .

كما يشترط فى المتقدمين للوظائف الموضحة فى ثانياً أن يكونوا قد قضوا ثلاث سنوات على الأقل فى التمرين فى اختصاصهم عقب حصولهم على الدبلوم أو الشهادة فى إحدى المصالح أو الشركات المعروفة وأن تكون نسبة نجاحهم فى الدبلوم أو الشهادة ٧٠٪ على الأقل .

ويمنح من يقع عليه الاختيار المرتب والدرجة حسب المؤهلات الحاصل عليها وتقدم الطلبات للوزارة على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح بعنوان (حضرة المدير العام للتعليم الصناعى بوزارة المعارف) بحيث تصل فى ميعاد لايتجاوز ٢٨ أغسطس سنة ١٩٥٢ . على أن يبين بهذه الاستمارة نوع ومدة الخبرة العملية التى قضاها الطالب بعد تخرجه والجهة التابع لها الآن . وإذا كان الطالب موظفاً بإحدى المصالح الأميرية فعليه أن يقدم طلبه بواسطة المصلحة التابع لها مشفوعاً برأيها مبدئياً .

ملاحظات :

١ — لا يلتفت إلى الطلبات السابق تقديمها قبل أو بعد موعد الإعلان .

٢ — لا يلتفت إلى الطلبات الغير مستوفاة الشروط المبينة بعاليه .

٣ — سيطلب ممن يقع عليهم الاختيار لشغل الوظائف الحالية — الشهادات الدالة على استيفاء الشروط المبينة بهذا الإعلان — ولا تقدم هذه الشهادات إلا عند الطلب

الثقافة

العـــدد ٧١٣

٢٥ من أغسطس ١٩٥٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر

الثمن ٣٠ مليما

25 Aug.

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز الدكتور أحمد أمين

رئيس التحرير المسئول محمد عبد الواحد خلاف

الإدارة

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٢٥٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العـــدد ٧١٣ الاثنين ٤ من ذى الحجة سنة ١٣٧١ — ٢٥ من أغسطس سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة عشرة

لا إقطـــاع !

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

لست أريد هنا أن أعقد بحثاً فى تاريخ الملكية الزراعية فى مصر ، ولكنى أحب أن أشير إشارة عامة إلى حقيقة تاريخية ثابتة وهى أن الأرض الزراعيـة فى مصر كانت دائماً تنتقل من أيد إلى أيد أخرى على أساس لا يشبه الملكية التامة ، بل هو أشبه بحق الانتفاع الإقطاعى منه بحق الملك .

والملكية الزراعية بالمعنى المعروف اليوم ليس إلا وليـد السنوات المائة الماضية منذ عهد سعيد باشا . وكانت فكرة سعيـد باشا فى توزيع الأرض الزراعية على أهل الريف أن تكون تلك الأرض فى أيدى المنتجين الذين يقومون بزراعتها فعلاً . ولكن الذى حدث منذ أيام سعيد غير الأوضاع المقصودة عند توزيع تلك الأراضى ولا سيا بعد أن قامت الحكومة بمشروعات الرى والصرف ، وأصبحت الزراعة ميداناً صالحاً لاستثمار الأموال ، فعمد الأثرياء إلى شراء الأرض الزراعية لا لكى يفلحوها بأيديهم ، بل لكى يحصلوا من ورائها على دخل مضمون يكفل لهم حياة رغداً بغير أن يبذلوا فى فلاحتها أى عناء . وكانت أثمان الأرض الزراعيـة مقياساً صحيحاً لإقبال رؤوس الأموال على شرائها أو امتناعها عنها ، فكانت رؤوس الأموال إذا تكاثرت فى أيدى الأثرياء زاد الإقبال على الشراء فزادت أثمان الأطيان زيادة كبرى ، وإذا قلت رؤوس الأموال قل الإقبال على الشراء فهبطت تلك الأثمان .

والدليل على هذا واضح فى مثلين ظاهرين : أحدهما ما حـدث فى عام ١٩٢٠ عندما ارتفع ثمن القطن وكثرت الأموال فى أيدى المضاربين فزادت أثمان الأراضى الزراعية زيادة كبرى لأنها اتخذت مجالاً للاستثمار المضمون الربح . والمثل الثانى ما هو حادث فى أيامنا هذه عندما كثرت الأموال فى أيدى المضاربين ومتعهدى التوريد للجيوش ولغيرهم ممن أثروا ثراء فاحشاً فى مدة الحرب الأخيرة ، فإن أثمان الأطيان قد بلغت حداً يكاد يكون خرافياً . فالفدان الواحد يباع بأكثر من ألف جنيه إن لم يكن بألف ومائتين أو ألف وثلثمائة .

ومعنى هذا أن الأرض الزراعية قد أصبحت موضعاً للمضاربات مثـل أى سلعة أخرى فى البورصة ، وأنها قد أصبحت وسيلة للحصول على الربح بغير عناء ، وأنها تعتبر وعاء مضموناً لرؤوس الأموال الزائدة خوفاً عليها من الضـياع أو خشية هبوط قيمتها من أثر التضخم . على أن المنتج الحقيق وهو العامل الفلاح والمستأجر لم يصيبا شيئاً من الفائدة من كل هـذا التضخم ، بل الصحيح أنه قد زاد فقراً على فقر

وسعه حتى شدته . لقد تغالى أصحاب الاراضى فى إيجارها لكى يجعلوا فائدة رؤوس أموالهم مناسبة للأثمان العالية التى دفعوها ، وغلت أسعار المنتجات الزراعية وتلاها علو أسعار المعيشة كلها ، فإذا كان دخل العامل الفلاح والمستأجر قد زاد بعض الزيادة ، فإن تكاليف الحياة قد زادت أضعافاً . وليس من المبالغة فى شىء أن نقول إن مستوى الحياة قد هبط هبوطاً ملحوظاً فى هذه الأيام بالرغم من الزيادة الظاهرية فى الأجور أو المكاسب . والأصل فى الأرض الزراعية أن تكون سلعة محترمة لا ينبغى أن تدنس بالمضاربات لأن الأرزاق تتوقف عليها . والاقتصاد القومى يعتمد إلى حد كبير عليها . والأصل فيها كذلك أن تكون فى أيدى الذين يستطيعون أن يستفيدوا بها ، سواء أكانوا يستفيدون بها بعملهم المباشر أو بإدارتهم وتنظيمهم وذكائهم . وهناك فرق كبير بين فدان الأرض وبين الأسهم والسندات فى الميدان الصناعى . فالأسهم بطبيعتها تنتقل من يد إلى يد بغير أن يتأثر المشروع الصناعى بذلك الانتقال . فالإدارة الصناعية مستمرة فى عملها ، والخبراء والعمال يباشرون أعمالهم غير مبالين بالأيدى التى تملك أسهم الشركة التى تملك تلك الصناعة . وأما الفدان فإنه متصل اتصالاً مباشراً بالذى يملكه ، والذى يفلحه . الفدان هو المجال المباشر للعمل الإنسانى ، وهو يتأثر بالمالك الذى يملكه والفلاح الذى يفلحه . وهو يؤثر كذلك تأثيراً مباشراً فى الناس الذين يعيشون عليه . بل إن أثره يتعدى إلى الحياة الاجتماعية والسياسية ، فلا يقتصر على الناحية الاقتصادية وحدها . ولنتصور قرية من القرى أصابها داء الحرب بما يشبه الجرب فأصبحت كل أراضيها ملكا لرجل من الذين أثروا ثراء فاحشاً فى مدة الحرب ، من هؤلاء الذين وردوا التموين للجيوش المحاربة أو الذين اتجروا فى الأسواق السوداء ، أو الذين ضاربوا فى الأرزاق فى البورصة ، أو الذين سرقوا فى المقاولات الإنشائية الحربية وغيرها ، أو الذين جمعوا الأموال من تجارة المجون والفجور ، أو الذين خانوا أماناتهم واستغلوا نفوذهم للإثراء الفاحش . لنفرض أن القرية أصيبت بأن أصبحت كل أراضيها ملكا لأحد هؤلاء . . بل لنفرض أن تلك الأراضى أصبحت ملكا لشركة يديرها مدير مأجور من الشركة أو ملكا لوقف من الأوقاف المسماة خيرية أو أهلية يديرها مفتش أو مأمور أو غير ذلك من الوظفين فماذا يكون حال أهلها ؟ ماذا يكون نصيبهم من الإنسانية والكرامة والحرية ؟ إن قرية مثل هذه تضم ألفين أو ثلاثة آلاف أو خمسة آلاف من الناس تكون بغير شك تحت تصرف المالك أو الموظف المتصرف ، تأتمر بأمره وتصدر عن أهوائه . وأمثال هؤلاء الملاك هم الذين يعينون العمد للقرى ، وهم الذين يتصرفون فى مصاير الناس ، يحرمون من يشاءون ويعطون من يشاءون ، لا يملك جمهور الأهلين منهم إلا الخضوع الذى لا يختلف فى شىء عن العبودية .

لقد ثارت الشعوب فيما مضى من العصور على النظام الإقطاعى لأنه كان نظاماً فاسداً مثل هذا . كان النظام الإقطاعى لا يزيد على استيلاء فرد أو أسرة على أرض الإقليم يكون فيه الأمر والنهى والسيادة للأمير الإقطاعى أو أسرته . ولا حاجة بنا إلى ذكر المفاسد الإنسانية التى أنتجها هذا النظام الإقطاعى وهى التى أدت إلى الثورات وأدت إلى زواله من الوجود . فالظروف التى أدت إلى تكدس الأطيان المصرية فى أيد قليلة قد أدت فى الوقت عينه إلى نظام يشبه نظام الإقطاع البائد ، وأصبحت مصر اليوم مثلا حديثاً من أمثلة الإقطاع بعد أن انقرض من العالم المتمدن .

فليتحدث الخبراء كما يشاءون عن النتائج الاقتصادية وعن زيادة الإنتاج أو قلته ، وليقولوا ماشاءوا فى جانب تحديد الملكية أو ضد تفتيت الملكية . ليقل الخبراء الاقتصاديون ما يشاءون فى الناحية المادية للاحتكار الزراعى الموجود فعلا فى مصر ، ولكنا لا نظن أن هذه الناحية أخطر نواحى الموضوع . فإن الإنسان وحده هو سيد الأرض ، والإنسانية وحدها هى أول اعتبار فى الحياة . وكل نظام يؤدى إلى إهدار كرامة الأفراد أو الضغط على حريتهم بالقبض على مورد أرزاقهم ، كل ما يعارض الحرية الديمقراطية الصحيحة يجب أن يزال أولا مهما كانت نتائجه المادية أو الاقتصادية . يجب أن يرتفع عن كاهل أهل القرى سلطان الأمراء والأثرياء وزعماء الأسر التى تقبض على حياة القرويين بيد من حديد . يجب أن تعاد إلى أهل القرى إنسانيتهم التى كانت هى المقصودة عندما أعاد سعيد توزيع الأرض على أهل القرى .

مصر الخـــالدة

[لم أصنع لمصر شيئاً وإنما مصر هي التي صنعت كل شيء]
« اللواء محمد نجيب »

أنجبت مصر شباباً قد تحدى الأنجما
دفعتهم مصر للمجد فساروا قدما
تخذوا الشمس إلى فجر المعالي سلما
أيقظوا القوة في الشعب وأحيوا الهمما
بالدم الغالي وبالأنفس لفوا العلما
كان آباؤهم من قبل أعلى قدما
دانت الدنيا لهم يوماً وسادوا الأمما
عمروها بالحضارات وشادوا الهرما
هذه آثارهم في الكون تُفني العدما
اسألوا التاريخ عنهم واستعيدوا القدما
لتروا آبائي الصيد ومجد العظما
هم جدودي فأروني مثلهم في القُدما

* * *

درجوا في هيكل الرفعة والمجد العريق
وسقتهم مصر من منهلها طعم الرحيق
ورأوا في صفحة النيل سنا الماضي السحيق
شع في أنفسهم نوراً . وناراً في العروق
شب في الأفئدة الحرة وجدا كالحريق
وتراءى العزم في الأعين مشبوب البريق
نفروا من ربقة القيد ومن عيش الرقيق
وأرادوا أن يعيشوا عيشة الحر الطليق
أيقظتهم قسوة الظلم وأهوال الطريق
لا يطيق الحر أن يحيا ذليلا لا يطيق
وشباب النيل حر وهو بالمجد خليق
لن يذوق الشعب بعد اليوم ظلما لن يذوق
حطم الأصنام والظلم وعباد الفسوق

* * *

إنما اليوم الذي حرر مصرا يوم عيد
صاغه الله على عينيه للشعب نشيد
إنه معجزة سارت بأنحاء الوجود
إنها وثبة شعب عاش دهرا في القيود
صنم حطمه الظلم وأهواء الوليد
بعد ما جرع هذا الشعب ألوان الصديد
هذه عاقبة الطغيان والطبع العنيد
أنكر الشعب وعاداه ، وتمادى في الجحود
وتمادى في الضلالات ولم يرع الحدود
كان ما كان ! ! تعالى الله ذو العرش المجيد

* * *

صفحة من صفحات المجد والعز التليد
بعثتها وثبة الأبطال في يوم الخلود
يوم أن قام « نجيب » وحواليه الأسود
التقي الورع الحر وذو الرأي السديد
الأبي البطل المصري ذو العزم الحديد
أنقذ النيل من الظلم ومن ذل العبيد
وحمى مصر من الفتنة والموت الأكيد
كل ما ذقناه من ظلم محال أن يعود
بارك الله لنا في الجيش والحكم الجديد

محمد عبد المنعم أبو سيف

على أن تحديد الملكية الزراعية لا يمكن أن يؤدي إلى ضرر اقتصادي أو إنتاجي . فكلنا يعرف أن أكثر الملكيات الكبيرة تعتمد في زراعتها على الفلاحين الذين يستأجرونها ، ولن يتبدل هذا الوضع ، سواء حددت الملكية الزراعية أم لم تحدد . فكل فلاح من أهل القرية ممن يعتمدون على استئجار الأرض سيجدد عقد إيجاره عاماً بعد عام إذا بقيت الأرض ملكا لصاحبها . فإذا آلت لغير ذلك المالك أو اشتراها هو بالتقسيط لم يتغير شيء من قوة الإنتاج ، ولم يضطرب شيء في نظام الاقتصاد الزراعي في مصر . فمن شاء من أصحاب الثروات الطائلة أن يستثمر أمواله ، فإن مجال الصناعة واسع ينتظر كل نشاط وكل رأس مال . وأما الأرض الزراعية فليست ميدانا للاستثمار لأن احتكار ملكيتها لا يقتصر على الاستثمار ، بل يكسب السيادة ويرغم الشعب على العبودية .

محمد فريد أبو حديد

خاطـــرة

— ٤٨ —

للدكتور أحمد أمين

الأخلاق التي جرت على وتيرة واحدة منذ مئات من السنين لا يمكن تغييرها بين غمضة عين وانتباهتها ، فالذين تعودوا أن يسمعوا بك وباشا عشرات من السنين يصعب عليهم أن ينادوا بأسمائهم من غير ألقاب ، ولذلك قرأنا اليوم أن فلاحاً نادى أحد الأغنياء باسمه فانهال عليه سباً وضرباً لأنه لم يلقبه بالباشا وهكذا . فنحن محتاجون إلى عشرين سنة أو أكثر لنتعود العادات الجديدة .

ومن هذه العادات أننا تعودنا إذا عرض أمر أن نرجع إلى الدستور القديم والقوانين القديمة نفتش عن رأيها في المسألة العارضة مع أن هذه القوانين والدساتير إنما وضعت لحياة عادية رتيبة ، أما الثورة فيجب ألا تخضع لهذه القوانين والدساتير يبحث عنها العقل بمنطقه الخاص وأسلوبه الخاص وتقديره للظروف الحاضرة من غير تقيد بالأساليب القديمة ، ولذلك عجبت من الحكومة عند نظرها مجلس الوصاية تبحث عن نص في الدستور القديم ، مع أن الدستور القديم لم يعرض للحالة التي عرضت لنا . وقد نشأ ذلك عن أن عاداتنا القديمة اعتمدت كل الاعتماد على التقيد بالنصوص والاجتهاد في تطبيقها ، فإذا لم تجد نصاً في قوانينها بحثت عن نص آخر في قوانين الأمم الأخرى ، وذلك لجمودها وعدم اعتيادها الحرية في تقدير مسائلها الخاصة بها ، وهذا يحتاج إلى زمن طويل للتمرين على الحرية . ولا نزال نرى الناس وقد خلعوا ملكهم يبحثون عن أحد يملكونه أو يعاملونه معاملة الملوك لأنه لم يتعودوا جواً لا ملك فيه إلا الله ، والذي يتعود الأسر يكره الحرية .

وقد قرأت مرة قصة طريفة ، وهي أن أسداً شحن من الهند على مركب ووضع في قفص ووكل عليه حارس ، وأرسل إلى إنجلترا وطالت مدته في القفص وكان الحارس يخدمه ويؤكله كل يوم . ولكن من سوء الحظ أن نسي الحارس باب القفص مفتوحاً فخرج الأسد من القفص ورعب ركاب السفينة إذ أيقنوا بهلاكهم وفتك الأسد بهم ، ولكن ما كان أشد عجبهم حينما رأوا الأسد يلتفت يميناً ويساراً ثم يدخل القفص ، لأنه لما ألف الأسر كره الحرية فعاد إلى ما اعتاد .

وهكذا الناس اليوم اعتادوا الأسر مدة طويلة والنفاق مدة طويلة ، فاحتاجوا إلى زمن طويل يلدون فيه جيلا جديداً نزه عن الأسر والعبودية . ومن هذا القبيل فزعهم من تحديد الملكية لأنهم ألفوا ملكية لا حد لها ، واعتقدوا أن الغنى والفقر من فعل القدر ، واعتادوا في ليلة النصف من شعبان أن يطلبوا من الله إن كان كتبهم فقراء أشقياء أن يكتبهم ثانية أغنياء سعداء ، ولم يستطيعوا أن يعتقدوا أن الغنى والفقر ناشئان من النظم الاجتماعية ، وأن من الممكن أن يوضع نظام جديد يقلل من غنى الأغنياء ويضيع فقر الفقراء .

كل هذا يدلنا على أن الثورة أسهل من نتائجها ، وأن هذه النتائج أخطر مما يتصوره الثائر . ومن أصعب شئونها أنها تحتاج إلى عقلية جديدة تواجه بها المشاكل الجديدة مع أنها ألفت القديم ، وتحاول أن تعالج الجديد بالعقلية القديمة .

ومما يجعل الأمر صعباً أن كل ثورة تختلف عن غيرها بالنسبة لأحداثها والظروف المحيطة بها ، والعقلية القديمة تحن دائماً إلى القياس على حوادث التاريخ ، فينشأ الخطأ لأنه يكون إذاً قياساً مع الفارق .

ومما يتعب الثورة أيضاً أن كل جماعة حدثت فيها ثورة لا تخلو من قوم يكرهون هذا التجديد ، لأنه أحياناً يذهب بجاههم ، وأحياناً يذهب ببعض ثرواتهم ، وأحياناً يذهب ببعض منافعهم ، فهم يكرهون الجديد ويعملون جاهدين في عرقلة التجديد مضحين في سبيل ذلك بكل غال عندهم !

فليحذر دعاة الإصلاح من كل هذه العوامل . والله يوفقهم .

أحمد أمين

علي محمـــــود طه

شاعر الجمال واللذة*

للأستاذ عيسى الناعوري

على الرغم من وفرة من ينظمون الشعر ويعالجونه بين حملة الأقلام المصريين ، فإن الذين يتميزون منهم بالقدرة الفنية والموهبة الصحيحة في هذا الفن الجميل ، هم فئة ضئيلة جداً ، يكاد الباحث المرهف الحس يعيا قبل الوصول إليها .

وهذا حكم قد يبدو غريباً ، وقد يرى فيه أدباء مصر العزيزة تحاملا مقصوداً ، وليس فيه شيء من التحامل في الواقع ، وإنما هي الحقيقة التي يراها الناقد ، والقارىء العادي في خارج مصر . فهؤلاء الشعراء الذين يملؤون الصحف الأدبية والسياسة بقصائدهم ، ويغمرون الأسواق بدواوينهم الشعرية ، إنما هم في الغالب نظّامون يعرفون أوزان الخليل ، ولكنهم لايدركون مزايا الشعر العالية ، ورسالته الإنسانية ، وقواعده الفنية .

ومنذ أن قضى شوقي لم تعرف دوحة الأدب المصري شاعراً صافي الحنجرة ، مطرب التغريد مثل عليّ محمود طه ، الذي وهب حاسة فنية رائعة ، وموهبة شعرية مبدعة في ناحية الشعر الغنائي الوجداني وحده .

أقول ناحية الشعر الوجداني وحده ، وهنا أعود إلى شوقي من جديد ، فأميز بين عظمته الشعرية المتعددة الجوانب ، وشاعرية علي محمود طه الغنائية فقط . فعلى كثرة مانظم علي طه من شعر نراه بين دفات دواوينه ومؤلفاته الثمانية ، وعلى تعدد النواحي التي نظم فيها ، لم يكن يعرف الأصالة والإبداع في غير شعر الحب والجمال وشعر الخمر والطبيعة . أما ما نظمه في الوطنية والرثاء والحماسة والمناسبات الخاصة — وهو يكاد يزيد على نصف شعره — فحظ الإبداع فيه ضئيل ، يكاد لايظهر كثيراً ، وقد يظهر في أبيات متناثرات هنا وهناك ، وربما عن غير قصد . ويغلب على ظننا أن هذه النواحي الأخرى لم يكن يطرقها عليّ بتأثير عوامل داخلية تثير الشعر في نفسه ، وإنما كان يضطر إليها بدافع المجاملة وحب المشاركة فقط .

ومن حقنا أن نعد هذا نقصاً في عظمة طه الشعرية ، يجعله لايستحق أن يكون لمصر ما كان لها أحمد شوقي ، ذلك الشاعر المتعدد المواهب الشعرية ، شاعر مصر ، وشاعر الإسلام ، وشاعر العروبة ، في آن واحد . فلقد كان شوقي كل أولئك ، ولولا ما كان يقسر نفسه عليه قسراً من تكلف جود العبارة وضخامتها ، لقلنا إنه تفرد في شاعريته بعظمة قل أن تطاول ، وإن أمثاله من النوابغ لا تجود بهم الأيام إلا نادراً . أما علي محمود طه فقد اختص بناحية واحدة من نواحي الشاعرية ، هي الناحية الوجدانية الغنائية التي استطاع أن يجلي فيها ويبدع .

وإذا قلنا إن علي طه شاعر غنائي ، فإنما نعني أنه يغرف من قلبه ومن شعوره ، ليعبر عن عالمه الخاص ، عالم الجمال الجسدي ، والحب ، وحياة اللذة . وشاعر هذا منحاه لابد لشعره من أن يتميز بالسهولة والرقة ، والحرارة والموسيقى ، وانطلاق الخيال وجمال الصور الشعرية في عباراته . وهذه هي المزايا التي يتميز بها شعر علي محمود طه الوجداني ، فإذا خرج عن هذا الاتجاه العاطفي ظهر شعره باهتاً فاتراً ، ضعيف التأثير في النفس .

ولو صرف عليّ جانباً من تفكيره الشعري ومن شاعريته إلى النواحي الاجتماعية والإنسانية ، لاستطاع أن يزود شعره بعنصر هام من عناصر القوة والجمال ، فما تكفي رقة الإحساس ، وجمال التعبير ، وانطلاق الخيال وبراعة الوصف — وكلها من أهم مزايا الشعر الجميل — وإنما تزداد قيمة الشعر ويزداد تأثيره بما يحمله من معاني السمو

(*) أذيع من محطة لندن .

الأقاليم المتخلفـــة

وهيئة الأمم المتحدة .

للأستاذ أحمد طه السنوسى

ليست كل أقاليم العالم فى الوقت الحاضر متمتعة بالحكم الذاتى ، بل إن ثمة أقاليم منتشرة فى بقاع متباينة من العالم لا تتمتع بالحكم الذاتى ، ويرجع سبب ذلك فى الغالب إلى تأخر هذه الأقاليم وبطء تطورها وتمشيها مع التطور الحديث .

وقد بلغ تعداد أمم هذه الأقاليم حوالى المائتى مليونا من الأنفس ، تعيش هذه الملايين منتشرة هنا وهناك . فى القارة الأفريقية حول خط الاستواء ، وفى جزر الأرخبيل الأسيوى الجنوبى وفى جزر البحر الكاريبى ، وفى جزر المحيط الهادى .

وليست هذه الملايين من البشر من جنس واحد ، أو على درجة واحدة من الثقافة والتطور والتقاليد ، بل إنها تتباين فى كل هذا تباينها فى الموقع الجغرافى ، فمنها مجموعات متحضرة ذات حضارة عريقة ترجع إلى الأزمان الغابرة ، ومنها مجموعات ساذجة لا تعدو حضاراتها أن تكون بدائية أولية . وغالبية هذه المجموعات تعتمد على الزراعة كعماد رئيسى لدورة الحياة الاقتصادية لأقاليمها ، فنجد أنها تنتج المواد الخام ثم تصدرها إلى الدول التى تدير شئونها وتستورد فى نظير ذلك ما تقدمه لها هذه الدول من سلع مصنوعة وواردات مختلفة . ولكن ليست كل تلك المجموعات تعتمد على الزراعة ، فثمة أقاليم غير متمتعة بالحكم الذاتى كسنغافورة وهونولولو وهونج كونج تعتمد أول ما تعتمد على مراكزها التجارية باعتبار كل منها ثغوراً عالمية .

على أن الضابط المشترك لكل تلك الأقاليم هو أنها غير متمتعة بالحكم الذاتى Non autonomes ، بمعنى أن شعوبها غير مستقلة ، وإنما تدير شئونها دول أخرى أجنبية لها من السلطان والنفوذ والرقى والتقدم ما وصل بها إلى أمثال تلك الأقاليم ، وبسط سيادتها عليها لتتولى عنها إدارة شئونها ، خاصة ما كان من هذه الشئون ذا طابع سياسى بيد أنه بالرغم من ذلك ليست كل هذه الأقاليم غير متمتعة بحكم نفسها بنفسها حكماً ذاتياً على خط مستقيم ، بل نلاحظ أن ثمة أقاليم استطاعت أن تساهم بقسط لا بأس به فى إدارة شئونها .

وتمتاز المملكة المتحدة لبريطانيا وشمال إرلندة بأن لها نصيب الأسد فى إدارة هذه المناطق ، إذ أنها تتولى شئون أقاليم كثيرة بدرجة كبيرة أو صغيرة حسب الأحوال ؛ من هذه الأقاليم التى تديرها : عدن ، وباهاما ، وبار بادوس وبازوتولاند ، وبيشوانالاند ، وبرمودا ، وغانة البريطانية ، وهوندوراس البريطانية ، ومحمية جزيرة سليمان البريطانية ، ومحمية الصومال البريطانية ، وبرونى ، وقبرص ، ودومنيكا ، وجزر فالكلاند ، وفيجى ، وجامبيا ، وجبل طارق ، وساحل الذهب ، وجرينادا ، وهونج كونج ، وجامايكا ، وكينيا ، وليوارد ، واتحاد الملايو ، وماوريشيوس ، ونيوابريذ ، ونيجريا ، وشمال بورنيو ، وروديسيا الشمالية ، ونياسالاند ، وسانت هيلانة ، وسانت لوسيا ، وسانت فينسنت ، وساراواك ، وسيشل ، وسيراليون ، وسنغافورة ، وسوازيلاند ، وترينداد ، وتوباجو ، وأوغنده ، وزنجبار ، وغيرها .

ومن الدول التى لها نصيب فى إدارة الأقاليم الغير المتمتعة بالحكم الذاتى : فرنسا ، وهى تدير شئون مدغشقر ومراكش ونيوابريد والصومال الفرنسى ، وجومورس ، وأفريقيا الاستوائية الفرنسية ، ومنها الولايات المتحدة الأمريكية ، وتدير الأسكا ، وهواى وجوام وتوريكو وساموا الأمريكية وجزر العذراء ، ومنها هولنده ، وهى تدير الهند الهولندية وسورينام وكراسو ، ومنها بلجيكا وتدير الكنغو

البلجيكية ، ومنها الدانمرك وتدير جرينلند ، ومنها أيضاً استراليا وتدير بابوا ، ومنها كذلك نيوزيلنده ، وهى تدير جزيرة كوك وجزر توكيلاو .

ولقد عانت هذه الأقاليم طيلة الأحقاب الفائتة مصائب الحرمان من التمتع بالحكم الذاتى من تشرد وتأخر وخمول واستغلال ، وكانت تمر بها فى هذه الأحقاب وجهات المبادىء السياسية السامية مرور البرق الخاطف يجىء ويذهب ويغرى ثم يخيب الظن فيه . وقد كان خير هذه المبادىء الحديثة خاصة بهذه الأقاليم مبدأ تقرير المصير Self-determination.

وأخيراً جاء الفصل الحادى عشر من ميثاق الأمم المتحدة محتوياً على تصريح هام متعلق بالأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى ، وقد احتوى هذا التصريح على المادتين الثالثة والسبعين والرابعة والسبعين .

يقول هذا التصريح : « إن أعضاء الأمم المتحدة — الذين يضطلعون فى الحال أو فى الاستقبال بتبعات عن إدارة أقاليم لم تنل شعوبها قسطاً كاملاً من الحكم الذاتى — يقرون « بالمبدأ القاضى بأن مصالح أهل هذه الأقاليم لها المقام الأول La primanté des intérêts des habitants » ويقبلون أمانة مقدسة فى عنقهم ، الالتزام بالعمل على تنمية رفاهية أهل هذه الأقاليم إلى أقصى حد مستطاع فى نطاق السلم والأمن الدولى الذى رسمه هذا الميثاق ، ولهذا الغرض :

ا — يكفلون تقدم هذه الشعوب فى شئون السياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم ، كما يكفلون معاملتها بإنصاف وحمايتها من ضروب الإساءة — كل ذلك مع مراعاة الاحترام الواجب لثقافة هذه الشعوب .

ب — ينمون الحكم الذاتى ، ويقدرون الأمانى السياسية لهذه الشعوب قدرها ، ويعاونونها على إنماء نظمها السياسية الحرة نمواً مطرداً ، وفقاً للظروف الخاصة لكل إقليم وشعوبه ، ومراحل تقدمها المختلفة .

ج — يوطدون السلم والأمن الدوليين .

د — يعززون التدابير الإنشائية للرقى والتقدم des mesures constructives de développement ويشجعون البحوث ، ويتعاونون فيما بينهم لتحقيق المقاصد الاجتماعية والاقتصادية والعلمية المفصلة فى هذه المادة تحقيقاً عملياً ، كما يتعاونون أيضاً لهذا الغرض مع الهيئات الدولية المتخصصة كلما تراءت لهم ملاءمة ذلك .

هـ — يرسلون إلى الأمين العام بانتظام يحيطونه علماً بالبيانات الإحصائية وغيرها من البيانات الفنية المتعلقة بأمور الاقتصاد والاجتماع والتعليم فى الأقاليم التى يكونون مسئولين عنها ، عدا الأقاليم التى تنطبق عليها أحكام الفصلين الثانى عشر والثالث عشر من هذا الميثاق (وأول هذين الفصلين خاص بنظام الوصاية الدولى Regime International de Tutelle وثانيهما خاص بمجلس الوصاية : Conseil de Tutelle) كل ذلك مع مراعاة القيود التى قد تستدعيها الاعتبارات المتعلقة بالأمن والاعتبارات الدستورية » .

ويردف التصريح قائلا بأن أعضاء الأمم المتحدة يوافقون أيضاً « على أن سياستهم إزاء الأقاليم — غير المتمتعة بالحكم الذاتى — كسياستهم فى بلادهم نفسها يجب أن تقوم على مبدأ حسن الجوار ، وأن تراعى حق المراعاة مصالح بقية أجزاء العالم ورفاهيتها فى الشئون الاجتماعية والاقتصادية والتجارية » .

والفارق بين هذا التصريح الذى ورد فى ميثاق الأمم المتحدة وبين نظام الأمم المتحدة للوصاية الدولية ، أن هذا الأخير لا ينفذ إلا حيث يكون ثمة اتفاق خاص يقع بين الأمم المتحدة وبين السلطات القائمة بإدارة الإقليم ؛ وذلك يظهر من مراجعة الفصل الثانى عشر من ميثاق الأمم المتحدة الخاص بنظام الوصاية الدولى ، إذ نصت المادة الخامسة والسبعون على أن الأمم المتحدة « تنشىء تحت إشرافها نظاماً دولياً للوصاية ؛ وذلك لإدارة الأقاليم التى قد تخضع لهذا النظام بمقتضى اتفاقات فردية لاحقة وللإشراف عليها ويطلق على هذه الأقاليم اسم الأقاليم المشمولة بالوصاية « territoires sous Tutelle » .

وتتشابه الأهداف الأساسية لنظام الوصاية مع أهداف التصريح المتعلق بالأقاليم الغير المتمتعة بالحكم الذاتى التى أسلفنا بيانها . وقد نصت المادة السادسة والسبعون على أهداف نظام الوصاية فى أربعة أهداف أساسية أوجزتها فيما يلى :

« ا — توطيد السلم والأمن الدوليين .

ب — العمل على ترقية أهالى الأقاليم المشمولة بالوصاية فى أمور السياسة والاجتماع والاقتصاد والتعليم ، واطراد تقدمها نحو الحكم الذاتى أو الاستقلال حسبما يلائم الظروف

الخاصة لكل إقليم وشعوبه ، ويتفق مع رغبات هذه الشعوب التى تعرب عنها بملء حريتها وطبقاً لما قد ينص عليه فى شروط كل اتفاق من اتفاقات الوصاية .

جـ — التشجيع على احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ، ولا تفريق بين الرجال والنساء ، والتشجيع على إدراك ما بين شعوب العالم من تقيد بعضهم بالبعض .

د — كفالة المساواة فى المعاملة فى الأمور الاجتماعية والاقتصادية والتجارية لجميع أعضاء « الأمم المتحدة » وأهاليها ، والمساواة بين هؤلاء الأهالى أيضاً فيما يتعلق بإجراء القضاء l'administration de la justice ، وذلك مع عدم الإخلال بتحقيق الأغراض المتقدمة ومع مراعاة أحكام المادة ٨٠ » .

والواقع أن نظام الوصاية نظام دولى أبداه إلى الوجود ميثاق سان فرنسسكو فى ٢٦ يونيو سنة ١٩٤٥ لكى تدار بمقتضاه الأقاليم التى كانت مشمولة بالانتداب فى عهد عصبة الأمم سالماً ، وكذلك الأقاليم التى قد تقتطع من دول الأعداء نتيجة للحرب العالمية الثانية ، وأخيراً الأقاليم التى تضعها دول مسئولة عن إدارتها فى الوصاية الدولية . ومن هذا ينتج أن الأقاليم التى أضحت أعضاء فى هيئة الأمم المتحدة تخرج عن نطاق نظام الوصاية السالف البيان ؛ لأن وضع أى من هذه الأقاليم بعد صيرورتها من أعضاء الهيئة المذكورة يتنافى مع مبدأ المساواة فى السيادة بين كل أعضاء هذه الهيئة .

على أن تعداد الأقاليم التى وضعت تحت الوصاية إلى الآن يبلغ عشرة أقاليم ، وهذه العشرة تخضع لنظام الأشراف الخاص بالوصاية الدولية الذى وضعته الأمم المتحدة ؛ أما ما بقى من الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى ، فهذه لا تخضع لهذا النظام ، وليس لهيئة الأمم أى إشراف عليها .

بيد أن السلطات التى تدير هذه الأقاليم ملتزمة بالتزام تقديم المعلومات عنها لهيئة الأمم ، وتقوم الجمعية العمومية للأمم المتحدة بمناقشة هذه المعلومات ودراستها إذا شاءت ذلك ، وفضلا عن ذلك تعهدت هذه السلطات بأن تحكم تلك الأقاليم حسب مبادئ خاصة من أولها المبدأ الذى نص عليه « التصريح المتعلق بالأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى » ، والذى بمقتضاه يكون لمصالح أهل هذه الأقاليم المقام الأول ، والالتزام بالعمل على تنمية رفاهية أهالى هذه الأقاليم فى نط[ـاق] السلم والأمن الدولى ما استطاعت السلطات القائمة بالإد[ارة] إلى ذلك سبيلا ! .

أحمد طه السنوسى

إعـــــلان

عن شغل وظيفة أستاذ مساعد للآثار المصرية

تعلن كلية الآداب بجامعة فاروق الأول أن قسم الآثار فى حاجة لشخص وظيفة أستاذ مساعد (ب) للآثار المصرية ويشترط فيمن يتقدم لشغل هذه الوظيفة :

١ — أن يكون حاصلا على درجة الدكتوراه فى الآثار المصرية من إحدى الجامعات المصرية أو على درجة تعادلها من إحدى الجامعات الأجنبية المعترف بها .

٢ — أن يكون قد واصل منذ حصوله على المؤهل المذكور فى مادة تخصصه بإحدى المؤسسات أو الهيئات العلمية الأثرية .

٣ — أن يكون له دراسات وأبحاث قيمة فى مادة تخصصه .

٤ — أن يكون قد مضى على حصوله على المؤهل العلمى الأول المتصل بدراساته الأثرية (الليسانس أو الدبلوم) اثنا عشر سنة على الأقل .

وتقدم الطلبات باسم حضرة الأستاذ عميد كلية الآداب بجامعة فاروق الأول فى ميعاد لا يتجاوز ثلاثة أسابيع من تاريخ نشر هذا الإعلان مع بيان المؤهلات والمناصب الجامعية أو غيرها ومصحوبة بالأبحاث العلمية على أن يتقدم الموظفون بطلباتهم عن طريق مصالحهم .

٢٣٣٦

الحقيقة عن القاديانية

[جاءتنا هذه الكلمة من حضرة السيد الجليل صاحب التوقيع ويسرنا أن ننشرها بياناً للناس وجلاء للحق وإزالة لأسباب الفرقة بين المسلمين ونسأل الله أن يعود بنا جميعاً إلى السبيل الواضحة] .

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين).

سورة الحجرات

اطلعت فى جريدة أخبار اليوم الصادرة بتاريخ السادس والعشرين من شهر يونيو سنة ١٩٥٢ على بيان حضرة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية بشأن فتوى فضيلته بحق الجماعة الإسلامية الأحمدية التى ينتمى إليها السيد محمد ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان والتى جاء فيها ما نصه :—

(إن من بين معتنقى المذهب غلاة متطرفين ومعتدلين متزنين ، وقد يكون ظفر الله خان من هؤلاء .. وإن الغلاة منهم هم أولئك الذين لا يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين) .

وبما أنى إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية ، ولما كان السيد محمد ظفر الله خان أحد أتباعى ، فوجب علىّ قبل الآخرين أن أبين عقيدة الجماعة الأحمدية عامة وعقيدة ظفر الله خان خاصة . لذلك فأرسل إليكم المقالة التالية راجيا إياكم أن تتفضلوا بنشرها فى مجلتكم الغراء ولكم منا جزيل الشكر . وذلك لكى يرى الناس من الصورة وجهها الثانى . وسأحصر كلامى فيما يختص ببيان العقيدة والأمر الواقع — أقول ذلك لئلا يظن ظانّ من القراء الكرام بأنى لم أدل بالأدلة بجانب ذكر العقائد .

وإن كل شخص يرغب فى الاطلاع على دلائلنا ويتشوق لمزيد الإيضاح بعد بيانى هذا ، فعليه أن يراجعنى فيما اختلج فى صدره — وإنى مع احترامى لشخصية فضيلة المفتى أتأسف كل الأسف ، ذلك لأن فضيلته ما سبق له أى قبل بيانى هذا أن سألنى أو سأل محمد ظفر الله خان عن عقائدنا وهو الحرىّ به التبصّر والتحقيق الدقيق قبل إبداء رأيه إذ أن عقيدة الرجل هى التى يعتقدها ويدّعى بها صاحبها لا ما ينسب إليه زوراً .

إن ما يزعم عن الأحمديين بأنهم لا يعتقدون بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين ليس حقاً . وما هو إلا دعاية زور شهّرت بها ألسنة أعدائهم — ألا إننا نحن الأحمديين من أولئك الذين يقولون (رضيت بالله رباً وبمحمد رسولا وبالإسلام ديناً) كما وإننا نؤمن بالقرآن المجيد كله من حرف الباء فى بسم الله فى سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس . ونعتقد فوق ذلك أن القرآن المجيد جميعه محفوظ ومصون عن الخطأ ومعمول به إلى أبد الآبدين لا ينقص منه حرف ولا تزاد فيه نقطة ، وهو هو كما نزل على رسولنا الأكرم . وقد ورد فى شأنه عليه الصلاة والسلام فى سورة الأحزاب قول الله تعالى :

(ولكن رسول الله وخاتم النبيين) .

وإذا كان محتملا أن يقول من يعتقد بالناسخ والمنسوخ بنسخ هذه الآية الكريمة ، فنحن الأحمديين ننكر الاعتقاد بوجود الناسخ والمنسوخ فى كتاب الله الحكيم لأننا نؤمن بصحة الآيات وأبديتها فيما بين دفتى القرآن المجيد . إذ لا ناسخ ولا منسوخ فيه ألبتة وجميعه معمول به إلى يوم القيامة ، وبذا تظهر عقيدتنا واضحة متلألئة وراسخة فى قلوبنا بكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين .

ولما كان مبدأ الناسخ والمنسوخ لا يطرأ على المعتقدات والوقائع — وهذا ما أجمع عليه جهابذة الأئمة من أهل السنة فلا يمكن إذ ذاك أن ننكر على رسولنا الكريم منصبه الذى ناله من الله تعالى ، ألا وهو كونه خاتم النبيين . وإن الذى ينكر عليه هذا المنصب فكأنه رفض الإيمان بالنص

[illegible] وسلم رسول الله وخاتم النبيين) والذى جمع له فيه منصب الرسالة ومنصب الخاتمية .

تلك هى عقيدتنا التى نجهر بها علنا ونوقن بها من صميم أفئدتنا — عليها نحيا وعليها نموت وعليها سنبعث إن شاء الله — وإن كنت كاذباً فى بيانى هـذا أو أنى أخفيت منه شيئاً أو احتلت فيه بالتورية فأدعو الله أن ينزل علىّ وعيـد لعنته ويقضى فىّ بحكمه القاسى . وإن كنت أنا وجماعتى من الصادقين فيما نظهره من عقيدتنا هذه التى نعلنها فلا أتوجه بالدعاء على من يتهمنا ويرمينا بالبهتان العظيم ، وإنما أطلب له من الله تعالى أن يجرى على لسانه الحق ويثبت فى قلبه الحق وأن يمنحه التوفيق للامتثال بقوله تعالى : (كونوا مع الصادقين) والاعتبار بقول رسوله الأكرم لأسامة بن زيد « هل شققت قلبه ؟ » .

يا معشر المصريين « إن لكم تهذيباً قديم الأيام وتمدنا تالداً منذ سالف الأزمان وآثاراً مجيدة قبل عصر التاريخ » أتقدم إليكم يا معشر البلد الطيب الذى أقام فى ربوعه يوسف الصديق — أتقدم إليكم باسم الشرف التالد الذى لكم وأناشدكم باسم تمدنكم الرفيع العريق أن تشعروا بذمتكم وواجباتكم العائدة عليكم من وراء كل ذلك — فلا تدعوا قوماً يستهدفون بينكم للعدوان والتهم الكاذبة وهم عن بلادكم ناؤون بعيدون . . مئات الأميال ولا حيلة لهم فى دفع الطعن الذى يطعنون به فى ظهورهم ظلماً وعدواناً — أناشدكم باسم الحق والعدل ألا تتركوا المظلوم لحما على وضم ، وأنتم باستطاعتكم الدفاع عن الحق والذود عن المظلوم .

لا أدرى أيشاع بيانى هذا فى صحائفكم أم لا ، ولكننى أبعثه إليكم موقناً بأن بلاد مصر تربأ روحها العادلة السامية وتتعالى عن الأغراض الذاتية والشخصية وتتعدّى الحدود المحلية ، فتبلغ أهلها صوتى هذا الذى يعلن البراءة عن التهم البشعة المكروهة ليس إلا .

وعدا بيان حضرة اللفتى المشار إليه فلقد أشيع كذلك فى بعض الصحف المصرية مقالات أخرى قيل فيها عن الجماعة الأحمدية إن لها كعبة جديدة غير كعبة مكة المكرمة وإنها تنتمى إلى أمة غير أمة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، فأقول إن كلتا التهمتين بهتان علينا عظيم نحن منهما براء .

كلا — لا نرى لنا سوى البيت الحرام قبلة — نعم نحترم (قاديان) ولكن احترامنا لها لا يعنى أنها أصبحت لنا قبلة ، فكم من مقام كريم محترم عند المسلمين ، ولكنه لا ينال من حرمة الكعبة البتة . كما نحترم جميعاً بيت القدس فهل يجوز أن يقال بأنه أصبح لنا قبلة ؟ . ثم إن المسلمين لا سيما المصريين منهم يحترمون الأزهر من حيث إنه معهد كبير لتدريس العلوم الإسلامية فهل يصح أن يقال إننا أو المصريين اتخذوه قبلة ؟ . كلا — فإن القبلة هى التى نولى إليها وجوهنا فى الصلاة . ونحن الأحمديين نولى وجوهنا إلى نفس القبلة التى يولى إليها سائر المسلمين وجوههم كما قد شاهد ذلك كثير منكم من محمد ظفر الله خان حين يصلى ، وكما نصلى نحن حسب ما نص به القرآن المجيد وشرحه الحديث وسنة رسولنا الأكرم .

ثمّ إلى الكعبة المعروفة نفسها نحن نحج — وقد حججت أنا أيضاً وأودّ أن أحج إليها مرة ثانية — فالقول بأن لنا قبلة غير البيت الحرام إن هو إلا كذب وبهتان . ألا ليس لنا قبلة إلا قبلة الإسلام التى نوّه بها القرآن المجيد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم والتى تبقى قبلة على ممر الدهور ورغم الأعادى .

كذلك ليس من الحق فى شىء أن يقال إننا ننتمى إلى أمة غير أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وإن مؤسس الجماعة نفسه كان ينتمى إلى أمته فكيف بنا أن ننتسب إلى أمة غير أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . فنحن بفضل الله تعالى من أمة محمد كما كان مؤسس جماعتنا منها ، بل وكان يعتقد حضرته أن ما فاض عليه من الفيوض الربانية إنما كان ببركة اتباعه لمحمد صلى الله عليه وسلم وأن كل ما ناله من الفضل والبركة إنما كان لأنه من أمته — ولنا فى الانتساب إلى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخر لا يضارعه فخر ، وعلى ذلك نحب أن نحيا ونموت عليه ، وعليه نحب أن نبعث . وإننا نردد مع مؤسس الجماعة الأحمدية قوله : —

وموتى بسبل المصطفى خير ميتة
فإن فزتها فسأحشرن بالمقتدى

وقوله : —

إنا نطيع محمداً خير الورى نور المهيمن دافع الظلماء

ونقول بأن الذى ينسب إلينا خلاف ذلك فإنه يظلمنا أيما ظلم ، فليغفر الله إساءته إلينا ويمنعه عن عادة أكل لحم أخيه الميت .

ومما قيل فى الإذاعة المومى إليها أننا لا نعتقد بالجهاد فهذا كذلك بهتان علينا عظيم — إن الأمر بالجهاد نص صريح من نصوص القرآن المجيد ، وقد حثنا عليه مرة بعد أخرى فكيف يمكن أن نرفض النص الصريح — ونحن كأمة — لا نرى النسخ فى أحكامه ولا أخباره البتة ؟ . ولا شك أننا قد خالفنا عقيدة بعض المشايخ الهنود الذين يرون جواز قتل غير المسلم وسلبه إذا صودف المسكين وحيداً أو أن يجبر على التفوه بكلمة (لا إله إلا الله) أو قتال الأقوام المجاورة من غير أن يتعرضوا لما يشر . فهؤلاء المشايخ يرون كل ذلك جهاداً وهو فى الحقيقة ليس من الجهاد فى شىء ، والإسلام من مثل هذا الجهاد برىء .

ولا يخفى أن الدين الحنيف قد ساءت سمعته كثيراً جداً بمثل هذه المعتقدات السخيفة ، وأن كبار الكتاب من علماء مصر المسلمين متفقون معنا فى أن الجهاد الذى فرضه القرآن المجيد هو من أشد الضرورات التى بدونها لايمكن أن تسلم فى الأرض حرية الأقوام من غوائل الظلم والعدوان . فالقتال مع العدو الجائر الظالم بمقتضى الظروف والشروط التى حددها القرآن المجيد هو شىء لابد منه ، ولن تصان بغيره حرية الضمير وسلامة البلاد — فنحن الأحمديين نعتقد بهذا الجهاد بل ونعتز به ونفتخر — إنما نحن ننكر ونخالف البربرية والفوضوية ليس إلا . يقول رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم (الامام جنة يقاتل من ورائه) .

ومما تنسب إلينا المقالة المشار إليها أننا نعتقد التناسخ وهو ليس بالصحيح ، وربما استنبط هذا الاتهام من اعتقادنا بأن مؤسس الجماعة الأحمدية هو المسيح الموعود مع أن هذا لايعنى بأن روح المسيح قد حلت فيه كما يعتقد القائلون بتناسخ الأرواح — إننا لا نقول بالتناسخ . وقد رد هذه العقيدة مؤسس الجماعة الأحمدية فى كتبه بالبراهين والبينات ، وإن ما نعتقده هو أن النبأ الوارد فى الأناجيل عن مجىء المسيح أو نزوله فى الأحاديث لايراد منه المسيح الناصرى نفسه الذى يقول عنه القرآن المجيد : « يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ » والذى توفاه الله كما توفى جميع الرسل ، بل نقول بأن نبأ الأحاديث ليس المراد منه مجىء المسيح الناصرى نفسه ، بل مجىء مثيله ، وهذه سنة قد خلت من قبل إذ أن المسيح الناصرى نفسه فسر مجىء إيلياء الموعود فى التوراة بمجىء رجل هو مثيل إيلياء فى الروحانية وأراد به يحيى عليه السلام ، وحسب ذلك نؤول النبأ المذكور ونقول بأن المراد من مجيئه هو بعثة رجل من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند غلبة المسيحية — يدافع عن بيضة الإسلام ضد هجماتها عليه بالوسائل العلمية ويحاربها حرباً روحانية — وكما قلت لايعنى هذا الاعتقاد بحلول روح المسيح فى مثيله .

ومما نسب إلينا فى المقالة المشار إليها أننا نريد بعد فتح البلاد الهندية أن نفتح العالم كله — وإن هذا الاتهام أضحوكة صبيانية . وإنى لأستغرب من رجل متعلم كيف تجرأ فنسب إلينا مثل هذه الترهات — لقد يوجد بين أنباء الغيب التى بشر بها مؤسس الجماعة الأحمدية ما يبشرنا باجتماعنا فى القاديان ، ولكن لايعنى ذلك أن مثل هذه الأنباء ستتم بالقتال — فمن الممكن أن يتحقق ذلك بواسطة التبليغ وبالوسائل السلمية الأخرى ، كما وقد يمكن أن يصفو الجو بحسن التفاهم بين الباكستان والهند وبالمعاهدات الدولية — وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » . لقد وعدنا الله سبحانه وتعالى فى قوله هذا بغلبة الإسلام على الأديان كلها ، وقد ذهب كبار المفسرين فى تفسير هذه الآية إلى أن هذه الغلبة الموعودة سوف تتم فى آخر الزمان إذ لم تحصل بعد الغلبة على جميع الأديان . فهل يجوز أن يفهم من الآية الكريمة المذكورة أن مصر أو سوريا أو الحجاز أو الباكستان أو غيرها من الدول الإسلامية تنوى غزو الصين وغزو اليابان وروسيا وألمانيا وبريطانيا وأمريكا وتقاتلها واحدة تلو الأخرى إلى أن يتم للمسلمين الانتصار على الأعداء قاطبة وغلبة الدين الحنيف على سائر الأديان ؟ لقد أنبأنا الله عن غلبة الإسلام بخبر والمسلمون يوقنون به أنه هو الحق ، ولكن لا أحد منهم ينوى غزو غيره من الأقوام وإنما يفوض إلى الله تفصيلات هذا الخبر وكيفية تحققه . وقس على ذلك أيضاً النبأ المبشر بحصول الحرية للأحمديين

فى القاديان . ولا بد أن يتم هذا النبأ يوما من الأيام على رغم العوائق القائمة فى سبيله ويكون ذلك بالوسائل المشروعة فى كتاب الله . ولم يشرع القرآن المجيد القتال للذين لا حكومة فى أيديهم ، بل قد سمى قتال أمثال هؤلاء فتنة وفسادا . وما نحن بالذين يرون القتال بدون الحكومة جائزاً ، ولا نحن أولئك المجانين الذين تتخبط بهم الأهواء خبط عشواء ، ولا نحن ممن يسيغون لأنفسهم أن يتحرشوا بغيرهم فيقتلوهم من دون أن يبدأنا هؤلاء بالشر والقتال فكل ذلك عندنا غير مشروع — إنما هو ديدن الأقوام الغربية فلهنأ ذلك لهم وأما الإسلام فلم يتعد قط على جيرانه الضعاف زمن قوته واقتداره . وناهيك من شاهد ناطق على صحة ذلك من بلاد الحبشة والبقاع المترامية الأطراف من قارة أفريقيا الوسطى والجنوبية التى لم يكن فيها إذ ذاك قوم أو دولة قد هجمت على المسلمين ، ولكن الجيوش الإسلامية لما وصلت التخوم التى كانت تسكن وراءها القبائل الضعيفة وقفت عند حدودها ووضعت الحرب أوزارها ولم تبسط يدها إليها . ولو أن المسلمين فعلوه لما أمكن للأوربيين اليوم أن يبسطوا فى أرض أفريقيا كلها بساط الاستعمار الواسع .

ترى أية قوة غير قوة التعليم الإسلامى منعت جيوش المسلمين من التوغل فى برارى أفريقيا الوسطى والجنوبية وهم هم الذين لما اشتبكوا فى القتال مع الجحافل المدربة الشاكة السلاح من العساكر الرومانية والأندلسية والفرنسية والإيطالية مزقوهم كل ممزق . تلك لعمرى هى من أعظم وأجل المعجزات التى أراها لنا الإسلام العادل الرؤوف الشفوق على الضعيف ، وحق للمسلم من جرائها أن يفتخر ويرفع رأسه فى كل ناد سياسى أمام ساسة أوربا وأمريكا .

وقبل أن أختم بيانى أود أن أستلفت أنظار الصحافة العربية والمصرية إلى التبعة التى تعود عليها خاصة — فلقد علمتم أن المسلمين اليوم قد جاشت نفوسهم إلى الاتحاد بعد تشتتهم وافتراقهم زمنا طويلا — وقد أبدت مصر والبلاد العربية نحو الباكستان عواطفها كما عطفت هذه على تلك وبرهنت عن شغفها فى شئونها — كل ذلك من مظاهر عصرنا الميمونة السارة غير أن إذاعة الأكاذيب المذكورة آنفا خلاف ما عليه الجماعة الأحمدية قد أنشأت ليس فى سبيلنا وحدنا بل فى سبيل الباكستان أيضاً مشاكل من شأنها أن تجعل موقفها حرجا ، وذلك لأنه من المحتمل أن تتهم حكومة الهند الباكستان بناء على تلك المقالة التى أشيعت فى إحدى مجلات مصر فتحتج خلافها مدعية بأن طائفة من طوائف شعب الباكستان يعمل لغزوها . ولقد سبقنا فقلنا إن هذه التهمة لهى كذب محض ليس فيها أدنى شائبة من الصدق ، ولكن الطوائف المتعصبة من أهالى هندوستان المزبئرة للشر دائماً لا بد أن تسعى سعيها فى استثمار مثل هذه الإشاعات . ولا ينفع القول إذ ذاك أن التهمة إنما ترمى طائفة من الطوائف دون حكومة الباكستان لأن الأحزاب الهندية المتعصبة لن تقبل هذه الحجة ، بل تقول ما دام صحفى مصرى عرف ذلك فكيف بالباكستان أن تجهله ولا تطلع عليه ، ووزير خارجيتها عضو من أعضاء الطائفة المتهمة بغزو الهندوستان ، وأنه مستحيل أن يكون قد جهل هذا الوزير دخيلة الأمر .

فترون إلى أى حد وخيم يمكن أن تصل بالباكستان أحلام أحد الصحفيين وتنشأ لها عواقب تسوء سمعتها وتسوء مغبتها ، وهل ذلك جزاء الإحسان على خدمات محمد ظفر الله خان الجليلة ؟ كلا — بل وإن هذا الاتهام عدا كونه ليس بحق فهو بهتان عظيم على صديق مصر البار الوفى ، فلن يرضاه مسلم غيور من المصريين بعدما سعوا هم والعرب معا فى توكيد مملكة الباكستان واستحكامها . فترك هذه الدعايات المزورة أن تتسع فى البلاد العربية لهو نقض لما أبرم — كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً .

وبالختام أدعو الله تعالى أن يوفق المسلمين أجمعين ليستيقظوا من سباتهم العميق الذى كانوا وقعوا فيه ويحرر أعناقهم من ربقة الأغيار ، ويعيد لهم مجدهم السالف ويزيد عليهم من فضله ، وليس ذلك على الله بعزيز ، آمين . والسلام .

مرزا محمود أحمد
إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية
ربوة — بنجاب
الباكستان الغربية

ابن صانع النعال ...

أو صفحة من حياة « هانس كريستيان أنرسن » الكاتب الدنماركي

Hans christian andersen

١٨٠٥ – ١٨٧٥

للأستاذ مبارك إبراهيم

كان مولده بمدينة « أودنس » إحدى مدن الدنمارك وكان والده حذاءاً فقيراً وتلقى تعليمه على نفقة بعض الكرماء المحسنين .

وقد صعد مراقي المجد متوكئاً على قصص « الجنيات » . وأشهر تلك القصص هي : قصة شجرة الشربين (نوع من السرو) . وقصة « البطة الصغيرة الدميمة » . وقصة « صندوق الصيوفان » (وهو شيء يخرج من قلب الشجر تقدح فيه النار) . وقصة « ملكة الثلج » . أما قصة « المرتجل » "The improvisatore" فهى أكثر القصص قراء بين قصص الأدب الدنماركي كله . ولهذه القصة ثلاث مزايا : الأولى أنها تقوم مقام ترجمة ذاتية للمؤلف . والثانية أنها وصف تصويرى للبلاد الإيطالية . والثالثة أنها قصة تثير كامن اللوعة ، وتبعث مكنون الشجن .

وكل من زار « روما » ، ثم قرأ تلك القصة استعاد بقراءتها ذكرياته الماضية عن خرائب إيطاليا وأطلالها ، وعن كنائسها ومعابدها ، وعن دور الفنون فيها .

وقد أجرى المؤلف حوادث هذه القصة على لسان فتى يقال له « أنطونيو » وهو مرتل « من فقراء المرتلين فى روما » . كان صوته الندى ، وكانت براعته فى الارتجال سببين فى بلوغه الحظوة لدى أشراف روما ، ونابولى ، والبندقية . كما كانا سببين فى نيل المنى تارة ، وفى نقض العهود والتحلل من المواثيق تارة أخرى لدى الحسان الفاتنات . وقد كن من كل سنخ وجنس . وهن اللائى شغفن بنبوغه ومفاتنه .

وفى هذه القصة يرى القارىء مشاهد الاحتفال بأعياد الكنيسة الرومانية ، وفيها يرى كذلك مشاهد سباق الخيل ومشاهد أعياد الساخر . وأروع مواقف القصة ما يلمسه القارىء من صور التنازع بين « أنطونيو » بطل القصة وبين صديقه « برنارد » على الظفر بحب المغنية الإسبانية « أنونزياتا » التى أسرت قلب كليهما .

وآخر مشهد فى الرواية قد جعل المؤلف مكانه فى مدينة البندقية . وهناك جعل الكاتب تلك المغنية الإسبانية الحسناء تصبح ممثلة فى أحد المسارح الحقيرة . ثم جعل خاتمتها أن تموت فقيرة معدمة ، تاركة أخلص صلواتها ، وأطيب دعواتها لحبيبها الأول ولعروسه . .

أما خاصية « العاطفية » التى اشتهر بها « أنرسن » فقد لازمته طوال حياته . فكان سريع الملاحظة ، سريع الحس وكان سباقاً إلى الرحمة والإشفاق . كما كان سباقاً إلى الخديعة والغدر وكذلك لازمته طوال حياته خاصية السذاجة « والوليدية » . وذلك على الرغم من تمرسه بتجارب الحياة ، وعلى الرغم من تطوافه بمختلف الأقطار ، وعلى الرغم من صحبته للقادة والزعماء الأوروبيين الذين عاشوا فى زمانه . ومنهم الملوك والساسة والعلماء ، ومنهم كذلك أنداده وأصحابه من الكتاب والشعراء .

وبفضل هذه السذاجة ، وما صاحبها من جرأة استطاع هو -- بوحى من شبابه — أن يقص على الأقوام الغرباء قصة حياته كاملة .

وفى وليمة أولاها ذات يوم أحد المغنين لجماعة من أصحابه وكان فيهم الشاعر ، والملحن ، ورجل الفن ، قطعت الخادم حديث القوم بأن قصت عليهم قصة فتى فقير غريب الزى والهيئة . وقد جاء من مدينة « أودنس » ليشق طريقه إلى المسرح ، وهو لا يملك قوت يومه . فطلب القوم منه أن يمثل لهم فصلا من محفوظاته . فلما فعل استحال سخرهم إعجاباً ورضى . وقام كل يبذل له من ماله . ويجزل له

العطاء . وهكذا كسب « هانس كريستيان » لنفسه موطئ قدم فى مدينة كوبنهاجن . ولما يمض عليه فى تلك المدينة غير أيام معدودات . وهكذا ربح صاحبنا الجولة الأولى . ولو أن الشقة كانت لا تزال بعيدة . ولو أن السفر لم يكن سفراً قاصداً .

ومما يروى من قصص سذاجته ، وكدت أقول من قصص بلاهته — أن تلك السذاجة قد أدت به وهو حديث عهد بالإقامة فى « كوبنهاجن » أن يعيش ردحاً من الزمن فى بيت امرأة من أنصاف الحرائر . وكانت تلك المرأة تستقبل كل ليلة فى بيتها والدها المزعوم . .

كذلك أدت به تلك السذاجة ، وما صاحبها من غرابة الزى والهيئة إلى أن ينظر إليه معاصروه من بنى قومه نظرهم إلى مهرج من المهرجين . وقد شاركهم فى هذا الكاتب « ديكنز » يوم زاره « هانس » فى لندن . فقد وصفه فى كتاب أرسله إلى واحد من أصحابه تهكم فيه ما شاء له التهكم فقال : —

« لقد جاءنى راكباً عربة فلما نزل منها ومشى حسبته مريضاً موجعاً يشكو تآليل فى قدميه . ولكن تبين لى أن ما به لم يكن وجعاً . ولكنه — وقد حسب سائق العربة الذى ظل يطوف به ما يطوف فى دروب المدينة وأزقتها واحداً من اللصوص أو القتلة — قد وضع ساعته ونقوده كلها فى حذائه . وكذلك وضع فى ذلك الحذاء « دليل المدينة » وكتاباً صغيراً ، ومقصاً ومطواة . وبضعة خطابات جاء بها للتوصية ثم بضعة أشياء أخرى . .

وقد كان التهيب طبيعة من طبائع « أرسن » لم تفارقه أبداً . وقد كان فريسة لكل لون من ألوان الخوف . فكان يرتاع إذا نظر عن يمين . وكان يرتعب إذا نظر عن شمال . وكان إذا رأى غير شىء ظنه رجلاً . فكان يخشى مثلاً أن يصلى ناراً ذات لهب تحيط به من كل مكان . فلا يستطيع منها فراراً . وكان يخشى مثلا أن تصيبه « الكوليرا » فيروح ضحية من ضحاياها .

وقد كان « أرسن » على ما ركب فى طبيعته من التهيب والخوف وتوقع الشر والأذى ، تنتابه أحياناً نوبة من الجرأة الأدبية ، كما كانت تنتابه نوبات من الوقاحة والسلاطة .

فكثير هم أولئك الذين كان « أرسن » يقف ببابهم وفى يمينه كتب التضرع ورسائل التوسل . وكثير هم أولئك الذين كسب ودهم بهذه الطريقة فكانوا حماته ورعاته .

أما روح الفكاهة فكانت أظهر خصائص عبقريته ونبوغه . وقد بدت هذه الخاصية فى أجلى مجاليها فى القصص التى كتب .

وقد رأيت — فيما أسلفنا من القول — أن « أرسن » قد جاء مدينة « كوبنهاجن » وفى نيته أن يبلغ الذروة كممثل من الممثلين . ويبدو أن هذه النية كانت تداعب خياله منذ أمد بعيد . فقد كان — وهو ابن صانع النعال الفقير — وأيام كان يحيا فى مدينة « أودنس » حياة سداها ولحمتها الخيبة والفشل — يكلف نفسه فوق وسعها فى كتابة المسرحيات لمسرح الدمى التى كان يصنعها . وكان يعنى العناية كلها بصنع الملابس المزركشة لتلك الدمى . ثم أتيحت له الفرصة للتدرب على التمثيل فى المسرح "Det kongelige" ولكنه لم يصاحبه التوفيق . ثم حاول أن يصبح مغنياً أو رقاصاً فلازمته الخيبة . ثم حاول أيضاً أن يكتب المسرحيات فكتب رواية فى شعر مرسل كانت مليئة بأخطاء الهجاء . فكان هذا دليلا على حالته العقلية فى ذلك الحين . ثم تقدم لمنتخبى المسرحيات فى مسرح « دت كونجيليج » بمسرحية غفل من الإمضاء فلم يكسب من ورائها إلا عبارات التعنيف والتعيير . وقيل فى رفضها : نحن لا نريد أن تقع أعيننا على سخافات فرد من الأميين والجهال .

ومنذ ذلك الحين بدأ التعلم من جديد فأرسل — وفقاً لمشورة أبداها « زوناس كولن » الذى كان حينئذ مديراً للمسرح الملكى — ليتعلم مبادئ العلوم مع صبية يصغرونه بكثير ، وكان لابد له أن يكشف لهم عن جهله المطبق . وكان فى ذلك الحين يستطيع أن ينظم الشعر ولكنه كان لا يستطيع أن يعرف موقع مدينة « كوبنهاجن » على الخريطة ، وظل على مقاعد الدرس خمس سنين استطاع بعدها أن يتقدم لامتحان « البكالوريا » فى « كوبنهاجن » ، وحصل على تلك الشهادة فى عام ١٨٢٨ . ثم التحق بالجامعة وكانت عميدتها امرأة مصابة بجنون القسوة . فكان « أرسن » إذا قال شعراً لا يلقى من تلك العميدة إلا الزجر والتعنيف . وأتم

« أرسن » دراسته الجامعية ثم قام برحلات إلى ألمانيا والنمسا ثم إلى إيطاليا وفرنسا ، وكثر إنتاجه الأدبي ، وكان إنتاجاً فيه خصب ، وفيه دسم . فمن أحاديث في الأدب إلى وصف للرحلات إلى قصائد شعرية ، إلى روايات تمثيلية . ثم منحه ملك الدنمارك معاشاً سنوياً فكان هذا المعاش سبباً في أن يكسر من حدة نشاطه الأدبي .

وقد بنى « أرسن » مجده الأدبي أول ما بنى كروائي ، وقد جعلته روايته « المرتجل » ، وهي الرواية التي أخرجها عام ١٨٣٥ علماً مشهوراً من أعلام الأدب في أوروبا وبخاصة في البلاد التي أنجبته ، وقد ترجمت هذه الرواية فور ظهورها إلى الألمانية . ثم ترجمت إلى الإنجليزية بعد عشر سنين ، وتدور حوادث هذه الرواية حول التجارب الشخصية للكاتب . ولكنه جعل لها إطاراً إيطالياً ، وكان حوار الرواية يتفق وذوق ذلك العصر .

وفي تلك السنين التي لم يكن فيها للمسائل السياسية دور تلعبه ، كان القوم في الدنمارك يجعلون من الروايات والقصص أسباباً للخصومة وميداناً للعراك ، ولذلك فقد قام واحد من خصوم « أرسن » فألف رواية يقول فيها — وذلك ليحط من قدر « أرسن » — : إن المعذبين في الجحيم إنما تمثل أمامهم رواية « أرسن » ، وذلك إمعاناً في تعذيبهم ، وذلك ليذوقوا عذاب الحريق . . . .

وظل « أرسن » يطوف ببلاد العالم حتى بلغ به المطاف بلاد الشرق ، وفي أثناء إقامته ببلاد الإنجليز — وكان ذلك عام ١٨٤٧ — استزارته الملكة ڤكتوريا . وليس ذلك فحسب . بل إن القوم كانوا يرحبون به في كل مكان ، وكانوا قد عرفوه من صوره التي كانت تظهر في كل مكان . حتى في مشارف اسكتلندة حيث ذهب للقاء صديقه « والتر سكوت » . وحدث مرة أنه نسي عصاه في خان كان قد نزل به فظلت تلك العصا تتلقفها الأيدي حتى وصلت إليه على يد رجل من موظفي القطارات وهو واقف في محطة « إدنبرة » ينتظر القطار ليعود إلى لندن .

ولما امتدت بأرسن السنون أنشأ يخص بكتابته الأطفال ، وطفق يجعل لكل رواية من رواياته الجدية نهاية فيها من الهزل نصيب غير قليل . كما جاء بالقصص الشعبية وأحالها — على طريقته — إلى قصص الأطفال . . . ومن شاء أن ينظر كيف تتألف عناصر التكوين ، وكيف تمتزج ألوان الإبداع ، فعليه أن يقرأ قصص « أرسن » قراءة متثبت متفهم . وقد وصف هو قصصه فقال : إنها تسكن في خاطري كمون البذر في تربة الأرض . ليست في حاجة إلا إلى عين جارية . وإلا إلى شعاع من أشعة الشمس وإلا إلى قطرة من كأس الشراب المر المذاق . حتى إذا اكتملت تلك الأدوات نبت النبت ، وأزهر وأينع . وهذا يذكرنا بقول الأديب «هنري جيمس» (١٨٤٣ — ١٩١٦) « إن القصص التي تتشكل بين يدي إنما هي وليدة حبة صغيرة ، وقد تكون هذه الحبة كلمة عابرة سقطت من بين شفتي جار من جيراني ، وكان قد قالها في غباوة . وجاء بها غير عامد . ومرقت في ثنايا حديثه مروق السهم » .

وكذلك يبني « أرسن » قصصه من لبنات جمعها من أحاديثه ، واقتلعها من حوادث رحلاته . بل هو يصورها — في الأعم الأغلب — من أطياف صباه ، وذكريات طفولته .

« وأرسن » يوم قص قصة حياته لم يخف شبح الفقر الذي كان يخيم على بيت أسرته في مدينة « أودنس » ، ولكنه « يصف الغرفة الوحيدة » بأنها كانت غرفة منسقة . ويصف الستائر بأنها كانت نظيفة ، ويصف أبويه بأنهما كانا متحابين . وأنهما كانا يرجوان لله وقاراً . وإن كان البحث والتقصي قد أثبتا أن أمه كانت — كأمها من قبل — من أنصاف الحرائر ، وأنها قبل أن تتزوج بأبيه كان لها بنت من رجل آخر حملت بها سفاحاً ، وأنها كانت تعاقر الخمر . حتى لقد قيل إنها ماتت بسبب « رعاش الخمر » وإدمانها ، وكذلك أثبت البحث أن أباه كان يشكو مرضاً عقلياً ، وأن جده لأبيه قد مات في أحد مستشفيات الأمراض العقلية . . .

ولعل أبعد العلاقات الأدبية أثراً عند « أرسن » هي علاقته بديكنز . فقد كان يعجب الإعجاب كله بمؤلف قصة « دافيد كوبر فيلد » ، بينما « ديكنز » — وهو الذي كان قد ألح على « أرسن » أن يجيء وأن يبقى في ضيافته — قد انتهى به الأمر إلى أن يضيق ذرعاً بهذا « الدنماركي الغريب الأطوار » ، الذي يتكلم إنجليزية غير مفهومة .

(البقية على الصفحة التالية)

في موكب العلم

الصناعة الثقيلة أولا

للأستاذ إبراهيم حلمي عبد الرحمن

في مثل هذه الفترة من تاريخنا القومي ينبغي أن يكون تفكيرنا على أساس وطيد واسع ، فالتفكير الضيق المحدود لا يمكن أن يغير من واقع الحياة في مصر كثيراً ولا قليلا . والناظر إلى الصناعات المصرية القائمة الآن يجد أنها صناعات استهلاكية خفيفة في الغالب ، وليست صناعات إنشائية ثقيلة . فنحن ننسج القطن والصوف والحرير وندبغ الجلود ، ونصنع الأثاث وبعض المواد والأسمدة الكيميائية ونعصر الزيوت من الحبوب النباتية ، ومسابكنا وأفران العهد كلها على مقياس صغير . ومثل هذه الصناعات لا تكفي وحدها لتصنيع مصر ولا لزيادة الثروة فيها . إنما الأساس في التقدم الحقيقي هو الصناعة الثقيلة : توليد القوى المحركة وإنتاج الخامات المعدنية والصناعية الأولية فنحن الآن في حاجة إلى تصنيع ثقيل . ولعل أول خطوة فيه تكون البدء في تنفيذ مشروع إسوان بأقسامه الأربعة الكبرى : توليد الطاقة الكهربائية — استخراج خامات الحديد وصهرها — صناعة السماد الكيميائي — نقل القوى الكهربائية إلى أبعد مسافة ممكنة . إن هذا المشروع يجب أن ينفذ سريعاً كاملا ولا عبرة بتفاصيل من يعارضونه — عن حسن نية — على أساس نفقاته أو العائد من إنتاجه ، لأن الفائدة الأولى منه هي تحويل منطقة أسوان ومصر العليا القصوى من منطقة زراعية فقيرة جرداء إلى منطقة صناعية غنية . أما أن تدفع الدولة في سبيل ذلك مالا يقل أو يزيد بضعة ملايين من الجنيهات أو تكسب أو تخسر من جراء ذلك بضعة ملايين أخرى فأمر ثانوي الأهمية ويمكن معالجته بعد ذلك . .

أما الخطوة الثانية فتكون بكهربة القطر كله باستغلال مساقط المياه الكائنة فعلا أو تنفيذ ما يقترح منها وتثبت صلاحيته وخاصة منخفض القطارة ، وربط القطر كله بشبكة كهربائية موحدة تخدم المدن والقرى على السواء .

إن وجود الكهرباء في ذاته سيكون المصدر الأول لكل إصلاح بعد ذلك فموارد المياه يمكن أن تزداد أضعافاً مضاعفة باستثمار المياه الجوفية في الوادي وفي مشارف الصحراء مادام استخراج المياه بالمضخات الكهربائية ممكناً ورخيصاً . والتوسع في الصرف يصبح ميسوراً نظراً لوجود الشبكة الكهربائية . وصناعة الألبان والمنتجات الحيوانية كلها تزدهر بسبب إدخال الآلات الميكانيكية والكهربائية في الزراعة وعدم استعمال الحيوانات في رفع المياه وحرث

وإلى أن يزور عنه ازوراراً ، وإلى أن يقول عنه إنه ضيف قد جاوز أمد الضيافة . وقد وصفته بنت « ديكنز » مرة فقالت : إنه كان قدماً ثقيلاً .

ويقول العارفون — إنصافاً لديكنز — إنه لم يجعل صاحبه يحس بأن القوم كانوا يستثقلون ظله . ولكن علاقة التراسل قد انقطعت بين الكاتبين لسبب أو لآخر منذ عام ١٨٥٧ ، وقد يكون طلاق « ديكنز » من زوجته سبباً من تلك الأسباب . فلما مات « ديكنز » عام ١٨٧٠ وسمع « أندرسن » بنبأ الوفاة حزن حزناً شديداً وقال : والآن أصبح مستحيلاً عليّ أن أعرف أسباب القطيعة . . .

وبعد ، فإن المعنيّ بالأدب ليغتبط إذ يذكر أن إقامة موكب الشعلة تكريماً لأندرسن ، وأن إقامة حفلات التكريم له يوم منح حرية المدينة التي ولد فيها ، قد عوضته من كثير مما لاقى من أنواع الألم وألوان العذاب .

وقد تم له ذلك عام ١٨٦٧ ، أي بعد انقضاء عشر سنوات على مفارقته لديكنز . . .

مبارك إبراهيم

الأرض والجر والنقل وتخصيصها للرعي والألبان واللحم ، وتسهيل سبل المواصلات يؤدي إلى رواج التجارة وتركيز الربح في يد المنتج ، وليس في يد الوسطاء كما هي الحال الآن .

والمشاهد تاريخياً أن الدول الاستعمارية لا تشجع الدول التي تغلبها على أمرها على السير في طريق الصناعة الثقيلة . بل تدعوها وتحفزها دائماً إلى البدء بصناعات تحويلية خفيفة ، وهذا أمر واضح ، لأن فيه مصلحة للدول الغاصبة المستعمرة ، فهو يضمن لها سوقاً لرواج مصنوعاتها الثقيلة ولرؤوس أموالها الفائضة عن الحاجة في الوقت ذاته ، مع بقاء الدول المغلوبة على أمرها مستضعفة مهيضة الجناح ؛ عندئذ ترى رؤوس الأموال الأجنبية تتدفق — ومن ورائها النفوذ السياسي — وترى أن الصادرات الزراعية تزداد وكذلك الواردات الصناعية . وهذا هو بالضبط حالنا اليوم بعد ٧٠ عاماً من الرعاية الأجنبية والنهضة (القومية) .

وواضح أن مشروعات الصناعة الثقيلة ستلزم لها رؤوس أموال ضخمة تبقى معطلة بضعة أعوام — قد تكون عشرة أعوام أو أكثر — فينبغي لذلك أن نفرض سياسة التقشف في الاستهلاك القومي والقصد في النفقات طيلة هذه الأعوام . ولا بأس من الالتجاء إلى الاقتراض الداخلي حتى يتوزع عبء هذا المال الموجه على الأجيال المتعاقبة بدلاً من أن يحمله جيل واحد .

وأرى أن تكون الأسبقية لمشروع التصنيع العام في مصر ، أما تحديد الملكية وتخفيض الإيجارات الزراعية وإلغاء الوقف أو إبقاؤه وغيرها من المشروعات الكبرى التي يدور الحديث حولها الآن ، فهي من باب الإصلاح السريع لأوضاع فسدت زمناً طويلاً ، ولكنها إذا نفذت ونجحت تماماً في التطبيق فلن تؤدي إلى تصنيع مصر ولا إلى تحويلها من دولة زراعية بدائية إلى دولة صناعية كبرى . بل سرعان ما سيظهر للجميع أن تغيير الملكية (بتوزيعها أو إنقاصها) لا يغني عن تغيير أساليب الزراعة ونظامها الأساسي ، وأن تخفيض نفقات المعيشة لن يؤدي إلى زيادة الثروة الكلية كلها كوحدة وإن نجح في حسن توزيعها وإقامة العدل بين المواطنين .

لقد ذكرنا الطاقة الكهربائية وخامات الحديد وصناعات الأسمدة كأمثلة للتصنيع الثقيل ، ولكن الأمثلة الأخرى كثيرة منها موارد البترول المصري والفوسفات والمنجنيز والصناعات الكيميائية القائمة على القطن وحامض الكبريتيك وزراعة الصحراء وإنشاء المراعي فيها ومصايد الأسماك والملاحات وغير ذلك مما طالت دراسته . ولكن توليد القوى هو بلا شك الخطوة الأولى .

وكل خطوة نحو الصناعات الثقيلة تؤدي بالتبعية إلى قيام صناعات أخرى ثقيلة أو خفيفة بجانبها . فإذا ولدنا محطة للقوى كان من الميسور إقامة المصانع حولها — وإذا أقمنا مصنعاً للصلب سهل إقامة عشرات الصناعات الإضافية إلى جواره . أما الصناعة الخفيفة فلا يؤدي قيامها إلى انتشار صناعات أخرى ذات قيمة بجانبها . فصناعة الجلود ربما تؤدي إلى صناعة الورق أو بعض المواد الكيميائية الخفيفة ، ولكن صانع الجلود سيرى من الأوفق له دائماً أن يستورد كل ما يحتاج إليه من مواد كيميائية أو منتجات من الخارج فتكون الفائدة الوحيدة التي تعود على البلد من تلك الصناعة هي قيمة اليد العاملة فقط . وطريق الصناعة الثقيلة هي التي سلكتها ألمانيا في القرن الماضي عندما أرادت أن تلحق بالدول الأخرى في مضمار الصناعة ، وكذلك روسيا في القرن الحالي عندما بدأت بنفسها تبني مجدها الصناعي من الأساس . وهذه السياسة لا شأن لها بنظام الحكم ، وإنما هي مسألة اقتصادية علمية واضحة ، الغرض منها الإفادة القصوى من جميع الإمكانيات وتدعيم النهضة القومية

إبراهيم حلمي عبد الرحمن

نقـــد

ديوان «أغاريد ربيع»

للأستاذ الشاعر فؤاد بليبل

للآنسة نعمات أحمد فؤاد

وبعد (ألحان الخلود) نتناول ديوان (أغاريد ربيع) للشاعر المغفور له فؤاد بليبل. وقد حدا بي إلى الكتابة عنه سببان: الأول: استجابة الشاعر للمجتمع الذي عاش فيه يتعرف إلى أدوائه ويطب لها مما ينفث في شعره حرارة الصدق وصدق الواقع... أما السبب الثاني: فهو شخصية الشاعر التي تطل عليك من بين أبياته.. شخصيه العارف لقدر نفسه في غير صلف أو تواضع، المعتز بفنه في غير زهو أو غرور...

والباحث تأخذ عينه في هذا الديوان عدة ظاهرات لعل أهمها:

طابع التقليد القدامى: بخاصة ومن سبقه من المحدثين بعامة. ومن سمات التقليد في شعره تمسكه — على بعد الفارق بين عصره وعصرهم — بتشبيهاتهم التي كانت تستساغ منهم، بل لعلها تحمد لهم لتجاوبها مع بيئتهم وحوهم، ولكنها لا تحس الآن لتغير الحياة عليها تغيراً بعيد المدى كبير الأثر جعل هذه التشبيهات وما شبهت به من الخامات. وإنها لظاهرة تلفت النظر أن تقع لشاعر حديث ثقافته فرنسية على مثل (ظهر المجن[1]، ونار القرى[2]، والدعاء بالسقيا[3].

ومن ألوان التقليد في شعره حفاوته بالمعارضة وما يدخل في بابها. فهو يعارض قصيدة الحصرى التي مطلعها: (يا ليل الصب متى غده).

وهو يتطلع إلى شاعرنا أحمد شوقي حين نظم قصيدته (صيف لبنان) بل سار وراء شوقي خطوة خطوة في المطلع، فكما استهل أمير الشعر قصيدته في الربيع بالبيت:

الربيع أقبل قم بنا يا صاح — حي الربيع حديقة الأرواح

استهل الشاعر المرحوم فؤاد بليبل قصيدته (صيف لبنان) بالبيت:

تلك الخمائل قم بنا يا صاح — ننزل على رحب بتلك الساح

كما تطلع إلى أبي تمام في قصيدته (بدائع الصعيد) فمضى يقسم مثله في الوصف. وإن من يقرأ بيت الشاعر:

لجمال (ڤينوس) وعفة (مريم)
ورشاد (مينرڤا) وحسن صوابها

يلوح له من قريب بيت الطائي في مدح أحمد بن المعتصم:

إقدام عمرو في سماحة حاتم — في حلم أحنف في ذكاء إياس

بل إنه ضمن شعره هذا البيت في قصيدة أخرى مدح بها أستاذاً له، ومنها:

اللودعي فما يشق غباره — هو والعلا في بردة أخماس
(إقدام عمرو في سماحة حاتم — في حلم أحنف في ذكاء إياس)

كما تطلع إلى شاعر الرسول حسان بن ثابت صاحب البيت:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم
شم الأنوف من الطراز الأول

فنسج الأستاذ فؤاد بليبل على غراره في قصيدته (دمعة وفاء)[1].

شم الأنوف ثواقب أحسابهم
بيض السرائر من فروع هشام

(١) في قصيدة (النائح الشادي) ص ٧٥.
(٢) و (٣) قصيدة بدائع الصعيد ص ٥٦، ص ٥٨.

(١) ص ٤٤.

كما تطلع إلى أبي العلاء أولا وشوقي ثانياً في وصف الحزن المتضاحك . فكما قال أبو العلاء في داليته المشهورة :

أبكت تلكمو الحمامة أم غنت ... على فرع غصنها الميـاد

وكما قال شوقي :

يا حماما ترنمت مسعدات ... وبها حاجة إلى إسعاد

ضاق عن ثكلها البكا فتغنت ... رب شجو سمعته من شاد

قال الشاعر فؤاد بليبل على غرارهما في قصيدة (عود على بدء)[1] :

ورب باك دموعه بسمات ... صدقوا ما افترى عليه التجلد

وكئيب آهـاته صدحات ... حسبوه من أسعد الناس أسعد

* * *

ومن مظاهر تقليده للقدامى الاستهلال منهم بالغزل والتخلص منه إلى المدح كما صنع في قصيدته (بدائع الصعيد) وبالغ في هذا حتى بلغت أبيات الغزل في القصيدة أربعة وعشرين بيتاً .

وهو كشعراء العصر العباسي حفيّ بالبديع كقوله مطابقاً :

شقي بذكراه سعيد معذب

مريض صحيح باسم الحظ عاثره

طروب غضوب ضاحك متجهم

صموت فصيح ناعس الجفن ساهره

ويرجع هذا التقليد للقدماء إلى أن الشاعر كان في مطلع حياته الذي صار ختاماً في نفس الوقت . والمبتدئ في أول أمره يقلد لقرب عهده بمن قرأ لهم واتصال تأثره بهم . فإذا امتد به العمر ، نضج مع الأيام واستقلت شخصيته متحللة من التأثير القديم ، وعندئذ يكون له طابعه المميز له .

وفؤاد بليبل لم يصل إلى هذه الغاية لأن الموت اخترمه قبل الأوان .

* * *

ومن ظاهرات الديوان اصطناع الشاعر الحكمة على

(١) البيتان ص ٨٤ .

طراءة سنه . فقصيدتاه (عبر الدهر)[1] . و (من تجارب الحياة)[2] . مواعظ هرم بلا الحياة والناس واحتشد له في جعبته الكثير من تجارب السنين وعبر الأيام .

وقد يبدو هذا الوقار من الشاعر متناقضاً مع غزلياته المشبوبة المتأججة . ولكنا نستطيع أن نسلك نزوات الشاعر في عداد تجاربه واختباراته للحياة التي خرج منها ممرور آمعذب النفس . بل لعل تخبط عاطفته وتنقله في الهوى ذلك التنقل الذي عبر عنه في بيته :

غير وقف على غرام وحيد ... أو أليف فرد وحب حلال[3]

لعل هذا صدى لإحساسه بالقلق والألم اللذين يثقلان عليه حتى ليلتمس المهرب منهما عند الإثم كالمستجير من الرمضاء بالنار .

ومرارة الشاعر وقلق نفسه ، عليه أكثر من دليل في غضون شعره . ففي قصيدته (طيف الشك)[4] . وهي من حبر شعره تتراءى نفسه معذبة تتجاذبها نوازع شتى تهفو فترد نبع العاطفة ملتاحة تعب منه ثم يلوح لها الشك فتشجو وبعضها العذاب . ولكنها تحن فتمارى ، وتشتاق فتتغابى ، ويمزقها التأرجح بين الشك واليقين ، فتغرق شقاءها في الكأس ولكن إلى حين . ثم يفيق على صرخة الإباء الكامن في ضميره فيعزف عن هوى مشوب مسه منه لغوب .

ولعل هـذه الأبيات تصور ماذهبت إليه :

سمعـت بأذني ما تكذبه نفسي

وشمت بعيني ما يغالطـه حسي

تجسم طيف الشـك حتى لوانني

تلمسته بالكف هان على اللمس

وأنكر حينا ما أعي ، وأقـره

وأغدو على بعض الظنون و لا أمسي

(١) ص ٢٦ .

(٢) ص ١٠٧ .

(٣) من قصيدة (بين عهدين) ص ١١٢ .

(٤) ص ٣٥ .

وأهجر حتى لا تزاور بيننا
فيدفعنى ضعفى ويردعنى يأسى
ولما تجلى الشك فى أفق الهوى
وأشرق نور الحق من ظلمة الحدس
تيقنت أنى لا محالة هالك
إذا أنا لم أربأ بنفسى على الرجس
فودعت أحلام الهوى وغروره
وشيعت أوهام الشباب إلى الرمس

* * *

وفى قصيدته (طريق الذكريات)(١) ترى نفسا موحشة تختزن فى أطوائها ذكريات لا آخر لها تخلع عليها أحياناً رغم شفافيتها طابعا خشنا فتبدو كالصحراء فى ظاهرها الجدب وفى باطنها أكثر من نبع عذب .

ولعل هذا الإحساس بالألم يعزى إلى شعوره بغربته عن وطنه الأصلى (لبنان) ويعود إلى اعتقاده أنه مغبون فى هذه الحياة وهو الشاعر ، يرى كابن الرومى أنه لشاعريته أولى الناس بإعزاز وتكريم . وتترجم شعوره بالغبن قصيدته (ما أفضل العمى) (٢) ومن أبياتها :

ترنمت ترنيم الهزار فلم أصب
سوى البؤس حظا والخصاصة مغنما
حسبت القوافى تلبس المجد ربها
وما كنت إلا مخطئاً متوهما
على أننى مازدتها غير روعة
وما زدننى بالعيش إلا تبرما
إذا شئت إدراك المعالى رخيصة
فلا تك قوالا ولا متعلما
فما أنت فى الدار المقدرة التى
تقدس فناً أو تقدم ملهما
ديار إذا صات الغراب تبسمت
وتأبى إذا غنى الهزار التبسما

(١) ص ٣٨ .
(٢) ص ٧٨

وتطرب للشعر الركيك إذا وهى
وتزهد فى القول البليغ إذا سما

* * *

ومن ظاهرات الديوان حنين الشاعر المتصل إلى لبنان موطنه الأصلى رغم أن أسرته نزحت إلى مصر منذ أمد طويل ورغم أن الشاعر ولد وعاش فى مصر ، ولكن شعره ينم على أن الوطن عنده لبنان لا مصر . فقصائده فى لبنان(١) من أجود شعره وأعمقه حساً رغم أنه قالها فى فجر شبابه بين سنتى ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ حين تجاوز العشرين بقليل . . . تغنى بجماله مزهواً ، وبكى لآلامه أسوانا ، حتى لقد تذكره فى يوم سرور له كان فيه ضيماً على أحد أبناء الصعيد . ومثل هذه اللفتة آية صدق تنم عن شعور عميق بلبنان ، شعور متصل لا يغيبه عنه شاغل ، أو يلهيه عنه متنزه أو مجلى سرور . . . لقد مدح مضيفه المصرى ولكنه ما إن تذكر لبنان حتى نسى الممدوح وبلده ، وانتفض على سانح من خاطر عزيز مثل لعينيه ربوع لبنان وطنه كما صرح بهذا ، فطفق يقول :

ولقد شجانى أن أبيت منعما
وربوع أوطانى على أوصابها
وأجوب أنحاء الصعيد مكرماً
وذرى جبال الأرز رهن عذابها

واستغرقته الذكرى فمضى يستعرض أمر لبنان فى سبعة وعشرين بيتاً ، أى نحو ثلث القصيدة . . .

قد يقول قائل : لقد ذكر مصر كذلك ، فنى الديوان أنشودة لمصر(٢) وفيه قصيدة ترثى سعدا المصرى(٣) ، وأخرى تحية لشهداء مصر(٤) . ولكن الأنشودة والقصيدتين تنقصها حرارة الحماسة ونبض القلب لتدب فيها الحياة ، ويسرى

(١) هذه القصائد هى : دستور لبنان ص ٢١ ، صيف لبنان ص ٤١ ، دمعة وفاء ص ٤٤ ، ذكريات ص ٨٥ .
(٢) ص ٨٨ .
(٣) ص ١٠٥ .
(٤) قصيدة بعنوان : (إلى المجد) ص ١١٦ .

فيها دفء العاطفة . إن قصيدته (إلى المجد) التي حيا فيها شهداءنا الأبرار فيها مدح المجامل واستعبار المعزى ، وليس فيها لوعة المواطن وحزن الشجي ، وكم بين من يبكي نفسه عن أسى ، ومن يبكي غيره عن رحمة . . .

ولكننا لا نعتب ولا نلوم ، بل على العكس نحمد له هذه الأصالة في الوطنية التي لا ينال منها البعد أو كرم الغير . إني أحس معه لأنني أؤمن أن لو قُدر لي البعد عن وطني مصر ، ثم أفسح لي في العمر عشرات السنين فلن أنسى ما حييت الضفاف الخضر التي باركت مولدي ، ودرجت فيها طفولتي ، وشب فيها صغري ، وعاش بها أهلي ، وضم ثراها الطهور أعز الناس كلهم عليّ . . . إني أعتقد أن البعد يذكي حبها في قلبي ، ويعمق مكانها في شعوري ، ويلهب حسي بها وولوعي . . . قد يأخذ عيني هذا اللون أو ذاك من حضارات غيرها من الأوطان ، ولكن إعجاب المشاهد غير إيمان الوطني ، وتقدير المنصف غير حب الوفيّ . . .

* * *

ومن ظاهرات الديوان خلوه من مدح الحكام . إن تقدير المحسن لا عيب فيه ، بل هو واجب ليزداد إحسانا ولا يثنيه الجحود ، ولكن المدح يكال عن غير عقيدة مهانة تزري بكرامة الإنسان ... وقد خلا الشاعر من هذه الصفة . لقد رثى أحد رجالات لبنان ومدح مضيفاً مصريا أكرمه في بلده وبيته ولكن هذا وفاء . . . كما مدح صديقه الشاعر عليّ محمود طه ، والأستاذ الزيات لأنهما من مدرسته المحتفية بترصيع الأسلوب ، ولكن هذا يدخل في باب الإخوانيات لا المديح وخاصة المغرض منه .

وفي الديوان أطياف من (الدينية) تلوح في شعره من القرآن اقتباساً(1) ومن الكنائس طقوساً(2) يستمد منها بعض تشبيهاته .

(1) اقتبس من القرآن الكريم الآية : « قتل الإنسان ما أكفره » في قصيدته : (بين الشرق والغرب) :

ولو أن الشرق ضحى ودأب ... كان لطف الله قد أطه . .
إنما أهلوه زادوه نصب ... قتل الإنسان ما أكفره

(2) لمح الشاعر معابد قومه في هذا البيت :

وما الأفق إلا هيكل ونجومه ... شموع وأنفاس النسيم مباخره

أما حفاوة الشاعر بالصياغة بحلية السمات ، بل إن ولعه بالتجويد في الأسلوب يدفعه أحيانا إلى المبالغة في اصطياد الألفاظ الصعبة وسلكها في شعره تفاصحاً بالغريب كاستعماله كلمة (الخيس)(1) بمعنى موضع الأسد ، وكلمة (أساجر)(2) بمعنى الأنهار المملوءة . . . هذا على سبيل المثال لا الحصر .

[له بقية] نعمات أحمد فؤاد

(1) ، (2) ورد اللفظان في قصيدة [ذكريات] ص ٨٥ ، ٨٦ .

تحية الثقافة

إلى مجلة « الوعى » الباكستانية

أصدرت سفارة الباكستان عن قسم الصحافة بها مجلة أسبوعية اختارت لها اسم « الوعى » لتحل محل مجلة البشير ولتؤدي نفس الرسالة التي كانت تضطلع بها .

وإذا كانت البشير قد قامت ببيان بوادر الوعي السياسي والاجتماعي الذي يعم بلاد الشرق العربي والإسلامي منذ أربع سنوات منذ أول صدورها فإنا نرجو أن تكون خليفتها مجلة « الوعى » بشيراً جديداً بأن يقظة الشرق قد أصبحت حقيقة بعد أن كانت أمنية .

والعدد الأول من هذه الشقيقة الكريمة يفيض بالبحوث الأدبية الممتعة واللمحات الشعرية الرائعة ، وفيه تعريف طريف بالأدب والفن في الباكستان الشابة المتطلعة إلى الحياة كما أن فيها نماذج من القصص الحديث الذي ينم عن النهضة الجديدة التي تهز هذا الشعب الشرقي الإسلامي النبيل . وإنا لنهنىء قسم الصحافة في السفارة الباكستانية على هذا النشاط الأدبي المفيد ، فإن القراء في مصر وفي الأقطار العربية جميعاً يرحبون بمثل هذه الفرصة التي تتيح لهم أن يتعرفوا إلى عبقرية الآداب والفنون في شعب إسلامي عريق في خدمة الثقافة الإسلامية والإنسانية .

رأى فى ترجمة قصة عالمية :

حول ترجمة «المساكين» لدستويفسكى

للأستاذ فاروق خورشيد

[هذا رأى قد يجد أنصاراً وقد يجد معارضين ، ولكنه على كل حال طريف شائق ننشره لما فيه من بواعث على التفكير] .

قدم لنا (كتاب اليوم) هذا الشهر ترجمة لإحدى روائع دستويفسكى بقلم السيدة صوفى عبد الله ، وهى روايته الأولى (المساكين) .. والقصة قطعة من الأدب الرومانسى الذى كان فى أوج قوته وعنفوانه إبان القرنين السابع عشر والثامن عشر . وأنا لا أريد هنا التحدث عن القصة نفسها ولا عن مؤلفها ، فلست أتعرض لنقد دستويفسكى ومساكينه وإنما أنا أحاول هنا أن أتحدث عن (مساكين) صوفى عبد الله . . . ولا أعتقد أن هناك حاجة كبيرة لأن أقول بوجود فرق جوهرى بين ما كتبه دستويفسكى وما كتبته صوفى عبد الله ، فالأدب الرومانسى لا يعتمد على الحوادث ولا يرتكز على عنصر الفجاءة والحركة فى القصة ، بل يقوم على أساس من التعبير الكامل عن إحساس متفرد بالأسى والحزن والوحشة ، والكاتب يختار لقصته زوايا يلتقط منها صورة تتسم كلها بالطابع السوداوى المتشائم الذى يميز أدب الأبراج العاجية . ويعتمد الكاتب فى هذا النوع من العمل الفنى على الطبيعة اعتماداً كبيراً يمزج بمظاهرها أحاسيسه مزجاً تاماً ، ويستغل التقابل أو التوافق لتجسيم إحساسه بالأسى والمرارة . . . ولهذا فالترجمة لمثل هذه الأعمال شاقة مضنية إذ العمل الفنى بما فيه من أصالة وصدق يعبر تعبيراً لا ينفع فى نقله ترجمة ، إذ يقصر المترجم عن نقل الإحساس المعبر عنه ، والمترجم يقف عادة أمام هذه الأعمال الفنية حائراً متردداً ، فهو إن ترجم ترجمة حرفية أفقد خاصية التراكيب كل ما فيها من جمال معبر ودقة مقصودة بذاتها ، وهو إن تصرف من عنده أضاع النص الأصلى كله وكتب شيئاً جديداً من عندياته لعله يعتمد فى أصوله الأولى على الهيكل الذى كتبه الفنان ، ولكنه يضطرب بحياة أخرى غير تلك الحياة التى كان يضطرب بها النص الأصلى إذ هى مستمدة من المترجم لا من الفنان نفسه ، والعمل الفنى عندئذ معرض لتأثيرات مختلفة تبعده عن النص الأصلى ، إذ يؤثر فى الترجمة مقدار فهم المترجم لخصائص اللغة المترجمة عنها ومقدار فهمه للنص ، ثم يؤثر فيها أيضاً مقدار تذوق المترجم للنص نفسه ودرجة إحساسه بما فيه من جمال وتلقيه لما فى تعابيره من إحساس ، وقيمة هذه الأحاسيس عند المترجم . الشىء الذى يخضع لاستعداده النفسى واتجاهه التذوقى .

لهذا كان (مساكين) صوفى عبد الله شيئاً آخر غير (مساكين) دستويفسكى ، وكان هذا الاختلاف شيئاً طبيعياً متوقعاً ، وهذا الاختلاف تلمحه فى ثقافة (مقار ديوفشكين) العربية الإسلامية عند صوفى عبد الله ، فهو يصف صاحبة البيت قائلا «أما صاحبة البيت فأعوذ برب الفلق من شر ما خلق .. (ص ١٩) » وهو يحدث نفسه قائلا « دع المقادير تجرى فى أعنتها ، وليكن ما يكون ، وعلى أن أسعى وليس على إدراك النجاح . . (ص ١٠١) » وهو يصف كأس الحياة بقوله . « لو مسها حجر مسته سراء . . . (ص ١١٠) » ولا تقل عنه (ربارة) فى ثقافته العربية ، فالناس فى (بطرسبرج) كلهم غريب « وما من غريب فيهم للغريب نسيب . . (ص ٣٠) » وهى وأمها فى ضنك « فكأننا على شفير هار . . (ص ٣٢) » .

و (مقار ديوفشكين) و (ربارة) المفروض فيهما أنهما مواطنان روسيان يعيشان فى مكان ما ببطرسبرج . وقد بحثت فى معجم البلدان لياقوت علنى أجد اسم (بطرسبرج)

فلم أجد شيئاً . أما دائرة المعارف فهي تقول : إن (بطرسبرج) إحدى حواضر روسيا القيصرية بناها القيصر بطرس الأكبر ! .

و (بربارة) لا تمتاز فقط بثقافتها العربية ، بل هي قاهرية تعيش في صميم القاهرة ، فهي تتمنى « قبلة الأم الحنون التي تشرح الصدر الحزين . . . (ص ٣١) » فهي كما ترى تستعمل تعبيرات قاهرية صميمة تمتاز بها نساء القاهرة اللائي يعرفن (البدر في تمامه) و (الصدر الحزين) وغيرهما من التعبيرات . . .

ولست آخذ هذا على أسلوب السيدة المترجمة ، فلها الحق في استعمال ما تشاء من تعبيرات ، وإنما على أن لا يفقد هذا القصة جوها الذي تقوم عليه وتحكي عنه ، فما بالك والقصة من الأدب الرومانسي الذي يعتمد اعتماداً كاملا على رسم الجو ونقل الأحاسيس والتعبير عن الوجدان ، وليس للحبكة القصصية فيه أهمية كبرى ، كما ليس للحوادث والمفاجآت قيمة ذات بال . . وما بالك إذا كان التعبير يقوم على أساس من التصوير اعتمادا على الطبيعة أو على اللقطات السريعة من زوايا معينة ولا يقوم على أساس من السرد المحض . !

القصة إذن فقدت جوهرها وغدت هيكلا عظميا فيه حياة حقاً ، ولكنها حياة وئيدة تدب خجلى متعثرة هنا وهناك . وقد تكفلت المترجمة بتكمين الشخصيات اذ أفقدتهم ما امتازوا به من جو خاص وما يعيشون فيه من حياة روسية أصيلة . (فمفار) لم يعد ذلك الكاتب الساذج الذي يشغل وظيفة الخطاط ولا يعرف من حياته الا كيف يجود خطه ، وغدا إنسانا متفقاً يتحدث في رزانة واعتداد ، ويشرح ويفصل ببساطة وهدوء ، ولم يعد في القصة من معالم البيئة الروسية إلا الأسماء والألقاب . .

المترجمة تأثرت بالقصة فترجمتها وهي تقول مهلة عن رأيها في المقدمة : (فإذا خانك الدمع أيها القارئ — وسيخونك حتما — وأنت تتلوها مستغرقا في سطورها المتأججة بالشعور الجياش ، فلا تخجل من دموعك وأطلقها . . !) ولكن الترجمة لا تبعث لا الدموع ولا الأسى ولا أي شيء ، إنها ترجمة باهتة لأصل حي نابض . والسر يعود في هذا إلى الطريقة التي اتبعتها المترجمة الفاضلة في عملها ، فهي قد نقلت هذه القطعة السامية وكأنها تترجم رواية بوليسية ، فلم يهمها إلا وجود الحوادث والربط بينها دون أن تراعي نقل الأصل بقدر الإمكان والمحافظة على الجو والحوار كما هو كلما أمكنها ذلك ، متكلفة في هذا كل ما تستطيع أولا تستطيع أن تتحمله . . . كما لعل مرجع هذا إلى أنها لم تنفعل بما فيه الكفاية للقصة ، فهي تبذل مجهوداً في انتقاء الألفاظ وتخير الكلمات وتركيب الجمل ، وهذا المجهود يجعل نقل الإحساس عملا يأتي في المرتبة الثانية أولا يأتي على الإطلاق ، ويبدو مجهودها اللفظي في اختيارها الألفاظ العربية العريقة التي توقف استعمالها (كالقصب والشفير والشموس) كما يبدو فيما لجأت إليه من تضمين لأبيات الشعر والآيات القرآنية في كل مناسبة . ثم إليك أخيراً نموذجاً من أسلوبها (وإنما هي دموع الإحساس الكريم والأسى الرحيم ، لنفوس حرمت كل جميل ، وهي أهل لكل جميل ، لأنها فطرت من النور وصبت إلى النور ، فقضى عليها أن تتخبط في غياهب الديجور « ص ١٠ ») أرأيت إلى هذا التكلف في السجع وتساوي الفقرات ورجوع الأعجاز إلى المقدمات ، وأمثلة هذا المجهود اللغوي والبياني الشاقة موجودة في الكتاب بأجمعه . . .

إن المترجم الذي يبذل مجهوده الأساسي في اختيار الألفاظ وانتقاء الكلمات لا الموافقة أو المعبرة ، بل مجرد الألفاظ العربية القحة ، يجني على جوهر الترجمة ويجور على الأصل الذي يترجم له . . والمترجم الذي يجهد نفسه ويكلفها شططاً في اختيار جمله وتركيب عباراته لا لتكون قريبة ما أمكن إلى العبارات الأصلية ، بل لتكون قائمة على الأسس التي يتعلمها التلاميذ في المحسنات البديعية والنكت البيانية ، إنما يبعد ما بينه وبين الأصل ويضع بينه وبين ما يترجم له سداً صيكا يفصل بينهما . .

ولو أن هذا المجهود بذل في تفهم النص وتذوقه ، وجاء بعد هذا التعبير سهلا لا تعقيد فيه ولا تكلف لقرب المترجم من النص إلى حد كبير ، ولتجنب إفقاد النص حياته وجوه وميزانه الخاصة به . .

فاروق خورشيد

رأى فى ترجمة فصحى

«متلوف» و«طرطوف»

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

...رح الحديث بموليير وأنفقت ... إخراج رواياته . . وما من شك فى أن هذا ... الكوميدى العظيم خليق بالشغف به ، بل ما من شك فى أننا من أكثر أهل الأرض حاجة إلى كوميدياته . ولئن جاز لغيرنا أن يشغف به بوصفه واضع أسس الكوميديا الفرنسية أو ما شابه ذلك ، لحرى بنا أن نشغف به — فضلا عن ذلك — بوصفه أحد الأفذاذ القلائل الذين اتخذوا من الضحك وسيلة رادعة لمعالجة نقائص المجتمع . . وإذن فليس من الإسراف أن تثابر فرقتنا على تمثيل رواياته وتكرارها ، وليس من العبث أن يضحك زكى طليمات جمهورنا فى القرن العشرين بما أضحك به موليير جمهور فرنسا فى القرن السابع عشر إضحاكاً مشبعاً بالأسى على ما يتفشى فى الجموع أحياناً من غفلة ما كان لها أن تتفشى فيهم لولا هذه الغشاوات الرقيقة الدقيقة التى تحجب بصائرهم عن الإدراك .

ونحن اليوم إزاء نموذج عجيب فى هذا المضمار : شيخ من أدعياء الزهد والورع والتقوى يستتر خلف جبة وقفطان ومسبحة ليعيث — بهذه الأدوات — فى الأرض فساداً . فهو يدخل البيوت من غير أبوابها وينتهك الحرمات ويستحل المحرمات ويعيش على حساب الآخرين دون أن يفطنوا لنذالته ، بل لقد تصل بهم السذاجة إلى حد تقديسه والتهافت عليه وإلقاء أموالهم ومتاعهم ونسائهم ومصائرهم طوعاً بين يديه . هذا هو طرطوف كما صوره موليير وكما نقله بأسلوب زجلى طريف زجال الجيل الماضى « عثمان جلال » فى روايته (الشيخ متلوف) .

وما أظن أن بى حاجة إلى تلخيص هذه الرواية التى لا يكاد يجهلها أحد من رواد المسرح وعشاق الأدب المسرحى بصفة عامة . فقد عرفها أسلافنا منذ بداية عهدنا بالمسرح إذ ظلت روايات موليير على وجه الخصوص معيناً لا ينضب للمترجمين والمقتبسين ردحاً طويلا من الزمن . وعرفها جمهورنا منذ مثلتها وأعادت تمثيلها فرقنا التمثيلية أكثر من مرة ، حتى صارت شخصياتها نماذج تروى بين الناس للتندر حيناً وللعبرة والعظة حيناً آخر . . وعرفها القراء منذ قام بترجمتها — فيما أذكر — الصحفى الكبير أحمد الصاوى إلى العربية الفصحى وقررتها وزارة المعارف بين مقروءات المدارس ومحفوظاتها .

لكن لعل مما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن نتساءل عما حدا بفرقة المسرح الحديث إلى إيثار تمثيل الرواية الزجلية دون الرواية الفصحى ، وقد عهدناها تؤثر تمثيل المترجمات الفصحى باعتبارها أكثر تمشياً مع منهاجها وأكثر تحقيقاً لأهدافها وأكثر تناسباً مع جمهورها .

والواقع أننا نتقول عليها وعلى أنفسنا إذا حاولنا المفاضلة بين هذه الرواية أو تلك دون أن نتبين أيهما أصدق تعبيراً عن الكوميديا الأصلية كما ألفها موليير ، غير أنى أخشى أن يسوقنا هذا إلى معاودة التطرق نحو مشكلة المقارنة بين العامية والفصحى ، وهى مشكلة لا يرى أساتذتنا فى مناقشتها جدوى . ولا زلت أذكر ما نصحنا به أستاذنا الكبير (ف) منذ قريب حيث قال : « فلندع هذه المسألة للزمان والفن فهما كفيلان بحلها على خير وجوهها » . ومع أننا نعلم قبل كل شىء أن اللغة — كما يقول فندريس — ظاهرة أوجدتها موهبة « إنتاج العلامات » للتعبير المقصود به الإفهام والتفاهم ، ومن ثم تظل خاضعة للحياة فى تطورها الذى لا ينتهى عند حد معين . . . ونعلم ثانياً أن من أهم مظاهر حيوية اللغة أن تتفتح على شفاه الجماهير ولا يتأتى ذلك — كما يقول موس Mauss — إلا إذا تشبث جذورها فى أقصى أعماق مشاعرهم . . ونعلم ثالثاً أن لكل جماعة طابعها الخاص الذى يطبع أفرادها بوجوه مقررة من التشابه ، وأن هذا الطابع — كما يقول ليفى بريل — ينعكس على لغتهم . . ونعلم رابعاً أن بعض الألفاظ والأساليب العربية الفصحى قد فقدت قيمتها التعبيرية منذ فقدت — بالضرورة وبالتطور — ما كان يحيط بها من أجواء عاطفية ونفسية ، أو منذ عجزت عن أن تنفض عنها ما تراكم عليها من دلالات سلفية قديمة كان لها شأنها فى بيئتها الأولى وحدها . . ونعلم خامسا أن الأمم الأوروبية لم تترك لغتها اللاتينية إلا بعد أن احتدمت بسببها معارك ومناقشات أدبية احتداماً عنيفاً ، وبهذا تلاشت تلك اللغة العتيقة تدريجياً وظفرت كل أمة منها بلغة أكثر قدرة على تصوير خواطرها وإحساساتها . . . مع أننا نعلم ذلك إلا أنى أحب أن أنتصح بما نصحنا به أساتذتنا من تجنب الخوض فى هذه المسألة ، وأن نجتزئ بما تضطرنا إليه الكوميديا التى نحن بصددها من حصر الحديث عنها فى زاوية معينة لا تتناول سوى النظر إلى العامية والفصحى من حيث قدرة كل منهما على ترجمة الفن الكوميدى بالذات .

ومثلى لا يستطيع الإدلاء فى هذه المشكلة — وهى عويصة أيضاً — برأى قاطع ، ولكنى إذ ألجأ إلى فلاسفة الكوميديا وفقهاء اللغة أجد أن برجسون يصف الألفاظ الدارجة التى تجرى على ألسنة العامة بأنها ألفاظ تعبر عن ذهول فى اللغة ، ثم يستطرد فيقول إن الذهول من أشد بواعث الضحك ، وأجد كذلك أن بير حانيه يصف شخصيات موليير بأنها شخصيات لا يمكن أن تعبر عن مكنوناتها بلغة رفيعة إذ أن هذه اللغة تنقلنا إلى مستوى فخم لا يجارى مستواها ولا يساعد على تذوق موليير . وربما يكون من المفارقات أن يقال هذا عن موليير وهو فى قمة الكلاسيكيين ، غير أن استقراء رواياته يدلنا بوضوح على أنها مزيج غريب من الكوميديا المرتجلة والفارس Farce وطرز العصور الوسطى ، لولا أن عبقريته قد سمت بهذا المزيج الشعبى إلى ذروة لم يبلغها أحد من معاصريه ، وظل رغم ذلك شديد الصلة بأذهان الجماهير وأفئدتهم .

فهل نستطيع أن نستخلص من ذلك أن النقل عن موليير باللغة الدارجة قد يكون أكثر صدقاً من النقل عنه بالفصحى التى ألفنا أن نحس عند سماعها بشىء من التبجيل ؟ وهل نستطيع أن نزعم أن فى ترجمة كوميدياته إلى الفصحى تعارضا بين مدلول اللغة وجوهر الأحداث الساخرة التى عالجها ، وصعوداً بها إلى مثالية لا مراء فى أنها تضعف من أثرها ؟ أحسب أننا لا نشتط كثيراً إذا بدا لنا بعد ذلك أن النص الزجلى — أى رواية متلوف — أكثر انطباقاً من رواية طرطوف على النص الأصيل ، وأبلغ تعبيراً عن الروح الكوميدية التى تغمره . ومهما يكن اعترافنا ببراعة الترجمة الفصحى إلا أننا قد لا نجد مناصاً من القول بأن الشخصيات التى تدور حولها هذه الكوميديا لا يمكن أن تستنطقها الفصحى إلا بصعوبة وتصنع ومعاناة . يؤيد ذلك قول جان بول : « إن تقوية الفكاهة إنما تكون بالهبوط إلى جذور الفكرة الفكاهية لكى يتسنى لها أن تعبر عن خصائصها فى غير تحمس وفى غير مبالاة ، ومن ثم فهى تستلزم التعبير العيانى عن الوقائع التحليلية وهذا هو جوهر الفكاهة نفسه . وباللغة الدارجة نصل إلى العمق أى نصل إلى منبع الضحك عن كثب . ولو أننا توسلنا إلى ذلك باللغة الفخمة لأمكن الضحك لا من الأحداث بل من اللغة نفسها باعتبارها أداة متصلبة تعوزها المرونة » .

ولكن . . . هل هذا هو ما قصدت إليه فرقة المسرح الحديث ؟ ! .

يقولون إن الأستاذ الكبير زكى طليمات شاء — والله أعلم — أن يعقد مقارنة بين قدرة القدامى والمحدثين من الممثلين على تحقيق إخراجه وأن يتخذ من هذه المناسبة فيصلا بين أسلوبين من أساليب الأداء . ويخيل لى أن الأمر على هذا النحو يتطلب شيئاً من المراجعة لا بالنسبة لهذه الرواية وحدها ، بل بالنسبة لطرائق الأداء التمثيلى فى مصر بصفة عامة . صحيح أن المحدثين قد نهضوا بما مثلوه نهوضاً يبدو أكثر تناسبا مع مقتضيات الأوضاع المسرحية المصطلح عليها فى العصر الراهن ، وإنما قد يكون من وضع الأشياء فى غير موضعها أن نعقد مقارنة بين طائفتين لا وجه للمقارنة بينهما . ولست أغمط فضل الأخلاف والأسلاف جميعاً إذا قلت إن طاقاتهما الفنية تتباين تبايناً جوهرياً : فالقدامى قوم حذقوا

تثبت جذورها فى أقصى أعماق مشاعرهم . . ونعلم ثالثاً أن لكل جماعة طابعها الخاص الذى يطبع أفرادها بوجوه مقررة من التشابه ، وأن هذا الطابع — كما يقول ليفى بريل — ينعكس على لغتهم . . ونعلم رابعاً أن بعض الألفاظ والأساليب العربية الفصحى قد فقدت قيمتها التعبيرية منذ فقدت — بالضرورة وبالتطور — ما كان يحيط بها من أجواء عاطفية ونفسية ، أو منذ عجزت عن أن تنفض عنها ما تراكم عليها من دلالات سلفية قديمة كان لها شأنها فى بيئتها الأولى وحدها . . ونعلم خامساً أن الأمم الأوروبية لم تترك لغتها اللاتينية إلا بعد أن احتدمت بسببها معارك ومناقشات أدبية احتداماً عنيفاً ، وبهذا تلاشت تلك اللغة العتيقة تدريجياً وظفرت كل أمة منها بلغة أكثر قدرة على تصوير خواطرها وإحساساتها . . . مع أننا نعلم ذلك إلا أننى أحب أن أنتصح بما نصحنا به أساتذتنا من تجنب الخوض فى هذه المسألة ، وأن نجتزئ بما تضطرنا إليه الكوميديا التى نحن بصددها من حصر الحديث عنها فى زاوية معينة لا تتناول سوى النظر إلى العامية والفصحى من حيث قدرة كل منهما على ترجمة الفن الكوميدى بالذات .

ومثلى لا يستطيع الإدلاء فى هذه المشكلة — وهى عويصة أيضاً — برأى قاطع ، ولكننى إذ ألجأ إلى فلاسفة الكوميديا وفقهاء اللغة أجد أن برجسون يصف الألفاظ الدارجة التى تجرى على ألسنة العامة بأنها ألفاظ تعبر عن ذهول فى اللغة ، ثم يستطرد فيقول إن الذهول من أشد بواعث الضحك ، وأجد كذلك أن بيير حانيه يصف شخصيات موليير بأنها شخصيات لا يمكن أن تعبر عن مكنوناتها بلغة رفيعة إذ أن هذه اللغة تنقلنا إلى مستوى فخم لا يجارى مستواها ولا يساعد على تذوق موليير . وربما يكون من المفارقات أن يقال هذا عن موليير وهو فى قمة الكلاسيكيين ، غير أن استقراء رواياته يدلنا بوضوح على أنها مزيج غريب من الكوميديا المرتجلة والفارسى Farce وطرز العصور الوسطى ، لولا أن عبقريته قد سمت بهذا المزيج الشعبى إلى ذروة لم يبلغها أحد من معاصريه ، وظل رغم ذلك شديد الصلة بأذهان الجماهير وأفئدتهم .

فهل نستطيع أن نستخلص من ذلك أن النقل عن موليير باللغة الدارجة قد يكون أكثر صدقاً من النقل عنه بالفصحى التى ألفنا أن نحس عند سماعها بشىء من التبجيل ؟ وهل نستطيع أن نزعم أن فى ترجمة كوميدياته إلى الفصحى تعارضا بين مدلول اللغة وجوهر الأحداث الساخرة التى عالجها ، وصعوداً بها إلى مثالية لا مراء فى أنها تعصف من أثرها ؟ أحسب أننا لا نشتط كثيراً إذا بدا لنا بعد ذلك أن النص الزجلى — أى رواية متلوف — أكثر انطباقاً من رواية طرطوف على النص الأصيل ، وأبلغ تعبيراً عن الروح الكوميدية التى تغمره . ومهما يكن اعترافنا ببراعة الترجمة الفصحى إلا أننا قد لا نجد مناصاً من القول بأن الشخصيات التى تدور حولها هذه الكوميديا لا يمكن أن تستنطقها الفصحى إلا بصعوبة وتصنع ومعاناة . يؤيد ذلك قول جان بول : « إن تقوية الفكاهة إنما تكون بالهبوط إلى جذور الفكرة الفكاهية لكى يتسنى لها أن تعبر عن خصائصها فى غير تحمس وفى غير مبالاة ، ومن ثم فهى تستلزم التعبير البيانى عن الوقائع التحليلية وهذا هو جوهر الفكاهة نفسه . وباللغة الدارجة نصل إلى العمق أى نصل إلى منبع الضحك عن كثب . ولو أننا توسلنا إلى ذلك باللغة الفخمة لأمكن الضحك لا من الأحداث بل من اللغة نفسها باعتبارها أداة متصلبة تعوزها المرونة » .

ولكن . . . هل هذا هو ما قصدت إليه فرقة المسرح الحديث ؟ ! .

يقولون إن الأستاذ الكبير زكى طليمات شاء — والله أعلم — أن يعقد مقارنة بين قدرة القدامى والمحدثين من الممثلين على تحقيق إخراجه وأن يتخذ من هذه المناسبة فيصلا بين أسلوبين من أساليب الأداء . ويخيل لى أن الأمر على هذا النحو يتطلب شيئاً من المراجعة لا بالنسبة لهذه الرواية وحدها ، بل بالنسبة لطرائق الأداء التمثيلى فى مصر بصفة عامة . صحيح أن المحدثين قد نهضوا بما مثلوه نهوضاً يبدو أكثر تناسبا مع مقتضيات الأوضاع المسرحية المصطلح عليها فى العصر الراهن ، وإنما قد يكون من وضع الأشياء فى غير موضعها أن نعقد مقارنة بين طائفتين لا وجه للمقارنة بينهما . ولست أغمط فضل الأخلاف والأسلاف جميعاً إذا قلت إن طاقاتهما الفنية تتباين تبايناً جوهرياً : فالقدامى قوم حذقوا

٥ - حواء جديدة (١)

ملحمة شعرية

للأستاذ محمد فهمى

« الأشباح »

« بعد أن هبطت حواء للأرض »

حجرة نوم حيث ترقد فى فراشها ، ويُشاهد على ضوء مصباح ضئيل أشباح شياطين ترقص معربدة فى الحجرة . وهى تنشد :

الحياة ...... شهواتْ   فى الجسومْ ..... جمراتْ
فى النفوسْ ...... نزواتْ
فاستفيقى للجسـدْ   كسعيرٍ يتقدْ

* * *

« هى تستيقظ من نومها فزعة مكدودة وتخاطب الأشباح »

أيها الأشباحُ ... ماذا ؟ ؟ اتركينى
أنا لم أخلق لهـذا .... ويكِ ..! بينى ؟ !

أنا للطهرِ وللإلهامِ والعفّـةُ يا أشباحُ تسبيحى ودينى
أنا من نبعٍ من الخلد سما
أنا كأس الروح لم يُمْزج بطينِ
قدّس الله شرابى فى العُلا   ثم أوحَى .. للشفاعاتِ فكونى
وحبانى السر من أنفاسـهِ
فترامبت على العرش المكين
فى رياض الخلد جَلّى موكبى
فتنةَ الأملاك من حورٍ وعِين
كيف أغدو بعـد مثوى نوره
معبداً يصخب بالرجس المهين
كيف أغفـو عن تسابيح التُّقى ؟ ؟
أو لستُ النور فى دنيا الدُّجونِ
سأقضّى العمر عـذراء كما
قـد برانى الله لم أمسس بشين
ايها الأشباح .. لا .. لا تقربى
أنا لم أخلق لهـذا .. ويكِ ..! بينى

* * *

الأشباح مستمرة فى الرقص :

الحياة ... شهواتْ   فى الجسومْ .... جمراتْ
فى النفوسْ .... نزواتْ
فاستفيقى للجسـدْ   كسعيرٍ يتقدْ

* * *

« ثم تختفى الأشباح شيئاً فشيئاً »

« هى بعـد خروج الأشباح » :

ربِّ : رُحماكَ فهذا ....   من أفاعيـل الجحيمِ
هـل قضيتَ بعـذابى   أوَ ما كنتَ رحيمى
أفترضى النار تَسرى بين أحناء صميمى
أفترضى الرجس يمشى   كفُّه فوق أديمى ؟ ؟

* * *

شرُّ زلزالٍ دهـانى   فزَّعت أحلام نومى
وسبحتُ فى سعيرٍ   بالشياطين الرّجوم
هدَّنى عبء نضالى   آهِ ما تُرثِى رُسومى ؟

* * *

« ثم تستسلم للنوم ، وبعد حين تهب مذعورة من حُلم فتدخل عليها عجوز تستفسر من سبب ذعرها فتجيبها فى جزع » :

غالنى الساعةَ غولٌ ثائرٌ   فتح الباب وغَشّى مخدعى
كلما أطلبُ منه مهربا   راح يقفونى وأضْنَى مضجعى
مد منه اليـد يكوى لمسُها
نَزَع الثوب وذَرّى أدمعى
كلما استرُ جسمى شفّه   وهْو فى ثورة وحشٍ مفزِع

* * *

ويل هـذا الوحش بل ويلى أنا
اى خطبٍ فى غـدٍ مُستبشع ؟ ؟

* * *

العجوز :

أما تنتهين : أما من رضا ؟   إلامَ التقلبُ فوق الغضا ؟
وعُمر الشبابِ كظل الغمام   سريع الزوالِ خفيفِ الخطا
تُهيب بنا هاتفاتُ الشبا
بِ إلى اللهو هيّا ونعم النِّدا
فهذا الجمال .. وهـذا الدلال
وهـذا القوام وَوَرْد الصِّبا
أليس له من لذيذ الغذا
ء كما تغتـذى الروح رَوْح السما ؟
سيغتال روضك كفُّ الذبو
لِ وتغـدين لا زهرةً تُرتضى
إذا لم يَنَلْكِ ذراع الحبيب
فسوف يضمّك غول الفنا ......

[تمت المقتطفات ، والملحمة كاملة بديوان أعاريد]   محمد فهمى

(١) من ديوان أعاريد للأستاذ محمد فهمى

التمثيل تقليداً ومحاكاة للطريقة التى تعتمد على الإلقاء المنغم والحركات الضخمة ، ولا تثريب عليهم فى ذلك ، فقد كان هذا الأداء سائداً فى عصرهم كامتداد أو احتذاء لما كان سائداً فى نهاية القرن التاسع عشر فى المسرح الأوربى وبخاصة المسرح الفرنسى . وغنى عن البيان أن ذلك المسرح قد تضاءلت معظم عناصره باستثناء عنصر الممثل الذى قدر له أن يتضخم تضخما كبيراً . ويرجع هذا بإيجاز إلى قصور الكتاب المسرحيين وتشذ عن الاهتداء إلى أسرار الأدب التمثيلى الرفيع وبالتالى عن تكييف إنتاجهم وفقاً للمواضعات الفنية ، ولهذا لم يعنوا بغير ما يستهوى العين والأذن . من هنا حمل الممثل هذا العبء وحده بوصفه الأداة الأساسية المرئية والمسموعة فوق خشبة المسرح حتى صارت له — دون المؤلف — المكانة الأولى فى ذهن الجماهير ، وأصبح لايكترث بشىء قدر ما يكترث بتأكيد تلك المكانة ... ومن هنا سجل تاريخ المسرح أسماء ممثلى هذه الحقبة ، فوعى بين دفتيه أسماء سارا برنار ولوسيان جوتيرى وريجان ، ولم يكد يتسع لمؤلف واحد يؤبه به ! ! .

وقد كان من الطبيعى أن يتتلمذ ممثلونا القدامى على طريقة أولئك الممثلين وأشباعهم ، فنهجوا نهجهم وظلوا — ولهم بعض العـذر — منطبعين بذلك الطابع برغم ما أصاب المسرح بعدئذ من التطور . وليس كذلك المحدثون الذين شهدوا هذا التطور وعاشوا فيه ودرسوا طرفاً من أسبابه ومسبباته .

وهكذا نصل إلى مبعث الفوارق الرئيسية بين هاتين الطائفتين ، وندع مدى خطورة المقارنة بينهما . والراجح أن فرقة المسرح الحديث لم تقصد بتمثيل هذه الرواية مقارنة ما ، وإنما قصدت تسجيل معالم مرحلة هامة من مراحل تطور الأداء المسرحى ، ونحن — إذا صح هذا — نسجل لها جهودها فى ذلك المضمار واثقين من أنها ستظل بعيدة عن الزهو والاستعلاء .

عبد الفتاح البارودى

التمثيل تقليداً ومحاكاة للطريقة التي تعتمد على الإلقاء المنغم والحركات المضخمة ، ولا تثريب عليهم فى ذلك ، فقد كان هذا الأداء سائداً فى عصرهم كامتداد أو احتذاء لما كان سائداً فى نهاية القرن التاسع عشر فى المسرح الأوربى وبخاصة المسرح الفرنسى . وغنى عن البيان أن ذلك المسرح قد تضاءلت معظم عناصره باستثناء عنصر الممثل الذى قدر له أن يتضخم تضخما كبيراً . ويرجع هذا بإيجاز إلى قصور الكتاب المسرحيين وتشذ عن الاهتداء إلى أسرار الأدب التمثيلى الرفيع وبالتالى عن تكييف إنتاجهم وفقاً للمواضعات الفنية ، ولهذا لم يعنوا بغير ما يستهوى العين والأذن . من هنا حمل الممثل هذا العبء وحده بوصفه الأداة الأساسية المرئية والمسموعة فوق خشبة المسرح حتى صارت له — دون المؤلف — المكانة الأولى فى ذهن الجماهير ، وأصبح لا يكترث بشىء قدر ما يكترث بتأكيد تلك المكانة . . . ومن هنا سجل تاريخ المسرح أسماء ممثلى هذه الحقبة ، فوعى بين دفتيه أسماء سارا برنار ولوسيان جوتيرى وريجان ، ولم يكد يتسع لمؤلف واحد يؤبه به ! ! .

وقد كان من الطبيعى أن يتتلمذ ممثلونا القدامى على طريقة أولئك الممثلين وأشياعهم ، فنهجوا نهجهم وظلوا — ولهم بعض العذر — منطبعين بذلك الطابع برغم ما أصاب المسرح بعدئذ من التطور . وليس كذلك المحدثون الذين شهدوا هذا التطور وعاشوا فيه ودرسوا طرفاً من أسبابه ومسبباته .

وهكذا نصل إلى مبعث الفوارق الرئيسية بين هاتين الطائفتين ، ونلمح مدى خطورة المقارنة بينهما . والراجح أن فرقة المسرح الحديث لم تقصد بتمثيل هذه الرواية مقارنة ما ، وإنما قصدت تسجيل معالم مرحلة هامة من مراحل تطور الأداء المسرحى ، ونحن — إذا صح هذا — نسجل لها جهودها فى ذلك المضمار واثقين من أنها ستظل بعيدة عن الزهو والاستعلاء .

عبد الفتاح البارودى

٥ - حـــواء جـــديدة [١]

ملحمة شـــعرية

للأستاذ محمد فهمى

« الأشباح »

« بعد أن هبطت حواء للأرض »

حجرة نوم حيث ترقد فى فراشها ، ويُشاهد على ضوء مصباح ضئيل أشباح شياطين ترقص معربدة فى الحجرة . وهى تنشد :

الحياة ..... شهواتْ فى الجسومْ ..... جمراتْ
فى النفوسْ ...... نزواتْ
فاستفيقى للجســـدْ كســـعيرٍ يتقـــدْ

***

« هى تستيقظ من نومها فزعة مكدودة وتخاطب الأشباح »

أيها الأشباحُ ... ماذا ؟ ؟ أتركينى
أنا لم أخلق لهـــذا ... ويكِ .. ! بينى ؟ !

أنا للطهرِ وللإلهامِ والعفّـــةُ يا أشباحُ تسبيحى ودينى
أنا من نبعٍ من الخـــلد سما
أنا كأس الروح لم يُمزج بطينِ
قدّس الله شرابى فى العُلا ثم أوحى .. للشفاعاتِ فكونى
وحبانى السر من أنفاســـهِ
فترامیت على العـــرشِ المكينْ
فى رياض الخـــلد جَلّى موكـــبى
فتنةَ الأملاك من حـــورٍ وعِينْ
كيف أغـدو بعـــد مثوى نوره
معبـــداً يصخب بالرجس المهـــين
كيف أقفـــو عن ينابيع التُقى ؟ ؟
أو لستُ النور فى دنيا الدُجـــونِ
سأقضّى العمـــر عـــذراء كما
قـــد برانى الله لم أُمسس بشـــين
أيهـا الأشباح .. لا .. لا تقربى
أنا لم أُخلق لهـــذا .. ويكِ ..! بينى

***

الأشباح مستمرة فى الرقص :

الحياة ... شهواتْ فى الجسومْ .... جمراتْ
فى النفوسْ .... نزواتْ
فاستفيقى للجســـدْ كســـعيرٍ يتقـــدْ

***

« ثم تختفى الأشباح شيئاً فشيئاً »

« هى بعـــد خروج الأشباح » :

ربِّ : رُحماكَ فهذا .... من أفاعيـــل الجحيمِ
هـــل قضيتَ بعـــذابى أوَ ما كنتَ حميمى
أفترضى النـــار تَســـرى بين أحناء صميمى
أفترضى الرجس يمشى كفُّه فوق أديمى ؟ ؟

***

شَرُّ زلزالٍ دهـــانى نَزَّعت أحلام نومى
وسبحتُ فى سعـــيرٍ بالشياطين الرجـــوم
هـــدّنى عبء نضالى آهِ ما ترثِى رُسومى ؟

***

« ثم تستسلم للنوم ، وبعد حين تهب مذعورة من حُلم فتدخل عليها عجوز تستفسر من سبب ذعرها فتجيبها فى جزع » :

فالى الساعةَ غولٌ ثائرٌ فتح الباب وغَشّى مخدعى
كلما أطلبُ منه مهربا راح يقفونى وأضْنَى مضجعى
مد منـــه اليـــد يكوى لمسُها
نزَع الثـــوب وذرّى أدمـــعى
كلما أستُرُ جسمى شـــفّه وهو فى ثورة وحشٍ مفزِعِ

***

ويل هـــذا الوحش بل ويلى أنا
أى خطبٍ فى غـــدٍ مُستبشع ؟ ؟

***

العجوز :

أما تنتهين : أما من رضا ؟ إلامَ التقلبُ فوق الغضَا ؟
وعُمر الشبابِ كظل الغمام سريعِ الزوالِ خفيفِ الخُطا
تُهيب بنـــا هاتفاتُ الشـــبا
بِ إلى اللهو هيّا ونعم النّـــدا
فهـــذا الجمـــال .. وهـــذا الدلال
وهـــذا القـــوام وَوَرْد الصِّـــبا
أليس له من لذيذ الغـــذا
ء كما تغتـــذى الروح رَوْح السما ؟
سيغتال روضـــك كفُّ الذبو
لِ وتغـــدين لا زهرةً تُرتضـــى
إذا لم ينَلْكِ ذراع الحبيب
فسوف يضمّك غول الفنا ......

[تمت المقتطفات ، والملحمة كاملة بديوان أغاريد] **محمد فهمى**

(١) من ديوان أغاريد للأستاذ محمد فهمى

٥ - حــــواء جـــديدة (١)

ملحمة شــــعرية

للأستاذ محمد فهمى

« الأشباح »

« بعد أن هبطت حواء للأرض »

حجرة نوم حيث ترقد فى فراشها ، ويُشاهد على ضوء مصباح ضئيل أشباح شياطين ترقص معربدة فى الحجرة ، وهى تنشد :

الحياة ..... شهواتْ فى الجسومْ ... جمراتْ
فى النفوسْ ...... نزواتْ
فاستفيقى للجســـدْ كســـعيرٍ يتّقــدْ

***

« هى تستيقظ من نومها فزعة مكدودة وتخاطب الأشباح »

أيها الأشباحُ ... ماذا ؟ ؟ أتركينى
أنا لم أُخلق لهــذا ... ويكِ ..! بينى ؟!

أنا للطهرِ وللإلهامِ والعفـــةُ يا أشباحُ تسبيحى ودينى
أنا من نبعٍ من الخـــلد سما
أنا كأس الروح لم يُمزج بطينٍ
قدّس الله شرابى فى العُلا ثم أوحَى .. للشفاعاتِ فكونى
وحبانى السر من أنفاســـهِ
فتراميت على العـــرشِ المكين
فى رياض الخـــلد جَلّى موكـــبى
فتنـةَ الأملاك من حـــورٍ وعِين
كيف أغدو بعـــد مثوى نوره
معبـداً يصخب بالرجس المهـــين

(١) من ديوان أعاريد للأستاذ محمد فهمى

التمثيل تقليداً ومحاكاة للطريقة التى تعتمد على الإلقاء المنغم والحركات الضخمة ، ولا تثريب عليهم فى ذلك ، فقد كان هذا الأداء سائداً فى عصرهم كامتداد أو احتذاء لما كان سائداً فى نهاية القرن التاسع عشر فى المسرح الأوربى وبخاصة المسرح الفرنسى . وغنى عن البيان أن ذلك المسرح قد تضاءلت معظم عناصره باستثناء عنصر الممثل الذى قدر له أن يتضخم تضخماً كبيراً . ويرجع هذا بإيجاز إلى قصور الكتاب المسرحيين وقتئذ عن الاهتداء إلى أسرار الأدب التمثيلى الرفيع وبالتالى عن تكييف إنتاجهم وفقاً للمواضعات الفنية ، ولهذا لم يعنوا بغير ما يستهوى العين والأذن . من هنا حمل الممثل هذا العبء وحده بوصفه الأداة الأساسية المرئية والمسموعة فوق خشبة المسرح حتى صارت له — دون المؤلف — المكانة الأولى فى ذهن الجماهير ، وأصبح لا يكترث بشىء قدر ما يكترث بتأكيد تلك المكانة ... ومن هنا سجل تاريخ المسرح أسماء ممثلى هذه الحقبة ، فوعى بين دفتيه أسماء سارا برنار ولوسيان جوتيرى وريجان ، ولم يكد يتسع لمؤلف واحد يؤبه به !! .

وقد كان من الطبيعى أن يتتلمذ ممثلونا القدامى على طريقة أولئك الممثلين وأشياعهم ، فنهجوا نهجهم وظلوا — ولهم بعض العذر — منطبعين بذلك الطابع برغم ما أصاب المسرح بعدئذ من التطور . وليس كذلك المحدثون الذين شهدوا هذا التطور وعاشوا فيه ودرسوا طرفاً من أسبابه ومسبباته .

وهكذا نصل إلى مبعث الفوارق الرئيسية بين هاتين الطائفتين ، ونلمح مدى خطورة المقارنة بينهما . والراجح أن فرقة المسرح الحديث لم تقصد بتمثيل هذه الرواية مقارنة ما ، وإنما قصدت تسجيل معالم مرحلة هامة من مراحل تطور الأداء المسرحى ، ونحن — إذا صح هذا — نسجل لها جهودها فى ذلك المضمار واثقين من أنها ستظل بعيدة عن الزهو والاستعلاء .

عبد الفتاح البارودى

كيف أقفـــر عن تسابيح التُقى ؟ ؟
أولستُ النور فى دنيا الدُّجـــونِ
سأفضّ السـر عـــــذراء كما
قـد برانى الله لم أمسس بشـــين
أيها الأشباح .. لا .. لا تقربى
أنا لم أخلق لهـذا .. ويكِ ..! بينى

***

الأشباح مستمرة فى الرقص :

الحياةْ ... شهواتْ فى الجسومْ .... جمراتْ
فى النفوسْ .... نزواتْ
فاستفيقى للجســـدْ كسعـــيرٍ يتقـــدْ

***

« ثم تختفى الأشباح شيئاً فشيئاً »

« هى بعد خروج الأشباح » :

ربِّ : رُحماكَ فهذا .... من أفاعيـل الجحيمِ
هل قضيتَ بعذابى أوَ ما كنتَ حميمى
أفترضى النار تَســـرى بين أحناء صميمى
أفترضى الرجس يمشى كفُّه فوق أديمى ؟ ؟

***

شرُّ زلزالٍ دهـــانى فزّعت أحلام نومى
وسبحتُ فى سعـــيرٍ بالشياطين الرجـــوم
هدّنى عبء نضالى أوِ ما ترثِى رسومى ؟

***

« ثم تستسلم للنوم ، وبعد حين تهب مذعورة من حُلم فتدخل عليها عجوز تستفسر عن سبب ذعرها فتجيبها فى جزع » :

فاجأنى الساعةَ غولٌ ثائرٌ فتح الباب وغشّى مخدعى
كلما أطلبُ منه مهربا راح يقفونى وأصْلَى مضجعى
مد منه اليـــد يكوى لمسُها
نزَع الثـــوب وذرّى أدمعى
كلما أسترُ جسمى شفّه وهو فى ثورة وحشٍ مفزِعِ

***

ويل هـــذا الوحش بل ويلى أنا
أى خطبٍ فى غـــدٍ مُستبشعٌ ؟ ؟

***

العجوز :

أما تنتهين : أما من رضا ؟ إلامَ التقلبُ فوق الغضا ؟
وعمر الشبابِ كظل الغمام سريع الزوالِ خفيفِ الخُطا
تُهيب بنا هاتفاتُ الشـــبا
بِ إلى اللهو هيّا ونعم النّـــدا
فهـذا الجمـــال .. وهـذا الدلال
وهـذا القـوام وَوَرْد الصِّـــبا
أليْس له من لذيذ الغـــذا
ء كما تغتـــذى الروح رَوْح السما ؟
سيغتال روضـك كفُّ الذبو
لِ وتغـــدين لا زهرةٌ ترتضى
إذا لم يَنَلْكِ ذراع الحبيب
فسوف يضمّك غول الفنا ......

[تمت المقتطفات ، والملحمة كاملة بديوان أعاريد] محمد فهمى

٥ – حـــواء جـــديدة (١)

ملحمة شـــعرية

للأستاذ محمد فهمى

«الأشباح»

«بعد أن هبطت حواء للأرض»

حجرة نوم حيث ترقد فى فراشها ، وتُشاهد على ضوء مصباح ضئيل أشباح شياطين ترقص معربدة فى الحجرة ، وهى تنشد :

الحياة ..... شهواتْ   فى الجسومْ . . .. جمراتْ
فى النفوسْ ...... نزواتْ
فاستفيقى الجســـدْ   كســعيرٍ يتقـــدْ

***

«هى تستيقظ من نومها فزعة مكدودة وتخاطب الأشباح»

أيها الأشباحُ ... ماذا ؟؟ أتركيـنى
أنا لم أُخلق لهـذا ... ويكِ .. ! بينى ؟ !

أنا للطهرِ وللإلهامِ والعفـــةُ يا أشباحُ تسبيحى ودينى
أنا من نبعٍ من الخلــد سما
أنا كأس الروح لم يُمزج بطينِ
قدّس الله شرابى فى العُلا   ثم أوحَى .. للشفاعاتِ فكونى
وحبانى السر من أنفاســـهِ
فترامت على العـــرش المكين
فى رياض الخلــد جَلّى موكـــبى
فتنةَ الأملاك من حـــورٍ وعِينٍ
كيف أغدو بعـــد مثوى نوره
معبــداً يصخب بالرجس المهـــين

(١) من ديوان أعاريد للأستاذ محمد فهمى

التمثيل تقليداً ومحاكاة للطريقة التى تعتمد على الإلقاء المنغم والحركات الضخمة ، ولا تثريب عليهم فى ذلك ، فقد كان هذا الأداء سائداً فى عصرهم كامتداد أو احتذاء لما كان سائداً فى نهاية القرن التاسع عشر فى المسرح الأوربى وبخاصة المسرح الفرنسى . وغنى عن البيان أن ذلك المسرح قد تضاءلت معظم عناصره باستثناء عنصر الممثل الذى قدر له أن يتضخم تضخماً كبيراً . ويرجع هذا بإيجاز إلى قصور الكتاب المسرحيين وقتئذ عن الاهتداء إلى أسرار الأدب التمثيلى الرفيع وبالتالى عن تكييف إنتاجهم وفقاً للمواضعات الفنية ، ولهذا لم يعنوا بغير ما يستهوى العين والأذن . من هنا حمل الممثل هذا العبء وحده بوصفه الأداة الأساسية المرئية والمسموعة فوق خشبة المسرح حتى صارت له — دون المؤلف — المكانة الأولى فى ذهن الجماهير ، وأصبح لا يكترث بشىء قدر ما يكترث بتأكيد تلك المكانة . . . ومن هنا سجل تاريخ المسرح أسماء ممثلى هذه الحقبة ، فوعى بين دفتيه أسماء سارا برنار ولوسيان جوتيرى وريجان ، ولم يكد يتسع لمؤلف واحد يؤبه به ! ! .

وقد كان من الطبيعى أن يتتلمذ ممثلونا القدامى على طريقة أولئك الممثلين وأشياعهم ، فنهجوا نهجهم وظلوا — ولهم بعض العذر — متطبعين بذلك الطابع برغم ما أصاب المسرح بعدئذ من التطور . وليس كذلك المحدثون الذين شهدوا هذا التطور وعاشوا فيه ودرسوا طرفاً من أسبابه ومسبباته .

وهكذا نصل إلى مبعث الفوارق الرئيسية بين هاتين الطائفتين ، ونلمح مدى خطورة المقارنة بينهما . والراجح أن فرقة المسرح الحديث لم تقصد بتمثيل هذه الرواية مقارنة ما ، وإنما قصدت تسجيل معالم مرحلة هامة من مراحل تطور الأداء المسرحى ، ونحن — إذا صح هذا — نسجل لها جهودها فى ذلك المضمار واثقين من أنها ستظل بعيدة عن الزهو والاستعلاء .

عبد الفتاح البارودى

كيف أغفـــو عن تسابيح التُقى ؟ ؟
أو لستُ النور فى دنيا الدُجـــونِ
سأقضّى العمـــر عـــذراء كما
قـد برانى الله لم أمسس بشـــين
أيها الأشباح . . لا . . لا تقربى
أنا لم أُخلق لهـذا . . ويكِ ..! بينى

***

الأشباح مستمرة فى الرقص :

الحياةْ . . . شهواتْ   فى الجسومْ .... جمراتْ
فى النفوسْ . . . . نزواتْ
فاستفيقى للجســـدْ   كسعـــيرٍ يتقـــدْ

***

«ثم تختفى الأشباح شيئاً فشيئاً»

«هى بعـد خروج الأشباح» :

ربِّ : رُحماكَ فهذا ....   من أفاعيـــل الجحيمِ
هل قضيتَ بعـذابى   أوَ ما كنتَ حميمى
أفترضى النـار تَســـرى بين أحناء صميمى
أفترضى الرجس يمشى   كفُّه فوق أديمى ؟ ؟

***

شَرُّ زلزالٍ دهـــانى   فزَّعت أحلام نومى
وسبحتُ فى سعـــيرٍ   بالشياطين الرجـــوم
هـدّنى عبء نضالى   آهِ ما ترثِى رُسومى ؟

***

«ثم تستسلم للنوم ، وبعد حين تهب مذعورة من حُلم فتدخل عليها عجوز تستفسر عن سبب ذعرها فتجيبها فى جزع» :

غالنى الساعةَ غولٌ ثائرٌ   فتح الباب وغشّى مخدعى
كلما أطلبُ منه مهربا   راح يقفونى وأصلَى مضجعى
مد منه اليـــد يكوى لمسُها
نَزَع الثـــوب وذرّى أدمـــعى
كلما أسترُ جسمى شـفّه   وهو فى ثورة وحشٍ مفزِع

***

ويل هـــذا الوحش بل ويلى أنا
أى خطبٍ فى غـــدٍ مُستبشِع ؟ ؟

***

العجوز :

أما تنتهين : أما من رضا ؟   إلامَ التقلبُ فوق الغضَا ؟
وعُمر الشبابِ كظل الغمام   سريع الزوالِ خفيفِ الخُطا
تُهيب بنـا هاتفاتُ الشـــبا
بِ إلى اللهو هيّا ونعم النـّــدا
فهـذا الجمـــال . . وهـذا الدلال
وهـذا القـوام وَوَرْد الصِّـــبا
أليس له من لذيذ الغـــذا
ء كما تغتـــذى الروح رَوْح السما ؟
سيغتال روضـك كفُّ الذبو
لِ وتغـــدين لا زهرةَ تُرتضى
إذا لم يَنَلْكِ ذراع الحبيب
فسوف يضمّك غول الفنا . . . . . .

[تمت المقتطفات ، والملحمة كاملة بديوان أعاريد]   محمد فهمى

٥ – حـــواء جـــديدة [1]

ملحمة شـــعرية

للأستاذ محمد فهمى

« الأشباح »

« بعد أن هبطت حواء للأرض »

حجرة نوم حيث ترقد فى فراشها ، وُيشاهد على ضوء مصباح ضئيل أشباح شياطين ترقص معربدة فى الحجرة . وهى تنشد :

الحياة ... .. شهواتْ فى الجسومْ . .... جمراتْ
فى النفوسْ . . . . . . نزواتْ
فاستفيقى للجســــدْ كســـعيرٍ يتّقــدْ

***

« هى تستيقظ من نومها فزعة مكدودة وتخاطب الأشباح »

أيها الأشباحُ . . . ماذا ؟ ؟ أتركيـنى
أنا لم أخلق لهـذا . . . ويكِ . . ! بينى ؟ !
أنا للطهرِ وللإلهامِ والعفّـــةُ يا أشباحُ تسبيحى ودينى
أنا من نبعٍ من الُخـــلد سما
أنا كأس الروح لم يُمزج بطينِ
قدّس الله شرابى فى الملا ثم أوحَى .. للشفاعاتِ فكونى
وحبانى السر من أنفاســـهِ
فتراميت على العـــرشِ المكين
فى رياض الخـــلد جَلّى موكـــبى
فتنــةَ الأملاك من حـــورٍ وعِين
كيف أغــدو بعـــد مثوى نوره
معبــداً يصخب بالرجس المهـــين
كيف أغفـــو عن تسابيح التُّقى ؟ ؟
أو لستُ النور فى دنيا الدُّجـــونِ
سأقضّى العمــر عـــذراء كما
قـد برانى الله لم أمسس بشـــين
أيهـا الأشباح . . لا . . لا تقربى
أنا لم أخلق لهـذا . . ويكِ . . ! بينى

***

الأشباح مستمرة فى الرقص :

الحياةْ . . . شهواتْ فى الجسومْ . . . . جمراتْ
فى النفوسْ . . . . نزواتْ
فاستفيقى للجســـدْ كسعـيرٍ يتقــدْ

***

« ثم تختفى الأشباح شيئاً فشيئاً »

« هى بعـد خروح الأشباح » :

ربِّ : رُحماكَ فهذا . . . . من أفاعيـل الجحـيمِ
هــل قضيتَ بعــذابى أوَ ما كنتَ حميمى
أفـترضى النـار تَســرى بين أحناء صميمى
أفترضى الرجـس يمشى كفُّه فوق أديمى ؟ ؟

***

ثَمّ زلزالٍ دهـــانى فزَّعت أحلام نومى
وسبحتُ فى سعـــيرٍ بالشياطين الرَّجـــوم
هـدَّنى عبء نضالى أوِ ما ترثِى رُسومى ؟

***

« ثم تستسلم للنوم ، وبعد حين تهب مذعورة من حُلم فتدخل عليها عجوز تستفسر عن سبب ذعرها فتجيبها فى جزع » :

فاَلى الساعةَ غولٌ ثائرٌ فتح الباب وغَشّى مخدعى
كلما أطلبُ منه مهربا راح يقفونى وأصلَى مضجعى
مدّ منــه اليـــد يكوى لمسُها
نَزَع الثــوب وذرَّى أدمــعى
كلما استرُ جسمى شــفّه وهو فى ثورةِ وحشٍ مفزعِ

***

ويل هـــذا الوحش بل ويلى أنا
أى خطبٍ فى غــــدٍ مُستبشعٍ ؟ ؟

***

العجوز :

أما تنتهين : أما من رضا ؟ إلامَ التقلبُ فوق الغضَا ؟
وعُمر الشبابِ كظل الغمام سريع الزوالِ خفيفِ الُخطا
تُهيب بنـا هاتفاتُ الشـــبا
بِ إلى اللهو هيّا ونعم النِّـــدا
فهـذا الجمـــال . . وهـذا الدلال
وهـذا القـوام وَوَرْد الصِّـــبا
أليس له من لذيذ الغـــذا
ءِ كما تغتـــذى الروح رَوْح السما ؟
سيغتال روضـك كفُّ الذبو
لِ وتغـــدين لا زهرةً تُرتضى
إذا لم يَنَلْكِ ذراع الحبيب
فسوف يضمّك غول الفنـا . . . . . .

[تمت المقتطفات ، والملحمة كاملة بديوان أغاريد] محمد فهمى

[1] من ديوان أغاريد للأستاذ محمد فهمى

التمثيل تقليداً ومحاكاة للطريقة التى تعتمد على الإلقاء المنغم والحركات المضخمة ، ولا تثريب عليهم فى ذلك ، فقد كان هذا الأداء سائداً فى عصرهم كامتداد أو احتذاء لما كان سائداً فى نهاية القرن التاسع عشر فى المسرح الأوربى وبخاصة المسرح الفرنسى . وغنى عن البيان أن ذلك المسرح قد تضاءلت معظم عناصره باستثناء عنصر الممثل الذى قدر له أن يتضخم تضخما كبيراً . ويرجع هذا بإيجاز إلى قصور الكتاب المسرحيين وتخلفهم عن الاهتداء إلى أسرار الأدب التمثيلى الرفيع وبالتالى عن تكييف إنتاجهم وفقاً للمواضعات الفنية ، ولهذا لم يعنوا بغير ما يستهوى العين والأذن . من هنا حمل الممثل هذا العبء وحده بوصفه الأداة الأساسية المرئية والمسموعة فوق خشبة المسرح حتى صارت له — دون المؤلف — المكانة الأولى فى ذهن الجماهير ، وأصبح لا يكترث بشىء قدر ما يكترث بتأكيد تلك المكانة . . . ومن هنا سجل تاريخ المسرح أسماء ممثلى هذه الحقبة ، فوعى بين دفتيه أسماء سارا برنار ولوسيان جوتيرى وريجان ، ولم يكد يتسع لمؤلف واحد يؤبه به ! ! .

وقد كان من الطبيعى أن يتتلمذ ممثلونا القدامى على طريقة أولئك الممثلين وأشباعهم ، فنهجوا نهجهم وظلوا — ولهم بعض العـذر — متطبعين بذلك الطابع برغم ما أصاب المسرح بعدئذ من التطور . وليس كذلك المحدثون الذين شهدوا هذا التطور وعاشوا فيه ودرسوا طرفاً من أسبابه ومسبباته .

وهكذا نصل إلى مبعث الفوارق الرئيسية بين هاتين الطائفتين ، ونلمح مدى خطورة المقارنة بينهما . والراجح أن فرقة المسرح الحديث لم تقصد بتمثيل هذه الرواية مقارنة ما ، وإنما قصدت تسجيل معالم مرحلة هامة من مراحل تطور الأداء المسرحى ، ونحن — إذا صح هذا — نسجل لها جهودها فى ذلك المضمار واثقين من أنها ستظل بعيدة عن الزهو والاستعلاء .

عبد الفتاح البارودى

٥ - حـــواء جـــديدة (1)

ملحمة شـــعرية

للأستاذ محمد فهمى

« الأشباح »

« بعد أن هبطت حواء للأرض »

حجرة نوم حيث ترقد فى فراشها ، ويُشاهد على ضوء مصباح ضئيل أشباح شياطين ترقص معربدة فى الحجرة . وهى تنشد :

الحياة ..... شهواتٌ فى الجسومْ . .... جمراتْ
فى النفوسْ ...... نزواتْ
فاستفيقى للجســـدْ كســـعيرٍ يتقـــدْ

***

« هى تستيقظ من نومها فزعة مكدودة وتخاطب الأشباح »

أيها الأشباحُ ... ماذا ؟ ؟ أتركيـنى
أنا لم أُخلق لهـــذا ... ويكِ ..! بينى ؟!

أنا للطهرِ وللإلهامِ والعفّــــةُ يا أشباحُ تسبيحى ودينى
أنا من نبعٍ من الخـــلد سما
أنا كأس الروح لم يُمْزج بطينٍ
قدّس الله شرابى فى المَلا ثم أوحَى.. للشفاعاتِ فكونى
وحبانى السر من أنفاســـهِ
فتراميت على العـــرش المكين
فى رياض الخـــلد جَلّى موكـــبى
فتنةَ الأملاك من حـــورٍ وعِين
كيف أغـدو بعـــد مثوى نوره
معبـداً يصخب بالرجس المهـــين

(1) من ديوان أعاريد للأستاذ محمد فهمى

التمثيل تقليداً ومحاكاة للطريقة التى تعتمد على الإلقاء المنغم والحركات المضخمة ، ولا تثريب عليهم فى ذلك ، فقد كان هذا الأداء سائداً فى عصرهم كامتداد أو احتذاء لما كان سائداً فى نهاية القرن التاسع عشر فى المسرح الأوربى وبخاصة المسرح الفرنسى . وغنى عن البيان أن ذلك المسرح قد تضاءلت معظم عناصره باستثناء عنصر الممثل الذى قدر له أن يتضخم تضخما كبيراً . ويرجع هذا بإيجاز إلى قصور الكتاب المسرحيين وقتئذ عن الاهتداء إلى أسرار الأدب التمثيلى الرفيع وبالتالى عن تكييف إنتاجهم وفقاً للمواضعات الفنية ، ولهذا لم يعنوا بغير ما يستهوى العين والأذن . من هنا حمل الممثل هذا العبء وحده بوصفه الأداة الأساسية المرئية والمسموعة فوق خشبة المسرح حتى صارت له — دون المؤلف — المكانة الأولى فى ذهن الجماهير ، وأصبح لا يكترث بشىء قدر ما يكترث بتأكيد تلك المكانة . . . ومن هنا سجل تاريخ المسرح أسماء ممثلى هذه الحقبة ، فوعى بين دفتيه أسماء سارا برنار ولوسيان جوتيرى وريجان ، ولم يكد يتسع لمؤلف واحد يؤبه به ! ! .

وقد كان من الطبيعى أن يتتلمذ ممثلونا القدامى على طريقة أولئك الممثلين وأشياعهم ، فنهجوا نهجهم وظلوا — ولهم بعض العذر — متطبعين بذلك الطابع برغم ما أصاب المسرح بعدئذ من التطور ، وليس كذلك المحدثون الذين شهدوا هذا التطور وعاشوا فيه ودرسوا طرفاً من أسبابه ومسبباته .

وهكذا نصل إلى مبعث الفوارق الرئيسية بين هاتين الطائفتين ، ونلمح مدى خطورة المقارنة بينهما . والراجح أن فرقة المسرح الحديث لم تقصد بتمثيل هذه الرواية مقارنة ما ، وإنما قصدت تسجيل معالم مرحلة هامة من مراحل تطور الأداء المسرحى ، ونحن — إذا صح هذا — نسجل لها جهودها فى ذلك المضمار واثقين من أنها ستظل بعيدة عن الزهو والاستعلاء .

عبد الفتاح البارودى

كيف أغفـــو عن تسابيح التُقى ؟ ؟
أو لستُ النور فى دنيا الدُّجـــونِ
سأقضّى العمر عـــذراء كما
قد برانى الله لم أمسس بشـــين
أيها الأشباح . . لا . . لا تقربى
أنا لم أخلق لهـــذا . . ويكِ ..! بينى

***

الأشباح مستمرة فى الرقص :

الحياةْ . . . شهواتْ فى الجسومْ . . . . جمراتْ
فى النفوسْ . . . . نزواتْ
فاستفيقى للجســـدْ كسعيرٍ يتقـــدْ

***

« ثم تختفى الأشباح شيئاً فشيئاً »

« هى بعد خروج الأشباح » :

ربُّ : رُحماكَ فهذا . . . . من أفاعيـل الجحيمِ
هل قضيتَ بعـذابى أوَ ما كنتَ رحيمى
أفترضى النار تَسرى بين أحناء صميمى
أفترضى الرجس يمشى كفُّه فوق أديمى ؟ ؟

***

شرُّ زلزالٍ دهـــانى فُزِّعت أحلام نومى
وسبحتُ فى سعيرٍ بالشياطين الرّجـــوم
هدّنى عبء نضالى أوَ ما ترثِى رُسومى ؟

***

« ثم تستسلم للنوم ، وبعد حين تهب مذعورة من حُلم فتدخل عليها عجوز تستفسر من سبب ذعرها فتجيبها فى جزع » :

فاجأنى الساعةَ غولٌ ثائرٌ فتح الباب وغشّى مخدعى
كلما أطلبُ منه مهربا راح يقفونى وأصْلَى مضجعى
مدّ منه اليـــد يكوى لمسُها
نزّع الثـــوب وذرّى أدمعى
كلما استرُّ جسمى شفّه وهو فى ثورة وحشٍ مفزِعِ

***

ويل هـــذا الوحش بل ويلى أنا
أى خطبٍ فى غـــدٍ مُستبشع ؟ ؟

***

العجوز :

أما تنتهين : أما من رضا ؟ إلامَ التقلبُ فوق الغضَا ؟
وعُمر الشبابِ كظل الغمام سريع الزوالِ خفيفِ الخُطا
تُهيب بنا هاتفاتُ الشـــبا
بِ إلى اللهو هيّا ونعم النِّـــدا
فهـذا الجمـــال . . وهـذا الدلال
وهـذا القـوام وَوَرْد الصِّـــبا
أليس له من لذيذ الغـــذا
ء كما تغتـــذى الروح رَوْح السما ؟
سيغتال روضـك كفُّ الذبو
لِ وتغـــدين لا زهرةٌ تُرتضى
إذا لم يَنَلْكِ ذراع الحبيب
فسوف يضمّك غول الفنا . . . . . .

[تمت المقتطفات ، والملحمة كاملة بديوان أعاريد] محمد فهمى

٥ – حـــواء جــــديدة (١)

ملحمة شـــعرية

للأستاذ محمد فهمي

« الأشباح »

« بعد أن هبطت حواء للأرض »

حجرة نوم حيث ترقد فى فراشها ، ويُشاهد على ضوء مصباح ضئيل أشباح شياطين ترقص معربدة فى الحجرة . وهى تنشد :

الحيـاة ... .. شهواتْ فى الجسومْ . .... جمراتْ
فى النفوسْ . . . . نزواتْ
فاستفيقى للجســـــدْ كســـعيرٍ يتّقـــدْ

* * *

« هى تستيقظ من نومها فزعة مكدودة وتخاطب الأشباح »

أيها الأشباحُ . . . ماذا ؟ ؟ أتركيـنى
أنا لم أُخلق لهـذا . . . . ويلكِ . . ! بينى ؟ !
أنا للطهرِ واللإلهامِ والعفـــةُ يا أشباحُ تسبيحى ودينى
أنا من نبعٍ من الخُـــلد سما
أنا كأس الروح لم يُمْزج بطينِ
قدّس الله شرابى فى العُلا ثم أوحَى.. للشفاعاتِ فكونى
وحبانى السر من أنفاسِـــــهِ
فترامت على العـــرش المكين
فى رياض الخـــلد جَلّى موكـــبى
فتنـةَ الأملاك من حـــورٍ وعِين
كيف أغـدو بعــد مثوى نوره
معبـداً يصخب بالرجس المهـــين

(١) من ديوان أعاريد للأستاذ محمد فهمي

التمثيل تقليداً ومحاكاة للطريقة التى تعتمد على الإلقاء المنغم والحركات الضخمة ، ولا تثريب عليهم فى ذلك ، فقد كان هذا الأداء سائداً فى عصرهم كامتداد أو احتذاء لما كان سائداً فى نهاية القرن التاسع عشر فى المسرح الأوربى وبخاصة المسرح الفرنسى . وغنى عن البيان أن ذلك المسرح قد تضاءلت معظم عناصره باستثناء عنصر الممثل الذى قدر له أن يتضخم تضخما كبيراً . ويرجع هذا بإيجاز إلى قصور الكتاب المسرحيين وقتئذ عن الاهتداء إلى أسرار الأدب التمثيلى الرفيع وبالتالى عن تكييف إنتاجهم وفقاً للمواضعات الفنية ، ولهذا لم يعنوا بغير ما يستهوى العين والأذن . من هنا حمل الممثل هذا العبء وحده بوصفه الأداة الأساسية المرئية والمسموعة فوق خشبة المسرح حتى صارت له — دون المؤلف — المكانة الأولى فى ذهن الجماهير ، وأصبح لا يكترث بشىء قدر ما يكترث بتأكيد تلك المكانة . . . ومن هنا سجل تاريخ المسرح أسماء ممثلى هذه الحقبة ، فوعى بين دفتيه أسماء سارا برنار ولوسيان جوتيرى وريجان ، ولم يكد يتسع لمؤلف واحد يؤبه به ! ! .

وقد كان من الطبيعى أن يتتلمذ ممثلونا القدامى على طريقة أولئك الممثلين وأشياعهم ، فنهجوا نهجهم وظلوا — ولهم بعض العذر — متطبعين بذلك الطابع برغم ما أصاب المسرح بعدئذ من التطور . وليس كذلك المحدثون الذين شهدوا هذا التطور وعاشوا فيه ودرسوا طرفاً من أسبابه ومسبباته .

وهكذا نصل إلى مبعث الفوارق الرئيسية بين هاتين الطائفتين ، ونلمح مدى خطورة المقارنة بينهما . والراجح أن فرقة المسرح الحديث لم تقصد بتمثيل هذه الرواية مقارنة ما ، وإنما قصدت تسجيل معالم مرحلة هامة من مراحل تطور الأداء المسرحى ، ونحن — إذا صح هذا — نسجل لها جهودها فى ذلك المضمار واثقين من أنها ستظل بعيدة عن الزهو والاستعلاء .

عبد الفتاح البارودى

كيف أغفـــو عن تسابيح التُّقى ؟ ؟

أو لستُ النور فى دنيا الدُّجـونِ

أقضِّى العمـر عــــذراء كما

قـد برانى الله لم أمسس بشـــين

بها الأشباح . . لا . . لا تقربى

أنا لم أخلق لهـذا . . ويكِ ..! بينى

* * *

الأشباح مستمرة فى الرقص :

لحيـاهْ . . . شهواتْ فى الجسومْ . . . . جمراتْ

فى النفوسْ . . . . نزواتْ

استفيقى للجســدْ كسـعيرٍ يتقــدْ

* * *

« ثم تختفى الأشباح شيئاً فشيئاً »

« هى بعد خروج الأشباح » :

ربِّ : رُحماكَ فهذا . . . . من أفاعيـل الجحيمِ

هـل قضيتَ بعذابى أوَ ما كنتَ حميمى

افـترضى النـار تَـسرى بين أحناء صميمى

أترضى الرجس يمشى كفُّه فوق أديمى ؟ ؟

* * *

شرُّ زلزالٍ دهـــانى فُزِّعت أحلام نومى

وسبحتُ فى سعيرٍ بالشياطين الرَّجــوم

هـدَّنى عبء نضالى أهِ ما ترثى رُسومى ؟

* * *

« ثم تستسلم للنوم ، وبعد حين تهب مذعورة من حُلم فتدخل عليها عجوز تستفسر عن سبب ذعرها فتجيبها فى جزع » :

عالنى الساعةَ غولٌ ثائرٌ فتح الباب وغَشَّى مخدعى

كلما أطلبُ منه مهربا راح يقفونى وأضنَى مضجعى

مد منـه اليـــد يكوى لمسُها

نزَع الثـوب وذرَّى أدمـعى

كلما أسترُ جسمى شـمَّه وهو فى ثورة وحشٍ مفزِع

* * *

ويل هـذا الوحش بل ويلى أنا

أى خطبٍ فى غـــدٍ مُستبشع ؟ ؟

* * *

العجوز :

أما تنتهين : أما من رضا ؟ إلامَ التقلبُ فوق الغضا ؟

وعمْر الشبابِ كظل الغمام سريع الزوالِ خفيفِ الخطا

تُهيب بنا هاتفاتُ الشبا

بِ إلى اللهو هيَّا ونعم النـدا

فهـذا الجمـال . . وهـذا الدلال

وهـذا القـوام وَوَرْد الصِّـبا

أليس له من لذيذ الغـذا

ءِ كما تغتـذى الروح رَوْح السما ؟

سيغتال روضـك كفُّ الذبو

لِ وتغـدين لا زهرةً تُرتضى

إذا لم يَملكِ ذراع الحبيب

فسوف يضمّك غول الفنا . . . . . .

[تمت المقتطفات ، والملحمة كاملة بديوان أعاريد] محمد فهمى

وثبة الأحرار

[إلى تلك الأرواح التى طارت إلى بارئها مجندة فى موكب الجهاد . . . إلى ضحايا الطاغوت فى العهد البائد . . . تنساب هذه الهمسة ابتساماً من خلال دموع] .

شرع الحق بواديك الحساما
وصحا شعبك وثابا هماما
فاسلمى يا مصر للشرق دعاما
مهج العرب تفدّيك كراما

إن يكن قيدك أدمى معصميك
وانطوى أمسك أسواناً عليك
فحماة الظلم أشلاء لديك
ودم الباغى خضاب فى يديك

من سوى الأحرار يا مصر الفداء
إن طغى الظلم فلبتك الدماء
كفكفى الدمع فما يجدى البكاء
ولك اليوم عن الأمس عزاء

جيشك الباسل فى عزم حديد
أرغم الدهر على وضع جديد
وانبرى يحكم للوادى السعيد
فى مراقى المجد أسباب الصعود

وثبة قد هزت العالم هزا
قفزت بالجيل للقمة قفزا
واستقرت فى كتاب النيل لغزا
يبهر الأهرام إعجازاً ومغزى

انشرى يا مصر للعليا الشراعا
بسط المجد على شوق ذراعا
ودعى الشط مع الداعى اندفاعا
قد صفا اليوم لك الجو وضاعا

نبهى الشاطى . . . فقد جد النداء
وانهضى اليوم فقد مل الثواء
فى حماك الحر أشبال ظماء
فاخطبى المجد ولن يأبى القضاء

جددى الفسطاط للنيل وطيبه
وأعيدى عزة الشرق المهيبه
واسكبى التاريخ روحاً فى الشبيبه
يبعث الحاضر وثاب الكتيبه

محمد عبد الله مطاوع
مدرس بدمنهور الثانوية

البعث

« إلى منقذ مصر من ظلام العبودية والفساد إلى نور الحرية والصلاح . . . إلى باعث مصر من الموت إلى الحياة . . . إلى معجزة الجيل . . . بطل الوطنية الصادقة . . . اللواء محمد نجيب » .

الله أكبر يا نجيب   هتفت لهمتك القلوب
ورنت إليك عيون شعـ   ـرى تجتليك وتستجيب
وتحققت آمال مصـ   ـر وعمها الفرح الحبيب
شعب حفظت كيانه   غنت لوثبته الشعوب
فاليوم لا ظلمٌ ولا   زيغ ولا نوب تنوب !
هذا هو استقلال مصـ   ـر الحق والعهدُ الرغيب
هـذا هو البعث الجديـ   ـد لمصر والأفق الرحيب
الجيش تاج الشعب نعـ   ـم التاج ، لا التاج المعيب !
يدعوه داعى الخير والـ   ـخلق الكريم فلا يخيب
ويجيب أحلاس الفسا   د الماجنين ولا ينيب !
تابت شياطين الغـوا   ية وهو غاو لا يتوب ! !
وكذاك من خلع العذا   ر جزاؤه الخلع الرهيب !!
والسالب الشعب الحقو   ق لقد غدا وهو السليب !
نزّهت شعرى عنـه لم   أمدحه قط فذاك حوب
واليوم قد نزّهته   بهجائه هجواً يطيب
اليوم نالت مصر أسمـ   ـى مجدها بك يا نجيب

أحمد أحمد العجمى

جاءتنا قصيدة شعر تنبض بحماسة الشباب من السيد فتحي سعيد بكلية الآداب تقتطف منها تحية لزعيم الوثبة الوطنية :

فجـــــر

صاح صوت البشير الله أكبر — زال عهد الضلال والفسق أدبر
دولة الظلم قد تولت ومادت — وبدا الحق للكنانة يظهر
إنما الظلم ساعة ثم تمضى — وسنا الحق للقيادة يبهر
يا نجيب البلاد يحميك ربى — أنت والنيل والجيش المؤزر
رحمة أنت للبلاد وغيث — سال بالخير والرخاء وأمطر
فامض للخير يا نجيب وهيء — من بنى النيل أمة سوف تظفر
وامحق المحتل والرياء وشيد — دولة الحق من جديد وطهر
قد حباك الإله عزماً شديداً — ومضاء من المهند أبتر
فقهرت الغوى لما تمادى — ودحرت العتى من آل قيصر
سرت للنصر لست تبغى مقاما — لتباهى به العباد وتفخر
حسبك الذكر إنه ليس يفنى — وثناء من الوجود معطر
ومثال بكل جسم وروح — لنجيب وكل قلب مصور
وبشير بكل فجر ينادى — زال عهد الضلال الله أكبر

فتحي سعيد
دمنهور

فى موكب البيد . .

أيهـــا الحائر فى وادى الحياة
ما لواديك تدجّى شاطئاه ؟ ! !
أيهـــا العابر أجواز المـــدى
ما لواديك . . . تلظّى جانباه ؟!!
أيهـــا الغـــارق فى تسبيحه
ما لمحرابك . . . تنعاه . . الحداه !!!
أيهـــا التائه فى وادى الردى
ولوّلَ الصخر ، وصاحت لابتاه ! !
وعوى الريحُ ، وناحت حوله
أيهـــا التائهُ أشباح النعاه . .

أيها الحائرُ فى وادى الفنـــاء
ضاقت الأرض .. فهل ضاق الفضاء ؟
أيهـــا السابح فى عالمـــه . .
لم تزل فى التِّيه تشكو البرحاء . .
فاضت الكأسُ على أيدى الدُّجى
وشدا الليل ، وصاح النُّدماء . .
وصحـــا الراقد من غفوته
وبكى الصخرُ . . . والصخر بكاء . .
وخـــلا هـــذا المصلى . . وعفا
ونعته للدّياجى . . . الشعراء . .

* * *

ما لهـــذا الموكب الساجى يسير
والأعاصير . . حواليه تثور ؟ ! !
جنت الصحراء ، أو جُن بهـــا
ذلك الريح ... فهل تدرى المصير ؟ !
موكبُ الأحلام يحدوه الردى
والبوادى الرُّعن تُبكيها الصخور ...
هـــذه الآبادُ . . ماذا بعدها
لست أدرى ... أرقود ؟ .. أمْ نشور ؟؟
دونك الصحراء ، فاكشف حجبها
واعبر الماضى إليها والدهورْ . .

* * *

أدلج السفرُ ، وفاضت قدماه
وسجا القفـــر ، ولم تبصر مداه
هـــل ترى فى البيد إلا شبحاً
قدْ طواه الليلُ حيناً ، وطواه ؟ ؟
هـــذه البيداء فى غفوتهـــا
تمـــلأ الليل دعاء . . . وصلاه
والســـوافى ثائراتٌ . . فمتى
يبلغ السفر بواديـــك مُناه ؟
السرى طـــال . . فأين الملتقى
أذّنَ العُمرُ ... وصلّت صخرتاه

صابر على رمضان

بين المجلة وقرائها

إلى الأدباء الفضلاء من أسرة الثقافة

ترد إلينا كلمات كثيرة من أدباء فضلاء، وقصائد غراء من شعراء مجيدين، وكلها تدور حول الحركة الجديدة التى اهتزت لها قلوب المصريين جميعاً، بل اهتزت لها قلوب أهل الشرق عامة.

وتود الثقافة لو استطاعت أن تنشر كل ما يرد إليها من ذلك، ولكن عذرها واضح فى أنها لا تستطيع أن تضاعف صفحاتها ولا أن تجعل كل ما ينشر فيها من لون واحد، ولهذا فهى تعمد فى بعض الأحيان إلى الاجتزاء بعيون القصائد فتنشر منها ما فيه إعلاء النفوس وإذكاء لأسمى العواطف، ضاربة صفحاً عما يذكر بالخزى والعار والفساد الذى مضى عهده إلى غير عودة بإذن الله تعالى. وإننا نعتذر أجمل الاعتذار إلى حضرات الأدباء والشعراء من أسرة هذه المجلة إذا كنا نعتمد على سعة فضلهم وسمو مقاصدهم، فنختار بعض ما يبعثون به دون البعض الآخر، وما نزال نشكرهم كما يشكر لهم قراء الثقافة ما يهدون إلى مجلتهم من وحى فنهم وفيض مشاعرهم. (المحرر)

العلامة الكوثرى

فى ١٩ من ذى القعدة سنة ١٣٧١ قبض إلى رحمة الله أستاذنا الشيخ محمد زاهد بن حسن الكوثرى الجركسى، عن ٧٥ سنة. ولد فى الأناضول، وتلقى العلوم على كبار شيوخ اصطنبول، وتخرج من أعظم معاهدها الدينية، حتى صار أستاذاً فى جامع الفاتح ثم أستاذاً فى معهد التخصص والجامعة العثمانية، وتولى وكالة المشيخة الإسلامية وهاجر من تركيا سنة ١٣٤٠ وهبط مصر ثم سافر إلى سورية، ثم عاد إلى مصر وأقام بها فذاع صيته وطبقت شهرته بلاد الإسلام.

له فى علوم القرآن والحديث والكلام والرجال والتاريخ والفقه نحو من ثلاثين مؤلفاً، وحقق كتباً عديدة نشرت وعلق على مطبوعات كثيرة تعليقات ممتعة، ونشرت له بعض المجلات زهاء مائة وعشرين مقالاً فى شتى الموضوعات.

وكان شديد الشغف بالمخطوطات متخصصاً فى معرفة أسماء الكتب ومؤلفيها وموضوعاتها قوى الذاكرة. وكانت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية تستشيره فيما تختاره لمعهد المخطوطات من خزائن اصطنبول.

وامتاز رحمه الله بشمائل غر ونفس أبية وعلم واسع شامل وطبع مستقيم وشكيمة قوية. ودفن بشارع رضوان بقرافة الإمام الشافعى. برد الله برضوانه ثراه.

أبو الفضل عليبة

رد على نقد

تفضل الأديب الفاضل محمد أحمد مدين فطوقنى بجميل أحمده له.. إذ أرسل كتاباً إلى مجلة الثقافة الزاهرة منبهاً إلى خطأ وقع منى فى قصيدة لى منشورة بمجلة الثقافة بعنوان «ظمأ». أما البيت الثانى فهو فعلا زائد تفعيلة وصحته هكذا:

وهى روحى آدها الشوق فراحت تنتحب

وكم كنت أزجى له الشكر لو برئ تنبيهه من العنف فهو يعلم أن السهو جائز على الشعراء كبيرهم وصغيرهم. وعلى كل حال فله منى أطيب الشكر. وأطلب إليه أن لا يغفل البحث والتدقيق عن هفواتى، فعلى الشاعر أن ينتج وعلى غيره أن يعقب.

أحمد عبد الله الفاسى

مجلة الرائد

جاءنا العدد الرابع من المجلد الأول من مجلة الرائد التى تصدر عن نادى المعلمين بالكويت الشقيق حافلا بالمقالات والبحوث التى تنبض حياة وتفيض فكراً. وهذه بشرى جديدة بحركة أدبية فى قطر عربى شقيق نرجو أن تزدهر وتؤتى ثمارها طيبة مباركة.

قالوا

● الحاسد لا يغفل عن فرصته ، حتى يأتى الموت على رمته .
[الجاحظ]

● من الحكمة أن تصحى بحمل وادع برىء فى سبيل إرضاء إله غاضب .
[شكسبير]

● تحب عشيقها فى غرامها الأول ، وفى كل الباقى تحب الحب .
[دون جوان وبيرن]

● إذا ادعيت أنك تستطيع أن تحب شخصاً طول حياتك ، فذلك كأنك تقول إن شمعة واحدة سوف تستمر مشتعلة طالما حييت .
[تولستوى]

● أكره وأحب ، وقد تسأل : لِمَ أفعل ؟ لا أعرف ، ولكنى أشعر بذلك .. إنى أتعذب .
[كاتولس]

● روحان ولكن بفكرة واحدة ، قلبان ينبضان كواحد .
[دون موغ مليجوش]

● عبر باب قلبى ، كتبت « لا دخول » . ولكن الحب أتى ضاحكاً وصاح : إنى أدخل كل مكان .
[هربرت شيبان]

● ما هو حى لا يموت ، إنما يتحول إلى حمال آخر .
[توماس بيلر]

● لا أعرف شيئاً إلا حقيقة جهلى .
[سقراط]

● المعرفة قوة .
[هوبز]

● إذا كان الحب وردة ، وأنا ورقة ، لشبت حياتنا معاً ، فى جو حزين أو سعيد .
[سوينبرون]

● العذوبة المسروقة دائماً أعذب ، والقبلات المسروقة أكثر جمالاً ، والنظرة المختلسة أحلى فى الكنائس .
[توماس راندولف]

● من يهوى لأول مرة ، هو إله ، وإن كان مغروراً . ومن يحب مرة ثانية — ومازال مغروراً هو أحمق .
[هاين]

الثقافة

العـــدد ٧١٥
٨ من سبتمبر ١٩٥٢

مجلة أسـبوعية للآداب والعـلوم والفنون
تصدرها لجنـة التأليف والترجمـة والنشر

الثمن ٣٠ مليماً

صفحة

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز | رئيس التحرير المسئول
الدكتور أحمد أمين | الإدارة | محمد عبد الواحد خلاف

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٢٥٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العـــدد ٧١٥ الاثنين ١٨ من ذى الحجة سنة ١٣٧١ — ٨ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة عشرة

إلى من يلزم ممن فى يدهم مقاليد الأمور :

حلوا الأحزاب السياسية !

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

لو أردنا أن نعرف الأضرار التى أصابت البلاد من الأحزاب السياسيـــة المصرية لـكان علينا أن نعود بالذكرى إلى الوراء سنين طويلة منذ بدأ ظل الحماية ينقشع عن مصر فى سنة ١٩٢٢ ، فقد بدأت منذ ذلك الوقت أصول المأساة التى انتهت بكارثة ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ .

كان من المعقول لمصر إذا أرادت أن تحيا حياة جديدة عقب ثورة ١٩١٩ أن تقف عند عتبة عهدها الجديد تفكر فى غاياتها الجديدة وفى وسائلها التى تحقق تلك الغايات . فقد تغير الوضع السياسى للبلاد فى سنة ١٩٢٢ ، فأصبحت دولة مستقلة بعد أن كانت حماية بريطانية ، واعترفت إنجلترا بذلك الاستقلال من جانبها فى ٢٨ فبراير من ذلك العام . ثم أعقب ذلك إعلان حالة مصر الجديدة وأصبحت ملكية دستورية ، وبدأت فعلا حياتها الدستورية الجديدة فى سنة ١٩٢٤ . ولـكن قادة السياسة لم يقفوا عند ذلك وقفة جدية لتحديد غايات مصر الجديدة ووسائل تحقيق تلك الغايات .

بل تركوا أنفسهم ينجرفون مع عواطف التنافس التى اصطرمت بين الزعماء فى أعقاب الثورة ، ونسوا أو أنستهم الأنانية العارمة أنهم يقفون عند عتبة عصر جديد يحتاج إلى كل ما عندهم من ذكاء ونشاط ومقدرة على التنظيم لإنشاء نظام جديد يتفق مع الحالة الجديدة . بل لقد نسوا أو أنستهم الأنانية العارمة أن ذلك الاستقلال الذى نالته البلاد كان فى حاجة إلى التدعيم والاستكمال لـكى يصير استقلالا صحيحاً ، وأقبلوا بكل ما عندهم من قوة على التنافس الحزبى والصراع السياسى الذى يدور حول الزعامة . وآل الأمر بعد قليل إلى معركة تافهـــة مدارها أشخاص الزعماء وأيهم هو الأصـــدق تمثيلا للأمـــة وأيهم هو موضع ثقة الشعب ومحبته .

وقد كانت التركة التى خلفها الحـكم البريطانى للبلاد مثقلة بكثير من المساوىء ، وكان أساس الحـكم نفسه محتاجاً إلى التعديل لأن الحـكم البريطانى الأجنبى صبغ أداة الحـكم

ومرافق البلاد كلها بصفته الخاصة . فكان هذا الأساس محتاجاً إلى التعديل وكانت أداة الحكم ومرافق البلاد كلها محتاجة إلى نظرة شاملة جدية تقيم العهد الجديد على نظام جديد من كل الوجوه . ولكن الساسة لم يتفرغوا إلى شيء من ذلك، بل اتجهوا إلى غايتهم الكبرى وهي المنافسة على زعامة الشعب والصراع على دعوى ثقته ومحبته .

وقد فطن سعد زغلول في أواخر حياته إلى ضرر هذه الحال وماتؤدى إليه من الانصراف عن مصالح البلاد الحقيقية فأظهر ميلا إلى مواجهة المشاكل الكبرى في سنة ١٩٢٧ وقرب الزعماء المنافسين له وتنحى عن رياسة الحكم ، واكتفى برياسة مجلس النواب ورضى عن قيام ثروت بمفاوضة الإنجليز وظهرت بوادر تدل على أنه عزم على مواجهة الموقف الجديد برسم خطة جديدة في الحكم وتنظيم أداته ، ولكن الأجل عاجله قبل أن تتطور نيته في خطة عملية . واستأنفت الأحزاب من بعده معركة الصراع الداخلى من أجل زعامة الشعب ودعوى ثقته ومحبته ، حتى انتهى الأمر إلى المواقف العنيفة بين النحاس ومحمد محمود ثم بين النحاس وصدقى .

وفاجأت العاصفة هذه الأحزاب المصرية المتنافسة وهي في عنفوان معركتها ، ورأت إنجلترة أن الحرب مقبلة لاشك فيها ، فبدأت تأخذ الأمر في يدها وقامت بحركتها البارعة وهي معاهدة سنة ١٩٣٦ .

ومنذ ذلك الوقت تحول الصراع إلى ميدان آخر كانت إنجلترة فيه واقفة دائماً من وراء الستار تعمل على تحقيق غاياتها هي بوساطة هذه الأحزاب المتنافسة على الحكم . فجاءت وزارة النحاس في سنة ٣٦ — ١٩٣٧ ثم تلتها وزارة أخرى في سنة ١٩٣٨ ثم عاد النحاس إلى الحكم كما هو معروف في سنة ١٩٤٢ . ولم تستطع مصر أن تقف مع كل هذه الظروف لتسأل نفسها عن غاياتها الصحيحة ولا عن وسائلها ، ومضى الزعماء في منافستهم وصراعهم حول دعوى زعامة الأمة ، ولم تزد برامج الأحزاب في يوم من الأيام على عناوين ضخمة لا تزيد على خطابات العرش التي تعد بالكثير ولا تحقق القليل .

ومن أكبر الأضرار التي عادت على البلاد من هذه المنافسات الصغيرة الخطيرة وهذا الصراع العنيف التافه حول الزعامة ودعوى ثقة الشعب ، أن الأحزاب عملت جميعاً على صرف الأذهان عن الإصلاح الداخلى وعن دراسة أحوال البلاد وحاجاتها وغاياتها ووسائل تحقيقها ، وجعلت نقطة الصراع حول مفاوضة بريطانيا . بل إنه ليبدو أن بعض الأحزاب كان يتعمد صرف الأذهان عن الإصلاح الداخلى والنظر في الحقائق الكبرى التي هي الجوهرية في حياة البلاد لأنها كانت في قرارة نفسها تخشى على وجودها من هذا الإصلاح الحقيقى ومواجهة هذه الحقائق الكبرى الجوهرية في حياة البلاد . فكان كل صوت يرتفع مطالباً بإصلاح جوهرى لا يلبث أن يخمد بدعوى أن المسألة الكبرى هي مفاوضة بريطانيا . وقد فطن النقراشى إلى أن هذه المفاوضة لا ينبغى لها أن تكون في المحل الأول من اهتمام الأمة وأن الأولى باهتمامها هو الإصلاح الحقيقى وتحديد غايات البلاد ووسائل تحقيقها وإعادة النظر في أداة الحكم ونظم الإدارة وتحسين مرافق البلاد ، ولكنه لم يتمكن من ذلك لأسباب عدة . ولقى ربه قبل أن ينجح في تحويل أنظار الأمة إلى الاتجاه الصحيح . ثم لم يلبث الأمر أن تحول بين الأحزاب إلى مزايدة سافرة صريحة يقصد بها اختلاب لب الجمهور بإثارة عواطف العداء والمقاتلة ، وإثارة مشاعر سنة ١٩١٩ من جديد ، مع أن ظروف سنة ١٩١٩ كانت قد مضت وفرغت البلاد منها في سنة ١٩١٩ . وكانت نتيجة هذه المزايدة التي اشترك فيها جميع الأحزاب وساهم فيها بعض الأفراد من خارج الأحزاب أن انعقدت كل الغايات في عبارة وجيزة تخف على الأسماع وتقع موقعاً حسنا في القلوب ولكنها تحول حيلولة تامة بين العيون وبين النظر السليم .

ولسنا نريد هنا أن نعيد ما تكرر بيانه في الصحف من المخازى والموبقات وصنوف الفساد التي عمت البلاد من تحت السطح

البراق الذى ترفرف عليه الراية الزاهية اللون — تلك الراية التى كتب عليها بحروف بارزة بعض عبارات جوفاء لا يقصد من ورائها سوى الضحك على الشعب واختلاس ثقة الشعب بمالية الأحزاب الأخرى تلك الألفاظ أمام عينيه .

تحت السطح البراق الذى ترفرف عليه هذه الراية الزاهية كانت الأوحال العفنة تنطوى على السموم القاتلة التى ... ك بحيوية الأمة وتشل قواها . لعبة قذرة فى ظاهرها وفى باطنها !

هذه هى سيرة الأحزاب السياسية منذ سنة ١٩١٩ إلى اليوم ، وهذه هى نتيجة تنافس الأحزاب السياسية وصراعها ... السادة حول زعامة الأمة ودعوى ثقتها . إنها أحزاب ... فى سنة ١٩١٩ فى ظروف الثورة التى أدت وظيفتها منذ ... السحابة . ثم وقف نموها فى دورها الأول كما يقف الطفل المعتوه فى دور المراهقة ، فيستمر نمو جسمه ويبقى نفسيته طفلا مراهقا وهو فى سن الشيخوخة .

هذه هى الأحزاب السياسية التى لم تحاول يوماً أن تسأل ... ما هى غايات البلاد الحقيقية فى العهد الجديد بعد ثورة ١٩١٩ وما هى وسائل تحقيق هذه الغايات بإخلاص وطنى ... لا ينطوى على أنانية ولا خداع . هذه هى الأحزاب السياسية التى قالت كثيراً ولم تفعل شيئاً ، بل وقفت فى سبيل كل إصلاح جدى لأن مصلحة أعضائها كانت تتعارض مع كل إصلاح جدى أساسى فى نظام الحكم وفى مرافق الحياة . هذه هى الأحزاب السياسية التى انصرفت إلى الاستفادة الشخصية والتى عدت نفسها عصابات لانتزاع الغنائم لنفسها وأنصارها ، ولم تأبه لشىء من شؤون الإصلاح الشعبى إلا بقدر ما تقوم به للدعاية لنفسها واختلاس ثقة الشعب .

هذه هى الأحزاب السياسية التى يراد منها اليوم أن تتطهر وأن تكون صالحة للحياة الجديدة فى العهد الجديد بعد ثورة يوليه سنة ١٩٥٢ .

إن الذى يطلب من هذه الأحزاب أن تتطهر وأن تغير من نفسها لتكون أداة صالحة لحكم البلاد فى عهدها الجديد لا يزيد على أن يطلب من الشيخ الفانى أن يصلح نفسيته التى وقف نموها عند حد المراهقة .

ولا سبيل إلى بدء العهد الجديد الذى ترضاه البلاد لنفسها إلا بأن تحل هذه الأحزاب السياسية جميعاً من أولها إلى آخرها بغير استثناء ، وأن يبدأ من جديد فى تكوين أحزاب أخرى من العناصر الحية التى تخلص للوطن وتستطيع أن تقوم بالتفكير على أساس جديد وبأسلوب جديد يناسب العهد الجديد . وعند ذلك فقط يمكن أن يتقدم كل حزب بمبادئه التى يبين للأمة فيها غاياته ووسائله ويقدم للأمة بيانا بأسماء رجاله لكى تكون الأمة على علم صحيح بمن تختار لثقتها ومن تكل إليهم أمور سياستها .

ادفنوا الماضى أيها السادة وادفنوا معه هذه الأحزاب التى كان لها أسوأ الأثر فيما آل إليه ذلك الماضى من الفساد .

محمد فريد أبو حديد

قضية ... «عيب»

للأستاذ حسن جلال

حدثني صاحبي قال :

اطلعت أخيراً على تفصيلات قضية غريبة وقعت حوادثها في ثغر الإسكندرية منذ نحو عامين . وموضوعها أن شابا من أهالي الثغر كان في أحد أقسام البوليس هناك ينتظر وصول عضو النيابة الذي سيتولى التحقيق معه في تهمة كانت منسوبة إليه — وبينما هو في غرفة السجن بذلك القسم اعترته نوبة هياج ، فأخذ يدق باب الغرفة دقاً عنيفا ويصيح صياحا عالياً اضطر إزاءه ضابط القسم إلى أن يستدعيه لينصحه بالهدوء ريثما يحضر وكيل النيابة . ولكن الشاب ما كاد يرى الضابط — بعد أن أخرجه حارسه من غرفة السجن — حتى ابتدره بالسب المقذع البذيء . وكأنما فوجئ الضابط بثورة الشاب عليه ، فوقف برهة أمامه وهو مبهوت لا يعرف ماذا يصنع به . وفي تلك اللحظة وصل وكيل النيابة المنتظر . فلمح الضابط نظر الشاب إلى وكيل النيابة ، وأراد أن يخفف من حدة ثورته التي سببها طول انتظاره في السجن بغير تحقيق ، فقال له إن وكيل النيابة سيشرع فوراً في التحقيق معه فلا حاجة به إلى كل هذا الهياج . فاستدار الشاب نحو وكيل النيابة وقال : أين هو وكيل النيابة ابن الـ . . . ثم انهال سباً عليه وعلى « ملكه » الذي عينه ، وتناول « ذات الملك » بعبارات فاحشة لم يكن يستدعي المقام أن يتفوه بها . ونظرا لأن التعدي على الضابط وعلى وكيل النيابة بالسب يعتبر في عداد الجنح ، بينما يعتبر « العيب في الذات الملكية » من الجنايات التي يعاقب عليها بالسجن ، فقد تضاءل حق الضابط والنيابة بالقياس إلى الجريمة الغليظة الأخرى التي ارتكبها الشاب في حق رئيس الدولة الأعلى ، وهان أمر الجريمة الأصلية التي كان البوليس قد استدعى الشاب ليحقق معه فيها ، وطرحت جانباً ليتفرغ المحقق لأمر هذه الجناية الجديدة . وأخطر رئيس النيابة بالحادث وطيرت أنباؤه إلى كل الجهات المختصة كما كان الشأن فيما مضى كلما وقعت جريمة من هذا النوع الخطير . . .

وجريمة « العيب في الذات الملكية » ليست عادة من الجرائم التي تشوق دراستها ، لأنها كانت تقع في الغالب في صورة رتيبة حين ينزلق لسان الجاني إلى النطق بعبارات العيب أثناء اشتباكه في ساعة غضب مع شخص آخر ، فلا يكفيه أن يسبه وحده ، ويعمد في سورة غضبه إلى التعميم بدلا من التخصيص ؛ فبدلا من أن يقول لخصمه مثلا : « قبحك الله ! » تراه يضل ويندفع قائلا : قبحك الله وقبح . . . ! فيضيف بذلك اسما لا شأن له بالنزاع ولا ينبغي أن يكون له به شأن — وبذلك يتردى في هوة لا تتناسب مع قدر صاحبه الذي يخاصمه ، ولكن تتناسب مع تلك الشخصية الخطيرة التي أقحمها إقحاما في نزاعه الصغير ، فإذا به يقلبها بهذه الزلة إلى هوة سحيقة ما لها من قرار .

والقضاة عادة يتحرجون عند نظر مثل هذه القضايا لأنهم مقيدون بالعقوبات الجسيمة التي يحتم القانون توقيعها في مثل هذا المقام ؛ وذلك في الوقت الذي يكونون فيه مقتنعين بأن الجاني هو أول النادمين على ما فرط منه في سورة غضبه ، وأنه تفوه بما لم يكن ينبغي له أن يتفوه به لولا أن سبق الشيطان إلى لسانه ، ودفعه إلى ما لم يكن يصح له أن يتورط فيه .

ولكن قضيتنا التي نحن بصددها كانت قضية غريبة حقا ، تكتنفها عناصر الغرابة من كل جانب . فإن الجاني فيها لم يبد عليه أنه كان متورطا فيما فرط من لسانه في ساعة ضيقه ، لأنه تكلم كلاما مستفيضاً تناول فيه بالتفصيل شئونا خاصة للملك السابق من النوع الذي اعتادت الصحف في هذه الأيام أن تطنب فيه وتسترسل في سرد تفصيلاته الغريبة العجيبة التي كان من المحرم على الناس فيما مضى مجرد التهامس بها . فما بالك بهذا الشاب الأحمق الذي وقف

فى وسط قسم البوليس وفى حضرة وكيل النيابة يتكلم عن مليكه فى مصر . . . وفى أمريكا . . . وجزائر هونولولو أيضا ، ويذكر فى صراحة تامة وعلانية كاملة ما كان مجرد مروره بالخاطر يهز السكيان ويهدد بالويل والثبور ؟ ! .

ولم تكن غرابة القضية قاصرة على هذه الناحية وحدها ، بل كان أغرب ما فيها أن قضاتها الذين تصدوا لنظرها حكموا فيها . . . بالبراءة ! .

* * *

وتبدأ قصة ذلك الشاب التعس عندما توفى عنه أبوه وخلفه لأمه وهو ما يزال صبياً صغيراً ، فاضطر إلى الوقوف بجوار أمه وهى تواجه أيامها السود . ورآها تكدح نهارها وهى تحمله على كتفها لتيسر له فى آخر اليوم لقمة الخبز التى تشاركه فيها . وما كاد يقف على قدميه حتى شعر بأنه يجد لسعى فى الحصول على تلك اللقمة التى يتقاسمها مع أمه . وبدأ عمله كبائع للصحف . فكان يقف بصحفه عند منعطف الطريق ويظل يزاحم بها المارة حتى يمن الله عليه بالفراغ منها وبيعها كلها فيعود إلى أمه متهللا يقدم إليها ثمرة كدحه ، ويشعر أنه بذلك كاد يملأ الفراغ الذى خلفه أبوه فى حياتها . ولكنه شب عاماً بعد عام واتسع نطاق نشاطه فأصبح يتناول منطقة كاملة يوزع صحفه على أهلها . ولم تعد تكفيه تلك الوقفة الهادئة التى كان يقفها عند منعطف الطريق ، بل أصبح يلاحق المارة فى غدوهم ورواحهم . لم يكن يمنعهم منه أنهم فى الترام أو فى سياراتهم التى تنهب الأرض ، فإنه كان يلمح عملاءه فى مركباتهم فيطير إليها ، ويلحق بها ، ويتعلق (برفارفها) ، ويسلم بضاعته ويقبض ثمنها ، ويفك النقود الكبيرة ويخصم منها حسابه ويسلم باقيها لأصحابها — كل ذلك كان يعمله وهو شبه معلق فى الهواء — ولكنه كان له من شبابه خفة تعينه على القيام بتجارته على هذه الصورة البهجة النشيطة التى كانت تحببه إلى عملائه . . . وأخيراً جاء ذلك اليوم المحتوم الذى زلت قدمه وهو يتسلق مركبة الترام ليلحق ببعض عملائه ثم ومرت عليه العجلات فبترت ساقه . ومنذ ذلك اليوم بدأت صحيفة جديدة من صحف حياته المريرة ، إذ انقلب مرة أخرى إلى حالة العجز والعوز ، وعاد عالة على أمه كما كان بعد وفاة أبيه . وزاد فى سوء حالته أنه فى هذه المرة لم يكن عاجزاً ومعوزاً فحسب ، بل إنه كان فوق ذلك مريضاً تحتاج رجله المبتورة إلى علاج جدى مستمر . فإن المستوصف الذى أدخل فيه عقب إصابته لم يستطع عليه صبرا حتى يتم شفاءه . ولكن رجاله اكتفوا بعد أن قاموا بعملية البتر بأن يربطوا له جرحه وأن يمهلوه أياماً قلائل ، ثم اضطروا تحت « ضغط الإيراد » المتواصل ، وضيق المكان ، إلى أن يلفظوه خارج مستوصفهم ليعود إليهم من حين إلى حين كى يقوموا له (بالغيار) فينزعوا أربطته الأولى وينظفوا له جرحه مما يكون قد تجمع فيه من صديد ، ثم يضعوا له اللفائف الجديدة ويتركوه مرة أخرى تحت رحمة القادر . . . . وكان لهذا الأسلوب فى العلاج أثره فى تأخير موعد الشفاء ، بل إنه أدى آخر الأمر إلى استحالة جرح هذا المسكين إلى حالة مزمنة دورية ، تبدأ حين يقوم رجال المستوصف بتطهير الجرح وتنظيفه ، فيستشعر الشاب شيئاً من الراحة لمدة يوم أو يومين ، ثم تنتهى إلى ما تنتهى إليه كل دورة من آلام ، حين يعود الصديد فيتجمع فى الجرح من جديد ، ويعود فيلهب أعصاب ذلك التعس ويسبب له ارتفاعاً فى درجة حرارته يبلغ حد الحمى ، وينشأ عنه ما قد ينشأ عن الحمى من هذيان . .

وكانت أم الفتى حين تشتد عليه أوجاعه تحمله كدأبها معه وهو صغير ، وتذهب به إلى المستوصف ليتداركوه هناك بشىء من رحمة الله . ولكنها طال بها العهد بهذا الشقاء وبدأت تنهار تحت ضغط تلك الظروف القاسية التى كانت تعيش فيها . . . وخيل للفتى أن عاطفة الأمومة عندها قد فترت ، فإن كان يمض به الألم فى بعض الأيام فيتوسل إليها أن تذهب به إلى « عيادة » المستوصف ليريحوه ، ولكنها كانت تستمهله إلى الغد ، وتعتذر من ذلك بأنها مشغولة فى يومها ذاك ، أو بأنها متعبة من كثرة ما عملت فى نهارها أو بغير ذلك من المعاذير . وكان الفتى يتقبل منها ذلك فى أيامه الأولى راضياً شاكراً ويحمل أعصابه من أوجاعه فوق ما تطيق أن تحمل حتى أفلت منه الزمام أخيراً ، وأصبح إذا طالب أمه بالذهاب إلى المستوصف فاستمهلته يهيج عليها

فيسبها ، ويتطاول عليها . . بل لقد انتهى به الأمر إلى أن يضربها أيضاً !

وفى مساء ذلك اليوم الموعود هاج الصديد المتجمع أعصاب الفتى ، وأخذته الحمى وهذيانها ، فطلب إلى أمه أن تأخذه إلى المستوصف لعله يستريح ، ورأت هى أن موعد زيارة « العيادة » لم يحلّ بعد ، فاستمهلته ولكنه لم يكن فى حالة تسمح بالتأنى والتمهل والاصطبار ، فألح عليها فى ضرورة الذهاب ، فصدت عنه ولم تحفل بإلحاحه ، فقام من فراشه مغيظاً محنقاً واتجه إليها يريد أن يمسك بها ليضربها كما كان يفعل . ففرّت منه وخرجت من الغرفة التى يقيمان فيها لعلها إن عادت إليه بعد قليل يكون قد هدأ أو نام — ولم يطق الفتى أن يكتم غيظه وأحس أنه إن لم ينفس عن نفسه بفعلة بشعة فإنه سوف يموت بغيظه ، فقام إلى مصباح أمه فأراق بتروله على فراشها وأوقد النار فيه . ولكنه ما لبث أن رأى النار تنتشر حوله وتكاد تحصره فى مكانه . فأخذ يصيح ويستغيث وعادت أمه لتجد البقية الباقية من متاعها محروقا . فأقسمت فى ساعة يأسها أن تذهب وتشكو ابنها إلى « البوليس » — وما لبثت أن عادت ومعها الشرطى الذى جاء ليأخذ ابنها إلى « القسم » . وهال الفتى أن يرى أمه تسلمه إلى هذا المصير وهى تعلم ما يعانيه من شدة وضيق .

وذهب إلى القسم وهو فى هذه الحال المعنوية السيئة وقد ضاقت به الأرض بما رحبت ، وود لو أن له قوة بكل ما أمامه ليحطمه تحطيما ، ويفرغ فى عملية التحطيم كل ما تطفح به نفسه من ألم ومرارة .

ولما ألقاه الضابط فى سجن القسم ريثما يحطر النيابة لتتولى بنفسها التحقيق فى تهمة « وضع النار عمدا فى مكان مسكون » كان — من حيث لا يدرى — قد وضع الثقاب على فوهة ذلك البركان الذى ظل يتجمع فى صدر الفتى طوال ذلك اليوم .

وبدأ الشاب يدق الباب ذلك الدق العنيف ويصيح *ذلك الصياح العالى الذى مهد لوقائع « جريمة العيب » كما قصصناها فى صدر هذا الحديث .*

* * *

تلك كانت وقائع الدعوى . . . أما حكم البراءة فإنه استند إلى أن الفتى لم يكن فى حالة وعى تجعله مسئولا عما يفعل . وقالت المحكمة : إنها استدعت الطبيب الشرعى وناقشته فعرفت منه أن المحموم وهو يهذى تحت تأثير حرارته يكون فى حكم المجنون من حيث انعدام الإرادة والوعى — وقالت إنها راجعت « التقرير الطبى » الذى يصف حالة المتهم عند وقوع الحادث ، فتبينت منه أن جرح الفتى كان ينزف صديدا خالصا ، وأن مثل هذه الحالة من شأنها أن ترفع حرارة الجسم فربطت بين الصفتين ، ورتبت على الحمى وهذيانها انعدام المسئولية الجنائية ، وخلصت من كل ذلك إلى حكمها العجيب الجرىء الذى قضت فيه بالبراءة .

وكان « القصر » فى ذلك الحين يتعقب قضايا « العيب » ويهتم بها ويتحرى نتائجها . وكان القضاة يعلمون ما سيكون لحكمهم من أثر عند أهل « القصر » ، ويتوقعون ما قد يترتب عليه من نتائج . ولكنهم آثروا أن يذهبوا — بضمائر مستريحة — إلى حيث يراد بهم ، على أن يضحوا بما حز فى نفوسهم فى سبيل كفالة السلامة والطمأنينة لأنفسهم . . .

وشاء الله أن تنقضى بعد صدور ذلك الحكم شهور الترقب بسلام ، وأن يعيش أولئك القضاة ليشهدوا بعد ذلك الزمان الأول زماناً جديداً تعمل فيه الحكومة على رفع هذه الجريمة رفعاً من قانون العقوبات ، وتصدر فيه عفواً شاملا حتى على من ثبت عليهم أنهم قارفوها وهم لها واعون !

حسن جلال

هذا هو العيـــــد

للسيدة نعمات أحمد فؤاد

وطني أسفت عليك في عيد الملا   وبكيت من وجد ومن إشفاق
لا عيد لي حتى أراك بأمة   شماء راوية من الأخلاق

رحم الله شوقي . لقد طاف بيتاه بفكري في غمرة سعادتنا بالعيد . . . وأقول سعادتنا وأنا أعنيها بعد حقبة طويلة من الآلام نسينا فيها مدلول هذا اللفظ الجميل . . . .
والمجدود يعمق شعوره بالسعادة إذا تذكر ماضي أساه فقارن بين ما كان عليه وبين ما هو فيه . . . ولعل هذا سر طواف بيتي شوقي برأسي في العيد الذي شرف على ما سبقه من أعيادنا باقترانه بيقظتنا المتوثبة بعد نوم طويل أشبه برقدة الموت . ماذا كنا وكيف أصبحنا ؟ كنا غرباء في ديارنا يتخطفنا الذل من كل جانب فأصبحنا أعزة ، وكنا نستخرج الذهب من أرضنا الطيبة ثم نقدمه صاغرين ونحن نشتهيه إلى أولئك الذين لم يشقوا فيه ليكدسوه في المصارف ، أو يغرقوه في المصايف ، أو يريقوه في الكئوس شراباً لا كان بارداً ولا طهوراً . . . . فأصبحنا نعمل لأنفسنا . وامحى عنا ما جاء في كتب التاريخ من قولة عمرو بن العاص عنا في كتابه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (. . لغيرهم ما سعوا من كدهم . .) كما زالت عنا لعنة التدني التي سارت في التاريخ لنا وصماً .

نامت نواطير مصر عن ثعالبها   فقد بشمن وما تفنى العناقيد

كنا نتخبط في ظلام متجهم يطبق علينا من كل ناحية تتعثر فيه خطانا ، فلا ننهض إلا لنكبوا ، فأصبحنا وقد استقام سيرنا بعد أن انجلى الليل ، وأسفر الصبح ووضح الطريق طريق الكرامة والعزة والشرف . . . . إننا الآن بسبيل أن نصبح أمة شماء راوية من الأخلاق كما تمنى شاعرنا شوقي .
ولكن ما وصلنا إليه قصاراه أن يعيد إلى نفوسنا الثقة التي ولت ، وإلى قلوبنا الرجاء الذي انطفأ ، الرجاء في الله والرجاء في المستقبل وما بالقليل هذا . ثم نستعد بعد ذلك لبناء دولتنا من جديد على أسس من الحق والعدل والحرية والشورى والكرامة ، على أسس من العلم والأخلاق جميعاً .

إن عيوناً كثيرة تحيط بنا الآن ناظرة مترقبة ، وفي كل منها معنى من معان . منها الشامت ، ومنها الواثق ، ومنها المتربص ، ومنها المبارك . ومن وراء هذا كله يقف التاريخ في يساره قرطاس وفي يمينه قلم يسجل ما يراه على حقيقته غير عابئ بالإشفاق أو التربص أو التبريك . . .
إن الطريق لايزال أمامنا طويلا شاقا مرهقا ، ولكن حسبنا أن زالت منه العقبة الكئود . وإن رغبتنا الحارة في بناء وطن عزيز لخليقة أن تذلل الصعب وتهون المسير .
إننا الآن نحيا لأن لنا هدفا نسعى إلى تحقيقه . وما أبلد الحياة بغير هدف ، وما أهونها بلا غاية تدور حولها آمال الحي وجهوده . . . إنها إذن حياة تافهة يستوى فيها الإنسان والحيوان ، لأنها لا تتعدى الأكل والشرب والنوم ثم تنتهي بالموت وهو في رأيي خير منها على هذه الحال . . .
إن الأمل في نهضة مصرية واعية أصبح يقينا أو كاليقين ما دام الله قد وهبنا في كبوتنا القائد ليقيل العثار ، كما يمنح البشرية في خلالها الرسول ليهدى إلى الحق . ولكن بقي لنا بعد هذا أمل آخر ليس على الله بعزيز ... أمل في استقلال مهاب لا يغل أيدينا معه قيد مهما كان خفيفا أو ناعما . . . استقلال لا يجرؤ معه باغ على التدخل في أمورنا ... و لايجسر معه طامع أن يستغلنا . استقلال نرجى معه ولا نؤمر . . . استقلال تعززه القوة والحق معا ليحشانا من لم تقنعه حجتنا في أن نعيش في ديارنا أحراراً لا سلطان علينا لواغل دخيل أو متطفل غريب . . . فمن الدول الآن من لم ينس بعد منطق الغابة حاسبة أنها قادرة على خداع الشعوب بما تخلعه عليه من صفات وأسماء هي بمثابة القفاز الأبيض تتوارى فيه اليد الملطخة بالدم . لا لنخفي إثمها ، فحسب ولكن لتنتحل أيضاً سمة التمدين وأناقة الحضر ! !

مصر :
لهفي عليك متى أراك طليقة   يحمي كريم حماك شعب راق ؟

نعمات أحمد فؤاد

من مشروعات الإصلاح الكبرى :

كتا كيت العمدة

للأستاذ إبراهيم حلمى عبد الرحمن

هذه (كتا كيت) لم يكن العمدة الفاضل يمتلكها ولم يقتنها ، ولكنها نسبت إليه ظلماً وعدواناً ، فقد كان أطفال القرية الهادئة يتصايحون فيما بينهم فى سهراتهم المقمرة فى لعبة يلعبونها وهم يتداولون بعض الحصى من طين وحصى أخرى من آجر محروق ، حتى إذا فركوا الأولى بين أصابعهم بقوة أصبحت رماداً تذروه الرياح بينما تبقى الحصى الأخرى ، فإذا تساءل الآخر أين الحصى الأولى قالوا له ذهبت إلى حيث ذهبت كتا كيت العمدة .

سمعتهم مراراً يعملون ذلك ، وحسبتها دعابة غير مستحبة لا شك أن عمدة القرية سيغضب أشد الغضب إذا بلغت مسامعه . فقد عرفته شيخاً حريصاً كل الحرص على هيبة وظيفته دقيقاً كل الدقة فى تأدية مهامها ، والقيام بأعمالها ، لا تأخذه فى الحق هوادة . يأمر فيطاع ويأتمر فيطيع ، فقلت إليه ما سمعت . وكنت أحسب أنه سيثور وينادى بالويل والثبور وعظائم الأمور ، ولكنه أطرق إذ سمع ما قلته فقلت : لعلها إطراقة الذى يتروى فى الأمر ، بل لعله يفكر فى خطة بارعة ظاهرها اللين والرفق بالصبية ، وباطنها الحزم والبطش بآبائهم الذين يسمحون لهم بأن تلوك ألسنتهم اسم العمدة المحترم فى مقام الهزل واللعب .

وبعد أن أطرق طويلاً ضحك كثيراً فوجمت . ثم قال : لعلك تعجب منى إذ ضحكت ! . فقلت : حقاً هذا يا سيدى إنى أرى عجباً ، ألا تغضب ؟ قال لا . وذكر لى قصة طريفة رأيتها مثلاً حياً لبعض مشروعات الإصلاح الكبرى التى سعد بها الريف حيناً (حينما كانت حبراً على ورق) ثم ابتأس بها حيناً آخر حينما وضعت موضع التنفيذ حتى آن للغمة أن تكشف ، والنقمة أن ترفع ، فلم يبق من آثارها غير صيحات صبية يلعبون فى أمسيات القرية المقمرة وهم يفركون الحصى بين أيديهم ويقولون « كتا كيت العمدة » .

لقد سعد الريف حيناً بتلك القصة عندما كانت تخط حروفها فى مكتب من مكاتب الحكومة فى القاهرة ، وكانت الأرقام تتجمع أمام الموظف الفنى المنوط به الأمر . كان يحصى عدد الدجاج فى مصر وأنواعه وعدد ما تبيضه كل دجاجة فى العام وعدد ما يؤكل من هذا البيض محلياً وما يصدّر منه إلى الخارج وعدد البيض الذى يستخرج فى الموسم . وكانت تلك الإحصاءات الكثيرة مبوّبة تبويباً جميلاً ينم على مقدار الجهد الذى بذل فى جمعها ، فهى منسقة وفقاً لكل مديرية على حدة ، بل إن بعض المراكز كانت تبزّ المراكز الأخرى فى نفس المديرية إفراخاً وإنتاجاً ، فكان الموظف الشاب يعجب لهذا التفاوت فى النشاط ويفكر فيه ملياً ويرجعه إلى أسباب كثيرة مما يدل على سعة اطلاعه وتمام إحاطته بهذا الضرب من الإنتاج الحيوانى المثمر فى مصر .

وفى الغرفة المجاورة كان يوجد زميل أمامه إحصاءات أخرى عن متوسط وزن البيضة فى مصر ونسبة ما بها من زلال وأملاح ، ومقارنة ذلك بما يقابله فى البيض الأمريكى والإنجليزى والأفريقى وغيره ، وكان هذا الزميل يمعن النظر فى تلك الأرقام وينقل أقوال الثقات فى العلاقة بين البيئة والغذاء وبين تركيب البيض وما به من عناصر هامة أو فيتامينات حية .

ولا عجب فقد كان مدير القسم مهتما أشد الاهتمام بكتابة تقرير مفصل عن رفع مستوى الإنتاج المصرى فى الدجاج ، سواء أكان بيضاً يؤكل أو يصدّر أو لحما يشتهى على موائد الأغنياء الثراة .

وكان المدير يقول دائماً إننا لو أمكننا زيادة حجم البيضة إلى الضعف ووزن الدجاجة بمقدار النصف وعدد الأفراخ إلى ثلاثة أمثاله فإن الدخل القومى يزيد بنسبة الخمس ، وتكون كل هذه الزيادة راجعة مباشرة إلى الفلاح الصغير

دون صاحب الأرض الكبير . وإذا زاد دخل الفلاح بفضل مثل هذا المورد ، فإن مستواه الصحى يرتفع وأفقه الثقافى يتسع ويرفع أولاده إلى المدارس ، ويأخذ بأسباب التحضر والنهوض .

إن هذا المدير النشط كان يتخيل نفسه ماراً بالقرى وهو يجوس خلال الديار مستمعاً إلى صياح الديكة بدلاً من نباح الكلاب ويقول : إن الكلاب لا تنتج ، أما الديكة فكل ديك بعشر دجاجات ، وكل دجاجة بثلاثمائة بيضة ، مائة منها يأكلها الفلاح فتزيد غذاءه البروتينى عشرة أضعاف ، ومائة منها للتصدير وبها يزداد الدخل القومى الخمس ، والمائة الأخيرة بذوراً صالحة تستولد منها الكتاكيت اللازمة للتوسع الطبيعى فى هذا المشروع الحيوى النافع .

واستقر الرأى على تنفيذ المشروع وأفرد له المال اللازم فى الميزانية ، فأرسلت البعوث إلى الخارج بعضها لاختيار أنسب أنواع السلالات الأجنبية من الدواجن ذات الشهرة العالمية ، والبعض الآخر لدراسة تربية الدواجن وفقاً لأحدث الأساليب العلمية . واجتمع علماء الزراعة بأساطين الهندسة فوضعوا تصميماً موحداً لنماذج بيوت التربية ، وأقفاص النقل ودرست درجة حرارة الجو فى مختلف المديريات والعواصم ، ونشرت أمامهم خرائط للمدن مبيّنا عليها بالمداد الأحمر والأزرق أهم محطات التجميع والتفريغ وكبرى مصانع الثلج وثلاجات حفظ اللحوم . وكان المدير يسرّ كل السرور كلما تلفت عن يمين أو عن شمال إلى الأضابير والأوراق والإحصاءات والبيانات ، والخطط والمشروعات وقد دخل عليه أحد موظفيه ذات صباح برسالة صغيرة ألفها فى تاريخ الدجاج فى الشعر العربى وصدّرها بقول ابن برد عن ربابة ربة البيت التى كان لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت. فتقبل منه المدير تلك الرسالة ضاحكا ونادى أحد مساعديه الكبار وطلب إليه أن يبحث فى أمر أصوات الديكة من حيث الحسن والقبح بغية التعرف عن مدى ارتباط ذلك بحسن النسل ودرجة الإخصاب والنمو .

هكذا مضى العمدة مسترسلا فى حديث خلت أن لا نهاية له ، فبادرت بسؤاله ولكن أين هو المشروع ؟ وأين نصيبك أنت منه ؟ . أو بالأحرى ما الذى أقحم اسمك أنت فى هذا كله — قال — هكذا كان المشروع يوم أن سعد به الريف حلماً فى خيال المدير وأعوانه . وملئت صحائف مسطرة بفوائده ومميزاته شارحة أهميته وخطره . ثم سقطت الوزارة (لأسباب أخرى غير هذا المشروع فيما أحسب) ، وجاء وزير جديد لم يرق له هذا المشروع فى وضعه الأصلى وأنّب المدير بسببه أشد التأنيب ، وقال له ما معناه . إنه لم يذهب إلى الريف ولم يتصل بالفلاحين وأنه بجهله هذا قد كتب الفشل لمشروعه والضياع لأموال الدولة . ثم أصدر الوزير أمره للمدير أن يجرب (هذا المشروع على الطبيعة) فى قرية واحدة حتى إذا نجحت التجربة نشر فى قرى أخرى شيئاً فشيئاً .

قلت أظن هذا أقرب إلى الصواب وأدعى إلى النجاح — قال ماحدث — أن المدير الخطير هبط علىّ ذات يوم غداة أن استمع إلى تقريع الوزير ، فاستقبلته فى دارى مرحباً وخاصة لأنه اصطحب معه معاون المركز وكاتب المالية وثلة من الجند بكامل أسلحتهم المقعقعة ، وأفراسهم الصاهلة ، فأعددت لهم الطعام ، وقدمت لهم واجب الضيافة حتى إذا فرغوا من الغداء تحدث المدير قائلا . « لقد صدق حدسى فى اختيار قريتكم وثبت لى بالدليل القاطع ، والبرهان الساطع أن دجاج قريتكم هذه هزيل ضعيف فى مذاقه مرارة ، وفى لحمه خشونة . وأغلب ظنى أن بيضه صغير الحجم ، خفيف الوزن ، سريع العطب . أليس الأمر كذلك ؟ » . عندئذ اختلط علىّ الأمر وفغرت فاهى وألجم لسانى لحظة ، ثم حلت عقدته وقلت أطال الله عمر المدير الخطير ، وإن ما يقوله هو الحق ، عندئذ انبسطت أساريره ودعا كاتب المالية فمد إليه بأوراق كثيرة أخذ واحدة منها ودفعها إلىّ قائلا : « هذا هو المنشور الأول وعليك بتنفيذه ، وحضرة المعاون على استعداد لمساعدتك دائماً ، وسأمرّ عليك غداً لأتفقد الحالة » .

كان المنشور الأول يأمر بجمع كل الدجاج الذى يوجد فى القرية وخاصة الديكة ، واستبدالها بمعرفة المركز بدجاج جديد من صنف مستورد من الخارج خصيصاً . وكانت كل دجاجة مرقومة بعلامة خاصة على حلقة من المعدن مثبتة فى رجلها اليمنى . وفى الصباح أعلنت أهل القرية بالذهاب إلى المركز دون تباطؤ أو إمهال ، ومعهم ما لديهم من دجاج بلدى

قديم واستلام ما يخصهم من الدجاج (الأسيرى) اللازم ، فرجعوا آخر النهار شيباً وولداناً ، ونساء ورجالاً ، ومعهم حملهم الثمين ، فأطلقوها فى دورهم وزرائبهم طليقة ، حتى إذا جاء الغسق ارتفع للدجاج صياح كأنه العويل لأنها أبت أن تدخل أقفاص الدجاج البلدى وأنفت أن تسكن صوامعه القــذرة الضيقة فانطلق الفلاحون من ورائها واختلط الحابل بالنابل ، وساد الهرج والمرج فى القرية ، وذهبت دعوات رجال الخفر والأمن لهم بالهدوء والسكينة هباء ، فأمر شيخ الخفراء بإطلاق الرصاص فى الهواء إرهاباً ، ثم هجعوا على مضض وكانت ليلة لا تنسى .

وفى الصباح جاء المدير ثانية ومعه حاشيته من أهل الربط وأولى الأمر ، فجاسوا خــلال الطرقات متفقدين أحوال (الرعية) معددين مناقب الدجاج (الحكومى) ووزعوا على كل صاحب دار تعليمات مكتوبة بكيفيــة تغذية الدجاج وتربيته . وبعدئذ توالت الحوادث سراعاً ، فقد كان بعض الأهلين يبيعون الدجاج الحكومى فى الأسواق العامة علناً بأسعار مرتفعة ثم يشترون دجاجاً محلياً بثمن بخس ويعيدون استبداله من كاتب المالية . ولمّا انتبهنا إلى ذلك أصدرنا الأمر بمنع ذلك الغش وأثبتنا لكل فلاح سجلاً به أرقام وأوصاف ما تسلم إليه من دجاج . وأصدرت النيابة أمراً بعقاب كل من يخالف التعليمات باعتباره مختلساً للأموال الحكومية . ولكن سوق الاستبدال السوداء كانت رائجــة . وجاءنى المدير يوماً مزمجراً متوعداً على إثر ضبط بعض دجاج قريتنا الحكومى معروضاً للبيع فى أسواق القاهرة ، فضرب (كردون) حول قريتنا البائسة . وكانت تفتش كل السلال والغرائر الداخلة إلى القرية والخارجة منها تفتيشاً دقيقاً ، ولزم لذلك استحضار قوة كبيرة من الموظفين والجند مما أثقل كاهلى بالنفقات أياماً كثيرة .

ثم كانت الكارثة الكبرى يوم أن تقدم ريفىّ ببيضة لى قائلاً إن إحــدى دجاجاته قد وضعتها بسلامة الله فى صبيحة ذلك اليوم ، وإنه إنما يبادر بتبليغى ذلك الحادث السعيد كبشرى تزفها إلى سعادة المدير ، وخشية العقاب إن فعل بها ما لا تحمد عقباه ، فاحتجزته فى بيتى وبلغت المركز ، وأرسلنا تلغرافاً إلى مصر فجاءنا الرد بضرورة إثبات رقم الدجاجــة (الأم) ورقم البيضة بالتاريخ وختمها بخاتم العمدة ، وذلك للأهميــة . ولكن الفلاحين اللاعبين كانوا يأتوننى ببيض بلدىّ من الأسواق المجاورة فأبصمه لهم ثم يبيعون البيض الحكومى بأسعار مرتفعة نظراً لكبره وحسن منظره ، فأرسلت إلىّ الوزارة خبيراً فى فحص البيض اتخذ من حجرة نومى مقراً له ولسجلاته العديدة ، وكان رجلا مفرطاً فى البدانة محباً للفكاهة ، لا يقبل على عمله إلا قليلا ، حتى إذا جاع أو تعب عمد إلى البيض الذى كان يكدس أمامه لختمه ، فيأكله ويلتهمه التهاما ، على الرغم من فتوى قسم الرأى بأن البيض حكمه فى القانون مثل حكم الدجاج سواء بسواء . وهكذا أصبحت فى قريتى ولا هم لى سوى متابعــة تعليمات الوزارة ومراقبــة أفراخها وبيضها ورعاية موظفيها ومقابلة الحكام ، ولم أجد وقتاً لمباشرة أعمالى العادية ، فتأخر تحصيل الأموال الأميرية وكثرت جرائم السرقة والمشاجرات كثرة غير معهودة .

ولمّا بلغ العمدة فى روايته هــذا الموضع سكتّ وكنت أحسب أنه قد أسهب وأطال الكلام ، وبدا على الضيق من حكايته على الرغم مما فيها من طرافة فاستعجلته النهاية متسائلا عن (الكتاكيت) لأن كل حديثه من قبل كان عن الدجاج والبيض . عندئذ قال لى « إن البركة يا ابنى كانت كلها فى الكتاكيت . وذلك أنه عندما أفرخ البيض استصدرنا فتوى أخرى من قسم الرأى بأن وفاة الكتكوت أمر طبيعى لا عقاب عليه إذا أثبتت فى حينها . عندئذ رأيت المخرج لى من كل هذا الشغل الشاغل ، فأطلقت المنادى فى القرية بضرورة إعدام كل كتكوت من كتاكيت العمــدة فى مدة لا تتجاوز أسبوعاً وكل من يتأخر يكون نصيبه الجلد .

وفى أيام قلائل ماتت أو هرّبت كل الكتاكيت ، فلما جاء المدير بعــد ذلك أثبت فى السجلات الرسمية أن التجربة أوضحت عدم صلاحية السلالة المذكورة من الدجاج الأجنبى فصرف النظر عن التجربة . ولكن أطفال القرية يذكرون (كتاكيت العمدة) ويطلقونها علماً على الحصى الذى لا يبقى له أثر إذا فركته بيدك .

أما المدير الهمام فلم أعد أسمع عنه أو أراه ، ولكن قيل لى منذ قليل إنه الآن فى منصب خطير .

إبراهيم حلمى عبد الرحمن

ثقافة العرب فى أوربا

للأستاذ جمال الدين الرمادى

لم تقتصر ثقافة العرب على الشرق فحسب ، إنما وجدت لها فى أوربا فى فترات متعددة من التاريخ مجالا خصيبا ومرتعاً كبيرا . ووجدت من يحمل لواءها ويعمل على نشره فى تلك الأصقاع . والحلقة الأولى من سلسلة الحوادث التى نجم عنها دخول علوم الشرق إلى البلدان العربية هى فتوحات العرب فى الطرف الجنوبى الغربى من القارة الأوربية وإقامتهم فى الأندلس قرونا طويلة مما هيأ النبوغ لأفراد كثيرين مثل ابن رشد وابن خلدون وغيرهما . وقد اتخذ أهل أوربا قانون ابن سينا دليلا طبيا من القرن الثانى عشر إلى القرن السابع عشر وترجم القانون إلى العبرية فى نابولى عام ١٤٩١ وطبع بالعربية فى رومية ١٥٩٣ ، ثم ترجم إلى اللاتينية . وقد نبه كثير من علماء اليهود أمثال ابن جبيرول الشاعر والكرخى اللغوى الأذهان إلى المعارف والآداب السامية . وأول أستاذ للغة السريانية فى أوربا هو الخورى يوسف الذى أوفده البطريرك سمعان الحدثى إلى رومية عام ١٥١٥ ، وأول كتاب فى النحو السريانى وضع فى أوربا هو الكتاب الذى ألفه اللغوى جرجس ميخائيل عميرة أحد متخرجى الكلية المارونية فى رومية . وأول من لخص تاريخ الفلسفة الشرقية فى اللغة الفرنسية هو إبراهيم الحاقلانى المنسوب إلى حاقل بلبنان والمعروف فى اللغة اللاتينية باسم « Ecchelens is » وكان يوسف سمعان السمعانى Assemani أباً للعلوم الشرقية وجاءت حياته حلقة اتصال بين علوم الشرق والعرب .

وهكذا كان عرب الأندلس والصقليين والبيزنطيين واسطة لنقل علوم الشرق والغرب . وقد ساعدت الحروب الصليبية رغم ما اكتنفها من شرور على تعرف أهل أوربا بذخائر العلوم الرياضية والفلكية والطبية والفلسفية . وكان من البواعث التى دعت إلى حمل الأوربيين على التعمق فى الآثار الشرقية الباعث الدينى ، وذلك لتهذيب المرسلين وطبع الكتب الدينية للكنائس الشرقية .

وللعرب فضل على الكنيسة المسيحية فى القرنين السابع والثامن من حيث إن الإسلام ظهر فجأة فى قوة بأس وشدة مراس ، يتحدى العالم المسيحى وكانت الكنائس فى هذين القرنين قد أوشكت بنزاعها بين المذاهب أن تنسى التوحيد فجاء الاسلام يتحدى ويقاتل من أجل التوحيد . . .

وقد نقل الأوربيون من الشرق الأرقام الهندية وكانوا يستعملون من قبل الأرقام اللاتينية . وهى من حيث تعقدها وضخامتها لا يمكنها أن تخدم العلم الحديث . ونقل الأوربيون من الشرق كذلك النظارة ، وكانت معروفة فى الصين وعرف الأوربيون منها كيف يصنعون التلسكوب . وقد اعتمد أساتذة الجامعات فى إيطاليا فى تدريسهم على التجربة . وقد اكتسبوا هذه النزعة من الكتب العربية أو تعلموها على أيدى المعلمين اليهود الذين نزحوا من أسبانيا وكانوا يعرفون اللغة العربية .

وقد كان العرب بحق ورثة العالم الإغريقى ولم يقفوا عند عظماء الفلاسفة الإغريق مثل أفلاطون وأرسطو وأقليدس بل إنهم عكفوا على جمع الثقافة اليونانية بشتى فروعها ومختلف ضروبها . ونقل العرب إلى أنحاء أوربا ثمرات العقل اليونانى قبل أن يبدأ الدارسون فى أوربا التفقه فى درس اللغة اليونانية فى أواسط القرن الرابع عشر . ولم يعرف الكثير من الكتب الإغريقية أصل إلا من خلال كتب العرب .

وقد حقق المؤرخ الفرنسى (هورو) أن الكندى فيلسوف العرب والفارابى العالم الفيلسوف أثرا فى اللاهوت واستمد منهما اللاهوت كثيرا من الفلسفة الكلامية . ويقول (ليبرى) إن العرب إذا استحقوا الخلود فإنهم لا يستحقونه إلا لأنهم حفظوا كثيراً من الثقافات الإغريقية إلى جانب ثقافتهم التالدة فى وقت كانت فيه أوربا ترسف فى ظلمات يموج بعضها فوق بعض .

ولا يقل تأثير العرب فى العلوم الكيميائية والطبية فى أوربا عن العلوم الرياضية . وقد كان روجر باكون وريموند لالى من تلاميذ العرب فى علم الكيمياء ، ومن أسبانيا خرج جميع أطباء أوربا وانتشر الطب فى جميع أصقاع أوربا .

أما الأدب فقد كان أثره أكثر وضوحا فى الآداب الأوربية عن آثار العلم . ومع أن العلم يفوق الأدب فى دقته وروعة الجديد فيه إلا أنه لا يكاد يقرب من الأدب الرفيع فى صدقه لأن العلم يتغير بتغير الزمان . أما الأدب فخالد . ويجب أن يستوثق الإنسان عند ما يبتاع كتابا من نوع الطبعة وتاريخها على حد تعبير الدكتور وليم ليون فلبس « William Lyon Phelps » أستاذ الأدب الإنجليزى فى جامعة ياپل الأميركية . لأن العلم فى تقدم ، والنظريات تلغى النظريات .

ولو أننا قارنا بين أديب أوربى وعالم أوربى فى تلك الفترة التى بدأ فيها اتصال العرب بأوربا لوجدنا تأثر الأديب بالشرق أكثر من تأثر العالم . فقد كان دارون معاصرا لديكنز . الأول عالم لا يشق له غبار والثانى كاتب روائى ممتاز ، ولكن لو كان دارون حيا اليوم لاضطر إلى أن يحذف صفحات متعددة من كتبه وينقح الباقى على ضوء النظريات الحديثة أما (داڤيد كوبرفيلد . .) آية ديكنز فصادقة اليوم صدقها يوم أخرجت للناس . . . .

لهذه الأسباب ولغيرها كان أثر الأدب العربى فى أوربا أشد من أثر العلوم العربية . وقد ظهر فى أواخر القرن الحادى عشر فجأة طراز جديد من الشعر الغزلى فى جنوب فرنسا جديد فى موضوعه . . . جديد فى أسلوبه . . . جديد فى معانيه . . ولم يكن لهذا الضرب من الشعر وجود فى الأدب الفرنسى القديم ، غير أنه يشبه الشعر الأندلسى والموشحات والأزجال الأندلسية الغنائية شبها عظيما ، ومن هنا ظهر أثر الشعر العربى فى الأدب الفرنسى .

وقد كان الأدب الكلاسيكى فى أوربا أدباً صارماً متجهما يخاطب الخاصة ولا يحاول أن ينزع إلى مستوى عامة الشعب . ويلجأ إلى المنطق والحجة أكثر مما يلجأ إلى القصة والخيال ، فلما ترجمت القصص الخرافية والحكايات الشرقية مثل قصة (السندباد البحرى) عمد الأدب الأوربى إلى ذلك اللون من ألوان الأدب . وهناك قصة فرنسية يسمى بطلها (القاسم) وهو اسم عربى لا مرية فى ذلك ، كما أن هنالك مسرحية إنجليزية بعنوان حسن « Hassan » ألفها الشاعر الإنجليزى الكبير جيمس ألورى فلكر صاحب ديوان (جسر النار . . .) ولا شك فى أنها مستمدة من سحر الشرق .

وقد ساعدت الثقافة العربية فى أوربا على انتشار القصص الرومانسية الفرنسية والفولكلور الألمانية والدراما الإنجليزية فى القرن السابع عشر . وقد كان كتاب (ألف ليلة وليلة) من الكتب العربية الثمينة التى قامت بدور خطير فى هذا المضمار وبثت فى الكتاب الأوربيين روح المجازفة والإقدام فعملوا على إدخال هذا العنصر الجديد فى قصصهم مما أنتج قصة (روبنسن كروزو) وأسمار جليفر لسويفت ، وما إليها من القصص التى تشبه قصة ألف ليلة وليلة فى قليل أو كثير

وكان جيته Goe The فى القرن التاسع عشر يستلهم روح الآداب العربية والفارسية والهندية ومزج أفكاره الأوربية بالخيال الشرقى وضمخ معانيه بسحر الشرق وروعته وبهائه . وكذلك فعل هينى شاعر العذاب والإبداع غير أن الأدب الشرقى لم يسلم من سخريته اللاذعة وتهكمه المرير . . .

ويرى الأستاذ أسين المستشرق الأسبانى وأستاذ العبرية فى جامعة مدريد علاقة بين رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى والكوميديا الإلهية التى كتبها دانتى ، وكذلك بين الحياة الجديدة كما صورها دانتى وبين القصائد الغزلية الصوفية التى فى ترجمان الأشواق لمحيى الدين عربى وخصوصا أن دانتى يذكر بياتريس ويرمز بها إلى العلم الإلهى ، ومحيى الدين يذكر فتاة اسمها نظام وأنها هى التى تلهمه بأفكار التصوف .

وقد كان المستشرق رايموندى ينشر فى القرن السادس عشر كتب المطبعة التى أسستها أسرة مدنيش . وفى أوائل هذا القرن نفسه نبغ عدة مستشرقين إيطاليين مثل مارتلتو ومارانى ، وهذا الأخير طبع القرآن وعلق عليه بالحواشى اللاتينية . وفى القرن التاسع عشر طبع آرى تاريخ ابن خلدون فى تورين رالف رامبولدى كتابا مطولا فى تاريخ الدول الإسلامية بلغ ١٣ مجلدا ، ووضع أمارى تاريخا للمسلمين فى صقلية ، وطبع سكياباريلى كتب الإدريسى وابن حمديس ، وطبع الأستاذ جويدى تاريخ الطبرى .

من أحمد عرابى ... إلى محمد نجيب

— ١٢ —

للأستاذ أنور الجندى

فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ وقف (أحمد عرابى) فى ميدان عابدين ومعه جيش مصر وقدم للخديو توفيق مطالب الجيش والشعب .

وظلت مصر تنتظر سبعين عاما حتى جاء محمد نجيب فى ٢٦ يوليه ١٩٥٢ فحاصر قصر رأس التين ، وأملى على الملك مطالب الجيش والشعب ؛ وهى تتلخص فى مطلب واحد هو أن يتنازل عن عرشه ويغادر البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم .

وبهذا حقق نجيب « الرسالة » التى بدأها عرابى ، والتى ظلت قائمة حتى تحققت فى ذلك اليوم ، فبدأت مصر صفحة جديدة من تاريخها .

وكان « أحمد عرابى » قائد الجيش أول من وقف فى وجه حاكم ظالم هو الخديو توفيق ، وطالبه باسم الشعب بالإصلاح . وكان محمد نجيب قائد الجيش أول من خلع الحاكم الذى لم يكن هناك سبيل إلى إصلاحه أو مطالبته بالإصلاح .

وكان الجيش فى المرتين هو السهم الأخير الباقى ، وهو أمل الشعب الذى تحدث باسمه وطالب بحقوقه .

وظل تاريخ عرابى خلال هذه الفترة الطويلة لا يكتب على وجه الإنصاف . وكانت هناك صحف ممنوعة من الكتابة عنه ، وكان الاحتفال بذكراه مما لا يوافق عليه أهل الاختصاص . وكانت محطة الإذاعة المصرية لا تذيع اسمه ولا تذكر كذلك جمال الدين وعمر مكرم . . .

وقال « عرابى » : إن مطالب الجيش هى مطالب الأمة ، وقال محمد نجيب إنه عزل الملك باسم الشعب ؛ وكانت مصر عندما زحف عرابى بالجيش على عابدين أشبه بمصر عندما حاصر محمد نجيب قصر رأس التين وطلب إلى الملك توقيع التنازل عن العرش .

فى عهد عرابى كانت حفنة من الباشوات والحكام الأتراك يتسلطون على كل شىء ، وفى عهد نجيب كانت هناك طائفة من زعماء الأحزاب تسيطر على كل شىء ، وتسلم للملك بكل شىء ، وتستغل نفوذها ، وتثرى من وراء المحسوبية والرشوة والصفقات .

طالب عرابى بتأليف المجلس النيابى مع إسقاط وزارة

وقد انتشرت اليوم فى أوربا جمعيات على شاكلة الجمعية الأسيوية الملكية والجمعية الأسيوية الفرنسية تضم المستشرقين من أبناء الممالك الغربية والشغوفين بعلوم الشرق . وغاية هذه الجمعيات الاهتمام بالمباحث الشرقية من لغوية وفلسفية وتاريخية ودينية ، وتوسيع نطاق معارف أعضائها بإلقاء المحاضرات ونشر المؤلفات . وقد كان المجمع العلمى العربى بدمشق ولا يزال يضم عدداً من المستشرقين أمثال الأستاذ كليمان هوار من أعضاء الجمعية الأسيوية بباريس والأستاذ درسو الأثرى بمتحف اللوفر والأستاذ جبرييل فران والأستاذ ماسينيون والبرنس كيتانى والأستاذ مرجليوث وغيرهم . وقد قال المؤرخ الكبير المرحوم أحمد زكى باشا عقب زيارته لهذا المجمع (لم أعجب فى حياتى قدر ما وجدت إسرائيلياً يدرس كتاب المسلمين لجماعة من المسيحيين . . .)

ويضم مجمع فؤاد الأول للغة العربية نفرا غفيرا من العلماء الأوربيين ممن تبحروا فى الثقافة العربية وتعمقوا فى الدراسات الشرقية . وليس من شك فى أن فى هذا الخير كل الخير والنفع كل النفع للثقافة العربية إلى جانب أصولها المكينة الراسخة فى التربة العربية وجذورها القوية المتمكنة من أبناء الناطقين بها ، كما أن انضمام المستشرقين إلى المجمع عمل على ذيوع العربية وتلقينها فى أوربا . . .

جمال الدين الرمادى

رياض . وطالب محمد نجيب بتطبيق الدستور وتطهير الأحزاب وإسقاط وزارة القصر .

وعندما تقرأ مذكرات عرابي في هذا المعنى تحس أنك تقرأ عن مصر سنة ١٩٥٢ ، وهذا مثال منها : « ثم أخذت أنشر أفكاري بين علماء الأمة وأعيانها ، وعمد البلاد ومشايخ العربان طالباً منهم مساعدتي على حفظ الأمن والراحة العمومية ، حتى أتفرغ للنظر في مطالب البلاد ويتوفر على انتشالها من وهدة الاضمحلال وهاوية التلاشي التي سقطت فيها مصر أو كادت بتفريط الحكومة في حقوق الأمة وبيعها كثيرا من الأراضي للأجانب مع تعيين كثير منهم بالمرتبات الفادحة ، وسعيها في رفع الأحجار الطبيعية الموجودة في بوغاز الإسكندرية وغير ذلك مما ينذر بأوخم العواقب ، ثم ثبت لنا أن سكوتنا عن حفظ حقوقنا عجز وجبن فاضح ومشاركة للحكومة في التفريط في وطننا العزيز ، وسبيل ذلك إسقاط الوزارة الحاضرة التي لا تريد بالبلاد خيرا ؛ وتشكيل مجلس نواب يمهد إليه في الوصول بنا إلى الحرية المنشودة . »

ويختلف أحمد عرابي عن محمد نجيب في طريقة الانقلاب ، وفي أساليبه ؛ أما عرابي فقد بدأ بدعوة الناس إلى أفكاره ، ومن ثم تقاطرت عليه الوفود من جميع أنحاء البلاد تحمل مطالبها . ثم قام بحركته بعد ذلك ويعد هذا في نظر بعض المؤرخين سبباً من أسباب ما منيت به من فشل .

أما نجيب فقد قام بحركته الحاسمة أولا فاستأصل رأس الأفعى ، ثم أخذ في الإصلاح فأيده الشعب جميعا وأسلم إليه قياده .

ولذلك فإن الحكومة في عهد عرابي عمدت إلى تفرق شمل هذه القوى المتجمعة سواء في الجيش أو في الدولة .

وأخذ الخديو في تنفيذ خطة قوامها تفريق وحدات الجيش ونقل الفرق الموالية للحزب العسكري إلى العاصمة كي تستبدل بها فرق أخرى موالية للخديو ، غير أن الضباط رفضوا الإذعان وامتنعوا عن مغادرة القاهرة .

ثم اتفقت كلمتهم على أن يقوموا بالمظاهرة العسكرية أمام سراي عابدين يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ ، ووضعوا لها خطة محكمة ، وهي حضور جميع آلايات الجيش المرابطة في القاهرة إلى ميدان عابدين في أصيل ذلك اليوم لتقديم طلبات الأمة إلى الخديو ، وقوامها إسقاط الوزارة وتأليف المجلس النيابي ، وزيادة عدد الجيش .

وقد أرسل عرابي إلى وزير الحربية يعلنه بهذا الطلب ، كما أرسل إلى قناصل الدول يطمئنهم بأنه لا خوف على رعاياهم من هذه المظاهرة .

غير أن الخديو كان قد أسرع مع رياض باشا وخيري باشا إلى القلعة لإقناع الآلاي الثالث بالعدول عن الاشتراك في الحركة .

واحتشد الجيش في الموعد المضروب في ميدان عابدين ، وجاء عرابي ممتطياً جواده ، شاهراً سيفه ، يقود آلاي العباسية ، ومعه المدافع بذخيرتها ، وكانت بطاريات المدافع تتخلل أورطة المشاة أثناء السير .

غير أن عرابي لم يعد يثق بعلي فهمي ، رئيس الحرس ، وأخبره بعض الضباط أنه وزع آلاي الحرس داخل السراي ؛ فأرسل إليه ليستدعيه فحضر إليه ، فسأله عرابي عن السر في تفريق الحرس على أبواب السراي ومنافذها من الداخل ، وكان الاتفاق على غير ذلك ، فطمأنه علي فهمي بقوله : إن السياسة خداع . . وأنه باق على عهده .

غير أن عرابي أمره بأن يسحب آلايه من السراي ، ويأخذ مكانه في الميدان ففعل . .

وبلغ عدد الجيش المحتشد في الميدان ٤ آلاف بأسلحتهم ومدافعهم ، ووقف الناس على أطراف الميدان وامتلأت النوافذ ، وسطوح المنازل بالناس .

كما سد الجيش المسالك ، وفزع الخديو عندما رأى حرسه الخاص وقد انصرف عنه في هذه الساعة الرهيبة وانضم إلى الجيش .

ووفد على عابدين الوزراء وقناصل الدول والسير أوكلان كولفن مراقب المال الإنجليزي .

ونزل الخديو من السراي إلى حيث رؤساء الجند ومعه المستر كوكسن قنصل إنجلترا في الإسكندرية وبعض عساكر الحرس الخاص ، فلما توسط الميدان نادى عرابي فجاءه راكباً جواده شاهراً سيفه وحوله ٣٠ ضابطا شاهري السيوف ، *فلما دنا من الخديو صاح به أحد رجال الحرس : أن ترجل واغمد سيفك ؛ ففعل ثم أقبل عليه . .*

وقال الخديو لمن حول عرابى : اغمدوا سيوفكم وعودوا إلى بلوكاتكم ، فلم يفعلوا وظلوا وقوفا فى أماكنهم .

ولما وقف عرابى أمام الخديو ، وحياه التحية العسكرية ، خاطبه الخديو بقوله : ما هى أسباب حضورك بالجيش إلى هنا ؟ .

قال عرابى : جئنا لنعرض طلبات الجيش والأمة وكلها طلبات عادلة .

قال الخديو : وما هى هذه الطلبات ؟ .

قال عرابى : هى عزل رياض باشا وتشكيل مجلس النواب وإبلاغ عدد الجيش إلى العدد المقرر فى الفرمانات السلطانية .

قال الخديو : كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها ، وأنا خديو البلد . وقد ورثت هذه البلاد عن آبائى وأجدادى وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا .

قال عرابى : لقد خلقنا الله أحراراً ، ولم يخلقنا تراثاً ولا عقاراً ، فوالله الذى لا إله إلا هو ، إننا سوف لا نورث بعد اليوم .

وهنا أشار المستر كوكن على الخديو بالرجوع إلى السراى ، فعاد ، وأخذ كوكن وكولفن يناقشان عرابى نيابة عن الخديو ، فقالا له : إن عزل الوزارة من اختصاص الخديو .

فقال عرابى : اعلم يا حضرة القنصل أن طلباتى المتعلقة بالأهالى لم أعمد إليها إلا لأنهم أقامونى نائباً عنهم فى تنفيذها بواسطة هؤلاء العساكر الذين هم عبارة عن إخوانهم وأولادهم ، فهم القوة التى ينفذ بها كل ما يعود على الوطن بالخير والمنفعة . أنظر إلى هؤلاء المتحشدين خلف العساكر فهم الأهالى الذين أنابونا عنهم فى طلب حقوقهم ، واعلم علم اليقين أننا لا نتنازل عن طلباتنا ولا نبرح هذا المكان ما لم تنفذ .

قال القنصل : تريد أن تنفذ أوامرك بالقوة ، إن هذا ينشأ عنه ضياع بلادكم .

عرابى — كيف يكون ذلك ، ومن ذا الذى يعارضنا فى أحوالنا الداخلية ، اعلم أننا سنقاوم لمن يتصدى لمعارضتنا أشد المقاومة .

وأين قوتكم ؟

عرابى — عند الاقتضاء نحشد مليوناً من العساكر يدافعون عن بلادهم ، يسمعون قولى ويطيعون إشارتى .

— وماذا تعمل إذا لم تجب إلى ما تطلب ؟

عرابى — أقول كلمة أخرى .

— ما هى :

عرابى — لا أقولها إلا عند اليأس والقنوط ! ! .

وقد وعد الخديو بتحقيق مطالب أحمد عرابى ، ولكنه نكث عهده ، وعمل على طعنه من الخلف ، وحسب أنه بموت عرابى أو فشله ينتهى ذلك الصراع بين الظلم والعدل . ولكن سبعين عاماً كانت كافية لأن يعود الجيش مرة أخرى إلى علاج نفس المشكلة القديمة بأسلوب جديد ، فلا يتورط فى مطالبة الملك ، ويقنع بالوعود ، بل يعمل أولا على تطهير البلاد من رأس الفساد ، ومن الملك الظالم . . ثم يأخذ بعد ذلك فى تنفيذ سياسة التطهير الشامل عن طريق الحكومة .

أما محمد نجيب فقد حرص ألا يقع فى خطأ يشوه عظمة الحركة التى قام بها ، فترك السياسة وفرعياتها للحكومة ، ورفض لقب الفريق مع مرتب الوزير ، ولم يقبل تشكيل حزب سياسى ، أو إقامة تماثيل له ، أو إطلاق اسمه على بعض المؤسسات . .

وكانت حركة محمد نجيب بفضل النظام والعقل ، أعظم حركة انقلاب فى التاريخ ، فهى الحركة الأولى التى لم ترق فيها قطرة دم واحدة . . .

وبعد ، فهناك تشابه بين عرابى ونجيب . فكلاهما رجل مسلم مؤمن متدين ، صادق الوطنية ، وكلاهما خطيب ، وكلاهما شخصية جذابة تؤثر فيمن حولها .

كان يوم (٩ سبتمبر ١٨٨١) يوماً حاسماً بدأت به معركة تحرير مصر من الظلم والرشوة والمحسوبية والاستبداد ، وفى يوم (٢٣ يوليه ١٩٥٢) نجحت هذه المعركة ووصلت إلى الذروة عندما عزلت الملك السابق ، وفتحت صفحة جديدة فى تاريخ مصر .

وحقق محمد نجيب الرسالة التى دعا إليها عرابى ، وتم فى « رأس التين » الأمر الخطير الذى بدأ فى « عابدين » منذ سبعين عاماً .

أنور الجندى

سقوط الجبروت

من كان يجرؤ على أن يخاطب فرعون سليل الآلهة وملك الملوك وجبار الأرض ــ فى شأن من الشئون ؟ ومن ذا الذى كان يتطلع إلى مملكة الجبروت والطغيان ليرد الملك عن غيه أو يهديه إلى سبيل الرشاد ؟ « إنّ فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين » .

ومن ذا الذى كان يرفع الصوت من رعيته وشعبه ليحاسبه فى أمر أو يدلى إليه برأى ، بعد أن التف حوله السحرة والكهان ورجال الحاشية فنفخوا فى جبروته ومدّوا فى طغيانه وزينوا له الحياة الدنيا لهواً وفجورا ؟ . .

. . وكان الصوت الإلهى الذى يوحى به الله سبحانه بعيدا . حتى اقترب وكان ينساب فى ملكوت الله حين يجد الجد ويظلم الوجود ، وكان الصوت الإلهى يحذر وينذر بعاقبة الطغيان ، ولكن متى كان لأهل الجبروت أن يصيخوا السمع أو تنفعهم الموعظة . حتى كانت الكلمة . . كلمة الإله الحق . .

* * *

ومنذ أحقاب طويلة بعيدة فى التاريخ انساب الصوت الإلهى فى مجراه الأزلى إلى أحد الأنبياء ، وكان الصوت قويا واضحا ــ قال الله تعالى لنبيه موسى : « اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى ، اذهبا إلى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى . قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى . قال : لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى . فأتياه فقولا إنا رسولا ربك . . والسلام على من اتبع الهدى . إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى » .

ــ قال : فمن ربكما يا موسى ؟ .

ــ قال : ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى .

ــ قال : فما بال القرون الأولى ؟ .

ــ قال : علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى . الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا ؛ وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى ، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى .

* * *

ولم يصل صوت الإله الحق إلى فرعون « فكذب وأبى » .

ــ قال : أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى ؟ فلنأتينك بسحر مثله ؛ فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى .

ــ قال : موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى .

فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى . . .

* * *

وقام البغى يناهض الحق لما جاء ؛ وانطلق لسان الحق يهدى للتى هى أحسن .

قال لهم موسى : « ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ؛ فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى » .

* * *

ولم يعترف الباطل بالحق ، وأطلت الفتنة الباغية ، وتراءت من أعينهم ومشى بعضهم إلى بعض .

ــ قالوا : « إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ؛ فأجمعوا كيدكم ثم آتوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى » .

وتعرض الحق للامتحان ، ولكن كلمة الله قد خلدت فى التاريخ « فألقى السحرة سجدا قالوا : آمنا برب هارون وموسى »

* * *

وعز على الطاغية أن يسلم أعوانه ، وأن يبقى فردا فى طغيانه .

ــ قال : آمنتم له قبل أن آذن لكم ، إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ، ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى .

ــ قالوا : لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا ، فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى » .

* * *

وتفرقت من حول فرعون الأعوان والأشياع ، ولم يبق له من الأمر شىء ، وانساب صوت الحق نديا عذبا رائعا بعد أن زال عنه عرشه وسلطانه « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » .

البهاء زهير

مصرى فى الولايات المتحدة

مع إبراهام لنكولن محرر الملايين

[بمناسبة جهاد مصر فى سبيل الحرية والاستقلال يسر المجلة أن تنشر هذه الرسالة تحية منها إلى بطل الحرية إبراهام لنكولن] .

دأبت مكاتب الولايات المتحدة للاستعلامات والتبادل التربوى — فى مختلف بلدان العالم — رغبة منها فى تعزيز العلاقات بين أمريكا وبلدان العالم عن طريق المعرفة الحقة — على إيفاد فريق من موظفيها كل عام إلى الولايات المتحدة لقضاء فترة ثلاثة أشهر ليقفوا على حقائق الحياة الأمريكية ، حتى إذا ما عادوا إلى أوطانهم أمكنهم الإدلاء بإجابات صادقة عن كل ما يجول فى أذهان أبناء وطنهم عن الولايات المتحدة ، فضلاً عما يبثونه لبلادهم من الدعاية خلال وجودهم فى البلاد الأمريكية .

وقد وقع الاختيار هذا العام على الأستاذ جورج شفيق ، مساعد مدير مكتب الاستعلامات الأمريكى بالقاهرة وجون فاناكس ، مساعد مدير الشئون العامة بالقنصلية الأمريكية العامة بالإسكندرية كى يمثلا الهيئة الدبلوماسية الأمريكية فى مصر .

ويقول الأستاذ شفيق : إن المرء يستطيع التعرف على حياة لنكولن ومبادئه ومثله العليا من المجموعة التالية التى اقتطفها من أقواله الذهبية .

* * *

يقولون إن لكل رجل مطامحه . وسواء أكان هذا حقاً أم غير حق ، فإنى أستطيع أن أقول عن نفسى أن ليس ثمة طموح يدفعنى إلى العلا أعظم من رغبتى فى أن يقدرنى إخوانى وأبناء وطنى حق قدرى . ولعمرى ليس من سبيل إلى ذلك إلا أن أكون جديراً بذلك التقدير .

* * *

ليس علىّ أن أسجل لنفسى الفوز ، ولكن على أن أتبع الحق دائماً . ليس علىّ أن أحقق النجاح ، وإنما علىّ أن أبذل كل ما فى وسعى فى سبيل ذلك . على أن أؤيد كل من يقف بجانب الحق وأن أجانبه إن انحرف عنه .

* * *

بينى وبين نفسى عهد على أن أعمل كل ما فى وسعى وبخير طريقة فى محيط علمى ، وأن أمضى فى هذا السبيل إلى النهاية . وإذا ما تكللت جهودى بالنجاح فإن الافتئات على لن يضيرنى فى شىء ، وإن انتهت بالفشل فلن يجدى شيئاً يمين عشرة من ملائكة يقسمون بأنى كنت وفياً للحق ومبادئه .

* * *

لن يثبت طويلاً منزل أهله منقسمون على أنفسهم . ولن تستطيع هذه الحكومة أن تعيش طويلا ما دام نصف أبنائها أحراراً والنصف الآخر عبيداً . إنى لا أتوقع للاتحاد الانحلال ولا للمنزل السقوط ، وإنما أريد وضع حد للانقسام والفرقة فيه . فإما بناء واحداً متماسكا وإما لا بناء .

* * *

يشهد العالم فى شتى ربوعه منذ الأزل صراعاً أبدياً لا يفتر بين قوتين : إحداهما تمثل الحق والأخرى تنوب عن الباطل . الأولى حق البشرية العادى والثانية حق الملوك المقدس .

* * *

إنى سعيد لأن نظام العمل فى نيو انجلندا يسمح للعمال بالإضراب حينما يريدون ذلك ، ولا يرغمهم على العمل فى كل الظروف ، ولا يقيدهم بصاحب العمل سواء أكان يدفع لهم أجراً أم لا يدفع . . . إنى أحب النظام الذى يسمح للرجل بمغادرة عمله حينما يريد ، وأتمنى أن يسود مثل هذا النظام فى كل مكان .

* * *

إنى لا أومن بقانون يمنع الإنسان من الإثراء ، فإن هذا يضره أكثر مما ينفعه . ولذا فإننا لا نقترح أن نشن حرباً على رأس المال ، ولكننا نريد أن نهيء لأحقر الناس فرصة للإثراء مساوية للفرصة المهيأة لأى رجل آخر .

* * *

إنى لا أخجل حين أعترف أنى كنت — منذ ٢٥ سنة مضت — عاملا أجيراً أطرق القضبان ، تماما كما يحدث لأى شخص والده فقير . .

* * *

لقد عشت هنا ربع قرن وأصبحت رجلا عجوزا . .



يرى فى هذه الصورة الأستاذ جورج شفيق (الثاني من اليسار) الموظف بالسفارة الأمريكية وهو فى جانب تمثال لنكولن .

لقد ولد أطفالى هنا ودفنت أحدهم هنا . . وأنا الآن أسافر دون أن أعرف متى سأعود أو هل سأعود على الإطلاق ، فإن أمامى مهمة أعظم من تلك التى ألقيت على عاتق واشنطن . .

إن النجاح لن يصيبنى دون معاونة الإله القادر . فإذا منحنى معونته لن أفشل أبدا . . إنى أثق فى الله الذى يستطيع أن يكون معى إلى جانبى ، ومعكم وفى كل مكان فدعونا نأمل أن نحقق أمانينا .

* * *

إنى واثق من أننى منصرف بكليتى لإنجاز عملى ، غير أن قدرتى على إنجاز ذلك العمل تتوقف على الله الذى لم يتخل أبدا عن هذه الأرض الطيبة التى يسكنها شعب ذكى عظيم .

فبمعونة الله لا أستطيع أن أفشل ، أما بدون معونته فأنا واثق من الفشل .

* * *

حقيقة أنى وإن كنت أعتبر نفسى أحقر الناس — دون تواضع منى — لأكون رئيساً للجمهورية ، إلا أن أمامى عملا أصعب من أى عمل عرض للآخرين .

لقد كنتم كرماء فمنحتمونى بالإجماع تأييد ولاية نيو انجلندا العظيمة ولذا — فبالنيابة عن الأمة وعن مستقبلها وحاضرها وبالنيابة عن الحريات المدنية والدينية التى ستسود فى كل الأوقات القادمة — أشكركم بامتنان .

* * *

إن شعوراً سياسياً لم يثر فى نفسى دون أن يكون مرددا للحقوق التى اشتملت عليها وثيقة إعلان الاستقلال . ولقد تساءلت طويلا عن ذلك المبدأ أو الفكرة العظيمة التى وحدت الولايات هذه المدة الطويلة ، فلم يكن الأمر مجرد انفصال المستعمرات عن الدولة المستعمرة ، ولكنه كان تلك الفكرة التى جاءت فى وثيقة إعلان الاستقلال والتى منحت الحرية للجميع ، فى هذه الأمة وفى العالم أجمع . .

* * *

إننا لسنا أعداء بل أصدقاء ، إذ يجب ألا نكون أعداء . . إننا يجب أن لا نقطع علاقاتنا الودية حتى وإن كان التوتر قد أصابها . . إن تلك الخيوط الروحية التى تصل الأحياء بقبور الوطنيين المنتشرة فى جميع أنحاء البلاد ستعمل مرة أخرى على تقوية روابط الوحدة حين تعمل طبائعنا السامية على إتمام ذلك .

إن أولئك الذين يعملون فى فقر ثم يرتقون هم أجدر الناس بالثقة ؛ فليس أقل منهم طوعا لإغراء الاستيلاء على الأشياء التى لم يكتسبوها بشرف .

عبد العزيز السعدنى

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

كلما راجعت القصائد العشر المشهورة وقفت طويلا عند قصيدة الحارث بن حلزة اليشكرى التى مطلعها :

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

وهى حوالى ثمانين بيتاً من الشعر الجاهلى الجزل . وقد أجمع الرواة على أن الحارث ارتجلها ارتجالا أمام عمرو ابن هند فيما شجر بين بكر وتغلب .

وكلما قرأت المتنبى وقفت طويلاً عند هذه السطور : دخل المتنبى على أبى العشائر الحسين بن على بن حمدان يوماً ، فوجده على الشراب ، وفى يده بطيخة من الند ، فى غشاء من خيزران ، عليها قلادة لؤلؤ ، وعلى رأسها عنبر قد أدير حولها ، فحياه بها ، وقال : أى شىء تشبه هذه ؟ فقال المتنبى ارتجالاً :

وبنية من خيزران ضمنت بطيخة نبتت بنار فى يد
نظم الأمير لها قلادة لؤلؤ كفعاله وكلامه فى المشهد
كالكأس باشرها المزاج فأبرزت
زبداً يدور على شراب أسود

فتعجب أبو العشائر من سرعته ، فقال المتنبى :

أتنكر ما نطقت به ارتجالاً وليس بمنكر سبق الجواد
أراكض معوصات الشعر قسرا
فأقتلها وغيرى فى الطراد

وكلما طالعت ديوان أبى تمام ، وقفت عند سينيته التى مدح بها أحمد بن أبى دؤاد :

ما فى وقوفك ساعة من باس
نقضى ذمام الأربع الأدراس

فلما وصل إلى قوله :

إقدام عمرو فى سماحة حاتم
فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

قال له الكندى : الأمير فوق من ذكرت ، فأطرق أبو تمام قليلاً ثم قال :

لا تنكروا ضربى له من دونه
مثلاً شروداً فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

ولما أخذت القصيدة من يده لم يجدوا فيها هذين البيتين .

هذه أمثلة قليلة لأشعار كثيرة كنت أمر بها فأنكرها بينى وبين نفسى ؛ لأنى لم أكن أومن بالارتجال ، حتى عرفت الشاعر النابغ المرتجل الأستاذ عبد العزيز السعدنى فآمنت بالارتجال إلى أبعد الحدود !

من الشعراء المعاصرين طائفة مشهورة بحضور الذهن ، وقوة البادرة ، وسرعة الارتجال ؛ أعرف منهم : محمود غنيم ومحمد مصطفى حمام والعوضى الوكيل ومحمد الصادق سعود وعبد العزيز السعدنى . والواقع أن الذى لا مراء فيه أن عبد العزيز السعدنى أقدر هؤلاء الشعراء جميعاً على النظم السريع والارتجال البليغ ؛ ولا يكاد يشق له غبار فى هذا المضمار .

فى ربيع عام ١٩٤٤ زار الأستاذ السعدنى كوم النور ، مع صديقين شاعرين لأول مرة ، هما الأستاذ توفيق عوض أباظة والأستاذ محمد الصادق سعود ، فقلت فى استقبالهم :

البشر والبشرى وعيشى الهنى
توفيق والصادق والسعدنى

فإذا بالأستاذ السعدنى يفيض بأشعار كثيرة ارتجلها ارتجالاً سريعاً ، وسجلتها له بديوانى « بينى وبين الشعراء » منها . —

أكوم النور فيضى بالسرور وفيضى بالسعادة والحبور
فأنت اليوم فى الدنيا ربيع وروض جامع أزكى الزهور

زهور ناضرات الفكر زهر   لوامع كالكواكب والبدور
فمن شرقية ينعت وطابت   ومن غربية فى كمّ نور
مكانك قد غدا أسمى مكان   له شرف الخورنق والسرير
ثلاثة أنهر برباك شقت   طرائقها إلى البحر الكبير
إلى العجمىّ أحمدها جميعاً   وأفعمها بسلسال النمير
وأقدرها على نظم القوافى
كنفح الزهر فواح العبير
لقد نسبوه للإعجام جهلاً
أتخفى الشمس عن عين البصير
ألم يطرق مسامعهم بشعر
له جرس الزاهر فى الضمير ؟
لعلهم رأوا فيه غريباً
من السحر الموسوس فى الصدور

ومنها قوله :

قد ملكتم قلوبنا بالسماح   والعطايا جند بغير سلاح !
فاعتقونا ياسادة الجود جودا   وكفاكم تملّك الأرواح
من نداكم وشعركم ذقت خمراً
ليس فيها الرجس الذى فى الراح
أسكرتنى سماحة من نداكم
إن تزيدوا منها فلست بصاحى

ويبدو أنهم زادوا منها . . . فقال السعدنى عاتباً أو غاضباً :

لم المقام تهاهنا ؟ إن الرحيل قد أتى
من بعد إدراك المنى هيّا بنا هيا بنا !
إن لم تقوموا فأنا ! أحمدنا دانى الجنى
كالبدر يبدو بالسنا مهما نأى فقد دنا
وفيه للنفس غنى إن غضّ طرف أو رنا
نحن له وهو لنا هيا بنا هيا بنا !
إن لم تقوموا فأنا . . . !

وكتبت مرة خطاباً إلى أحد الأصدقاء ، بحضور الأستاذ السعدنى ، ونسيت تحية السعدنى لذلك الصديق ، فكتب على الغلاف بسرعة البرق :

نسى الصديق تحية   ياصاح يزجيها إليكا !
فبعثتها فوق الغلا   ف تطلّ فى لهف عليكا
فلعلها تحظى بلحـ   ـظك أو بحظوتها لديكا !

وذيّل كتابه مرة إلى أحد الإخوان بدعابة أسف لها فقال يعتذر ارتجالاً :

بعثت على ذيل الكتاب دعابة
بمزح ولكنى أرى المزح آذاكا
وفى الحق أنى أتيت كبيرة
فهل كنت مخموراً من الفرح إذ ذاكا ؟

وهو غزير الشعر فياض القريحة . سألته مرة : ماذا نظمت فى الأسبوع الأخير ؟ فقال : سبع قصائد فقط . . .
الأولى تهنئة الأستاذ دراز :

عد يا دراز مؤزر النصر   والبس رداء الزهو والفخر !

والثانية فى استقبال أحد الوجهاء :

أهلاً بمن هو للمكارم أهل   وبمن له فى كلّ دار أهل

والثالثة فى ذكرى وحيدى الفقيد :

نسيتك يابنىّ وكيف تنسى   ووجهك كان لى قمراً وشمساً ؟

والرابعة إلى الأستاذ الصادق سعود :

أهلّ وجهك صاح فكان شمس صباحى

والخامسة اليه أيضا :

إليك فؤادى بين غاد ورائح   بحب وشوق ثائر فى الجوانح

والسادسة فى الغزل :

أملت فؤاداً لم يكن ليميلا   فأصبح عبداً فى هواك ذليلا

والسابعة فى الذكرى :

إن تنس أيامى فلست بناسى   إذ أنت عندى غير كل الناس

ويمتاز شعر السعدنى بالسلاسة والسهولة واليسر ، وهو يذكرنى دائماً بتعريف ابن المقفع للبلاغة : هى التى إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها ، كقول السعدنى :

طلبت يوماً من الليالى   أكون فيه خلىّ بال
فلم تجبنى إلى سؤالى   وقلن هذا من المحال
إلا إذا كنت لا تبالى   بواقعىّ ولا خيالى

* * *

كأن تناسى الوجود طرّاً   وتهجر العالمين هجرا
ولا تعبر الحياة فكرا   خيراً وشراً غنى وفقرا
عرفاً ونكراً هدى وكفرا   وقس عليها هلم جرا !

* * *

فقلت رحماكِ بى فمهلا   فإن فيما اقترحت قتلا !
والقتل منه العذاب أولى   فأوسعينى أذى وويلا
وحملينى الجبـــال ثقلا   رضيت عما نقمت قبلا !!

ومن مزاياه الواضحة قدرته على الفكاهة والدعابة واللطف ببراعة فائقة ، كقوله :

يا براغيث يا ابنة الأشراف   يا ابنة الليل والظلام الضافى
أقبلى أقبلى تعالى تعالى   لاتخافى منى ألا لا تخافى !
لا تخافى فلن أخافك إلا   أن تكونى قد اعتزمت اختطافى
أوسعينى ماشئت لذعاً ولسعاً   ثم سيطى دمى بسم زعاف
واطمئنى فالناس عنى نيام   وبعيد أنا من الإسعاف
يابراغيث أنت ذات خراطيـ   ـم كبار كإبرة الصواف
أنت من طول ماطعمت من الضيفان أمسيت سمنة كالخراف
رحبى بى فى الليل ترحيب رب الدا   ر وجه النهار بالأضياف
فهو قد كاثر الورى بثلاث   بك فوق الندى وفوق القوافى
ليس فى الأرض مايفوتك تعدا
دا ولا فى خرائب الأوقاف !!

وكقوله لأحد أصدقائه وقد دعاه لزيارته :

أتدعوننا لتحبسنا   بدعوى الجود والكرم ؟!
وتسلبنا إرادتنا   ببذل طعامك الدسم ؟
وتجعلنا نعض مع الطعـ   ـام أصابع الندم
إذن يا صاح معذرة   ولا تعذل ولا تلم !
فليست تشترى حريـ   ـة الأحرار باللقم !!

والسعدنى من شعراء الشباب المجيدين فى شعر الحب والغزل وفى الخمريات . ومن قصيدة له بعنوان « وجنتاها » :

وجنتاها شفق يبدى سناها
وينير الكون من شمس صباها
منهما أرسلت النور إلى عقـ
ـلى لتهديه إلى الحب فتاها
أتراه حسب الحمرة فى الـ   وجنة خمراً مصطفاة فاشتهاها
وكأن الخمر لما أن رآها   فاشتهاها بالتمنى قد حساها
فانتشى المسكين لا يدرى متى يـ
ـرجو له من نشوة السكر انتباها
يالها من خمرة تسكر بالعيـ   ـن وتصبى كل ذى عين رآها
أتراها نار موسى كلما آ   نسها قلب تناسى ماعداها ؟

ومن شعره فى الخمريات :

أدرها أيها الساقى   كشمس ذات إشراق
مشعشعة أشعتها   تنير ظلام آفاقى
وتأتلق فى أساريرى   إذا غابت بأعماقى
مملكة على ملك   وصعلوك وأفاق
أسيرة دنها انطلقت   لتحريرى وإطلاقى
ولا تنظر إلى إذا   ثملت بعين إشفاق
ففيها من سموم همو   م نفسى خير ترياق !

وبالرغم من سلاسة شعر السعدنى وبساطته الأخاذة يدق أحيانا ويتعمق الفكرة ويلبس مسوح الفلاسفة ويصل إلى أعمق المعانى ببراعة تدعو إلى الإعجاب .

وأكثر مايروقه ذلك فى أشعاره الكثيرة فى اللزوميات :

كم للنفوس أحاسيس وأخيلة   لاتستطيع لها باللفظ تصويرا
نحاول الفكر تفسيراً لها عبثا   فيوسع اللفظ تغييراً وتحويراً
حتى إذا ما دقيق الوصف أعوزه
أنحى على اللفظ تزويقاً وتزويرا
لا تكذب الحس فالظلماء باقية
ما زدتها ببريق اللفظ تنويرا

ويقول فى الفلسفة :

دع عنك فلسفة الفلاسفة الأولى   تركوك تخبط فى ظلام دامس
إن السعيد هو الذى فى حسه
لحياته لم يعد لمس اللامس !

ويقول فى وباء الكوليرا :

إن كان فى مصر وباء   فالفقر وجهلك والغباء
لولاهما ما أصبحت   أسد الشرى أسرى الظباء
وغدا الرجال من النسا   ء مكانهن من الخباء
فإذا قضيت عليهما   أنقذت مصر من السباء
وإذا تركتهما فجهـ   ـدك فى سلامتها هباء

ومن الحكم المأثورة والغرر اللامعة فى شعر السعدنى

دع التوقر دعه   إن التوقر وقر
فالدر إن طار ذر   والصقر إن حط صقر !

(البقية على الصفحة التالية)

تكافؤ القوى العقلية لدى البشر

تظهر اختبارات الخصائص العقلية عند تطبيقها على الأجناس البشرية أن الناس جميعاً على نفس الاستعداد العقلي ، وذلك ما أوضحه الدكتور ج . م مورانت (بلندن) في كتيبه « معنى اختلافات الأجناس » الذي نشرته اليونسكو في سلسلة « مشكلة الجنس في العلم الحديث » .

وإن كان العلم الحديث قد بين أن تفاوت الأجناس في عقلياتهم أمر واقع إلا أن الدكتور مورانت يصرح لنا بأن هذا التفاوت أقل مما يظن عامة الناس ، إذ أن هذه الاختلافات لا تعني تميزا مطلقا في العقلية بين شعب وآخر .

ولقد أوضحت اختبارات الذكاء أن أفراد الجماعة الواحدة يختلفون اختلافاً كبيراً في القوى العقلية ، إلا أن الجماعات وإن تفاوتت في الذكاء فليس هناك قوة عقلية فطرية تميز جنسا عن آخر .

ويعرض الدكتور مورانت الآراء المتباينة عن معنى تفاوت الأجناس في الخصائص الجسمية والعقلية ، ويوجز مناقشته بقوله : إنه يأمل تعميم المناهج العلمية التي تطبق على مقارنة الجماعات في خصائصها الطبيعية حتى تشمل مقارنتها من حيث التكوين العقلي .

إن الناس يتشابهون أكثر مما يختلفون ، إلا أن الاختلافات — مهما قلت — تؤدي إلى صعوبات ومشاكل ولهذا يجب أن نفرق بين الاختلافات المتأصلة والاختلافات الراجعة إلى تأثير البيئة .

ولنأخذ مثلا شعوب الهنود الحمر الصيادين . إن الناس عامة يعتقدون أنهم يتفوقون في البصر والسمع ، ولكن التجربة أثبتت أن مهارتهم في اقتفاء الأثر مكتسبة من خبرتهم ، وأنها لا تتوقف على حواس أدق من الحواس العادية .

وأخيراً يقول الدكتور مورانت : « إن تنوع الجماعات يسوي بين الشعوب ، والاختلافات نعمة للإنسانية أن أتاحت الفرصة للجميع لتحقيق إمكانياتهم » .

[عن رسالة اليونسكو]

لا يطلب الشيء ما لم يكن إلى الشيء فقرُ !!

وقد أحسن الشاعر المعروف أحمد مخيمر في تصويره السعدني بهذه الصورة الشعرية الدقيقة :

يجمع الضدين في برديه رغبة الأرض وأفراح السماء
ويغني فإذا الشاعرُ في شدوه يلبس فكر العلماء
إنه لفحةُ نارٍ فإذا ما دنا منك فقل قطرة ماء

ومن شعر الأستاذ العوضي الوكيل في السعدني أبيات رقيقة مطلعها :

عبد العزيز السعدني في الشعر غير هينِ !!

وقد قلت في ارتجال السعدني :

رأيتُ عجائب الدنيا جميعاً تهون لدى ارتجال السعدنيّ
يُرى وكأنه يتلو كتاباً بمهجته من الشعر السنيّ

بقيت الإشارة إلى عيب الشاعر وهو نفسه عيب كل شاعرٍ مرتجل سريع النظم . . . توشك السهولة أحيانا أن تكون تفاهة ، وتكاد البساطة أحيانا أن تصل إلى الإسفاف . وقد لا يهتمّ السعدني بالصقل والطلاوة والتركيز ؛ لغزارة شاعريته وتدفق بيانه الرائع ومطاوعة شيطانه بخفة وطلاقة . ولو لم يقل أبو العتاهية : لو شئت أن أجعل كلامي كله شعراً لفعلت — لقالها الشاعر النابغة : عبد العزيز السعدني .

أحمد أحمد العجمي

القوم يقرءون ...

للأستاذ مبارك إبراهيم

١ – كتاب «تبنى الأطفال فى العلم الحديث»

"Child Adoption in the Modern World"
By M. Kornitzer.

يقول الكاتب :

صدر أول قانون للتبنى فى إنجلترا عام ١٩٢٦ ثم نُقح وكمل عام ١٩٤٩ . وبين هذين التاريخين زاد عدد حالات التبنى من أقل من ثلاث آلاف حالة فى عام ١٩٢٧ إلى أكثر من واحد وعشرين ألف حالة فى عام ١٩٤٨ .

ومؤلف هذا الكتاب قد درس فى كتابه مشكلة التبنى من جميع نواحيها . فهو يبحث فى من هو الطفل الذى هو فى حاجة إلى أن يُتبنى . . ومَن من الأطفال يصلح للتبنى ، ومن منهم لا يصلح . وما هى السن الأكثر ملاءمة ، وما هى عقبى التبنى فى مختلف الأعمار .

والمؤلف يبحث كذلك فى الصنوف المختلفة لأشخاص المتبنين . ومن منهم يجب أن يحرّم عليهم التبنى .

والتبنى عرضة لكثير من ألوان سوء الاستعمال . ومن أجل ذلك يصرّ المؤلف على أن يعهد بالإشراف على عمليات التبنى إلى جماعات يوثق بها الوثوق كله . وهو يوصى بأن لا يكون التبنى بوساطة وسيط . حتى لو كان هذا الوسيط ممرضة أو طبيباً .

ومما تفيد معرفته أن عدد راغبى التبنى يفوق عدد الأطفال الذين يُظن أنهم صالحون للتبنى .

والأطفال ذوو العاهات الجسمانية والعقلية لا يدخلون فى حساب من يُراد تبنيهم . ومما يثير العجب أن أكثر الناس يختارون للتبنى الأطفال الأقل وسامة . وهم يبدون الأسى على أنه غير مسموح لهم بتبنى الأطفال العمى .

وقد أثبت الإحصاء أن خمسة وتسعين فى المائة من طالبى التبنى يرغبون دائما فى تبنى البنات دون البنين . وليس ذلك لأن تربية البنات أقل غُرما فحسب — وذلك إذا أريد أن لا يتعلمن تعلما يؤهلهن إلى احتراف الحرف — أو لأن البنات يستطعن أن يعاونّ فى الخدمة المنزلية ، بل لأن الثابت فى الأذهان أن حبهن وحدبهن على من تبنوهن يظل باقياً حتى بعد أن يتزوجن ، وحتى بعد أن يصبح لهن أولاد يستأثرون بحبهن .

الباكيات يوم ينقطع البكا والزائرات فى العراء النائى
والذاكرات ما حيين تحدثا بسوالف الحرمات والآلاء

والكتاب بعد ذلك ملىء بالمعلومات القيمة . وقد ضمنه مؤلفه جداول إحصائية ، وفهرساً نافعا مفيداً . كما ضمنه فصولاً تحدث فيها عن نظرة القضاء إلى التبنى فى مختلف الممالك . كما تحدث عن الفجوات التى فى القانون الإنجليزى فيما يتعلق بحماية الأطفال . كما ضمنه فصلا عن تاريخ التبنى فى مختلف العصور .

وهو فى جملته كتاب جم الفائدة لمن يريدون أن يكونوا آباء بالتبنى . وكذلك لمن يريدون الإلمام بأحكام القوانين فى هذا الموضوع .

ومن نافلة القول أن نقرر أن الآباء بالتبنى حكمهم حكم الآباء بالولادة فى أنهم لا يحسنون قيادة أولادهم إلا إذا أذاقوهم كؤوساً صافية من الحب الخالص الذى لا تشوبه شائبة ...

ما كل ذى ولد يسمى والداً كم من أب كالصخرة الصماء

٢ – المصور الجغرافى فى التاريخ الإسلامى

"Atlas of Islamic History" Compiled
By Harry W. Hazard

قليلون من الغربيين من يعرفون مدى انتشار المسلمين فى أقطار الدنيا . فالمسلمون اليوم يبلغ عددهم خمساً وستين وثلثمائة مليونا . وهو ما يجاوز سبع عدد سكان العالم وهم إلى ذلك أصحاب أكبر نسبة فى المواليد .

وفى كل مملكة من ثلاث وخمسين مملكة من ممالك الأرض يعيش خمسون ومائة ألف من المسلمين .

وأكثر الممالك الإسلامية فى عدد السكان هى إندونيسيا (٦٩ مليون) وباكستان (٦٦ مليون) ثم الهند (٣٤ مليون) والاتحاد السوفيتى (٢٠ مليون) .

والمسلمون الباقون منتشرون فى الأرض من مراكش غرباً إلى جزر الملايو شرقا ، وهناك جماعات من المسلمين فى أقصى بقاع الأرض كجزائر الهند الغربية ، واليابان وهواى .

وجامع هذا المصور يسد بكتابه ثغرة كانت بادية لدى الراغبين فى الإلمام بتاريخ العالم الإسلامى . فهو يحتوى على مجموعة من الخرائط التاريخية ترينا التغيرات التى حدثت فى العالم الإسلامى جيلا بعد جيل. وهو يبين لنا فيه الجغرافيا التاريخية للحروب الصليبية ، كما يبين لنا فيه الجغرافيا التاريخية للأمبراطورية العثمانية يوم كانت رقعتها فى أوج امتدادها .

وهو يدون قبالة كل صفحة من صفحاته خلاصة وافية للتاريخ الإسلامى فى تلك البقعة التى تصورها الخريطة ، وكذلك خلاصة وافية لتقدم الثقافة الإسلامية فى تلك الحقبة التى تمثلها الخريطة .

ومن المعلومات التى لايستطيع الباحث أن يظفر بها فى سهولة ويسر فى كتب أخرى تلك القوائم المزودة بالتواريخ لخلفاء بنى أمية . وللخلفاء العباسيين ، وكذلك سلسلة النسب للسلاطين من آل عثمان . وكذلك جدول حولت فيه السنين الهجرية إلى سنين ميلادية من أول عام هجرى إلى العام ١٩٧٥ من أعوام التاريخ الميلادى .

وكذلك يحتوى هذا المصور خرائط أخرى مزودة بالشروح والتفاسير ، وهى ترينا موضع كل مملكة إسلامية ذات شأن ، وتبين مساحتها وعدد سكانها . . .

٣ ــ العالم بعد مليون سنة

كتاب ألفه سير « تشارلس جالتون داروِن »

(Sir Charles Galton Darwin)

ولد مؤلف هذا الكتاب عام ١٨٨٧ ، أى بعد وفاة جده العالم الطبيعى « تشارلس روبرت داروِن » صاحب كتاب « أصل الأنواع » بخمس سنين .

وكما أن الجد قد عنى بدراسة كيف نشأ الإنسان وكيف ترقى . فكذلك جاء حفيده اليوم يبحث فى مصير هذا الإنسان ، وما سوف يلقى بعد آلاف من السنين .

وقد علق على هذا الكتاب إثر ظهوره عالم من علماء الطبيعة هو الأستاذ "C.P. Snow" فقال :

ما سوف يكون من أمر سكان هذا العالم ؟ وإلى أى مدى سوف يزيدون ؟ ومتى يحكم الهنود والصينيون وسكان إفريقيا رقعة هذا الكوكب ؟ .

هذه أسئلة قد لا تقض فى عصرنا هذا مضاجع أحد منا ليلة واحدة ، ولكنها سوف تكون شغلا بالليل وهما بالنهار لحفدتنا وذريتنا ، ولذلك فإننا نكون جفاة قساة القلوب إذا لم نحاول اليوم الإجابة عن هذه الأسئلة .

وقد جعل « سير تشارلس » أبحاثه فى كتابه هذا تدور حول المليون السنة المقبلة . ذلك لأن هذا المقدار من السنين هو المدى الذى قد يظل العالم فيه باقياً كما هو من الوجهة البيولوجية ، وذلك أيضاً لأنه يرى أن سكان هذا العالم لن يزيدوا فى تلك الحقبة إلا بمقدار ثلاثة أضعاف أو خمسة .

وقد نرى نحن أنفسنا غير قادرين على أن نجادل فيما يقرره المؤلف . بل قد نجد الجدال مستحيلا ، إذ هو رجم بالغيب .

ويقول « سير تشارلس » إن سكان هذا الكوكب يبلغ عددهم اليوم ألفين من الملايين ، وهو عدد يتضاعف مرتين فى كل مائة عام ! ومهما يبذل الناس من جهود فى إيجاد موارد جديدة للطعام ، فإنهم لن يستطيعوا أن يظلوا فى تلك المباراة على قدم المساواة . فلا بد إذاً للجوع أن يحل بساحتهم ، ولا بد لهذا الجوع من أن يكون العامل الأكبر فى خفض أرقام الزيادة .

ويقرر « سير تشارلس » أن انهيار نظرية « ملتس » وكذب نبوءته فى القرن التاسع عشر يرجع إلى سبب جغرافى لن يتكرر ، وهذا السبب الجغرافى هو أن القارة الأمريكية كانت لا تزال « مفتحة » الأبواب ، وكان هناك مجال لزيادة المنزرع من الأرض ، ومد الناس بالطعام . ولكن هذا السبب قد بطل اليوم .

ومما يجدر ذكره أننا كنا من قبل قادرين على أن نغض الطرف عن مناظر الجوع والفاقة ، وذلك لبعد مواطن

الأقوام الفقراء الجياع عن عقر دارنا بعداً يبلغ الآلاف من الأميال. وهي المسافة التي تفصل بيننا وبين الهند والصين، ولكن الأمر اليوم مختلف جداً.

وإنا لنسائل أنفسنا عن الصفات التي سوف يكون عليها أقوام المستقبل، وما مدى التغيرات التي سوف تبدو آثارها فيهم، ونحن نجيب عن هذين السؤالين فنقول: إنه في زمن قصير جداً نقدره نحن بمائتين من السنين سوف يقل عدد السكان البيض في العالم فتنقص أقدارهم تبعاً لذلك. وسوف تسارع الهند إلى تصنيع بلادها. وسوف تلحق بها الصين في هذا المضمار، وسوف تحذو إفريقيا حذوها.

ولما كان التصنيع الحديث يستتبع براعة في الصناعات فإن أولئك الأقوام سوف تزداد نسبة قدرتهم الحربية على قدر تلك البراعة.

ويقرر «سيرتشارلس» أن لون السحنة بين سكان الأرض جميعاً سوف يكون أميل إلى السمرة والسواد. فليتدبر هذا القول أولئك القائلون اليوم بسيادة الأقوام البيض، وبالتفريق بين الملونين وغير الملونين. وليعلموا أنهم جدّ خاطئين، بل جد غافلين...

٤ – اكتشاف الهند

كتاب من تأليف «جواهر لال نهرو»

"The Discovery of India"
By "Jawaharlal Nehru"

صدرت اليوم الطبعة الثالثة من هذا الكتاب. وقد علق عليه بهذه المناسبة أحد المعلقين فقال: منذ سبع سنين كان زعيم من كبار الزعماء الوطنيين يجلس في سجنه الانفرادي، بينما كانت بلاده والعالم أجمع تزلزل من حوله زلزالا شديداً.

ولما كان هذا الزعيم قد أوتي مزاجاً فلسفياً فقد قبع في ركن من أركان غرفة السجن يفكر تفكيراً من لون جديد في مصير البلاد التي ظل طوال حياته يسعى لفك قيودها وكسر أغلالها.

وقد نحا هذا الرجل نحو كثير منا، فأمسك بقلمه وورقه ليوضح فكرته، ويبسط قضيته. وكان إذا أعوزته في السجن كتب المراجعة استعان بأصحابه في السجن، وكانوا أحد عشر. وكلهم من أصحاب الثقافة الواسعة.

واستطاع الزعيم الهندي بفضل معونتهم أن يخرج كتاباً من خير ما كتب بين جدران السجون. ثم سمى كتابه هذا اكتشاف الهند.

و «نهرو» اليوم رئيس دولة ذات سيادة تحتل مكانا علياً بين المعسكرين المتنازعين. وقد أصبح أحد ستة من الأقطاب البارزين في دنيا السياسة.

وفي مثل هذه الظروف يكون لمثل هذا الكتاب قيمته ومكانته. فما بالك بكتاب يكتبه رجل مثل «نهرو» زعيم الهند؟

وهذا الكتاب يمثل ثلاثة كتب مجتمعة. فهو تاريخ موجز للهند، وهو مجموعة مذكرات سياسية، وهو ترجمة لحياة صاحبه، وهذا الهدف ذو الثلاث شعب لم يزعزع بنيان الوحدة الفنية لهذا الكتاب. ذلك لأن التناسق الذي هو شعار حياة مؤلفه قد انعكست أشعته فوق صحائف هذا الكتاب.

ومن موضوعات هذا الكتاب التي تفتن لب قارئه فصل عنوانه «النظر إلى عصر النهضة الأوربية من فوق عرش الحكام المغول»، وفصل عنوانه: «الاستزادة من العلم بأحوال العرب في أسبانيا». وفصل عنوانه: «مقارنة بين الحضارة الإغريقية والحضارات القديمة في الشرق» وقلّ من الكتاب الأحياء من أوتي القدرة على عقد مثل هذه المقارنات. وليس يكفي أن نقول إن الفضل في هذه القدرة راجع إلى أن «نهرو» قد تخرج في جامعتي «هارو» و «كامبردج»، أو أنه قد طاف بالممالك الأوربية فرأى ودرس وقارن؛ ولكن هذه القدرة ترجع أكثر ما ترجع إلى التجاوب البعيد الذي بينه وبين كل ما هو جميل في الغرب.

ولما كان «نهرو» رجلا يحكم العقل ويعلي من شأن العلم. فإنك لتجده — على خلاف غاندي — لا يحاول أبداً أن «يوسع الهوة بين المادية الغربية والروحانية الشرقية».

ومن مأثور كلامه قوله: لست أفهم معنى كلمتي «الشرق والغرب» إلا إذا أردنا أن نعني بهما أن أوروبا وأمريكا قد ارتفعتا إلى القمة في ميدان التصنيع، وأن آسيا قد تخلفت عنهما في هذا المضمار...

مبارك إبراهيم

نقد

على هامش النقد الأدبي :

يوم الإسلام

تأليف الدكتور أحمد أمين

للأستاذ محمد على هدية

سأقضي ببيت يحمد الناس أمره ... ويكثر من أهل الرواية قائله
يموت ردى الشعر من قبل أهله ... وجيده يبقى وإن مات قائله

ليس في مقدوري كتابة نقد لأستاذي « أحمد أمين » وكتاب « يوم الإسلام » أحد مؤلفاته الأخيرة ، وكلمتي هذه تصوير صادق لأثر كليهما في نفسي ، وتحية للرجل الذي وهو آنس أوقات فراغي ، وأحسن أيام دراساتي ومطالعاتي .

وقد قرأت عن « أحمد أمين » بأنه يؤدب العلم ، كما قرأت من قبل بأنه عالم يتحلى بالأدب . وسأوضح رأيي كقارئ — لا كناقد — كما قلت ، ولكن بدون أن أعرض لهذين القولين .

وأحب أن أقول أيضاً ، وقبل المضي في الحديث ، بأني لا أكتب لأحمد أمين ، ولا لغيره من القراء ، فلست أعرف شخص الرجل ولم ألقه في حياتي قط ، ولعلي غير حريص على لقائه . وحسبي أنني أراه من خلال الحقائق التي يبثها في إنتاجه . وأحمد أمين لا يكتب ليتأنق في أسلوبه ، ولا ليتظاهر بالعلم والتجربة والتعمق فيهما جهد المستطاع ، ولكنه يتوارى وهو يبسط ضياء قلمه على صميم الموضوع الذي يكتب فيه ، ثم يمضي قدما وبخفة الساحر في تعرية الحقائق ، وتوضيح معالمها ، وتحديد أهدافها ، ثم يدعها بلونها وإشراقها الطبيعيين تستقر في القلوب ، وترسل أشعتها في حنايا النفوس ، دافئة حلوة ، أو قائظة محرقة . لن يدعك أحمد أمين تحسب أنه يبتكر أسلوباً جديداً في التصوير ، ولا أنه صاحب مدرسة مستحدثة في التعبير ، لا ، ولا أنه قابض على أزمة اللغة ، وممسك بناصية البيان كله ؛ ذلك لأنه كالحقيقة التي يكتب عنها ، تؤكد وجودها ، وتعبر عن نفسها في دقة وقوة ووضوح .

إذا كتب عن المعتزلة أو الشيعة أو أهل السنة ، حسبت أنه يعتنق هذه المذاهب ، ويدافع عنها ، مع أنه لم يصرح بشيء ، ولم يخرج عن جادة الصواب في الشرح والتعليق عليها ، ولكن قوة الشخصية ، وسحر الفن ، وسعة علمه بالموضوع تدفع القارئ دفعاً إلى هذا الظن . أما إذا كتب عن جمال الدين الأفغاني أو الشيخ محمد عبده أو عبد الله نديم أو عبد الرحمن الكواكبي ، فهو كل هؤلاء جميعاً لأن كل واحد من هؤلاء جميعاً هو الأستاذ أحمد أمين حساً ، وذوقاً ، ومعنى . أحمد أمين إذن ليس كاتباً كسائر الكتاب ، ويخطئ جداً من يقفه عند هذا الحد ، وإنما هو — وهذا رأيي فيه — زعيم كهؤلاء الذين يكتب عنهم ، وذو مذهب مطبوع بطابعه في الدعوة إلى تحرير المجتمع الشرقي ، والعقائد الشرقية ، من القيود والأثقال .

لقد أخذ عن الغرب ، ولكنه لم يفن فيه ولم يُفتن به ، ولا تأثرت به روحه على الإطلاق . بل ظل محتفظاً بصميم روحه الشرقية ، لتسرى في إنتاجه الأدبي كله ؛ روحاً شرقية جديدة صادقة على مر العصور والأجيال ، فتدب في الأرواح والعقائد دبيب الحياة في النبات .

صدق صادر من رجل صادق ، وحياة نابعة من قلب كبير نادر ، أحس كل شيء ، وعاش لكل إنسان . ولن تفتأ مقالاته ومؤلفاته قلاعاً حصينة في الأدب تصد عنها الغرور والفتنة والرياء ، وتصدها عمن يلوذ بها من قرائه ومريديه .

محمد على هدية

كتاب الأفعال لابن القوطية

تحقيق الأستاذ على فوده

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

لعل كتاب «الأفعال» هذا هو بعينه كتاب «تصاريف الأفعال» الذى يقول فيه المؤرخ ابن خلكان: (وهو الذى فتح هذا الباب، فجاء من بعده ابن القطاع وتبعه). وكنا نود أن يحقق لنا الأستاذ على فودة هذه المسألة لنعلم إن كان كتاب «الأفعال» و «تصريف الأفعال» شيئا واحدا أم هما كتابان مختلفان لمؤلف واحد.

ويظهر أن جهد الأستاذ المحقق الفاضل اتجه بجملته إلى النص نفسه، فبذل فيه من الجهد والرجوع إلى مصادر التحقيق والمقابلة ما ينطق به العمل ذاته، وما لا سبيل إلى نكرانه من كل ذى نصفة. فقد سعى المحقق نفسه بتقويم متن الكتاب تقويما صحيحا أعان عليه رجوع متصل إلى المعاجم اللغوية، وإلى كتاب «ابن القطاع» الذى روى كثيراً من نصوص «ابن القوطية».

ولعل هذا الجهد المبذول فى تقويم نص الكتاب قد شغل المحقق الفاضل عن الوقوف ساعة عند ترجمة المؤلف، وعند تبيين منهجه فى التأليف. وما كان ضر المحقق لو وقف قليلا عند هاتين المسألتين فى مقدمة للكتاب تعرض لنا المؤلف عرضاً علميا تحليليا تطمئن اليه النفس، وتعرض طريقته فى التأليف عرضاً يكشف لنا عن المنهج الذى انتهجه أو عن الباب الذى يقول «ابن خلكان» إنه فتحه..

ولقد وقف المحقق عند ترجمة المؤلف أبى بكر محمد بن القوطية وقفة كانت على عجل، وما أشبهها بحسو الطير على وجل. فقد اكتفى بنقل أسطر قليلة من كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان، وأسطر أخرى من «معجم الأدباء» لياقوت. وهى أسطر لا تحيط بالمؤلف من جميع نواحيه، ولا تعرضه عرضاً كاملا من كل أقطاره... فقد أغفلت مكانته فى «الحديث» مثلا، وهى مكانة لا تتكافأ مع مكانته فى اللغة. فقد ذكر مترجمه «ابن خلكان» (أنه لم يكن بالضابط لروايته فى الحديث والفقه، ولا كانت له أصول يرجع إليها. وكان ما يسمع عليه من ذلك إنما يحمل على المعنى لا على اللفظ).

وقد كان هذا التناقض فى الضبط بين رواية اللغة ورواية الحديث عند هذا العالم الأندلسى النبيل حريا بأن يقف الأستاذ على فوده عنده وهو يعرفنا بالكتاب وصاحبه. ولعله ستره الله — أحب أن يستر ضعف ابن القوطية فى ضبط الحديث فلم يتعرض لهذه الحقيقة بذكر ولا إشارة عابرة.

ثم ألم يكن اسم «ابن القوطية» جديرا فى غرابته بأن يحض المحقق الفاضل على كشف النقاب عن حقيقته؟ فمن هى هذه القوطية التى انتسب إليها أهل هذا البيت العربى؟ وهل كانت من بنات «غيطشة» أحد ملوك الأندلس من القوط فى أيام فتح المسلمين لها على يد طارق بن زياد؟ وهل تزوجها — بعد سفرها إلى الشــام — عيسى بن مزاحم فغلب اسمها على ذريتها حتى عرف كل واحد منهم بابن القوطية؟

قد يقول لنا صديقنا المحقق الراوية: إن تفصيل الترجمة ليس من سبيل تحقيق الكتاب، وتقويم نصه، وضبط روايته... فما باله يغفل الحديث عن طريقة ابن القوطية فى تأليف كتابه وعلى أى منهج وضعه؟ وما كنا نود أن نشق عليه بعرض بعض مناهج المؤلفين السابقين فى اللغة، فتلك طريق قد تتسع شعابها على حين يراد الإيجاز، ويقصد الاكتفاء بمتن الكتاب... ولكن منهج المؤلف نفسه أما كان جديراً بالتلبث أمامه والكشف عن خصائصه، حتى يعرف القارئ على أى درب يسير، وفى أى طريق يدور؟

ولم يقل لنا المحقق كيف رتب المؤلف الأفعال فى معجمه

هذا ؟ فإنه لم يرتبها على الطريقة الأبجدية العادية التى تجمعها هذه الكلمات : (أبجد . هوز . حطى . كلمن . سعفص . قرشت . ثخذ . ضظغ) . ولم يرتبها على الطريقة المغربية التى تتكون منها الكلمات الأربعة الأخيرة هكذا : (صعفض . قرست . ثخذ . ظغش) . ولم يرتبها الترتيب الهجائى المألوف لدينا الآن والمبنى على أن الأحرف المتشابهة فى الرسم يوضع بعضها بجوار بعض كالباء والتاء والثاء فى مجموعة ، والجيم والحاء والخاء فى مجموعة وهكذا . . ولم يرتبها وفق أصواتها ومخارجها من الحلق والشفة كما صنع « الخليل » فى كتاب « العين » حين رتب الحروف الهجائية على هذا النحو : (ع . ح . هـ . خ . غ . ق . ك . ج . ش) الخ .

لم يتبع ابن القوطية فى كتابه النفيس واحدا من الطرق السابقة ، ولكنه رتبه على هذا النحو : (ا — هـ — ع — غ — خ — ح — ج — ق — ك — س — ش — ص — ض — ل — ر — ن — ط — ظ — ذ — د — ب — ت — ث — ز — ف — م — و — ى) . وهو — كما ترى — ترتيب عجيب لم يقل لنا المؤلف شيئاً عنه فى مقدمته ، ولم يحاول الأستاذ المحقق أن يهدينا إلى الوجه فيه .

وعلى ذكر المقدمة التى افتتح بها ابن القوطية كتابه « الأفعال » نرى من الحق أن نقول إنها ليست من تلك المقدمات التى توضح المناهج فى التأليف وتبين عن طريقة المؤلف . . . ولكنها لا تعدو أن تكون قواعد صرفية عامة فى تصريف الأفعال وما يطرأ من العلل على معتلها ، وكيفية صياغة المصادر من صحيحها ومعتلها . . . فهى مجموعة من قواعد الصرف ، لا تبيان لخطة فى التأليف .

ومما لاحظته عند ابن القوطية ، ولم يشر إليه المحقق ، أنه مضطرب الضمائر حين يسندها إلى المتكلم أو المخاطب أو الغائب . . ولا يجرى فى الإسناد مجرى واحداً على ضمير واحد . فنى ص ٩٢ (لمطتُ به الأرض . . ولمستَ الشىء أجريت يديك عليه) . فهو ينتقل من ضمير المتكلم فى الفعل « لمط » إلى ضمير المخاطب فى الفعل « لمس » . ومثل هذا الانتقال كثير فى الكتاب .

بقيت أمور فى ضبط الكتاب بالشكل أو فى التصحيح وهى مما جرته المطبعة فى الغالب . وكنت أرجو أن يسلم منها معجم لا ننتظر منه غير التدقيق فى الضبط . وإنى أعرض هنا تصويباً لما لا أظن صديقنا الباحث المحقق المدقق يخالفنا فيه . . . وماذا تستطيع بضعة تصويبات أن تنقص من قدر ذلك الجهد الذى اضطلع به المحقق فى أمانة وصبر وحرص شديد ؟ وهل تبرقع الكلفة فى وجه البدر المنير إلا فضيلة الضياء فيه ؟ .

صفحة ١١٩ طاب الشىء طيْبا بفتح الطاء . وأظن الصواب طيبا بكسر الطاء كما فى القاموس المحيط .

صفحة ١٧٨ أبق العبد أباقا ، بفتح الهمزة . والصواب إِباقا بكسرها مثل كتاب . كما فى المعاجم والقاموس .

صفحة ١٨٠ أجِم الطعام كرهه . بكسر الجيم . والصواب بفتح الجيم مثل خَرَج .

صفحة ١٨٠ أدَر أدَراً : عرضت له الأدرة . والصواب فى الفعل أدِر بكسر الدال مثل فرح .

صفحة ٢٣ عام فى السماء . وصوابه الماء .

صفحة ١٤٨ مَعَالجة عمل . والصواب مُعالجة بضم الميم .

صفحة ٢١٥ جحظت العين : ندرت . وهو تصحيف . ولعل صوابه برزت أو نتأت . كما فى كتب اللغة .

صفحة ١٩٤ عكيت الشاة عكًّا . والمصدر هنا فيه تصحيف لأنه مضعف مع أن الفعل معتل اللام . والمصدر « عكًّا » لا يمكن أن يكون مصدراً لفعل معتل الآخر .

صفحة ١٠٦ نزّت الأرض ، وأنزَت كثر فيه النز . وهنا مأخذان : أنزت خطأ . والصواب أنزّت ، لأن أصل الفعل الثلاثى مضعف لا معتل اللام . فإن أنْزَى من النَّزْو ؛ وأنَزَّ من النّز . وشتان بين الاثنين . أما المأخذ الثانى فهو الضمير العائد على الأرض . فيجب أن يكون « فيها » بدلا من « فيه » . واستعمال المؤلف لضمير الأرض مذكراً لا مؤنثاً هو كاستعماله لضمير الدابة مذكراً فى كثير من المواطن . كقوله صفحة ٦٢ (قَسِودَ الدابةُ : طال عنقه

قصص

من قصص الحياة — قصة عراقية :

ذو الزوجتين ...

[يسرنا أن ننشر هذه القصة العراقية التى تنبض بالصدق والبساطة ونستبشر فيها بما للأدب العراقى من تحفز للوثوب] .

نشأ (ماجد) قصاباً كما نشأ والده وجده من قبل ، فقد كان والده حسون قصاباً معلوماً فى مدينته يشار إليه بالبنان ويعرف من أبناء الحارة والجيران كافة ، ولم يتعلم (ماجد) شيئاً عدا ما عرف من (الكتّاب) من قراءة القرآن وحفظ بعض سوره مما لم يبق منه فى الذاكرة سوى بعض آيات لا يحسن ربطها وأحكامها بإتقان . وقد كان (ماجد) بطبعه عصبى المزاج أريحى النفس ضاحك السن فى أغلب أحاديثه وتصرفاته ، يميل إلى الجد فى أعماله ومعاملاته . وقد تزوج من إحدى بنات حاره (خليل) النجار ، وتم الزواج بعد تعارف بين أمه وأم (صبيحة) ردحاً من الزمن بحكم التجاور والتزاور والتجاوب فى العواطف والتقاليد . وكانت أمه (حميدة) تحب لابنها الخير وتأمل أن تكتحل عيناها برؤية أبناء عزيزها (ماجد) ، وإن كان القدر سخر من مناها ، وكم سخرت الأقدار من أمانىّ وآمال . إذ توفيت الأم بعد زواج ولدها من صبيحة بسنتين وأفعمت قلب حبيبها وولدها البار — الذى لم يكن يستطيب الحياة إلا فى لقياها والنظر إلى محياها — بالهم والألم . تزوج ماجد وهو فى سنه الخامسة والثلاثين من صبيحة التى لم تكن تزيد على العشرين ، وقضى سنتين فى صفاء وهدوء لم يكدرهما غير فجيعته بوالدته العزيزة . وقد مرت السنوات رتيبة بعد وفاة والدته ، فأنجبت زوجته ثلاثة أولاد وابنة كانوا أزاهير حياته وحياة زوجته فى السراء ، والضراء . وجاءت الحرب الثانية العظمى ، فكان سوق القصابين رائجاً رواجا منقطع النظير ، وارتفع دخله من دراهم إلى دنانير ، وامتلأ جيبه وداره بمبالغ لم يكن يحلم بها فى يوم من الأيام ، فانتفخت أوداجه للربح الوفير ، ودفعه الغرور إلى كثير من البطر والخيلاء . ولكنه بالرغم من ذلك كله كان يرعى أشغاله كل الرعاية ، ولا يتهاون فى إنجاز أعماله فى أوقاتها فكان يخرج فى كل صباح من الساعة الثالثة ويذهب إلى سوق القصابين للعمل ، ولا يعود منه إلى بيته إلا فى نحو الساعة الحادية عشرة أو الثانية عشرة ظهراً كما هى عادته منذ سنوات . ولكن الثراء بعث فى نفسه حب الدنيا والتصرف بها كما يتصرف أبناؤها الأثرياء . ولم يكن يخطر بباله أن يسكر أو يقامر أو يفسق لأنه لم يألف هذه العادات ولم يقبل عليها زمناً من الأزمان . فقد شب بحكم العادة حيياً منطويا على نفسه محافظا لا يرغب فى الفحش السافر أو المستور ، ولا تقبل نفسه على الآثام . غير أنه سمع من أحد أصدقائه والمحيطين به أنهم ذوو زوجات راقيات

وظهره) . وكقوله فى صفحة ١٦٦ (وأ كمحتُ الدابة : جذبت عنانه ليرفع رأسه) . والأصح فى الموضعين أن يقال : طال عنقها ، وجذبت عنانها لترفع رأسها . . .

هذه التصويبات التى وقفت عندها وأنا أقرأ كتاباً فيه آلاف الأفعال ليست مما يعيب العمل الضخم الذى قام به المحقق ، فهى — بعد إجازته لها — مما يسهل استدراكه فى طبعة ثانية . ولن يطول بنا المدى فى انتظار هذه الطبعة . . . لأن معجماً يؤلفه ابن القوطية ، ويحققه الأستاذ على فودة ، ويشرف على إخراجه السيد على راتب لجدير بأن يلقى من القراء ، أطيب ما يستحقه من التقدير والإقبال والثناء ؟

محمد عبد الغنى حسن

مهذبات عالمات بشئون البيت يسعدن رجالهن غاية الإسعاد ويعوضنهم عن المال براحة البال . فطاف برأسه هذا الحلم الجميل وبقى مفكرا فى سره : لماذا لا يكون مثل سعد القصاب أو على (القهواتى) فكلاهما أقل منه مالا ولكنهما — أسعد حالا لأن كلا منهما متزوج من امرأة متعلمة مثقفة قارئة كاتبة تحسن الحديث والقبول وتعرف أفانين الكلام . وهو الثرىّ راض بزوجته القديمة (سميحة) ومكتف بها بالرغم من أنها لا تحسن قراءة ولا تعرف كتابة ، ولا تخرج عن سيرة أمه وجدته فى تصرفاتها فى الحياة . نعم إنها جميلة لطيفة الروح نجلاء العينين هيفاء القوام ، لكن جمال الجسم وحده لا يغنى عن جمال التعلم والتمدن وهبها لها أربعة بنين : أليس له من المال ما يكفى لإعاشة أربعة بنين وزوجتين ؟ بالأمس اشترى له دارا جميلة حديثة فيها حديقة نضرة وشذروان وأثثها بأفخر الرياش ، فلماذا يفعل ذلك إن كان يريد المعيشة على وتيرة أمه وأبيه ؟ إنه لو أراد ذلك لعاش كما عاشت أمه وأبوه فى حالة العوز والفقر والإرهاق . أما وإنه نال ما نال بسعيه وعرق جبينه فلماذا لا يحظى بأجمل وأرق الحسان ؟ . لماذا لا يتزوج ثانية ؟ أفى ذلك عيب وقد أمر به الشرع وارتضاه طائفة كثيرة من علية الناس ؟

بقى هذا الهاجس يدور فى ذهنه حتى التقى بصديقه القهواتى (على) فى قهوته ذات مساء وانزويا جانباً وأخذا يتكلمان خلسة فى القضية التى شغلت باله ليلاً ونهاراً ، ففتح له صديقه باب الأمل ودله على بنت مدارس وبنت عائلة شريفة وهى (لطيفة) بنت (أحمد) المؤذن الذى توفى قبل سنتين بعد عمر قضاه بالبر والتقوى ، فإنها بالرغم من تخرجها من المدرسة الابتدائيـة وانقطاعها عن مواصلة الدراسة بسبب وفاة أبيها تحسن التطريز والحياكة ، ولها ذوق فى إدارة البيت وتعرف القراءة والكتابة بالطبع . وليس لها سوى أمها (وحيـدة) وأخيها (إحسان) الذى يدرس فى السنة الرابعة من الإعدادية . وهى فوق ذلك على جمال لا بأس به وعمر لا يتجاوز الثامنة عشرة سنة .

ومرت أيام فاختمرت الفكرة فى رأس ماجد وصمم على تنفيذها ، وزوجته البارة (سميحة) فى غفلة عن كل ما يقال ويجرى حتى تم له ما شاء . وفى ساعة من ساعات الشجار الذى كان يخلقه (ماجد) لسبب أو لغير سبب مع زوجته (سميحة) طلب منها أن ترحل إلى بيت أبيها لأنها تشاكسه فى كل الأحوال . ولما كانت المرأة المكودة قد ملت من لجاجته وشكواه صممت على الرحيل إلى دار أبيها ردحاً من الزمن ، عساه أن يفيق من طيشه وغروره ، ويرتد عن نزقه وأذاه .

غير أن الزوج ما كاد يراها راحلة حتى أتم حفلة زواج العرس سراً ودخل بزوجته الجديدة (لطيفة) وامرأته غافلة عن هذا العرس المفاجئ « والمبيت منذ حين » . فلما سمعت به شق ذلك عليها ولكنها لاذت بالصمت كما هى عادة الكسير البائس الذى يتعزى بالصبر حين يعز العزاء . وبعد مضى شهرين على زواجه الحديث أفاق (ماجد) ليكتشف الضمير وأحس بأنه تسرع فى مثل هذا الزواج نعم إن لطيفة على شىء غير قليل من الجمال ، وإنها تحسن القراءة والكتابة والحياكة ، ولكن زوجه الأولى لا ينقصها إلا هذا الشىء اليسير الذى بالغ فى أهميته قبل الزواج ، ولما لمسه وجده أشبه بالسراب . والآن أيهجر أولاده ، أيترك زوجته القديمة إلى الأبد ؟ . كيف يقضى هذه الحياة الرتيبة وذكرى زوجته القديمة وأولاده الصغار فى خياله وأحلامه ؟ صمم على إعادة زوجته القديمة إلى داره وإسكانهما معا فى دار واحدة .

فهاجت الزوجة الجديدة حين علمت بالأمر وماجت ، ولكنها خضعت أخيراً لأنها وجدت نفسها السابقة فى الغزو والعدوان ! .

وكان يوم من الأيام عادت فيه (سميحة) إلى دارها ثانية ، فرأت العالم متغيرة والوجوه كالحة ، ولكنها قنعت بالهزيمة والانصياع فى سبيل أطفالها . . كما تقول . . وكان يمر بالدار كل يوم وكأنه من أبناء الدار (إحسان) لأنه اعتاد زيارة أخته فى كل مساء . وقد عاد اليوم فوجد امرأة غريبة هى ضرة أخته فخرجها بعينه فوجدها امرأة ربعة تملأ العين ؛ فعجب لماجد كيف تزوج أخرى وعنده مثل هذه الزوجة الفارعة الهيفاء . . ومرت أيام اتسعت فيها وجوه الخلاف بين الزوجتين اتساعاً يملأ القلب حقدا والقلب غيظا ،

وكل منهما مهادنة الأخرى ؛ ولكنها هدنة على دخل .. وكل منهما تود لو تشرب دم ضرتها شربا ، إلا إحسان فقد كان برداً وسلاما على القلبين . هذه أخته تواسيه وتلك أليفته وأليفها ؛ فقطعا شوطاً في الوئام لم يكونا يقدرانه . . وآد الوئام إلى غرام . . وطفح الكأس فاتصل القلب بالقلب . وزاد . فاتصل الجسد بالجسد ! وكتم الأمر ، ثم اكتشفته أخته (لطيفة) فلم تستطع أن تبدى حراكا ، واكتوى قلبها بفعل أخيها العاق ، ولم تدر كيف تبدل الحال ؟ وأكبرت فعل ضرتها وفعل أخيها معا ، ولكنها ماذا تفعل إزاء هذا الرزء الأليم . هذه ضرتها وهذا أخوها ومصابها مصابها في هذه الحال . وأخذت تقلب الرأى وتتدبره وتجترّ آلامها اجترارا دون أن تعرف طريقا للخلاص . وقد شاع الحديث أسوة بكل حديث سرى يحترز بأن لا يشاع . ثم لاكت الجيران أحاديث السوء . وكان (ماجد) في غفلة تامة عن كل ما يجرى وما جرى في الكتمان . وقد توسلت الأخت إلى أخيها بكل حيلة ليرتدع فلم يعبأ بها ، وهددها بالكارثة إن هي أصرت على النصح والإلحاح .

وفي يوم أليم حدث إضراب من قبل القصابين بسبب أوامر أصدرتها (البلدية) تطلب فيها تنزيل أسعار اللحوم وبيعها بسعر مقرر محدود لا يرهق المستهلكين ، فثارت ثائرة القصابين وأضربوا عن ذبح الشياه .

وهكذا عاد ماجد مع سكاكينه إلى بيته أسوة بالمضربين الذين أضربوا على عدم الذبح في ذلك اليوم . ولكنه ما كاد يدخل إلى بيته ضحى اليوم (ولم يسبق أن عاد إلى بيته في مثل هذا الوقت قط) . ما كاد يفتح الباب حتى وجد زوجته (لطيفة) على قرب عتبة الباب تشرب الشاى والأوانى مبثوثة أمامها يعبث بها أطفال ضرتها فاعتراها شيء من الانفعال أشبه بالصرع ، وأخذت تضحك من دون سبب ومالت عليه تقبله ، فلم يفهم سر هذا الغزل الجديد ! ودخل إلى غرفة منامه مرتبكا لماذا رأى ... ؟ ود لو أنه مات في بطن أمه جنينا ولم ير هذا المنظر العارم الذى يدك الجبال دكا . . .

— ماذا تفعلان ؟ .

قالها صارخا بيأس . فلم ير سوى إحسان قافزاً في وجهه جزعا قاصدا الفرار . إحسان ذلك الصهر الذى طالما أواه وساعده بالمال وشمله بالرعاية والعطف والحنان .

أراد الشاب أن ينجو من هذا المأزق المرعب، ولكن الزوج المفجوع بعرضه سد عليه المنافذ وضيق عليه الخناق ، غير أن قوة شباب إحسان ساعدته على الإفلات بعد أن أصيب ساعده إصابة بسيطة أفلت بعدها إفلات الطير الكسير الجناح ...

أما (صبيحة) . . فبقيت تعوى كما تعوى الذئاب تطلب الفرار وهيهات الفرار . وسرعان ما انقض عليها الزوج الجريح المؤاد انقضاض النسر ولم يدعها غير أوصال .

وبعد ساعة واحدة ترك الناس حديث إضراب القصابين إذ أصبحت على شفاههم قصة خيانة المرأة المتبذلة والصهر الخائن وسرت بينهم سريان النار في الهشيم .

وهكذا تسمع اليوم إن مررت بسجن بغداد رجلا يهذى حيناً ويبكى حيناً آخر دون أن تفقه معنى لهرائه وبكاه ، وترى في غرفة قريبة منه شابا شاحباً يوشك أن يكون كهلا وهو في ريعان الشباب .

(بغداد) محمد محمود

الدكتور
أحمد زكي أبو شادي
رائد الشعر الحديث

خَلْعُ الفَــاروقِ

٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢

الشَّعبُ أزْمَعَ ، فارعوَى الحَدَثَانِ ... وهَــوَى الجُناةُ مع العَتِيِّ الجانى
مَنْ ذَا يُصَدِّقُ أنَّ جِيــلاً واعيا ... يَنْسَى فيَجحد مَوْتَهُ بِهَوَانِ ؟ !
لم يَرْحَمِ الدُّخَلاءَ يومَ تحَكَّمُوا ... فيه ، سِــوَى نَفْعٍ لَهُمْ وأمانى
ضاعتْ كرامتُنا بهِمْ ، بل ضَيَّعُوا ... رَمْزًا وَعَيْنَــاهُ لِخَيْرِ زَمَانِ
جَعَلُوا مِنَ المَلِكِ المُرَجَّبِ دُمْيَــةً ... واسْتَعْبَدُوا الشَّعْبَ الشَّقِيَّ العانى
واستنصروا الشَّهَوَاتِ ، وهِيَ حَلِيفَةٌ ... للظالمِينَ ولَخْــدُمُمْ فى آن
وكأنَّما التاريخُ فى مِرآتِهِ ... لم يُعْطِهِمْ عِبرًا ؛ وفى المِيزانِ
حتى أُثِيرَ الجيشُ بعــدَ تمنُّعٍ ... وأُثِيرَ سُخْطُ الشَّعْبِ بعــدَ تفانِ
فإذا الحوادثُ مُثِّلَتْ كروايةٍ ... فيها المَهَازِلُ مَعْرِضُ الأشجانِ !

***

(فاروقُ) ! يا مَنْ كنتُ أهتفُ باسمِهِ ... وأخصُّهُ بمحبَّتِى وَحَنَــانى
يا مَنْ تألَّقَ فى الطُّفُولَةِ والصِّــبَا ... بِخِلالِهِ وجَمالِهِ الفتَّـــانِ
يا مَنْ حَسِبْناه مُجَدِّدَ شَــعْبِهِ ... متوثِّبًا بشعوره الإنســـانى
يا مَنْ تيَمَّنَّا بِبَسْــمَةِ ثَغْرِهِ ... وكأنَّها قَبَسٌ مِنِ الفُـــرقانِ
يا مَنْ نَســينا مُنْتَشِينَ بِحُبِّهِ ... ما مَضَّ مِنْ يَأْسٍ ومِنْ حِرْمانِ
يا مَنْ تنافَسْــنَا لِعِزَّةِ مُلْكِهِ ... وكأنَّ (مصر) وشخصَه سِيَّانِ
أفَقَدْتَنى ثِقَـــتى بِكُلِّ مُمَلَّكٍ ... مِنْ بَعْدِ ما عانَيْتُ مِنْ خِذْلانِ
مَنْ بَدَّلَ الوَجْهَ الوَسِيمَ عُبُوسةً ... والعَدْلَ ألوانًا مِنَ الطُّغيانِ ؟
والطُّهرَ شَرَّ المُوبِقَاتِ ، كأنَّما ... تِلكَ الدَّعارَةُ دِينُكَ الرُّوحانِى ؟

كم قد أتيتُك ناصحاً ومُحَذِّراً … فنبذتَ تحذيري وضاعَ بياني
ولقيتُ أحقرَ الاضطهادِ عُقوبةً … في هَمِّ مُغـتربي وفي أوطاني
مِنْ كلِّ أرعنَ شـامخٍ بأذاتِه … وكأنما هو فارسُ الفُرسـانِ
أو مَنْ تبخترَ في (السِّفارةِ) زاعماً … ما شاء ، يحسَبُ (رعمسيسَ الثاني)
يجني على الأحرارِ في غلوائه … ويخونُ (مصرَ) بطبعِه الخوَّانِ
ويقول (مِصرُ أنا) ، و(مصر) بريئةٌ … منه براءتَها من الشـيطانِ
كم قد بذلتُ الجُهدَ في دفعِ الأذى … بوفاءِ مطبوعٍ على الإحسـانِ
مُتفانياً في دعـوتي ، ومحامياً … عن أمَّتي ، ومُضَحِّياً بكِيانِي
وجعلتُ مِن شِعري ذخائرَ حِكمةٍ … للعابثينَ ، فضـاعَ في الآذانِ
أينَ الذينَ تملَّقـوكَ فزدتَهمْ … مِنَحاً ؟ لقد خصُّوكَ بالكفرانِ !
يا للدَّناءةِ ! وهي غـيرُ عجيبةٍ … مِنْ عُصْبةِ التزويرِ والبهتانِ !
إني أرى في الغَيبِ مِن أحـداثهِ … ما يَستثيرُ تلهُّفي وجَنـاني
وأرى الذي قد تمَّ حَـلاً عاثراً … فالحُكم للجمهورِ لا التيجـانِ
وأرى النزاهةَ أن يُعمَّمَ بأسُهـا … سَيفاً على الأفرادِ والسُّـلطانِ
لَهْفي ! وبينَ المارحينَ عِصابةٌ … عاشتْ على التهريجِ ، لا الإيمانِ
كفرَتْ بماضيها المَجيدِ ، وأصبحتْ … بفسادِها مِنْ لَعنـةِ الأزمانِ
هُبُّـوا بني وطني إذا ما شِئتُمو … تطهيرَ دولتِكمْ مِنَ الأدرانِ
لا ترهَبوا في الحقِّ لَومةَ لائمٍ … وتـكلَّموا بصواعِقِ النـيرانِ
واقضُوا على الباغينَ كيفَ تَشـكَّلوا … وإنْ احتمَـوْا بتبجُّحٍ رنَّانِ
وابنُوا المساواةَ العميمةَ مجـدَكمْ … حتَّى يعيشَ مُدعِّمَ البُنيـانِ
حَظُّ الشُّـعوبِ يقينُها وإخاؤها … لا زهوُ تيجـانٍ ولا سُلطانِ
وأجِلُّ شِعري عن رثاءِ مظاهرٍ … تفنَى ، وعِندِيَ كلُّ عرشٍ فانِ

احمد زكى أبو شادى

(نيويورك)

الثقافة

العدد ٧١٦ — ١٥ من سبتمبر ١٩٥٢
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر
الثمن ٣٠

صفحة

أدب واجتماع :

أدب غربى :

نقد :

بين المجلة وقرائها :

شعر :

قصص :

الثقافة
AL-THAQAFA

صاحب الامتيــــاز | الإدارة | رئيس التحرير المسئول
الدكتور أحمد أمين | | محمد عبد الواحد خلاف

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٢٥٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العــــدد ٧١٦ الاثنين ٢٥ من ذى الحجة سنة ١٣٧١ — ١٥ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة عشرة

إلى من يلزم ممن فى يدهم مقاليد الأمور :

هندسة الإصلاح

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

ليسمح لى القارىء الكريم أن أضيع جزءاً يسيراً من وقته فى ضرب مثل صغير ينطوى على معنى صغير ، ولكنه خطير . . . خطير جداً . فعندما نريد أن نعدل هندسة بناء بيت قديم نكون دائماً فى خطر من أن ينطوى ذلك التعديل على عيوب جديدة . قد نضيف على المنزل غرفة أو أن نفتح فيه أبواباً جديدة ، ولكنا نكون دائماً فى خطار من القيود التى تفرضها علينا هندسة البناء القديمة . وكثيراً ما يكون التعديل الذى ندخله على البناء القديم سبباً فى تشويه شكله القديم . ولهذا كان الأولى بمن يريد إصلاح منزله القديم أن يبدأ أولا برسم صورة جديدة يجعلها وافية بكل مقاصده من جهة المنافع ومن جهة الشكل ، فإذا وجد أن الهندسة القديمة تقف فى سبيل إصلاحه وجب عليه أن يهدم المنزل كله من الأساس ليقيم فى مكانه فيلاً جديدة أنيقة .

هــذا مثل واضح فيما أظن وتطبيقه سهل على الموضوع الذى أحب أن أتحدث فيه إلى القارىء الكريم . فقد صدر قانون تحديد الملكية منذ أيام وهو رسم بديع جديد نريد أن نعدل به منزلنا القديم . فالواجب إذن علينا أن نحقق به كل ما نريد من منزلنا الجديد ، وأن نحرص كل الحرص على أن يكون هذا المنزل المبارك وافياً بكل حاجاتنا من جهة المنافع والشكل . فإذا وجدنا أن الأساس القديم يعوقنا عن تطبيق الرسم الذى صممناه كان علينا ألا نتردد فى هدم ذلك الأساس الذى أقيم منذ سنين طويلة وأصبح اليوم غير صالح لحياتنا الجديدة .

وقد فطن واضعو قانون تحديد الملكية إلى الأضرار التى تنجم من تفتيت الملكية ، ولهذا نص القانون على أن تتكون هيئات تعاونيــة لتقوم بإدارة الإنتاج الزراعى بدلا من ترك الأمــور تجرى فى مجراها المعتاد بين الفلاحين فى إنتاجهم القديم .

هذا هو الرسم الجديد الذى نريد أن نعدل بيتنا القديم

على مقتضاه ، وهذا هو العمل الذى يتطلب منا كل دقة وكل مهارة حتى لا يقف الأساس القديم حائلا بيننا وبين جعل البيت الجديد وافياً بحاجاتنا من جهة المنافع والشكل .

والذى أحب أن أبينه فى هذه الكلمة هو أن إدارة الإنتاج الزراعى فى العهد الجديد لها علاقة وثيقة بمشكلة كبرى من مشاكلنا ، وهى مشكلة التعليم الفنى سواء كان جامعياً أو غير جامعى . فالتعليم الفنى ما يزال إلى اليوم يسير بغير هدف ويدور على نفسه كما تدور العجلة المفردة أو كما تدور ساقية جحا . فالطلاب يتعلمون فى الكليات الفنية الجامعية مثل كلية الزراعة والتجارة وفى المدارس الفنية المتوسطة من صناعية وزراعية وتجارية ، ثم يخرجون بعد إتمام الدراسة فلا يجدون الأعمال التى أعدوا أنفسهم لها . ولهذا نراهم جميعاً يتجهون إلى وزارة المعارف لأنها فى حاجة إلى المعلمين فى الوقت الحاضر . ومهنة التعليم ضرورية بغير شك ، وهى تقوم بخدمة جليلة للبلاد فى نهضتها الحالية لأن مصر لا يصح أبداً أن تبقى أمة جاهلة .

ولكن وزارة المعارف ملزمة بإعداد المعلمين اللازمين لها ، ومهنة التعليم مهنة لا تقل فى أهميتها عن مهنة الزراعة أو الطب ، وتحتاج إلى إعداد فنى خاص كما تحتاج المهن الأخرى . فهؤلاء الذين تخصصوا ليكونوا فنيين للزراعة عندما يشتغلون بالتدريس يقومون بغير شك بخدمة جليلة ويسدون فراغاً عظيما لأنهم يصلحون لوزارة المعارف نتائج إهمالها فى تخريج المعلمين ، ولكنهم فى الوقت عينه يعملون فى غير الميدان الذى اختاروه لأنفسهم ، وكانوا يحلمون فى أيام دراستهم بأنهم سيجدون فيه الفرصة الفسيحة لإظهار نبوغهم . وتكون النتيجة أننا نعد الفنيين الذين كان ينبغى لهم أن يقوموا بالأعمال الإنتاجية التى ينتظر منها زيادة الثروة الاقتصادية ثم نعرج بهم عن الطريق المستقيمة لكى نجعلهم يلقون دروساً فى المدارس — دروساً يحفظها التلاميذ بدورهم لكى يعيدوها على أوراق الامتحان . وبهذا حدث ضرران بليغان أولهما : تحول التعليم الفنى عن طريق الإنتاج إلى طريق التدريس فى المدارس ، وثانيهما : تحول التعليم فى المدارس إلى دروس تلقى لكى تحفظ بغير اهتمام بعمل المربى ، وهو العمل الأساسى المطلوب فى المدارس .

هذا هو حال هندسة البيت القديم الذى ينبغى لنا أن نصلحه إصلاحاً جوهرياً عند تصميم منزلنا الجديد . والسر الذى جعل التعليم الفنى يفشل مثل هذا الفشل الذريع هو أن ذلك التعليم يعمل فى فراغ . السر هو أن التعليم الفنى منقطع الصلة بالنشاط الإنتاجى فى الوقت الحاضر . هناك حائل يقوم بين التعليم الفنى وبين ميدان الإنتاج لأن الأبواب مغلقة فى الوقت الحاضر فى وجوه شبابنا الذى أعد ليكون فنياً فى مهنة الزراعة أو مهنة الصناعة أو التجارة . وإيضاح هذا الموضوع لا يحتاج إلى جهد كبير ، لأننا جميعاً نعرف أن الحقول الزراعية لا تتسع فى الوقت الحاضر لنشاط الفنيين الزراعيين . فالفلاح الصغير يزرع فدانه بالوسائل التى ورثها منذ ألوف السنين ، والفلاح الكبير الذى كان إلى الأمس القريب يملك الآلاف من الأفدنة لا يفهم معنى لاستخدام الفنيين المختصين فى مزارعه . بل إن الفنيين أنفسهم يربأون بأنفسهم أن يعملوا فى حقول أحد الأعيان ، لأن كرامتهم تأبى معاملة هؤلاء الإقطاعيين الجهلاء المتغطرسين . لهذا كانت أبواب الحقول مغلقة أمام خريجى كليات الزراعة والتجارة ، والطب البيطرى ، والعلوم ، ومدارس التجارة والزراعة والصناعة المتوسطة .

وفرصة إصدار قانون تحديد الملكية فرصة ذهبية لبدء حياة جديدة فى ميدان التعليم ، كما أنها فرصة ذهبية لبدء حياة جديدة فى ميدان الإنتاج . وليس فى الأمر صعوبة ولا عقبة لأن الموضوع لا يحتاج إلى أكثر من فتح أبواب الحقول أمام هؤلاء الفنيين . وهذا لا يكون إلا بأن توكل إدارة الحقول التى تنزع من كبار الملاك إلى منظمات تستطيع أن تديرها على أسلوب حديث مثل أسلوب إدارة الشركات . وفى هذه الحالة يمكن أن يجد خريجو الزراعة العليا فرصة العمل فى هذه

خواطـــــر

للدكتور أحمد أمين

— ٥١ —

« إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها » قانون عام شامل فى كل الأزمنة والأمكنة . وعلة ذلك على ما يظهر أن الملوك تغريهم السلطة والجاه ، فيسرفون فى العظمة ، ويرون أن من أسباب العظمة جمع المال ، فيبالغون فى جمعه ، ولا يبالون بوسائل الجمع ، خسيسة كانت أو شريفة . فإذا اجتمع لهم المال والشباب والفراغ كانوا كما قال أبو العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجدة   مفسدة للمرء أى مفسدة

ثم هم بحكم فسادهم لا يقربون إلا من ضعفت شخصيته ، وسلبت إرادته . ولذلك يحيطون أنفسهم بحاشية أكبر ميزاتها ضعف الشخصية والاستسلام لكل طلب . أما من قويت شخصيته ، وعزّت نفسه ، فلا محل له ، ولذلك يقول الله تعالى : «وجعلوا أعزة أهلها أذلة»، لأن شخصيتهم العزيزة تمنعهم من الارتماء فى أحضان الملوك ، والعكس صحيح ، أى أن الملوك يجعلون أذلة القوم أعزة .

ثم لهم وسائل عديدة ، تكاد تكون واحدة ، فى العصور المختلفة ، وفى الأمم المختلفة ، وهى أنهم يتخذون رجال الدين واسطة بينهم وبين الشعب . فهم أنفسهم يتحدرون ، يخدّرهم الملك ، ويطلب منهم أن يخدّروا الشعب . ووسيلة كسب الملك لهم إغداق المال عليهم ، وتوسيع سلطتهم . سواء فى ذلك المسلمون ، والمسيحيون ، والوثنيون .

ومن الوسائل الحديثة الرتب والنياشين . فالملوك اخترعت الرتب والنياشين لتذل أعناق الناس ، وتسلط بعضهم على بعض فكم من النفوس تبذل لنيل رتبة بك أو باشا . ثم إن البك أو الباشا يذل غيره ، كما أذل نفسه . ومن الوسائل أيضاً الخطب على المنابر كل يوم جمعة ، والإشادة بذكر الملوك ، وتلقيبهم بالملوك الصالحين ، وإن كانوا أفسد ما يكونون . والدوىّ على الآذان دائماً يترك أثراً . وهذا أيضاً من مهمة رجال الدين . ثم من وسائلهم أيضاً فى الأيام الأخيرة الإذاعة والصحف . فالإذاعة تنشر الأحاديث الكثيرة فى تمجيد الملوك ، ونسبة ما ليس لهم إليهم . وناهيك بالاحتفالات الكبيرة يوم ارتقائهم العرش أو يوم ميلادهم . وهكذا ؛ فالصحف تغدق عليهم النعوت والأوصاف العظيمة ، فكأن ملك العصر كسرى فى عدله ، أو عمر بن الخطاب فى أمانته . وتطلع كل حين على الناس بصوره التى تمثل عظمته وجلاله .

المنشئات ويمكن لخريجى الصناعة والتجارة والطب البيطرى أن يجدوا العمل فى الآلات والمؤسسات الصناعية التى تنشئها هذه المنظمات الإنتاجية . بل إن خريجى كليات العلوم يجدون عملا فى المعامل التجريبية ومعامل البحث العلمى التى ينبغى أن تلحق بهذه المنظمات .

وفى اليوم الذى يجد فيه خريجو كليات الجامعة والمدارس الفنية ميدان العمل مفتوحا فى مجال نشاطهم الفنى ، سيصبح التعليم (فى الملآن) لا (فى الفراغ) وسيصبح ساقية ترفع الماء أو (طلمبة) قوية توزع الحياة على الأرض لا مجرد ساقية جحا .

اليوم الذى يشهد اتصال التعليم الفنى بالحياة الإنتاجية هو اليوم الذى يبدأ التعليم يحس بكرامته ويحس بوظيفته فى الحياة ويستجيب لها . عند ذلك فقط يكون التعليم جديا عمليا حقيقيا لا مجرد حفظ دروس لفظية لا تفيد إلا فى سد فراغ فصول المدارس الابتدائية التى تلقى فيها دروس لفظية أخرى .

محمد فريد أبو حديد

كل هذه وغيرها اتخذها الملوك تدعيما لسلطانهم ، وتأييدا لعظمتهم ، ولكن كلما كثرت هذه المظاهر ، وكثرت المفاسد ، ضجّ الشعب أخيراً ، وغلبت قوته العديدة القوة الضخمة التي تحيط بالملك ، وهذه سنة التاريخ في الشرق والغرب .

إنما الملوك الباقية ، هي الملوك التي تركت الحكم للشعب ، واقتصرت على مظهر الملكية ، وخضعت لقوانين الشعوب كذلك إنجلترا . فهو ليس في الحقيقة ملكا بمعنى الكلمة ، ولكنه مظهر ملك .

ولم يسلم من هذه الإغراءات والمفاسد إلا القليل جدا ، أمثال عمر بن عبد العزيز ، وعمر بن الخطاب ، وقليل ماهم . ولذلك يكونون كالغرباء في ملكيتهم ؛ ولعدلهم وضعف سطوتهم ينسبون إلى الضعف ، ولا يقدّرون في السياسة تقديرا كبيرا . فقد قوّم عبد الملك الظالم ، أكثر مما قوّم عمر بن عبد العزيز العادل .

وقد كانت الملوك يسهل حكمها يوم كانت الرعية مغمضة العين ، فاقدة الوعي . فلما فتحت الشعوب عيونها ، وتنبه وعيها ، أصبح حكم الملوك عسيرا ، وتزلزلت من تحتهم عروشهم ، ومن بقي منهم فمصيره مصير من سبق ؛ لأن الملكية لا تتفق والزمن الحاضر .

— ٥٢ —

أسوأ الرجال في نظري من يسرق لغيره ، فإني أفهم أن الرجل يعمل جريمة السرقة في نظير أنه ينتفع بما يسرق ، أما أن يتحمل جريمة السرقة لينتفع غيره ، فشيء لا أفهمه . وأعدّ صاحبه مغفلا إلا إن كان يسرق لنفسه بجانب مايسرق لغيره .

ولذلك عددت من المغفلين مَن كانوا يسرقون للملوك السابقين ، ولا يتمتعون بشيء لأنفسهم ، إلا شيئاً من رتبة ، أو قليلا من جاه .

وكذلك الشأن في كل من يُجرم لغيره ، كأن يكون أداة لقتل ، أو وسيلة لعسف أو ظلم .

ومن هذا القبيل من يكدّ ويكدح ليغتني من حرام أو حلال ، ثم لا ينتفع بغناه ، ويترك ما اقتناه لأولاده ، فالغُنم لهم ، والغرم عليه .

وقد كان الانقلاب الحديث عبرة العبر ، فكم سرق قوم لغيرهم ، وكم جنى قوم لحساب غيرهم ، وكم تعب قوم في الغنى ، من وسائل غير شريفة ، ثم ضاع عليهم غناهم . وكانت هناك خيبة أمل لهؤلاء كلهم ، إذ ضاع ما أمّلوا بين يوم وليلة ، وكانوا كما قال المثل العامي « هُفّ طلع النهار » .

— ٥٣ —

يرشدنا التاريخ أن كل انقلاب بسبب ثورة ، لا يسير سيرا هادئا ، بل لا بد أن يلاقي صعابا في سبيله . ذلك لأن الناس ألفوا القديم ، فتحويلهم إلى الجديد صعب .

وقد أذكرني ذلك بالمرحوم الشيخ محمد عبده إذ رأى أن الناس يتوضؤون من ميضأة الأزهر ، فيغسل الرجل المريض عينيه ورجليه ، فيأتي الآخر الصحيح ، فيغسل من الماء الذي غسل فيه المريض ، فيصاب بالعدوى ، ولكن الناس ألفوا ذلك ، ولم يدركوا عيوبه . فلما أبطل الميضأة ، ووضعوا مكانها الحنفيات ثاروا عليه ، وعدّوه مارقا من الدين . وكذلك الشأن اليوم . ألف الناس الملكية التي لا حدّ لها ، فكان حدّها مما يثير غضبهم .

ومن أسباب ذلك أيضا الغيرة من القائمين بحركة الإصلاح . فإنهم يرون الشعب يمجدهم ويقدسهم ، ولا يذكر أسماءهم بجانب أسماء المصلحين ، مع أنهم قد يكونون مشتركين معه في حركة الإصلاح ، أو في التعرض للأخطار .

وقد جرت العادة أن الشخص يغار أكثر مايكون من مثيله ومعاصره ، فإذا اجتمعت الغيرة مع التجديد غير المألوف ، خشي على حركة التجديد من أعدائها .

ومن يقرأ التاريخ يرى هذا في كل صفحة من صفحاته ، ولذلك كثيراً ما يضطر رؤساء حركة الانقلاب إلى الهدم ، حتى يقبع المفسدون في كِسر بيوتهم . فإذا حدث انقلاب كبير وخطير من غير دم ، فتلك إحدى المعجزات .

أحمد أمين

الجامعة العربية

للأستاذ محمد علال الفاسي

[وصل إلى أيدينا مقال عن الجامعة العربية من الأستاذ علال الفاسي ننشره لما فيه من فائدة] .

ليست الجامعة العربية شيئاً خيالياً ، ولا أمراً عاطفياً محضاً ، ولكنها حقيقة واقعية نلمسها في الوجود العربي كلما التفتنا إلى ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا . فهذا الإحساس الذي نشعر به كعنوان للتآخي الموجود بين أجزاء المملكة الواحدة وهذا الارتباط الفكري والروحي الذي نجده كلما حاولنا أن نتمثل جانباً من جوانب الحياة في ديارنا ليس كلاهما إلا مظهراً من مظاهر وحدة الوجود العربي في هذه الدنيا .

وإنه لمن الصعب أن ندرس التاريخ الأدبي والثقافي مثلا لجهة من جهات المملكة العربية أو إقليم من أقاليمها دون أن نضطر لدراسة جميع التاريخ الأدبي لهذا اللسان في جميع الجهات التي تكلم به فيها . وعلى العكس من ذلك فأنت قادر على معرفة تاريخ الأدب الفرنسي في سويسرا أو بلجيكا أو في كندا أو تاريخ أدب اللغة الإنجليزية في أمريكا وإنجلترا دون أن تضطر إلى إلقاء النظرة الشاملة على الذين ينطقون بهذه اللغة أو تلك ، ودون أن تجد في آداب هذه الأمم المتكلمة بلسان واحد نفس الوحدة التي تلمسها في الأدب العربي . ولقد عيب على الأديب العربي عدم التنوع العميق فيما أنتجه من رجال ، وإذا كان لذلك من صحة فإنما هو لأن الوجود العربي واحد وغير متنوع .

وحينما تدرس الذهنية المحلية لكل الشعوب العربية لا تجد بينها فرقاً إلا ما يمكن أن يقع بين جهات البلد الواحد من خلاف بسيط لا يؤبه له . ولا يمكن أن يكون طبيعة قائمة بنفسها . وهذه الذهنية تشتمل على الكرم والوفاء وحب الجار والتمسك بالأرض والشهامة العسكرية والحرص والغيرة والسذاجة في العيش والبساطة في المظهر وحب الفصاحة في النطق والحكمة في القول والتكتل عند الشدة والخصومة في الرخاء والكبرياء وحب المحمدة وروح المغامرة وسرعة الفهم وعدم العمل وفق برنامج منظم إلى غير ذلك من مظاهر طبيعتنا وذهننا التي نجدها في أعماق الجنوب المغربي كما نجدها في نجد أو اليمن .

والأغرب من هذا أنك تجد العربي المقيم في تشاد العربية وحتى قبائل مدغشقر يعيش بنفس العوائد ويحافظ على نفس التقاليد التي يسير عليها الرجل العربي في جاوه أو سومترا . ولقد بدلت الحضارة الغربية من تقاليد بعض البلدان العربية ، ولكنها لم تستطع أن تغير العقدة المتبثة في أسلوب العادة العربية كالبساطة في التأثيث والحرص على الألطاف والمن واختيار وسائل الراحة الواسعة . كل ذلك وغيره يظهر جليا في حياة العرب الذين اقتبسوا آخر كل أمر عصري للحياة كما يظهر في العربي الذي مازال يحيا في عهد البداوة الأولى .

ولقد استطاعت السياسة ومصالح الرؤساء أن تفرق بين الأمة العربية في تاريخها كما استطاع الاستعمار أن يجعل منا حكومات تخضع لنفوذه وتعمل بمقتضى مطامعه . ولكن لا هذا ولا ذاك استطاع أن ينزع من نفس العربي في الشرق والمغرب روح الشعور بالكيان العربي ، ولا حال بين التآخي المتين بين أفراد الناطقين بالضاد هنا وهناك . فالمغربي اليوم لا يصل إلى مصر أو الشام حتى يجد له أهلا وإخواناً يحيا معهم كما كان يحيا في بلاده بين أعز أصدقائه ، وأصفى أقربائه . ولقد تجول ابن بطوطة في هذا العالم العربي دون أن يحتاج لجواز . وكان موطن الاحترام في كل مكان . ولقد ولد ابن خلدون في تونس وتقلب في وظائف مصر والشام وتونس ومراكش دون أن يحتاج للتجنس بإحدى الجنسيات غير العروبة . مع العلم بأن الحكومات لم تكن إذ ذاك إلا مختلفة في هذه الأراضي التي تقلب في مختلف وظائفها . واليوم برغم الشكليات التي أخذناها عن الغرب ، فإن مصر

مليئة بالشاميين في الصحافة والإدارة وغيرها . ولا يشعر أي مصري نحو هؤلاء الذين استقروا بمصر وزاحموا أبناءها وهم عديدون بما يشعر نحو بعض قلائل الموظفين الإنجليز الذين ما يزالون في بعض أجنحة الإدارة المصرية .

وقد استطاعت حركة رد الفعل الداخلية أن تكون روحاً وطنيـة تنحصر في الذب عن الإقليم الذي يعيش فيه أو نشأ فيه واحد من شعوب العرب . ولـكن سرعان ما أخذت النفس العربية تفتكر وتعي ، حتى أدركت أن ذلك الشعور الإقليمي ليس أكثر من الشـعور الذي تجده الـكتيبة من الجند حول الثغرة من ثغر الجهاد التي طوقت بحراستها وكلفت بالدفاع عنها . وبذلك أخذ أبناء هذه الشعوب يبحثون كما تبحث الـكتائب المتعددة عن وحدة القيادة والتوجيه ، فلم يطلبوها من عقيدة دخيلة مبتكرة تعتمد على المصالح الفردية كما فعلته الشعوب التي فشلت تاريخياً في تكوين وحدتها ، ولـكن طلبوها من أنفسهم وبالرجوع إلى وعيهم ومحاولة التخلص من تأويلات خاطئـة لرد فعل دفاعي ما كان له أن يغير مجرى الحياة في الواقع العربي أبدا .

ولقد كان الاتجاه الاقتصادي في تاريخنا متحدا في روحه ومظهره وإن لم يكن له برنامج سابق ولا خطط مدبرة من قبل . فالاستيلاء على مصادر الإنتاج الأولى التي هي الأرض والقبض بيد من حديد على مواقع التجارة العربية والتمكن من الموانىء التي تحمي القوافل العربية في البر والبحر هي السياسـة الاقتصادية التي اتبعتها حكوماتنا في مختلف أجزاء العالم الذي دخل في حكم الخلافة العربية أو الإسلامية . فالصياد المسلم المنحدر من أصل عربي يحمي شواطىء الصقليين كما يحمي التاجر الهندي أو الصيني المسلم اقتصاديات العرب في الشواطىء الأسيوية والعربي في الشرق الأوسط وفي شواطىء الأحمر والمتوسط والمحيط الأطلسي نفس تلك الاقتصاديات مقاوماً كل مزاحمة أجنبية من شأنها أن تمس بالشرق العربي أو تبتز فوائدها . وهذا ما كون اقتصادا عربياً وإسلامياً يستغنى في مجموعه عن المواد الخارجية ويجعل للعرب والمسلمين ما تنتجه أراضيهم الشاسعة وميادين مجهوداتهم الواسعة .

ولقد تحكم الاقتصاد في السياسة أو السياسة في الاقتصاد أحيانا ، ولـكن ذلك التحكم لم يستطع عمليا أن يمس في تاريخنا بوحدة الـكيان الاقتصادي . ولا قدر على خرق هذا السد الذي استطاع أسلافنا أن يقسموا به العالم نصفين ليحموا به حرية معاشهم وأمنهم واتحادهم .

ولقد تـكونت دول عربيـة كثيرة وحكومات يتحد رؤساؤها ويختلفون ولـكن لم تـكن سياسة هذه الدول ترمي لأكثر من المحافظة على سلطة محلية منشؤها كبر الرؤساء وأنانية بعض الـكبراء ولم تكن في يوم من الأيام عاملة على تقويض الوجود المتحد من جهة المعنوية بل إن استمرار الشعور بروح الوحدة مع وجود تلك التقسيمات المصطنعة أعظم دليل على عمق قوميتنا المتحدة وأصالتها .

وها نحن أولاء اليوم من أعماق حاضر مظلم نتبين نورا جديدا تتجمع إشعاعاته المتعددة حول نفسها لتتسق في وجود واحد هو وجود الجامعة العربية الذي لم يكن إلا استمراراً لحقيقة واقعة . ويمكن أن تنـكر الشمس ولا ينـكر لهـا وجود . ولقد كانت الجامعة العربية في شكلها الحاضر إجابة لرغبة ملحة طالما دعا لهـا العرب في سائر بلادهم ، ولقد تـكون منها برغم أنها لا تـكون ما يسمونه باتحاد (فيدور السم) حكومة تنطق بكل ما يريده شعوب العرب وتعمل بجميع ما ترقى اليه آمال الناطقين بالضاد .

وإنها لمشغولة اليوم عن مهمتها الحقيقية بمساعدة الشعوب العربية على التحرر من رق الاستعباد الأجنبي ، ولـكن هذا الاستعباد لن يدوم ، وإن يوم غروبه عن البلاد العربية لقريب غير بعيد . وحينئذ ستتمكن الجامعة من القيام بما يرجى منها من عمل وتوجيه لنهضة الأمة العربية وانبعاث حيويتها .

فماذا يا ترى سيكون عليه حال العالم العربي المتحد المستقل ؟

نحن لا نشـك في أن الحـكومات العربية ستظل قائمة بنفسها ، ولـكن تضامن هذه الحـكومات السياسي سيكون أشد ما كان عليه في وقت من الأوقات ، وستتحقق لا محالة فـكرة الجنسية المشتركة لأنها واقع عربي لا يمكن جحده ، وستتحد النيابات الخارجية للدول العربية على جبهة التضامن المتبادل فتتحمل كل منها مسـئولية التوجيه في السياسـة الخارجية بجانب من جوانب العالم مع الخضوع للتوجيـه العـام الذي تقوم به حـكومة الحـكومات العربية التي

قوانين الشعر السبعة

للأستاذ عز الدين إسماعيل

ما يزال النقاد — منذ عرف النقد — يتعرضون لوضع التعاريف المختلفة للفن عامة وللشعر خاصة. وطبيعي أن هذه التعاريف كانت تختلف أو تتفاوت في مدى صحة فهمها للفن الشعري باختلاف النقاد وتفاوت أمزجتهم وثقافاتهم وعقلياتهم. ولم ينته النقاد في زمن من الأزمان عند تعريف جامع مانع — كما يقولون — وإن خيل إلى كل منهم أنه وصل إلى هذا التعريف.

والنقد العربي القديم كثيراً ما تعرض لهذه المشكلة؛ فقد عني كل من كانت له صلة بالأدب والنقد الأدبي بأن يعرف الشعر، سواء أكان هذا التعريف من وجهة نظره الخاصة أم كان خلاصة من رواسب التعاريف السابقة. ولعل المبادئ أو القوانين التي جمعها «عمود الشعر» أن تكون الصورة المبلورة لمفهومات ظلت مهوشة في الأذهان مدة طويلة. وعمود الشعر هذا لا يعني شيئاً آخر سوى قوانين الشعر. فليس ثمة درة من اعتساف المشابهة. وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب له رسالة «قواعد الشعر» نشرها C. Schiparelli.

على أنه ليس في نيتنا هنا أن نسترسل في الحديث عن تلك القوانين التي تضمنها «عمود الشعر»، ولكننا سننتقل بسرعة من القرن الثامن تقريباً إلى القرن العشرين لنقضي فترة مع الناقد المعاصر ستاوفر Stauffer في كتابه «طبيعة الشعر»(1) حيث يقدم لنا سبعة قوانين يراها كافية — إذا هي تحققت — لتقدم إلينا مالا نتراجع عن اعتباره فن الشعر. ونحن بعرض هذه القوانين إنما نمهد للدراسة النقدية المقارنة بين القوانين الشعرية السبعة عند نقاد العرب وبينها عند نقاد الغرب.

ينبه ستاوفر إلى أن كتابه إنما سيعالج مشكلة واحدة هي طبيعة الشعر. والفكرة الأساسية التي سيعمل على تعميقها هي أن القصيدة من الشعر تشبه الشخص أو الشخصية تماماً، وهو يعني الشخص مجرداً لا شخص الشاعر صاحب القصيدة. فكما أن للشخص صفات متعددة يتكون هو من مجموعها فكذلك القصيدة، وهي بعد تجربة فردية خيالية سجلها شاعر فرد بكل أمانة ممكنة.

وطبيعة الشعر مرنة، ولهذا فإن قوانين الشعر — كقوانين الطبيعة — يمكن أن تستنبط بوصفها مبادئ

(1) The Mature of Poetry, (1st Edition, New York)

ستكون هي الجامعة العربية.

وسيتم ما تصبو إليه من توحيد برامج التعليم وروح السياسة الثقافية في جميع العالم العربي. وستؤلف كتب الدراسة والمطالعة بروح القومية العربية، وسيتعلم شباب العرب في جميع سلمهم الدراسي كل ما يلزم عن بلاد العرب وسكانها وأحوالها.

وسيعمل العرب على إحياء وجودهم الاقتصادي في البر الذي بناه أسلافهم. وستقوم بينهم لا محالة فكرة قائمة على هذا المعنى: الاحتفاظ بالتراث العربي للعرب، أو يجب أن يكون للعرب ما أنتجته بلادهم. وليس معنى ذلك أنهم سيفسدون على نفوسهم أو يحولوا دون ربط العلائق التجارية مع غيرهم. ولكنهم سيكونون من تعاون حكوماتهم وشعوبهم ما يكفي لاستغلال خيرات بلادهم وإحياء الموات من مواردها ولن يبقوا عالة على غيرهم في كل ما يحتاجونه، ولا موضوع استغلال الذين يسخرونهم لشهواتهم ويستعبدونهم لمصالحهم.

وسيكون المواطن العربي العصري المتربي على روح الشهامة العربية والمتشبع بالوعي العربي والذي تتساوى في ذهنه دنياوات العرب وتتحد في تفكيره حاجيات إخوانه بحاجياته وحاجيات عائلته وبلده القريب. وستسير القافلة العربية لتنشر في عالم الغد روح الأمن والسلام والمحبة والتضامن الإنساني والبحث الروحي تجديداً للرسالة العربية التي كانت أول من دعا للإخاء وقضى على الفوارق العنصرية بين الشعوب.

محمد علال الفاسي

موجهة يتحرك الأفراد فى حدودها بسهولة ، تبعاً لطبائعهم الخاصة ، فلا هى تترك لهم الحرية ولا هى تعوقهم . فطبيعة الشعر ليست آلية ، وقوانينه ليست أوامر ، ولكنها ملاحظات ؛ فهى لا تفرض على الشعر ولكنها تستنبط منه .

والكتاب بعد ينقسم إلى سبعة فصول يتناول الكاتب فى كل فصل خصيصة أو مبدأ أو قانوناً من قوانين الشعر ، والخصائص الخمس الأولى هى خصائص الشعر Poetry ، والفصلان الأخيران — وإلى حد ما الفصل الأول — لدراسة خصائص القطعة الشعرية Poem ، وهذا عرض سريع لها :

أولا : اللغة فى الشعر هى أول ظاهرة تحتاج إلى النظر ، وواضح أن لغة الشعر تختلف عن لغة العلم والفلسفة . فالعلم والفلسفة فى حاجة إلى لغة تصل إلى الهدف مباشرة أو توصل إليه ، ولا بأس فى الاستغناء عن اللغة المألوفة إذا وجدت اللغة التى تؤدى إلى هذا الهدف من أقرب طريق . كما هو الشأن فى لغة الجبر (ا + ب = حـ مثلا) .

أما اللغة فى الشعر فلها شأن آخر . إن لها شخصية كاملة تتأثر وتؤثر ، وهى تنقل الأثر من المبدع إلى الشخص الآخر نقلا أميناً . وليست المسألة فقط مجرد النقل بأمانة ، ولكنه النقل الأمين عن المبدع عندما يفكر أولا وقبل كل شىء باعتباره فرداً . لذلك كانت لغة الشعر ممتلئة بالمحتوى الذى تنقله نقلا أمينا ، وهى بعد لغة فردية فى مقابل اللغة العامة التى يتحلى بها العلم . وهذه الفردية هى السبب فى أن ألفاظ الشعر أكثر حيوية من التحديدات التى يضعها القاموس . والألفاظ الشعرية تعين على بعث الجو بأصواتها . فالعلاقة بين الأصوات فى الشعر — كالموسيقى تماماً — يمكن أن تثير متعة تذوق الانسجام الحى ، سواء بالأجزاء المكررة أو المنوعة أو المتناسبة . والكلمة الشعرية لذلك يجب أن تكون أحسن كلمة تتوفر فيها عناصر ثلاثة : المحتوى العقلى ، والإيحاء عن طريق المخيلة ، والصوت الخالص . ويجب أن يكون اتصالها بالكلمات الأخرى اتصالا إيقاعياً بحيث يؤدى هذا التلوين الإيقاعى إلى الغاية المطلوبة . وانضباط لغة الشعر (وهو هنا القانون الأول) لا يعنى عدم القابلية للتغير كما هو الشأن فى العبارة (٢ + ٢ = ٤) مثلا ، ولكن يعنى الحد الأقصى من قوة التعبير . ولذا فإن الشعر غير قابل للترجمة ، لأنه إذا كان شعراً فى لغته وبلغته ، ولغته قيمة غير منفصلة عنه ، وفردية اللغة لا تسمح بنقلها إلى لغة أخرى نقلا مساوياً كما هو الشأن فى اللغة العلمية ذات الصبغة العامة . وكل شاعر يصنع لغته الخاصة المعبرة . ووضع القواعد العامة التى يفترض أنها من الممكن تطبيقها على كل الشعر يمكن أن تمحو ما يتصف به الشعر من أمانة وانضباط .

ثانياً : والخاصية الثانية للشعر هى العمق . فالتجربة التى تتمتع بدرجة كبيرة من العمق هى التربة التى يبزغ منها الشعر . والواقع أن طبيعة الشعر مشكلة تتناول أصل الشعر كما تتناول صفاته . والشاعر فى حاجة إلى عمق التجربة أكثر من حاجته إلى التفصيل . وكلما قلت تفاصيل الصورة والحالة الشعرية زاد تأثيرها المباشر . فكثرة التفاصيل لا تترك مجالا للإيحاء الذى تتمتع به لغة الشعر ، والذى يعتمد على الصور الفنية كالاستعارة وغيرها . ولذا فإن التعبير المباشر فى الشعر ليس تعبيراً شعرياً . وحياة الألفاظ الطويلة ، وما تبلور فيها من مأثور أدبى وتاريخى وأسطورى ، يكسبها تلك القدرة الرمزية الإيحائية . والغموض والتعقد مما يزيدان عظمة اللفظ أو الرمز ، والتناقض بين الصور والرموز لا يعنى فسادها ، بل على العكس ربما أكسبها قوة ، وذلك لأن الحالة الشعرية ليست منعزلة أو منفردة بلون واحد من الإحساس .

فالعمق إذن عامل مهم فى الشعر ، ولا تكفى الأمانة والانضباط ، فإنه من السهل على الإنسان أن يصب على الورقة ألفاظاً ضعيفة ، مختلطة فى غير ما نظام ، مبتذلة لتعكس فى صورة أمينة صحيحة وخامة عقله وتفككه وآليته ، ولكن الغباء مهما نقل بمنتهى الدقة فإنه لن يكون شعراً . وهذا معناه أن الشعر يقتضى سمو العاطفة وعمقها . ومع أن الشعراء يختلفون فى طرق أداء ذلك بين الإيجاز والإسهاب ، أو بين حذف التفاصيل والتكرار ، أو بين الإشارة المفاجئة والتأثير السحرى المبين ، أو بين التناقض والتوازى — فإن

النتيجة واحدة ، وهى أن التعبير الأمين من أفلامهم يصبح شعراً لأنه أخذ مأخذ القوة والعمق .

(ثالثاً) : والصمة الثالثة للشعر هى صفة الأهمية . والمقصود بها أهمية العاطفة المعبر عنها . وفى بعض الأحيان يكون فى التعبير عاطفة ، ولكن أعظم منه الشعر الذى يكون للفكر فيه قيمة أكبر بالنسبة للحياة الإنسانية . وهذا يؤدى بنا إلى القول المأثور بأن الشعر له غاية تعليمية ، لأن الجانب الفنى لا ينفصل عن الأخلاق فى التجربة الشعرية . فالشعر لا يقاس بصفاته الفنية أو بعمق تجربته فحسب ، بل أيضاً بقيمة هذه التجربة بالنسبة للعالم . والشاعر لا يكتب لمجرد المتعة وتحريك أصابعه ، ولكنه يكتب ليتصل بالآخرين . والمدارس الكلاسيكية كانت تلح على هذه الأهمية فى الشعر ، بينما اهتمت المدارس الرومنتيكية بعمق التجربة .

وقد شاع فى العصر الإليزابيثى مفهوم خاص للشعر يعارض فكرة الأهمية هذه ، ويبنى أن يكون للشعر أهمية لأنه عملية تقليدية فيها كثير من الكذب ، وإن سيق هذا الكذب بمهارة . ومع ذلك فقد ظل الاتجاه إلى الأهمية ثابتاً منذ اليونان حتى ماتيو أرنولد . وما زال القرن التاسع عشر يؤكد الأهمية الأخلاقية فى الشعر .

وطبيعى أن يكون لدعوى الأهمية هذه ردّ فعل كما هى طبائع الأشياء ، فوقف العصر الحديث موقفاً عدائياً من فكرة الأهمية . وهذا الموقف قد مهد له منذ القرن الثامن عشر كانت وشكلمان ولستنج ، أو المدرسة الجمالية على وجه العموم . وكانت دعواها تقوم على أساس أن الجمال مستقل عن الغايات الخلقية والتعليمية . وقد تبلورت هذه الدعوى فى العصر الحديث عند المفكر الإيطالى بندتو كروتشه ، زعيم القائلين بفصل القيم الجمالية فى الفن عما عداها .

ومع ذلك فكل الشعر تعليمى ، بمعنى أنه يحتوى على معرفة . والشعر يزيد من معرفتنا . فليس بشعر مالا يؤثر فينا . ونحن لا نتأثر دون أن تصبح لدينا معرفة بتجربة جديدة أو أكثر حيوية بالنسبة لمعرفتنا الأولية السابقة . ووجهة نظرنا فى أن الشعر أمين وعميق تجعل الشاعر معلماً ، فهو معلم من هذه الوجهة . أما كونه يسوق إلينا فى شعره العبارات الأخلاقية المباشرة فليس هو المقصود لأن القارئ لا يقتنع بها غالباً ، لأنها — كما يقول وردسورث — لم تنقل حية بواسطة العاطفة إلى القلب . وليس عمل الشاعر إقناع القارئ (تعليمه) بالعقل وحده ، ولكنه يؤثر فى كل ما هو حى فى الإنسان . وطبيعة الشعر ليست ستاتيكية ، بمعنى أنه ليس له معنى عقلى واحد عند كل الناس فى كل العصور ، ولكن أهمية الشعر حية متنقلة . وتتشكل عند كل قارئ بحسب فهمه الخاص . فالشاعر لا يعدو أن يكون مجرد قائل لشىء ، ولكن نجاحه يعتمد على ثقته هو والقارئ من أن الشىء المقول يستحق أن يقال . فالشاعر هو المرآة التى تبدو فيها الظلال الهائلة التى يعكسها المستقبل على الحاضر ؛ فهو يرى الحياة جديدة لا نسخة من صورة قديمة . فإذا انتقل شعره بنجاح إلى الآخرين فقد تحتم أن يكون له أهمية .

(رابعاً) : الصمة الأولى تطلبت من الشاعر أن يعبر عن شخصيته بأمانة ؛ فهى إذن تنصب على طريقة استخدام اللغة . وصفة العمق تركزت فى العواطف ، وتركزت الأهمية فى ذكائنا . أما الصفة الرابعة فهى أن الشعر محسوس concrete ومعنى هذا أن الشعر ليس فقط يتصل بالجانب العاطفى أو العقلى فى طبيعتنا ، ولكنه يتصل أيضاً بالجانب الحسى . فأفكار الشاعر وعواطفه يجب أن توضع فى إطار من العالم الخارجى ، يجب أن يعبر عنها بألفاظ حسية ملموسة .

لماذا يأخذ المعنى فى الشعر أساليب أخرى من التعبير غير تلك التى يأخذها فى الكتابات الفلسفية أو الخطابية أو العلمية أو النقدية أو التاريخية ؟ أما الفلسفة والعلم فلهما أغراض تختلف ، وهما يتناولان الحقائق العامة ، والخطابة لها غاية عملية هى إقناع القارئ أو السامع بموضوع محدد ، والنقد يحلل ويقسم ويربط ويحاول جاهداً الوصول إلى مقررات عقلية لها صدق عام ، والتاريخ ينظر دائماً فى اتجاه واحد ، ويشعر المؤرخ بصدق منهجه وصحته عند ما يحاول إبعاد نفسه ، أما طريقة الشاعر فلا تحد بشىء من هذا . مادة الشاعر هى الأشياء المحسوسة التى يستخدمها لتأليف صوره الحسية كما يستخدم البناء الحجارة . والصور الحسية — كما هو معروف عند النقاد والبلاغيين — تجعل حصول الأفكار فى ذهن السامع أكثر سهولة ومتعة . والصور الشعرية لا تقارن بالأشياء المرئية المساوية لها كما تصنع المرآة ،

أو بالأشياء السمعية كما يصنع التليفون . والشعر لا يقدم صورة طبق الأصل كما هو الحال في التصوير مثلا ، وإنما أداة الشعر الصوت ، ومع ذلك فإن أصوات الألفاظ في الشعر لاتكون دائما طبقاً للأصل الطبيعي ، ولكن أقرب ما تكون إليه . هذه الصور الصوتية ثابتة ، وهذا الثبات يميل إلى الاختفاء في غير الصور الصوتية . فأداة الشعر (الألفاظ أو الأصوات) هي السبب في كون الصور الموحى بها عند القراء تختلف من قارئ إلى آخر ، لأنها لا تنقل الأشياء نقلا حرفياً طبق الأصل ، وإنما هي إيحاءات تتأثر بها مخيلتنا . وبتحليل الشعر يتبين أن جزءاً من حيويته مرده إلى تلك الصور الحسية الموحية .

(خامساً) : عهد الصفات السابقة للقول بأن الشعر معقد كالإنسان وكأن التعقيد هذا هو في الواقع نتيجة أكثر من كونه سبباً للإبداع الشعري . على أن كثيراً من الشعراء المحدثين قد هدءوا بوعي منهم إلى كتابة شعر معقد ، ويمكن أن يسموا بالميتافيزيقيين المحدثين ، وعدد كاف منهم منذ دون إلى هيكنز معقدون بطبيعتهم ، ويعكسون هذه الطبيعة في أعمالهم . والواقع أن كل الشعر معقد وإن اختلف في درجة التعقيد ، وليس التعقيد مرادفا للعمق .

وننظر ، فإذا بنا نجد أن قليلا ممن أحسوا القطعة الشعرية إحساساً قوياً يقنعون بقبول تفسير واحد لها . والواقع أننا إذا فكرنا في الشعر باعتباره بنية حية ، فإننا لانستطيع قبول رأي أو حقيقة بوصفها المعنى الكامل للشعر نفسه . وامتناعنا عن تلخيص صديق لنا في عبارة واحدة ليس معناه بالضرورة أننا عرفنا عنه القليل أو فكرنا فيه قليلا . وإذا تذكرنا أن الشعر يوحي أكثر من أن يقرر ، وأنه يولد الفكر الحي المتحرك ، فإننا نرى بأي معنى يمكن أن يحتوي الشعر على قيمة عقلية وخلقية ، وأن يكون في الوقت ذاته شيئا آخر من أي معنى من المعاني التي ينسبها إليه قارئ حساس . إن الكلمات في النثر العلمي أو المنطقي لها القدرة على التقييد في الوقت الذي تتمتع فيه الكلمات الشعرية بالقدرة على إطلاق الحرية ، وفي تفسير القطعة الشعرية يجب ألا تستخدم تحديدات النثر مطلقا بصورة جافة على أساس دعوى خاطئة هي أن الناقد يعين الشاعر على أن يقول شيئا لم يكن واضحاً في ذهنه ؛ فالتبسيط عادة يجر إلى الرداءة .

وكون الشعر مؤلفا من عناصر كثيرة مختلفة لا يستدعي أننا عند ما نحلله نحاول الفصل بين هذه العناصر كما لو كانت عملية التحليل في الكيميا الصناعية مثلا .

وقليل من النقاد من التفت إلى العلاقة بين الطول في الأعمال الفنية وبين التعقيد والعظمة . ويمكن الانتهاء إلى قاعدة عامة هي أن السطر الواحد من الشعر أو القطعة الواحدة تتهيأ لها فرصة أوسع لأن تكون عظيمة إذا هي جاءت في عمل شعري طويل . ومعنى هذا أن التعقيد يصعب تحققه في الحيز المحدود وليس الطول فقط في ذاته يشعر بالتعقيد ، ولكن كل قسم بمفرده يستمتع بمزيد من الإيحاء والمعنى بسبب علاقته بالكل . فمثلا آخر كلمة نطق بها هاملت إزاء مشكلة الحياة والموت هي : « إن البقية صمت » وهي عبارة لا تعطي حلا واحدا للمسألة ، وإنما هي توحي بأن البقية راحة ، ولكنها من الممكن أن تعني أن هاملت لن يستطيع الكلام بعد ، ويمكن أن تعني أيضاً أنه مهما طال اهتمام الكائنات الفانية فإن الصمت يتلو جميع أسئلتها عن الحياة المستقبلة .

(سادساً) : كل الصفات السابقة لا يمكن أن يختص بها الشعر لأنها أوصاف جزئية لاتسمو إلى أن تكون تعريفاً كاملا للشعر ! فإن النثر وجميع الفنون تشارك الشعر تلك الصفات ؛ فالموسيقى والتصوير والنحت والعمارة والأوبرا والسينما والرقص كلها يمكن أن تكون في الوقت نفسه قوية ومعقدة وهامة .

أما جوهر الشعر — بحسب أعظم النقاد القدامى ونقاد عصر النهضة والنهضة الثانية بين الرومنتيكيين — فهو القوة الإبداعية فالشاعر هو الصانع ، الخالق ، الكاهن ، النبي . ولكن كيف يخلق ؟ هو لا يخلق فحسب ، ولكنه أيضا يؤلف ويركب في الزمن ، أي بألفاظ تكتب وتقرأ خلال فترة زمنية لا في المكان . فالشعر إذن تركيبي . والإيقاع لازم لإظهار هذا التركيب الزمني . والاتصال بين الشعر والموسيقى والرقص في المجتمعات البدائية يكفي لتأكيد ذلك . ومن الممكن القول — تبعا لورد سورث — إن الأثر الممتع للإيقاع ثلاثي : عقلي وجمالي ونفسي . أما عقليا فلتأكيده المستمر بأن هناك نظاما ودقة وهدفا في العمل . وأما جماليا

فإنه يخلق جوا من حالة التأمل الخيالي الذي يضفي نوعاً من الوجود المتلي* في حالة شبه واعية على الموضوع كله. وأما نفسيا فإن حياتنا إيقاعية: المشي والنوم والشهيق والزفير وانقباض القلب وانبساطه. ومن المقرر أن للقطع الطويل أو القوي يعادل في الزمن مقطعين قصيرين أو غير قويين. والمقطع المتوسط غير القوي يستغرق في جميع أنواع الشعر مدة زمنية قدرها خُمْس ثانية، والمقطع القوي المتوسط يستغرق نطقه خمسَي ثانية، وهذا معناه أن حوالي مائة ضربة من ذات المقطعين يمكن أن تقرأ في دقيقة، وخمسا وسبعين ضربة من ذات المقاطع الثلاثة. والجملة الأولى من « الجنة المفقودة » تستغرق دقيقة كاملة بمعدل ثمانين ضربة في الدقيقة. ومتوسط نبض الإنسان ليس بعيدا عن ذلك.

ومن هذا يمكن الاعتقاد بأن الأثر الممتع للشعر يمكن أن ينبع من الحقيقة القائلة بأن إيقاع الضربة الشعرية عادة يكون أقل سرعة قليلا من إيقاع النبض. فإذا صح ذلك صح أن الشعر لغة القلب.

والإيقاع غير الوزن. وكثيراً ما يتعارض الإيقاع والوزن بحيث يضطر الوزن إلى كثير من التغييرات. وقليل من الشعر هو ذلك الذي لا يخرج على صورة الوزن. والأمثلة كثيرة على أن أكثر الأبيات الشعرية امتلاء بالمعنى وحيوية هي تلك التي يتوارى فيها حركات الإيقاع الموحية والحركات العقلية. وهذا يضيف إلى الدقة الكمال والتعقيد اللذين لا يستطيع أن يقوم بهما النثر، لفقدانه الزخرف الشكلي. والنحو وتركيب العبارة وخواص اللغة من الأسباب التي تؤدي بالشاعر إلى الخروج على الصورة الكاملة للوزن. ثم إن الأوزان القديمة لكثرة استخدامها قد صارت ثقيلة. والخروج عليها إلى الشعر المنثور، وكذلك التقيد بها وتنفيذها كاملة لا يوفر للشعر روعته، لأن كل معنى يحتاج إلى الحركة التي تلائمه. وليس كل ارتباط بين الألفاظ يصنع شعراً يحقق كل الإمكانيات الشعرية للغة ما لم يكن إيقاعيا.

(سابعاً): الخواص الخمس الأولى تختص بالفكر في الشعر، والسادسة اهتمت بنظام الكلمات وانتهت إلى قانون الإيقاع الذي يحكم الشعر حكما لا تعسف فيه ولا اعتباط. وأخيراً يأتي القول بأن الشعر شكلي. وهذا المبدأ يشير إلى أن الشكل shape وتشكيل المادة من أهم ما يعني به الشاعر. غير الشاعر يستخدم اللغة باعتبارها وسيلة، أما عند الشاعر فهي غاية. فهي عند غيره نافعة وهي عنده جميلة. واهتمام الشاعر بالحياة لا يقل عن اهتمامه بالفن؛ فهو في لحظة واحدة يستقبل التجربة ويبدع.

وما يزال كثير من القراء لا يعترفون بأن عمل العقل جزء من الإبداع الشعري. وكثيرون أيضاً يقبلون دون تردد بعض الانطلاقات التي لا صورة لها بوصفها شعراً.

وليس المقصود بقانون الصورة استخدامه في أجزاء من العمل الشعري، بل في العمل بوصفه كلا. وهذه الصورة يجب أن تفهم لا على أنها آلية بل حية.

وقد مثل القرن الثامن عشر الاهتمام بالقواعد والصور المقررة، فلما جاء القرن التاسع عشر أهمل الشعراء الصورة الآلية واتجهوا بكليتهم إلى انطلاقات أشبه ما تكون بسبحات الحالمين. وكثير من أعمالهم تنقصه الصورة التي تبرزه كاملا متماسكا. يبدو ذلك في كرستا بل ودن جوان وغيرهما. وربما كانت أكبر قيمة تعطى للصورة الشعرية في القرن العشرين هي ما يمكن أن يسمى بالإحساس بالتأليف الموسيقي، يعني التكرار مع توزيع الصور والشخوص والحوادث والألفاظ والعبارات، تماماً كما تتكرر الحركات وتختلف لتؤلف حركة في السيمفونية. ولكن الصورة الموسيقية ليست بنت اليوم، فقد استخدمها دانتي وسبنسر وشيكسبير بكل مهارة وعلى العموم فإن الصورة الحية هي هدف الشعر الحديث. ووجود الصورة في الشعر يجعله سهل التذكر ممتعاً. وبعبارة أخرى يجعله فناً.

* * *

هذه هي القوانين السبعة كما عرضها صاحبها في كتابه. وليس يهمنا الآن مدى صحة هذه القوانين. ولكن ربما عدنا لنعقد المقارنة بينها وبين قوانين الشعر كما عرفها العرب منذ قرون وقرون.

عز الدين إسماعيل

إبراهيم عبد القادر المازنى

للسيدة نعمات أحمد فؤاد

[تضم رسالتى عن المازنى فصلا عن أسلوبه رأيت بمناسبة ذكراه الثالثة أن أقتبس منه هذا المقال تحية تسرى إلى روحه فى عليين] .

قيل إن الأسلوب هو الرجل ، ففيه تتبدى شخصية صاحبه . ولما كان الناس يختلفون كل منهم عن الآخر فى اتجاه الفكر والشعور ومقام الفرد من المجتمع ومقام المجتمع من نفسه اختلفت تبعاً لهذا أساليبهم . وكلما استوحى الكاتب نفسه وصدر عنها كان أقرب إلى الصدق وأدنى إلى طبيعة الفن ، وكان أسلوبه أدل على شخصيته . والكاتب إذا بث أسلوبه أحاسيس نفسه وضمنه خصائص طبعه كان أسلوبه أعمق أصالة وأصعب مراساً على المقلدين .

كان أسلوب المازنى حافلا بآرائه ، وعواطفه . وقد وصفه بنفسه حين وصف إبراهيم الكاتب بقوله : (وكانت لغته صورة من روحه ، ألفاظه كأنما تدرك أنها درر ولآلىء تلقى تحت عيون الخنازير ، وكان يرص العبارة فوق الأخرى ويكظها جميعاً بشخصيته حتى لتحس أن ألفاظه ملأى بمعانيه هو ، ومثقلة بخوالجه هو ، وأنه لا سبيل لك إلى رأى أو إحساس فيما وراء هذا الكوم المكدس من الآراء والإحساسات وأن عليك أن تبتلع بلا تردد ولا مضغ)(١) .

ولعل هذا السر فى أن أسلوبه عصى على التقليد لأنه ينبع من نفسه والنفس لا تتشابه ، وقابلية الأسلوب للتقليد أو عدمه تتناسب مع أصالته ، فكلما شق الاحتذاء دل على عمق الأصالة فيه . وقد نفى المازنى عن أسلوبه قابلية التقليد فقال : (لنا أسلوبنا الخاص ومن فضل الله علينا أن ليس لنا فيه مقلدون)(٢) .

وهو فى أسلوبه شخصية متميزة فى الأدب المصرى الحديث تقرؤه فتعرفه حتى ولو طالعك مقاله عاطلا من الإمضاء . تعرفه بخصائصه التى تدل عليه وهى السهولة والاستطراد والسخرية والطلاقة فى التعبير ، حتى ليؤثر فى كثير من المواضع اللفظ المستعمل فى لغة الحديث اليومية مادام سليما لا عجمة فيه فيحسبه القارىء العابر عامياً لسبق معرفته به واستعماله له . وما درى أنه يتحدث بلغة فيها كثير من الألفاظ السليمة العربية النسب ، وكثير من ألفاظ المازنى مستمد من (لسان العرب) .

ولم يعرف المازنى الشطط أو التلعثم إذا كتب أو تحدث ، ولهذا لم أعثر له على مسودات فنية . كان يكتب كما يتكلم ، وهو لهذا أقرب الأدباء إلى أنفسهم وأكثرهم دلالة عليها — ولعل من دسائس الأصل العربى فيه حساسيته ودقة ملاحظته ، وملاحظته تقوم على الاستماع والإبصار معاً وتبدو فى التصوير والتعبير جميعاً . ولا يميل المازنى إلى التركيز والترتيب .

ولأسلوب المازنى مميزات منها . . .

١ — التفصيل فى التصوير والتعبير : مع بصر بالأوصاف المتنوعة وفهم كامل للترادف والتضاد . وهو لا يؤمن بالترادف فى اللغة . والألفاظ فى رأيه تختلف فى مدلولها بمقدار يقل ويكثر .

٢ — البساطة فى التعبير والشعبية فيه : ولهذا شواهد عدة من مثل قوله : (فأردت أن أدرك الترام فعدوت ، فنهجت وانقطع قلبى واضطررت أن أقف لأستريح)(١) .

وهو لا يترفع على الأدب الشعبى ، وشاهد الشعبية فى أسلوبه قوله (فى مثل هذه الليلة السعيدة لا يجوز أن تخرج من المولد بلا حمص) .

وكان يأتى باللفظ الدارج فى سياق العبارة ، فلا ينبو به مكانه ولا يقلق به موضعه . وفى كتابه (أقاصيص) قصة سماها (على الهامش) وصف فيها زوجة مجروحة فى كرامتها

(١) [إبراهيم الكاتب] ص ٣٠٠ .

(٢) قبض الريح ص ٥٠ .

(١) خيوط العنكبوت ص ١٩١ .

تـكاد تنفجر (وهمت بالتحرش من فرط الحقد والعجز عن التشفى ، ولـكنها خشيت أن يزيده ذلك إمعاناً فى الجفوة ، وإذا كان قد بنى بها وهى وادعة ساكنة ، ومؤاتية مطواع ، فـكيف إذا ثارت به ووقعت فيه وأغضبته ؟)[1] .

ألفاظ ثلاثة (ثارت به ووقعت فيه وأغضبته) كان يستطيع أن يكتفى باللفظين العربيين الصريحين أو بأحدهما ولـكنه يريد أن يؤاخى بين العامية والعربية ، ويدانى بينهما وإن شئت فقل إنها الطلاقة فى التعبير تنساب لا يحبسها لفظ عامى عن الجريان ، بل يجرفه التيار العربى فإذا به قطرة ذائبة فى هذا العباب العظيم .

كتب عنه أحد النقاد يقول[2] (الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى أول من أثبت قدرة اللغة الفصحى على احتضان التعبيرات الدارجة ، وعلى صياغتها بحيث لا تفقد روحها ، ولا تنقص حادبيتها ، أو يتلاشى سحرها ، وتبرد حرارتها ، ولعله فى هذه الناحية يكاد ينفرد بهذه الميزة) .

وبينما يجرى أسلوبه سهلا بلا كلفة ولا تفاصح بالغريب من اللفظ إذ تقع له أحياناً على لفظة غريبة كقوله : (تخرج منديلا من الشنتة تمسح به جبينها)[3] . وتريد الحقيبة .

ويصف الطبيعة فى حالتها فيقول : (هذه الطبيعة التى كانت منذ ساعة تبرق وترعد وتمطر وتصخب كأنما يعول فيها مائة ألف شيطان ثم آضت كما ترين . الآن فقط فهمت ما كنت أقرأ فى صباى عمن مسخوا حجارة)[4] .

ومثل هذه الألفاظ علقت بذهنه من عصر الإرهاص الأدبى فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن العشرين حين أكب مع غيره على عيون الأدب العربى القديم . وهى تغلب على أسلوبه بين الحين والحين طبيعة لا قصداً ، ولعله آثرها فى مواضعها تحريا للدقة فى التعبير . وهى من خصائص أسلوبه بحيث لو وجد غيرها أسهل منها لاختار اللفظ الأسهل .

وقد قرأ المازنى صدراً كبيراً من آداب الغرب وخاصة فى الأدب الإنجليزى ، ومع هذا سلم أسلوبه من العجمة ، فهو من حيث اللفظ صريح النسب فى العربية ، ولـكن مظاهر التأثر تبدو فى ترجمة بعض الآثار الغربية كما تبدو فى اقتباس الاتجاه فى بعض الموضوعات كما أشار هو نفسه إلى هذا فى (مذكرات آدم وحواء)[1] .

وهو أحياناً يستشهد بأدب الغرب فعل ذلك حين كتب نافياً الزهد فى الحياة مورداً قصيدة لتوماس هاردى فى ذلك الصدد .

ويتصل بهذه الملاحظة تفاوت أسلوبه فهو يختلف باختلاف الموضوع الذى يكتب فيه ، فإذا بحث التزم الجد غالباً وآثر أسلوبه على جمال السهولة وروعة الجزالة وموسيقية اللفظ المرن ، واستعمل كثيراً من الألفاظ اللغوية على وجه الدقة غير مكتف بما يوحى إليك به من معناه سياق الـكلام . وهذا الفرق يحسه من يقرأ كتابه (ع الماشى) أو (فى الطريق) بعد أن يقرأ له (حصاد الهشيم[2]) هناك سمرلين رقيق وهنا جزالة وألفاظ قوية وعمق فى النظرة . وإذا لاحظنا أن حصاد الهشيم كان من بواكير إنتاجه تبينا أن أسلوبه يندرج نحو السهولة مسايرة لروح العصر وتأثراً بالنماذج الرفيعة فى الأدب الغربى التى تحتفل بالمعنى قبل اللفظ ، ولأنه كان فى أول أمره أشد تأثراً بالأدب العربى القديم ومضطراً إلى مجاملة عباد اللفظ من كتاب العربية ونقادها فى مطلع النهضة الحديثة .

وآثاره على تفاوتها فى الأسلوب — يجمعها فى الآخر وحدة شخصيته . فالمازنى تطالعك صورته فى كل سطر من سطوره سواء كان هذا السطر مما ضم حصاد الهشيم أو (ع الماشى) .

وأسلوب المازنى أسلوب واقعى دقيق التعبير . والصور عنده متوازنة من حيث المثل الطابق ومتوازنة من حيث العبارة المطابقة . والواقعية فى أسلوبه مثالها قوله (وانبسطت أسارير وجهى ولمعت عيناى — أولا بد أن يكون هذا قد حدث وإن كنت لم أر وجهى)[3] .

---

(١) (أقاصيص) ص ٢٠ .

(٢) الأستاذ حسن كامل الصيرفى ص ٢٧٦ من المقتطف عدد أغسطس سنة ١٩٤٤ م .

(٣) غريزة المرأة أو حكم الطاعة ص ٣٦ .

(٤) إبراهيم الـكاتب ص ٦٥ .

---

(١) صندوق الدنيا ص ٨٢ . وقد نبه المازنى إلى أن هذه المذكرات موضوعة على نسق مذكرات آدم (للـكاتب الأمريكى مارك توين لهاموبل كلمينز) وهى تشبهها فى الأسلوب الفكاهى .

(٢) حصاد الهشيم ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .

(٣) خيوط العنـكبوت ص ٥٢ .

وهو مولع بالمبالغة من غلبة الروح الفنية عليه، والمبالغة في التصوير تؤدي عنده إلى المبالغة في التعبير. وعلى هذه المبالغة بنوعيها تقوم سخريته، فهى كفن الكاريكاتور الذى يبحث عن العيب ويمضى به إلى أقصاه فى نفس اتجاهه الطبيعى من غير أن يبدل شكله، فهو فن مبالغة وإن لم تكن المبالغة غايته وإنما هى وسيلة إلى ما يريد التعبير عنه.

وتتمثل مبالغة المازنى فى وصف نفسه حين دعا سادن الكعبة ذو اللحية للأمير وأخطأ فقدر المازنى للمسكين الإعدام ومنى نفسه بلحيته، فلما أن تدارك السادن خطأه وصحح الدعاء حق زعم المازنى أنه أسف على اللحية بل راح يقول . . .

(وهبط قلبى، وتدلى رأسى على صدرى، واسودت الدنيا فى عينى، وتهضم وجهى، ونقص وزنى، وتخاذلت رجلاى فلو أفسح الناس لى مكاناً كافياً لتهافت إلى الأرض وتهاويت كوماً مفككا من العظام اليابسة والأعصاب الرهقة، وأدبر لحم خدى، وظل يدبر ويدبر حتى بلغ أصول الشعر ومنابته فبرز معظم الشعر إلى الجذور. ورفعت يدى إلى وجهى فإذا بى أحس لحيق قد طالت من الهزال)[1].

لم كل هذا؟ وهب السادن أعدم كيف ينتزع منه لحيته وكيف كان يثبتها فى وجهه هو؟ إن الفكرة نفسها مضحكة أما عرضها بهذا الأسلوب فيزيدنا فى الضحك إغراقاً.

ولكن مبالغته هذه يقصد إليها على سبيل الإمتاع الفنى وهو لا يحبذ المبالغة على الإطلاق، بل هو يشفق منها على الشرق، فلا يملك حين يسمع التلاميذ السعوديين يغالون فى وصف بلادهم بالرقى إلا أن يلتفت إلى جاره السعودى ويحذره عاقبة المغالطة فى الحقائق وخداع النفس. وله فى هذا الموضوع كلام جدير بالتدبر. فمن شاء فليرجع إليه[2].

وأسلوب المازنى تتخلله كثير من الجمل الاعتراضية. فقد كان شديد الإحساس بآفة ضمير الغائب فى العربية. ومن أمثلة هذه الظاهرة فى كتابته قوله: (. . أما حادثة الصم فشىء آخر مختلف جدا. هى صياح من جانب وبعثرة من الجانب الآخر، وأعنى بعثرة المواضيع التى يمكن أن يدور عليها الحديث زمناً معقولا إذ لا سبيل إلى حصر الذهنين فى موضوع واحد وقتله — أعنى قتل الموضوع)[1]

ومن أمثلة إحساسه بتخليط ضمير الغائب عبارته هذه: (فركل صديقى الكلب — أعنى أن صديقى ركل الكلب والمعنى واضح فى الحقيقة، ولكنى أوثر هذا الايضاح اتقاء لكل غلط)[2].

والذى يدرس استعمال المازنى للضمير يتضح له أنه يغلب على أسلوبه ضمير المتكلم المفرد دليل احساسه بنفسه وعرفانه بقدرها حق المعرفة من غير زهو أو ضعة؛ فقد كان كما وصف نفسه (رجلا ينقصه التواضع وإن كان لا ينقصه الكبر أن يكون به كبر). [3]

فهو لا يتعالى بنفسه فيحكى عنها بضمير الجمع (نحن) ولا يغمطها فيلغيها ناسباً أعمالها بخيرها وشرها إلى آخرين. وحكايته عن نفسه كل ما يتصل بها له دلالة أخرى غير هذه فهو ينم عن صراحة وشجاعة معاً إذ لا يعبأ أن يطلع الناس على نفسه.

وأشد ما يذكرنا المازنى بالجاحظ فهما يتلاقيان فى البساطة والواقعية والصدق فى التعبير، فكان كل منهما يصف الأشياء وصف ملامسة وعيان فلا تحلية ولا تعرية حتى تحاكى الأصل فى كل شىء مع فضل من جمال الفن فى الأسلوب والسياق.

وقد غنى كلاهما بجمال الصدق وصدق التصوير عن زخرف اللفظ ومقتصر التشبيه إلا ما كان عونا على حكاية الواقع أو رفدا للمتاع الفنى بين الحين والحين دون تكثر أو مبالغة، فلم يكن أدبهما لفظيا، بل عمر بالمعنويات ونفحات الحياة الزاخرة حولهما والتى اشتقا منها الكثير من مواضيعهما.

وهما يتلاقيان أيضا فى ظاهرة الاستطراد. وقد علل كل منهما هذه الظاهرة فى أسلوبه، فقال الجاحظ فى الحيوان (قد صادف منى هذا الكتاب حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه . . . أول ذلك العلة الشديدة والثانية قلة الأعوان، والثالثة طول الكتاب . . .) [4].

أما المازنى فقد علل استطراده بقوله . . (. . قد أبدأ

(١) رحلة الحجاز ص ١٠٢.
(٢) هذا الكلام مسطر فى رحلة الحجاز ص ١٤٠

(١) صندوق الدنيا ص ٣٣.
(٢) فى الطريق ص ١٢٦.
(٣) إبراهيم الكاتب ص ٢٩٩ — ٣٠٠
(٤) الحيوان للجاحظ الجزء الرابع ص ٢٠٨.

المقال معتمداً شيئاً بعينه فيجرى القلم بخلافه . . وشبيه بهذا أن تريد السفر إلى الإسكندرية فتحملك رجلاك إلى قطار يذهب بك إلى السويس . . وأحسب ذلك إنما يكون كذلك لأن الكلام يفتح بعضه بعضا . وقد يفتنك وأنت تكتب معنى يعنّ لك فيلهيك عما كنت فيه ويدفعك من طريقه إلى غير ما قصدت إليه . وقد تأخذ فى كلام تحسبه هينا فتتكاءدك الوعورة وتتعاظمك العقبات فتميل عنه إلى ما هو ألين . ومن هنا كان آخر ما أكتبه هذا العنوان . . وكثيرا ما أستخير الله فى الكتابة على نية معقودة ثم أعدل فى بعض الطريق عنها وأتحول إلى سواها ويجىء الكلام متناولا طرفا من هذا وأطرافا من ذاك . ويعجزنى أن أختزل مضمونه فى عنوان ، فأدع المقال بلا رأس وأقدمه هكذا إلى الأستاذ أمين بك الرافعى ، فيضع هو — جزاه الله عنى خيرا — ما يوافقه من العناوين »[1] .

وقد رسم كل من المازنى والجاحظ لعصره الذى عاش فيه صورة واضحة الخطوط دقيقة الملامح . فأدبهما من هذه الناحية لون من الأدب الموضوعى .

ويتلاقيان فى الطبيعة الفنية التى بعدت بهما عن الجفاء العلمى والكزازة ، ولعلها من دواعى عدم احتفالهما بالتركيز .

وكلاهما وافر المحصول من ألفاظ اللغة فتسمح أسلوبهما وجرى سهلا .

وكلاهما حباه الله بخيال خصب يمده بكثير من التفاصيل والملاحظات حتى مادق منها .

وكلاهما معنى بتقصى الخوالج النفسية حتى ما خفى منها وتفسير الحركات والسكنات على هديها ، فأدبهما من هذه الناحية أدب نفسى ذو قيمة .

وأسلوبهما بعد هذا متفكه ساخر ضاحك لأنه ينبع من نفسين مستخفتين بالحياة من طول ممارستها والنقد لما رأيا فيها والعطف مع هذا على الناس ؛ ومن ثمّ نزعا فى نقدهم منزع السخرية عازفين عن الصراحة والجد حتى لا يجفى حبهما ، والجاحظ يقول : (الجد مبغضة والمزح محبة) .

(١) قبض الريح ص ١٣ — ١٤

ومن مميزات المازنى فى أسلوبه الحوار . ولعلنا إذا قارنا بينه وبين توفيق الحكيم فى هذا اللون وجدنا الحكيم مولعا بالحوار يسجله أينما وجد ، ويدون منه حتى ما يسمعه فى الشارع ، وهو يسلسل حواره بحيث ينتهى دائما إلى النتيجة المرسومة والغرض المقصود . وهذا ليس طبيعيا . . أما حوار المازنى فهو كسائر كتاباته تتمثل فيه البساطة التى لم يعد عليها الفن ، فلا يتكلف ولا يتعمل ولا يفتعل الكلام افتعالا بل يجريه كما يدور بين الناس فى الحياة العادية ، فينتقل به من موضوع إلى موضوع ، وأنت معه لا تستطيع أن تقدر النتيجة التى ينتهى إليها الحوار حين يسهل عليك ذلك مع توفيق الحكيم .

* * *

والآن بعد أن فصلنا القول فى أسلوب المازنى يجدر بنا أن ننظر إليه نظرة عامة ، فماذا نرى ؟ نرى أن أسلوب المازنى فى مطلع حياته الأدبية كان أسلوبا مجودا فيه ، بادى الجزالة فخم الألفاظ ، عليه ظلال من الجرجانى والشريف الرضى . ثم تسمح أسلوبه ومرن على الأيام مجاريا روح العصر ، متوائما مع مطالب الصحافة التى آثرها على التدريس . ويعرف المازنى هذا عن أسلوبه ولم يغفله فى كتابته عن نفسه ، فقال : (إن الظن الشائع هو أنى كنت متأثرا فى البداية بالجاحظ ، وهذا صحيح ، ولكن أصح منه فيما أعلم أنى كنت مفتونا بأسلوب الجرجانى — عبد القاهر — صاحب (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) على أن هذا شىء قد مضى ، وعهد قد انقضى ولله الحمد)[1] .

* * *

وبعد ، فإن أسلوب المازنى يمثل جانبا من جوانب مصريته ، فهو فى ألفاظه وجمله ومواضيعه مصرى الروح والطابع سهل كطبيعة الوادى المستوية ، والإغراب فى الأسلوب ليس شيئا ، وإنما العبرة كما يقول سان سانس بتلك الموسيقى التى لا توصف والتى ما هى إلا نفحات نفس . . .

نعمات أحمد فؤاد

(١) ص ٦١٨ من عدد مجلة الكاتب الصادر فى مارس سنة ١٤٩٦ .

القروى الساذج والباشا القانونى

للأستاذ إبراهيم حلمى عبد الرحمن

يحكى أن قروياً ساذجاً عاش طيلة عمره فى قريته الهادئة المتواضعة ثم شىء له أن يقدم إلى المدينة وينظر إلى ما فيها من وسائل التحضر وأسباب المدنية ، فلما قفل راجعاً إلى قريته طفق يقص الأقاصيص لأقرانه ، فحدثهم فيما تحدث به عن (الترام) وأسهب فى وصف مركباته وأبوابه ومزاليجه وقضبانه ومحطاته وأبدع فى وصفه هذا إبداعاً . ولما سأله أحد السامعين عن كيفية سير الترام ، فكر هنيهة ثم قال : يسير الترام إذا زمر (الكمسارى) ويقف أيضا إذا زمر مرة أخرى بطريقة خاصة ، ثم إنه أثناء سيره يستمع دائما المزمار ؛ فتارة يكون صوته قويا خاطفا كأنه الصرخة فيقف الترام فى الحال دون إبطاء أو إمهال ، وأحيانا يكون الصوت همساً خفيفاً كأنه الصفير اللطيف ، عندئذ يسرع الترام بعد أن كان متباطئا ، فعجب القرويون من ذكاء الترام الحديدى الذى يفهم بالصوت ما يريده الركاب ، ولكن عجبهم زال عندما قال صاحبهم الذى زار المدينة : إن الترام إنما يفعل ما يفعله الحمار الذى يسير إذا صاح فيه صاحبه (حا) ويقف إذا قال له (هس) ، عندئذ زال كل عجب وارتضت نفوس القرويين هذا التفسير بعد أن قربه إلى أذهانهم ذلك التشبيه الطريف . وعرف الجميع أن الترام فى المدينة (وفى كل مكان) يسير ويسرع ويقف ويتمهل بناء على نفخة مزمار بطريقة خاصة .

* * *

ولعلّ القروى فى زيارته الخاطفة السريعة لم ينتبه إلى أن سائق الترام هو الذى يسمع المزمار ويترجم ما يريده منه زميله (الكمسارى) ، ولعله أيضا لم يلحظ أن الأخير لا يزمر كيفما شاء له الهوى ، إنما يتصرف تبعا لحركة الركاب فى الصعود والنزول ووفقاً لرغباتهم فى السير أو الوقوف .

ومما لا شك فيه أن القروى لم يعلم أن الزمارة مجرد إشارة وإنما الحركة الحقيقية لا تكون إلا بوضع الكهرباء التى تسرى فى الأسلاك غير منظورة ، فالقروى يجهل الكهرباء وتوليدها والحركات الكهربائية ودورانها ، وقواعد المرور وإشارته وتعليمات شركة الترام وأوامرها ، فلم يلحظ سوى الظاهر ، للعيان الذى بلغ مسمعه دون حجاب أو استئذان ، فخيل إليه أن (زَمرة) تحرك الترام و (زمرة) أخرى توقفه . وهو على حق فيما رأى وسمع ، ولكن ماظهر له هو القليل الأقل ، وماخفى عليه هو الخطير الأجلّ من الأمر .

* * *

وعقلية القروى كثيرة الحدوث بين وزراء مصر فى العهد الأخير وحكامها ، فهم يذهبون إلى أوربا فيرون حدائق منسقة ومدائن مشيّدة ومصانع تدور ورخاء يعمّ وأمنا وارف الظلال وحضارة مزدهرة ، فلا جهل ولا فقر ولا مرض ، ولا قذارة ولا فوضى ولا فساد ، فيرجعون إلينا والإصلاح يجيش بنفوسهم ، فتدفعهم الرغبة فيه إلى عمل شىء ، وينقلون الرغبة السامية إلى من حولهم من أنصارهم وأعوانهم فيهلل هؤلاء ويكبرون بحمد كبيرهم ، ويمجدون ألمعيته ويشيدون بوطنيته . وقد يقيمون له حفل تكريم تعدّد فيه المناقب وتتوالى صفات الإكبار وآيات الولاء . ثم إذا انتهى التكبير والتسبيح بدأ العمل الجدى بالسعى إلى استصدار قانون . ولنفرض مثلا أنهم يريدون منع (الحفاء) فيصدر التشريع المطلوب فى ألف مادة ومادّة ، ويصدّر له تفسير كبير مثل تفسير (الجلالين) طولا وعرضا ، وينشر فى الجريدة الرسمية ويبصم بخاتم الدولة وينفذ القانون بما يرضى واضعيه ولا يضير الحفاء أو الحفاة .

وهكذا الأمر فى قانون منع التسول وقانون منع البغاء

وقانون التعليم الإجبارى وقانون شغل الطريق وقانون الضمان وما إلى ذلك من المشروعات الكثيرة التى نذكر جميعاً كيف بدأت بالتهليل والتكبير والاحتفالات والمهرجانات ثم انتهت نهاية غير محدودة المعالم ، فلا هى قضى عليها بالفشل فأوقفت ، ولا ثبت لها النجاح فدامت ، ولكنها اتخذت سبيلا عجبا ، وذهبت فى طوفان من الأضابير سربا لا ترفع رأسها إلا لعقاب مسكين أو لكيد غريم ، ثم تنام نوماً قد يطول إلى يوم الدين .

* * *

فالذى يريد للحفاة أحذية ينتعلونها ينبغى عليه أن يمدّ نظره إلى ما وراء أقدامهم العارية ، فينظر إلى أسمالهم البالية وإلى وجوههم الشاحبة المصفرّة ، ولعله يبحث فى نفوسهم الحائرة ليلمس ماهم فيه من كرب وضيق وبؤس وشقاء ، فإذا فهم كل هذه الجوانب وشاء بعد ذلك أن يفعل شيئا لم يسارع إلى (جهابذة) القانونيين الذين يخرجون سواد القوانين كما تلفظ الدودة خيوط الحرير حتى تحيط بنفسها فى دائرة لا تخرج منها . إنما الأصح الأصوب أن يكون المشرّع عالماً بحدود السلطة القانونية وبتأثيرها فى المجتمع وبصلاحيتها للتنفيذ ومدى انطباقها على الواقع وما ينتظر لها من نجاح فى التطبيق . إنهم لا يعملون شيئا من هذا قط ، ينظرون إلى أقدام الحفاة نظرة ثم يجمعون المشرعين فى لجنة ثم يصدرون القانون فى نشرة ويتركون بعد ذلك البوليس والإدارة والمحاكم والسجون والحفاة وغير الحفاة يتركونهم جميعاً يتلاطمون بين شد وجذب وأخذ ورد ، وللكنانة رب يحميها .

* * *

ما أشبه هؤلاء السادة الأفاضل بالقروى الساذج عندما حسب (الترام) فى المدينة مثل الحمار فى القرية يقف ويسير بمجرد الصياح أو الصريخ بل لعل القروى حسن النية ، فما كذب ما رأى ، ولعلّه إذا حانت له الفرصة وتهيأت له أسباب العلم لعرف كل شىء عن الكهرباء والترام ، فحسن نيته متوفر وملاحظته — على سذاجته — صحيحة عقلا ، أما (الباشوات) فالثقة بحسن نيتهم أمر لا يقوم عليها دائما الدليل الصحيح .

فالتشريع يقتضى الاتصال بواقع الحياة ويستدعى تقدير عواقب تنفيذه وإعداد الأداة اللازمة لغرضه — وأخيرا ينبغى مراقبة سير الأمور بعد إصداره . فالقوانين الكثيرة التى أصدرها (الباشوات) منها الصالح والطالح ، ولكن عبء نقدها ومراقبة أثرها غير محدّد ومتروك إما للرأى العام الذى لم يتم نضجه فى مصر أو لصيحات الصائحين . فهل لنا (بمجلس مراقبة) يذكر المشرعين من حين إلى حين أنهم إنما يتصرفون فى أ، واح بشرية ويخدمون قضية مجتمع حى قائم فعلا ؟

ابراهيم حلمى عبد الرحمن

التصنيع
والإصلاح الاقتصادى فى مصر

للأستاذ أحمد طه السنوسى

دأب الكاتبون عن مصر على أن يصموها بأنها بلد زراعى. وليس من شك فى أن الحاصل الملموس أنها حقيقة بلد زراعى، ولكن لست أحب أن يفهم من ذلك أنها لا تصلح لشىء غير الزراعة، والقول بأنها كذلك أضحى فى نظرى من السخف بمكان . . . إنما الحاجة ماسة إلى الاتجاه إلى التصنيع اتجاهاً شبه كلى؛ ولمهم الأسس والأسانيد التى أستند إليها فى بيان الحاجة الماسة لهذا الاتجاه، أقول: إن حالة مصر الزراعية واهية ومستقبلها الزراعى لا يبشر بخير ملحوظ، وذلك يرجع إلى اعتماد مصر على «المحصول الزراعى الواحد»، وأقصد بهذا المحصول — كما لا يخفى — القطن المصرى؛ إذ تعتمد الصادرات الكلية لبلدنا على محصول القطن الذى يجاوز ٨٠ ٪ من قيمة هذه الصادرات.

وخطر الاعتماد على المحصول الواحد «القطن» يظهر واضحاً من الاعتبارات التالية:

أولا: أن الاعتماد على المحصول الواحد، يعرض البلد لشتى ضروب تزعزع المركز الاقتصادى العالمى لهذا المحصول، فإن ارتفعت أثمانه فى السوق العالمى، استطاعت الدولة أن تحصل على أموال كثيرة نظير صادرها، تستطيع بها أن تستورد ما تطمع به جهازها الإنتاجى، وما يحقق المستوى الرفيع لمعيشة أبنائها بتهيئة الضروريات والكماليات المستوردة من الخارج والمفقودة داخليا، وإن انخفضت أثمانه، فليس يخفى ما تتعرض له الدولة من نكبات اقتصادية؛ إذ أن مقدار ما تستورده — والحالة هذه — يكون من التفاهة بحيث لا يتناسب مع مقتضيات الجهاز الإنتاجى ومستوى المعيشة، وخاصة فى بلد كمصر، مزعزع فيه هذا الجهاز منخفض فيه هذا المستوى، لذلك فالمنطق يقضى بأن اعتماد مصر على القطن وحده، وسيطرته على ٨٠ ٪ من قيمة صادراتها مسألة باتت تفتقر إلى تفكير كثير وتغيير جوهرى وتحوير بديهى!.

ثانياً: أن ارتفاع أثمان القطن فى بعض السنين تبعا لبعض الظروف العالمية، شجع كثيرا من البلاد على الاهتمام بزراعته وتصديره، وبذلك كثر عرض القطن نسبياً، مما يؤثر فى أثمانه، فضلا عما تحدثه هذه المنافسة بين تلك البلدان من تأثير فى مستقبل هذا المحصول العالمى. ولقد كان الجميع يشجعون الاعتماد على القطن يوم كانت مصر شبه محتكرة للقطن الطويل التيلة، ولكن مَنْ يشجع الآن هذا الاعتماد بعد منافسة كثير من الدول لها فى هذا المحصول.

ثالثا: أن الألياف الصناعية طفقت اليوم تنافس القطن منافسة فعالة، تزداد يوما بعد يوم، لا سيما منافسة النايلون والحرير الصناعى.

رابعاً: أن القطن فى مصر كثيرا ما يتعرض لكثير من الآفات والإصابات، ولم نسمع من المسئولين على مر الأيام إلا أنهم يتخذون الاحتياطات، ويعملون على تلافى مثل هذه الآفات والإقلال منها، ولكن الحقيقة أن محصول القطن فى مصر فى خسارة شديدة بسبب هذه الأدواء، ولم يتخذ العلاج الحاسم للقضاء على ما يقضى عليه.

خامساً: أن زراعة القطن فى مصر — وهنا اعتبار هام — تحتاج لكثير من طاقة العمل التى يبذلها الفلاح المصرى، وإذا انخفضت أثمانه حينا، فليس من شك أن ما يحيق بالفلاح من خسارة سيكون عظيما؛ لأن المجهود الجبار الذى بذله لم يؤجر عليه الأجر المتناسب المعقول،

بسبب اعتبارات الأسواق الخارجية . والرأى أن هذه الطاقة من العمل التى يبذلها الفلاح المصرى فى زراعة القطن يستطيع أن يوجهها لزراعة محاصيل أخرى ، تعود عليه بكسب مضاعف .

من الاعتبارات الخمسة السالفة يتبين أن موقفنا الاقتصادى فى أزمة حالة تستوجب الحل ، وهذا الأخير يتلخص فى نظرى فى هذا الصدد فى أمرين : الأول العدول عن الاعتماد الكلى على المحصول الواحد ، والثانى الاتجاه السريع والحاسم إلى التصنيع .

ويقتضى الأمر الأول أن تتجه الزراعة المصرية إلى الاهتمام بالمحاصيل الأخرى ، ووجهتنا فى ذلك الاهتمام بزراعة الخضراوات والفاكهة ، لا للاستهلاك المحلى فحسب ، ولكن للتصدير أيضاً . فنحن نعلم أن وسط وغرب أوروبا يكون فى قحط شديد فى أثناء العام ، ولشد ما تتعطش هذه الجهات بسبب أحوالها المناخية إلى وريقات خضراء تأتيهم ولو من فج عميق . . . هذه الجهات القريبة الظامئة يقمن أن تكون هدف تصديرنا للخضراوات والفاكهة ، ولن يتكلف الأمر فى أوله سوى الحصول على عدد كاف من بواخر التثليج لنقل هذه الصادرات .

وأما عن الأمر الثانى ، فقد رأينا أنه العلاج الحاسم لنقطة هامة من نقاط العلاج الاقتصادى لمصر ، وهو الاتجاه إلى التصنيع ، وتبين أن سبب ذلك خطورة الاعتماد على المحصول الواحد وخطورة الاقتصار على الزراعة عموماً ، ما دامت الإمكانيات تستدعى قيام إنتاج آخر . . .

ونحن نعلم أن عدد السكان فى مصر لا يتناسب مع إمكانيات الإنتاج فيها ، والبلد الكثير السكان أى الكثير فى الأيدى العاملة ، علاج مشكلات اقتصاده لا يكون مشابهاً لعلاج مشكلات البلد الفقير فى الأيدى العاملة ، الغنى فى رءوس الأموال . . .

فهذه الأيدى العاملة فى مصر بطاقتها العملية تحتاج إلى الإنتاج ، الذى يحتاج بدوره للأيدى العاملة ، والزراعة حقل إنتاج مناسب لهذه الأيدى ، ولكننا تبينا أن الاقتصار عليها لا يجدى ؛ لذلك كانت الحاجة ماسة إلى التصنيع الذى يتطلب هو الآخر الكثير من هذه الطاقة والكثير من تلك الأيدى . كما أنه يلاحظ أن سوء الأحوال الريفية فى مصر وانخفاض مستوى معيشة القاطنين فى القرى ، وغير ذلك من الدواعى التى لا نجد هنا مجالا لسردها ، دعا أفواجاً كثيرة من أهل هذه القرى للنزوح إلى المدن ، يطلبون العيش ويستعدون لنضال الحياة . ومن هنا اكتظت القاهرة والإسكندرية ومحافظة القنال بالسكان والوافدين . . أما عن هؤلاء النازحين ، فلا عيب عليهم نزوحهم ؛ نظراً للظروف التى تجبرهم على النزوح ، ولكن هنا فى المدن لو اتبعنا اتجاه التصنيع ، لوجدت هذه الجموع الوافدة فى مصانع تلك المدن موئلا لها ، يقيها جوعها وعريها ، ويعود على البلد بالنفع الاقتصادى الحاصل من رقى الصناعة وتقدم مداها .

ولكن الواقع أن التصنيع لم تكن فكرته قد طرأت على الأذهان ؛ لأن هذه الأخيرة دأبت على اعتبار مصر بلداً زراعياً فحسب . . وما دام الأمر كذلك ، فلن تكون تلك الأفواج الجديدة على المدن إلا شراً ونكبة ؛ لأنها ستكون عنصراً خطراً من عناصر تهديد الأمن ؛ إذ مَنْ لا يجد عملا ولا طعاماً لن يلبث قليلا حتى يحترف إحدى حرفتين أولاهما : الإجرام ، وخاصة باب السرقة منه ؛ وثانيتهما : التسول فى مناكب المدن والعواصم ، ليقبض عليه البوليس إن استطاع ، وليراه الأجنبى الوافد إلى مصر ، فينشرح صدره من هذا الاستقبال ، ويأخذ صورة حية واضحة عن البلد الذى ينزل فيه ، ليستقصى أحواله ومناحيه !

ويتصل بهذا الأمر أيضاً التعرض لطاقة الفلاح المصرى ، فمما لا شك فيه أن الفلاح المصرى يتمتع على مدار السنة بأوقات فراغ ، يجلس فيها فى ظل نخلته ، إذا جاع أكل جبنه وخبزه ، وإذا اعوج مزاجه — وكثيراً ما يحصل ذلك — أصلحه بنقاط من الشاى المركز ذى اللون الغامق الكئيب ، ذلك أن زراعته لكل محصول تحتاج منه إلى تعب فى إعداد الأرض لهذه الزراعة ، حتى إذا بذر البذر وسقى الزرع ، لم يجد ما يفعل !

هذه الأوقات الضائعة التى لا تستغل فى ريفنا نظراً لسوء الحالة الاجتماعية ، وهذه الطاقة المفقودة من العمل التى تكمن فى أيدى عدد يقدر بالملايين من البشر المصرى ،

حرام أن تضيع تحت النخيل في تأمل السموات ومشاهدة الأرضين . . . أقسم لو استغلت هذه الأوقات بطاقاتها العملية في صناعة من الصناعات الصغيرة ، حتى لعب الأطفال كما فعلت اليابان مثلاً ، لصدرنا كل عام ملايين منها بعدد الأيدي العاملة التي تنتجها ، حتى ولو أنتجت كل يد لعبة واحدة على مدار العام !

وليست الدعوة إلى التصنيع الشامل بغريبة أو شاذة ، بل إنها مستقاة من الظروف الاقتصادية في مصر ؛ إذ أن هذه الأخيرة بها من العوامل ما يهيئ قيام حركة تصنيع واسعة شاملة تشمل القطر كله ، وتشترك فيها بأسرها ، ولتبيان ذلك أورد الاعتبارات الآتية :

أولاً : أن مصر تمتاز بوفرة رءوس الأموال نسبياً ؛ بيد أن هذه الرءوس من الأموال دفينة ومكنوزة ، دفينة لأن بعضها على شكل نقود مدخرة في المنازل والخزائن ، نظراً للجهل الذي يسود طبقة كبيرة من الشعب ، إذ تفضل هذه الطبقة الاحتفاظ بما تدخره — قل أو كثر — في صورة نقود حاضرة دون تفكير في استثمارها أو الإفادة منها .

أما النوع الثاني فهو رءوس الأموال الموجودة في المصارف والبنوك ، ولكي نوضح كيف أن هذه الأموال لا تستغل في تصنيع البلاد ، وكيف أن الواجب استغلالها في هذا الصدد ، يقمن التعرض لمسألة نقدية في الاقتصاد ، يطلق عليها اسم « تخصص البنوك Spécialisation bancaine » . ومعنى هذه المسألة مناقشة مناحي الاستثمار التي تستغل البنوك التجارية فيها مواردها ، وأمامنا من هذه المناحي سبيلان : أولهما التخصص في عمليات الائتمان الطويل الأجل ، وثانيهما التخصص في عمليات الائتمان القصير الأجل ، ومثال العمليات الأولى إنشاء الصناعات والاشتراك في رءوس أموالها وتقديم القروض الطويلة التي يحتاج إليها تمويل الصناعة برءوس الأموال الثابتة أو التوسع الصناعي ، ومثال العمليات الثانية خصم الكمبيالات وتقديم الاعتمادات القصيرة التي يحتاج إليها مد الصناعة برءوس الأموال العاملة .

وثمة اتجاهان في هذا الصدد ، أولهما : اتجاه تتزعمه البنوك الألمانية ، وهي تعمل بسياسة التخصص التي من السبيل الأول ، أعني التخصص في العمليات الطويلة الأجل وقد كانت نتيجة هذا المنحى أن بلغت الحركة الصناعية ونهضة التصنيع في ألمانيا شأواً بعيداً كان له الباع الأطول في الأحداث التي أثارتها ألمانيا في أوربا ، وثانيهما : الاتجاه الذي تتزعمه البنوك الإنجليزية ، وهو الذي يأخذ بالسبيل الثانية ، أعني التخصص في العمليات القصيرة الأجل .
ولست هنا بصدد مناقشة الفلسفة التي تبرر بها هذه البنوك ارتباطها بهذا الاتجاه ، وإنما أود أن أبحث السبيل الذي يتفق والدعوة إلى تصنيع مصر .

وبحث هذا السبيل واضح من الاستعراض الموجز الذي أوردته ؛ ذلك أن تصنيع البلاد يحتاج إلى رءوس الأموال الطويلة الأجل ، أي الاتجاه إلى السبيل الذي اتبعته البنوك الأوربية ، وعلى رأسها البنوك الألمانية . ولا يفوتني أن أذكر بخطورة هذا السبيل بالنسبة إلى البنوك التي تتبعه ، وتظهر هذه الخطورة في ازدياد نفوذ رجال المصارف كقوة اقتصادية تطغى على قوة الدولة نفسها ، فضلا عن الخسارة المحققة التي تمنى بها هذه البنوك ، كما حدث في أزمة الحرب العالمية الثانية ، ولكن هذه الخطورة الأخيرة يرد عليها بأن اتجاه البلاد إلى التصنيع يستوجب وقوف الحكومة مستعدة دائماً لإنقاذ البنوك التي تشجع التصنيع في البلاد من وهدة الخسارة أو التزعزع المنتظر . وقد حدث ذلك في مصر نفسها ، إذ حلت ببنك مصر — وهو البنك الوحيد الذي شجع التصنيع في مصر — أزمة مالية شديدة في مؤتمر عام ١٩٣٩ اقتضت تدخل الحكومة لإنقاذه من الوهدة التي كان على وشك التردي فيها ، وقد حدث ذلك بقانون صدر في سنة ١٩٤١ خاصاً بدعم بنك مصر .

ولا شك في أن الخطوة التي خطاها بنك مصر في سبيل تشجيع التصنيع خطوة جريئة جديرة بالتقدير ، وأتبعها بخطوات جريئات ؛ إذ أنشأ البنك المذكور في الفترة ما بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٥٠ حوالي عشرين شركة في مختلف مناحي النشاط الصناعي ، وسد بذلك نقصاً ملحوظاً كانت مصر تعانيه في السنوات الماضية ، حيث لم تقم بها مؤسسات مالية تتخصص في تمويل الصناعة برءوس الأموال الطويلة الأجل.

وليس السبيل الأوحد هو اتجاه البنوك التجارية إلى تدعيم التصنيع عن طريق الأخذ باتجاه التخصص فى العمليات الطويلة الأجل ، بل إن قيام سوق مصرى قوى على رءوس الأموال الطويلة الأجل خير ما يحول التمويل الصناعى وتدعيم التصنيع من جانب البنوك التجارية إلى جانب بنوك الصناعات وبيوت الاستثمار ، وهذه الأنواع من المؤسسات هى التى تكمل تمويل التصنيع وتدعيم الرقى الصناعى فى هذا البلد !.

ثانياً : أن الأيدى العاملة فى مصر - كما بينت - وافرة ، والتصنيع خير سبيل لتشغيل تلك الأيدى ، والسبيل إلى ذلك كما سلف أن أوضحت ذو شعبتين ، أولاهما : التصنيع فى المدن - وهو الشعبة الهامة - وقد أشرت إلى أن المدن تسود فيها البطالة ؛ نظراً لنزوح الكثيرين من أبناء القرى بسبب الاعتبارات الاجتماعية فى الريف يبغون العيش فى المدن فلا يجدونه ، ولا يعرفون السبيل إليه ، لذلك أضحى التصنيع علاج هذا المرض الاقتصادى فى معتركنا المصرى ، وأقصد به البطالة . وثانيتهما : التصنيع فى القرى وفق الظروف الريفية ، ويقتضى هذا تشجيع المصنوعات التى تتلاءم مع أحوال القرى وأحوال الفلاحين بصفة عامة . وقد بينت أن ذلك سبيل الاستفادة الجدية من الفراغ الكبير والطاقة العملية التى تذهب هباء فى جو الريف والحقول .

ثالثاً : إن مصر تمتاز بوجود عدد وافر من المواد الخام التى يحتاجها كثير من الصناعات ، كالموسفات والمنجنيز والحديد والمغرة والذهب والنترات والطلق ، وكربونات وسلفات الصودا ، وكلوريد الصوديوم ، والشب والأحجار الجيرية والرملية والرمل والزلط والجرانيت والرخام والبازلت والألاباستر ، هذا فضلا عن الخامات النباتية والحيوانية وسواها .

رابعاً : إنه بالرغم من القول بأن قلة الوقود فى مصر تحد من الاتجاه إلى التصنيع ، فالواقع أن مشكلة الوقود هذه تحل عن طريق الأساليب التى أعرضها فى خمس نقاط :

أولها : استخدام المازوت الذى يستخرج من البترول فى مصر فى إدارة الآلات والمحركات .

ثانيها : توليد القوة الكهربائية المحركة من مساقط خزان أسوان ، حيث تنقل إلى مناحى مصر بنفقات زهيدة .

وثالثها : استغلال الوقود النباتى الموجود بوفرة كبيرة فى نواحى مصر .

ورابعها : ترقية مولدات الحرارة ؛ إذ يؤدى هذا إلى تخفيض نفقات الوقود تخفيضاً كبيراً .

وخامسها : زيادة الاهتمام باستخراج البترول والتنقيب عنه فى الأراضى المصرية ، فقد زادت الكميات المستخرجة منه فى الأعوام الأخيرة ، مما يبشر بأن يحل البترول المصرى مشكلة الحاجة إلى الوقود ؛ هذا فضلاً عن أن هذا الاهتمام سيؤدى إلى زيادة إنتاج المازوت والبنزين والأسفلت ، وهذه كلها يحتاج إليها التصنيع المصرى ، بل منها ما يأخذ طريقه إلى التصدير الخارجى ليعود على البلاد بربح وافر .

ولو حاولنا أن نكشف عن الصناعات الحالية فى مصر ، لرأينا أنها بالرغم من تعددها لا تفى بالغرض المنشود من حركة التصنيع ، فضلاً عن أنها قاصرة عن الوصول بالبلد إلى الهدف الذى يبغيه ، لذلك فالسبيل الآن يتلخص فى وجهتين :

الأولى : ترقية الصناعات الحالية وتوسيع نطاقها ، ومن أهمها : حلج القطن وغزله ونسجه ، وصناعة الكتان والحرير والصوف والأكلة ، وصناعة المكرونة والسكر والصابون ، واستخراج الزيت وصناعة الألبان ومنتجاتها ، وحفظ المنتجات الزراعية ، وصناعة الحلوى والنشا والجلوكوز وصناعة الأسمدة الكيماوية والصودا الكاوية والأحماض الدهنية والجلسرين ، وصناعة العقاقير الطبية ، وصناعة الحديد والنحاس والرصاص والالومنيوم ، وصناعة الزجاج ومواد البناء والأسمنت والخزف والقيشانى ، وصناعة ضرب الأرز وتبييضه ، وصناعة الأثاث والمطاط والسجاير والأحذية والورق والطباعة والثقاب والتعدين وسواها من الصناعات التى تبغى النمو وتنتظر التشجيع والترقى .

والثانية : إنشاء الصناعات الكبرى التى لم تعرفها مصر ، والتى عليها عماد المستقبل الكبير الذى تنتظره ، وأهم هذه الصناعات : الصناعات الحربية والصناعات الثقيلة ، ولعل مما يزيد الأمل فى النفوس بمستقبل مصر فى هذا المضمار نجاح المصنع الوحيد فى مصر لإنتاج الطائرات فى إنتاج أولى طائراته ، حيث يعقبها بسواها من إنتاجياته الجديدة

مع الفكر الأوربي المعاصر

للأستاذ مبارك إبراهيم

(١) القسوة على الأطفال

كتاب من تأليف

الدكتور « يوستاس تشيسر »

"Cruelty to Children"
by Dr. "Eustace Chesser"

قرأت هذا الكتاب الدكتورة « مارى ستوبس » فعلقت عليه بالمقال التالى وجعلت عنوانه : كلنا مذنبون .

والتعريف بكاتبة المقال نقول إنها دكتورة فى العلوم من جامعة لندن . ودكتورة فى الفلسفة من جامعة « مونيخ » . وهى روائية وشاعرة وصاحبة تآليف فى مختلف الموضوعات . وهى عضو فى الجمعية الملكية للآداب . وهى كذلك عضو فى عدد من الجمعيات الجيولوجية . وفى الجمعية العلمية المسماة باسم العالم السويدى « لينيوس » الذى اشتهر بتقسيمه أجناس الحيوانات وأصناف الخضر وأنواع المعادن إلى طبقات متعددة ، وفقاً لخصائص معينة .

والدكتورة « ستوبس » هى مؤسسة أول عيادة أنشئت فى العالم للحد من النسل . وقد كانت وما زالت تعنى العناية كلها بالعمل على العناية بشئون الأطفال وإسعادهم .

وقد جاء فى مقالها الذى أسلفنا الإشارة إليه قولها :

إنى أقتبس من الفصل الافتتاحى من كتاب الدكتور « تشيسر » ما يلى :

على الساق اليمنى ثمانية ندوب تشبه الحروق التى يحدثها السكى بمسعر النار . وسمة كبرى وأخرى أصغر منها يغطيان الإلية اليمنى ويمتدان إلى منتصف الظهر . وثمانية ندوب — قد تكون متعفنة — فى منطقة أصل الفخذ . وسبع قرحات ملتهبة فوق العجيزة . وقرحة فوق العظم الوجنى . أما الأنف فقد تشوهت وبدت فوق قصبتها قرحة . وأما مظهر الجسم فيبدو عليه الهزال والشحوب . وتفوح منه رائحة نتنة بسبب عدم الاستحمام .

وأما غطاء الصبى فكان ملقى فى زاوية من زوايا الحائط وهو مكون من قطعة رثة من المشمع ، ومن خرق مهلهلة . وتفوح منها كلها روائح كريهة . وليس فى الغرفة وسادة . ولا لحاف ، ولا حشية . واستطردت الدكتورة « ستوبس » بعد ذلك تقول : وكل فصل من فصول الكتاب الاثنى عشر يُفتتح بقصة هى أشنع وأشد هولا من سابقتها يقص فيها المؤلف قصة غلام جديد .

والكثير الغالب من ألوان هذه الفظائع إنما يرتكبه الأبوان . ولو أن بعض هؤلاء الغيلان هم أزواج الأمهات أو زوجات الآباء .

وقد وصف المؤلف أحد هؤلاء الغيلان فقال عنه : إنه مسيحى ممن يقيمون الصلاة .

ثم تقول الكاتبة : وهذا الكتاب إنما هو سلاح

فى العهد الجديد (راجع الأهرام فى ١٩٥٢/٨/٢٤ ، ١٩٥٢/٨/٢٥) .

ويحتاج القيام بحركة تصنيع البلاد تصنيعاً واسعاً إلى اتخاذ الوسائل التى تحقق هذا الهدف ، وأهمها :

١ — الاستعانة بالخبرة الأجنبيــة ، وذلك يكون عن طريقين : أولاهما استقدام الخبراء والفنيين فى شتى الصناعات لتدريب الصناع المصريين ، وثانيهما : إيفاد البعثات المصرية إلى مصانع البلاد الأجنبية .

٢ — تجنيد كل القوى الإنتاجية فى البلد ، وتقوية الخبرات الفنية المصرية .

٣ — حماية الدولة للصناعات المصرية الجديدة والترقية بما يتلاءم معها من أنواع الحمايات .

٤ — إنشاء لجنة أو وزارة للإنشاء والتعمير ، يكون من أول مهامها القيام بحركة التصنيع والبلوغ بها إلى الذروة التى يرضاها الإصلاح الشامل والرقى المنشود . .

أحمد طه السنوسى

يحارب به المحاربون فى سبيل الإصلاح ؟ إذ قد أثبت الإحصاء — لسوء الحظ — أن فى بريطانيا عدداً لا يحصى من الأطفال التعساء .

وقد قالت الجمعية الأهلية للرفق بالأطفال إنها قامت بتحقيقات تجاوزت عدتها أربعين ألفاً فى العام المنتهى فى نهاية شهر فبراير من عام ١٩٥٠ ، فثبت لها أن من بين هذا العدد أربعة وعشرين ألف طفل قد تركوا سدى . وقد فقدوا الرعاية والعناية ، وأن أربعة آلاف آخرين قد كان نصيبهم الضرب وسوء المعاملة . وعلى الرغم من أن هناك ألفاً وثلاثين حالة من حالات الاعتداء المنكر الذى يبرر رفع الأمر إلى القضاء ، فإن هناك سبعاً وعشرين ألف حالة قد يكفى فيها أن ينذر المذنبون وأن يوضعوا تحت الرقابة . وسرد تفاصيل هذه الحالات مما يثير الاستنكار ويبعث على التقزز لحدوثها فى بلاد متحضرة .

وتقول الدكتورة : إننا نريد أن نعرف أ كان آباء أولئك الأطفال كلهم من البريطانيين ؟ إذ أن معرفة جنسية الأمهات والآباء ضرورية جداً . ثم ما نسبة الآباء الأجانب أو الذين اختلط بهم الدم الأجنبى ؟ ومن أى الأجناس هم ؟ كذلك نريد أن نعرف شيعهم وأديانهم . وفى أى قسم من أقسام المملكة هم يعيشون ؟

وقد يسهل على الباحث معرفة هـذه البيانات من سجلات القضايا التى حكم فيها القضاء ، وهذا ما يسهل بحث المشكلة فى جملتها . ثم تقول الدكتورة .

ويتساءل « الدكتور تشيسر » : وهذه القسوة كيف نبتت ؟ وهو يجيب على ذلك بقوله : إن منشأ هذه القسوة هو الطبيعة الإنسانية . وتأبى الدكتوره « ستويس » أن تقبل هذا القول على علاته ، وهى تقول : إن هذا الجواب لا يرضينى ، فأنا أريد معرفة جنس أصحاب هذه الطبيعة الإنسانية وأنا واحدة من اللائى لا يؤمن بالقول المضلل ، والذى يناقض أصول علم الأحياء وهو قول القائلين : إن الناس قد ولدوا سواء ؟ إذ كيف يصح هذا القول وكل واحد منا قد انحدر من سلالات مختلفة البيئة والوراثة . ثم تقول الدكتوره :

وفى الفصل الثالث من الكتاب يحلل الدكتور تشيسر ستمائة حالة من حالات الإهمال والقسوة التى عرضت فى ساحات القضاء ، ويقول إن الأسباب الغالبة هى :

أولا : أن الأطفال المقسو عليهم هم ممن كان لا يريدون لهم أن يجيئوا إلى هذه الدنيا ، ونسبة هؤ إلى المجموع هى ٣٧٫٨ ٪ .

ثانياً : ضعف عقلية الآباء ، وذلك فى أربع عشرة ومائتى حالة .

ثالثاً : تحميل الأمهات فوق ما يحتملن من العمل المرهق ، وذلك فى تسع وأربعين ومائة حالة .

رابعاً : الفقر ، وذلك فى ثلاث وأربعين ومائة حالة .

خامساً : حالات المرض ، وذلك فى اثنتى عشرة ومائة حالة .

سادساً : تشتت شمل الحياة العائلية وذلك فى ثمان ومائة حالة ، ومما يثير الدهشة ويبعث على العجب أن الخمر قد لعبت أصغر دور فى هذه الحالات إذ لم تظهر آثارها إلا فى خمس وأربعين حالة أو ما يمثل ٧٫٥ ٪ .

وهذا ما يرد الواهمين إلى صوابهم ، وهم الذين إذا سمعوا بالقسوة على الأطفال قالوا : « إنها الخمر » . وهم يحسبون أنهم بهذا القول قد حلوا المشكلة ، وقضوا على آثارها .

والدكتور « تشيسر » يعنى العناية كلها بموضوع الأمهات المثقلات بالأحمال ، وبموضوع الأطفال غير المرغوب فيهم . فيقول عن الأم المثقلة بأحمالها : لو فرضنا أنه قد وكل إليك أمر إعالة ثمانية أطفال وكان دخلك لا يزيد عن خمسة جنيهات أو ستة فى الأسبوع ؛ ألست ترى أن هذا خطب قد تجاوز المدى ؟ .

ولو فرضنا أن الدخل كان أكثر : ألا ترى أن عملية الحمل إذ تتكرر ثمانى مرات تنهك قوى الأم وتغيض من ماء شبابها ؟ .

وألا ترى أيضاً أن رعايتهم والسهر على تنشئتهم تستنفد منها القوتين العقلية والعصبية ؟ .

وبعد أن جاء المؤلف بحجج لا تدحض ضد الجهل السائد المؤدى إلى الحمل غير المرغوب فيه وإلى الإجهاض فى الأزقة والحارات ، وإلى وجود أطفال غير مرغوب فيهم قال : نستطيع نحن الآن أن ننقذ حياة كثير من الأطفال كان يمكن أن يكونوا يوماً مما ضحايا أمراض الطفولة . وهو يبدىء القول ويعيده فى أن الإلمام الصحيح بأصول منع الحمل يجب أن يعمّ نشره كجزء من أصول الصحة العامة للأمة .

ثم تقول الدكتورة (ستويس) :

منذ أن أنشأت أنا فى عام ١٩٢١ العيادة الأولى (وهى لا تزال قائمة) التى تعنى بمسائل الحد من النسل حاولت بمختلف الوسائل أن أحصل على معاونة الجماعات الحريصة على إسعاد الأطفال . وكنت على يقين أن حسن القيام على الحد من النسل هو الحجر الأساسى فى بناء العائلة ؛ إذ عليه تتوقف صحة وسعادة الجمهرة العظمى من الأمهات وأطفالهن .

ثم يجىء الدكتور تشيسر فيطيل التأمل فى الاعتلال العصبى « الذى أصاب الحضارة ويستعرض بعض السبل التى ينفق الناس فى سبيلها أموالهم . فيذكرنا بأن ٧٧٢ مليونا من الجنيهات قد أنفقت فى بريطانيا فى سنة واحدة — وهى سنة ١٩٤٨ — على الدخان وحده . وهو ما يمثل أكثر من ثلث ما ينفقه الناس على طعامهم . وأن مبلغا يتراوح بين ٦٠٠ ، ٧٠٠ مليوناً من الجنيهات قد أنفق على القمار . فإذا أضفت إلى هذين المبلغين ما ينفق على الشراب علمت أن الأمة تنفق على دخانها وقمارها وشرابها مبلغاً يساوى ما تنفقه على طعامها .

ومن هذه الأرقام يتبين لنا عدم الرضا عن الحيـــاة الذى تفيض به نفوس الناس . وليس ضرر هــذا وقفاً على الحاضر ، بل إنه مؤد إلى أن الأطفال قد أصبحوا مقودين فى الحياة إلى اتجاهات خاطئة . حتى إذا كبر هؤلاء الأطفال ورثوا أطفالهم ما ورثوه هم عن آبائهم .

ثم يختتم الدكتور « تشيسر » بياناته فيقول : إنى أرى أن التدخين وشرب الخمر والمقامرة والإدمان على المخدرات والشذوذ الجنسى . بل حتى جرائم العنف إنما تنشأ كلها عن انحراف فى إشباع الحاجات الطبيعية أو هى رد فعل يحدث فى حالة عدم إشباع تلك الحاجات .

ثم يتكلم الدكتور عن عقوبات من تثبت إدانتهم فى قضايا القسوة فيقول :

إنى أريد لهم عقابا حازماً حاسماً ولآجال قصيرة ثم علاجاً مناسباً ممتد الأجل حتى لا تتكرر منهم الجريمة . وهو يطالب بسن « قانون للأطفال » يمكن القائمين بالأمر من تدارك الأمور قبل أن تستعصى على الحل ...

(٢) « مورافيا » الكاتب الإيطالى

للكاتب ك . فان هوك .

"Moravia of Italy" by "K. Van Hoek"

قال الكاتب :

ليس من اليسير على الباحث فى أدب أمة أن يختار خير من يمثل آداب عصره ، وبخاصــة إذا كانت تلك الأمة قد أنجبت غير واحـد من الكتاب القادرين وكلهم يزعم أنه الجواد السابق فى ميدانه .

وفضلاً عن ذلك فإن لإيطاليا ثلاث عواصم مختلفة للثقافة . وبينما لا يجد الباحث غير باريس واحدة لفرنسا كلها . وغير لندن واحدة لبريطانيا جميعها ، فإن واجد لفرنسا « وميلانو » وهما تزاحمان « روما » وتنازعانها السيادة فى ميدان الأدب وفى تعميم نشره .

أما أنا فقد ألفيت أن خير من يمثلون الأدب الإيطالى المعاصر هم ثلاثة كتاب . أحدهم جيوفانى بابينى وهو اليوم فى السبعين من عمره . وهو جبار من جبابرة العقل وإن كان النقاد من جماعة الفن للفن يغفلون شأنه ، ويتجاهلون قدره .

أما الكاتب المعروف خير معرفة فى خارج البلاد الإيطالية فهو « إجنازيو سيلونى » وقد شغل نفسه بالمسائل السياسية منذ عودته من منفاه فى عام ١٩٤٤ .

ولذلك فقد اخترت « ألبرتو مورافيا » ، ذلك لأنه من بين الكتاب الشبان أكثرهم قراء . وذلك لأنه أكثر الكتاب إيطالية فى العصر الحديث .

وقد كان والد هــذا الكاتب مهندساً معمارياً فى مدينة البندقية . أما هو فقد ولد فى مدينة روما قبالة حديقة من الحدائق العامة .

وهو يحب العيش فى المدن . ويرى فى روما البلد الذى تكفيه مساحة رقعته . ويرى فى لندن ونيويورك ضخامة تذهل اللب .

وهو إذا جاء فصــل الصيف شد رحاله إلى شاطئ البحر . وقد أصبحت السباحة والسير على الأقدام أحب الهوايات عنده وهو قبل ذلك رجل يجيد التجذيف .

وقد سألته يوماً أين تقيم الآن قال : إلى جانب مغرب الشمس ! وقد قال عن أيام طفولته إن أبويه قد أرادا أن

بوجهاء وجهة رجال السلك الدبلوماسي فجاؤوا له بالحاضنات والمربيات . فهذه ألمانية . وتلك إنجليزية . وأخرى أمريكية ورابعة فرنسية . وخامسة روسية . ذلك لأن أمه كانت صعبة الرضا . وهذا التنوع في الحاضنات قد أكسبه طلاقة في اللغات غير عادية .

أما اللغة الفرنسية فكانت لغته الثانية منذ كان في الخامسة من عمره . وكان يقول الشعر بالفرنسية وهو لا يزال صبياً.

وأما إنجليزيته فكانت لا عيب فيها إذا استثنينا ما يشوبها من رطانة سريعة إيطالية تجعل الكلمات تتراكب وتذكر المرء بتراكب حروف الطباعة التي يلامس بعضها بعضاً .

وقد كان في سني شبابه الأولى يشكو من مرض « سل العظام » . وقضى معظم سني حياته بين التاسعة والسابعة عشرة طريح الفراش . وظل شبه مقعد حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره حيث أبرأته من علته شمس جبال الألب العالية . ولم يبق من آثار المرض غير شيء من عرج قليل في ساقه اليمنى . وقد عوض ما فاته من علم بسبب « مرضه الطويل » بالرحلات الكثيرة المختلفة . وزار فيما زار بلاد أوروبا كلها ثم الصين ثم الولايات المتحدة الأمريكية وبلاد المكسيك .

وقد ظل مختفياً عن الأنظار أيام الحكم الفاشستي ، فلما أزيح موسوليني عن منصة الحكم تنفس « موراڤيا » نسيم الحرية مرة أخرى .

أما زوجته فهي « إلسا مورانتي » . وقد ولدت في روما وهي ابنة رجل من صقلية . وهي كاتبة ممتازة وأقصوصتها الرواية الخفية ومسرحيتها « بيت الكذابين » قد نشرتا في أمريكا .

« وموراڤيا » وزجته يختلفان الاختلاف كله من حيث الطباع . وكذلك تختلف كتبهما ورواياتهما . وقد عقد عقد زواجهما راهب اسمه الأب « تاكي فنتوري » وهو من رهبان الجزويت . وهذا الراهب معروف بين القوم في روما باسم « المتعطل الكبير » ذلك لأنهم كانوا يظنون أنه كان يتلقى اعتراف موسوليني . وموسوليني لم يكن يمارس سر الاعتراف أبداً . ولكنه كان يوقر قسيسه الحكيم التوقير كله . وكان يستشيره أحيانا .

« وموراڤيا » في هذا يشبه موسوليني وقد سألته في هذا فقال : —

لقد ولدت كاثوليكياً شأني في ذلك شأن ٩٩ و ٩٩ في المائة من الإيطاليين ولو كتب لي أن أمارس طقوس أية ديانة لمارست طقوس الديانة الكاثوليكية .

ولكن اتفق لي أني لا أؤمن بالدين . ثم استطرد « موراڤيا » يقول :

ولقد ألفيت الكثرة الغالبة من الكاثوليكيين غير الإيطاليين هم أكثر كاثوليكية من قوم إيطاليا . وكذلك ألفيت أن الكاثوليكيين في بلاد الشمال هم أعمق كاثوليكية وذلك لامتزاج كاثوليكيتهم بشيء من البروتستانتية .

وقد كتب « موراڤيا » أول رواية له يوم كان في الحادية عشرة من عمره . وهو اليوم يريد أن ينسى تلك الرواية .

وقد ذاع صيته يوم كتب روايته « امرأة في روما » وهي التي بيعت من طبعتها الإنجليزية نصف مليون نسخة . وقد بدأ تأليفها كأنه رصة .

وقد كان يعرف الفتاة التي اتخذ اسمها ومظهرها الجسماني أداة لإظهار بطلة روايته . وهي رواية تمثل صورة واقعية من صور الحياة التي تصور الحب التي تتخذه غانية من الغانيات حرفة لها ووسيلة كسب .

وهي في جفافها وقلة مائيها أشبه برواية « دانيل ديفو » التي سماها « مول فلاندرز » .

واليوم وقد بلغ « موراڤيا » الرابعة والأربعين من عمره فقد وخط الشيب عارضيه : ولكن وجهه لا يزال حلو القسمات .

« وموراڤيا » أميل إلى الطول منه إلى القصر . وهو صاحب ذوق بديع في اختيار ملابسه . وأكبر الظن أن لو لبس ملابس من الكتان لبدا فيها مليحاً كل الملاحة .

وهو محدث لبق . حلو الحديث . ندي الصوت . واضح الجرس . وهو فوق ذلك كله ملول قلق . وقد تبينت ذلك فيه يوم زرته وقضيت معه ثلاث ساعات لم بن فيها دقيقة واحدة عن لمس خده . أو فرك أذنه . أو دلك ذقنه . أو أنفه . أو عينه . أو حك رقبته . وهذه كلها علامات القلق العصبي عند ذلك الكاتب المبدع الذي لا جدال في أنه أحد كتّاب الجيل البارعين . . .

مبارك إبراهيم

نقد

كتابان طريفان

فى المحاضرات والمحاورات والنوادر

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

إذا كنا نعد كتابى « عيون الأخبار » و « العقد الفريد » من الكتب الوثيقة فى رواية الأخبار الأدبية ، ومن المراجع الهامة للمؤرخ أو الأديب ، فإنه لا يفوتنا أن نعد بجانبهما عشرات من كتب الأخبار والطرائف للجاحظ والبيهقى وابن عربى والقالى والدينورى وابن عربشاه والطرطوشى وغيرهم .

وأمامنا الآن كتابان فى الأخبار والطرائف والنوادر والمسامرات ، يمثل أولهما ثقافة القرن الخامس الهجرى واتجاه الأدب فيه ، ويمثل ثانيهما ثقافة القرن التاسع الهجرى ومجموعة المعارف التى يجب أن يلم بها الأديب ، حتى ينصت إليه فى المجالس ، ويدير الأحاديث فى المجتمعات .

وأول الكتابين هو : « محاضرات الأدباء ، ومحاورات الشعراء والبلغاء » للعالم اللغوى الأديب : أبى القاسم الحسين ابن محمد ، المعروف بالراغب الأصفهانى ، والذى يلقبه السيوطى بالمفضل بن محمد الراغب . ولم يكتف الراغب الأصفهانى بمقدمته فى تفسير القرآن الكريم ، وبكتابه الثمين فى مفردات غريب القرآن ، وبكتابيه الآخرين : الذريعة إلى مكارم الشريعة ، وتفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين . . . لم يكتف بهذه الكتب التى رفعته إلى أعلى مكان فى تاريخ التأليف الإسلامى ، بل شاء أن يضيف إليها كتاب المحاضرات الذى يدل على باع طويل فى الأدب ، وعلى إحاطة واسعة بالأخبار ، وعلى ذوق سليم فى تخير الطرائف ، وضم الأشباه إلى أشباهها ، والنظائر إلى نظائرها .

وتتجلى عقلية الراغب الأصفهانى وقيمته فيما ألف أو جمع من الكتب . فقد روى صاحب كتاب « كشف الظنون » أن الإمام الغزالى كان يستصحب كتاب « الذريعة » دائماً ويستحسنه لنفاسته . وحسبك برجل كالغزالى يثنى على كتاب .

ويفصح لنا « الراغب » فى مقدمة محاضراته عن الغرض الحقيقى من تأليفه لهذا الكتاب . فقد قصد أن يعين طلاب الأدب بجمع طائفة كثيرة من الأخبار والنوادر والأشعار ، حتى يتمكن الأديب بعد استيعابها من أن يصير طلق اللسان ، ذلق البيان « فكم من أديب تتقاعد به بداهة المقال ، فى كثير من الأحوال ، فلا يجد من فهمه مساعفة ، ولا من علمه مكاتفة » .

ولعل « الراغب » لم يخرج فى قصده عما عناه سابقوه من جمع كتب الأخبار والنوادر ، إلا أن الرجل حين تأخر به الزمن إلى أخريات القرن الخامس الهجرى استطاع أن يجمع فى خمسة قرون من أخبار العرب والمسلمين ونوادرهم وأشعارهم ما لم يتح مثله فى الكثرة لمؤلف فى القرن الثالث كابن قتيبة مثلا . . . فإن حصيلة خمسمائة عام من الشعر والأدب والرواية تفوق بالبداهة حصيلة قرنين أو ثلاثة من القرون .

ولا تمتاز « محاضرات » الراغب الأصبهانى بإحاطتها وكثرة أخبارها ونوادرها وأشعارها فحسب ، وإنما تمتاز بأنها تجمع فى الموضوع الواحد كل ما يخطر على البال جمعه من آى القرآن ، وحديث الرسول عليه السلام ، وأقوال الحكماء ، وأشعار الشعراء ، وطريف النوادر ، وصحيح الأخبار . فيبدأ الكلام فى الموضوع الذى يعالجه بذكر الآية القرآنية أو الآيات التى تؤيده وتسنده ، فإذا لم يجد فى كتاب الله ما يستشهد به عمد إلى الحديث الشريف ، أو إلى قول صحابى جليل ، أو إلى رأى حكيم ، سواء أكان من حكماء العرب أم من حكماء غيرهم من الأمم كالفرس والهند ، واليونان .

وقد جعل « الراغب » موضوعات الكتاب حدوداً ، ولكل حد فصول تتصل به اتصال الفرع بالأصل .

فموضوع العطاء والاستعطاء ، مثلا ، وهو الحد التاسع من الكتاب ، يدخل تحته فصول ستة هي قصد أولى الأفضال ، والسؤال ، والوعد والإنجاز والمطل ، والشفاعات ، والجود والأجواد ، والبخل بالأموال .

ولقد ضيق « الراغب » الحدود إلى خمسة وعشرين ، على حين أن « الأبشيهى » صاحب كتاب « المستطرف » قد جعل أبواب كتابه أربعة وثمانين باباً . . .

وينبغى أن لا تهولنا كثرة عدد الأبواب عند « الأبشيهى » فإن فصول كتاب الراغب الأصفهانى « التى تدخل تحت حدوده الخمسة والعشرين تزيد كثيرا على أبواب كتاب المستطرف » .

« والمستطرف فى كل فن مستظرف » هو ثانى الكتابين اللذين جعلناهما موضوع حديثنا اليوم . وقد ألفه — أو جمعه — صاحبه الأبشيهى فى القرن التاسع الهجرى . والأبشيهى هذا هو من رجال الأدب المصرى فى المائة التاسعة . وقد ترجم له المؤرخ شمس الدين السخاوى فى الجزء السابع من كتابه « الضوء اللامع ، لأهل القرن التاسع » الذى نشره الأستاذ حسام الدين القدسى ، فأحيا به أثرا علميا مهماً لتراجم الرجال فى المائة التاسعة .

وعلى الرغم من طرافة « المستطرف » وازدحامه بالنوادر والأخبار والحكايات والأشعار والمعارف العامة ، فإنا نلمح فيه ضعفا فى الأسلوب هو نتاج العصر الذى عاش فيه الأبشيهى من ناحية ، ونتاج للثقافة التى حصل عليها الأبشيهى من ناحية أخرى . . فإنه على الرغم من تتلمذه على الجلال البلقينى وغيره من علماء مصر لم يتعلم النحو . ويقول فيه مؤرخه السخاوى : (ولكنه لعدم إلمامه بشىء من النحو يقع فيه وفى كلامه اللحن كثيرا) . ولا نجد هذه الظاهرة — ظاهرة الضعف فى النحو — فى كتاب « الراغب الأصفهانى » الذى تمكن من اللغة والنحو تمكنا جعله من أئمتهما فى عصره .

ورواية الشعر فى الكتابين تدلنا على حقيقة واحدة وهى العناء الشديد الذى يصادفه المؤلف حين يريد أن ينسب شعراً لقائله ، ولكن يبدو لنا من عرض الكتابين أن « الراغب » كان أحفظ للشعر وأعرف بالروايات والرواة من « الأبشيهى » . فأغلب ما رواه الأصبهانى من الشعر منسوب إلى قائليه ، وهى نسبة صحيحة فى الكثرة الكاثرة . . . أما الأبشيهى فيكتفى من النسبة بقوله : قال الشاعر . وقال الآخر ، وقال غيره . . . إلا أن النصفة تقتضينا أن نقول إنه لم يغفل ذكر أسماء الشعراء فى مواطن كثيرة من الكتاب . ولكن الراغب الأصبهانى يزيد عليه كثيراً فى الحرص البالغ على نسبة الأشعار إلى أصحابها .

وقد قصر « الراغب » كتابه على المحاضرات والنوادر ، فلم يزحمه بذكر المعارف والمعلومات التى قصد إليها « الأبشيهى » فى كتابه المستطرف . ولعل الأبشيهى كان متأثراً فى هذا بروح عصره ، فأراد أن يعطى الأديب فى كتابه طائفة من المعلومات والمعارف التى تكمل ثقافته الأدبية الإخبارية . ومن هنا نرى فى « المستطرف » فصولا كثيرة عن الدواب ، والوحوش ، والطير ، والهوام ، والحشرات ، والجبال ، وغرائب المبانى ، والمعادن . والأحجار وخواصها . . . وغير ذلك من المسائل التى تدخل فى كتب الموسوعات ، أو كتب الحيوان ، أو كتب تقسيم البلدان .

وقد جمع الأبشيهى بالطبع خصائص المعادن والحيوان والطيور من غيره من المؤلفين الذين سبقوه بالكلام عنها ؛ فهو هنا ناقل وجامع . ولم يخرج على روح عصره حين عرض خصائص الطير مثلا عرض مصدق لها ومؤمن بها . . . فنراه ينقل عن خواص الغراب أنه إذا علق منقاره على إنسان زالت عنه العين . . . ونراه ينقل عن خواص الحجل ، والظبى ، والعواحت ، والفأرة مالا نود أن نضيع به وقت القراء الكرام

وعلى الرغم من هذه الناحية التى نعدها موضع ملاحظة فى كتاب « المستطرف » فإننا نجد فيه من الفوائد الأدبية والتاريخية مالا نجده فى كتاب آخر قبله . فقد كنا نتساءل لماذا لم ينظم حسان بن ثابت مرثية فى الرسول عليه السلام مع أنه كان شاعره بل شاعر الدعوة الإسلامية كلها ؟ إلى أن ظفرنا بهذا الخبر فى باب المراثى من الكتاب : (قيل لحسان : مالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لم أر شيئا إلا رأيته يقصر عنه) .

محمد عبد الغنى حسن

بين المجلة وقرائها

من الأستاذ عمر عبد العزيز الأقصرى :

بعث إلينا الأستاذ عمر عبد العزيز الأقصرى بمقال طريف فيه تفكير عميق وإخلاص صادق للثورة وفيه مقترحات كثيرة يسرنا أن نقول إن منها ما تحقق فعلاً حتى أصبح المقال لو نشر لا يزيد على تقرير حقيقة واقعة .

وقد صدق الأستاذ حين قال إن جمهور الأمة من صفوف الشعب ما يزال فى حاجة إلى الإحساس العميق بمعنى هذه الثورة الشعبية وغاياتها ودلالتها . ونحن نوافقه على هذا الرأى كل الموافقة ، ونرجو أن يتحقق أمله فى أن يتنبه الشعب إلى حياته الجديدة ، وأن يفتح عينيه لنور الفجر الجديد الذى طلع عليه . وهو يرى أن أول عناصر الإصلاح يجب أن تكون القضاء على مظاهر الفساد الخلقى والتبذل والعبث وهى الآفات التى تفتك بالمجتمع المصرى . ونحن نوافقه على هذا الرأى كل الموافقة . ولكنه يرى أنه لا بأس من تأخير القضاء على نظام الطبقات إلى ما بعد تطهير مظاهر الفساد الخلقى . وهنا نخالف الكاتب الأديب كل المخالفة ، لأن الإصلاح يبدأ من إزالة هذا النظام الفاسد الذى لا شك فى أنه هو الأساس الذى قامت عليه المفاسد التى تشكو البلاد منها . المحرر

ننشر هذه الأنة الحزينة الباكية لما فيها من عاطفة صادقة ، غير أننا نحس الأسى الشديد لهذا الشباب الذى يستسلم لأحزانه ويأسه . وقد طلع على البلاد فجر نهضة جديدة جديرة بأن تبعث الأمل فى كل القلوب ولا نقول القلوب الشابة . دع أيها الشباب هذه الأنغام اليائسة ، وانشد لنا أنشودة جديدة باسمة تفيض أملا وقوة . الحياة مغامرة نبيلة فأقبل أيها الشاب الشاعر على المغامرة النبيلة . المحرر

دموع

إنى أموت . . . أموت والدنيا على قلبى دموع
حمراء ، كالدم ، كاللهيب ، كأنة الأمل الصريع
كاللوعة الشكلى ، كالام الصبا الباكى المروع
إنى أموت ولم أزل أحبو إلى صدر الربيع

وحدى مع الأيام والظلمات تحتضن الطريق
وحدى مع الدنيا أتيه لا حبيب ولا رفيق
إلا كآبة عمرىَ المكدود واليأس العميق
وطفقت أبحث فى الضباب عن الصديق ولا صديق

أين الشباب ؟ وقد بلغت كما يقولون : الشباب ؟
إنى أعيش على السراب . وكم ظمئت إلى السراب ! !
وطويت فى جنبىّ أحلامى وآمالى العذاب
حطمت قيثارى ومزمارى وأوتار الرباب

لحنى . . وأنغامى . . ترانيمى بكاء الحائرين
السائرين مع الشقاء الراكضين مع الجنون
الضاربين مع الأسى فى الموكب الدامى الحزين
الحائرين مع الشقاء الشاردين مع الشجون

يا ضيعة العمر الممزق بين أنياب الظلام
قضيته بين الدموع فلم أعدّ إلا حطام
فى معبد الآلام والأحزان فى دنيا الرغام
فى أنة المجروح فى نوح الثكالى فى الضرام

ماذا جنيت من الحياة ومن أعاصير الدهور
إلا التعاسة والأسى والحزن والألم المرير
والمبدأ المخبول فى دنيا المفاسد والشرور
والدمعة الحيرى ترقرق فى الغدوة والبكور

يا يأس ... يا أحزان ... يا أتراح ... يا ألم السنين
هذا أنا ألقى على كتفى تهاويل القرون
هذا أنا لن تسمعى منى سوى واهى الأنين
ولَوَ انَّ جسمى الناحل الممروق من ماء وطين

إنى أحسّ الموت يتبع خطوى الواهى الكليل
فى كلّ ما ألقاه حتى فى اهتزازات النخيل
فى همسة الأدواح فى ألق الصباح على السهول
فى الفجر يبدو فى احتضار الشمس فى شجن الأصيل

(قويسنا — أشليم) أحمد إبراهيم عياد

القاهرة في ضوء القمر (1)

للأستاذ محمد فهمي

يُشارفها البـــدر كالمستها
م ويسكبُ من نوره اللؤلؤيْ
فتنعس ... في لجَّةٍ من ضيا
ء وتحلم ... يا حلمها العبقـــريْ !
تأمَّلْ ... تراها كزنجيَّـــةٍ
ترامَتْ على الشاطىء العسجديْ
ومدَّتْ ذراعين عَـــبر الرما
لِ وعبر حقول السنا السنــدسيْ
تغلّفها ساجيات الظـــلال
ترفّ ببحر الضـــياء السنيْ
كأن الوجود سنا مقلـــةٍ
وتلك الظلال ... السواد الشهى ..

* * *

توسَّدَتْ النيل في مخـــدعٍ
يهدهـــده الموجُ عَذْبَ النغمْ
ويسكبُ في أذنَيها الغنـــا
ء نشـــيد القرون عريقَ القِدَمْ
يزفّ لها راقصـــاتِ المُنى
وينهض في ضـــمةٍ تصطرم
فتغفو على صـــدره المُستثار
وتبسم اذ شاقهـــا في الحُلُمْ

* * *

رُوَيْدك ... هذى طيوف الدُّجى
تهـــوِّم للفتنة النائمـــة
تطوف على رَبَوات الفيـــا
م نُفاوحهم بالرؤى الباسمـــة
تَخِذْن من الضوء ضافى الذيول
ملاعب رأْدُ السنا قائمة .....
تسابَقن من ومَضاتِ الشـــعا
ع ويسبحن في الموجـــة الحالمة
فكم في رحاب الفضـــاء همسة
وكم في أعالى الذرى هائمةْ ..

* * *

وخلف النوافذ كم من خـــلىٍّ
وكم من غـــريقٍ بأشجانهِ
ومن ساهرٍ يشتـــكى بُرْحَهُ
طواه الضـــنى بين أحضانهِ
ومنهزمٍ في صراع الحيـــاة
يضجُّ الصرير بأســـنانهِ
ومحتضنٍ إلْفَهُ والمُـــنَى
كطـــيرين في الروض في بانهِ
تســـاقوا من الحب ريق النعـ
يم فيا للخلود ورضوانهِ .. !

* * *

أرى الكون نَضَّدَ أعراسَـــهُ
ومـــدَّ سُرادقَهُ للسماءْ

(1) من ديوان أشجان للأستاذ محمد فهمي (تحت الطبع)

وأبدى المفاتن شتّى العيو
نِ تأنق في وَشْيها مايشاء
وتَوّجها بعروس الدُّجى
مثيرِ الفتون وربُّ البهاء ...
فسلسل روح الهوى في الوجود
ونثّرهُ في رحاب الفضاء .....
وأشعل في كل حيّ جوىً
ومسّ الجماد فلبّى النداء ....

***

فيا ناعمين بظلّ الفرا
ش إلى البدر هيّا لتمجيدهِ
تجلّى على صَفَحاتِ السما
ء ووشّحهنّ بتنضيدهِ ......
وفاضَ على الأرض من رونقٍ
سنا الخلد مَن لي بتخليده ..؟!
هنا فتنة الكون في عُرْسها
هنا موكب النور في عيدِهِ ..

***

هنا النيل يبدو كحوريّةٍ
نَضَتْ تستحمّ بفيض السنا
تَموّجُ بالنور أعطافُها
كأن يهنّ بريقَ المُنَى .....
ويرنو لها البدر في قبلةٍ
فينتثر الماسُ أنّي رنا
ويرقص إشعاعه في الضّفا
فِ على نغمٍ طائفٍ بالدُّنا

***

ومرّحتُ طرفيَ نحو الجزيرة
تسفُر في الليلة المقمرة(١)
فأبصرتُ فتنتها تستحيـ
ـل ضبابا من النور في مجمرةْ
بدا الأيك ... كالمسك في لونه
سوادٌ ولكن ما أبهره .....
تحفُّ به خاشعاتُ النخيـ
ـل خشوع الخطيئةِ للمغفرةْ

***

وقفتُ كأني على ربوةٍ
من الخلد أو سدرة المنتهى
تكشّفُ أسرارُها الرائعا
تُ مفاتنَ تُغشي عيون النُّهى
تخدّرها بعبير السنا
ء وتحتضن الروح في أسرها
تفاوحها بَسَماتُ الخلـ
ـود تداعب مثل الرؤى جفنَها
فتحلم سكرى على نغمةٍ
قُبيلُ الملائكِ .. يحدو بها

***

ولوّحتُ للبدر في نشوتي
أفضتَ الضياء على الضفّتينْ
أرى النيل يخطر في بردةٍ
بريق الشعاع ووَمض اللُّجين
وألبستَهُ وَشْيَ ما حاكهُ
سناؤك من ريقِ النَّيّرينْ
ألا اسكب ضياءك في راحتيّ
فإني مددتُ لك الراحتينْ
لأنهل من نبعك المُجْتَبى
وأروي بقلبي لظى الشُّعلتين

محمد فهمي

(١) كان الشاعر واقفاً على جسر إسماعيل .

قصص

الضيف الطموح

للكاتب الأمريكي نثانيل هوثورن

للأستاذ محمد بدران

اجتمعت أسرة فى ليلة من ليالى شهر سبتمبر حول المدفأة تصطلى النار، وقد وضعت فوقها كومة عالية من الخشب الذى حملته السيول من أعالى الجبال، وكانت النار تضطرم فتضىء الحجرة بلهبها العظيم. وكانت تلوح على وجه الأب والأم غبطة هادئة رزينة، وكان الأطفال يضحكون، كما كانت الابنة الكبرى صورة للسعادة فى السابعة عشرة. أما الجدة التى جلست تطرز فى أدفأ مكان فى الحجرة فكانت هى السعادة فى سن الشيخوخة. لقد وجدت هذه الأسرة ما كانت تتمناه من الراحة فى أشد البقاع تعرضاً للريح العاتية والزمهرير. فقد كان بيتها فى فرضة بين التلال حيث تكون الريح عنيفة طوال أيام السنة وقارسة البرد فى فصل الشتاء، وكان يعلو فوق رؤوسهم جبل شامخ وعر المنحدر كثيراً ماتنهار منه الحجارة مقعقعة على جوانبه فتروعهم وتقض مضاجعهم فى سكون الليل.

وكانت الفتاة قد نطقت تواً بفكاهة ساذجة ملأت البيت كله غبطة ومرحاً حين هبت الريح من خلال الفرضة وخيل إليهم أنها وقفت عند كوخهم، وأخذت تدق الباب بصوت ملىء بالأسى والأنين قبل أن تواصل هبوبها إلى الوادى. وخيمت الكآبة عليهم لحظة قصيرة وإن لم يكن فى نغمات أصواتهم شىء غير عادى، ولكن السرور عاد إليهم حين رأوا مزلاج الباب ترفعه يد طارق لم يسمعوا وقع أقدامه خلال قصف الريح الصرصر العاتية التى سبقت مقدمه.

وفتح الباب شاب فى مقتبل العمر، وكانت تبدو على وجهه فى أول الأمر أمارات الحزن الذى يكاد يبلغ حد القنوط والذى يلازم من يسافر وحيداً بعد الغروب فى طريق موحش مقفر. فلما تحفت به الأسرة وشاهد مااستقبل به من مظاهر الترحيب زالت كآبته ووحشته وأحس كأن قلبه قد قفز من بين جنبيه ليلقاهم صغيرهم وكبيرهم، وما هى إلا نظرة وابتسامة حتى رفعت الكلفة فى طهارة وبساطة بين الطارق الغريب وكبرى بنات الأسرة، وصاح قائلا: «تلك هى النار التى أبتغيها وخاصة إذا كانت حولها هذه الجماعة الطيبة السارة».

ولم يكد الرجل الغريب الصريح الطيب القلب يقرب مقعده من النار حتى سمع فى الخارج صوت شبيه بوقع أقدام ثقال تندفع فوق منحدر الجبل الوعر، وكأن صاحبها كان يخطو خطوات واسعة سريعة، حتى إذا مر بالكوخ قفز قفزة كبيرة واصطدم بالمنحدر المقابل، وصمت أفراد الأسرة وحبسوا أنفاسهم لأنهم عرفوا مصدر الصوت. وحبس الضيف أيضاً أنفاسه، وقال رب البيت بعد أن سكن روعه «لقد قذفنا الجبل بحجر من حجارته مخافة أن ننساه، فهو يومىء إلينا برأسه أحياناً ويهددنا بأن ينقض علينا، ولكننا جيران قدامى نعيش معه فى وئام. هذا إلى أن بالقرب منا ملجأ أميناً إذا ماحدثته نفسه بأن ينقض علينا».

وكان الضيف رجلا كثير الأسفار طاف بالبلاد وحيدا حتى لقد كانت حياته كلها طريقا منعزلا عن خلق الله. ذلك أن مافى طبيعته من أنفة وحذر قد أبعده عمن عساهم أن يكونوا رفاقه لو أنه اختلط بهم. وكذلك كانت الأسرة التى حل ضيفا عليها تحس بما بين أفرادها من وحدة جامعة وعزلة عن العالم، وهما الوحدة والعزلة اللتان تغريانها بالاحتفاظ ببيتهما حرماً مقدساً لا يعتدى عليه الغريب رغم مافى طباعها

من كرم وحنان . لكن ذلك الشاب المهذب المثقف قد سرى فى قلبه من حيث لا يعلم شىء من العطف أوثق صلته بهذه الأسرة وأغراه بأن يفتح قلبه لأولئك السذج أبناء الجبال وجعلهم هم أيضا يتحدثون إليه بمثل ما يحدثهم به من ثقة وحرية .

وكان السر الكامن وراء أخلاق هذا الشاب هو طموحه العالى المجرد من المطامع المادية ، فقد كان يطيق أن يحيا حياة مغمورة ولكنه لم يكن يرضى أن ينساه الناس فى قبره . وقد استحالت فيه هذه الرغبة الملحة إلى أمل واسع ، وبفضل هذا الأمل الذى يراوده من زمن طويل كان شبه واثق من أن سنا المجد سيطل عليه فى كل خطوة من خطاه ، وإن كان فى هذا الوقت مغمورا لا يأبه به أحد من الناس . ولربما لم يسعفه هذا المجد الآن وهو يجتاز طريقه ، فإذا ما تطلع الخلف فيما بعد إلى ظلمات الحاضر تبين أن سنا خطاه ينير هذه الظلمات بعد أن يخبو كل مجد دنىء ويعلن أن إنسانا موهوبا قد سار من مهده إلى لحده دون أن يعبأ به أحد .

وصاح الرجل الغريب ، وقد تورد خداه وأبرقت عيناه من فرط حماسته — « إنى لم أقم بعمل ما حتى الآن ، ولو أننى اختفيت من هذا العالم غدا فلن يعرف هو عنى قدر ما تعرفون أنتم ، فأنتم تعرفون أن شابا مجهولا أقبل عليكم بعد الغروب وفتح قلبه لكم فى المساء ، ثم سار فى طريقه واجتاز الفرضة عند مطلع الشمس ثم لم يره أحد بعد . ولن يسأل إنسان قط — من هو هذا الشاب ؟ وإلى أين ذهب هذا الجائل ؟ ولكننى لن أموت حتى أتم ما هو مكتوب لى فى لوح القدر ، فإذا فعلت هذا فليأت الموت بعدئذ لأنى سأكون قد خلدت ذكرى » .

وقالت الزوجة وقد ترقرق الدمع فى عينيها : « إن أمرنا فى هذه الليلة لغريب ، والناس يقولون إن العقول إذا أخذت تتنقل من موضوع إلى موضوع على هذا النحو كان ذلك دليلا على شىء ما . أنصتوا إلى الأطفال » فأنصتوا إليهم ، وكان الصغار منهم قد آووا إلى مضاجعهم فى حجرة أخرى ترك الباب الذى بينها وبين الحجرة التى يجلسون فيها مفتوحا فكان الكبار يسمعون ما يدور بينهم من حديث ، وكأنهم كلهم قد سرت إليهم العدوى ممن يلتفون حول النار ، فأخذوا يتبارون فى الرغبات الجامحة العجيبة ومشروعات الأطفال وما سيقومون به من الأعمال إذا أصبحوا رجالا ونساء فى مستقبل الأيام .

وبينما كان الأطفال لاهين فى حديثهم ، والفتى والفتاة يتهامسان ، وكان هو يرقب حزنها وسعادتها ، وحياء الفتاة وأمانيها إذ أخذ صرير الريح للنار بالفرضة يزداد عمقا ويبعث الكآبة فى نفوس أهل الدار ، وبدا لهم ، كما قال الرجل الغريب الواسع الخيال كأنه ترديد لأهازيج أرواح العاصفة التى كانت تسكن أيام الهنود القدامى بين شعاب الجبال ، والتى جعلت من قللها ، وروابيها ، وثنياتها أمكنة مقدسة ، وخيل إليهم أنهم يسمعون نحيباً مقبلا من جهة الطريق كأن جنازة تمر بها .

وأرادت الأسرة أن تطرد هذه الكآبة التى خيمت عليها فأخذت تلقى غصون الصنوبر فى النار ، وأخذت الأوراق الجافة تطقطق ، وأخذ اللهب يرتفع ويكشف مرة أخرى عن منظر السلام والهناءة المتواضعة . ورفرف الضوء فوقهم كأنه يمازحهم ويلاطفهم ، وتلألأت فيه وجوه الأطفال الصغيرة تطل من فراشهم ، كما أسفر فى تلك الحجرة عن الأب صاحب البنية القوية ، وعن ملامح الأم المتحفظة التى تنم عن عواطف مقهورة ، وعن وجه الشاب صاحب الأنفة والكبرياء ، والفتاة التى بدأت تكتمل أنوثتها ، والجدة العجوز الطيبة القلب التى لا تزال تطرز فى أدفأ مكان — ثم رفعت هذه السيدة عينيها عن عملها وقالت ويداها لا تزالان تعملان ، وكانت هى ثانية المتكلمين :

« إن الكبار كما للصغار هم أيضا آراءهم ، لقد كنتم تضعون الخطط وتبنون الآمال ، وتصورون فى خيالكم هذا الشىء وذاك حتى حركتم مشاعرى أنا الأخرى ، فأخذت تصول وتجول . ترى أى شىء تستطيع المرأة العجوز أن تتمناه إذا لم يكن بينها وبين القبر إلا خطوة أو خطوتان ؟ إن هذه الأمانى يا أبنائى ستظل تراودنى ليلا ونهارا حتى أفضى بها إليكم » .

وقال الزوج والزوجة فى وقت واحد : « وما هى هذه الأمانى يا أماه ؟ » .

وبدأت السيدة العجوز حديثها ، وقد أحاطته بهالة من الغموض والخفاء جعلت الحاضرين يقتربون من النار ، فكانت

إنها أعدت أكفانها من بضع سنين .

وقالت الفتاة وهي ترتجف : «ولا تحدثي بهذا ياجدتي» .

لكن السيدة العجوز واصلت حديثها في جد غير عادي ، وهي مع ذلك تبتسم ابتسامة غريبة كأنها تسخر من حمقها : « إذا ما كفنت أمكم يا أبنائي ووضعت في جدثها ، أحب أن يمسك أحدكم بمرآة أمام وجهي » ومن يدري لعلي ألقي نظرة على نفسي لأتبين هل تم كل شيء كما أبغي ؟.

واستحوذت هذه الأفكار الرهيبة ساعة من الزمان على عقول السامعين ، فلم تنتبه هذه الجماعة المنكوبة إلى صوت يشق ظلام الليل البهيم ، ويعلو كأنه زئير العاصفة ، لم تنتبه إليه إلا بعد أن ازداد هولا ورعبا ، وارتجف من شدته البيت وكل من فيه . وبدا لهم أن قواعد الأرض نفسها قد دكت كأن هذا الصوت الرهيب هو نفخة الصور الأخيرة .

وتبادل الصغار والكبار نظرات الخوف والهلع وظلوا هنيهة ممتقعي الوجوه ، معقودي الألسنة واجمين لا يقوون على الحراك . ثم تفتحت شفاههم جميعا في وقت واحد عن تلك الصيحة الرهيبة : الانزلاق! الانزلاق! إن أبسط الألفاظ لا بد أن توحي بهول هذه الكارثة ، وما تبعثه في النفوس من هلع لا يستطاع النطق به ، وإن كانت هذه الألفاظ تعجز عن تصويره . لقد خرج هؤلاء المنكوبون من كوخهم يبحثون لهم عن ملجأ في مكان ظنوه آمن بقعة يستطيعون الوصول إليها ، وهي بقعة أقاموا فيها حاجزاً من نوع ما استعدادا لمثل هذا الخطر الداهم . ولكنهم قدروا فأخطأوا التقدير . ذلك أنهم بعملهم هذا قد خرجوا من مأمنهم وفروا إلى طريق الهلاك ، فقد هوى جانب الجبل بأكمله يحمل معه الدمار والهلاك . وقبل أن يصل إلى الكوخ انشعب إلى شعبتين ولم يحطم بابا أو نافذة ، بل غمر البيت وكل ما يجاوره وسد الطريق على المارة ودمر كل ما صادف طريقه الرهيب . وقبل أن تسكن جلجلة الصخور الهاوية شعاب الجبال ، سكن روع الضحايا وذهبت آلامهم ...ت أنفاسهم وأصبحت أرواحهم في أمن وسلام ولم ...حد على جثثهم .

وفي صباح اليوم التالي كان دخان ضئيل ينبعث من مدخنة الكوخ صاعدا فوق سفح الجبل . وفي داخله كانت النار لا تزال في المدفأة متقدة بلا لهب ، والكراسي مصفوفة حولها كأن ساكنيه قد خرجوا ليروا ما أحدثه الانزلاق من دمار ، وأنهم سيعودون ليحمدوا الله الذي أنجاهم بفضله من الهلاك . وقد ترك كل واحد منهم أثرا له يستدر الدمع من عيني كل من عرف هذه الأسرة المنكوبة ، وهل في الناس من لم يسمع بأسماء أفرادها ؟ لقد أخذ الناس يتناقلون قصتهم في أطراف البلاد ، وسيظلون يروونها فيما يروون من قصص هذه الجبال وسيرثيها الكتاب والشعراء زمناً طويلا .

وكان ثمة ظروف يظن معها بعضهم أن رجلا غريبا آوى إلى الكوخ في هذه الليلة المشئومة ، وأنه لاقى حتفه مع جميع من فيه ، ولكن غيرهم من الناس ينكرون هذا ويقولون إنهم لا يجدون سندا قويا لهذا الظن . ألا ما أتعس حظ الشاب ذي النفس العالية الذي كان يحلم بأن يخلد ذكره في هذه الأرض ! إن اسمه وشخصه سيظلان مجهولين أبد الدهر ، وسيظل تاريخه وأسلوب حياته ، وخططه سرا غامضا لا يعرف كنهه أحد ، وسيظل موته ووجوده كذلك موضعا للشك ومثارا للجدل .

ترى أي أفراد الجماعة لاقى أشد الآلام في ساعة الموت الرهيب ؟ .

محمد بدران

الثقافة

العـــدد ٧١٧
٢٢ من سبتمبر ١٩٥٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر

الثمن ٣٠ مليماً

صفحة

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز
الدكتور أحمد أمين

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف

الإدارة
١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٢٥٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العدد ٧١٧ الاثنين ٢ من محرم سنة ١٣٧٢ — ٢٢ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة عشرة

ماذا ينبغى لنا اليوم

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

لن نفرغ من التحدث عن وثبة مصر الكبرى التى أنقذتها من الطغيان ، ولن نفرغ من تأملها وتحليلها ، ولن نفرغ من مساءلة أنفسنا عن أسرارها وعن غاياتها وعن الخطوات أو الوثبات الجديدة الأخرى التى لا بد من أن تكمل ما بدأته هذه الوثبة الأولى . أقول إننا لن نفرغ من التحدث عن هذا كله ، لأن الحياة نفسها تطالبنا بأن نواصل تأمل هذه الوثبة وتحليلها ، والتساؤل عما ينبغى لنا أن نفعله فى الغد بعد مرور كل يوم من أيامنا ، لأن الحياة متجددة مستمرة لا تعرف الوقوف ، وهى تواجهنا فى كل يوم بل فى كل لحظة بظروف تدعونا إلى التفكير والتأمل والتحليل ومواجهة المواقف الجديدة . ومن أول ما ينبغى لنا أن نجلوه لأنفسنا ولغيرنا وأن نؤكده لأنفسنا ولغيرنا هو تحديد هذه الوثبة نفسها — وثبة من هى وأين بدأت وأين اتجهت ثم ما هى خطوتها التالية ؟

من الضرورى أن نوضح لأنفسنا ولغيرنا أن هذه الوثبة لم تبدأ فجأة كما يبدو للكثيرين ، ولم تكن فلتة من فلتات السلوك البشرى ، ولم تكن محدودة بغاية ضيقة المدى . إنها وثبة لا تقل عن ثورة نفسية عارمة اشتعلت فى النفوس مدة طويلة ، وبقيت تضطرم فى الأعماق أعواماً بعد أعوام ، وهى لا تقل عن نتيجة محتومة كان لا بد لها أن تقع فى يوم من الأيام قرب أو بعد . وهى لا تقل عن ثورة شاملة تقصد إلى إحياء مصر حياة كاملة ، وإلى إزالة كل بقايا العفن الذى كان يغشى حياتنا القومية من مخلفات الماضى البعيد والقريب .

وقد اجتمع عاملان كبيران على إحداث هذه الثورة العارمة الشاملة . ومن الخير أن نوضح لأنفسنا هذين العاملين حتى نتبين حقيقة موقفنا فى الحياة المقبلة .

والعامل الأول هو أن مصر قد بلغت من الرقى المادى والمعنوى ما جعلها جديرة بأن تحيا فى مستوى الشعوب الراقية الحية فى هذا القرن العشرين . فقد بلغ العمران فيها مبلغاً عظيماً بفضل نشاط أبنائها ونشاط النزلاء الأجانب فيها ، وبفضل موقعها الممتاز بين دول العالم . وقد بلغ الرقى الثقافى والعلمى فيها مبلغاً عظيماً أيضاً بفضل الجهود الكبرى التى بذلتها الأمة فى سبيل التعليم وإيفاد البعوث إلى أوربا وأمريكا ، ولا سيما فى السنوات العشرين الأخيرة . هذا إلى ما حدث فى البلاد من النشاط الصناعى فى أثناء الحرب الماضية وما صحب تلك الحرب من رخاء فى أسواق التجارة .

وأما العامل الثانى فهو أن النظام الاقتصادى والاجتماعى كان يزداد فساداً فى مدة هذه السنوات العشرين الماضية ، كما أن النظام السياسى كان فى تلك المدة مسايراً للنظام الاقتصادى والاجتماعى فى فساده .

فأصبحت البلاد موزعة مضطربة بين عامل التقدم والرقى ، وبين عامل الفساد والتأخر . فقد كانت جديرة

بحكم رقيها المادى والأدبى أن تتطور فى نظمها الاقتصادية والاجتماعية نحو نظام جديد يلائم التقدم الذى أحرزته ، ولكن النظم القائمة الفاسدة كانت أصلب من أن تتطور ، وكانت أطغى من أن تلائم بين نفسها وبين ظروف الحس القومى والقدرة القومية .

بل إن السنوات العشر التى صاحبت الحرب الأخيرة وما بعدها زادت النظام الاقتصادى الجامد فساداً على فساد ، وزادت النظام الاجتماعى فساداً على فساد ، لأن الربح المادى تحول إلى طبقة من صيادى المنافع ومن السوقة الجهلاء الذين استفادوا من ظروف الحرب بالتحلل من كل قيد أخلاقى .

ولما تكدست الأموال عند هذه الطبقة من السوقة الجهلاء ومن صيادى المنافع ، كان لذلك أثر عظيم فى الانهيار الخلقى الشامل الذى كان يشيع الخزى والانحلال فى أركان البلاد .

وهكذا صارت مصر أشبه بشاب اجتمعت له قوة الشباب وشدة الحس ودقة الفهم ، ثم وضعت حول عنقه ويديه ورجليه أغلال تحز فى جسمه ، وتدمى أعضاءه ، وتحدث فيه قروحاً سامة .

وبقيت مصر مدة سنين تحس بوطأة تلك القيود وبما ينالها من آلامها ومن أذاها ، فانطوت على نفسها حزينة بائسة يكاد اليأس يغلبها على الرغبة فى الحياة .

وهكذا بدأت الثورة تشتعل فى الخفاء تحت مظاهر الحزن والبؤس ، وبدأت تتحرك بالأنين والشكوى ، وأخذت صيحات شبابها القوى الجرئ تتحدى وتعنف شيئاً بعد شىء .

ولكن الثورة التى اشتعلت فى الخفاء كانت قوية فى صدور طائفة واحدة من طوائف الأمة — وهى الطبقة الوسطى المثقفة . هذه هى الطبقة التى أحست أكبر الإحساس بما هى فيه من ظلم ، وبما آلت إليه حال البلاد من الفساد ، وكانت هى الطبقة التى أحست كذلك بما كان ينبغى لها ولوطنها من الرقى والكرامة . وكان من الطبيعى أن تكون الطبقة الوسطى المثقفة هى أشد الطبقات شعوراً بالألم مما آلت إليه حال البلاد ، وأشدها شعورا بما ينبغى للأمة المصرية من رقى وكرامة ، لأن جمهور الشعب كان أكثر إحساسا بحاجاته المادية بعد أن طحنه الطغيان وسلبه كل حقه فى الحياة البشرية .

كان جمهور الشعب الكادح مشغولا عن المعنويات العليا بالسعى إلى الرزق ، ومشغولا عن معانى العدل والكرامة والاستقامة والنزاهة فى الحكم ، وما إلى ذلك من المعانى السامية ، لأنه كان غارقا فى هم الحصول على ما يسد أقل حاجات الحياة ، بل ما يمسك رمق الحياة . ولهذا كانت الطبقة الوسطى المثقفة هى التى جأرت بالشكوى وهى التى تعذبت من فقدان الكرامة ومن شيوع الفساد ، وهى التى فكرت فى الثورة فى طى الخفاء ؛ ولكنها كانت منقسمة على نفسها انقساما جعلها لا تستطيع أن تفك الأغلال عن أعناقها مدة طويلة . كان بعض هذه الطبقة الوسطى المثقفة يفكر فى إشعال ثورة شعبية ويدعو لها من طرف خفى أحيانا ، ومن طرف صريح أحيانا ، ولكن البعض الآخر من هذه الطبقة الوسطى المثقفة نفسها كان يشفق على البلاد من آثار الثورة الشعبية وما يمكن أن يصيب البلاد فيها من مصائب وكوارث مادية ومعنوية من داخلها أو من خارجها أو منهما معا . ولعل هذا الجانب من الطبقة الوسطى المثقفة كان الأكثر عددا والأكثر إحساسا بالمسئولية نحو مصالح البلاد . وهذا هو السر على ما نظن فى أن الثورة الشعبية لم تحدث فعلا . ولهذا السبب نفسه كان لا بد أن تجد الطبقة الوسطى المثقفة وسيلة أخرى للخروج من الموقف الشاذ الذى وقعت فيه البلاد بغير ثورة شعبية جامحة . إذن فحركة الجيش كانت هى الحل الوحيد للمشكلة ، وكان لا بد لها أن تقع لأن الجيش هو الممثل للطبقة الوسطى المثقفة ، ولأنه هو الذى يستطيع أن يحدث الثورة بغير أن تتعرض البلاد لويلات الاضطراب الشعبى الجامح .

والفضل العظيم الذى لا تنساه البلاد لجيشها الباسل هو أنه كان أصدق معبر عما تنطوى عليه قلوبها من الآلام والآمال ، وأنه كان أحكم مفكر فى تدبير خطة الخلاص ، وأقوى نصير على تحطيم الأغلال والقيود التى كانت تكبل البلاد .

فإذا كانت الطبقة الوسطى المثقفة قد تألمت وتعذبت وأحست بالإهانة والغضب للكرامة القومية نائبة فى ذلك عن الأمة جميعا ، فإن الجيش المصرى قد تألم وتعذب ، وأحس بالإهانة والغضب للكرامة القومية كذلك ، نائبا عن الطبقة الوسطى المثقفة .

فإذا صح هذا التحليل ، وأرجو أن يكون صحيحاً ، كان علينا أن ننظر إلى الأمام ونسأل أنفسنا عما ينبغى لنا أن نفعل بعد الخطوة الأولى — ماذا ينبغى لنا جميعاً ، نحن الذين أحسسنا بالألم والإهانة والغضب للكرامة ، ونحن الذين كنا نسأل الله صباحاً ومساء أن ينير لنا السبيل ويخرجنا من المأزق الشديد الذى سيقت إليه البلاد؟ والجواب على ذلك واضح فى نظرنا . فأول خطوة يجب علينا جميعاً

أدب المستقبل

للدكتور أحمد أمين

لكل عصر مزاجه وبيئته التي تؤثر في أدبه ، ومن أجل هذا لا يمكن لعصرنا أن يخرج كتابا مثل كتاب الأغاني يعتمد على الرواية والسند ، وعلى الأخبار المتفرقة ، لأن هذا كان نتيجة لمزاج زمانه . فهو يقلد كتب الحديث في اعتمادها على السند وروايتها للجزئيات . ونحن لا يغلب علينا هذا النمط من التأليف . ومحال أن نؤلف على هذا النحو . ومن أجل هذا أيضاً كان أكثر من تعلم اللغة الأجنبية بجانب اللغة العربية ، يفضلون أن يقرأوا الكتب الإفرنجية ، لأنها تتعرض لموضوعات العصر ، بأساليب العصر .

ويحق لنا أن نتساءل : ما مستقبل الأدب ، وخصوصاً الذي سيسود ؟

لقد جاءت الحرب العالمية الأولى ثم الثانية ، فأثرتا في الناس وحياتهم الاجتماعية أثراً بالغاً ، كان لابد أن يتبع ذلك التغير ، تغير في الاتجاه الأدبي .

ونحن نلاحظ أن الأدب يسير سيرة البندول ، أحياناً إلى اليمين ، وأحياناً إلى اليسار ، كالحياة . فقد أعقب الحرب العالمية الأولى نوع من اليأس وخيبة الأمل ، وشك في القيم ، وامتهان لها ، وسخرية عابثة لا تؤمن بشيء .

وأنتج ذلك أدبا فيه حيوية واستهتار بالحياة ، كأن في نفوس الناس إيماناً عميقاً بأن الحياة لا تستأهل الحرص عليها ، خصوصاً أن الجيلين اللذين اشتركا في الحرب الأولى كانا يؤمنان بالمثل العليا ، وأن الحرب ستسلم في النهاية إلى سلم رائع ، يسود فيه الحق والعدالة والخير . فلما رأيا أن شيئاً من ذلك لم يحدث ، صدمهما الواقع ، وأنتج الأدباء في

أن نخطوها هي أن نحمي هذه الوثبة من كل ما يتهددها وكل ما قد يعترض سبيلها . فهناك أعداء الوثبة الجديدة ؛ وإنه ليؤلمني أن أقول إن لهذه الوثبة الجليلة أعداء . نعم يؤلمني أن أفكر في أن بين المصريين من يأبى على وطنه أن يثب هذه الوثبة الكبرى نحو الرقي والكرامة والنظافة .

ولكن هذه هي الحقيقة المؤلمة ، فلا ينبغي أن نغلق أعيننا عنها . فإن هناك من يتربصون للحركة الجديدة ، ومن يتمنون في أنفسهم لو لم تكن قد حدثت . أولئك هم عبدة الطاغوت ، وهم الأغوات العبيد المدللون الذين كانوا يستعذبون العبودية التي تشركهم في مص دماء الشعب . أولئك هم صيادو المنافع وصيادو السلطان وصيادو الطغيان . أولئك هم بنات آوى الذين كانوا يصيحون في الليل لالتهام الجيف العفنة المتخلفة عن سادتهم من النمور والذئاب . علينا أن نفتح لهؤلاء أعيننا ، ونفتحها جيدا ، وإلا كنا مقصرين في حق الحياة الجديدة .

وإلى جانب هؤلاء الأعداء الذين يجب أن نفتح لهم أعيننا ، ولا ندع لهم هوادة إذا شاءوا أن يعترضوا سبيل الوثبة — هناك جانب آخر ليسوا أعداء ، بل هم أحب الأصدقاء وأقرب الأقرباء . هؤلاء هم المطحونون المعذبون الذين كما نعرف قلوبنا آلمنا من أجلهم وتنكر الحياة لأنها لا تنصفهم . هؤلاء هم إخواننا الكادحون في المصانع والحقول وفي خدمة التجارة في الأسواق وسائر مرافق الحياة في البلاد . هؤلاء لم يشعروا بالمعنويات التي حركت قلوبنا ، ولم يتألموا مثل ألمنا من الطغيان وفساد النظم وفقدان العدالة ، لأنهم كما قلنا كانوا مشغولين بهموم الحياة وإمساك رمقها . كانوا في غمرة من ألم العيش ، فحجب ذلك الألم أنظارهم عن الاهتمام لتلك المعنويات الأخرى . وعلينا بعد هذه الوثبة أن نعمل على إيصال هذه المعنويات إليهم ، لأن فجراً جديداً يطلع عليهم اليوم يبشرهم بأن العيش إن شاء الله أيسر في الغد القريب ، وأن العهد الجديد لا يقصد إلى شيء أكثر من أن يوفر لهم الحياة والرخاء والعدالة والكرامة . هذان ميدانان علينا ألا نقصر في أحدهما لأنهما يتكاملان ويتلازمان ، ويحفظان علينا ثمرة جهاد طويل بعد عذاب طويل . فلنفتح أعيننا لأذناب الطغيان ثم لنضرب في صرامة إذا رأينا منها حركة ولنمد أيدينا إلى إخواننا الكادحين لنتعاون معاً على الحياة ، لأننا جميعاً نريد الحياة الكادحة الشريفة .

محمد فريد أبو حديد

ذلك العصر ، أدباً نظروا فيه إلى أحداث العالم نظرة سوداء . ولذلك لما دخلوا الحرب الثانية ، دخلوا وهم مرتابون فى النتيجة ، قياساً على ما رأوا فى الحرب الأولى . وكان أكثر الروايات التى أخرجوها فى هذه الفترة تدل على الشك والارتياب وشعورهم العميق بالحاجة إلى القيم التى أهملت ، وردّ اعتبارها إليها ، وتقويمها من جديد . ولذلك كان الشباب الذى تخرج فى الحرب الثانية وما بعدها ، أنضج عقلا ، وأكمل رجولة . فكسبوا بذلك قدرة على المناداة بالإصلاح ، وكان صوتهم مسموعاً ، ومكانتهم ملحوظة .

وهذه الحركة من الشبان تدل على أنهم سيكونون أصدق نظراً ، وأحسن عملا .

ومن المظاهر التى نلحظها بعد الحرب الثانية ، الميل إلى الإيمان . ويظهر أن هذا هو طابع الكتب المستقبلة ، بدليل ما نلاحظ من أن الكتب الدينية قد زادت انتشاراً ، وزال كسادها . وسبب ذلك قسوة الحرب ، والحاجة إلى ركن ركين يعتمد عليه الناس . وتبع ذلك تحطيم النفاق والرياء والاحتيال ، وتصوير العواطف الواقعية تصويراً جريئاً صادقاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض . ومن المظاهر التى نتوقع أن تسود قلة التفات الأدباء إلى أنفسهم وأفرادهم ، وكثرة التفاتهم إلى مجتمعهم ، والإعراض عن النظرية التى كانت سائدة ، وهى أن الفن للفن ، وأن الأديب ينبغى أن يكون حراً طليقاً لا يقيده شىء . بل يسود الأدباء والفنانين نزعة البوهيمية ؛ وإلا ما كانوا فنانين . وحل محلها نظرية « الأدب فى خدمة المجتمع » . ومن مظاهر ذلك كثرة الروايات والكتب التى تعالج مشاكل المجتمع . ورأينا أن أدب الفردية والحيرة والاضطراب يسير إلى الزوال . وعظم إحساس الأديب بمسئوليته . ولا شك أن هذا سيبدو أثره واضحاً فى كتب المستقبل . فالأديب سوف لا يغنى لنفسه ، وإنما يغنى للناس. وسيختفى أيضاً نتيجة لسيادة الديمقراطية الصناعة والزينة اللفظية ، والعناية بأنواع البديع ، والزخرف . وستسود البساطة ، والرغبة فى إفهام الناس من أقرب سبيل . وسيرتبط الأدب بالنظام الاجتماعى ، ليؤدى فيه وظيفته الحقة ، وبذلك سيدخل الأدب فيما نعتقد فى عصر من عصوره الزاهية .

لقد كان الأدب والفن فى ظلمات بعضها فوق بعض ، وكان يغمرها موج من فوقه موج ، من فوقه سحاب . أما فى المستقبل فسيعودان إلى النور ، وسيرتفعان إلى القمة .

إننا الآن فى موقف يفوق كثيراً موقف الأدباء الأقدمين . لقد كانوا يعيشون من فُتات الملوك ، وكان الأدب أكثره مديحاً ، وكان طابعه الملق والنفاق ، فتزلزلت عروش الملوك ، ولم يعد الأدباء المداحون يجدون ملوكا يمدحونهم . وظهرت قوة الشعب فوق قوة الملوك، وسيزداد ذلك على الأيام .

لقد أصبحنا أكثر حرية ، وأوسع انطلاقاً وسيكون من بعدنا خيراً منا ، وسيشعر الأدباء بمسئوليتهم أمام مجتمعهم ، فيتعلمون كيف يكتبون لخدمة مجتمعهم .

لقد كانت القصة فى ربع القرن الأخير مملوءة باليأس ، وبالعوامل التى تحطم القيم الإنسانية إلا فى القليل النادر . أما فى المستقبل فستردّ إلى الأشياء قيمها ، ويسودها الروح الإنسانى ، وسيسودها الحلم اللذيذ .

لقد جرت العادة فى تقسيم الأدب إلى نوعين : نوع يقصد منه التسلية والمتعة فقط ، ونوع يهدف إلى توسيع فهمنا للحياة ، وتقويتنا على احتمالها . وعندى أن كتب المستقبل سيكون أقلها من النوع الأول وأكثرها من النوع الثانى .

لقد جرينا زمناً طويلا على أن نعتمد على أدبنا ، فإذا اقتبسنا من غيرنا ، فاقتباس قليل . أما فى المستقبل وقد كسرت الحواجز بين الأمم ، وكثر الاتصال بينها ، فسوف يستفيد كل أدب من أدب غيره ، فيستفيد الشرق من أدب الغرب ، ويستفيد الغرب من أدب الشرق ، مثل التبادل المادى .

سيختفى الأدب الذى هو أشبه شىء بالتقارير ، والذى يعتمد على الوصف المادى ، وسيغلب الوصف المبنى على التأمل الخصب ، والحيوية التى يعرض لها الأديب . وسيقربون من المثل الأعلى للأدب ، وهو أن يكون واضحاً قوياً موجزاً ، وسيختفى اللعب بالألفاظ ، والغموض ، وستكره الشعوب الأدباء الثرثارين ، والأدباء المنافقين ، والأدباء المزوقين ، والأدباء الماجنين . والله بالمستقبل عليم .

أحمد أمين

من مطالعات الصباح :

اللسان حيـــــة الفم

للآنسة الزهرة

— ١ —

« إن الله يكره الانبعاق فى الكلام ويرحم الله امرءاً أوجز فى كلامه ؛ واقتصر على حاجته » . [حديث شريف]

« هكذا تكلموا وهكذا افعلوا كعتيدين أن تحاكموا بناموس الحرية » . [القديس يعقوب]

فى الإيطالية مثل قديم ، ينص على الآتى : « تنبعث الحكمة من الاستماع ، وينفجر الندم من الكلام » . ويقول أحد ملوك الصين القدامى : « يا معشر الناس إن كلامكم أكثر من صمتكم ، فاستعينوا على الكلام بالصمت ، وعلى الصواب بالفكر » . ويقول ملك آخر من ملوكهم : « من حصافة الإنسان أن يكون الاستماع أحب إليه من النطق ، إذا وجد من يكفيه فإنه لن يعدم الصمت . والاستماع سلامة وزيادة فى العلم » . والواقع أن الحظ الذى نسيه بالسكوت المتعمق فى الإنصات الهادئ ، أوفى بكثير من الحظ الذى نلتمسه بالكلام . ويكفى أن نتذكر أن الله فى حكمته قد جاد علينا بأذنين ، ولسان واحد ، لأنه جلّ شأنه يعرف بحكمته الفائقة أن كثرة الكلام لا تخلو من معصية وخطأ ، ولهذا فهو لرأفته السابغة يريد أن يجنبنا مرارة الندم وحسرة الفوات ، ويوصينا بالتفكر والدرس والتثبت والتزن، قبل أن ننطق . وقد قال أحد الحكماء من ملوك الصين : « إن عاقبة ما قد جرى به القول ، أشد من الندم على ترك القول » ، وفى بعض كتب المطالعة الإنجليزية يقول كاتب معاصر : إنه يجب علينا أن نفكر مرتين قبل أن نتكلم ، سيما إذا كنا نريد أن نقول قولتنا الحاسمة فى الأمور الخطيرة أو نبوح برأينا الخاص فى شخص من الأشخاص .

ويروى أن رجلاً شتم المهلب فلم يجب . فقيل له : حلمت عنه ؟ فقال : ما أعرف مساويه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه ! . ونحن بكلامنا نتزكى أو ندان ولن يديننا « ناموس الحرية الكامل » إن قدرنا على أن نتكلم عن تثبت فنُحْسن ، بعد أن قدرنا على أن نصمت لنحسن . . ورب قول أشد من صول . والبلاء موكل بالمنطق . ولكل ساقطة لاقطة .

يصاب الفتى من عثرة بلسانه
وليس يُصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمى برأسه
وعثرته بالرجل ، تبرا على مهل

وفى الحكم : « إلزم الصمت فإنه يكسبك صفو المحبة ، ويؤمنك سوء المغبة ، ويلبسك ثوب الوقار ، ويكفيك مؤونة الاعتذار » .

الزهرة

جريدة الواجب

استأنفت جريدة (الواجب) الأسبوعية نشاطها فى خدمة قضية الشعب بمولد عامها الجديد فى الأسبوع الأول من سبتمبر .

وستظل (الواجب) — كما كانت دائماً — منبراً شعبياً قوياً يبصر الرأى العام ويعكس آراء الجماهير فى صراحة ووضوح .

يشرف على تحريرها صاحبها سعد زغلول جمعة المحامى مع نخبة من الكتاب والصحفيين الأحرار .

موقف الشعر من الثورة

للأستاذ عز الدين إسماعيل

قديماً كان للشعر العربي صلة وطيدة بالحروب الجماعية القبلية التي اتخذت من شبه جزيرة العرب في العصر الجاهلي مسرحاً لها؛ فقد كان الشعر وسيلة فعالة في إثارة المشاعر إلى الذود عن الكرامة والحماية دون العشيرة، كما كان في حالات أخرى بمثابة حرب الأعصاب التي لا غنى للمتحاربين عنها، والتي لا يقل أثرها عن الحرب الدامية ذاتها. ثم تتطور حياة المجتمع العربي بعد الإسلام وتتطور معها مهمة الشعر، فإذا بنا نجد الشعراء أبواقاً ينفخ فيها خلفاء بني أمية وأمراؤهم فيسمعون بذلك صوتهم للعالم الإسلامي أجمع. ولكن أبواق الأمويين لم تكن وحدها في الميدان؛ فقد كانت هناك أبواق هاشمية وأخرى خارجية مختلطة الصوت مختلطة الصدى. وبعبارة أخرى فقد كان الشعراء يقومون بمهمة الدعاية والإعلان لهذه العصبيات والمناخة دونها.

وقد طال العهد بالشعر والشعراء وهم يؤدون هذه المهمة التي ألجأتهم إليها حاجة المعاش وظروف الحياة، إلى أن اتخذوها مهنة يعيشون عليها. ولقد طالما ملأ المتنبي وقبله أبو تمام الدنيا بأخبار المواقع والحروب، ولقد طالما أشاد بعظمة الأمير الشجاع وانتصاراته. ونحن لا نقرأ لأبي تمام قصيدته في فتح عمورية:

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في
متونهن جلاء الشك والريب

حتى نتخيل بإيحاء من القصيدة زفة مصطخبة تختلط فيها الأصوات بالحركات.

وقد قام بالأمس جيشنا الباسل قومته التي فصلت فصلاً نهائياً بين عهدين؛ عهد الظلم والطغيان وكبت الحريات الذي ظل كابوساً رهيباً يكتم أنفاس الأمة، وعهد العدل والإنصاف وإطلاق الحريات والإصلاح الشامل لجميع مرافق الحياة بما يهيئ لأفراد الأمة جميعاً حياة كريمة. ولا يستطيع الإنسان أن يتحدث عن تلك الفرحة التي كادت تطير بعقول الناس يوم عرفوا أن الجيش الباسل قد خلصهم بين عشية وضحاها من هذا الكابوس. نعم فقد كان ذلك حلماً لا يخطر لهم على بال فإذا به حقيقة واقعة ملموسة.

وقد تساءل الناس فيما بينهم وبين أنفسهم أحياناً، وسأل بعضهم بعضاً أحياناً أخرى، وكانوا في كل الحالات كالتائهين الضالين لا يجدون الجواب المقنع الشافي لما في نفوسهم من لهفة إلى المعرفة. كانوا يتساءلون: أين الشعر وأين الشعراء؟ أليس لهذا الحادث أثر في نفوسهم؟ ألم يهز قلوبهم الحساسة ويثر خواطرهم الجياشة؟ ما لهم صامتون كأن شيئاً عظيماً لم يحدث؟ إنه لحادث فريد في تاريخ الأمة المصرية فأين الأدب الصاخب والشعر المجلجل الذي يسجل هذه العظمة؟. ومنهم من راح يترحم على الشعر والشعراء ويقول: لو كان حافظ وشوقي شاهدا هذا الحادث هل كانا يسكتان؟ لقد سجلا لنا بأشعارهما الحركة الوطنية منذ البداية، وتجاوبا مع الأحداث السياسية التي عاصراها وهي جميعاً لا تكاد تساوي شيئاً بجانب ثورتنا الجبارة. ومنهم من كتب يستحث الشعراء والأدباء إلى الثورة، الثورة الأدبية بجانب الثورة التي قام بها الجيش. ولعل هؤلاء الأخيرين كانوا أثقب نظراً، وأعمق تفهماً للأمور.

ولست أود هنا أن أدافع عن صمت الشعراء وتركهم الميدان بمقدار ما أرجو تفسير هذه الظاهرة التفسير العادل فكون الشعراء المعاصرين أحسوا بالحادث كما أحس به الناس وربما أكثر، وكونهم اهتزوا له وتأثرت قلوبهم به فهذا أمر لا يملك أحد نكرانه. وقد قدم بعضهم تعبيره عن هذه الحركة في حين صمت الأكثرون. ولقد كان التهافت والضعف واضحاً في أغلب ما نشر من شعر إذا هو قيس بروعة الحادث وقوته وجماله. لم كان هذا الشعر متهافتاً ولم

صمت الصامتون ؟ هذا هو السؤال .

وقبل أن يتطوع أحد للرد عليه أود أن أنبه إلى أن كثيراً من الأمور الظاهرة تخدعنا عادة عن الحقائق البعيدة وإذا بنا قد أقمنا بناء ضخماً من الأحكام على أساس من هذا الظاهر الخادع . فشوقي وحافظ لم يكونا أشعر مطلقاً — كما قد يخيل للبعض — من شعرائنا المعاصرين ، ولم تكن وطنيتهما تزيد شيئاً على وطنية هؤلاء . ومعنى هذا أن شوقياً وحافظاً لو كانا معاصرين لحركتنا المباركة لما اختلف موقفهما عن موقف سائر الشعراء المعاصرين .

وأمر آخر له وزنه في هذا المقام ، هو أنه من الشائع أن الشعر سجل لأحداث الأمة وتاريخها . والواقع أن هذه القضية فيما يبدو كانت في يوم من الأيام صحيحة ، ولكنها لم تعد صحيحة على طول الخط . كان القدامى إذا تحدثوا عن الشعر الجاهلي ذكروا أنه ديوان العرب وسجل حياتهم . وهذا صحيح كما رأينا في مستهل هذا المقال ؛ فقد سجل الشعر أيام العرب وحوادثهم . سجلها لأنه كان الوسيلة الوحيدة لتسجيلها . وكذلك كان الشأن بعد الإسلام . لم تكن هناك إذاعة ولم تكن صحف . فقام الشعر بمهمة الإذاعة والصحف . ولما كانت هذه القضية في يوم من الأيام صحيحة فقد ظن الناس على مدى العصور أنها صحيحة في كل زمان وكل مكان ، واستقر على ألسنتهم وفي عقولهم أن الشعر سجل لحوادث الأمة .

هذا ما أود أن أنفيه الآن ؛ لأن الشعر في العصر الحديث على الأقل لم تعد مهمته الإذاعة أو التسجيل كما كان الشأن في العصر القديم ؛ فقد تسلمت الإذاعة والصحف ووسائل النشر المختلفة هذه المهمة ، وهي — فيما هو ظاهر — تؤديها على الوجه الأكمل .

وقد يظن ظان أن النضج السياسي في الأمة يصاحبه نضج أدبي وفني . وهذا صحيح . ولكن ليس بالمعنى الذي يجعل النضج الفني ظلا موازيا للنضج السياسي . وبعبارة أخرى فإن النضج الفني لا يبزغ مع النضج السياسي ولا يكون صورة حاكية له . فالسياسة والفن حين يبلغان في الأمة درجة النضج فإنهما لا يلتقيان بالضرورة عند نقطة معينة ، وإنما يكون لكل منهما مستواه الخاص . ومعنى هذا أن الفن قد يبدأ عملية النضج بعد أن تكون السياسة قد فرغت منها أو على الأقل خطت فيها شوطا بعيدا .

وها نحن أولاء نخطو خطوات سريعة ثابتة موفقة في حياتنا السياسية ، والأدب ما يزال يغط في نومه لا يحرك ساكناً . كثيرون من الشعراء لم يقولوا شيئاً . والذين قالوا كان شعرهم باهتا لا يمثل وضاءة الحركة .

وبعبارة أخرى فإن التقليد القديم بأن الشعر سجل لأحداث الأمة قد أثبت الواقع الراهن بطلانه

وبعد هذه التمهيدات أظنه من السهل علينا الآن أن نتطوع بالإجابة على السؤال القديم : لم كان ما قيل من شعر باهتاً ولم سكت أكثر الشعراء ؟ ونحن نعلل ذلك بما نسميه « روح العصر » ؛ فإن لكل عصر طابعا مميزا هو بمثابة المحرك العام في آلة تعمل فيها عدة محركات . وهذه الروح هي الظاهرة الأساسية وهي الحقيقة البعيدة التي تعمل خلف جميع الظاهر .

والأمثلة على ذلك كثيرة في حياة الأمم الغربية ؛ فالعهد الكلاسيكي قد تميز بوجه عام بالنزعة الإنسانية ، وتميز القرن الثامن عشر بالنزعة العملية التي تغلغلت في كل شيء ووجهت كل نشاط . ثم نجد القرن التاسع عشر يتميز بالنزعة الوجدانية الرومنتيكية . أما العصر الحديث ، فكما قرر دنيس سورا في مؤلفه «المحدثون Modernes» فيغلب عليه الطابع الحسي . والصورة المشتركة فيه بوجه عام هي محاولة البعد عن العالم الخارجي والفرار منه إلى العالم الداخلي ، إلى الذكريات والرغبات الإنسانية المكبوتة . تمثل ذلك في فلسفة برجسون وعلم نفس فرويد ونظريات دوركيم الاجتماعية كما تمثل في الأدب الرمزي والفن بوجه عام .

ولم نكن نحن على اتصال عقلي بالغرب في خلال تلك العهود اتصالا يجعلنا نتأثر بما يسيطر عليها من اتجاهات فكرية . والقرون الثلاثة : السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر في حياتنا مقفرة أو تكاد من حيث النشاط العقلي . ولذلك فإن تمييز مثل هذه الاتجاهات الفكرية أمر في غاية الصعوبة لأن هذه الاتجاهات لم توجد . كان هناك أدب وكان هناك شعر ، هذا لا شك فيه . ولكنه لا يصعب علينا أن نقرر أن هذا الأدب وذلك الشعر في هذه القرون

على وجه التخصص لم يكن يمثل لوناً فكرياً أو اتجاها عاماً يسيطر على العصر ، ويتمثل فى كل مناحى النشاط الفكرى .

حتى إذا كنا فى القرن العشرين كثر اتصالنا بالشعوب الغربية ، وبدأنا نلقى ثقافاتها سواء وردت إلينا هذه الثقافات أم انتقلنا نحن إليها ، وبدأنا نعى هذه التيارات الفكرية التى تجرى عند القوم ونقف منها موقف المؤيدين أو المعارضين . وبالجملة فقد أصبحنا مشدودين إلى الثقافة الغربية شداً ، بعد أن عرفنا ما فيها من قيمة . وقد رأينا من يهتم بنظرية داروين فى التطور وفى أصل الأنواع ويقف عليها حياته العلمية . وفى وقت من الأوقات وجد المهتمون بنظريات دوركيم الاجتماعية ، كما لاقت فلسفة برجسون — ولعلها ما زالت تلاقى — رواجا عند طائفة من المثقفين . وهكذا أصبحنا فى هذا القرن جزءا حياً يتأثر بتلك التيارات الفكرية التى تصل إلينا بكل سهولة . ولذلك فنحن عرضة دائماً لما تنتهى إليه هذه التيارات من نتائج ، ولما يجد بعامل الزمن من تيارات أخرى .

وإذا كنا قد رأينا — كما قرر دينس سورا — أن الشطر الماضى من القرن العشرين قد تميز بتحول واضح من العالم الخارجى إلى العالم الداخلى ، إلى الذاكرة والرغبات الإنسانية المكبوتة ، فإن الذى لاشك فيه هو أن نمو المجتمع الصناعى كان له أثر كبير فى هذا التحول . وقد قرر ديهامبل أن النشاط الآلى يحد من النشاط الإنسانى . وقد كان لذلك أثره على الإنتاج الأدبى ؛ فقد لوحظ أن الكتاب الذين بدءوا حياتهم شعراء قد ازداد تحولهم — سواء قبل الحرب العالمية الأولى مباشرة أو بعدها — إلى القصة ، والسر فى ذلك أن القصة كانت أطوع فى يد صغار الكتاب لتحليل كثير من مظاهر الوعى الباطن . وهذا ما جر الكساد إلى سوق الشعر والرواج إلى سوق القصة ، وهذا واضح فى مجتمعنا المعاصر أيضاً . ثم جاءت السينما فطبعت الحياة بطابع السرعة وإذا بالقارئ يثقل عليه قراءة القصة لأن السينما خففت عليه العبء ؛ أجلسته جلسة مريحة وجعلته يرى ويسمع بدلا من أن يقرأ ويتصور .

هذه العوامل أفقدت الشعراء الثقة فى أنفسهم ، ولم يعد الشعر مكانته القديمة عند الناس لأنهم وجدوا منصرفاً عنه إلى ما هو أمتع وأيسر وأسرع ، وكان نتيجة ذلك أن تأخر الشعر عن مسايرة حاجة الناس لأن أداته لم تعد مسعفة فى الوقت الذى تقدمت فيه الوسائل الفنية لتلبية هذه الحاجة المتجددة على أتم وجه ، فنجحت الصحافة كما نجحت الإذاعة فى حمل مشعل الثورة ، فى الوقت الذى سمع فيه صوت الشعر خافتاً كأنه آت من بعيد .

هذا هو التفسير الذى نراه لموقف الشعر من ثورتنا المباركة . فأما الذين طالبوا بثورة فى الأدب كثورة الجيش فقد كانوا أكثر المتسائلين فهما من حيث إن هذه الثورة العامة التى خلصت الأمة من قيود الظلم يجب أن يكون لها صداها فيتخلص الأدب بدوره من قيود التقليد التى ظل راسفا فيها راضياً بها حتى اليوم .

ليثر الأدب إذن فى وجه كل تقليد قديم يتأخر به عن ركب الحياة وعن تلبية حاجة الأمة ، ولينتم إلى عهد جديد من حرية النفس ، وحرية الإحساس ، وحرية التعبير . والأدب بهذا المعنى سيكون جانباً من جوانب الحياة التى تأثرت بالثورة ، أو التى تعد هى والثورة ذاتها نتيجة لذلك المحرك الأول البعيد وهو « روح العصر » الثائر .

ولست أشك أخيراً فى أنى سأغضب الشعراء بهذا المقال . ولست حريصاً على رضاهم إن كان ما أقرره هو الواقع وهو الحقيقة . ولعلى عائد إلى شعرهم الذى قالوه فى الثورة بالدرس ليتأكدوا من صدق ما ذهبت إليه .

عز الدين إسماعيل

الحسن الصباح ونظام الملك

— ١٣ —

للأستاذ أنور الجندى

جمعهما العلم والشباب فى مطلع العمر ، فى نيسابور ، وفرق بينهما الصراع على السلطان ، بعد ارتفاع السن ، فى بغداد . وبعد أن كانا صديقين حميمين ، أصبحا عدوين تصل بينهما العداوة إلى حد أن يحطم الصباح دولة السلاجقة ليسحق صاحبه نظام الملك . وقد كان ! .

كانوا ثلاثة ، تلقوا العلم فى نيسابور ، وجمعت بينهم رابطة الصداقة والألفة . هم الحسن الصباح وعمر الخيام ونظام الملك . وقد وصلت بهم علائق المودة ، أن تعاهدوا على أن من يتولى الوزارة منهم يقرب رفيقيه إليه ، ويرفع من شأنهما . وكان « الحسن » هو الذى اقترح هذا العهد .

ومن هذه النقطة بالذات تبدأ القصة التى كانت بعيدة الأثر فى تاريخ العالم الإسلامى كله ، قصة الدور الذى لعبه الحسن الصباح ليمزق دولة على رأسها زميل الصبا : نظام الملك .

مرت الأيام ، ومضى كل من الثلاثة فى طريقه . وفجأة قفز نظام الملك إلى منصب وزير السلطان ألب أرسلان عميد السلاجقة ! .

وذكر عمر الخيام العهد القديم فمضى إلى زميله ، يذكره ويهنئه ، فاستجاب له وخصص له منحة مالية ، رآها الخيام كافية لقضاء مطالبه ومعاشه ، وكانت ستمائة دينار فى كل شهر ، فعاد إلى نيسابور ، وعكف على التأليف ونظم الشعر .

وقصد « حسن الصباح » أخيراً بعد أن استطار اسم صاحبه إلى نيسابور حيث لقى الوزير الذى ذكر العهد القديم ، وقرب زميل جامعة نيسابور وولاه رئاسة ديوان الجباية والخراج .

* * *

وكان مركز الوزير « نظام الملك » قد علا واسمه قد تألق ، وتحدث الناس عن مكانته الفذة ، فى الدولة ، ومشروعاته الضخمة ، وإعجاب السلطان به وتسليمه الأمور إليه . وكان نظام الملك يحيط نفسه بهالة من العلماء ورجال الدين والفلسفة ويقربهم ، ويوسع فى العطاء لهم ، فكانوا ألسنة تفيض بمدحه وتقديره ، وتذيع اسمه مقروناً بعبارات العدل والذكاء والعظمة فى كل مكان .

وتزوج نظام الملك من ابنة ملك ! هو ملك أرمينية ، وكان حفل زواجه من الأحفال التى وضعتها كتاب ألف ليلة وليلة ، وتحدث الناس عنه سنوات ، وسنوات .

هكذا كان « نظام الملك » فى الوقت الذى اتصل به « حسن الصباح » ، الذى ظل مركزه يعلو ويعظم حتى أصبح من حقه حضور اجتماعات مجلس الوزراء التى كانت تعقد برئاسة السلطان .

وبدأ الحسن يلفت نظر السلطان إليه ، ويتقرب منه ، وأزعج ذلك نظام الملك ، فقد كان يعلم فى الحسن الذكاء والطموح ، واستطاع الصباح بعد غزوات موفقة أن يكسب ثقة السلطان فيكل إليه أمر المراجعات فى الأعمال المالية وكان عارفاً بالحساب مجيداً لفنونه .

وهنا تنبه نظام الملك وأحس بأن صاحبه يكاد يطغى على مكانته ، أو ينافسه ، ورأى أنه يزحف إلى المجد بخطى واسعة ، ومن ثم بدأ نضال خفى بين الرجلين ، وأراد نظام الملك أن يزيح الصباح من طريقه ، فعرض عليه أن ينضم إلى الجيش باعتباره الطريق السريع الذى يحقق آماله فرفض .

واستمر حسن الصباح فى توثيق علاقاته بالسلطان ، الذى أعجب به ، غير أن ذلك لم يدم طويلا . فقد مات السلطان ، وتولى الملك ابنه الب أرسلان .

وكان نظام الملك قد بذل جهوداً ضخمة فى تمكينه من الوصول إلى العرش ، وأعانه عليه ، فحفظ له هذه اليد

واستبقاه وزيره الأول، وأسماه الوزير الأكبر، وكان قد أمضى فى الوزارة ثلاثين عاماً .

وفى العهد الجديد أصبح لنظام الملك تصريف كل شىء، ورضى السلطان الشاب بأن يطلق يد وزيره الأول الذى عرف بالبصر النافذ والهيبة، وحسن تصريف الأمور والذى رفع اسم الدولة السلجوقية.

وأصبح الحسن الصباح وزيراً فى العهد الجديد، ولكنه كان يحس أن نظام الملك يغار منه، ويخشاه، وأنه يترقب الفرصة المناسبة لكى يزيحه من طريقه، فأخذ الحذر . .

ولكن ملكشاه بدأ يتدخل فى أدق أمور الدولة، فكان يناقش الوزراء بنفسه، ويستدعيهم لمقابلته. وذات مرة، سأل وزيره الأكبر نظام الملك عن الوقت الذى يحتاجه لتنظيم دفتر جامع لأبواب الميزانية فى الدولة.

وقال له نظام الملك : إن ذلك يمكن أن يتم فى عامين

وكان الحسن موجوداً، . . فتدخل فى الحديث، وقال : بمقدورى يا مولاى أن أنظم دفتراً بميزانية الدولة خلال أربعين يوماً .

وامتقع وجه نظام الملك، وسر السلطان . ! وأذن له فى أن يبدأ العمل. وأحس نظام الملك أن الخطر قد اقترب وأصبح وشيكا أن يقتلعه من مكانه لو تم هذا الأمر. وكان الحسن الصباح بارعاً فى الحساب، وكان نظام الملك يعتقد أنه يستطيع ! وسرعان ما اتجه خاطره إلى حيلة ماكرة . . إلى مؤامرة ينسف بها مركز الصباح وعمله.

دعا من يثق به من غلمانه، وقال له رافق الحسن الصباح واتخذه صديقاً، واذهب به إلى محال اللهو والعبث فإذا وثق به اخبرنى.

وفعل الخادم، وتوثقت الصلة.

وكان الحسن الصباح قد أخذ يعد الميزانية، فى صحائف متفرقة غير متلاصقة، على رأس كل صحيفة رقم، وفى داخلها حساب مختلف الولايات .

وقال نظام الملك لغلامه : اجعل صديقك يمكنك من دفتر الحسن، وأن يقلبه رأساً على عقب ويخلط أوله فى آخره .

وفعل الغلام، وجاءت الساعة المقررة، ودخل الحسن على السلطان، وأخبره بأنه فرغ من عمله . وهنا طلب السلطان حساب إحدى الولايات، فمد يده إلى موضع رقم الولاية وسحب ورقتها فلم يجد ما يطلبه، وأخرج ثانية وثالثة ورابعة، دون جدوى . . . وهنا تجهم السلطان وبان فى وجهه الغضب. واغتنم نظام الملك الفرصة فتقدم نحو ملكشاه وقال : إن كان مولانا لا يثق بالأكفاء من رجاله ويعهد بالمهمات إلى مثل هذا المجنون، فإنه لن يلاقى إلا تدجيلا !

فانتهره وأمر بالقبض على الوزير، وهرب الحسن إلى الرى وقد خسر كل شىء !

* * *

ترى هل انتهت القصة إلى هذا الحد ! . .

الواقع أن هذه هى مقدمة القصة، وأنه فى هذه اللحظة بدأت صفحة دامية من الصراع العنيف بين رجل هو الحسن الصباح وبين دولة كاملة هى الدولة السلجوقية.

وبدأ التاريخ يسجل صفحة من أسود صفحات الانتقام والقتل السياسى، فقد انضم الحسن إلى الإسماعيلية وسرعان ما برز فيها وتألق . . .

وسافر إلى مصر وسورية والعراق واتصل بالدعاة فيها، ووصل إلى أصفهان ودعا لنذار بن المنتصر !

وكان يرمى بذلك إلى تقويض ملك ملكشاه، وإنهاء سلطان نظام الملك، ومن ثم بدأ هذه الحركة القوية الضخمة، التى هزت العالم الإسلامى، واستمرت طويلا، وكانت حركة انتقام عنيفة مصدرها ذلك الصراع بين نظام الملك والحسن الصباح.

وبعد تسع سنوات، اقتحم الحسن قلعة الموت، واستولى عليها، وكانت بالقرب من قزوين، واضطرب السلطان ووزيره الأكبر وحكومته . . ووقع الخلاف بين ملكشاه ونظام الملك ! ووقع فى روع السلطان تسلط وزيره وأهله، وقال الوزير للسلطان إنه هو الذى وطد له أكناف الملك، وأنه إذا تركه تداعى وانهار.

وأرسل السلطان بأمر وزيره ومشورته قوة ضخمة لمحاربة الحسن الصباح، ولم تعد القوة فقد مزقها رجاله.

وجاء الوقت الذى رآه الحسن الصباح مناسبا، عندئذ دس لنظام الملك، فتى من الفدائيين فاغتاله فى شهر رمضان وقبض على القاتل، واعترف بأنه قد أدى واجبه ونجح فى عمله وأنه فعل ما فعل بأمر شيخ الجبل « الحسن الصباح » .

أنور الجندى

السياسة ورغيف الخبز

للأستاذ محمود الجوهري

يروى عن أبي يوسف صاحب كتاب (الخراج) وقاضي قضاة هارون الرشيد أنه قال : جلست أفكر في أعقد مسألة من مسائل الفقه وكدت أصل إلى حلها ، فدخلت الجارية قائلة : سيدي ، نفد الدقيق . فطار الحل من رأسي ولم يعد .

إن نفاد الدقيق أمر يهم كل إنسان يريد أن يعيش عيش الكرامة ، وكل شيء لا قيمة له ما دام الدقيق قد نفد . وكل إنسان في مثل هذا الموقف كأبي يوسف ، لأن التفكير في غير أمور العيش ترف لا قيمة له بالنسبة للإنسان الذي يعوزه الدقيق ويحتاج إليه . والتفكير لا ينتظم ولا يعمق ، والمعدة خاوية خالية وكيس الدقيق فارغ .

ومنذ خلق الإنسان كان تفكيره منصبًا على لقمة العيش . وكلما تقدمت الحضارة أخذ الإنسان يحس بضرورة تنظيم حياته وضمان حصوله على الدقيق حفظاً للكرامة ودواماً للحياة . والمفكرون منذ العصور القديمة أدركوا الدور المهم الذي تلعبه لقمة العيش والعوامل الاقتصادية في سلوك الإنسان والتنظيم الاجتماعي والاتجاه السياسي والتاريخي للمجتمع .

وقد ذهب الحكيمان الصينيان (كونفوشيوس ومنشيوس) إلى (اعتبار تأمين الغذاء والضرورات الاقتصادية أول وظيفة من وظائف الحكومة الجيدة) . وقد نسب إلى (بوذا) نبي الهند القول المأثور (إن تاريخ الإنسانية كله متمركز على الجوع والحب) .

أما عند قدماء الإغريق ، فإن أفلاطون (جعل التنظيم الاقتصادي متلازماً مع التنظيم السياسي والخصائص الأخلاقية والنفسية المتفشية في الجمهور عندما تعرض لتصنيف أنواع الحكومة في جمهوريته) .

وكان كتاب الرومان في المرحلة الأخيرة في تاريخهم (يدركون حق الإدراك أهمية العوامل الاقتصادية وآثارها المهمة في كثير من العمليات الاجتماعية ومن ضمنها انحطاط روما وسقوطها . وكانوا يفهمون ويدركون النضال الطبقي وأسبابه الاقتصادية ، وأن هناك كثيراً في الآراء المتطرفة التي كانت تنادي بها الطبقة العاملة أو الطبقة العامة وهي لا تختلف كثيراً عما هو مألوف في الاشتراكية المعاصرة والشيوعية والماركسية) .

أما الإسلام فقد وضع نظاماً دقيقاً لتنظيم الحياة الاقتصادية حفظاً لكرامة الفرد في المجتمع وصيانة للحياة الاجتماعية والسياسية .

وقد كانت الحالة في العصور الوسطى وبخاصة في عهد النهضة والإصلاح الديني لا تختلف كثيراً عن الحالة عند الرومان (ومن الصعب أن تجد كاتباً في هذه الفترة يعالج مشكلة التغيير السياسي على اختلاف أنواعه ما لم يقرنه بتغييرات الحالات الاقتصادية ونشوء طبقة اقتصادية جديدة تستلزم مصالحها تغيير النظام السياسي) .

ثم ظهر في القرنين السابع عشر والثامن عشر كتاب حذوا هذا الحذو وفكروا التفكير نفسه ، حتى جاء في القرن التاسع عشر كارل ماركس وصاحبه أنجلس فسادت فكرة (التفسير المادي أو الاقتصادي للتاريخ [1]) .

وعندما نشأ الاستعمار بشكله المنظم وأخذت الدول الرأسمالية تستعبد الشعوب الضعيفة ، استفادت من هذه

---

(١) الاقتباسات التي مرت في هذا المقال مأخوذة من صحيفة (٧) إلى (١٥) من كتاب [المدرسة الاقتصادية في علم الاجتماع] وهو فصل من كتاب النظريات الاجتماعية المعاصرة .

Contemporary Sociological Theories.

للبروفسور [بترم السكندر رودش سوروكن] وقد ترجمه الأستاذ حاتم عبد الصاحب .

النظريات ، وأخذت تبحث عن (كيس الدقيق) الذي يتحكم في تفكير الشعوب ومصيرها . فالمجاعات التي تحدث في الهند بين وقت وآخر لم تكن أسبابها الرياح الموسمية كما يدعون بل أسبابها الاستعمار : الاستعمار الذي يعين الرياح على إجاعة الشعوب وحرمانها من رزقها لتبقى ذليلة خاضعة مستكينة تفكر بلقمة العيش لتأمن الحياة . ولو أراد المستعمر أن يعين الهنود على العيش لاستطاع ذلك بكل يسر وسهولة والهند قارة كبيرة فيها كل ما يحتاج إليه من ماء وخصب .

وهذا الجراد الذي يكتسح شمالي أفريقيا والشرق الأوسط وجنوبي آسيا ليس بالوباء الفتاك والحشرة التي لا يمكن القضاء عليها ، ولكنها السياسة : السياسة التي تحرص على مراقبة رغيف الخبز ودراسة كل شيء يؤثر فيه ، لأنها تعلم أن كيس الدقيق إذا امتلأ وفاض ، انتفض الجائع وحصل على حقه .

وعندما تأسست هيئة الأمم المتحدة حرصت الدول الغربية على أن تطلع اطلاعاً تاماً على إنتاج كل دولة ومحصولها في الحبوب ومقدار حاجتها منها ، فأسست منظمة الزراعة والتغذية لتطلع بوساطتها على حياة الشعوب ونشاطها وتفكيرها واتجاهها في لقمة العيش ورغيف الخبز وكيس الدقيق . ثم حذت الولايات المتحدة هذا الطريق فاخترعت (النقطة الرابعة) لمساعدة (الدول المتخلفة) .

وكل هذه المؤتمرات التي تعقد والإحصاءات التي تقدم إلى هذه المؤسسة لا تخدم الشعوب الضعيفة وتعمل على رقي زراعتها وإنتاجها ومكافحة آفاتها ، بل أصبحت هذه المؤتمرات خادمة لمصالح الدول الكبيرة ، لأن المتتبع لأعمال هذه المؤسسة وغلاء أسعار الحبوب في العالم وبخاصة في جنوبي آسيا والشرق الأوسط والمجاعة التي حدثت في الهند قبل سنة وانتشار الجراد في الشرق الأوسط في هذا العام ، يدرك تماماً أن هناك سياسة محكمة التنظيم والتدبير لمراقبة رغيف الخبز وكيس الدقيق في الدول الضعيفة .

وقد أدركت روسيا هذا الاتجاه فلم تعمل كعضو فعال في هذه المؤسسة ، بل راحت توزع الحبوب وتبادلها مع البضاعات المختلفة ، وجعلتها سلاحاً للحرب الباردة التي شنتها على الحلفاء الغربيين حتى ضجوا منها وأدركوا خطرها على أنفسهم ، لأنهم يعلمون حق العلم أن الطعام أصبح أخطر سلاح بأيديهم فإذا انتقل إلى أيادٍ أخرى أضاعوا ما لديهم من سطوة وشهوة للحكم وامتصاص لدماء الشعوب الضعيفة . وقد نشر نائب حزب المحافظين في مجلس العموم البريطاني Col. Cyril Banks مقالاً بمناسبة تقديم روسيا الحبوب لإيران ، نقلته جريدة The iraq Times في عددها الصادر بتاريخ ٢١ أغسطس ١٩٥٢ جاء فيه :

إن الشعب المحتاج إلى الغذاء سيقبل كل وضع في سبيل الحصول على ضرورات الحياة . لذا فأينما يوجد الفقر والحاجة إلى الطعام يتبع الروس فيها السياسة المناسبة لها . . . وعن طريق إرسال الطعام إلى القطر المعدم يستطيع الروس أن يتصنعوا الوقوف موقف الشيوعيين المنقذين للأرض التي أفقرها الجشع الرأسمالي .

وقد سبق للروس أن جربوا في إيران العملية نفسها فحصلوا على نتائج طيبة مشجعة . وإذا كانت كمية الحبوب التي ستقدمها روسيا لإيران غير معلومة ، إلا أنني علمت أن بريطانيا عندما أبعدت من (عبدان) أعلم الروس الدكتور مصدق بأنهم سيعوضون إيران عن السكر الذي كانت تستورده من بريطانيا . وقد أبر الروس بوعدهم ، وفي مدة قصيرة وصلتهم شحنة قدرها (٣٦) ألف طن من السكر .

ولم تكن إيران المثل الوحيد ، بل منذ سنة ١٩٤٥ اتخذ الكرملين الطعام كسلاح سياسي علني يستعمله بدون أي عائق في الدول الأخرى . ومن المعلوم أن الشعوب الحرة المنتظمة في هيئة الأمم رسمت خطة لمجابهة مشكلة الافتقار إلى الطعام ، ولكن روسيا وهي عضو هذه المنظمة لم ترغب في المساهمة في هذا الفرع ، ولم تقدم أي إحصاء عما لديها من منتوج ، لذا فقد ترك ستالين حراً يعمل ما يشاء .

والآن لاحظوا هذه الأمثلة التي لم يزح عنها الستار إلى

الآن ، وهى أنه عندما توترت العلاقات بين بريطانيا ومصر وطلبت إخراج البريطانيين من أراضيها . أسرعت روسيا إلى فتح المفاوضات مع مصر لتزودها بكل ما تحتاجه عند انسحاب بريطانيا عنها ، ومنها الحبوب . وفى جيكوسلوفاكيا عندما بدأت الانتخابات الحرة الأخيرة قدمت روسيا لها (٥٠٠) ألف طن من الحبوب قبيل الانتخابات لتدل عاماً بها على كرم الاتحاد السوفياتى ، وقد كانت هذه الحركة بلا شك مساعدة تماماً لنجاح الشيوعيين .

(وفى فرنسا اتخذت روسيا نفس الوضع أثناء استفتاء الشعب الفرنسى عن الوضع الراهن عندما أصبحت فرنسا فى خطر انتقال الحكم إلى الأيدى الشيوعية ، فقدمت روسيا لها كميات من الحبوب قبيل أيام الانتخابات . وفى ألمانيا الغربية عند نهاية الحرب واشتداد أزمة الحبوب وصعوبة حصول بريطانيا والولايات المتحدة عليها ، كانت روسيا قد زودت ألمانيا الغربية بالحبوب عن طريق ميناء (هامبورغ) لذا فقد أصبح سكان ألمانيا الغربية يتطلعون إلى مصدر التموين)

وهؤلاء المسئولون عن الاستراتيجية العسكرية يقدرون تمام التقدير قيمة الطعام . ومن الضرورى أن نراعى مستوى الغذاء فى البلاد المحتلة عسكرياً لندرك ما لهذه الطعام من دور فى تطبيق القوانين وحفظ النظام . و (انلايو) خير مثل لما قلنا .

فلكى نخلص من الثورات وقطاع الطرق يجب أن لا نفتش عن الشيوعيين بل يجب أن نعيد بناء الدور ونرفع مستوى الغذاء بين الشعب إلى درجة نقضى فيها على الأمراض المهلكة .

وفى الشرق الأوسط وفى آسيا أدرك الروس خيراً منا قيمة هذه المكرة الحبوبية فى الحرب الباردة . وقد فهموا أن حكمة (كورنك) الشهيرة (السلاح أو الزبدة) تحتاج إلى تعديل إلى القول (بأن الطعام والأسلحة المادية هى أسلحة الحرب) .

ثم يحذر النائب البريطانى المحافظ من نجاح روسيا فى سياستها هذه بعد أن أصبح سكان أوربا فى زيادة لا تتناسب مع إنتاج الطعام . ويقول للشعب البريطانى (حتى الخبز الذى نأكله فى نهاية الأسبوع لا يخلو من تأثير استراتيجية الطعام لستالين . وإن توسع التجارة بين بريطانيا وروسيا يجب أن يدوم ، ولكن ثم من الناس من يوجس خيفة ويدرك خطورة هذا النوع من السياسة التجارية ؟؟) .

إن رغيف الخبز اليوم ، أصبح سلاح الحرب الباردة ، وأصبحت الشعوب الضعيفة تحارب على لقمة العيش ورغيف الخبز لتسد الرمق فتدوم الحياة ويحفظ الجسم من المرض . ولكل حرب سلاحها المبتكر الجديد . ولكن هذا السلاح هو أخطر سلاح ابتكره الإنسان القوى لاستذلال أخيه الضعيف .

إن فقدان رغيف الخبز يميت التفكير ويفسد الخلق ويقضى على الإنسانية . والأمم الضعيفة تقف اليوم بين معسكرين : الأول يوزع الخبز والثانى يوزع الوعود والأمانى .

فأى المعسكرين سيفلح ؟؟

ولأيهما سيكون الموز والقشطة ؟؟

(الموصل) محمود الجوهر

أثر الريف فى الآداب

للأستاذ جمال الدين الرمادى

. . . يمتاز الشرق بريف رائع جميل من بين أرياف العالم . فخضرة نضرة تمتد كامتداد البصر . وأشجار باسقة وارفة ذات ظل ظليل وجداول جارية وغدران هادئة وبهائم سائمة تشد النورج فى روعة وسحر ، وفلاحون بجوار طنابيرهم وشواديفهم يتغنون بأعذب الأنغام . ويمتاز أهل الريف فى مصر ببساطة فى الطباع وسماحة فى السجايا وسجاحة فى الخلق . ويعد الأدب الريفى أدباً عالمياً رفيعاً كما تعد دراسة الأدب الريفى دراسة اجتماعية طريفة تظهرنا على طبائع أهل الريف وأدواقهم . . . وخواطر أهل الريف وأفكارهم .

وقد ظهرت فى فرنسا مثلاً حركة لإحياء الأدب الريفى ذلكم الأدب الذى نشأ على يد تيوفريطس من أبناء الإسكندرية وشاع أثره فى الأدب الأوربى ، فنشأت القصة الريفية عند دورفيه فى قصة استريه . وقد كان دورفيه كاتباً رائع الأسلوب وقصصياً جميل الإنتاج ذا طابع مميز وسمة بارزة فى قصصه . وعاش بين عامى ١٥٨٦ ، ١٦٢٥ . وكتب بسكال فيما بين ١٦٢٣ — ١٦٦٢ كتابه (ريفيات) الذى يحتوى على ثمانية عشر قطعة من الأدب الريفى الرائع . وقد قرأ الكاتب اللامع شارل سورك قصة استريه فأثرت فى نفسه تأثيراً قوياً فعالاً ، فأخرج قصة تهكمية بعنوان (الراعى المسرف) وليس من الضرورى أن نجد فى الأدب الريفى أو القصة الريفية رعاة وراعيات يتعهدون الغنم ويجرون خلف الماشية ، بل ربما نجد بين ثنايا القصة سادة من الطبقة الرفيعة خلقهم الكاتب خلقاً وأقصاهم عن جو القصور والدور إقصاء . . . ! ! . . وقد أعجب فولتير إعجاباً شديداً بكتاب (ريفيات) الذى كتبه بسكال وقال عنه إنه يحوى جميع ضروب الفصاحة . . .

ويعد الكاتب الفرنسى (الفونس دوديه) كاتباً ريفياً ممتازاً كتب رسائله فى حى القرية وتحت طواحين الهواء .

وقد كتب فى إحدى رسائله (أجل . يا سيدى رسائل من طاحونتى . . ولكن ليس الذى يكتب إليك طحاناً . . ولو كان كذلك لضمخنى بياض الدقيق . . ولأثرت هذا العمل على تسويد يدى بالمداد . . . لست طحاناً . . . غير أنى صحفى متواضع . . أمتلك طاحونة ، ولا تثيرك كلمة الامتلاك بالنسبة إلى رجل يحترف مهنتى . فاهدأ بالاً فهى طاحونة عتيقة مهجورة . . فما أحلى المقام فى طاحونتى ! . القرية نائية . . . وأنا أقيم هنا وحيداً فريداً . . وهذا ما كنت أريده . . . فليس لدى حاجة إلى الناس . . .)

وهكذا كان الفونس دوديه يسجل فى رسائله (من طاحونتى) خواطره وخلجات نفسه ونبضات شعوره ويعيب على باريس رياءها الظاهر وأضواءها الخادعة . . . وشرها المستطير ، فكانت رسائله نموذجاً حياً فى الأدب الريفى ظل يلهم الكتاب والشعراء فترة طويلة من الزمان حتى يومنا هذا . . .

وغنى عن البيان أن القصص الريفى كثيراً ما يفتح أمام المصلحين الاجتماعيين كثيراً من أبواب الإصلاح والرقى كقصة (كوخ العم توم) التى كتبتها الأديبة الأمريكية المعروفة هاريت بيتشر ستو ، وكان لها أعمق الأثر على الرأى العام فى شمال أمريكا لما فيها من الصور الحية للظلم والقسوة فى عهد الرق حيث كانت الأغلبية من المزارعين تعتبر الرقيق عاملا أساسياً فى كيانها الاقتصادى ، وكانت زراعة القطن تتفق بشكل فريد مع استخدام العبيد ، وكان العمل ينجز باستعمال الآلات البدائية فقط ، ويمتد تسعة أشهر فى العام فيسمح باستخدام النساء والأطفال أيضاً (كأيد عاملة أولية) .

وقد أثنت رواية (كوخ العم توم) على الكثيرين من ملاك العبيد الإنسانيين الكرماء ، أما سائق العبيد الوحشى (سيموند ليجرى) فقد كان من أصل شمالى ، غير أن

مسز هاريت أظهرت أنه ليس هنالك فاصل بين القسوة والاستعباد ، وأنه من الصعب التوفيق بين مجتمع الأحرار ومجتمع العبيد . فتأثر بتلك القصة الرفيعة الاجتماعية الرائعة الجيل الناشئ . ولم يحقق الكتاب هدفه في أمريكا فحسب إنما حققه في بريطانيا وفرنسا وبلاد أخرى . وألهب الحماسة البالغة في كل مكان لمناهضة الرقيق ومحو الظلم والاستبداد .

وقد أثرت هذه القصة الأمريكية في الأدب الإنجليزى ودعت إلى دراسات اجتماعية طويلة في حرية الإنسان وحقوقه وإصلاح الريف ونهضته . وقد بلغ الأدب الريفى قمته في إنجلترا عند الكاتب الإنجليزى (توماس هاردى) . فهاردى في قصصه (تحت الشجرة الخضراء) وبعيداً عن الجمهور المهموم وعمدة كستر بردج ومس دربر فيل والعودة إلى البلد يصور الريف وأهل الريف تصويراً دقيقاً جميلاً ينتزع العجب والإعجاب .

ولقد شغلت طائفة كبيرة من الشعراء بالريف قبل هاردى مثل كوبر الذى قضى الشطر الأكبر من حياته بين أكماه وانتقل بين المروج والوديان والجداول والغدران . وجيمس طومسون شاعر الفصول الذى كان ينشد أشعاره متصفحاً فيها وجوه الطبيعة ، وقد تبعته مدرسة البستان والمناظر الطبيعية وتأثر أصحابها ببوب ووليم كولنز وبيرنز .

وفى الأدب الروسى كثير من القصص والروايات التى تدور حول الريف وأهله كقصص بوشكين وشعره الذى عاش في زمن عرف بالاستبداد الاجتماعى ، وكان يباح فيه لمالك الأرض أن يملك الفلاحين كما يملك البهائم والماشية ، وكانت السلطة كلها مركزة في يد القيصر والنبلاء من بعده . وقد دافع تولستوى عن الفلاح ونادى بتحويل المجتمع الروسى القروى إلى مجتمع تعاونى زراعى يقوم على نظام المشاع القديم . وصور في كثير من قصصه كقصة (طفولة وحداثة وشباب) الأشياء على حقيقتها ووضعها وضعاً دقيقاً شاملا وتناول حياته ومعيشته وتكلم عن حقيقة القرى والأشخاص والنفوس ، وكان يعيش في مزرعته (ياسنايا بوليانا) بين أهله وذويه حتى هجرها ورحل إلى دنيا الفناء .

غير أن بوشكين كان ممتاز عن تولستوى بشعره العذب الرقيق حتى لقب بأمير شعراء روسيا ، وقال عنه (جوجول) إن بوشكين لظاهرة غريبة ، بل إنه تلك الظاهرة الفريدة للروح الروسى » وقال عنه (دستو فسكى) إن النبوة لتتمثل في شاعريته فإذا كان بطرس الأكبر قد اضطلع بجهود عظيمة جبارة في سبيل الإصلاح الاجتماعى ، فإن بوشكين بيّن طرق الإصلاح وحاء لتقدير الوجدان والروح الإنسانى وما قصائده إلا مصابيح وضاءة تنير ظلمات النفس ، وتحمل للحياة الاجتماعية والعقلية رسالة الفكر الموهوب . وقد صور في قصته (الغجر) هذه الفئة من الشعراء الذين ينتقلون من بلد إلى بلد ومن قرية إلى قرية لا يتقيدون بعرف ولا بقيود مدنية .

ووصف بوشكين القرية الروسية إبان الاسترقاق فقال ...

انظر إلى هذا المشهد . . . .
تر أكواخا حقيرة هنا وهناك . . . .
حشمت وراءها أرض سوداء . . .
ذات صدوع وشقوق . .
وأظلت سماءها سحائب كثاف . . .
أين أنت يا نهر نيقا العظيم . . .
أين أنت أيتها الغابات الممتدة . . .
إنى لا أرى الآن شيئاً . . .
اللهم إلا شجرتين متجاورتين . . . .
جرد الخريف الهاطل إحداها من الورق
وتصوحت أوراق الثانية . . .
وطفقت تنتظر هوج الرياح لتحملها إلى المستنقعات .
ولا أرى في الفضاء سوى . . .
فلاح وامرأتين تتبعانه . . . .
وهو مطأطئ الرأس . . . . . .
يحمل تحت إبطه تابوت طفل صغير . . . .

* * *

وهكذا كان لقصص القصاص وشعر الشعراء في الأدب الروسى أثر كبير في النهوض بمستوى الفلاح ومستوى القرية الروسية اجتماعيا وصحيا ، وشاع الأدب الريفى وذاع بين كثير من الأدباء والكتاب .

ولقد أثر الريف في الأدب العربى كذلك ووجدنا كثيرا من الشعراء والأدباء في مختلف عصور الأدب يتغنون بجماله ويدعون إلى إصلاحه ، وازدادت هذه النزعة في العصر الحديث . وقد وصف أمير الشعراء أحمد شوقى بك الريف في كثير

من قصائده وصفا رائعاً جميلا كقوله فى هذه القصيدة :

الجلّنار دم على أوراقه
قانى الحروف كخاتم السفاح
والنخل ممشوق القدود معصب
متزين بمناطق ووشاح
كنبات فرعون شهرن مواكبا
تحت المراوح فى نهار ضاح
وجرت سواق كالنوادب بالقرى
رعت الشجى بأنة ونواح
الشاكيات وما عرفن صبابة
الباكيات بمدمع سحاح

وقد ظهر حب الريف فى شعر كثير من الشعراء غير شوقى مثل حافظ ومطران ومحمود حسن إسماعيل وأحمد محفوظ وشاعر البرارى . وكان المغفور له أستاذ الجيل الشيخ مصطفى عبد الرازق من أكثر المحبين للريف . وقد كتب كثيرا من الفصول فى مدحه وإيثاره . فقال (إنا نحن الفلاحين أبناء الفلاحين . نبتنا فى المزارع وحول جداول المياه نستنشق الهواء طليقا لا يحبسه شىء ونستقبل الشمس سافرة ليس من دونها حجاب ، ونرى حيث سرنا أهلا وعشيرة إذا مرض أحدهم عدناه وإذا مات سقيناه وإذا مسه ضر مسنا ، وإذ غضب نهضنا معه غضابا لا نسأله على ما قاله برهانا ..)

ويعنى الدكتور طه حسين عناية بالغة بالريف والبيئة الريفية فى قصصه . فشجرة البؤس ودعاء الكروان والأيام من أروع الكتب التى وصفت الريف ومشاعر أهل الريف وصفاً دقيقا بديعاً ، وضمن كتابه دعاء الكروان صفحات معقودة فى وصف المروج والحقول وصوت الكروان الحلو الجميل الذى ينطلق حلوا رفيقا رقيقاً فى الفضاء العريض .

ويعد الدكتور محمد حسين هيكل من الأدباء المبرزين المهتمين بشئون الريف سواء فى فصوله بالسياسة اليومية أو الأسبوعية أم فى قصته زينب التى استمدها من وحى الريف وظهرت على الشاشة البيضاء منذ سنين . ويعد الأستاذ محمد زكى عبد القادر من أشهر الكتاب وأعمقهم فى تصوير الريف وتحليل مشاكله وتشخيص الداء والإرشاد إلى الدواء . وقد أصدر منذ شهور كتابه (صور من الريف) مضمنا إياه بعض الخواطر والصور التى كتبها فى شبابه عن الريف وأهله ووصفها الدكتور هيكل بقوله (إنى واثق من أن قراءك سيشعرون بمثل ما شعرت أنت به اذ كنت تكتب هذه الفصول . سيشعرون بما فى حياة الريف من بهجة مطمئنة هادئة لا تهز الأعصاب ولا ترهقها ، ولكنها تذهب بالنفس إلى عالم من الخيالات الجميلة التى تنبعث إلى الهواء من كل ما فى الريف من مظاهر الروعة والبهاء . . .)

واذا انتقلنا من الأدباء الرجال إلى الأديبات النساء وجدنا السيدة ملك حفنى ناصف أو باحثة البادية تهتم بالريف وتعمل على نهضة فتاة القرية وتعليمها وتربيتها تربية صحيحة تجعل منها مواطنة صالحة وتبعد أثناء ذلك كله عن تيار المدنية البراق فلا تنساق فيه ناسية أو متناسية تقاليدها الشرقية وتعاليمها الإسلامية .

وقادت الكاتبة المبدعة السيدة بنت الشاطئ زعامة حركة مباركة لنهضة القرية المصرية ودبجت بيراعها مقالات رائعة فى جمال الطبيعة المصرية فى الريف وتمنت أن يأخذ الزمن بيدها حتى تكون قرة العين والفؤاد . . .

ومن يتنقل بين أرجاء الريف يجد أدباً شعبيا سائغا يمجد الريف وأهله . فشعراء الربابة ومنشدو الأشعار يملأون كل مكان ويتغنون بمغامرات أبى زيد الهلالى والزناتى خليفة وأضرابهما من الأبطال . وينتقل هؤلاء الشعراء الشعبيون من بلد إلى بلد حاملين فى جعبتهم كثيراً من الأغانى المنظومة والأناشيد الموضوعة قديماً وحديثاً ، ويحلو لكثير من الفلاحين أن يجلسوا عقب انتهاء عملهم اليومى فى ندوة لطيفة على المصاطب أو فى دوار العمدة يستمعون إلى مختارات عذبة من عزف الرباب وأناشيد المنشدين .

إن الريف جزء من الشرق ولا معنى للحضارة كما يقول (ديدرد) إن تركزت فى طبقة خاصة . وكل أمة لا يهتم خاصتها بسواد الشعب مصيرها إلى الاضمحلال والفناء . ومن خصائص الأمم المتحضرة أن يشمل تحضرها مختلف طبقات الشعب ، فرفع مستوى العامل والفلاح هو الدليل البالغ على أن الأمة قد استكملت عناصر حضارتها . وعلى هذا ينبغى للأدباء ألا يغضوا الطرف عن محاسن الريف ومجالبه ، كما ينبغى للأدباء والمصلحين الاجتماعيين أن يدرسوا أحواله ويعملوا على رقيه ونهضته وإدخال الأساليب الحديثة بين نواحيه حتى تغدو القرية نموذجاً نظيفاً حياً يساير ركب الحضارة ويتابع موكب المدنية .

جمال الدين الرمادى

السـفياني المنتظر

للأستاذ إحسان عباس

(اسمه محمد بن عروة أو عروة بن محمد — وربما كان يسمى عنبسة — وهو رجل ضخم الهامة بوجهه أثر الجدري وبعينه نكتة بيضاء ، يظهر في مكان يسمى الوادي اليابس على مقربة من دمشق ثم ينزل دمشق نفسها ، ويجهز جيشين ، عدة كل منهما خمسة عشر ألف فارس ، يرسل أحدهما إلى المشرق والآخر إلى المدينة . أما الجيش المتوجه إلى المشرق فينزل بأرض بابل في المدينـة الملعونة والبقعة الخبيثة — يعني مدينـة بغداد — فيقتل أتباعه فيها ما يزيد على ثلاثة آلاف ويفقرون أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلاثمائة كبش [كبش ؟] من بني العباس ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها ويأخذ عنبسة جارية شابة ورجلا صالحاً من آل علي جميعاً فيقتلهما ويصلبهما ويقول هذه فاطمة وهذا علي ؛ ثم يسبي النساء والأطفال ويقتل الرجال ويأخذ الأموال وإذا ارتد عائداً إلى الشام قامت الصيحة بالمشرق فيهب أمير من أمراء بني تميم اسمه شعيب بن صالح فيستنقذ السبي ويرجعه إلى الكوفة . أما الجيش الثاني فيحل بالمدينة ينتهبها ثلاثة أيام بلياليها ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل قائلا : يا جبرائيل اذهب فأبدهم (أو فأهلكهم) فيضربها جبريل برجله ضربة يخسف الله بهم ولا ينفلت منهم إلا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير وهما من جهينة — ومن هنا قيل : عند جهينة الخبر اليقين — ؛ كل هذا يحدث للجيش والسفياني مع جموع قبيلة كلب في الشام . وعندئذ يظهر المهدي على مسرح الحوادث فيخرج بأتباعه لقتال السفياني ؛ وإذا التقى الجمعان دارت الدائرة على السفياني ففر ويجده أتباع المهدي في أعلى شجرة على بحيرة طبرية وتكون نهايته بعد تسعة أشهر من ظهوره)(1) .

هذه هي القصة التي تدور حول السفياني . فمتى نشأت ؟ وما المراحل التي قطعتها في تطورها ؟ قال أبو الفرج الأصفهاني : زعموا أن خالد بن يزيد بن معاوية هو الذي وضع خبر السفياني وكبره ، وأراد أن يكون للناس فيه طمع

(1) تفسير الطبري ٢٢/٦٣ ومختصر تذكرة القرطبي ص ١٥٨ — ١٥٩ والأغاني ١٦/٨٥ ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ص ٢٠٨ والروايات متداخلة في تكوين القصة ؛ وانظر كذلك لامنس : Le califat de yezid I ص ١٧ والهوامش الملحقة بها .

حين غلبه مروان بن الحكم على الملك(1) . ثم عاد أبو الفرج فشك في صحة هذا الزعم ونسب الوهم فيه إلى راويه . وحجته في ذلك أن خبر السفياني رواه غير واحد وتثابتت فيه رواية الخاصة والعامة . وذكر خبر أمره أبو جعفر محمد بن علي ابن الحسين وغيره من أهل البيت(2) . وليس من المستبعد — كما رأى الأستاذ العلامة الدكتور أحمد أمين(3) : — أن يكون خالد بن يزيد واضع هذه الأسطورة ، لأن الظلم الذي وقع فيه كان يخيل له شيئاً من الأمل في الانتصاف من الفرع المرواني . غير أن هذه النواة للأسطورة غير واضحة تماماً في شكلها الذي وصلنا ، إذ أن السفياني في هذا الشكل الأخير من القصة ليس أملاً لفرع السفيانيين من بني أمية بل هو أمل لعدد كبير من الناس . ولكن بما أن هذا الأمل يتمثل في سفياني — لا في مرواني ولا في أموي — فذلك يدل على وجود هذه النواة منذ البدء . وليس لنا أن ننكر وجودها بعد أن اختفت وراء حجب كثيفة من نسج الأيام .

ثم إن انهيار الدولة الأموية في الشرق ضخم شخصيـة السفياني فجعلها معقد الآمال لا لبيت أبي سفيان فحسب ، بل لبني أمية عامة . وفي أيام السفاح قام أبو محمد السفياني يدعو إلى نفسه ونهض معه أهل قنسرين ومن يليهم من أهل حمص وتدمر ، وأخذ أتباعه يدعون له ويقولون هذا هو السفياني الذي كان يذكر . وكانت شارة العصيان لبس البياض . غير أن حركته أخمدت بسرعة ولم تتم على يديه المعجزة المنتظرة . والمهم أن نتبين في حركة أبي محمد هذا استجابة إلى عقيدة قائمة من قبل حول السفياني ، وأنه كان يذكر ، وأن هذه الحركة قد وحدت أنصار الأمويين من عرب الشام حول لواء واحد وشارة واحدة تناقض الشارة العباسية مبدأً ولوناً .

(1) الأغاني ١٦/٨٥ . (2) المصدر نفسه .
(3) ضحى الإسلام ٣/٢٣٨ الطبعة الأولى .

ولذلك لم يطل الزمن حتى أصبح السفياني محط آمال العرب الشاميين الذين أذلتهم السياسة العباسية وقهرتهم بتقريب العناصر العباسية . وقد كان بعض خلفاء بنى العباس يحس بما يساور الشاميين من أمل حتى قال المأمون لمن استعطفه على أهل الشام « أكثرت على يا أخا أهل الشام . أما قضاعة فسادة همها أن تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه »[1] . وبقى عرب الشام يحلمون بالسفياني حتى خروج المبرقع اليماني بفلسطين سنة ٢٢٧ هـ . فانتسب إلى الأمويين وأشاع أصحابه أنه السفياني فتبعه الفلاحون بفلسطين والأردن مع جماعة من رؤساء اليمانية وقوم من أهل دمشق[2] .

وكان لهذا التطور في الرمز أثر في تطور الأسطورة نفسها ، ذلك أن السفياني حين كثر مرتقبوه ، أخذ يمثل فكرة الانتقام من بنى العباس ، وسيطر معنى الانتقام على الأسطورة بعد أن كانت في أصلها قائمة على معنى الانتصاف وردع الظالم عن ظلمه . ومن هنا أصبح السفياني حرباً على كل ما هو عباسي ، ونقمة تنصب على بغداد ، تلك المدينة الملعونة الخبيثة التي أذلت العرب وسلبت دمشق سيادتها . وعلى ذلك فالدولة الأموية ستعود ، وإذا أخفق أبو محمد السفياني والمبرقع من بعده ، وإذا أخفق العرب المشارقة في إحياء ذلك السلطان فلتنتصر الأموية المغربية لأقربائها ، ليأت أمويو الأندلس أصحاب الخيل الشهب والرايات الصفر مؤيدين للسفياني عند خروجه في قبائل غسان وقضاعة ولخم وجذام[3] . وفي أوائل القرن الرابع حين ترعرع الأمل بعونة تجيء من المغرب ، كان أمويو الأندلس قد بلغوا من القوة والسلطان مكانة مرموقة ، فاتجهت إليهم أنظار الحالمين بعودة السيادة الأموية العربية في الشرق . وإلى هنا فقط تقف الأسطورة كما صنعتها الأخيلة العربية المؤمنة بالأموية ورجعتها ، لأن أمويي الأندلس لم يحققوا الأحلام لأهلها وأصبحوا هم أنفسهم في حاجة إلى سفياني جديد .

إذن فما شأن بقية الأسطورة ؟ ما هذا الخراب الذي يصيب الكوفة ؟ ولم تصلب الفتاة والرجل الصالح رمزاً لفاطمة وعلى ؟ وكيف يستبيح الجيش الثاني المدينة ويقصد مكة فتخسف به البيداء ؟ أو بعبارة أخرى كيف تكون الأسطورة أموية المنبت ثم تترك السفياني في النهاية مهزوماً طريداً يختبيء على رأس شجرة عند بحيرة طبرية ؟ إن النظرة المتأنية لترى في هذه الجوانب من القصة خيالا غريباً لم يصدر عن أهلها الأمويين أو عن أشياعهم من عرب الشام ، بل هو صادر عن خيال أعدائهم العلويين والعباسيين معاً . فقصة صلب الفتاة والرجل الصالح تشويه مقصود للسمعة الأموية ، مع أن الأمويين لم يكونوا موتورين من آل على ، حتى يفرغوا حقداً كامناً في نفوسهم على هذه الطريقة ، بل كان العلويون هم الموتورون . ولذلك أرادت القصة أن تجعل من المنقذ الأموى جباراً مفسداً في الأرض لتمهد السبيل لظهور المهدي منتقماً للعدالة المهدورة .

وبقية أجزاء القصة تصوير دقيق لما تتمناه نفسيات المعادين لكل يقظة أموية ؛ بل لعل الوادي اليابس محاكاة مقصودة « لواد غير ذى زرع » وضعها أعداء الأموية ليدمغوا حركة السفياني بكل ما يشير إلى مقاومة الإسلام . وليست استباحة المدينة ثلاثة أيام إلا ترديداً للصورة التي ترويها المصادر المتعصبة على الأمويين عن معركة الحرة . ومعنى ذلك أن الأمويين سيبعثون من جديد لنشر الظلم والتخريب ، وستتدخل العناية الإلهية حيناً بالخسف وحيناً على يد المهدي لتخليص الناس من شرهم . وأما الخسف الذي ينزل بالجيش في الصحراء فهو تحقيق للنقمة التي كانت تجيش في النفوس على الجيش الشامي الذي حاصر الكعبة حين عاذ بها ابن الزبير ، فقد كان الناس حينئذ يترقبون تدخل العناية الإلهية لتنقذ البيت من أولئك الغزاة . ودار التساؤل على أفواه الأتقياء عن حقيقة المصير الذي ينتظر ذلك الجيش وكانت فكرة الخسف هي الفكرة التي اطمأنوا إليها وترقبوا حدوثها ، وتحدثوا فيما بينهم أن الرسول أخبر عنها في جملة ما أخبر به عن الأحداث والفتن المقبلة[1] . ولا شك أنهم عجبوا في قرارة نفوسهم كيف لم يصب الجيش الشامي مع الحصين ابن نمير أولاً ومع الحجاج ثانيا بالخسف ، وهم الذين كانوا يعرفون ما أصاب أبرهة حين اقترب من البيت . وخلقت تلك الحال في نفوسهم عقيدة لم تجد لها حلاً إلا بالاطمئنان

(١) تاريخ بغداد لطيفور ص ١٤٥ ط . مصر .

(٢) العيون والحدائق لمؤلف مجهول ص ٥٢٦ .

(٣) المسعودي : التنبيه والإشراف ص ٣٣٦ (ج ٨ من المكتبة الجغرافية)

(١) انظر صحيح مسلم ١٨ / ٤ — ٥ ط المطبعة المصرية .

حول مقال « على محمود طه شاعر الجمال واللذة » :

على محمود طه شاعر الانسانية !!

للأستاذ محمد منير آل ياسين المحامى

طالعتنا مجلة الثقافة الزاهرة فى عددها الصادر بتاريخ ٢٥ أغسطس ١٩٥٢ بمقال للأستاذ عيسى الناعورى بحث فيه عن شاعرية على محمود طه « الغنائية فقط » — على حد تعبيره — وقارن بينها وبين « عظمة شوقى الشعرية المتعددة الجوانب » ثم قال إن على محمود طه « لم يكن يعرف الأصالة والإبداع فى غير شعر الحب والجمال وشعر الخمر والطبيعة » وعد هذا « نقصاً فى عظمة طه الشعرية » .

لاشك أن الأستاذ الفاضل قد نسى أن الطبيعة هى التى تهيئ الأديب والفنان والشاعر تهيئة خاصة ، وتعده إعداداً ذاتياً معيناً للتفوق فى ناحية معينة من أدبه أو فنه دون غيرها من النواحى الأخرى . إذن فليس من حقنا — فى هذا المجال — أن ننتقص من عظمة شاعرنا الخالد على محمود طه لأنه أبدع فى شعر الحب والجمال ، ولم يبدع فى شعر الوطنية والرثاء والحماسة . والمناسبات الخاصة .

وهل أن الإبداع فى هذه النواحى دليل على صدق شاعرية الشاعر وعظمة إحساسه القوى وموهبته الشعرية الخالصة ؟ كلا ثم كلا . . لأن بإمكان أى مبتدئ أو نظام يتقن علم العروض والقوافى أن يخوض فى هذه المواضيع بشعره المزخرف المنمق ، فيتباكى فى مواقف البكاء ، ويتفاخر فى مواقف الفخر ، ويتظاهر بالوطنية وهو أبعد ما يكون عن تفهمها بمعناها الصحيح ! ! وهذا تاريخ الأدب العربى يزخر بالأمثلة الكثيرة التى تبرهن على صحة رأيى .

إذن فليس من الصواب أن نطالب الشاعر بالخوض فى كل موضوع ومعالجة كل ناحية فى شعره إرضاء لمشاعرنا واستجابة لرغباتنا الذاتية ، إذ من حقه أن يحتفظ بحريته فى الانطلاق فى أى جو من الأجواء التى يهواها وتهفو إليها نفسه لكى يخرج لنا شعراً صادقاً ينبض بالحيوية والقوة والجمال .

وهذا هو عين ما فعله على محمود طه . . فهذه دواوينه الشعرية الثمانية زاخرة بالقصائد الرائعة النابضة بالجمال والحرارة ، وقوة الخيال وسهولة العبارة ، مع وقع موسيقى يحلو للآذان سمعه ، وتحرك نغماته أوتار النفوس .

وبالرغم من هذا ، فإن ما نظمه على محمود طه فى الوطنية والرثاء والمناسبات الخاصة — وهو لايكاد يزيد على ربع

إلى أمل فى المستقبل ، وتبلور ذلك الأمل مع الزمن فى قصة السفيانى .

وهنا نرى كيف استمدت القصة بعض عناصرها من واقع التاريخ ؟ بل إن قيام شعيب بن صالح التميمى باسترداد التى ليس إلا إخضاعا للأسطورة تحت مبدأ العصبية القبلية بين العرب ، وإرجاعا للنزاع القديم بين عرب العراق وعرب الشام ، كما تمثل فى التاريخ بين المنادرة والغساسنة وبين على ومعاوية .

وترمز الصلة بين السفيانى وبحيرة طبرية إلى شبه السفيانى بالدجال لأن المسيح — وهو كالمهدى فى جميع صفاته — سيقابل الدجال عند بحيرة طبرية ويقتله هنالك . وبين الدجال والسفيانى مشاركة فى غير مظهر ، فكلاهما مصاب فى عينه وكلاهما يقود إلى الضلالة قبائل لخم وجذام .

هذا ما أراه فى تفسير التطور والتحريف اللذين لقيتهما قصة السفيانى ، أما التطور فلعله لم يجاوز نهاية القرن الرابع وأما التشويه فقد لحق القصة فى عهد مبكر . ولما كتب الطبرى تفسيره كانت القصة قد ابتعدت كثيراً عن أصلها وأصبحت تمثل وجهة نظر معادية للنزعتين الأموية والعربية .

إحسان عباس
كلية الخرطوم الجامعية

شعره — يكاد يبلغ منتهى الروعة والصدق والتأثير دون أن تشوبه شائبة من « قلة الإبداع » أو « الرغبة فى المجاملة وحب المشاركة فقط » — كما ادعى الكاتب — .

إن على محمود طه لأرفع نفساً وأجل قدراً من أن يضطر إلى قول شعر أو نظم قصيدة بدافع « المجاملة وحب المشاركة » فهو على ما عهدناه دائماً ذلك الشاعر الحر فى نزعته . . الحر فى تفكيره ، المترفع عن المادية والمصالح الخاصة التى تدفع غيره من الشعراء أو المتشاعرين إلى « المجاملة وحب المشاركة » فيقولون ما لا يشعرون ، ويلوكون الشعر فى أفواههم حتى ليبدو ضعيفاً تافهاً لا روح فيه ولا معنى ولا حياة .

ثم يرى الأستاذ الناعورى أن على محمود طه لم يصرف جانباً من تفكيره الشعرى ومن شاعريته إلى النواحى الاجتماعية والإنسانية . وأنه لو فعل « لاستطاع أن يزود شعره بعنصر هام من عناصر القوة والجمال » .

كيف تتناسى يا أستاذ تلك القصائد الرائعة . . الصادقة فى إنسانيتها . . والمؤثرة فى النفوس بمعانيها السامية ومقاصدها النبيلة كقصيدة (الموسيقية العمياء) وقصيدة (ميلاد شاعر) ؟ ؟ بل ماذا ترى فى قصيدة (الأجنحة المحترقة) التى يقول فيها :

أنا من يغنى بالمصارع فى العلى
ويشيد بالآلام والأحزان
ماذا وراء الدمع من أمنية
أو ما وراء النوح من نشدان
أصبحت ذا القلب الحديد وإن أكن
فى الناس ذاك الشاعر الإنسانى
ووهبت قلبى للخطار ، فللهوى
شطر ، وللعلياء شطر ثانى
وعشقت موت الخالدين وعفت من
عمرى حقارة كل يوم فانى
لولا الضحايا الباذلون دماءهم
طوت الوجود غيابة النسيان

حتى يقول :

ليثر على القضبان كل معذب — وليحطم الأصفاد كل مُعانى
هذا الزمان الحرّ ما لشعوبه — صبر على الأصفاد والقضبان
لم تبصر الأمم الحياة على سنًى — كالنار فى شفق الدماء القانى

أهناك قصيدة تصل فى السمو والإنسانية إلى ما وصلت إليه هذه القصيدة ؟ .

وهذه قصيدة (على الصخرة البيضاء) التى أقتطف منها هذه الأبيات :

ألا ما لهذا البحر غضبان مثلما
تنفّسُ فيه الريح عن صدر ثائر
لقد غمر الأكواخ فوق صخوره
ولج بها فى موجه المتزائر
وألحى على قطانها غير مشفق
بهم أو مجيل فيهم عين باصر
لقد غرقوا فى إثر أكواخهم به
وما لمسوا من حكمه عفو قادر
وسجّاهمُ باليمّ زاخر موجه
وأنزلهم منه فسيح المقابر

ولو استطردت فى إيراد الأمثلة من شعر على محمود طه الزاخر بمثل هذه العواطف الإنسانية السامية لملأت الكثير من الصفحات ، ولكنى أكتفى بذكر بعض القصائد الأخرى التى أرجو من الأستاذ الناعورى أن يراجعها ليتأكد من صحة ما أقوله كقصيدة (الله والشاعر) و (الفن الجميل) و (عاشق الزهر) و (إلى البحر) و (الطريد) و (بين الحب والحرب) و (إلى الطبيعة المصرية) . . كما أن ديوان (أرواح وأشباح) خير دليل على إنسانيته . . ويؤيد رأيى هذا العلامة الأستاذ توفيق السلحدار حين يقول فى معرض تقديم الديوان إلى القراء : « إن هذا الصنيع — ويعنى الديوان — منظومة أنافت على أربعمائة بيت فى شأن يعنى الإنسانية بأسرها لأنه يتعلق بالفطرة البشرية » .

فهل نستطيع بعد هذا أن نقول إنه « لم يكن يعيش ليؤدى رسالة ما إلى المجتمع بقدر ما كان يعيش لنفسه » ؟ ؟ . . ولو فرضنا أنه كان كذلك ، فيكفيه فخراً بأنه قد أنشد . . وأطرب بإنشاده آلافا بل ملايين من المعجبين من أبناء العربية ، وداعب أوتار قلوبهم بشعره الغنائى الرائع المستوحى من حياته الخاصة وتجاربه النفسية فى الحب والحياة والجمال .

(بغداد) — محمد منير آل ياسين المحامى

سفراؤنا غير الرسميين فى العالم الغربى

كان من بين الهيئات الرسمية التى حرصت الحركة الإصلاحية الحاضرة بمصر على تطهيرها هيئة التمثيل السياسى فى الخارج .

ولقد دلتنى جولتى بربوع أوربا فى الصيف الحاضر على أن هذه الهيئة التى هى عنوان وطننا وأداة وقايتنا ، ومظهر كرامتنا بحاجة إلى زيادة فى التطهير ، وإلى تعزيز من ناحية أخرى هى ناحية السفراء غير الرسميين من أعضاء البعوث العلمية ، ومن المصطافين ومن المقيمين ، ومن ممثلى الصحافة والشركات .

فالطالب المصرى فى الجامعة الأوربية أو الأمريكية أكثر اتصالا بالطبقة الغربية المستنيرة من رجال السلك السياسى أنفسهم ، وفى سلوكه بين الجامعيين وبين سواد الشعب ما يؤدى أكثر مما يؤديه التمثيل السياسى أداء صالحاً أو فاسداً وفقاً لحسن اختياره أو سوئه .

ولن يقل عن البعوث ذلك الفريق الرياضى الذى يتصل بالشعوب الأوربية أكثر مما يتصل بها أصحاب القبعات العالية .

وأكثر اتصالا بهذه الشعوب بطبيعة الحال من يقيمون بينهم من مندوبى الهيئات المصرية لأنهم مقيمون — كل أولئك مسئولون عن الدعاية لنا أو علينا وكل أولئك يجب اختيارهم ممن يشرف الانتساب إليهم .

وما نتجنى على أبناء وطننا فى الخارج ، ففيهم نماذج عالية للمواطن المصرى . ومما نذكره بهذه المناسبة ذلك الشاعر الكبير الدكتور أحمد زكى أبو شادى الذى كان بمصر وكيلا لكلية الطب بجامعة الإسكندرية والذى تعددت نواحيه المشرفة ، فهو الصحفى المبرز ، والأديب والعالم والسياسى . ومن آثاره أيام كان عضواً ببعثة فى انكلترا صحيفة علمية أنشأها هناك ولا تزال تصدر فيها إلى الآن .

ومن آثاره فى مصر مدرسة أدبية لا تزال تتشرف بمذهبه . ولقد كان من أوائل من رفعوا الصوت مجاهدين ضد الفساد ، وكان من أوائل ضحاياه فنحّى عن منصبه فى الجامعة رغم ما هو مفروض من استقلال الجامعات وحصانة رجالها .

ولقد نشرت الصحف المصرية فى شأنه منذ عهد قريب بعض معلومات خاطئة صور فيها بأنه منفى إلى أمريكا أو شبه منفى وأنه يريد أو يراد له من محبيه أن يعود .

والحقيقة التى أعلنها فى هذه الكلمة أنه ترك مصر غيرة على حريته وأقام فى أمريكا راغباً فى البقاء بها ناشراً لمصر أجمل دعاية بما يكتبه وما يذيعه وبشخصه كفاية وعلما .

وإنما الذى يراد له من محبى مصر قبل أن يكونوا من محبيه أن تسند إليه مهمة رسمية متجانسة مع المهمة التى يقوم بها احتسابا — هذا هو التصحيح لما كتب عنه ، فما يريد أن يعود ولا فى مصلحة مصر أن يبقى مكانه فى أمريكا شاغرا . وهو السفير غير الرسمى بغير منصب سفير ولا مرتب سفير .

وإنما نذكر هذا المثل الصالح للمواطن المصرى فى الخارج دلالة على عدم تجنينا على المواطنين الذين نرجو تطهير التمثيل منهم ، سواء كان هذا التمثيل سياسياً أو علميا أو رياضيا .

ولقد رأيت أثناء هذا العام ما أتردد فى إعلانه لا ضنا بالحق أن يذاع ، ولكن لأنى أوثر أن أدلى به إلى المسئولين أولا قبل نشره على الكافة .

إن حركة التطهير فى الداخل ليست ألزم من مثلها فى الخارج . وإن غير الرسميين أحق بالتطهير من الرسميين الذين تناولهم التطهير .

نعم وأحسب أن التطهير لا يتم بإبعاد الفاسدين — بل بحشد أكبر عدد ممكن من المواطنين الصالحين .

وأن التطهير ليس معناه تناول فاسدى الذمم الذين يكفى القانون العادى فى الأحوال العادية لتحميلهم مسئولية أعمالهم .

وإنما التطهير إعادة تنظيم الصفوف لما فيه تحقيق للمصالح العامة ، ويكفى لتأخير فرد عن فرد أن يكون فى ذلك إلزامه حدود حقه .

ليس الغرض استصفاء ما بين يديه . ولكن الغرض أن لا يزيد ما بين يديه على حساب محروم أفضل وأجدر .

(الإسكندرية) أحمد عوض

فضل التوابل على الجغرافيين

للأستاذ مبارك إبراهيم

خفيفة الوزن . ولكنها راجحة القدر فى ميزان التاريخ . تلك هى التوابل ، والحصول عليها اليوم شىء لا مشقة فيه ولا عسر . فالناس يرون كل يوم ربة الدار تمسك بسلتها وتجوب دهاليز السوق وحنياته . وتأخذ ما تشاء من التوابل . فهذا فلفل من الهند ، وهذا زنجبيل من جامايكا وهذا قرنفل من زنجبار .

ومنذ قرون كانت هذه الأوراق والبزور والجذور الطيبة الرائحة والتى يسيل لها اللعاب تغرى المغامرين وركاب الخطر بالسفر البعيد . وتعين على بناء الامبراطوريات وهى التى بفضلها ازدهرت المدائن والممالك . وبفضلها بنيت الكنائس والقصور . وبفضلها ارتقت الصناعات والفنون . ومن أجلها أريقت الدماء فى أقصى الأرض .

وفارق « كولمبس » قومه . وغادر بلاده سعياً وراء التوابل ، وبحثاً عن أشياء أخرى . ولكنه بدلاً من أن يعثر عليها عثر على نصف الكرة الغربى . وتبعه « ڤاسكو دا جاما » ومن جاء بعده من الرواد البرتغاليين والهولنديين والإنجليز . وقد جدّوا جميعاً فى البحث عن هذه الأطعمة الثانوية الثمينة ، فكان ذلك سبباً فى فتح كثير من بلاد العالم وجعلها مراداً للكشوف الجغرافية وميداناً للتجارة .

وكان أولئك الأقوام يخاطرون بحياتهم وهم يكاد يقتلهم الطمع ، ذلك لأن هذه التوابل كانت قبل اختراع وسائل التبريد الحديثة تساعد على درء الفساد عن الأطعمة . وكانت كذلك تجلب من مواطنها البعيدة لتتخذ منها البخور ، وليستعان بها على تحنيط الجثث ، ولتصنع منها الأدهان والعطور .

وكلمة spice ومعناها التابل بالإنجليزية مشتقة من كلمة Epice بالفرنسية وهذه بدورها ترجع إلى أصل لاتينى وهو species ومعناها الصنف أو النوع . ولذلك فلا عجب أن نرى إلى يومنا هذا البدال الفرنسى يسمى حانوته Epicerie أى محل بيع التوابل ، لأن الفرنسيين يعنون أشد العناية بالطعام الجيد . وبالدور المهم الذى تلعبه التوابل فى إعداد الأطعمة وإجادة صنعها .

وعلى مر السنين ، وبعد أن تتابعت رحلات الرواد الأولين كثر ورود التوابل من بلادها الأصلية إلى أسواق الدنيا ، حتى أصبحت التوابل فى غير أزمنة الحروب ، فى متناول كل يد ، وفى مقدور كل جيب . والمشاهد اليوم أن كل بلد قد اختصت بإصدار أنواع معينة من التوابل . فأكثر ما تصدره أمريكا يجيئها من جزر الهند الشرقية ومن شبه جزيرة الملايو ومن الصين ومن الهند الصينية ومن اليابان . وهى تستورد من تلك البلاد الفلفل والخيار شنبر والقرفة وجوزة الطيب .

واختصت أوروبا وأفريقيا بإصدار خمس وعشرين فى المائة من محصول التوابل ومنها الكروياء والكزبرة والكمون وبزور الخشخاش والزنجبيل والسعتر .

ومن مصادر الإنتاج الأخرى للتوابل جزر الهند الغربية . وكذلك بلاد شبه القارة الهندية التى ترسل إلى العالم بالجزء الأكبر مما يستهلكه من الفلفل .

وقد تحدث واحد من الذين تخصصوا فى تذوق صنوف التوابل فقال :

يوم كنت حديث العهد بمهنتى كانت تتولانى الحيرة كلما أردت تحديد نوع التابل واسمه . وكنت أسائل نفسى : ما هى التوابل على وجه التحديد ؟ وما أوجه الاختلاف بينها وبين الأعشاب ؟ ثم تلقيت الجواب على يد خبير قديم قال : إن كلمة « التتبيل » و « التطييب » و « التمليح » إنما هى أوصاف تنطبق انطباقاً شاملاً على كل مادة تؤتى الأطعمة رائحة طيبة . والرأى عندى أن تطلق « كلمة تابل » على كل مادة طيبة الرائحة وبخاصة تلك النباتات التى نبتت فى المناطق الاستوائية . وإذا أردت تشبيها للطعام متبلا وغير متبل ، فقل إن الطعام غير المتبل مثله كالرجل الأبكم . أما الطعام المتبل فهو كالرجل الذى أوتى الفصاحة كلها . وإن

لأذكر أنواع التوابل التى تستحق هذه التسمية فأقول : هى البهار ، والخيار شنبر ، وأوراق الخيار شنبر ، والقرفة والقرنفل والزنجبيل وجوزة الطيب والفلفل الأسود . وقد يصح أن يضاف إلى هذه الأسماء الفلفل الأحمر ومشتقاته .

وهناك غير هذه التوابل بزور طيبة الرائحة ومنها الأنيسون والحبهان والكروياء والكرفس والكمون والكزبرة والشبت والشمر والحلبة والخردل والخشخاش . ومن الناس من يجعل حب الخردل من البزور الطيبة الرائحة . ومنهم من يسلكه فى قائمة التوابل .

وكذلك من الناس من يظن أن هناك صلة من صلات القربى بين الفلفل الأحمر والفلفل الأسود . وهو ظن خاطئ .

ومن صنوف الفلفل الأحمر صنف يقال له « بابركا » إذا أطعمته طيور الكناريا استحال ريشها الأصفر إلى اللون الأحمر .

وتعمل الكثرة من أصحاب متاجر التوابل على استخراج مستحضرات طيبة الرائحة من تلك التوابل . وذلك بإذابة الأجزاء الطيبة الرائحة فى الكحول . كما يستخرجون منها محاليل تقتل الحشرات .

وفى مدينة « ديجون » بفرنسا متجر لا يبيع إلا مستحضرات الخردل وهو قائم هنا منذ عام ١٧٧٧ وأصحابه لا يزالون يحتفظون بسر تركيب تلك المستحضرات . ولكنهم لا ينكرون أن البيض الأبيض هو عنصر من أهم العناصر الداخلة فى تركيب تلك المستحضرات .

وأكبر المستهلكين للتوابل هم أصحاب مصانع اللحوم المجففة ، وأصحاب المجازر ، وكذلك أصحاب مصانع الأطعمة المحفوظة .

وتدخل القرفة فى تركيب الأدوية والعطور والأدهان ويقال إنها تبعث كامن الحب . وقد ورد ذكرها فى كتاب « ألف ليلة » وفى حكايات السندباد البحرى وهو يقول فى إحدى تلك الحكايات إنه سافر من البصرة إلى جزيرة مجهولة حيث قايض بما كان معه من جوز الهند بمقادير كبيرة من الفلفل والقرنفل والقرفة .

وذكر الخيار شنبر بين أسماء الأعشاب الصينية القديمة .

واستوردت مصر تابلاً يشبهه فى القرن السابع عشر قبل الميلاد .

وورد فى الإصحاح الثلاثين من سفر الخروج (من أسفار العهد القديم) أن القرفة والخيار شنبر كانا يستعملان فى تركيب الزيت المقدس (وقال الرب لموسى خذ لك أعطارا : ميعة وأظفارا وقنة عطرة ولباناً نقياً تكون أجزاء متساوية . فتصنعها بخوراً عطرا . صنعة العطار . مملحاً نقيا مقدسا . وتسحق منه ناعما وتجعل منه قدام الشهادة فى خيمة الاجتماع حيث أجتمع بك) .

وكذلك ورد فى الإصحاح السابع من سفر الأمثال أن عطراً من العطور كان مركباً من القرفة والعود والمر (بالديباج فرشت سريرى . بموشى كتان من مصر . عطرت فراشى بمر وعود وقرفة) .

وفى عام ١٦١١ جهز رهبان دير الكرمليين عطراً قوامه القرفة ممزوجة بتوابل أخرى . وقد ذاع صيت هذا العطر وانتشر انتشاراً عظيما .

وكذلك استعملت القرفة مضافاً إليها القرنفل والثوم والكافور ومواد عطرية أخرى فى تركيب دواء كان معروفا باسم « خل اللصوص الأربعة » وقد صنع هذا الدواء أربعة رجال ليقوا أنفسهم شر عدوى الطاعون يوم كانوا يسطون على بيوت الموتى والمحتضرين أثناء انتشار وباء الطاعون فى قرية من قرى فرنسا فى القرن الثامن عشر .

ولما قبض عليهم ليحاكموا كان هذا الدواء الواقى سبباً فى العفو عنهم .

وقد كانت تجارة التوابل والحرير فى القرون الوسطى سبباً فى الغنى والثراء لأهل البندقية . وكان من آثار هذا الغنى أن بنيت العمارات الضخمة التى خلدت فن البندقية المعمارى عبر الدهور .

وقد نسبت إلى التوابل — إن حقاً وإن باطلا — خصائص متنوعة . فقد كان الناس يظنون أن القرنفل والكسبرة وجوزة الطيب والقرفة ومثيلاتها هى دواء لأمراض كثيرة تبدأ من البرص وتنتهى بالأرق .

وهناك فكاهة تروى وهى أنه فى القرن التاسع عشر انتشر وباء من الأوبئة فى مدينة فينا فأرادت إحدى السيدات

أن تقى نفسها شر الوباء ، وأن تطرد الرياح التى تنقل عدواه فوضعت على قبعتها طاحونة صغيرة من طواحين الهواء . وجاءت بمركبات الجير فركبت زجاجاتها فى أسلاك مظلتها ، وجاءت بأكياس من الأعشاب ذات الرائحة الطيبة فعلقتها فى أزرار قيصها . واتخذت من فصوص التوم أقراطاً . ثم علقت فى رقبة كلبها لافتة كتب عليها : والآن لا خوف من العدوى !

وقد جعلت القصص التى كان يقصها الرحالة البندقى « ماركوبولو » الملاحين والتجار الذين قرأوها يظنون أن لو استطاع أحد أن يكشف طريقاً بحرياً موصلا إلى الهند لاتّحت كل الصعاب التى لقيها « ماركوبولو » ولاستطاع من قدر له أن يقوم بهذه المغامرة أن يعود محملا بالتوابل .

ولما كان « كريستوفر كولومبس » قد شب ونما فى « جنوا » فقد حفزته — يوم بلغ مبلغ الرجال — رحلات « ماركوبولو » إلى السفر غرباً ليصل إلى القارة الأسيوية وقامت فى وجهه العقبات ، وأخيراً أمده ملك إسبانيا وملكتها بثلاث سفن صغيرة وبدأ رحلته واتجه فى سفره ناحية الغرب ووجد أرضاً . ولكنها لم تكن الأرض التى كان يمنى نفسه ببلوغها وهى أرض التوابل الأسيوية .

وبلغ « ڤاسكودا جاما » قبل موته بثمان سنين أرض الهند وذلك بطوافه حول أفريقيا . وقد غلب دهاؤه دهاء التجار من المسلمين . وأقام علاقات تجارية مع الحكام الوطنيين وعاد محملا بالتوابل وبالعروض الثمينة . وأخيراً كان للبرتغال طريق تجارى مع بلاد الشرق ، وفى ذلك الزمن كان ثمن الفلفل قد ارتفع حتى أصبح لا يستطيع الحصول عليه إلا الأغنياء القادرون . ولما عاد « دا جاما » من رحلته ظلت البرتغال مستمسكة بالثمن الغالى الذى بلغه الفلفل قبل تلك الرحلة .

وفى جزيرة « سيلان » تكثر القرفة كثرة هائلة ، وهى لا تقل فى قيمتها عن القرنفل والفلفل . وفى عام ١٦٥٨ أزاح الهولنديون الأقوام البرتغاليين عن الجزيرة ، وفى أيام حكمهم ازدهرت زراعة القرفة ازدهاراً أربى على الغاية ؛ وما إن جاء عام ١٧٩٦ حتى جاءت شركة الهند الشرقية فوضعت يدها على تجارة القرفة ومكنت للإنجليز فى تلك البلاد ، وبقيت القرفة مادة محتكرة للإنجليز حتى عام ١٨٣٣ .

ويروى الراوون أن رجلا فرنسياً اسمه « پوفر » "Poivre" ومعناها الفلفل . كان حاكماً على جزيرة « موريشس » الواقعة شرقى جزيرة مدغشقر ، وقام هذا الحاكم بزيارة حاكم جزيرة « أمبوانا » وهى إحدى جزر الهند الشرقية ، وهناك سأل زميله فى استحياء أن يريه زراعات جوزة الطيب . فطاف به الحاكم أرجاء الجزيرة وأراه تلك الأشجار ذات الثمر الجميل .

ولما غادر « پوفر » « أمبوانا » كانت بزور جوزة الطيب والقرنفل قد أخذت مكانها فى ثنايا جيوبه ، ونقل هذه اللُّقى الغالية إلى أرض جزيرته فربت وأنبتت من كل زوج بهيج .

وأما الزنجبيل فقد عرفه الشرق قبل أن يعرفه الأوربيون ، وكان الشرقيون يستعملونه للتطييب والتتبيل كما كانوا يستعملونه كلون من ألوان العسل ، وكصنف من صنوف الدواء .

وكان الإسبانيون أول من توسعوا فى زراعته يوم أدخلوا تلك الزراعة فى جزيرة « جامايكا » وإحدى جزر الهند الغربية .

وقد جاء البحّارة الأمريكيون بتابل جديد كان له الأثر البالغ فى قائمة الأطعمة الأمريكية . ذلك التابل هو « الكرى » .

والغربيون بوجه عام يعرفون نوعاً واحداً من « الكرى » ؛ ولكن الهنود لهم صنف معين من « الكرى » لكل لون من ألوان الطعام .

وأنواع « الكرى » فى الهند تكسب ألوان الطعام مهما يكن نصيبها من التفه نكهة طيبة .

والرجال المشتغلون بتجارة التوابل وبتحضيرها ومزجها لا يخافون أن تزيحهم عن أوجهم خلاصات الروائح المركزة التى تستخرج باستقطار زيوت تلك التوابل . ذلك لأنهم يعرفون أن الإنسان لا يستغنى أبداً عن أكل الأطعمة التى تنتجها الحقول ، وأنه سوف يظل على كراهيته لما تنتجه معامل الكيمائيين وأنابيبهم قروناً طويلة . وهم يقولون دائماً : إن الطبيعة لا تقهر .

مبارك إبراهيم

نقد

نظرات فى ديوان :

وحدى مع الأيام

للشاعرة فدوى طوقان

للأستاذ كمال نشأت

فدوى طوقان شاعرة من شواعر العربية المجيدات على قلتهن فى الأقطار العربية . وقد صاحبت شعرها منذ سنين على صفحات مجلة « الرسالة » فكنت ألمح البرعم الشعرى الغض وهو يتفتح أمام أشعة النضوج الفنى . وهى فى ديوانها هذا تصل إلى قمة نضوجها الشعرى .

« وحدى مع الأيام » مجموعة شعرية تربطها رابطة واحدة وتجمعها آصرة قوية . فالديوان كله لا يخرج عن أن يكون هتفة شوق وصرخة حرمان ، وهى فى أشواقها الحائرة وحرمانها الظامىء الأنثى الشاعرة ذات الفطرة السليمة والطبع القويم وأظهر ما يلفت النظر فى هذه المجموعة الشعرية روح البساطة الإحساسية والصراحة التى ترتفع بروحها عن الخجل الزائف والمداراة الرخيصة .

إن الإحساس بالفراغ هو نبع هذه الشاعرية العالية ، وهذا الإحساس الذى تدور عليه حياة الشاعرة ولّد فى نفسها الألم والانطواء والكآبة . . فلا عجب إن كان شعرها كله شعر الحزن والدموع والتشاؤم !

وهذا الاتجاه نتيجة طبيعية سليمة . . ولو قالت فدوى غير هذا لكذبت على إحساسها .. وعلى فنها ... وعلى الناس !

ولكن شاعرتنا تغمس ريشتها فى قلبها لترسم لنا هذه العواطف اللاهبة فى دقة وصراحة وأمانة ، وهذا هو عمل الفنان الحق . إن الشاعرة تحس إحساساً ضخماً بوحدتها . فهى لاتنفك تذكر هذه الوحدة وآلامها فى صدق وإحساس وبراعة تعبير . وهل أدل على ذلك من عنوان الديوان « وحدى مع الأيام » . وهذه أبيات متفرقة لم أتعمد البحث عنها . . ولكنها لفتت نظرى إلى هذه الظاهرة :

سرت وحدى فى غربة العمر فى التيه
العمى به الحياة السحيق
وجذف بأوهامك الراعشات
فى زورق ما به من رفيق
عج الأسى فى نفسها الشاعرة
فى ليلة مقرورة كافرة
وحيدة .. ضاق بها مخدع
توغل فيه الوحشة السادرة

فهى لاتنفك تشير إلى وحدتها .. وهذه الأبيات الأخيرة من قصيدة خالدة (وأنا وحدى مع الليل) وهى هتفة من أعماق الحس الإنسانى الجريح . . هتفة خلدت هذا الألم اللاعج الكبير فى نفس شاعرة كبيرة !

ويتسق إحساس شاعرتنا بالفراغ والوحدة مع إحساسها بالانتهاء . . . فليس هناك امتداد كما تقول :

لم جئت للدنيا . . . أجئت لغاية هى فوق ظنى
أملأت فى الدنيا فراغاً خافياً فى الغيب عنى
أيحس هذا الكون نقصاً حينما أخلى مكانى
وأروح لم أخلف ورائى فيه جزءاً من كيانى

* * *

إن كان غيري في وجودهم امتداد الوجود
صور ستنق منهم يحيون فيها من جديد
فأنا سأمضي لم أصب هدفاً ولا حققت غاية
عمر نهايته خواء فارغ . . . مثل البداية

وهذه صرخة الأمومة الحبيسة . . في أجمل شعر تقع عليه العين . أيكون هذا الإحساس هو الذي جعلها تربط بين نفسها وبين الفراشة الصريعة :

أختاه لا تأسي فهذي أنا
أبكيك بالشعر الحنون الرقيق
قد أنطوي مثلك منسية
لا صاحب يذكرني أو رفيق

وإحساس شاعرتنا بالفراغ .. تجده في كل قصيدة بل لا أغالي إذا قلت في كل بيت ! .

ولذلك كان طبيعياً أن تتجه الشاعرة بعواطفها نحو الطبيعة التي وجدت فيها السلوى والأنس والحب والاطمئنان :

هذي فتاتك يا مروج فهل عرفت صدى خطاها
عادت إليك مع الربيع الحلو يا مثوى صباها
عادت إليك ولا رفيق على الدروب سوى رؤاها
كالأمس .. كالغد.. ثرة الأشواق.. مشبوباً هواها

وهناك في أحضان هذه الطبيعة السمحة تجلس شاعرتنا في وحدتها الناعمة لتسبح في أحلام يقظة رحيمة . . . قاسية . فتفكر في المصير البشري الذي يطوي الناس في كل يوم وتحس أنها خلقت لشيء ، ولكنها لا تعرف ما هو . . ثم تفرق من هذا المصير التعس وتخشى على نفسها منه . . وهنا يتسق تفكيرها وتعبيرها مع إحساس الأنثى الخالد :

آه ياموت ترى ما أنت ؟ قاس أم جنون
أبشوش أنت ؟ أم جهم ؟ وفي أم خؤون
يا ترى من أي آفاق ستنقض عليه
يا ترى ما كنه كأس سوف تزجيها إليه
قل .. أين .. ما لونها ؟ ما طعمها.. كيف تكون

هو تساؤل وجهة شاعرة تفرق من الموت ولكنها مع ذلك تسأل عنه سؤالها عن شكل خطيب لم تره ! وهو تساؤل لا يمكن أن يجري إلا على لسان أنثى ! إن التقاليد الشرقية في بلدها والتي طالما شكت منها في شعرها عامل من عوامل تعاستها .. ففدوى إنسانة شفافة الروح شاعرة القلب إنسانية النزعات . ومن كان في مثل رهافتها وحسها عسير عليه أن يخضع لهذه القيود . . . . . . فأي خيبة وأي ألم إذا منحتها الأقدار حبا ثم خيبّت هذا الحب ؟ لقد مرت فدوى بهذه التجربة القاسية التي كانت طعنة أخرى من طعنات القدر فتركت هذه التجربة آثارها العميقة في نفسها الشاعرة !

أين الذي نادى ومد اليدين
وقلبه العاني على الراحتين
ملوحا بالأمل المشتهى
كيف مضى ، فيم توارى ؟ وأين
راح . . كأن لم يحي فينا نداه
بعد خمود الموت روح الحياه
أهكذا لما أجبنا هواه
ردنا للموت في لحظتين

لقد تضافرت عوامل عديدة على صهر هذه الروح الفنانة من موت العزيزين الأب والأخ . . . إلى الفراغ الموحش .. إلى الفشل في الحب .. إلى التقاليد الصارمة .. فأي قلب يا فدوى تحمل كل هذا العذاب ! .

إن شاعرية فدوى طوقان شاعرية الفطرة السمحة التي لم تعقدها الحزلقة والرغبة في التفلسف وإسباغ أجواء ثقافية تبعد بالشعر عن ميدانه الأصيل . وأوضح ما في شعرها إحساسها وموسيقاها . وديوانها هذا لا يحمل إلا عواطفها في أبسط صور التعبير وأقربها إلى النفس .

ويكفي فدوى أنها صاحبة « نار ونار » و « إلى صوره » و (الشاعرة والفراشة) و (في سفح عيبال) و « وأنا وحدي مع الليل) و (أوهام في الزيتون) و (قصة موعد) وغيرها من قصائدها الناجحة لتأخذ مكانتها بين شعراء العربية الممتازين .

(رمل الإسكندرية)

كمال نشأت

بين المجلة وقرائها

الذين لم تهدر صيحهم الثورة :

الحكم للأيام صرحه فإذا رأيت منه ولا تسل
وكذا طهاة الرأى تتركه للدهر ينضج على مهل

« حافظ إبراهيم »

يبدو أنى قد وفقت فى اختيارى لهذا العنوان ، فالذى لا شك فيه أن الثورة الراهنة قد غيرت قيم الأشياء فى مصر تغيراً جوهرياً ، وأن المصريين قد بدأوا ينظرون إلى تلك « القيم » نظرة جديدة صادقة لم يجر الشأن على سننها من قبل .

وعندما يكتب التاريخ صفحة هذه الثورة فى سجله الخالد فسيذكر لهؤلاء الضباط أنهم قهروا هذا العصر ، وكشفوا عن حقيقة « نواطير مصر » فى مقاعد رياستهم أيام ذلك العهد البغيض . وإذا كان حقاً ما قال « المتنبى » منذ عشرة قرون من أن الجود يفقر والإقدام قتال ، فإن هؤلاء «النواطير» لم يكونوا فى أمتهم أجوادا أو مقادم يوماً ما ، بل الذى لا شك فيه أنهم أخطأوا دفع الثمن فى شراء تلك المقاعد .

وهكذا جاءت الثورة المنقذة من شرور الأعراض والشهوات ، فهدمت صروح الظلم والفساد من أساسها وحطمت قيود الرق والعبودية التى شلت نشاط الأمة وعاقتها عن الحركة والنهوض .

ولكن رجالا نأوا بجانبهم عن سوءات ذلك العهد ، فلم يدخلوا سوق السياسة ، ولم يرتبطوا مرة بطرف من أطراف الهوى السياسى ، فلم تهدمهم الثورة ولم تستطع هدمهم ، لأنهم كانوا فى الأبراج العاجية أرفع من السياسة خلقاً ، وأجل منها قدرا .

كانوا يعيشون فى محيط الأدب وحده ، وفى حدود تفكيرهم الأدبى الصرف وشرعوا بفكرهم الثاقب ، ورمايتهم الصادقة ، يرمون لقاح الثورة فى عزائم الشباب ، ويوقظون الوعى القومى النائم ، ويفتحون آفاق الأمل للأرواح الحائرة بشباة أقلامهم ، وحبات قلوبهم الشاعرة ، فما وهن لهم عزم ، ولا خبا لقلوبهم نور إيمان ، حتى جاءت الثورة وبدأ عصر الإصلاح والتجديد .

هؤلاء وحدهم يحق لنا اليوم أن نذكرهم بالحمد والإجلال ونحيى فيهم روح الإخلاص والجهاد الصادق والإيمان العميق .

محمد على هدية

(المحرر) ننشر هذه الكلمة الطيبة تحية للذين يعملون للفكرة ولا يطلبون من ورائها نفعاً .

(بعث إلينا الأستاذ عبد المنعم عواد يوسف بقصيدة من إرهاص الشباب نحو الشاعرية ، وقد بعث بها فى مناسبة عيد ميلاده . ويسرنا أن ننشر منها هذه القطعة الشاعرية تحية فى ذلك العيد راجين أن تندح هذه الشاعرية وشيكا ليتمتع بها قراء الثقافة) .

« ربيع شاعر !! »

عشرون عاماً . . إنها عمر الورود أو الزهور
الساميات على الغدير . . الضاحكات مع الطيور
الرانيات إلى ذكاء . . الهافيات إلى البكور
فإذا استجبت إلى الهوى . . أهفو لتقبيل الزهور
وأحس فى نفسى حنينا نحو هاتيك الثغور
لكنى — والله يشهد — عشت كالأمل الطهور
أبداً أحلق فى السماء . . مع الكواكب والبدور
فالشاعر الفنان — لو تدرون — من عطر ونور
ويعيش حياً فى ضمير الخلد . . يرتاد الدهور

عبد المنعم عواد يوسف
كلية الآداب

إلى حضرة رئيس تحرير مجلة الثقافة :

سيدى الفاضل رئيس تحرير مجلة الثقافة الغراء

أحمد الله إليك — وبعد :

أكتب إليك بعد أن كدت أيأس من نفسى ومن مستقبلى .

أنا شاب ممن ابتلاهم الله بحب القراءة والاطلاع . ولست أدرى أخير هذا أم شر . وأغلب الظن أنه شر لأنى لم أخرج بنتيجة بعد إلى الآن . إنى أقرأ منذ ثلاث سنوات تقريبا ، وأملك مجموعة لا بأس بها من مؤلفات كتّابنا المعاصرين وأقرأ الكتاب والثقافة والرسالة . ولكن ياسيدى — والحق يقال — إن ماأقرؤه لا يستقر فى ذهنى أكثر من أسبوع ؛ اللهم إلا إذا كان قصة وهى أغلب ما أقرأ .

أخبرنى يا سيدى أهو قصور فى التفكير ، أم ضعف فى الذاكرة ، أم فى الملكة الأدبية ؟ كدت أيأس وأرمى بالكتب والأدب عرض الحائط . وكثيرا ما فكرت فى بيعها لأريح نفسى من عناء هو كالسراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

سيدى . هل أطمع فى أن أشغل من وقتكم الثمين ما ترد به علىّ وترشدنى ؟

أعتقد أن كثيراً من القراء الناشئين أمثالى ينتظرون منكم النصح والتوجيه والإرشاد ، وأنتم المنار الذى يضىء لنا الطريق — أرجو ذلك وإنى لمنتظر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟ .

أحمد محمود أحمد

بالجامعة الأزهرية

ياسيدى : لاتحسب أن المقصود من القراءة هو أن يخرج القارئ منها على محصول محفوظ يستطيع أن يردده لنفسه إذا شاء أو أن يعيده على أسماع غيره فى المجالس . لقد كان هذا هو المقصود من الاطلاع والعلم فى عصور البداوة عندما كان الأدب أو العلم لا يزيدان على زينة للمجالس أو وسيلة للتعالم والتظاهر . لا تحزن يا سيدى على أن ذاكرتك لا تواتيك إذا أردت أن تتذكر ما قرأت . وحسبك إذا قرأت أن تفكر فيما تقرأ وأنت تتفاعل معه فتقيس به أفكارك وتقيس أفكارك به .

حسبك يا سيدى أن تدخر فى أعماق نفسك ما تجنيه من مطالعتك ، فإنه لا يذهب سدى بل يستقر هناك على غير وعى منك . وثق أنك تنمو كلما نمت معارفك مادمت تجعلها جزءاً من أفكارك ، وما دمت تتأثر بها وتهتز لها وتتفاعل معها .

(المحرر)

النـــــيروز الحرّ

(تحية وترحيب لحفلة النيروز التى أقامتها جمعية التوفيق القبطية بالقاهرة يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩٥٢)

بُوركتَ ياوطنى العزيزَ محـــبرّراً
تَمحاً وفى كلِّ القــلوب حبيبَا

قالوا : توَحَّدَتِ الشُّفوفُ ، فهل نَسُوا
أنَّ (الهلالَ) الأمسَ كان (صليبَا) ؟

لو أستطيعُ كَتَبْتُ شِـــعرىَ من دمى
حتى أزيدَ بشِـــعرىَ التَّرحِيبَا

لو أستطيعُ سألتُ كلَّ خميــلةٍ
وبعثتُ بالشِّـــعْرِ المُنوَّرِ طيبَا

لو أستطيعُ زَففْتُ ما أنا عاشِـــقٌ
ليـكون قُرباناً أعَــــزَّ قريبَا

لو أستطيعُ بَعثتُ مِنْ ضَحكِ الضُّحى
كنزاً ، ومِنْ لَهَفِ الغُروبِ نسيبَا

لو أستطيعُ وَهَبْتُ كلَّ مُكافحٍ
عُمْراً تكرَّرَ فى الخُـــلودِ عجيبَا

لو أستطيعُ أعَدْتُ أعواماً مَضَتْ
لِتَقُصَّ أحـــلاماً رَأَتْ ووجيبَا

لو أستطيعُ بذلتُ أضـــعافَ الذى
حُمِّلْتُ فى إيثـــارىَ التعذيبَا

لو أستطيعُ غسلتُ ساحــةَ دُورِكم
بمدامعى ورشـــشتُها تطييبَا

لو أستطيع هَربتُ مِنْ شيخوختى
ورَجعتُ أرفلُ فى الشَّباب قشيبَا

لو أستطيعُ أبحْتُ قلـــبىَ كلَّه
نَغَماً لدى قُدسِ الجمـــالِ أديبَا

لو أستطيعُ سَبَكْتُ (للنَّيروز) مِنْ
شَغَفــــى ضياءً طاهراً ولهيبَا

لو أستطيعُ لَطِرْتُ فوقَ خواطرى
حتَّى أُقبِّلَ (ماهراً) و (نجيبَا) !

(نيويورك) أحمد زكى أبو شادى

« أصـــــداء »

كل ما مرّ من حياتى أحــلا
م ، وكل الذى تبـقى أمانى

أى شىء غير الحطام من الكا
س ، وغير الصدى من الألحان ؟

صوحت روضــق وجفت سواقـ
ـيها ، وغاضت نضارة الأغصان

نعب البـوم فى ذراها وكانت
منـــبراً للحمام والكروان

وليالٍ كان الشباب يوشى
بردها والشباب فى عنفوان

بفنونٍ من المحـــاسن شتّى
وفنون شتّى من الإحسان

كيف ولّت ما بين طرفة عين
وتولت كأنهن ثوانى ؟

وطواهـــا النسيان إلا بقايا
ذكريات تسمو على النسيان

* * *

رب يوم بثثت دجـلة شكوا
ى ، فاصغى لبثهــا الشاطئان

وتنزّت أثباجــه بحنــين
وتهادت أمواجـــه بحنان

ليت شعرى أذاكر هو عهدى
ووِدادى بعــد السنين الثانى ؟

(نزيل القاهرة) عبد الحميد الراضى

الصباح الجديد ...

بأجمل صوت وأقوى وتر
سأنشدُ لحنَ العلا والظفَرْ
وأمشي على القمم الخالدات
بنور الملاك وعقل البشر
وأقهر تلك المآسي التي
تمادتْ وألعنُ تلك الحُفَرْ
وأخرسُ همهمة الخائنين
وأمحو البِلى وأبيدُ الخوَرْ
وأملأ هذا الوجود الكبير
تحايا إلى جيشنا المنتصر
وأطربُ سمعَ الزمان العظيم
فأسمعه بشريات القدر
بروحي بأعمق ما في الفؤاد
أحييك يا ابن الخلود الأغر
وأضفي عليك الثناء النبيل
وأزجي إليك الوفاء الأبر
وأطوي ضلوعي على فرحة
أثارت شعاع المنى فانتشر
وثَبْتَ فشرفت تاريخنا
وما كان أحفله بالعبر !
ومن يكُ في صدق عزم « النجيب »
يصدِّعْ صروحا ويبدع أخر
ويخلقْ لموطننا من جديد
كريم المعاني وعفَّ الصوَر

* * *

ذكرتُ عرابي وهل نَسِيَتْهُ
قلوبُ الورى ونفوس الزُّمَرْ
بطولته جذوةٌ للكفاح ...
وإيمانه ... مَثلٌ ذو خطر
ولولا الخيانة من خائنين
قضينا من النصر أسمى وطر
وما هزمتنا جنودُ الضلال
ولكنها قصة الحذر

تدنَّست الأرضُ بالغاصبين
فبتنا على لفحات الضجر
وبين جوانح كل أبيٍّ
جحيمٌ تطاير منه الشرر
أسودٌ يعذِّبها المستبدُّ
فتزأر في غضب مستعر
وتحطمُ قضبانه القاسياتِ
بأقطع ناب وأعمق ظفر
لتنعم مصرُ بحريّة
براها الإله لكل البشر
فيخمد أنفاسها الطاهرات
غشومٌ ويزعم أن قد ثأر
ومِنْ عجبٍ ساعد الظالمين
أخٌ وابنُ عم ... فيا للخبر !
لقد علموهم فنون الخداع
فصاروا « خنافس » لا تستقر
وباعوا الضمائر بيع الخسار
وساروا سراعاً إلى المنحدر
فهم الظلام وجن الفساد
وكشر للخير وجه الضرر !
ولما غدا أمرنا للطغاة
وأصبح أفضلنا من لجر !
وساد الوضيع وباد الرفيع
وداس الغني على المفتقر
وعز اللئيم وذل الكريم
وأمست حقائقنا تنقبر
تَفجَّرَ بين المعالم فجرٌ
تلاشى الدجى بعده واندثر
وعند ائتلاق الصباح الجديد
تجلى « النجيب » الفتى المنتصر

محمد سلومة مصطفى

من أغاني الحرية :

يا وطـــني ...

على شاطئ الفجر سال المدى
يعانق صبحك حين اغتدى ..
ورفّت عليك أغاني الحياة
وآن لواديك أن يسعدا

* * *

سجى حولك الطير في الشاطئين
ورفرف فوق الضحى منشدا
... وقد كان أمسك .. ليل النحيب
وأوشك فجرك أن يحمدا ..
كأن الظلام .. وراء الغيوب
على الأفق أقسم أن يخلدا .. !

* * *

وسالت جراحك فوق الرمال
تنث السعير لظى موقدا
فيوماً شربت كؤوس العذاب
ويوماً تجرعت كأس الردى
وفي حانة الظلم بين القيود ...
تأوه ضعفك مستنجدا

* * *

ورنت ضراعاتك الباكيات
صلاة ترقرق فيها الهدى ..
وردد صوتك بين الدموع
هتافات شعب جريح الصدى .. !!

* * *

ولكن روحك .. روح السماء
أبت أن تزل .. وتستعبدا
فجاهدت مستبسلا .. صابراً
بعزم يحطم بأس العدا ..
ودوى نشيدك في الخافقين ..
يباركه الله .. أنى شدا ..

* * *

تناديك ياموطن الخالدين
أماني شعب .. يرجى الفدا
قم اليوم .. وانفض غبار السنين
عن الضفتين .. وعش سيدا ..
صباحك يهتز بين الغصون
رخي النسيم .. رطيب الندى
فأطلق شراعك .. فوق العباب
يشب بمصباحه الفرقدا
وعش للحياة .. وعش للخلود ..
فأنت المفدّى .. ونحن الفدا .. !

محمد فوزي العنتيل

أول الليل

« الى كل من أحس بالألم وشعر بالغربة »

قلت مات الدجى ، فقالت : رويداً
لم تزل منه يا حبيبي بقية !
قلتُ والفجر كيف لاح ؟ فقالت
ذاك نور يشع من مقلتيه
فابتسمنا سوية .. سكرنا
بثمالات كأسنا الذهبيه

* * *

نحن في الحب شاعران نغني
وازيلي اسى يرين عليه
قد رعانا الهوى ونوّر فينا
برعم الحب والأغاني الشجيه
نحن نحن الوجود يا أخت روحي
ما علينا من القلوب الغويه

* * *

وانتشينا بالنور حتى استفاقت
ملء أعراقنا أمان خفيه
وصحونا من سكرة الليل لما
رفرفت حولنا رؤى عسجديه
بعث الصبح بالحياة لقلبينا
فكنا سر الحياة الفتيه
قلتُ مات الدجى ، فقالت : تولت
ليلةٌ من غرامنا آلهيه
قلتُ هيا نعيدها ليلةً جذلى
ونغني في نشوةٍ علويه
وابتسمنا سويةً ثم عدنا
فسكرنا من خمرنا الصوفيه

(بغداد) زهير أحمد

مقصدار ممتاز

للأستاذ طاهر شريف

... وأخذ رأسه بين يديه وأرسل فكره شارداً يتخبط بين ذكريات الماضى . . لقد أحبها . . وأحبها حتى تكون كل حياته أثناء عمله وفراغه . فما كانت تمضى لحظات إلا وهو يقلب صفحات الحياة باحثاً عن الطرق التى توصله إليها والعوامل التى تمكنه من إضفاء السرور والهناء عليها .

وقد كان « خليل » على شاكلة « نابليون » لا يؤمن بأن قاموس الحياة يضم لفظ «المستحيل» فعمل وسعى وإذا به وإياها يلتقيان ويتحابان ويتعاهدان على الزواج .

ومنذ ذلك العهد صار « خليل » خطيباً له « سعاد » يبادلها عاطفة بعاطفة وحباً بحب فى كثير من التحفظ والكتمان ؛ إذ رأيا من الحكمة ألا يجاهرا بذلك وسط عمال الورشة حتى يتم الزواج بسلام .

وشاء القدر أن يتحداه . ففى ذات يوم جلس «خليل» إلى «خطيبته» يبادلها نظرات العطف والوداد . بينما كانت تغمره وهى تحدثه بنظرات ملؤها الحنان . وشعر كل منهما بأنه مدفوع إلى صاحبه بدافع قوى لا يدرك له سبباً . فلم يكن دافع الزواج دون غيره هو الذى يؤلف ما بين قلبيهما بأوثق رباط . وكانا يشعران حين يذكر أحدهما لرفيقه طرفاً من ماضيه بأنهما يقتربان من ذلك السر ويكادان يكشفانه . ولكنه كان يفلت فى كل مرة من بين أصابعهما وهما يوشكان أن يظفرا به .

وقربت « سعاد » مقعدها من مقعد « خليل » وناشدته :

— قصّ بالله عليك قصة مما وقع لك أيام صباك . فإنى تواقة دائماً إلى قصص الصبا . . وغمرته موجة من الحزن والألم ولمعت عيناه بالدموع حين بدأ يقول :

— إن أنس لا أنس عصر ذلك اليوم الذى خرجت فيه مع أختى « خديجة » التى تصغرنى بعامين . وكنت وقتذاك لا أتجاوز الثامنة من العمر ... خرجنا نتبع «الأراجوز» فى هرجه ومرجه ونطوف معه بأزقة وحوار لم يسبق لنا المرور بها . وكان جل نظرى متجهاً إلى صدر أختى أراقب فيه سلسلة فضية تنتهى فى طرفها بمدالية تضم صورة « أمى » خشية أن ينتزعها بعض الصبية . فلما أنهكنا السير والصياح وشرعنا فى العودة — ضللنا الطريق — وكان الوقت قد أمسى وغالبنى النوم . فلما صحوت من غفوتى وجدتنى مستلقياً على دكة خشبية فى « محل طرزى » . وجلت ببصرى أفتش فى جنباته عن أختى فلم يقع نظرى إلا على مكواة ومقص فوق بنك خشبى متواضع ، وعلى مقربة منه رجل يجلس على مقعد أمام ماكينة خياطة متبالية صدئة. فداخلنى الرعب . واستولى على قلبى الذعر . وصحت باكياً . . أمى . . أختى . . فرفع الرجل قامته عن قطعة من القماش كان يحيكها . وأقبل نحوى يسألنى عن اسمى واسم أبى وموقع بيتى . فأجبته فى صوت مختلط بالبكاء عن اسمى واسم أبى . أما موقع بيتى فكان من العسير على أن أهتدى إليه أو أرشده عنه . فصار الرجل يربت على كتفى فى عطف وإشفاق ويجفف دمعى ويداعب وجهى بأصابع يده ويخرج من جيبه قطعاً من النقود يستهوينى بها ويغرينى بمنظرها . ولم ينقطع بكائى ويهدأ روعى إلا بعد أن وعدنى بمقابلة أختى « خديجة » التى كنت

لا أنتأ أذكرها . . ومرت الشهور والسنون تباعاً ، وتوثقت عرى المحبة والألفة بيني وبين ذلك الرجل . كان يدعى « الأسطى فرحات » وكان أرمل عقيما . لا أنيس له ولا جليس يستطيع أن يسكب نفسه في نفسه . فما أن كنت أخرج من المدرسة حتى يقبل على بمكنون قلبه وغاية أمله ؛ راجياً أن يأتي اليوم الذي أكون فيه « مقصداراً ممتازاً » فأحول هذا المحل الضيق العتيق إلى ورشة فسيحة حديثة تموج بالعمال وتغص بالعملاء . ولكن فكرى كان لا يزال شارداً ونفسي ما تزال موزعة بين الماضي والمستقبل. بين أختي « خديجة » الضالة وبين أمنية « الأسطى فرحات » التي كان صداها ما يزال يطن في أذني ويملأ خاطرى . . ومضيت أحدث نفسي . أحقاً يأتي اليوم الذي أكون فيه « مقصداراً ممتازاً » فأحول هذا المحل العتيق إلى ورشة حديثة تموج بالعمال وتغص بالعملاء ؟ يالها من أمنية حالمة . سرعان ما داعبت قلبي وسرت بنفسي سريان الدم من العروق . وشعرت بخيوط دقيقة تشد من عزيمتي نحو هذا النور الذي بدأ يشع في جنبات حياتي ويضيء أمام بصرى ما حاكه لي القدر من ثوب قشيب .

وتغير مجرى حياتي . . فتركت المدرسة وعكفت على ممارسة الصنعة . وساعدني على ذلك تفوقي في علم الرسم وحساب المثلثات ومبادئ الأخلاق . وهذا ما كنت أعتقده — سر نجاحي — فوضعت نفسي من « الأسطى فرحات » موضع الصبي المطيع لا أعصى له أمرا ولا أقدم إلا على ما يرضاه . . فطابت نفسه وقرت عينه . . ثم استجاب نداء ربه راضياً مرضيا .

وغمرتني موجة من الحزن والألم . وشعرت بأن الحياة رغم سعتها وانفراج ما بين أطرافها أضيق في عيني من كفة الحابل . وكان شبحه لا يزال ماثلا أمام عيني . . فتذكرت أمنيته المأثورة « مقصدارا ممتازا » . يالها من كلمة محببة إلى القلب عزيزة على النفس حافزة الهمم موحية بكل جديد . نعم بكل جديد . ! لم لا ؟ وقاموس الحياة لا يضم كلمة « المستحيل » فعملت . وعملت . وجددت جميع محتويات المحل وأتيت بما لم يأت به « الأسطى فرحات » . حتى فن التفصيل وابتكار الأزياء استمددتها من أحدث الكتالوجات الأوربية . فزاد العمل وكثر المال وضاق المحل بالعمال . . ومن حسن الحظ أن مصلحة التنظيم أزالت صفا من المباني المواجهة . فاتسع الشارع وظهر المحل واضحا جليا يستلفت أنظار المارين من رجال وسيدات . فعملت على تحويله إلى ورشة كبيرة . وأدخلت فيها قسما خاصا بملابس السيدات .

كان كل شيء قد بلغ غايته . ولكن شيئا واحدا لم يكن . . . ! إنه قلبي . كنت أشعر بلفائفه تتمزق حين يمر به طيف أختي « خديجة » وفي صدرها تلك السلسلة الخالدة التي تنتهي بصورة « أمي » . .

وإني إن أنس لا أنس عصر ذلك اليوم . يوم أن حضرت أنت يا سعاد إلى الورشة تطلبين عملا ، وشعر كل منا بأنه مدفوع إلى صاحبه بدافع قوى لا يدرك له سببا . فما وجدت عملا يليق بك ويتناسب مع ما أنت عليه من رقة وفتنة وفصاحة إلا أن تكوني « عارضة للأزياء » .

ومال « خليل » على جبين « سعاد » يطبع عليه قبلة حارة — دفعه الحنين إليها — فوجدها تبكي . . فآلمه بكاؤها وسألها في إشفاق . . هل أسأتك في شيء ؟ أم وجدت في قصتي ما دفعك إلى البكاء ؟ . . قالت سعاد وهي في شبه غيبوبة . نعم . لقد آلمتني قصتك .. ويسعدني أن تناديني من الآن بـ « خديجة » ومدت يدها إلى صدرها فأخرجت من تحت ثيابها « سلسلة فضية تنتهي في طرفها بمدالية تضم صورة أمهما » . . .

فغمرت « خليلا » موجة شديدة لا يدرك كنهها .. أهي موجة الحزن والألم لفقده خطيبته ؟ أم هي موجة الفرح والسرور للقائه أخته ؟ . . . وأخذ رأسه بين يديه وأرسل فكره شارداً يتخبط بين ذكريات الماضي . . لقد أحبها . . وأحبها حتى كادت تكون كل حياته .

طاهر شريف

الثقافة

العـــدد ٧٢٤
١٠ من نوفمبر ١٩٥٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر

الثمن ٣٠ مليماً

خاتمــة المطاف

٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢

شهدنا ذهول الشمس عند انحدارها
ويختك يجتاز الخضمّ المروّعا
وقد ختّم الصمت الرهيب ونكست
رؤوس أبت بالأمس إلا ترفعا
وذل جلال القصر وارتاع صخره
كأن لم يكن من قبل صرحا ممنعا
وقفنا وقوف الشك نستلهم المنى
ونستنجد الأسماع أن تتسمعا
نجسّ محز القيد من عضلاتنا
وهل زال أم ما زال قيدا مقنعا
حسبنا الذى نلقاه حلماً فلم ندع
لعاطفة فى القلب أن تتسرعا
نحسّ ونأبى أن نثور فربما
تفرق من أحلامنا ما تجمعا

* * *

فكيف تهاوى التاج من فوق هامة
تهاوت لها الهامات بالأمس ركعا
وأين عتوّ للمالكين ورهبة
ترد عيون الشعب أن يتطلعا
هوى الصاخب الجبار واندك كبره
وعادت أمانيه السواحر أدمعا
أطلّت عليه الشمس والأمر أمره
فلما طواها الليل لفّهما معا
(إذا أنت لم تعرف لشعبك حقه)
تخلى فلم يعرف لعرشك موضعا

* * *

طريق العلا أن يرفع الشعب رأسه
وأن لا يراه المستبدون طيّعا
طريق العلا أن يعرف الشعب حقه
ولا ينثنى عن غاية الحق أصبعا
وما الجيش إلا الشعب نظّم نفسه
وأقدم مهتاجا إلى المجد أروعا
ومن لم تثره الحادثات فسمه
إذا شئت ميتاً زوّر الصحو وادعى

عبد العليم محمد القبانى

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز
الدكتور أحمد أمين

الإدارة

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٢٥٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العدد ٧٢٤ الاثنين ٢٢ من صفر سنة ١٣٧٢ — ١٠ من نوفمبر سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة عشرة

حبابك عشرة !

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

هذه كلة تعلمتها من أصدقائى فى جنوب الوادى فى أول زيارتى لهم منذ سنوات ، وهى من أول ما تعلمته هناك من مصطلحات التحية . قلت لأحد الأصدقاء : « مرحباً ! » فأجابنى على الفور : « حبابك عشرة » ، ومعناها باصطلاح أهل الجنوب « مرحباً بك عشر مرات » . هكذا يجزى أهل الخير الحسنة بعشرة أمثالها ، والتحية الواحدة بعشر تحيات معاً ، والمودة بأضعافها المضاعفة ، جرياً على سنة الشرق السمح وعلى سنة الإسلام الكريم . فهذه التحية قطعة من تراثنا الثقافى المشترك الذى يدل على مقدار ما بيننا وبين العالم الآخر الغربى من فوارق فى وجهة النظر إلى الحياة ، وفى تقدير القيم فى الحياة . ففى الغرب تحيى صاحبك قائلا : « كيف أنت ؟ » فيرد عليك صاحبك قائلا : « كيف أنت ؟ » ، وبذلك يجيب على التحية بمثلها صاعاً بصاع ، لا يزيد عليها شيئاً من الشكر ولا من الفضل ، ولكنك إذا اقترضت منه نرضاً لم يرض أن يقرضك شيئاً حتى يأخذ منك رهناً ، ثم تقاضى منك فائدة القرض لا ينزل عن قرش واحد منه ، مراعاة لصداقة أو مودة . هذه هى قاعدة المعاملة عندهم ، هذه هى نظرتهم إلى أمور الحياة كما تظهر فى أحوالهم الخاصة والعامة . ولست أريد بهذا القول أن أوجه إليهم نقداً أو ذماً ، ولا أن أوجه إلى أهل الشرق مدحاً ، لأنى لا أرى فى مثل هذا الوضوع ما يدعو إلى الذم أو المدح . والذى أحب أن أذهب إليه من وراء هذه القدمة أن الساسة المصريين عند ما يريدون أن يتعاملوا مع ساسة الشعوب الأخرى عليهم ألا يغفلوا مثل هذه الطباع الجوهرية ؛ لأنها هى التى تملى على الشعوب سياستها . فالسياسى الذى يريد أن يتفاوض فى مسألة من المسائل الدولية مع دولة غربية يخطئ أشد الخطأ إذا هو تساهل فى دين فلم يأخذ عليه رهناً ، أو تنازل عن قرش واحد من الفائدة التى اعتاد الغربيون أن يتقاضوها فيما بينهم . وإذا أراد المفاوض المصرى أن يساوم دولة غربية فى مسألة من مسائل السياسة كان عليه أن يستوثق من كل حرف من حروف العقد الذى يعقده ، وأن يحتاط فى كل تعهد يتعهد به ، ولا يسمح لنفسه أن يدخل فى مساومته أى تقدير للمجاملات أو المكارم التى تعود تقديسها . فالحسنة لا ينبغى لها أن تقابل إلا بحسنة واحدة مثلها ، وأن تقاس الحسنة وتوزن وتقدر حتى لا يكون الجزاء زائداً عليها ولا بمقدار شعرة . وقد طالما أخطأ ساسة الشرق عند ما خرجوا عن هذه السنة فى معاملاتهم مع دول الغرب سواء فى العصور القديمة أو فى

العصور الحديثة . فقد أخطأ سليمان القانوني مثلا — سلطان تركيا — عند ما حملته السماحة الشرقية على أن يجزي أهل الغرب على خدمتهم للدولة العثمانية ، بأن منح الرعايا الغربيين بعض امتيازات كانت في أول أمرها هينة عند ما كانت تركيا دولة مرهوبة الجانب . وقد تورط سليمان القانوني في هذه (المكارم) لأنه جرى على سنة أهل الشرق في جعل ثواب الحسنة بعشرة أمثالها ، ولأنه أقحم صداقته لملك فرنسا في ذلك الوقت ، وأراد أن يظهر له مودته بمنح تلك الامتيازات لشعب فرنسا . فتلك الامتيازات صارت فيما بعد أكبر العلل التي أدت إلى انهيار كرامة تركيا ومجدها ، وساعدت على تحطيم كيانها في داخلها وخارجها . وقد أخطأت كذلك الحكومة المصرية في أوائل أيام هذه الحرب الماضية ، لأنها انجرفت مع عاطفة المودة التي تخيلت وجودها بين إنجلترة ومصر بعد عقد معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وتورطت في معاملاتها مع الإنجليز ، فتساهلت في كثير من الشئون المالية والإدارية والسياسية بحجة تلك الصداقة المزعومة ؛ فكانت النتيجة أن أصيبت البلاد بأفدح الأضرار المالية والإدارية والسياسية في مدة تلك الحرب وبعدها . ولو فطن الساسة المصريون إلى الحقيقة التي يفهمها الغرب في معاملاته لما تورطوا في شيء من هذه (المكارم) السخيفة ، بل لوقفوا عند كل صفقة يحللون مقاديرها وأوزانها ، ويحددون حدودها وعواقبها . ثم لأصروا في كل حالة على أن تكون الصفقة متعادلة الطرفين : لا فضل فيها ولا تساهل ، ولا رعاية لشيء اسمه الصداقة . ولكن الأمر يختلف اختلافاً ظاهراً عند ما يكون التعامل مع بلد من بلاد الشرق ، لأن المقاييس عندهم واحدة أو متقاربة ، والمبادئ عندهم واحدة أو متقاربة ، وقيم الحياة عندهم واحدة أو متقاربة .

وقد مرّ حين طويل على الساسة المصريين وهم حيارى لا يستطيعون أن يحلوا مشكلة العلاقة بين مصر والسودان لأنهم كانوا غير موفقين إلى معرفة السر الأول الذي يحل تلك المشكلة . كان الساسة المصريون يتجهون دائماً في محاولتهم حل المسألة السودانية إلى المفاوضة مع الإنجليز بحجة أنهم هم شركاء مصر في الحكم بالسودان ، ولأنهم هم أصحاب السلطان في ذلك الجانب من الوادي . وكانوا يتورطون في هذه المحاولات تورطا شديداً ، لأنهم كانوا لا يريدون أن ينتهجوا نهجاً سليما في مفاوضتهم مع الإنجليز ، لأن المفاوضة مع الإنجليز لا تكون إلا على أساس واحد ؛ وهو قياس المنافع ، ووزن المصالح ، ومبادلة الأشياء بأثمانها . فكانوا يتجهون إلى الشعب السوداني بوجه وإلى الإنجليز بوجه آخر ؛ فيقولون للسودانيين : نحن إخوانكم ، ويقولون للإنجليز : نحن شركاؤكم . وهذا الاضطراب هو سر الفشل المتكرر الذي أصيبت به السياسة المصرية في شأن السودان من مبدأ الأمر ، لأن المسألة لا يمكن أن تحل إلا على وجه واحد من الوجهين : فإما أن يكون حلها مع الإنجليز بالأسلوب الذي يلائم المفاوضة مع الإنجليز ، وإما أن يكون حلها مع إخواننا أهل السودان بالأسلوب الذي يلائم الاتفاق مع الإخوان أهل السودان .

وقد استطاع رجل واحد أن يدرك بذكائه ، أو بقول أدق ، استطاع رجل واحد أن يدرك بإلهامه المرهف هذا السر . ويعمل على تجنب النفاق والتردد والتوزع بين الوسائل ، وذلك هو محمد نجيب . فقد اتجه محمد نجيب بطبيعته الصريحة السليمة إلى الشعب السوداني وحده ، وفتح له قلبه ، وبسط له يده ، وقال في بساطة : « نحن إخوان فهلم نتفق » . وحدثت المعجزة سريعاً ، فإن الشعب السوداني — الشعب المشرب بمبادئ الإسلام والشرق — ذلك الشعب يسارع إلى فتح قلبه هو الآخر وبسط يده قائلا : « نحن إخوان فهلم نتفق » ! هنالك قال محمد نجيب : « مرحباً بالإخوان » ! فأجاب أبناء السودان على سنتهم المعروفة : « حبابك عشرة » ! وإذا كان قد بقي شيء بعد هذا فإنه قد بقي أن يعرف الإنجليز بغير لبس ولا إبهام أن مصر حقيقة تحب للسودان أن يحيا حرا كريماً ، وأن مصر حقيقة تتمنى للسودان أن يرتقي في كل مرافق حياته أدبياً ومادياً ؛ وأن مصر تحب للسودانيين من أعماق قلبها أن يكونوا شعباً سعيداً حراً كريما .

علينا أن نبين للإنجليز ، في مثل الصراحة ومثل البساطة التي فتحنا بها قلوبنا لإخواننا أهل الجنوب ، أننا نؤمن بأن مصر تزداد قوة وكرامة ورقياً وسعادة وحرية

السياسة الدولية فى الأسبوع

للأستاذ أحمد طه السنوسى

أمريكا والعالم بعد الانتخابات :

وأخيراً — وبعد معركة انتخابية حافلة فى الولايات المتحدة الأمريكية — فاز (ايزنهاور) مرشح الحزب الجمهورى على (ستفنسون) مرشح الحزب الديمقراطى ، فوزاً أثار اهتمام العالم أجمع ، وجعل الجميع يتنبأون هنا وهناك عن الخطوط الرئيسية التى ستتبعها الولايات المتحدة فى السياسة الدولية ، وأضحى الكل ما بين خائف وجل ، أو مؤمل مستبشر ، أو حائر محايد لايدرى ماذا يقول !

والخائفون من هذه النتيجة التى أسفرت عنها الانتخابات الأمريكية ، ينبنى خوفهم على ما يخبؤه القدر لسياسة العالم على يد ايزنهاور وحزب الجمهوريين ، والواقع أن الخطوط الرئيسيه لهـذه السياسة على هـذه اليد ، تتلخص فى اعتبارات ثلاثة :

أولها : رغبة ايزنهاور فى عقد الهدنة وسحب الجنود الأمريكيين من كوريا ، وإحلال أهل كوريا الجنوبية محل هؤلاء الجنود فى الدفاع عن جبهتهم وبلادهم ، تمهيداً لحل مسألة كوريا وإصلاح أخطاء ترومان فى شأنها .

وثانيها : أنه من الجهة الأخرى ، يرغب هذا الرئيس الجديد فى القضاء على النفوذ الشيوعى ، وتخليص الشعوب الشرقية كأهالى التبت والصين وغيرهم من نير هذا النفوذ وسطوته . . ولعل هذا هو السبب فى ثرثرة الكثيرين بأن نجاح ايزنهاور فى الانتخابات الجمهورية معناه قيام الحرب العالمية ، ويترتب على ذلك القول بأن رغبته فى سحب الجنود الأمريكيين من كوريا ، بداية لحشد الجيوش الأمريكية وتنظيمها استعداداً لمواجهة النفوذ البلشفى فى الشرق الأقصى ، تلك المواجهة التى يفهم منها أن الولايات المتحدة على وشك إعلان الحرب على المعسكر الشيوعى المتشعب السلطان فى المحيط الدولى الحالى ! .

وثالثها : ميل الجمهوريين الأمريكيين لقطع العون المالى الذى قدمته وتقدمه الولايات المتحدة لأوربا الغربية تنفيذاً لسياسة الرئيس السابق السيد ترومان ، ومن هـذا يفهم السبب الجوهرى الذى من أجله وجلت أوربا الغربية من نجاح ايزنهاور فى الانتخابات ، وأقصى ما يمكن به التخفيف من هـذا الميل ، هو أن يقدم الجمهوريون العون المالى إلى هذه الأوربا على أنه قرض منها ، لا على أنه (منحة) من الولايات المتحدة لوجه السياسة والأخوة والصداقة ومجابهة الحرب ! .

والمهم فى نجاح الجمهوريين ومرشحهم بالنسبة لنا فى الشرق العربى ، هو أن نحدد موقفنا منه ، وموقفنا يتحدد — على ما نعتقد — فى أساسين :

الأساس الأول :

هو مدى أهمية الاعتبارات الثلاثة السالفة الذكر لنا ، فأما عن الاعتبار الأول ، فالواقع أن هذا الأمر بعيد الصلة بنا ، ويبدو هـذا واضحاً إذا تبينا أن سحب الجنود الأمريكيين من كوريا ورغبة رئيس أمريكا الجـديد فى تخليص شعوب الشرق الأقصى من نير النفوذ البلشفى ، بما

ند ما يكون السودان قوياً كريماً راقياً سعيداً حرا .
أن محمد نجيب عند ما بسط يده لإخوانه أهل السودان
ول لهم مرحباً بالإخوان ، كان يعبر عن شعور الأمة المصرية
سرها ، وأن أهل السـودان عند ما أجابوا قائلين :
با بك عشرة !! » كانوا يعبرون عن شعور أهل السودان
ماً ، لأنهم شعب أصيل فى العروبة والشرقية ، وأنه يؤمن
رارة قلبه بأن جزاء الحسنة دائماً عشرة أمثالها .

محمد فريد أبو حديد

•

يستتبعه كل ذلك من احتمال وقوع الحرب العالمية — إذا تبينا إن هذا الأمر ينطوى على أكبر مشكلة يواجهها العالم وأنه لوحدثت الحرب فعلا لتغيرت كل معالم السياسة رأساً على عقب ؛ فلا محل اليوم للمناقشة على أساسها .

وأما عن الاعتبار الثالث ، فالمفهوم أن قطع العون المالى الأمريكى لأوربا الغربية أو بقاءه مع اعتباره قرضاً لامنحة لايؤثر فى موقفنا من قريب أو بعيد ، لأن المسألة تقوم بين الولايات المتحدة من جهة وبين أوربا الغربية من جهة أخرى ، ولئن كانت هذه الأخيرة على اتصال وثيق بالشرق العربى وبمصر خاصة ، فالمفهوم أن أثر سياسة الجمهوريين الأمريكيين نحوها فى موقفها الحربى إذا أعلنت الحرب ، يغير كل الموقف السياسى العالمى من أساسه كما سبق القول .

والأساس الثانى :

يتعلق بسياسة أمريكا الجديدة على يد الرئيس الجديد فى الشرق الأوسط ، وخاصة تجاه القضايا العربية وتجاه موقف العرب من دولة اسرائيل ، وهذه هى النقطة المهمة فى موقف الشرق العربى بحكوماته وأفراده تجاه النتيجة التى أسفرت عنها انتخابات الجمهورية فى الولايات المتحدة ، وما سوف تسفر عنه هذه الانتخابات من أحداث ، فالمعروف أن الولايات المتحدة كانت لها مواقف تجاه العرب وقضاياهم وموقفهم من دولة إسرائيل ، لا يجهلها متتبع الأحداث السياسة فى المحيط الدولى فى الأعوام القريبة الفائتة . ولا يميل عاقل إلى متابعة الولايات المتحدة لهذه المواقف المغرضة التى ارتجلتها فيما سلف ، فإذا ما عدلت هذه الدولة عن تلك المتابعة ، ونظرت إلى الشرق العربى نظرة جديدة فيها فهم وفيها تبصر ، فهنا — وهنا فقط — يتخذ هذا الشرق موقفه الجديد ، ويحق له أن يطرب لتلك النتيجة الجديدة فى انتخابات هذه الدولة الخطيرة فى محيط العالم : الولايات المتحدة الأمريكية . . ! .

السودان والرجل الجديد :

وعاصرت حركة الانتخابات الأمريكية ، حركة أخرى فى وادى النيل ، تسيطر أهميتها على أذهان أبناء هذا الوادى كما تسيطر أنباء ونتائج تلك الانتخابات على شعب الولايات المتحدة ، ذلك أنه منذ أيام — ولما تمض على حركة الجيش فى مصر ثلاثة شهور — وجه الرئيس محمد نجيب « الرجل الجديد » فى مصر اهتمامه العملى إلى (مسألة السودان) ويعلم الجميع أن السودان مشكلة سياسية قديمة مع مصر كانت ولا زالت عقدة فى سبيل وحدة وادى النيل ، وكانت محوراً هاماً ارتكزت عليه المفاوضات العديدة التى قام بها سياسيو مصر المسئولون مع بريطانيا فى العهد الفائت الذى ولى بنجاح الحركة التى قام بها الجيش برياسة لوائه الرئيس ، لذلك لا غرابة أن نجد هذا الرجل الجديد يولى (مشكلة السودان) اهتمامه باعتبارها ثانية المشاكل السياسية فى مصر بعد مشكلة خلع الملك السابق من عرش مصر ، خلاف التعديلات الجوهرية التى أتى بها فى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى هذا البلد .

ومن بوادر نجاح مسعى الرئيس اللواء فى حل مشكلة السودان ، أنه أمسك بأطرافها امساكا منظماً ، بمعنى أنه ابتدأ بالقضاء على الخلافات والاختلافات الحزبية فى السودان الشقيق ، ليكون من ذلك فى النهاية جبهة واحدة تشترك مع مصر فى مواجهة الطرف الثالث من أطراف المشكلة ، ونعنى به بريطانيا ، وهذه معالجة جديدة لمسائلنا السياسية التى قضينا زماناً طويلا نضطرب فى معالجتها ومحاولة حلها .

وكللت مساعى اللواء بنجاح الخطوة التمهيدية الأولى ، إذ تم فى ٢٩ أكتوبر الماضى توقيع اتفاق بين مصر والسودان ، بمقتضاه يؤلف البلدان جبهة واحدة تقوم بمطالبة بريطانيا — الطرف الثانى — بالبت نهائياً فى أمر السودان .. ولفهم الأسس التى انبنى عليها هذا الاتفاق الخطير فى السياسة المصرية السودانية فى العهد الجديد ، نعرض خطوطه الرئيسية فيما يلى :

أولا : سودنة السودان : بمعنى تعويد السودانيين على الحكم تمهيداً لتوليهم حكم أنفسهم بأنفسهم ، وذلك يتأتى عن طريق سودنة الوظائف السودانيـة أو إجلاء الجيوش البريطانية .

ثانياً : الحد من سلطان (الحاكم العام) الذى جمع فى يده السلطات السياسية كلها دون شريك ، واشتراك مصر فى (لجنة الحاكم العام) التى استحوذت على جزء لا بأس به من سلطان هـذا الحاكم وردها لما بقى من سلطان البرلمان السودانى ووزارته السودانية .

ثالثاً : إنشاء لجان محايدة تتولى الإشراف على الانتخابات فى السودان وتوجيهها الوجهة الصحيحة بعد استبعاد النفوذ الإدارى ، وتطعيمها بعناصر محايدة من الأمريكيـين والباكستانيين والهنود ، واشتراك مصر فى الإشراف على انتخابات السودان فى هذه اللجان سواء منها اللجنة الرئيسية واللجان الفرعية .

رابعاً : تقرير حرية السـودانيين أنفسهم فى تقرير مصيرهم ، فلهم أن يقرروا مصيرهم على أحد اعتبارين :

أولها : الاستقلال التام بأنفسهم فى السودان .

وثانيهما : الاتحاد مع مصر .

وينبنى تقرير مصير السودانيين على الحرية التامة لهم ، ولـكن مع التحفظ بمنع احتمال أن يرتبط السودان فى مستقبل الأيام بأى دولة من الدول الأجنبية مهما كان مركزها .

ومن وضع هـذه الخطوط والأسس بعضها إلى جوار بعض ، يتضح لنا مبلغ خطورة وأهمية هذه الاتفاقية الجديدة فى مستقبل مصر والسودان ، كما يتضح لنا الجهد المشكور الذى بذله « رجـل مصر العظيم » فى سبيل حل مسألة السودان ،معتمداً فى ذلك على وطنية أبناء السودان وسياسييه ونيابته عن مصر فى التعبير عن حقيقة مشاعرهم نحو إخوانهم فى جنوب الوادى ، ومعتمداً على ما تقتضيه الثورة الحديثة من اتحاد ونظام وعمل على حل المشكلات المستعصية التى زادت من تعقيدها واستعصائها أزمات العهد المنصرم بتياراته السياسية المختلفة وأراجيفه الفكرية البائدة .

ومن هنا يتطلع الـكل إلى الخطة التى سيتبعها الرئيس اللواء فى مواجهة الطرف الثانى : طرف بريطانيا ، ومدى نجاحها ، معتمدين على ما أحرزه من نجاح كبير فى تلك الخطوة الأولى التى خطاها ، والتى تمثلت فى اتحاد الجبهة السودانية مع مصر فى سياسة موحدة ، وتمخضت عنها تلك الاتفاقية التاريخية التى وقعها مندوبو الشعبين فى آخر الشهر الماضى !

وهنا نمسك القلم وننتظر ! ولن يطول انتظارنا كما كان يطول ؛ لأن من سمات الثورة الـكفاح والجد والبت السريع، ولأن النجاح من سمات العهد الجديد . !

أحمد طه السنوسى

مجلة القلم الجديد

أرسلت إلينا مجلة القلم الجديد بأنها تعتزم إصدار عدد خاص بنهضة الأدب فى شفق الأردن . فى مطلع السنة الجديدة ، وهى لذلك تأمل فى مساهمة حضرات الـكتاب بأقلامهم فى هذا العدد ، إذ هى الوسيلة الوحيدة لـكى يتعرف العالم الخارجى إلى الأقلام الأردنية ، وأن هذه الأقلام فى أشد الحاجة إلى أن تقدم نفسها إلى العالم الأدبى فى الخارج لتساهم مساهمة جدية فى إقامة بناء نهضة الأدب العربى الحديثة .

وسيقع العدد الخاص فى نحو مائة صفحة ، وتطبع منـه ألوف النسخ .

والذى ترجوه إدارة المجلة ، أن يكون ما يتفضل كل كاتب بارسالة للنشر من إنتاجه الجديد الذى لم يسبق نشره ، والذى يهتم بتقديمه إلى أكبر عدد ممكن من القراء ، وأن يرفقه برسم له لـكى ينشر معه فى العدد الخاص ، وبكلمة قصيرة خاطفة عن نفسه لتنشر فى مطلع كلمته ، وقد حددت لذلك نهاية شهر تشرين الثانى القادم على أبعـد تقدير ، والثقافة ترجو للمجلة انتشاراً زاهراً ونجاحاً باهراً فى تأدية رسالتها الرفيعة .

وثيقة عربيـــــة جديدة

تلقى ضوءا على تاريخ الموريسكيين

للأستاذ محمد عبد الله عنان

فى صيف سنة ١٩٥١ أتيح لى أن أقضى زهاء أسبوعين فى العمل بمكتبة الفاتيكان الرسولية برومة باحثاً منقباً فى مجموعة المخطوطات العربية التى تحفظ بها منذ قرون ، والتى تحتوى على طائفة من المخطوطات والوثائق العربية النادرة .

وقد عثرت فيما عثرت به ، فى مجموعة المخطوطات البورجوانية (Borgiani) أو مجموعة آل بورجيا ، بمخطوط وصف فى الفهرس بأنه « القـدمة القرطبية » وفى صفحة عنوانه بأنه « كتاب نزهة المستمعين » وفى أسفلها أنه كتب فى رجب سنة ٩١٠ هـ . وفى بدايته كلام عن الخلق والخليقة وما يتصل بذلك من الأحاديث والحكم .

ولم يكن اهتمامى بهذا المخطوط أولا قدر اهتمامى بوثيقة صغيرة وردت خلاله عرضاً ، وليست لها بموضوعه أية علاقة ؛ وهذه الوثيقة تشغل أربع صفحات من صفحة ١٣٦ إلى ١٣٩ ؛ وقد لفتت هذه الوثيقة أنظار الأستاذ دللافيدا واضع الفهرس الحديث لمكتبة الفاتيكان[١] ، فأورد عنها عند حديثه عن المخطوط النبذة الآتية بالإيطالية : « صورة من خطاب مؤرخ فى أول رجب سنة ٩١٠ هـ ، بقلم من يدعى جمعة المغراوى الوهرانى موجه إلى « الغرباء » الذين يعيشون تحت حكم النصارى ، يعظهم فى الدين ، ويوضح لهم طريقة مراعاة أحكام الإسلام مع التظاهر باعتناق النصرانية ، مقرونة ببث الأمل إليهم بنهضة الإسلام على يد الترك » .

وأول ما يلفت النظر فى هذه الوثيقة هو تاريخها وهو غرة رجب سنة ٩١٠ هـ ، وهو يوافق ٢٨ نوفمبر سنة ١٥٠٤ م ونحن نعرف أن غرناطة آخر القواعد الأندلسية المسلمة قد سقطت فى أيدى الأسبان فى سنة ١٤٩٢ م ، وأنه لم تمض على ذلك أعوام قلائل ، حتى قام الأسبان بإرغام المسلمين الذين بقوا تحت حكمهم على التنصير ، فاعتنق الكثير منهم النصرانية كرهاً وخشية القتل والمطاردة ، وكان ذلك فى سنة ١٤٩٩ م (٩٠٥ هـ) ، ولكن كثيراً من هؤلاء الذين أرغموا على التنصير بقوا مسلمين فى سرائرهم يحرصون سراً على اتباع أحكام دينهم ؛ ويحاولون باتباع الشعائر النصرانية المفروضة اتقاء العقوبات المروعة التى كان ينزلها الأسبان بمن تلحق بعقيدته النصرانية ذرة من الريب ، ويلتمسون من جهة أخرى سائر الوسائل والأعذار الشرعية التى يمكن أن تبرر مسلكهم ، وتشفع لهم لدى ربهم مما يرغمون على اتباعه من الشعائر النصرانية .

وهذا هو ما يرمى إليه كاتب الوثيقة المشار إليها ، وهو خطاب موجه إلى جماعة العرب المتنصرين ممن يسميهم « الغرباء » ، يقدم إليهم بعض النصائح التى يعاون العمل بها على تنفيذ أحكام الإسلام بطريق التورية والتستر والخفاء . وهذا هو نص الوثيقة :

« الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما . إخواننا القابضين على دينهم ، كالقابض على الجمر ، من أجزل الله ثوابهم ، فيما لقوا فى ذاته ، وصبروا النفوس والأولاد فى مرضاته ، الغرباء القرباء إن شاء الله ، من مجاورة نبيه فى الفردوس الأعلى من جناته ، وارثو سبيل السلف الصالح ، فى تحمل المشاق ، وإن بلغت النفوس إلى التراق ، نسأل الله أن يلطف بنا ، وأن يعيننا وإياكم على مراعاة حقه ، بحسن إيمان وصدق ، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا . بعد السلام عليكم ، من كاتبه إليكم ، من عبيد الله أصغر عبيده ، وأحوجهم إلى عفوه ، ومزيده ، عبيد الله تعالى أحمد بن بو جمعة المغراوى ثم الوهرانى ، كان الله للجميع بلطفه وستره ، سائلا من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء ، بحسن

(١) G. della Vida : Monoscritti arabi islamici della Bibliotheca Vaticana

الخاتمة والنجاة من أهوال هذه الدار ، والحشر مع الذين أنعم الله عليهم (F. 2) من الأبرار ، وموكداً عليكم فى ملازمة دين الإسلام ، آمرين به من بلغ من أولادكم . إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم بطويتكم ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس ، وإن ذاكر الله بين الغافلين كالحى بين الموتى ، فاعلموا أن الأصنام خشب منجور ، وحجر جلمود لا يضر ولا ينفع ، وأن الملك ملك الله ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله . فاعبدوه ، واصطبروا لعبادته ، فالصلاة ولو بالإيماء ، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أو رياء ؛ لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم ، والغسل من الجنابة ولو عوماً فى البحور ، وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار ، وتسقط فى الحكم طهارة الماء ؛ وعليكم بالتيمم ولو مسحاً بالأيدى للحيطان ، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء (F. 3-1) والصعيد إلا أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدى والوجه إلى تراب طاهر أو حجر أو شجر مما يتيمم به ، فاقصدوا بالإيماء ، نقله ابن ناجى فى شرح الرسالة لقوله عليه السلام : فأتوا منه ما استطعتم ، وإن أكرهوكم فى وقت صلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم ، فأحرموا بالنية ، وانووا صلاتكم المشروعة ، وأشيروا لما يشيرون إليه من صنم ، ومقصودكم الله ، وإن كان لغير القبلة تسقط فى حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام ؛ وإن أجبروكم على شرب خمر ، فاشربوه لا بنية استعماله ، وإن كلفوا عليكم خنزيراً فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم ، ومعتقدين تحريمه ، وكذا إن أكرهوكم على محرم ، وإن زوجوكم بناتهم ، فجائز لكونهم أهل الكتاب وإن أكرهوكم (F. 3. 2) على إنكاح بناتكم منهم ، فاعتقدوا تحريمه لولا الإكراه ، وإنكم ناكرون لذلك بقلوبكم ، ولو وجدتم قوة لغيرتموه . وكذا إن أكرهوكم على رباً أو حرام فافعلوه منكرين بقلوبكم ، ثم ليس عليكم إلا رءوس أموالكم ، وتتصدقون بالباقى ، إن تبتم لله تعالى . وإن أكرهوكم على كلمة الكفر فإن أمكنكم التورية والألغاز فافعلوا ، وإلا فكونوا مطمئنى القلوب بالإيمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك ، وإن قالوا اشتموا محمداً فإنهم يقولون له مُمَد ، فاشتموا مُمَداً ؛ ناوين أنه الشيطان أو مُمَد اليهود فكثير بهم اسمه . وإن قالوا قولوا عيسى ابن الله ، فقولوها إن أكرهوكم ، وانووا إسقاط مضاف أى عبد الله مريم معبود بحق . وإن قالوا قولوا المسيح ابن الله فقولوها إكراهاً ، وانووا بالإضافة للملك كبيت الله لا يلزم أن يسكنه أو يحل به ؛ وإن قالوا قولوا مريم زوجة له فانووا بالضمير ابن عمها الذى تزوجها فى بنى إسرائيل ثم فارقها قبل البناء . قاله السهيلى فى تفسير المبهم من الرجال فى القرآن . أو زوّجها الله منه بقضائه وقدره . وإن قالوا عيسى توفى بالصلب ، فانووا من التوفية والكمال والتشريف من هذه وإماتته وصلبه وإنشاد ذكره وإظهار الثناء عليه بين الناس ، وأنه استوفاه الله برفعه إلى العلو ، وما يعسر عليكم فابعثوا (F. 4. 1) فيه إلينا نرشدكم إن شاء الله على حسب ما تكتبون به وأنا أسأل الله أن يديل الكرة للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهراً بحول الله من غير محنة ولا وجلة ، بل بصدمة الترك الكرام . ونحن نشهد لكم بين يدى الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به . ولا بد من جوابكم . والسلام عليكم جميعاً . بتاريخ غرة رجب عام عشرة وتسع مائة ، عرف الله خيره »[1].

« يصل إلى الغرباء إن شاء الله تعالى » .

وهذه الرسالة تلقى ضياء على أمور كثيرة مما يتعلق بأحوال العرب المتنصرين بعد التنصير ، وتعلقهم بدينهم القديم ، وكيف كانوا يتحيلون لمزاولة شعائرهم الإسلامية سراً ، وما كانوا يلقون فى ذلك من عنت وخشية ، وتاريخ هذه البقية الباقية من الأمة الأندلسية ، فياض بهذه السير والمناظر المؤثرة ؛ وهذه الوثيقة التى ننشرها هى إحدى الوثائق العربية النادرة التى تمس هذه الصفحة المؤسية من استشهاد الأمة الأندلسية ، ومن ثم كانت قيمتها .

محمد عبد الله عنان

---

(١) وقد عثرنا بعد ذلك خلال بحوثنا فى المصادر القشتالية على ترجمة قشتالية لهذه الوثيقة . راجع :
Pedro Longas : La Vida Religiosa de Los Moriscos. (p. 305-307)

خاطـــــرة

للدكتور أحمد أمين

أولاد الأصول

يمدحون الرجل عادة بأنه من أولاد الأصول ، وينصحون من يريد الزواج أن يتزوج من بنات الأصول . وإذا أتى أحد بفعل جميل ، قالوا لا عجب . إنه ابن أصول : فمن هم أبناء الأصول ، وبنات الأصول ؟؟

يظهر أن الأصول كانت تطلق فى العصر الأرستقراطى على الأغنياء . فمن كان عنده مائة فدان وأنسل ، فنسله أولاد الأصول ، وبناته أولاد الأصول . أما من كان فقيراً وأنسل ، فليس أبناؤه ولا بناته أولاد أصول . ولكن والحق يقال : لا تقال هذه الكلمة إلا لمن اغتنى آباؤه بسبب شريف ، أو بسبب عادى مألوف . أما من اغتنى بسبب السرقة ، أو اغتنى بسبب الحرب ، فليس أولاده ولا بناته أولاد أصول .

والسبب فى مدح أولاد الأصول أنهم يكونون ذوى أخلاق حسنة غالباً ، لأن الحوادث علمتنا أن للأغنياء أخلاقا غير أخلاق الفقراء . فأولاد الفقراء أذلة جشعون ، لا يأنفون من اتخاذ كل الوسائل للحصول على العيش . أما أولاد الأغنياء فهم عادة قانعون ، أعزة ، يأنفون الضيم ، ويأنفون الأعمال الدنيئة . ولذلك نصحوا بالزواج من بنات الأغنياء ، لأنهن أعز وأعف ، وأملأ عينا ، وأسمح يدا . فإن رأيت أحدا ليس على هذه الطباع ، كان هذا شذوذا فى الطبيعة .

وأظن أن الأمور ستتغير فى مصر بعد هذا الانقلاب ، إذ قارب النظام الحديث بين الرؤوس ، ونظر إلى الفقراء نظرته إلى الأغنياء . فربما اختفت هذه الكلمة ، كما اختفت بعض السلع بالتسعيرة . فستبقى كلمة ابن حلال وبنت حلال ، وينمحى ابن أصول ، وبنت أصول فإذا تقدمنا بعد ذلك كان ابن من يأكل من عرق جبينه وبنته أرقى من أولاد الأغنياء .

وأعرف أن النيابة تتشدد فى من تأخذه عضوا فيها فلا تأخذ من احترف أبوه حرفة خسيسة ، ولو كان غنيا ، وتبرر ذلك بأن وظيفة النيابة مجال للارتشاء ، وفى قبضتها كثير من حقوق الناس . فمن لم يكن ابن أصول كان مظنة أن يمد يده ، وأن يقبل الرجاء .

وترددت كثيراً فى اعتناق هذه الفكرة ، فلأولاد الأغنياء أيضاً رذائل لا تقل عن رذائل الفقراء . فهم أميل إلى القمار والخمر والنساء .

فمن الحق ألا نتسرع فى الحكم ، حتى نعمل إحصائيات دقيقة للجيد من أولاد الفقراء والأغنياء والسىء منهما ، وأظن أن النظام الجديد سيطيح بهذا الموقف أيضاً . فقد يكون ابن كناس الشارع أقوم أخلاقاً من بعض أولاد الأغنياء .

كذلك أظن أن سيتغير معنى كلمة شريف ، فقد كانت تطلق على من انتسب إلى الحسن أو الحسين ابنى على ، فالأوضاع الجديدة لا تعترف بالنسب ، وستقتصر كلمة « شريف » على من نال رزقه بإباء وشرف ، وجد وأمانة ولو كان فقيراً . ولا نعد شريفاً من اغتنى من رشوة ، أو من عمل دنىء ولو كان من نسل الحسين . ورسول الله يقول لفاطمة : « يا فاطمة بنت محمد : لست أغنى عنك من الله شيئاً » .

وسيترتب على ذلك تغيير العمامة الخضراء ، ويتغير أيضاً باب الكفاءة فى الفقه الإسلامى . ولو حدثت اليوم حادثة الشيخ على يوسف ، وزواجه ببنت السادات ، لكان للمصريين نظر آخر . فعلى النظرة الحديثة : الشيخ على يوسف ، أكرم من الشيخ السادات ، وأشرف منه ، فالأول يأكل من عمل شريف ، والثانى يقتنى من الأوقاف ولا عمل .

ومن مبادىء الإسلام : إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

ولم يعرف أولاد الأصول ولا غيرهم . بل عنده أن تقياً فقيراً خير من فاسق غنى . ثم تنقلت الأوضاع ، وقدر الغنى أكثر مما يستحق ، وقدر الفقير أقل مما يستحق ؛ وأظن أن ستعود المياه إلى مجاريها .

أحمد أمين

وما تلك بيمينك ؟

[بمناسبة أسبوع مشوهي الحرب]

— ٧ —

للآنسة الزهرة

« وما تلك بيمينك يا موسى ؟ قال : هي عصاي أتوكأ عليها » . [قرآن كريم]

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون » . [قرآن كريم]

« قال بطرس : ليس لي فضة ولا ذهب ، ولكن الذي لي أعطيك . باسم يسوع » .

« المسيح الناصري : قم وامش — سفر الأعمال » .

« وما تلك بيمينك ؟ » . سؤال وجهه جل جلاله إلى راع مهاجر طريد ، يوم أن ساق غنم حميه كاهن مدين إلى ما وراء البرية ، وجاء إلى حوريب — « جبل الله » فيجيب الراعي الفتى ربه قائلا : « هي عصاي أتوكأ عليها » ! . وتلك العصا الصغيرة في يد موسى ، أراد ذو القدرة والسلطان أن تصير عصا كليمه ونجيه منذ اليوم — « عصا الله » وأن يخرج بها بني اسرائيل من مصر — أرض عبوديتهم .

فهيا نذكر الساعة ، ماذا صنع الله بآلات بسيطة ، وأدوات زهيدة في يد نفر من عباده المهتدين ، ومختاريه المتقين ، وأحبابه الصادقين . هيا نذكر الغلام داود ساعة أن تقدم نحوه جليات — جبار فلسطين العاتي ، وطاغيتها الماثل الذي اقترب إليه ، والرجل حامل ترسه أمامه ، وكلمات الاحتقار تنثال من شفتيه ، لتلعن داود بآلهته ، وتتحداه في جبروت وعتو ووعيد ، قائلة : « تعال إلي أعط لحمك لطيور السماء ، ووحوش البرية . . ألعلي كلب حتى أنك تأتي إلي بعصا ؟ » . فيتناول داود حجرا أملس من حجارته الخمس التي جعلها في كنف الرعاة ، المدلى من كتفه وهو يقول : « أنت تأتي إلي بسيف وبرمح وبترس ، وأنا آتي إليك باسم رب الجنود ، إله صفوف إسرائيل الذين عيرتهم . . هذا اليوم يحبسك الله في يدي فأقتلك ، وتعلم كل الأرض أنه يوجد إله لإسرائيل » ! . ويرمي حجره بالمقلاع ، ويضرب الفلسطيني الطاغية ، فيرتز الحجر في جبهته ، ويسقط على وجهه إلى الأرض صريعاً .. ونذكر جدعون وبوقه في يده ، ورجال فرقه الثلاث لا يزيدون على الثلاثمائة نسمة . وقد ضربوا أبواقهم . وأمسكوا مصابيحهم بأيديهم اليسرى وصرخوا قائلين : « سيف للرب ولجدعون » فهربت من أمامهم جحافل المديانيين العارمة الجرارة ولنذكر شمشون وسلاحه التافه الذي اصطنعه من لحي حمار طري ، فمد يده وأخذه وضرب به ألف رجل من الأعداء ، وكان :

أخا غمرات مايوزع جأشه

إذا الموت ، بالموت ارتدى وتعصبا

لنذكر السمكتين الصغيرتين ، وأرغفة الشعير الخمسة ، التي كانت بيد غلام فقير ، فصنع منها المسيح وليمة ، أشبعت خمسة آلاف رجل غير النساء والأطفال ، حين تقاطروا لسماعه ، حيث كان يعلم في القفر ، وأمسى عليهم المساء .

لنذكر وليد قريش — « اليتيم الفذ » الذي برز للنضال في معمعة الحياة العظمى ، وسطع في ميدانها الوسيع الذي لا يعرف له آخر ولا حد — أعزل — لا يحمل في يده القوية الفتية ، إلا رسالة الإصلاح في مجالس السلم ومواقف الحرب . والدعوة إلى الهدى والتعاون على البر ، والتكمل في مكارم الأخلاق وتقوى الله .

لنذكر ذلك كله ، ولنذكر أن الله العليم الخبير القدير ، ما فتىء يسأل كلا منا قائلا : « ما هذا الذي بيدك ؟ » .

وقد يكون الذى بأيدينا شيئاً صغيراً ، لكنه يريدنا أن نستخدمه باسمه ومن أجل مجده ، وما علينا إلا أن نلحظه فى قدرته الفائقة ونرى كيف يصيّر من الشىء الحقير الصغير ، سلاحاً للحق كبيراً ومجنّاً للخلاص عظيما وترساً للتطهير والوقاية .

لننظر ولنرَ كيف يكثر بحكمته وغناه ، القليل الزهيد وينميه . . . إن قرشاً واحداً يبذل لمساعدة المنكوبين ، ولإعانة مشوّهى الحرب ، لا يلبث أن يتكاثر بالتكافل والتبادر إلى التبرع ، فى حنان غيرضنين ، ويربو حتى يجاوز فى عدّة الملايين :

ألست ترى مدّ الفرات كأنه
جبال شرورى جئن فى البحر عُوّما
وما ذاك من عاداته ، غير أنه
رأى شيمة من جاره فتعلما

وربّ مستوصف صغير اليوم ، فى زقاق وضيع ، لا تلبث أن تدرك فوائده فيكبر ، ويغدو مقصدا للعافين ، ومستشفى عامراً لذوى السقام :

إذا ما أتاه السائلون ، توقدتْ
عليه مصابيحُ البشاشة والبشر
وأنعمه فى الناس فوضى كأنها مواقع ماء المزن فى البلد القفر

بل إن مدرسة أولية ، فى قرية منزوية ، يمكن أن تكون نواة لكلية نموذجية ، بل جامعة للفضل مثالية ، ما دامت أهدافها تنادى فى الملأ قائلة :

ومستنبح يخشى القواءَ ودونه من الليل باباظلمة وستورها
رفعت له نارى ، فلما اهتدى بها
زجرت كلابى ، أن يهرّ عقورها
فلا تسأليى ، واسألى عن خليقتى
إذا ردّ عافى القدر ، مَنْ يستعيرها
ترى ، أن قدرى لا تزال كأنها
لذى الفروة المقرور ، أم يزورها
مبرّزة ، لا يجعل الستر دونها
إذا أخمد النيران ، لاح بشيرها

أو تقول للقرش إلى العلم ، بلسان الفرزدق :

وقد علم الأقوام أن قدورنا
ضوامن للأرزاق ، والروح زفزف
ترى حولهنّ المعتفين كأنهم على صنم فى الجاهلية عكّف
تفرّغ فى الشيزى كأنّ جفانها
حياضُ الملا ، منها ملاء ، ونصّف

حقا . إن فى قدرة الطاقة الإنسانية ، أن يغدو المستحيل ممكناً بأصغر ما يُرصد من الآلات وأدقهنّ ، إن تقدستْ تلك الآلات وكرست للحق والعظائم والخير . وإذا صحّ هذا على الآلات والذرائع التى نستخدمها فى سبيل الله والمصلحة العامة فإنه حرىّ أن يصحّ فى حياتنا الفردية ويطبق عليها . ولعل أقوى ما يمكننى أن أسوقه الآن ، فى معرض الذكر والادكار ، عبارة لرجل فاضل اسمه ج . ل . تاكر وقد قال فيها : « إن فى ثمرة البلوط الصغير ، تلك السنديانة العظيمة التى ستنمو وتترعرع وتبسق أغصانها الوارفة فى يوم من الأيام ، فتصير مكاناً ركيناً يأوى إلى ظله سكان الغاب وبهائم القفر ، وكنّاً كنيناً تعشش فيه طيور السماء ، وروافد متينة للسفن التى تمخر عباب البحار السبعة ، وقطعاً من الاثاث الفاخر الذى يزين قصور النبلاء ويعمر دور الأغنياء ، ووقوداً من أحشابها عظيما يبعث الدفء فى الأعضاء ، ويحمى الأبدان فى زمهرير الشتاء وقرّه الذى ينفض الأحشاء . وكذلك تكمن فى كل منا إمكانيات حبيسة ، تصير عظيمة نافعة إن سلمناها ليد القدرة العلوية واستعنّا بها على إطلاقها لعمل الطيب العائد على الوطن والمجتمع والأسرة ، بل العمل المجاهد المرابط فى سبيل الحياة النقية الكريمة . وإن الله تعالى ليطلب منا أن نرصد خير مالدينا لخدمته ، ونحبسه على السلوك فى مخافته لتمجيده وتعظيمه ، بعد أن نبتغيه من فضله ، ونعززه بعلمه وحكمته ، ونحرص فيه على ماينفعنا وبنينا ، ذاكرين قول عمرو بن العاص : « اعمل لدنياك عمل مَنْ يعيش أبداً ، واعمل لآخرتك عمل مَنْ يموت غداً » . قيل مرّ المسيح برجل من بنى إسرائيل يتعبد فقال : ما تصنع ؟ قال : إنى أتعبد . . قال : من يقوم عليك ؟ قال : أخى ! . قال : أخوك أعبد منك !! ويقول

من أدب السودان

للأستاذ جمال الدين الرمادي

الشعر فى السودان

. . . إن من يبحث فى أدب السودان يجد أن هذا الأدب ممتاز بأدق معانى هذه الكلمة ولكنه لايحظى بعناية كبيرة من الناشرين ، والسودان قد ضم بين بقاعه الحبيبة وأصقاعه الممتدة الفسيحة ملكات صافية مصقولة ومواهب خالصة موهوبة . . ومشاعر خفاقة تهز الجبال ونطرب من السحر الشهى الحلال . . .

وسنحاول فى هذا المقال على قدر الإمكان أن نعطى صورة صغيرة عن الشعر السودانى فى العصر الحديث حيث تعددت أغراضه وتنوعت أهدافه . ففيه شعر الغزل وفيه شعر الوصف ، وفيه شعر المدح والهجاء ، وفيه الشكوى والرثاء ، وفيه التصوف ومدح الرسول ، وفيه بعد هذا كله وفوق هذا كله شعر المناسبات الذى لايخلو رغم ضآلة شأنه فى الأدب — من روعة ولا ينعدم من جمال . . .

استمع إلى الشاعر السودانى عبد الحميد وصفى يقول متغزلا . . .

هواى نحولا زادنى وعلانيا
وأضنى لجسمى خفية وعلانيا
وحرك ما قد كان منى كامنا
وأرقّ أجفانى وأنأى اصطباريا
أظل أراعى النجم بالليل ساهراً
وأقضى بآلام وحزن نهاريا
فواهاً مدى عمرى لعمرى من الحوى
وما ثم من أشكو إليه غراميا
لقد فتنت قلبى فتاة بلفتة
وأصمت بسهم اللحظ عمداً فؤاديا
خليلىّ عوجا واقصدا صوب أرضها
وإن لكما لاح الخباء فناديا
وقولا فدتك النفس ياأم ماجد
خودى وعودى مغرماً فيك فانياً
سلبت فؤاداً كان قبلك نابهاً
وكنت له داء فكونى المداويا

فعبد الحميد وصفى فى هذه الأبيات يتقطر لوعة وحباً ويسيل عذوبة ورقة وينهج نهج الشاعر العربى القديم ويلجأ إلى ما يلجأ إليه من مخاطبة لرفيقه وعروج على بيت حبيبه ، وقد نزح هذا الشاعر إلى القاهرة حيث جالس العلماء والأدباء وتتلمذ على العالمين الجليلين السيد محمد المأمون الإدريسى

سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : « ما أكل ابن آدم طعاماً ، خيراً له من أن يأكل من عمل يده » . ويقول القديس بطرس : « ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعم الله المنوعة » . فى بعض الكتب : ابن آدم . امدد يدك إلى باب ، افتح لك باباً فى الرزق » . وفى حديث شريف : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وشبابك قبل هرمك ، وفراغك قبل شغلك ، وغناك قبل فقرك » وخير الناس مَنْ نفع الناس وآثرهم بالغوث ، وبرّهم بالنجدة ، والسخىّ مَنْ منح ماله كل مَنْ جاءه طالباً مستجدياً ، وجعله وقفاً على النفل والفرض وكان مسروراً بإعطائه . وأفضل العطية جهد المقل . ويقول حبيب الحسن بن وهب : « إن جهد المقل غير قليل » !

الزهرة

والشيخ محمد أبي القاسم الحجازي فأفاضا عليه من فيوضات معارفهما وغوادي عوارفهما وأطلعاه على ذخائر الأدب العربي القديم .

واستمع إلى قول الشيخ أبي القاسم أحمد هاشم أحد علماء السودان البرزين واللغويين المتمكنين والمنطقيين التفننين . استمع إلى قوله في مدح الرسول في كتابه (روض الصفا في مدح المصطفى) :

أحمد ولأنت أكرم مرسل وأحق من بمديحه يتقرب
أحمد ما أنت إلا رحمة وبشارة لك كل خير ينسب

يا ابن العوالي الشم من مضر ، ويا
سر الوجود لك الفناء الأرحب
يا سيدى ياخاتم الرسل الكرا
م ومن إليك الملتجى والمهرب

صلى عليك الله ما هبت صبا أو ما ترنم في مديحك مطرب
وعلى صحابتك الأماجد كلهم ما تم بدر أو تلألأ كوكب

وإلى جانب شعر الدين والتصوف نجد تياراً آخر من الشعر في وصف الخمر ومجالها وكؤوسها وسمارها كالشاعر السوداني صالح عبد القادر الذي قال :

اسكب الراح وناول من طلب وأدر كأسك فالدنيا طرب
ما علينا أن شربناها وقد كتب الله علينا ما كتب

ولكن صالح عبد القادر كان يقول الشعر في الخمر مجاراة لفنون الأدب المختلفة وأغراض الشعر المتعددة ، وقال في الحكمة وشكوى الدهر وبكاء الزمان شعراً يقف بجوار شعر ابن الرومي كقوله :

شباب تولى والليالى كما أرى
علىّ صعاب كم بحادثها أشقى
ألا هل معين أو مواس فاشتكى
إليه هموماً بت عفواً لها ملقى
إلى الدهر أشكو وهو عنى معرض
أصم فلم يسمع ولم يحسن النطقا
صموت .. ويقضى كل ما لا أريده
فيابئس ما يقضى ويا شر ما ألقى

وقد كتب شعراء السودان الشعر في الأوزان العربيه المعروفة كالطويل والمديد .. والرمل والهزج . وأضافوا إلى هذه الأوزان المخمسات والمربعات وغير ذلك من مقطعات الشعر كقول محمد حافظ الأمين الشاعر المتفنن الذي كان ينشر قصائده على صفحات رائد السودان في عهد الأستاذ عبد الرحيم مصطفى قليلات :

شغفت بحب كثير العجب رقيق الحواشي سريع الغضب
فقلت اتئد واستمع قول صب وحقك أنت المنى والطلب

وإلى جانب هذا نجد شعر الوصف في السودان . والطبيعة في السودان ساحرة فاتنة تستهوى القلوب وتسترعى الأنظار ، ففيه الأودية المتسعة الشاسعة وفيه الأشجار الباسقة الوارفة الظلال ، وفيه الغابات المتشابكة الكثيفة وفيه السهول المترامية الخصبة المريعة ، وفيه الأطيار التي تحلق في السماء مختلفة الشكول والألوان ؛ مغردة صادحة مترنمة ساجعة . ولا سيما من الخرطوم إلى النيل الأبيض نازحة من مختلف ربوع السودان ومهاجرة إلى أطرافه . . . وبين أكنافه . وفي السودان أسراب الغزلان والمها تسترعى الأنظار بجمالها ووداعتها وعدوها السريع في الوادى وأسراب من القطا تلهم الشعراء والمحبين ، هذا إلى جانب نهر جميل أثيل يتدفق بالخير والبركة وينشر الخصب والاشراق على ضفافه ؛ فتستحيل الأرض إلى جنات . استمع الشيخ ابراهيم أحمد هاشم أحد شعراء السودان المحدثين ليقول :

يا ليت شعرى هل لماضى جمعنا
من عودة أو هل لنا من مسعد
وهل الرسوم الخاليات تناثرت
أنوارها من فوق ضال أميد
وهل النسيم ترنمت عذباته
بمسيل ذاك الماطر المتردد
وهل الحمائم أطربت ألحانها
ما بين ساجعة بها ومغرد
وهل الرياض تنوعت أزهارها
مفترة عن ثغر باسم أغيد

ويتقدم التعليم فى السودان بخطى واسعة نحو الامام وقد انتشرت الآن المدارس على اختلافها فى ربوع السودان مما يبشر بمستقبل زاهر جميل ؛ بل إن المرأة السودانية تطلعت فى العصر الحديث إلى التعليم . ولوأنها وجدت السبيل إلى ذلك لتفوقت وأربت على الغاية وجاوزت زميلاتها بمراحل طوال .

وتخرج المدارس العالية فى السودان كما تخرج المعاهد المصرية وكلية غوردون وعدد طلبتها نحو ٥٢٠ طالبا ومدرسة فاروق الأول الثانوية — شبابا ناهضا مثقفا جديرا بالاحترام إلى جانب خريجى الجامعات فى انجلترا وامريكا فى الشباب السودانى الممتاز .

وقد سجل الشعراء نهضة التعليم فى شعرهم كما عززوا قضية المرأة السودانية المجاهدة ، وفى هذا يقول الشيخ عبد الله محمد عمر البنا :

والأم أول غارس فى النفس ما ترقى به أو تبتلى وتعذب
فعليك بالأم الرقيقة إنها هى مرشد ومعلم ومهذب
واهجر سبيل الجاهلات فإنما بالجهل تمتهن البلاد وتخرب
وعليك بالمتعلمات فانما ترجو ملائكة السماء وتخطب
ويرى بهن الطفل فى أطواره ما يرتقى بخلاله ويهذب
يغذونه بالعلم قبل فطامه والعلم أقرب للعلاء وأجلب

وقد تأثر أدب السودان بشعر الوصف الإنجليزى وغيره من ضروب الشعر ، وكان هذا التأثر على اشده عند هؤلاء الشعراء الذين تثقفوا بالثقافة الإنجليزية وتبحروا فى دراسة الأدب الإنجليزى وقد ألقى الشاعر عبد المجيد وصفى بين يدى جلالة الملك جورج الخامس عند تشريفه بورت سودان فى ١٧ ينايرسنة ١٩١٢ قصيدة عصماء ؛ فوصلته على أثرها رسالة شكر من جلالته وقد قال فى هذه القصيدة :

ما الشمس مشرقة بصحو نهار
والأفق فيه سوافر الأقمار
والروض حين تفتقت أكمامه
وتضوعت بعواطر الأزهار
رب الجلالة جورج من تعنو له
كل الملوك بذلة وصغار
هو شبل ادوارد العلا وحفيد من
بين الانام لها عظيم فخار
وافيت السودان سعداً طالعا
فغدا بزورتكم رفيع منار
نادى الملوك مؤرخا : لن ترتقوا
كرقى جورج والمليكة مارى !

وهكذا نجد فى أدب السودان نماذج رائعة من الشعر مختلفة الالوان متعددة الأغراض . توضع فى مصاف الأدب العربى الرفيع لما فيها من ضروب الفتنة وصنوف الرقة والجمال .

جمال الدين الرمادى

نازك الملائكة والتجديد

— ٢ —

للأستاذ إحسان عباس

حين اختارت نازك قصة الحركة النفسية مادة لقصيدتها وتعلقت بالحلم المبهم أخضعت القصيدة فى الغالب لفاتحة واحدة ترسم فيها الجو القصصى أولاً ثم تأخذ بعد ذلك فى عرض القصة نفسها ، وقد كان الجو فى فواتح تلك القصص ملائماً لحالة الحلم والوحدة المتأملة ولكنه جاء على وتيرة واحدة من ذكر الليل وتهيئة جوه الساكن لاهتزازات نفسية أو انبعاث صوت من الماضى . والأمثلة التالية توضح كيف تختار الشاعرة الليل جواً ملائماً للإعداد والتهيئة القصصية :

١ — الليل ممتد السكون إلى المدى

لا شىء يقطعه سوى صـوت بليد

لحمامة حيرى وكلب ينبح النجم البعيد

٢ — فى سكون المساء فى ظلام الوجود

حين نام الضياء واعترانى جمود

٣ — لاحت الظلمة فى الأفق السحيق

وانتهى اليوم الغريب

٤ — عدنا يا قطار

فالظلام رهيب هنا والسكون ثقيل

٥ — سأسدل نافذتى فالضياء يعكر ظلمة الباردة

٦ — كان ليل . . . . كانت الأنجم لغزاً لا يحل

وليس من السهل أن نقول إن « عاشقة الليل » لا تزال فى ديوانها الثانى مفتونه بالليل فإنا نجد فى أحلامها المجنحة حنيناً إلى عالم لا تغيب شمسه :

ويوتوبيا حيث يبقى الضياء ولا تغرب الشمس أو تغلس

إلا أن الليل هنا متصل بجو القصة وبحقيقة الحلم ، وعن هذا الحلم فى الجو المظلم الليلى تتفرع صور الخوف . ففى الجانب الأيمن من الحلم — إن صح التعبير — تجىء الأصوات التى تنبه الذاهل ؛ وفى الجانب الأيسر منه تتمثل للنفس حقائق الحياة المخيفة كالأفعوان والهاوية . وهذا الخوف عامل جبار فى تحريك نفسية الشاعرة فهو الذى يجعلها تبصر ما يكمن خلف حقائق هذا الوجود وهو الذى يفتت التجربة الصلبة فى حياتها ويحللها إلى شعر ، فيجعلها ترثى يوماً تافهاً مرّ من حياتها ، وكم من يوم تافه يمر فى حياة الشعراء الآخرين فلا يحسون أنه قد مرّ . أما الشاعرة فإنها ترثى اليوم التافه لأنه فى ظلّ فكرتها العامة يقربها من الأفعوان أو من الهاوية ؛ فعامل الخوف يجعلها ترى فى تفاهته معنى يستحق البكاء والرثاء . والخوف هو الذى يتركها مذعورة الإحساس من فراق قصير وسفرة عابرة :

لنعد قبل أن يقضى الأفعوان

بفراق طويل ، طويل

عن ظلال النخيل

عن أعزائنا خلف صمت القفار

عدبنا يا قطار

فالليالى قصار

وهنالك أحبابنا فى أسى وانتظار

والخوف هو الذى يصور لها الحياة مثل « لابرنث مينوس » ملتوية الطرف حافلة بالمفاجآت ، ويجعل الجو فى حياتها مليئاً بالضباب ، ويخلق وراء النفرس زوايا متعرجة . وانظر إلى هذه الصورة التى تصف الشاعرة فيها فترة من العمر تبصر كيف تنبض إحساساتها بقوة الخوف اللامحدود :

كان عمرى خربة يصبغها لون الغروب

تذرع الأشباح فى الصمت دجاها

ويعيش البوم فى ظل أساها

كلما جالت بى الحيرة فى القبو الغريب

مدت الذكرى ذراعيها إليا

لونها يخلق من رعبى دنيا

وإلى هنا تتضح معالم الاتجاه النفسى فى الموضوع وترسم الجدة التى تحاولها الشاعرة ، وهناك جدة أخرى حاولتها فى الشكل حين رأت أن فى الشكل القديم للقصيدة العربية

جوداً يعيق الصدق فى نقل الانفعال النفسى على حقيقته — جوداً فى الموسيقى نفسها وفى النغمة الأخيرة التى تسمى القافية ، وخرجت الشاعرة من نظرتها إلى الشكل القديم بنتيجة واحدة وهى أن تترك التعبير حراً ينتهى بموسيقاه حيث يشاء لاحيث يريد له الشاعر أن ينتهى ؛ فهدمت فى كثير من قصائدها مبدأ النغمتين (الشطرتين) المتساويتين ووضعت رأيها فى هذا التجديد فى مقدمة ديوانها وشرحت كيف يضطر الشاعر الذى يلتزم عروض الخليل إلى الاتكاء على كثير من الزيادات والإضافات التى تتمم الموسيقى ولكنها تكون زائدة على « مسافة » الانفعال فى النفس الشاعرة .

فلو أن شاعراً أراد أن يزاوج بين هاتين القطعتين :

يداك للمس النجوم
ونسج الغيـــوم

فى شطرين متساويين لرأى نفسه يقول مثلا :

يداك للمس النجوم الوضاء   ونسج الغمائم ملء السماء

وهذه الزيادة « عكازة » موسيقية أفسدت شيئاً كثيراً من بساطة التعبير فى حاله الأولى ، والحق أن الشاعرة مصيبة فى هذا التجديد إلى حد كبير وخاصة حين تعرض أن الشاعر دائماً فى حالة لا وعى أو قريب من ذلك ، ولكنها تنسى أن كثيراً من الشعر يجىء فى حالة وعى تام وأنه ليس فى النقد الأدبى مقياس يرفض هذا الشعر على أساسه ، وأن كثيراً من الشعر العربى إنما تم بهذا الوعى وأنه فى طريقتها الجديدة سيخسر كثيراً إلى جانب مايفيده من تحرر وانطلاق ولو مثلنا لهذه العكازات بقول المتنبى :

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه
حريصاً عليها مستهاماً بها صبا
فحب الجبان النفس أورثه البقا
وحب الشجاع النفس أورده الحربا

لوجدنا فى الشطر الثانى من البيت الأول ثلاثة تعبيرات متتابعة يمكن الاستغناء عنها جميعاً — حسب رأى الشاعرة — ولكنه استغناء اكتفاء . إذ لو حذفت هذه العكازات لاختل فى الصورة الشعرية شىء كثير ، فإما أن يكون الانفعال عند المتنبى عارماً لا تضبطه الحدود الهادئة التى ترسمها الشاعرة وإما أن يكون الشاعر مفتعلا لحالة الانفعال مستجلباً لها — ولا نستطيع أن ننكر عليه ذلك — فهو يسخر العكازات لتخدمه فى التصوير والموسيقى معاً .

بل إن الانفعال العارم الذى لا ينضبط هو الذى أدى بالشاعرة أحياناً إلى التكرير فى مثل قولها :

أغضب أغضب لن أحتمل الجرح الساحر
جرح قد مر مساء الأمس على قلبى
جرح يجثم كالليل المعتم فى قلبى
يجثم أسود كالنقمة فى فكر ثائر
جرح لم يعرف إنسان قبلى مثله
لن يشكو قلب بشرى قبلى مثله

أليس من قبيل العكازات تكرير ألفاظ بعينها لا يرسخ فى النفس إيحاؤها إلا إذا كررت ؟ ثم أليس تكرير لفظة « تمجرى » ما يزيد على خمس عشرة مرة فى قصيدة واحدة تغطية لحالة مستجلبة من الانفعال تماماً كما يفعل الشاعر الواعى ؟ .

لكن مهما يكن أمر الاعتراض على طريقة الشاعرة التى ترسمت فيها ميل نفس مرهفة متأثرة بما فى الأدب الغربى من حرية ، مستجيبة فيها إلى حاجة المذهب الفنى الذى اختارته فى المادة — فليس من ينكر أنها أسلمت القصيدة العربية إلى مرونة لم تعرفها من قبل وخاصة حين أخضعت القافية لبعض الإرسال والتصرف ، فأضحى الوقوف على المعنى لا على الرنة الموسيقية الأخيرة هو الذى يتطلبه الشعر الجديد .

لقد جمعت الشاعرة فى فنها قدرة عجيبة على التسلسل بالحركة النفسية من مبدأها إلى منتهاها ، ومحاولة التأثير بالموسيقى العامة فى بعض القصائد كقصيدة الجرح الغاضب والكوليرا ، والقصيدة الثانية تيار متدافع شديد الدوى لقوة الموت التى تطأ الأعماق ، ولكنها ليست صورة « للشعور الذى مزقه الموت » .

وهكذا نجد عند الشاعرة اتجاهين واضحين تتجه فى أحدهما إلى الرسم كما فى قصيدة الخيط المشدود ، وتقترب فى الثانى من الموسيقى كما فى قصيدة الجرح الغاضب .

ولست أدرى إن كنت مصيباً أو غير مصيب فى القول : إن البساطة فى الاتجاه الأول أشد تأثيراً من المراوحة بين

(البقية على الصفحة التالية)

مع شـــوقى ...
فى ذكراه العشرين

— ٢ —

للأستاذ حسين كامل عزمى

جـ – لمحات نفسية :

الفنان الذى يقدم للمسرح إنتاجه مطالب من الوجهة النفسية بشيئين :

أولهما : الفهم العميق للحركات النفسية لأبطال مسرحيته .

وثانيهما : التنبه لمواد التأثير فى نفوس النظارة ، الذين يتلقون هذه المسرحية بما يتفق والغرض الذى يرمى إليه من إثارة نفوسهم . . . وبمعنى آخر ، فيما يتصل بموضوعنا ، نريد أن نقول إن شوقى مطالب — إلى جانب فهمه لشخصيات أبطاله — بأن يوجه أدوات التعبير وجهة تأثيرية قوية ، على من يطمع فى رضائهم عن أبطاله ، بما يحقق هدفه . . .

وهدف شوقى فى هذه المسرحية ، فيما يبدو ، هو تبرئة ساحة كليوباترا . فكيف تأتى له ذلك . . ؟

لقد اهتم إهتماما واضحا جليا بمس الجوانب الإنسانية من شخصية البطلة . . . جعل لها بريقا . . ثم أطفأه . . . إذ بث فى تضاعيف شخصيتها كل ما يمكن بثه من خصائص الأنثى الجذابة المحبوبة العاطفية ، ثم بالغ فى لمس حياتها الحزينة ، التي تستثير العطف والرثاء . . . . فقد بدأ الفصل الربع ، واستلهم أسلوب المفاجأة العاطفى (الرومانسى) ، وأجرى على لسان كليوباترا صرخة المرأة التى سُلبت حبيبها ، وتفردت بالألم . . ثم أجرى حديثا بينها وبين وصيفتها ، ليس فيه شىء مما يكون بين السيد والمسود ، فتركها إنسانة مجردة من كل شىء إلا من إنسانيتها . . ثم صور أسى العظيم المهزوم حين تسمع كليوباترا دبيب حارس الأعداء فتقول إنه : (معربد الخطو من نشوة النصر — لا تسع الأرض رجليه من كبر) .. حتى إذا حادثها الحارس صانعته فى غير كبر الملك ، ثم تلتفت إلى وصيفتيها قائلة :

يا شرميون تعلمى الدنيا ويا ... هيلانة اختبرى الزمان القاسى
إن التى حُرست بأبطال الوغى ... باتت تصانع سفلة الحراس

وحتى إذا جاء حابى صالحته مصالحة الإنسان للإنسان ، لا مصالحة الملك لفرد من الرعية ، تقول له :

وفيت لى حابى ولم تكن تفى

ثم تتلطف مع خدمها فتقول للوصيفتين :

الفكرة والنغمة فى الاتجاه الثانى . ولو أن الشاعرة اكتفت بحلّ الشكل القديم لوجدت أن اللفظة ستنطلق من موتها وأن الصورة ستخلص من إسار الجمود والترديد دون أن نلح كثيراً على موسيقى اللفظ ؛ فالانفعال نفسه هو الذى يحكم اللفظة بالوجود وعلى أخرى بالموت . وترتفع « قوة الاختيار » عند هذا الانفعال حين تمنحه الحرية وتزيح من أمامه كل القيود أو بعضها ، أما أن نتحكم فى هذا الانفعال نفسه بالانتقاء الموسيقى فهو إغراق فى عبادة الشكل ، وبعد عن الحرية التامة التى نريدها للشعر العربى فى هذه الآونة ، فقد طالما ابتلى هذا الشعر بمن يضحون كل شىء فيه فى سبيل الحلاوة الموسيقية .

إن التجديد فى شعر نازك ليس مقصوراً على الشكل ، وإجادتها فى مذهبها ليست قائمة على حدود التخلص من القافية والمساواة بين شطرى البيت ، هذه حقيقة لابد أن يفهمها من يقلدون هذا الاتجاه وهم لا يتمتعون بما وهبته الشاعرة من قدرة فنية فذة وإرهاف عجيب ، وتعمق لجوانب النفس ، واستشعار لخطرات الحلم ، وإيمان بحرية الفن وطلاقته . إن كل شاعر يسير فى هذا الطريق لابد أن يكون مترجماً عن حلمه الخاص به — دون اعتبار للشكل وحده — فإذا لم يكن له حلمه وانطوائيته وإرهافه وفهمه الدقيق لخلجات النفوس فان الشكل وحده لن يغنى عنه شيئاً .

إحسان عباس

ياخادميّ ، بل ابنتيّ ، تلطفا في البحث حتى تأتيا بإياس

وتقول : ياويح صحبي بعد طول سرورهم
قعدوا إلى أحزانهم يبكون

وتقول : أنشو . . . يعز على أنك سام
يبدو عليك الهم والتفكير

ثم يضرب شوقى ضربته النفسية الرائعة . المؤثرة ، البليغة . . في إسداله ستائر الموت على الجو الأخير . بنشيد الموت .. حتى إذا ماانتهى نشيد الموت ، وضمن الشاعر تهيئة الجو النفسى للجمهور ، يدخل القائد بالمعاهدة المهينة ، فيضمن الشاعر بذلك سخط الجمهور على الدخيل ، ثم يجرى على لسان القائد تلميحا ، كالسهم الموجع ، عن الأنثى المسكينة « كما صورها شوقى » . . فيضمن أيضا ثورة الجمهور ، متضمنة عطفا انفعاليا غير واع على البطلة . ثم يأتى تصوير الانتحار : الملكة متخاذلة ، ضعيفة ، مسكينة ، تصانع الحراس وتتلقى تجريح القائد ، وتتعاطف مع الخدم و وتدوى في نشيد الموت . . . ثم تناجى زنبقة فى الآنية . . . ولكم أحسن تصوير كليوباترا الأنثى فى هذا الموقف . . فهاهى ذى منحنية على زنبقة فى أصيص ، تتعاطف مع الطبيعة الصامتة : شاعرة ، متصوفة . . . ماأبعدها عن كليوباترا التاريخ الخاطئة — إسمعها تقول :

زنبقة في الآنيـة ضحيـه الأنانيـه
جنت عليها غربة الـ أسر الأكسف الجانيـة
وبدلت من سعة الربـوة ضيق الناطيـه
يسقونها من جرة بعد العيون الجاريه
ياجارتا شأنك لا يشبـه إلا شانـيه
لم يبق من ملكي العريـض غير دار خاويه
وكلتا ذابلة .... عما قليل ذاويه
زال النعيم وفرغـنا من حياة فانيـه

وبعد . . فكليوباترا أم لاتقوى على مواجهة طفليها وحدها ، فتستند إلى شرميون قائلة :

أدخلي بي ياشرميون على طفلى أودعهما الوداع الرهيبا
فعساها — إذا تحجب صدرى —
وجدا صدرك الحنون الرحيبا

ثم تبارك — خاطئة التاريخ — الحب الطاهر بكلام ككلام المتصوفين تقول :

ولديّ اهجـرا القصـور فإنى
قـد وجدت النعيم فيها غريبا
ثم تمنحهما ضيعـة الحب . . .

وشوقى بعد كل هذا حريص على أن يترك ساحة كليو باترا نقية . . فهو يبارك هذا الحب أيضاً ، ولا يجنى على هيلانه ، فتقع تبعة موتها على كليوباترا . . . فيخترع معجزة « حقة النجاة » ، ضارباً بالواقعية عرض الحائط ، فى سبيل الوصول إلى الغرض الأول والأخير . . . ثم لايترك كليوباترا إلا راكعة أمام تمثال إيزيس : تائبة ، مستغفرة ، مسترحمة ، ملقية تبعة خطاياها على الحياة . . . فى فلسفة واهية الأساس ، وإن كانت متساندة ؛ بعد أن هيأ لها شوقى ذلك الجو الذى أسلفنا تحليله . . .

ولحظة الانتحار — وإن مرقت كالبرق — إلا أنها أضاءت بالأمل الذى يريد أن يتشبث بالشباب ، فيمنعه شىء فى النفس . . . كما تجلى ذلك فى قولها :

ياابنتيّ ودى هذا زينانى للمنيـه
غسلانى طيبانى بالأفاويه الزكيـه
ألبسانى حلة تسحب أنطونيو سنيـه
من ثياب كنت فيها أتلقاه صبيـه
ناولانى التاج تاج الشمس فى ملك البريه
وانثرا بين يدى عرشى . . . الرياحين البهيه

. . . ونحن إنما نرى أن شوقى قد ركز شاعريته على الفصل الرابع فهو قد كان يعلم — وهو الشاعر المقتدر الأريب — مبلغ حوايم الأحاسيس فى النفوس . . .

لقد كان يعلم أنه — لابريق اللفظ ، ولا رنين الجرس ، ولا تصوير عظمة الملك . . . بأدوات كافية لإثارة العطف على البطلة . . وإنما يُحدث هذا التأثير تصوير جوانب الضعف الإنسانى . . .

* * *

د — شعر المسرحية :

فى هذه المسرحية قصائد خالدات ، يسجلها تاريخ الأدب للأجيال المتعاقبة باحترام صادق عميق ، وهو مؤمن بشاعرية شوقى . . . فلو سأل سائل : ما هو الشعر ؟ لقرأنا له :

« ياطيب وادى العدم » ، ولقرأنا له : « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » ، ولقرأنا له « زنبقة فى الآنية » ، ولقرأنا له « نام مركو ولم أنم » . . ثم سكتنا . . . وهو — أى السائل — لابد شاعر بما سأل عنه . . .

فهذا الشعر ليس بحاجة إلى الإقناع بأنه شعر ؛ إنه مناجاة عاطفية ، ذاتية ، إنسانية ، مناجاة آتية من بعيد — كالأمواج المنسابة فى ريث — تأخذ طريقها إلى نفسك فى رفق ، وصمت ، وعمق . . فتصغى إليها بكل حواسك ، وكأنك تصغى إلى حبيب وأنت نشوان ذائب فيه . . .

أراد شوقى أن يناجينا مناجاة العدم فأتى بنشيد الموت ؛ وقد تمثله حقاً ، فاستطاع أن يمثله لنا ، وأن يجذبنا إليه ، وأن يجعلنا معه . . .

ذلك الموت الحالم المريح ، الذى قدمه لمزمعة الانتحار كليوباترا . . ذلك الوادى الطيب ، حيث المروب مما لا نطيق ، حيث العزلة ، حيث تلاقى كليوباترا حبيبها ، وتكون له خالصة ، ويكون لها كذلك . . .

ما أجمل هذا الوادى ، وما أحبه للنفس اليائسة الراغبة فى الانتحار .. إن وادى شوقى هذا هو وادى العدم حقا .. إنه وادٍ « لم تعش فيه قدم » .. مجدب خالٍ .. إنه الموت .

وحلقْ مع شوقى وارتفع بخيالك واسبح مع الشراع الفضى ، الذى يسرى « كالحلم فى الغمض » ، وهو ثابت متحرك ، لأنه حلم « يجرى ولا يجرى » . . . واسمع لأحزان الموت المريح ، لهذا النداء الحزين :

يا مـــوت مـــلْ بالشراع

واحمـــل جريح الحيـــاة

وانظر مع شوقى لهـذا الفلك والمه ، المه من بعيد ، وهو يخترق اليم (تحسبه نجما . .) . . . وتأمّلْ سلبية هذا الزورق ، فهو ليس به ملاح ، وهو :

من نفســه يجرى لم يجــره مجــداف

وهو يجرى ولا يجرى . . . إنها أمور محيرة . . .

إنه المـوت ، لا بلاغة يجـول فيها العلماء ويصولون .. وهنا يخجل التحليل والتشريح . . إنها أنفاس شاعر ملهم قد بثها فى كل شطر . . . أما النغم فى هذه القصائد فهو يبدو فى اللفظ والوزن والتركيب ، وفى أبعد من هذا فى نفس الشاعر التى امتلأت بما يقول .

أما هذا النغم فهو همس صادق حزين ، مستريح يأوى لحزنه . . . وحسبك أن تنصت لهذا الشعر ، فتحسب أنه أغانٍ تهمس بها نفسك أنت .

وبعد . . . فهذه كلمة قصيرة عن هـذا الشعر الرفيع فى هـذه المسرحية . . نرجو أن تكون قد وفت ببعض ما لشوقى على العرب والعربيـة من حقوق . . وسلام عليه فى الخالدين .

(السويس)

حسين كامل عزمى

باب جديد :

« آراء حـرة »

أزمعت « الثقافة » فتح باب جديد يتابع النهضة الحديثة فى البلاد . . . وأطلقت عليه « آراء حرة » ، تنشر فيـه موجزاً لما يرد إليها من كلمات ومقالات تحتوى على آراء حديثة أو مستحدثة فى شتى نواحى الحياة : الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والخلقية والأدبية ... الخ .

وستخصص جوائز رمزية لكل من ينشر له رأى . . .

فهلموا إلى العمل ... وساهموا فى بناء الوطن الجديد ...

نص الشـــارع

يقضى على شرط الواقف

للأستاذ محمود أبوريه

كان من الأصلاح العظيم الذى انبثقت عنه ثورة جيشنا الباسل أن ظهر فى حياتنا المصرية عنصر جديد نفذ إلى جميع مرافق البلاد التى أصيبت بداء الفساد ، ذلك هو عنصر التطهير الذى لم تكن تعرفه بلادنا من قبل ، ولقد سرى هذا العنصر إلى الوقف الأهلى العفن فقضى عليه . وإلى الوقف الخيرى فرأى أن تتولى إدارته وزارة الأوقاف لتنفق ريعه على وجوه الخير والبر الصحيحة .

ومما لا خلاف فيه أن هذه الأوقاف فيها ما هو ضار غير نافع ، وباطل غير مشروع . مثل ما ينفق على تشييد الأضرحة والقبور وتزيينها وإنارتها وحمل الزهور فى الأعياد والمواسم إليها ، وقراءة القرآن والأوراد عندها .. وغير ذلك مما هو باطل فى نفسه لمخالفته لأصول الشرع وفروعه .

ومما مكن للفساد الذى امتدت جذوره فى هذه الأوقاف أن القائمين عليها يستندون إلى قاعدة بالية فى ارتكاب كل ما يشتهون ، ذلك أنهم يقولون إنما ننفذ شروط الواقفين !! ويظاهرهم فى ذلك مشايخنا عفا الله عنهم بما يفتون من (أن شرط الواقف كنص الشارع !) .

ولأن هـذا القول باطل فى نفسه ، والدين والمصلحة يقضيان ولا ريب بهدم هذه القاعدة الفاسدة حتى تجرى الخيرات فى سبل قويمة فينتفع الناس بها ويعود الثواب على الواقفين من ورائها فقد رأينا أن نبين لأولى الأمر وللناس ما قرره إمام جليل من أئمة المسلمين لهدم تلك القاعدة الباطلة ذلكم هو ابن القيم الجوزية التلميذ الأكبر لشيخ الإسلام ابن تيمية .

قال رحمه الله[١] فى شروط الواقفين : الصواب الذى لا تسوغ الشريعة غيره ، عرض شروط الواقفين على كتاب الله سبحانه وعلى شرطه ، فما وافق كتابه وشرطه فهو صحيح ، وما خالفه كان شرطا باطلا مردوداً ولو كان مئة شرط[١] وليس ذلك بأعظم من رد حكم الحاكم إذا خالف حكم الله ورسوله ومن رد فتوى المفتى . وقد نص الله سبحانه على رد وصية الجانف فى وصيته والآثم فيها ، مع أن الوصية تصح فى غير قربة[٢] وهى أوسع من الوقف . وقد صرح صاحب الشرع برد كل عمل ليس عليه أمره[٣] ومن العجب العجاب قول من يقول : إن شروط الواقف كنصوص الشارع ! ونحن نبرأ إلى الله من هـذا القول ونعتذر إليه سبحانه مما جاء به قائله ولا نعـدل بنصوص الشارع غيرها أبداً .

قال رحمه الله :

إذا سئل عن مسألة فيها شرط واقف لم يحل له أن يلزم بالعمل به ، بل ولا يسوغه على الاطلاق حتى ينظر فى ذلك الشرط ! فإن كان يخالف حكم الله ورسوله فلا حرمة له ولا يحل له تنفيذه ولا يسوغ تنفيذه ، وإن لم يخالف حكم الله ورسوله فلينظر هل فيه قربة أو رجحان عند الشارع أم لا ؟ فإن لم يكن فيه قربة ولا رجحان لم يجب التزامه فلا تضر مخالفته ، وإن كان فيه قربة وهو راجح على خلافه فلينظر : هل يفوت بالتزامه والتقيد به ما هو أحب إلى الله ورسوله ، وأرضى له وأنفع للمكلف وأعظم تحصيلا لمقصود الواقف من الأجر ، فإن فات ذلك بالتزامه لم يجب التزامه ولا التقيد

(البقية على الصفحة التالية)

(١) ص ٢٧٢ — ٧٣ ج ١ أعلام الواقفين .

(١) يشير إلى الحديث المتفق عليه ونصه (ما بال رجال يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله ، ما كان من شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان مئة شرط . قضاء الله حق وشرط الله أوثق .

(٢) اجمعوا على أن ما ليس بقربة لا يجب الوفاء به .

(٣) يشير إلى الحديث لدى رواه البخارى وغيرهما ونص رواية مسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهورد » .

رفقا بالقـــوارير ..!

للأستاذ عمر عبد العزيز الأقصرى

كلٌّ ميسَّر لما خلق له ...

فكل مخلوق له رسالة فى الحياة يؤديها ، بيد أن الله ييسر له سبل الأخذ بها حتى يؤدى ما خلق له .

وكذلك الرجل والمرأة ...

فالرجل خلقه الله جلاد الحياة ؛ يذللها ويسخرها لخدمته . وفى طبع الحياة جموح الجواد ، وخلق الومس ، ووعورة الجبـل الشاهق المنحـدر ، ومراوغة الثعلب ، وبطش السرحان .. ؛ فالرجل خلق للقتل والقتال ، والكفاح والنضال .. وقد يسره الله لما خلق له ؛ فوهبه القوة ، وحباه العقل ، ورزقه الخلق الصلب .. وجعل له من فطرته إقبالا على ما خلق له ..

والمرأة خلقها الله ليسكن إليها الرجل ، وتقوم على البيت وتُبقى على السلالة ؛ فتحفظ الأجيال .. حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد جعلها سبحانه ميسرة لما خلقت له : فتفجر من جسمها ينبوعان فيهما للطفل شبع ورى ، وجعل لها من ضعف حواسها قوةً على تحمل آلام الوضـع والولادة ، ووهبها صباحة ولدونة وتناسقاً فى التركيب ؛ تجذب الرجل ليودع فيها صورته ، كما تجذب الزهرة بألوانها الفراشة لتهبها حبوب اللقاح ، وليسكن إليها ، فينسى هم الحياة ..

وفوق هذا ؛ فقد جعل الله فى خلقها الجلد والصبر على أداء أعمال البيت المملة ، وتربية الطفل ومسايرته ... ثم جعل لها من فطرتها إقبالا على ما خلقت له ..

ومن هذا يتضح أن المساواة بينهما نوع من الظلم فى لبوس العدل ، وضرب من العسف فى صـورة التطور . وتكون المرأة ضحية المساواة ؛ لأن المساواة بين الرجل والمرأة ، معناها ثورة على الطبيعة العادلة التى فرقت بينهما تفريقاً مرده إلى تقسيـم العمل ، وتوزيع « البرامج » واستثمار الملـكات .. ؛ حتى يسـير دولاب الحياة على عجلة العمران .

فإذا ما نظرنا إلى الواقع بعين العـدالة ، مجردين عن الهوى ، وشاهدنا المرأة وهى تقتحم ميدان العمل ، وتزاحم

به قطعاً وجاز العدول بل يستحب إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله وأنفع للمكلف وأكثر تحصيلا لمقصود الواقف . وقد مثل رحمه الله بالشروط الباطلة : إيقاد سراج أو قنديل على القبر[1] فلا يحل للواقف اشتراط ذلك ولا للحاكم تنفيذه ولا للمفتى تسويغه ولا للموقوف عليه فعله والتزامه . فقد لعن رسول الله المتخذين السرج على القبور . فكيف يحل للمسلم أن يلزم أو يسوغ مثل مالعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعله — إلى أن قال :

والوقف إنما يصح على القرب والطاعات ولا فرق فى ذلك بين مصرفه وجهته وشرطه فإن الشرط صفة وحال فى الجهة والمصرف فإذا اشترط أن يكون المصرف قربة وطاعة فالشرط كذلك — ولا يقتضى الفقه إلا هذا ولا يمكن أحداً أن ينقل عن أئمة الإسلام الذين لهم فى الأمة لسان صدق ما يخالف ذلك البتة بل نشهد بالله أن الأئمة لا تخالف ما ذكرناه ، وأن هـذا نفس قولهم وقد أعاذهم الله من غيره[1] » .

هذا هو البيان القيم الذى أورده العلامة ابن القيم ننشره على الناس وفيه البلاغ وفصل الخطاب إن شاء الله .

محمود أبو رية

(١) ومثله ما يعمل للأضرحة والقبور وقراءة الختمات ودلائل الخيرات والمتاتات ! وما إلى ذلك من هذه الخرافات .

(١) ص ١٥٦ — ١٦٠ ج ٤ أعلام الموقعين .

الرجال .. ثم جلنا جولة فاحصة فى ميادين سعيها — لرجعنا إلى أنفسنا موجعى القلب باكين !!

اشتركت المرأة فى الحرب . وها نحن الآن نجنى ثمرة اشتراكها بعد أن وضعت الحرب أوزارها : تصخماً خلقياً اجتاح أوربا وأمريكا ، والذى ينذر بحرب أخرى !!..

بل اسألوا قتيل الحرب : من أشعله ؟! يجبكم : أن المرأة هى التى رقصت على البارود !..

ثم انظروا إليها وهى تقوم بالأعمال ماذا كسبت وكسبنا ؟! وما ذا خسرت وخسرنا ؟!

أما الكسب فلا ! ولا ! باليقين ! وكفانا مغالطة لأنفسنا ؛ فالأمر جد لا هزل فيه !!

وأما الخسارة ؛ فقد خسرت هى ! وخسرنا نحن !.. هى خسرت أنوثتها ! وفقدت فطرتها ، وأصبحت جزءاً من الآلة ! وأمامنا المرأة الأمريكية خير دليل .

ثم خسرت « الأمومة » رأس مال المرأة — والخلق القويم !..

وخسرنا نحن المرأة ! وكنى خسرنا حواء الخالدة !!

ثم ماذا ؟! ثم غابت الأم عن الطفل الذى تضىء بابتسامتها له طريق الحياة ، واستعاض عنها بمن لا همها همه ولا أحزانها أحزانه !! فقامت تربية الطفل على أساس تهدم ركن من أركانه الصحاح . ألا وهو « البيئة المنزلية » ؛ فخربت البيت لتعمر المصنع ! وليتعطل بجانبها رجل اغتصبت مكانه !! .

ثم إن المرأة تأبى إلا أن تكون فى مقدمة الميدان ؛ فتطلب المساواة فى أعمال مالها عليها يدان :

تطلب أن تشترك فى سياسة الدولة العليا ..

وأن تقوم بقيادة المجتمع ..

وأن تمثل الأمة فى البرلمان ..

وتطمع أن تكون قائدة للجيش ، ووزيرة للدفاع ، والخارجية ! و .. و ...

وما أخطرها سقطة لو تحقق المرأة هذا الحلم !

أما بعد :

فعظمة المرأة تنبع من البيت ؛ فعظيمات النساء ، وما صلحن لما قمن به ، إلا وكن أمهات ، أو زوجات ، أو حبيبات ، أو صديقات ؛ بهذا تفخر المرأة ! وبهذا ينطق بفضلها قول « شيللر » :

ما رأيت رجلا وصل إلى قمة المجد ، إلا وأيقنت أن بجانبه امرأة يحبها وتحبه ! .

وعظمة المرأة إنما هى فى صفاتها التى تجعل الرجل أعظم منها ، كما يقول المرحوم الرافعى .

أما أن تكون غير ذلك . أو تكون غير « مصنع للأطفال » على حد تعبير « شوبنهور » ؛ فإنها ستندم ولات ساعة مندم ! .

وأختم كلمتى هذه بعبارة للمرحوم مصطفى الرافعى .

« مهما حاولت المرأة فى أن تقلد الرجل ؛ فإنها لن تصير رجلا .. ولن تعود امرأة » ! .

رجعة إلى فطرتك يا امرأة !

ورفقاً أيها الرجال بالقوارير !

ولتعلم أنها محسودة بأنوثتها .. إسمعى قول آدم :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول !

لجرى الذيول ياحواء ! وأشعليها حرباً من سهام عينيك وريح نشرك !

ورفقاً بكن يا قوارير .

عمر عبد العزيز الأقصرى

« ليليا » أو حياة الكاتبة چورچ صاند

"Lelia" Ou "La Vie De George Sand".

لأندريه موروا : ANDRE MAUROIS

للأستاذ مبارك إبراهيم

« چورچ صاند » أو "Aurore du Pin" (١٨٠٤ — ١٨٧٦) ولدت فى باريس . وتربت فى إحدى قرى الريف الفرنسى . وتزوجت وهى فى الثامنة عشرة من عمرها . وعاشت حياة زوجية قصيرة المدى لم تذق فيها طعم الهناء . وكان اسمها حينئذ « مدام دو ديفان » وكان لها من زواجها ولد وبنت .

وبعد انفصالها عن زوجها لقيت هى وولديها ألواناً من الضيقة والعسر . ثم نذرت نفسها للأدب . وأخرجت أولى رواياتها وهى « إنديانا » باسمها المستعار « چورچ صاند » ثم أتبعتها بروايات أخرى كانت تدور موضوعاتها حول الزواج غير المتجانس .

وأحسن رواياتها هى ما دارت موضوعاتها حول الحياة الريفية . هذا ومما يذكر أنها كانت على علاقة بالشاعر « ألفرد دى موسيه » وقد كتبت بعد وفاته رواية سمتها « هى وهو » وأدارتها على موضوعات تلك العلاقة . ولما كان « دى موسيه » عند ظهور تلك الرواية قد طواه الردى . وغيبه الثرى . فقد تولى أخوه « پول دى موسيه » وهو فى ثورة غيظه وحنقه الرد عليها برواية سماها « هو وهى » انتصر فيها لأخيه . وفند فيها أقوالها .

ظهر حديثاً هذا الكتاب الذى جعلناه عنواناً لهذا المقال فعقب عليه أحد المعقبين يقول : فى يوم من أيام شهر يونيو من عام ١٨٧٦ أودت المنية بأشهر الروائيات الفرنسيات فى القرن التاسع عشر . ودفنت فى مدفن أسرتها القريب من الحدائق المجاورة لبيت أجدادها .

ويروى أن « فلوبير » كتب يوماً إلى الكاتب الروسى « تورجنيف » يقول : إن موت الأم « صاند » المسكينة قد أورثنى الحزن والغم . ولقد أسفت كل الأسف إذ رأيتهم يدفنونها كما يدفنون مجلاً من المجول . . . فواها لها من سيدة عظيمة ! ولقد وددت لو أن الناس عرفوها كمعرفتى بها . إذاً لعرفوا كل ما كان فى طبيعتها من رقة قد امتزجت بالعبقرية والنبوغ .

وكان « فلوبير » واحداً من مادحيها . فانظر إلى ما قاله « بودلير » فى مذكراته الخاصة : (لقد جمعت « چورچ صاند » فى رواياتها كل ما انطوى عليه القرن التاسع عشر من سخافات تبعث على التحقير وتدعو إلى اللوم) . ولم يكن « بودلير » قد لقيها وجهاً لوجه . ولكنه قال : لو أنى لقيتها لما توانيت فى أن ألقى على رأس تلك الشريرة جرناً من أجران الماء المقدس . . ثم مضى يقول : إنها قدمة ثقيلة ثرثارة . وإن تعمقها فى الآراء ذات الصلة بالمسائل الخلقية لأشبه بتعمق البوابات وأنصاف الغانيات . وإنها لتشبههن كذلك فى ظرف الطبع وخفة الظل وحلاوة الشمائل . . . وكلما خطرت صورتها فى خاطرى تولتنى رجفة مفزعة .

واختلاف الرأى فى « چورچ صاند » عند هذين الكاتبين دليل على أن الكاتبة كانت تحيا حياة معقدة متشابكة . وهو كذلك دليل على اتساع رقعة الأرض التى اتخذتها ميداناً لها . وعلى تنوع التربة فى تلك الرقعة . هذا . ومن شهود إثبات تفوقها وبراعتها « بلزاك » وكان من عشاقها الأفلاطونيين . ومنهم « سانت بيف » وهو خل قديم انقلب خائناً غداراً .

أما « بلزاك » فكان يفخر دائماً بصحبته لها . وقد كتب يوماً إلى إحدى صديقاته . وهو يصف وصفاً مطولاً الآثار الأولى لزيارته لمدينة (نوهان) حيث كانت تقيم « چورچ صاند » يقول : هنا كانت تعيش امرأة لم تكن بالمليحة ولا الجذابة . ولكنها أوتيت قوة فى العقل وعزة فى النفس رفعتها إلى المكانة الجديرة بها . وهو يقول : لقد تحدثنا حديث زميلين فبحثنا فى صراحة وجد وإخلاص . مسائل الحرية ومشكلات الزواج .

وكانت « چورچ صاند » خصبة الذكاء ، وطالما أخافت وأذهلت أحبابها والمعجبين بها بما كانت تبديه من حيوية ونشاط ، وكتب إليها « چول ساندو » (وهو الذى شاركها

كتابة إحدى القصص) يقول : لم أخلق على مثالك . فإن في دماغك زنبركا من الصلب . لا يكلفك عناء إلا أن تضغطي الزر فتعمل الإرادة عملها . . .

وكانت هذه الكاتبة مهما تعصف الريح ، ومهما تدلهم الخطوب قادرة على إخراج محصولها الأدبي المقرر في كل ليلة وهو ملء عشرين صفحة من مخطوطاتها . وقلما كانت تتوقف لتصلح جملة أو تصحح كلمة ، ولكنها كانت تملأ الصحائف صفحة بعد صفحة بخطها ذي الحروف الكبيرة التي تجري على الورق في غير قلق . ذلك لأنها كانت لا تعنى أبداً بالتجويد والإتقان كما كان يفعل « فلوبير » ومن لف لفه . وحذا حذوه . «وأندريه موروا » في كتابه الجديد لم يقل بلهجة التوكيد إن خير ما انتحته الكاتبة هو قصة حياتها ، ولكنه يعد مسائل مخاطراتها الشخصية . كما يعد أعمالها الأدبية العظيمة جزءاً من قصة تلك الحياة ، وهي تلك المخاطرات والأعمال التي يترك فيها القلب والعقل والهوى والخيال والجنون والعبقرية العابرة — آثاراً تجمع بين الغرابة وعمق الأثر . . .

وأندريه موروا يعلل ما في أحلامها من تشابك وتعقيد أثر الوراثة فيقول : إنها من ناحية أمها تنتسب إلى الطبقة الكادحة ، وهي من ناحية أبيها تنتسب إلى طبقة الملوك والاستقراطيين . ثم يمضي أندريه موروا فيقول : ألم تنحدر ي من « موريس دي ساكس » ؟ وألم يكن « المرشال ي ساكس » نفسه من أبناء الزنا ، وألم تكن بنته « ماري ورور » بنت سفاح ، وهي التي أصبحت بزواجها الثاني من رجل المالي « ذوبان دي فرانكي » جدة المترجم لها ؟ .

وهو يستطرد فيقول : إنها بحكم مولدها تقوم على حفاف بقتين تختلف معالمها الاختلاف كله ، وهي بثقافتها تقوم على هامش من هوامش الفلسفة العقلية التي سادت القرن الثامن عشر وعلى «الرومانتيكية » التي سادت القرن التاسع عشر هي قد جمعت بين الخلاعة السائدة في عصر من العصور بين المثالية السائدة في عصر آخر ، وهي قد جمعت بين يل إلى البذخ والإسراف والتهور . وبين الميل إلى دهماء بقة الفلاحين والزراع ومكرهم .

وقد كان القائم على تأديبها يحضها على أن تعمل عمل رجال كما كان يغريها بأن ترتدي زي الرجال ، وقد درست رشاد منه التشريح والجراحة ، وتعلمت الصيد وركوب الخيل ، وعاشت كأنها فتى من الفتيان بين شباب المدينة المجاورة . ثم تزوجت تلك الفتاة الغريبة الأطوار بذلك الرجل الطيب « كازيمير دوديفان » في العاشر من سبتمبر عام ١٨٢٢ ، وكانت قبل زواجها منه قد عرفت قدر حريتها بل إن الحرية كانت لها حرفة وصناعة . ثم أعلنت بعد ذلك أن الحرية والزواج شيئان لا يتفقان . ولكنها ماذا هي فاعلة وقد عادت إليها حريتها ، وفكت عنها قيود الزواج وأغلاله ؟ تلك كانت المشكلة التي شغلت بالها حتى هدفت إلى الشيخوخة ، وحتى ملأت الدنيا دويا ، وكانت تسائل نفسها دائماً : أتسيطر أم تخضع ؟ وكانت تطلب دائماً أن يتاح لها اختيار سيد يستحق أن يطاع ، وكان الفشل نصيبها دائماً مع أولئك الأسياد الذين حاولت أن تطيعهم وأن تأتمر بأمرهم .

ومن أقوالها في هذه الناحية : لو استطعت يوماً أن أخضع لرجل لمجوت بنفسي . ذلك لأن الحرية تؤرقني وتقتلني .

ولكنها في قولها هذا لم تكن دقيقة التعبير بل لم تكن تعي ما تقول . فإن ميلها إلى الخضوع كان يقابله في الكفة الأخرى رغبة قوية في التسلط والسيطرة .

وقد كانت في حياتها العاطفية التي شغلت جزءاً كبيراً من حياتها تتأرجح دائماً بين تمثيلها لدور الرجل تارة ولدور المرأة تارة أخرى . ولكنها لم تكن تجد في كلا الدورين ما يشبع رغباتها المبهمة ، ولذلك فهي يوم كتبت روايتها « ليليا » صورت فيها صورة امرأة غير قانعة .

ويبدو أن أحداً من أهلها لم يأت لها بكل ما كانت تأمل وتحلم فظلت تنتابها حمى السعي وراء مثل أعلى في السعادة كان دائماً يداعب خيالها .

كان الرأي عندها أن الصلة التي تقوم بين اثنين يجب أن تشمل كل شيء . وكانت تحتقر تلك المودة الباردة التي عرضها عليها « سانت بيف » وهو الذي كتب لها يوم انتهى الأمر بينها وبين « صاندو » يوصيها ويشير عليها بأنصاف الحلول . ويقول إنه يرى في تلك الأنصاف نصف المناعة للقلب ، وهو ما فيه الكفاية والغناء .

وكان « چول صاندو » أول شاب سيطرت عليه ، ومثلت معه دور « العشيقة الأم » ، وكانت إلى ذلك تشكو مر الشكوى من أنه فشل في السيطرة عليها .

ثم قفاه « ألفرد دي موسيه » ذلك الفتى المتأنق الذي كان يجمع بين الرخاوة والتشيطن ، والتي أشارت إليه

بضمير الغائب فى رسالة كتبتها يحسبها القارىء غير العارف أنها رسالة من محب مغرم إلى فتاة حسناء تصغره سناً . فلما انفصلا أحدث أنفصا لهما أشد الفضائح الأدبية دوياً فى القرن التاسع عشر .

وعلى الرغم من أن علاقتها بشوپان قد كانت أطول مدى وأن تلك العلاقة قد قطعت — يوم قطعت — فى غير ضجة كبرى فإن « چورج صاند » كانت فى أيام تلك العلاقة الشريك المسيطر ، وكانت تدلل « شوپان » وتدعوه بأحب الأسماء إليه فتسميه "Chopinski," "Chipette," "Chip"

وكذلك عاشت تلك المرأة أو « الممرضة المتدلهة » كما كانت تسمى ، والتى كانت حيويتها المسترجلة تبدو وكأنها ربت ونمت على حساب ضعف عشاقها وهشاشتهم .

وظلت تلك المرأة تبحث فى غير هوادة ، وفى قلق بالغ عن قوّام عليها يحسن القوامة والسيطرة . فلما ظنت أنها قد لقيته كانت نعمة كبرى قابلتها بالشكر ، وذلك الرجل القوام هو "Michel De Bourges" وكان هـذا الرجل نائباً من نواب الأقاليم ، وكان على ما به من صلع ، وضعف ، وشيبة قبل الاوان . فصيحاً من الفصحاء ، وقد غطت تلك الفصاحة على كل مابه من عيوب ، ولـكن العلاقة بينهما لم تدم إلا قليلا .

وأندريه موروا فى ترجمته لحياة تلك المرأة يتيح لنا أن نفهم — على سواء — سرّ احتقار « بودلير » لها وسرّ إعجاب « فلوبير » « وبلزاك » بها .

ومن فوائد هـذه الترجمة أن كتاب أندريه موروا يتيح لنقاد القرن العشرين أن يقدروا فى تلك المرأة قوة شكيمتها . وأن يتبينوا أن نبوغها قد تأصلت جذوره فى منبتها الأول . وأن هذا النبوغ لم يكن قوامه المتاجرة بالآراء . ولـكن قوامه حبها لتلك الأرض الخصبة التى عاشت فوقها . وأن يتبينوا أيضا أنها كانت تجمع بين الشجاعة وبين حب الحياة . وهى مميزات قد ازدهرت أيام شبابها وصاحبتها حتى تقدمت بها السن . وعلى ذكر تقدم السن تقول إنه قلّ من النساء من لبسن لباس الشيخوخة وهن مطمئنات ضاحكات السن كما فعلت هى .

ويؤثر عنها أنها كتبت قبل موتها بإحدى عشرة سنة إلى « فلوبير » تقول : ليس للحزن مساوىء . ويكفيه أنه يعصمنا من الذبول ! .

وتكتب بعد ذلك إلى "Charles Poncy" تقول إن الإنسان يكون سعيداً فى عزلته إذا راض نفسه على تلك العزلة . على شرط أن يقلل من مطامعه . وأن يؤتى الشجاعة . وأن يتحلى بشىء من نكران الذات . وعندئذ تواتيه السعادة . ولن تكون تلك السعادة وهما من الأوهام . فلنعش ما بقى لنا من حياتنا كما يقدر لتلك الحياة أن تجىء . وأن نباعد بين أنفسنا وبين الجحود ونكران الجميل . .

ولـكى نعرف القارىء بلون من ألوان تفكير تلك الـكاتبة نقدم له كلمة موجزة عن قصتها « إنديانا » التى وردت الإشارة إليها فى صدر هذا المقال — : هى قصة رومانتيكية نشرت عام ١٨٣٢ وهى أولى القصص التى أكسبت « چورج صاند » الشهرة وبعد الصيت . ولها بين سائر رواياتها المقام الممتاز . من حيث أنها تصور إلى حد ما تجارب المؤلفة الشخصية فيما يختص بالحياة الزوجية .

وتقوم مشاهـد الرواية على التعاقب فى بلدين الأول المسمى "Castle de Brie" حيث تقوم مزارع الشيخ « الـكولونيل ديلمار » وهو أحد ضباط جيش نابليون المتقاعدين . وهو يعيش هناك مع زوجته الخلاسية « إنديانا »

والبلد الثانى باريس حيث تزور الزوجة عمتها الارستقراطية . وحيث يقيم « ريمون دى رامبير » ذلك المحب المغامر الطياش الذى لا قلب له . والذى أحب أولا وصيفة الزوجة وأختها فى الرضاع "Noun" ثم ثنى بحبها هى . ثم حدثت الجفوة بينها وبين زوجها غير الـكفء لها . وحل محلها سحرٌ بمفاتن « ريمون » الذى خدع بحيلته ومكره الضابط الشيخ والزوجة وكل من أحاط بهما . ولم ينج من حبائله إلا ذلك القريب الإنجليزى الوفى « سير رالف » وهو الذى كان يحب « إنديانا » حبا يغشيه الخفاء . والذى كان يكتم أسرار « ريمون » ولا يريد لها الـكشف مخافة أن يؤذى شعور « إنديانا » .

ويتبع ذلك مواقف يسودها اليأس والقنوط . وألوان من العراك الفظيع بين مختلف العواطف . وأحاديث عن الحب وواجبات الزوجية . وأبحاث فى المشكلات الاجتماعية والسياسية فى ذلك العصر .

أما المشاهد الطبيعية فقد أتقنت الـكاتبة تصويرها . وأما أشخاص الرواية فقد رسمتها بريشة الفنان البارع على ما قد يبدو فى أولئك الأشخاص من انعدام الشبه بينهم وبين أندادهم الذين يعيشون فى الأسوا .

مبارك إبراهيم

نقد

الإخوان المسلمون

كبرى الحركات الإسلامية الحديثة

تأليف الدكتور إسحق موسى الحسيني

٢١٧ صفحة من القطع المتوسط — نشر دار بيروت

أحقُّ الناس بالتحدّث عن هذا الكتاب هم الإخوان المسلمون أنفسهم ؛ فهم أدرى الناس بما حوى هذا الكتاب بين دفتيه من عرض واف لنشأة دعوتهم وتطور مبادئهم وانتشار شُعبهم فى القطر المصرى وسائر البلاد العربية ؛ وهم أقدر الناس على معرفة وجه الحق فى هذا التحليل المفصّل الذى ذيّل به المؤلف كتابه شارحاً مبادئهم شرحاً يقوم على الدراسة والنقد والموازنة . ولكنّ شهوراً ثلاثة كاملة قد تصرّمت من غير أن يتعرض أحد من الإخوان — ولا من غيرهم — فى صحف مصر ومجلاتها(١) — لهذا الكتاب ؛ وأخشى ما أخشاه أن يكون الإخوان — فى غمرة ما يحيط بهم — قد انقطعوا عن متابعة ما يُكتب عنهم فى اللغة العربية واللغات الأجنبية ، بل إنى لأعرف كتاباً انجليزياً طبع فى الولايات المتحدة منذ حين وانتشر فيها انتشاراً واسعاً بحث فيه مؤلفه — وهو انجليزى ذو اتصال وثيق بمصر — هذه الجماعة ودعوتها كما شاء له هواه ، ولا يعرف عنه الإخوان شيئاً ، بل إنهم لم يسمعوا باسم مؤلفه . مع أن تعقب هذه الكتابات حجر أساسى فى بنيان الدعوة ، ولا يمكن أن يتمّ لنا تصوّر المفهوم اللغوى والواقعى (للدعوة) فى عصرنا الحديث إلا إذا استكملت نشاطها البيانى الكتابى . ولا يصح فى هذا المجال الاكتفاء بما يكتبه الإخوان — ابتداء — فى صحفهم ونشراتهم ، فإن كثيراً من القراء لا يتابعون كتابات الإخوان أنفسهم . ولا يعرفونهم إلا عن طريق ما يكتبه الآخرون عنهم ؛ ولا سيما الأجانب فإن معرفتهم بالإخوان تنحصر فى كتاب يقرأونه عن الإخوان فى إحدى لغاتهم الأجنبية . وربما لا أجانب الواقع إذا ذهبت إلى أن الرأى العام الأجنبى — وخاصة الأمريكى — يبنى تصوره للحالة فى الشرق الأوسط والحركات الدينية والاجتماعية على ما يقرأ من كتب فى لغته عن هذه الموضوعات . والرأى العام فى تلك البلاد هو الذى يدفع الحكومات ويسيرها ويجعلها تحدد الخطوط الكبرى لسياستها فى بلادنا على ضوء ما فهمه وتصوره من هذه الكتب . ومن هنا — فى رأيى — ينشأ الخطر إذا أغفلنا تعقب هذه الكتابات تعقباً مستقصياً . والرد عليها بالوسائل التى تصل إلى هؤلاء القراء على تباعد مواطنهم وتباين لغاتهم ؛ وذلك كله يتطلب استعداداً خاصاً ما أظن الإخوان يعجزون عنه .

وأنا أعرف عن أستاذنا الجليل مؤلف هذا الكتاب أنه من أكثر الناس طلباً للحقيقة وتحرياً للدقة ، وبُعداً عن الميل والهوى ؛ وقد ذكر لى فى معرض حديثه عن هذا الكتاب أنه — على ما بذل فيه من جهد الاستيفاء والاستقصاء — لا يبرّئ كتابه من نقص فى بعض النقاط وغموض فى بعضها الآخر ، وحكم شخصى ذاتى فى بعض المسائل . وقد حرص أستاذنا على توكيد هذا المعنى فى إشارات متفرقة فى ثنايا الكتاب ؛ من ذلك قوله (ص ١٤٣) « ففى أحيان كثيرة لا يكفى أن تعرض الصورة أمام المشاهدين ، بل لابد من كتابة شرح فى أسفلها يعين المشاهدين على تفهمها وتذوقها ولو جاء هذا الشرح ممثلا لرأى فرد واحد هو صاحب الشرح قد يتفق وآراء المشاهدين أو يختلف »

(١) نشرت مجلة الرسالة فى عددها (١٠٠٣) الصادر فى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٢ مقالا فى نقد الكتاب للأستاذ عمر عودة الخطيب .

وكذلك قوله (ص ١٤٤) « وعلى ذلك فسيظل التحليل مشوباً إلى حد ما بنظرة ذاتية ، وسيظل بعيداً عن الكمال إلى أن تصبح الحقائق التاريخية — المتعلقة بالدعوة — أكثر وضوحاً وأبعد عن ملابسات الحوادث الجارية » .

والتزاماً لهذه الدقة المتحرية والحرص الأمين ، ذكر لي أستاذنا المؤلف أنه سيتعقب ما يكتبه الإخوان عن كتابه ، فيعود على آرائه بالتصحيح والتغيير ، ويضمّن ذلك كله الطبعة الثانية التي قد تظهر في الشهور القليلة المقبلة .

ويختلف هذا الكتاب اختلافاً واضحاً عن كل ما كتب عن الإخوان المسلمين من قبل ، ويوضح لنا المؤلف هذا الاختلاف في قوله (ص ١٤٣ — ١٤٤) « وقد ألف في هذه الدعوة مالم يؤلف في دعوة مثلها في العالم الإسلامي . ولكن الكثرة الكبرى كانت تقصد نشر الدعوة والترويج لها وإظهار محاسنها . ويكفي أن تكون صادرة عن الإخوان أنفسهم حتى تكون كذلك . وألف في نقد الدعوة كتاب أو كتابان . وعيب هذا التألف أنه قصد إلى تجريح الدعوة وتسفيه آرائها وإظهار مساوئها . ولذلك لا يصح أن يركن إليه . ولا نعرف كتاباً نظر إلى الدعوة نظرة علمية أو مجردة عن الهوى — معها أو عليها — وحاكمها على ضوء الحركات الإسلامية السابقة ، وعلى مقوماتها الذاتية ، وأثرها في الحياة العامة في مصر وسائر البلدان التي ظهرت فيها ، إيجاباً أو سلباً » .

والحق أن المؤلف قد التزم المنهج العلمي التزاماً أوفى على الغاية ، فهو لا يكاد يغادر كتاباً أو نشرة أو مقالا في جريدة أو مجلة مما كتبه الإخوان عن دعوتهم أو كتبه عنهم غيرهم من الأنصار والخصوم — في العربية أو الإنجليزية — إلا اطلع عليه وأفاد منه . وبعد هذا الحصر الشامل لمصادر موضوعه ومراجعه نراه في القسم الأول من الكتاب — وهو سبعة فصول — يكتفي باقتباس النصوص من هذه المراجع نفسها وترتيب تلك النصوص ترتيباً متسقاً . وليس للمؤلف نفسه في فصول القسم الأول إلا ما يربط بين هذه النصوص ويسلسلها ، وإلا تعقيبات وشروح يسيرة متناثرة . وقد وصف المؤلف عمله في هذا القسم من كتابه بقوله (ص ١٤٣) « إن الفصول السابقة تهدف إلى إعطاء صورة كاملة قدر المستطاع لدعوة الإخوان المسلمين مدعومة بالنصوص المنقولة من كتبهم ومنشوراتهم ؛ وكان العمل إلى الآن أشبه بجمع أجزاء صورة متقطعة كالتي يلعب بها الصغار ، لتتكون منها صورة مطابقة للأصل » .

وقد تتبع الأستاذ المؤلف في هذه الفصول الأولى ظروف نشأتهم ، وتطور حياة « البنا » وآرائه ، والعوامل التي أثرت في نفسه ، وتفاعله مع الحياة من حوله ، حتى جاءت هذه الفصول تاريخاً — فيه بعض التفصيل — للأحوال السياسية والاجتماعية في مصر منذ الحرب العظمى الأولى ، وربط المؤلف بين حياة مصر في شتى مظاهرها وقيام الأحزاب فيها والصراع بين أعضاء هذه الأحزاب . وفصول القسم الأول هي : ظروف نشأتهم ، نشأتهم وتطورهم ، حسن البنا — شخصيته ، مبادئهم ، أعمالهم ، الإخوان والسياسة ، حركة الإخوان خارج مصر .

أما القسم الثاني من الكتاب فهو الفصل الأخير من حيث يحلل المؤلف الدعوة ويبدي رأيه صريحاً مخلصاً ذكراً ما لها وما عليها .

ذلك عرض موجز لفصول الكتاب ، وبيان لمنهج المؤلف ، كنت أحب أن أقف عندها ولا أجوزها . غير أن في الكتاب إشارات متفرقة كلما حاولت أن أتخطاها لأمضي في فصول الكتاب مضياً سهلا رخاء ، وقفت أمامي كأنها عقبات شامخة متطاولة لكثرة ما رددها المؤلف في الكتاب وأكدها : تلك هي فكرة شمول الدين لنواحي الحياة المختلفة أولا ، وفكرة الحكومة الدينية ثانيا . ففي الأولى يذكر المؤلف (ص ٤١) أن البنا (فهم الإسلام فهما خاصاً لأنه فهم أن تعاليمه وأحكامه شاملة تنتظم شؤون الناس في الدنيا والآخرة . . . فالإسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ، ودين ودولة ، وروحانية ومصحف وسيف) ثم يؤكد ذلك بقوله إن البنا نحا نحواً جديداً في فهمه . وقد طال عجبي وأنا أقف أمام حكم المؤلف أن شمول الدين وانتظامه شؤون الناس في الدنيا والآخرة إنما هو فهم خاص بالبنا ونحو جديد له ، ومصدر عجبي أن النظرة الأولى العابرة — بله النظرة المتروية — تستطيع أن تلمح في آيات القرآن الكريم هذا المعنى سافراً واضحاً مقرراً مؤكداً ، وأن هذا المعنى لا يكاد يخلو منه كتاب عربي قديم يعرض — أدنى عرض — لبعض شؤون الدين ، بل ما من مسلم — في غير هذا العصر — أثر عنه خلاف ذلك — فيما أعرف . فكيف يكون إذن شمول الدين وانتظامه شؤون

الناس فى الدنيا والآخرة فهماً خاصاً بالينا ؟ وما زلت أعجب حتى رأيت المؤلف نفسه ينقض فى الفصل السادس (ص ١٠٠) ما قدم فيقول « لم ينفرد الإخوان فى فهم الإسلام أنه دين ودولة ؛ فقد سبقهم إلى ذلك فى العصر الحديث الوهابيون . . وأغلب الظن أن الأتراك فى أثناء الخلافة العثمانية كانوا يذهبون هذا المذهب . . . وربما كانت جميع الدول الإسلامية القديمة على هذا المذهب أيضاً . . . » .

وقد كان من اليسير علينا أن نمر مراً هيناً على قوله : إن شمول الدين فهم خاص ونحو جديد ، بعد أن عاد فنقضه بهذه الأمثلة ، لولا أن الأستاذ المؤلف يعود فيستنكر هذا الفهم لشمول الدين ويسميه «مط الدين» فيقول (ص ١٤):

« ولنا أن نسأل : وما الذى حمل الإخوان على مط الدين على هذا النحو ؟ » ، وهو فى استنكاره يذهب إلى أن هذا الفهم الواسع الشامل للدين قد نتج عنه « أن أغرق الدين بطوفان من الظواهر غير الروحية » .

وأعجب من ذلك كله موقف أستاذنا من الحكومة الدينية ، ووجه العجب فى أنه يصمم على ان يربط بين « الحكومة الدينية » فى الإسلام بلفظ « الثيوقراطية » . وإنى لأتساءل : ما الذى حمل أستاذنا على أن يطلق لفظا أجنبياً له دلالة لغوية خاصة ومعنى اصطلاحى مختلف — على فكرة لا تمت إليه بصلة ؟ ولن أستدل بغير ما ساقه الأستاذ المؤلف نفسه فى كتابه (ص ١٦٨) نقلا عن المرحوم ياقت على خان ، قال : « إن الحكومة الثيوقراطية تعنى من حيث الاصطلاح حكومة رجال الدين المرسومين الذين يستعملون السلطة باعتبارهم معينين من قبل أولئك الذين يزعمون أنهم يستمدون حقوقهم من مركزهم الكهنوتى . ولست بحاجة إلى أن أؤكد أن فكرة كهذه غريبة عن الإسلام تماماً . فإن الإسلام لا يعترف بالرهبنة ولا بأية سلطة كهنوتية . وبناء على ذلك فإن الثيوقراطية لا وجود لها فى الإسلام البتة » . تلك هى الثيوقراطية ، وأما الحكومة الدينية كما يفهمها الإسلام فشىء يختلف كل الاختلاف عن ذلك .

ولست أدرى كذلك لماذا يرى أستاذنا فى الحكومة الدينية أولا وفى دعوة الإخوان المسلمين إلى العودة إلى القرآن والحديث وحدها ثانياً — جموداً وتحجراً ورجوعا بالزمن إلى الوراء « بمئاته الطوال التى تبلغ نحو أربع عشرة عداً » . (ص ١٠٠ — ١٠١) ؟ ولست أدرى كيف يصح أن نفهم من دعوة العودة إلى القرآن والحديث تمسكا بحرفية النص دون روحه ، وتعطيلا للتشريع ، وإلغاء للفقه ولاستنباط القوانين ؟ أترى القرآن والحديث يأمراننا حقا بأن نتقهقر مئات طوالاً تبلغ أربع عشرة عداً ؟ وأن ننتقل من القرن العشرين إلى القرن السابع ، ومن حياة الحضارة الحديثة إلى حياة البداوة الجاهلة ؟ أم ترى القرآن والحديث يصرخان على عقولنا وأرواحنا ، ويلحّان على قلوبنا وأبصارنا ، ويأبيان علينا أن نتطور مع الزمن والبيئة ؟ إن فى طريقة نزول القرآن نفسه ، متفاعلا مع الأحداث المحيطة ، سادّاً للحوائج العارضة ، مجيباً المسائل الطارئة — ما يُفهم منها بداهة أن الدين فى تشريعه إنما يلبّى حاجة المجتمع ، وأنه متطوّر تام ما تطوّرت الحياة ونمت البشرية ؛ بل إن فى نصوص القرآن نفسه ما يكشف عن روح التشريع القرآنى الذى خطط الحدود الكبرى من ناحية ، والحدود الصغرى من ناحية أخرى ، أو رسم النهايات العليا والبدايات الدنيا ، وترك ما بين ذلك من دقائق وجزئيات ليتكفل الإنسان بعقله بما يوافق الطور الحضارى الذى بلغه ، وبما يلبى الحاجات المتكاثرة المختلفة التى تطرأ فى مجتمعه ، على ألا يخرج عن الإطار الإسلامى العام . ولو شرّع القرآن لكل صغيرة وكبيرة ، وأغلق باب الاجتهاد والتشريع المستمدين من روحه — لما صحّ أن يكون القرآن مناسباً لكل زمان ومكان ، ولكان إذن موافقاً لبيئته وزمانه وحاجات مجتمعه حين نزل حسب .

ولست أدعى أنى فى هذا أعبر عن رأى الإخوان أو أنطق بلسانهم وإنما أزعم أن هذا فهم عام يصل إليه كل من اتصل بالقرآن مباشرة واهتدى بهديه .

وبعد ، فلا بد لى من أن أشير — فوق ما أشرت إليه فى مطلع هذه الكلمة من حسنات الكتاب العديدة — إلى أن الصفحات الأخيرة من هذا التحليل — وهى التى تبدأ على التحديد من ص ١٦٤ إلى آخر الكتاب — هى صفحات مشرقة حقاً ، ممتعة حقاً ، فيها من العمق وسعة الأفق وغزارة المادة ما جعلنى أتلوها مرات وما زلت أحس بحنين إلى معاودة تلاوتها .

(مصر الجديدة) ناصر الدين الأسد

مع فرقة «الباليه» الايرانى

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

منذ أيام عبقت دار الأوبرا بعطر شرقى حملته إليها فرقة الباليه الإيرانى ؛ وكأنما أرادت أن تذكرنا بأن الشرق لايزال مهد السحر والفتنة والأحلام والأوهام والأساطير .

ومهما يكن الرأى فى طابع العصر الحديث ومجافاته لكل ما يناقض آليته ، فما لاجدال فيه أن للإنسان رغبات خاصة قد لا ترضيها الآلية المطلقة ، وقد يكون من الخير له أن ينزع من حين إلى حين للهروب من قسوة واقعه ، والتحليق — ولو لحظات — فى عالم الأمانى والأشواق .

ومع هذا فلم تكن اللحظات الساحرة التى عشنا فيها مع الفرقة الإيرانية خلوا من الجد ، وإنما كانت فى مجموعها جدا يكاد يبلغ مبلغ الصرامة . فقد نجحت هذه الفرقة نجاحا كبيرا — بالنسبة للفرق الشرقية — فى الجمع بين الانطلاق والدقة فى تصوير هذا الانطلاق ، وبين الجموح والقدرة على تحديد هذا الجموح ، وبين التسامى والرمز المبين إلى هذا التسامى ، وبين الخيال والتعبير الواضح عن هذا الخيال ... وليس ذلك كله بالشىء اليسير .

فى المعبد :

بدأ البرنامج برقصة (فى المعبد) . وقبيل انفراج الستار أعلن المذيع أن حركات هذه الرقصة مأخوذة من مراسم ديانة «زاردشت» القديمة ومن رسوم الفن الإيرانى الإخمينى فى آثارسوس والمدائن ، وأن ترانيمها مأخوذة من الطقوس الدينية الإيرانية القديمة ، وأن موضوعها مقتبس من المؤرخ «هيرودوت» حيث يقول : «وهكذا أحب دارا صغرى بنات سلفه كورش ، وبلغ من حبه إياها أن نصب لها تمثالا من الذهب الخالص » .

ثم ينفرج الستار فنرى ابنة كورش — رمز التمثال — منتصبة فى حلة ذهبية على درج ذى أربعة معارج ، وتعزف لها الموسيقى لحناً جنائزيا فنراها — وقد دبت فيها الحياة — تنتفض انتفاضات تثير الشجون ! وتهبط فى رشاقة ملحوظة مَعْرجاً بعد معرج ، ثم تتوسط خشبة المسرح فيأتى إليها أربعة من كهنة النار ؛ فتنثنى بينهم فى روعة ويرقصون حولها فى ضراعة ، وتشتد نغمة الترانيم خلال ذلك ثم تهدأ رويدا رويدا ، وتعود هى إلى درجها فى أناة ، ثم تهبط منه مرة أخرى وثانية وثالثة ، ثم تدنو من مقدمة المسرح فتلتقط دمية صغيرة . . . وهكذا تحكى لنا هذه المجموعة (المكونة من ابنة كورش عائدة زاده وكهنة النار نجاه زاده وحسين دنشفار ومحمد على زارندى وصبحى عباس) — كيف تحرك التمثال الذهبى من سكونه على صدى موكب جنازة الملك دارا . وتروى لنا قصة الموت والحياة وعبرة الخلود والفناء .

أغنية المهد :

وينفرج الستار مرة أخرى عن ظلمة لا نرى فيها أحدا ولكننا نسمع (جلماز شيرازى) تنشد لنا « أغنية المهد » بصوت يفصح عن انبثاق الحياة من العدم ، وتبدو تباشير الضياء على المسرح خافتة متهافتة تريد أن تسطع ؛ لولا حكمة الزمن التى تأبى إلا أن تسير الأفلاك فى مسيرها .

البلبل والوردة :

ثم ينفرج الستار مرة ثالثة عن رقصة « البلبل والوردة» ؛ فنرى الوردة (إليان بى) تبحث عن بلبلها فى اشتياق ولهفة ، ونرى البلبل (محمود حجات) يأتى إليها

فى اشتياق ولهفة كذلك ، ونسمع مقطوعات من حافظ الشيرازى تعزفها أصوات رامزة إلى مواكب الطبيعة ؛ فيوحى إلينا أن التقاء العاشقين لم يطفىء اشتياقهما ولم يخفف من لهفتهما ؛ بل نرى الوردة عازفة عن بلبلها باحثة عن غيره . وتمضى الطبيعة فى غنائها غير عابئة بذلك جميعا . وإنما تظل أشجارها وأوراقها ونسائمها عاكفة على ذواتها ، ... رة فى صممها عن غيرها حتى يسدل الستار.

عشاق كاتانيه :

ثم نرى راقصة عند مقدمة المسرح ، ونرى رهطاً من الراقصين الذين يفدون إليها تباعا .. ثم ينفرد بها أحدهم ويناجيها بالغناء ، بينما يصفق الآخرون ويرقصون خلفهما ، ثم يحضر بهما راقص آخر على نقيض الراقص الأول فى مظهره وفتوته ونشاطه ، ويحاول كل منهما أن يجتذبها إليه ، وتحار هى فى اختيار أحدهما .. ولكن سرعان ما تذهب حيرتها حين تؤثر الأقوى والأجمل والأكمل . هذا هو موضوع أغنية «عشاق كاتانيه» وهى أغنية شعبية كردية شديدة الشبه فى أدائها وألحانها وأسلوبها بالأغنيات الراقصة الشرقية التى تؤديها جوقاتنا الشعبية . وقد قام بأدائها (حلدار شيرازى ومحمود حجات ونجاه زاده ومحمد على زارندى وصبحى عباس) .

المرأة المجاهدة :

ثم ترقص (عايده زاده) رقصة « المرأة المجاهدة » أو « روح إيران » ؛ فتصور أقوى تصوير قول الفردوسى : « وكانت هناك امرأة نادرة المثال بلغت من الشهرة فى القتال ما لم ينله أبطال الرجال » .

ينفرج الستار فنسمع إنشادا قويا من رجل لا نراه . وتتبدى على المسرح « المرأة المجاهدة » ممسكة بيدها نشابا ، وترقص على إيقاع دف منفرد لا تصحبه آلات موسيقية ، ويستمر هذا الإيقاع طوال هذا المشهد .. وعلى هذه الوتيرة تمثل لنا (عايده زاده) كيف تسهم المرأة المجاهدة فى الكفاح والنضال ، وتستعيد من ذاكرة التاريخ ما كان يروى عن « دار القوة » فى إيران القديمة ؛ حيث كانت تنشد فى ذلك الملعب الرياضى أشعار البطولة من «شاهنامة الفردوسى» أثناء التدريب على المصارعة والرمى بالنشاب وما إلى ذلك من من مباريات القوة والفتوة .

أغانى بحر قزوين :

وكأنما تشعر فرقة الباليه بحاجتنا إلى شىء من التسلية والترويح ؛ فيقدم لنا (محمود حجات) طرفا من أغانى بحر قزوين الهزلية .

القافلة :

ثم ينفرج الستار عن منظر رائع .. واحة ذات أزهار زاهية ندية فى صحراء إيرانية انعكست عليها عند مطلع الفجر ظلال الأودية المتاخمة لها ، ونلمح ثلاث فتيات من عذارى الحى راقدات فى خدورهن بأحضان الصحراء ، ونسمع أجراس قافلة قادمة من وراء الأفق ؛ فتستيقظ كبرى الفتيات باعتبارها أكثرهن نضوجا ، وتشم رائحة العطور والحلى والتمائم التى تحملها القافلة ؛ فلا تلبث أن يسحرها «الحب» ، ذلك الساحر الفاتن الأكبر ، الذى يدق قلبه الخافق فى دقات الأجراس وحنين موسيقاها . وعندئذ تلقى طلسم السحر على الفتاتين الصغيرتين .. وهنا تصبح المسحورات ساحرات ؛ ويرمين طلسما على شكل خاتم سليمان ويحيين الساحر الأكبر برقصات فى غاية الجمال تحركها أنغام فى غاية الإبداع .. ويهرعن إلى اللحاق بالقافلة ؛ فيفاجئهن ثلاثة من فتيان الحى ويسألونهن فى غضب عن وجهتهن ؛ فيرتبكن ويخفين اشتياقهن إلى ماوراء الأفق ، ويزعمن أنهن ذاهبات إلى السوق فى طلب خيط الوشى والتطريز ، ويرقصن رقصة شعبية ساذجة .. ولا يكاد يطمئن الفتيان ويهدأ غضبهم حتى تلقى عليهم الفتيات طلسم السحر ؛ فتأخذهم سنة من النوم .. وعندما يستيقظون يجدون العذارى قد ولين الأدبار خلف القافلة . ويسدل الستار على

خاتمة القسم الأول بهذه الرقصة التى أداها فى دقة منقطعة النظير (عايده وجلناز وإليان ودنشفار ونجاة وزارندى) ، ووضع موسيقاها (حسين شرشار) ، واتخذ حوارها من أشعار حافظ والسعدى .

صلاح الدين :

ويبدأ القسم الثانى وقد استهلته الفرقة برقصة « صلاح الدين » إحياء لذكرى بطل العروبة ومنقذ فلسطين .

ينفرج الستار عن صلاح الدين متكئا على أريكة فى فردوس نضير ، ثم تتراءى لنا ثلاث حوريات يرفلن حوله فى ثياب وضاءة راقصات على أنغام عذبة . لكننا نراه يتململ فى أريكته ثم يغادرها ويشيح بوجهه عما حوله ؛ فقد سمع ضراعات أفواج العرب المشردين الذين أخرجوا من ديارهم فى الأرض المقدسة ؛ وأدرك بشفافيته أنهم على الرغم من ذلك لايزالون متنابذين متنازعين؛ فيهتاج ويتذكر ماضيه وعهده الذى قطعه على نفسه للدفاع عن فلسطين ؛ ومن ثم تنصرف روحه عما هى فيه من متعة خالصة وتعرض عن الحور العين وتهبط إلى الأرض لمعاودة الجهاد . وقد أدى دور صلاح الدين محمد على زارندى وأدت أدوار الحور نفس الممثلات اللاتى أدين أدوار العذارى فى الرقصة السالفة، ووضع الموسيقى توفيق الباشا .

العباءة :

وعلى أثر ذلك عزفت الفرقة الموسيقية إحدى مقطوعات سان سانس . ثم قدمت فرقة البالية أغنية « العباءة » وهى أغنية شعبية عراقية خفيفة الظل يسيرة الأداء .

ينفرج الستار عن بائع العباءات محمود حجات وهو يعرض بضائعه عرضا ساذجا ؛ فتتهافت عليه المشتريات الحسناوات فى تدلل معجب ، وتتخير كل منهن مايحلولها .. ثم يرقصن ويغنين فيملأن أرجاء المسرح بالظرف والبهجة . ويسدل الستار على نهاية القسم الثانى .

الراية الخضراء :

ثم يبدأ القسم الثالث ، وقد قدمت الفرقة فيه رقصة « الراية الخضراء » واستهلتها بإنشاد بيتين من أشعار (صدقى) .. ثم ينفرج الستار عن « نحلة » تجوس بين الربى والآكام ؛ ملتمسة ذلك الشراب المختلف الألوان ؛ رامزة إلى السر المكنون فى أزهار الإيمان والمحبة والإلهام .. وفجأة يمتلئ المسرح بفوج من الرجال يحمل أحدهم راية خضراء ويحمل الأخرون سيوفا ؛ رامزين إلى أنهم نذروا أنفسهم وجهودهم لتلك الراية . ونرى إلى جانبهم «فتاة النخيل» وهى تجنى عناقيد التمر الذى أخرجه الغيث من باطن الأرض بعد مواتها ؛ رامزة إلى الإيمان الذى جعل راية الصحراء وارفة الظلال ، ونشرها فوق آفاق جديدة يلتقى فى رحابها الرجل والمرأة فى عالم رفيع من عوالم الرؤيا . . ونرى بين هؤلاء جميعا «جانيات العسل» فى فردوس الحب المقيم ، ولاهم لهن غير الحب والعبادة ؛ رامزات إلى مايحظى به المجاهدون . . ونرى « النحلة » وهى تملأ « كأس الحياة » من ماء فرات رمزاً إلى الأرض، وقد سمت بها الرؤيا فتفجر فيها نبع مثل نبع الكوثر . . . ونحس بالإلهام يتنزل فى ليلة الرؤيا ؛ فإذا كل شىء صفاء وسلام وإذا بالنحلة تحلق بكأس الحياة .. وإذا بالنوم يغشى ذكريات عوالم لا آخر لها ؛ وإذا بالراية الخضراء ترتفع عند اليقظة الكبرى من جديد ؛ رمزاً لانتصار الهدى على الظلمات وغلبة الحياة على الموت .. كل هذا تصوره لنا هذه الكوكبة من الراقصات والراقصين وهم يرقصون وينشدون ويضربون على الدفوف والطبول بين عبير البخور والرياحين فى حركة واتساق ونظام .

وهكذا ينتهى هذا البرنامج الحافل . . .

أما بعد . . فلاشك فى أن فرقة الباليه الإيرانى قد وفقت فى تذكيرنا بأن الشرق لايزال مهد السحر والفتنة والأحلام والأوهام والأساطير . ولكن إلى أى حد وفقت فى تحقيق مواضعات فن الباليه ؟

كم أحب أن أسمع رأى النقاد فى ذلك ! !

عبد الفتاح البارودى

القبلة

للكاتب الاسبانى يوزبيو بلاسكو

ترجمة الأستاذ حسن فتحى خليل

كان زملاؤه فى السجن يدعونه « الذئب » فقد كان مجرماً عريقاً فظاً متحجر القلب ، وهو وإن كان فى الستين من عمره إلا أنه قضى اثنتين وأربعين سنة منها فى مختلف السجون . ومنذ أن درج إلى سن الشباب وهو متنقل من سجن إلى آخر بتهمة السرقة أحياناً أوالقتل أحياناً أخرى ؛ حتى أصبح من العسير إعطاء بيان واف عن جرائمه كلها . ولقد حكم عليه أخيراً بالسجن عدة سنوات طويلة لجريمة من أبشع جرائمه التى اقترفها .

كان رجلا متوحشاً شريراً ، بل هو الشر ذاته ؛ حتى خافه زملاؤه فى السجن فلم يقتربوا منه . وكلما مر عليهم حاول كل منهم أن يبتعد عنه ما أمكن لأن « الذئب » كان كالوحش الكاسر : يعض أو يدفع كل من يقف فى طريقه أو يحاول الاقتراب منه ، بل كان يرشقهم أحياناً بإبرة الخياطة التى فى يده . والتى كان يخيط بها الجوارب ، وكانت هذه هى مهنته فى السجن . . . وبالإجمال كان « الذئب » أكثرهم وحشية وتعطشاً للدماء كأنه الحيوان المفترس .

وكان يجلس على الأرض منكس الرأس دائباً على عمله ، فتمر الأيام والأسابيع وهو على صمته وسكونه . وكان رأسه الكبير يغطيه شعره الأسود ، أما عيناه فكانتا سوداوين قاسيتين لهما نظرات حادة صارمة . وبالرغم من سنواته الستين كان قوياً صلب العود ، فكان مثار الرعب لكل من فى السجن ، الرعب الصامت لأنه لم يكن يكلم أحداً أو يلهو مع الآخرين ، بل يبقى على صمته حتى أذعن له الجميع واحترموه ؛ فإذا تلفت حوله أو رفع رأسه فوقع نظره على زملائه فسرعان ما يديرون رؤوسهم أو ينظرون إلى السماء ، حتى لا تلتقى نظراتهم بنظراته .

وعين حاكم جديد للسجن ، وكان رجلا متحمساً لعمله كله حركة ونشاط ، وبدأ المجرمون ينظرون إليه نظرة الكراهية ، وجعلوا يتهامسون ضده فيما بينهم بغير أن يجدوا منه ما يدعو إلى الاستياء .

وكان لهذا الحاكم ابنة حلوة صغيرة تدعى « أورورا » لا تتجاوز الخمس سنوات من عمرها . ونزلت معه أصيل ذات يوم إلى صحن السجن فى فترة العشاء . وبينما كان هو يلاحظ توزيع الطعام على المسجونين كانت هى تتحدث معهم وتضاحكهم دون أن تخشاهم ، وتقدم إليها بعضهم يرجونها التشفع لهم لدى والدها ، ولكن كان هناك أيضاً بعض المجرمين الذين واجهوها بكلمات خشنة ولعنوها هى ووالدها فى سرهم .

وكان الذئب يجلس بعيداً عنهم .. وحيداً .. وقد أسند ظهره إلى الحائط ووضع طعامه بجانبه بعد أن تناول مايقرب من نصفه ؛ وقد انكب على عمله يخيط جورباً بإبرته فى سرعة فائقة ، وهو مازال منكس الرأس حتى أنه لم يرفع عينيه حينما كان الحاكم وابنته على بعد ثلاث خطوات أوخطوتين منه ، ولكنه مع ذلك نظر إليهما نظرة خاطفة من طرف عينه . وحاولت الصغيرة الاقتراب منه ولكن والدها منعها فقالت :

إنى أود الاقتراب منه لأراه جيداً .

فقال والدها : كلا .. إنه شرير ، فلربما يضربك .

فقالت : انظر . . انظر يا أبتاه إنه يخيط الجوارب .

فقال : هو يفعل ذلك دائماً ، لقد أخبرنى الحاكم السابق أنه خطر وقد قضى أكثر سنى حياته فى السجون ، وهو محكوم عليه هنا بثلاثين عاماً .

فقالت : يالمسكين . . يالمسكين ! !

وماأن سمع «الذئب» كلمات «يالمسكين ! يالمسكين !» حتى رفع رأسه ونظر إلى الطفلة وهو فاغر فاه ولو أنه لم يتوقف عن عمله . وكان الحاكم على وشك أن يقول شيئاً للطفلة الصغيرة ، ولكنها اندفعت إلى الأمام قائلة : — سأمنحه قبلة !!

وهكذا فعلت . . فقد انحنت على « الذئب » وقبلته على وجهه دون أن يخالجها أى اشمئزاز أو خوف وهى تقول : أرجو ألا تكون شريرا أبدا !

وصعق الذئب فلم ينبس ببنت شفة ، كان يبد وكمن يحاول أن يتكلم ولكنه لم يقو على الكلام ، وكل ما أمكنه عمله هو أن ظل يتابع الحاكم وابنته بنظراته وهما يبتعدان فى يقهما إلى مسكنهما .

ومرت الأيام والشهور ولم يحدث شىء ذوبال فى السجن ا لحزم الحاكم وسطوته . ولكن حدث يوماً فى شهر أن هبت عاصفة هوجاء فى البحر المطل عليه السجن ؛ المجرمين وقد انساقت عواطفهم مع العاصفة ، يحاولون البحر فى زمجرته وهياجه ؛ فترتفع أصواتهم حادة قوية أن رفضوا الطعام الذى قدم إليهم وهم يصيحون : يسقط الضباط ! فلنستول على السجن !

فهب الحاكم كالنمر من الحجرة التى كان يستريح فيها ، وتوقف لحظة ليغلق باب مسكنه حتى لا تتبعه طفلته ، ثم توجه إلى فناء السجن ليواجه ثلاثه رجل مسلحين بالملاعق الخشبية المشحذة أطرافها كأنها السكاكين فى قوة قطعها ، فأطلق الرصاصات التى يحتوى عليها مسدسه ، وما أن دوى صوت الرصاصة الأخيرة حتى رأى وحشاً كاسراً يتقدم منه . . رجلا ذا رأس أشعث وهو يصيح :

— لا تخف ! هأنذا !!

وكان هو الذئب .

أمسك الحاكم من حزامه ثم دفعه نحو الحائط ، ووقف أمامه يحجبه بجسمه وقد أمسك بيده اليمنى مطواة مفتوحة — لايدرى أحد من أين أتى بها — وبدأ يستقبل الأعداء فيطعنهم بالمطواة وسرعان ما يخر كل من يقترب منه ميتا تحت قدميه !

وحينما وصل رجال الحرس المسلح أخيرا لنجدته وانتهى الشغب وعاد السكون ونجا الحاكم ؛ إذا « بالذئب » يسقط وهو يعانى سكرات الموت وقد انتشرت الجروح فى رأسه وجسده .

حملوه إلى مسكن الحاكم حسب أوامره ووضعوه على أول فراش ناعم لمسه جسده طيلة حياته ورقد هناك وهو يبحث بعينيه عن شىء . . . وأخيراً قال الحاكم فى همس وهو بين الحياة والموت — الطفلة !! الطفلة !!

ففهم الحاكم مايقصده منقذه ، وتذكر كل شىء وأدرك سبب مساعدة الذئب له وإنقاذه لحياته . فأسرع ليرى ابنته التى كانت تبكى فى خوف ، وأمسك بها بين ذراعيه وعاد معها إلى الحجرة التى يرقد فيها الرجل على فراش الموت .

كانت هناك لحظات باقية فى حياة « الذئب » تسمح له بأن يرى — وهو مفتح العينين محدقا — المخلوق الوحيد الذى شعر نحوه بصداقة طيلة حياته . . . فقال : واحدة أخرى !! واحدة أخرى !!

فرفعها والدها بين ذراعيه ، ورن صوت القبلة ! . . قبلة طبعتها شفتان ملائكيتان على ذلك الوجه المغضن العجوز .

وبينما كان القس يغادر المكان ، وهو مازال يتمتم بصلواته ، كان الآخرون ، وهم الحاكم ورجال الحرس ، مازالوا راكعين بجانب الجثة والسكون يشملهم ! أما الطفلة فقد أشار لها والدها ؛ فإذا بها تقول فى صوتها الحلو الناعم : « يا إلهى الذى فى السموات . . بورك اسمك . . وملكك » !

حسن فتحى خليل

ورد إلى المجلة

ورد إلى المجلة من إدارة الاستعلامات للسفارة البريطانية بالقاهرة أنها افتتحت معهدا للدراسات الإسلامية بجامعة « ماك جيل بمونتريال (كندا) » ويضم هذا المعهد أساتذة مسلمين ومستشرقين . .

ويحوى برنامج الدراسة لموسم هذا العام دراسة الإمام الغزالى ومؤلفاته ، إلى جانب كثير من الموضوعات الإسلامية الأساسية .

و « الثقافة » تتمنى للمعهد كل توفيق فى أداء رسالته السامية .

جند من جنود الله !.

مصر وغنت طربا　　وجرى النيل يحاذى الشهبا
مصر تثى جسدا　　نابض القلب ، وكانت خشبا !
تاريخهـــا منتفضاً　　عبقرياً ، وللعـالى قشبا
بالسيف عنـاها على　　حجب الظـلم يشق الحجبا
من ذراها عجما　　ظلموا فيها ، وولت عربا
دئك السيف فـلا　　تحسب المسنون منه كذبا
لرب إن رن ، فـا　　أسعد السيف وأشق الخطبا !
لمجـــد على معـترك　　من أراد المجد سل القضبا !
نا (عرابى) أنه　　بلغ السؤل ونال الأربا
سر (نجيباً) بعده　　وقضى الجيش له ما وجبا
من جنود الله قد　　أحسن الله له المنقلبا !
صر فى ساحاتهـا　　قدراً حلواً وسعداً عجبا !
ح (عرابى) طربت　　بعدما غيبها من غيبا ؟
من الموت ؛ فلا　　تحسبوا حق (عرابى) غُـلبا
اليوم من عليائه　　يرقب الجيش فيزهو معجبا
ى أبا الأحرار من　　جدث ما عابه أن يحجبا
موتك دوّى عالياً　　طالباً للنيـــل ما قد سلبا
لم له واضطربت　　أسس العرش ومادت رعبا !
ار أن تجعله　　عبرة الأجيال تلق الحقبا
ى فـــا أضوأه　　مشعلا مضطرماً ملتهبا !
ــلم فما يرتد عن　　أجم الأســـد إذا ما غضبا

* * *

الفدّى ! سلمت　　مُهجَـةٌ منك تخوض العطبا
ت إن كان به　　رفعة النيل ولا تخشى الظبا !
.. ؛ قد فاجأه　　بارق منك . فنادى : مرحبا !
ى يزهو فرحاً　　رافع الرأس يباهى الغربا
وزها الضادُ ومن ينطقه　　تخِر الإلهام منه مأخبا
أطلــع الله له مستقبلا　　كان من قبل جهاما خُلبا

* * *

يا (نجيب) الجيش ، والجيش غدا
حولك اليــــوم رجالا نُجبا
طهّر اليـــــل فقد لوّثه　　والغ دنّســه إذ شربا
وابنه خلقاً جديداً فلقد　　فسد الخلق وأمسى لعبا !
حسبك الشعب الذى حررته　　معقلا يرجى وصرحاً أشيبا
رمزه أنت . فما أعظمه　　خلقاً سمحاً وروحاً طيبا !
عجب النصر : أهذا قيصرٌ　　لا يبالى النصر لما كتبا
أم إمام للّه الحق فلا　　يسأل الدنيا غنىً أو رتبا
سرت فى الصفين زينتهما　　فرأينا المجد يمشى موكبا
خفقات القلب كانت أمة　　وجدت قلبا فتياً وصبا !
ودموع العين كانت أملاً　　أطلق الفجر له مضطربا
حبذا النيل جديداً فى العلا　　بك يجرى واثباً إن وثبا
شرف صرت إليه لم يكن　　للفراعين هوى أو سببا !

سليم عبد الغنى الرافعى

الدينـــــار !.

وإذا رأيت صعوبة فى مطلب　　فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه ؛ فإنه　　حجرٌ يُليّن قوة الأحجار

* * *

إن الدراهم كالمرا　　هم : تجبر العظم الكسيرا
لو ناله من ثعلب　　فى صبحه أضحى أميرا

النـــــاس

عاشر من الناس من تبق مودته
فأكثر النـــاس جمع غير مؤتلف
فيهم صديق بلا « قاف » ومعرفة
بغير « فاء » وإخوان بلا « ألف » ! !